







مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ

مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْفَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي

٢٩

المجلد التاسع والعشرون

السنة ١٣٧٧ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

رسالة التحرير	
محب الدين الخطيب	
الاشتراك السنوي	
في وادي النيل	٤٠٠
للطبعة وادي النيل	٤٠٠
للعلماء والمدرسين بالواحد	٣٠٠
خارج الواحد	٥٠٠
للطبعة خارج الواحد	٣٠٠
للعلماء والمدرسين خارج الواحد	٤٠٠

مجلة الأزهري
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

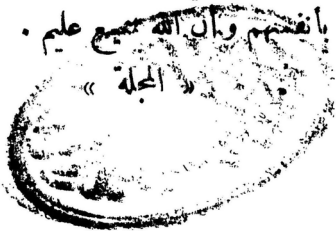
الجزء الأول - القاهرة في غرة المحرم ١٣٧٧ - ٢٨ يوليو ١٩٥٧ - المجلد التاسع والعشرون

١٢
٢٢٢٢٦
دور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عام - الى عام

نودع عاما كنا منه في امتحان عظيم برهنتا به على صمودنا للبني المفاجئ ، لنستقبل عاما يجب علينا أن نحسن فيه استعمال نعم الله ، فيما يرضى الله ، لنكون من أولياء الله .
كنا قبل العام الماضي نحبو ، لننتقل - في عهد التحرير - من سن الطفولة إلى سن الشباب . فاجتازنا عاما لم يكن كسائر الأعوام ، وإنما كان - بأحداثه - عصرا كاملا : فنحن ، بين العام الذي نودعه والعام الذي نستقبله ، كالطفل خرج من طفولته الطاهرة البريئة ، ليستقبل جهود عصر كامل ، وجهاد عصر كامل ، وتقديم عصر كامل ، وإنتاج عصر كامل ، وتجارب عصر كامل ، وانتصارات عصر كامل .

إنها نقلة مباركة من طفولة طاهرة بريئة كانت بنت أربعة أعوام ، إلى رجولة نامية استكملت قواها بمصارعة البغي والتغلب عليه ، وشجذت عزائمها لإقامة الحق والاستكانة له ، وأوسعت خطاها لطيّ المنافوز نحو الهدف القومي الأقصى ، وسنبلغه بحول الله وقوته .
نحن في نعم من الله نعمتها ولا نحصىها . إنها نعم ، كنا نتمناها في أحلامنا ، فن- الله علينا بأن نراها في يقظتنا . وأبلغ الشكر لله على نعمته حسن استعمالها فيما يرضى الله ، ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإن الله بصير عليم .



من الاسلام ... الى الايمان

حقائق تاريخية ، لمناسبة الصراع مع الاستعمار في الجزائر

كان آخر عهد الناس بالاستعمار الغربى للشرق الإسلامى فى الخمسين سنة الأخيرة التى كنا شهود أحداثها ، أنه كان - كما لا يزال - حريصا على مطاردة الإسلام من بلد إلى بلد ، ومن طبقة من المسلمين إلى طبقة أخرى منهم ، وقد رسم لذلك خططا لا يراها أقل شأنًا من خططه السياسية والعسكرية ، وقبلما عقد معاهدة مع جهة إسلامية إلا كان للتأحية التبشيرية عناية كبرى منه فى صلب تلك المعاهدة أو فى ملاحقتها .

لقد رأينا الاستعمار منذ عشرات طويلة من السنين يحشد الجحافل من صنائعه الذين يسمحون أنفسهم « مبشرين » على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ، فكانوا فى كثرة عددهم ، وفى تنظيم نشاطهم ، وفى استعدادهم المالى والثقافى ، وفيما يستندون إليه من تأييد إدارى ، وما يعتمدون عليه من حماية سياسية ، كأنهم - وهم فى أوطان المسلمين أو مستعمرات الغربيين - حكومات أخرى من وراء الحكومات ، مستكلمة للوسائل والأدوات ، مؤلفة فى صنوف المهمات وأنواع المسؤوليات ، يقدمون عن نتائج نشاطهم السنوى التقارير المسهبة بحساب دقيق هدفه الأول والأخير أن ينسلخ المسلمون عن الإسلام ولو إلى الإلحاد ، فإن تعذر عليهم استمالة الذين شبوا من المسلمين عن الطوق فلا أقل من الاستيلاء على قلوب أبنائهم ، والتحكم فى تكييف نفوس الأطفال وتوجيه عقولهم وثقافتهم ، بما رسم لها من مناهج وأصاليب متنوع وتجدد بما تقتضيه ظروف الأزمنة والبقاع .

فالإنجليز فى السودان - مثلا - عزلوا منطقة الجنوب عن أمها السودان الشمالية ، ووضعوا مهمة التربية والتعليم لجنوبيين فى أيدي دعاة التنصير من الإنجليز والأمريكيين وغيرهم ، إنجيليين وكاثوليكين . ومنعوا حتى التجار المسلمين من أن يقيموا شعائر الصلاة فى العراء على مشهد من الناس ، لئلا يدخل الإسلام فى قلوب الذين ما زالوا على الفطرة

من سكان الجنوب فينقلوا مسلمين . ولا يزال قراء هذه المجلة على ذكر ما نشرناه في جزء رجب سنة ١٣٧٣ (ص ٨٣٣) من مشاهدات السيد محمد جمال الدين محفوظ في رحلة قام بها في الملاكال وجوبا وتوريت وكاتزى إلى حدود بلاد أوغندا .

وكنا نشرنا قبل ذلك في جزء جمادى الأولى من تلك السنة (ص ٦٣٧) شكوى جريدة (التيمس) اللندنية وعويلها من أن الإسلام يتقدم بخطى سريعة في غرب إفريقيا حتى أن بعثات التنصير والأوربيين على السواء لبيدون (قلنا) شديدا مما قد يترتب على انتشار الإسلام في المنطقة كلها . قالت (التيمس) : « وكان الاعتقاد قديما أن الإسلام هو دين شعوب الصحراء ، وقد يتقدم إلى الحضر ، وما كان أحد يصدق أنه يستطيع أن يخترق المناطق الاستوائية وأن يصل إلى الجنوب كما حدث في (سيراليون) و (ساحل العاج) و (ساحل الذهب) و (الداهاومي) . ويخشى رجال الإدارة على الأخص من أن انتشار الإسلام في هذه البقاع يتبعه اتصالات بالقاهرة وبالعالم العربى » ... وقالت (التيمس) كذلك « ويختلف الغربيون في اتجاههم الفكري نحو مستقبل الإسلام في إفريقيا : فمن قائل إن تقدم الإسلام لن يضر بالمصالح الاستعمارية ما دام يسير في (الخطوط التي رسمها له الاستعمار) ، بينما يرى آخرون ضرورة (الحد من تقدم الإسلام) عن طريق نشر البدع والخرافات (أى نشر البدع المخالفة لأصل الإسلام ، لإفساده ، وإزالة حقيقة الإسلام عنه ، مع بقاء اسم الإسلام عنوانا له) حتى يكون هذا بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد) .

هذا ما قالته (التيمس) ، وهى على علم تفصيلي بحجافل دعاة التنصير المنتشرين مع الاستعمار في القاصى والدانى من بلاد المسلمين في إفريقيا وآسيا ، وما يعثرون به من عقائدهم وما يفرضونه عليهم من تعاليم استعمارية إن لم ينبجج في تحويلهم عن المسجد إلى الكنيسة ، فلا أقل من أن يبعدهم عن المسجد إلى ناحية الكفر بالله ، والنجود بيوم الدين ، والإلحاد بالأديان كلها .

وأفزع من السكيد الاستعمارية الذى يلقاه الإسلام من الإنجليز وأعوانهم الأمريكين وغيرهم في غرب إفريقيا ووسطها وشرقها ، السكيد الاستعمارية الذى لقيه من الفرنسيين في شمال إفريقيا ، وعزلهم مناطق البربر عن مناطق العرب ، وتكالب المبشرين من الآباء البيض على أبناء المسلمين البربر لئلا يبقى لهم من الإسلام إلا عنوانه الذى يوشك أن يزول هو كذلك إن لم يتداركهم الله بلطفه ورحمته .

وكان الكاردينال لافيجرى قد أسس لهم بمعونة المرشال ليوتى وأسلافه جيوشا من دعاة التنصير رجالا ونساء فى جميع أنحاء شمال إفريقيا . فأقيم لهذا الكاردينال تمثال جسيم فى العاصمة التونسية ما زال قائما فى مكانه إلى اليوم جزاء جهوده المتواصلة لهدم السكان الإسلامى فى ظل الاستعمار الفرنسى . وهذا الكاردينال هو نفسه الذى وقف يوم أول يولييه سنة ١٨٨٨ فى كنيسة سان سوليس بباريس ينكر على الإسلام رحمته بالرقيق ، وتشريعانه الواسعة النطاق لتضييق دائرة الرق فى المجتمع الإنسانى ، والنهوض بمستوى الأرقاء . فخطب خطبة زعم فيها أن الإسلام هو المسئول عن الرق ، واتفق أن كان من شهود هذه الخطبة أحمد شفيق باشا فى أيام شبابه ، فرد عليه بكتاب (الرق فى الإسلام) الذى ألفه بالفرنسية ، وترجمه بالعربية أحمد زكى باشا .

وقد استمر السكيد من الفرنسيين للإسلام فى كل مكان ، ولاسيما فى إفريقيا ، إلى أن استصدروا فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ (أى عند مرور قرن على احتلالهم الجزائر) الظهير البربرى الذى عزلوا به مسلمى البربر عن التشريع الإسلامى فى الأحوال الشخصية ، وعن التثقيف الإسلامى والمدارس القرآنية ؛ ووضع لهم مسيو سوردون Sordon تشريعا تحدث هو عنه فقال : « إن الأسلحة الفرنسية هى التى فتحت البلاد البربرية ، فلاصحاب هذه الأسلحة الحق فى اختيار التشريع الذى يجب تطبيقه فى البلاد ، ويجب على حكومة المخزن (أى حكومة سلطان المغرب) أن تكون مستعدة لإعطائنا الحرية التامة فى تنظيم البلاد البربرية كما يطيب لنا ؛ وبالطريقة التى نرضينا . وإذا كانت العادات العرفية البربرية (أى التى كانت للبربر فى زواجهم ومواريتهم قبل إسلامهم) لا مناص لها من الاضمحلال أمام شرع مدون ، فلماذا لا تضمحل أمام شرعنا نحن الفرنسيين ، ألا يمكن أن يتخذ البربر فى يوم من الأيام نفس الشرائع الفرنسية ؟ ولما صدر الظهير البربرى فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ علفت عليه جريدة (الطان) فى عددها الصادر يوم ٢٧ من ذلك الشهر فقالت : « الآن تخلصت قبائل البربر من سلطة الشريعة الإسلامية ، ولقد اتخذت جميع الاحتياطات لحماية المحاكم العرفية الجديدة من تأثيرات السلطة الإدارية الوطنية » .

إن الاستعمار ما كان ليجرؤ على القيام بهذه الغارة الفاجرة على العالم الإسلامى إلا لأن عصور الانحطاط الأخيرة جعلت جماهير المسلمين كبعض الأعرب فى بداية إسلامهم ، وقد تحدث القرآن عن بنى أسد بن خزيمه يوم حسبوا أن مجرد الانتهاء منهم إلى الإسلام

يرفع منزلتهم إلى مقامات الإيمان ، فقال الله لهم فيما أنزله على رسوله من سورة الحجرات ١٥ : « إيمان المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » . روى الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء :

(١) الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

و (٢) الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم .

و (٣) الذي إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل » .

نعم إن الاستعمار ما كان ليجرؤ على القيام بغارته الفاجرة على الإسلام إلا لأنه وجد المسلمين مكثفين من الإسلام باسمه وعنوانه ، متهاونين بتفاصيل شعب الإيمان وتربية أنفسهم عليها ، متخاذلين عن الاستعداد للقيام بأعباء السيادة والسعادة في أوطانهم ، فسكانوا يقولون كما قالت الأعراب من بني أسد بن خزيمة وهم حديثو عهد بالإسلام : « آمنا » . فقال الله لهم في سورة الحجرات ١٤ : « لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا » . فالإسلام في الجبهة الغالبة من المسلمين عند مادهمم الاستعمار كان « جنسية » مقتصرة على شهادة الميلاد أو ما يقوم مقامها ، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم . ولو أن شعب الإيمان كلها - مما به حامل آخر رسالات الله في قلوب أصحابه بتوجيهاته المتلاحقة مدة ثلاث وعشرين سنة - كانت متأصلة في نفوس المسلمين عند ما فوجئوا بالاستعمار الأجنبي ، لاصطدم منهم بقلعة حصينة يتحطم بغيه على جدرانها ، ويتخاذل كيده أمام عزائمها ، ولكافه المسلمون متعاونين متناصرين دفاعاً عن كيانهم خطوة بعد خطوة ، وسنة بعد سنة ، إلى أن يئأس منهم ، وينقلب إلى بلاده بالخزي والفشل الذريع وحسرة الأبد .

الإيمان الإسلامي قوة لا تعدلها قوة ، وقد تمكن الاستعمار من الاستيلاء على بعض بلاد المسلمين بضعفهم لا بقوة الاستعمار ، وإيماناً كانوا ضعفاء لأنهم كانوا مكثفين من الإسلام باسمه ، ولم يكونوا مؤمنين بمجموع ما يطالبهم بالإيمان به . . .

قبل أن يحتل الاستعمار الفرنسي بلاد الجزائر بخمسين إلى سبعين أو ثمانين سنة ، كان قد نجم فيها شاب مغرور ، ضعيف العقل ، سقيم المعرفة بالإسلام ، تصوف بغير علم ، وتلقف كلمات من بنيات الطريق ، فاخترع لمن حوله طريقة بناها على أنه يلقي

النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، ويتلقى عنه ما يخالف شريعته ، فزاده هذا التصور غرورا إلى غروره ، فصار يقول لأتباعه : « قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله من أول إنشاء العالم إلى النفخ في الصور » ، ويقول لهم : « إن غير النبي قد يكون عنده علم أزيد من النبي » ، ويقول لهم : « كل الشيوخ أخذوا عنى من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور » ويقول لهم : « إن مقاما عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه ، وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل إلى مقاما . . . ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منه صلى الله عليه وسلم تحقيرا . » واخترع لهم صيغة من صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سماها « صلاة الفاتح لما أغلق » وقال عنها : « إن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل من كل تسبيح وقع في السكون ، ومن كل ذكر ، ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن ، ستة آلاف مرة » ، وقال لهم عنها : « من لم يعتقد أن صلاة الفاتح من كلام الله لم يصب الثواب فيها » ، وقال لهم عنها : « نهانى صلى الله عليه وسلم عن التوجه بالأسماء (أى بأسماء الله الحسنى) وأمرنى بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق » .

إن ضعفاء العقول في الدنيا والمغرورين والمعتوهين كثيرون ، ويقولون ما يسنع في خواطرهم . وكان ينبغي لقائل هذا الكلام في الجزائر قبل أن تصاب بمصيبة الاستعمار الفرنسى أن يوضع في مستشفى المجاذيب ، أو في الأقل أن ينبذ ويدعى له بالشفاء . ولكن الانحطاط يومئذ في الوعي الإسلامى بين الجماهير قد جعل لهذا المعتوه شأنا ، فصار له في الجزائر أتباع يعدون بالألوف ، ثم كان له مثل ذلك في المغرب الأقصى وغيرها من أصقاع إفريقية ، ومات بمدينة فاس سنة ١١٩٦ (١٨٨٢ م) عن ٤٦ عاما فقط وهو من أهل الزعامة ، وكلامه هذا تلقاه الألوف من العامة والمنتسبين إلى العلم بالقبول ، وله إلى هذا اليوم أتباع يعدون بالملايين ، ومنهم دجالون في مصر والشام وحتى في ألبانيا التي تعد من أوربا ، وقد استطاع الفرنسيون من قبل أن تدنس أقدامهم أرض الجزائر أن يصطنعوا خلفاء هذا المعتوه من مشايخ السجادة التي أسسها لطريقته في عين ماضى . وشيوخ هذه السجادة يفتخرون اليوم بأنهم حاربوا الأمير عبدالقادر الجزائري مع الفرنسيين وأنهم كانوا عيون الاستعمار وسماسرته وأعوانه منذ الاحتلال الأول إلى اليوم .

وفي سنة ١٨٧٠ بينما كانت أحذية جنود بسمارك ومولته تسحق كبرياء الفرنسيين في باريس وتطأ رقاب عظمائهم ، كان خلفاء الزاوية التجانية في الجزائر يعلنون عبوديتهم

للفرنسيين المخدولين ، ويقوم كبيرهم سيدى أحمد التجانى الحفيد بتقديم الشكر - باسم الجزائر - إلى بقية السيوف من جنود التيرايرور الذين سلموا من معركة « ريش-هوفن » ووقعة « ويسانور » ، فكافأه الكاردينال لافيجرى بأن قام بطيلسانه وصلبانه فتولى عقد زواج سيدى أحمد شيخ السجادة على مدام أوريل بيكار التى بقيت على كاثوليكيتهما ، وألفت كتابا عنوانه « أميرة الرمال » تعنى نفسها ، وقد ملائته بالمثالب على مسامى الجزائر والزاوية التجانية ، وذكرت فيه أن سيدى أحمد هذا إنما تزوجها على يد الكاردينال لافيجرى بحسب الطقوس الدينية المسيحية . ولما توفى عنها سيدى أحمد هذا خلفه عليها وعلى السجادة التجانية أخوه سيدى على ، فصاروا يسمونها « زوجة السيدين » ، وقد قضت بين التجانيين بضعا وستين سنة لم تستعمل معهم فيها شيئا من النفاق ولا الرياء ، بل قضت تلك العشرات من السنين كاثوليكية فرنسية لم تغير من كاثوليكيتهما وفرنسيتهما شيئا . و « الأحباب » التجانيون يتبركون بهذه الديسة الشيطانية ويتسحجون بآثارها شابة وعجوزا ، ويتممون لصلواتهم بالتراب الذى تمشى عليه . وقد قضت « أيم التجانى » الفرنسية شيخوختها فى مزرعة كبرى امتلاكتها فى ضواحي مدينة « بلعباس » من أعمال وهران كانت تعيش فيها عيشة المترفين ، وهى تهزأ بهؤلاء الأنعام الذين تنعم بخيراتهم ، وتعبث بديانتهم ووطنيتهم ، ولم تقطع علاقتها بالزاوية التجانية ، بل ظلت تسيطر عليها وتقبض على أزمته ، وقد أنعمت عليها الجمهورية الفرنسية بوسام جوقفة الشرف ، وقالت عنها فى براءة التوجيه : « إن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى ، وسأقت إلينا جنودا مجندة من « أحباب » هذه الطريقة ومريديها يجاهدون فى سبيل فرنسا صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

وفى ربيع سنة ١٩٣١ (أواخر ذى الحجة ١٣٤٩) قامت بعثة عسكرية فرنسية برئاسة ليوتنان كولونيل سيكونى برحلة فى منطقة الأغواط بالجزائر ، فدعاها شيخ السجادة التجانية فى ذلك الحين - وهو الشيخ سيدى محمد الكبير - لزيارة عين ماضى المركز الرئيسى لطريقهم . قالت جريدة لا برس ليبير Lapresse libre الجزائرية فى عددها الصادر يوم السبت ١٦ مايو ١٩٣١ : « وبعد ما تفرج رجال البعثة على مدينة عين ماضى وعلى الزاوية التجانية ، ذهبوا إلى القصر العظيم الذى شيد بإيعاز من السيدة الفرنسية مدام أوريل التجانى ، وفى ردهات هذا القصر الرائعة الجميلة أقيمت مأدبة فخمة فاخرة لهؤلاء الضباط ولنواب الحكومة العسكرية المحلية بالأغواط ، وفى أثناء شرب الشاي قام حبيبتنا حسنى

سى أحمد بن طالب فتلا باسم المرباط سيدى محمد الكبير صاحب السجادة التجانية الكبرى خطبة عميقة مستوعبة للخدمات الجليلة الصالحة التي قامت بها الطائفة التجانية لفرنسا ، وفي سبيل توطيد الاستعمار الفرنسى ، وتسهيل مهمة الاحتلال على الفرنسيين ، وفي إشارات التعقل التي كانت تسديها هذه الطريقة الصوفية لمريديها من « الأحياب » .

ولعل أهم فقرة وردت في الخطبة قول شيخ السجادة التجانية : « حتى الأراذل والأوباش أعداء فرنسا الذين ينسكرون الجميل ، ولا يعترفون لفاضل بفاضل ، قد اعترفوا لفرنسا بالمدينة والاستعمار ، وبأنها حملت عنا ما كان يشغل كواهلنا من أعباء الملك والسيادة » .

وإلى القراء فقرات من خطبة المرباط سيدى محمد الكبير التجانى يومئذ :

« .. إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ، ماديا وأدبيا وسياسيا . ولهذا فاني أقول - لا على سبيل المن والافتخار ، ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب - : إن أجسادى قد أحسنوا صنعا فى انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا ، وقبل أن تحتل جيوشها الكريمة ديارنا .

» ففى سنة ١٨٣٨ كان جدى سيدى محمد الصغير (رئيس التجانية يومئذ) قد أظهر شجاعة نادرة فى مقاومة أكبر عدو لفرنسا الأمير عبد القادر الجزائرى . ومع أن هذا العدو قد حاصر بلدتنا (عين ماضى) وشدّد عليها الخناق ثمانية أشهر ، فإن هذا الحصار انتهى بتسليم فيه شرف لنا نحن المغلوبين ، وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين ، وذلك أن جدى أبى وامتنع أن يرى وجهها لأكبر عدو لفرنسا ، فلم يقابل الأمير عبد القادر !

» وفى سنة ١٨٦٤ كان عمى سيدى أحمد (صاحب السجادة التجانية يومئذ) مهد السبيل لجنود الدوك دومال ، وسهل عليهم السير إلى مدينة بسكرة ، وعاونهم على احتلالها .

» وفى سنة ١٨٧٠ حمل سيدى أحمد هذا تشكرات الجزائريين للبقية الباقية من جنود التيرايور الذين سلموا من واقعة « ريش - هوثن » وواقعة « ويسانور » . ولكى يظهر لفرنسا ولاءه الراسخ وإخلاصه المتين برهن على ارتباطه بفرنسا ارتباطا قليا ، فتزوج

بالآنسة أوريلي بيكار ، وبفضل هذه السيدة - الذى نعترف به مقرونا بالشكر - تطوّرت منطقة كوردان من أرض صحراوية إلى قصر منيف رائع ، ونظرا لمجهودات مدام أوريلي التجانى المادية والسياسية فإن فرنسا الكريمة قد أنعمت عليها بوصام الاحترام من رتبة جوقة الشرف .

« وفي سنة ١٨٨١ كان أحد مقاديمنا سى عبد القادر بن حميدة مات شهيدا (كذا) مع السكولونيل فلاتين ، حيث كان يعاونه على احتلال بعض النواحي الصحراوية .

« وفي سنة ١٨٩٤ طلب منا مسيو جول كومبون والى الجزائر العام يومئذ أن نكتب رسائل توصية ، فكتبنا عدة رسائل ، وأصدرنا عدة أوامر ، إلى أحباب طريقتنا فى بلاد الهكار (التوارق) والسودان (أى السودان الفرنسى) نخبرهم بأن حملة فودولامى الفرنسية هاجمة على بلادهم ، ونأمرهم بأن لا يقابلوها إلا بالسمع والطاعة ، وأن يعاونوها على احتلال تلك البلاد ، وعلى نشر العافية فيها . . . !

« وفي ١٩٠٦ - ١٩٠٧ أرسل مسيو جونار والى الجزائر العام يومئذ ضابطه المترجم مسيو مرائات مدير الأمور الأهلية بالولاية العامة برسالة إلى والدى المأسوف عليه سيدى البشير ، فأقام عنده فى زاوية كوردان شهرا كاملا لأداء مهمة سياسية ، ولتحرير رسائل وأوامر أمضاها سيدى البشير والدى ، ثم أرسلت هذه الرسائل إلى كبارهم مراکش وأعيانها وزعماء تلك البلاد - وأكثرهم تيجانيون من أحباب طريقتنا - تبشرهم بالاستعمار الفرنسى ، وتأمرهم بأن يتقبلوه بالسمع والطاعة وبلاستسلام والخضوع التام ، وأن يحملوا الأمة على ذلك ، وأن يسهلوا على جيوش فرنسا احتلال تلك البلاد .

« وفي سنة ١٩١٣ إجابة لطلب الوالى العام للجزائر أرسلنا بريدا إلى المقدم الكبير للطريقة التجانية فى السنغال سيدى الحاج مالك بن عثمان سائى تأمره بأن يستعمل نفوذنا الدينى الأكبر هناك فى السودان (أى السودان الفرنسى) لتسهيل مأمورية كلوزيل الوالى العام للجزء الشمالى من إفريقيا الغربية (أى ليسهل عليه احتلال واحة شنقيط) .

« وفى الحرب العالمية الأولى أرسلنا ووزعنا فى جميع أقطار شمال إفريقيا منشورات برقية وبريدية استنكارا لتدخل الأتراك فى الحرب ضد فرنسا الكريمة وضد حلفائها الكرام ، وأمرنا أحباب طريقتنا بأن يبقوا على عهد فرنسا وعلى ذمتها ومودتها .

« وفي سنة ١٩١٦ - إجابة لطلب الماريشال ليوتي عميد فرنسا في مراکش - كان سيدي علي صاحب السجادة قبلي ، كتب ١١٣ رسالة توصية وأرسلها إلى الزعماء الكبار وأعيان المغاربة يأمرهم بإعانة فرنسا في تحصيل مرغوبها وتوسيع نفوذها ، وذلك بواسطة نفوذهم الديني .

« وفي سنة ١٩٢٥ (في أثناء حرب الريف) أرسلت أنا حبيبنا المخلص ومريد طريقتنا ومستشارنا المعتبر حسني سي أحمد (الذي تلا هذه الخطبة على مسامع الضباط الفرنسيين بلسان سيده وعلى مسمع منه) إلى المغرب الأقصى فقام بدعاية كبرى و (پرويا) غندة واسعة في حدود منطقة الثوار ، وتمكن من أخذ عناوين الرؤساء والكبراء والأعيان الريفيين والمقاديم وأرباب النفوذ على القبائل الثائرة ، وكتبنا إليهم رسائل تأمرهم فيها بالخضوع والاستسلام لفرنسا ، وقد أرسلنا هذه الرسائل إلى مقدمنا الأكبر في فاس فباغها إلى المبعوثة إليهم يدا بيد . . .

« وبالجملية فإن فرنسا ما طلبت من الطائفة التجانية نفوذها الديني إلا وأسرعنا بكل فرح ونشاط بتلبية طلبها وتحقيق رغائبها ، وذلك كله لأجل عظمة ورفاهية ونفخ حبيبتنا فرنسا النبيلة » .

ثم ختم شيخ السجادة التجانية خطبته بالثناء العاطر على الموظفين الفرنسيين ، وعلى الضباط العسكريين واحدا واحدا ، ومدح الولى يومئذ ووصفه بأنه « المستعمر الأكبر » . ولما انتهت اعترافات الشيخ التجاني وتجيده بخياناته وخيانات أسلافه نهض ليوتان كولونيل سيكوني رئيس البعثة العسكرية وشكر الشيخ وأثنى عليه ثم قال : « من كمال مروءتك وإحسانك يا سيدي الشيخ المرباط أنك لم تذكر ولا نعمة واحدة من النعم التي غمرتني بها ، فأنت الذي أنجيتني من التوارق المالمشين وأنقذتني من أيديهم » .

إن القليل من هذه المخازي الكثيرة كان يكفي لانفضاض مريدى هذه الطريقة الصوفية عن طواغيتها الكبار الذين رضوا لأنفسهم بالعبودية لفرنسا من دون الله ، لو كان هناك وعى إسلامي سليم مؤسس على الإيمان الإسلامي القويم في مدارس المسلمين ومعاهدهم ومرافقهم وصحفهم وأنديتهم ومنابر مساجدهم وفي سائر مظاهر حياتهم . ومن العجيب أن نرى المستعمرين أيقاظا للتمييز بين أعدائهم وأصدقائهم ، وأن يعرفوا كيف يسلطون المسلمين بعضهم على بعض ، بينما المسلمون لا يميزون بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

ومن الإنصاف لاسم «التجانية» أن نذكر بالرحمة والثناء والتجديد رجلا عظيما انتسب إليها ، ولكن الله طهره من رجسها ، وهذا الرجل هو الحاج عمر السنغالي ، ابن شيخ صراط من صلحاء السنغال ولد له في قرية الفار من مقاطعة ديمارسنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧م) وتربى في حجر والده على الصلاح والاستقامة والوفاء للإسلام ، ثم قام في شبابه بأداء فريضة الحج ، وعرج على مصر في طريق عودته فالتحق بالجامع الأزهر ، وكان ذلك في مدة مشيخة الشيخ محمد العروسي التي امتدت من سنة ١٢٣٣ إلى وفاته سنة ١٢٤٥ ، خلفه الشيخ أحمد الدهوجي سنة ١٢٤٦ فالشيخ حسن العطار الذي بقى شيخا للأزهر إلى سنة ١٢٥٠ ، في تلك الفترة من حياة الأزهر كان الحاج عمر السنغالي يتضلع فيه من علوم الشريعة الإسلامية وآدابها وسنن الإسلام ، حتى إذا اكتمل من ذلك عاد إلى بلاده ، وظهر في بورنو سنة ١٢٤٩ أى بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر بثلاث سنوات ، وقد رسم لعملة في الحياة خطة حكيمة أن يدعو الوثنيين من بنى جلدته إلى الإسلام ليدوقوا مذاق هو وقومه من حلاوة هذا الدين ، وليروا ما رأى هو ومواطنوه من جمال الإسلام . وإلى على نفسه أن لا يتعرض للاستعمار بين الأشرار إلا إذا اعترضوا دعوته ، فيدفعهم بما يندفع به شرهم عن هذه الدعوة . وكان يرى فيما تعلمه في الأزهر أن أجمل ألوان الإسلام وأحلاها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ، فكانت دعوته سلفية سليمة من الشوائب . وكان أول ميادين دعوته بلاد الهاوسة ، ثم التحق به أخوه أحمدو فانتقلا إلى بلاد فوتا والبا مارة . وفي بلد كسكان من السودان الفرنسى انضم إليه رجل من أهلها اسمه مجدو فتلقى عن الحاج عمر طرق الدعوة ، وأدخل في الإسلام فرقة الواسولونكة . وباتساع نطاق الدعوة ظهر لها مقاومون من الوثنيين ، فحشد لهم الحاج عمر جيشا صغيرا من المؤمنين بدعوته تولى به حمايتها . وبغى عليه الفرنسيون في بلاد غابون من الكونغو الفرنسى فأثار مسلميها عليهم ووطد في تلك المنطقة دعائم دعوته . وفي سنة ١٢٦٣ عاد إلى نواحي فوتاجون ، وبني قلعة حصينة في شمال النيجر من السودان الفرنسى وهزم مقاوميه من وثني باربارة في تومبا هزيمة ساحقة . وفي سنة ١٢٧٠ انتقل إلى نيورو في شمال السنغال الأعلى واتخذها مقرا له ، ثم استولى على مملكة سيغو ، وعلى بلاد ماسينه . وما زالت دعوته في انتشار ومملكة في اتساع إلى أن توفي سنة ١٢٨٢ عن ٧٠ سنة من عمره المبارك وهو في جهاده مع وثني ماسينه ، خلفه على قيادة هذه الحركة النبيلة اثنان من أتباعه أحدهما ابن أخيه ، فواصلوا الدعوة سنين أخرى ، ولو استمر لما

التوفيق لتحويلات الوثنية الإفريقية كلها إلى الإسلام ، لكن احتلال الفرنسيين تمبوكتو في ١٠ يناير سنة ١٨٩٤ (٣ رجب سنة ١٣١١) حول مجرى التاريخ الإسلامى فى إفريقيا ، كما تحول قبل ذلك فى أوربا يوم ٨ شعبان سنة ١١٤ بتغلب شارل مارتل على جيوش عبد الرحمن الغافقى فى فرنسا (انظر مجلة الأزهر ٢٥ : ٤٥٤ و ٢٦ : ١٠٠ و ٢٢٠) .

أنا أعتقد أن المسلمين إلى خير إذا تولى قيادتهم وتوجيههم مؤمنون صادقون من أهل الخير ، وكما أن الرجل الواحد الصالح - كالحاج عمر السنغالى الأزهرى - يستطيع أن يحيى بالإسلام بلادا غارقة فى ظلمات الوثنية فينتشلها من أعماق الجحيم إلى جنات النعيم ، فإن التهاون فى أمر دجال واحد أو معتوه تافه مثل أحمد محمد التجانى قد يؤدى إلى كارثة كبرى كالكارثة التى وقعت بها الجزائر أيام جهادها بقيادة الأمير عبد القادر الجزائرى ، فكان مضطرا - وهو يحارب جيوش الاستعمار الأجنبى بضعة عشر عاما - أن يحى ظهره من خناجر الذين يخونون الله والإسلام من أصحاب السجادة الشيطانية فى عين ماضى ، ومن العجيب أنهم ما زالوا مصرين على خياناتهم من أيام الاحتلال الأولى فى الجزائر إلى زمن الاحتلال الآخرى المغرب الأقصى ، ثم إلى جهاد الريف بقيادة الأمير عبد الكريم ، وفى كل ملحمة وقعت بين الإسلام وأعدائه . وهؤلاء الخونة يستمدون حياتهم ووجودهم من انخداع الملايين من أتباعهم ، فهم يعتبرون ما عليه شيوخهم الخونة هو الإسلام ، بل هو منزلة أعلى من منزلة الإسلام ، ولو أن الوعى الإسلامى فى رأى العام الإسلامى كان سليما كما كان يريدته النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين لانتضح الباطل تحت أضواء الحق ، ونخرس صوت الباطل إذا جليجل الحق بصوته الرهيب ، ولما كانت كلمة الله هى العليا وكلمة الشيطان وحزبه هى السفلى .

إن اسم « الإسلام » الذى ينتمى إليه الآن ويعتزبه خمسمائة مليون مسلم فى آسيا وإفريقية وغيرها ، كان يمكن أن تتغير به معالم الإنسانية كلها من الشقاء إلى السعادة لو أن الذين يحملون أمانة هؤلاء المسلمين من علماء وأساتذة مدارس وجامعات ومؤلفين وصحفيين عرفوا قدر الأمانة التى يحملونها ، وكل واحد منهم اعتبر نفسه مسئولا شخصيا تجاه كل شخص يتصل به فى معاهد التعليم أو بين جدران المساجد أو فى صفحات الكتب والصحف ، فيحول من مسلم تافه إلى مؤمن محمى قوى له رسالة سامية فى الحياة ، كما تحول أمثال الأعراب من بنى أسد بن خزيمة عن أعرابيتهم الشلاء إلى أمثال أهل بدر والمجاهدين مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى المواقف التى انتشر بها الإسلام ، ثم تكون بها هذا العالم الإسلامى .

نريد من أهل القيادة الفكرية في الإسلام أن ينهضوا بالمسلمين من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان ، ومن الإسلام . شهادة الميلاد إلى الإيمان الذي يدفع بصاحبه إلى كتائب الجهاد الأدبي والعسكري لإعلاء كلمة الحق والخير .

الإيمان الإسلامي بضع وسبعون شعبة ، وكل فضيلة طلب الإسلام من المسلم أن يتحلى بها ، وأن يدعو الناس إليها ، هي شعبة من شعب الإيمان : فالصدق شعبة من شعب الإيمان الإسلامي ، والذي يعيش كاذبا يعيش ما عاش كذلك كافرا بهذه الشعبة من شعب الإيمان . وإقامة الحق شعبة من شعب الإيمان الإسلامي ، والذي يعيش مماريا في الحق ، ومغالطا للناس فيه ، ومجاملا لأهل الباطل في باطلهم ، يعيش ما عاش كذلك كافرا بهذه الشعبة من شعب الإيمان . والحياء شعبة من شعب الإيمان الإسلامي ، وكان ينبغي أن لا يكون في المسلمين إنسان واحد محروما من هذه الحلية الإنسانية الجميلة . وإن التعاون على الحق والخير شعبة من أعظم شعب الإيمان الإسلامي ، ولو أن المسلمين شاع بينهم خلق التعاون على كل حق وكل خير لتغير بهم مجرى التاريخ .

مهمة قادة الفكر في الإسلام هي التبشير بهذه الشعب من شعب الإيمان الإسلامي ، وأن يحرصوا على بثها في نفوس المسلمين بالحكمة والأساليب الجميلة ، وأن يبسّدوا بأنفسهم فيتجلوا بها ، ليرى الناس فيهم جمالها فيكونوا قدوة فيها لأبنائهم في بيوتهم ، ولإخوانهم في مجتمعاتهم ، ولأن يحسن الظن بهم من صغير وكبير .

لا تعرف الإنسانية معنى من معاني الحق ، ولألونا من ألوان الخير ، إلا وهو جزء من إيماننا نحن المسلمين ، لأن ديننا أمرنا بهذه الأمور الجميلة جملة أو تفصيلا ، وكل شيء أمرنا به ديننا أصبح شعبة من شعب إيماننا ، والعمل به ركن من أركان هذا الإيمان ، فلور ديننا أنفسنا وأبناءنا وعامتنا على ذلك لكننا نحن الناس ، ولما كان في أمم الأرض أمة صر موقاة مغبوبة ترفل في حلل القوة العسكرية والعمرانية والحلقية والصناعية كهذه الأمة الإسلامية .

إهال المسلمين حتى يبقوا محرومين هذه القوة جرّمة سنسأل عنها غدا بين يدي الله ، وقبل أن نسأل عنها بين يدي الله سنحمل جرائمها في مجتمعنا ومستوانا من الكرامة بين الأمم . والنهوض بالمسلمين إلى منازل الإيمان الإسلامي في أيدي قادة الفكر لو عقدوا عزائمهم عليه ، وكل واحد منهم على ثغرة من ثغرات الإسلام ، فليحرص على تحصين الثغرة التي هو فيها لئلا يؤتى الإسلام من ناحيته . وبهذا نرتقي من مقام « الإسلام » إلى مقام « الإيمان » . . .

فحائنه القرآن

— ٥١ —

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بين الإيجاب والاعفاء

١ — « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
ب — لا يضرركم من ضلّ إذا اهتديتم
ج — إلى الله مرجعكم جميعاً ، فينبئكم بما كنتم تعملون »

المعروف كل ما فيه نفع ولا يخالف الدين ، والمنكر كل ما يخالف الدين ولو كانت منفعة ويعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلاً أول من أصول التربية في القرآن ، وهو مظهر التكافل الذي ينشده الإسلام في أهله ، ويفرضه رسالة متبادلة بين المسلم والمسلم ، والجماعة والجماعة ، فهو منوط بالذم كأمانة يؤديها كل إنسان إلى أخيه حينما يجد أخاه بحاجة إلى التوجيه ، ويتقبلها من أخيه حينما يكون هو بحاجة إلى التوجيه . وقد جعل الله تلك الرسالة المتبادلة شعاراً للقومية الإسلامية ، فامتدح في المسلمين أنهم خير أمة أخرجت للناس ، إذ يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولم يرض لهم أن يخلوا بالنصيحة ، كما لم يرض لهم أن يشهدوا المنكر أو يتسامعوا به ثم لا يتناهوا عنه ، كما كان ذلك نقيصة معهودة في بني إسرائيل ، حتى أفرخت بينهم الرذائل ، وتغلغلت في طبائعهم المنكرات .

والآية التي معنا تتعلق بمرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية في منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . وهي المرحلة التي يكون فيها الأمر والنهي غير مسموعين ، ولانافذين إلى القلوب ، ويكون موقف الداعي إلى الخير موقف اليأس من النجاح ، أو المتعرض

للأذى في تأدية رسالته الدينية إلى قوم أو أفراد غير مستعدين للقبول ممن رانت عليهم الضلالة ، وغلبت عليهم شقوتهم ، حينذاك يكون المتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد بلغ رسالته . وأدى أمانته ، وما عليه إلا أن يأخذ بالحيلة لنفسه من نزغات الشيطان ، والركون إلى إخوان السوء ، وأن يدع المتخلفين عن إرشاده إلى ما هم عليه ، ليسلم من أذاهم ، ولا يلقى بنفسه إلى التهلكة دون أن يكون في ذلك صلاح لشأنهم ، ولا نفع يرتجى منهم .

وهذا تخفيف من الله عن كاهل الدعاة إلى جانب الله ، حيث أعفاهم من أمر أصبح شاقا عليهم ، واكتفى منهم بالحيلة لأنفسهم .
وذلك قوله سبحانه : « عليكم أنفسكم » .

وحينئذ تكون التبعة قاصرة على المذنبين ، ولا حرج على غيرهم ممن نصحوهم وعلموهم فلم يستجيبوا لهم ، وهذا مصداق قول الله تعالى : « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » . يعنى بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . كقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، أى لا تحمل نفس وزر نفس أخرى بل - كل امرئ بما كسب رهين - . أما عند التقصير في إنكار المنكر ، وتوجيه الأمر بالمعروف : فاللائمة متجهة إلى التاركين لواجبهم كما تنجبه إلى المذنبين على ارتكابهم ، والجميع مهددون من جانب الله تعالى .

وهذا قوله سبحانه : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

وقد وضح من المقابلة بين هذه الآيات أن الإعفاء من الرسالة المتبادلة وهى أمانة الإرشاد والنصح لا يكون إلا لمن حاول القيام بها ، وأبرأ ذمته منها ثم لم يجد سبيلا إلى غايته ، وتعرض لما يكره .

ولا يعنى من هذا من يتعلل بمعاذير شخصية غير جدية ، كمن يتوانى في ذلك معتمدا على أن في القوم من يغنى عنه ، أو يخشى أن يغضب أناسا يحرص على مرضاتهم ؛ أو يحسب في قيامه بالواجب حيلولة بينه وبين أمل يتتبعه ؛ أو إبطاء له عن مطامع يرتجىها . فكل هذا فرار من واجب شرع لحماية المجتمع من أضرار العابثين بدينهم ، وبالنظام العام . وكل هذا تمكين للفساد في محيط يبتغى الإسلام صيانتته من كل فساد بل من شوائب الفساد .

وفي الجزء الأخير من الآية تسليية للدعاة ، وتلطف بهم حتى لا تهدأ غيرتهم على الدين ، ولا تفتر عزيمتهم عن مواصلة الإرشاد والتماس الخير للناس في كل بيئة لا يسيطر عليها الإجماع ، وفي كل مناسبة توحى بالاستجابة .

وذلك قوله تعالى : « إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون » .

فهذا تأييد لهم بما يقومون به ، ووعد كريم بجزائهم على ما بذلوا ويبدلون من جهود ، وفيه وعيد للتخلفين عن القبول بأن الله سيدكرهم بما ضلوا ، ويحاسبهم على كل ما كان .

ومن ثانيا الكلمات القرآنية في هذه الآية تستشعر القلوب والأنفس أن الاتجاه في الحياة ليس أمرا يترك فيه الحبل على الغارب ، يأخذ فيه كل امرئ بما يطيع له ، ويلائم مزاجه ، بل هي حياة جدية أرادها الله لعباده ، وبينها لهم في شرائعه ، وعهد بها إلى رساله ، والعلماء من بعدهم ، وأعد لهم حسابا عليها سيكشفهم به يوم يلقونه وفيهم أناس صدقوا ما عاهدوا الله عليه وفيهم آخرون أخلفوا الله ما وعدوه وكانوا يكذبون .

هذا : وقد وجد في الناس قديما من يزعم أن الآية أسقطت عنهم واجب الأمر بالمعروف ، وجعلتهم في حل من ترك منا صحة الناس ، وقصرتهم على رعاية أنفسهم فحسب .

وقد أوضح النبي - صلى الله عليه وسلم - مقصد الآية لمن سأل عنها واشتبه عليه أمرها فقال - عليه السلام - بل أتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، - حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام » .

فتبين لمن سأل أن الإعفاء من واجب الهدى للناس إنما يكون بعد محاولته الوفاء به ، وبعد قيام المانع في سبيله ، وظل الأمر في التكليف بهذا باقيا على ما نطق به الكتاب العزيز في كثير من آياته كقوله سبحانه « وتواصوا بالحق » ، وتواصوا بالصبر » وقوله « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة » الآية ، وفي قول الرسول عليه السلام « من رأى منكرا منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وهكذا من الأحاديث وأقوال الصحابة التي حفلت بها الكتب في هذا الشأن الخطير على أن سيرة الرسول عليه السلام في دعوته تذكى عزائم المسلمين في مواصلة الإرشاد ،

والتناصح ، فقد اشتد القوم في معارضته مرة ، وإغرائه مرة بالآمال ، حتى أقسم لهم ألا يعدل عن تبليغه رسالته ولو وضعوا الشمس والقمر في يديه ، أو قتلوه دون غرضه في تعميم الدعوة .

وإذا كان شأن الرسالة يقضى بذلك على نبي اختير للرسالة فقد كان الصحابة كذلك من بعده حرصا على تراثهم الإسلامى أو علمها بأن دينهم يطالبهم بتوثيق الإخاء ، وتركيز المحبة ، حتى تركت فيهم عاطفة الخير ، وآمنوا إيماناً لا وهن فيه بأن المسلم يجب لغيره ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه . . فلا يتفق لإسلام صحيح مع الأناثية أو لا يستقيم المجتمع إذا نزل كل امرئ وما يختار لنفسه من مآثم ، وتعرض بسبب انحرافه للزلات .

ومثل الأمة مثل الأسرة الواحدة : تسعد كثيرا إذا استقام أفرادها على الجادة ، وبنوا مجدهم بأعمال محمودة ، وتنهار إذا لم يكونوا مطبوعين بطابع إنسانى سليم من الآفات الهادمة لكيانها .

ولا أحسب فاهما يزعم أن رسالة المسلم إلى غيره قاصرة على جانب العمل الدينى البحت ، بل هى شاملة لكل ما يتصل بالدنيا في أعمالها الحيوية ، فان شأن الدنيا جانب هام من الدين ، وصلاحتها منوط بفهم تعاليمه ، ومتابعة إرشاده . . . ودنيا الإنسان يجب أن تكون غير دنيا الحيوان ، ومن أجل هذا كانت من حساب الدين فى مقام خطير . ومن أجل هذا أيضا عرف المسلمون الأولون خطرهما ، وأعطوها حقها ، وبذلوا فى الهدى إلى خيرها ما بذلوا من جهود مشكورة ، حتى كانت لهم السيادة ، ونهض بهم التاريخ .

ولكن من مآسى الحياة فى عصرنا هذا أن نجد أرباب المحجون ودعاة الفسوق أشجع من دعاة الهدى ، وأن نجد الرذائل مؤيدة من أنصار لها ، والخيرين من الناس لا يسمعون من ألسنة السفهاء وإن كانوا من الطغام والسفلة ، وهى سنة الله قديما بين العلماء والجهلاء وبين دعاة الرشد وأهل الغواية . « وإن كلاما ليوفينهم ربك أعمالهم » :

عبد المظيف العيسى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الشيخة

مكان النصح في الاسلام

- ١ -

من حق هذه المجلة على قرائها - مكان جرير في الصحابة - جانب من فقه البخارى - رفع الحرج في الدين - الرجال والنساء سواء في حق النصح - حق الكافر على المسلم في النصح والدعوة .

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم .

وعنه رضى الله عنه قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، فلقننى - فيما استطعت [١] - والنصح لكل مسلم . (رواهما الشيخان)

باسم الله تعالى وعلى بركته ، نفتتح السنة في عامها الجديد بأحاديث النصح وبيان منزلته في الدين ، راجين من الله جلت آلاؤه ، أن يمن على الذين استضعفوا في الأرض بانتصاح والتأزر ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، كما من عليهم من قبل بفعلهم أئمة وجملهم الوارثين .

وإذا كنا في مقام النصح والتناصح والتعاون على البر والخير ، فإن من حق هذه المجلة - وكل مجلة إسلامية - على قرائها ، أن ينصحوا بكل ما يرونها أعون لها على تأدية مهمتها ، وبلوغ غايتها ، في كل باب من أبوابها الحالية أو المرجوة .

* * *

(١) قال النووي : والرواية بفتح التاء ، وقال صاحب الفتح : رويناه بفتح التاء وضمها .

أقول هذا تمهيدا لما اعتزمت عليه بعون الله وتوفيقه من عرض مناج « السنة » في هذه المجلة منذ صدورها إلى وقتنا هذا ، رغبة الاسترشاد بآراء الناصحين . وآمل أن يكون هذا العرض في الجزء الآتي إن شاء الله « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » .

* * *

روى الشيخان هذا الحديث بروايات عدة لمناسبات مختلفة ، عن جرير رضى الله عنه .

وجرير أحد الصحابة الأجلاء ذوى التاريخ الحافل بالمناقب العلية والهلم الأبية ، وإن تأخر إسلامه - كما قيل - إلى السنة العاشرة . كان سيد قومه بجيلة ، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ليبياعه على الإسلام فأسلم ، وما حجه النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلم ، وما رآه إلا تبسم ؛ وشكا إليه أنه لا يثبت على الخيل فضرب بيده الكريمة على صدره ، وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا ، وجج مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فاختره أن يستنصت له الناس كي يخطبهم خطبته الجامعة .

وبعنه صلى الله عليه وسلم إلى ذى الخلصة ، بيت كان فيه صنم لدوس وخشم وبجيلة وغيرهم ، فهدمه . وخرج مع أنس في سفر فكان يخدم أنسا مع أنه أكبر منه سنا ، ويقول : لما رأيت الأنصار تصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء آليت ألا أصحب أحدا منهم إلا خدمته . . وكان رضى الله عنه رجلا طوالا وسيا حتى قال فيه عمر رضى الله عنه : جرير يوسف هذه الأمة . ووجد عمر يوما راتحة في مجلسه فقال عزمت على صاحب هذه الراتحة إلا قام فتوضأ ، فقال جرير علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزم ، قال عليكم كلكم عزمت ، ثم قال يا جرير ما زلت سيدا في الجاهلية والإسلام .

ومن دلائل سيادته وعظيم نصحه وورعه ، أنه كان إذا اشترى شيئا أو باع يقول لصاحبه اعلم أن ما أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك ، فاختر . وروى الطبرانى أن غلامه اشترى له فرسا بثلاثمائة دينار فلما رآه جاء إلى صاحبه فقال إن فرسك خير من ثلاثمائة . فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة !!

* * *

روى مسلم هذا الحديث بروايته هاتين وبينهما رواية ثالثة مختصرة ، في « كتاب الإيمان » عقب الحديث المشهور الذي رواه تميم الدارى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » . وليس لتمام الدارى حديث ما في صحيح البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس له في صحيح مسلم غير هذا الحديث « الدين النصيحة » ونرجو أن نشرحه في الجزء الآتى بمشيئة الله تعالى وتوفيقه .

* * *

وأما البخارى فرواه كذلك في « كتاب الإيمان » بالرواية الأولى ، في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة . . . » وأتبعها في الباب نفسه برواية ثانية تبين سببه فقال : عن زياد بن علاقة قال : سمعت جرير بن عبد الله يقول : يوم مات المغيرة ابن شعبة قام فحمد الله وأثنى عليه وقال : عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له والوقار والسكينة حتى يأتاكم أمير ، فإنما يأتكم الآن ، ثم قال : استغفوا لأمركم فإنه كان يجب العفو ، ثم قال : أما بعد فاني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قلت : أبايعك على الإسلام ، فشرط على والنصح لكل مسلم ، فبايعته على هذا ، ورب هذا البيت إنى لناصح لكم ، ثم استغفر وتزل .

وكان المغيرة بن شعبة واليا على الكوفة في خلافة معاوية ، ولما حضرته الوفاة استناب عنه ابنه عمرو ، وقيل : استناب جريرا ولذا خطب ، وكانت وفاة شعبة سنة خمسين ، وتوفي جرير سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة أربع وخمسين .

والمسجد الذى يشير إليه جرير في قسمه بربه إنه لناصح لهم هو مسجد الكوفة إذ كانت خطبته به ، وقيل هو المسجد الحرام ، ويؤيده ما جاء في رواية الطبرانى « ورب الكعبة » وأيما ما كان الأمر فقد وفى رضى الله عنه بما بايع عليه النبي صلى الله عليه وسلم في كل شأن من شؤنه عامة وخاصة ، لم يدخر فى ذلك وسعا ولم يأل جهدا .

* * *

ثم رواه البخارى في باب البيعة على إقامة الصلاة من كتاب « مواقيت الصلاة » وفى باب البيعة على إيتاء الزكاة من « كتاب الزكاة » ورواه في باب هل يبيع حاضر لباد ؟

من « كتاب البيوع » ولفظه فيه « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم » كما رواه في أوائل « كتاب الشروط » ثم رواه أخيرا بالرواية الثانية التي اخترناها مع الرواية الأولى ، في باب كيف يبايع الإمام الناس من « كتاب الأحكام » .

وإنما ذكرنا مواضعه من صحيح الإمام البخارى تبيننا لجانب من فقه البخارى رحمه الله ودقيق صنعه في تكرير الحديث الواحد في غير موضع من كتابه ، وتحقيقا لرغبة المستريدين من فقه الحديث وشرحه .

* * *

ولم يذكر الصوم والحج في المبايعة وهما ركنان من أركان الإسلام الخمسة ، اكتفاء بأهم الأركان ومعظمها ، على أنهما داخلان في عموم المبايعة على السمع والطاعة .
وتقييد السمع والطاعة بالاستطاعة ، موافق لقوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

وتلقيه صلى الله عليه وسلم من كمال رأفته ورحمته بأمته ، لئلا يتكلفوا من الأمر ما لا يطيقون فيقعوا في العسر والحرج « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وفي ذلك إشارة إلى رفع المؤاخذه بالخطأ والنسيان وما أكره عليه المرء .

والمسلمة كالمسلم في وجوب السمع والطاعة والنصح ، لأن النساء شقائق الرجال وأخواتهم في التكليف العام ... بل إن للكافر على المسلم حق النصح والإرشاد والدعوة إلى الحق ، ولا سيما إذا رغب في الهداية بلسان الحال أو المقال ، وإنما خص المسلم لأن حقه أوجب ، واستجابته أقرب ، وأخوته أعظم شأنا وألصق جوارا .

* * *

أما بعد ، فهذه مبايعة نبوية على الدين كله عامة ، وعلى النصيحة منه خاصة ، لأنها عماده وملاكه ... وتفصيل هذا في الجزء الآتى إن شاء الله ما

خوارق العادات

التي اقترنت بالهجرة الشريفة النبوية

إذا أهل هلال المحرم من كل عام ذكرنا أعظم انقـلاب في تاريخ البشرية ، وأكبر حدث غير وجه الزمان ، وأخضعه للنظام بعد الفوضى والعدل بعد الظلم ، وقضى على نظام الطبقات ، وأعلن في قوة وصرامة أن « الناس سواسية كأسنان المشط » ذلك الحدث هو هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فرارا بدينه ، وعملا على إظهاره ونشره بين قوم علم أن قلوبهم مفتحة له ونفوسهم متلهفة عليه ، فخرج من بيته مهاجرا إلى الله يدعو الناس إلى دينه ويعلمهم أحكامه وينشر بينهم الأمن والأمان والهدى والسلام ، ويخرجهم من ظلمتى الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان ، فكان كما قال الله « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » غير أن هذه الهجرة الشريفة لم تكن هجرة عادية ، مجرد انتقال من بلد إلى بلد آخر في هدوء وطمأنينة - لا - ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يكن رجلا عاديا بل كان رسولا من عند الله يدعو إلى دين جديد قوامه توحيد الله سبحانه ونبذ الأديان جميعا ما عداه ، وإخلاص العبادات له سبحانه ، فكان من أجل ذلك له أعداء يتربصون الدوائر ويعملون جاهدين على إطفاء النور الذى جاء به ، فجمعوا له الجموع وأرادوا الفتك به - لعنهم الله - ولكن الله جلت قدرته لم يكن ليُدع رسوله وحبيبه إلى أعدائه وأعداء رسوله ينالون منه ما يريدون ، فأمره بالهجرة الشريفة وكان إليها مستشرفا ولها منتظرا ، وحفظه أتم حفظ وأكرمه ، وقرن هجرته الشريفة بعجائب عجيبة وخوارق خارقة وآيات بينات تدل على أنه رسول من عند الله حقا صلى الله عليه وسلم :

١ - إن الله سبحانه أخذ على أبصار أولئك الشبان الذين جمعهم الأعداء للايقاع به ، وقتله فوقفوا أمام بابه مترصدين خروجه عليه الصلاة والسلام ، ولكن الله إكراما لنبيه أعمى أبصارهم ، فخرج صلى الله عليه وسلم فلم يروه ، وألقى التراب على رؤوسهم إذلالا لهم وتحقيرا لشأنهم .

٢ — مر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه أول خروجاً من دار أبي بكر على اللعين أبي جهل وهو واقف في الطريق فلم يبصرهما وعيناه مفتحتان وبصره حديد ولا يكن الله سبحانه أعمى عيني أعدى أعدائه عن أحب أحبائه صلى الله عليه وسلم .

٣ — قال القاضي عياض في الشفاء : روى أنه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قریش ناداه ثبير (جبل بمكة) لما صعد عليه : اهبط عني فاني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب ، فناداه حراء (جبل آخر بمكة مقابل ثبير) : إلى يا رسول الله اه . ولعل الله سبحانه وتعالى أنطق الجبلين بما ذكر ، أو أحدث فيهما أمراً فهم منه النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا ، وعلى كل فوجه الإعجاز فيهما ظاهر ، وكل هذا قبل توجهه صلى الله عليه وسلم إلى غار ثور : فانه هو الذي اختفى فيه عند الهجرة الشريفة .

٤ — لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر الغار أنبت الله في الحال على بابه شجرة تسمى السراة (بفتح الراء المشددة والمد والهمز) وهي المشهورة بأمر غيلان ، وهي شجرة تكون مثل قامة الإنسان ، ولها فروع كثيرة مدلاة ولها زهر أبيض ، وهذه معجزة من حيث نباتها في الصخر الأصم ، ومن حيث إنها في قليل جداً من الزمن طالت وكثرت فروعها وتدلّت وأزهرت زهارتها وابتضت .

٥ — أرسل الله العنكبوت فانسجت نسيجها على باب الغار حتى عمته ، وفي حياة الحيوان : والعنكبوت دويبة تنسج في الهواء ، فهي صغيرة ضعيفة . وباب الغار إن كان مستديراً فالظن أنه لا يقل قطره عن خمسين سنتيمتراً ، وإن كان مربعا لا يقل ضلعه عن هذا العدد حتى يمكن للرجل أن يدخل منه . ومن هنا يتبين الإعجاز ، فان العنكبوت لا يمكن أن تسد مثل هذه الفتحة بنسجها في أقل من شهر ، ولا كنها صنعت ما صنعت في وقت وجيز ، فكان ذلك خرقاً للعادة واضحاً .

٦ — بعث الله حمامتين وحشيتين فباضتا - أو باضت أنثاهما إن كانا ذكراً وأنثى في أسفل الباب ونسج العنكبوت - بيضات متعددة في لحظات ثم حضنت البيض شأن الحمام المستقر في المكان من مدة طويلة ، ونبات الشجرة وبيض الحمام ونسج العنكبوت أبلغ في رد الأعداء من الجنود المجندة ! فان رد الجنود بالجنود أمر اعتدنا أن نراه أو نسمع به ولكن رد الجيش بما ذكر أمر بالغ في خرق العادة .

٧ - بعد أن مكثا في الغار ثلاث ليال خرجا ومعهما دليلهما الذي استأجراه ليديهما على الطريق إذ كان بها خبيرا ، وهو عبد الله بن أريقط (بصيغة التصغير) . ومن عجب أنه كان من عبدة الأوثان ، ولكن الله سخره لحبيبه وصاحبه ، وكان معهما بعد الرجل عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما أثناء الطريق ، فروا في طريقهم في المكان المسمى قديدا (بصيغة التصغير) على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وهي محتبة بفناء خيمتها فسألوها طعاما أو شرابا ؟ فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم القرى لأنه كان من عادتها أن تسقى وتطعم من يربها : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا شاة ضعيفة هزيلة ذابلة في كسر الخيمة ، فاستأذنها في حلها فأذنت ، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت أوجىء له بها فمسح بيده الشريفة ضرعها وظهرها وسمى الله ، وإذا بالشاة التي لا تبض بقطرة ولا ينتظر من مثاها لبن أبدا تدر دراقويا ، ويحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حلبا كثيرا جدا فيسقى أم معبد والذين معه عللا بعد نهل حتى شبعوا وترك الإناء لأم معبد مليئا باللبن . ومن بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه الشاة التي لمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيت إلى خلافة عمر رضي الله عنه وكانت تحلب صبوحة وغبوقا وما في الأرض لبن قليل ولا كثير .

وإني ذاكر هنا مقالة أم معبد في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها لما عجب من وجود اللبن عندها ، ولا حلوب بالبيت ، لأنها من أعذب وأمتع المقالات في وصفه صلى الله عليه وسلم فقالت : مر بنا رجل مبارك ، وحدثته حديثه فقال : صفيه يا أم معبد . فقالت : رأيت رجلا ظاهرا الوضاعة (أي الحسن والجمال) مبالغ الوجه (أي مشرقه) حسن الخلق (بضم الخاء ، عرفته من حاله مع رفيقته) لم تعبته ثجلة (عظم البطن) ، ولم تر به صعلة (صغر الرأس أو نحول البدن) ، وسيم قسيم ، في عينيه دبح (سواد شديد) ، وفي أشفاره عطف (طول) وفي صوته صحل (ليس حاد الصوت) أحور أكل أزج (في عينيه حور ، وفي أجفانها سواد خلقة كأنه مكتحل ، دقيق طرف الحاجبين ، شديد سواد الشعر ، وفي عنقه سطح (طول) وفي لحيته كثانة . إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، وكأن منطقته خرزات نظم طوال يتحدرن ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هزر ، أجهو الناس وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتهجمه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا (لم تلتفت إلى الرابع لأن الخادم في العادة يكون بعيدا) له رفقاء يحفون به إذا قال

استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا لأمره ، محفود (مخدوم) محشود (عنده قوم) لا عابس ولا مفند (كثير اللوم) . فقال أبو معبد هذا والله صاحب قریش ، والله لو رأيته لا تبعته ولا فعلن إن وجدت لذلك سبيلا . وفعلها هاجر ، وأسلمها ، رضى الله عنهما ، بل قيل إن أم معبد كانت مسلمة قبل ذلك .

٨ — لما وقف الأعداء بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه وغازطهم الله سبحانه باخراجه من بينهم سالما محفوظا بعد أن حثا على رءوسهم التراب جزعا شديدا وحرزوا حزنا كبيرا وصاروا يطلبونه في كل وجه فلم يعثروا له على أثر ففعلوا لمن يرده حيا أو ميتا مائة ناقة ، فبلغ ذلك سرافقة بن مالك المدلجى فسال لعابه وتلهفت نفسه على هذا الجعل ، وظن أنه يستطيع بمفرده أن ينازل الأبطال الصناديد . ونسى أنه صلى الله عليه وسلم كان يمشى وحده مع أعدائه لا يبالى بهم . فركب فرسه وتقلد سيفه ورمحه وذهب مسرعا فأدركهم بقديد بعد منصرفهم من عند أم معبد وخيل إليه أنه سيباغ منهم ما أمل وما هو ببالغه . فالتفت أبو بكر فرآه فبكى وقال : يا رسول الله أتينا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، اللهم اكفناه بما شئت . فساخت قوائم فرسه في ذلك الحجر الصلد إلى الركبتين أو إلى البطن . وهذه خارقة بلا شك . فطلب الأمان فأمته النبي صلى الله عليه وسلم فخلصت فرسه وقال : يا نبي الله مرني بما شئت . فقال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا أى ممن كان يطلبهم ، ففعل ، فكان أول النهار جاهدا على نبي الله وآخره حارسا له بسلاحه ، مع أنه لم يكن آمن بعد ، وهنا حصلت من النبي صلى الله عليه وسلم خارقة أخرى إذ أخبر بمغيب فقال لسرافقة كيف بك إذا لبت سوارى كسرى ، وقد حقق الله ذلك في خلافة عمر رضى الله عنه إذ جئ له في الغنائم بالسوارين والقاج والمنطقة ، فدعا عمر رضى الله عنه سراقة وقد كان أسلم فألبسه السوارين بحضور الصحابة وقال بصوت مرتفع : ارفع يديك وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلمهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابيا من بنى مدلج .

تلك هى خوارق العادات التى اقترنت بالهجرة الشريفة النبوية ، وكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من معجزة ظاهرة وخارقة للعادة واضحة . وأعظم ذلك وأدومه القرآن الكريم ، ولولا أن الله أجرى عادته أن يؤيد رسوله بالمعجزات العظيمة التى تحرس ألسنة الأعداء المعاندين لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غنية عن معجزة تؤيده غير نابعة

من ذاته الشريفة ، فإن له من نفسه عليها شواهد تدل دلالة واضحة قاطعة على صدقه صلى الله عليه وسلم في أنه رسول من عند الله يؤدي رسالته إلى خلقه ويهديهم إلى صراط مستقيم . فقد كان صلى الله عليه وسلم طوال حياته قبل النبوة مثلاً أعلى في شرف النفس وحسن الخلق وعلو الهمة وصدق الحديث وعمل المعروف والبعد عما لا يليق والعطف على الخلق والصدع بالحق ، يأخذ بيد الضعيف ويكرم الضيف ويلاحظ الله بفطرته فيما يعمل ويذر فلا يعمل إلا الحسن ويصدق عن القبيح ، ويصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق ، كما وصفته السيدة خديجة رضى الله عنها ، وكان لهذا الوقت لم يعرف أنه نبي ، ووصفه أبو سفيان وهو عدوه الألد قبل أن يسلم لعظيم الروم لما سأله عنه فقال : يأمرنا بالصدق والعفاف والصلاة ، يقصد أن هذه كانت خصاله قبل النبوة . هل هذا كله إلا دلائل النبوة . وبعد فلو استغنى رسول عن معجزة تؤيده لكان أولى الرسل بذلك سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أشرف الخلق أجمعين وسيد الرسل الأكرمين وخاتم النبيين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين ما

محمد الطنبجي

عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر
ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

أقنعة الاستعمار

إن الاستعمار في عصرنا الحديث لا يجيء سافراً ، كاشفاً عن ظفره ونابه ، وإنما هو دائماً يحاول أن يضع من الأقنعة على وجهه ما يخدع به الناس عن حقيقة ما ينويه . لما جاء الاستعمار البريطاني بعد سحق انتفاضة وطنية باسلة قام بها شعبنا ، وهى ثورة عرابي ، لم يحكم البلد صراحة بضباط الإنجليز . . . لقد كان ذلك حرياً أن يضعه أمام الشعب وجهاً لوجه ، وكان الاستعمار يرى أن خير ما يلائم أهدافه ويحقق أغراضه أن يخفى وراء الستار ولا يقف أمامه ، وأن يدير الملمهة - بل المأماة - من خلف المسرح ولا يظهر عليه . هكذا زيف الاستعمار تاجاً ، وأقام من الوهم عرشاً ثم بدأ يجيء بالدمى والأصنام يضع منها فوق رؤوسنا ملوكاً وأمراء .

جمال عبد الناصر - في خطاب افتتاح مجلس الأمة

من تاريخ الكفاح في الجزائر :

الأمير عبد القادر

١٢٢٢ - ١٣٠١

أشهى إليه . ن الدمي	وألذ من عزف القيان
وقع الصوارم في الوغى	يوم الكربة والطعان
	عبد الغنى النابلسي

عشنا تحاول فرنسا أن تثبت أقدامها في الجزائر ، وما كان لها أن تطمع في ذلك ، وهي تلقى أشد المقاومة منذ وطئت قدمها تلك الأراضي الطاهرة ، وبعد أن عبثت بكل المقدسات ، وتنكرت لكل مبادئ الأخلاق ، وأبسط قواعد المروءة والشهامة . وإن التاريخ ليحفظ في طياته أروع وأجمل الصفحات عن الكفاح الجزائري ، وحديثي في هذا المقال عن الصفحة الأولى التي كانت - ولا تزال - فخرا لأبناء الجزائر ، بل ولأبناء الشعوب الإسلامية جميعا ، ولقد وقف كفاح الأمير عبد القادر منذ أكثر من مائة عام ، ولكن أحاديث هذا الكفاح لا تزال تملأ الأسماع ، وتعطر بطون الكتب .

وقد ولد الأمير عبد القادر في قرية القيطنة من أعمال وهران - وهي قرية بوادي الحمام اختطها أحد جدوده في رجب سنة ١٢٢٢ ، واشترك في المعارك مع الفرنسيين وسنه أربع وعشرون سنة حين احتلت فرنسا الجزائر ، وقصة هذا الاحتلال عميقة الجذور في التاريخ ، فقد كانت فرنسا تطمع في هذا القطر منذ زمن بعيد ، وظلت هذه الأمنية تراودها حتى وجدت الفرصة سانحة في سنة ١٨٣٠ م فاحتلتها ، ومن تلك السنة

يبتدئ كفاح الشعب الجزائري ، فينهض ليذيق المحتلين ألوانا من التعذيب والتقتيل ، فيقبض مضاجعهم وينغص عليهم ما كانوا يحلمون به من عيش هنيء ، وكان الرائد الأول في معارك الحرية - تلك المعارك التي ما كانت تهدأ إلا لثبور - هو عبد القادر بن محي الدين الحسني ، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب وأسلافه الأدارسة الذين أسسوا دولة قوية في المغرب الأقصى ، وكان منهم القواد ، والعلماء ، والمجاهدون ، والزهاد ، وأقرب من استشهد من جددوه هو محمد المعروف بالمجاهد ، قتل في حرب المسلمين مع الأسبان في سنة ١١٦٣ هـ وهو جسد والده ، وكان أبوه السيد محي الدين ذا مكانة مرموقة في قومه ، يلجأون إليه حين تكثرهم الخطوب ، وتدلهم الأحداث ، ويعمى عليهم وجهه الرأي ، وحين دخل الفرنسيون الجزائر وعاثوا فيها فسادا ، جاءه الأشراف من كل فج ، وألحوا في مبايعته بالإمارة على القطر فأبى ، ثم عاودوا الإلحاح عليه ، أن يتولى الإمارة ويقوم بالجهاد ، فقبل الجهاد ، وردّ الإمارة ، واشتكت جيوشه مع الفرنسيين في مواقع كان النصر حليفه فيها ، ثم أصر قومه على أن يعقدوا البيعة له أو لابنه عبد القادر ، فوافقهم على الرأي الأخير .

ونستخلص مما كتب [١] عن الأمير عبد القادر أنه جمع ما تفرق من صفات أجداده فكان فارسا ، مجاهدا ، عالما ، كاتباً ، خطيباً ، زاهداً . وقد ظهرت بوادر فروسيته في أول حربه مع الفرنسيين تحمت لواء أبيه ، فقد أبدى من ضروب البسالة والصدق في القتال ، مع بصر بتسيير الأمور ، ما برهن على جدارته بأن يكون زعيم قومه في هذه الحقبة من التاريخ .

ولست أريد في هذا الحديث أن أؤرخ للأمير عبد القادر ، وليكني أريد أن أعطي عنه صورة مصغرة ، لعلها تذكر غافلا ، أو تنهض متقاعدا ، أو تقوى مجاهدا ، وحسب الأمير مجادة أن يحارب فرنسا وهي أكبر دولة من دول أوربا آنذاك ستة عشر عاما بجيش لم يكن يزيد عن ألفين من الخيالة وعشرة آلاف من المشاة في حين أنه كان يقاوم جيشا يبلغ عدده مائة ألف وستة آلاف ما بين فارس وراكب وراجل ، ذلك الأمر الذي حير

[١] كتب عن الأمير عبد القادر كثيرون ومن أجمع الكتب كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر . ألفه ابنه محمد في جزءين . الأول في سيرته الحربية . والثاني في سيرته العلمية .

مؤرخي الفرنسيين أنفسهم ، وملاؤ نفوسهم تعجبا منه ، ولا غرو فان من كان دائما يرى المنية ولا الدنية ، ويدافع عن مجد قومه وأعراضهم ، لا ينبغي إلا مرضاة الله تعالى ، تحقيق بأن يثبت أمام أقوى الجيوش وأكثرها عددا . وقد شهد غير واحد من قواد الفرنسيين ومؤرخيهم وكتابهم للأمير عبد القادر . فيقول المارشال سوليت الفرنسي في سنة ١٩٤٠ م : (لا يوجد الآن أحد في العالم يستحق أن يلقب بالأكبر إلا ثلاثة أشخاص ، كلهم مسلمون ، وهم الأمير عبد القادر ، ومحمد علي باشا ، والشيخ شامل) .

وقد كان الأمير حريا بأن يكون له النصر في النهاية على الأعداء ، لولا أنهم لجأوا إلى أسلحة دنيئة لا يجيدها إلا أمثالهم من أصحاب النفوس الوضيعة ، والأخلاق المريضة ، فقد عقدوا معه معاهدتين ولم يكونوا معتمدين - كما دعتهم دائما - الوفاء بما فيهما ، وإنما كانوا يقصدون كسب الوقت وكذلك بثوا الدسائس بين بعض القبائل ، وهيجوها عليه ، كما ألجأوا عليه سلطان المغرب ، وقد كان ألم الأمير لذلك شديدا ، ينم عنه ما جاء في استفتاءاته لعلماء مصر ، وعلماء فاس بشأن هؤلاء المسلمين الذين عظم بهم الخطب واشتد بهم الكرب ، فدخلوا العدو ، وجلبوا له المواشي وجباد الخيل ، ودلوا على عورات المسلمين ، ثم وجدوا في قومهم من يتستر عليهم ويدافع عنهم ويمالئهم .

أما سلطان المغرب فقد أضر بالمجاهدين ضررا بليغا ، ولم يلتفت - على حد قول الأمير عبد القادر - إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يسيئه ولا يظلمه » ، ولا إلى قوله : « المؤمن لأخيه كالبنين يشد بعضه بعضا » ، ولا إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمنون تنكأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

ومن مفاخره موقفه في فتنة دمشق (١) حين أعمل المسلمون التقتيل في المسيحيين ، فدافع الأمير عن هؤلاء ، وحفظ دماءهم وأموالهم ، مما أوجب شكره من الأفراد والجماعات والدول مسلمين وغير مسلمين ، وكان يرى أن هذا العمل هو مقتضى الشريعة السنية ، والمروءة الإنسانية ، لأن البغى مذموم في كل الأمم ، مرتكبه ملوم ، ولا سكن .

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

(١) نعرف هذه الحوادث بحوادث سنة ١٨٦٠ كانت أولا في لبنان لأسباب سياسية ، ثم امتد لها إلى دمشق .

هكذا يقول الأمير ، ويحيى في خطاب الشيخ شامل له شكر على هذا العمل ، وذكر للحديث النبوي الكريم : « ألا من ظلم معاهدا أو تنقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيبة نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة » ، وتشهد له الصحف الفرنسية ، وترى في خصمها القديم - هذا العدو الخيف للفرنسيين على حد تعبيرها - مخلصا لألوف من نفوس المسيحيين (أن عدونا القديم في الجزائر قد جعله الله الآن سببا لإنقاذ المسيحيين في الشام) .

وما زال الأمير طول حياته ذاهمة عالية وصبر على الشدائد ، التي لو أملت بغيره لأذلتة إذلالا ، كما يقول أحد المؤرخين الأوربيين ، آمن بربه ، وبوطنه ، وبنفسه ، بجاهد وناضل ، وعاش عزيزا ، ومات مكرما ، وتوفي في سنة ١٨٨٣ م ، ودفن في الصالحية - بدمشق - عند الشيخ محي الدين بن عربي داخل القبة - رحمه الله ما

على العمارة
مكة المكرمة

حكم

- * خير مالك ما وقاك ، وشره ما وقيته .
- * جزاء من يكذب أن لا يصدق .
- * ظلم الضعيف أخفش الظلم .
- * صبرك على الاكتساب خير من حاجتك إلى الناس .
- * ظاهر العتاب خير من باطن الحقد .
- * صاحب المعروف لا يقع ، وإن وقع وجد متكأ .

رسالة الصحافة

تعتبر الصحافة من أخطر الوسائل في التوجيه والتأثير ، لأنها تظهر كل يوم ، وتدخل كل بيت ، ويطبع منها عشرات الألوف من النسخ ، وهى فى الأصل سجلات يومية لوقائع الحياة وأحداث المجتمع ، ومنبر للتعبير عن رأى العام وتوجيه أفكار الناس نحو الحق والخير ، ولو استقام أمر الصحافة ، وكان شعارها الحق والصدق والإخلاص والأمانة ومراقبة الله والضمير والخلق والمصلحة العامة ، صارت أدق مرجع للمؤرخ حين يؤرخ ، وأعمق مصدر للباحث حين يبحث .

ولشدة تأثير الصحافة سموها : « صاحبة الجلالة » ، وما زال بعضهم يسميها كذلك ، ويلقبها بذلك اللقب مع أنه قد هوت عروش وسقطت تيجان !! . .

والصحافة الشريفة النظيفة لا بد لها من عقيدة ومبدأ ، فهى تؤمن بتلك العقيدة وتستهدىها ، وتدافع عن ذلك المبدأ وتناصره ، وتجند أعلامها ورجالها وصفحاتها وكلماتها لتمجيد ما تعتقد ، وتأييد ما ترى ، محاربة حمل غيرها على مبدئها فى غيرة وإخلاص وحكمة ، حتى يتحقق لها شرف الاعتقاد والجهاد الذى أشار إليه الشاعر حين قال :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهداً إن الحياة عقيدة وجهاد !
فإن لم تكن الصحافة كذلك صارت صحافة تجارة ، أو صحافة نفاق ، أو صحافة انحلال ، أو صحافة استغلال ، أو أى شئ آخر سوى أن تكون صحافة قوية كريمة . .
ولقد وصف « شوقي » الصحافة الحرة الصادقة القويمة الزهية بأنها :

لسان البلاد ، ونبض العباد وكهف الحقوق ، وحرب الجنف
فهل تصدق هذه الأوصاف الحميدة - حقيقة - على كل صحافة العصر الحديث ؟ وهل الصحافة جميعها تترجم صادقة عن مشاعر الناس وعواطفهم ، وتدافع عن حقوقهم ومصالحهم ؟ . . وهل هى حقا تصلح الفاسد ، وتعزل المعوج ، وتقوم المنحرف ؟ . .
إن كثيراً من أنهار بعض الصحافة يسيطر عليها طائفة من المتحليين والملاحدين والمتفسخين فى أخلاقهم وعقائدهم ، الذين يتخذون الصحافة مرتعاً خصيباً وميداناً رحباً

لبث دعواتهم الإلحادية ، وإذاعة مبادئهم التحليلية ، وهم يذشرون وباءهم في جراحة ، ويتواصون باذاعة المنكر في عزيمة ، ويتعاونون على الإثم والضلal في قوة ، ويستغلون بمض الظروف ، ويتسترون وراء بعض الحواجز والأستار ، ويثثون ما يثثون بلا وازع أو رادع ، ناسين أو متناسين أن الله عز وجل وصف عباده الأخيار بأنهم : « الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » ، ومعرضين عن أمر ربهم القائل : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » ! .

ومعاذ الله أن ننكر وجود الخير القليل وسط طوفان الشر الزاحف ، فهناك من الصحف نوع شريف عفيف ، ولكنه غريب غربة الأيتام في دنيا اللثام ، ولقد كان هناك مثالا من يجعل شعار صحيفته هذه الكلمات :

باسم الكنانة واسم شعب ناهض لا باسم أحزاب ولا زعماء
كل يزول وينقضى ، أما الحمى فوديعة الآباء للأبناء

ولكن هؤلاء الشرفاء الأوفياء الأعفاء في دنيا الطمع والنفاق والتضليل يعيشون غرباء ، ويموتون فقراء ، بينما يستطيل غيرهم من الوصوليين الأدعياء !! .

وأنت قد تتناول مجموعة من هذا النوع من صحف الزور والباطل ، فاذا هي - على الرغم من اختلاف الأسماء والعناوين والأشكال والأحجام - صور متشابهة ، ونسخ معادة مكررة ، حذوك النعل بالنعل ، لا تكاد تختلف في الموضوعات ، ولا في العبارات ، وكأن يدا واحدة قد طبعتها ثم نوعت أسماءها ، فلا تستطيع أن تميز بين واحدة منها وأخرى في مبدأ أو اتجاه أو منهاج أو عقيدة ، بل السكل متشابهة متماثل . . . وأغلب أنهار هذه الصحف المتحالة يفيض بالنفاق الرخيص ، والتضليل الرقيق ، والصور النسائية الفاحشة ، والقصص الغرامية المساجنة ، والأسرار البيئية الفاضحة ، والأخبار العائلية الجارحة ، والدعوات الإلحادية الهدامة ، إلى غير ذلك من معاول التخريب ووسائل التدمير ، مع أن الله تبارك وتعالى يقول : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ! .

وتبحث عن الهدف الأخلاق ، أو التهذيب الاجتماعي ، أو التوجيه الروحي ، أو الحياء الديني ، في هذا اللون القذر من الصحافة ، فلا تكاد تجد طلبتك ، وربما وجدت فيه

كل شيء إلا الغيرة على الدين والأخلاق والحرمات ، أو الأمانة في النقل والقول ، أو الصدق في التسجيل والتاريخ .

« ترضى » هذه الفئة من أهل هذا اللون من الصحافة عن بعض الناس ، فترفعه وتسكىل له المسدح بلا حساب ، وتقلب سيئاته إلى حسنات ، وتبالغ في وصف ما قد يكون له من حسنات ! ... « وتذكره » هذه الفئة بعض الناس فتتال منه ، وتفترى عليه ، وتشوه سيرته ، وتختلق حوله الإشاعات والأباطيل ، وتسرف في ذلك إسرافا وخفا ... « وترغب » هذه الفئة فإذا هي ذبول وأقماع ، وأسارى شهوات وعبيد أطماع ، فتقلب الحق باطلا والباطل حقا ، وتبجح في مسخ الحقائق وتغيير الوقائع ... « وترهب » فإذا هي سبابة إلى مواقف الذلة ودركات الهوان !! .

وإذا صار هذا هو الدين والمألوف في اقراء التصوير والتسجيل - كما يفعل هؤلاء - فما أصدق كلمة من قال : إن التاريخ مجموعة من الأكاذيب ! ... وما أسرع أهل الغيرة والإنصاف إلى قولهم : إن هذا هو التاريخ فنشهد الله أننا كافرون بهذا التاريخ ! .

ألا يذكر هؤلاء المتجارتون على الله وعلى الحق وعلى الناس قول المنتقم الجبار : « ويلكم لا تفترؤا على الله كذبا فيسحتكم (أى يهلككم ويستأصلكم) بعذاب وقد خاب من افترى » . وقوله : « إن الذين يفترؤن على الله الكذب لا يفلحون » ! .

لقد كتب أحد المحررين المنافقين في صحيفته مقالا طويلا كليل الشئاء ، رفع فيه أحد الحاكمين في بلد ما إلى السماء مدحا وإطراء وثناء ، ثم جالس المحرر عقب ذلك في مجلسه الخاص يطعن في ذلك الحاكم ! ... يطعنه في رجوليته ودينه وعرضه ؛ فتعجب من ذلك أحد سامعيه وقال للمحرر : ولكن ، كيف يتفق هذا مع مقالك عنه ؟ فأجاب المحرر : وماذا أصنع وهو حاكم يضر وينفع ، وصحيفتي يوزع منها في بلد هذا الحاكم آلاف النسخ .

وهكذا فليكن تدهور الأخلاق في دنيا النفاق ! .

وترى بعض هؤلاء المتفسيخين في دينهم وأخلاقهم يوسعون القول في إنكار الله ، وفي السخرية من الأديان ، وفي التهمك على علماء الدين ، وفي التندر على الدعوات الروحية ، ويدعون إلى الدعارة وامتنابحة الأعراض والحرمات ، وإذا اعترض عليهم أحد في ذلك قالوا : إن هذا الاعتراض عدوان على حرية الرأي وحرية الفكر وحرية النقد ، ولسنا ندري لماذا تظهر جرأتهم وحريتهم في مهاجمة حرمت الله وحدها ؟ . ولماذا لا تظهر

حريتهم أو جراتهم في نقد العتاة الفاسقين من البشر... لماذا تكون أيها الحر المتجمل جريئاً وخافاً في هجومك على حرمان الله وحدها ، ولا نجد فيك هذه الجرأة أو بعضها وأنت تتحدث عن ترهبهم أو تمتلئهم من أهل الجأء والمال ؟ : « أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » ! . لماذا تكون مجنون الحرية وأنت تتحدث عن أعراض النساء والدعوة إلى الفسق والفجور ، ولا تكون حراً أو شبه حراً إذا دعيت إلى الدفاع عن المهضومين أو الانتصار للـمـكـويين ؟ . لماذا تكون سفيها مسرفاً وأنت تتناول على قوانين السماء وهدى الرحمن الرحيم ، ثم تكون جباناً كل الجبن وأنت تتحدث عن نظم البشر وقوانين الأرض ؟ .

ألئن عينك القاصرة لا ترى أمامها الله جيوشاً ولا جنوداً ولا محارم ولا سجوناً » والله جنود السموات والأرض » ، « وما يعلم جنود ربك إلا هو » ! . . . ألئن الله الحليم لم يسارع إليك بالانتقام منك أولاً بأول ؟ . . . « سأريكم آياتي فلا تستعجلون » ، « أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون » !

أما بعد فيما أبناء الإسلام . . . اتقوا الله فيما تقرأون أو تطالعون : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً » ، دققوا في الصحيفة التي تشترون ، وفي المجلة التي تفضلون . . . حاربوا الصحافة الرخيصة العليلية المشرفة بالإعراض عنها والاعتراض عليها . . . لا تشجعوها بالإقبال عليها ودفع المال فيها ، ولا تسكتوا عن انتقاداتها والمقاومة لباطلها بكل أسلوب مشروع ، فانه من أكبر الأكاذيب أن يقال عن هذه الألوان الماجنة الآثمة من صحافة الزور والباطل والافتراء إنها « صاحبة الجلالة » بل الأصح أن يقال إنها « صاحبة الضلالة » .

وإن كل مثقف له صحيفته اليومية ومجلته أو مجلاته المألوفة عنده ، ولا أقل من أن يطعم المسلم ما يقرأ ببعض ما يصدر من مجلات دينية ، وهناك عدد من هذه المجلات الدينية يستأهل التأييد والإقبال ، وهذه المجلات على الرغم من ضعف إمكانياتها ، وقلة رأس مالها ، وضيق الإقبال عليها ، وعدم التفنن الكافي في إنجراجها وتوزيعها - لا تزال أصواتنا مذكورة بالله ، وبحقوق الله ، وبلقاء الله ، ونخذوا بناصر هذه الصحافة الدينية ، وأقبلوا عليها ، واعملوا لتأييدها وتنميتها وتقويتها وإصلاحها والإكثار منها ، فان استقامة الطريق أمامها يساعد على استقامة الطريق أمامكم ! .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

حديث عيد الأضحى المبارك

عام ١٣٧٦ هـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإنه يحل بي في هذا اليوم السعيد المبارك ، أن أبعث بالتهنئة زكية طيبة ، إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأقدمها خالصة مخلصه ، لوفد الله في الأراضى المقدسة ، هؤلاء الذين أقبلوا على ربهم ، آمنين رحاب بيته الكريم ، خالعين أنفسهم عن لهو الدنيا وصوارفها ، متجردين من ألوان متاعها وزخارفها ، متحلين بحلية التسامح والتواد فيما بينهم ، متحلين بمظاهر المجد والقوة في عبادتهم ، وبصدق الإخلاص في طلعتهم لربهم ، هاتفين من أعماق قلوبهم ، بالتلبية وآيات التعبد والحمد : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » نشيدا روحيا يرن صدها في الأجواء ، وتخشع لجلاله الأرض والسماء .

أحيي هؤلاء الذين أفاضوا من الموقف العظيم في عرفات والمشعر الحرام ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، وبما أفاض عليهم من عظيم بره .

أحييهم وأهنئهم بهذا اليوم المشهود ، الذي جعله الله فرصة لتأقي نفحات جوده ، والفوز بعفوه ومغفرته ، إنه أحد العيدين الكريمين ، اللذين يعان فيهما المسلمون ابتهاجهم بنعمة الله وتوفيقه ، لأداء ركنتين عظيمين من أركان الإسلام ، هما صوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام ، بل إن هذا العيد الأكبر هو أكرم العيدين وأعظمهما عند الله ، لما يحل من ذكريات كريمة ماجدة ، تهدي إلى الخير ، وتزخر بأسباب العزة والمجد .

إن شرائع الله جميعها هي أصل كل خير وبر ، ومنبع كل هداية وصلاح ، وهي للناس جميعا - في حياتهم الفردية الخاصة وشؤونهم الاجتماعية العامة - أقوى معين على سلوك

أقوم الطرق وأيسرها لدرك ما يتمنون من هناء وعزة في هذه الحياة وسعادة ورضوان من الله في الحياة الآخرة حياة البقاء .

وانقد جاء الإسلام بتشريعات هيأت الفرص لاجتماع المسلمين وتعارفهم وتعاونهم ، وبارك كل اجتماع يحقق هذا المعنى ويؤكد به بينهم كاجتماعات الصلوات اليومية وصلاة الجمعة والعيدين ، كما بارك كل مجالس يقصد للخير والبر ويعمل فيه على الإصلاح والتقريب بين جماعات المؤمنين .

وإن أكبر اجتماع يحظى بعظيم البركة من الله ، هو ذلك الاجتماع الذى يتخطى الحجب والسدود ، وتتلاشى فيه الفوارق وتمحى المعصيات هو اجتماع الحج ، الذى يفد إليه المسلمون من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويؤدوا شعائر الله ، ويرسموا الخطط الصالحة لتنظيم حياتهم وترقية شئونهم وإسعاد أوطانهم .

إن ذلك الموسم السنوى الجامع ، الذى يتمسك فيه المسلمون من عقد مؤتمرهم العام فى الحرم المبارك الآمن ، يجب أن يأخذ الناس فيه من الرسول أحسن الأسوة وأعظم القدوة ، وأن ينتفعوا بما أثر عنه عليه الصلاة والسلام من بالغ التقوى والإرشاد .

فى مثل هذا اليوم من السنة العاشرة من الهجرة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم نخطب الناس خطبته الجامعة فى حجة الوداع ، تلك الخطبة التى أكل بها التوجيه ، وأفرغ فيها بالغ النصيح ، وأوضح بها المعالم ، وأجمل فيها الأسس والمبادئ ، وثبت الأصول وأحكم القواعد ، وأرشد الناس إلى ما يقيم لهم أمر المعاش والمعاد . ومما قاله صلوات الله وسلامه عليه فى خطبة الوداع :

« أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ، وستلقون ربكم فىساءلکم عن أعمالکم ، ألا لا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، وقد تركت فىكم ما إن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله ، ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، قرب مبلغ أوعى من سامع .

هذا هو التوجيه النبوى السديد ، الذى تتجلى به مزايا الإسلام فى حرصه على السلام

والاستمسك بأسباب القوة ، وفي تحذيره من عواقب الخلاف والفرقة ، فليعتبر به المسلمون لعلمهم يرشدون .

أيها الحجاج المؤمنون ، أيها القادة أيها الزعماء المخلصون ، يامن لهم شأن أى شأن فى ولاية أمور المسلمين وتدير صوالحهم فى أى ركن من أركان الأرض ، أسألكم أن تعاهدوا الله - وأتم بمكان يحل فيه خطر المواثيق والعهود - أن تكونوا يدا واحدة ، وكلمة واحدة ، وأن تتصافوا وتتصافحوا وتطهروا قلوبكم مما عسى أن يكون قد مسها من آثار حقد أو ضغينة ، فان المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه .

ثم لتأخذوا حذركم من عدوكم ولتحلوا مشاكلكم بأنفسكم ولا تجعلوا أمركم غمة عليكم ، وارباوا بدينكم وقوميتكم ووطنيتكم أن يستهويها أو يستذلها أهل الغدر والخداع من أعدائكم .

إن الإسلام يأبى لأهله الذلة والمهانة ، والعروبة الأصيلة لا ترضى أن تخضع لعوامل التسخير والسيطرة ، والشرق كله أدناه وأقصاه وأوسطه يكره أن يكون مستغلا أو حقلا سهلا للغرب يستنفد كل ما فيه من ثروة وذخيرة . والوعى العام الراشد لا يذبح أن يغتر بأساليب الماكرين الغادرين .

لانه لا ينبغي أن يكون ظن العدو بكم أنه قد بلغ منكم الضعف والهوان على أنفسكم مبلغا يبيح له أن يضربكم ببعضكم ببعض أو أن يضرب الحصار الاقتصادي عليكم أو على شعب من شعوبكم ، فارصدوا لخططه حتى ترد إليه فاشلة واعملوا على مكافئة مكايده كي تعود عليه خائبة خاسرة وثقوا أن النصر مع الصبر وأن الله مع الصابرين .

أيها المسلمون : يجدر بنا فى هذا اليوم المبارك أن نكثر من أعمال البر ، التى تقوى الرابطة بين المسلمين وتشيع فيهم روح المودة والأخوة ، ويجب علينا ونحن فى يوم التضحية والفداء ، أن نذكر إخواننا لنا فى فلسطين والجزائر وجنوب شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار الإسلامية التى منيت بألوان من البغى والعدوان ، إنهم يقاسون من أيدي المستعمرين أشد الأذى والنكال ولسكنهم لا يذلون ولا يخضعون بل هم يناضلون بكل ما أوتوا من قوة وجهد لنخليص حقوقهم من أولئك الغاصبين المستبدين ، فلنمدهم بما نستطيع من عون ، ليشعروا أن لهم إخوة يحسون باحساسهم ويشاركونهم فى آلامهم وآمالهم ، فتقوى بذلك روحهم ويشدد أزرهم وتتفتح نفوسهم بالرجاء فى نصر الله القوى العزيز .

هذا وليعلم المستعمرون الباغون أن اليوم غير الأمس ، وأن المسلمين الآن في يقظة واعية ، وإيمان بالحق قوى ، لا تزعمه الاعتداءات الوحشية ، ولا الأحلاف العسكرية ، ولا الأموال التي ينفقونها لتفريق الصفوف ، وإضعاف الشوكة ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون .

أيها المسلمون : خذوا من تضافر أولى البغى والغدر عليكم عبرة وعظة وكونوا دائماً أمامهم صفوا واحداً كالبنيان المرصوص ، سبيلكم سبيل الله الذى يحقق لكم العزة ويدرك عنكم المهانة ويلقى في قلوب أعدائكم الرعب والفرع . وقد رفعكم الله إلى سبيل المجد وحذرکم أن تسلكوا طريق العدوان بقوله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » .

أسأل الله أن ينصر المجاهدين ويعز الإسلام والمسلمين ويرد كيد المبطلين وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم .

عبد الرحمن ناج

شيخ الجامع الأزهر

غارة إسرائيل على غزة

في ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥

قال الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب افتتاح مجلس الأمة :

كنا قبل غارة إسرائيل على غزة في ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ نعتبر خطر إسرائيل هو مشكلة سباقنا مع الوقت لبناء أوطاننا ، ونعتبر أن خطر إسرائيل في حقيقة أمره هو ضعف العرب ، فإذا استطعنا أن نبني أمتنا الكبيرة التي نحلم ببنائها فإن خطر إسرائيل يتلاشى ... ولكن دخان غارة إسرائيل على غزة في ٢٨ فبراير انجلى عن كشف حقيقة خطيرة هي أن إسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة ، وإنما إسرائيل في حقيقة أمرها رأس الحرب للاستعمار ، ومركز تجمع لقوى أخطر من إسرائيل وأخطر من الاستعمار ، وهي الصهيونية العالمية ... كانت هذه الحقيقة التي انجلى عنها دخان الغارة على غزة نقطة تحول في تفكيرنا ، وفي اتجاه الأحداث في المنطقة كلها . لقد تبين أن مشكلة إسرائيل ليست مشكلة داخلية إلى الحد الذي كان يبدو قبل غارة غزة ، وتبين أننا لا نستطيع أن ننسى في معركة البناء غافلين عن الخطر الذي يهدد ما نبنيه ، ويهدد وجودنا بأسره .

الهجرة والتضحية والفداء

الهجرة في الإسلام من مكة إلى المدينة من الأحداث المهمة التي كانت فيصلا بين عهدين ، عهد الضعف والقلّة والاضطهاد ، وعهد القوّة والعزة والانتصار ؛ ولا ننكاد نعلم في التاريخ الانساني حادثا كان مسرحا للتضحية والفداء وبيع النفس ابتغاء مرضاة الله والإستئانة بكل شيء في الحياة في سبيل العقيدة مثل ما عرفنا ذلك لحادث الهجرة ، فقد هاجر المسلمون رضية بذلك نفوسهم لا يلوون على شيء من ولد أو أهل أو مال أو دار وضربوا في هذا الباب أروع مثل للتضحية والفداء .

وأول ما يطالعنا من قصة الفداء في الهجرة ما كان من فتي الفتيان وسيد الشجعان الذي تربى في مهد النبوة ونهل من معينها الصافي على بن أبي طالب كرم الله وجهه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صار فيما بعد زوج ابنته السيدة فاطمة الزهراء فقد أمره رسول الله ليلة عزم على الهجرة أن ينام على سريره وأن يتسجى ببرده الحضرمي كي يكون في ذلك تعمية على المشركين الذين وقفوا على بابه مترصدين لقتله ، فكانوا كلما ملوا من الانتظار نظروا من شقوق الباب فوجدوا النائم لا يزال على السرير فيعالون أنفسهم بأنه لن يفوتهم ، وقد كان لهذه الحيلة البارة أثرها الحسن ، فقد وقفوا طوال ليلهم يترصدون النائم أن يخرج بينما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد خرج عليهم وقد أخذ الله بأبصارهم وختم على أسماعهم فلم يشعروا به وذعب إلى صاحبه الصديق وخرجا إلى حيث اختفيا في الغار .

إن الإنسان ليعجب من فتي كعلى في مقبيل الشباب يرجو العمر الطويل ويأمل الآمال الحلوة العريضة كيف يسرع إلى إجابة رسول الله وهو يعلم أنه على قيد أذرع من فتیان أشداء امتلأت قلوبهم بالحقد والضغن وأمسكت أيديهم بالسيوف المشحوزة التي في متونها الموت المحقق . ولكن العجب سرعان ما يزول إذا ما علمنا أثر الإيمان حين يعمر القلوب فإنه يستعذب العذاب ويستهن بالبلاء في سبيل العقيدة والمبادئ الشريفة ، وندع الفدائي الشاب ، لنرى ما صنع الفدائي الأكبر أبو بكر الصديق رضي الله عنه في هذه الليلة الخالدة على الزمن .

لقد صنع عجبا ، جعل يمشى مرة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن يساره - لا يستقر له حال ولا يهدأ له بال - فقال له الرسول : مالك يا أبا بكر ؟ فقال : أذكر الطلب فأمشى خلفك ، وأذكر الرصد فأمشى بين يديك ، ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك لا آمن عليك !!

ولما وصلا إلى الغار قال الصديق الصدوق : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار ، فان كان به شيء نزل بي قبلك ، فإنني إن هلكت فأنا رجل واحد من المسلمين ، وإن هلكت هلكت الأمة . ثم نزل فاستبرأ الغار فلم يجد به أذى ، ثم قال : انزل يا رسول الله . ولم يكتف الصديق بهذا بل صار يأخذ من إزاره ويسد الشقوق التي في الغار خشية أن يكون فيها شيء من هوام الأرض يؤدي رسول الله ، ويبقى حجر فيضع عقبه عليه فإذا فيه حية فلدغته ، وكان رسول الله قد نام متوسدا رجل أبي بكر فمنعه مكان رسول الله منه أن يتأمل حتى لا يستيقظ ، ولكن الألم برح به فتحدرت دموعه فسقطت على وجه رسول الله ، فاستيقظ فقال : مالك يا أبا بكر ؟ قال فذاك أبي وأمي ، لدغت فتقل عليها البلمم الشافي للإنسانية ، فذهب ما كان وجده من الألم باذن الله . وهكذا فليكن الإيمان والوفاء ، وهكذا فلتكن الصداقة والفداء ، وبهذا وبغيره من الفضائل استحق الصديق أن يكون أفضل الأمة بعد نبيها ، وجعل الله له لسان صدق في الأولين والآخرين .

ويسمى البيت البكري في التضحية والفداء ، فهو لاء أهل أبي بكر مجهزون للهاجرين الكريمين سفرة يزودان بها ، ولا يجدن ما يربطن به الجراب فتشق بنت الصديق السيدة أسماء نطاقها شقين تربط الجراب بأحدهما وتنتطق بالآخر ، فيسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات النطاقين ، ويدشرها بأن الله سيبدلها بنطاقها هذا نطاقين في الجنة ، ثم تسترسل في التضحية فكانت تذهب كل ليلة إلى رسول الله وأبيها وهما في الغار بما يحتاجان إليه من طعام ، وهي جارية حدث السن . قال ابن إسحاق لإمام أهل المغازي في أثناء الحديث عن الهجرة : « وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه تأتيهما من الطعام إذا أمسيا بما يصالحهما » .

وهذا عبد الله ابن الصديق - وكان شابا ثقفا لقنا - يكون مع قریش بالنهار ، حتى إذا ما اختلط الظلام ذهب إلى رسول الله وأبيه بالغار فيخبرهما بما تدبره قریش وما يكتمادان به ، فإله بيت الصديق فكم له من أياذ بيضاء على الإسلام المسلمين . وهذا مثل آخر رائع في مثل التضحية والفداء ، وكان بطله صهيب بن سنان الرومي .

روى البيهقي بسنده عنه قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنت قد همت معه بالخروج فصدني فتيان من قريش ، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا : قد شغلنا الله عنكم ببطنه - ولم أكن شاكيا - فناموا فخرجت ولحقني منهم ناس بعد ما سرت يريدون ليردوني ، فقلت لهم : إن أعطيتكم أواني من ذهب أتخلون سبيلي وتوفون لي ؟ فقالوا : نعم . فتيحتهم إلى مكة فقلت : احفروا تحت الباب ، فإذا بها أواق من ذهب . واذهبوا إلى فلان فخذوا الحليتين ، وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء قبل أن يتحول منها ، فلما رآني قال : « يا أبا يحيى ، ربح البيع » . فقلت : يا رسول الله ما سبقني إليك ، وما أخبرك إلا جبريل . وقد أنزل الله في صهيب ومن على شاكلته قرآنا يتلى على كرام السنين . » ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رؤوف بالعباد . »

أيها المسلمون في كل قطر : هذا قل من كثر مما زحرت به الهجرة من صور التضحية والفداء ، سيان في ذلك الرجال والنساء ، وبهذا وغيره كون المسلمون أعظم أمة عرفتها الدنيا في إيمانها وعدلها وتراحمها وتعاونها على البر والتقوى ، وكانوا خير أمة أخرجت للناس . ما أشد حاجتنا في نهضتنا الحاضرة ووثقتنا الكبرى إلى أن نأخذ من هجرة المسلمين الأولين دروسا نستعين بها على ما نصبو إليه من عزة وقوة ووحدة كي نستعيد المجد الغابر والسلطان المضيع .

إننا في حاضرنا اليوم أحوج ما نكون إلى اللبذل والتضحية والفداء في سبيل تحقيق المثل العليا ، وبناء كيان وطننا على أساس صالح من التآخي والتكافل والتضامن ورعاية المصلحة العامة والتجرد من الأنانية وحب الذات فحسب .

لقد كانت الهجرة اختبارا قاسيا للرعب الأول من المسلمين فجهجوا فيه أيما نهج ، ودلوا على أنهم جديرون بحمل الأمانة وتبليغ الرسالة ، ونحن اليوم نتعرض بين حين وآخر لضروب من الاختبارات القاسية في ديننا ودنيانا ، فإن نحن صمدنا في سبيل الحق كما صمد هؤلاء السادة الأوائل كان لنا الغلب والنصر في النهاية ، واستخلفنا الله في الأرض كما استخلف هؤلاء ، ويمكن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا كما يمكن لهم . وإلا فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، وما ذلك على الله بعزيز .

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

اعلام الساجد ، بأحكام المساجد

كتاب [جليل القدر ، نادر الموضوع] . وضعه مؤلفه العلامة الزركشى فى أحكام المساجد ، وجمع فيه كل ما يتعلق بهذا الموضوع ، واستقصى فى ذلك ، حتى لتكاد تجزم بأنه لم يشذ عنه حكم يتعلق بالمساجد من قريب أو بعيد . وقد أفرد كلا من المساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الأقصى ، بباب خاص ، ثم جمع الحديث عن غيرها من المساجد فى باب واحد [وهو حقيقى بقول مؤلفه : هذا كتاب ينزل من القلوب منزلة الجنان ، ومن العيون منزلة الإنسان ، لم ينسج له على منوال ، ولم تسمح له قريحة بمثال ، يشتمل على الأحكام المختصة بالمسجد الحرام ، ومسجد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، والمسجد الأقصى وغيرها من مساجد الإسلام ، قد أتى فى هذا الباب بالعجب ، وحاز قصب السبق ما كتب الطرب (كذا) ، وصار لقصاد الحرم ميقانا ، ولورود حياض الفضل ماء فراتا .

وقد أغفله المترجمون للزركشى فلم يذكروه ضمن مؤلفانه ، ولعل ذلك لعدم تداوله وربما كانت النسخة التى بين أيدينا هى النسخة الفريدة للكتاب ، وقد ذكر صاحب كشف الظنون اسمه فقط ، ولم يذكر نبذة عنه كما يفعل فى غيره من الكتب مما يدل على عدم اطلاعه عليه .

وقد حصر المصنف كتابه فى فاتحة وأربعة أبواب ، وتكلم فى الفاتحة عن تعريف المسجد لغة وشرعا ، وأول مسجد وضع فى الأرض ، وعن فضل بناء المساجد .

وتكلم فى الباب الأول عن المسجد الحرام وما يتعلق به ، وعن مساحته وبنائه ، وعن الكعبة كذلك من هاتين الناحيتين ، وعمّا تعرضت له من الحوادث ، وعن كيفية الصلاة فى المسجد الحرام والكعبة ، وفضل الصلاة فيهما . ثم استطرد إلى الكلام عن مكة وعن بعض المشاعر كبنى وعرفات ، وعن حدود الحجاز وجزيرة العرب وغير ذلك ، وجعل ذلك فى مسائل عدتها ١٢٤ مسألة .

وتكلم - في الباب الثاني عن المسجد النبوي وكيفية بنائه ومساحته ، وعن المدينة وحدودها وأسمائها وهل هي حجازية أو شامية ، ويستطرد في الكلام لأدنى مناسبة على الطريقة الجاحظية ، فقد ذكر عند الكلام على المدينة ما جاء من الأحكام في عالم المدينة وهو الإمام مالك رضى الله عنه ، وذكر جملة من خصائصها وأحكامها كتحریم صيدها وشجرها ، وفضل الصلاة فيها وفي مسجدتها واختصاص أهلها بمزيد الشفاعة وأن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم كما روى عن مالك ، وجعل عدة مسائل هذا الباب أربعين مسألة .

وتكلم - في الباب الثالث عن المسجد الأقصى وذكر أسمائه وهي سبعة عشر اسما ، كما تكلم عن بنائه وفضله وعدد جملة من أحكامه في مسائل بلغت عشرين مسألة .

وتكلم في الباب الرابع عما يتعلق بالمساجد جملة من الأحكام مما يتعلق باحترامها وتنظيفها واتخاذ الشرفات فيها والبناء عليها وزخرفتها وتبخيرها وفرشها وتعليق القناديل فيها وغلقها في أوقات الصلاة ، وعن حكم صلاة المرأة في المساجد ، واستطرد في هذا الباب كما استطرد في غيره فذكر فيه ما يتعلق بالأذان وألفاظه وهيئة لباس الخطيب وجواز تعليم الصبيان فيه إلى غير ذلك ، وعدة مسائل هذا الباب ١٣٧ مسألة .

وبالجملة فإن هذا الكتاب لم يفلت منه فيما نظن شئ من أحكام المساجد ، فهو فريد في بابه ، والنسخة التي نتحدث عنها هي من كتب رواق الحنفية التي ضمت إلى المكتبة الأزهرية حديثا ، وهي من أقدم النسخ إن لم تكن أقدمها ، وربما كانت النسخة الوحيدة له ، فقد ذكر نسخها أنه قد نقلها من نسخة سقيمة جدا « وقد بيض المصنف من نسخته مواضع » والظاهر أنه نقلها من مسودة المؤلف وهي قديمة جدا ، فقد كان نسخها سنة ٨٤٥ هـ أى بعد وفاة المصنف بنحو ٥٠ سنة على ما يأتي في ترجمته .

وقد جاء في آخرها : « آخر كتاب إعلام الساجد ، بأحكام المساجد ، تصنيف الشيخ بدر الدين الزركشى ، علقه لنفسه على استعمال لأمر اقتضاه الحال في آخر المحرم سنة ٨٤٥ هـ محمد بن محمد بن عبد الله الشافعي غفر الله ذنوبه » ، وخط النسخة جيد بالنسبة لخطوط ذلك الوقت وورقها جيد كذلك ، وهي سليمة من النقص والطمس والتحريف وعدد أوراقها ١٠٨ ورقة وعدد سطور كل صفحة ٢٣ سطرا ، ومتوسط عدد كلمات كل سطر

١٤ كلمة ، وعليها تلميكان أحدهما في سنة ١٠٨٤ هـ والثاني سنة ١١٠٣ ، والظاهر أنها لم تتداول كثيرا ، فليس عليها تعليقات أو تصحيحات كما يحصل عادة في السكتب التي يكثر تداولها ، ومؤلفها هو : بدر الدين أبو عبد الله محمد بهادر بن عبد الله الزركشى المنهاجى المصرى كان أبوه تركيا مملوكا ، وتعلم المترجم له صنعة الزركشة فنسب إليها ، وقد عني بالعلم فأخذ عن الشيخين جمال الدين الأسنوى ، وسراج الدين البلقينى ، ورحل إلى حلب ودمشق وأخذ عن علمائهما ومنهم الحافظ ابن كثير .

وقد تبجر في العلوم وصار يشار إليه في الفقه والأدب والحديث ودرس وأفتى ، وكان زاهداً منقطعاً للعلم ، وله من أقاربه ما يكفيه مئونة العيش ، ومن تصانيفه البحر المحيط في الأصول في ثلاثة أجزاء ، وهو مخطوط ، وتشنيف المسامع لجمع الجواهر في الأصول أيضا ، وهو مطبوع ، ولقطة العجلان في الفقه والحكمة والمنطق وهو مطبوع ، والديباج في توضيح المنهاج ، والمنثور المعروف بقواعد الزركشى وهما مخطوطان .

وله هذا المؤلف الذى نتحدث عنه : إعلام الساجد في أحكام المساجد ، ولم يذكره المؤرخون ، ولعل ذلك لقلّة تداوله كما أسلفنا ، وقد ولد الزركشى سنة ٧٤٥ هـ ، وتوفى سنة ٧٩٤ ودفن بالقرافة الصغرى ما

أبو الوفا المرافى

سياسة الاستعمار

أرادوا مرة امتحان السياسيين في بلاغة السياسة ، فطرحوا عليهم هذا السؤال :

سرق حقّ أمة ضعيفة ، فاكتب كيف تشكرها على هديتها .

مصطفى صادق الرافعى

بحث للدرس والتحصيل :

نظرة فقهية

في قانون معاشات الموظفين وحكم صندوق التوفير بالبريد ، وكل معاملة تكون الحكومة فيها طرفا أول والجمهور طرفا ثانيا .

يظن كثير من الناس أن كل معاملة فيها شيء اسمه فوائد وأنه بنسبة كذا في المائة أنه معاملة ربوية أو شبه ربوية لأن فيها عوضا في غير مقابل ، أولأنها ليس فيها تكافؤ في العوض . وعلى هذا الظن أحجم ناس ورعا عن قبول المعاملة بقانون المعاشات في وظائف الحكومة ، وقبله ناس على مضض منهم ، وآخرون قبلوا غير مباليين إن كان ربويا أو غير ربوي فوقعوا في ذنب الاستهتار وعدم المبالاة في المعاملة .

كذلك امتنع خلق عديد عن وضع توفيرهم وأموالهم بصندوق البريد بحجة أن المصلحة تعاملهم بفوائد نسبية تعطيها لهم في مقابلة إيداعهم تلك الأموال فيها بنسبة ٢٥ في ١٪ ، وآخرون يتحرون إبداءها بصفة أمانة لا شيء من الفوائد فيها .

وحتى أسهم المشروعات التي تصدرها الحكومة وتقول إنها تصرف كل سنة لأصحابها كذا في المائة أرباحا وفوائد لأصحاب هذه الأسهم ، رأيت بعض الشيوخ يفتي الناس بأنها حرام وأنها ربا ، وهذا بمجرد أن يسمع كلمة « فوائد » . فلنتظر في هذه المعاملات هل هي معاملات ربوية بين الجمهور وبين الحكومة في أسهم هذه الشركات ومعاشات الموظفين وفوائد صندوق التوفير ؟ أم أنها معاملات خالية من الربا المعروف شرعا ؟

ولنتظر أولا فيم يكون الربا المنهى شرعا ؟

يكون الربا في البيوع والمبادلات ، ويكون فيما تقرر في الذمة كأن يفترض مائة جنيه ليدفعها ١٠٥ جنيه .

ومعاملة الحكومة لموظفيها وللجمهور في مسألة صندوق التوفير وللساهمين في مشروعاتها ولموظفيها ، كل هذا من نوع المعاملة التي في الذمة ، ومثل الحكومة في ذلك كمثل كل هيئة تعامل آخرين مع فرق في بعض الوجوه ، إذا الربا الذي يأتي في البيوع بالتفاضل أو النسيئة لا حاجة إليه هنا فليست هذه المعاملات من قبيله .

ولنبداً بالكلام على معاشات الموظفين هل فيها ربا أو شبهة ربا ؟ أم هي خالية من ذلك ؟ والمعتضون على السادة العلماء الموظفين لدى الحكومة في تعاملهم بقانون المعاشات لا حق لهم في اعتراضهم إطلاقاً .

ولنقرر شبهة هؤلاء المعتضين أولاً الظانين أن المعاملة بقانون المعاشات فيها ربا قطعاً على حسب ظنهم ، لأن الحكومة تستقطع من الموظف ٥ ٪ مثلاً من مرتبه ثم تعطيه معاشاً لنفسه في حياته ومعاشاً لأولاده وزوجته بعده إن كان له أولاد أو زوجة ، وقالوا : ما تأخذه منه الحكومة في خصم ٥ ٪ فيه تفاوت بينه وبين ما تعطيه فتارة يطول عمر الموظف بعد إحالته إلى المعاش ، فيأخذ أضعاف ما استقطع منه ، وقد يكون له بعد ذلك زوجة أو زوجات وأطفال يأخذون معاشاتهم بحسب حكم القانون ، وخاصة القول بأن الحكومة ترث المتوفى مع ورثته في اقتسام ما كان يأخذه أو يستحقه من المعاش ، وتارة يموت الموظف ولا ورثة له فيكون كل ما استقطع منه ذهب إلى الحكومة بدون عوض ، وكان الموظفون الذين لا خلف لهم يتحرون أن لا يعاملوا بقانون المعاش ، لذلك لأن ما يخصم منهم لا يرد عليهم . فيرى هؤلاء المعتضون أن هذه معاملة بين اثنين فيها غرر أو فيها ربا صريح لأخذ أحد الطرفين من الآخر زيادة عما يستحقه بغير عوض مقابل ، وكأن الحكومة مثلاً أخذت ممن لم ينتفع بكل ما خصم منه مدة الخدمة وأعطتها من انتفع بأكثر مما خصم منه ، وهذه شبهة يتحدث بها كثير من المتورعين ويعترضون بها على الموظفين وخاصة من كانوا من العلماء وعلى الحكومة معاً . والجواب أن ذلك ناشئ عن عدم تحرير الموضوع وعدم فهم حقيقة هذه المعاملة بين طرفيها .

وذلك أن الحكومة في هذا كله طرف أول وكل موظف طرف ثان يتعامل مع الحكومة على أساس قوانينها في أجور ومرتبات الحكومة للموظفين وفيما تعاملهم به في حالة المعاش والتقاعد وتعامل به أسرهم ، فليست الحقيقة أن الموظف بمائة جنيه مثلاً في الشهر أنه يستحق جميع هذا القدر وأن الحكومة أخذت منه هذا الاستقطاع ديناً

عليها ثم رده إليه في المعاش بأقل أو بأكثر حتى يأتي التفاوت بين ما أخذ منه وما أعطى له ويقع الغرر وتقع شبهة الربا كما يتخيله المتورعون لأول وهلة .

بل إن الموظف دخل مع الحكومة على أن يخدمها بأجور هي كذا بحسب قانون المستخدمين (الكادر) ويأخذ في المعاش كذا إن عاش بعد الخدمة أو يأخذ ورثته كذا بحسب قانون المعاشات .

فلم تكن هناك معاملة في الذمة استقر بها حق للموظف بالاستقطاع منه أثناء الخدمة ثم يرد له في المعاش حتى يقال إن هذا الذي تقرر له في ذمة الحكومة أخذه كاملاً أو ناقصاً أو يقال إن الحكومة أخذت من بعض الموظفين وأعطت الآخرين ، كل هذا غير صحيح ، وإذا لم يكن هناك حقوق تقرر في الذمة بين الطرفين فليس هناك ربا من هذا النوع . فليطمئن العلماء والمتورعون لمعاملاتهم المالية ومرتباتهم الشهرية ، ومعاشاتهم أنها خالصة من الربا والغرر وشبهة الربا والغرر ما دامت للحكومة قوانين يدخل الموظف مع الحكومة على أساسها ؛ وحينئذ يختلف معها تفصيل فيه المحاكم المدنية كما تفصل في كل الحقوق .

وفي مقال تال نتكلم على صندوق التوفير وما فيه من الحكم الشرعي الذي ينطبق عليه إن شاء الله ما

محمد عبد السلام القبانى

حياء المعتذر

سأل رجل ابن العلاء حاجة ، فوعده بها ، ثم تعذرت عليه . فلقبه الرجل وقال له : وعدتني وعداً فلم تنجزه !

فقال ابن العلاء : فمن أولى بالغم ، أنا أو أنت ؟ قال له الرجل : أنا .

فقال ابن العلاء : بل أنا أولى بالغم ، لأنني وعدتك ، فأبت أنت بفرح الوعد ، وأبت أنا بهم الإنجاز . ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة ، فلقيتني مدلاً ، ولقيتك محتشماً ، فصرت أولى منك بالغم .

دعوة الاسلام ومنهجها في الاصلاح

تمهيد وتقديم :

« الفطرة الإنسانية وصلتها بالدين والتدين »

قضت إرادة الله ومشئته ، أن يجعل خليفة في الأرض ، يكون مظهرا لأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، يقيم به سننه في خلقه ، ويظهر به بديع صنعه في ملكوته ، ويجلي به بالغ حكمته في فعله وحكمه ، ويستودعه أمانة التكليف والابتلاء ، ويجرى عليه أحكام المسؤولية والجزاء ، ذلكم الخليفة هو آدم أبو البشر ، الذي اختاره الله لهذه الخلافة الأرضية ، وعهد بها من بعده إلى أبنائه وذريته ، وقد قرر القرآن هذه الحقائق التي أشرنا إليها ، كقوله جل جلاله في سورة البقرة « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون . - ٣٠ » وفي سورة الأنعام « وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ، إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم . - ١٦٥ » وفي سورة الكهف « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا . - ٧ » وفي سورة الذاريات « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . - ٥٦ » وفي سورة النجم « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى . - ٣٩ - ٤١ » فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما في معناها ، تبين لنا في وضوح وجلاء ، الحكمة التي من أجلها خلق الله الإنسان ، وجعل له في الأرض مستقرا ومتاعا إلى حين . »

ولهذا قضت حكمة الله البالغة ، وإرادته النافذة ، أن يكون الإنسان في تكوينه وفطرته ، متمشيا مع مقتضيات هذه الخلافة وحكمتها ، فلم يجعله سبحانه ماديًا محضًا ، ولا روحانيًا بحتًا ، بل جعله وسطًا بين المادية الحيوانية المحضة ، والروحانية الملكية البهيمية ، ففتح من كل منهما حظًا ونصيبًا ، وأقام نظام حياته في الدنيا ، على قوانين

الإرادة والاختيار ، وأصول الفكر والنظر ، لا على نواميس القسر والإجاء ، ودوافع الإلهام والإيحاء ، وهياً له من السنن الكونية والمواهب الفطرية ، ما جعله مستعداً لهذه الخلافة التي اختير لها وتمتكننا من الوصول إلى الغاية التي خلق لأجلها .

ويتجلى هذا الإعداد الإلهي ، في مظاهر المواهب الإلهية الآتية :

الموهبة الأولى : أن الله جلت قدرته وعظمت نعمته ، سخر للإنسان ما في الكون من عوالم الأرض والسموات ، كما قال جل جلاله في سورة لقمان ، « ألم تروا أن الله سخر لَكُمْ ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ٣١ : ٢٠ » وفي سورة الجاثية « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ٤٥ : ١٣ » فهذه العوالم الكونية التي نراها والتي لا نراها ، خلقت مسخرة للإنسان بنوأميسها وأسرارها ، وخلق الإنسان مستعداً لتسخيرها والانتفاع بها ، بما منحه الله من مواهب العقل والفكر ، وملكات البحث والنظر ، وطرائق الهداية والرشد ، وما هو اليوم قد عرف من أسرار العوالم الكونية ونواميسها ، ما جعله يحسب الآفاق ، ويخلق في الجواء ، ويسبح في أعماق المحيطات ، ويتخذ من موات الأرض مدائن وأمصاراً ، ومن قفارها حدائق وزروعاً ، ولا ندري ما الله فاعل به غداً ، وتبارك الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (١) .

الموهبة الثانية : أنه تعالى أودع في فطرته من الحواس والغرائز ، ما جعله مستعداً لأن يحيا حياة طيبة كريمة ، في مجتمع طيب كريم ، إذا هو استعمل هذه المواهب في المقاصد التي خلقت لأجلها ، واتجه بها إلى مواطن الخير والكمال ، وسلك في الانتفاع بها مسالك الحكمة والاعتدال ، وجعله مستعداً مع ذلك ، لأن يعيش في ظلمة الخطيئة والإثم ، وبحجم الشقاء والبؤس ، إذا هو استعملها في غير ما خلقت لأجله ، وسلك بها مسالك الشر والفساد ، وأطلق لنفسه عنان الأهواء والشهوات وافتكها من قوانين الفضائل والكمالات ، فالإنسان بطبيعته وفطرته ، مستعد للخير والشر على السواء ، ليمتدح بذلك مناط التكليف والابتلاء ، وأهلية المسؤولية والجزاء ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل في سورة الإنسان : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ، ٧٦ : ٣ »

(١) هذه الفقرة مقتبسة من آية ٥٠ من سورة طه .

وفي سورة الشمس « ونفس وما سواها ، فألهمها بخورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ، ٩١ : ٧ - ١٠ » وفي ذلك يقول على كرم الله وجهه ،
فما يروى عنه :

وداؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضر

الموهبة الثالثة : أنه تعالى منحه عقلا نورانيا ، يتدبر به عواقب ما يأتي وما يدع ،
ويزن به مدارك الحواس ومطالب الغرائز ، ويميز به بين الحق والباطل ، ويتعرف به
مواطن الخير والشر ، ويستظهر به مواقع الصواب والخطأ ، ويهتدى به إلى معالم السير
على الصراط المستقيم ، ويفتح أمامه أبواب الفكر وطرائق النظر ، فيما يحيط به من عوالم
الأرض والسموات ، وهذه المنحة الإلهية والموهبة الربانية ، استطاع الإنسان في أطواره
المختلفة ، أن يسبح بعقله في بیداء هذا الوجود ، وأن يطالع بفكره أسرار ما يحيط به
من الكائنات ، وأن يتخذ له من عوالم الكون وظواهره ، مرشدا يسترشد به في حياته ،
ورائدا يهتدى به في تنظيم شئونه ومعاشه ، ومعينا يستعين به في جهاده وكفاحه ،
وهو في ذلك بين علو وهبوط ، ونهوض وسقوط ، تارة تتجلى له الحقائق ، وتارة تلتبس
عليه الطرائق ، ومرة يدفعه الرجاء والأمل ، ومرة يقعده الإخفاق والفشل ، وطورا
تسعفه الأقدار المواتية ، وطورا تعوقه العوائق القاهرة ، وهكذا كتب الله عليه في أم
الكتاب ، أن تكون حياته حياة كفاح وصراع ، يصارع الأحداث وهي تصارعه ،
فأحيانا يصارعها وأحيانا تصرعه ، كان ذلك في قضاء الله قدرا مقدورا ، وسبق كذلك
حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

الموهبة الرابعة : أنه تعالى أودع في فطرته وطبيعته ، شعورا وجدانيا بقوة غيبية
قاهرة ، خلقت هذه العوالم السكونية على اختلاف أنواعها ومظاهرها ، ووضعت لها
هذا النظام البديع المحكم ، ويسرت لها وسائل الحياة والبقاء ، ويتجلى هذا الشعور الفطري
فيه بأجل مظاهره ، في مواقف الشدائد التي لا يستطيع لها دفعا ، عند ما يجد نفسه
متجها بأحاسيسه ومشاعره ، إلى صاحب هذه القوة الغيبية القاهرة ، يطلب منه الهداية
فيما لا يهتدى إليه عقله وفكره ، ويستمد منه المعونة فيما تهيج عنه حيلته وقدرته ، كما

يشير إلى ذلك قول الله عز وجل في سورة فصلت : « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر فذودعاء عريض ، ٤١ : ٥١ » وفي سورة النحل : « وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم إذا مسكم الضر فآليه تجأرون ، ١٦ : ٥٣ » وفي سورة الروم : « وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ، ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ، ٣٠ : ٣٣ » . فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما في معناها ، تدل دلالة لا لبس فيها ولا خفاء ، على أن الشعور بالقوة الغيبية القاهرة ، غريزة كامنة في أعماق النفوس ، وطبيعة منبثة في حنايا الضلوع ، وأن الناس وإن ضلوا عن طريق الحق ، واتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ويتقربون إليها ، إلا أنهم إذا أحاطت بهم الشدائد ، وتقطعت بهم الأسباب ، وضائق عليه مسالك النجاة ، فانهم يلجأون بفطرتهم ووجداناتهم ، ويتجهون بأحاسيسهم ومشاعرهم ، ويجأرون بالدعاء والاستعانة ، إلى الله ذي القوة القاهرة ، لا إلى آلهتهم ومعبوداتهم .

ومن هنا يتبين لنا في وضوح وجلاء ، أن الاعتراف بخالق الكون أمر مركوز في الفطرة ، مهما ضلت العقول والبصائر ، وغلبت الأهواء والشهوات ، ومما يزيد هذه الحقيقة وضوحا وجلاء ، أن المشركين وهم عبدة الأصنام والأوثان ، كانوا يعترفون لله بالخالقية مع شركهم في العبودية كما قال تعالى في سورة الزحرف : « ولئن سألتهم من خلقهم ، ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ، ٤٣ : ٨٧ » . أى فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ، وفي سورة العنكبوت : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ، ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ، ٢٩ : ٦١ » . وكانوا يقولون في شأن أوليائهم ومعبوداتهم ، ما حكاه القرآن عنهم في سورة الزمر : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، ٣٩ : ٣ » .

وهذا الشعور الغريزي الذى تحدثنا عنه ، هو الدين الفطرى الذى قامت عليه تعاليم الدين التشريعى ، الذى بعث الله به النبيين والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

الموهبة الخامسة : أنه تعالى أودع في فطرته وطبيعته ، إحساسا وجدانيا بالنقص والكمال ، والفجور والتقوى ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل في سورة الشمس : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، ٩١ : ٧ - ٨ » .

وبهذه الموهبة الفطرية الإلهية ، قام للإنسان بجانب هداية العقل والحواس ، رقيب

لا يغفل عن مراقبته ، وحسب لا يهمل في محاسبته ، يراقبه في سره وجهره ، وفي همه وعزمه ، فإن وجد فيما هم به صلاحا وخيرا ، حبيب إليه المضي في إمضائه وإنفاذه ، وإن وجد فيه فسادا وشرا ، كره إليه الإقدام على فعله ، وبالغ في تحذيره من سوء عاقبته ، ثم هو مع ذلك يحاسبه على كوامن أسرارهِ وظواهر أعمالهِ ، فإن رأى في سلوكه استقامة على الطريقة المثلى ، تتمثل في سلامة المصدر من الأحقاد والأضغان ، وعفة اللسان عن الفحش والسباب ، والسموّ بالأدب النفسى عن سفاسف الأخلاق وذميمة الأفعال ، والترفع بالأقوال والأعمال عن مظاهر الرياء والنفاق ، والإحسان في المعاملة والمعاشرة والجوار ، والحرص على أداء الواجبات والحقوق ، والوفاء بالتزامات العقود والعهود ، نفث في روعه وحيا خفيا ، يملأ جوانب نفسه بالراحة والطمأنينة ، ويفتح له آفاق الحياة الطيبة الكريمة ، وإن رأى في سلوكه انحرافا عن الطريق المستقيم ، تتمثل مظاهره في انطواء القلب على الحقد والحسد ، وخبث الطوية وسوء النية ، والتواء اللسان في القول والمنطق ، وولعه بنهش الأعراض وخدش الكرامات ، وإفساد روابط الجوار والصلات ، والتحلل من قوانين الأخلاق والفضائل ، والغش في التعاقد والتعامل ، والتدليس في الدين والتدين ، والنفاق في القول والعمل ، والتفريط في الحقوق والواجبات ، والميل مع الأهواء والشهوات ، أنحى عليه باللامّة ، وصب عليه جام غضبه ، وقسا عليه في التقريع والتأنيب ، ونقص عليه العيش وكدر صفو الحياة ، وجعل الدنيا في وجهه أضيق من سم الخياط ، لأنه أطاع الهوى والشيطان ، وخالف وحى الفطرة والوجدان .

فهل شافك أيها القارئ الكريم ، أن تعرف هذا الرقيب العتيد والناقد البصير ؟ إنه هو السر الإلهى الذى تعارف الناس على تسميته بالضمير .

بيد أن هذا الضمير وإن كان غريرة في أصل الفطرة الإنسانية ، إلا أنه يختلف في الأفراد والجماعات قوة وضعفا ، تبعا لاختلاف ما يعرض له من العوامل التى تتيه أو تضيعفه ، فقد يعرض له من صلاح البيئة وكمال التربية ، ما يبلغ به من القوة والسيطرة على صاحبه إلى حدّ النخرج عن الإقدام على أى قول أو عمل ، يكون فيه خدش للكرامة والشرف ، أو انتقاص للعزة النفسية والخلق الكريم ، فإذا ما زلت بصاحبه القدم ، أو نباهه اللسان ، أخذ منه الندم كل مأخذ ، وذهبت به الملامة كل مذهب ،

وأولئك هم أصحاب الضمائر الحية ، الذين بهم تستقيم الأمور ، وبهم تجتمع القلوب على الألفة والمحبة ، وبهم تسعد الشعوب وتسود الأمم ، وقد يعرض له من فساد البيئة وسوء التربية ، ما يبالغ به من الضعف وفقدان السيطرة على صاحبه ، إلى حد عدم الإحساس بالعزة والكرامة ، والقيم الخلقية والآداب النفسية ، فلا يتأثم صاحبه من ارتكاب المآثم والجرائم ، والخروج على قوانين الأخلاق وآداب السلوك ، ولا يرى في ذلك سقوطاً يوجب له المهانة والاحتقار ، ويسجل عليه العار والشنار ، وأولئك هم الذين ماتت ضمائرهم ، وفست فطرهم ، وذهبت أصول الخير من نفوسهم ، وأولئك هم آفة المجتمع في كل زمان ومكان .

هذه هي أصول المقومات التي قامت عليها فطرة الإنسان ، والتي جعلته مستعداً لخلافة الأرض وعمارتها ، وبهذه الفطرة الجامعة بين الروح وأسرارها ، والمادة وخواصها ولوازمها ، اشتملت طبيعة الإنسان على عنصرين متباينين في الماهية والخواص : أحدهما عنصر مادي ، يخضع لقوانين المادة وخواصها ، وثانيهما عنصر روحى ، يسمو بروحانيته فوق قوانين المادة ونواميسها ، ومن هنا نشأت معركة الصراع بين الروح والمادة ، وتجلت مشاهدتها في سير الإنسان وسلوكه ، فقد قامت بين العنصرين حرب لا تضع أوزارها ، وملحمة لا ينتهى صراعها ، كل يريد أن يجتذب الإنسان في حياته وسلوكه ، إلى مقتضياته ومطالبه ، فالعنصر المادى يريد أن ينزل به إلى حضيض المادية ونقائصها ، والعنصر الروحى ، يريد أن يرتفع به إلى أفق الروحانية وكمالاتها ، غير أن الله جلت قدرته وعظمت حكمته ، لم يتركه أمام هذا الصراع العنيف بدون مدد غيبى ، به يكون انتصار أحد العنصرين على الآخر ، بل فتح له باب الإمداد الغيبى الإلهى ، وأجراه على سنة حكيمة عادلة ، تقوم على مقتضى توجيه الإنسان لميوله وغرائزه وهذه السنة الإلهية هي أن « الإمداد على قدر الاستعداد » .

وتوضيح هذه السنة وتأويلها : هو إن الإنسان إذا ما أعد نفسه لمدد الإضلال والخذلان ، بأن وجه ميوله وغرائزه إلى مسالك الشر والفساد وآثر داعى الهوى والشيطان على وحي الفطرة والوجدان ، أمده الله بمدد الإضلال والخذلان ، وإذا ما أعد نفسه لمدد الهداية والتوفيق ، بأن وجه أمياله وغرائزه ، إلى طريق الخير والرشاد ، وآثر هداية الوجدان والفطرة ، على طغيان الهوى والشهوة ، أمده الله بمدد الهداية والتوفيق ، والمعونة والتأييد .

وبهذا المدد الإلهي الغيبي ، يكون الغلب لأحد العنصرين على الآخر ، ويتقرر مصير المعركة القائمة بين الروح والمادة ، وقد قرر القرآن هذه السنة في مواطن كثيرة ، كما ترى ذلك في الآيات الآتية : « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ، ٨ : ٢٣ » ، « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ٢ : ١٠ » ، « ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، ٢ : ١٥ » ، « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، ٦١ : ٥ » ، « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، ٤٣ : ٣٦ » ، « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ، ٤٧ : ١٧ » ، « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى ، ٩٢ : ٥ - ١٠ » .

فهذه الآيات القرآنية وغيرها ، جاء فيها ترتيب الإمداد الإلهي بالهداية أو الإضلال على مقتضى ما يكون من اتجاهات الإنسان بأماله ونياته ، إلى طريق الخير والكمال ، أو مسالك الشر والفساد ، وهي صريحة في تقرير هذه السنة الإلهية الحكيمة ، وهي سنة الإمداد على قدر الاستعداد .

أما الحقائق التي تستخلص من هذه الفطرة الإنسانية ، والتي توضح صلتها بالدين والتدين ، فهي موضوع الحديث التالي إن شاء الله ما

يسى سويلم طه
المفتش بالأزهر

الاتحاد المصري السورى

في الخطاب الذى افتتح به الرئيس جمال عبد الناصر مجلس الأمة إشارة للعلاقات بين مصر وسوريا ، وتحية كريمة للجارة الشقيقة التى وقفت مع مصر فى أحلك الأوقات ، وناصرت قضية التحرير العربى أقوى ما تكون المناصرة ، وتحملت - وهى الدولة الصغيرة العربية - كل تضحية فى سبيل تحقيق الخير العربى المشترك ، وإشارة أيضا إلى الاتحاد بين البلدين والرغبة الشاملة فى إنحراجه إلى حيز التنفيذ .

حصوننا مهددة من داخلها

- ١ -

يظن بعض الناس أن الدول القوية هي التي تملك عددا ضخما من عدد القتال وآلاته ، وتنتج مقادير هائلة من الصناعات التي تغمر أسواق العالم ، وحقيقة الأمر أن هذه الدول لا تتاح لها القوة حتى يكون من وراء كل هذه العدة الهائلة وذلك الإنتاج الضخم خلق متين يجمع أهلها ويشد بعضهم إلى بعض ، ويعطف كل واحد منهم على أخيه ، ويمنع عناصر الفساد وأسباب الفرقة والخلاف أن تتسرب إلى صفوفهم وتنتحر عظامهم . إن الدول لا تسود ولا تعلو بالحديد والنار ولا بالمال ، ولكنها تسود وتعلو بالخلق المتماصك ، وأعلى مصادر الخلق المتماصك وأعمقها جذورا وأدومها أثرا هو الدين . فهو الذي يجمع الناس على التواد والتراحم ، ويقيهم ما طبعت عليه النفس البشرية من الشح ، ويكف بعضهم عن بعض ، وهذه هي دول الغرب ، يستطيع كل ذى بصر أن يرى - كما رأى المؤرخ الإنجليزي توينبي من قبل ، منذ الحرب العالمية الأولى - مظاهر تدهورها وانحلالها وهي في كامل مجدها الصناعي والآلى ، لم يعوزها المال ولم تنقصها الآلات ولا المعارف الفنية ولا العلوم العقلية ، ولكن أعوزها الخلق والدين ، فسرى الفساد في جسدها ودب الخلاف في صفوفها . إن مظهر هذه الدول الضخم قد يخدع كثيرا من الناس فيظنون أن نهايتها بعيدة ، والحقيقة أن الدول الكبيرة لا تضمحل ولا تذوى ولا تنكش ، ولكنها تنهار كما ينهار عمود الخشب الضخم الذي نخر السوس لبه . كذلك انتهت كل الدول الكبيرة من قبل ، في أثينا وفي روما وفي بغداد وفي الأندلس وفي الأستانة . انتهت حين كانت ضخامتها ومظاهر الترف فيها تخدع الناظر عن السوس الذي ينخر عظامها .

وما ينبغي لنا أن نغفل عن هذا الدرس المسائل أمام أعيننا إن غفلنا عما حفظه التاريخ من دروس ومن عظات . يجب أن نعرف معرفة اليقين أن التقدم الصناعي لا يغنى هنا شيء إذا دب فيها ديب الخلاف ، فتفرقت بنا السبل وتوزعتنا الأهواء والآراء ، ومن قتنا الدعوات المتنافرة التي ينقض بعضها بعضا . والدين واللغة هما أهم دواعي الألفة

والتماسك في كل مجتمع إنساني . فالدين هو الذى يوحد العادات والأمرجة ، فيجتمع الناس فيما يحبون وفيما يكرهون ، وفيما يألّفون وفيما يعافون ، وفيما يستحسنونه وفيما ينفرون منه ، على ألوان معينة من غذاء الأبدان والنفوس . واللغة هى الوعاء الذى يشتمل على ذلك كله ، وهى أداة التفاهم التى لا يتم بدونها تواصل . ثم لأنها بعد ذلك تجمع أمرجة الناس وأذواقهم على ألوان معينة من الأساليب البيانية فى الجمال الفنى . لذلك كانت المعاهد والمؤسسات التى تقوم على صيانة الدين واللغة هى بمثابة الحصون والمعقل التى تسهر على حمايتنا وسلامتنا ، وكانت العناية بأمرها خليفة أن تنال من اهتمامنا مثلما تناله العناية بإعداد العدة الحربية والصناعية بل أشد . وشئ ما يطرأ على هذه المعقل من الوهن أن تؤتى من بعض الذين قد وكل إليهم حمايتها والدفاع عنها حين يخونون الأمانة ، فيسلبون متلصحين إلى الأبواب يفتحونها للأعداء المهاجمين بلبل ، والحماة الساهرون فى غفلة لا يشعرون . من أجل ذلك سوف أتناول فى هذه السلسلة بعض معقل الدين واللغة ، منها إلى ما طرأ عليها من انحراف بعض حراسها .

ولا شك أن وزارات التربية والتعليم هى أهم هذه المعقل والحصون الساهرة على أمن الشعوب وكيانها ، لأنها هى المؤتمنة على أمن ما تملكه الأمة من كنوز ، وهى الثروة البشرية بما تنطوى عليه من قوى مادية ومن ممتلكات عقلية وخلقية ، ممثلة فى رجال الغد الذين تشرف على تربيتهم ، وهى ثروة تنضال إلى جانبها كل كنوز الأرض لأن كنوز الأرض لا تساوى شيئاً بدونها . فالعقل هو الذى يستخرجها من مكانها ويحيلها من مادة صماء جامدة إلى قوة حية منتجة ، والخلق الدينى هو الذى يدفع الناس إلى أعمال هذا العقل وإلى بذل الجهد فيما وكل إليهم من أمور ، أداء للأمانة ، وابتغاء للعزة والسيادة وإعلاء الحق .

وقد أصبحت مطاعم أمريكا فى هذه المنطقة وعداوتها لهما الذين يتصدون لحراسها ويزعمون نهضتها مشهورة لا تخفى ولا تحتاج إلى تنبيه . فإتصال القائمين على شئون التربية والتعليم فى هذه الأمة العربية بالمؤسسات الأمريكية ، والتعاون معها فى ترويج مبادئ وأساليب يقال إن المقصود بها هو رفع مستوى التعليم وإصلاح شئون الجيل الجديد ، أمر لا يصدق العقل ولا يتفق مع ما يبذلون من محاولات ظاهرة وخفية لابتلاع هذه الأمة والكيدها . فالذين يشتركون فى المؤتمرات الأمريكية ، والذين يتعاونون مع دور النشر الأمريكية ، وكلها يمول من مصادر مريبة ، يستخرون من عقولنا ، ويخادعون أنفسهم إن زعموا أنهم يخدمون أممهم بالاشتراك فى هذه المؤسسات ، لأن الأموال

الأمريكية التي تنفق بسخاء يبلغ حد السقف على هذه المؤتمرات وعلى هذه الدور لا يمكن أن تستهدف خير هذه الأمة ونفع أهلها .

وقد وقع بين يدي في هذه الأيام كتاب أصدرته الجامعة الأمريكية ببيروت في العام الماضي (يوليو ١٩٥٦) ، يحتوي على محاضرات في نظم التربية ، هي سجل لما دار في مؤتمر دعت إليه هذه الجامعة ، واشترك فيه جماعة من كبار المسؤولين عن التربية في مصر وفي سوريا والعراق والأردن ولبنان . وقد مثلت ثلاثة من هذه البلاد في ذلك المؤتمر الأمريكي بثلاثة وزراء سابقين للتربية والتعليم . فمثلت مصر بإسماعيل القباني ، ومثالت العراق بعبد الحميد كاظم ، ومثلت الأردن بأحمد طوقان ، والأخيران من تلاميذ الجامعة الأمريكية الداعية لعقد هذا المؤتمر ، وقد كان العضو الأردني يشغل عند عقد هذا المؤتمر منصب مستشار لشؤون اللاجئين الفلسطينيين في منظمة الإغاثة الدولية . أما البلدان الباقيان - سوريا ولبنان - فقد مثلهما رجلان من كبار المسؤولين عن التعليم وهما جميل صليبا عميد كلية التربية في الجامعة السورية ، ونجيب صدقة المدير العام لوزارة التربية الوطنية والفنون في لبنان . وقد اشترك مع إسماعيل القباني في هذا المؤتمر عضو مصري آخر هو حامد عمار الأستاذ في معهد التربية العالي بجامعة عين شمس ورئيس قسم التدريب في المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي بمرس اللبان .

وهذا المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي لا عمل له إلا (سلخ) الريف العربي من دينه وخلقه وعروبته ، و (طبعه) بالطابع الأمريكي . وهو يتولى هذه المهمة إتماماً لما بذله الغرب من جهود في فرنجة هذه المنطقة ، بعد أن تبين المستشرقون الذين يبحثون في شؤون هذا الشرق الإسلامي والعربي أن تأثير الفرنجة أو ما يسمونه Westernisation لم يتجاوز المدن ، لأن كل الوسائل والأساليب التي يستخدمها الغربيون في هذا الصدد من صحافة ودعاية ومؤسسات علمية أو اجتماعية وسينما وشراء للأقلام وللذمم وللرجال إلى آخر ما هنا لك ، كل ذلك لا يصل إلى الريف ، ولا يتجاوز حدود المدن . فما الذي صنعتته أمريكا لتتلافى هذا النقص ، والاحتياال لدخول الريف الذي عجز التبشير وعجزت الأساليب الاستعمارية العتيقة عن اقتحامه إلى ما قبل الحرب العالمية الأخيرة ؟ اخترعت أمريكا تحت ستار (الدولية) وعن طريق (الأمم المتحدة) شيئاً اسمه « التربية الأساسية » . وما هي التربية الأساسية ؟ يقول الدكتور حامد عمار في بحثه الذي ألقاه في هذا المؤتمر الأمريكي : « التربية الأساسية منهج من مناهج الإصلاح

الاجتماعى لرفع مستوى المعيشة يؤكد قيمة العملية التربوية و (تغيير الأفكار والنزعات) إلى جانب تغيير الأوضاع المادية - ص ٩٢ محاضرات فى نظم التربية « . ويقول فى موضع آخر : « تسعى التربية الأساسية إلى محاولة تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات ، كما تسعى إلى تغيير فى الأوضاع المادية فى الدائرة التى تلتزمها ، ويؤمن دعاة التربية الأساسية أن كل عمل أو مشروع مادى لابد أن يسبقه ويصاحبه ويتبعه تغيير فى تفكير الناس ، وفى الاتجاهات الفكرية والنفسية ، حتى يمكن أن يكون العمل منتجا لإنتاجا كاملا - ص ٨٥ » .

وواضح أن (تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات) الذى أشار إليه الباحث يقوم على أسس غربية خالصة ، تروج باسم العلم - علم مزرعوم لا يستقر له قرار ولا يقطع فى ظاهرة برأى يتفق عليه أصحاب الراى ، يسمونه « علم النفس » - وواضح أيضا أن هذا (التغيير) - تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات - لا يبالى أن يخالف الإسلام وتعاليمه فى الريف المسلم ، لأن القائم على هذا (التغيير) ليس هو مشيخة الأزهر ، ولكن القائم عليه هم مجموعة من (الخوارج) يخففون خالف الشيوخ العربىة التى تبدو للناس وكأنها تتحرك بأرادتها ، وواقع الأمر أن لا إرادة لها ، وأنها تسير فى خطوط مرسومة ، وحسب خطط مدبرة قدرها ناس أقل ما يوصفون به أنهم لا يبالون بالإسلام وتعاليمه إن لم يكونوا معادين لها يعملون على محوها واستئصالها من نفوس الناس ، ولهم فى ذلك أساليب خبيثة يتسللون عن طريقها إلى قلوب أهل الريف السذج الغافلين . وسوف لا أصف لك أنا هذه الأساليب ، ولكنى سأدع العضو المصرى المحترم فى هذا المؤتمر الأمريكى يقدم لك صورا منها بألفاظه كما جاءت فى الكتاب الذى بين يدى .

فأول مراحل العمل فى الريف هى « مرحلة التعرف » ، (وهدفها أن يحس العامل الاجتماعى طريقه فى القرية بصورة عامة وأن يألفه الناس ويألفهم ... ومن المستحسن أن تكون هذه المرحلة من العمل مرحلة فيها شىء من الاسترخاء وأخذ الأمور بماخذ غير محدد ، إذ أن هذا الهدوء والاسترخاء ضروريان لتأسيس العلاقات الاجتماعية وتمهيتها وبخاصة إذا تذكرنا أن الفلاح سريعا ما تأخذ الريبة ويتولاه الشك إذا تبين إلحاحا من غريب عليه فى أمر من الأمور ... ثم إنه لا بد من التعرف على قادة القرية الطبيعيين الذين يعتبرون عناصر فعالة فى تكوين الراى العام والتأثير فيه ... وليس من المهم أن يكون

هؤلاء القادة من النوع الذى يرغب فيه المصلح ، لكنه لا بد من الاعتراف بهم و (استغلالهم) .

وإذا كان التعرف يتطلب الانصال والزيارة ومبادلة الحديث فان هذا شرط لازم ، وليس بكاف فى كثير من الأحيان ، وربما كان القيام بعمل إنشائى سريع من أنجع الوسائل لكسب الثقة وتأسيس علاقة طيبة مع الأهاليين ... وقد تبين بالتجربة أن دق طلمية مياه بالقرية ، أو إصلاح خزان المياه بالجامع ، أو مقاومة الآفات الحشرية فى الزراعة ، كان من أقوى العوامل التى وثقت الصلة بين أهل القرية وبين المشرفين على مختلف جوانب الخدمة الاجتماعية فيها . وأذكر أن زجاجات قطرة العيون كانت من أهم الوسائل التى اكتسبت بها آنسات المركز الدولى للتربية الأساسية ثقة نساء القرية [١] .

ص ٩٨ إلى ١٠٠) .

ويتكلم الدكتور حامد عمار بعد ذلك عن المرحلة الثانية وهى « مرحلة الدراسة والبحث » التى « يقوم فيها المشتغل بميدان التربية الأساسية أو الخدمة الاجتماعية بجمع المعلومات والبيانات اللازمة جمعا منظما بحيث تكون معرفته لظروف القرية معرفة لا تقوم على مجرد الإحساس ، بل على الاستقصاء للحقائق وتنظيمها ، حتى يستعين بها فى رسم خطته وتنفيذ برامجه . . . ومن البحوث المفيدة أيضا تشكيل مختلف العادات والطقوس التقليدية التى تشكل حياة الريفيين وتعالج كثيرا من نواحي نشاطهم . . . ومن الأمور العملية المفيدة فى هذه البحوث الكيفية الاحتفاظ بمذكرات أو يوميات يسجل فيها الباحث ملاحظاته ومجريات الحوادث وظروف العمل أثناء إقامته فى الريف ، ولا شك أن مثل هذه المذكرات هى المادة الخام التى تستطيع أن تعتمد عليها فى فهم ظروف الحياة الريفية فهما دينا ميكيا يتميز ببنى الواقع وتفاصيل الحياة اليومية » (ص ١٠٠ إلى ١٠١)

من الذى يشرف على إدارة هذا الجهاز ، وعلى جمع كل هذه المعلومات والدقائق ؟ هيئة أجنبية ، وليكن اسمها ما يكون . لتكن هى « التربية الأساسية » أو « النقطة الرابعة » أو ما شئت من هذه العناوين المختلفة . هل هناك وسيلة للجاسوسية أضمن وأرخص وأمن

[١] ألا ترى وجه الشبه بين أساليب آنسات للمركز الدولى وبين أساليب للبشرين ؟ !

من هذه ؟ تجمع الهيئة وسماسرتها ، الخبيث منهم والمغفل ، ماشاءت من المعلومات في هدوء واطمئنان ، دون أن يثير عملها ريبة أحد . بل إنها تالق المساعدة السكاملة من الجهاز الحكومى ، وتيسر لها سبل توثيق الصلات بالناس ، وتترك لها الفرص لتعمل في بطء وفي مهل وفي غير عجلة . فهم جواسيس في ثياب أطباء ، يؤتمنون على كل أسرار المريض الذى لا يخفى منها شيئاً طلباً للشفاء ، فإذا هذه الأسرار تستغل في الغدر به ، وإذا هى تدرس لاختيار أفعال الوسائل لقتله وأمثل السبل لامتنصاص ما بقى في عروقه من دم .

أتريد بعد ذلك أن أحدثك عن هدف آخر مهم من أهداف هذه المؤسسات الأجنبية المريبة ؟ إن هذه المؤسسات تريد إفساد المرأة الريفية وفرنجتها . إنها تقوم باستئصال (حياء) المرأة الريفية المسلمة في النهار المبصر ، وعلى مسمع من كل ذى أذنين . هل تريد دليلاً على ذلك ؟ إذن فاقراً ببحث الدكتور هارولد ألن مدير التربية بمؤسسة الشرق الأولى الذى ألقاه في مؤتمر أمريكي آخر تحدث عنه من قبل وهو مؤتمر (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة (١)) ، وقد تولت نشره مؤسسة فوانكين الأمريكية . راجع في هذا الكتاب مقال الدكتور ألن عن (العامل الريفى في الحضارة الإسلامية - ص ٢٦١ إلى ٢٨٨) . وسوف تبين بعد قراءته أن الأساليب التى وصفها هذا الأمريكى مما اتبع في سوريا هى الأساليب نفسها التى وصفها الدكتور حامد عمار مما اتبع في مصر . وهذا الأسلوب الواحد الذى يذكرنا بأساليب الجواسيس والمبشرين يؤكد ما أسلفناه من أن هذه الشخصيات التى تبدو للناظر وكأنها تتحرك بارادتها لا تتحرك إلا حسب خطة واحدة قدرها الذين فضلوها أن يجذبوا الخيوط من خلف ستار . ولتقف قليلاً عند صفحتى ٢٦٧ ، ٢٦٨ من هذا المقال ؛ حيث يقدم الكاتب صورة من بعوث أمريكا - أو البعوث الدولية إن شئت - التى تتغلغل إلى صميم البيئات الإسلامية فى الريف باسم الخدمات الاقتصادية أو الخدمات الفنية ، وسوف تدرك بسهولة أن الهدف الكبير لهذه المؤسسات - إلى جانب ما تنفع به من معلومات تفيد الحاسوسية السياسية والحربية - هو (أمركة الريف) ، والاهتمام فيه بالمرأة خاصة وبتوجيه الحركة النسوية . سترى فى هذا المقال أن هذه المؤسسة تختار موظفيها الذين يتعاملون مباشرة مع القرويين من الوطنيين ليكونوا أقرب إلى قلوب الناس . وسيروى لك الكاتب ما حدث فى (قبرالست) وهى إحدى قرى

[١] انظر جزءى ش-بيان ورمضان من مجلة الأزهر ص ٧٣٩ - ٧٤٥ و ٨١٥ - ٨٢٠ من

صفحتها الماضية .

سوريا . ذهب مبعوث المؤسسة الدولية - أو الأمريكية إن شئت - وهو شاب عربي اسمه « فؤاد فرج » إلى القرية ليعيش فيها ، واستطاع أن يقيم في حجرة من الحجرات المخصصة لإقامة زوار ضريح الست (والمقصود بها هي السيدة زينب رضى الله عنها حفيدة النبي صلى الله عليه وسلم) ، وأخذ يتلمس طريقة لممارسة نشاطه بعد أن وثق به أهل المنطقة واطمأنوا إليه ، فنجح في إدخال بعض التحسينات الزراعية ، وقدم ألوانا مختلفة من الخدمات الصحية بمعاونة السكان وتنظيمهم . رش المدينة كلها بمسحوق د . د . ت للقضاء على الذباب والبعوض ، وجفف الشوارع ، وأنشأ ناديا للشبان ، كما أنشأ دراسات مسائية في القراءة والكتابة للبالغين من الأميين ، وكون جمعية تعاونية وبعد أن سرد الدكتور هارولد ألن ضروب النشاط التي قامت بها هذه المؤسسة الأجنبية ختم وصفه لهذه التجربة بالسطور التالية ، التي تدل على الهدف الحقيقي لهذه البعثات . قال : « وفي السنة الماضية بدأ الرجال الذين يعيشون في محيط هذا الرائد - بعد أن تحسن اقتصادهم وصحتهم تحسنا كبيرا نتيجة لجهودهم العلمية - يفكرون في حاجات نساءهم ، وهذا هو ما ظل فؤاد فرج ينتظره زمانا . وقد أحيل الاقتراح إلى قسم رعاية المنزل بالمؤسسة المسؤولة عن هذا العمل . فأعد برنامجا للنساء والأطفال يدار من مكاتب قدمتها القرية بلا إيجار [١] » . ثم يعقب على ذلك بقوله : « إن المشروع الذي وصفناه هو جزء من تجربة تشمل اثنتين وستين قرية ، يبلغ مجموع سكانها مئة وعشرين ألفا . وهو مثال لعشرات غيره من الجهود الفعالة المماثلة التي يمكن القيام بها - ص ٢٦٨ » .

[١] من القواعد الأساسية في مؤسسة [التربية الأساسية] حسب ما جاء في ص ٨٨ من الكتاب القى تتكلم عنه في هذا المجال « محاضرات في نظم التربية » . [مساهمة الناس بالجهد أو بالمال أو في الفكرة أو في التنفيذ في أى عمل من الأعمال . ولا شك أن هذا يدعوهم إلى الشعور بأن هذا العمل أو المشروع جزء منهم وأنهم أصحاب حق فيه . وهو ما يحفزهم إلى رعايته واستغلاله والاهتمام به] . وبذكرا هذا الأسلوب بأسلوب الجاسوس الإنجليزي المشهور لورانس حيث يصفه في كتابه « أعمدة الحبكة السبعة » فيقول إنه كان يعيش بين العرب كأنه واحد منهم . ولم يزل يعم في تقليدهم حتى أحسوا أنه واحد منهم . وعند ذلك وجدوا أنفسهم منساقين إلى مجاهلته وتقليده . فهو لم يفعل - كما يقول - شيئا بنفسه . وليس هناك عمل يمكن أن ينسب صراحة إليه ، إلا أن يكون من تأثيره في أفكار غيره وتحويلها إلى أغراضه . على أن العرب - كما يقول - كانوا يبدون في كل تصرفاتهم أحرارا يتأثرون بالقوة الصامتة إيجابا وسلبا - كما يحلو لهم [ص ٢٩ من النسخة الانجليزية طبعة اكسفورد سنة ١٩٤٣] .

والآن بعد أن طال الحديث عن المركز الدولي للتربية الأساسية أنتقل إلى مقالات الأعضاء الذين تحدثوا عن شؤون التربية والتعليم في البلاد العربية ، وهى الأساس في عقد هذا المؤتمر . والهدف من هذه البحوث التى دعى أصحابها لإلقائها لا يخرج عن الهدفين السابقين اللذين أشرت إليهما من قبل : الحاسوسية ، والسيطرة على توجيه المجتمع . ففى مثل هذه المؤتمرات يتيسر استقاء معلومات دقيقة من مصادر موثوق بها ، كما يمكن معرفة الاتجاهات الفكرية لقادة الرأى والمسؤولين فى هذه البلاد . وهذه المؤتمرات - مثل المؤسسات الأمريكية والدولية التى أشرت إليها من قبل - هى أضمن الوسائل وأرخصها وأوثقها لجمع المعلومات الصحيحة الدقيقة التى تستخدم الذين يرسمون الخطط السياسية والحربية لهذه المنطقة . ثم إن هذه المؤتمرات هى - من ناحية أخرى - وسيلة للاتصال القريب المباشر بالمسؤولين ، يعجمون عودهم ، ويدرسونهم عن قرب ، ويختبرون مدى مناعتهم ومدى استعدادهم للتجاوب مع الأهداف الخفية للسياسة الاستعمارية ، كما يختبرون مواطن القوة ومواطن الضعف فى كل واحد منهم لمعرفة أنجح الوسائل للاتصال بهم والتأثير عليهم . هذا إلى أن الكلام الذى يلقى فى مثل هذه المؤتمرات - وهو مجامل لاشك لوجهة نظر الداعى إلى المؤتمر - لا بد أن يلقى صدى فى نفوس كثير من هؤلاء المسؤولين من المدعويين .

أما خدمة هذا المؤتمر لأغراض الحاسوسية الأمريكية التى ترسم الخطط السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه المنطقة ، فهى واضحة فى كلمة الدكتور عبد الحميد كاظم وزير معارف العراق السابق ، التى ألقاها فى هذا المؤتمر ، حيث أشار إلى ما طلب منه إعدادة حين وجهت إليه الدعوة ، فقال : « إن خطاب الزميل الدكتور حبيب كوراني يشير إلى الرغبة فى أن أتكلم عن تطور التربية فى المملكة العراقية خلال السنوات العشر الأخيرة [١] ، مشيراً إلى أهم الاتجاهات الحديثة من حيث : التنظيم ، والمنهج ، وإعداد

[١] السنوات العشر الاخيرة هى السنوات التى تبدأ بانتهاء الحرب العالمية الثانية . وهى الفترة التى اقامت بقدخل أمريكا فى شؤون هذه المنطقة . فأصحاب هذا المؤتمر يريدون الاطمئنان على مدى نجاح خططهم فى خلال هذه السنوات العشر . والواقع أن أمريكا قد حققت بدولاراتها خلال هذه المدة ما لم تستطع الدبلوماسية الانجليزية والدبلوماسية الفرنسية ومؤامرات التبشير الظاهرة والخفية بمجموعة أن تحققة فى قرن كامل .

المدرسين ، والتفتيش ، والامتحان ، وكذلك المشكلات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، التي تواجه التعليم في العراق ، مع بعض الحلول التي اتخذت أو يجب أن تتخذ لمعالجتها ، على أن تأتي هذه في محاضرتين . هذا هو المطلوب مني حسبما جاء في الدعوة الموجهة إلى « - (ص ١٧٧ إلى ١٧٨) .

والذي يراجع ما ألقى في هذا المؤتمر من بحوث يتبين دقة المدعوين في التزام الوفاء بما طلب إليهم التحدث فيه على أكل ما يطلبه الأمر يكون ويريدونه . فبحوثهم مدعمة بجداول إحصائية لا حصر لها في كل جانب من جوانب التعليم ، مما يقدم صورة دقيقة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلادهم ، إلى جانب النظم التعليمية . والواقع أن أعضاء المؤتمر لم يقدموا هذه الجداول الإحصائية تبرعا من عند أنفسهم ، ولكنهم قدموها استجابة لطلب الذين دعوا إلى هذا المؤتمر ونظموه . فالدكتور حبيب أمين كوراني رئيس دائرة التربية في الجامعة الأمريكية ببيروت - وهو الذي وجه الدعوة لهذا المؤتمر - يقول في تقديم الكتاب الذي ضم ما ألقى فيه من بحوث : « ... فدعونا لذلك نخبة من قادة الفكر وكبار رجال التربية في مختلف الأقطار العربية للمساهمة في هذه الدراسة ، وذلك بتقديم محاضرات تتناول أهم الأبحاث الحديثة في التربية في أقطارهم من حيث الأسس الفلسفية والاجتماعية والنفسية التي ترتكز عليها التربية ، ومن حيث التنظيم والمنهج وإعداد المعلمين والتفتيش والامتحان بالاستناد إلى بعض الإحصائيات التربوية الهامة ويتناول أيضا عرض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تواجه التعليم ، مع بعض الحلول التي اتخذت والتي يجب أن تتخذ » .

أما الهدف التوجيهي من هذا المؤتمر فهو واضح في هذه المقدمة أيضا وفي سائر البحوث . يقول رئيس دائرة التربية في الجامعة الأمريكية ببيروت في مقدمته « لقد بدأ قادة التربية في البلدان العربية يتحسسون بالحاجة إلى تربية فعالة كوسيلة لمعالجة الوضع الخطير الذي أحدثته عوامل التطور في هذه البلدان » . ثم يقول بعد أن يعرض هذه العوامل باختصار : « فنتج عن هذه تبديلات عديدة هي تبديلات جوهرية لا يمكن أن تحدث في مجتمع ما دون أن تحدث فيه تضاربا بالأفكار والمثل والقيم ، ودون أن تتطلب تعديلا في مفاهيم ذلك المجتمع وآرائه ومعتقداته وطرق تنظيم معيشتة . لذلك نجد أنفسنا في هذا الوضع مرغمين على إعادة النظر في مؤسساتنا التي تكونت ضمن الوضع القديم ، وفي المبادئ

والافتراضات والأهداف التي بنيت عليها تلك المؤسسات وتعديلها على نور الوضع العلمي والحضارى الحديث ، والوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى القائم فى مختلف مجتمعاتنا ، كى نتمكن من إعادة بناء حياتنا على أساس مبادئ وآراء ومثل بناءة منسجمة تتماشى مع الحضارة الإنسانية الراقية (١) ، وتمكننا من المساهمة الفعلية فى تقدم ركب المدنية البشرية ورقية . »

ولست أريد بعد ذلك أن أقدم صوراً مما ألقى فى هذا المؤتمر من بحوث ، فقد يطول بى الحديث إن أخذت فيه . هذا إلى أنه حديث بغيض يملأ النفس صرارة وضيقاً بالواقع الراهن للتعليم فى هذه البلاد ، بما فيه من كلام كثير عن فضل أمريكا فى إنشاء مؤسسات التعليم المختلفة ومعاهده المتباينة فى شرق الأردن وفى لبنان خاصة ، وبما فيه من استخفاف بأدابنا وموارثنا يلبس فى أوهام المتكلمين ثوب العلم . وكأن أحلام ما يسمونه علم النفس ودعاواه المتغيرة المتناقضة التى لا تكاد تستقر قد أصبحت شيئاً مقطوعاً بصحته . فباسمه يدعو الخدوعون إلى (تحطيم) ما توارثناه فى آدابنا من توقيير الصغير للكبير ، غير مكترفين بما حاق بنظم التعليم وخلق المتعلمين من خسران بعد أن فسدت صلات التلاميذ بمدرسيهم نتيجة للتقليد الأعمى وللنقل الجهول . وباسمه يتخطون أوامر ديننا ويتجاهلون آدابه الصالحة الرشيدة حين يدعون إلى خلط الذكور بالإناث ، وإلى إخراج المرأة للأسواق وامتئانها بين الرجال ، مما يعرضها ويعرض المجتمع الإنسانى كله للفساد والانحلال ثم الانهيار ، ومما يحقق أحلام الداعين لهذا المؤتمر فى هجر تعاليم ديننا والتمرد على الصالح من تقاليدنا اقتداءً بالخلق الأمريكى المنحل ، وسيراً فى أعقاب تجارب أثبت الواقع فشلها فى حل مشاكل الناس فى مواطنها الأصيلة التى ننقل عنها ، بل لقد عقدت مشاكلهم وزادتها كما تدل عليه جداولهم الإحصائية التى أثبتت اطراد الزيادة فى النسب المئوية للانحراف وللشذوذ وللجرائم على اختلاف ألوانها ، وكما يصوره الواقع الملموس من انحلال أخلاق شبابهم ، واستهلاكهم قواهم وملكاتهم فى العكوف على الشهوات ، وضعفهم عن حمل الأمانات والنهوض بالواجبات .

لا أريد أن أخوض فى تفاصيل ما ألقاه المؤتمر فى هذا المؤتمر لأقدم صوراً دقيقة

[١] لست أدري ما هو مفهوم « الرقى » و « الحضارة الإنسانية الراقية » فى وهم صاحب هذا الكلام . هل هو كل ما جاء من الغرب المنحل وكل ما أخرجته فنون الجنون الأمريكى .

مؤلة مما ألقى فيه من بحوث ، ولكنى لا أستطيع أن أختم الكلام عنه دون الإشارة إلى أن هؤلاء المدعويين الكبار من الوزراء ومن في مستواهم قد ظلوا في ضيافة المؤتمر أربعة شهور كاملة ، بدأت بمحاضرة العضو اللبناني الأولى في نادى وست هول بالجامعة الأمريكية في ٢٦ كانون الثانى (يناير) ١٩٥٥ وانتهت بمحاضرة العضو العراقى في ٢٦ أيار (مايو) ١٩٥٥ . وسيعجب القارئ للسخاء الذى أنفقت به الأموال على هذا المؤتمر وأمثاله . ولست أدري أيزول عجبه أم يزداد حين يعلم أن مؤسسة روكفلر هى التى قامت بكل النفقات ، ولكى يطعن القارئ إلى صدق ما أقوله أنقل له السطرين الأخيرين من مقدمة حبيب كوراني رئيس دائرة التربية في الجامعة الأمريكية ببيروت حيث يقول : « إننا مدينون بالشكر أيضا إلى مؤسسة روكفلر (Rockfeller Brothers' Fund) التى قدمت جميع نفقات هذا المشروع » . ولقد كان يكفى أن أقول منذ البداية : إن الجامعة الأمريكية في بيروت هى التى دعت إلى هذا المؤتمر ، وإن جلساته عقدت في مقرها ، وإن مؤسسة روكفلر هى التى تكفلت بكل نفقاته ، لى يغتنى ذلك عن كل تفصيل .

دكتور محمد محمد حسين

الأستاذ بجامعة الإسكندرية

فى التعليم الثانوى

اتخذت وزارة التربية والتعليم المصرية أهبتها لقبول ٢٨٦٣١ طالبا وطالبة بالسنة الأولى للمدارس الثانوية هذا العام ، منهم ١٦٨٨٠ طالبا بالمدارس الأميرية للبنين ، و ٤٣٥٩ طالبة بالمدارس الأميرية للبنات ، و ٤٩٢١ طالبا بالمدارس الحرة للبنين ، و ٥٦٦ طالبة بالمدارس الحرة للبنات ، و ١٩٠٥ طالبات بالمدارس الثانوية النسوية . وذلك عدا من يقبلون بالمدارس التجريبية وكلبى البنات .

من تاريخ المسلمين في الهند :

ثورة الهند الدامية على الانجليز

سنة ١٨٥٧ م

في العاشر من شهر مايو سنة ١٩٥٧ بدأت الاحتفالات في الهند وباكستان بمناسبة مرور مائة عام على ثورة الهند سنة ١٨٥٧ م ضد الإنجليز ، تلك الثورة التي ذهب ضحيتها آلاف من الشهداء ، والتي قضى على الدولة الإسلامية بعد فشلها ، وتمكن الإنجليز من حكم البلاد ، ونفوا آخر إمبراطور مسلم في الهند بهادور شاه ظفر إلى « رانجون » عاصمة « بورما » حيث ظل في سجنه هو ومن بقي من أسرته حتى لقوا ربهم ودفنوا هناك .

وقد خطب رئيس جمهورية الهند « راجندر برشاد » كما خطب الرئيس نهرو بهذه المناسبة ولفت نظر المواطنين في الهند إلى أن الإنجليز لم يستعصموا بلادهم إلا بعد التفريق بينهم . كما أقيمت حفلات متعددة في مختلف البلاد تمجيدا لهذه الثورة وضحاياها ، وأصدرت الصحف أعدادا خاصة عن تاريخها وخصصت الإذاعة برامج متنوعة عنها .

أما باكستان فقد خصصت لهذه الذكرى المجيدة أسبوعا كاملا تعددت فيه الاجتماعات والخطب من رجال الحكومة والعلماء والمؤرخين في جميع المدن . وأرسلت وفدا إلى « رانجون » ليضع أكاليل الزهور على قبر الإمبراطور « بهادور شاه ظفر » ، وعينت صحفها عناية تامة بابرار الدور الذي قام به المسلمون ، والنصيب الأكبر الذي تحمّلوه في التضحية من أجل دينهم ووطنهم وحكمهم ، لينقذوه من براثن الإنجليز الذين دخلوا البلاد باسم التجارة ، ثم ما لبثوا أن تحكوا فيها ، وكان للإذاعة الباكستانية نصيبها الموفور كذلك في إحياء هذه الذكرى بجانب شقيقتها الصحافة .

* * *

ولقد أتيسح لى أن أطلع على هذا الجانب الهام من تاريخ المسلمين في الهند وجهادهم الدموى ضد الإنجليز بمناسبة ما أقوم به من وضع كتاب عن تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند ، وظهرت أمامي كثير من الحقائق الهامة والمواقف العظيمة التي ألقى عليها الغبار

طويلا ، وأهملت إهمالا كبيرا حتى حيل بين قراء العربية وبين الاطلاع عليها ، ولذا رأيت أن أتنهز هذه الفرصة فأكتب لمجلة الأزهر شيئا عن هذه الثورة وما سبقها من مقدمات وما لحقها من نتائج ، لعل بذلك أؤدي واجبا على نحو تاريخ المسلمين في هذه الفترة وفي هذه البلاد ، وغالب ظنى أن هذه المناسبة التي احتفلت بها الهند وباكستان صرت دون أن تلقى أية عناية من الصحف والمجلات العربية الإسلامية .

وقد وجدت نفسى مضطرا حين بدأت الكلام عن هذه الثورة إلى أن أرجع إلى الوراء قليلا لأربط النتائج بأسبابها حتى لا يكون الحديث مبتورا ، وأمر بالقارئ على المحاولات التي بذلها الغرب للتسلط على الهند وانتهت بسيطرة الإنجليز عليها وضمها نهائيا للتاج البريطانى .

* * *

منذ أن دخل محمود الغزنوى الهند فاتحا في نهاية القرن العاشر الميلادى والحكم الإسلامى قائم فيها تتوارثه دولة عن أخرى حتى انتهى سنة ١٨٥٧ م تماما ، وكانت المملكة الإسلامية تقوى حينما فيمتد نفوذها على أكثر بقاع الهند وتضعف حينما فتتكش رقعتها . وكانت دائما في صراع مع من حولها من حكام الهند وراجواتها الذين كانوا يطمعون في الاستقلال عنها أو بسط نفوذهم على أراضيتها أو تطمع هى في ضمهم إليها .

وفي الوقت الذى كان فيه الحكم الإسلامى قائما في الهند كانت هناك رءوس أخرى بعيدة عنها كل البعد تفكر في الوصول إلى هذه البلاد واستغلال خيراتها والقضاء على النفوذ الإسلامى فيها وفي البحار التي تحيط بها أو توصل إليها ، كانت هذه الرءوس في أوربا التي شغلت ولا تزال تشغل بالشرق وخيراته وكنوزه ، فأخذت تبحث عن طريق آخر إليها غير الطريق الذى يسيطر عليه المصريون ويحتكر التجارة فيه البندقيون ، وبحث أهل « جنوا » عن وسيلة تقضى على نفوذ منافسيهم البندقيين فوجدوا ضالتهم في البرتغال ، وكانت دولة تمتلئ بالحقد والتعصب على الإسلام والمسلمين وتعمل للقضاء عليهما بكل وسيلة . وكان طريق التجارة في أيدي المسلمين كما أن الهند يسيطر عليها المسلمون « فكان في طبيعة البواعث التي حرضتهم على المجيء إلى الهند الرغبة في محاربة الإسلام ، وذلك حين أصبحت في القرن الخامس عشر المدافعة عن المسيحية ضد الإسلام واجبا وطنيا وفرضا دينيا على أهل أيبيريا من البرتغاليين والأسبانيين . فالإسلام في رأيهم هو العدو الصريح الذى يجب عليهم محاربته في كل مكان ، ومن كلمات الزعيم البرتغالى « البورك » الذى وطد حكم

البرتغال في بعض موانئ الهند لرجالها حين وصل إلى ملقا قوله: « إن البرتغاليين يؤملون استنزاف قوة الإسلام بإقصاء المغاربة عن تجارة التوابل ». وكان البرتغاليون في أول حركتهم الكشفية تسيطر عليهم الروح الصليبية وهذه الروح كانت في جوهرها عداوة للإسلام » [١] .

وقام الأمير « هنري » الابن الثالث لملك البرتغال « يوحنا الأول » والمعروف باسم « هنري الملاح » والذي تشجع منذ صغره بعداوة الإسلام ، قام هذا الأمير على رأس الحركة الداعية إلى كشف طريق آخر للوصول إلى الهند مستغلا مالية جماعة أنصار المسيح التي كان يرأسها في تحقيق أغراضه ... وتابعت البرتغال جهودها حتى وصلت أول طلائع سفنها المسلحة إلى ميناء « كاليكوت » على شاطئ مليبار سنة ١٤٩٧ م ... وكان وصولها عن طريق ما سموه « رأس الرجاء الصالح » بدء انقلاب جديد في عالم التجارة والسياسة مما كان له أثره الكبير في مصر والبلاد العربية والأوربية معا ... وبدأت البرتغال في مؤامراتها بالهند وفي البحار المحيطة بها والموصلة إليها ، فارضة سلطانها على تلك البحار والسفن المارة بها ، متممة إغراق سفن مصر والمسلمين عموما سواء أكانت تحمل التجارة أو تحمل الحجاج ... كما هجمت على بعض موانئ ملك بكرات المسلم وموانئ الملك الهندوسي في مليبار ... فاستعان ملوك الهند بملك مصر في ذلك الوقت وكان « قانصوه الغوري » ، فبعث الأسطول المصري إلى المياه الهندية للقضاء على الأسطول البرتغالي بالتعاون مع السفن الهندية ... وتم له النصر أولا على شاطئ مليبار سنة ١٥٠٨ ، ولكن الأسطول البرتغالي تجمع مرة ثانية في معركة أمام « ديو » في السجلات سنة ١٥٠٩ ، وكان للخيانة أثرها في نجاحه على الأساطيل المتعاونة مما جعل الأسطول المصري يعود إلى مصر ... ولو قدر لهذه الأساطيل المتعاونة النجاح التام في تحطيم الأسطول البرتغالي لكان من الممكن أن يتغير وجه التاريخ ويكف الغرب عن مغامراته في الهند وفي الشرق كله ... ولكن هكذا أراد الله .. وتم ما أراد .

ولما رأت دول أوروبا ما أتيج للبرتغال من نصر وكسب طائل واحة كارتجارة الهند ومستعمرات فيها بدأت تحذو حذوها ، فتأسست شركة الهند الإنجليزية الشرقية سنة ١٦٠٠ وبعد ذلك بستين تأسست شركة الهند الهولندية الشرقية سنة ١٦٠٢ ثم تأسست شركة الهند الفرنسية سنة ١٦٦٤ م ، ونزات هذه الشركات ميدان المنافسة الحامية في الهند وكل فرق يسعى لإضعاف الآخر والقضاء عليه حتى يخلو له

الجو... وكانت البرتغال قد وقعت في حروب متعددة مع حكام البلاد وبدأت منها بوادر الشر، لذلك استقبل حكام الهند هذه الشركات الحديدية المنافسة للبرتغال بشيء من الراحة لعملها تخلصهم من تحكيمها وشرورها.. وقد بدأت هذه الشركات كلها باسم التجارة بين الغرب والهند وسعت لإنشاء مراكز لها في بعض الموانئ الهامة مثل سورت ومدراس وكاليكوت وبومباي وغيرها. ثم حصنت هذه المراكز بالسلاح والرجال، وبدأت بذلك نواة جيش لها نما على مر الزمن حتى أصبح جيشا محاربا ينازل ملوك الهند مستعينا ببعضهم على بعض، مستغلا الخلافات التي بينهم.

وقد استطاعت الشركة الإنجليزية بعد صراع عنيف مع هذه الشركات أن تثبت أقدامها وتقضى على المنافسين، حتى خلا لها الجو في أرض الهند الواسعة ولم يبق للبرتغال وفرنسا إلا بعض مستعمرات صغيرة على الشاطئ ظلت البرتغال متمسكة بها حتى الآن في «جوا وديوودمن» وتقوم منازعات بينها وبين الهند من أجلها. أما فرنسا فقد تركت ما كان لها عند ما أعلنت الهند استقلالها، وأما هولندا فقد تركت ما كان لها في الهند نظير تثبيت أقدامها في أندونيسيا.

وقد ساعد انجلترا على هذا النجاح ما كان لها من سيادة على البحار بعد قهر «الأرمادا» (١) والقضاء على نابليون، وبدأ الإنجليز عملهم في الهند باظهار الخضوع والتذلل للملوك المسلمين وغيرهم والظهور بمظهر الذي يريد تخليص البلاد من شر البرتغاليين، وتقديم الهدايا الكثيرة من المصنوعات الحديثة في أوربا مما لم يكن للهند عهد بها، فكان لها وقع كبير في نفوس الملوك والحكام، فاغتر المسلمون وغيرهم بهذه الظواهر ومنحوا بعض التسهيلات والمراكز التجارية للشركة، معتقدين أنها لا يمكن أن تكون مثل البرتغاليين الذين هاجموا المدن بالمدافع وأغرقوا السفن في البحار.. وساعد الحكم على هذا الاعتقاد فكرتهم عن الإنجليز وأنهم شعب صغير لم تظهر لهم قوة يخشى منها بجانب قوة الملوك المسلمين حتى نرى مندوب الملك «جيمس» يحاول أن يقابل الملك «جهانكير» فلا ينجح في محاولته، ثم لما أراد أن يحصل على رسالة منه للملك، قال له الوزير الأول لجهانكير: «لأنه لا يليق بقدر إمبراطور مغولي مسلم أن يرسل كتابا لملك صغير يحكم جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بئسون» وكان هذا في مستهل القرن السابع عشر، وبودي أن أقف قليلا مع المؤرخين الذين اتخذوا كذلك بمظهر هذه الشركة فقرروا ما أعلمته على

[١] أسطول أسبانيا والبرتغال وكانوا يمتازون به ويسمونه «الأرمادا أى القى لا يقهر».

سبيل التمويه من أن عرضها كان تجاريا بحتا . . فان مثل هذا القول لو جاز على الذين عاشوا في القرن السابع عشر حينما قامت الشركة فانه لا يجوز أن نتخذه به الآن فنجاري الشركة وكتاب أوربا في تقرير هذه الواقعة .

إن الواقع يثبت أن هذه الشركة قامت بعد قرن من وصول البرتغاليين للهند وبعد ما رأى الإنجليز أن البرتغال تسيطر على بعض نواحي الهند وتلثي لها المستعمرات فيها ، وكان هذا باعثا على تأليفها بمرسوم ملكي في عهد الملكة « إليزابيث » وبتشجيعها ، فلا بد أن تكون الشركة والحكومة قد وضعت نصب عينها من بادئ الأمر هذا الهدف . لكن الإنجليز لم يكونوا من البساطة حتى يعلنوا للناس حقيقة مقاصدهم ، وقد رأيناهم حينما أرادوا السيطرة على مصر يبدؤون ذلك عن طريق الصفقات المالية فأغروا الحكام بالاقتراض وسهلوه لهم ، ثم أخذوا يتدخلون في شئون مصر باسم المحافظة على هذه الأموال حتى تم لهم أخيرا ما أرادوا من احتلال مصر .

هذه هي طريقتهم ، وتلك هي أساليبهم نعرفها الآن وإن خفيت على السابقين الذين وقعوا في شرك مكائدهم وتدابيراتهم . على أن الشركة ظلت في أحضان الحكومة منذ تأسيسها ، وانتهى أمرها بعد مدة من حياتها إلى أن الحكومة هي التي كانت تعين رئيسها وتحاسبه بواسطة البرلمان . . وقد وجدت أحد الكتاب يكاد يشاركني هذا الرأي في كتاب « الهند خلال العصور » (١) فيقول : . . . فقد كان هدف الشركة تجاريا ولكنه امتزج بالسياسة ، وهنا نستطيع أن نكشف عن حقيقة ما كانت ترمي إليه الشركة . . . ولست أجسد وصفا وصف به الإنجليز في سياستهم نحو الهند والتمهيد لها بالصبر عليها إلا ما قاله « مارتين لوثر » عنهم في هذه العبارة « إن في رؤوسهم عيونا غريبة وأفكارا عجيبية » .

لعلنا بما تقدم نكون قد أعطينا فكرة عامة عن العهد الذي سبق الثورة . . أما الثورة - أسبابها وحوادثها ونتائجها المفزعة الدائمة - فستكون موضع حديثنا المقبل إن شاء الله ما

عبد المحسن النمر

عضو بعثة الأزهر والمؤتمر الإسلامي في الهند

[١] هو الأستاذ البشيشي وكان موظفا بالاذاعة الهندية ، ومادة كتابه تتوهم على الاشارة بمجد الهند وحضارتها القديمة ، وبمها من جديد .

أعلم الصحابة بالحلال والحرام

هو ووصف وصف به النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من شباب أصحابه عبقر يا نهما في طلب العلم بالحلال والحرام حتى بلغ فيه الغاية . لقد كان يفتي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فما ينكر عليه أحد من الناس ، ولا سيما بعد ذلك الوسام الذي منحه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولقد أضاف النبي ﷺ إليه أوسمة أخرى : فأقسم له أنه يحبه ، وأطلعته الله سبحانه على أنه يأتي يوم القيامة أمام العلماء برتوة (خطوة) فأعلن ذلك في صحبته الأكرمين ، ثم خلفه بمكة بعد الفتح ليفقه الناس ويقرئهم القرآن ، ثم بعثه إلى اليمن في السنة العاشرة للهجرة وبعث معه بكتاب قال فيه : إنه من خيرة أهله ووالى عليهم ودينهم ، وقد امتحنه السيد الرسول صلوات الله وسلامه عليه امتحانا زاده فيه ثقة وشرح صدره به حتى قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله .

روى علماء الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن واليا ومعلما وقاضيا قال له : بم تقضى إن عرض قضاء ؟ قال : بما في كتاب الله . قال : فان لم يكن في كتاب الله ؟ قال : أفضى بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فان لم يكن ؟ قال : أجتهد رأيي ولا ألو .

وهذه مناسبة كريمة أستطيع أن أحذر فيها فطانة القارئ الكريم من أن يخدع بما يقول المتحاملون المشوهون للحقائق حول الإسلام الدين الخالص السليم المصفى الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من أنه مقتبس أو بعضه من الفقه الرومانى ، وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . وإنما هو دين تقعدت قواعده وتمت كلمته قبل أن يعرف المسامون ما يقول الرومان أو غير الرومان ، مستقلا دقيقا في أصوله ومبادئه مثيرا في تشريعـه وحقائقه إثراء لا يسمح له أن يكون عالة على غيره ولـسـكنـه يسمح لغيره أن يكون عالة عليه ، وهذا سيد من سادات العلماء يسأله النبي صلى الله عليه وسلم : كيف يقضى ؟ فيقول إن قضاءه في كتاب الله أو سنة رسوله أو الاستنباط من واحد منهما ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا !

وبعد فإن ذلك السيد هو الإمام (معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي) الذي لم يتجاوز عمره نيفاً وثلاثين سنة بذت له هذا المجد الذي جعل مثل عمر بن الخطاب - وهو الإمام الفقيه العظيم - يعترف له فيقول : لقد عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ . ويقول فيه وقد أذن له أبو بكر أن يخرج في جهاد المشركين بالشام : لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه ، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحبس له حاجة الناس إليه ، فقال : رجل أراد وجهها يريد الشهادة ، فلا أحبسها .

ولد معاذ بالمدينة قبل الهجرة النبوية بعشرين سنة أو خمس عشرة على اختلاف الروايات بين ذلك ، وشهد بيعة العقبة الثانية مع الأنصار ، ثم لزم غرز النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة يأخذ عنه ويسأله في ذكاء عجيب وفقه واستخراج ودقة ، والحفظ شيء والفقه شيء آخر ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . فعاذ من أهل الفقه والإدراك السليم والكياسة حتى يشهد له عبد الله بن مسعود (وكان صاحب مدرسة في الفقه والاستنباط) فيقول إن معاذ كان أمة فانتا لله حنيفاً ، وقد كنا نشبهه بإبراهيم .

ويشهد له عبد الله بن عمرو بن العاص فيقول فيه وفي صاحبه أبي الدرداء : حدثوا عن العاقلين معاذ بن جبل وأبي الدرداء .

لزم هذا التلميذ المثقف النجيب صاحب الرسالة وتعلق به تعلقاً جعله واحداً من أربعة جمعوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا كلهم من الخزرج ، وإذا قيل إن فلاناً جمع القرآن في عهد الصحابة فمعنى ذلك أنه كان عالماً بما فيه ، لأن الحفظ يومئذ إنما كان عن دراسة ومعرفة بالمناسبات وأسباب النزول ، فهو حافظ ومفسر .

روى صاحب العقد الفريد [١] عن الحشني يرفعه قال : تفاخرت الأوس والخزرج ، فقالت الأوس : لنا غسيل الملائكة حظّل الراهب ، ومنا عاصم الأفلح الذي حمت لجمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ، ومنا الذي اهتز عرش الرحمن لموته سعد بن معاذ . فقالت الخزرج : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب سيد القراء ، ومنا الذي أيده الله بروح القدس حسان بن ثابت .

[١] ٣ ص ٢٧٩ بتصحيح الاستاذ المريان وتحقيقه .

على أن معاذ ذلك الشاب العالم الخطير لقد كان من خيرة العالمين الصالحين حتى قالوا إنه شهد المشاهد كلها مع السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو من أهل بدر وما أدراك ما أهل بدر ، ثم هو من أهل أحد والأحزاب وبيعة الرضوان و... ويا لها من مناقب أعيت حتى على كثير من الأصحاب الكرام .

وقد بلغ من حرصه على الاستشهاد في سبيل الله أنه طلب من السيد الخليفة أبي بكر رضى الله عنه أن يخرج إلى الشام في جيش أبي عبيدة كما سبقت الإشارة ، ذلك الجيش الذى ما يزال يجاهد فيه وهو خير عضد ومعاون لأبى عبيدة حتى كانت وفاته بطاعون عمواس سنة ١٨ للهجرة وعمره نيف وثلاثون سنة .

بعض صفاته :

قال محمد بن سعد : كان معاذ رجلا أبيض طويلا حسن الثغر عظيم العينين مجروح الحاجبين جمدا ققطا .

فأما منزلته في العلم والدين والفقہ فقد رأيت أنها منزلة الإمام الذى لا يجارى في معرفة الحلال والحرام ، وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث بين معرفة الحلال والحرام وبين القضاء فعلى كرم الله وجهه أفضى الصحابة ، ولكن معاذ أعلمهم بالحلال والحرام ، ومعنى ذلك والله أعلم أن معاذ أقوى في الإفتاء والإجابة ولكن القضاء الذى امتاز به على فوهبة تجعل صاحبها أقدر على الخروج من المأزق وأقوى على حل المشاكل وأذكى من غيره لاستخراج الحق بين دعوى المبتليين وانتحال المحتالين ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال « لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته فأقضى له » فإن معنى ذلك أن القضاء مهمة من أخطر المهام وأحوجها إلى ندرة الذكاء وقوة العبقرية ، فهو شيء غير معرفة الحلال والحرام في هدوء ويسر وبصر ، وهى مزية معاذ التى لا يبارى فيها باصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم إياه لها ، ولهذا كان يقضى والرسول صلى الله عليه وسلم بين ظهرائهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه كل آية في كتاب الله ، وقد جعله إماما يعصى بطوائف في حياته كما دل عليه الحديث الصحيح ، فان رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو أنه لا يكاد يدرك الصلاة من تطويل معاذ فقال « أفтан أنت يا معاذ ؟ من أم بالناس فليخفف » الحديث .

وكان معاذ عالما يأخذ عنه الكثير من كبار الصحابة منهم عمر وابنه وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك وأبو أسامة ، والكثير من التابعين وكبارهم من أمثال الأسود بن يزيد النخعى

ومسروق بن الأجدع وأبي مسلم الخولاني والأسود بن هلال وغيرهم ممن نقلوا الفقه وخرجوا الأئمة ، وقد بلغ عدد أحاديثه في الصحيحين فقط ١٥٧ حديثاً .

قال أبو مسلم الخولاني دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين من كهول الصحابة وفيهم شاب أحمر براق الشبايا ، فإذا امتروا في شيء سألوه ، فقالوا لى : هذا معاذ ونقل الذهبي مثله في التذكرة أيضاً عن شهر بن حوشب وقال إن ذلك أول خلافة عمر . فهو لم يدع العلم والإفادة به حتى أثناء جهاده في سبيل الله وقال أبو بصرية أيضاً . دخلت مسجد حمص فإذا قتي جعد ققط ، إذا تكلم كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ فقالوا : هذا معاذ بن جبل .

وفي خطبة عمر المشهورة : من أراد القرآن فليأت ألبيا ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيدا ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذاً ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه ويقسم على ذلك وقد خرج معه لما بعثه إلى اليمن يشيعه ماشياً تحت راحلته وهو يقول : يا معاذ ، عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك تمر بمسجدى وبقبرى ، حتى أبكاه وهو يقول له : لا تبك فإن البكاء من الشيطان .

وكان في معاذ كرم وسماحة حتى كان لا يمسك شيئاً ، وجدير بتلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم أن يكونوا أزهد الناس في الدنيا وأحرصهم على الآخرة . روى معمر بن سنده إلى عبد الله بن كعب عن أبيه قال : كان معاذ شاباً سمحاً جميلاً من أفضل شباب قومه وكان لا يمسك ، فلم يزل يدان حتى أغلق ماله كله من الدين ، فطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل غرماءه أن يضعوا له ، فباع النبي صلى الله عليه وسلم ماله كله في دينه وقام بغير شيء ، حتى إذا كان عام الفتح بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن أمير البجيرة .

وقالوا : إنه لما حضرته الوفاة بكى ، ففعل له : أتبكي وأنت صاحب رسول الله وقد قال فيك كذا كذا ؟ فقال : ما أبكي جزاء من الموت حل بي ولا على ديون تركتها بعدى ، ولكن إنما هما القبضتان فلا أدرى من أى القبضتين أنا .

ومعنى ذلك أن معاذاً كان ممن يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون ، وجدير بمن كان أمة قانتاً لله ، وعالماً بصيرا بحقوق مولاه ، أن يخشاه وإنما يخشى الله ، من عباده العلماء . ومن العجيب البديع ما يرويه في هذا المقام صاحب العقد الفريد (١) عن أبي خباب

قال : لما احتضر معاذ قال لحادته ويحك أهل أصبحنا ؟ قالت : لا . ثم تركها ساعة ثم قال لها : انظري ، فقالت : نعم . قال أعوذ بالله من صباح إلى النار !

ثم قال : مرحبا بالموت . مرحبا بزائر جاء على فاقة ، لا أفلح من ندم . اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لسرى الأنهار ، وغرس الأشجار ، ولا كن لمكابدة الليل الطويل ، وظمأ الهواجر في الحر الشديد ، ومزاحمة العلماء بالركب في مجالس الذكر . فمعاذ ليس ممن ألهاهم التكاثر بكري نهر ولا غرس شجر ، ولا كنه القوام الصوم ، كما تقرب إلى مولاه بذكر ذلك في ساعة يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر ، ومعاذ ممن يزاحمون العلماء تواضعا لله وهضما لنفسه حتى آخر لحظة من حياته .

* * *

وهذه بعض جمل مما ترك معاذ من تراث أدبي خالد مهذب ، روى عاصم بن حميد عن معاذ بن جبل قال :

إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاء وفتنة ، ولا يزيد الأمر إلا شدة ، ولا الأئمة إلا غلظا ، ولا يأتاكم أمر يهولكم إلا حقره ما بعده .

وعن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال : إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وإني أخاف عليكم فتنة السراء ، وهي النساء إذا تحلين بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب الين فأتعنبن الغنى وكلفن الفقير ما لا يطاق . وليت شعري ما يقول اليوم إذا رأى ما صارت إليه الدنيا ؟ ونسأل الله العفو والعافية .

ولما قبض أبو عبيدة في طاعون عمواس الذي لم يممه من بعده كتب معاذ إلى الخليفة ينعه فكان مما قال : لعبد الله عمر أمير المؤمنين من معاذ بن جبل . سلام عليك ، فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فأحتسب امرءا كان لك أميرا ، وكان الله في عينه عظيما ، وكان علينا وعليك يا أمير المؤمنين عزيزا ، أبا عبيدة بن الجراح غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وعند الله نحتسبه وبالله نتق له ، كتبته لك وقد فشا الموت وهذا الوباء في الناس ولني يخطئ أحدا أجله من الموت . ومن لم يمت فسيموت . جعل الله لنا ما عنده خيرا لنا من الدنيا إن أبقانا أو أهلكنا . فجزاك الله عن جملة المسلمين وعن خاصتنا وعامتنا رحمته ومغفرته ورضوانه وجنته ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

رحم الله الجميع وجعل لنا في سيرهم الطاهرة خير عظة وذكرى وعبرة ما

صور إسلامية :

عند ما أخرجنا من الأندلس

ما أظن أن صورة من صور التاريخ الإسلامي تهز النفس هذا عنيقا وتأخذ بالأبواب وتثير الشجون وتدفع الدمع من المآقي مدرارا - على كثرة ما في التاريخ الإسلامي من صور باهرة لأحداث ضخمة - كما تفعل صورة « أبي عبد الله » آخر ملوك الأندلس وهو في طريقه إلى خارج غرناطة - آخر معقل من معاقل الإسلام - مهجورا مدحورا . وقد حمل معه زوجه وأمه ، وودع الأرض المقدسة راضيا بالدلة والمهانة ليسلم مفاتيح الحمراء إلى فرديناند في طريقه إلى البشرا .

ما أقسى تلك الصورة وقد أشرف أبو عبد الله على منظر غرناطة واستدار على فرسه فوق الربوة ليسرح بصره لآخر مرة في هاتيك الربوع العزيزة التي ترعرع فيها وشهدت سلطان آبائه ، ثم شهدت ذلته وهو خارج لا يلوى على شيء ... وقد ضاع كل شيء .

هنالك انهمرد معه وأجهش بالبكاء ، وفاضت نفسه بالألم العميق عند ما تصور أنه آخر ملوك الإسلام في الأندلس ، وأن التاريخ الإسلامي سيكتب له صفحة سوداء من الجبن والهزيمة قضت عليه بتسليم مفاتيح الملك العريض إلى الأعداء ، مخلفا شعبا كبيرا قد وقع في براثن الخصوم المتعصبين الذين أذهلتهم نشوة النصر فاعملوا فيه سحقا وتنكيلا ، غير أن عائشة لم تدعه يمضي في تأملاته ودموعه تنساب على صفحة وجهه إذ أسرعت تقول له : « ... أجل فلتبك كالنساء ما كما لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال » .

وما تزال تلك الأكمة تسمى « زفرة العربي الأخيرة » .

ومضى أبو عبد الله إلى البشرا فأقام فيها ما شاء الله له أن يقيم ، ثم انحدر إلى الساحل وجاز البحر والتجأ إلى بلاط فاس وعاش أعواما طوالا تملأ نفسه الحسرات وآلام الندم ، حتى توفي بعد ذلك بأربعين عاما .

ولا بد أن أبا عبد الله سمع أنباء المسلمين بعد خروجه ، وكيف حل بهم قضاء أعنف من القضاء نفسه ، وقد امتد هذا القضاء أكثر من قرنين من الزمان للقضاء على آخر « مسلم » في أرض الأندلس .

كان ذلك اليوم الذى خرج فيه « أبو عبد الله » من الأيام المظلمة الشديدة الظلام ، فقد استيقظ أهل قصر الحمراء مبكرين ذلك اليوم ، يجمعون مخلفاتهم وأموالهم ونفائسهم ، والبكاء يرن في حنايا القصر وأبهائه . . . والوجوم يسود الوجوه . . . والألم يغص به كل حلق .

وغادر السلطان القصر ومعه أمواله وأمتعته وأهله وصحبه القلائل وفريق من الفرسان ، وامتطت أمه الأميرة عائشة صهوة جوادها حزينة موغلة في الحزن . . . كما ركبت زوجة السلطان . واخترق الركب غرناطة في صمت ، والناس يتطلعون إلى هذا الميت الحى الذى خلف لهم غدا غامضا مبهما ، فيه الوحشة الموحشة والقضاء الأسود .

وكان حصار فرديناند قد استمر أكثر من عشرة أشهر لغرناطة كعمل عسكري نهائى لتسلم آخر معاقل المسلمين ، وكان في استطاعة أبي عبد الله ومن حوله من الفرسان أن يدافعوا عن معقلهم الأخير حتى الموت وألا يسلموه بمثل هذه السهولة . !

ولكن قادة غرناطة إذ ذاك كانوا قد بلغوا مبلغهم من الرخاوة والترف ، فلم تعد تملأ أنفسهم تلك العزيمة الصارمة التى كانت تقاوم الأحداث والحصوم دون أن تبالى المصاير ، وهو نفس المعنى الذى صوره الفارس موسى بن أبى الغسان عندما رأى القادة يسجلون وثيقة التسليم : قال « . . . لا تخذعوا أنفسكم ولا تظنوا أن النصارى سيوفون بمهدمكم لكم ، ولا تركنوا إلى شهامة ملـكم . إن الموت أقل ما نخشى ، فأمامنا نهب مدينتنا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا وخراب بيوتنا ، وهناك نساءنا وبناتنا . وأمامنا الجـور الفاحش ، والتعصب الوحشى والسياط والأغلال . وأمامنا السجون والأنطاع والمحارق . هذا ما سوف نعانى من مصائب وعسف . وهذا ما سوف تراه على الأقل هذه النفوس الوضيعة التى تخشى الآن الموت الشريف . أما أنا فوالله لن أراه » . . . ثم غادر المجلس ومضى . . . يبطش بفرسان العدو حتى قتل منهم عددا كبيرا في معركة ضخمة جرح فيها وسقط جواده من تحته قتيلا . فمضى يطعن بنخجره ويدافع عن نفسه . فلما خاف أن يقع في يد خصومه ارتد إلى الوراء وألقى بنفسه في النهر .

لله ما أبعد الفرق بين الصورتين والرجلين .

* * *

وصورة أخرى تبدأ بعد خروج أبي عبد الله وتتكرر خلال قرن كامل ، لقد سلمت غرناطة في ديسمبر سنة ١٤٩١ ، وفي ديسمبر ١٦١٠ خرج آخر عربي من الأندلس . . .

هذه الصورة هي منظر العرب المسلمين وهم يخرجون فزعين هاربين من وجه الظلم والقتل حاملين ما يستطيعون حمله . رجال ونساء ، وشيوخ عجائز وأطفال صغار يحرقون أذيال الألم والحزن والفقر ، يركبون بعض الدواب أو يسيرون حفاة في الرمال التي تحرق أقدامهم بنارها . وقد ربطوا في رقابهم مفاتيح بيوتهم التي غادروها بأمل العودة يوما قريبا إلى هذه الدور ، وما تزال هذه الأفواج تتعد وتتوالى ويمسى عليها الليل فتبيت في العراء ، قد تجد ما يبل ظمأها ويسد رمقها أولا تجد فتتلوى على الجوع أيا ما وليالى طويلة ، حتى تصل إلى الشاطئ فتجوز إلى المغرب .

لقد استمرت هذه الصور تتكرر يوما بعد يوم في مدى أكثر من تسعة عشر ومائة من الأعوام حتى بلغ عدد من هاجروا أكثر من ثلاثة ملايين عربي ، كان الفوج الأخير منهم الذي أخرج عام ١٦١٠ أكثر من نصف مليون .

وإذا كان هذا عدد من هاجروا فكم عدد الذين أحرقتهم محاكم التفتيش وقتلوا غيلة وذبحوا كالأغنام .

وعلى مر هذه الأعوام منذ سقطت غرناطة والعرب يقاسون فزعا وذلا وظلما لا حد له ولا عهد لهم به ، فهم غرباء في الديار التي كانوا سادتها وحكامها ، وهم مراقبون ، جماعات فقيرة لا تملك شيئا إزاء العذاب الذي صبه الفرنجة عليهم صبا في صبور مختلفة من الإعنات والظلم والغدر ، وهم إلى هذا الفقر والظلم أقوياء في عقيدتهم وإيمانهم لا يستسلمون ولا يذلون ، وإنما يقاومون ظلما مهولا وحربا طاحنة ونارا متقدمة يقاومونها بأجسادهم إذا أعوزهم السلاح ، والقرى تحرق بهم حرقا ، والدخان يرسل إلى كهوفهم حتى يموتوا أو يخرجوا ليقتلوا ، وهم مع هذا كله لا يستسلمون ، يهاجرون ما استطاعوا إلى ذلك خفية ، ويقاومون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ويفرض عليهم دين جديد غير دينهم ويرغمون عليه بالتعذيب والمثلة ، ومع ذلك يظل

كل منهم مؤمنا بدينه الأول يؤدي فرائضه خفية ويحتمل في سبيله كل شيء ، والمطاردة والوشاية تلف كل مكان وكل شيء . . . دون أن ينال ذلك من النفس العربية المؤمنة شيئا . ورفع مجد بن أمية لواء الثورة ، وجمع حوله الناس ومرق على الفرنجة واقتحم عليهم كل مكان وتحصن بالجلال ، وجردت له قوات ضخمة فوقف أمامها وأدال منها حتى اضطر خصومه إلى طلب المفاوضة .

أكره المسلمون على التنصر ، وأكرهوا على الهجرة تاركين ثرواتهم وأرضهم ، ورفعت النواقيس في صوامع المآذن . ومع ذلك فقد ظل الذين ارتدوا تقية موضعاً للارهاق . وأغلقت المساجد ، وحظر على أهلها إقامة شعائر الإسلام ، ومضت حملة التشريد والإبادة في طريقها ، ومضت المقاومة في طريقها ممتدة على الأيام والشهور والأعوام في غرناطة والبشرا والبيازين . حدث هذا كله بالرغم من العهود المضللة التي قطعها فرديناند على نفسه والعقود التي وقعها . . . وصدق الفارس بن أبي الغسان الذي كان كأنما يقرأ لوح القدر . ذلك أنه كان يعلم أن الفرنجة لا وعد ولا عهد لهم ولا ضمير ، وأنهم كانوا كذلك في تاريخهم كله مثلاً للغدر والظلم والنكث بالعهود والتآمر ، على هذه العناصر كلها قامت حضارتهم ومضت أساليبهم في الفتح والاستعمار . وبقي للإسلام شرف الكلمة والكرامة والصمود ٥

أنور الجذرى

احتفال الأزهر بالهجرة

احتفلت مشيخة الأزهر بذكرى الهجرة النبوية الشريفة واستقبال العام الهجرى الجديد ، وذلك في ساحة الرواق العباسى ، حيث اجتمع عدد كبير من علماء الأزهر وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وكثير من الطلاب وطوائف الجماهير ، كما شهد ممثلو السفارات والمفوضيات الإسلامية . وألقى كلمة الاحتفال فضيلة الشيخ محمد الطنيجي ، المدير العام للوعظ والإرشاد بالأزهر وعضو جماعة كبار العلماء ، وقد تحدث فيها عن أسرار الهجرة الإسلامية ، وجهاد الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في سبيل إظهار دعوته . وتلاه فضيلة الشيخ محمود طيره فألقي قصيدة كريمة .

ودعا في ختام كلمته أن يوفق الله جمهورية مصر وعلى رأسها القائد الوطنى الكريم الرئيس جمال عبد الناصر ، وأن يوحد كلمة العرب والمسلمين . ثم وزعت الحلوى في نهاية الاحتفال على المدعوين ، وختم كما بدئ بتلاوة آى الذكر الحكيم .

بشائر العام الهجرى الجديد

أشرقت على البلاد شمس حياة نيازية جديدة كان الشعب المصرى يتحرق إليها شوقا ويهفو بقلبه إليها حنانا ووجدًا ، فالشعب المصرى ككل الشعوب تواق إلى أن يحكم من طريق الجماعة بعد أخذ رأيه فيها ، وحتى فى عهد الحكومات السابقة التى كانت تغلب عليها الأثرة كان يجب أن يحكم من طريق الشورى الشعبية . وقد اتضح لكل ذى عينين أن حكم الشعوب عن طريق القوة والإعنات من شأنه أن يورث الأحقاد والأضغان على حاكميه . وفى تاريخ القرن العشرين أمثلة ماثلة فوسولنى وهتلر حكما شعبيهما بطريق النار والحديد ، فأتى الله بنيانهما من القواعد .

إذن فالشورى مبدأ المبادئ وأساس الأسس ، أول من أخذ بها الإسلام ونادى بها كمبدأ منقذ للبشرية من جبروت الحاكمين يؤصل فى الشعوب الإيمان بحقوقها وينشر بينها مبدأ العدل والإخاء والمساواة ، كما قال شاعر العرب السيد عبد المحسن الكظمى :

ملوك على كل الملوك ثلاثة لها الحكم دون الناس فى الفتق والرتق
وأقسم أنى لا أكون لغيرها مطيعا ولو من أجلها ضربت عنق

فالحياة النيابية أقرها القرآن فقال « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » « ولو كنتم فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

فحكم الشورى مبدأ معترف به فى الإسلام ، بل فى جميع الأديان قديمها وحديثها وقد أطبق علماء القانون الدستورى على أن جميع السلطات مصدرها الأمة ، بخلاف دستور البلاد مؤيدا لهذه النظرية العامة وهو ينص على أن الأمة هى مصدر السلطات .

وبهذه المناسبة نحب أن نقدم إلى جمهرة قراء هذه المجلة بحثنا عن حياة الشورى (الديمقراطية) وعلى رأس الأزهر والمعاهد الدينية رجل نهل من ثقافة الغرب وأحاط بمكوناتها ودقائقها هو شيخ العلماء وشيخ الجامع الأزهر .

كان الملوك ولا سيما فى فرنسا يذهبون إلى أن سلطانهم مستمد من الله ، وأنهم لا يقدمون حسابهم إلا ، إليه وأن ليس على الشعوب إلا الطاعة والرضوخ .

ولقد كان من الطبعى على الكتاب الذين آمنوا بحقوق الشعوب ونظام الشورى أن يتخذوا من المبدأ الديمقراطى أداة لمقاومة استبداد هؤلاء الملوك ، وعلى هذا الأساس عادت النظرية الديمقراطية إلى الظهور كسلاح فى وجه حكم الفرد ، ولم يكن الغرض منها استخدامها لعزل الملوك وإنما للحد من سلطانهم .

ولعل أول مثل لاستخدام هذه النظرية وجد بفرنسا عند ما اجتمعت الهيئات العمومية عام ١٤٨٤ فى عهد الملك القاصر شارل الثامن ، فقد صرح فيليب بـو بأن : « الشعب هو صاحب السلطة ، وهو الذى يهبها للملك ، وعلى ذلك فما دام الملك قاصرا فالشعب ممثلا فى الجمعيات العمومية -الأمرء- هو صاحب الحق فى تنظيم الوصاية » .

وعند ما قامت الحروب الدينية فى القرن السادس عشر أخذ كل من الكاثوليك والبروتستانت بحسب الظروف يتمسك بالمبدأ الديمقراطى ضد استبداد الملوك ، وفى هذا العصر زاد المبدأ وضوحا وبدأ الكتاب يرجعون الديمقراطية إلى فكرة العقد ، فالشعب هو صاحب السيادة أصلا إلا أنه تنازل عنها للملك بشروط خاصة ، فإذا ما أخل الملك بهذه الشروط فسخ العقد وعادت سلطة الملك بلا أساس قانونى ، وغدا عاهلا ظالما ليس على الشعب له الطاعة بل وتحل مقاومته والتخلص منه .

يتضح مما تقدم أن الديمقراطية حتى القرن السابع عشر كانت تتأخص فيما يلى :

- ١ - أن الشعب هو صاحب السلطة الحقيقية .
- ٢ - أنه يتنازل عنها أو بعبارة أصح عهد بها إلى ملك .
- ٣ - أنه يستطيع استرداد هذه السلطة فى ظروف معينة .

وقد أدى ازدياد الاستبداد فى عهد لويس الرابع عشر والخامس عشر إلى تقوية المبدأ الديمقراطى تقوية أدخلته فى عداد المبادئ السياسية ، ولم يلبث أن ظهر بعد ذلك ضمن مبادئ القانون العام الحديثة .

ولقد نادى كتاب ذلك العهد - القرن الثامن عشر - بفكرة جديدة هى فكرة عدم قابلية السيادة للتنازل عنها ، بينما أخذت فكرة التعاقد مع الملك فى التلاشى فلم يعد الملك طرفا فى العقد ، بل أصبح مندوبا عن الجماعة .

ونظرية العقد الاجتماعى Contrat social التى تنسب بصفة خاصة إلى جان چاك روسو والتى تفترض وجود حالتين :

أولا : حالة طبيعية Etat de nature سابقة على وجود الجماعة المتمدينة لم يكن الفرد فيها خاضعا لأى سلطان ، بل بالعكس كان متمتعا بحرية كاملة مطلقة . هذه الحالة الطبيعية كان يسلم بها أنصار المدرسة الطبيعية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ثانيا : عقد اجتماعى Contrat social صريح أو ضمنى أنهى به الأفراد حالتهم السالفة راغبين فى الخروج منها لتكوين أمة Nation فأقاموا باتفاقهم الإجماعى سلطة أعلى من سلطة الأفراد هى سلطة الفرد المشترك ، أو بعبارة أخرى هى « سلطة الأمة » .

ويرى روسو أن السلطة لا يمكن أن تكون شرعية Légitime إلا بالاتفاق الصريح السابق على وجودها . ولذلك فهو لا يعترف بسلطة الأسرة ولا بسلطة طبقة خاصة ولا بسلطة الفتح ولا بسلطة الأسياد على العبيد - وعلى هذا الوضع فالعقد الاجتماعى لم ينشئ السلطة بل أنشأ الأمة أيضا .

وبما هو واضح من هذا الشرح التاريخى نجد أن الديمقراطية إلى عهد روسو أى إلى القرن الثامن عشر لم تكن سوى نظرية فلسفية يراد بها الحد من سلطة الملوك .

الثورة الفرنسية تجعل من الديمقراطية مبدأ قانونيا :

عندما اجتمعت الهيئات العمومية فى ١٧ يونيو ١٧٨٩ أراد نواب العامة على أثر خلاف بينهم وبين الأشراف ورجال الدين ، أن يجعلوا مبدأ سلطان الأمة أساس عملهم فأطلقوا على أنفسهم اسم « الجمعية الوطنية » وأعلنوا أنهم مكلفون بتثيل لإرادة الأمة العامة La volonté général de la nation .

وقد كان هذا الانفصال الناجح انتصارا كبيرا لمثل الشعب ، ولم يأت يوم ٢٦ أغسطس فى السنة نفسها إلا وقد صدر إعلان حقوق الإنسان الذى نص على أن مبدأ السيادة يتركز فى الأمة .

وقد أضافت المادة السادسة من إعلان حقوق الإنسان نفسه « القانون هو التعبير عن إرادة الأمة » .

وقد عاد مبدأ سيادة الأمة فتكرر في إعلان حقوق الإنسان الصادر مع دستور ١٧٩٣ فنصت المادة الخامسة والعشرون على أن « السيادة تتركز في الشعب ، وهى غير قابلة للانقسام ولا يمكن ضياعها بالانتقادم ولا التنازل عنها » .

وقد جاء بإعلان حقوق الإنسان وواجباته الملحق بدستور السنة الثالثة بالمادة السابعة عشرة « السيادة تتركز أصلا في مجموع المواطنين » .

وهكذا جعلت الثورة الفرنسية من المبدأ النظرى الفلسفى قاعدة قانونية عامة نبت عليها القانون العام الحديث بل وسرت مبادئ الثورة الفرنسية إلى الممالك المجاورة ، تنفت سحر مبدأ سلطان الأمة الذى وجد مرتعا خصبا في جميع الممالك المستتبدة فقضى على أغلبها سريعا .

ولعل مبدأ سيادة الأمة لم يجد سرعة في الانتشار كسرعة انتشاره عقب الحرب العظمى الأولى ، فقد أخذت به جميع الدساتير الحديثة على وجه التقريب .

(يتبع)

عباس طه
المحامى

العربية فى اللغة الفارسية

خطب كبير علماء الأدب العربى فى القارة الهندية الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى فى حفلة تكريم أقيمت له فى مكة ، ومما قاله : إن الشعر الفارسى لم يوجد ولم يولد إلا فى أحضان الشعر العربى ، وأقدم شاعر فارسى كان فى القرن الرابع الهجرى . وعلى غرار الشعر العربى وقوافيه وأهدافه كان شعراء الفرس ينظمون . وإن بلاد فارس (إيران) كانت فى القرن الهجرى الأول والثانى بلاد عروبة ، فكان العامة والخاصة فيها يتكلمون باللسان العربى . فلما داخلتهم روح (الشعوبية) فيما بعد رجعوا إلى التحدث باللسان الإيرانية ، لكنهم اضطروا لإدخال مئات الصيغ العربية فيه ، واستدل على هذا بأدلة من الشعر العربى والروايات العربية القديمة التى كان يحاضر بها من ذاكرته القوية .

تحية العام الهجرى الجديد

الفجر لاح بمشهد فتان
يا مطلع العام الجديد ، تحية
جئدت ذكرى فى النفوس كريمة
ذكرى الذى أبلى ليصنع أمة
ذكرى النبى غدا يهاجر مكرها
ورفيقه الصديق فى الغار الذى
نسجت خيوط العنكبوت ببابه
والقوم قد وقفوا حيارى هالم
ويميل صاحبه ويهمس قائلا
فيجيبه الهادى لإجابة واثق
لا تحزنن ، فالله ثالثنا توا
وإذا العناية لا حفظك عيونها

فى لوحة ، جلت يد الفنان
من كل قلبي ، لا بطرف لساني
تحتل فى العليا أعز مسكان
قد وحدث ، من عابدى الأوثان
يحمى رسالته من العدوان
شملته فيه عناية الرحمن
فكانه خال من الإنسان
وأغاظهم أن يفلت الرجلان !
ماذا لو امتدت لنا عيمان ! ؟
من نصرة المولى بغير توان
كبنا عنايته ، بكل مسكان
فإليك لا تمتد قط يدان ! !

* * *

لك يابن عبد الله أروع قصة
جاهدت فيها أمة وثنية
ولقيت منهم شر ما يلقى الفقى
فصبرت صبورا ، ما لغيرك مثله
قلب كبير ، لا يغالبه الأسى
زادوه إيذاء ، فزاد تسامحا
حتى إذا ما الظلم جاوز حده
ومضى ليثرب ، حيث كان صحابه
لا قوه بالبشر العظيم وقدموا
وأقام بينهم الرسول مشرعا

قد كنت فيها أعظم الشجعان
بل دولة الطاغوت والطغيان !
من بطش جبار عنيد جاني
ودفعت بالحسنى ، وأنت تعانى !
ماض بعزم ثابت الأركان
وتلطفا ، شأن العظيم الباني
شد الرحال بدافع الإيمان
الأنصار فيها ، خيرة الإخوان
لله آى الحمد والشكران
ويمده موله بالقرآن

ولقد تأخى المسلمون بيثرب وتسابقوا في البر والإحسان
كانوا - وبينهم الرسول معلما وموجها للخير - عقد جمان
لم ينفرط رغم الخطوب لأنه عقد متين ، نظمه ربانى !
وإذا ترابطت القلوب فخلها أمر عسير ، ليس بالإمكان !!

* * *

ولكم تمادى الشرك فى غلوائه ولكم طوى كشحا على العدوان
ولكم أثار الحرب ضد عهد ولكم هنالك التقي الجمعان !
ولكم أراد الشر يفتح بابه فيبوء منه بأكبر الخسران
حتى أتى اليوم الأغتر المرتجى يوم انحاء الشرك والبهتان
يوم تسامى الحق فيه إلى الذرا والجيش من بطحاء مكة دان
هذا رسول الله أقبل جيشه لجبا يزلزل دولة الشيطان !
هذا رسول الله يدخل فاتحا والشمس ساطعة على الأكوان
والجيش يزحف فى ضجيج جنوده وصهيل خير كتائب الفرسان
وملائك الرضوان حفت بالألى ضخوا لترقع راية القرآن
دخل الرسول البيت أروع ماجدا والشوق غالبة من الحرمان
ومضى يطهره من العار الذى جزوا عليه ولوثة الأوثان !
ورءوس مكة يشهدون مصارع الـ أصنام فى ذل المهيب الوانى !
جلسوا بجانبه على جمر الغضى ينتابهم فزع الأثيم الجانى
لكنه والصفح شيمته - عفا عفو الكريم القادر الإنسان !!
وتوافدت أفواج مكة تعلن الـ إسلام فى صدق وفى إذعان !
واعتر دين الله بالفتح الذى غمر القلوب بعاصر الإيمان !
والحق غلاب وإن طال المدى والباطل المفضوح للذلان
والصبر فى ظلم الخطوب ينيرها ولكم به نيلت منى وأمانى !!

محمود ابراهيم طبره

مفتش الوعظ العام بالأزهر ورئيس بعثة الصومال

الكتب

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

للاستاذ محمد ناصر الدين الالباني - ١٥٨ ص - مطبعة الاتحاد الشرقي بدمشق

الاستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الالباني من الافراد المنة قطعين لخدمة السنة المحمدية ، وكتابه هذا (صفة صلاة النبي ﷺ - من التكبير إلى التسليم - كأنك تراها) سبق طبعه منذ عهد قريب ، ثم جدد طبعه الآن مضيفاً إليه تخريج أحاديثه ، وشرح غريبه ، وتوضيح بعض مسائله وعزوها إلى قائلها من أئمة المذاهب وغيرها .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ، وبشر من صلاها كصلاته أن له عند الله أن يدخله الجنة ، وقد ترتب على ذلك أن يكون من ضروريات المسلم معرفة صفة صلاة النبي ﷺ كما كان يصليها ، وقد قام بهذا الواجب الإسلامي رجل من المسلمين هو أعل لهذه المهمة ، فاستعرض ما حفظته لنا دواوين السنة من ذلك بأمانة ودقة وبصيرة على طريقة أهل العلم بهذا الشأن . وقد عرف الناس له قدر عمله فأقبلوا على الطبعة الاولى حتى نفدت نسخها ، وسيقبلون إن شاء الله على طبعها الثانية وينتفعون بها ، فما كل الصلاة تدعى صلاة ، وفي الحديث : « إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها عشرة ، تسعها ، ثمنها الخ » . وإن الصلاة الكاملة هي التي تهى عن الفحشاء والمنكر ، وبصاح الله بها جماهير المسلمين .

مذكرة عن خليج العقبة

ومطامع اليهود السياسية والاقتصادية في حوض البحر الأحمر وشرق افريقية

للهمية العربية العليا ، وسماحة رئيسها الجليل السيد محمد أمين الحسيني : فضل كبير في إيقاظ العرب والمسلمين إلى نواحي الخطر الذي يهدد كيانهما بدسائس اليهود والذين يحطون بحبلهم من أقطاب الاستعمار الآفل . وبين يدينا الآن هذه المذكرة عن خطر اليهود من ناحية

خليج العقبة وما يرمون إليه من خطط بعيدة للوصول حتى للمدينة المنورة في المستقبل فضلا عن مطامعهم السياسية والاقتصادية في حوض البحر الأحمر وشرق افريقية ، وهي مؤامرة استعمارية يهودية لفصل العرب في آسيا عن إخوانهم في افريقية .

ومع هذه المذكرة خريطتان مفصلتان لمطامع اليهود وأهدافهم السياسية التي أشارت إليها المذكرة وأوردت الأدلة والمعلومات الكافية لبيانها ، فزجو الله أن يمنح كيان العرب والإسلام القوة العاجلة لدرء هذه الاخطار والتنكيل بأصحابها ، كعادته في أمثال ذلك من قبل .

الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة

لعز الدين ابن شداد - بتحقيق الدكتور سامي الدهان - ١٣٧٢ هـ - ص - طبع بيروت هذا كتاب نفيس من نوادر تراث أنسلاف ومن أجمع ما ألف في موضوعه عن جغرافية الديار الشامية وتاريخ أمصارها والإلمام بما ينبغي معرفته عنها . قال ناشره الدكتور سامي الدهان : « ولا أعرف مؤرخا في العرب القديما عمل للشام كلها كما عمل ابن شداد في خطة واضحة وتنظيم بين ، فكأنه شبيه بالمعاصرين من العرب والغربيين ، يكتبون في قطر معين وفي إقليم محدود ، فيسمون المنهج ، ويعلنون عن الهدف . . . وعبنا بحث عن كتاب في العربية لفلسطين الجريحة والأردن الجميلة والجزيرة الخصبة ، فلم أجد كتابا يقوم مقامه ، على كثرة التأليف ووفرة الدراسات ، . وكانت أجزاء هذا الكتاب المخطوطة موزعة في لندن وليفربول وروما واستنبول وحلب .

وعز الدين بن شداد من أعلام القرن السابع الهجري (٦١٣ - ٦٨٤) ، وهو غير القاضي بهاء الدين بن شداد (٥٣٩ - ٦٣٢) مؤلف سيرة صلاح الدين الأيوبي ، ومتأخر عنه نحو نصف قرن ، وكما كان القاضي بهاء الدين من أعلام الدولة الصلاحية فقد كان مؤلف الاعلاق الخطيرة من وزراء الملك الظاهر وابنه الملك السعيد . وألف كتابه الاعلاق الخطيرة بين سنتي ٦٧١ و ٦٨٠ .

والجزء الذي اختاره الناشر الآن من أجزاء الاعلاق الخطيرة هو الخاص بتاريخ مدينة دمشق إلى سنة ٦٧٤ ، وهو كتاب مستقل في بابه ، وترتيبه في الكتاب الجزء الثاني ، أما الاول منه ففي تاريخ مدينة حلب ، والثالث في تاريخ الجزيرة وأقسامها . وقد استوعب

ما نشر الآن من تاريخ مدينة دمشق القسم الأول منه وعنوانه (محاسن دمشق) ، ذكر فيه اشتقاق اسمها وذكر من بناها وعدة أبوابها وقلعتها وذكر مسجدها الجامع وسائر مساجدها والمزارات بباطنها وظاهرها والخوانق والربط والمدارس والكنائس والأعمار والحمامات ، وختم هذا القسم بذكر فضلها وما مدحت به نثرا ونظما . وسيكون القسم الثاني خاصا بأنهارها وقنواتها وجبالها وما اشتمل عليه جندها من البلاد ، وذكر بلاد جند الأردن وبلاد جند فلسطين وما فيها من المزارات . وفي القسم الثالث ذكر أمراء دمشق ومن ملكها من أيام الفتح إلى سنة ٦٧٤ .

وقد تولى إصدار الكتاب المعهد الفرنسي للدراسات الإسلامية بدمشق ، واعتمد ناشره الدكتور الدهان في تحقيقه وطبعه على مخطوطتي لندن ولیدن وقد وصفهما ونشر صور نماذج منهما وذيل الكتاب بخمس فهارس علمية وافية . فشكرا له ، ونرجو أن يوفقه الله إلى نشر الكتاب كاملا إن شاء الله .

الشيخ المراغي بأقلام الكتاب

للاستاذ أبي الوفا المراغي — ٢٩٥ ص — المطبعة المنيرية بالقاهرة

شخصية الشيخ المراغي (١٢٩٨ - ١٣٦٤) كما يقول شقيقه المؤلف : « شخصية تاريخية خصبة سينضجها الزمن حتى تبدو للناس يانعة ناضجة » . وقد رأى المؤلف - إلى أن فتاح الفرصة لإخراج صورة كاملة لتاريخ الشيخ المراغي - أن يجمع ما كتب عنه بمناسبة وفاته وذكرياته بما دمجته أقلام الكتاب ، فأصدره في كتاب مستقل ليكون في المستقبل مصدراً لمن يعالج كتابة تاريخه . قال : « وقد جمعت تلك المقالات أهم العناصر التي تكون ذلك التاريخ ، هذا إلى أنها معلومات صحيحة صادقة كتبها كتاب معاصرون له لم تعمل فيها يد الزمان بالعبث والتحريف . ولأنه لعمل له خطره التاريخي لمن يعالج تراجم الرجال » .

وقد صدر الكتاب بصورة الشيخ ، وافتتحه بعد المقدمة بترجمته الرسمية ، يليها فصل بقلم المؤلف عن الشيخ المراغي والأزهر، وبعده خطبة فذكره للشيخ عن إصلاح الأزهر ، فما كتبه الكتاتيون مما هو موضوع الكتاب ، وبآخره نماذج من دروس الشيخ وخطبه وأحاديثه .

شعر حنفى ناصف

جمعه الاستاذ مجد الدين حنفى ناصف - ٢٦٤ ص - دار المعارف بمصر

حنفى ناصف (١٢٧٢ - ١٣٣٧) كركب لامع من السكواكب التى طلعت من أفق الأزهر ، ورجل عظيم من رجال دار العلوم ، ومفخرة من مفاخر العلم والفكر والنبوغ فى مصر . قال عنه ابنه الاستاذ مجد الدين : . ليس من اليسير أن أؤرخ لآبى ، ولا سيما إذا أردت أن أبين فى وقت معا أنه شاعر ، ناثر ، زجال ، ظريف ، بليغ ، نحوى ، مؤرخ ، عالم محقق ، قانونى ، مجاهد ، وطنى ، اجتماعى ، صحفى ، رياضى ، إنسانى ، شخصيته لم تعد مقصورة على ناحية بعينها كما هى الحال بالفسبة لكثير من خلداهم التاريخ . .

وشعر حنفى ناصف من نوابغ شعرنا المعصرى ، ومن العجيب أن يتأخر تدوينه إلى اليوم ، فهو فى نفسه قطعة من تاريخ مصر ، ومن تاريخ الأدب فى مصر ، فضلا عن أنه قطعة من نفس هذا النابغة من نوابغ مصر ، ولا ريب أن ماجاشت به شاعرية حنفى ناصف فى حياته أضعاف ما أمكن جمعه ونشره فى هذا الدبوان ، وأكثره من شعره الباكر ، ويقول ابنه الاستاذ مجد الدين : إن الذى ضاع من شعر والده فى ثورة سنة ١٩١٩ نتيجة لتفتيش السلطات المنزل تفتيشا مطردا قد تبدد معه أكثر مخلفات حنفى ناصف الادبية والعلمية .

ولعل وزارة التربية والتعليم تعنى بتنقيف أبنائنا بهذا اللون من أدبنا الناضج فتيسر انتشاره فى مدارسنا . وعسى أن يعمل الاستاذ مجد الدين بإصداره نشر حنفى ناصف ، وبقية آثار والده العلمية .

ويحتمل أن يتعاون الأزهر ودار العلوم وكلية الآداب والقضاء على إحياء ذكرى حنفى ناصف ، فنقترح أن يختار ليوم هذه الذكرى التاريخ العربى الذى كان يحبه حنفى ناصف وكل من نشأ على العروبة والإسلام كمنشأة حنفى ناصف . رحمه الله وأكرم ذكره .

فى ظلال الاسلام

لثلاثة مؤلفين - ٣٢٠ ص - دار العهد الجديد للطباعة

هذا الكتاب مجموعة فصول ودراسات كتبها أصحاب الفضيلة الاساتذة الشيخ محمود

أمين النواوى المفتش بالأزهر ، والشيخ محمد عبد المنعم خفاجى ، والشيخ محمود فرج العقدة الأستاذان فى كلية اللغة العربية ، وكثير من فصوله ليس بغريب على قراء المجلة. وفى التصدير الذى كتبته المؤلفون لكتابهم دفاع عن علماء الأزهر وموقفهم من غزو الاستعمار الثقافى والفكرى للعالم الإسلامى ، وأن واجب العلماء يحتم عليهم أن يقولوا ، وليس عليهم أن يشرعوا وينفذوا . ثم وصفوا الكتاب بأنه صور ودراسات إسلامية تقصد إلى شرح الإسلام ومبادئه وأصوله شرحاً واسعاً ، ومعها تراجم لعدد من أعلام الإسلام بمن هم موضع القدوة الطيبة فى تاريخ الإسلام الدينى والسياسى والعقلى .

والمؤلفون الثلاثة من كتاب هذه المجلة ، وقد عرف قراؤنا أساليبهم ، ومناطق دراساتهم فلا نزيد القراء تعريفاً بفضلهم وتقديرأ لما يكتبون .

فارس الإسلام سعد بن أبى وقاص

الأستاذ حسنين آدم حسنين - ١٣٥ ص - المطبعة السلفية بالقاهرة

كتاب لطيف يحلو حياة هذا الصحابى الفاتح الجليل ، منذ نشأته الأولى وكيف التحق بكتيبة الإسلام فى بداية تذكورها ، وماله من المواقف فى تأييد هذه الدعوة والجهاد فى سبيلها فى مكة قبل الهجرة ، وفى مواقف الإسلام الكبرى بعدها ، وفى الفتوح العظمى فى ظل الخلافة العمرية .

إن حياة سعد بن أبى وقاص قطعة من حياة الإسلام نفسه فى صدره الأول ، وجهاد سعد بن أبى وقاص مثال كامل لمعجزة الإسلام فى جهاده الإنسانى لإعلاء كلمة الله والتنكيل بالطغاة والطغيان .

وقد كتب لهذه الرسالة مقدمتها رئيس تحرير هذه المجلة ، إعجاباً منه بإخلاص مؤلفها وصدق إيمانه فنلفت إليها الأنظار .

الأدب والعلوم

المصاحف من الخارج عرضها على مشيخة الأزهر

أصدرت لجنة تعديل القانون المصري قراراً بتعديل فقرة من قانون الجمارك بأنه لا يجوز إدخال مصاحف القرآن الشريف من أية طبعة كانت إلا بعد العرض على إدارة المطبوعات لاستطلاع رأى مشيخة الأزهر.

وفي السنوات الخمس السابقة على الثورة بلغ ما صرف على بناء المدارس ٢٥ مليون جنيه .. بالإضافة إلى مليونين ونصف مليون أنفق على تجديد مدارس قديمة .

وفي أول سنة للثورة ، وصلت ميزانية التعليم إلى ٢٦ مليون جنيه .. ثم قفزت إلى ٣٦ مليون جنيه .. وفي هذا العام وصلت إلى ٤٥ مليون جنيه .

التربية والتعليم بمصر قبل الثورة وبعدها

من أهم ما تضمنه خطاب الشعب الذي ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر في افتتاح مجلس الأمة الفقرات التالية عن التربية والتعليم في مصر بعد الثورة مقارنة بما قبلها :

وكان عدد الطلبة العرب والشرقيين في معاهدنا ١٦٧٦ وعدادهم الآن ٨٥٣٤ .
وكان لنا في البلاد العربية ٦٩٠ مدرساً ولنا الآن ١٦٧٦ مدرساً .

وكان عدد تلاميذ مدارسنا الابتدائية مليوناً وأربعمائة ألف ، فأصبح مليونين ومائتي ألف .

والمدارس الصناعية والفنية كان فيها ٢٢٠٠٠ طالب فأصبح فيها ٤٩٥٠٠ طالب .
وكانت الجامعات تضم ٤٢ ألف طالب فأصبحوا ٧٤ ألفاً .

في العام السابق للثورة بنيت في مصر ٣ مدارس جديدة .. وفي سنوات الثورة الخمس ، بلغ مجموع ما بنى من المدارس ١٢٣٥ مدرسة .. أى بمعدل ٢٤٧ مدرسة كل عام .. أى بمعدل مدرستين كل ٣ أيام .

إلى عبيد الله المهدي (٢٦٠ - ٣٢٢) الذي دخل سلسلة الاسماعيليين بالتبني الروحي أو مايسمونه د الامامة المستودعة ، مع أنه من ذرية ميمون القداح . والمذهب الاسماعيلي مذهب باطني يتألف الاسلام في جميع الاسس التي هو قائم عليها ، وقد أفصح شاعرهم عن حقيقة مذهبهم الحلولي يوم قال عند حلول عبيد الله المهدي مدينة رقادة :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو البرايا وكل شيء سواه ربح

جامعة أسيوط

تفتتح كليتا الهندسة والعلوم بجامعة أسيوط في أول العام الدراسي القادم ، وقد اختير لهما مقر مؤقت في مبنى المدرسة الثانوية التي تقرر نقلها إلى مكان آخر في أسيوط

المدينة الجامعية

لطلبة جامعة عين شمس

تم بناء المدينة الجامعية لطلبة جامعة عين شمس ، وافتتح جناحان منها في أول أكتوبر القادم ، ويتسع الجناح الواحد لاستيعاب ٢٥٠ طالبا .

والأزهر كان فيه ٢٢ ألف طالب ، فأصبحوا ٣١ ألفاً .

ولنا الآن أكثر من مائة عالم مصري يتخصصون في أبحاث الذرة في أكبر مراكز البحث الذري في العالم .

الديانة الاسماعيلية

لمناسبة موت أغا خان إمام الطائفة الاسماعيلية النزارية في الشهر الماضي ودفنه بوصية منه في أسوان من صعيد مصر تسأل الناس عن حقيقة هذه النحلة ومنزلتها من الإسلام ، وكتب أحد أصحاب المجلات الاسبوعية يلح على الأزهر في بيان ذلك . وقد قامت مجلة الأزهر بهذا الواجب للعلم والدين بما كتبه في جزء جمادى الأولى ١٣٧٣ ص ٦١٢-٦٣١ بعنوان (من هم العبيديون) وبيّنت سر الاختلاف في نسب المعز وبنيه الذين ينسب أغا خان إلى واحد منهم وهو نزار بن المستنصر ، كما تنسب اسماعيلية البهرة إلى أخيه المستعلي بن المستنصر . وفي ذلك المقال بيان دقيق لأصل المذهب والشخصيات التي مثلت دورها في تكوينه وطريقته في التبني الروحي الذي انتقلت به سلسلة الاسماعيليين

انتهاء العمل الانشائي

مجلس الأمة

عقد مجلس الأمة في صباح ٢٢ يوليه أول اجتماع له ، فأقسم الأعضاء اليمين القانونية ، وانتخب السيد عبد اللطيف البغدادى رئيسا ، والسيد أنور السادات وكيلًا أول ، والأستاذ محمد فؤاد جلال وكيلًا ثانيًا ، وفي المساء افتتح الرئيس جمال عبد الناصر أول دورة لمجلس الأمة ، وبعد أن حلف اليمين ألقى بيانه التاريخي الخطير الذي استغرق إلقاؤه ساعتين إلا عشر دقائق ، قدم فيه للشعب حساب الثورة عن سنوات حكمها الخمس ، وكان الأعضاء يقاطعون البيان بالتصفيق الحاد عشرات المرات ، وبعد انتهاء البيان هتف رئيس المجلس وأعضاؤه بحياة جمهورية مصر ، ثم غادر الرئيس جمال عبد الناصر القاعة والتصفيق يدوى من الأعضاء والزوار في الشرفات ، وأعلن رئيس المجلس تأجيل الاجتماع إلى مساء ٥ أغسطس .

حياة مصر الاقتصادية

بعد الثورة

جاء في خطاب الشعب الذي ألقاه الرئيس

جمال عبد الناصر في افتتاح مجلس الأمة أنه قد تم في سنوات الثورة توزيع ٨٠٠ ألف فدان طبقا لقانون الإصلاح الزراعي ، ورصدت ٢٠٠ مليون جنيه لمشروعات الإنتاج ، و ١١٢ مليونًا للتعمير ، وقد حقق الميزان التجاري - لأول مرة - فائضا قدره ٦,٥٠٠,٠٠٠ جنيه .

الأسطول المصرى

تهزز الأسطول المصرى بقطع جديدة اشترتها مصر من بلاد الاتحاد السوفيتى وفي طليعتها ثلاث غواصات من أحدث طراز ، وست قطع من واضعات الألغام ، وخمسة عشر زورقا من زوارق الطوربيد . وقد تدرب رجال السلاح البحري المصرى على استعمال هذه القطع أكمل تدرب .

مشروع إيزنهاور للشرق الأوسط

اعترف جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا في حديث أذاعه على التلفزيون البريطاني بأن مشروع إيزنهاور للشرق الأوسط لم يوضع كنتيجة للحملة الثلاثية على مصر ، ولكنه وضع كنتيجة لصفقات السلاح التي صدرها الاتحاد السوفيتى إلى المنطقة .

الاتحاد المصري السوري

قال الرئيس جمال عبد الناصر لأعضاء الوفد البرلماني السوري في مهرجان عيد الثورة : « إنكم تستطيعون أن تعلنوا عن لسانى رسميا أن الحكومة المصرية مستعدة للدخول مع الجانب السوري في مباحثات لتحقيق الاتحاد المصري السوري فوراً »

والتفت الرئيس إلى الوزراء المصريين الذين حضروا الاجتماع وقال لهم : إنكم مستعدون على ما أعتقد لبدء المباحثات مع رجال سوريا لوضع تفاصيل الاتحاد تدريجياً . فأمن الوزراء على قول الرئيس .

تونس جمهورية

في صباح يوم الخميس ٢٧ من ذى الحجة (٢٥ يولييه) انعقدت الجمعية التأسيسية التونسية لبحث نظام الحكم الصالح لتونس ، وقررت إلغاء النظام الذي كان يقوم على رأسه أمير أو ملك يسمى (الباي) والعمل بالنظام الجمهورى على الطريقة الأمريكية التي يتولى فيها رئيس الجمهورية رئاسة الوزارة ، واختير السيد الحبيب بورقيبة الرئيس الأول لهذه الجمهورية العربية الحديثة ، وتولى في الوقت نفسه رئاسة الوزارة في الحكم الجديد .

الانجليز بين مسقط وعمان

كان سلطان مسقط - الذى يحكم تحت

الحماية البريطانية - قد اعترف لإمامة عمان بالاستقلال ، وذلك في معاهدة (السيب) التي وقعت سنة ١٩٢٠ على يد الإنجليز ، ولما تبين للانجليز في السنوات الأخيرة مظنة وجود بترول في أراضي إمامة عمان دفعوا ربيهم سلطان مسقط إلى نقض معاهدة السيب ومحاولة التدخل في شئون إمامة عمان . ولما كان سلطان مسقط أضعف من أن يقصم ببغى مستقل على إمامة عمان تعاونت بريطانيا معه على هذا البغى واشتركت قواتها العسكرية والجوية في العدوان على بلاد إمامة عمان . واعترف سروليم لندساي ممثل شركة مسقط الدولية للبترول بأن هذه الشركة تدفع إعانة لجيش مسقط ليقوم بهذه الحرب الباغية على بنى جنسه ودينه في سبيل البترول .

فلسطين

بين الاستعمار وأعوان الاستعمار تناول الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب الإسكندرية يوم ٢٦ يولييه قصة حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فقال : إن الاستعمار يهدف إلى تصفية قضية فلسطين من أجل مصلحة إسرائيل ، ويعتمد في هذا على أعوان الاستعمار في الدول العربية ، وعلى الخونة العرب الذين اعتمد عليهم سنة ١٩٤٨ ، كلنا نعرف ماذا وقع في اللد والرملة ، وكيف تركت لاسرائيل وفتح أمامها الطريق لاتهاجم

تقدم مصر الصناعي

جاء في خطاب الشعب الذي ألقاه الرئيس في افتتاح مجلس الأمة :

ينتهي في هذا العام بناء مصنع الحديد والصلب وإنتاجه مائتا ألف طن .

وتم توسيع معمل تكرير البترول في السويس وزاد إنتاجه من أربع مائة ألف طن إلى مليون وثلاثمائة ألف طن .

وتم أيضا إنشاء معمل في مسطرد .

وتم كذلك إنشاء معمل في الاسكندرية تصل طاقته إلى سبع مائة ألف طن .

وتم مد خط أنابيب بترول بين السويس والقاهرة طوله ١٣٠ كيلو مترا ، وكفايته ٢,٣٠٠,٠٠٠ طن .

وأوشك العمل في كهربية خزان أسوان على الانتهاء ، وتقدر تكاليفه بـ ٢٧,٥٠٠,٠٠٠ جنيه ، وسيعطى قوة كهربائية قدرها

١٨٨٠ مليون كيلوات ساعة تستخدم في الأغراض الصناعية بينها الكهرباء اللازمة

لمصنع السماد الكبير الذي يجري إنشاؤه الآن ويتكلف ٢٢ مليون جنيه ليكون إنتاجه

٣٧٠ ألف طن من سماد نترات النواشدر الجبرى تبلغ قيمتها كل عام أكثر من ٨

ملايين جنيه .

وتم وضع مشروع التوسع الصناعى على خمس سنوات وسيترتب على تنفيذه زيادة

في الدخل القومى مقدارها ١٣٠ مليون جنيه وبذلك يصبح نصيب الصناعة ٢٢ ٪ من

الدخل القومى .

مصر ، وبواجه الجيش المصرى وحده قوات إسرائيل . كلنا نعرف كيف حوصرت قوات من الجيش المصرى فى الفالوجة ، وكيف اجتمع القادة العرب وقرروا إنقاذ هذه القوات ، ولكن الجيش السورى كان هو الجيش الوحيد الذى وصل إلى الخليل ، والجيش السعودى كان مشتركا مع الجيش المصرى فى الجبهة المصرية ، فالجيش السورى توجه وحده إلى الجبهة لينفذ الخطة ، أما الباقى فلم تصلهم أوامر ، لأن الأوامر لم تخرج من إنجلترا ، ولأن إنجلترا كانت هى صاحبة السلطة العليا فى البلاد التى لم تتلق جيوشها أوامر بتنفيذ ماقرره قادة العرب فى اجتماعهم ، هذا هو الفرق بين الاستقلال والاستعباد ، هذا هو الفرق بين البلد الذى يستعمل سياسته من داخله والبلد لذى تأتية سياسته من الخارج .

تعداد سكان مصر

تبين من عملية الحصر التمهيدية التى أجرتها مصلحة التعداد والإحصاء أن عدد سكان الجمهورية المصرية ٢٢,٨٤٠,٠٠٠ نسمة تضمها ٦٥١,٠٠٠ أسرة ، تسكن فى ١٥٦,٠٠٠ مبنى ، و ٢٣٩,٠٠٠ مسكن وفى القاهرة من ذلك ١٩٥ ألف مبنى و ٧٠٠ ألف مسكن تقطنها ٦٢٨ ألف أسرة عدد أفرادها مليونان و ٨٩١ ألف نسمة .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بفـ
١	من عام - إلى عام	المجلة
٢	من الاسلام إلى الايمان	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١٤	نفحات القرآن : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
١٨	للسنة : مكان النصيح في الاسلام — ١ —	» طه محمد الساكت
٢٢	خوارق المعاديات التي اقترنت بالمهجرة الشريفة	» محمد الطنبيخي عضو جماعة كبار العلماء
٢٧	من تاريخ الكفاح في الجوائز : الأمير عبدالقادر	» علي المهارى
٣١	رسالة الصحافة	» أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر . .
٣٥	حديث عبد الاضحى المبارك	فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٣٩	المهجرة والتضحية والفداء	الاستاذ محمد محمد أبو شهبه الاستاذ بكلية أصول الدين
٤٢	من نوادر المخطوطات : إعلام الساجد بأحكام المساجد	» أبو الوفا المراغى
٤٥	نظرة فقهية : في قانون معاشات الموظفين . . .	» محمد عبد السلام القبانى
٤٨	دهوة الاسلام ومنهجها في الاصلاح	» يس سويلم طه
٥٥	حصولنا مهددة من داخلها — ١ —	الدكتور محمد محمد حسين
٦٦	من تاريخ المسلمين في الهند : ثورة الهند الدامية	الاستاذ عبد المنعم النمر
	على الانجليز	
٧١	أعلم الصحابة بالحلل والحرام	» محمود النواوى
٧٦	عقدما أخرجنا من الاندلس	» أنور الجندي
٨٠	بشائر العام الهجرى الجديد	» عباس طه
٨٤	تحية العام الهجرى الجديد « قصيدة » . . .	» محمود طيرة
٨٦	الكتب	المجلة
٩١	الأدب والعلوم	»
٩٣	العالم الاسلامى	»

عبد الرحمن عيسى	٤٠٠
مجلد الأزهري	٤٠٠
الإشراف السنوي	٣٠٠
في وادي النيل	٥٠٠
الطبعة وادي النيل	٤٠٠
والطبعة والرسالة بالرواية	٣٠٠
فهارس الروايات	٥٠٠
للطبعة فهارس الروايات	٣٠٠
للعامة والرسالة فهارس الروايات	٤٠٠

مجلد الأزهري
مجلد شهرية بجامعة
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

عبد الرحمن عيسى	٤٠٠
مجلد الأزهري	٤٠٠
الإشراف السنوي	٣٠٠
في وادي النيل	٥٠٠
الطبعة وادي النيل	٤٠٠
والطبعة والرسالة بالرواية	٣٠٠
فهارس الروايات	٥٠٠
للطبعة فهارس الروايات	٣٠٠
للعامة والرسالة فهارس الروايات	٤٠٠

الجزء الثاني - القاهرة في غرة صفر ١٣٧٧ - ٢٧ أغسطس ١٩٥٧ - المجلد التاسع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تهذيب البغي

لقد كان هذا الظلم فوضى ، فهذبت
حواشيه ، حتى بات ظلها منظما
ما فظ

لقد احتك الشرق الإسلامي بالغرب المسيحي بمقياس واسع للمرة الأولى عندما زحفت
جحافل الصليبيين من أنحاء أوربا لإبادة المسلمين ، وخضعت شوكتهم ، وانتزع بيت المقدس
والبلاد الفلسطينية والديار الشامية من دائرة سلطانهم الرحيم ، فكانت الحروب الصليبية
في القرون الوسطى حروب بغى همجي وتعصب ذميم ، ما في ذلك شك . . . غير أنها كانت
حروبا سافرة سبقت أعلامها وصلبانها اللائع والذئب ، وعلا صوت دعائها بالإعداد
والاستعداد ، وأعلنت عن نفسها بالطبول والمزامير ، وكان ملوكها وقادتها ودعاتها يجاهرون
بما في أنفسهم غير منافقين ولا دسائسين . . .

وفي عصرنا هذا ، أوبالتحديد بعد الحربين العالميتين ، صرنا نرى تحت الرماد ،
بين الحين والحين ، وميض جمر لونه كلون الحروب الصليبية ، وصفاته ومميزاته كصفات

الحروب الصليبية ومميزاتها ، والروح التي يومض بها هي الروح الصليبية بلا أى فارق بينهما ، غير أن هذا الجمر العصرى المستتر تحت غلايل من الرماد مجرد عن صراحة الحروب الصليبية القديمة وسفورها : القلب قلب الحروب الصليبية ، والوجه وجه الحضارة الغربية ...

وقارن - إن شئت - بين الحروب الصليبية البغيضة التي يعدها التاريخ من مخازى القرون الوسطى ، وما وقع على مصر في أواخر أكتوبر من العام الماضى والأسبوع الأول من شهر نوفمبر ، أعنى غارة الغدر الفاجرة التي كانت موضوع استنكار إجماعى فى جمعية الأمم ، ذلك الاستنكار الذى اشترك فيه وأعلنه رسميا ممثلون خمس وستين دولة ، مما لم يسبق له نظير فى تاريخ روابط الدول بعضها ببعض .

إن هذا الخزى العصرى الذى استنكرته دول العالم رسميا ، ارتكبته دولتان كانت جامعاتهما ومجامعهما ومرافقهما ومحققتهما ومؤلفات علمائهما وأدبائهما توحى إلى الأغرار وأهل السداجة من متفرنجى العالم الإسلامى وبعض خريجي جامعاته بأن تينك الدولتين هما حاملتا أمانات الحضارة الإنسانية ، ورائدتا التقدم العلمى والأدبى فى الأرض ، وأنهما القدوة فى الثقافة والتهديب لكل أمة متخلفة تبحث عن المثل العليا للنهوض والتقدم نحو المعالى . وبالذعاية لهذه المعانى فى صحافتنا ومطبوعاتنا ومدارسنا وجامعاتنا وقاعات محاضراتنا - مضافا إلى ذلك ما قام به التوجيه الثقافى الاستعمارى من تحويل مرافقنا كلها عن ثقافة العروبة والإسلام فى أسسها وروحها ، والافتصار منها على أثاره من ظواهرها وشكلياتها - بهذا وذاك ضعف إيمان شبابنا المثقف بماضيهم ومقوماتهم الأصيلة ، وبكيانهم وخصائصه المعنوية . ثم وقعت تلك الغارة الهمجية على مصر فى نوفمبر الماضى - على غير انتظار من دعاة ثقافة الغرب والمتفرنجين - فتمزق بها نقاب الرياء ، وانكشف عما وراءه من الغدر اليهودى الخسيس ، متخذًا له من هاتين الدولتين مطية لأغراضه بعيدة الأهداف ، فاضطر أمثال كاتب « ماقل ودل » إلى إعلان الكفر بالحضارة التي كان يقنى لها بألحان باريس ، ويدعو لثقافتها وأغراضها فى الصحف والكتب .

ومع ذلك ما برحت قافلة البنى والظلم والنفاق سائرة فى طريقها من الغرب إلى الشرق ، فالخزى هو هو : فى ربوع الجزائر ، وفى قلب الوطن العربى من مخاليف الين ، وفيما بين مسقط وعمان ، بل فى كل مكان . والسعابيات والدسائس والتفريق والعبث فى عقول أطفال السياسة والحكم ، لا تزال هى هى فى كل بقعة يوجد فيها أناس منا يمدشون

لأنفسهم لا لأنهم ، وللساعة التي هم فيها لا لتأمين الاتصال بين أجداد ماضٍ يجهلون ، وأهداف مستقبل قومي لا يؤمنون بها ولا يقيمون لها وزناً ، لأن الثقافة التي رضعوا لبانها لا توحى اليهم بهذه المعاني .

وفي الساعة التي أكتب فيها هذه السطور لاح في الجمرات المستترة تحت غلائل الرماد لون جديد من ألوان الحروب الصليبية : طائرات وسيارات دبلوماسية تنتقل خلصة بفلان طريد الحكم ، وبفلان المالحق العسكري العربي في روما ، فتجمل كلا منهما إلى وطنه ليجتمع - بدلالة الدبلوماسيين الأمريكيين هوردستون ، وفرنسيس جيتون ، والكولونيل روبرت مالوي - بالذين يتصيدهم هؤلاء الأمريكيون من ضباط الجيش السوري للتآمر على وطنهم وإحداث الفتن فيه ! ولكن هؤلاء السادة الذين يحاربوننا في ديارنا حرباً صليبية مستترة ، فوجئوا بأخلاق عالية من الضباط السوريين الذين كانوا يحسبونهم قنأص لهم ، فنفخ بعض هؤلاء الضباط غلائل الرماد عن الجمر الصليبي ، ووقى الله عاصمة الأمويين وحكومة سوريا الفتية شر الفتنة ، وقيل لهؤلاء السادة الدبلوماسيين الأمريكيين الثلاثة : تفضلوا وارجعوا من بلادنا ، فانها لا تستطيع أن تهضمكم ...

إن أميركا تريد أن يكون نظام حكمنا في بلادنا كما تشاء هي لنا وكما يلائم مصالحها ، لا كما نحب نحن . لأنفسنا ويلائم مصالحنا ... وتريد أن تكون اتجاهاتنا القومية والمالية كما تشاء هي لنا وكما يلائم أذواقها ومشاربها ، لا كما يليق بنا ونواصل به سيرتنا في التاريخ وإيماننا بالمبادئ والأهداف ... ومع هذا الاختلاف بيننا وبينها فيما تريده لنا ونريده لأنفسنا ، فانها تزعم لنا كما تزعم للذين تحاول اصطناعهم من أبنائنا لإحداث الفتن في أوطاننا ، تزعم لهم ولنا ، أنها صديقة لنا ، وأنها جديرة بثقتنا فيها وطمانينتنا لها ! أليس الذين زحفوا علينا من أوروبا في القرون الوسطى ، ليسلبوا حياتنا وأوطاننا ، كانوا - بصراحتهم وجوههم السافرة - أكثر نبلاً وأقل جريرة ؟ !

وأحب أن يعرف القارئ من الآن أن ما تقدم ليس هو موضوع هذا المقال ، فالحرب والسياسة لهما رجاها ، ولهما الجهات التي تهتم بأمرهما ، وتتخذ لكل شيء أهيمه ، وأسباب الوقاية منه ، والوقاية في الإسلام شعبة من التقوى ، وكلاهما من شجرة واحدة في اللغة العربية ، لغة الأزل والأبد .

إن الذي أريد أن أتحدث عنه في هذا المقال هو حرب صليبية أخرى ، وسياسة صليبية أخرى ، في هذا الوطن العربي الإسلامي . ولقد شجعتني على الحديث عنهما مقال

السيد الجامعي المصري النبيل الدكتور محمد حسن الأستاذ بجامعة الإسكندرية الذي نشرنا شطره الأول في الجزء الماضي وأكملنا نشره في هذا الجزء . هو بحث هادئ رزين مملوء قوة وعلمًا وصدق لهجة وحسن توجيه .

« حصوننا مهددة من داخلها » هكذا يقول الدكتور محمد حسن ، وهو في الموضوع ، إنه يتحدث عن الحرب والسياسة ، ولكن لا عن حرب الأسلحة الجوية والبحرية والبرية ، ولا عن سياسة الدبلوماسيين الأجانب الذين تحمل طائراتهم إلى دمشق طريد حكم ووضع أخلاق ، ليتوليا عنهم إغراء معارفهما من رجال الجيش في بلد عربي ينكرون عليه حقه في أن يكون له نظامه الذي يختاره لنفسه لأنه يلائم مصالحه ، ويريدون أن يتحدثوا فتنة ليقيموا فيه النظام الذي يشاءونه له ويلائم مصالحهم الأجنبية ، فيتحول عن مبادئه إلى مبادئهم ، وعن أهدافه إلى أهدافهم . . .

مقال « حصوننا مهددة من داخلها » يتحدث عن حرب أخرى غير الغارة العادرة على مصر في نوفمبر من العام الماضي ، وعن مؤامرة أخرى غير مؤامرة الدبلوماسيين الأمريكيين في دمشق ، إلا أنها حرب تلتقي مع غارة نوفمبر على مصر ومع مؤامرة الدبلوماسيين الأمريكيين في أهدافهما وغايتهما . ولا أكون مغاليا إذا قلت إنها حرب أبعد غورا وأعمق آثارا . وصدق الدكتور محمد حسن إذ قال : « إن الدول لا تسود ولا تعلو بالحديد والنار ولا بالمال ، ولكنها تسود بالخلق المتناسك . وأعلى مصادر الخلق المتناسك وأعمقها جذورا وأدومها أثرا هو الدين » .

أجل ، إن المال ، وإن الحديد والنار ، إذا لم يكن لهما ردة من الخلق المتناسك والدين القويم فمصيرهما الفشل . والدين القويم والخلق المتناسك هما عصمة المال وردء الحديد والنار ، وديننا - على الخصوص - دين أخلاق ، والرسول الذي بعثه الله بهـذا الدين قد أعلن بكل صراحة أنه بعث ليتعم مكارم الأخلاق .

جمال عبد الناصر الذي يقف في وجه الاستعمار هذا الموقف الحكيم المشرف ، إنما استطاع أن يقف من الاستعمار هذا الموقف لما عنده من خلق متناسك ولما عنده من دين . إن أحدا لا يعرف اسم زوجته ، ولم يروا لها صورة في صحيفة . وأديب الشيشكلي الذي اتخذ الدبلوماسيون الأمريكيون في دمشق عكازا يتوكأون عليها ليحدثوا في سوريا

فتنة على الطريقة الأمريكية ، كان في مدة حكمه إذا بلغه عن ضابط في جيشه أنه لا يشرب الخمر ، يدعوهُ إلى منزله ويقدم له الخمر بيده ويرغمه على تناولها ، أو يضمن له البغضاء والشر إذا استمسك هذا الضابط بخلفه ودينه . . . إن من لا دين له لا وطنية له ، ولا خير فيه لأُمته وحكومتها .

إذا كانت الأخلاق حاجة من حاجات الأمة ، أى أمة ، وإذا كانت حاجة من حاجات مصر والأوطان العربية ، فإن مصر والأوطان العربية لن تجد مصدرا سليما للأخلاق يعلو على الإسلام أو يبلغ مستواه . ولن تجد مثلاً أعلى للأخلاق ، كالحلق العظيم الذى كان عليه حامل رسالة الإسلام في تعامله مع أوليائه وشأنه ، وكالأخلاق الممتازة التى كان عليها أصحابه في تعاملهم فيما بينهم ، وفى معاملتهم الأمم التى فتحوها لها نوافذ النور يوم فتحوا بلادها ، فاستجابت لدعوتهم ، واندجبت فيهم ، وتنازلت عن لغاتها إلى لغتهم . كل هذا لما كانوا عليه من أخلاق رفيعة ممتازة تلقوها عن صاحب الخلق العظيم . إن الإسلام من جميع نواحيه دين أخلاق ونية سليمة وطوية نبيلة ، إن رسول الإسلام مبعوث إلى الإنسانية برسالة من أهم عناصرها النهوض بمكارم الأخلاق إلى مستواها الرفيع .

لكن رسالة الإسلام وسجايا العروبة كانا في مئات السنين الأخيرة (يتيمين) ، فليس للإسلام ما يقوم مقام الأنظمة البطريركية والكنسية التى تتولى أبنائه ، وليس له ولا للعروبة حماية حكومية فى أية بقعة من بقاع العالم تحتضنها وترعى حيويتهما . لذلك بقيت مزايا الإسلام معطلة ، وسجايا العروبة بغیضة مشنوءة . بقيت جواهر الإسلام مدفونة فى حمأة ، وينابيع قوته وقوة العروبة مجهولة من أهلها ، وكان الغرب يراقب مزايا الإسلام وسجايا العروبة بعيونه من المستشرقين فيحرص على تشويهها ، وتحويل وجوه أبنائهما عنهما ، ورصدوا فى ميزانياتهم الاعتمادات السيخية لمحاربة الإسلام بأنظمة التبشير فى عمق الأعماق من أوطان الإسلام ، وأعدوا الكتائب من رجالهم للسيطرة على مناهج وزارات المعارف فى أنحاء الشرق العربى والإسلامى ، وتوجيهها للتوجيه الذى يكبت كل حيوية يمكن ظهورها فى نهضة العرب والمسلمين . فكان من نتائج ذلك ما نراه الآن من حملة أفلامنا والقائمين على صحافتنا ودور النشر والمصورين والمؤلفين ، من العمل على هدم العفة ، وتمزيق براقع الحياء ، وتحريض البنات على الأولاد ، والدعوة إلى الاختلاط فى المدارس ، والحيف من كل شئ منسوب إلى

الإسلام ، والتعامل على علماء الإسلام بالحق والباطل لمناسبة وغير مناسبة . كل ذلك من نتائج الحرب الصليبية التي خاضها الغرب في استعمارها الثقافي لوزارات المعارف في الأوطان الإسلامية والعربية مدة تسلطه عليها ، فآتت أكلها بعد الجلاء العسكى عن بعض أوطاننا ، وما برح الغرب يواصل حربه هذه بالأساليب التي يجلوها لنا الدكتور محمد حسين بدقة وأمانة وعرض هادئ .

إن الذين يعاونون الغرب من رجالنا بترجمة الكتب الاجتماعية اتى توجهه أبناء العروبة والإسلام في عكس الطريق الذى ترشدتهم إليه عربيتهم وإسلامهم لا ريب أنهم أعوان للغرب في حربه الصليبية من طريق الثقافة ، إنهم والغرب معا يهددون حصوننا من الداخل ، كما أن أديبا الشيشكى - من أجل شهوة الحكم ولأنه تنقف ثقافة غربية - يعمل والغرب معا على تهديد حصوننا من الخارج . الذين يترجمون الكتب التى تحدث عنها الدكتور محمد حسين يحاربوننا مع مؤافى تلك الكتب لينزعوا قلوب قرائنا من سلطان العروبة والإسلام ، ولينكثوا أعداء العروبة والإسلام من الاستيلاء عليها ، والذين يهبطون إلى الوطن العربى خلسة بالطائرات الأجنبية الدبلوماسية ليجتمعوا فى منازل الدبلوماسيين الأجانب بضباط جيش عربى إنما يحاولون انتزاع السلاح العربى من سلطان العروبة والإسلام وتمكين أعداء العروبة والإسلام من الاستيلاء عليه .

فى خلال العطلة السنوية لهذه المجلة كان فى زيارة مصر بعض ممثلى وزارات المعارف فى الحكومات العربية الشقيقة التى تعمل على تحقيق الوحدة الثقافية العربية ، وكان منهم ممثلو لجنة التربية الدينية فى مشروع المنهاج الموحد للرحلتين الإعدادية والثانوية . ومن حسن الحظ أن ممثلى لجنة التربية الدينية فى وزارة معارف إحدى الحكومات العربية الشقيقة مؤمنون - كما نحن مؤمنون - بأن الشر كل الشر فى ابتعاد النشء العربى عن التربية الإسلامية ، وأن الخير كل الخير فى إيمان النشء العربى بإيماننا صميميا بإسلامه ، وفى عمله بالتربية التى يهدى إليها الإسلام . ومن أعجب العجب أن بعض رجال وزارة التربية والتعليم عندنا من أشباه الذين نقرأ أسماءهم على بعض الكتب المترجمة التى يتحدث عنها الدكتور محمد حسين فى مقاله ، كانوا يتألمون وتضيق صدورهم من رغبة ممثلى البلاد الشقيقة فى تزويد النشء بتربية إسلامية أوسع ، ويرون هذا التوسع فى التعليم الإسلامى والتربية الإسلامية كأنه قطع تقتطع من لحومهم ، ولولا العون النبيل الذى لقيه ضيوفنا

من شخص وزير التربية والتعليم في مصر لما نجحوا في بعض ما نجحوا فيه مما نرجو الله أن يزدادوا فيه نجاحا في المستقبل .

الحروب الصليبية في القرون الوسطى ، كانت حروبا همجية حقا ، لكنها كانت صريحة لا تنطوى على رياء أو نفاق . لقد كانت حروب بغي أفضت مضاجع الأمنين في الشرق والغرب ، لكنها بسفورها ووضوحها كانت تسمى العدو عدوا والصديق صديقا . ونحن الآن نواجه بغيا مهذب الحواشي ، من ورائه دارسون ودراسات ... إنه بغي مهذب ، يسمى العداوة صداقة ، والشر خيرا ، والاستعمار ملء فراغ ، والاحتلال معونة ورفقا وإحسانا . وكما أن من أسلحته المطارات والأساطيل والقنابل الهيدروجينية ، فإن من أسلحته كذلك الطائرات الدبلوماسية وكتب مؤسسة فرانكلين . وكما أن من جنوده أولئك الذين تقع عليهم القرعة من المولودين في الولايات المتحدة ، فإن من جنوده كذلك أدبيا الشيشكي و مترجمي الكتب التي يتحدثنا عنها الدكتور محمد حسين . بل من جنوده - أى من طابوره الخامس - كل حامل قلم ، وكل مصور ، وكل مؤلف ، وكل مدرس ، وكل خطيب أو محاضر ، وكل ممثل يحاول أن يهدم جانبا من بنيان الإسلام ، ويحاول أن يسفه حكما من أحكام الإسلام ، وكل من يطارد بكائه وعبقريته خلقا من أخلاق الإسلام ، وكل من يحاول أن يجعل نساءنا رجالا ورجالنا نساء .

نحن الآن على مفترق طريقين : طريق ينادينا إليه إسلامنا وعروبتنا وماضيها ومستقبلنا ، ومن مقتضاه أن نربط بين ماضيها ومستقبلنا بخط واحد مستقيم ، نتجهز فيه بجميع دقائق العلم وتفصيله التي تجعلنا من أهل القوة في جيشنا وأسلحتنا وصناعاتنا وعمرائنا وحضارتنا ، فنكون في هذه الكرة الأرضية أصحاب حضارة إسلامية غنية قوية شامخة . وطريق آخر يرد الغرب أن يسوقنا إليه ، ونكون فيه أجناب عن إسلامنا ، متنكرين لعروبتنا ، مجردين من ينابيع قوتنا ومصادر بعثنا ، ونكون فيه أمة لهو ومتعة نسير بتوجيهاتهم ، ونعيش بعقلياتهم ، ونرى الأشياء بعيونهم ، ونكون كما يريدون لنا أن نكون .

فالذين يدعون إلى الخطوة الثانية في مصر ، ويحدون أختها في تونس ، ويساهمون في ترجمة الكتب الأمريكية التي تدعو إلى البهيمية الجنسية باسم علم النفس ، والذين يكتبون ويصورون ويؤلفون ويحاضرون ويخترعون النكت لإيقاظ الغرائز الجنسية

وإفساد العقيدة والفضيلة في قلوب الشباب والشبان ، والذين تنقبض صدورهم من التوسع في تعليم الدين والدعوة إلى التربية الإسلامية في المدارس ، كل هؤلاء ماشون في القافلة وراء الغرب ، ، منفذون للخطة التي رسمها الغرب لابعاد هذا الجيل من أبناء العروبة والإسلام عن العروبة والإسلام ، فهم في نظر الغرب أعوان له على تحقيق خططه ، لا فرق بينهم وبين الدبلوماسيين الذين يحملون رجال الفتنة بالطائرات الدبلوماسية والسيارات الدبلوماسية ليمتصوا بعمارهم من رجال أى جيش عربى فيؤايدوهم على أوطانهم ويتخذوا منهم كتلة تحقق الأغراض الأجنبية في سياسة أوطاننا .

هما طريقان : أحدهما يريد تجديد الحيوية في مصادر قوتنا الأصيلة ، لتتخذ المكان اللائق بنا بين الأحياء . والآخر يريد سحق هذه الحيوية في مصادر قوتنا الأصيلة لنكون إفرنجيا يتكلمون اللغة العربية ، بل اللهجات العامية العربية ، ولنسير وراء الغرب في حربه الصليبية المهذبة التي تغزو قلوبنا وعقولنا واقتناعاتنا ، عملا بقول وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دالاس : « إن سياسة أمريكا في الشرق الأوسط ينبغي أن تكون : الغزو من الداخل » .

إن هذه الدعايات التي تتبارى بها الصحف لتهوين أمر الدين والفضائل وتوجيه النشء في غير طريقهما ، وهذه الكتب التي يختارها الغرب للشرق ويستأجر الأقلام لترجمتها وإذاعتها بيننا لتقربنا منه وإبعادنا عن كياناتنا وأنفسنا ، كل هذا لم يوجد في بلادنا اعتبارا ومن غير قصد ، بل هو نتيجة بنى مذهب ، وخطط مدروسة ، وأهداف معينة . فكما أن حركة التبشير في الشرق نظمت لأغراض مخصوصة ، وغذيت بالأموال والتأييد لتحل محل الحروب الصليبية القديمة ، فإن الدعايات الحاضرة لتحويل أبناء المسلمين عن الإسلام قد نظمت لتعاون حركة التبشير في مهمتها ومقاصدها .

كانت المعركة بالسبوف والحراب والمجانبق ، ثم صارت بالمدافع والبنادق وإرساليات التبشير ومدارسها ومرافقها ، ثم صارت بالطائرات والدبابات والغواصات ، ثم صارت بالعلوم الذرية والهيدروجينية . وقد انضم أخيرا إلى كل هذه الأسلحة الطائرات الدبلوماسية والكتب والغارة على العقول والقلوب ، لإخراج العرب والمسلمين عن أخلاق عربيتهم وآداب إسلامهم ...

أيها العرب والمسلمون يجب أن تعرفوا أعداءكم ، وقد يكونون في بيوتكم .

حسب الدين الخطيب

نفاية القرآن

- ٥٢ -

من عجائب القصص الكريم

مائدة عيسى عليه السلام

١ - « إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟
ب - قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » .

الحواريون : هم الخاصة ، والصفوة الأوائل من أتباع المسيح عليه السلام ، وقد شهد القرآن لهم بما فيه الكفاية من تزكية لهم ، وثناء عليهم .

ومن ذلك قوله تعالى : « وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي ، وبرسولي ، - يريد عيسى - قالوا : آمنا ، واشهد بأننا مسلمون » .

وبلغ من ثناء القرآن عليهم أن دعانا إلى القدوة بهم في صدق الإيمان ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من أنصاري إلى الله ؟؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله » .

ومع هذا الإيمان المشهود به للحواريين تطلعت نفوسهم يوما إلى شيء ظنه عيسى نزوعا منهم إلى الترد ، ووقف منهم موقف الرادع ، إذ جأؤه بقولهم له : « يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » فهاله سؤالهم ، وخشى عليهم مغبة السؤال وأن يكون هذا بادرة عناد ، أو مشغلة بالأمانى والطلب ، وحينذاك عاجلهم بالرد غير متريث ، فقال : « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » .

يريد عيسى عليه السلام أن يرجع بهم إلى الإيمان المعهود فيهم ، ومن شأن الإيمان أن يذود صاحبه عن سؤال جرى كهذا عن قدرة الله على إنزال مائدة من السماء ، فضلا عن كونه مطلباً لم تجربها العادة ، ولا هو من مسالك الرزق المألوفة ، بل هو أشبه بما كان يعتمد عليه بنو إسرائيل في طلبهم أن يرزقوا من السماء بالمن والسلوى ، ثم لا يرضون بعد ، ولا يحمدون ولا يشكرون ، فكيف يتجه الحواريون إلى المسئلة على هذا النحو المعيب من سواهم ؟ ؟

هذه مخاوف خطيرة يثيرها لدى عيسى طالب الحوارين إنزال الخوان وعليه من الأطعمة ما يشاء الله .

والكن الحواريين يلوذون بالإيمان المعهود فيهم ، ويكشفون لعيسى عما يلتغونه حقا فيقولون له : « نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقنا ، ونكون عليها من الشاهدين » .

ولا شك أن في المائدة تحقيقاً لتلك الأغراض وزيادة ، فهم يفرحون بالأكل منها لأنها تحية لهم من عند الله ، وهم يطمئنون بها على صدق إيمانهم ، وقبول رجائهم ، وهم يعلمون - علماً أكد - من حصولها بطلب عيسى أنه صادق في كل ما يدعيه وكل ما يدعوه إلى الله ، وهم رابعا يكونون شهداء - لدى من لم يشهدا من القوم - على نزولها تلبية لعيسى في دعوته ، وبشهادتهم تروج الدعوة ، وتنفض الحجّة عند آخرين .

بهذا الإيضاح تذهب الشبهة التي علقت بموقفهم ، ويتبين لعيسى أنهم جادون في الرجاء وغير عابثين ، ولا مترددين .

وكثيرا ما يكون الإيمان والرغبة في المزيد منه سببا في الشطط والإمعان في الطلب ، وخاصة إذا اقترن الإيمان بشيء من السذاجة ، أو كان الحظ من العلم غير كثير بجانب اليقين الموفور ، وحينئذ يئنه المرء على شططه ويوجهه إلى الاحتشام فيما يلهج به ، تراه ينيب إلى الحق ، ويبادر إلى تجلية قصده ، وبيان مآربه .

وهذا فرق ما بين المؤمن فيما ينشد من أمانيه ، والكافر فيما ينفث من عناده وتحديه . فالمؤمن يترفق ، ويتلطّف ، ويحتشم ، ويترضى ، والكافر يتبجح ، ويمعن في التمسك ، ويتحول من عناد إلى عناد .

وأنت تذكر من أمثلة الفريقين ما يحكيه القرآن عن إبراهيم عليه السلام إذ طالب من الله أن يريه كيف يحيى الموتى ، فلما نبهه على شططه في السؤال قال : « ولكن ليطمئن قلبي » فاستجاب له ربه .

وتذكر أن الكافرين كانوا يطلبون الآيات ، فلما تحقق لهم يصدفون عنها ويستهيئون بها « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ، وحججوا بها - واستيقنتها أنفسهم - ظالما وعلوا » .

وموقف الحوارين من طلبهم نزول المائدة موقف المؤمن المستزيد ، المتطلع إلى جديد يستمد منه القوة لدينه والتثبيت لإيمانه ، لا موقف المشاقة والتحدى ، لذلك استجاب المسيح لرغبتهم وتبها للدعاء بما اعتاد من طهارة ، ولياس واتخاذ موقفه إلى القبلة بين يدي ربه ، وقال : « اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيدا : لأولنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين » .

فهذه ضراعة مبرورة يتجه بها عيسى إلى الله : إله الجميع ، ورب الجميع ، أن ينزل عليهم المائدة من السماء تكريما لهم ، ولتكون عيدا لهم ولمن يأتي بعدهم ، ولتكون آية بينة من عند الله على تأييده لرسوله المسيح ولمن يهتدى بهديه .

ثم يطلب إلى جانب هذه المعاني المقصودة أن يرزقهم الله توفيقه وتوفيق من معه للحمد ويعينهم على الشكر .

وإلى هنا تمت الوسيلة وبقيت الغاية ، فإذا كان من ثمرات الدعاء ؟؟ قال الله : « إني منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم ، فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » .

فهذا وعد من الله بأنه منزل المائدة على عيسى وقومه ، غير أنه وعد مقرون بالشرط ، والشرط هو أن من كفر بالمائدة يعذبه الله عذابا لا يعذب بمثله أحدا من العالمين .

فاذا صدق الوعد بإنزال المائدة فسيرتبط به لا محالة حصول الجزاء بحصول شرطه ، وخلاصة هذا أن المائدة التي وعدهم الله بها مشروط فيها عدم الكفر بها فإذا حصل بها كفر فسيعذبه عذابا لا نظير له .

فهل نزلت المائدة وجرى في شأنها حديث ؟؟

فريق من العلماء يأخذون بظاهر الوعد ويقررون نزولها ، ويصف بعضهم أطعمتها ، ويقولون : حصل من بعض القوم كفر بها ونزل بهم عذاب شديد ، وأرجح الأفهام التي نقلت في ذلك أن الوعد مشروط بعدم الكفر .

ولما خشى القوم أن يهلك بعضهم بسبب كفره بالمائدة عدلوا عن مطالبهم وانصرفوا عن عيسى وعن التطلع منه إلى تحقيقها فلم تنزل المائدة .

وليس في هذا خلف للوعد لأنه كان مشروطا بشرط لم يتعهد به القوم ولم يرضوه ، ويرجح هذا أنها لو نزلت لكانت عيدا ماثورا للثلف عن السلف كما طلب عيسى ، ولكن لم يعرف لدى أهل الكتاب شيء عن ذلك العيد .

ويكون مغزى هذه القصة السكرية أن الله أقنع الحواريين بقدرته على إنزال المائدة وأنه تعالى افترض عليهم نظير إنزالها أن يؤمنوا بها تقديرا لها .

وأنه لما عرفوا من شأن أنفسهم عدم القدرة على تمام الوفاء أعفاهم من أثرها رحمة بهم وتجاوزا .

وبقيت القصة خالدة في القرآن مظهرا لمنزلة الحواريين من التقرب إلى الله ، وأمانة على قدرة الله في خلق العجائب إذا اقتضتها الحكمة ، ولم تعارضها حكمة ، وبقيت كمنة على قوم عيسى عليه السلام وتذكيرا لهم بما كانوا عليه من حق ومطاعة ، وبما أصبحوا عليه في دينهم ودنياهم .

والعبرة للجميع والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير المفتيش بالأزهر

سؤال غير الله

سمع على رضى الله عنه رجلا يسأل الناس في الموقف يوم عرفة فقال له : « أفى هذا اليوم ، وفى هذا المسكان تسأل غير الله ! » وخفقه بالدرة .

السنة

مكان النصح في الاسلام

— ٢ —

منزلة هذا الحديث من السنة - كل مسلم حق ناصح
ومنصوح - أركان الفوز والسعادة - النصح عام وخاص -
عرض سريع - خدمة السنة - دين واجب القضاء .

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم .

وعنه رضى الله عنه قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقننى - فيما استطعت - والنصح لكل مسلم . (رواها الشيخان)

* * *

منزلة هذا الحديث من السنة ، بمنزلة سورة « العصر » من الكتاب المبين :

أجمل الدين كله ، أصوله وفروعه ، فى هذه المباحة الجامعة التى اختتمها بالنصح لكل مسلم ؛ كما أجملت السورة الكريمة الدين كله ، أصوله وفروعه كذلك ، فى الإيمان وعمل الصالحات ، ثم اختصت من بين الصالحات بالذكر ، تواصى المؤمنين بالحق ، وتواصهم بالصبر . وفصل الكتاب ما أجملته السورة ، كما فصلت السنة ما أجمله الحديث . . . وقام الدين الحنيف كاملاً شاملاً صالحاً لكل زمان ومكان - على كتاب الله وسنة رسوله معا ، لا يزيغ عنهما إلا هالك .

والنصح لكل مسلم يقتضى أن يخلص كل من المسلمين لأخيه كائناً من كان ، ويبادله النصيحة ما استطاع إليها سبيلاً ، فيكون كل منهم ناصحاً ومنصوحاً . . . وهذا التناصح

الشامل المتبادل ، هو التواصى بالحق والتواصى بالصبر ، فى سورة العصر ، التى بينت أبلغ بيان وأكد أنهما ركنى السعادة والفوز فى الحياتين ، بعد الإيمان بالله والعمل الصالح جميعاً .

* * *

ومهما تختلف درجات النصيح وتتعدد مناحيه وشئونيه فى الدين والدنيا ، فإنه نصيحان : عام ، وخاص :

فأما النصيح العام ، فهو فى أبواب الحلال والحرام مما يستوى فيه الخاصة والعامة ، والعالم وغير العالم ، وهذا لا يعذر أحد بجهله ؛ فإن الحلال بين وإن الحرام بين ، وإن من الحرام البين الغش فى المعاملة ، والخديعة والنفاق فى النصيحة ، وهذا النوع من النصيحة فرض عين على كل مسلم . . وعلى كل جاهل أن يتعلم الضرورى من دينه ، ليعمل به وينصح فيه ، وإلا كان آثماً ومقصراً ، وبعيداً عن أخلاق المؤمنين وسماهم « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » .

وأما النصيح الخاص ، فهو فى دقائق الفقه ، وأسرار الشريعة ، ومسائل الاجتهاد والاستنباط ، وما إليها من معضلات السياسة ، ومشكلات الأمور ، وتدابير الملك فى حدود ما أنزل الله على رسوله . . وتلك مرتبة خاصة لا ينهض بأعبائها إلا أولو الأمر من الأمة المجتهدين ، والعلماء الراشدين ، ممن اختارهم الله حملة لشريعته ، وحماة لملمته ، وورثة لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فهم يهتدون بهتدون ، وعلى بصيرة من ربهم يهدون ، علموا وعلموا ويدنوا ولم يكتموا ، ونصحوا لله ورسوله ، فجزاهم الله عن نبيه وأمتة خير ما يجزى الناصحين المخلصين . .

* * *

ثم خلف من بعدهم خلوف خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ! بما انحرفوا عن الجادة ، واحتمالوا وتأولوا . . ولكن لا تزال من بينهم طائفة متفقهة فى دين الله ، ظاهرة على الحق ، ناصحة لله ورسوله ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله .

ولئن جاز أن يكون هذا النوع الخاص من النصيح موضع بحث بين العلماء فى أنه فرض كفاية ، أو فرض عين على كل مستطيع له ؛ إنه لا جدال فى أن النصيح فى الحديث مطلق ، وأن الحديث يدعو كل مسلم ألا يألو جهداً فى النصيحة على قدر علمه وسعه « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » وإلى هذا البحث عودة نرجو أن تكون بمثابة الله قريباً .

أما بعد ، فقد وعدنا بعرض منهاج « السنة » في هذه المجلة منذ صدورها إلى وقتنا هذا ، رغبة الاسترشاد بآراء الناصحين في تسديد خطتها ، واستدراك ما وقع من تقصير في حقها . وللسنة - وهي ثاني الأركان التي بنى عليها الدين - حق العناية بها ، وبذل الجهد في نشرها ، وتيسير الطرق إليها ، وإلى الفقه فيها والذب عنها ، وكشف الدسائس التي يدسها أعداء الله ورسوله للنيل منها ، تذرعا إلى النيل من كتاب الله الحميد ... ومن أحق بهذا كله من الأزهر : شيخه ، ورجاله ، ومجلته ، وحملته لوائه في مصر خاصة والعالم الإسلامي كافة ؟ .

* * *

لقد أسست هذه المجلة على الكتاب والسنة من أول يوم :
فكتب فيها الأستاذ حسن منصور منذ صدورها حتى الجزء السابع من المجلد الثاني .
ثم كتب فيها شيخنا إبراهيم الجبالي من المجلد الثالث حتى الجزء الأخير من المجلد الخامس .
ثم كتب فيها الأستاذ عبد الرحمن الجزيري [١] من المجلد الثامن حتى الجزء الأخير من المجلد الثاني عشر .

ثم كتبت فيها منذ صدور الجزء السادس [٢] من المجلد الرابع عشر حتى الجزء الأول من المجلد العشرين .
ثم كتب فيها الأستاذ فكري يس [٣] من المجلد العشرين إلى منتصف المجلد الثاني والعشرين

[١] افتتح كتابه رحمه الله في الجزء الثاني من هذا المجلد : [الاخلاص] واختتمها : [زيارة القبور]
[٢] بدأت أحاديث هذه الفترة بحديث [من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه] واختتمتها بحديث [البعوث في الإسلام] حيث كنت مبعوثا من الأزهر إلى البلد الحرام .
[٣] نعمته مجلة الأزهر رحمه الله في الجزء السادس من هذا المجلد ، وفي هذا الجزء نفسه كتبت في السنة بعنوان [ركة المسلم حيا وميتا] . ثم كتبت في الجزء الثامن من هذا المجلد بعنوان [هيد الدستور] . وظلت المجلة خالية من الكتابة في السنة إلى آخر المجلد الثالث والعشرين ، إلى أن استأنفت الكتابة فيها بعد عودتي من الحجاز ..

وقد تبين من هذا العرض أن أطول فترة خلت المجلة من كتابة السنة فيها ، هي ما بين الشيخين الجلايين رحمهما الله : الجبالي ، والجزيري ، ثم الفترة التي بين وبين الشيخ الجزيري ، ثم الأخيرة التي بين وبين الأستاذ فكري !

ثم استأنفت الكتابة في العهد الأخير منذ صدور المجلد الرابع والعشرين . . .

* * *

وإلى جانب أرائك الكتّابين ، كتب كتاب أفاضل في السنة والسيرة والشئال ، ما لو جمع لكان مجلدا ضخما في الهدى النبوى ، ودستورا مشرقا في أحكام الإسلام وآدابه ثم في عناية سلفنا الصالح بالسنة ، و.كانها من الدين الخفيف .

هذا عرض موجز سريع ، لم نطل فيه خشية الإملال ، تذكر به أولى الغيرة على الكتاب والسنة ، راغبين إلى الله تعالى وضارعين إليه أن يسددهم ويوفقهم لتأدية دين عليهم ، يعلمون أنهم مسئولون عنه بين يدي الله عز وجل ، وأنه لن يؤديه عنهم مجرد الكتابة ، بالغة ما بلغت من بلاغة القلم ، وفصاحة اللسان .

* * *

ذلك ، ويوصى فضيلة أستاذنا الكبير الشيخ عبد الرحمن حسن ، بأن يكون طابع الكتابة في المجلة علميا ، قبل أن يكون وعظيما أو أدبيا ، ويرى غيره أن يكون طابعها فقهيا ، على حين يرغب كثيرون أن يكون منهجها تربويا واجتماعيا .

ويرى بعض الأفاضل أن يكون من المجلة ركن لتيسير الثقافة الإسلامية العامة . . . وهذا عرض ختامى للبحث والنظر . والله المستعان على اتباع أحسن القول ، وسلوك أهدي السبيل ما

ط محمد السالك

بنو رحم

إن الجزيرة من أقصى الشمال إلى
لا فرق في الحس والنجوى وإن شحطت
ونحن في الدين والفصحى بنو رحم
فان توحد منها اليوم معظمها
المجد سيف وإقدام وتضحية
تلك العزائم في الإسلام بالغة
أقصى الجنوب لأهل الضاد أوطان
بنا الموامى و(دس) الحقد خوان
وفي المطالب والآمال أخدان
فان سائرنا لا شك لفقان
والمجد عدل وإصلاح وعمران
بالله ، ما شهدت صبيها وحيزان
أحمد إبراهيم غزاوى

حضورنا مهددة من داخلها

- ٢ -

ننتقل الآن من مؤسسة روكفلر إلى مؤسسة أمريكية أخرى سبق أن قدمت كتابا من الكتب التي أخرجتها دولاراتها (١) وهي مؤسسة فوانكين . أصدرت هذه المؤسسة فيما أصدرته من مطبوعات (٢) سلسلة عنوانها (كيف نفهم الأطفال - سلسلة دراسات سيكولوجية) . وقد أشرف على هذه السلسلة وقدم لكل كتاب من كتبها الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم في مصر . والحديث في هذه السلسلة موجه إلى الآباء والمدرسين حسب ما هو مبين على غلاف كل عدد من أعداد هذه السلسلة ، إذ رسم في أعلى الجانب الأيسر كتاب مفتوح ، في إحدى صفحته « الطريق إلى حياة أفضل » وفي الصفحة الأخرى « علم النفس للآباء والمدرسين » . ويؤكد الدكتور القوصي هذا الهدف ، إذ يقول في تقديم العدد الأول من أعداد هذه السلسلة الذي صدر في مارس ١٩٥٤ ، وأعيد طبعه في أكتوبر ١٩٥٥ - مما يدل على الرواج الذي تلقاه هذه السموم الأمريكية - يقول في هذه المقدمة . « هذا هو الكتاب الأول في مجموعة من الكتب تهدف إلى توجيه الآباء والمدرسين إلى حياة أحسن من تلك التي يعيشونها . ولا تقصد بالحياة الأحسن أن تكون من الناحية المادية ، وإنما هي حياة أحسن من حيث الأداء لرسالة الأبوة ورسالة التربية » . فالمشرف على هذه السلسلة - وهو من كبار رجال التربية في مصر - يعرف أن هذه المؤسسة الأمريكية تهدف إلى توجيه الآباء والمدرسين . وهو يقر هذا الهدف وترضى نفسه أن يعين الأموال الأمريكية عليه . وهو يعرف - كما يعرف كل عاقل - أن الناس لا يصدرون فيما يأتونه من أعمال إلا عن دوافع تدفعهم إلى العمل ، وأن هذه الدوافع مهما تختلف وتتنوع فهي تشترك في أنها تحقق نفع الفرد أو الجماعة التي ينتمى إليها . فليت شعري ألم يرد على خاطر الأذكاء الذين يشاركون في هذه الأعمال - كتباً كانت أو مقالات أو مؤتمرات -

[١] كتاب (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) في جزء شعبان ورمضان من العام الماضي .

[٢] الكتب التي تخرجها هذه المؤسسة جميعا مؤلفين أمريكيين كما هو معروف وهي مختارة اختيارا خاصا يبرر إنفاق ما ينفق عليها من المال الأمريكي .

هذا السؤال الذى لا ينبغي أن يغيب عن البال : ما هو النفع الذى يعود على هذه المؤسسة ، والذى يدفعها إلى بذل ما تبذله من جهد ومن مال ؟ إذا لم يكن هذا السؤال قد ورد على أذهان هؤلاء الأذكياء فقد ورد على ذهنى ، وأظنه قد ورد على أذهان الكثير من الأذكياء ومن غير الأذكياء . وقد تكون الإجابة على هذا السؤال طويلة ، وقد لا تكون واضحة فى أذهان الذين يتساءلون . ولكن من الأهداف الواضحة التى لا تخفى أن مثل هذه المشروعات تحقق أول ما تحققه توثيق الصلات بنهر من ذوى النفوذ وكسب ودهم ولائهم بالبذل السخى الذى يقدم فى صورة مهذبة مؤدبة جدا . فهو لا يعدو أن يكون أجرا على مجهود قد بذل ، وقد لا يكون هناك مجهود ، وقد يكون المجهود تافها وصوريا . وقد يكون الأجر مضاعفا أضعافا كثيرة . ولكن المأجور لا يقول عادة إن الأجر كبير . وصاحب العمل مهذب رقيق يقدم عطاءه السخى فى أدب جم وفى حياء (كأنك تعطيه الذى أنت سائله) - كما يقول أبو تمام :

وهدف آخر من هذه الأهداف الواضحة هو السيطرة على توجيه المجتمع ، عن طريق هؤلاء الأصدقاء من أصحاب النفوذ ، وعن طريق المخدوعين بأسمائهم ممن يقرءون ما ينشرون . والذى ينشرونه ليس باطلا كله . بل إن فيه حقا كثيرا . بل إن الباطل فيه يلبس ثوب الحق فيصعب على غير الخبير الاهتداء إلى موضع الخطر فيه . ولكن بعض الأباطيل عارية لا تخفى ولا تلبس غير أثوابها . فمن هذه الأباطيل العارية ما جاء فى العدد ١٢ من هذه السلسلة وعنوان هذا العدد هو (الطفل والأمور الجنسية) . وسأنقل فى السطور التالية صورا من هذه الأباطيل مكتفيا بهذا النقل عن التعليق .

قدم الكتاب فى صفحتى ٢٢ ، ٢٣ مجموعة من الأسئلة فى صورة اختبار يساعد الآباء - فيما يزعمه المؤلف - على تبين اتجاههم الخاص فى وضوح وفى جلاء ، وعلى تقدير ما تنطوى عليه تصرفاتهم من خطأ أو صواب ، وأثبت المؤلف الإجابة الصحيحة المزعومة على كل سؤال من هذه الأسئلة فى ذيل صفحة ٢٣ . ومن بين هذه الأسئلة السؤال رقم ٦ ونصه هو : « هل ترى فى التعبير السافر عن المحبة ما ينبئ عن ذوق ردىء أو ما يشير الحرج ؟ » . والجواب الصحيح فيما يزعمه الكتاب الأمريكى هو « لا » . والسؤال التالى هو : « هل تعتقد أن المواقف التى تتضمن ناحية جنسية تثير الضحك ؟ » والجواب الصحيح الذى أثبتته الكتاب هو « نعم » .

وجاء في ص ٤٦ : « إن الكثيرين من الآباء اليوم لا يكثرثون للظهور مجردين من الثياب أمام أطفالهم الصغار . وهذا أمر لم يكن يحدث في الماضي إلا نادرا ، كذلك أصبحت أبواب الحمامات وغرف النوم تترك مفتوحة أحيانا فيرى الصغار أبويهم وهم يخلعون ملابسهم أو يرتدونها ، فإذا كان في وسع الآباء أن يفعلوا ذلك بصورة طبيعية ودون شعور بالحرج أو الاضطراب فإن ذلك يكون مرانا طبيعيا ، لأنه يعود الطفل على الشعور بأن الجنس ليس أمرا مشينا ، كما يساعد على إشباع فضوله فيما يتعلق بأجسام الكبار » [١] .

وجاء في صفحة ٦٠ : « إذا حدث التجريب في النواحي الجنسية في الفترة الواقعة بين سن ٨ ، ١٢ فمن المحتمل أن يقع بين أفراد الجنس الواحد ، إذ نجد الصبية مثلا يعرضون أعضاءهم التناسلية لبعضهم على بعض ، ويعتبر ذلك محاولة من الطفل لتحديد مدى مشابهته بأقرانه . كذلك قد يلجأ البعض إلى ممارسة العادة السرية - كمحاولة لتخفيف ما يشعرون به من تورجسعى وانفعالى - ومرة أخرى نقول : إن هذا السلوك لا يعتبر غير طبيعى ، ولا يدمغ الطفل بالشذوذ أو الإجمام أو الانحراف ، كما أنه لا يستدعى عقابه أو تهديده بأنه سيصاب بأمراض خبيثة ، ولا يتطلب محاضرات خلقية تلقى عليه ، كما لا يبررنبذه وتحقيره » .

وجاء في صفحتي ٦٢ و ٦٣ : « فبدلا من فصل البنين عن البنات يجب علينا أن نعمل على إشراكهم معا في الأعمال الممتعة ومواقف اللعب ، وأن نحاول مساعدتهم على تكوين مشاعر طبيعية مريحة نحو أفراد الجنس الآخر . وعلى الآباء تشجيع أطفالهم على المساهمة في نواحي النشاط المشتركة بين البنين والبنات مما تشرف عليه المدرسة والجمعيات الرياضية أو المراكز الاجتماعية . فهذا النشاط المشترك ليس « مواعيد غرامية » بل هو فرص لاشتراك البنين مع البنات في متع الرياضة وركوب الخيل أو الدراجات والسباحة وغير ذلك . وإذا حدث « استلطاف » بين بعض البنين والبنات فينبغى النظر إليه على أنه نوع من الصداقة وليس « غراما » أو « عشقا » . والمعاكسات البريئة

[١] آرائى إلى الذين يريدون أن يعودوا بنا إلى الممجية الأولى والجاهلية الجبله . هل ترى كبير فرق بين مذمهم هذا وبين مذهب الذين يمارسون العرى فى مدن الدراة .

التي من نوع « مراد وسهير صديقان حيان » قد تبعث في صداقتهما دفئا كانا يفتقران إليه . وقد تولد فيهما الشعور بأننا نتوقع منهما أن يسا- كما مسلك السكبار » .

وجاء في صفحة ٧٨ : « إن خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها - في الوقت المناسب على أى حال - باعتبارها جانباً من جوانب النمو الجسمي للمراهق » .

وجاء في صفحتي ٨٧ ، ٨٨ : « في كل علاقة تقوم بين فتى وفتاة يشعر كل منهما في بعض الأحيان بدافع يحفزه على التعبير عن حبه وتقديره للآخر باللمسة أو ضغطة على اليد أو قبلة ، والرغبة في الكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبيعي » .

وأخيراً يقترح مؤلف الكتاب برامج للدراسة في مراحل التعليم المختلفة ويضع تحت كل برنامج من هذه البرامج ما يرى أنه خليق بالدراسة ، ومن بين ما يراه خليقاً بالدراسة في برنامج « المواد الاجتماعية » (ص ١٠٤) : « المعايير الخلقية والأخلاق الحديثة ، وأساليب المجتمع في تقرير الخطأ والصواب [١] » و « المركز الاقتصادي والقانوني للمرأة وكيف تأثر بتغير الظروف الاقتصادية في المجتمع وآثار هذا التغير على حياة الأسرة » والزواج . ومن بين ما يقترحه المؤلف في برنامج (العلاقات العائلية) ص ١٠٥ - ١٠٦ « كيف تعرف أن ما تشعر به هو الحب ؟ - كيف تختار رفيق حياتك ؟ - فترة الخطوبة - العلاقات السابقة على الزواج - الخ » . ومن بين ما ذكره تحت عنوان : « النشاط غير المنهجي » ١٠٦ - ١٠٧ في بيان أهداف هذا البرنامج وأساليبه : « والغرض منها مساعدة الطلاب والطالبات على تنمية علاقات طيبة ، ويشرف على توجيهها المدرسون بصورة بعيدة عن الرسميات ، وهي تتضمن : أندية الشباب - صحيفة المدرسة - جمعيات الهوايات والميول - التمثيليات - مجالس إدارة الطلبة - حفلات السمر والرقص » . وجاء فيه أيضاً : « فن حق الآباء أن يهتموا بمدى كفاءة الذين يقومون على تعليم أبنائهم وبناتهم الأمور الجنسية ، فهم يريدون مدرسا يستطيع تزويد التلاميذ بنظرة عامة عن الزواج والتكيف الجنسي ، وقد يشعر البعض منهم أن خير من يستطيع ذلك هم المتزوجون والمتزوجات ، ولكن ليس هناك ما يدل على أن هذا شرط ضروري ، وإن كان له بعض المزايا » .

[١] تأمل معي قوله : « الأخلاق الحديثة » وكأن في الخلق قدما موروثاً جاءت به الأديان ، وجديداً يخالف ما تواضعت عليه الأديان والمجتمع في تقرير الخطأ والصواب .

فإذا لم تقنعك كل هذه النماذج فهناك نموذجاً من كتاب آخر أصدرته مؤسسة فرانكلين نفسها وأشرف على إخراجـه وقدم له الدكتور القوصى أيضاً حين كان عميداً لمعهد التربية العالى للمعلمين بجامعة عين شمس ، واسم الكتاب هو (كيف تتكامل الشخصية) .

جاء فى صفحة ٦٥ من هذا الكتاب : « إن جميع الحاجات الإنسانية سواء كانت عضوية ينبغى إشباعها للبقاء على الحياة ، أم اجتماعية يقتضى إشباعها أيضاً لتضمن عيشة راضية ، أو جنسية تستلزم على الحاجتين الاجتماعىة والعضوية - كلها ماهى إلا قوى دافعة إلى النشاط ، تحض على العمل بدلا من مجرد التطلع أو التفكير فيه ، وكلنا نعرف أنه عند ما تستيقظ حاجة ما ، سواء أكان نشاطها شعور يا أم لا شعوريا ، فإننا نحس بحالة من التوتر ، وأن هذا الشعور يفقدنا الهدوء والراحة ، ويستفزنا للعمل على الحد من شدة هذا التوتر أو التخلص منه كلية ، وعندئذ نعود إلى الهدوء مرة أخرى ، أى أنه متى تم إشباع حاجة من حاجتنا زال التوتر ، وهذا القول يصدق على جميع الحاجات البشرية . »

وجاء فى صفحة ٧٢ تحت عنوان (المشاعر الجنسية مشاعر طبيعية) : « ولنصور المسألة الآن تصويرا واضحا . إن الطبيعة الجنسية ليست بالشئ الشاذ أو المشوه ، بل إنها الحياة الجنسية التى تقوم عليها الأسرة ، تلك الأسرة التى تعتمد عليها ثقافتنا ، والشئ الطبيعى الصائب أن يحب الفتيان الفتيات وأن تحب الفتيات الفتيان ، والواقع أن أغلب المشكلات التى هى مصدر لشقاء شباب العقد الثانى من العمر ومن يكبرهم من إخوة وأخوات يمكن ردها إلى الثقافة والمدنية التى نعيش فيها ، أو على الأقل يمكن أن نقتفى أثرها فى الاتجاهات السائدة فى هذه الثقافة أو المدنية ، وإنها حقيقة على جانب عظيم من الأهمية أن الثقافات التى يتعلم النشء فى ظلها الحقائق الجنسية فى سن مبكرة وبطريق عرضى بحيث لا يمكن تفهيمها لإبهام أو غموض لا يتعرض الأطفال ولا الشباب فيها لتلك المشكلات المألوفة فى حياتنا وحياة أصدقائنا » . ثم يقول بعد ذلك فى صفحة ٧٥ : « فالشوق إلى القبلـة أو بعض الغزل الرقيق أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية - كل هذه ليست أمورا شائنة ، فليهدأ الشباب بالا ، فليس كل ما يدور حول الجنس يدخل فى باب المحرمات ، ولعل كثيرا مما نكتبه كان ضحية سوء التوجيه » .

هذه نماذج من الآراء التي يشرف المستشار الفنى لوزارة التربية والتعليم على تروييحها فهل تجد فيها الكفاية لتعليل بعض ما يجرى من حولنا فى هذه الأيام ؟

وبعد : فهذه الدعوات وأمثالها مما نزرع له لأنه يناهى الدين والخلق القويم ، ومما نسميه نحن بذاء أو فجورا ، ويسميه أصحابه (علما) ويضعونه تحت عنوان جميل اسمه (علم النفس) ، ويغترون الناس باسم العلم فيما فشل فيه التبشير والدعوات الهدامة طوال قرن من الزمان . نعم ، هذا البذاء وهذه الدعوة السافرة إلى هدم الخلق ونقضه وإشاعة الفاحشة بين خلق الله تسمى عند الأمريكيين وسماستهم (علما) . فقد كتب بالخط الفارسى الجميل على غلاف هذا الكتاب وعلى غلاف كل كتاب من كتب هذه المجموعة - وهى على اختلافها تشترك فى الكلام عن الجنس والاهتمام به - « سلسلة دراسات سيكولوجية » . والسيكولوجيا هى ما يترجمه الذين رزئ بهم هذا البلد بـ « علم النفس » .

وعلماء النفس هؤلاء يبنون قواعدهم وقوانينهم على تجارب مهما يظنون بها الدقة فهى معرضة للخطأ من نواح كثيرة ، ومهما يظن الناس بها الأمانة فهى معرضة للتحييز ولأن تكون أداة فى يد أصحاب المذاهب السياسية والاقتصادية والدينية [١] . إذ من الواضح أن هذه التجارب - مهما ادعى أصحابها شمولها - هى غير شاملة لأفراد الجنس الذى تجرى عليه ؟ ثم إن نجاحها بعد ذلك يتوقف فى كثير من الأحيان على صراحة الأفراد المستجوبين وصدقهم ، وعلى أمانة الباحثين وبعدهم عن التحيز ، وصحة إدراكهم لدلالات ما يشاهدون وما يحسون ، وعلى توافر كل ما يستلزمه الحكم الصحيح من شروط ، ومهما يحرص صاحب التجارب النفسية والاجتماعية على التنوع وعلى الشمول فى اختيار الذين يجرى عليهم تجاربه ، فليس هناك وسيلة للقطع بأن الأفراد الذين جرت عليهم التجارب أو الإحصاءات يمثلون الجنس الذى ينتمون إليه تمثيلا صحيحا . ثم إن هذه التجارب محدودة بحدود الزمان والمكان . فهى تمثل جيلا من الجنس الذى تجرى عليه التجارب

[١] راجع [الحرية والثافة] لجون ديوى ط . الجامعة العربية ١٩٥٥ ص ٤٠ - ٤١ ، خبراء النفوس للميجى ط مصر ١٩٥٦ ص ١٧٠ - ٢٨ ، وراجع كذلك على سبيل المثال الفيلسوف الرابع عشر والخامس عشر من كتاب « ميادين علم النفس التطبيقية والعملية » ط للماارف بمصر ١٩٥٦ ج ٢ ص ٥٢٣ - ٦٢٦ .

وليس هناك ضمان لصحة الحكم المستنبط بالقياس إلى الأجيال السابقة واللاحقة ، لأن الحكم الذى يصلون إليه هو فى أكثر الأحيان خاضع لظروف معينة مرتبطة بالمكان أو الزمان أو الملابس . ومن الأهمية بمكان فى مثل هذه البحوث أن نتأكد من نزاهة الباحث وأنه غير مستخر لخدمة مذهب معين من المذاهب السياسية أو الدينية . فإذا استوثقنا من ذلك كله بقى أن نستوثق من أنه غير واقع تحت تأثير آراء معينة تحيد به فى تجاربه وفى استنباطه عن الحق ، وأنه قد التزم الدقة والأمانة واعتصم بالصبر والأناة فى هذه التجارب .

من أجل ذلك كثرت مذاهب النفسيين والاجتماعيين وتعددت آراؤهم وأصبح كل فريق منهم ينكر آراء الآخرين أشد الإنكار ويسفها أشد التسفيه . فأكثر ما نشاهد بين النفسيين والاجتماعيين من خلاف ، وما أعظم ما نجد بين مذاهبهم من تفاوت يبلغ حد الطرفين المتناقضين فى كثير من الأحيان . والواقع أن بحوث النفس والاجتماع ليست علوما بالمعنى الدقيق كما يتوهم كثير من المخدوعين بها ، وجل ما توصف به أنها فروض علمية يحاول مفترضوها أن يملأوا بها بعض الظواهر النفسية والاجتماعية ، ولو عرف هؤلاء المخدوعون ما تتعرض له من تغير دائم لا يستقر لعللوا أن من المجازفة الخطورة الهدامة أن نترك نصوص الدين الثابتة المسماة إلى هذه الفروض المتغيرة التى ينقض بعضها بعضا ، وأن كل سند أصحاب هذه الدعاوى النفسية والاجتماعية الشاردة هو الظن الذى أضل من قبلهم من الكافرين ، والذى وصفه الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم بأنه لا يغنى من الحق شيئا .

وحقيقة الأمر فى ذلك كله أن العقل ليس هو الأداة الصحيحة لبحث المسائل النفسية كلها ، لأن النفس تدخل فى عالم الغيب الذى لا يخضع لحاسة من الحواس ، ولأن تقرير الخطأ والصواب فى علم الأخلاق يحتاج لمعرفة العلة الأولى والهدف الأخير ، ونحن لا نعرفهما . من أين جئنا وإلى أين نصير ؟ وهل ذلك الذى يبدو ضارا فى اللحظة الراهنة يمكن أن يكون نافعا فى مستقبل الزمان قريبه أو بعيد - والقرب والبعد فى الزمان مسألة نسبية ؟ وهل يمكن أن ندرك وجهها من وجوه النفع فيه لو أتيح لنا معرفة ما غاب عن علمنا من بعض الظروف الملابس له ؟ (وقصة الخضر مع موسى عليهما السلام فى سورة الكهف من أروع الأمثلة لتصوير هذا القصور البشرى فى إدراك الخير والشر) .

هذا إلى أن عجز الحواس البشرية أصبح شيئاً محسوساً ملموساً تؤيده التجربة العلمية الآن . فالعين البشرية مثلاً ينحصر مدى إدراكها فيما بين الموجات الضوئية التي طولها ٠.٠٠٠٧م والموجات الضوئية التي طولها ٠.٠٠٠٤م ومن السنتيمتر ، وهي الموجات المحصورة بين اللون الأحمر واللون البنفسجي . وهي لا تدرك بعد ذلك شيئاً مما فوق البنفسجي ، ولا تدرك شيئاً مما تحت الأحمر . وقل مثل ذلك في حاسة السمع وفي سائر الحواس . وإذا ثبت قصور الحواس فقد ثبت قصور التفكير البشري المبني على مشاهدات هذه الحواس .

فالتجارب والإحصاءات إذن ليست هي الوسيلة الصحيحة لتقرير الحقيقة في مذاهب الناس وسلوكهم ، لأنها محدودة بحدود الزمان والمكان والحواس . ولذلك لم يكن هناك مندوحة من الاستناد في التنظيم الاجتماعي والتقنين التربوي الخلق إلى الشرائع السماوية ، لأن موضوعها هو هذا التنظيم وجمع الناس عليه . أما العقل فبيدانه المسائل المادية الخالصة كالمهندسة والكيمياء ، وكل ما اصطاحه الغربيون في هذا العصر على تسميته بالـ Science (١) لذلك لم تنزل الشرائع والأديان السماوية إلا بما يدخل في عالم الغيب مما يتصل بالسلوك الذي يترتب على إدراك الخير المطلق والشر المطلق ، لأن العقل البشري عاجز بطبيعته تكوينه عن إدراكه ، ولو أخذ فيه لخبط في أودية من الظن والوهم الذي لا يستند إلى دليل ولا يختلف الناس فيما بينهم اختلافاً شديداً لا يجتمعون معه على رأى ولا يلتقون عند غاية . وقد ترك الدين بعد ذلك للعقل أن يسرح ويمرح كيف شاء فيما هو صالح له من ميادين البحث والمعرفة . فلم ينزل نبى من أنبياء الله بنظريات في الهندسة أو في الطبيعة أو الكيمياء - إلا ما يكون من ذلك على سبيل إظهار المهجزة - لأن ذلك من شأن العقل ، وهو مهياً له . أما مادون ذلك من عالم الغيب الذي لا يخضع لمشاهدته وحسه فهو خارج عن حدود طاقته وقدرته بحكم فطرته التي فطره الله عليها . وذلك هو معنى قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، لأن الله سبحانه وتعالى حين علم عجز العقل وقصوره أرشدنا فيما هو خارج عن حدوده إلى ما فيه صالحنا رحمة بنا . وذلك أيضاً هو

[١] على أن العقل لا يستطيع في كل هذه العلوم إلا إنبات مشاهدات . وهو بهذا عاجز عن معرفة حقيقة أى شيء . فالفاصل بين الإنسان والحقيقة - كما يقول العالم الأمريكي المعاصر انكولن بارنت - قد اتسعت فجرتة بعد أن اتضح عجز حواس الإنسان . فعلماء الطبيعة مثلاً يمكنهم أن يصفوا كيف تعمل الأشياء ، ولكنهم لا يعرفون ولا يحتاجون أن يعرفوا حقيقة هذه الأشياء (راجع « العالم وأينشتين » - رقم ١٥٤ - مجلة « اقرأ » - دار المعارف . ص ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٦٧) .

السبب في جعل التسليم لحكمة الله والانقياد لأوامره ولزوم حدوده هو الأصل في التدين وهو الخطوة الأولى فيه (إن الدين عند الله الإسلام) . والمثل مضروب في القرآن بقصة أبلينا إبراهيم ، إذ أمر أن يذبح ابنه فانقاد للأمر هو وابنه دون أن يعرفا وجه الحكمة فيه أو يسألا عنه ، فحققا بذلك ما أراد الله سبحانه من اختبارهما (فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين : الصافات ١٠٣-١٠٥)

جمع الدين الناس على قيم الخير ومثله ، وهي قيم موحدة متفق عليها ، ثم جاء هؤلاء الباحثون باسم علم النفس والاجتماع ففروقا الناس ومزقوا وحدتهم وشككواهم في قيمهم ، ثم لم يستطع واحد منهم أن يجمعهم على مذهبه بعد أن فرقهم في الدين ، ولم يستطع واحد منهم أن يقدم البرهان الحاسم على صدق مذهبه ففاج بعض الناس في بعض ، وبغى بعضهم على بعض ، وأصبح العلم والمعرفة عامل فرقة وفساد وانحلال بدل أن يكون عامل سعادة ووثام ، وأصبح كل مجرم لا يعدم سنداً له في تبرير دوافعه إلى الإجرام من قواعد علم النفس المزعوم .

وليس يفهم من ذلك كله أننا ندعو إلى مصادرة البحوث النفسية والاجتماعية والأخلاقية ، فذلك ما لا يدعو إليه عاقل يؤمن بنعمة العقل والتفكير ، ولكن الذي ندعو إليه هو أن ندرك حق الإدراك مدى طاقتنا العقلية والفكرية ، فنقيد أنفسنا في هذه البحوث وأمثالها مما يتصل بعالم الغيب بقيود الدين ، نلتزم حدوده ولا نعتسف الطريق حتى لا نتعرض للضلال والهلاك ، فنحن إذن لا نعطل العقل ، ولكننا نحفظه من الضلال ، ونلزمه أصولاً وقواعد هي كالسور الذي يصمم السالك في الظلام من التردى في الهاوية ، وهي مثل قوانين المنطق التي لا يعتبر التزامها حداً للتفكير ولكنها عصمة له ، وهي مثل الدستور الذي لا يعتبر تقييد المشرعين به في كل ما يشرعون حداً من سلطاتهم ولكنها ضمان لهذه السلطة أن تزيع عن القصد ، عن علم أو عن غير علم .

ونحن إن احتجنا إلى الاستفادة من خبرة الغرب وتفوقه في الصناعات الآلية التي كانت سبباً في مجده وسيادته ، فن المؤكد أننا في غير حاجة إلى استيراد قواعد السلوك والتربية والأخلاق التي تدل الأمارات والبوادر على أنها ستؤدى إلى تدمير حضارته والقضاء عليها قضاء تاماً في القريب العاجل ، إننا نحتاج إلى مواد البناء ، لأن لدينا من عوامل الضعف والهدم ما يكفي .

ومع ذلك كله تجد فينا من لا يصيخون السمع إلى صوت الدين ، وهم يلحدون في آيات الله فيميلون بها عن وجهها حيناً ، ويجادلون فيها أشد الجدل حيناً آخر . ولكنهم يخضعون لهذه المزاعم الداعرة ويرونها فوق النقاش والمراء ، هؤلاء قوم لا تقوم عندهم الحجّة بالقرآن ، ولكنهم تقوم بهذه الظنون والأوهام ، فإذا عارضتهم بالثابت من قول الله سبحانه وتعالى - وهم يزعمون أنهم مسلمون - لوو رءوسهم وقالوا : نحدثك في العلم فتحدثنا في الدين ؟ كأن هذه الأوهام أثبت عندهم من القرآن ، أترى فرقاً بين هؤلاء ، وبين أمم قد خلت قبلهم من الضالين كانوا يقولون إذا ذكروا بآيات الله : « قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين » . « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون » ١

الدكتور محمد محمد حسين

الأستاذ بجامعة الإسكندرية

وحدثنا

* ليعرف من شاء ومن لم يشأ ، أن كل بلاد تنطق العربية بلادنا ، ولا بد أن تتحرر بلادنا ...

* وليعرف من شاء ومن لم يشأ ، أن المسلمين في شتى بقاع الأرض إخوة ، ولا بد أن يتعاونوا الإخوة في البأساء والشدة ...

* وليعرف من شاء ومن لم يشأ أن كل إفريقي لكل إفريقي أخ وجار ، ولكل جار على جاره حق المعونة حتى يستغنى ويأمن ويتحرر ...

* لقد عاش ساسة أوربا زماناً يرددون قول الشاعر الإنجليزي « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » ، فاليوم قد آن لنا أن نقول مثل قولهم : « نحن الشرق ، بإزاء مطاعم الغرب ، أمة واحدة » .

جمال عبد الناصر

في معترك الحياة العامة

(جاءني شاب أزهرى ، كان تلميذا لي في الأزهر ، وأتم دراسته هذا العام في إحدى كلياته ، وقال لي : أنا أحد تلاميذك ، وقد فرغت من الدراسة ، وأتأهب الآن للعودة إلى بلادي ، وسأنزل ميدان الحياة العامة بعد قليل ، وقد سميت إليك راجيا منك كلمة توجيه ونصح ، أندبرها وأنتفع بها في حياتي .

فدارت في ذهني خواطر ترجمها الكلمات الآتية ، التي أرجو أن تكون شعاع توجيه ، لا للشباب السائل وحده ، بل له ولكل أمثاله من الشباب في دنيا الإسلام) :

تسألني - أدام الله عليك نعمة التوفيق في القول والعمل - أن أنصحك وأنت تنهياً لنزول معترك الحياة الاجتماعية العامة ، بعد إنهاء دراستك ، وقد تكون أقدر مني على الاهتداء إلى سبيل الخير ، وتعرف طريق البر ، ولكن العادة جرت بأن يطلب اللاحق من السابق كلمة يستهدي بها في حياته ، ويجعلها نبراساً له في خطواته ، ثقة منه بهذا الناصح السابق ، وجرياً على هذه العادة أقول لك :

لقد كنت - وأنت شاب تطلب العلم - مشغولاً بأمرين : أمر دراستك التي كانت ترهقك ، وتنال من صحتك ، لكي تكون مبرزاً فيها موفقاً ، وأمر المثل العليا التي كانت - ولعلها ما زالت - تسامر جنانك وخيالك ، وكان لك من شبابك ما يجعلك تسير هذه المثل إلى أشواطها الفكرية البعيدة ، ومسابعها النظرية العالية ، ولعلك كنت تحسب أن تحقيق هذه المثل في دنيا الناس ومحيط الواقع أمر سهل ميسور ، وأنت ما تكاد تنهى من فترة الطلب ، وتدخل هذه الدنيا حتى تسارع إلى تطبيقها وجعلها حقائق ملموسة ! . . .

فأذكر جيداً - وقبل أن تصدمك الحقيقة المؤلمة - أن هناك فارقا - بل فوارق - بين دنياك الفكرية المحشودة بالمثل العليا ، وبين واقع الحياة الحاضرة التي رتع أبنائها هنا وهناك ، فاقسمت شقة البعد بينهم وبين هذه المثل .

وستخرج إلى الحياة لتجد عن يمينك وشمالك أمورا وأشياء لا تبتغيها ولا ترتضيها ، فإن ثرت عليها كلها ثورة المتحمس المتعجل صدمتك وصدتك ، وربما أياستك ، وإن تذرعت لعلاجها وإصلاحها بالإيمان والإخلاص والحكمة والصبر استطعت أن تؤدى واجبك ، ولو لم تصل إلى نهاية الطريق ، وإنما عليك أن تسعى ، وليس عليك إدراك النجاح .

ستجد أن استمساكك بدينك وأخلافك ومبادئك العالية يضايقك ويؤلمك ، ويحرمك الكثير ، ويبعد عنك الكثير ، لأن الناس لا يصادقون اليوم إلا على غرض أو مرض ، ولكنك ستجد - إذا صح يمينك وإيمانك - راحة في أعماق نفسك ، تعوضك عن الشقاء الحسى الذى يحيط بك في دنيا الناس ، فحاول دائماً أن تسقى هذا المعنى - معنى الراحة النفسية - برحيق التذكر ، والتفكير ، والإقبال على الله ، والثقة بمدله - وإن ابتعد موعد الحكم في نظر الناس - وحسن الانتظار لفضله في العاجلة والآجلة : « وما عند الله خير للأبرار » .

وسيقول الناس لك حينما يلمسون هذا الدين منك : إنك تعيش في دنيا الخيال ، وإنك تضع عمرك في الأوهام ، وإنك لا تحسن اكتساب الدنيا ! فلا تطل الجدال معهم ، ولا تسهب في الرد عليهم ، فانك في واد ، وهم في أودية أخرى ، بل الجأ إلى أعماق نفسك المؤمنة ، لتوقظ فيها المعاني المذكورة لك بمتعتك الروحية الرفيعة الواصلة لأسبابك بأسباب الله قيوم السموات والأرض .

* * *

وستجد في مواطن كثيرة أن أناسا عديدين يسبقون وحققهم أن يتأخروا ، وأن أناسا عديدين يتأخرون - أو يؤخرهم الناس بتعبير أدق - وهم أحق بالسبق والتصدر ، وربما وجدت إمعات في مكان الصدارة ، ووجدت عمالقة أو أبطالا في مؤخرة الركب ، فتذكر أن موازين الناس على عهدك وعهد الناس من حولك موازين مختلفة معتلة ، قد تخفض الرجيح الرزين ، فتحرمه حقه ونصيبه ، وتقدم الإمعة النافه فيفوز بمحظوظ سواء ، ولا يملكك هذا الاختلال على أن تشكر لمبادئك ، أو تفرط في أداء واجبك ، أو تتابع غيرك على باطله لتصل كما وصل .

وتذكر دائما قول رسولك صلى الله عليه وسلم : « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول :

أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إذا أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تحتنبوا إساءتهم » ! .

وعليك أن تتذكر أن الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه ، وأن الباطل ان ينقلب حقا مهما كثر مشايعوه : « قل لا يستوى الخبيث والطيب ، وأوعجبك كثرة الخبيث » ؛ وأن الضلال يستأسد حين يغفو أهل الحق عن حقهم ، وأن المنكر لا دولة له إذا ما صدقت جولة المعروف أمامه ! . . .

وقد يحرمك المجتمع حقوقا في حسك ، ولكن الله يعوضك عنها حقوقا أكبر منها وأفضل في نفسك . . . وقد يحرمك الله الذهب ويمنحك الأدب ، وقد يحول بينك وبين الجاه ، ولكنه يحفظ عليك الدين ، وقد يسد عليك بابا من أبواب المتعة المادية ، ولكنه يفتح عليك أبوابا من الراحة القلبية ، ولا تنس قول الله تبارك وتعالى : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليما حكيما » ، وقوله عز من قائل : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وقد تكون للأرض عدالة محدودة ، وقصاص في نطاق ضيق ، وقسمة بحسب الظاهر - والظاهر خداع - ولكن عدالة السماء أوسع وأنسح ، وقصاص الله أعلى وأعدل ، وقسمته أصح وأقوم ، وهو أحكم الحاكمين . . .

فان رأيت آثما لا يقتص منه ، أو ظالما لا يرد عليه ، أو آخذنا بغير الحق لا يستقيم الحساب معه ، أو مظلوما لا ينتصف الناس له ، فلا تحسبن ذلك إلى غير نهاية ، بل لا بد من يد تقيم المعوج ، وتحق الحق ، وتبطل الباطل ، اليوم أو غدا أو بعد غد : « أخسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم إلينا لا ترجعون » ؟ . . .

وقد تكون هذه اليد يدك ، أو يدا من بين من تراهم أمامك ، وقد تكون من بين أناس لا تراهم ، وقد تكون في النهاية يد الله العلى الأعلى الذى يقول : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » .

* * *

وقد تشرع في عمل ، وتأمل من ورائه نتيجة وثمرة ، وتقدر لهذا العمل وقتا معلوما

وجهدا محدودا ، ولكنك بعد أن تبذل الجهد وتستنفد الوقت ربما لا تجد الثمرة أو النتيجة ، بل ربما وجدت ما ينهته وقد تهدم ، وشاهدت ما أقيمت وقد تقوض ، وقد يعرض لك هنا عارض اليأس والاستسلام ، فتجعل عملك هذا هو المحاولة الأولى والأخيرة ، فلا تنس أن طريق النجاح والوصول إلى المأمول ليس مفروشا بالورود والرياحين ، بل هو مليء - عادة - بالأشواك والعثرات ، وأكثر الأعمال العظيمة في تاريخ الإنسانية كانت مواليد لمحاولات تجسم فيها الفشل ، ولكن العزيمة الصادقة المصحمة جاءت من وراء هذا الفشل فدفعته وسحقته ، وخطت خطواتها الموفقة إلى رائع النجاح .

وقد وضع الله لك في هذا المجال عبرة أى عبرة في مخلوق ضعيف صغير ، وهو النملة التي تحمل الحبة - والحبة تكبرها أضعاف المرات - وقد تفشل النملة في حمل الحبة عشرات المرات ، ولكنها تعزم وتصمم ، وتحاول ثم تحاول ، فتحملها ، وتنجح !!! . . .

كما علمنا الحق تبارك وتعالى أن نصره يأتي بعد تحمل الشدائد ومقاساة الأهوال ، والمصابرة أمام النكبات ، والمطاولة لللمات والأزمات : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ؟ مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » ، « حتى إذا استيأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، فنجى من نساء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

* * *

وقد ينجل إليك وأنت تقسم لإجازتك الدراسية الأخيرة أنك قد طويت كتاب الطلب للعلم ، وفتحت باب الاستغلال لما علمت ، وأنت أصبحت غنيا بعلمك ، وأنت بغير حاجة إلى مزيد من الدراسة والطلب ! . . . وليس هناك ما هو أخطر عليك من مثل هذا التخييل ، وأنت قد حفظت من قبل الأثر المشهور : « منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال » وأنت معدود في صفوف العلماء ما دمت تطلب العلم ، فإذا بدأت تظن أنك قد كملت علما فقد بدأت تجهل ! ! ! . . .

وأنت حين تخرجت في « كليتك » قد انتقلت إلى « كلية » أرحب منها وأوسع ، هي كلية الحياة التي ستصول فيها وتيجول ، والتي يجب أن تتصل فيها حلقات بحنك وإطلاءك وقراءتك وكتابتك وإنتاجك العلمي ، وارتباطك بأسباب المعارف والثقافات ، فلا يغفلبك في الحياة صديق على صديقك الأول الدائم الخالص ، وهو الكتاب ! ! .

ولا تنسين تلقيح أفكارك وتجديد معلوماتك بما تتفتق عنه عقول الكاتبين والباحثين في شتى الميادين من أفكار ونظريات وآراء . ولا حرج عليك في هذا الباب أنت تقرأ في أى كتاب ، ما دامت مناعتك الروحية والعقلية تميز لك بين الخبيث والطيب ، وتفرق لك بين الخير والشر ، وتعصمك من المتابعة للتافه الرخيص ، ومن الاغترار بالكاذب الخادع ، ومن التنكر للزاد العلمى الدسم الممتع .

ومع هذا فانه من الخير كل الخير أن يكون لك أصول في مصادرك ومراجعك ، بحيث تكون هذه الأصول موازين لغيرها من المصادر أو المراجع ، ويهتف بي هاتف من أعماق نفسى بأن أنصحك في هذا المجال بأن تجعل في طليعة هذه الأصول كتاب الله عز وجل ، وما صح من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما استفاض حول الكتاب والسنة من تفاسير وشروح بأيدي الخيرة من العلماء القدامى والمحدثين ، ولا تنس أن تعض بنواجذك ما استطعت على مؤلفات أمثال ابن كثير وابن تيمية وابن القيم ومحمد عبده وشكيب أرسلان ورشيد رضا ومحمد إقبال وصادق الرافعي وأمثالهم ، ولست أخصص ، وإنما أذكر ما يصلح نموذجا لغيره من مؤلفات جمع أصحابها - في أكثر ما كتبوا إن لم يكن في كل ما كتبوا - الدين والعقل والبيان وحسن التأني لعرض الموضوع ، وليس معنى هذا أنهم معصومون لم يخطئوا أو لم يختلفوا ، فكل غير معصوم يؤخذ منه ويرد عليه . وليس معنى هذا أيضا أن نظل أسير الكتب والمطالعة فحسب ، فانك إن فعلت جئت على نفسك ، وفاتك خير كثير ، فهناك مدرسة واسعة جليلة الأثر عظيمة الثمر ، هي مدرسة التجارب ومعالجة الحياة وملاقة الأحياء .

إن هذا السكون بما يموج فيه كتاب كبير ، مفتوح على الدوام بين يديك وأمام عينيك ، فقلب في صفحاته ، وتنقل مع لوحاته ، واستفد من سجلاته ، وانتفع بعظاته ، وقديما قيل : من لم يؤدبه والده ، أدبه الليل والنهار !! .

وأنت شاب مسلم قد رضيت بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولا ، وبالقرآن هاديا وإماما ، وقد تجدد في مجتمعتك أمورا تخالف عقيدتك أو تنكر لها ، وربما وجدت من أدعياء العلم أو تجار الدين من يحاول استخلاص التسويغ الديني لتلك الأمور المخالفة لدينك وعقيدتك ، فتذكر هنا دائما أن الدين جاء ليجتكم إليه ، لا ليجتكم هو إلى غيره ، والواجب أن نخضع الحياة لمبادئ ذلك الدين الذي آمننا به وارتضيناه ، لا أن نخضع نصوص ذلك الدين لأوضاع هذه الحياة .

ولو استقام أمر الحياة ، واستقام فهم الدين من مصادره ، لتلاقى الدين الصحيح مع الحياة القويمة على شريعة سواء ، فانما جاء الدين للحياة وللأحياء ، لا ليكون بمعزل عن الحياة والأحياء ، والمهم هنا هو أن نحسن فهم هذا الدين بلا إسراف أو اعتساف ، وبلا جمود أو ابتداع ، وأن نحسن التفرقة بين ما يليق وما لا يليق من أمور هذه الحياة ، والطريق هنا دقيق شاق يكاد يشبه الصراط ، والطلائع فيه والرواد لغيرهم عليه يجب أن يكونوا أهل بصيرة ، وأهل فقه وحكمة ، وأهل خبرة وتجربة ، وإلا أفسدوا هذا الطريق على أنفسهم ، وأفسدوه على من وراءهم من الناس ، فيكونون والعياذ بالله قد ضلوا وأضلوا .

ولو قيض الله لعباده عصبية تحسن فهم الدين وتطبيقه ، كما تحسن فهم الحياة وإقامتها ، لكان أفراد تلك العصبية أعلام الإصلاح في تاريخ الناس . . ! .

* * *

وقد يكون من نافلة القول بالنسبة إليك أن أوصيك بالمحافظة على الجانب التعبدى فى حياتك ، فإن هذا الجانب - إذا فقته أسرارته ، وأتقنت أدائه ، وحفظت مواقيته - يلطف حسك ، ويهذب نفسك ، ويجعلك موصول الأسباب بالملاء الأعلى ، ويذهب عن صدرك كثيرا من الهم والحزن ، ويفتح عليك أبواب البركات والمغن : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » ، « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم ، لا يمسهم السوء ، ولا هم يحزنون » .

وأطل التدبر فى قول من قال : « لا تطمع فى الخوف من الله مع الرغبة فى الدنيا ، ولا تطمع فى إلهام الحكمة مع ترك التقوى ، ولا تطمع فى الصحة فى أمورك مع موافقة الظلمة ، ولا تطمع فى حب الله مع محبة المال والشرف ، ولا تطمع فى لين القلب مع الجفاء لليتيم والأرملة والمسكين ، ولا تطمع فى الرقة مع فضول الكلام ، ولا تطمع فى رحمة الله مع ترك الرحمة للخلق ، ولا تطمع فى الرشد مع ترك مجالسة العلماء ، ولا تطمع فى الحب لله مع حب المدحة ، ولا تطمع فى الورع مع الحرص على الدنيا » .

وأريد لك بعد هذا أن تعيش على الدوام فتي في حسك ونفسك ، وروحك وعزمك ، وقبلك وعقلك ، قد تشيب ناصيتك ولكن لا يشيب فؤادك ، أريد لك أن تكون أحد الفتيّة الذي آمنوا برّهم فزادهم ربههم هدى ، أريد أن تبذل جهدك على الدوام كي يتوافر لك القوة في الجسم ، والصحة في العلم ، والعمق في الفهم ، والرفقة في الحس ، والطهر في النفس ، والحذق في التصرف ، والاطمئنان عند الغرم ، والتواضع عند الغنى ، والثقة بالخلاق ، والخدمة للخلق .

لا تهمل حسك ، ولا تسرف على نفسك ، ولا تستنم لهـواك ، ولا ترهق جسمك ، فإن لبدنك عليك حقا ، ولا تتمب قلبك ، فإن القلوب إذا ملت عميت ، والنفوس بحاجة إلى ما ينشطها ويروح عنها ، وذلك يكون بمقدار ، وتذكر قول ربك : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » .

وعليك بتوثيق صلتك الفكرية والعقلية بالطبيعة ومظاهر الكون الخالدة ، فإن الله عز وجل إذا كان قد أنزل على عباده كتابا مقروءا هو القرآن ، فقد برأ لهم كتابا منظورا هو الكون ، ولو أدمت النظر في هذا المملوكوت ، وأدمنت التدبر لمظاهر هذا العالم ، لازدادت علما وفهما وطمأنينة وإيمانا ، وربك يدعو إلى ذلك حيث يقول : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » ! .

ثم أَدْعُوكَ دعاء حريص عليك ، آمَلُ فيك ، منتظر منك الخير لنفسك وللناس ، فأقول : جنبك الله الشبهة ، وعصمك باليقين ، وزانك بالتقوى ، وجعلك بالوفاء ، وأغناك به عن سواه ، وهون في عينك متاع الحياة ، وجعلك من الدعاة إلى طريقه ، والمستمسكين بهـداه ، حتى تكون من عباده الذين « رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشي ربه » .

ولقد قدّمت إليك بالنصح وإني إليه محتاج ، والله خير مستعان ، هو يتولاني وإياك برحمته وتوفيقه . وسلام الله عليك ما

أحمد الكريم باصی

المدرس بالأزهر الشريف

على دعوة أقوامهم إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته ، ودعائه وعبادته ، كما قال الله تعالى في سورة الأنبياء : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ، ٢١ : ٢٥ » وهكذا كانت رسالة كل نبي ورسول قائمة على دعوة قومه ، إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته ، أما أصل الاعتراف بالربوبية والألوهية ، فذلك أمر مركوز في فطرهم وأحاسيسهم ، غير أن هذا الدين الفطري الوجداني ، يختلف مظاهره باختلاف العوامل التي تنمي أو تضعفه .

« الحقيقة الرابعة » أن الإنسان متدين بطبيعته وفطرته ، غير أن هذا التدين الفطري ، قد يكون قائما على أصول وأوضاع فاسدة ، أوحى بها جهل الإنسان لافتقاده الرائد والمرشد أو ضعفه أمام سلطان الأوهام والعادات ، وهذا هو شأن الإنسان في أكثر أطواره وأجياله ، وقد يكون قائما على أصول وأوضاع صحيحة ، وذلك إذا كان مستمدا في عقائده وأعماله من تعاليم الأديان الإلهية والشرائع السماوية .

وخلاصة هذه الحقيقة ، أن الإنسان متدين بطبيعته وفطرته ، أما كون هذا التدين صحيحا أو فاسدا ، فراجع إلى العوامل والمؤثرات الخارجية ، فصحته راجعة إلى تعاليم الدين السماوي وتوجيهاته ، وفساده راجع إلى ضعف الإنسان أمام عوامل الإضلال والانحراف .

« الحقيقة الخامسة » أن كل محاولة لصرف الناس عن الدين والتدين ، وحملهم على اعتناق مذهب الإباحية والإلحاد ، إنما هي محاولة خاسرة فاشلة ، لأنها محاولة لصرفهم عن مقتضى فطرهم وطبائعهم ، وما مثل القائمين بها إلا كبئيل الذي يقول :

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

ولا يرد على تقرير هذه الحقيقة ، استجابة بعض الجماعات لدعوة الإباحية والإلحاد ، فإن ذلك ليس راجعا إلى مقتضى أحاسيسهم ومشاعرهم ، وإنما هو راجع إما إلى عوامل الإغراء ، وإما إلى رهبة القوه العاشمة ، التي فرضت عليهم تعاليم الإلحاد بالقوة القاهرة ، فإذا ما تقشعت غمة الإغراء والجهل ، أوزالت رهبة الإكراه والقهر ، عادوا سراعا في شوق وحنين ، إلى حظيرة الدين الكائن في أعماق قلوبهم وفطرهم .

هذه هي الحقائق المستمدة من تاريخ الإنسان في ماضيه وفي حاضره ، وسيفي الإنسان

متدينا بطبيعته وفطرته ، وسيدى العالم عامرا بالدين والتدين ، ما دامت صفحات الوجود تطوى وتنشر ، على رغم دعاة الإباحية والإلحاد ، الذين يريدون النزول بالحياة الإنسانية الفاضلة ، إلى حضيض المسادية الحيوانية الفاجرة .

وإن اليوم الذى تختفى فيه معالم الدين من الأرض ، وتسود فيه تعاليم الإباحية والإلحاد ، هو اليوم الذى تطوى فيه آخر صفحة من صفحات هذا الوجود .

هذه هى الحقائق التى يمكن استخلاصها ، مما ذكرناه من مقومات الفطرة الإنسانية ، والى توضع صلة هذه الفطرة بالدين والتدين .

وهنا يقول قائل : إذا كان الإنسان مفطورا على الدين الحق ، والاعتراف بخالق الكون ومبدعه ، فما بال الناس إلا قليلا منهم ، قد خرجوا فى أطوارهم وأجبالهم المختلفة ، عن مقتضى فطرتهم وأحاسيسهم ، وضلوا فى عقائدهم وتدينهم ، فاتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ويتقربون إليها ، وذهبوا فى فنون الشر والفساد مذاهب شتى .

والجواب عن هذا السؤال الذى يتردد فى نفس كل باحث ، هو أن هذا الذى عرض لأكثر الناس فى عقائدهم وسلوكهم ، إنما يرجع إلى العوامل التى لازمت وجود الإنسان فى الأرض ، وسارت معه فى حياته وأطواره جنبا إلى جنب ، وهذه العوامل على كثرتها ، ترجع فى أصولها إلى العوامل الآتية :

العامل الأول : خضوع الإنسان فى تدينه لسلطان الوهم والخيال ، فإن الإنسان بمقتضى شعوره بالقوة الغيبية القاهرة ، كان فى كل أطواره التى افتقد فيها الرائد والمرشد ، شديد الحنين إلى معرفة مصدر هذه القوة الغيبية ، معرفة تكون سكنا لنفسه وطمأنينة لقلبه ، وتأويلا صادقا لأحاسيسه ومشاعره ، ولكن كيف السبيل إلى معرفة صاحب هذه القوة الغيبية ، وقد احتجب عن الحواس بحجاب العظمة والجلال ، وتعالى ذاته العلية عن الإحاطة والإدراك ، والإنسان بطبيعته المسادية لا يأنس إلا بما تدركه الحواس ، لهذا أطلق العنان لوهمه وخياله باحثا عن مصدر هذه القوة فى ظواهر الكون وعوالمه ، وذهب فى بحثه وراء الخيال كل مذهب ، فتخيلا تارة فى بعض العوالم العلوية فألهها ، وطورا فى بعض العوالم السفلية فعبدها ، وهكذا ملك الخيال عليه عقله وفكره ، فطوح به فى أودية الجهل والضلال ، وباعد بينه وبين هداية العقل

والوجدان ، ووقف به عند حدود هذه العوالم الحسية ، وعجز عن الوصول به إلى معرفة الإله الحق ، الذى لا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأفكار .

ومن هنا نشأت الوثنية فى الشعوب والأمم ، فأفسدت بأوهامها العقول والفطر ، وسدت عليها منافذ الفكر والنظر .

وهكذا كان خضوع الإنسان لسلطان الوهم والخيال ، من أكبر عوامل انحراف الإنسان فى عقائده وتدينه .

العامل الثانى : طاعة الشيطان فى وحيه ووسوسته ، فإن الشيطان هو الطاغوت الأكبر ، ورأس الضلال ومنبع الفساد ، ومبعث الخطيئة فى كل زمان ومكان ، وهو إمام المتكبرين وشيخ المتعصبين ، الذى وضع أساس العصبية العمياء ، ونازع الله رداء العظمة والكبرياء ، يوم أن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عقب خلقه ، تكريماً له وتنوياً بسر خلافته ، فاستكبر وأبى أن يسجد مع الساجدين ، وانتخر على آدم بخلقه ، وتعصب فى كبر وغرور لأصله ، وقال : أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين ، فباء بالغضب والحerman ، والطرود من ساحة الرحمن ، فطلب من الله الإمهال والإنظار ، وطوى نفسه على الكيد والعداوة الجاحمة ، فلما مد الله له عنان الإمهال والإنظار ، وفسح له مجال الإغراء والإضلال ، أظهر العداوة السافرة لآدم وذريته ، وكشف عن الحقد السكامن فى نفسه ، وأغرق لهم فى التهديد والوعيد ، كما قال تعالى حكاية عنه : « قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ؛ إلا عبادك منهم المخلصين ، ٣٨ : ٨٢ - ٨٣ » ولهذا عنى القرآن الكريم بأمر هذا الطاغوت عناية كبرى ، فذكر قصة تمرده على أمر ربه ، فى كثير من الآيات والسور ، وجاء بها فى أساليب متنوعة ، أظهرت للناس حقيقة أمره ، وبينت لهم كوامن حقه وعداوته ، لئلا يكونوا على بينة من حيله وحبائله ، فإن له فى كل أمة جنوداً وأعواناً ، اتخذهم مطايا لإضلاله وإفساده ، وأبواقاً لوحيه ووسوسته ، ولهذا كانت طاعة الشيطان من أهم العوامل ، التى أدت إلى ضلال الإنسان فى عقائده وتدينه ، وانحرافه فى سلوكه وسيره ، كما قال جل جلاله : « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ، ٥٨ : ١٩ » .

العامل الثالث : تأليه الهوى والانقياد الأعمى لسلطانته ، والهوى ما دخل شأننا من شئون الدين والدنيا إلا أفسده ، لأنه آفة الرأى ، ومضلة العقل ، وسبيل الزنج والانحراف ، يطمس معالم الحقائق ، ويقلب الأمور ، ويعكس الأوضاع ، ويوجب

اختلال موازين الحكم على الأقوال والأفعال ، فإذا ما ملك قياد صاحبه ، طغى على عقله وفكره فلا يستقيم له رأى ، ولا يعتدل له قصد ، ولا تسلم له طوية ، ولا يستجيب لنقد الناقدين ، ولا يستمع لنصح الناصحين ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل : « أفأريت من اتخذ ليله هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون . ٤٥ : ٢٣ » .

العامل الرابع : شره الغرائز الإنسانية وجوحها ، في تحصيل مطالبها وشهواتها ،
فإن مطالب الإنسان لا تقف عند حد ، وآماله لا تنهى إلى غاية ، بل كلما وصل إلى مطلب من مطالبه ، أو حقق أملا من آماله ، تجدد له شوق إلى غيرهما من المطالب والآمال ، لأن فطرته التي فطر عليها ، لم تحد له في هذه المطالب حدودا يقف عندها بالقسر والإلحاء ، ولا رسمت له طريقا معيناً يلتزمه بالإلهام والإيحاء ، بل فتحت له مسالك الخير ومسالك الشر على السواء ، ومكنه استعداداً من سلوك أى مسلك شاء ، والعقل وحده لا يكفى لحمله على التزام الطريقة المثلى ، والوقوف عند حدود المتوسط والاعتدال ، لأن النفس مذساقة إلى مشتياتها بمقتضى الغريزة والطبع ، لا بتدبير الفكر وحكم العقل ، وما كان باقتضاء الغريزة والطبع ، فلما تستطلع النفس فيه رأى الفكر وحكم العقل ، لأن الطبع أقوى سلطاناً عليها . وأسرع إقداماً في تحقيق مشتياتها ، ومن هنا جمحت بالإنسان غرائزه وأهوائه ، وتضاءل سلطان العقل أمام نوازعه واتجاهاته .

هذه هى أهم العوامل التى قارنت وجود الإنسان فى الأرض ، وسارت معه فى حياته جنباً إلى جنب ، واكتنفت تدبير العقل فى أحكامه ونظرياته ، وتغلبت بسلطانها على هداية العقل والحواس فى أكثر أطواره ، فضل بسببها فى عقائده وتدينه ، وانحرف عن الطريق المستقيم فى سلوكه وسيره ، ولهذا كان فى حاجة إلى هداية أعلى شأنها وأقوى سلطاناً من هداية الحواس ، يستعين بها على مقاومة هذه العوامل والمؤثرات ، وتوضح له معالم السيرة على الصراط المستقيم ، ومن هنا نشأت حاجة الإنسان إلى إرسال الرسل ، وتشريع الشرائع .

و إلى اللقاء فى الحديث التالى إن شاء الله ما

بى سويلم طه
المفتش بالأزهر

من الهدى المحمدى

روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » .

هذا الحديث الشريف حكمة من حكم النبوة المحمدية ، وجامعة من جوامع كلمه صلوات الله وسلامه عليه وهو كلام بكرلم يسبق إليه ، بلغ الغاية فى إيجاز اللفظ ودقة المعنى ونبالة المفزى وروعة التصوير ودقة التمثيل ، وهو درس من الدروس المحمدية التى قصد بها النبي صلى الله عليه وسلم تربية المؤمن على حصافة العقل وعمق الغور وأصالة الرأى وإحكام التدبير وبعد النظر وتوجيهه إلى ما ينبغى أن يكون عليه المسلم الكامل فى دينه ودنياه .

وليس هذا الكلام الحكيم بمستغرب ممن يوحى إليه من ربه وأفاض عليه من الفيوضات الإلهية ما أفاض ومنحه الله سبحانه عقلا كبيرا وكياسة فائقة وسياسة حكيمة رشيدة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يوصى كل مؤمن أن يكون حازما عاقلا حذرا يقظا لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخضع مرة بعد أخرى سواء أكان ذلك فى شئون دينه أم دنياه ويحذره أن يكون مغفلا غرا غير مجرب يلعب به الدهاة المجربون ويجهلون كالريشة المعلقة فى الهواء أينما الريح تملها تمل .

وقد أدب النبي صلوات الله وسلامه عليه أصحابه بهذا الأدب الشريف الحكيم وأخذهم بهذا التوجيه السديد فلا تعجب إذا صير من رعاة الإبل والشاء علماء حكماء حلماء ، وأن صير من الأمة العربية التى كانت متوغلة فى البداوة ، وأبعد ما تكون عن الحضارة - أمة صارت مضرب الأمثال فى العلم والعمل والحكمة والفطنة والتحضر والتمدين - التمدن المبني على دعائم الإيمان والحق والعدل والخير - وأنجبت رجالا عقامت الدنيا عن أن تجود بأمثالهم فى العلم والسياسة والقيادة والعدل والرحمة .

فالمؤمن الكامل ليس من شأنه - ولا ينبغى له - أن يكون مغفلا غير مجرب يتخذ أعداؤه ضحكة وسخرة ويضارونه فى دينه أو دنياه ، وفى الحديث الشريف الذى أخرجه صاحب مسند الفردوس عن أنس مرفوعا : « المؤمن كيس فطن وقاف متثبت » والمؤمن

العاقل هو من اتعظ بأحداث الحياة واستفاد من التجارب . روى عن الصحابي الجليل معاوية رضى الله عنه أنه كان يقول : « لا حلیم إلا ذو عثرة ، ولا حكيم إلا ذو تجربة » والحديث سبق مساق التمثيل ليسكون أروع في النفس وأقوى في التأثير والعظة ، فالعادة جرت في العالم المحسوس أن من لدغته حية من حجر مرة أن لا يعود إلى هذا الحجر ولا يدنو منه فلا يلدغ منه مرة أخرى فما أجددنا أن نتعظ بذلك ونعتبر في عالم المعقول .

وأما حمل الحديث على معناه الحقيقي فإنما يذهب إليه من لم يتذوق لغة العرب ، ولم يقف على أساليبهم في البيان ولا يذهب إلى هذا الفهم إلا من تمكنت منه عجمة اللغة وعجمة التفكير .

ولهذا الحديث قصة تفصح عن الغرض الذي سبق له هذا الحديث النبوي ، ذلك أن أبا عزة عمرو بن عبد الله الجحى وكان شاعرا فأسر ببدر فشكى إلى رسول الله فقره وعياله ، وقال للرسول : لقد عرفت مالى من مال وأنى لذو حاجة وذو عيال ، فامنن على . فنـ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه أن لا يظهر عليه أحدا ، فمدح الرسول بقصيدة . ثم لعب المشركون بعقله حتى نقض ما كان عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال له صفوان بن أمية قبيل غزوة أحد : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك وانخرج معنا . فقال : إن مجدا قد من على فلا أريد أن أظاهر عليه . قال : بلى فأعنا بنفسك ، فإله إن رجعت أن أغنيك ، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر أو يسر ، فخرج أبو عزة يحرض القبائل على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فلما كان يوم أحد أسر أيضا فسأل النبي صلوات الله وسلامه عليه أن يمن عليه مرة أخرى ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « لا أدعك تمسح عارضيك بمسكة تقول خدعت مجدا مرتين » ثم أمر به فضربت عنقه ، ثم قال رسول الله : لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين » فذهبت الكلمة مثلا شرودا وحكمة صائبة تلهج بها الألسنة على توالى الحقب والأجيال .

أيها المسلمون من كل جنس وفي كل قطر ، لقد استفاد الرعيل الأول من المسامحين بهذا الأدب الحكيم وأخذوا به أنفسهم فلم يتعثروا في أمور دينهم ودنياهم ، وكان الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول : « لست بنخب والخب لا يخذعنى » ووصفه واصف فقال : هو أكبر من أن يخذع وأرفع من أن يخذع .

وكان لهذه التوجيهات النبوية السديدة أثرها البالغ في حياة المسلمين الأولين ، وليكننا - ويا للأسف - لم نستفد بها في حاضرتنا ، فلدغنا من الجحر الواحد مرارا ، وتكالبت علينا الحوادث وتوالت النكبات فلم نتعظ بها ، وما كان أجدرنا - معاشر المسلمين - أن نكون ذوى كياسة وفطنة وحذركا أرشدنا المرشد الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، لا أن نكون أغرارا مخدوعين يتلاعب بنا أعداؤنا - أعداء الله وأعداء الإسلام -

لقد تداعت علينا قوى الشر والاستئلال والاستخراب قبل الحرب العالمية الأولى ، وأذاقونا الأمرين ، ثم قامت قيامة هذه الحرب فوعدونا الوعود البراقة ومنونا الأمانى المعسولة ، ثم لما وضعت الحرب أوزارها تكشفت الوعود عن الخداع والكذب ، وذهبت الأمانى أدراج الرياح ، وعادوا إلى سيرتهم الأولى ثم قامت الحرب العالمية الثانية فكررنا الوعود ومنونا الأمانى وانقضت الحرب العالمية الثانية فإذا الوعود والأمانى سراب بقيقة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئا ، وجوزى المسلمون والعرب جزاء سنار وكانت المأساة التى لم يشهد لها التاريخ مثيلا مأساة فلسطين الشهيذة فشرذ أهلها وسموا العذاب ألوانا وأتى الحلفاء - حلفاء الشر - بشذاذ الآفاق وهم اليهود فأسكنوهم فيها وأغدقوا عليهم من مالهم وسلاحهم وعطفهم الشيء الكثير ، وأضحى سكان البلاد وأهلها الأصليون منبوذين فى العراء يفتشون الأرض ويلتحفون السماء ، وأصبح الدخلاء المغتصبون متمتعين بخيرات الأرض المباركة وطيباتها ، ومثلت المسرحية الاستخرابية بأوقع مما كانت فى شمال إفريقيا وفى أطراف الجزيرة العربية على مرأى ومسمع وبيد أذعياء الحرية والديموقراطية الزائفة ، وتناسوا كل ماظنطنوا به فى أيام محنتهم من أن كل شعب حر فى تقرير مصيره والحصول على حريته المسلوبة وألقوا اللحم والقذائف من طائراتهم ومدافعهم وأساطيلهم على الآمنين المسلمين الذين لا جريرة لهم إلا أنهم يطالبون بحقوقهم فى الحياة السكرية ، وكان هذا بمض ما جوزى به المسلمون والعرب على مساعدتهم للحلفاء فى الحربين الماضيتين مساعدة مثمرة باعترافهم ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول فى أسلافهم وأمثالهم « كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولازمة ، يرضونكم بأفواههم وتابى قلوبهم وأكثرهم فاسقون » إلى أن قال سبحانه : « لا يرقبون فى مؤمن إلا ولازمة وأولئك هم المعتدون » .

أليس من المؤسف حقا أن نرى فى يومنا بعض المسلمين والعرب لا يزالون يخدعون

بوعود هؤلاء الكذابين الفجرة وكلامهم المعسول ودجلهم المكشوف ؟ ؟ وينسون
أو يتناسون لدغاتهم القاتلة المميّة !!!

يا أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، هذا كتاب الله بين أيديكم يكشف
لكم عن خبيثة نفوس أعدائكم فإلى متى ستسيرون في ركابهم وقد لاح الصبح لذي عينين ؟
وهذه سنة نبيكم ترشدكم إلى الفطنة لهم والحذر من ألاعيبهم ، فإلى متى تتخدعون بظواهرهم
وقد بدت البغضاء من أفواههم وتمثلت في فعالهم وما تخفى صدورهم أشنع وأكبر بحسبكم
أن تضعوا نصب أعينكم قول الحق تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين
أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا » وقول المرشد الأعظم
صلوات الله وسلامه عليه « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ما

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

أخي في عمان

فأنت وليد الأسود الأباه	أخي في « عمان » رعاك الإله
شهيد على مجدهم في الحياة	جسدوك سادوا ، وتاريخهم
رماه الجدد بجيش رماه	ويوم اعتدى « البرتغالي » عليك
وولى الديار فلول الغزاه	وحققت نصرا قويا عظيما
يفوح أريجاً . ويزهو سنه	وتاريخك الحر طول السنين

* * *

بعضم أكيد لتمحو الطغاه	أخي في « عمان » أخي قم وجاهد
بسفك الدماء وموت البغاه	فليست تنال الكرامة إلا

محمد علي فرج

الوحدة الإسلامية بين الأمل والواقع

الإسلام والشيوعية في إفريقيا

كتبت جريدة « التيمس » عجز الصحافة البريطانية مقالا عن الحج هذا العام بعنوان « إلى مكة » ، أوردت فيه شيئا من الحق وشيئا من الباطل ، وبين هذا وذاك أقيمت بعض الغمزات التي لا تحفى ، فليس قصد « التيمس » فيما كتبت الحديث عن الحج الإسلامى من حيث ذاته ، ولكنها أرادت أن تتلصص الآثار السياسية التي يمكن أن تكون وراء هذا « المؤتمر » الذي يجمع المسلمين من جميع أقطار الأرض .

ولقد مهدت « التيمس » لأغراضها بمقدمة قصيرة قالت فيها : « . . . في هذه الأيام يؤدي آلاف من الحجاج المسلمين شعائرهم ، ويقومون بزياراتهم للأماكن المقدسة تحت شمس المملكة العربية السعودية المحرقة ، وإن تكن الحياة التي تأتي بها المضخات واستعمال المراوح والأنوار الكهرومائية مما يجعل إقامة أكثرهم أسرا بالنسبة لما كان عليه آباؤهم وأجدادهم ، كما أن استخدام الكثيرين منهم السيارات اللورى وللطائرات في سفرهم وتنقلاتهم قد جعل الرحلة إلى الحج أسرع جدا مما كانت عليه في الزمن القديم » .

ثم دخلت « التيمس » على الموضوع فقالت : « ولقد لاحظ الدارسون لشئون الإسلام دائما ، وبخاصة الذين يعتنقون ديانة أخرى مخالفة ، ما للحج من قوة موحدة غير عادية ، فإن هذه الفريضة التي تعد الركن الخامس من أركان الإسلام يجب أن يؤديها كل من يؤمن بالإسلام مرة واحدة على الأقل في حياته (!!) ، وبهذا يجمع الحج الرجال والنساء من كل جزء من أجزاء العالم تقريبا في صعيد واحد ، وهؤلاء جميعا بما لهم من تراث مشترك يتبادلون الأفكار والآراء التي يمكن أن تصبح بعد عودتهم إلى بلادهم نخبة سياسية أو اجتماعية » .

ثم قالت « التيمس » في سياق مقالها : « ومن آن لآخر يفكر الزعماء المسلمون فيما

إذا كان من الممكن جعل الحج مؤتمرا قائما بذاته إلى جانب كونه واجبا دينيا ، ففي أوائل عهد الملك عبد العزيز آل سعود منذ ثلاثين عاما عقد في مكة مؤتمر من مسلمي العالم أجمع ، ولكن على الرغم من الاسم الذي اتخذته المؤتمر لنفسه فإنه لم يتخض عن شيء من النجاح ، ولكن فكرة مماثلة لفكرة ذلك المؤتمر قد ظهرت أخيرا بتأييد الرئيس جمال عبد الناصر .

وبعد أن أوردت « التيمس » ما كتبه الرئيس في كتابه « فلسفة الثورة » عن أهمية موسم الحج قالت : « على أن شيئا من هذا الذي تنبأ به ناصر لم يحدث ، ولم يسمع الشيء الكثير عن السكرتيرية الدائمة التي أعلن منذ ثلاث سنوات أنها ستنشأ لتنمض بتنظيم المؤتمر السنوي ، كما أن مكة لم تصبح مقصد ملوك الإسلام ورجال السياسة منهم . . ولا شك أن هناك أسبابا أدت إلى صرف النظر عن المشروع وطوحه جانبا » .

وبعد أن أوردت « التيمس » هذه الأسباب من وجهة نظرها قالت : « على أن الفكرة قد تظل قائمة وحية في صورة أو في أخرى ، فزعماء العالم الإسلامي السياسيون لا يزالون يؤدون فريضة الحج ، وعند ما يجتمع هؤلاء الزعماء فمن المؤكد أنهم يبحثون الأمور ذات المصالح المشتركة » .

ثم قالت : « وبما أن الوحدة في العالم الإسلامي لا تزال أملا أكثر منها حقيقة واقعة ، فسيكون من غير الحسنة أن يحاول أحد جعل الحج مناسبة رسمية يجتمع فيها المسلمون على وضع رسمي ، فموسم الحج الإسلامي شأنه شأن مؤتمرات وزراء دول الكومنولث » يمكن اعتباره مناسبة يجتمع فيها رؤساء وحكومات العالم الإسلامي بعضهم ببعض متحررين من مظاهر الأبهة والرسميات » .

وكل ما نود أن نقوله لعجوز الصحافة البريطانية في هذا المقام هو أن الوحدة الإسلامية ليست أملا عند المسلمين كما تظن ، ولكنها أصبحت حقيقة واضحة بارزة ، فإن الشعوب الإسلامية تلتقي اليوم كلها عند هذه الغاية في آلامها وفي آمالها .

حقا إن هناك خلافات بين بعض الحكومات الإسلامية ، ولكنها خلافات حول التفاصيل السياسية لكل منها ، أما المبادئ الأساسية ، وفي مقدمتها مبدأ الوحدة ، فهو موضع الإجماع من الحكومات والشعوب الإسلامية على السواء ، ويوم تتطهر رقعة العالم الإسلامي من كل رائد للاستعمار ، سترى « التيمس » قوة هذه الوحدة الإجماعية .

على أننا نطمئن الجريدة البريطانية من اليوم أنها لن تكون قوة تنطوى على الشر والإضرار بأحد من الناس ، ولكنها ستكون قوة إيجابية في نصرة الحق وإيثار الخير والسلام للجميع ، كما كان المسلمون في وحدتهم الأولى ، وفي أيامهم السابقة .

الإسلام في إفريقيا

وكتبت صحيفة « لورور » الفرنسية مقالا عن الإسلام في إفريقيا ومخاوف الغربيين من تسرب الشيوعية إلى المسلمين في هذه القارة فقالت : « إن التقدم السريع الذى أحرزه الإسلام في إفريقيا لا يمكن أن ينافى فيه أحد ، فبينما كان الإسلام ينحصر في بداية هذا القرن في الشمال ، وقبلما تجاوز حدود مصر والمغرب ، نجده اليوم قائما في الوسط ، بل إنه ليتغلغل في المناطق الجنوبية .

ثم عقدت الصحيفة مقارنة بسيطة بين المسيحيين والمسلمين في القارة فقالت : « والذين يعتنقون المسيحية بين سكان القارة الذين يبلغون مائة وثلاثين مليونا فئة لا تزيد عن سبعة عشر مليونا . منهم ثلاثة عشر مليونا من الكاثوليك ، وأربعة ملايين من البروتستانت . هذا على حين يعتنق الإسلام في هذه القارة ثمانون مليونا ، وإن عددهم ليزيد بصفة مستمرة .. »

وبعد هذه المقدمة قالت الصحيفة : « وإن هذا التقدم الملحوظ ليشير قلق بعض الغربيين ، فهم يخشون - أو بالأحرى يتظاهرون بالخوف - من أن يصبح هؤلاء الذين ينضمون إلى الدين الإسلامى فريسة سهلة للدعاية الشيوعية ، لأن الدين الإسلامى - كما يدعون - لا يقيم حواجز فعالة ضد الشيوعية .

وتصدت الجريدة للرد على هذه الدعوة قائلة : ولكن تعرف على أى أساس يقيمون هذا الرأى ؟ ! .

إنهم يقيمون ذلك على أن ٢٥ مليونا من المسيحيين في القوقاز وآسيا الوسطى قد قبلوا المذهب الشيوعى ، ولكن أليس في الاتحاد السوفيتى والدول التابعة له ٣٠٠ مليون مسيحي من الكاثوليك والأرثوذكس يعتنقون الشيوعية ؟ !

ومضت الصحيفة قائلة : فالدين الإسلامى مثل الدين المسيحى لا يشترك مع الماركسية

في شئ ، والباوية نفسها تعرف ذلك أكثر من أى شخص ، وإذا كانت البايوية لا تقبل أية علاقات رسمية مع الاتحاد السوفيتي وتوابعه ، فإن هناك كثيرا من الدول الإسلامية لا تقيم علاقات دبلوماسية كذلك مع الاتحاد السوفيتي ، وإذا كانت مصر وسوريا قد قبلتا التعاون مع روسيا ، فليس ذلك لأنهما تعتنقان الشيوعية ، ولسكنهما يصنعان ذلك لدوافع وأسباب خاصة تتعلق بموقفهما من إسرائيل .

ولكن ماذا تريد أن تقول الصحيفة بعد ذلك الكلام اللين الذى ينطوى على كثير من الحق والإنصاف ؟!

إنها تركز نظرتها بعد ذلك على الباكستان فتقول : إن الباكستان وهى من أكبر الشعوب الإسلامية يمكن أن تقدم وساطتها في مشكلة الجزائر التى تثير متاعب بالغة لفرنسا ، ويمكن أن تكون وساطتها ذات فائدة كبيرة في هذا الشأن .

ولكن لم تقل لنا الصحيفة ، على أى أساس تكون وساطة الباكستان في هذه المشكلة ؟.

وهل تحسب أن الباكستان - وهى من أكبر الدول الإسلامية كما تقول - تقبل هذه الوساطة لإراحة فرنسا على أساس يمس حرية الجزائر الإسلامية المجاهدة لحريتها وكرامتها ؟!

وهل تحسب تلك الصحيفة أن هناك أية دولة عربية أو إسلامية تقبل الخروج على إجماع المسلمين بضرورة إعلان استقلال الجزائر وتحويلها من ربة الاستعمار البغيض ؟!

إن هذا لا يكون أبدا . فقد مضى زمن الوساطات والمساومات وقبول أنصاف الحلول . ولن يقبل أى مسلم يدين بالإسلام حقا إلا الحرية التامة والاستقلال الكامل لأبناء الجزائر الذين يبذلون أرواحهم بذل السباح في سبيل حريتهم وكرامتهم ما

محمد فرامى عبد المظيف

أصول الحرية

في منهج التفكير الاسلامى

لكل نظرية أساس ، ولكل مبدأ قاعدة .

هذه حقيقة واضحة لمن يراجع مذاهب العصر القائمة ، وهى حقيقة مهمة لما يبنى عليها من أساليب العرض بالنسبة للمذاهب المختلفة .

فالديمقراطية تقيم مذهبها على (الحرية والمساواة) ، وعلى أساس هذه الفلسفة تقيم الديمقراطية نظمها فى شتى الميادين - فى السياسة والاقتصاد والتعليم ... الخ .

والشيوعية تقيم مذهبها على (المادية الجدلية) ، وما تولد عنها من (مادية تاريخية) و (صراع للطبقات) وهى تطبق فلسفتها على العالم الزاخر بالمتناقضات ، الغائر بألوان الصراع ، فتخرج من هذا بتعاليمها فى حق الإنتاج ، وما يترتب على معالجة حق الإنتاج من آثار فى مختلف الحقول - حتى الفنون والآداب !!

والدين عموما - والإسلام خصوصا - له أساس وقاعدة يبنى عليهما نظامه المحكم ، ولا بد من تبين هذه الحقيقة سواء بالنسبة لعرض الإسلام الفسكرى ، أو تطبيقه العملى .

* * *

كل الناس يعرفون أن الدين عقيدة وشريعة ، أو إيمان وعمل ، أو عبادة ومعاملة ... إلى غير ذلك من المقابلات التى تميز بين شطر الأساس الفلسفى العقلى الذى يستقر فى الذهن وتطمئن إليه النفس ، وشطر الأفعال البشرية التى يستجيب بها الإنسان لدواعى الحياة .

ولكننا حين ندعو للإسلام أو نطبقه ، نفعل عن هذه الحقيقة المهمة ، فنقيم الإسلام فى أذهان الناس ، أو فى ميادين الحياة جزئيات وتفاريق ، منفصلة عن أساسها الاعتقادى الذى ينظم حباتها ، ويحكم وضعها .

فقد يهتم دعاة الإسلام بأن يعرضوا شريعة الإسلام في تنظيم الأسرة، أو فقهه في علاج شئون الدلالة أو الاقتصاد ، ولا يمكن دون أن يصل هذا بأصل الإسلام الأصيل الذي يكفل - وحده - النجاح لنظامه ، ويميزه عن غيره . وبغير هذا الأصل يغدو الإسلام مجرد إصلاحات جزئية موضعية ، وميزات عارضة سطحية ، لا تمس جذور التكوين النفسى العقلى للأمة ، ولا تصوغ روحها وقيمها ومفاهيمها وموازينها ، ومن ثم تختلط على الناس السبل فتفترق بهم عن سبيل الإسلام ، فيرون هذه الميزات التنظيمية التى تهدف إلى إقرار العدل وإشاعة الخير لا يخلو منها مذهب عصرى ، ومن ثم يحق لهم أن يزهدوا فى الدين وتبعاته لا ينهض بها إلا الرجال أولو العزم ، قانعين بتحقيق لعاعة من زخرف الممتعة تتخلف لهم من الجرى هنا أو هناك !!

وليس يعنى هذا ألا يتحدث دعاة الإسلام عن نظم الإسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليواجهوا بها ما تصوغه المذاهب من أساليب الدعاية والإعلان ، ولكننا نرى أن يعرض نظام الإسلام مرتبطا بأساسه العقائدى ، هذا الأساس المتميز الذى أخرج أمة وصاغ حضارة ... هذا الأساس الذى مهما تناحرت المذاهب العصرية فى عرض التفاصيل والتفريعات ، وانتفعت من تجارب الإنسانية التاريخية الطويلة فى محاولة سد الثغرات وادعاء الأحكام ، فسبقى للروح الأصيل المهيمن على النظام الإسلامى تفرده وتميزه الذى لا يتناول عليه فيه غيره .

فكما يعرض الديمقراطيون والشبوعيون وكل أصحاب المذاهب حلولهم وتطبيقاتهم الجزئية مشفوعة بفلسفاتهم وأصولهم (الجذرية) ، يجب على المسلمين أن يسلوكوا هذا المسلك ويطبقوا هذا المنهج ، وهم فى هذا لا يقلدون ، بل ينتفعون من هدى دينهم . فلم يكن عبثا أن أرست الديانات الإلهية المبكرة على أيدي رسل الله الأوائل قواعد العقيدة وحدها ، ولم تتعرض للتشريع إلا بتدرج قريب من نصيب الأحكام على مر الأجيال وتتابع الرسالات حتى تبلغ الغاية فى الإسلام ، وإن مقارنة ما جاءت به رسالات الله الأولى على قدر ما نعرفه منها بما أتى به محمد صلوات الله عليه وسلامه ينهض على هذه الحقيقة شاهدا ودليلا .

والإسلام نفسه حين بدأ ، ظل ثلاثة عشر عاما يثبت قواعد العقيدة ، ومن بعدها بدأ الوحي ينزل بآيات التشريع . وما زالت عقيدة التوحيد الإسلامية هى أخص الخصائص

التي يقوم عليها تشريع الإسلام ، وحضارة الإسلام ، ودولة الإسلام وتاريخ الإسلام ، حتى آثار المسلمين المعمارية وزخارفهم الفنية !!

فهل نغفل عن هذا الأصل الثابت ، والجذر الضارب ، حين نعرض الإسلام أو نحاول تطبيقه ؟

رهل نغفل عن لفتات القرآن ، وهو دائب يقرع أسماعنا بذكر العقيدة وهو يأمر ويشرح المعاملات والتنظيم ؟؟

* * *

العقيدة في الإسلام محددة واضحة منضبطة ، تتلخص - كما أبان الحديث الشريف - في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . فهل هذا ما أقصد التأكيد بمداومة بيانه ، وربط الأحكام والنظم الإسلامية به ؟ ؟

إن الإيمان على هذا النحو ذائع شائع معلوم ... فما الذي أقصد إذن أن يذاع ويشاع ويعلم ؟ إنما أقصد أن يبين للناس أمران :

• المنهج العقلي الذي سلكه الإسلام للوصول إلى تقرير عقيدته ، لأن هذا المنهج الذي استخدمه الدين وهو بصدد تناول أخطر قضية في الوجود ، يعد منهجا نموذجيا ودستورا فكريا مثاليا يستمد منه المسلمون (تشكيلاهم) الذهني و (تكوينهم) العقلي الذي على هديه يمارسون سائر قضايا الفكر والعمل .

النتائج المنطقية التي تترتب على تقدير المسائل العقائدية البحتة في عالم الحياة العملية ، فهذه النتائج إنما هي التي تؤسس عليها نظم الإسلام الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

* * *

في الإسلام منهج عقلي لإنبات صحة عقيدته وإقرارها في العقول والقلوب ، هو تراث خالد ، وأساس ثابت لحضارة تقوم على تقدير العقل وتكريم الإنسان .

إن المنطق الذي عرض به الله - جلا وعلا - دينه ، وحرص فيه على إيراد كل معارضة ، ومناقشة كل مخالفة ، ومناهضة كل نزوة ، هو منطق لم تصل البشرية

في كفاحها الطويل المخضب بالدماء لأروع منه في أمانة العلم وإحقاق الحق وتحرير الفكر وإذا كان الله - سبحانه - قد ضرب لنا المثل الأعلى .

ونحن نستقرئ في القرآن نقد المخالفين ونستجمع قلق المرتابين ، ونتعقب هذ كله بالبحث والتمحيص - فأولى بالبشر ألا ينصرفوا عن هذا المنهج الرصين !

ولقد بلغ من أمانة عرض القرآن لنزعات المعارضة ، أنك أوفكرت اليوم في كل ما يهاجم به الدين من صور البيان ، لما خرجت بمجديد في عصر (العلم الذرى) عما جاء به هذا الكتاب منذ أربعة عشر قرنا !!

إن خطاب القرآن كله تكريم للانسان والإنسانية ، وتقدير للعقل والعلم ، وإقامة للبرهان والمنطق ، ودعوة لإعمال الفكر والفقه والتدبر .

وإن خطاب القرآن كله هجوم على الانقياد لهوى النفس ، وإيحاء العرف والتقليد ، وقهر السلطة ... إنه استنهاض لحيوية الإرادة الإنسانية التي بها يغدو الإنسان قوة إيجابية فعالة ، وليس مجرد أداة سلبية كما في عالم الجهاد وفي كثير من عالم الحيوان !!

هل أستطرد إلى الآيات التي تعزز هذا وهي مقروءة محفوظة متداولة ... ؟ ؟

حسبي أن أشير إلى هذه الآيات من سورة الأعراف تقيم في نفس كل فرد شاهدا من عقله ووعيه على قضية العقيدة ، وتقطع عليه طريق الاحتجاج والتنصل : « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا : بلى شهدنا ، أن تقولوا : يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفنتلهكنا بما فعل المبطلون !! ! وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون » .

ثم تستطرد الآيات ترسم صورة مثيرة لمن يؤثر المروق من حصانة العقل إلى نزوات الهوى ، ويختار التمرغ في مواخم الضلال : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فأنتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكننا أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فثناه كمثل الكلب - إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وأنفسهم كانوا يظلمون » .

ثم يصور القرآن هذا الذي ظلم نفسه فعمى فيها كل أدوات الاستدلال وأجهزة الاستقبال : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

وتقرأ في الآيات التالية بعد ذلك :

« أولم يتفكروا ، ما بصاحبهم من جنة ، إن هو إلا نذير مبين » .

« أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون » .

« يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ؟ قل : إنما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، نقلت في السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بغتة - يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ، ولا يك أكثر الناس لا يعلمون » .

« قل : لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

« هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ... » .

« أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ؟ » .

« إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين » .

هذه قطعة واحدة من سورة واحدة من السور المكية في القرآن ، إنها إذ تقيم عقيدة

الدين إنما تقيم البناء العقلي لكل فرد من أفراد الأمة . . . إنها تميز (العقل المؤمن) بصورة تناقض ما يشغب به المهوشون . . . إنه العقل الذي راضه القرآن بتقريراته ومحاوراته وسائر صور بيانه على النشاط ، والحياة ، والحرية .

واقراً إن شئت الوعيد لمن حجروا على عقولهم في سورة سبأ : « ... ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول - يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لسكننا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا :

أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ، بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ... وأسرنا الندامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا - هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ؟ » .

وتستطرد سورة سبأ - وهى مكية أيضا - تعدد صور الذين جحدوا نعمة العقل التى حياهم بها ربهم .

« وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا بما أرسلتم به كافرون - وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين » .

« وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ، وقالوا ما هذا إلا إنك مفترى ، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين » .

« قل إنما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا لله مثنى وفردى ، ثم تفكروا ، ما بصاحبكم من جنة - إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » .

« قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرى إلا على الله ، وهو على كل شئ شهيد . قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب . قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد » .

* * *

وإذ يسرى هذا المنهج الجدلى البرهان فى خلجات النفس وبين ثنايا العقل ، ويتفاعل مع الفرد والمجموع ، وينتقل خلال الأجيال ، فان فلسفته تسكب روحها فى كل ميدان ، وتطبع بطابعها طرق التربية فى الأسرة ، وأساليب التعليم فى المدرسة ، وألوان النقاش فى البرلمان والصحافة .

فتصبح عقيدة الإسلام منبع تخريج الأحرار أولى الأبواب ، وتغدو أمة الإسلام أمة العقل والعلم ، أمة الحجّة والدليل ، أمة الحق وحده « ومن خلقنا أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون » .

* * *

وحين تستقر عقيدة الإسلام خلال هذا المنهج الحكيم في القلوب والعقول ، فإن هذه العقيدة تثمر نتائج هائلة في الفكر والعمل .

إن عقيدة الإسلام ليست مناقشة مشكلة ميتافيزيقية باردة ، أو مزاولة عملية تجريبية جامدة ، أو حل مسألة حسابية جافة . . . إن تأليه الله وإنكار ألوهية من سواه ، معناها تحرير الفرد والمجموع من ألوهية الأهواء والتقاليد والمتجبرين . . . فالله وحده الذى يمتلك حق التشريع الأصيل الذى لا يرد « إن الحكم إلا لله » ، « ألا له الخلق والأمر » وكل من عداه محكومون بأصول دينه وشريعته « فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

والله وحده هو الذى لا يحاسب ولا يحاكم « لا يسئل عما يفعل ، وهم يسئلون » . .

والله وحده هو المتفرد بخصائص يستعلى بها على من سواه ، فهو الخالق وغيره يستوون فى أنهم مخلوقون ، وهو المعبود والجميع سواء فى عبادته « ليس كمثل شئ » وهو وحده « الكبير المتعال » ، « العزيز الجبار المتكبر » . . .

والله وحده هو المالك لخزائن السموات والأرض ، لكن الناس محاسبون على تداول رزقه وفقا لشرعه « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

وهكذا تثمر عقيدة الإسلام نتائج تعتبر أساسا سياسية اجتماعية اقتصادية لنظام الإسلام وشريعته ، وهو ما يعبر عنه المودودى فى « نظرية الإسلام السياسية » بأجلى بيان حيث يقول :

« والذى ينبغى أن نعرفه قبل كل شئ ولا نغفل عنه أبدا ، أن الإسلام ليس بمجموعة من الأفسكار المبعثرة وطرق العمل المتفرقة ، بل هو نظام جامع محكم أسس على مبادئ حكيمة ، وأركانه الكبيرة المهمة إلى الجزئيات الصغيرة الدقيقة كلها ترتبط بتلك المبادئ ارتباطا منطقيا ، وكل ما وضع فيه للحياة الإنسانية لمختلف شعبها من النظم إنما قد أخذ روحه واقتبس جوهره من تلك الأصول الأولية . . .

ماذا كان يريد الأنبياء بتوحيد الإله ، وما معنى عبادة الواحد الأحد وحده ؟ وماذا كان وراء قولهم : ما لكم من إله غيره ؟ وما بال من مضوا من الأمم كلها جاءهم رسول يدعوهم إلى عبادة الله الواحد واجتناب الطاغوت انقضوا عليه ؟ ... أتراهم قد أصيبوا في عقولهم حتى يمنع الحكام رعاياهم الوفية المطيعة عن إتيان الفروض والمناسك وهي شعائر لا تضر بمصالحهم ؟ .

إذا نظرت إلى المجتمع الإنساني استيقنت أن منبع الشرور والفساد الحقيقي إنما هو (ألوهية الناس على الناس) إما مباشرة وإما بواسطة ... وقد بدت التجارب التاريخية أن الإنسان لا يعيش من غير أن يتخذ لنفسه إلهاً ورباً ، وإن لم يرض بالله رباً وإلهاً ، فحينذاك يتسلط عليه جنود مجندة من الأرباب والآلهة الباطلة .

وحيثما وجهت نظرك وجدت أن أمة اتخذت نفسها إلهاً لقوم آخرين ، أو طبقة سلطت ألوهيتها على طبقات أخرى ، أو حزبا سياسيا استولى على مناصب الألوهية والربوبية واستبد بها ، أو تجدد مسيطرا ينادى الملاء (ما هلمت لكم من إله غيري) !

وليس لهذا الداء من دواء إلا أن يقوم الإنسان فيكفر بالطواغيت جميعا ، ويؤمن بالله العزيز الذي لا إله إلا هو ، ويخصه تقدست أسمائه بالألوهية والربوبية ، فهذا هو الطريق الوحيد لنجاة البشر من براثن ذئاب الإنسانية وقطاع سبيل البشرية . وهذا هو الصلاح الحقيقي الذي ظهر في المجتمع الإنساني على أيدي رسل الله الكرام ، وهذه هي النظرية الصالحة التي بعث بها الأنبياء إلى الناس .

* * *

إن الدين ليستقيم أمره في العقول والقلوب إذا سار دعاته على هذا النهج ، وربطوا نظمه وشرائعه بفلسفته الاعتقادية في أصولها المنهجية ونتائجها الفكرية . ونحن في مطلع عام جديد نسأل الله فيه علما نافعا وعملا صالحا ، وفقها صحيحا وقلبا سليما .

فتمنى عثمان

لغويات

التوليف ، والتواليف . ونس ، عبد الونيس

نرى بعض المحدثين يستعمل التوليف في مكان التأليف . فترى من يقول : لفلان تواليف كثيرة ، وتصانيف عديدة . وكنت أحسب هذا مجازاة للعامة . إذ يقولون : ولّف الحيوان ، وفلان وليف فلان ، والأسد له وليفة ، وهكذا تسير عندهم صيغ هذه المادة بالواو في مكان الهمزة .

وقد جاء في القاموس في مادة (سيف) : « وابن عمر صاحب التواليف » ، فتعقبه صاحب الجاسوس ، فهو يقول في ص ٣٦٦ : « ذكر المصنفين في الخطبة ، والتصانيف - والمراد بها تأليف الكتب خاصة - في شعث وبقل وحلم وصغن ، والتأليف بمعناها في سيف . وفي نسختي ونسخة مصر : التواليف ، وحقها أن تكتب بالألف ؛ لأنها من أَلَف . وليس وَلَف لغة فيها ؛ كما أن وَرَّخ لغة في أَرَّخ » .

فترى صاحب الجاسوس يرى في إبدال الهمزة واوا في نحو وَرَّخ ليس عاقما في كل ما كانت فائده همزة ، وأنه يقتصر فيه على ما سمع . ويؤخذ من المصباح في عدة مواضع أن هذه اللغة لأهل اليمن ، وجاء على هذا وانحى في آخرى وواخذ في أخذ ووكد في أكد . وتراه يقول (في الأموة) : « وآسيت به بنفسى - بالمد - : سقيته . ويجوز إبدال الهمزة واوا في لغة اليمن فيقال : وآسيته » . ويقول في (الأخ) : « وآخيت بين الشيثين بهمزة ممدودة . وقد قلب واوا على البدل ؛ فيقال : وآخيت ؛ كما قيل في آسيت : وآسيت ، حكاه ابن السكيت . وتقدم في (أخذ) أنها لغة اليمن » . وقوله : حكاه ابن السكيت أى حكى عن العرب وآخيت في آخيت » وجاء هذا في كتاب القاب والإبدال له (انظر ص ٥٧ من مجموعة الكنز اللغوي) .

والقارئ يرى من هذا صفحة ما جاء في القاموس وسقوط ما تعقبه به الشدياق صاحب الجاسوس .

وجاء في ديوان الهذليين ٦٨/٢ قول صخر الهذلي :

لشياء بعد شتات النوى وقد كنت أخيلات برقوا لبقا

وورد في شرحه : « وولبقا : متتابعاً : اثنين اثنين ، مرتين مرتين . قال أبو سعيد : سمعت عيسى بن عمر يقول : كان رؤية ينشد : * والركض يوم الغارة الإيلاف * والويلاف . وبعض العرب يقول : ولف بينهم ، والأكثر : ألف بينهم » .

ويجرتني الحديث إلى قول الناس : ونسه في أنسه ، فهذا صحيح على لغة أهل اليمن ، كما عرفت . وهم يقولون في الأنيس ونيس ، ويقولون : عبد الونيس يريدون الله سبحانه وتعالى أنه مؤنس للمؤمن ومؤمن له من الخوف والفرع . والأمر في هذه التسمية أن هذا الاسم الأنيس أو الونيس أو المؤنس لم يرد - فيما علمت - في نص يرجع إلى الشارع اسماً لله سبحانه حتى يؤذن في الإضافة إليه واستعماله .

فخت البئر ، فخر البئر . فخش الحجر .

١ - يستعمل العامة الفخت في الحفر . فيقولون : فخت البئر وفخت قناة السقي . وكنت أميل إلى تخريج هذه المادة على أنها قلب الحفر مع إبدال الراء تاء . وبدأ لي بعد أن أصل الفخت البحث ، فأبدلت الباء فاء ، والتاء تاء . والإبدال الأخير شائع في لسان العامة ، فهم يبدلون التاء تاء في أكثر الأمر ، وقد يبدلون سينا ، ومن طريف صنعهم أنهم يقولون : تقيل للثقل في الوزن ، وسقيل لمن يستثقلون مكانه من الناس ولا يخف على قلوبهم فينأون عن عشرته . وإبدال الفاء من الباء قريب إذ هما حرفان شفويان ، وقد جاء عنهم فرند السيف وبرنده .

ويؤيد هذا التخريج أن بعض أهل مصر العليا لا يزالون يقولون : بخت مجد القناة ، كما أخبرني بذلك بعض الثقات .

والبحث في العربية طلب الشيء في التراب . وهو بسبيل قريب من الحفر . وورد قوله تعالى في سورة المائدة في اقتصاص خبر ابن آدم إذ قتل أحدهما الآخر (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه) ويقول النيسابوري في تفسيره المطبوع على هامش الطبري ٦ / ١١٩ : « قال المفسرون : إنه لما قتله تركه لا يدري ما يصنع به

ثم خاف عليه السباع ، فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تغير ، فبعث الله غرابا .
روى الأكترون أنه بعث غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ، فحفر بمنقاره ورجليه ثم ألغاه
في الحفرة فتعلم من الغراب .

٢ — ويستعملون الفجر في الحفر . والأقرب في هذه أنها مقلوبة عن الحفر .
وقد بدا لي أن أصل الفجر الفأر ، فأبدلت الهمزة حاء ، وهو إبدال قريب لأنهما حلقيان
والفأر في اللغة الحفر ، يقال : فأر البئر أى حفرها وقد أهملت مادة الفجر في الصحاح
واللسان ، وجاء منها في القاموس قولهم : افتجر الكلام والرأى إذا أتى به من قصد نفسه
ولم يتابعه عليه أحد ، وجاء في شرحه أن هذا مثل افتحل الكلام ، فكأنه يشير إلى أن الرأى
بدل من اللام ، ومن ثم لم تكن مادة الفجر تامة سوية .

٣ — ويقولون : قش البيت أى كذسه . والمقشة عندهم هى المكينة ، والقش :
الكناسة . والأصل في القاف في هذه المادة هى الجيم . ويقال : جش البئر كئسها
أو نقاها مما فيها من قذى . وأطلق القش على الكناسة من إطلاق المصدر على المفعول ؛
كما قيل الخلق للخلق . والقاف والجيم قريبا المخرج يتبادلان ، وعامة العراق الآن يبدلون
القاف جيماً فيقولون : جال في قال .

لابد من صنعا وإن طال السفر

يورد النحويون هذا المصراع شاهدا على قصر الممدود لضرورة الشعر ؛ فأصل صنعا
صنعاء ، وهى مدينة اليمن المشهورة . والجارى على أقلام الكتاب كتابة (صنعاء) بعد
القصر بالألف . وكأن ذلك لمراعاة الهمزة المحذوفة ، وإلا فالقياس يقضى بكتابتها بالياء
(صنعى) ؛ إذ إن الألف إذا جاوزت الثلاثة فى المتمكن من الأسماء والأفعال ترسم ياء
عند جهرة أهل الرسم الذين لا يتردون كتابة الألف بالألف .

وقد كنت أرتاب فى هذا ، وأحسب أن الواجب أن تكتب (صنعى) بالياء ،
كما هو القياس ؛ إذ إن الكلمة مقصورة ، وإن كان قصرها للضرورة ، فوجب اعتداد
حالتها الراهنة فى أحكامها اللغوية والرسمية . وعلى هذا فالألف فى (صنعى) هى همزة
(صنعاء) عادت بعد حذف ألف المدة قبلها إلى أصلها وهو الألف ؛ كما هو مقرر فى الصرف
ولا ينبغى أن يقدر الحذف فى (صنعى) للهمزة التى هى للتأنيث لأنها علامة التأنيث ،

فلا يصح إخلاء الكلمة منها وإيثار ألف المد عليها . فصنعى الآن كسرى سواء . وإذا قصرت (الأجزاء) فإن الحذف تناول ألف أفعال ، وصارت (الأجزاء) على مثال الأفعال لا على مثال الأفعال . وينبغي أن يرسم (الأجزاء) .

وقد وجدت تثبيتاً لهذه الفكرة في كلام ابن يعيش في شرح المفصل . فقد أورد بيتي أبي ذؤيب الهذلي :

عرفت الديار كرقم الدوى يزورها السكائب الحميري
على أطرقا باليات الحياء م إلا الثمام إلا العصى

وقال بعد كلام طويل : « [١] وقيل : أطرقا - بالكسر - جمع طريق في لغة هذيل ... ومجاز ذلك أن يكون مقصوداً من أطرقاء ؛ كأنه جمع فعيلاً على أفعلاء ، كصديق وأصدقاء ، ثم حذفت الألف الأولى التي للـد ، فعادت ألف التانيث إلى أصلها وهو القصر ، وينبغي أن تكتب الألف بالياء على حد كتبها في حباري وشماني » .

ويرى الباحث في كلام ابن يعيش الجزم بأن قصر الممدود يكون بحذف ألف المد قبل الهزمة ، وفي هذا ما يتصل من قريب بقول الصبيان في مبحث قصر الممدود في كتابته على الأشموني : « قال الشاطبي : لم يذكر الناظم كيفية القصر ولا ما الذي يحذف . والقياس حذف الألف قبل الآخر باختصار . قال سم : ولم يبين ما يفعل بعد حذف ما قبل الآخر . فهل تبدل الهزمة التي هي الآخر ألفاً أو ترجع إلى أصلها الذي انقلبت عنه ، وهو الألف في حمراء ولام الكلمة في نحو كساء وحياء ؛ إذ أصلهما كساو وحياسى ، لكن تفر الألف بعد الرجوع إليها في القسم الأول ، وتبدل اللام ألفاً في القسم الثاني . وفيه نظر » .

وعلى هذا يكتب (صفري) بالياء في قول الشاعر :

فقلت أو باكرت مشمولة صفري كلون الفرس الأشقر
مع الاعتراف بأن هذا الرسم محانب للألوف ، ولسكنته الذي يقضى به القياس

محمد علي النجار

تحية الأزهر

مهداه اشيع معهد أسبوط

أيها الأزهر المبارك عهدا
أنت نبع التقى لكل تقى
أنت نيل بجانب النيل يجرى
أنت ورد الذسك من هام منهم
أنت روح فكم هزرت مواتا
طاب أهلوك سيرة واستقاموا
أو غلوا في القرى مصابيح رشد
رب غفل بعلمهم حاز فقها
بعثوا مالكا هناك إماما
ليس يحزبهم الصنيع قريضى

يا شبايا في عمر نوح تبدى
أنت صوب الغمام بل أنت أجدى
أنت كآثرته فأجزلت رفدا
تخذ النسك عن كتابك وردا
أنت نور آفاقه لن تحدا
فأقاموا المعوج شـيبا ومردا
لست تحصى من صار في النور عدا
وروى مسندا إليهم فأسدى
كمياه المحيط جزرا ومدا
ضاق شعوى إذا أردت وأكدى

* * *

إنما الأزهر الكريم شعاع
يمحو وجهه الأغمر وعادوا
رضى الله سعيه واصطفاه
ذاك سر أضفاه رب البرايا
ربط المسلمين في الشرق حتى
إن من أنكروا رسالة نوح
كن رفيقا بهم عليك سلام
كن وريث النبي أحمد رفقا

وجه الصين هديه والهندا
سفراء الهدى يؤمون قصدا
ثالث القبلتين إن رمت عدا
والجهاث كالناس نحسا وسعدا
صار يدعى أباهم أو جدا
مثلهم منكروك في الفضل جمدا
لا تقل : لا تذر، وكن أنت جلدا
كان يرجو في الصلب لله عبدا

* * *

أيها الأزهر الذى عز حصنا
سل فرنسا وقائدا لفرنسا
من تصدى لكل باغ دخيل
رام نابليون الغشوم مقاما
ثرت في وجهه فأدبر يعدو

وملاذا لمصر قبلا وبعدا
من سوى الأزهر الغيور تحدى ؟
رام غزوا لنا وبطشا وكيدا ؟
ورواحا في مصر يخلو ومغدى
خائفا مسلما نفاقا لتهدا

سار يشيداً [١] عن «مكرم» كيف أبلى
سار يحدو إلى القراصن جندا
ضاق بالأرنثود جيشا وألغى
سيفه الحق كم أطاح خصوما
قام تاريخه يدل عليه
كيف قاد الجموع للحرب حشدا
أسدا قاد للمعارك أسدا
شعب مهمر العزيز أكرم جندا
منذرا بالجهاد قوما لدنا
فاحفظوه، وعوه بدءا وعودا

* * *

من «كعبده» في ثورة لعرابي
فاذكروا من أحل مقعد صدق
أيها الأزهر الرحيب جنابا
أنت لولاك ذل كل كفيف
أوصدت دونه المسالك سدا
لنما العلم كالمياه حياة
كم جنود لولاك ظلوا سيوفا
كم إمام وكم لسان قويم
أيها الأزهر الكريم سلاما
أنت شمس لا تفتأ الدهر سيرا
عشت ألفا، وسوف تخطو ألفا،
أزهري أنا وذاك نخاري
معهدى في سيوط أدل دار
إن دار العلوم مذ ضمتني
رضى الله عنهما غـذياني
أيها الأزهر المؤمل أسعف
أنت فينا الرجاء فاعلم وإنا
ذا بياني إليك جاء سنجيا
يا «جمال»، الحبيب أزر خطاه

ألزمت وارث الكنانة حدا
لمليك ما وورى الشيخ لحدا
وسع القاصدين لم يأل جهدا
عاش بالمحبسين عيشا نكدا
وادعوا أن ذا نظام أعدا
أى ذنب جنوه يمنع وردا
لم تفارق قرابها والغمدا
كان أعيان من باقل لو صدا
يا شـبابا في عمر نوح تـبـدى
بارك الله نورها فامتدا
أنت والدين للخلود أعدا
والوفى الكريم لا يتـعـدى
طاب زادها وطاب أهلا ومهدا
وصلت حبله وزادته أيدا
برحيق العلوم والخلق شهدا
بجـديد بين عمـا استـجدا
لك جند نروم هديا ورشدا
عرف الحق صدقه فأمددا
تلق سعدا به وسعدا وسعدا

سـمـير عـبـر المـرؤـف سـمـير

المدرس بأسـيـوط الثانويـة للبنات

[١] مدينة رشيد ووافقتها المشهورة مع الانجليز في عهد محمد على .

النصيحة

النصيحة إرشاد إلى الصواب وتوجيه نحو العمل الصالح المفيد الذي يعود على المنصوح بالسعادة والعزة ، والنصيحة تبصير بالمضار حتى لا يقع فيها من لا يعرفها ، ونحو لمواطن النفع حتى يلزمها ويسلك سبيلها . ولذلك ينبغي أن يكون الناصح ذا رأى ثاقب وعقل راجح قد جرب الأمور وعركته الأيام والليالي وذاق حلولها ومرها وانتفع بما رآه فيها من عسر ويسر وفرح وحزن ، وخلص قلبه من هم قاطع وغم شاغل ليسلم رأيه وتخلص نصيحته .

والنصيحة وظيفة الأنبياء والمرسلين ، فما من نبي أرسل لقوم إلا كان لهم ناصحا أميناً وحكياً مرشداً ، لا يألو جهداً في نصيحهم ولا يقصر في إرشادهم ، ألا تستمع إلى سيدنا نوح عليه السلام وهو ينصح قومه فيقول : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » فيقول الملائكة من قومه : « إنا لنراك في ضلال مبين » فيقول لهم : « يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون » ويقول : « ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم » واستمع إلى سيدنا هود عليه السلام وهو يقول لقومه مقالة أخيه نوح : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » فيقول الملائكة الذين كفروا من قومه : « إنا لنراك في سفاهة ، وإنا لنظنك من الكاذبين » فيقول لهم : « يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين » . واستمع إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام « إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدواي إلا رب العالمين » . واستمع إلى سيدنا صالح وإلى سيدنا شعيب وإلى غيرهم من الأنبياء والمرسلين فكلهم كانت وظائفهم مع قومهم النصيحة والإرشاد . هذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه عتبة بن ربيعة في جماعة من قومه منهم أبو البختري والأسود ابن المطلب والوليد بن المغيرة وأميمة بن خلف والعاص بن وائل وقالوا له : إن كنت تطلب الشرف فيما فنحن نسودك علينا لانقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد ملكا

ملكناك علينا ، وإن كان هذا الأمر الذى يأتيك رثيا قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر ، قال لهم عليه الصلاة والسلام : « ما بى ما تقولون ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حفظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوا على أصبر لأمر الله حتى يحكم بينى وبينكم » .

قال صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » والنصيحة لله سبحانه اعتقاد وحدته واتصافه بجميع صفات الكمال والجلال والجمال ، وتنزهه عن صفات النقص أو سمة من سماته ، والنصيحة لكتاب الله اعتقاد أنه من عند الله ، ولا يمكن للمخلوقين مجتمعين ومنفردين أن يأتوا بشئ من مثله وأنه « كتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه » .

والنصيحة للرسول تصديقه بأنه رسول من الله ، وأن جميع ما جاء به حق ، يجب اتباعه فيه عملا أو تركا ، والنصيحة لأئمة المسلمين طاعتهم فيما لا يفضي إلى إفسادهم وإعانتهم على الأعمال الصالحة التى تعود على الأمة بالنفع العام . والنصيحة لعامة المسلمين تعليمهم أمور دينهم وإرشادهم إلى العمل به والمحافظة عليه وطاعة أولياء الأمور فى غير معصية . وهكذا كان الرسل كلهم علماء نصحاء مرشدين وقد ورثهم فى ذلك العلماء ، فهم يعظون الناس ويرشدونهم إلى ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فهم بعدهم الدعاة إلى الله والهداة إلى دينه القويم .

وإنى ذاكر هنا نصيحة أمانة بنت الحرث التغلبية لابنتها أم إياس بنت عوف ليلة زفافها لزوجها ، وبودى لو يحفظها الرجال والنساء على سواء ، وينتصحوون بما فيها من حكم ، ويتمسكون بها فى أعمالهم ومعاملاتهم واجتماعياتهم ، إذن لا نرى بيتا يشقى بعد سعادة ، ولا يتهدم بعد شموخ وثبات ، ولا أسرة تتفرق بعد صفاء اجتماع ، ولا أولادا تتشرد بعد النعيم فى ظل الوالدين .

قالت أمانة الحكيمة العاقلة لابنتها : يا بنية ، إن الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو لتقدم حسب لزويت ذلك عنك ولأبعدته منك ، ولكنها تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل ، أى بنية لو استغنت امرأة عن زوج بفضل مال أبيها لكنت أغنى الناس عن ذلك ، ولكن للرجال خلقنا كما خلقوا لنا ، يا بنية ، إنك قد فارقت الحمى الذى منه خرجت والعش الذى منه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه ، أصبح بملكه عليك

مليكا، فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا، واحفظي منه خلا لا عشرا يكن لك ذكرا وذخرا .
 أما الأولى والثانية فالصحية بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة . فإن في
 القناعة راحة القلب ، وفي حسن المعاشرة مرضاة الرب . وأما الثالثة والرابعة فالمعاودة
 لموضع عينيه والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم أنفه منك
 إلا أطيب ريح . واعلمي يا بنية أن الكحل أحسن الحسن الموجود ، والماء أطيب
 الطيب المفقود . والخامسة والسادسة التعاهد لوقت طعامه والتفقد لحين منامه ، فإن
 حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مسكرة . وأما السابعة والثامنة فالاحتفاظ ببنيه
 وماله ، والرعاية بحشمه وعياله ، فإن أصل حفظ المال حسن التقدير ، والرعاية للشحم
 والعيال من حسن التدبير . وأما التاسعة والعاشرة فلا تفشن له سرا ، ولا تعصن له أمرا ،
 فانك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره أو غرت صدره . واتقي مع
 ذلك كله الفرح إذا كان ترحا والا كئئاب إذا كان فرحا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير
 والثانية من التكدير ، وأشد ما تكونين له إعظاما أشد ما يكون لك إكراما ، وأشد
 ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة . واعلمي يا بنية أنك لا تقدرين على
 ذلك حتى تؤثرى رضاه على رضاك وتقدمى هواه على هواك فيما أحببت أو كرهت ، والله
 يصنع لك الخير واستودعتك الله .

وتلك لعمر الحق نصيحة كاملة وحكمة بالغة ، لو حفظتها كل فتاة تزف إلى زوجها
 لعاشت عيشة هنية راضية .

وإذا كان لا بد لي في مقامى هذا أن أتقدم بنصيحة نخير نصيحة أقدمها نصيحة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل . قال معاذ : أخذ بيدي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فمشى قليلا ثم قال : « يا معاذ ، أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء
 العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام
 وبذل السلام ولزوم الإمام والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر
 الأمل وحسن العمل ، وأنهاك أن تشتم مسلما ، أو تصدق كاذبا ، أو تكذب صادقا ، أو تعصى
 إماما عادلا ، وأن تفسد في الأرض . يا معاذ ، اذكر الله عند كل شجر وحجر ، وأحدث لكل
 ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية » . نسأل الله التوفيق والرشاد ما

محمد الطنبجي

عضو جماعة كبار العلماء

والمدير العام للوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

بشائر العام الهجرى الجديد

- ٢ -

مميزات الديمقراطية : إن من أهم خصائص الديمقراطية أن الشعب يظل صاحب السلطان مهما تكن الهيئة التي تمارس هذا السلطان ، فالسيادة لا يمكن تنازل الشعب عنها وعلى هذا الأساس فهم روسو وكل رجال الثورة معنى مبدأ السيادة ، وقد ظل المبدأ قائماً على الأساس نفسه في العصور التي تبعت الثورة حتى الآن .

على أنه إلى جانب هذه الميزة الهامة لمبدأ سلطان الأمة توجد للديمقراطية مميزات ثانوية « كلاسيكية » يحسن أن نستعرضها فيما يلي :

أولاً - الديمقراطية مذهب سياسى : إن المذهب الديمقراطى هو مذهب سياسى لا اجتماعى ولا اقتصادى فهو ليس كما اعتبره بعض الألمان مسألة زبد وخبز بل على النقيض مسألة عقل وقاب .

لقد كانت ألمانيا أيام بسمارك تكثر من المنشآت الاجتماعية تحسبنا لحال طبقات الشعب ، ولا سيما العمال فهم بقصد تحويل أفراد الشعب من المطالبة بحقوقهم السياسية ، ولقد كان بسمارك يقول في هذا الصدد :

« إنه عندما يشعر الشعب بالسعادة للحزب الاشتراكى الديمقراطى أن ينشد مايشاء من الأغاني فلن يتبعه أحد » .

ومما لاشك فيه أن الديمقراطية الاجتماعية لا يمكن أن تغنى عن الديمقراطية السياسية بحال ، ذلك أن ما يحصل عليه الشعب في الحالة الأولى من الإصلاح يأتى إليه كمنحة من الحاكم أو صاحب الأمر ، بينما في الحالة الثانية يحصل الشعب بنفسه على ما يريد من الإصلاحات .

ثانياً - الديمقراطية مذهب الحرية السياسية : إن الديمقراطية ترمى إلى الحرية

السياسية ، أى أن يحكم الشعب نفسه بنفسه وأن يختار للحكم من يرتضيهم لذلك . وهذه الحرية السياسية التى تقصدها الديمقراطية الكلاسيكية لا يجب خلطها بالحرية بوجه عام ، فالحرية السياسية ليست حتما الحرية الفردية ، إذ ليست من الضرورى فى نظام قائم على الديمقراطية السياسية وجود حريات فردية قائمة فى وجه الحاكم ، إن نظرية العقد الاجتماعى التى ترجع اليها الديمقراطية وسيادة الأمة تشتمل على كثير من النظريات الاستبدادية ، فالفرد فى العقد الاجتماعى ليس له أى حق أمام الشعب صاحب السلطان الذى له أن يتصرف فى كل شىء بحسب ما يرتئيه .

ثالثا — الديمقراطية مذهب روحانى بعيد عن المادة : لاحظنا عند الكلام على الفرق بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية أن الأولى هى مسألة عقل وقلب وأن الثانية هى مسألة خبز وزبد . ويتضح من ذلك أن الديمقراطية السياسية هى مسألة فكرة معنوية خاصة بكيفية الحكم ، فهى تفترض وجود عقيدة معينة تعمل نحو مثل أعلى مع رغبة صادقة فى العدالة ، ومن ذلك يتبين كيف أن الديمقراطية هى مذهب روحانى بعيد عن المادة ، وليس أدل على ذلك من اعتقاد الشعب الفرنسى إبان الثورة بأن إعلان حقوق الإنسان هو الإنجيل السياسى مظهر لحقائق أبدية .

رابعا — الديمقراطية مذهب فردى : إن الثورة الفرنسية باعلانها المبدأ الديمقراطى قد قررت الديمقراطية الفردية كذلك — فالأمة مكونة من أفراد متساوين لا يربط بعضهم ببعض سوى انتمائهم لدولة واحدة وهو ما يتفق ونظرية العقد الاجتماعى ، وينتج من ذلك أنه :

١ — لا يوجد أى جماعة وسيطة بين الأمة صاحبة السلطان والفرد ، فلا امتياز للطوائف الفنية ، ولا لطبقة الأشراف أو النقابات وما إلى ذلك — وعلى ذلك قضت الثورة على جميع هذه الطوائف وما لها من امتيازات .

٢ — المواطن يشترك فى الشؤون السياسية العامة باعتباره إنسانا ، أى فردا بصرف النظر عن أى اعتبار آخر ، فلا ينظر إلى مهنته أو إلى إنتاجه أو إلى وسطه أو إلى درجته العائلية فالحقوق التى يتمتع بها الفرد فى الديمقراطية هى باعتباره إنسانا فقط .

خامسا — الديمقراطية تقرر المساواة : إن الديمقراطية تقرر المساواة ، ولا شك

أن هذه المساواة مستمدة من البند السابق ، فما دامت الديمقراطية قد جعلت اشتراك الأفراد في الحكم هو بصفقتهم أفرادا آدميين فلا بد أن يكون لكل فرد منهم حقوق سياسية واحدة ، ولا سيما أن كلا منهم بحسب العقد الاجتماعى قد ترك حالته الطبيعية وتنازل عن جزء من حريته مساو لما تنازل عنه الآخر . وبدهى أن ينتج من اعتبار الديمقراطية فردية وموجبة للمساواة بين الأفراد وجوب تعميم مبدأ الاقتراع العام على قدم المساواة بين الجميع .

ومما كتبناه يتضح لقراء هذه المجلة أن هذا البحث طويل الذيل كثير التفاريع ، من أجل ذلك : نحب خدمة للحقيقة واستجابة إلى ما يمليه علينا حب الوطن ، وإلى رغبة ملحّة من بعض كبار المسؤولين قطعاً للحجج أعداء الأزهر الذين يظنون - وما أكذب ما يظنون - أن الأزهر لا يواكب حركات الشعب ، ولا يساير ركبائه ولا يعزف على قيثارته على أن هؤلاء الأدعياء نسوا أن مشرق الحركة الوطنية منبعث من ربوع الأزهر ، في الوقت الذى كان المفكرون والقادة لا يجتريئون على إعلان رأيهم إلا على منبر الأزهر ، وعلى صعيد الأزهر وبين رجال الأزهر ، وما أصدق شوقى حين قال بهذه المناسبة .

قم في فم الدنيا وحى الأزهر واثّر على سمع الزمان الجوهر
فالى الغد القريب . . .

عباس ط

سنطالب بالتعويضات كاملة

أعلن الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية المصرية فى مجلس الأمة أن مصر لن تفتر عن المطالبة بالتعويضات الكاملة لما لحق بها من خسائر نتيجة للعدوان . وإن مصر حوّلت العدوان إلى فرصة لاستكمال تحررها السياسى والاقتصادى والعسكرى .

جماعة الشرق الأوسط

واللجنة الأمريكية الدائمة

« للتعاون الإسلامي المسيحي »

أقيمت أخيرا في واشنطن ونيويورك جمعية أمريكية باسم « اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامي المسيحي » برئاسة الدكتور جارلاند هوبكنز نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية ، ويؤخذ من نشرة أصدرتها هذه اللجنة باللغة الإنجليزية في أول أبريل (نيسان) ١٩٥٧ أنها جادة في إنشاء فروع ومراكز لها في بلاد المسلمين والعرب بزعم إيجاد تعاون إسلامي مسيحي وإقامة معاهد أمريكية وعقد اجتماعات لهذه الغاية . وتقول النشرة : إن اللجنة تبدأ خلال شهر أبريل ١٩٥٧ بالعمل لإنشاء معهد لها في طهران ثم في البلاد الأخرى .

وقد تأكد أيضا أن جماعة الشرق الأوسط تعد العدة منذ الآن لعقد مؤتمر في كراتشي (باكستان) في شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٥٧ شبيه بمؤتمرها في بجمدون (لبنان) وأنها وجهت رسائل بهذا المعنى إلى بعض كبار الشخصيات الإسلامية .

إن جمعية الشرق الأوسط ، وزميلاتها اللجنة الدائمة للتعاون الأمريكي ، تعملان لغاية واحدة وتهدفان إلى أغراض سياسية أجنبية تتستر بالدين ، وهى فى حقيقةها حركة أجنبية صربية تحيط بها الشبهات من كل جهة . فالذين يشرفون عليها ويدبرون شؤونها جماعة من الأمريكيين عرفوا بصلتهم بوزارة الخارجية الأمريكية والعمل بتوجيهها وتنفيذ أغراضها وترويج سياستها التى ترمى إلى تحقيق المشروعات الأمريكية الاستعمارية كالأحلاف العسكرية ومشروع آيزنهاور ونحوها ، كما أن منهم بعض القسوس ممن يحترفون التبشير ويعملون لهدم الإسلام أو (تطويره) وجعله آلة بيد السياسة الأمريكية والاستعمارية التى يراد فرضها على بلاد المسلمين والعرب لتمزيق وحدتهم وتدمير قوتهم أو تسخيرها فى خدمة مصالح أمريكا وحلفائها الاستعماريين من إنجليز ويهود وفرنسيين .

إن هذه الحركة يراد بها تسخير الإسلام والشعوب الإسلامية والعربية لخدمة الأهداف الأمريكية بادعاء مقاومة الشيوعية .

إن الدكتور هو بكنز رئيس هذه الجماعة الأمريكية كان قسيساً بروتستانتيًا لطائفة الميثوديست [١] ، ثم عمل في وزاره الخارجية الأمريكية ، وسافر لآندونيسيا ، ثم عاد إلى الشرق الأوسط ، ثم جاء إلى لوزان في سنة ١٩٤٩ أثناء اجتماع لجنة التوفيق الدولية فيها ، وحاول إقناع مندوبي العرب بقبول (الأمر الواقع) بشأن قضية فلسطين وعدوان إسرائيل ، وتعاون في ذلك مع المستر سام كوير وكيل إدارة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية البريطانية . ثم شرع مع غيره بتأسيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط سنة ١٩٥١ وعمل لعقد ماسماه بالمؤتمر الإسلامي المسيحي في بجمدون (لبنان) سنة ١٩٥٤ ، كما عمل لعقد لجنته التنفيذية في فندق سيسل باسكندرية سنة ١٩٥٥ . وبالرغم من الدعاية الواسعة التي نشرها ، والأموال الطائلة التي بذلها - في دفع أجور الطائرات للعدوين ، وفي الفنادق الكبرى - فقد فشل مؤتمره كما فشلت لجنته ، لأن الكبراء والصفوة الواعية من المسلمين والمسيحيين في العالم الإسلامي والعربي نبذت دعوته وقاومت حركته ووجهوا إليه جراح النقد ، كما أعلنوا عن ريبتهم في مقاصد هذه الجماعة الأجنبية .

فقد رفض الدعوة لحضور المؤتمر صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وأعاد إلى هو بكنز تذاكر السفر بالطائرة التي بعث بها في طي كتاب دعوته ، كما امتنع فضيلة شيخ علماء الإسكندرية عن حضور اجتماع لجنة المؤتمر بفندق سيسل ، والبطريركية القبطية بمصر ، وبطريركية الموارنة في لبنان ، والهيئات المسيحية الرسمية في بلاد الشرق ، قاطعت المؤتمر لريبتها في مقاصده وأهدافه السياسية المتسترة بالدين .

ونذكر هنا بعض ما قاله هؤلاء الكبراء من مسلمين ومسيحيين في جماعة أصدقاء الشرق ومؤتمرها وحكومتها الأمريكية التي كفلت المؤتمر وأنفقت عليه ووجهت الداعين إليه ، فالشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله لم يكتف برفض الدعوة التي وجهت إليه لحضور ذلك المؤتمر بل أرسل كتابا إلى هو بكنز فضح فيه سياسة أمريكا وحث المسلمين على رفض التعاون معها وحضهم على مقاومة أحلافها ومشاريعها الاستعمارية وشمر بها وبعملائها واعتبرها المسئولة عن كارثة فلسطين وتشريد أهلها المسلمين والعرب بمساعدتها لليهود بالمال والسلاح وتمكينهم فيها ، وقد طبع رده على هو بكنز في رسالة

[١] أسس مذهبا John Wesley - المجلة .

سمّاها « المثل العليا في الإسلام لا في بمجدون » وهي رسالة مطبوعة في المطبعة الحيدرية بالنجف وكلمة سماحة مفتي فلسطين السيد محمد أمين الحسيني نشرتها جريدة الجمهورية المصرية بتاريخ ٢٣ / ٤ / ١٩٥٤ تحت عنوان « رأى صريح في المؤتمر الإسلامي المسيحي » جاء فيها ما يلي :

« نحن نرحب بكل خطوة ترمي إلى التعاون بين المسلمين والمسيحيين ، فديننا الإسلام يدعو إلى التعاون بين البشر كافة . ولكن أرى أن أية دعوة إلى تعزيز الغايات الشريرة يجب أن تكون منزّهة عن الهوى وعن الأغراض السياسية والأهداف الاستعمارية . ونحن المسلمين نخشى أن تكون وراء أمثال هذه الدعوة السياسية الأنجلو أمريكية ، تلك السياسة التي تعدّ المسؤولة الأولى عن نكبة فلسطين وتشريد أهلها العرب . ويبدو أن الغرض الحقيقي من عقد هذا المؤتمر هو محاولة تخدير المسلمين العرب وتحويل اتجاههم عن التزام سياسة الحياد ومعارضة الأحلاف العسكرية ومشروعات الدفاع المشترك . ولذلك فإنّي أعتقد أن الغاية الحقيقية من وراء عقد هذا المؤتمر هي الترويج لسياسة الدول الاستعمارية الغربية ، والسير في ركابها وراء ستار كثيف من المبادئ السامية والقيم الروحية . وإنّى موقن بأن العلماء المسلمين الذين سيشترون في هذا المؤتمر لن تخفى عنهم ألاعيب المستعمرين وخداعهم ، ولن يتوانوا عن إحباط دسائسهم التي لم تعد تخفى على أحد . فلو أرادت الولايات المتحدة الأمريكية حقاً وصدقاً أن تعنى بالأمور الروحية وتوثق العلاقات بين أهل الديانتين السماويتين فما عليها إلا أن تتوقف عن مساندة اليهود ومساعدتهم مالياً وعسكرياً في اعتدائهم وطغيانهم .

ومثل بطريك الأقباط باسكندرية رفض دعوة جماعة الشرق الأوسط ، ولم يكتف بذلك بل صرح لو كالة مصر للأنباء عن سبب رفضه فقال : « إنني كممثل لهيئة دينية رسمية لا أسمح لنفسى بحضور اجتماعات تدعو إليها هيئة أجنبية عن بلاد ليس من حقها أن تتدخل في شؤونها ، كما أنه ليس من الحكمة حضور مثل هذه المؤتمرات التي لا تعرف أغراضها الحقيقية ، إذ يخشى انحرافها إلى النواحي السياسية » (جريدة القاهرة ١٠ / ٣ / ١٩٥٥) .

وقد سأل مندوب وكالة مصر للأنباء نخامة السيد شكري القوتلي رئيس جمهورية

سورية عن المؤتمر المذكور فقال : « إن هذا المؤتمر دسيسة أجنبية يجب الحذر منه ، وإنه يعتقد أنه محاولة للفساد وإثارة الفتن » (جريدة القاهرة ١٠ / ٣ / ١٩٥٥) .

وما حدث من اعتذار ممثلي أقباط مصر عن حضور المؤتمر المذكور حدث مثله أيضا في مؤتمر بجمدون سنة ١٩٥٤ فلم يحضره أى ممثل للطائفة المارونية ، وهى أكبر الطوائف المسيحية بلبنان ، لريبتهم في مقاصد المؤتمر والداعين إليه . وقد نشرت جريدة الحياة اللبنانية بتاريخ ٢٨ / ٣ / ١٩٥٤ أن مندوبها سأل مستر هو بكتر الذى كان الرئيس الحقيقى لمؤتمر بجمدون « الإسلامى المسيحى » : لماذا لم تمثل الطائفة المارونية في مؤتمركم ؟ فأجاب بأن الدعوة قد وجهت إلى المنسنيور يوحنا مارون ، ولم يتلق المؤتمر جوابا .

وبتاريخ ٩ / ٦ / ١٩٥٦ نشرت جريدة الأهرام كلمة للدكتور منصور فهمى رفض فيها الدعوة التى وصلته من الدكتور هو بكتر لحضور الاجتماع الذى ستعقده لجنة مؤتمر بجمدون المسماة « لجنة مواصلة العمل للتعاون الإسلامى المسيحى فى القدس من ١٥ - ١٨ / ٦ / ١٩٥٦ » .
جاء فيها ما نصه :

إن من الواضح أن الاجتماع الذى تدعون إليه إنما هو تكرار للاجتماعين السابقين اللذين دعت إليهما جماعة أصدقاء الشرق الأوسط وعقدا سنة ١٩٥٤ في بجمدون (لبنان) وفى الإسكندرية سنة ١٩٥٥ ولم أحضرهما ، ولعلكم قد أدركتم أن سبب فشلهما رغم ما بذل في سبيل إنجاحهما من جهود ، إنما كان لما يحتاج قلوب الناس من ارتياح في الأهداف الحقيقية لجماعة أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية التى يعتقد المسلمون والعرب أنها على صلة وثيقة بالحكومة الأمريكية وتعمل لترويج سياستها التى تؤيد إسرائيل بكل الوسائل والمساعدات المادية والسياسية ، وهذه السياسة طبعا مضرّة جدا بمصالح المسلمين والعرب . وليس من المعقول أن يكتفى المسلمون والعرب من السياسة الأمريكية بالمؤتمرات والكلام عن الصداقة والتعاون والوئام بينما يرون الولايات المتحدة الأمريكية تغدق على إسرائيل ألوف الملايين من الدولارات وغيرها من المساعدات الحربية ، والسياسية التى مكنتها من الاستيلاء على فلسطين العربية وطرد مليون من أهلها مما لم يسبق له نظير في التاريخ الخ » .

هذه بعض نماذج مما قيل في فضح أغراض هذه الجماعة الأمريكية .

إن الشعوب الإسلامية والعربية وحكوماتها تعلم علم اليقين أن إنجلترا جنت على مليون مسلم وعربي من أهل فلسطين ، وسلمت بلادهم وأراضيهم إلى اليهود ، وأن حليفها أمريكا هي التي ساعدت على إقامة دولة إسرائيل وأمدتها بجميع وسائل العون والقوة حتى بلغ ما قدمته أمريكا من مساعدات لدولة اليهود ما يزيد عن ألفي مليون دولار خلال بضع سنين .

وإذا كانت أمريكا جادة في خطب ودّ المسلمين ليكونوا في صفها فعليها أن تعدل عن سياستها وتقف موقف الحياد بينهم وبين إسرائيل فلا تقدم أى عون لكل منها .

ولكن هل تستطيع جماعة الشرق الأوسط وزميلاتها اللجنة الدائمة أن تحقق ذلك ؟ كلا . فهي إنما تريد أن تنفذ خطط وزارة خارجيتها وتبث توجهاتها في تخدير المسلمين والعرب وخداعهم بواسطة عقد اجتماعات ومؤتمرات وإقامة معاهد ومراكز أمريكية ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب ، حتى لا يأس المسلمون والعرب نهائياً من أمريكا وحلفائها .

على أن تصريحات سياسة أمريكا وحكامها في تأييدهم علناً لدولة اليهود وإصرارهم على بقائها وإعدادها بالمال والسلاح ، تقطع السبيل على مزاعم جماعة الشرق الأوسط ولجانها وتفضح مؤتمراتها ، وهذا مما يجعل المسلمين يتأكدون أن أمريكا من ألدخصومهم ، لأنها أكبر مساعد لأعدائهم ، ولهذا فهم يرفضون مشاريعها ، ويقاومون أحلافها ، حتى تعود إلى الحق وتعدل عن تأييد الصهيونية والاستعمار .

من أجل ذلك كله ، ولدفع خطر هذه الجماعة الأمريكية المستترة بالدين ، ومن أجل دفع شرها والقضاء على دسائسها ، نستعرض أنظار إخواننا من علماء المسلمين وقادتهم وأصحاب الرأي منهم إلى الحذر من الأعياب هذه الجماعة الأمريكية التي تحاول التغلغل في أوساطهم رجاء أن يبذلوا جهودهم لمقاومتها ، وإحباط خططها الاستعمارية ، ومنع إنشاء أية فروع أو معاهد لها في بلادهم ، وأن يكشفوا الستار عن أهدافها في خدمة الصهيونية والاستعمار ، ويحولوا دون اشتراك أى أحد من المسلمين في فروعها واجتماعاتها ومؤتمراتها . وأن يؤكدوا للجميع أنها حركة ضارة بالمصاحبة الإسلامية والعربية العامة ، وكل مرادها الزج بالمسلمين والعرب في سياسة الأحلاف الاستعمارية بادعاء مقاومة الشيوعية ، ليجعلوا من المسلمين وبلادهم وقوداً للحرب التي يستعدون لها .

والله الموفق إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل ما
عربي مسلم

أم المؤمنین أم سلمة

كانت أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية الخزومية هي الزوجة السادسة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تزوج - صلوات الله عليه - إحدى عشرة امرأة ولم يجتمع له منهن أكثر من تسع ، فقد توفيت السيدة خديجة أولى زوجاته وأيمنهن ولم يتزوج غيرها حتى ماتت ، وتوفيت السيدة أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية وهي الزوجة الخامسة للنبي صلى الله عليه وسلم بعد شهرين من زواجه بها .

فأما الزوجة الثانية سودة بنت زمعة ، والثالثة وهي عائشة ، والرابعة وهي حفصة ، والسادسة وهي أم سلمة (موضوع حديثنا اليوم) ، والسابعة وهي زينب بنت جحش ، والثامنة وهي جويرية بنت الحارث ، والتاسعة وهي أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ، والعاشرة وهي صفية بنت حيي ، والحادية عشرة وهي ميمونة بنت الحارث ، فهؤلاء التسع قد بقين مع السيد الرسول صلوات الله عليه حتى لحق بالرفيق الأعلى ، وكان آخرهن وفاة هذه السيدة الكريمة موضوع الحديث . توفيت في عهد يزيد بن معاوية سنة إحدى وستين من الهجرة النبوية .

لم كان تعدد الزوجات في الإسلام ؟

مهما تقول المتقولون على الإسلام وتشريعه ، ومهما حاول المبشرون والمحدثون والجاهلون أن يطعنوا على أحكامه ونظامه « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » مهما تقولوا وحاولوا فإن الإسلام متين الأركان مدعم البنيان ، لم يشرع شريعة وغيرها أصالح منها وأولى بالبقاء ، ولا رخص للناس رخصة ولا أخذهم بعزيمة وفي غيرها وفاء أو فناء ، ذلكم قولهم بأفواههم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

جاء الإسلام الكريم ، والعرب يعددون الزوجات إلى العشر ، فربما كان ذلك حاجة ، وربما كان ذلك لمجرد شهوة وهوى ، ولكن الإسلام هذب ذلك كما هذب سائر

الأوضاع البشرية ، وكما حد من أمر الرقيق وحث على الإحسان إليه وفك رقبته بعد أن سائر الناس إلى حد محدود في أمره .

هذب الإسلام أمر التعدد فأباح منه ما دعت إليه الحاجة وشرطه بشرط هبهات أن يتحقق ، ولـكنه إذا تحقق كان شيئاً مهذباً كريماً لا حرج فيه ، فهو يقول : « فانسكحوا ما طاب لكم » ولا تطيب المرأة حتى يتوفر الهدوء والتوفيق في الحياة الزوجية ، فإن توفر وتحقق معنى العدل فمن الغباوة والمكابرة ، ومن السفه والمهاترة ، تحريم معنى تعمل تشريعات العالم كله على تحقيقه وهو رعايه مصالح الناس . وإن لم يتحقق ذلك فإن الإسلام أول خارج عليه ومحارب له .

ولا أريد أن أخوض في تفصيل موضع الحاجة إلى التعدد ، فقد أطال الناس الكلام في ذلك ، وذكروا أنه قد تدعو إليه حاجة إلى تكثير النسل في حرب أو غيره ، أو حاجة إلى دفع العقم أو مقاومة الإسراف في بعض الطبائع ، ولـكنني أقولها هكذا كلمة عامة وأحكم بأنها مسألة تتقدر بالحاجة وبما تدعو إليه المصلحة وفي حدود الضرورة ، فأما إذا كان التعدد مما يترتب عليه مفسدة ما ، فإن الإسلام يحرمه كما يحرم كل شيء كذلك ، وهذا هو السر في أن الشارع الحكيم حرم ما فوق الأربع في حق جميع البشر ما عدا محمداً صلى الله عليه وسلم ، لأنه تعدد ليس من شأنه أن تدعو إليه الحاجة ، ومن شأنه أن يدعو إلى الجور ، وعدم التوفيق في الحياة الزوجية .

فأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد خصه الله سبحانه بإباحة ما فوق ذلك إلى الحد الذي رأيت بيانه في صدر هذه الكلمة ، ذلك أن الله سبحانه خصه بطاقات وسعة ذرع وأفق ، وقوة دين وخلق ، وقوة جسمية يسمح له كل ذلك بإقامة العدل ، وتحقيق معاني الزوجية الهادئة الوادعة ، ولم يكن الداعي إليه في حقه صلى الله عليه وسلم مظهر شهوات تلبي ، ولا معنى من معاني الأثرة والتميز . حاش لله . إنه لو كان الأمر كذلك لكان موضع تخيره بآراء الجمال والمتفوقات في الحسن ، ولما قبل أن يتزوج وهو في الخامسة والعشرين ثيباً في سن الأربعين كأولى زوجاته التي لم ينس عشرتها ولم ينقطع حنينه إليها (خديجة بنت خويلد) . ولو كان الأمر كذلك لم يتزوج صبية في سن السابعة كعائشة ، ولا تزوج عدة من الأرامل ولا ذوات الأبناء من أمثال أم سلمة موضوع الحديث .

وكل ظروف زواجه صلى الله عليه وسلم تدل عند المنصف المحقق على أنه كان يتوخى في زواجه معانى جليلة كريمة من أمثال ما يأتى :

١ — إحصاء الروابط العامة والخاصة ، حتى يجمع القلوب حول الدعوة الكريمة ، ويتجلى ذلك في زواجه بحفصة بنت عمر وعائشة بنت أبى بكر التى لم تتجاوز يوم زواجه بها سبع سنين . وقد قال بعض المفسرين فى قوله سبحانه « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى » . إنه ليس هناك قبيلة من قريش إلا وللنبي صلى الله عليه وسلم قرابة قريبة له أو لبعض زوجانه فيها .

٢ — القيام بأمر بعض من فقدن العائل وجبر كسرهن لما أصابهن من مصيبة ، ولا سيما إذا كان ذلك فى أمر يتعلق بالدين ، كما وقع ذلك فى تزوجه بأم سلمة موضوع الحديث ، وأم حبيبة التى تنصر زوجها بالحبيشة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم يخطبها ويطلب من النجاشى أن يزوجه بها ، وكما فى زينب بنت خزيمة أم المساكين التى كانت تحت عبد الله بن جحش وقتل عنها يوم أحد ، وكما فى جويرة بنت سيد قومه التى وقعت فى السبي فى سهم ثابت بن قيس فكانتها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها فتزوجها ، ثم أرسل المساكين ما بأيديهم من السبي لأنهم أصهار النبي ، وكما فى غير ذلك مما لا يطيل به اليوم .

٣ — القضاء على بعض التقاليد الموروثة الفاسدة فى العرب كما فى تزوج زينب بنت جحش .

٤ — على أن ذلك التعداد فى ذاته كان ضرورة دينية تعليمية لنقل أحكام الإسلام فيما يتعلق بشئون النساء تفصيلا ، كالحيض والطمهر وأحكام الأسرة وما يتعلق بها وما إلى ذلك ، فانه يحتاج إلى تلميذات فى داخل المنازل النبوية الكريمة ، فقد كان أكثر تلاميذه لغير تلك الأحكام من الصحابة ، فأما تلميذاته لتلك الأحكام فهن الزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين ، نقلن العلم إلى الناس وبين أحكام الشريعة فيها بما لم يتيسر لغيرهن .

فليوفر أعداء الإسلام عنادهم وليخلوا الطريق لدعوة الحق ، فان لله سبحانه طائفة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله .

زواج أم سلمة برسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانت هذه السيدة الكريمة هي وزوجها عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة من السابقين إلى الإسلام الذين أبلوا فيه حق البلاء ، فكانا من لحقه أذى المشركين يوم كان الإسلام غريباً بمكة ، يستضعف المستجيبيون لدعوته ، وكانا ممن هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة بعد ذلك ، وكانت هجرتها متأخرة عن هجرة زوجها لأن قومها بنى المغيرة فرقوا بينهما ففصلوها عنه كدأهم في كل ما يستطيعون من فساد وتحد للدعوة الكريمة ، وتفصيل ذلك في كتب السيرة .

على أن الله سبحانه شاء أن تخرج بعد ذلك لأن قومها رثوا حالها وما كانت فيه من ألم وشقاء ، وما كان يغلب عليها من عزلة في نحيب وبكاء . فأفرجوا عنها وخرجت وحدها إلى المدينة ، ثم قبض الله لها في طريقها من أوصلها إلى زوجها في معزة وتسكيم . وبذلك كانت أول ظعينة دخلت المدينة ، كما كانت من قبل أول امرأة هاجرت إلى الحبشة .

وبعد الهجرة إلى المدينة تفرغت هند لتربية ما كان لها من أولاد من هذا الزوج الكريم الذي تفرغ لمعركة الإسلام مع الشرك ، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه بدرًا وأحداً وأصيب بجرح بليغ في أحد .

وبلغ من تقدير النبي صلى الله عليه وسلم له وثقته به أنه كان استخلفه على المدينة في غزوة العشرة ، وقد سيره إلى غزوة بني أسد وكانوا قد فكروا في الجمع للنبي صلى الله عليه وسلم ، وغزوه بعد أحد فظفر بهم أبو سلمة وقضى عليهم ، ولكنه كان ضحية جراحة أحد لأن جرحه نغر من كثرة ما لقي من عناء في جهاده فمات شهيد تلك الجراحة ، واحتسبه النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وكان من الأخير بعد ذلك ، وقد أصيب ذلك البطل الكريم في سبيل الله والإسلام ، أن يتوالى النبي صلى الله عليه وسلم بعض أمره ، وأن يخلفه على زوجه وولده من غير أن يكون به حاجة إلى الزواج وفي عصمته عائشة وحفصة وسودة التي كان قد تزوجها أيضاً لمثل ذلك من جبر الكسر ، وتولى الأمر . كما أن أم سلمة لم يكن لها أرب في زواج ، وهي تربي ذرية ضعافاً من أبناء أبي سلمة ، ولهذا رفضت الزواج من كل من أبي بكر وعمر .

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها بعدهما وعزم عليها أن تقبل بعد أن اعتذرت إليه بأنها غيرى ومسنة ، وذات عيال .

وقال لها : أما الغيرة فإنى أسأل الله أن يذهبها عنك ، وأما السن فأنا أكبر منك ، وأما العيال فإلى الله ورسوله .

لم تكن هند إذا ذات جمال يشبه جمال عائشة ولا جمال حفصة أو يقاربه فيحرص عليه لمتعة مادية ، ولكنته وفاء من السيد الرسول صلى الله عليه وسلم لمن استطاع أن يفى له من أصحابه الأكرمين .

ثم قبلت أم سلمة وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم على بركة الله في السنة الثالثة من الهجرة ، وكان طبيعياً أن يدخل زواجها بعض القلق البشرى على السيدات أمهات المؤمنين شأن من يتسكن بزوج عظيم مثل محمد ، ويتنافسن على القرب منه ، ويشفقن من أن ينازعن فيه وإن كن بعد ذلك قد اطمأنن إليها ، وكان لها من مهارتها ولباقتها وسمو نفسها ما جعلها موضع الرضا والتقدير .

بعد الزواج :

كانت هند قد أثمرت من زوجها عبد الله : سلمة وعمر ودرة وزينب ، وكانت زينب كما تحدث علماء الخبر أنها بقيت في حضانة أم سلمة بعد زواجها من السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرحب بها ويلطفها ويسأل عنها إذا دخل الحجر الشريفة فيقول : أين زباب ؟ ولكنها ما لبثت أن بعثت بها إلى حاضنة أخرى لتفرغ لخدمة السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما بعد أن دخل على أم سلمة أخوها من الرضا عمار بن ياسر يوماً فرأى زينب هذه فقال : هذه تمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته .

وعاشت السيدة أم سلمة في حجرتها من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ذات مكانة مرموقة من محبتها ومنطقها وتصرفها ومهارتها وسمو نفسها .

وفي التواريخ والسير مواقف لها تدل على ما كان من عزرة ومجادة فيها :

١ - وكان من ذلك أنها انتهت عمر بن الخطاب رضى الله عنه في موقف رواد البخارى وغيره من المحدثين ، وعمر من يعلم القارئ الكريم عزة واستانة فيما يقتنع به ، ولـكنه استجيا وعدل عما كان يريد أن يحاول .

قالوا : إن زوج عمر بن الخطاب ناقشته يوما كما تناقش كل امرأة زوجها ، فقال : وما شأنك وهل أنت إلا امرأة يلعب بك ساعة ؟ فقالت : أنت تقول ذلك وإن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه فيما يقول .

نخرج مسرعا حتى أتى حجرات النبي صلى الله عليه وسلم وسأل حفصة : أئنسكن لتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وسمعت أم سلمة فقالت : وبلغ بك الأمر يا بن الخطاب أن تدخل فيما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته ؟ عجبا لك يا بن الخطاب ! فتراجع عمر بعد ذلك .

٢ - وكان من ذلك موقفها في صلح الحديبية فقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركين يوم ذلك بما أراه الله ، وكان في الصلح بعض شروط ربما أوهمت التخاذل ، كما توهم ذلك كثير من الصحابة ، وهى مشهورة مفصلة في مواضعها من كتب السير . وبعد الانتهاء من الصلح وعند العودة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يقوموا فينحروا الهدى ويحلقوا كما يفعل ذلك كل من يصد عن البيت الحرام . أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وكرر الأمر ، فلم يستجيبوا له ، وكان موقفا فيه الهلاك المحقق لو تم وفيه إحباط أعمالهم . وكان المنتقد من ذلك ما رأت أم سلمة للسيد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روي أنه دخل عليها (وكانت صاحبة في هذه الرحلة) وهو آسف مغضب يقول : هلك المسلمون .

أم سلمة : وكيف ؟

محمد صلى الله عليه وسلم : أمرتهم بالنحر والحلق مرارا ، فامتنعوا ؟

أم سلمة : الأمر أهون من أن يجرئك ذلك الإحراج ، وما هو إلا أن تخرج إليهم ففعل ذلك من غير أن تخاطبهم .

نخرج وفعل ذلك من غير حديث معهم ، فإذا هم ينحرون ويحلقون ، وكأنهم مأخوذون

لهول ما وقعوا فيه ، ثم استغفروا الله . ونزلت سورة الفتح تؤيد الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوّه بما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم فتجعله فتحا مبينا ، وقد حقق الله ذلك .

وقد ذكر المفسرون أن الوحي كان ينزل في نوبتها كما نزل في نوبة عائشة ، وأوردوا من ذلك قوله سبحانه « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » ، وقوله سبحانه « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم » . وتفصيله في موضعه .

وقد كانت السيدة أم سلمة من المقبلات على رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذ عنه وتروى حديثه ، ولها الكثير من ذلك في الصحيحين وغيرهما .

أم سلمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم :

ثم آثرت أم سلمة أن تعزل حياة الناس وما يكون لمثلها بعد ما شعرت به من السعادة وما كتب الله لها من الخطوة ، أن تتصل بدنيا الناس وحياتهم في غير مسألة تسأل عنها أو دعوة إلى خير ، وحين فكرت السيدة عائشة في الخروج مع السيدين طلحة والزبير أنكرت عليها أشد الإنكار ، ونصحت لها ألا تخرج ، ولكن أبى الله إلا ما شاء .

على أن السيدة الجليلة أم سلمة تعصبت لبیت النبوة ودفعت بفسلذة كبدها عمر ابنها ليخرج مع علي ، وتمنت كما يقولون لو أنه أبيع لها أن تخرج بنفسها ، وكان مجاملة كريمة أداها إليها اجتهداها . ثم لزمتم بعد ذلك شأنها وعكفت على عبادة ربها حتى وافتها المنية سنة ٦١ هـ في عهد يزيد بن معاوية .

رحم الله الجميع وجعل لنا منهم صالح الأسوة وجميل الموعظة .. آمين

محمود النواوي

تعليلات

خطبة الجمعة وخطيبها

كان المنهج النبوي في تبليغ الرسالة ، وتوجيه الدعوة ، مشافهة القوم بالتفاهم والتلطف معهم في الخطاب ، حتى تدرجت دعوته في خطاها الرشيدة ، وشبت عن الطوق ، وقاومت من يقاومها ، وقمعت من كان يعترضها ، ونفذت إلى أهدافها المنشودة في كل واد .

ومنذ أخذت الدعوة سبيلها في الجهر ، وآزرها أنصار سبقوا إلى الإسلام واحتضنوا دعوته هذه ، شرعت لهم صلاة الجمعة وخطبتها على سبيل الفرض ، لتكون موسماً أسبوعياً تتلاقى فيه الجماعة الإسلامية في ظل الأخوة الدينية ، وبين يدي ربهم الذي هداهم ، وعاهدوا رسوله على الوفاء بكل ما عرفوا أو يعرفون من أحكام دينهم ، وشئون دنياهم ، وقد بلغ من أهمية الخطبة يوم الجمعة أن يعتاض بها عن ركعتين من صلاة الظهرية ، وأن يشترط فيها العدد ، حتى لا تكون قاصرة على قلة من الناس ، ولا تكون أشبه بأمر سري يخفى على الكثيرين ، ولا يذاع ما يقال فيها بين أهل الحى ، ولا يدرى به من تخلف عنها .

إذ القصد من خطبة الجمعة أن تكون منهجاً تعليمياً يعتمد الصدق في كل ما يحتويه ، ويعلم الناس ما يجهلون من أحكام ، ومن أمور الغيب المتعلقة بأعمالهم ، ويستنصهم إلى الخير ، ويذكرهم بما ينسون ...

والقصد كذلك أن يكون في اجتماع الناس لدى خطيبهم ، وبين يدي ربهم ، توثيق لروح الإخاء ، وتجديد لنوازع المروءة ، وتبديد للوحشة التي تنجم عن الفرقة والتباعد ، إذ التعارف يزدد - لا شك - واتصال القلوب يتأكد كلما تلاقت الوجوه في ساحة الرجاء من الله ، وكلما تناجت الأرواح في التماس الهداية ، وتناغت الألسن في الدعوات والضراعة .

ومن وراء ذلك تتوافر المودة والتآزر ، وتكون المعونات والتناصر ، وإرهاب العدو بتكتيل المسلمين حول دعوة ربهم ، وتجمعهم من وقت إلى وقت ، وانتظامهم في صفوف رتيبة كلما دعاهم إلى ذلك من يتولى الأمر فيهم .

وما دام هذا النمط التهذيبي قائما بين المسلمين كما قصد به ، فإنهم جماعة مطبوعة بطابع قومي إنساني لا تحترقه الدسائس ، ولا نذهب به الأنانية ، وتنال منه الأحداث .

وتكون خطبة الجمعة وسيلة ناجحة في تحقيق هذه الغايات إذا روعي فيها الموضوع المناسب الحق ، والأسلوب الخفيف المفهوم ، وروعيته الملايسات الأخرى ، من حيث البيئة وما يلائمها من شؤون تتصل بحياتها ، ومن حيث الزمن وما فيه من برد أو حر ، ومن حيث المسكان وما به من ضيق أو رحابة ، فليس كل جانب من هذه الجوانب أثره الواقعي في نجاح الخطيب أو فشله .

وقد كان منهج النبي - صلوات الله عليه - في خطبته للجمعة ومنهج الخلفاء من بعده منهج الحرير على إقناع المستمعين بصدق ما يدعوههم إليه ، واجتذابهم نحو ما يريد منهم . وما نسي النبي ولا واحد من خلفائه في موقف من مواقفهم ، ولا في خطبة من خطبهم ، أن الأنفس بحاجة إلى ملاينة في الزجر حتى لا يتسرب القنوط واليأس إلى الأذهان ، وأنها بحاجة إلى استدراج رقيق ، وسياسة مرنة بالترغيب والتخويف ، حتى تتخلع مما تشبهت به وتزهد فيما تعودته من سوء ، وتنقاد رويدا رويدا إلى التوجيه ، ومن قبيل ذلك أنه عليه السلام كان يطيل الخطبة حينما ، ويقصرها أحيانا .

وكانت إطالته يسيرة وبقدر المناسبة ، فلم تكن إطالة مسئمة ، ولا مدعاة للضجر . وإنما هو الوعظ القوي ، والزجر الرادع ، وهو الترغيب في التوبة ، دون إغراء بالمفاسد أو تهوين للعقاب .

وكذلك هو الترهيب من الحساب دون إقنات من الرحمة والعفو عن تاب ، كل ذلك في أسلوب سهل أخذ ، لا يداخله تغرير بالنفس ، ولا يشوبه دجل ولا جهل ، ولا خلط للحق بالباطل ، وتلويح للسامعين بأنه يأتهم بالعلم من عنده ، وإنما يبلغهم أحكام دينهم وفيها كفاية وكفاية .

وعلى هذا جرى الخطباء السابقون الفاهمون لدينهم وكذلك يعمل الخطباء المعاصرون المترسمون للأسلاف ، والمحتاطون لدينهم .

غير أن خطبة الجمعة قد عراها من الشوائب ما عراها سواها من تقاليدنا الإسلامية ، منذ صار أمر الخطبة في كثير من المساجد إلى أن تنقصهم الدراية بما يجب أن يعرفه الخطيب ، وبما يجب أن يحذره .

وقد قضينا زمنا لا نسمع فيه من الخطيب غير الخطب المطبوعة المسجوعة في ذكر الجنة والنار ، ونسمع لكل جمعة موضوعا خاصا بها ، لا يناله تجديد ، ولا يأخذ من أحداث المجتمع موضوعا مناسبا ، ولا يتصل بما ينجم في الأفق الوطني أو الإقليمي من مناسبات حتى أصبح جفاف الخطبة صارفا أو شبه صارف للناس عن الرغبة في حضور الجمعة بدلا من تشوقهم فيها واستدراجهم إليها .

ثم كان ليقظة الوعي وللقند الثائر حول خطبة الجمعة أثر لا بأس به في علاج هذه المآخذ فظفرت منابر المساجد بخطباء مصقولين وواعين .

وأصبح المتصلون بالمساجد والمستمعون إلى الإذاعة في بعدهم عن المساجد يلمسون تجديدا شيقا في الموضوعات والأساليب ، وطبيعى أنهم يستفيدون ، وقد تبدلت لهجة النقاد كثيرا عن ذى قبل ، فأصبحت رطوبة رحيمة على الخطباء ، وتعلق الأمل بتقدم يزداد .

غير أننا في غمرة هذا الابتهاج نلاحظ أن بعض المحيدين للخطب يرنى لنفسه عنائها في القول ، ويطاوع خياله وإن كان في خطبة الجمعة ، ويعنيه سوق الألفاظ أكثر مما يعنيه تحرى الصواب في الموضوع ، وأكثر مما يعنيه تربيته الخشية في الأنفس وردعها عن المآثم .

ومن أمثلة ذلك — ونحن في أسف ممض — أن نجلس في آلاف من المستمعين إلى خطيب الجمعة في مسجد عريق التاريخ ، وله خطره في اعتبار المسلمين ، فيصعد المنبر عالم غير خطيب المسجد وهو خطيب مرموق في وقتنا الحاضر ، فإذا سمعنا من الخطيب ، وماذا سمع معنا الجمهور المصغى ، وكان فيه صنوف من كبار الشخصيات الإسلامية ؟ ؟

حدثنا الخطيب عن قول النبي — صلى الله عليه وسلم — « اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلاق حسن » .

وهذا اختيار موفق ، ومناسب لكل مجتمع ، في كل مكان وزمن ، غير أن خطيبنا شطح شطحة خرجت به عن الموضوع إلى تقيضه ، فكان وعظه تهوينا للجرائم ، وكان أسلوبه المعسول أن الله خلق الناس جميعا على ارتكاب المعاصي ، وفطرهم على فعل السيئات حتى لا يمكن لمخلوق أن يتعد أو يفر من عمل المنكر .

وبعد إسهاب في ذلك استثنى الأنبياء من عمل المعصية — بحكم العصمة — واستثنى الملائكة من هذه الفطرة .

واستثناء الأنبياء صحيح ، ولكن التعميم في وقوع الناس جميعا ، وعدم فرار أحد

منهم من عمل السيئات أمر ياباه العلم ، ولا تقوم له حجة ، بل هو مناقض صراحة لما ورد في القرآن عن ذكر الأبرار ، وعباد الرحمن ، ولما ورد في السيرة عن الناشئين في طاعة الله . . . الخ .

وهذا التعميم الخاطئ يوحى إلى الناس أن ارتكابهم للآثم أمر فطرى لا حرج فيه ، ويغويهم بمتابعة الشهوات والأهواء ما دام هذا مقتضى الفطرة كما قرر الشيخ المرموق ، وشمر من ذلك وأخفش خطأ أن يقول الخطيب بالحرف والترتيب « إن الله لم يقل للناس لا تسبوا ، ولكن قال لهم إذا أسأتم فاستغفروا » وهذا منطق واضح يفصح في غير تأول عن نفى الزواجر كلها ، وينسى الناس أن القرآن حافل بالزواجر ، والنهى عن الفواحش مظهر منها وما بطن ويركز في أذهان البسطاء أن النهى عن المنكر لم يرد به شيء في الكتاب ولا في السنة .

وما دام الخطيب يرى ويقرر أن ارتكاب السيئات أمر فطرى لا محالة ، وأن الله لم ينه الناس عن السيئات في كتابه وشريعته وسنة رسوله : فماذا بقى في خطبته من وعظ قديم أو جديد .

وماذا بقى من زواجر القرآن والسنة ليجتنب الناس ما يخالف دينهم ويناقض آدابه ؟ أليس هذا إنكارا صريحا لشطر كبير من آيات الله البينات ؟ وهضمًا فاحشا لجانب النهى عن المنكر ؟ ؟ إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصل أصيل في التربية الإسلامية ، بل هما الأصل الأول الذى يناط به كل توجيه ورد به الإسلام فاذا انتهينا إلى إنكار الشق الثانى من هذا الأصل فماذا بقى من أصول الإسلام وتربيته ؟ .

وإذا جاز الوقوع في هذه الزلة المردية من خطيب عادى لا يخرج لدينه ولا يحتاط في موقفه ، فما يجوز ذلك ، ولا شيء من ذلك في مسجد كالأزهر ولا بين جمهرة العلماء وغير العلماء ولا من رجل يشار إليه ؟

وهذا أمر لم نستطع دراه حين وقوعه ، فلا يفوتنا أن ننبه عليه حتى لا تقع تحت الإثم للسكوت عنه ، وأخطر من هذا كله أن تكون الخطبة معادة في مساجد عدة .

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الى جزيرة العرب . . .

انتقل إلى سعة عفو الله ومغفرته في مدينة كابل عاصمة المملكة الأفغانية شاعر عربي معاصر كانوا في أيام إسماعيل صبرى وحافظ إبراهيم يعدونه في الطبقة الممتازة من شعراء العروبة ، وهو الشيخ فؤاد الخطيب سفير الدولة السعودية في الأفغان . وقد رأينا أن ننشر من شعره هذه القصيدة بيانا لمنزلته :

لمن المضارب في ظلال الوادى	ريانة الجنيات بالوراد
الله أكبر ، تلك أمة يعرب	نفرت من الأغوار والأنجاد
طوت المراحل والأسنة شرع	والبيض متلعة من الأغمام
ومشت على الأسلات مشية واثق	بالله والتاريخ والأجداد

* * *

ليبك يا أرض الجزيرة واسمعى	ما شئت من شجوى ومن إنشادى
لك فى دى حق الوفاء وإنه	باق على الحدائق والآباد
فنهضت مضطاعا بما جشمتنى	وحملت فيك سخائم الأضداد
ووقفت بين يديك أطرق خاشعا	وكأنك المحراب للعباد
ورميت دونك بالدليل مستددا	فسمعت صوت الحارث بن عباد [١]

* * *

أنا لا أفزق بين أهلك لأنهم	أهلى ، وأنت بلادهم وبلادى
ولقد برئت إليك من عصبية	شلاء تؤثر موطن الميلاد
فلكل ربع من ربعك حرمة	وهوى تغلغل فى صميم فؤادى

[١] أحد الرهط الذين أوفدهم النعمان بن المنذر للدفاع عن حوزة العرب بين يدي كسرى .

كم ضجعة بالقاع في غاس الدجى
أدركت إذ أدركتها معنى السرى
ولشد ما انطوت المصور وما انطوت
فسفرت بالفجر المبين لمدلج
آمنت بالهمم التي أحبيتها
وتخطفت شم الحصون وإنها
ولقد شهدت بذك يوم تسمروا
فعلمت كيف يثور من طلب العلى
بفريحتهم وأسيرهم كقتيلهم :
وهم الأباة فما تلين قناتهم

فوق الرمال العفر وهى وسادى
وسكينة الأرواح فى الأجساد
للعيش فيك بشاشة الأعياد
وتفجر العرفان منك لصاد
ففضت تزلزل شاخ الأطواد
كانت تعد مرابض الآساد
متليبين لغارة وطراد
ورأيت كيف عزائم الأجداد
نهب يراوحه الردى ويغادى
تحت السيوف ولا الحمام العادى

* * *

شهداء مجدك فى ثراك يضمهم
متدفق من كل موقع طعنة
سهرت عليك جراحهم كعيونهم
ولقد تطوع كهلهم وغلامهم
وثبت بهم فى نقع كل كرية
ومن اشترى استقلاله بدمائه
الملك فيك وفى بذك وإنه
وأمانة التاريخ فى أعناقهم
فاذا انبروا للجد فهو سبيلهم
تعس العداة فما يفرق شملنا
ظلموا وما علموا بأن وراءهم

ولها ضم حفيظة ووداد
فيهم لسان دم بذكرك شاد
بالأمس غير ملمة بقراد
للوت غير مسخر بقياد
همم الغزاة وعفة الزهاد
لم يستتم لأذى ولا استعباد
حق من الآباء للأحفاد
من عهد بابل يوم نهضة عاد
يمشون فيه على هدى وسداد
متفرق الأسماء والآحاد
شعبا ، وأن الله بالمرصاد

فؤاد الخطيب

الكتب

الاشتقاق

للاستاذ عبد الله أمين - ٦٣ ص - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

من أعظم مزايا اللغة العربية حيويتها المتصلة بين ماضٍ عريق في القدم ، ومستقبل وثيق الصلة بمراحل هذه الحيوية ، في نظام منطقي حكيم امتاز بالاطراد والاستقرار . وكما أن العرب الذين نطقت ألسنتهم بهذه اللغة النobile قد بنوا مجتمعهم على نظام الأنساب والتوسع في روابط الأسرة حتى كانت منها البطون والأنفاد والعشائر المتعاونة والشعوب المتناصرة ، كذلك اغتتم قد احتفظت بالقراءة الوثيقة - في اللفظ والمعنى جميعا - بين جذور الكلمات وما تفرع عنها في تسلسل متطور احتفظ بجمال نظامه عند صوغ بعض الكلمات من بعض في صيغ وأبنية كان من مجموعها أسرة لغوية حملت مؤلفي المعاجم على استعراضها كلها معا في مادة واحدة ، غير مفرقين بين الأصل وما تسلسل منه ، لأنهم اعتبروها كالشجرة التي إذا فصل فرع منها عن أصله فقد حيوته ، أو كالعضو إذا فصل عن الجسد الذي هو منه .

وقد عني أسلافنا بدراسة العربية من ناحية الاشتقاق فألفوا فيها الكتب النفيسة والبحوث الحكيمة ، وأبانوا عن تقارب المعاني بتقارب حروف ألفاظها ، وعن اشتراك الألفاظ الكثيرة في معنى عام لاشتراكها في حرفين أو أكثر . ومن أقدم من درس العربية من هذه النواحي أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جنى وأبو الحسين أحمد بن فارس وآخرهم أحمد فارس الشدياق .

وبين أيدينا كتاب نفيس في هذا الفن من فنون العربية للفاضل المدقق الأستاذ عبد الله أمين قسمه إلى أربعة أقسام ، أولها الاشتقاق الصغير وتكلم فيه على أصل المشتقات ، وعلى اشتقاق الأفعال ، واشتقاق الأسماء . والقسم الثاني الاشتقاق الكبير وهو الإبدال اللغوي . والثالث الاشتقاق الأكبر وهو القلب اللغوي . والرابع الاشتقاق

الكبار وهو النحت . وختم الكتاب بمقارنة وجيزة بين اللغات السامية الثلاث :
العربية والسريانية والعربية .

وهذا الفن من فنون العربية مما يجب على كل متأدب عربي أن يلم بأطرافه ، وقد
يسر الأستاذ عبد الله أمين هذه المهمة على الذين لم يمارسوا دراسة الكتب القديمة ،
فشكرا له ، ونرجو الله أن ينفع شبابنا بكتابيه .

السبيل إلى أسرة أفضل

للأستاذ محمود فهمي استانبولى - ١٤٤ ص - مطبعة دمشق

هذا الكتاب مجموعة فصول تدور حول مشكلات الأسرة الإسلامية وما فيها من
عيوب ، وبيان الطرق إلى إصلاحها . والمؤلف مدير مدرسة ثانوية في دمشق للتربية
الاستقلالية ومحرر مجلة المعلمين والمعلمات ، وينظر إلى التربية من نواحيها الإسلامية ، وقال
في فاتحة تمهيده للكتاب : « في الأمة خلية إذا صلحت صلحت الأمة كلها ، وإذا فسدت
فسدت الأمة كلها ، ألا وهى الأسرة » . وقد عالج في كتابه موضوعات الأسرة وتربية
النشء من بداياتهما ، أى من اختيار الزوجة لتكوين الأسرة ، ثم مضى في البحوث التى
تتعلق بالأسرة والبيت وتربية النشء فتسكلم على كل موضوع بما يليق به .

وقد قدم له الأستاذ الكبير السيد على الطنطاوى بمقدمة لطيفة دلت على مكانة
المؤلف فى النشاط الاصلاحى ، وما أفاده القراء والقارئات من مؤلفاته المنشورة .

مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء التاسع - ٣٠٦ ص - المطبعة الأميرية بالقاهرة

اعتاد مجمع اللغة العربية فى القاهرة أن يصدر بين سنة وأخرى جزءا من مجلته العلمية ،
بيانا لنشاطه ، وتسجيلا لبحوثه ودراساته ، وإعلانا عن مبتكراته واختياراته فى المصطلحات
العلمية والقانونية والاجتماعية . وفى هذا الجزء أربع عشرة مقالة فى اللغة بأقلام أعضائه ،
وعشر مقالات فى تحقيقات لغوية . وثلاث مقالات فى الأدب والنقد ، وثلاث مقالات
حول المصطلحات . ثم أربع قوائم بالمصطلحات العلمية المعروفة التى وافق عليها مؤتمر
المجمع ، إحداها فى مصطلحات قانون المرافعات المدنية والتجارية ، والثانية مصطلحات فى
العلوم الفلسفية والاجتماعية ، والثالثة عن ألفاظ نباتية فى المعجم اللغوى الوسيط ،
والرابعة مصطلحات طبية .

التراث الروحي للتصوف الإسلامى فى مصر

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى - ٢٣٨ ص - دار العهد الجديد للطباعة

يوالى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى نشاطه الأدبى المتواصل ، فيضيف إلى عشرات الكتب من مؤلفاته كتابا جديدا عن التصوف فى مصر من بدء ظهوره إلى الآن .

وقال المؤلف فى كلمته الأولى عن الفتح الإسلامى لمصر : « كان الفتح العربى الإسلامى لمصر معجزة من معجزات التاريخ ، وإنقاذاً إلهياً لشعب طال تطلعه للتحرر ، وكانت عبقرية قائد التحرير والفتح (عمرو بن العاص) موضع دهشة العالم حينذاك . أربعة آلاف جندي من جنود المسلمين انتصروهم عمرو بن العاص على الإمبراطورية الرومانية فى معارك الفرما وبلبيس إلى أن دخل جيش المسلمين إلى حصن بابليون ، وأمد الخليفة عمرو بن الخطاب جيش المسلمين بأربعة آلاف جندي آخرين ، ثم زاد جيش عمرو إلى خمسة عشر ألفاً هم الذين دانت بهم مصر كلها بالطاعة للحكم الإسلامى ، فقابل الشعب المصرى هذا الفتح بالفرح والسرور لتحرره من قسوة الرومان وشرورهم . »

وهى أساس هذا الفتح العظيم الذى كان من معجزات الله فى الأرض قام تراث الإسلام الروحى فى مصر ، ومنه الزهد والتقوى والانقطاع لله وما أطلق عليه بعد ذلك عنوان التصوف ، وكان للعلم الإسلامى رجال وللتصوف الإسلامى رجال ، وهؤلاء الرجال من أولئك وهؤلاء على مراتب ، وطرق متفاوتة فى قربها من ذلك الأساس الأول أو بعدها عنه ، وفيهم العظماء حقاً الذين يباهى تاريخ التراث الإسلامى بتدوين سيرهم وتراجمهم وقد أراد الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى أن يكون بين عشرات الكتب التى ألفها ونشرها موضع لهذا الموضوع فأفرد له هذا الكتاب الحافل بتراجم الزاهدين الأولين فالمتنسبين بعدهم إلى الطرق الصوفية ، وفيه كثير من الفوائد كسائر مؤلفاته .

الخطبة فى الإسلام - ما لها وما عليها

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد اسماعيل عبد رب النبى - ٣٤ ص - مطبعة الإمام

رسالة لطيفة قدمها فضيلة الأستاذ المؤلف إلى الشباب العاقل تبصرة فى الحياة

الزوجية وتكوين الأسر الشريفة والخطوة الأولى (الخطبة) في الوصول إليها ، نشرها لمناسبة الحديث الذى نسميه النجم السينائى حسين صدق إلى فضيلة الأستاذ الباقورى حول هذه المواضيع فى مجلة الجبل ، وبراعة فضيلته من هذا الحديث ، وجواب المؤلف على ذلك أولا وأخيرا .

نهر و يتحدث عن سياسة الهند الخارجية

مكتب النشر بسفارة الهند بالقاهرة — ١٧٠ ص — مطابع دار الهلال

أصدر مكتب النشر بسفارة الهند بالقاهرة كتابا بهذا العنوان هو مختار من خطب رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو ، مما ألقاه فى أربع سنوات من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٦ ومن ذلك خطبته فى نقابة الصحفيين المصريين بالقاهرة فى ٢٥ يوليه سنة ١٩٥٣ وخطابه فى المؤتمر الصحفى الذى عقده بالقاهرة فى ١٦ فبراير سنة ١٩٥٥ وكلمته فى المؤتمر الأسيوى الأفريقى فى باندونج عند اختتام جلسات المؤتمر فى ٢٤ أبريل سنة ١٩٥٥ وبيانه فى البرلمان الهندى عن أعمال مؤتمر باندونج ، وبيانه بشأن قناة السويس الذى ألقاه فى مجلس الشعب فى ٨ أغسطس سنة ١٩٥٦ ، والبلاغ المشترك الذى أصدره رئيسا وزراء الهند ومصر بالقاهرة فى ١٦ فبراير سنة ١٩٥٥ ، والبلاغ الآخر المشترك الذى أصدره فى ١٢ يوليه سنة ١٩٥٥ .

أخطار التفجيرات النووية

ومما صدر عن مكتب النشر والاستعلامات فى سفارة الهند بالقاهرة البيان النفيس الذى ألقاه السيد كريشنا منون فى لجنة نزع السلاح التابعة للأمم المتحدة ، وكان ذلك فى يوم ١٢ يولية من العام الماضى .

إن البشرية ، والكرة الأرضية ، ما كانتا فى عصر من عصورها أشد تعرضا للقضاء والدمار مما هما الآن ، بعد أن دفعت رعونة الساسة فى الدول الاستعمارية الجشعة طائفة العلماء الطبيعيين إلى استنباط وسائل الإبادة والتخريب ليهودوا منافسيهم بالبطش والزوال فكان هذا التهديد إعلانا فى الوقت نفسه عن تقدم أصحابه بخطا واسعة نحو الانتحار . وهذا البيان من هذا السياسى الهندى فى الأمم المتحدة نذير بكل ذلك .

الأدب والعلوم

السياسة التعليمية في مصر

قال وزير التربية والتعليم في مجلس الأمة « إن تغيير اسم وزارة المعارف العمومية إلى وزارة التربية والتعليم دليل صادق على أن رغبة الثورة قوية في التربية والتعليم ، على عكس ما كان عليه الحال في الماضي ، إذ كان مقصوراً على تلقين المعلومات وحشد الحافظة بالمعارف العامة . ثم رأت الثورة أن تكون القاعدة التي تقوم عليها السياسة التعليمية هي « أكبر قسط من التعليم لللايين ، ثم تكافؤ الفرص لما بعد ذلك من مراحل التعليم » . لهذا تقرر أن يكون التعليم الابتدائي إجبارياً ومجانياً لمدة ست سنوات كاملة . ولابد من بذل أقصى الطاقة لتسيير ثلاث سنوات أخرى للتعليم الفني في المرحلة الابتدائية . وقد وضع برنامج لعشر سنوات تعمم فيها المرحلة الابتدائية وتنشأ عشرة آلاف مدرسة ويتم إعداد ٥٨ ألف معلم .

إعداد المعلم العربي

انعقد في بيروت مؤتمر إعداد المعلم العربي ، واشتركت فيه مصر والبلاد العربية . وقد أصدر المؤتمر التوصيات التالية :

دراسة المجتمع العربي الحاضر .

دراسة الحضارة العربية وتطوراتها ، وإبراز أثرها في الحضارات الإنسانية الأخرى .

دراسة نظم التربية والتعليم في البلاد العربية للوصول إلى مناهج متقاربة وأهداف ومستويات موحدة .

تبادل زيارات المعلمين والطلاب في البلاد العربية .

جمعيات المحافظة على القرآن

يقوم الأزهر بإدارة جمعيات المحافظة على القرآن الكريم هذا العام في أنحاء الجمهورية المصرية ، وتتبع هذه الجمعيات أربعون ألف مدرسة لتحفيظ كتاب الله وتعليم مبادئ العلوم . وتقوم مشيخة الأزهر بإعداد مناهج الدراسة في هذه المدارس ، ويشرف المفتشون الأزهريون على نشاطها الدراسي والثقافي ، وسيكون لتقاريرهم أثر في اعتماد الإعانات المخصصة لهذه الجمعيات .

مدينة البعوث الإسلامية

يتسلم الأزهر في هذا العام الدراسي مدينة البعوث الإسلامية التي شيدت في العباسية ،

إلى الجامعات المصرية

بلغ عدد الطلبات التي قدمت حتى أول سبتمبر للالتحاق بالجامعات المصرية ١٦ ألفاً و ٤٥٠ طلب ، من ذلك ٦٦٠٠ من شعبة الآداب ، و ٩٨٥٠ من شعبة العلوم ، ويشمل هذا العدد طلبة الشهادتين الثانوية العامة والتوجيهية ، وسيقوم مكتب التنسيق الجامعي بتوزيع الطلبات على الكليات المختلفة موفقاً في ذلك بين رغباتهم والنسب المئوية لمجموعاتهم في حدود العدد المطلوب الذي حدده المجلس الأعلى للجامعات بنحو ٩٣٠٠ طالب للجامعات الأربع بما في ذلك جامعة أسيوط التي ستقبل ٥٠٠ طالب في هذا العام نصفهم في كلية الهندسة والنصف الآخر في كلية العلوم .

مصانع الطائرات بمصر

لم يمر على قيام الثورة إلا وقت قصير حتى أنتج مصنع طائرات التدريب الطائرة طراز جمهورية (١) ، والطائرة طراز جمهورية (٢) . وقد ثبت أنها طائرة تدريب ممتازة في التدريب العسكري والتدريب المدني .

والأمل وطيد في أن تنمو هذه المصانع وتزدهر ، وأن تساهم مساهمة فعالة في مجال الصناعة ، بجانب تحقيق غرضها الأصلي .

وقد قدرت نفقات بنائها بحوالى مليونين من الجنيهات ، وبها ٤١ عمارة تتسع لخمسة آلاف طالب ، وسيخصص جناح منها لاستقبال الضيوف من العالم الإسلامى .

وسيقام لافتتاح هذه المدينة حفل عظيم يشهده الرئيس جمال عبد الناصر وكبار الشخصيات المصرية والإسلامية .

في كلية الطب الباكستانية

خصصت حكومة الباكستان الغربية عشرة مقاعد في ثلاث من كليات الطب هناك للطلبة من الأقطار الإسلامية ، منها مقعدان للطلبة من أفغانستان وإيران ، ومقعد واحد لكل من العراق وأندونيسيا وبورما والملايو وتركيا وغيرهن من الأقطار الإسلامية .

معرض للفنون الإسلامية بـ لاهور

يقام في نهاية هذا العام معرض للفنون الإسلامية في مدينة لاهور عاصمة الباكستان الغربية ، وينتظر أن يكون من أبرز معالمه حلقة الدراسات الإسلامية ، وتعرض فيه الرسوم الإسلامية وقطع النقود والمخطوطات ونماذج الخطوط والنماذج الزخرفية وصور الفن المعماري الإسلامى وسائر المعارض ذات الصلة بالفنون الإسلامية .

إنباء العجالة الأسبوعية

رسوم قناة السويس

زادت حصيلة مصر من رسوم المرور في قناة السويس منذ بدء عودة الملاحة فيها على أحد عشر مليون جنيه ، والعملية الاسترلينية من هذا المبلغ تزيد على خمسة ملايين جنيه .

أموال السودان في لندن

للسودان ودائع في بنك إنجلترا بلندن تبلغ عشرين مليون جنيه ، يضاف إليها عشرون مليون جنيه أخرى وافقت مصر على دفعها للسودان خصما من ديون مصر الاسترلينية المجمدة في بريطانيا ، لتغطي بها السودان عملياتها الجديدة بعد سحب العملة المصرية من السودان . وقد سافر رئيس وزراء السودان إلى لندن وسيحاول تحويل هذه الأموال السودانية من لندن إلى الخرطوم فيستغلها في مشروعاته العمرانية .

مسجد الكلية الحربية

اعتمدت وزارة الأوقاف عشرين ألف جنيه لإنشاء مسجد كبير في مبنى الكلية

الحربية يقيم فيه الأساتذة والطلاب شعائر الدين .

البغاء الرسمي

نسب إلى أحد أعضاء مجلس الأمة أنه أعد اقتراحا لإعادة البغاء الرسمي ، وفتحت إحدى الصحف صدرها لتشجيع هذه الموبقة فوقف النائب سيد جلال في إحدى جلسات المجلس وتلا المادة الخامسة من الدستور « الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق والوطنية » وقال : إن الصحف نشرت أن عضوا في المجلس يعد مشروعا لإعادة البغاء ، وتساءل : كيف ندعو إلى إعادة البغاء في الوقت الذي يعاب فيه على تقصير ملابس السيدات ؟ إن هذا لا يمكن أن يحدث ، ولا يجوز أن يقال في عهد الثورة . واستنكر نائبان آخران النشر في الصحف عن هذا الموضوع . وقال رئيس المجلس : إن هذا تقليد حسن ، ودعا الأعضاء إلى عدم إثارة أمر معد للعرض على المجلس في خارجه قبل عرضه على المجلس .

استقلال الملايو

قام دوق جاوستر - نيابة عن الملكة إليزابث - بتسليم وثيقة استقلال بلاد الملايو إلى تانجوك عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو ووزير خارجيتها . وأقيم حفل كبير لذلك في ستاد الحرية في كوالالمبور أُنزل فيه العلم البريطانى ورفع علم الملايو بين دوى الهمتاف وأنغام موسيقى النشيد الوطنى وقد شهد الحفل ٤٠ ألفا يمثلون ٢٠ دولة ، وأطلقت المدافع ١٠١ طلقة احتفالاً بهذا الحادث التاريخى . وبادرت حكومات آسيا بإعلان اعترافها بحكومة الملايو المستقلة وفى طليعتهن اليابان والصين واندونيسيا والهند .

وبذلك تضاعف الاستعمار البريطانى فى آسيا وتمزقت أوصاله ، فلم يبق له إلا جيوب فى سنغافورة وهونغ كونغ والجزء الشمالى من جزيرة بورنيو وبضع جزائر فى المحيطين الهندى والباسيفيكي ثم فى عدن .

وبمناسبة إعلان استقلال الملايو بعث الأمير عبد الرحمن رئيس وزرائها ووزير خارجيتها برقية إلى داج همرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة يطلب انضمام حكومة الملايو المستقلة إلى المنظمة الدولية .

سياسة سوريا

خطب السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية فى افتتاح معرض دمشق

الدولى الرابع فأوجز فى صراحة ووضوح السياسة التى تنهجها الجمهورية السورية فقال : « عندما اختارت هيئاتنا وجماعاتنا وأحزابنا سياسة « عدم الانحياز » إزاء صراع المعسكرات الدولية ، فعلت ذلك لأن الشعب السورى ينشد السلام فى ظلال العدل ، وينشد الحرية فى خلال الرفاهية والطمانينة . . ولأننا نطمح فى أن نقيم لأنفسنا سياسة مستوحاة من ضمير هذه الأمة ومن حاجاتها ، بل من حاجات الإنسانية فى عهدها الجديد . ومن المستحيل على دول الاحتكار والاستعمار التى جعات من الصهيونية وإسرائيل شريكاً فى العدوان والغزو أن تقيم بعد اليوم رفايتها الاقتصادية على حسابنا وعلى حساب المحرومين من الملايين فى قارتى آسيا وإفريقية . فإذا ما أحست دول الاستعمار باختلال موازينها وانهار حساباتها عمدت إلى تفريج الضائقة بالحرب ، وإلى تنفيس العجز بتفجير قوى الشر ، فلمثل هذه الغايات أقامت إسرائيل وأقامت الأحلاف العسكرية . فهى تتقدم بالمناهج الاقتصادية والسياسية المزوقة بالباطل للتدخل فى شئون الدول الحرة لتسلبها حريتها وتفرض عليها أهدافها ، وما نطمحهم علينا الآن إلا للتأمر على سلامتنا وسيادتنا وحریتنا ، بعد ما أيقنوا أننا شبيها عن الطوق وحطمتنا التقاليد الاستعمارية فى بلادنا . وكان هذا الوطن السورى فى مركز القيادة والنضال

أغسطس وسبتمبر من العام الماضي كانت المعلومات ترد عن حشد القوات الانجليزية والفرنسية . وقد بلغت قوات الأعداء في أكتوبر : ٤ مجموعات لواءات مشاة ، ولواءين فدائيين بحريين ، وألأى دبابات ثقيل ، والفرقة الخفيفة المجهزة بالدبابات ، ومجموعتين لواءى مظلات ، و ٦٢ قطعة بحرية منها بارجة وست حاملات طائرات وعشر غواصات ، عدا أربع قطع أخرى في منطقة البحر الأحمر منها حاملات طائرات . وكانت القوات الجوية تتكون من ١٦ سرب طائرات قتال و ٤ أسراب قاذفات قنابل و ١٤ سرب نقل جند وسرب هليكوبتر عدا طائرات الحاملات .

خسائرنا وخسائر العدو

قال اللواء عبد الحكيم عامر وهو يستعرض الصفحة المحيطة لمصر عند اعتداء الدول الثلاث عليها في العام الماضي : ومع كل الظروف التي قابلت قواتنا ، فإن خسائرنا في هذه المعارك أقل بكثير من خسائر الأعداء في الأرواح ، وتقدير خسائرنا في القوات المسلحة عامة - من جيش وبحرية وطيران وحرس وطني - بما لا يتجاوز ٢١٠٠ من جميع الرتب ، وهي نسبة ضئيلة بالنظر لضخامة القوات المسلحة وقت العدوان ، وكانت خسائرنا في المعدات لا تكاد تذكر .

عندما اقتنص حريته اقتناصا وراح يدعو ملايين العرب إلى «ثورة قومية» على أساليب التعامل السياسى مع دول الاستعمار التي جربت في مساحاتنا مكايدها ومؤامراتها طوال الأحد عشر عاما من أعوام الاستقلال ، فارتدت عليها في كل جولة خسارة ووبالا .

وإننا مهما أثارت الصهيونية أو الدول الطامعة من غبار التهويش والتضليل سائرون نحو أسلم طريق ، نقاوم بكل أسباب المقاومة كل أسلوب من أساليب التدخل ، ونمدينا بريئة لناعامل بالحسنى كل من يعاملنا بالحسنى .

أريدكم أيها المواطنون أن تطمئنوا إلى سلامة أرضنا الداخلية وسداد سياستنا الخارجية ، وأننا حريصون على حرية هذا الوطن وسيادة الأمة العربية في جميع مرافقها وشئونها . وأريدكم أن تعملوا وتبنوا وتنشئوا وتوسعوا أسباب التبادل والتعامل بقدر ما لوطننا من إمكانيات وحاجات . ونحن لسنا لقمة سائغة يتناولها الجشعون بالسهمولة التي يتصورونها . ولقد برهنتم أنكم في مقدمة الشعوب دفعا للضميم وصيانة للعزة القومية » .

القوات التي هاجمت مصر

قال وزير الحربية اللواء عبد الحكيم عامر في بيان ألقاه في مجلس الأمة : خلال شهرى

مصانعنا الحربية

قال وزير الحربية المصرية في مجلس الأمة :
إنه ما من دولة مستقلة متحررة إلا وتعتمد
على نفسها في سد حاجياتها من عناصر التسليح
الأساسية ، فالاعتماد على الغير في هذا السبيل
لا يؤمن عاقبته .

وتمشيا مع مبادئ الثورة أخذت الحكومة
على عاتقها انتشال المصانع الحربية من عثرتها
ودفع عجلاتها إلى الأمام ، وإخراجها من دور
الإعداد والتفكير إلى مجال الانشاء والتشغيل
ولم ينته عام ١٩٥٤ إلا وكانت المصانع الآتية
قد بدأت في الانتاج وهى :

مصنعان للذخيرة ، ومصنع للذخيرة
المضادة للطائرات ، ومصنع للأسلحة
الصغيرة ، ومصنع للذخائر غير الحديدية .
واطردت المهمة في باقى المصانع .

وقد انتهت بالفعل مراحل الانشاء ،
وبدأت مراحل الانتاج فى مصنع البوادر
والمواد المضئئة ، ومصنع المفرقات والمواد
القاذفة ، وقاربت مراحل الانشاء على النهاية
فى مصنع لانتاج الذخيرة الثقيلة بأنواعها ،
ويجرى العمل حاليا فى توسيع مصانع المواد
الحارقة بأنواعها .

ولقد أثبتت المصانع جدارة فائقة بالرغم
من حداثة عهدھا ، وحققت فى العامین
الماضیین إنتاجا زادت قيمته على سبعة
ملايين جنيه .

وقد أعدنا تنظيم قواتنا وتسليحها فى سرعة
فائقة . وإن قواتنا المسلحة البرية والبحرية
والجوية أصبحت الآن كاملة المعدات ،
وإنها على أتم استعداد للقيام بواجبها
فى أى وقت .

وأعلن اللواء عبد الحكيم عامر أن قواتنا
الجوية الآن أصبحت أكثر من ضعف
ما كانت عليه قبل العدوان .

برنامجنا العسكرى

جاء فى بيان وزير الحربية الذى ألقاه
فى مجلس الأمة إن برنامجنا العسكرى يتضمن
ست نقاط رئيسية هى :

١ - بناء الجهاز الدفاعى المطلوب لتأمين
قلب الجمهورية ، وبناء قاعدة شعبية مسلحة
واتخاذ خطوات جديدة للوقاية من الحرب
النووية (الذرية) والتوسع فى بناء القواعد
الجوية .

٢ - المضى فى تنظيم وتسليح قواتنا فى
ضوء الالتزامات الجديدة .

٣ - تعزيز العناصر الضاربة فى القوات
المسلحة بما يحقق لها السيطرة الكاملة .

٤ - الارتقاء بالمستويات الفكرية
والعلمية والفنية داخل القوات المسلحة .

٥ - تعزيز إمكانياتنا فى ميدان الإنتاج
الحربى .

٦ - الالتزام بتنفيذ الاتفاقيات العسكرية
الثنائية المعقودة مع الدول العربية المتحررة .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم
٩٧	تهذيب البغوى	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١٠٥	نفحات القرآن : من عجائب الفصوص الكريمة	» عبداللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
١٠٩	السفة : مكان النصيح فى الاسلام — ٢ —	» طه محمد الساكت
١١٣	حصوننا مهددة من داخلها — ٢ — . .	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى بجامعة الاسكندرية . . .
١٢٣	فى معترك الحياة العامة	الأستاذ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر . .
١٣٠	دعوة الاسلام ومنهجها فى الإصلاح — ٢ —	» يس سويلم طه المفتش بالأزهر . .
١٣٥	من الهدى المحمدى	» محمد محمد أبوشهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
١٣٩	الاسلام والمسلمون فى صحف العالم	» محمد فهمى عبد الطيف
١٤٣	أصول الحرية فى منهج الفقه كبرى الاسلامى .	» فتحي عثمان
١٥١	لغزويات	» محمد على النجار
١٥٥	تحية الأزهر « قصيدة »	» سيد عبد الرؤوف سيد
١٥٧	النصيحة	» محمد الطنبخى عضو جماعة كبار العلماء
١٦٠	بشائر العام الهجرى الجديد — ٢ — . .	» عباس طه
١٦٣	من قصيدة الأستاذ محمد صالح الريدى . .	المشرف العام على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم فى احقة الهام السنوى . . .
١٨٤	جماعة الشرق الأوسط «للتعاون الاسلامى المسيحى»	عربى مسلم
١٦٩	أم المؤمنين أم سلمة	الأستاذ محمود النواوى
١٧٦	تعليمات : « خطبة الجمعة وخطيبها » . . .	» عبداللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
١٨٠	إلى جزيرة العرب	فؤاد الخطيب
١٨٢	السكرت	المجلة
١٨٦	الأدب والعلوم	»
١٨٨	العالم الاسلامى	»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	
مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِ	
الإشترك السنوي	
في وادي النيل	٤٠٠
لطلبة وادي النيل	٤٠٠
للأستاذ والمدرسين بالوادي	٣٠٠
خارج الوادي	٥٠٠
للطلبة خارج الوادي	٣٠٠
للأستاذ والمدرسين خارج الوادي	٤٠٠

مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِ

مَجْلَدُ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ

تصدر عن شيخ الأزهر في أول شهر عربي

مَدِيرُ المَجْلَدِ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

العنوان

إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة

تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الثالث - القاهرة في غرة ربيع الأول ١٣٧٧ - ٢٥ سبتمبر ١٩٥٧ - المجلد التاسع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كيف نحب رسول الله ؟

وبماذا نحب ذكراه ؟

عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » حديث صحيح من الأربعين النووية

كان المسلمون - من زمن الدولة الأيوبية إلى أواخر الدولة العثمانية - يحتفلون بذكرى المولد النبوي الشريف بتلاوة رسائل مؤلفة في قصة المولد ، أدركنا منها مولد السيد جعفر البرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة المتوفى سنة ١١٧٧ ، ومولد الشيخ الدردير (١١٢٧ - ١٢٠١) ، وأقدم منهما مولد الشيخ عبد السلام اللقاني (٩٧١ - ١٠٧٨) ومولد النجم الغيطي المتوفى سنة ٩٨١ ، ومولد ابن حجر الهيتمي (٩٠٩ - ٩٧٣) ، ومولد ابن الديبع البيني (٨٦٦ - ٩٤٤) ، ومولد عائشة الباعونية المتوفاة سنة ٩٢٢ . وهذه الموالد فيها الصحيح وفيها الضعيف ، وفي أيدي الناس موالد أخرى قد يغلب سقيمها على صحيحها .

وكانت مجالس قصة المولد تطابق فيها مجامع البخور ، وندار فيها تقام ماء الزهر وماء الورد ، وتوزع فيها قراطيس الملبس والحلوى .

وفي دار السلطنة العثمانية كانت تتلى قصة المولد بالتركية نظماً ، وهى من نظم سليمان البرسوى المتوفى بعد سنة ٨٠٠ ، وكان إماماً للسلطان بايزيد .

والاحتفال السنوى بالمولد النبوى لم يكن معروفاً فى الإسلام قبل الدولة الأيوبية ، فقد أحدث ذلك منهم صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوك برى (٥٤٩ - ٦٣٠) وكان صهر السلطان صلاح الدين على أخته ربيعة خاتون بنت أيوب ، فكان المظفر يقيم لذكرى المولد النبوى فى كل عام سماساً يكلف الدولة أموالاً طائلة [١] .

وفى أيامه قدم من المغرب الحافظ أبو الخطاب بن دحية ، فدخل الشام والعراق ، واجتاز إربل سنة ٦٠٤ فوجد ملبسها المظفر يعنى بالمولد النبوى ، فألف له كتاب (التنوير فى مولد البشير النذير) وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار . ولعل هذا الكتاب أول ما ألف فى قصة المولد خاصة ، ومن المستبعد أن يكون مولد العروس المنسوب إلى أبى الفرج بن الجوزى (٥٠٨ - ٥٩٧) من تأليفه ، وكذلك المنسوب لعبد الرحيم البرعى ، بل إن الوراقين أسرفوا فزعموا أن لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما كتاباً فى قصة المولد . والمعقول أن ذبوع التأليف فى هذه القصة بعد عصر أبى الخطاب بن دحية الذى كان أول من أفرد هذا الموضوع بالتأليف .

ولما أخذت عادة الاحتفال بالمولد تنتشر فى العالم الإسلامى بعد الملك المظفر صاحب إربل ، وخالطها وانضاف إليها ما اعتادته الجماهير فى مثل هذه الأحوال من ارتكاب الآثام ، قامت المناظرات والمناقشات بين العلماء فى حرمة أصل هذه العادة باعتبار أنها لم تكن فى الستة القرون الأولى للإسلام ، وفى مقاومة المحرمات التى انضافت إليها ، فأجمع الجميع على حرمة كل ما خالف الشرع مما يرتكب فى الموالد ، ثم اختلفوا فى أصل المولد والتزام إقامته ، وفى حكمه الفقهي : هل هو واجب أو مندوب أو مباح

(١) نقل نيس الدين سبط ابن الجوزى (٥٨١ - ٦٥٤) فى تاريخه [مرآة الزمان] عن حضر سباط المظفر فى بعض اللوالب أنه عد فى ذلك السباط خمسة آلاف رأس غنم مشوى ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة فرس ، ومائة ألف زبدية ، وثلاثين ألف صحن حلوى . وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيعلم عليهم الخلع ويطلق لهم الجوائز . ويعمل الصوفية سماساً من الظهر إلى الفجر ، ويرقص بنفسه معهم ، وكان يصرف على المولد فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ذهباً .

أو مكروه أو محرم ، فـكتب في ذلك أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (٦٥١ - ٧٣٧) المعروف بابن الحاج المتوفى بالقاهرة في كتابه (المدخل إلى تنمية الأعمال) الذي فرغ من تأليفه في المحرم سنة ٧٣٣ ، واشتد في المنع والتحریم الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي الإسكندري في كتاب ألفه اسمه (المورد في عمل المولد) ، واعتدل في مناقشته الجلال السيوطي (٨٤٩ - ٩١١) في رسالة سماها (حسن المقصد في عمل المولد) وهي منشورة في الجزء الأول من كتابه (الحاوي للفتاوى) ص ١٨٩ - ١٩٧ .

وآخر العهد باحياء الذكرى في القاهرة كان باقامة الحفل الرسمي في صحراء العباسية ، وكانت تشترك فيه الطرق الصوفية بشاراتها ودفوفها ، وتتل في فيه القصة ويحضرها رأس الدولة أو من ينوب عنه ، وتطلق فيها الأنوار والسواريح إلى ساعة متأخرة من الليل .

وقد أدرك الناس إلى عهد قريب نمطاً آخر من حفلات المولد لا تزال له بقايا إلى الآن يتغنى فيها بأناشيد المديح التي اشتمر بها الشيخ علي محمود ومن زامله أو تقدمه ، نقلوا ذلك عن شيوخ لهم من مولوية قونية وموسيقى الدولة العثمانية .

وفي عشرات السفين الأخيرة تحول إحياء ذكرى المولد النبوي إلى الحفلات التي نشاهدها في مصر والبلاد العربية والإسلامية ، وتلقى فيها الخطب البليغة والقصائد الرائعة ، ومن النادر جدا في هذه الخطب والقصائد ما تتخاطب فيه القلوب مما تكون له نتائج عملية في تربية الأسوة والقُدوة لإصلاح المجتمع الإسلامي .

والآن ونحن ننقل من مراحل القول إلى مراحل العمل في نواحي حياتنا كلها ، ونحاول أن نستمد القوة والرجاحة والسداد من ينابيع قوتنا ، ومصادر ثروتنا الأدبية والمادية ، فقد آن لنا - في تقديري - أن نعمل على إحياء ذكرى حامل أكل رسالات الله إلى الإنسانية ، باحياء عناصر رسالته التي حملها إيماننا وإلى الإنسانية .

روى أنس خادم النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » رواه الإمام أحمد في مسنده ، والبخاري ومسلم في صحيحيهما ، وابن ماجه والنسائي في سننهما .

وكلنا نحب رسول الله ، ونبرهن على محبتنا هذه بأساليب مختلفة على قدر علمنا ، وما توجهنا إليه عواطفنا ومعارفنا . ولـكن علمنا أن نمتحن محبتنا له كلما أردنا أمرا من أمورنا ، وكلما ترددنا في اختيار الشيء أو ضده من شئوننا ، بأن نعرضه على ما نعلمه من سيرته عليه السلام ورسالته ، فإذا كان مانريده ونختاره مما نعلم أنه صلوات الله عليه

يحبّه ويسره فإن ذلك دليل على صدقنا في محبة رسول الله وحبيبه ، وإذا كان ما نريده ونختاره مما نعلم من سيرته ورسالته أنه يسوؤه ويكرهه فهذا دليل كذبنا فيما ندعيه من المحبة له ، وانحرفنا عما نتظاهر به من الانتساب إليه . وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » فحببتنا لرسول الله تقاس بمقدار محبتنا للبادئ والسنن والتوجيهات التي بعثه الله بها ، وبمقدار إقامتنا لها ، وتعميمها في المجتمع الإنساني ، وإحياء ذكرى صاحبها بها .

وإذا أحببنا النبي صلى الله عليه وسلم بال التزام ما يحبه ، ونبذ ما يسوؤه ، في كل تصرفاتنا ، فإننا نكون بذلك من إخوانه الذين آمنوا به ولم يروه . فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أنس أن النبي صلوات الله عليه قال : « وددت أني لقيت إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني » . فإياه من مقام عظيم ، وشرف لا يدانيه شرف ، أن نكون نحن في عصرنا هذا ، بعد النبي صلوات الله عليه ببضعة عشر قرناً ، ونكون مع ذلك « إخواناً » له في مقابل أن يكون هو أئمة لما بعثه الله به ، ويتحدث هو عنا فيقول : « وددت أني لقيت إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني » . فبلوغ هذا المقام الرفيع بالإيمان به ، ولا يؤمن به إلا من يكون هواه تبعاً لما جاء به ، فمحبة بحبة رسالته وتحقيق ما بعثه الله لتحقيقه ، وبهذا نحى سنته ، وطريقته في الحياة ، وبذلك نحى ذكراه .

مما يحبه الله لأئمة أن تكون أمة صدق ، والمسلم الذي يعاهد نفسه - في سره ، وبين يدي ربه - على أن يكون من محبته لنبيه أن يؤثر الصدق في تصرفاته ، سيكافئه الله على ذلك بأن يحببه إلى الناس ، ويبارك له في رزقه ، ويحفظ له كرامته ، ويرفع مقامه في الدنيا والآخرة . وأنا أكتب هذا ونحيل إلى أني أسمع صوت النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبد الله بن مسعود : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار . ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » . رواه الإمام أحمد في مسنده ، والإمام البخاري في الأدب المفرد ، والإمام مسلم في صحيحه ، والترمذي في سننه . فالصدق من صميم الرسالة التي بعث الله بها صاحب هذه الذكرى ، وإقامة الصدق وتعميمه بين المسلمين ، وفي بيوت المسلمين وأسواقهم ومجتمعاتهم ، من أهم وسائل إحياء الذكرى المحمدية ، والذي يحب صاحب هذه الذكرى ينبغي له أن يتجنب إليه بإحياء

هذا العنصر من عناصر رسالته . ويوم يتم لنا ذلك تكون لنا منه قوة ترتفع بها من الخضيض إلى الأوج .

ومن عناصر رسالة صاحب هذه الذكرى الاعتدال والرفق والاقتصاد والتوسط في الأمور كلها . روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال : « عليك بالرفق ، فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه » رواه مسلم في صحيحه . وروى البخاري في الأدب المفرد عن أم المؤمنين أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش » . وعن بريدة في مسند الإمام أحمد وفي مستدرک الحاكم على الصحيحين وسنن البيهقي أن رسول الله قال : « عليكم هديا قاصدا ، فإنه من يشاء هذا الدين يغلبه » . وفي حديث عمران بن حصين في المعجم الكبير للطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم من الأعمال بما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا » .

والرسالة المحمدية لا يحاط بها ، وقد كَوّن الله بها خير أمة أخرجت للناس ، ولا تزال هي هي كما هي ، فإذا أردنا - ونحن ننتقل الآن إلى طور جديد في الحياة - أن نكون نحن خير أمة أخرجت للناس كما كان سلفنا الأول من الصحابة رضوان الله عليهم ، وأن نجد النهضة المحمدية التي كانت معجزة من معجزات التاريخ ، فالأمر لنا ، وفي متناول أيدينا ، إنه الإسلام الذي وصفه مصطفى صادق الرافعي بقوله :

« هو دين يعلم بالقوة ويدعو إليها ، ويريد إخضاع الدنيا وحكم العالم ، ويستفرغ همه في ذلك ، لا لإعزاز الأقوى وإذلال الأضعف ، ولكن للارتفاع بالأضعف إلى الأقوى . و فرق ما بين شريعته وشرائع القوة أن هذه إنما هي قوة سيادة الطبيعة وتحكمها ، أما هو ف قوة سيادة الفضيلة وعملها وتغلبها . تلك تعمل للتفريق ، وهو يعمل للمساواة . وسيادة الطبيعة وعملها للتفريق هما أساس العبودية ، وغلبة الفضيلة وعملها للمساواة هما أعظم وسائل الحرية . ومن هنا كان طبيعيا في الإسلام ما جاء به من أنه لا فضيلة إلا وهو يطبع عليها صورة الجنة بنعيمها الخالد ، ولا رذيلة إلا وهو يضع عليها صورة النار الأبدية وقودها الناس والحجارة ، فلا تنظر العين المسلمة إلى أسباب الحياة نظرة الفسك المنازع - يحرص على ما يكون له ، ويشره إلى ما ليس له ، ويمكر الحيلة ، ويبعد وسائل الخداع ، ويزيد بكل ذلك في تعقيد الدنيا - بل نظرة القاب المسالم : يخلع الدنيا ويسخو بكل مضمون فيها ، فيبغ عن كثير ، ويعرف الإنسانية ويطمع في غاياتها

العليا فيعفو عن كثير ، ويدرك أن الحلال وإن حل فوراءه حسابه ، وأن الحرام وإن غر ليس إلا تعمل ساعة ذاهبة ثم من ورائه عقاب الأبد . ونخرج من ذلك أن يكون أكبر أغراض الإسلام هو أن يجعل من خشية الله تعالى قانون وجود الإنسان على الأرض ، فمن أى عطفية التفت هذا الإنسان وجد عن يمينه وعن يسارته ملئكة الله يكتبان أعماله بخيرها وشرها ، فهو كالمتهم المستتراب به في سياسة النفس : لا يمشى خطوة إلا بين جاسوسين يحصيان عليه حتى أسباب النية ، ويجمعان منه حتى نزوات السكبد ، ويترجمان عنه حتى معاني النظر . وإذا الإرادة الحكيمة في الإنسان ، وإذا كل ما في الإنسان وما حول الإنسان لا يراد منه إلا سلام النفس في عاقبتها ، وإذا معنى السلام هو المعنى الغالب المتصرف في دنياها . فليس يعم السلام إلا إذا عم هذا الدين بأخلاقه ، فشمل الأرض أو أكثرها . فان قانون العالم حينئذ يصبح منتزعا من طبيعة التراحم ، فاما انتسخ به قانون التنازع الطبيعي ، وإما كسر من شرته ، ويولد المولود يومئذ ، وتولد معه الأخلاق الإنسانية .

وبعد فان سهل بن سعد الساعدي الأنصاري - وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة - يروى عن رسول الله صلوات الله عليه أنه قال : « عند الله خزائن الخير والشر : مفتاحها الرجال . فطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير ، مغلاقا للشر . وويل لمن جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير » وهو حديث صحيح رواه الطبراني في معجمه الكبير والضياء المقدسي في المختارة . وخزائن الخير التي عند الله هي جملة ما بعث به رسوله وحييه مجدا إلى الإنسانية إذا أرادت السعادة ، وخزائن الشر عند الله هي ما تسوله شياطين إسرائيل لاساسة الأرض من السكبد والمكر والبغى ، ولن نستطيع أن نقف في وجه ذلك كله إلا إذا رجعنا إلى إسلامنا بسننه ومبادئه وقواعده وأخلاقه وأحكامه فجعلناها عنوان محبتنا لحبيب الله محمد بن عبد الله ، وتوسلنا بإحيائها لإحياء ذكراه ، وبذلك نكون من أصحابه كأصحابه الأولين ، ومن إخوانه كإخوانه السابقين . وفي الصحيح من حديث أنس وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « عيان لا تصيها النار : عين بكت في جوف الليل من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » . والحراسة في سبيل الله كما تكون حراسة الأوطان ، فهي كذلك وقبل ذلك حراسة رسالة سيد بني الإنسان . فالويل كل الويل للعاملين على هدمها ، وطوبى لكل من يكتب الله له سهمها في إقامة معالمها والذب عن حماها .

حب الدين الخطيب

نفاية القرآن

— ٥٣ —

الثقافة المدنية المدخولة أشبه بالجاهلية الأولى
في اضطراب العقيدة ، وذبذبة الأخلاق .

« الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » .

في ظلمة الجاهلية الأولى كانت عقيدة الناس حائرة بين حق وباطل ، وهوداء واضطراب . وكانت أفهامهم سقيمة ، تكاد لا تميز بين خبيث وطيب ، ولا ترجح خيرا على شر ، وأوضح ما كان من تلك الحيرة وهذا الاضطراب عقيدتهم في ربهم الذى خلقهم وأفسح لهم دنياه ، وتولى أمرهم فيها ، وكشف لهم عن ألوهيته بأثار قدرته فيما يقع تحت أبصارهم من صنائعه في هذا الوجود ، وبما ينخر به الكون من آيات بينات ... وكان للناس شىء من العذر في عمايتهم عن تفقد هذه المعالم الواضحة ، فان للعقول نطاقا محدودا في مداركها ، وفطنتها ، فضلا عن حرمانها يومذاك من مؤهلات علمية تفسح لها طريق الاهتداء بما يتكشف لها من معالم الكون ... ومع هذه الضلالة كان للناس اعتراف بالله ، وأنه خالق السموات والأرض ، وأنه ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها .

ولم يبلغ بهم الانحطاط في الإدراك ، أو التبجح في الشقاق أن يتجاهلوا الربوبية إطلاقا ، كما جهلوا اليوم الآخر مثلا ، بل ساورتهم جهالتهم فاتخذوا أربابا متفرقة وعبدوا الأباطيل من أصنام ونحوها ، وزعموها تقر بهم إلى الله الذى آمنوا بأنه خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر .

فلما جاءتهم البينات من عند الله على ألسنة رسله ، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم تردد فيها ، أو تخلف عنها من غلبت عليهم شقوتهم ، وظلوا على شىء كثير من جهالتهم ومتابعتهم لما كان عليه آباؤهم ، وتشبث به كبارهم ، وهنا كانت وطأة القرآن عليهم شديدة ، ووخزاته فيهم أليمة ، إذ لم يعد لهم عذر في جهل ما كانوا يجهلون ، ولا في التنكر لما جاءهم من عند الله .

وكان من مقارعة الكتاب الكريم لتلك القلوب المتحجرة أن يستنفضها إلى تلييته

مثل قوله تعالى : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض » . وهذا وصف يقررونه وليس تلقينا لهم : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ؟ ؟ ليقولن : الله » .

ومع تقريرهم لهذا الوصف الحق كانوا ينصرفون عن توحيدهم فيتخذون آلهة أخرى ، تقريرهم إلى الله ، وهذا عدول عن الحق الذى يقتضيه اعترافهم ، وهى معادلة وتسوية بين الله الحق ، وما يزعمونه آلهة يتقربون إليها بالقرايين . وذلك اضطراب فى العقيدة ، وحيرة فى مجال الإيمان . . . فلما دعاهم ربهم إلى توحيدهم ناقضوا أنفسهم وأشركوا مع الله غيره فى العبادة ، فسخر القرآن منهم ، وأخذها عليهم جريرة غير هينة ، وسجل الكفر عليهم فى قوله تعالى : « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » . وتلك معادلة ظالمة ، ومساواة غاشمة من عقول حمقاء منحرفة .

ثم سار القرآن فى توجيه الناس إلى الحق سيرا حثيثا حكما فتارة يذكرهم بدلائل ربوبيته ماثلة فى أشخاصهم : « هو الذى خلقكم من طين » أو يعتب عليهم فى رفق : « ثم أنتم تمترون » يعنى تتشككون وتتجادلون فى وحدانيته وتارة يقرع أسماعهم بالهجة العظيمة ، وأسلوب الإرهاب ليهزم مشاعرهم الخالدة ، ويلوى رقابهم المتصلة فىقول سبحانه وتعالى : « وهو الله فى السموات وفى الأرض ، يعلم سركم ، وجهركم ، ويعلم ما تكسبون » . يعنى : هو الله المعترف به وحده فى السموات وفى الأرض ، وهو المعبود فيهما وحده بالحق ، سواء : أبادرتم إلى توحيدهم ، أم تخلفتم ولن ينقص من ألوهيته أن تضل عقول فى معرفته أو تنقطب وجوه فى استقبال دعوته ، والاستجابة لرسله . وهو بمقتضى ألوهيته قادر عليكم ، وعلمه محيط بكم : « فهو يعلم سركم وجهركم » ولا يند عن علمه ما يغيب عنكم من شئون .

ثم يصارحهم بتهديد زاجر ، وتخويف مزيج فيقول سبحانه فى شأنهم « فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » فوقف القرآن من المكذبين موقف الناصح فى دعوته يترفق تارة ، ويتشدد أخرى ، ثم ينتهى بهم إلى قول فصل ، ووعيد حاق ، حتى لا تكون معذرة « فسوف يأتهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » . فهناك جزاء ينتظرهم فى موعد لن يخلقه الله مع خلقه .

وقصة القرآن مع أولئك هى قصته الجارية على من يشاكلهم فى التكذيب ويحاكيهم فى التمرد . . . والفصل القرآنى كله للتذكير والتحذير لمن شاء أن يتذكر ويحذر .

وإذ نحن اليوم في غمرة من الثقافة نرى نسكسة خطيرة لاضطراب العقيدة ، نسكسة جلبتها الثقافة المدخولة ، وهي شر من الجاهلية الأولى .

ولو تركت تلك الثقافة المدخولة ، تنفت سمومها في الجليل الحاضر ، باسم العلم وحرية البحث ، وبدعوى أن مقاومتها تزمت ، وتخلف عن الركب ، إذا تركت تلك الثقافة تتغلغل في الشباب الجامعي باسم التجديد ، وتتسرب إلى البيوت والمصانع ، والمجتمعات في ظل التسامح معها ، والتغاضي عن ضرورها فإنها تهدم من بناء المجتمع أكثر مما يبنى العلم والتعليم ، وإنها لتخشد من النظام الجماعي والاستقرار الأدبي أكثر مما يبذل في دعم النظام وتوفير الاستقرار .

إنها ثقافة تلبس ألوانا مخزية للعقول ، فهي تلهج مرة باسم الوجودية التي تنسك وتنسك في وجود الله سبحانه ، ولم تحط الجاهلية الأولى إلى هذا الدرك من الإسفاف ، وإنها تلهج مرة ثانية بالإباحية ، والنهوين من شأن الأخلاق عند من يلتزمون رعاية الأخلاق . وإنها لتجد مجاها فسيحا في بعض المجلات والصحف ، وهي آمنة من سلطان يكتبها ويأخذها بجريرتها ، بل وهي آملة أن تجرف ما هنالك من حياء ، وما بقي من رعاية للتقاليد ، وما يدعو إليه الناصحون الغيورون .

إنها ثقافة مدسوسة علينا في وطننا هذا لتنتزع من بينتنا معاني الإنسانية ولتدفع بنا في تيار تأباه العروبة ، وإذا استسلمت له فلن يدع لها سببا من أسباب الطموح ، ولن تجد في صفوف الشباب من يحفظون للعروبة تراثها المجيد .

وبينما نرى مصر ناهضة في وجه عدوها السياسي نهضة مشبوبة : نرى دعوة الإباحية ومقاتن الأهواء زاحفة في غير تراث نحو البيئة المصرية زحفا يثير الغضب أو يقتضي المبادرة إلى صده في غير هوادة ، وإن لم يكن ذلك ، وبقيت دعوة الإباحيين على نشاطها في غفلة الغيورين على الأخلاق ، وعلى هذا الوطن ، وبقيت على نشاطها للكسب المادي من طريقها المشئومة فان الطمع في رعاية الله لنا ضرب من الخيال ، وإن الله أخذ بحقه منا ، وإن الله لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ما

عبد اللطيف العبيدي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

النصيحة

الدين النصيحة

منهاج التربية النبوية - موقع النصيحة من الدين -
تفسيرها بما ينبغي للنصوح له - أئمة المسلمين صنفان -
حياة تميم - جهلنا بكنوزنا وهي بين أيدينا !!

عن تميم الداري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ؛ ولأئمة المسلمين وعامتهم .
(رواه مسلم) .

بدأنا أحاديث النصح في الإسلام بحديث جرير بن عبد الله رضى عنه : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » وبيننا في الجزء الماضي كيف كانت منزلة هذا الحديث من السنة ، بمنزلة سورة « العصر » من الكتاب المبين .

ونظرة في حديث تميم هذا ، الذى وعدنا أن نقف به على حديث جرير ، تبين أنه أولى أحاديث النصح بسابقه ، وأدناها إلى أن تكون فاتحة بيان وتفصيله ، فيما يأتى بعده إن شاء الله ، من بيان وتفصيل .

وحديث تميم في إيجازه الجامع ، وإجماله الرائع ، يبين منزلة النصيحة من الدين ، فيجعلها عماده وملاكه ، بل يجعلها الدين كله أصوله وفروعه وآدابه ، وتلك هى خصال الإسلام والإيمان والإحسان ، فى حديث جبريل عليه السلام ، الذى قال العلماء فيه :

إنه من السنة ، بمنزلة الفاتحة من الكتاب ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه في خاتمة هذا الحديث : هذا جبريل أناكم يعلمكم دينكم ، بفعل تلك الخصال كلها دينا .

وإذا كان حديث تميم هذا مجالا بالقياس إلى ما سواه من أحاديث النصيحة المفصلة ، فإنه على إجماله وإيجازه ، جماعها وعمادها ، وإليه مردها في مقصدها ومغزاها . .

* * *

وإمام المرين صلى الله عليه وسلم ، يربى أمته بالإجمال ثم التفصيل ، ويبين للناس ما نزل إليهم ، متدرجا في البيان تدرج التنزيل ، ثم يتبع هذا التفصيل إجمالا جامعا ، في بيان رائع ، هو الشمس ساطعة والنهار دليلا .

فهل يعلم أساطين التربية وعلم النفس والاجتماع ، في أرجاء دنيانا الحديثة ، أن منتهى ما بلغوه من أسس ، وما وضعوه من قواعد ، وما طاروا به فرحا وتبها من كشف اجتماعي زعموا أنه جديد ، أو نهج تربوي انفقوا على أنه رشيد ، هل يعلمون أن ذلك كله وما هو أقرب منه نفعا ، وأعظم منه رشدا ، من المبادئ الأولى في منهاج التربية النبوية التي جاء بها معلم الناس الخير ، ومخرجهم من الظلمات إلى النور ، وهاديهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم ؟ .

* * *

بين الحديث إجمالا موقع النصيحة من الدين ، ثم بين تفصيلا لمن تكون النصيحة ، ثم ترك تفصيل ما ينبغى للناس والمنصوح ، لأحاديث أخرى تأتي في مواطنها بعون الله تعالى وتوفيقه .

* * *

والنصيحة أجمع كلمة وأدناها على إخلاص الناصح ، وعنايته بالمنصوح له ، وقيامه بكل ما ينبغى له من وجوه الخير قولاً وعملاً ، لا جرم أن النصيحة إذا تختلف باختلاف المنصوح .

فالنصيحة لله تعالى : صدق الإيمان به ، وصحة الاعتقاد في وحدانيته ، وإخلاص النية في عبادته ، والحب فيه والبغض فيه ، وموالة من أطاعه ومعاداة من عصاه ، ووصفه بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص .

والنصيحة لكتاب الله تعالى : إجلاله وتعظيمه ، وتعلمه وتعليمه ، والعمل به والتأدب بأدبه ، والوقوف عند حدوده ، والذب عنه والدعاء إليه ، والإنفاق في سبيله .

والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : تصديقه والإيمان بكل ما جاء به ، وتعظيمه وتوقيره ، وإحياء سنته ، ونشر دعوته ، والافتداء به والتأدب بأدابه ، وإيثاره على المال والولد والناس أجمعين .

* * *

وغنى عن البيان أن هذه النصائح الثلاث متلازمة مترابطة ، ويمكن أن تغني إحداها عما عداها ... ولسكنها ذكرت كلها متعاطفة ، لتعظيم حق الله وحق كتابه وحق رسوله ، وتوكيد ما ينبغى لكل من الإخلاص والتوقير ...

* * *

وأما النصيحة لأئمة المسلمين ، فهي طاعتهم في غير معصية الله عز وجل ، ومعاوتهم على البر والتقوى ، وحب صلاحهم ورشادهم ، وإعزازهم بعزة الله ورسوله والمؤمنين ، وحب اجتماع الكلمة لهم ، وبفض التفسيق والاختلاف عليهم ، ودعوتهم إلى الخير ، والتلطف معهم في الإبعاد عن الشر ، وحفظ عهدهم وبيعتهم ، ما أقاموا الصلاة ...

ومن أئمة المسلمين فقهاؤهم وعلمائهم ، الداعون إلى الخير ، والآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ... لهم حق الطاعة والامتنال ، والتوقير والإجلال ، والأخذ عنهم فيما فقهوا من الكتاب والسنة ، ورووا عن أعلام هذه الأمة ...

وجملة القول أن أئمة المسلمين هم الصنفان اللذان إذا صلحوا صلح الناس ، وإذا فسدوا فسد الناس ، وزجروا أن نبين ما لهم وما عليهم في حديث خاص .

* * *

وأما النصيحة لعامة المسلمين ، فتعليمهم وإرشادهم والرفق بهم ، وحب الخير لهم ، ودفع الأذى عنهم ، والزهد عما في أيديهم ، وإصلاح السيرة والسريرة فيهم ، وقضاء حاجاتهم والعفو عن سيئتهم ، والدعاء باصلاح دينهم ودنياهم .

هذه كلمات مجملة في هذا الحديث الجامع ، الذي نخش أن أصله كل حديث بعده في النصيح والدعوة ، مما نعرض له بعد إن شاء الله .

بقيت نظرة لاغنى عنها ، في حياة تميم رضى الله عنه ، راوى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان بينه وبين هذا الحديث نسبا يكاد يتميز به عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ولو أنا تفصينا البحث ما وسعنا الجهد ، عن كل ما امتاز به صحابي في روايته ، إذا لا تهيننا إلى آيات وعجائب في علم النفس والتربية والاجتماع ، تضاف إلى كنوزنا الفريدة ، التي نجهلها وهى بين أيدينا !!

* * *

هو تميم بن أوس . . ويكنى أبا رقية ، بابنة ليس له سواها ، ينسب إلى جده الدار ابن هانئ ، ويقال الديري ، نسبة إلى الدير الذي كان يتعبد فيه قبل الإسلام ، فانه كان نصرانيا وأسلم سنة تسع من الهجرة ، وروى له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثا روى مسلم منها حديثه هذا . وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه قصة الجساسة [١] دابة معدودة في آيات الساعة ، وتلك منقبة شريفة لميم ، لا يشاركه فيها غيره ، وتدخل في رواية الأكا بر عن الأصاغر .

قدم تميم المدينة ، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وظل بالمدينة إلى أن انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان رضى الله عنه ، وسكن فلسطين . كان كثير التعبد والتهجد ، قام ليلة بآية واحدة حتى أصبح ، قوله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكون » .

وتميم أول من أسرج السراج في المسجد ، وأول من قص في صدر الإسلام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن من عمر ، ثم بأذن من عثمان ، رضوان الله عليهم . والقصص تذكير الناس وترقيق قلوبهم بالمواعظ المؤثرة ، وكثير منه مدخول بعد الصدر الأول ، وربما عرضنا لتفصيل شيء منه بعد . والله المستعان على النصيحة له ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

طه محمد الساكت

[١] تفسير هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث أصحابه عن المسيح الدجال والجساسة ، في آيات الساعة ، فلما أسلم تميم قص على النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك مما تعلمه من الكتب السماوية السابقة قبل تحريفها ، فأعجبته صلى الله عليه وسلم من تميم هذه الموافقة ، فعحدث بها على أثر الصلاة أصحابه . . . انظر كتاب الفتن وأشراف الساعة في آخر صحيح مسلم .

الملايو ... دولة إسلامية تولد

هذه دولة إسلامية تبعث في عالم الحرية والاستقلال ، وتكتب لها الأقدار المسعدة ميلادا جديدا في دنيا الكرامة والسيادة، وهي دولة « الملايو » الشرقية الآسيوية المسماة ! .

إنها لبشرى تحرك القلوب ، وتهز المشاعر ، وتزيد في الأمل ، وتفسح دائرة الرجاء ، وتؤكد توقعنا الخير لمستقبل الإسلام والمسلمين ، و « الذين آمنوا وكانوا يتقون » ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » .

في صبيحة يوم السبت الرابع من شهر صفر الخير سنة ١٣٧٧ هـ الموافق للحادي والثلاثين من شهر أغسطس سنة ١٩٥٧ م ، هوى علم بريطانيا الاستعمارية المحتلة عن بلاد « الملايو » إلى غير رجعة بمشيئة الله عز وجل ، وارتفع العلم الوطني لدولة الملايو المستقلة ، وسيظل مرتفعا بمشيئة الله الذي وعد بالعاقبة الصابرين المجاهدين المتقين ! .

و « الملايو » بلاد مجهولة الحال للكثيرين منا نحن أبناء الشرق العربي عامة ، ونحن أبناء مصر خاصة ، ومن واجبنا أن نعرف عنها ما لا بد لنا من معرفته ، وخاصة بعد أن احتلت « الملايو » مكانها الكريم العزيز من قلوبنا عقب ميلادها الجديد في دنيا الحرية والاستقلال .

تقع شبه جزيرة « الملايو » في جنوب آسيا ، وتحدها من الشمال « سيام » ، ومن الجنوب « أندونيسيا » ، ومن الشرق « بحر الصين الجنوبي » ، ومن الغرب « مضيق ملقا » ، ومساحتها نحو ثلاثة وخمسين ألفا من الأميال المربعة ، وعدد سكانها نحو ستة ملايين وثلاث مليون ، وعاصمتها هي مدينة « كوالالمفور » ، وتتكون الملايو من إحدى عشرة ولاية يجمع شملها نظام « الاتحاد الفيدرالي » . وهي من بلاد المناطق الحارة الاستوائية ، وإن كانت كثرة الأنهار داخلها ، ووجود البحار حولها مما يلطف جوها .

والملايو بلاد خصبة التربة ، وفيها مساحة كبيرة منزرعة ، تبلغ نحو خمسة ملايين ونصف مليون فدان ، وتكثر في أرجائها الأشجار ، ويزرع فيها المطاط ، وهو أهم الحاصلات هناك ، إذ يقترب محصول المطاط في الملايو من نصف محصول العالم ، كما

يزرع فيها الأرز وجوز الهند والآناس والشاي والكافور ، وفيها ثروة حيوانية لا بأس بها ، ويوجد فيها من المعادن القصدير ، وهو أهم معدن هناك ، إذ تنتج الملايو منه ثلث ما ينتجه العالم من القصدير ، وفيها أيضا الحديد والذهب والفحم الحجري والألومنيوم ، ويجب ألا ننسى أن بريطانيا المستعمرة كانت تعتمد على « الملايو » في حصولها على الدولارات الأمريكية ، وذلك بفضل المطاط والقصدير اللذين تحتاج إليهما أمريكا .

وقد دخل الإسلام الملايو منذ عدة قرون ، وكان ذلك بوساطة التجار العرب المسلمين الذين رحلوا إلى « الملايو » متاجرين ، ونشروا مبادئ الإسلام بين أهلها ، فاعتنقوه عن طوعية واختيار ، وجمعهم لواء الإسلام تحت ظلاله .

ولقد شقيت « الملايو » طويلا بالاحتلال الأجنبي ، وإن لم ترض عنه أو تسكت عليه يوما من الأيام . . . لقد جاء البرتغاليون بمددهم الضخم وأسطولهم الجبار واحتلوا الملايو ، بعد عدة معارك دموية عنيفة ضرب أهل الملايو فيها أمثلة الشجاعة والصبر والإقدام ، وكان ذلك سنة ١٥١١ م ، وكانت الملايو تعرف يومئذ باسم : « ملقا » ، وظل البرتغاليون يسومون أبناء الملايو سوء العذاب ما يقرب من مئة وثلاثين سنة ، حتى استطاع أهل الملايو أن يتخلصوا منهم سنة ١٦٤٠ م ، ولكنهم وقعوا في مخالب ذئب استعاري آخر ، فقد جاء إليهم الهولنديون وأوهموهم أنهم أصدقاء لهم وأنهم سيعاونونهم على طرد البرتغاليين من بلادهم ، وكانت النتيجة أن خلف الهولنديون البرتغاليين في احتلال الملايو ، ثم عقد الهولنديون معاهدة مع بريطانيا كان من نتيجتها أن خرج الهولنديون من الملايو وخلفهم فيها الإنجليز ، وكان أن توطدت أقدام إنجلترا في الملايو سنة ١٧٨٦ م .

ولم تسالم « الملايو » هذا الاحتلال حينما من الأحيان ، بل كانت حياة الملايويين طويلة هذه القرون سلسلة من المقاومة الإيجابية أو السلبية للاحتلال الأجنبي ، واستخدموا في هذه المقاومة كل ما استطاعوا من أسلحة ووسائل ، وفي سنة ١٩٢٧ م قوى الوعي الوطني في الملايو ، وظهر القادة الذين يكتبون عن حرية الملايو واستقلالها ، ويجهرون بالحديث عن حقوقها ومطالبة المحتل بالخروج منها ، وفي سنة ١٩٣٧ م تألفت في « الملايو » الجمعيات الوطنية المناهضة للاحتلال المقاومة للحثاين ، كما أنشئت بعض الأحزاب والجمعيات السرية السياسية ، مثل « حزب الملايو الفتاة » .

وكان من نتيجة المقاومة والجهاد في الملايو أن اضطرت إنجلترا إلى الاتفاق مع زعماء

الملايو على أخذها الاستقلال الذاتى ابتداء من يوم ٨ فبراير سنة ١٩٥٦ م ، وأن تنال استقلالها التام يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٥٧ م .

وقد تحقق هذا والحمد لله الذى بجلاله وقدرته تتم الصالحات ؛ وانتخب الملايو أول رئيس لدولتها ، وهو الساطان « توانكو عبد الرحمن » ، كما تولى رئاسة الوزراء فيها السيد « تنكو عبد الرحمن » زعيم الحركة الوطنية .

ووضعت الملايو لنفسها دستورا نصت فيه على أن دين الدولة الملايوية الرسمى هو الإسلام ! ...

واليوم نرى من الواجب علينا أن نحى « الملايو » الشقيقة الحرة المستقلة : نحى استقلالها الميمون الأغر . . . نحىها باسم مصر ، وباسم الإسلام ، وباسم العروبة ، وباسم الشرق ، وباسم الإنسانية . . .

نحى استقلال الملايو باسم « مصر » ، لأن مصر الناهضة المتوثبة للجد شقيقة الملايو فى الكفاح والجهاد ، فقد ذقنا هنا فى مصر ما ذقتموه - يا أبناء الملايو - هناك من بطش المحتل ، وطغيان المستعمر ، وتحكم الأجنبي ، وكان عدونا المسيطر علينا المتحكم فىنا عدوا واحدا مشتركا هو إنجلترا ، ولقد قاومناه بما قاومناه ، ولقد دافعتموه بما دافعتموه ، وانتصرنا وانتصرتم ، واستطعنا هنا وهناك أن نحطم الأغلال ، وأن نحقق الاستقلال ، وأن تجمعنا اليوم ساحة العز ، ويظلنا لواء الكرامة ، ولقد فرحت من غير شك يوم فلنا استقلالنا ، فلا أقل من أن نفرح يوم تنالون استقلالكم ، ونحن فى الألم والأمل شقيقان ، وكم من روابط بين الأشقاء ! ...

ونحى استقلال الملايو باسم « الإسلام » لأن الملايو مسامة ، ونحن مسلمون ، والإسلام رحم بين أهله ، والله يقول : « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ، والإسلام كذلك يأبى الذلة والهوان لأهله ، فيقول الله لعباده : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، ويوجب لهم حياة العزة والكرامة : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، ويفرض عليهم ألا يخفضوا هاماتهم إلا لحالهم عز وجل : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا » ، ورضوان الله على عمر بن الخطاب يوم ترجم عن عزة الإسلام وإباء المسلم فقال : « يعجبني من الرجل إذا سيم خطة خسف أن يقول (لا) بملء فيه » ! .

ونحى استقلال الملايو باسم « العروبة » لأن العروبة هى التى حملت رسالة الإسلام

إلى الملايو ، ولأن العروبة تعشق الحرية والاستقلال ، وتكره الذلة والضعف ،
وتفضل المنية على الدنية ، وتطالب بالصدر أو القبر ، ويقول شاعرها داعيا إلى الصبر
والشجاعة والإقدام :

فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
وما للمرء خير في حياة إذا ماعد من سقط المتاع !
ويقول شاعرها الآخر :

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا
وليس يهلك منا سيد أبدا إلا افتلينا غلاما سيدا فينا [١]
إنا لنرخص يوم الروح أنفسنا ولو نسام بها في الأمن أغلينا
بيض مفارقنا ، تغلى مراجلنا نأسو بأموالنا آثار أيدينا
إني لمن معشر أفنى أوائلهم قيل الحكمة : ألا أين المحامونا ؟
لو كان في الألف منا واحد فدعوا : من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا
إذا الحكمة تنحوا أن يصيبهم حد الظبابة وصلناها بأيدينا
ولا تراهم وإن جلت مصيبتهم مع البكاة على من مات يبكونا
وزكب الكره أحيانا فيفرجه عنا الحفاظ وأسياف تواتينا

والرباط وثيق بين العروبة والإسلام ، فالعروبة هي وعاء الإسلام ، والإسلام
هو روح هذه العروبة ، والمسلمون يرون في العروبة مبدأ دعوتهم ولسان دينهم ،
والعروبة ترى في المسلمين أشقاء لها وأحباء ، وكلما استقل قطر عربي فرح لاستقلاله
المسلمون ، وكلما استقل قطر مسلم فرح لاستقلاله العرب .

ونحني استقلال الملايو باسم «الشرق» ... الشرق مهد الحضارات ، ومهبط الديانات ،
ومصدر الرسالات ... الشرق الذي هدى الناس خلال العصور المتعاقبة ، فكيف يتحكم فيه
أهل الضلال ؟ ... وإذا كان يقال إن ضوء الحياة يبرز أول ما يبرز من الشرق ، فإن
الواجب قبل ذلك أن يعرف هذا الشرق مكانته في توجيه العالم وإصلاح الحياة ، وأن
يعرف له الغرب هذه المكانة ، فلا ينفسها عليه ، ولا يحارل سلبها منه ؛ ويوم يقود
الشرق الحكيم العليم البصير هذه الحياة لن يقودها بالمدفع ، أو القنبلة ، أو الأسطول ،
أو الصاروخ ، بل سيقودها بالحكمة والأخلاق والدين والمثل العليا ! ...

[١] افتلينا : فظمنا .

ونحي استقلال الملايو باسم « الإنسانية » ... الإنسانية الرفيعة السامية الكريمة التي أراد الله عز وجل لصاحبها « الإنسان » أن يكون خليفة له في أرضه ، بعد أن خلقه فسوّاه فعدله ، في أى صورة ما شاء ربه ، ووهبه الحرية والكرامة ، وجعل له حقا طبيعيا في الاستقلال والعزة ، لا يسلب منه هذا الحق إلا مجرم أو أثيم ، ورضوان الله على عمر بن الخطاب يوم ترجم عن هذا الحق الطبيعي للإنسان في الحرية والاستقلال والكرامة ، فقال لمن أراد الاعتداء عليها مستنكرا : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ! ...

ونحن إذ نحي استقلالكم يا أبناء الملايو هنا وهناك نذكركم - والذكرى تنفع المؤمنين - نذكركم بأنكم تستقبلون عقب الاستقلال أحمالا وأثقالا وتبعات جساما تحتاجون معها إلى مضاعفة الجهود وشحذ العزائم ...

لقد خرج المحتل من دياركم بجنوده وأشخاصه ، ويجب أن يخرج منها بآثاره وفضلانه ، وأن يخرج منها بآرائه وأفكاره ، وأن يخرج منها برواسبه وأوسابه ، وكما خرج المحتل من الديار يجب أن يخرج من القلوب والعقول والأرواح . وتذكروا دائما أن العدو الذي خرج اليوم من دياركم متظاهرا بالرضى عن هذا الخروج لن يغفل عن التربص بكم ، والتماس الثغرات فيكم ، واتهواز الفرص لمحاولة العودة أو التدخل بصورة من الصور فاحذروا ذلك كل الحذر ، واقطعوا على أعدائكم الطريق ، وقفوا لهم بالمرصاد .

وفي بلادكم يا أبناء الملايو خيرات وبركات و « خامات » طبيعية ، ومن الواجب عليكم - وقد استقلتم وتحورتم - أن تحسنوا استغلال هذه الخامات ، وأن تتقنوا الانتفاع بتلك الخيرات ، وأن تثبتوا لأعدائكم والذين أساءوا بكم الظن في الماضي أن المارد الشرقى الجبار الذى استطاع أن يقهر أعداءه ومغتصبى بلاده بالحديد والنار ، قادر كذلك على أن يكون صانعا ماهرا ، ومنتجا مكثرا ، ونخترعا موهوبا ، وبطلا في ميادين الإصلاح والبناء والتعمير ...

وأنتم يا أبناء الملايو شعب مسلم ، ولعل الفترة الطويلة المديدة التي قضيتها في ظل الاحتلال الأسود البغيض كانت عقبة بينكم وبين تطبيق الإسلام في بلادكم تطبيقا صحيحا كاملا بنصه وروحه ، وعدالته واشترائكم كرامة ، ودينوياته وأخروياته ، وأما اليوم فقد ملكتكم زمام أنفسكم ، وأصبحتكم في حرية من أمركم ، ووضعتم دستوركم باختياركم ،

وسجلتم في فاتحته أن دين دولتكم الرسمى هو الإسلام ، فأقيموا بناء مجتمعكم الجديد على أساس من التقوى والصلاح : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدى القوم الظالمين » ؛ وشيدوه على دعائم من طهارة الحس والنفس : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . وعلى حواظ من الإيمان بالله والاعتصام بحبله : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

وإسلامكم هذا يقتضيكم أن توثقوا روابطكم وصلاتكم بالعرب والعروبة والعربية ، فالمسلم لا يكفل فقهه لدينه ، ولا يتم تأثره بروحه وجماله وجلاله إلا إذا قرأ كتابه « القرآن الكريم » في لغته العربية المهيمنة ذات الميزات والخصائص ؛ وقد امتزج تاريخ الإسلام والمسلمين بتاريخ العروبة والعرب خلال أجيال وأجيال ؛ والعربى بحكم هذا الامتزاج لا بد له من الارتباط بتاريخ المسلمين ، والمسلم لا بد له بحكم هذا الامتزاج من الارتباط بتاريخ العرب ؛ ولعلنا نشهد اليوم الذى نرى فيه لغة القرآن شائعة مألوفة في أرجاء « الملايو » الوطن الشقيق المسلم ، الحر المستقل .

أما بعد فيما أبناء الملايو هنا وهناك ... إن الناس يهتئونكم بالاستقلال ، ولكنى مع التهئة أدعولكم ... إنهم يرونكم بلفتم ووصلتم ، وأراكم بدأتم واففتحتم ... إن الاستقلال ليس نعمة فحسب ، بل هو نعمة وتبعة ... إنه نعمة جلية وتبعة ثقيلة ... ولقد مضى عليكم بضعة قرون وأنتم تشقون بأغلال الاحتلال ، والشخص الذى طال عليه القيد يحتاج إلى الحيلة في المسير وفي الخطوات حينما تنفك عنه هذه الأغلال ، والأسير الذى طال عليه الأسر يحتاج إلى حسن التصرف في استعمال حريته عند إطلاق سراحه ، والخارج إلى ضوء الحياة بعد سجن طويل مظلم لا بد له من أن يقابل هذا الضوء الباهر بحكمة وتبصر ؛ ولذلك كله أدعو الله عز وجل أن يبارك للملايو في استقلالها ، وأن يحفظ عليها حريتها ، وأن يوحد كلمتها ويجمع شملها ، وأن يؤيد خطواتها في سبيل الإصلاح والبناء والتعمير ، وأن يديم عليها نعمة التوفيق ، وأن يجنبها عثرات الطريق ، وأن يكون لها في مستقبل أيامها خير رفيق ، إنه أكرم مسئول وأفضل مأمول ما

أصمم الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

ذكرى الميلاد المحمدى

لقد أتى على العالم حين من الدهر فسدت فيه العقائد وانتشرت الوثنية ، حتى كاد أن لا يعبد الله فى الأرض ، وانتكست فيه الأخلاق ، وسادت فيه الخرافات والجهالات ، واستبدلت فيه أساليب الحياة المأجنته بأوضاع الحياة الفاضلة الشريفة ، هذا حين من الدهر هو الفترة التى سبقت ميلاد نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ولو طفت معى فى أصقاع العالم المعروف حينئذ لما وقع بصرك إلا على ما يتفطر له القلب ويندى له جبين الإنسانية الكاملة ، ولوجدت عالما يعج بأنواع المثالب والذائل والمفاسد فى الدين والأخلاق والاجتماع ، فمن وثنية إلى مجوسية ، ومن إشراك إلى تليث . ومع أن العالم كانت تنتشر فيه فى ذاك الزمان الديانتان اليهودية والنصرانية إلا أنهما عدا عليهما عادى التحريف والتبديل حتى أصبحتا بعيدتين عن روح التوحيد الخالص ، ومن مظالم وسفك للدماء وأكل لكل للأمم بالباطل ، إلى انتهاك للأعراض وإغراق فى الملهذات والشهوات وغشيان الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ومن انتهاك لكرامة الإنسان وسلب لحقه الفطرى فى الحياة ، إلى الجور على النساء ووأد البنات وعقوق الأمهات . . . إلى غير ذلك من المفاسد والأغلال التى جعلت العالم يئن ويتوجع ويتطلع شوقا إلى من يخلصه من هذا العذاب الواصب والشقاء المقيم .

ترى - أيها القارئ الكريم - من يكون هذا المخلص الذى انتشل العالم من وهدهته التى تردى فيها وأخذ بيد الإنسانية بعد كبوتها ؟ ؟ إنه نبي الرحمة وكاشف الغمة وهادى الأمة سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله النبي الأُمى العربى القرشى .

ففى صبيحة يوم الإثنين الثانى عشر من ربيع الأول لعام الفيل الموافق سنة سبعين وخمسمائة من ميلاد المسيح عليه السلام ، فى الوقت الذى بدأ فيه الصبح يتنفس والشمس تؤذن بالإشراق والسطوع ، افرئغر الدنيا عن مولود كريم أبأوه كرماء ، لم يزل تختار له الأمهات والآباء قديم الزمان حتى ولد من أبوين ضربا فى العراقة والأصالة والفضل والكمال بسهام وأى سهام .

ولد سيدنا رسول الله ، فما وجدت أمه في حمله ولا في وضعه ألماً ولا نصيباً ، ونشأ كما ينشأ أبناء الأشراف في مكة ، فاسترضع في بني سعد حيث السماء الصافية والهواء الغذى والبيئة الصالحة لتنشئة الأجسام على خير ما تكون ، وكان مصدر خير وبركة على أمه وعلى مرضعته السيدة حليلة السعدية وآلها ، وعلى كل من كان يحوطه ويرعاه .

وشب وترعرع تحوطه عناية الله ، وتكأوه عين الرحمن ، فنشأ نشأة خيرة فاضلة ، فلم تعرف له هفوة ولم تخصص عليه زلة ، فما عرف عنه أنه سجد لصنم أو اعتنق فكرة خاطئة ، بل بغضت إليه الأصنام ومقتها من قلبه ، لأن عبادتها لا تتفق هى وما تركز فى فطرته الطاهرة من التوحيد وعبادة الله الواحد الحق ، وما يترأى له صباح مساء من البراهين المتكاثرة على وجود الله ووحدانيته ، وتفرد به الخلق والخلال والكمال ، ولم يشرب حمرا ولم يقترف إثمًا ولا انغمس فيما كان ينغمس فيه المجتمع العربى آنذاك من اللهو واللعب وقرع الكؤوس ومعاشرة القيان ومصاحبة الأشرار والجري وراء الهوى والشهوات ، على ما كان عليه من فتوة وشباب وجمال وغيرها من وسائل الإغراء ، ولقد هم ذات ليلة أن يسمر كما يسمر الشباب بمكة وهو صغير لم يشب عن الطوق فقال لصاحب له قرشى : ارفع لى غنمى حتى آتى مكة فأسمر كما يسمر الشباب ، فذهب حتى أتى بيتا فسمع فيه زمرا وغناء وضربا بالدفوف ، ولكن الله الذى تكفل بتربيته وتنشئته على خير ما تكون النشأة حال بينه وبين رؤية هذا اللهو ، فألقى النوم على عينيه ، فلم يستيقظ إلا وقد مسته حرارة الشمس . ومرة أخرى حاول مثل ذلك ولكن الله حال بينه وبين ما أراد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث بذلك لما كبر ويعده من نعم الله العظمى عليه .

وما زال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يكبر وتكبر معه الفضائل والأخلاق العالية حتى صار شامة بيضاء فى هذا العصر المظلم ، ولم يعرف عنه أنه أؤتمن نخان ، أو عاهد فغدر ، أو خاصم ففجر ، أو حدث فكذب ، وكانت الأمانة والصدق من أبرز خصاله ، فلا عجب أن كان يلقب فى قريش « بالأمين » وأن شهد له بالصدق الصديق والعدو .

ولما صعد على الصفا لينذر عشيرته الأقرين قال بين يدي الإنذار : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقني ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا ، قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فتأمل فى مقالاتهم : « ما جربنا عليك كذبا » .

وما أن بلغ الرسول الأمين الأربعين من عمره المبارك حتى نبئ ثم أرسل إلى الناس كافة عربهم وعجمهم وأبيضهم وأسودهم ، وما زال يكافح ويجهاد ويصبر على مشاق الدعوة ويصابر حتى فتح الله به أعيننا عميا وأذاننا صما وقلوبنا غلغا ، فاهتدوا بعد الضلالة ، وسعدوا بعد الشقاء ، ورشدوا بعد الغواية ، وصارت الجزيرة العربية - وقد كانت مباءة الشرك والجهل والمظالم والمناسى - عنوان التوحيد ومنبع العلم والهدى والعدل والحق والرحمة والخير .

لقد صدع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بهذه الأصول والمبادئ الخالدة ، فأعلن أن لا معبود بحق إلا الله الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأن كل من فى السكون فهو خاضع لله معترف بربوبيته ، وأن كل ما خلا الله فهو بمنزل من الألوهية واستحقاق العبادة .

وأعلن أن الناس جميعا سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود ، وإنما التفاضل بالتقوى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » [١] بذلك قضى على التفاخر بالأحساب والأنساب والأجسام والأشكال ، وجعل المعيار الصحيح لتقدير الناس للتقوى والعمل الصالح المنتج ، ففى الكتاب الكريم « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » [٢] ، وفى الحديث الصحيح : « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » رواهما مسلم .

ووضع أساس الفضائل الثابتة والأخلاق العالية ، فأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وفى الكتاب الكريم « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » [٣] « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » [٤] وفى الحديث الذى رواه صاحب المسند « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ومحاسن

[١] سورة الحجرات الآية

[٢] سورة النجم الآية ٣٩ [٣] سورة النحل الآية ٩٠ [٤] سورة النساء الآية ٣٦

الأفعال ، ودعا إلى احترام حقوق الإنسان ورعاية حرمانه وشرع التشريعات الكفيلة بهذا ، ففي الحديث الصحيح « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » ، وفي حجة الوداع خطب رسول الله فكان فيما قال : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام حكمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا » .

ورفع من شأن الكرامة الإنسانية واستنكر الذلة والخنوع حتى لقد جاء رجل يرتعش بين يديه ، فقال له : « هون عليك فاني لست بملك ، وإني ابن امرأة كانت تأكل القديد من قوريش » ولما هم رجل أن يقبل يده أبي وقال له : « إن هذا تفعله الأعاجم بملوكها ، ولست بملك ، وإنما أنا رجل منكم » وعرضه بهذا صلى الله عليه وسلم أن يبقى على العزة في قلب كل مسلم ، وأن لا يتخذ المسلمون من تقبيل اليد وأمثاله وسائل للزلفى والمداهنة والتفاني وأن التكريم لا يستلزم التقبيل ، وإلا فرسول الله صلوات الله وسلامه عليه أحق من تقبل يده بل وقدمه .

ووضع الأساس الصالح لعلاقة الحاكم بالمحكوم والمحكوم بالحاكم وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقة الدول بعضها ببعض في السلم والحرب إلى غير ذلك من الأصول التي لا يتسع المقام الآن لتفصيلها ، ولم يأل جهدا في تبليغ الدين إلى الناس قاطبة ، فكاتب الملوك والأمراء وأرسل الرسل داعيا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، وبذلك باغ الرسالة وأدى الأمانة .

ولم يجاور الرسول الرفيق الأعلى إلا والإسلام قد تقررت أصوله في الأرض ، وحمل أصحابه الكرام الرسالة من بعده ، وما هو إلا قرن من الزمان حتى انضوت الدنيا تحت لواء الإسلام ، ونعم العالم برسالة الحق والعدل والسلام والأمان ، وهكذا نرى أن الميلاد المحمدي كان خيرا وبركة على الدنيا كلها ، وأن البعثة المحمدية كانت رحمة للناس أجمعين ، وصدق الله العظيم « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

مصادر الشريعة النظرية

المصالح المرسله

تعريفها

- ١٠ -

تمهيد : قبل أن نتكلم على تعريف المصالح المرسله نرى من المناسب أن نذكر هذه المقدمة . وهى :

أن ما يحدث من الوقائع كثيرا ما يشتمل على معان تصلح أن تكون مناطا لحكم شرعى يحكم به بناء على تلك المعانى ، وهذه المعانى هى ما تعرف عند العلماء بالأوصاف المناسبة ، وهى تتنوع بالنظر إلى شهادة الشارع لها بالاعتبار وعدمه ثلاثة أنواع [١] :

النوع الأول : أوصاف قيام الدليل الشرعى المعين على رعايتها واعتبارها، وهى ما تعرف عندهم بالمناسب المعتبر أو المصلحة المعتبرة ، وهذه يجوز التعليل بها وبناء الحكم عليها باتفاق القائلين بحجية القياس [٢] .

ويدخل فى هذا النوع جميع المصالح التى جاءت الأحكام المشروعة لتحقيقها ، كحفظ العقل الذى شرع الشارع لتحقيقه تحريم الخمر ، وإيجاب الحد على شاربها ، وحفظ النفس الذى شرع الشارع لتحقيقه تحريم القتل ، وإيجاب القصاص من القاتل عمدا ، وحفظ المال الذى شرع الشارع لتحقيقه تحريم السرقة ، وقطع يد السارق ، إلى غير ذلك من المصالح التى اعتبرها الشارع ، وشرع الأحكام لتحقيقها .

وعن طريق هذا النوع من المصالح جاء دليل القياس . فانه مبنى على النظر فى الأحكام المشروعة ، ومعرفة قصد الشارع فيها إلى مصلحة بعينها . حتى إذا وجدت هذه المصلحة فى واقعة أخرى أخذت حكم الواقعة المصرح بحكمها ، ولإيضاح هذا أضرب المثل الآتى :

[١] راجع المستصفى للغزالي ح ٢ ص ٢٨٤ وما بعدها ، والاعتصام للشاطبي ج ٢ ص ٢٨٣ وما بعدها .

[٢] المستصفى ج ١ ص ٢٨٤ ، والاعتصام ج ٢ ص ٢٨٣ .

حفظ العقل مصلحة قام الدليل الشرعى المعين على اعتبارها ، وهو تحريم الخمر وإيجاب الحد على شاربها . فإذا نظر المجتهد فى هذا الحكم ، وعرف هذه المصلحة . ثم وجد شيئا آخر لا يسمى نجرا ، ولكنه يفعل بالعقل ما تفعله الخمر لم يتردد فى تحريمه بالقياس على الخمر أخذا من الدليل القائم على اعتداد الشارع بمصلحة حفظ العقل ، وبناء الأحكام على رعايتها .

النوع الثانى : أوصاف قام الدليل الشرعى المعين على إلغائها وعدم اعتبارها وتسمى عندهم بالمناسب الملقى أو المصلحة الملقاة وهذا لا يصح التعليل بها وبناء الحكم عليها باتفاق العلماء [١] .

ومما ينبغى التنبيه عليه هنا أن الشارع الحكيم لا يلغى مصلحة إلا إذا عارضتها مصلحة أخرى أرجح منها ، أو كان فى اعتبارها مفسدة تساويها أو ترجح عليها كما يدل على ذلك استقراء المواضع التى ألغى الشارع فيها بعض المصالح ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١ - منع تعدد الزوجات . قد يبدو أن فيه مصلحة وهى قطع ما يحدث بين الضرائر من الخصومات والمنازعات التى قد يكون لها أسوأ النتائج فى حل الروابط بين أفراد الأسر ، ولكن الشارع ألغى هذه المصلحة ، ولم يعتد بها وأباح تعدد الزوجات اكتفاء باشتراط العدل بين الزوجات لإباحة هذا التعدد . نظرا لما يترتب عليه من المصالح العديدة كتكثير النسل والتوالد الذى هو المقصود الأول من الزواج . وصون ذوى الشهوات الحادة من الوقوع فى الزنا واتخاذ الخليلات ، وليكون التعدد علاجا اجتماعيا عند ما يعرض للأمة نقص فى رجالها وخاصة فى أعقاب الحروب حتى لا يبقى عدد كبير من النساء بدون عائل يقوم بشئونهن ويحسن نفوسهن .

٢ - الاستسلام للعدو . قد يبدو أن فيه مصلحة ، وهى حفظ النفوس من القتل . ولكن الشارع الحكيم ألغى هذه المصلحة . ولم يعتبرها وأمر بدفاع العدو ومقاتلته نظرا إلى مصلحة أرجح منها . وهى حفظ كيان الأمة وكرامتها .

٣ - ويمكن أن يدخل فى هذا النوع أيضا ما روى أن عبد الرحمن بن الحكم

الأموى أحد ملوك الأندلس باشر إحدى نسائه في رمضان ثم ندم على جريمته . وجمع الفقهاء وسألهم عما يكفر به فقال له يحيى بن يحيى « تلميذ الإمام مالك بن أنس وفقه الأندلس فيما بعد » : تكفر بصوم شهرين متتابعين . فلما خرجوا قال له بعض الفقهاء : لم لم نفتحه بمذهب مالك وهو التخيير بين العتق والصيام والإطعام ؟ فقال يحيى : لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يباشر كل يوم ويعتق رقبة . ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود [١] . فان هذا الفقيه بن فتواه على مصلحة ، وهى أن فى حمل ذلك الملك على الصوم زجرا له عن العود إلى انتهاك حرمة الصيام . ولكن الشارع قد ألغى هذه المصلحة بإيجابه الكفارة على وجه التخيير بين العتق والصوم والإطعام ، كما هو مذهب مالك . لأنه لم يفرق بين ملك وغيره . وذلك لما يعارضها من مصلحة أرجح منها . وهى وجود العتق وتحرير الأرقاء وإطعام الفقراء وهى مصالح تتعدى مصلحتها إلى الغير ، وقد حث الشارع عليها فى أكثر من موضع . والزجر مصلحة خاصة بذلك الملك وأمثاله .

النوع الثالث : أوصاف لم يقم الدليل المعين على اعتبارها أو إلغائها . وهى التى سكت الشارع عنها ولم يرتب حكما على وفقها أو خلافها . وليس لها أصل معين تقاس عليه . وهذه تسمى عندهم بالمناسب المرسل أو المصالح المرسلة أى المطلقة عن دليل يدل على اعتبارها أو إلغائها . وبالإستصلاح [٢] .

ومن هذا يتبين أن المصالح المرسلة هى :

تعريف المصالح المرسلة : الأوصاف التى يحصل من ربط الحكم بها وبنائه عليها جلب مصلحة أو دفع مفسدة عن الخلق ، ولم يقم دليل معين يدل على اعتبارها أو إلغائها .

وواضح من هذا التعريف أن المصالح المرسلة لا تكون إلا فى الوقائع التى سكت الشارع عنها ، وليس لها أصل معين تقاس عليه . ويوجد فيها معنى مناسب يصلح أن يكون مناطا لحكم شرعى يحكم به بناء على ذلك المعنى المناسب . فاذا عرضت واقعة

[١] المستصفى للغزالي ج ١ ص ٢٨٥ . والاعتصام للإمام الشافعى ج ٢ ص ٢٨٦ . وحاشية

القطار ج ٢ ص ٢٩٨ .

[٢] راجع نهاية السؤل شرح للنهجا ج ٤ ص ٣٨٥ و ٣٨٦ . وشرح الجلال المحلى وحاشية

القطار عليه ج ٢ ص ٢٩٨ .

من هذه الوقائع . فهل يجوز للجهتد أن يشرع الحكم الذي تقتضيه المصلحة . ويجعلها أصلاً للحكم ودليلاً عليه ؟ هذا هو ما ندينه فيما يلي :

حجية المصالح المرسلّة :

للعلماء في الاحتجاج بالمصالح المرسلّة آراء ثلاثة ، كما حكاه الأصوليون :

الرأى الأول : أنها حجة شرعية ، وأصل من الأصول التي يعدها في تشريع الأحكام ، وهو مذهب الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة كما يؤخذ من المسائل الفقهية التي بنوها على هذا الأصل . وهي كثيرة في كتب الفقه المختلفة تظهر للاتباع .

ومن الأصوليين من نسب هذا القول إلى الإمام مالك دون غيره من الأئمة ، ولكن هذه النسبة لا تتفق مع الواقع في شيء ، لأنه لم يخل مذهب من العمل بها . والذي ينفرد به مالك عن غيره في ذلك هو توسعه في العمل بها أكثر من غيره ، قال القرافي في مختصر التنقيح « وأما المصلحة المرسلّة فغيرنا يصرح بانكارها ، ولكنهم عند التفريع نجدهم يعملون بمطلق المصلحة ، ولا يظالبون أنفسهم عند الفروق والجوامع بإبداء الشاهد لها بالاعتبار ، بل يعتمدون على مجرد المناسبة ، وهذا هو المصلحة المرسلّة » . وقال الشوكاني في إرشاد الفحول (ص ١٩١) : « وقد اشتهر انفراد المالكية بالقول بها قال الزركشى وليس كذلك فان العلماء في جميع المذاهب يكتفون بمطلق المناسبة . ولا معنى للمصلحة المرسلّة إلا ذلك » . ونقل في (ص ٢١٢) عن ابن دقيق العيد قوله « الذي لا يشك فيه أن لمالك ترجيحاً على غيره من الفقهاء في هذا النوع ، ويليّه أحمد بن حنبل ولا يكاد يخلو غيرهما عن اعتباره في الجملة ، ولكن لهذين ترجيح في الاستعمال له على غيرهما » .

الرأى الثانى : أنها ليست حجة ، ولا يصح أن يبنى عليها حكم من الأحكام الشرعية ، سواء أكانت ملائمة للمصالح التي اعتبرها الشارع أم لا ، وهو قول المنكرين لحجية القياس من الظاهرية ومن معهم ، وهو القول المختار لابن الحاجب من المالكية والآمدى من الشافعية [١] .

(١) الأحكام للآمدى ج ٣ ص ١٣٨ . ومختصر المنتهى ج ٢ ص ٢٤٢ . ونهاية السؤل ج ٤

والرأى الثالث : أنه يصح العمل بها إذا كانت مصلحة ضرورية قطعية كلية ، ولا يصح العمل بها إذا فقد واحد من هذه الثلاثة ، والمراد بالضرورة ما يترتب على اعتبارها المحافظة على واحد من الضروريات الخمس التي هي الدين والنفس والعقل والنسب والمال ، والمراد بكونها قطعية أن يكون حصول المصلحة متيقنا وليس مظنونا ولا مشكوكا فيه ، والمراد بالكلية ألا تكون مخصوصة ببعض المسلمين أو بعض الأحوال دون بعض .

وهذا الرأي هو المختار للغزالي والقاضي البيضاوي . وقد مثل الغزالي للمصلحة التي توافرت فيها هذه الشروط الثلاثة بما إذا ترس الكفار بجماعة أسارى المسلمين . فإذا رميناهم قتلنا مسلما من غير جريمة منه . وهذا لا عهد به في الشرع ولو تركنا الرمي لسلطان الكفار على المسلمين فيقتلونهم ثم يقتلون الأسارى الذين ترسوا بهم ، فانه يجوز رميهم وإن أدى إلى قتل من ترسوا به من المسلمين . [١]

ونحن إذا أنعمنا النظر في هذه الصورة وجدنا أن المصلحة فيها ليست من قبيل المصالح المرسلّة التي جرى النزاع فيها بين العلماء ، وإنما هي من قبيل المصالح التي قام الدليل على اعتبارها ، والتي لا خلاف فيها لواحد من العلماء ، يقول الشوكاني نقلا عن القرطبي : « المصلحة بهذه القيود لا ينبغي أن يختلف في اعتبارها » [٢] ، ويقول الكمال بن الهمام في التحرير : « إن المناسبة لو بحفظ أحد الضروريات لزم العمل بها على قول الكل » [٣] ، ويقول ابن السبكي في جمع الجوامع : « وليس من المرسل مصلحة ضرورية كلية قطعية ، لأنها مما دل الدليل على اعتبارها قطعا » [٤] « يتبع »

زكى المير محمّد
الأستاذ المساعد
بكلية حقوق عين شمس

[١] المستنقى للغزالي ج ١ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ . ونهاية السؤل ج ٤ ص ٣٨٥ .

[٢] إرشاد الفحول ص ٢١٣

[٣] التحرير مع التقرير والتحجير ج ٣ ص ١٦٠

[٤] جمع الجوامع مع شرح الجلال وحاشية المطار ج ٢ ص ٣٠٠

محمد صلى الله عليه وسلم

نبي الوحدة ورسول الاستقلال

اصطفى الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه برسالة تتفق أصولها مع أصول الرسالات السماوية التي سبقه بها إخوانه من الأنبياء والمرسلين . ومع هذا فقد ماز الله محمدا بتشريعات وتعاليم جعلت رسالته فريدة في بابها ؛ وأحاطها بسياج أصبحت به نسيجاً وحدها ، سواء في العقائد أو في العبادات أو المعاملات .

وإن الدارس لهذه الرسالة المحمدية ، والمتفهم لتشريعاتها السماوية ، لا يسعه إلا أن يعلن بملء فيه : أن محمدا اختاره ربه ليجلى صفة التوحيد في جميع مظاهرها ، تلك الصفة التي تأخذ بلب المفكر ، وعقل المؤمن ، ويهتف بها المسلم « لا إله إلا الله » إله الكون واحد لا متصرف فيه سواه . بذكره تطمئن القلوب ، ولعظمته تخر الجباه تجلت هذه الوحدة في العقيدة الإسلامية ، وفي المظاهر التشريعية التي أخذ بها محمد أتباعه من المسلمين .

فإذا نادى المنادى إلى الإيمان بالله واحد فقد أمر المستجيبين له الذين لبوا النداء أن يتجهوا جميعاً في صلاتهم إلى قبله واحدة ، وأن يطوفوا في أداء نسكهم ، لحجهم وعمرتهم حول بيت واحد « وليطوفوا بالبيت العتيق » : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين » . وأن يسعوا في مكان واحد . وليجمعهم مع هذه المظاهر كلها في زمن محدد مكان للوقوف واحد بزى موحد ، يهللون ويلبون ويناجون إلههم الواحد « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » . « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

تلك هي عقيدة التوحيد ، وتلك هي المظاهر الإيجابية للوحدة ، ملكت قلب المؤمن ، وسيطرت على جميع تصرفاته ، ووجهته إلى المثل العليا ينشدها ويسعى جهده لتحقيقها يحلب الخير ويشيعه بين الناس ، ويقاوم الشر ويجهد نفسه لدفع الضر ، ويسمو بمعتقداته وأعماله عن الدنایا، وينأى بها عن الخرافات والضلالات والأباطيل .

فلا يهرب قويا ولا يرضى له دينه أن يظلم ضعيفا ، ولا يندفع بضلالة مهما أزيئت وتبهرجت ، ولا يثنيه عن الوصول إلى غايته المثل جبروت أو طغيان ، تلك الغاية التي تتجلى في استقرار عقيدة التوحيد ، وتمسك أصحابها من إقامة شعائر دينهم دون خوف

من وعيد أو تهديد ، ونشر ألوية السلام بين ربوع العالمين ، وتساوى الناس جميعا أمام الحق والقانون ، دونَ نظر إلى جنس أو لون ، فالسكل عند الله سواء . « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » . « الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » كذا قال صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه .

هذه نواح تكشف أمام الدارس لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم أنه حقاً نبي الوحدة والتوحيد .

فإذا أنعمنا النظر في سياسة الإسلام التشريعية أخذت هذه التشريعات بالبا بننا ، فهي تنسق وتطرد نحو هذه الوحدة ونحو تكوين الشخصية المستقلة للسلم وللإسلامين ، ليظل المجتمع الإسلامى محتفظا بمقوماته ، متميزا عن سواء ولو كان يمت إلى الدين . حتى ليضططر الناظر أمام هذا إلى أن يهتف من أعماقه . بأن محمداً رسول الاستقلال وإليك شواهد من هذا اللون لا تحتمل جدلاً ولا تأويلاً : -

أولاً : قام محمد صلى الله عليه وسلم بأداء رسالته ، ومضى يتجه في عبادته لربه نحو القبلة التي كان يتجه إليها من تقدمه من الأنبياء والمرسلين ، وبعد هجرته إلى المدينة كان يحول في نفسه أمر كثيراً ما ظهر أثره في تطلعه إلى السماء ، وتوجهه إلى ربه بما يكنه في حنايا صدره ، وينطوى عليه ضميره ، ولا يستطيع أن يفصح عنه لسانه خشية أن يكون في التلفظ به خروج عن الأدب الذي أدبه به ربه . كثيراً ما شخص ببصره إلى السماء يقرب وجهه فيها . وهو صامت يكتفم في نفسه ما يملأ عليه جوانب هذه النفس الكبيرة .

أى أمنية ياترى هذه التي يجيش بها صدر هذا النبي العظيم ولا ينطق بها لسانه ؟ وأى خطر فيها ، وأى أثر لها . ؟ تلك التي يتردد صداها في كونه كله فقترأى لقلبه وبصره ، ويرهف لها سمعه ؟ هى أمنية استجلاء الوطن الحبيب - أول بيت وضع للناس - عند مناجاته لمولاه أراد أن يدعم بها استقلاله ، ويقطع بها السنة المتخربين . ويدحض بها شبهة المغرضين حتى لا يذيعوا أن محمداً ما هو إلا تابع لمن سبقه من المرسلين . وليس مستقلاً برسالة أو دين .

وما أكرم رب محمد ، فما هو ذا يحقق له أمله ، ويعطيه أمانيته ، ويفيض ساخ الرضا على قلبه . إذا فلتسكن وجهة محمد صلى الله عليه وسلم في مناجاته لربه وقبلته هو ومن اتبع رسالته وآمن بدينه ، قبلته عربية . فهو النبي العربي . تلك هى السكبة أول بيت

وضع للناس ليعبد الله فيه وحده لا شريك له « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » فيجيب لك سؤالك ، حقا إن ربك يا محمد يسارع في هواك ويمنحك كل ما تمنى من عوامل الوحدة والاستقلال .

وما أكثر الشواهد والتعاليم الإسلامية التي تشهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بالتميز برسالاته والاستقلال بها عن الذوبان والتميع في الرسائل السابقة ، والاحتفاظ بأمته حتى لا تتلاشى في الأمم الأخرى ، لقد كان حريصا الحرص كله - كما علمه ربه - على أن تكون رسالته قائمة بذاتها . مستقلة في عقائدها أو مقوماتها متناسقة في جميع أصولها وفروعها ، تتجاوب نحو تحقيق الغاية السابقة التي أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم لتحقيقها - ألا وهي سعادة البشرية جمعاء - بأقوم رسالة وأكمل دين .

ثانيا : وفي المدينة أيضا أكثر المسلمين ، وألح عليهم طلب العيش فتنفروا في متاجرهم ومزارعهم ودورهم وهم جد حريصين مع ذلك على الاجتماع برسولهم الكريم وبخاصة في أداء الصلوات : فما السبيل إلى جمعهم ، وما الوسيلة إلى حضورهم في الوقت المحدد ؟ اهتم المسلمون بهذا الشأن واهتم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ كبارهم يعملون عقولهم ويشجعون أفسكارهم ويستوحدون تجاربهم في إيجاد وسيلة لجمع المسلمين عند كل صلاة ، واجتمع المسلمون برسول الله يتشاورون ويتدارسون لاختيار أفضل الوسائل وأقومها ، وأدلى كل برأيه ، وانفض الجمع ولم يقطعوا في الأمر بشيء ، وانصرف كل وهو مشغول الفكر لا يتذكر الوسيلة التي يتميز بها المسلمون عن سواهم في اجتماعهم للصلاة فهل ضمن تشريع السماء على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته بهذه الوسيلة ، أم هل تركه يتابع فيها من سبقه من المتدينين ؟ كلا ، وأيم الحق .

وإليك ما حدثت به كتب السنة الصحيحة في هذا الشأن . لتقف بنفسك على المدى الذي كان يملا صدر رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من اهتمامه بتكوين أمة مستقلة متميزة في رسالتها عن الآخرين ، ونحن ننقل هنا ما رواه صاحب تيسير الوصول في باب بدء الأذان بتصرف .

اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة كيف يجمع الناس لها . فقليل له : انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رآوها أذن بعضهم بعضا . فلم يعجبه ذلك . فذكر شهور اليهود فلم يعجبه ، وقال هذا من أمر اليهود . فذكر الناقوس . فقال هو من أمر النصارى ، وذكرت النار . فقال هي من أمر المجوس ، وانصرفوا وهم مهتمون بهم رسول الله ، وفي

الصباح أقبل رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله إني رأيت رجلا كان عليه بردين أخضرين وكنت يقظان غير نائم . فقام على المسجد وعلمني ما نجمع به القوم للصلاة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هات ما عندك . فقال الرجل ينادى بالآذان - الله أكبر الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله الخ الآذان . فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها الوحي . قم فلقنها بلالا فإنه أندى منك صوتا . قال فقمت مع بلال فجعلت ألقنها عليه وهو يؤذن بها . اهـ

ومن يومئذ صار الآذان الوسيلة المثلى الخاصة لجمع المسلمين للصلاة . يدوى في السكون وتشق المأذن كبعد السماء ، ومن فوقها يعلو صوت المؤذن فيهرع المسلمون عند سماعه لذكر الله والصلاة في بيوت الله .

من هذا - وهو قليل من كثير - ندرك أن مجدا صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله برسالة مستقلة متكاملة . متميزة في مقوماتها وتشريعاتها . تنبثق عن أصل ثابت قائم على الوحدة والتوحيد ، ونشأ بك أغصانها ، وتنتشر فروعها ، وتطرد تشريعاتها الإيجابية وتحذيراتها الوقائية ، ليكون أمة واحدة . ينبتها ويقويها ويجمع كلمتها وحدة المبدأ ، ووحدة الهدف . مع وحدة المشاعر والأحاسيس . ترى المؤمنين في توأدهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر .

واليوم وقد أظلمتنا ذكرى ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم . وهب المسلمون يحتفلون في أربعة أركان الدنيا بهذه الذكرى العطرة فواجب عليهم أن يذكروا ذلك الجهاد المضني الذي تحمله هذا الرسول الكريم في تكوين هذه الأمة المحمدية التي قال الله في شأنها : « نختتم خير أمة أخرجت للناس ، وأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... » . واجب على المسلمين حاكمين ومحكومين أن ينظروا إلى تعاليم دينهم ، وإلى ما شرع لهم من مبادئ ومقومات يتميز بها المجتمع الإسلامي ، ويتمسك بها بنيانه سليما قويا ، ويقارنوها بما عليه مجتمعهم اليوم ، وما يطبقونه في شئونهم من تعاليم . فقد صارت جمهرة المسلمين لا يحسون لتلك المبادئ السامية وجودا في نفوسهم - اللهم إلا كرجع الصدى - ثم هم لا يجدون لهذا الصدى أثرا فيما يراولونه في واقع الحياة من أعمال .

فيارب محمد نفحة من نفحاتك في ذكرى ميلاد حبيبك تفتتح لها قلوب أتباع نبيك ، وتتجدد بها عزائمهم ، وتتجمع قواهم لإحياء هذا المجد التليد ، والشرف المنيع ، إنك على كل شيء قدير ، وأنت الغفور الرحيم

محمد أبو الطاهر م
الواعظ العام

في هذه المناسبة

هي مناسبة ذكرى مولد النبي الكريم ، الذي أرسله الله - على رغم كل مكابر -
رحمة للعالمين .

في هذه المناسبة يطيب لنا أن نعمل ما وسعنا على أن نعيد إلى الإنسانية الخاسرة مجدا
من مكارم الأخلاق قد تصرم ، وأن نجدد عهدا بصرح شامخ من الإيمان قد تهدم
فو الذي نفسى بيده لن يمكك الناس بالسعادة الودعة ، والسلام الشامل والحب الفاضل
إخوانا على سرر متقابلين . وإخوة متفاهمين متعاونين . حتى يزكوا النفوس . ويقضوا
حق الروح الكريم الذي هو أعز كنز منحه الله للإنسان ولكن نسيه وأخذ يقترب من
الحيوانية ، فكان ما شاء من الحيوان : إما سبعا ، وإما نمرا ، وإما كلبا ، وإما خنزيرا .
وليغفر القارئ الكريم لي أني أكاد أنطاول على مقام إنسان هذا الزمان ، فوربي ما أردت
إلا أن يكون إنسانا كما شاء الله خليفة في الأرض يحكم بالحق ولا يتبع الهوى وويل له
إذا اتبع الهوى فأضله عن سبيل الله ، يومئذ ترى الناس كما تراهم اليوم لاجبة ولا مرحمة
ولا إنصاف ولا معدلة ولا سخاء ولا مكرمة ، ولسكنه الخسران المدين .

وما لي أشقظ بالحديث لولا حرص مني على أن يستيقظ الإنسان لحقه وينتبه لوضعه
ولكن الله يهدي من يشاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا .

وإذا فني هذه المناسبة الكريمة : أرى لزاما على أن أتحدث عن بعض نواحي السمو
والنبل في عهد بن عبد الله منقذ الإنسانية وهاديها إلى الصراط المستقيم .

وأوثر أن أتحدث عن شجاعة الإسلام الحربية ، وشجاعته الأدبية ، تتمثل في ذلك
النبي الكريم ونحن اليوم في عهد أحوج ما نكون فيه إلى تلك الشجاعة بنوعها ، فبالأولى
نحمي الحمى ونذود الوطن ونستبسل في الدفاع ، مؤمنين حق الإيمان بأن نفسا لن تموت
حتى تستكمل أجلها ، وأنه لن يقدم نفسا قبل ميئتها ضرب الحسام ولا قذائف المدافع
ولا خوض المعارك ، فما التراجع إلا ضعف في الإيمان أو حق في الإنسان وأخيلة
لاحقيقة لها .

ونحن بالثانية (الشجاعة الأدبية) نستطيع أن نستصلح من أخطاء الخاطئين ونغير من أعمال الغلاطين الذين يسيئون إلى أنفسهم وإلى أهلهم وإلى أوطانهم ، ومن لم يأخذ على يد ظالم أو يردعه عن ظلمه فقد أوشك أن يجنى على نفسه وعلى الناس أجمعين .

ونحن بالشجاعة الأدبية نستطيع أن ننصح وأن نواجه بكلمة الحق لا مجاملين بل محسنين مصالحين وكم أصلحت الصراحة والمكاشفة فساء كثير من الإخوان والأصدقاء ، وردت إلى الحق كثيرا من القادة والرؤساء على طول ما أفسد النفاق والمجاراتة على الباطل من شئون الأمم والجماعات .

ولعمرك لقد طالما أفسد هذا البلد من قبل وأخرها إلى الوراء كثيرا على كثرة المنقفين فيه والقادة البارعين أفسده الممالة على الباطل والجن عن كلمة الحق في صراحة . حتى قبض الله رجالا صالحين للقيادة من ذوى الشجاعة والصراحة لم يقاروا على سوء الحكم . وتشاغل الحاكم عن واجب الوطن بمتعه وشهواته ، ولم يقبلوا نظام الإقطاع ولا إهمال الشعب إهمالا أقعده عن الحقوق بالأمم العظيمة ، وقد أصبح الشعب بفضل تلك الشجاعة وعدم المبالاة في سبيل الحق شعبا ناهضا كريما يفخر به الشرق ويحسده الغرب ، ولولا الشجاعة بنوعها لما قام من سباته العميق وظل راكدا في الخضيض .

والشجاعة في قائد هذه الأمة صلوات الله عليه ، وفي كل من تربى في مدرسته الإسلامية تستمد كنهها مما رسم هذا الدين الكريم من إيمان بالله وتوكل عليه مع الانبعاث فيما أمر الله سبحانه بتحقيقه وعلى رأسه حماية دعوة الإسلام مهما كلف ذلك من تضحيات وجهاد بالنفس والمال ، وقد نوه الإسلام في كتابه وفي كلمات السيد الأعظم صلى الله عليه وسلم بالشجاعة والإقدام والثبات أمام العدو وعلى كلمة الحق ، وجعل التولى يوم الزحف من كبائر الذنوب « ومن يؤلم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغصب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

وأما المؤمن الصادق والمسلم على يئنة من ربه فقد علم أنه لابد من مقاومة الباطل ، وإلا فالحياة خسران مبين على صاحبها وإلقاء بالنفس والوطن إلى التهلكة ، وهو قد علم أنه يعود من جهاده بأحدى الحسنيين ، وأن الحرص على الموت يهب الحياة وأن ... إلى كثير من المعاني التي تستوجب الشجاعة والإقدام في المعارك ، وتستوجب الشجاعة والإقدام في تغيير المنكرات ، وما يسمع الفساد ويفتك بالشعوب والجماعات .

وعلى مقدار تحقق إيمان المؤمن بربه ، وعلى مقدار تمسكه بدينه ، وعلى مقدار هداية الله له باستكمال الشخصية الإسلامية الحق يكون نصيبه من الشجاعة والإقدام ، ومواجهته بالحقائق وعدم الكتمان . ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم من الشجاعة بنوعها بالمحل الأول ، والمنزل الذي لا يجهل . فمنذ استقر في نفسه الكريمة أنه رسول الله إلى هذه الأمة ليغير كل ما هي فيها من فساد وضلال وفوضى في العقائد وفي السلوك وفي الأخلاق ويضع مكانه صلاحا واستقامة وهداية إلى الصراط المستقيم ، منذ ذلك الحين شمر عن مساعد الجسد ، فقام يدعو إلى الله عن بصيرة ، ويهدي الناس إلى الطريقة بالحكمة والموعظة الحسنة .

فلما نابذوه وجحدوا بما جاء به ، قاومهم ودافعهم غير مترجع ولا متواضع لهم ، وهم ينهون عنه وينأون عنه ويفعلون به وبأصحابه ما شاءت لهم قوتهم وكثرتهم وإمكانياتهم وقد سطر التاريخ الشيء الكثير مما كان بينه وبينهم مما يضيق المقام عن استقصائه . وقد تضافرت الأخبار على موقفه مع عمه أبي طالب وحديثه المشهور (يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه) ثم أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة وبقى وحده بين صفوف الأعداء يعملون الحيل في القضاء عليه ولما سكن الله بالغ أمره . وهاجر أصحابه إلى المدينة بعد أن ضاقت بهم الحيل أمام الأعداء فبقى في فئة قليلة لا يبالي ما يفعلون ثم خرج هو وصاحبه وصديقه وأويا إلى الغار ، وهناك أدركهما الكفار وأحس أبو بكر بوقع أقدامهم ، وأخذ الفرع من إدراكهم . ولكن محمدا لا يبالي مادام على الحق وفي سبيله « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .

لقد خرج عابهم وحده ليلة مكروا به وجمعوا فتاكهم وشجعانهم للفتك به في إيمان الواثق بنصر الله ، فأحبط مكروهم ، وخيب فآلمهم ، ثم خرج إلى المدينة مع صاحبه بين زواجر البحث والتفتيش ، وإرسال الرواد والباحثين ، إلى قوم يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم ولكن هل هدت نفوس القوم ، أو اهتدوا إلى حقيقة الأمر ؟ كلا والله . لقد ازداد ما بهم من حنق ، وأخذوا يعملون الحيل بأسلوب أوسع ، فيؤلبون القبائل والشعوب ، ويدأبون على محاربة دعوة الحق طامعين في أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره .

وأذن الله لنبيه بالقتال كما قال : « أذن للذن يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » . فكانت لمحمد صلى الله عليه وسلم مواقف من الشجاعة حيرت الألباب وأطاحت بالأوهام ، فقد اضطر أعداؤه إلى مجادلته وقد أعيتهم الحيل في مجادلته وكانت تتجلى شجاعة النبي الخارقة حين ينهزم الجيش ضخمة مخالفة للقائد . واستهانة بالموقف كما وقع في كل من غزوة أحد ويوم حنين ، إذا أعجبهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئا ؟ قال القاضي عياض في الشفاء ، فاحسن ما شاء وهو يصف شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم : قد حضر المواقف الصعبة ، وفر الأبطال والسكاة عنه غير مرة ، وهو ثابت لا يبرح ، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح ، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة ، وحفظت عنه جولة سواه .

وذكر حديثا بسنده إلى أبي إسحاق أنه سمع البراء وسأله رجل : أقررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر . ثم قال : لقد رأيته على بغلته البيضاء ، وأبو سفيان أخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبي لا كذب . فما رأى يومئذ أحد كان أشد منه . وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته . وذكر مسلم عن العباس قال : فلما اتقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا أخذ بلجامها أكفها لإرادة ألا تسرع وأبو سفيان أخذ بركابه . ثم نادى : يا للمسلمين الحديث ، وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجس ولا أجود ولا أراضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال على رضى الله عنه : إنا كنا إذا حمى البأس واحمرت الحلق اتقيننا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا . وقيل : كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله عليه وسلم وإذا ونا العدو لقربه منه . وعن أنس : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، لقد فرغ أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيوف في عنقه وهو يقول : لن تراعوا . وهكذا نقل القاضي عياض وهكذا نقل غيره ، ونقلوا أكثر من ذلك من موقفه الكريم ومنها موافقه يوم أحد يوم فر الناس أمام العدو الذى أتاهم من الخلف بشؤم الخلف عليه صلوات الله عليه ، وأشيع أنه صلى الله عليه وسلم قد قتل ، ولكنه

أصيب بجراح وشج ، وقد قتل وهو في الموقف بطلا من أبطالهم وجبارا من جبابرتهم كان لا يزال يتوعده من قبل حتى إذا ظن أن الفرصة سنحت له ، تناول النبي صلى الله عليه وسلم حربة من أحد أصحابه فطعنه طعنة تدأ لها مرارا من على فرسه ثم مات . ورد النبي صلى الله عليه وسلم الحربة على صاحبها في هدوء وثبات منقطع النظير . هذا طرف من شجاعته الحربية .

فأما شجاعته الأدبية : فلعمري الحق ما عرف الناس أجراً من النبي على كلمة الحق لرفع شأن الإنسانية ومقاومة الباطل والقضاء عليه . ألم يجهر بدعوة الإسلام بين مناوآت الأعداء وشغبهم كما فصلنا بعض ذلك منذ اليوم ؟ ألم يبلغ كل ما أنزل إليه من ربه وفيه ما يردده عن بعض التصرفات ، ويبين أن الصواب عند الله غير ما فعل كما في مسألة زيد وزينب : « وتخفى في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » وروى عن السيدة عائشة أنها قالت : لو كنتم النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من الوحي لكنتم هذه الآية . وكذلك آيات أخر منها قوله سبحانه : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى » إلى قوله : « عذاب عظيم » وقوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » الآية وقوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » إلى قوله : « لأواه حلیم » .

كل ذلك من الشجاعة الأدبية التي تتقاضى صاحبها أن يقول كلمة الحق له أو عليه ، وسواء أكانت عاقبتها نفعا أو ضرا ماديا ، وكيف لا وهو الداعي إلى الحق وحده والذي لا ينشد إلا أن يهتدى العالم إلى الرشاد وأن ينشدوه .

وإن تعجب فإن هذا النبي العظيم الذي كان أشد حياء من العذراء في خدرها والذي كان لا يواجه إنسانا بمكرهه ، والذي وصفه الله سبحانه في كتابه فقال : « وإنك لعلی خلق عظیم » .

إن هذا النبي لقد منحه الله سبحانه من الدقة في تحديد الفضائل من نواحيها ووزن كل واحدة بميزانها ما لم يؤته أحدا من العالمين فهذا الحي الرضى المتواضع الكريم والحبیب القريب كان إذا غضب لا يقـوم لغضبه شيء ، وكان لا يغضب لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لها . وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يمكن إثما فإنه كان أبعد الناس منه صلى الله عليه وسلم ، ولما سرقت الخثعمية ففكر قومها في أن يستشفعوا بأحب الناس إليه - أسامة - ليعفو عنها غضب أشد الغضب ، وعنف أسامة على أن يشفع

في حد من حدود الله ، وقام على المنبر فقال : « أيها الناس ، إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد . والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت عبد سرقت لقطع عبد يدها » ولما سألته فاطمة شيئاً من ماله استخدم به من يعينها على شئون المنزل ، فقد حجلت يدها . وضنى جسدها قال لها « يا فاطمة ، لا أعطيك وأدع أهل الصفة ! »

ولما قيل له إن معاذاً يطيل الصلاة لم يستح أن يقول له : « أفأتان أنت يا معاذ » ثم علمه ، ولما أراد عمر أن يتقدم للإمامة بالمسلمين في صلاتهم على مقتضى ما فهم من بلال أنه مأمور بذلك نحاه النبي صلى الله عليه وسلم في غير مجاملة ولا استحياء وهو يقول « يا بني الله والمسلمون إلا أبا بكر » .

وهذا وأمثاله من تعليمات الإسلام التي توحى بالشجاعة الأدبية والمواجهة بكلمة الحق هو الذي أدب المسلمين بأدب الجراءة في تغيير المنكر ومقاومة الشر ولو كان عند السلطان فيا لله للمسلمين لقد فسد الناس ومرجت أمورهم ، والثالث شئونهم منذ فقدوا ذلك الخلق الكريم العظيم ، الشجاعة في جميع صورها وفي شتى مظاهرها ، ولقد كان الإسلام أسبق شيء إلى تحقيقها ، وهي عند المسلمين دعامة الحق وعنوان الرشاد ، وطالما جهر المسلمون بخائفة الولاة فيما يخالف وجهة نظرهم منذ كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يتقبل من عمر ومن غيره أن يخالفوه وربما عدل النبي صلى الله عليه وسلم إلى رأيهم ، ونزل القرآن بموافقة بعضهم .

وبعد فقد عرفت مصر والحمد لله فضل ذلك المعنى الإسلامي العظيم فيما كتب الله لها من سمو ورفعة ، ولا سيما منذ بدأت تقاوم الباطل والفساد ، وتبوء للعدو كل عدة وعتاد ، وحيا الله القائمين على أمرها اليوم فانهم خير من قدر ذلك المعنى وعمل على تحقيقه وقد دعا ذلك أصحاب الأفكار والآراء والنصائح ألا ييخلوا بالتوجيه الصالح ، وفي إعادة حياة الشورى خير كفيل بذلك التوجيه وتحقيق الإصلاح المطرد المنشود إن شاء الله ما

محمود النواوي

السيرة المحمدية

تحت ضوء التحليل العلى والفلسفى

لمناسبة مولد النبى الأعظم

قد تمر على المجتمعات فى بدء حياتها أحداث جسام تؤثر فى وجودها من ناحية ترابط أحادها وتماسك أجزائها . ولكننا لا تبلغ مهما عظم شأنها ما يحدث النضج الاجتماعى الذى يتم بعد مكابذتها للأطوار التى يستتبعها الاجتماع فى أدواره المقررة فى قرون عديده .

فهذه الجماعة من مهاجرى مكة ومؤمنى قبيلتى الأوس والخزرج اللتين ألف بين أحادهما دين لم يكن للعرب فى وثنيهم العتيقة وتقاليدهم الموروثة عهد بمثله ، كانت بحاجة إلى أن تحيا حياة اجتماعية وأن تتأثر بعوامل الاجتماع وأن تخضع لأفاعيلها ، ولا يكون ذلك إلا إذا وجدت تلك العوامل واستعداد الآحاد للتأثر بها ، وهى لا توجد بالصناعة ، وإن أمكن إيجاد بعضها فيتعذر إيجاد بعضها الآخر ، لأنها تتعلق بالبيئة الطبيعية وبقابلية الآحاد للتطور وبالأحوال الاقتصادية والجماعات المجاورة . وكل هذه الشئون ليس فى اليد إيجادها والعقيدة الدينية عمل قلبى لا يتوقف على الاندماج فى جماعة ، وقد عاش المسيحيون بعد عيسى عليه السلام نحو ثلاثة قرون لا تجمعهم جامعة ، متفرقين فى بلاد متباعدة . وبقى اليهود أكثر من ألفى سنة مشتهتين فى الأرض ليس لهم دولة . فكان لابد لأجل قيام دولة إسلامية من توافر عناصر الاجتماع فى الطائفة التى اتخذته ديناً لها ومن خضوعها لأفأاعيلها آماداً طويلة .

فإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم ، لأجل أن يصل إلى تأليف جماعة ، عليه أن يوجد العوامل الأدبية والمادية التى تتكاتف على إيجادها ، على الأسلوب نفسه الذى تتبعه الطبيعة فى تأليف الجماعات ، فأنى له أن يوجد لها الزمان الكافى لترسيخ نتائجها فى نفسية الجماعة وهو شرط لابد من توافره فى تأليف الجماعات ؟

اللهم إن هذا من المحالات العلمية ، وهو فى البلاد العربية التى لا يوجد فيها من عوامل

الاجتماع إلا ما يكفى لتوليد القبائل يعتبر مما لا يجوز أن يفكر فيه إنسان . وكيف يجوز التفكير فيه والطبيعة نفسها عجزت عن إحداثه ، فبقيت الجماعات العربية على الحالة القبلية من يوم وجدت إلى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، لا لنقص في قواها المعنوية ولا لكون لعدم توافر الدواعى لتألفها . فانتدب محمد صلى الله عليه وسلم للاثنيان بما يعتبر محالا في تاريخ البشر ، وهو أمر لم يقدم عليه فرد من أفراده .

ولم يطف في رأس عبقرى من عباقرة من يوم وجد العالم إلى يومنا هذا . لا جرم أن الانتداب لمثل هذا العمل يعتبر غريبا إلى أبعد حدود الغرابة . ولكن غرابته وخروجه عن دائرة الأمور العادية لا يجوز أن يثني عن النظر في الوسائل التي تدرع بها محمد صلى الله عليه وسلم بارشاد الوحي الإلهى للوصول إلى هذه الغاية البعيدة .

وأول ما وجه النبي صلوات الله وسلامه عليه همته إليه أن جعل للطائفة التي أتبعته غاية سامية تسعى للوصول إليها . لأن كل جماعة لا يكون لها غاية تركد حيث هي وتكتفى من الحياة بما يحفظ وجودها الشخصى وكيانها القومى ، وقد تلبث على هذا عشرات العقود حتى تبيد أو تفتى في جماعات أقوى منها ، فكانت الغاية التي عينها النبي صلى الله عليه وسلم للجماعة التي يرأسها أن تكون نواة الدين الذي شرع لإصلاح جميع الأديان وأن تحمى الدعوة إليه ضد كل من يحاول أن يحول بينها وبين الذبوع والانتشار .

وهذا لا يكفى في تكوين أمة ولا في إقامة دولة ولا في بناء كيان إنسانى ، فالأمة لا يتحقق لها وجود إلا بتوافر عدد أفرادها وشغلهم حيزا واضحا الحدود بين الأمم المتاخمة لها ، والدولة في حاجة إلى مقومات اقتصادية وسياسية وأخلاقية . وهل يمكن الوصول إلى هذا كله إلا بانشاء العلاقات بينها وبين الجماعات القريبة منها والبعيدة عنها . ؟

ولكن هل هذه العلاقات مما يمكن إيجادها من غير طريق العوامل إلى توجبه ؟ هذه العوامل تقتضى فيما تقتضيه التبادل الاقتصادى والتبادل الثقافى ، وكل ذلك يقتضى الإنتاج الزراعى والصناعى والإنتاج الفكرى .

فهل كانت مدينة يثرب بالبيئة التي تولد كل هذه العوامل ؟

هذا هو الأسلوب الطبيعى في توليد الأمم وإقامة الدول . ولو صادفها محمد صلى الله

عليه وسلم في البيئة التي ظهر فيها ما كان في عمله إعجاز ، ولأمكن الخضم تحليل نجاحه بالعلل الاجتماعية ، ولو من طريق التلاعب بالألفاظ والعبث بالعقول القاصرة . غير مقدركم يقتضى تنبيه هذه العوامل من الآماد المتعاقبة والأزمان المتطاولة في شروط ملائمة .

ولكن خاتم رسول الله لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى بعد إحدى عشرة سنة من يوم انتقاله إلى يثرب حتى كانت للاسلام أمة وكانت له دولة .

إن ميزة الأوامر الإلهية أن تنفذ ولو قامت دونها جميع الحوائل الطبيعية والإنسانية وقد أراد الله أن تكون للاسلام أمة ودولة قبل أن يفارق رسوله العالم الأرضي ، فكانتا فئتين قويتين حاصلتين على جميع عوامل النماء والتطور ، ونقلتا العالم كله من حال إلى حال آخر ، لا صورتين وهميتين لم تلبثا أن انجلتا بعد وفاة موجدتهما ولم تترك أثرا .

فإذا كان في تكوينيهما على خلاف السنن المعروفة إعجاز يقف العلم الاجتماعي أمامه حائرا ، فإن في بقاءهما واستمرارهما وعظمة آثارهما إعجازا ثانيا ليس بأقل من الأول .

يستخف بعض الناس بتكوين الأمم ، فيخيل إليهم أن الآحاد في الأمة كأحجار البناء في البيت يضعها البناء حيث يشاء ، واصلا بعضها ببعض بالملاط ، فيشيد منها قصرا على النظام الذي رسمه من قبل ، هذا النظر يدل على فاقة علمية توجب المرحمة . والحقيقة أن الآحاد الذين تتألف منهم الأمم وتتفاعل بهم كائنات عاقلة وموجودات رشيدة لا يمكن تشبيهها بالأحجار ، والمسالك الذي يجمع بينها مؤلف من روابط معنوية تشترك في تكوينها ضرورات طبيعية ومقتضيات بيئية وحاجات عقلية وروحية .

فإذا لم تنتظم جميع هذه العوامل مئات الألوف من الآحاد في وحدة لا انفصام لها طرأ على هذا الوئام التفكك فلم يتم ترابطها بحيث إذا تحركت تحرك جميع آحادها اضطرابا لا اختيارا في آن واحد وعلى غرار واحد ، لا يسأل عضو عضوا لم تحرك ؟

فتخيل كيف تصل أمة مؤلفة من عدة ملايين أو عشرات الملايين إلى هذا الضرب من التكافل مع تخالف آحادها في أخلاقهم وعقلياتهم ونفسياتهم وآمالهم وأهوائهم .

فإذا رأيت أمما قائمة ولم يصادف قادتها أثرا من الحوائل ، فما ذلك إلا لأن هذه الأمم كانت من عمل القادة والطبيعة لا من عمل القادة والمرشدين . والعمل الطبيعي

المألوف يجرى على أدوار متعاقبة في آحاد طويلة متلاحقة تنفقها الطبيعة في التوفيق بين بين هذه المتناقضات لا يصعب في قالب واحد ، فهذا جد محال . ولكن باخضاعها لنظام تعاوني يحيل تصادمها الضار إلى تكافل مفيد للجماعة ، كما هو مشاهد في كل جماعة قائمة .

فالإسلام بدوره قد رسم الحدود و بين المعالم ونادى في الناس أسبقهم وألحقهم ، أن دين الإسلام هو دين الفطرة ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك هو الدين القيم ، وأن الأديان كلها دخلها التحريف والمحو والإثبات ، إلا أن هذا الدين العميق الحصين الدقيق وقف للناس في جميع الأجيال يقول لهم هذا حلال وهذا حرام . ذلك لأن دين محمد صلوات الله وسلامه عليه جاء موافقا لجميع الأديان السابقة التي جاءت بها الرسل ، فكان خاتمتها وتاجها وعروسها : « ومن يتبع غير الإسلام ديننا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » .

وذلك العامل الخفى الذى أفضنا فى البحث عنه هو « الإيمان » الذى نفثه محمد صلى الله عليه وسلم فى روح جماعته . فجعلهم يتلقفون ما يلقى إليهم بلهف عظيم فتتكيف به نفسياتهم .

وغير خاف على القارئ الحصيف أن الإيمان أعلى صرح من صروح العقائد تندرج تحته الأمور من العظام . فبعد أن كانت الوثنية والنصرانية واليهودية مسيطرة على أعم كثيرة فى الأرض ، ثم جاءت من بعدها عهود الجاهلية ففجرت فى الخروج على كل مألوف وحرقت النواميس الطبيعية للبشرية وناجزتها أيما مناجزة ، جاء الإسلام على يدى محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصلح القلوب والأخلاق والنفوس . وهتك تلك الأغشية التى رانت على عقائد الجاهلية ، وبدد من القلوب ظلمتها ومن العقائد شكوكها ومن العادات أوهامها .

١ — كان السابقون معددين للآلهة ، فجاءهم الإسلام بالتوحيد .

٢ — كانوا يخضعون لحكم القوة والجبروت والعنف ، فأخضعهم الإسلام لسلطان الحق واليقين .

٣ — كانوا يأخذون بالتقليد ، فأحاله الإسلام على حكم العقل .

٤ — كانوا يحكون بالعادات العقلية ، فجعلهم يحكون بقانون السماء الفطرى المطرد .

- ٥ - كانوا قانعين بما هم عليه ، فأهاب بهم الإسلام لطلب الأفضل .
 - ٦ - كانوا واقفين عند عالم المادة ، فحفزهم الإسلام لنور عالم الروح .
 - ٧ - كانوا راضين بالأمر الواقع ، فدفعهم الإسلام إلى تحرى المثل العليا .
 - ٨ - كانوا يأخذون بالظنون المحيرة ، فأمرهم الإسلام أن لا يأخذوا إلا بواضح الدليل كأنه الشمس في كبد السماء .
 - ٩ - كانوا يضربون في عمالة وجهالة ، فحثهم الإسلام على طلب العلم الماحى للظلمة الحالك .
 - ١٠ - كانوا جسد حريصين على تفاوت الطبقات بلا موجب ، فقرر لهم الإسلام مبدأ المساواة في سائر الحقوق البشرية .
- وبعد : فإن هذا الدين المحمدى الحنيف جاء خلاصة للآديان كلها ومبشرا بأمانى السعادة على يدى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ، فحقق للبشرية جميع آمالها ورغائبها ، وكان مولده فاتحة خير وبركة وسعادة على الناس أجمعين ما

عباسى ط

الحامى

إلى سماء البغاء

عجبا لكم يا أنصار المرأة ، تملأون الدنيا ضجيجا بسبب تعدد الزوجات ، ثم بعد ذلك تتقدمون للرجل بمئات المومسات . فالتعدد الحلال فذى فى أعينكم وشجى فى حلوقكم ، وأما الحرام فأنتم تستمرثونه . ولو كنتم نشأتم على كراهيته والنفرة منه ما طاوعتكم يداكم ولا لسانكم على طلبه : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

مصطفى مجاهد

المدرس بكلية الشريعة

دعوة الاسلام

ومنهجها في الإصلاح

- ٣ -

تمهيد وتقديم :

حاجة الانسان إلى هداية الدين السماوى

حاجة الإنسان إلى هداية الدين السماوى ، حاجة دعت إليها الفطرة التى فطر عليها ، وقضت بها الحكمة التى خلق لأجلها ، فإن الحياة الإنسانية فى طبيعتها وأسرارها ، لها مقومات ترتبط ارتباطا وثيقا بسلوك الأفراد والجماعات ، وتتصل اتصالا قويا بمصيرهم فى دار المعاد ، وتقضى قضاء جازما بحاجة المجتمع الإنسانى فى كل زمان ومكان ، إلى هداية روحية تحرر العقول من رق الأوهام والخرافات ، وتسكبت سورة المطامع والشهوات ، وتسكبج جماح الغرائز والأهواء .

وترجع هذه المقومات فى جماتها إلى الأصول الآتية :

الأصل الأول : ما بيناه فى حديث الفطرة الإنسانية ، من أن الإنسان لم يخلق فى هذه الحياة عبثا ، وإنما خلق ليكون خليفة فى الأرض ، يعمرها ويمشى فى مناكبها إلى أجل مسمى ، ويحمل فيها أمانة التكليف والابتلاء ، قياما بحقوق الألوهية والربوبية وتجربى عليه أحكام المسؤولية والجزاء ، تحقيقا لما تقضى به قواعد العدالة الإلهية ، وأن هذه الخلافة الأرضية التى خلق لها ، اقتضت أن يكون مستعدا بفطرته للخير والشر على السواء ، تحقيقا لمناط التكليف واستحقاق الجزاء .

فهذا الأصل كما ترى ، يقتضى أن يكون الإنسان على بينة من صفات الله وأفعاله ، عارفا بالغاية التى خلق لها عالما بالحقوق والواجبات المترتبة على هذه الغاية ، ملما

بأحوال الآخرة التي إليها مرده وفيها حسابه وجزاؤه ، والإنسان مهما سما عقله وفكره ، واتسعت دائرة إدراكه وتفكيره ، لا يمكن أن يحقق هذه المطالب بنفسه ، ولا أن يصل فيها إلى الحق بمجرد عقله وفكره ، لأن العقل لا يستطيع أن يستقل بتحديد ما يجب أن يعرف من صفات الله لما يبناه من ضعفه أمام سلطان الخيال وأوهامه ، كما لا يستطيع أن يستقل بادراك الحتمية المترتبة على حمل أعباء المسؤولية والجزاء ، وفهم ما يجب أن يفهم من أحوال الدار الآخرة وشؤونها ، لأن ذلك من أمر الغيب ، وهو فوق مستوى إداراكه الذاتي وتفكيره الاستقلالي .

ومما يؤيد هذا الذي قررناه ، أن المتقدمين من كبار الحكماء وشيوخهم ، وهم من صفوة أرباب العقول المفكرة ، والبصائر النيرة ، والأحاسيس الموهبة ، تراهم في بحوثهم المتعلقة بالألوهية والربوبية ، قد وقفوا حيارى في منتصف الطريق ، وتشعبت عليهم مسائل البحث والنظر ، وتخطوا في مباحث الإلهيات التي أفنوا فيها أعمارهم ، فعجزوا عن الوصول إلى الحقائق الخالصة من شوائب التضليل والتلبيس ، وجاءوا بعد طول المطاف بخليط من الوثنية والتوحيد ، ومزيج من المذاهب التي لا تغني عن الحق شيئاً ، وكان أصحهم في ذلك رأياً ، وأوضحهم حجة ، وأصدقهم حديثاً ، من كان منهم على صلة بشرائع الأنبياء والرسل ، فقد كانت هذه الصلة السبابة ، تضفي عليهم قبساً من صحة النظر واستقامة الفكر .

ولهذا ربط الله المسؤولية والمؤاخظة برسال الرسل وتبليغ الشرائع ، لا بمجرد اكتمال العقل وبلوغ الرشد ، كما قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى ننبعث رسولا ، ١٧ : ١٥ » « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ، ٢٨ : ٥٩ » .

الأصل الثاني : العوامل التي قارنت وجود الإنسان في الأرض ، وسارت معه في جميع أطواره جنباً إلى جنب ، من الأهواء المؤلمة ، والغرائز الجاحشة ، وطغيان النفس في مطالبها ، ومجاوزتها حدود الاعتدال في شهواتها ، فهذا الأصل كما ترى ، يتطلب من الإنسان لكي يعيش سعيداً كريماً في مجتمع سعيد كريم ، أن يكون مالكا لزاماً أطاعه وأهوائه ، كالحاجة لسورة غرائزه وشهواته ، وافقاً بمطالب النفس عند حدود التوسط والاعتدال ، وهو لا يستطيع أن يحقق هذه المطالب بدون أن يعتمد على هداية أقوى

سلطانا من هداية العقل ، فإن العقل وحده لا يكفي لقيادة الأفراد والجماعات قيادة حكيمة رشيدة ، والسير بركب الحياة على المهج الذى يحقق للسائر سعادة المعاش والمعاد ، لأن العقل يحتاج فى قيادته للغزائز والقوى الإنسانية ، إلى رائد روحى يسترشد به قيادته ، ويسير على توجيهاته فى نظرياته وأحكامه ، ويستعين به على مقاومة هذه العوامل والمؤثرات ، فهو أشبه شئ بالعين الباهرة ، فكما أن العين لا تستطيع رؤية الأشياء رؤية صادقة ، إلا إذا سطع عليها ضوء خارجى ، تستعين به على رؤية الأشباح والصور ، وأما ما دامت فى جو مظلم قاتم ، فإنها لا تستطيع أن تقوم بوظيفتها ، وإن كانت موجودة بجوهرها وطبيعتها ، كذلك العقل فى إدراكه وتفكيره ، لا يستطيع أن يتصرف فى هذه المطالب مواطن الخير والشر ، ومواقع الخطأ والصواب ، ومسالك الحق والباطل ، إلا إذا سطع عليه نور من الوحي السماوى ، يمهده له مجال النظر الصحيح ، ويبين له معالم الحق ومسالك الرشاد ، ويبده عنه غواشى الأهواء والأوهام ، ولهذا كان الإنسان فى حاجة إلى هداية الشرائع والأديان .

الأصل الثالث : تفاوت العقول فى نظرها إلى أوضاع الحياة وصورها ، وتحديد مطالبها وغاياتها ، وتعيين الوسائل الموصلة إلى هذه المطالب والغايات ، فإن الإنسان فى حياته الفردية والجماعية ، له غاية يسعى ليدركها ، وهذه الغاية التى يسعى وراءها ، ويكافح فى حياته للحصول عليها ، هى السعادة التى يهتف بها حسه ووجدانه ، وتترأى له فى آماله وأحلامه ، غير أن هذه السعادة التى هى الأمل المارح والمطلب المرتقب ، قد اختلفت أنظار الناس فى فهم حقيقتها وتقدير مظاهرها ، وتعيين مواطنها وتحديد وسائلها وذهبوا فى ذلك وراء الأهواء والنزعات مذاهب شتى ، حتى هوى كثير منهم فى تفكيره إلى الخضبض ، فظنوا أن هذا الوجود الإنسانى ، إنما هو أيام تمر ، واعوام تسكر ، وأجيال تتعاقب ، وأعمار يطويها كثر الغداة ومرّ العشى ، وأن متاع الحياة ولطوها ، هو منتهى ما لهذا الوجود من حكم وأسرار ، وأن الموت هو النهاية الأبدية لوجود الإنسان ، فلا بعث ولا حساب ولا جزاء ، وبنوا على هذه الظنون الآئمة ، أن سعادة الفرد فى هذه الحياة التى لا يؤمنون إلا بها ، لا تتم إلا بما يحقق وجوده فيها ، من حيث هو حيوان تحكم فيه غرائزه وزواته ، وتستعبده أهواؤه وشهواته ، لا من حيث هو إنسان جعله الله خليفة فى أرضه ، وكرمه وفضله على كثير من خلقه ، وانتسكت عقولهم فى ذلك إلى حد الإسفاف ، فزعموا أن هذا الوجود الذى صوروه إسفافهم ، إنما

يتحقق بالإلحاد الذى يمثل أبشع ما يتصور من ألوان الجحود والكفران ، فليس شئ أوغل في جحود الفضل وكفران النعمة ، من إنكار الإنسان لربه وخالقه ، الذى خلقه وصوره وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، ورباه على موائد كرمه وإحسانه ، وبالإباحية الفاجرة المتحللة ، القائمة على الإغراق في متع الحياة وطوها ، والتمرد على قوانين الأخلاق وآدابها ، والقضاء على العزة النفسية والكرامة الشخصية ، والقيم الأخلاقية والمعاني الإنسانية .

وهكذا تفاوتت الأنظار والأفهام ، وتباعدت الميول والمشارب ، وضلت العقول وعميت البصائر ، وغابت عنها الحقائق في غمرة الأهواء والشهوات ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل « كذلك زينا لـكل أمة عملهم ، ثم إلى ربهم مرجعهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون ، ٦ : ١٠٨ » - « كل حزب بما لديهم فرحون ، فذرهم في غمرتهم حتى حين ، ٢٣ : ٥٣ - ٥٤ » .

فهذا الأصل كما ترى ، يقضى بحاجة المجتمع الإنسانى في كل زمان ومكان ، إلى هداية مستمدة بالحق من عالم الحق ، لا تقترب من أصولها نزغات الشيطان ، ولا تتحكم في نظريات الأهواء الجاحمة ، ولا تتلاعب بأفضيتها العقول الضالة .

الأصل الرابع : أن الإنسان من حيث هو إنسان بعقله وحواسه فحسب ، كثيرا ما يمدو بحواسه وعقله وراء الوهم والخيال ، وينخدع بأضغاث الأحلام وكواذب الآمال ، فيستعملها في تحقيق أهوائه وأطماعه ، والأهواء لا تقف عند حد ، والأطماع لا تنتهى إلى غاية ، وكثيرا ما تمتد إلى ما في يد غيره ، فيقع التنازع والتعاضد بين الأفراد والجماعات ويشهر القوى على الضعيف سيف بغية وعدوانه . وقد يصير الضعيف قويا في غده ، فيرد الصاع صاعين لخصمه ، فإن الدهر قلب ، والأيام دول ، والشر بالشر والبادى أظلم ، وبذلك تحل قواطع العداوة والبغضاء ، محل روابط المحبة والإخاء ، هذا هو شأن النفوس الإنسانية في سيرها وتفكيرها ، ما دامت منطوية على ميول جاحمة ، وشهوات مطاعة وأهواء متبعة ، وليس لها مع ذلك عاصم يعصمها ، ولا مرشد يرشدها .

فهذا الأصل كما ترى ، يقضى بحاجة الإنسان في كل زمان ومكان ، إلى هداية روحية سماوية ، تحرر عقله من تسلط الوهم والخيال ، وتطلق فكره من رق الأهواء

والشهورات ، وتزن مطالب الحياة بميزان القسط والاعتدال ، وتوضح له معالم السير على الصراط المستقيم ، إذ لو ترك الإنسان شأنه أمام هذه العوامل والنوازع ، لتشعبت عليه المسالك ، وتفرقت به السبل ، وطاحت به الأهواء ، وآل أمره إلى الزوال والفناء ولا يمكن الله الذي أحسن في كل مخلوق خلقه ، وأبدع في كل مصنوع صنعه ، قد أراد لهذا الإنسان أن يعمر الأرض إلى أجل مسمى وأن يبلغ السكال الذي قدره له ، ويصل إلى الغاية التي خلقه لأجلها ، ففتح به فضله ورحمته هداية تسير مراحل السير وأطوار الحياة في كل زمان ومكان ، وتضع للسائر في ركب الحياة أصول السير وقواعد السلوك التي تحقق لهم وسائل الحياة وأسباب البقاء ، وتدفع عنهم عوامل الشقاء والفناء ، تلك هي هداية الشرائع التي بشرت بها الأنبياء والرسل ، والتي تنجي الأحاسيس والمشاعر وتوقظ العقول والضمائر ، وتهيمن على القلوب والأرواح ، وتراقب الإنسان في سره وجهره ، وتبعث فيه من قوة اليقين وأصالة الرأي وصحة النظر واستقامة الفكر ما يتغلب به على كل ما يقف في طريق أمنه واستقراره ، ويذل به كل ما يعترض سبيل سعادته وكآله ، وبهذه المننة العظمى والهداية الكبرى ، اكتمل للإنسان أربع هدايات إلهية وهي : هداية الحواس ، وهداية العقل ، وهداية الوجدان ، وهداية الأديان . ولم تبق حجة محتج ولا معذرة لمعتذر ، كما قال تعالى : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ، ٤ : ١٦٥ » .

وأما ما يزعمه دعاة الإباحية والتجمل ، من أن ما وصل إليه الإنسان من الرقي العقلي والفكري ، وارتقائه في العلوم والفنون ، واتساع آفاق حضارته ومدنيته ، يقوم مقام هداية الدين السماوي ، ويمكن قادة الشعوب والأمم ، من إرساء قواعد النظام الاجتماعي والسياسي ، على دعائم العلم والحضارة وبناء المجتمعات الصالحة ، التي تكفل لأهلها الأمن والاستقرار ، وتحقيق لهم وسائل السعادة والرفاهية .

فإنما هو زعم كاذب ، لا يخدع به إلا الذين يقفون بأبصارهم عند ظواهر الأمور ، ولا ينفذون ببصائرهم إلى بواطنها وخوافيها ، ولست في حاجة إلى استخراج الأدلة على كذب هذا الزعم ، من الماضي البعيد أو القريب ، ففي الحاضر أصدق الشواهد وأبلغ العبر ، فإن هذه الحضارة التي يقدسونها ويتحدثون عنها ، ويريدون الاستغناء بها عن تعاليم الدين ومبادئه ، هي التي ابتدعت لأهلها شر ألوان الفسق وأبشع أنواع الفجور ،

وأمعنت في الإباحية والاستخفاف بالقيم الأخلاقية إلى أبعد الحدود ، واتخذتها مطامع الاستعمار أسلحة للبغي والعدوان ، ومعاول للتخريب والتدمير ، حتى أصبحت هذه الحضارة نفسها ، مهددة في كل يوم بالحرب والدمار ، لأنها قامت على الفتح والاستعمار ، واستغلال الشعوب واستعباد الأحرار ، والاستهانة بجرمة اليهود والمواثيق والاستخفاف بقدسية الحق والعدل ، فكانت شرا على المجتمع و بلاء للشعوب والأمم .

هذه الحضارة المادية التي يعتزون بها في تضليل وتدليس ، هي التي أباحت لدول الطغيان والاستعمار ، أن يخذعوا الشعوب المغلوبة على أمرها ، بأنهم هم الذين قرروا حقوق الإنسان بينما نراهم يدوسون بأقدامهم أقدس حقوق الإنسان ، ولا يراعون في حقوق الشعوب الضعيفة ذمة ولا عهدا ، إذ قدروا لا يعفون ، وإذا حكموا لا يعدلون ، وإذا عاهدوا أو حاربوا نقضوا المواثيق والعهود ، واستهانوا بكل عرف وقانون ، لا يعرفون في حروبهم شفقة ولا رحمة ، كأن قلوبهم قذت من الصخر ، وأجسادهم تقمصت أرواح الشياطين ، ولا يتأثمون من الإمعان في الطغيان والعدوان ، ولو ملئوا الدنيا خوفا وفزعا ، والأرض ظلما وجورا ، والحياة شقاء وبؤسا ، بل ولو سالت الأودية بالمهيج ، واخضلت اتربا بالدماء ، وتجاوبت أمواج الأنهر بأنين الضحايا والشهداء ، لأنهم لا يدينون بشرائع الأنبياء ، ولا يخافون يوم البعث والحزاء ، « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، ٢٦ : ٢٢٧ » .

فأى إنسان يحكم عقله وضميره ووجدانه ، لا يرى فيما ذكرناه الأدلة القاطعة على فساد هذا الزعم وبطلانه ، وأن الحضارة عاجزة عن الاستقلال باصلاح حال المجتمع ، وتحقيق سعادته في المعاش فضلا عن سعادته في المعاد .

ومما تقدم تتضح الحقائق الآتية :

١ — أن حاجة الإنسان إلى هداية الدين السماوى ، حاجة دعت إليها الفطرة التي فطر عليها ، وقضت بها الحكمة التي خلق لأجلها ، وأن سعادة المجتمع الإنسانى في كل زمان ومكان ، لا تتحقق إلا بالسير على هدى الشرائع والأديان .

٢ — أن العقل من حيث هو عقل تكتنفه عوامل الزيف والانحراف ، لا يستطيع أن يستقل بوضع قواعد السلوك التي تكفل الأمن والاستقرار للسائرين .

٣ — أن العلم البشرى بكل فلسفته وفنونه ، لا يستطيع أن يستقل بإصلاح حال المجتمع الإنسانى ، وأن هذا الإصلاح لا يتحقق إلا عن طريق الجمع والمؤاخاة بين الدين والعلم ، وسيرهما معا فى معترك الحياة جنباً إلى جنب ، الدين للقيادة والتوجيه والإرشاد ، والعلم للكشف والإنتاج والإعداد ، ورجال كل لكل أعوان وأنصار ، والكل فى بناء المجتمعات الصالحة أنداد وأمثال .

٤ — أن ارتقاء الأمم فى ميادين العلوم والفنون السكونية ، إذا لم يكن فى ظلال حياة روحية دينية ، توجهه إلى خير الإنسانية وسعادتها ، فانه يكون بلاء ومحنة للشعوب والأمم ، وخطراً داهماً على الحضارة نفسها كما هو الواقع الذى نراه بأعيننا ونسمعه بأذاننا ، فلو أن هذه الشعوب التى أحسدت بها خطر الجبروت الحربى ، واشتدت عليها وطأة الحضارة المادية ، بأعبائها وأوزارها ، أقاموا صرحها على أساس روحى ، وساروا بها على هدى الدين السماوى ، لسكنت من أقوى العوامل فى دعم روابط المجتمع وأنجح الوسائل فى إصلاح حال البشر ، ولو أنهم عادوا بحضارتهم إلى ظلال الحياة الروحية الدينية ، لوجدوا فى صفاتها ويسرها وسلمها ، شفاء لما فى صدورهم المتقدة ، وسكننا لنفوسهم المضطربة ، وإحياء لآمالهم المحطمة ، ولعاشوا فى مجتمع سعيد كريم ، يسوده الحب والسلام ، والتعاون والإخاء ، ولسكنها الأهواء عمت فأعمت ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ٣٠ : ٧ » « قتل الإنسان ما أ كفره ، ٨٠ : ١٧ » « إن الإنسان لظلوم كفار ، ١٤ : ٢٤ » .

يس سويلهم طه

المفتش بالأزهر

العلاج الذرى فى مصر

يجرى العلاج والأبحاث الآن بالنظائر المشعة فى قسم الذرة الذى افتتح أخيراً بمستشفى المنيل الجامعى بواسطة الأجهزة المستعملة فى الوحدات العلاجية الأخرى ، وفيها عداد السكترونى لقياس كميات الإشعاع وأنايب حساسة للإشعاعات . وقد اعتمد فى الميزانية الجديدة للمستشفى عشرة آلاف جنيه لهذا القسم ليستورد أحدث الأجهزة لتشخيص قوام المخ ، وللابحاث الذرية التى تتطلب دقة فى التصوير وتحليلات الدم والهرمونات المختلفة . وسيصبح هذا القسم أكبر قسم فى منطقة الشرق الأوسط .

حساب العرب والمسلمين مع أمريكا :

قضيةتان منفصلتان

تناولت هذه المجلة هجمات الغرب - وعلى رأسه أمريكا - على العرب والمسلمين من زوايا مختلفة : سياسية واجتماعية وثقافية .

ومن أمانة الحق وحرية الرأي أن نناقش فئة من الناس حسنة النية غيورة على الدين والوطن : هي تتفق مع المهاجرين للغرب ، المنكرين على الاستعمار الأمريكي الجديد ، لسكنها في حيرة .

نعم ... إنها ترى الغرب جديرا بالهجوم والاستنكار ، غير أنها تنظر إلى الكفة الأخرى التي تستفيد من هبوط أمريكا في الميزان ، ثم تشفق من انتصار النظريات الإلحادية أو النظم الاستبدادية ، فتتردد ، وتتعثر ... وتسكاد تتساءل : أليست الحكمة أن نختار أهون الشرين ؟؟

وإلى هؤلاء المخلصين الغيورين ، الذين قد تتأثر عقولهم بما في الغرب من مثل ، لكن جيوبهم طاهرة مما عنده من دولارات نسوق الحديث .

ولسنا نسوق الحديث لكي يقتنع فرد أو أفراد ، ولسنا نسوقه لأن هذه نقطة منهجية حساسة يحسن أن تستوفى حظها من البحث الهادئ والمنطق الصريح ، إذ أننا نقف اليوم على مفترق الطرق ولا بد أن نعرف إلى أين نسير .

* * *

أول خطأ يقع فيه هؤلاء : أنهم يخلطون بين أوضاع الدول الداخلية ، وسياساتها الخارجية . . .

إن القومية العربية والبلاد الإسلامية حين تقف في معترك الصراع الدولي لتأخذ حقها وتحمل وضعها لا تفاضل بين المذاهب السياسية والمفاهيم الفلسفية التي تعتنقها هذه الدول ، إنها تقيم سياستها على أساس الاستفادة ممن يريد أن يتبادل معها النفع بغير حيف ، والعداء لمن يريد المساس بمصالحها .

فلسنا نختار بين الشيوعية والرأسمالية ، أو بين (دكتاتورية البروليتاريا) وبين الديمقراطية ... هذا ليس عظيم يدير الرؤوس ويفتن العقول ... إن العرب والمسلمين لم يقرروا أن يتنازلوا عن شخصيتهم وفكرتهم ليعتبقوا مذاهب الشرق أو الغرب ، ليختاروا الجنسية الروسية أو الأمريكية ... إنهم عرب ومسلمون يتعاملون مع العالم على أساس المصالح المتبادلة والمنافع المشتركة !!!

وليس معنى أن ننتفع اليوم من سياسة دولة ونتفق معها في وجهة نظر دولية أننا نحالفها إلى الأبد ، ونؤيدها في كل شيء !!! هذه غلظة ثانية يقع فيها بعض الناس ... إن السياسة الدولية ليست جامدة خالدة ، وليست المواقف المختلفة (أديان) لا تقبل الردّة !!! إن العرب وقت الحركة العربية التي تلت الحرب العالمية الماضية كانوا - أو كان الكثير منهم - ينظرون إلى أمريكا نظرة تناسب ذلك الوقت وتتفق مع سياسة أمريكا وقتها التي مثلتها مبادئ ويلسن والتي كانت بعيدة عن الصراع الاستعماري المباشر والتي لم يكن قد فارقها تيار (العزلة) عن المشكلات العالمية ... فلما فقدت أمريكا هذا الوضع بعد الحرب العالمية الثانية ، غير العرب والمسلمون وجهة نظرهم بعد أن رأوا أمريكا تتدخل هذا التدخل السافر المريب !!!

والعرب والمسلمون مستعدون أن يغيروا وجهة نظرهم من روسيا إذا غيرت وضعها وموقفها من قضاياهم ... والعرب والمسلمون لهم آرائهم الخاصة في مسائل كثيرة يختلفون فيها مع الفلسفة السائدة عند الروس ، فليس معنى التعاون الدولي الذوبان والانصهار والتميع ، والتحالف المؤبد والتأييد على طول الخط !!! ... وإلا فلماذا ثرنا إذن على أمريكا ؟ ؟ ولسنا في هذا بدعا من الناس ... فتيتو شيوعي يتعاون مع أمريكا دون أن يتنازل عن شيوعيته ، ودون أن تتطلب منه أمريكا التنازل عن شيوعيته قبل التعامل معها ، وبريطانيا ديمقراطية رأسمالية تريد أن تتوسع في تجارتها مع الكتلة الشيوعية ولا تسير حليفها أمريكا في سياستها بالنسبة للصين الشعبية ... والذي لاشك فيه أن سواد

المجاهير ليسوا من الفلاسفة الذين يستطيعون هذا التجريد ، ومن ثم قد تروج نغيات الإعجاب بمبادئ من ساندونا أو أيدونا أثناء هذه الفترة القلقة من الصراع الدولي في الشرق الأوسط ... غير أن الغلظة الثالثة أن يظن أن هذا الإعجاب ثمن باهظ وعيب فادح ، بل الحق أن التحيز لمعسكر من المعسكرين هو أكثر ترويجا للدعاية المناهضة له ، ولا يزيد القمع النار إلا اضطرابا ... أما إن كان للأمة شخصيتها المعنوية المتميزة فلن يزيدها اطلاعها على ما عند غيرها إلا فضحا واكتالا واعتازا ، وهذه مهمة رواد الفكر في داخل الأمة ولو أدوا واجبه ، وحفظوا تراثهم ونموا شخصيتهم لما خسروا شيئا ، ولا استفادت الأمة في كل ميدان !!

ولقد يقال : إن هناك خطر التحول الانقلابي إذا تعذر التغير الفكري !! والتحول الانقلابي خطر أشد إذا اتبعت سياسة الانحياز ، لأن أخطاء التحيز تراكم لصالح الطرف الآخر تلقائيا ، وكلما زاد الضغط زادت القابلية للانفجار !!

لقد خاضت روسيا حربا مع بريطانيا وأمريكا ، وأثارت مقاومة الروس للألمان إعجاب الشعبين الحليفين . . . وانتهت الحرب وخرجت روسيا دون أن تفقد مبادئها ، وأمريكا وروسيا لم تعتنقا الشيوعية هما الأخريان !!

. وأخيرا : يخطئ الذي يظن أن سياسة الحياد في المجال الدولي ، والإفادة من كل جانب يحقق لنا نفعا دون تحيز، معناها : اختيار كتلة وترجيح كفة ... نحن نريد أن نكسب الفريقين ، ولا نستفز أحدهما ضدنا وإلا لما كان لحيادنا معنى ... وما أحلى اليوم الذي توجه فيه الدول الكبرى ميزانيات الصواريخ الطائلة لتتنافس على كسب ود الشعوب وتحقيق رفاهتها وتقديمها المادى والأدبى !!

إن أمريكا تخطئ كثيرا حين تغلق الباب في وجوه الذين يريدون التعاون مع الجميع إذ تحتم عليهم الانحياز لمن فتحوها بعض الأبواب أو جميع الأبواب ...

. نحن إذن نريد صداقة الجميع ... هذه سياستنا الخارجية !!

. ونحن لا نريد أن تعنى هذه الصداقة امتيراد فلسفات وأنظمة لداخل بلادنا ،

فإن لنا شخصيتنا المتميزة وأوضاعنا الخاصة ... هذه سياستنا الداخلية .

وليست تعوزنا الأمثلة لتوضيح هذه السياسة .

ولترك مصر وسوريا اللتين كانتا نهبا لوساوس الغرب وشكوكه ... ولنتجه إلى الهند ... كل ما أصرت عليه الهند هو ألا تنساق وراء الأحلاف العسكرية : حلف بغداد او حلف جنوب شرق آسيا . وبقيت الهند بعد ذلك تتعاون مع الشرق ومع الغرب ، وتتلقى ما يستطيع هؤلاء وأولئك أن يعينوها به . وبقيت الهند عضوا في الكومنولث البريطاني ، وبقي نهرو مع حزب المؤتمر في حرب سياسية فكرية في الداخل مع الحزب الشيوعي الهندي ، في حين دأب على أن يحمل أعضاؤ الزيتون والريحان للاتحاد السوفيتي وما فتئ يحاول إدخال الصين الشعبية في هيئة الأمم المتحدة .

* * *

والغلطة الكبرى أن نحكم على موقف الغرب بأفكاره ونظمه السائدة في داخله ، وتجاهل الأفكار والنظم التي بعدها للتصدير !!

إنها بضاعة مغشوشة تماما ...

إن أمريكا وبريطانيا وفرنسا (من الداخل) شيء آخر مختلف تماما عن أمريكا وبريطانيا في الشرق ... الأوسط ، والأدنى ، والأقصى !!

لن أناقش هنا ما يصيب العدالة من خدوش جزئية داخل هذه البلاد ذاتها ، فيما لا شك فيه أن هناك عدالة على كل حال ، وقد أصبحت هذه (العدالة الداخلية) روحا متأصلة لدى الحاكم والمحكوم ، وقاعدة أساسية في الفكر والمجتمع والدولة ، وإن لم يخل وجه العدالة الصبوح من يقع ولطع داخل هذه البلاد ذاتها .

فن المعروف قطعا أن اضطهاد الزوج وإجراءات (مكارثي) ليس مما يشرف أمريكا ، واستصدار قانون خاص يبيح اتخاذ إجراءات استثنائية ضد الجزائريين في فرنسا - وهم وفقا لوجهة النظر الفرنسية جزء من الشعب الفرنسي - معناه اضطهاد طائفي عنصري في بلد ثورة الحرية والإخاء والمساواة !!

لن أناقش هذا وسأسلم مع الغيورين على الوطن أن الغرب ديمقراطي ، وأن الغرب مزدهر علميا واقتصاديا ومتكافل اجتماعيا ، وأن الغرب متدين ولا يفتأ يتحدث عن القيم

الروحية والمثل العليا ، ولا يقلقه على الشرق الأوسط إلا أنه مهد الأديان والمقدسات - كما قال الرئيس أيزنهاور حين قدّم مشروعه للكونجرس الأمريكي ...

فماذا يصيب الشرق من فقات هذه الخيرات الغربية ؟ ؟

ماذا يصيب الشرق على يدى الغرب .

. الديمقراطية السياسية .

. النهضة العلمية والاقتصادية والعدالة الاجتماعية .

. الاتجاه المثلالى نحو الدين والأخلاق .

* * *

الإنصاف يقتضينا أن نشهد للغرب بالديمقراطية السياسية على وجه العموم ، مهما أصابها من خدوش ...

لكننا نريد أن نعرف هل يحرص الغرب (عندنا) على تدعيم النزعة الديمقراطية وحماية الحريات السياسية ، ويحرص على أن يتعامل مع حكومات شعبية ديمقراطية ، إذا حدث واتفقت معه ، عبرت بذلك عن إراد شعبية متأصلة مستقرة ؟ ؟

حسبى أن نراجع موقف لبنان العريق فى الحرية !! إن حكومته تريد أن تستصدر اليوم قانونا يبيح لها الاعتقال ستة شهور دون تهمة أو تحقيق أو محاكمة !!

إن شعوب آسيا وأفريقيا - تنبشكم أن هدف الاستعمار الغربى كان دائما خلق حكومات تتعاون معه بأى شكل : (بالنيوت) ، بالديكتاتورية ، بأسنة الحراب ورمصاص البنادق وصواريخ الطائرات - هذا أمر لا يهم !!

أليس أولى بالحرصين على الديمقراطية أن يعرفوا أن تأصيل الديمقراطية لا يستورد من الغرب أو الشرق ؟ ؟

وأن أعبت العبث أن ينظر الشعب من عدوه أن يعلمه الحرية !! !

فليتعلموا إن شاءوا من فلاسفة الغرب ومفكره ، وعلمائه وشرعيه ، ولكن عليهم أن يتعلموا بجهودهم هم ، وأن يطبقوا ما علموه بكفاحهم هم ، فلا ينتظرون أن تجيء فرنسا (الدولة) لتحتل الجزائر فتقيم فيها فلسفة روسو ومنتسكيو ، ولا يتوقعون أن تسير أمريكا (الدولة) على كلمات نطق بها لنكولن أو واشنطن أو ويلسون أو جفرسون !!

أما النهضة العلمية والرخاء الاقتصادى عند الغرب فنحن أحوج ما نكون إليهما ،
ونحن أحوج ما نكون إلى اقتباس نظم الغرب في التكافل الاجتماعى : تأميناتهم وضماناتهم
وتشريعاتهم العمالية . . . الخ .

كذلك نحن محتاجون لدراسة مشروعات الأحزاب الاشتراكية المعتدلة في تلك البلاد .
فهل يتركنا الغرب نوفي احتياجاتنا من هذا كله ؟ ؟

لا . . . ولا بعض هذه الاحتياجات ، دون أن ندفع الثمن الدموى الباهظ ، ثم
التحالف العسكرى مع الغرب في حربه المتوقعة مع الشرق ، كى نصير وقود الصواريخ
والقذائف الذرية والهيرو جينية ! !

ونحن نريد فقط ألا يكون لنا شأن بالغرب في هذه الأحلاف . . . ونرحب بأن يكون
لنا شأن في ثقافة الغرب وفي ثراء الغرب ! !

ومن الطبيعى أن تحرص روسيا على تشجيع رغبتنا في التئام عن جيوش أعدائها ،
فالأحقى وحده هو الذى يريد من الناس أن يتحالفوا مع الخصم المحارب . . .
فما ذنبنا إذن تجاه هذا الوضع الذى نجد أنفسنا فيه ؟ ؟

أمريكا لا تريد منا أى تعاون اقتصادى مع الغرب أو الشرق قبل أن نمهر صك
انقيادنا لسياساتها العسكرية ، لتطمئن أولا ، ثم تعطينا مما نشاء ، وتصترح لنا أن نأخذ
من غيرها ما نشاء أو ما نشاء ! !

وأمريكا التى عرفت كيف أذى الانهيار الاقتصادى بأوربا بعد الحرب الأخيرة إلى
أحضان الشيوعية ، وكيف اضطرت للأسراع إلى تدعيم الاقتصاد الأوروبى عن طريق
مشروع مارشال . . . أمريكا التى عرفت هذا هى التى تحاصرنا اقتصاديا وتجد أموالنا ،
وتمنع عنا حتى قبح الحيز الذى به نفتات ، ثم تتهمنا بالشيوعية ! !

وأمريكا التى عرفت كيف حافظت الأحزاب الاشتراكية التطورية الديمقراطية على
بقية أوربا من أن تقع في أيدي الشيوعية ، وهى التى نجحت - لا اليمين المتطرفون -
في الإبقاء على أوربا الغربية - وخاصة فرنسا وإيطاليا . . .

أمريكا التى عرفت هذا هى التى تفسر كل خطوة نحو رفع مستوى المعيشة عندنا بأنها
شيوعية . . . وتفسر كل نعمة اشتراكية عندنا بأنها شيوعية . . . وحزب البعث الاشتراكي

السورى يردد دائماً أن اشتراكه مستوحاة من احتياجات أمتنا العربية لا من الفكر الماركسى ، والشيوعيون يسخرون دائماً من هذا المفهوم القومى العجيب لفكرة عالمية كالاشتراكية ، ومع ذلك فالبعثيون عند الأمريكان شيوعيون !!

أليس لنا العذر بعد ذلك أن نوقن أن أمريكا تبني سياستها معنا على أن الشرقيين لا يصلحون للديمقراطية الغربية... ولا يفهمون كيف يفرقون بين الاشتراكية والشيوعية... ولا يصلحون لمستوى أرفع من الحياة الاجتماعية أو السياسية ؟؟

* * *

بقيت مثالية الغرب الأخلاقية والدينية .

ونحن لا ننكر على الغرب أن الدين والمؤسسات الدينية فيه أكثر نشاطاً ، وأعمق جذوراً مما عند الشرق... ولكننا كما قلنا لا نريد أن نستورد أفكار السوفييت حين نتعاون معهم... ثم إن المفهوم الدينى عند الغرب مفهوم غريب علينا تماماً ؛ ومن هنا علينا الحذر من اللبس والاختلاط .

إن الذهاب إلى الكنيسة والانضمام للجمعيات الدينية فى الغرب لا يتناقض إطلاقاً مع الإباحية - أو التحلل على الأقل لا فى العلاقات الجنسية... مع رقصة الورك آندرول ، مع التفاليع الوجودية... مع الخمر والميسر والسهرات الصاخبة... مع الاستبداد فى حكم الآسيويين أو الأفريقيين !!

فهل هذا هو التدين والتخلق ، اللذان يراد أن نتحيز لهما ؟؟

نستطيع أن نقرأ للفلاسفة الغربيين فى الدين أو الخلق... ونستطيع أن نعجب مما يستحق الإعجاب ، ونقتبس ما يستحق الاقتباس... لكن حذار من الدين والخلق عن طريق (الدول والحكومات) و (المنظمات) وخاصة التى ترعاها الدول والحكومات !

إن تدين أمريكا خلق إسرائيل لتبقى ، وأقام دولة للذين صلبوا المسيح فى عرف الأمريكان... وإن أخلاق أمريكا شرّدت مليون لاجئ فى العراق عشر سنوات ، والبقية تأتى !!

وأخلاق أمريكا (السياسية) سمحت لها أن تعاون تيتو الشيوعي وفرانكو الفاشي
لـسكنها ألـهبت ضميرها لتقاطع مصر وسوريا ، وتضغط على مصر وسوريا !!

وتدين أمريكا (السياسى) أنتج مشروع أيزنهاور من أجل الشرق الأوسط ، مهد
القيم الروحية .

وإخلاص أمريكا للأديان أنتج مفاهيم الإسلام (المتأمر ك) ، التى لا يقبل غيرها
من المسلمين إذا كانوا من (العالم الحق) .

فإما أن يتسع الإسلام فى الشرق للتناقض الذى اتسعت له المسيحية فى الغرب .
وإما أن يكون الإسلام جامدا عاجزا عن (التطور) مع العصر والعلم .

* * *

وبعد : فهذا موقفنا من الغرب ...

نحن نقف ضد البغى ، لا ضد الغرب ... والغرب باع معنا حتى إنه ليستكثر
مبادئه ونظمه علينا ، ويتعامل معنا بنقيض فلسفته التى يتباهى بها ويتحاكم إليها فى دياره .
ونحن مع هذا البغى لا نريد أن ننسرك للغرب جملة ، وإنما نريد أن نتوقى شره ،
ونفيد من خيره ، كما نفيد من غيره .

فهل هناك بعد هذا ما يتأجلجج فى صدور الذين يغارون على الدين والوطن ، وقد أمرنا
ديننا أن نقاوم البغى حتى من الذين آمنوا « فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى
تبغى حتى تفتىء إلى أمر الله » . ذلك أن الباغى لا يبنى وهو مؤمن « الذين آمنوا ولم
يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » ما فتى عثمان

التحرير العربى

قال السيد عبد الخالق حسونة (أمين الجامعة العربية) وهو فى نيويورك : « إن
العرب قد عقدوا العزم على أن تبقى بلادهم حرة إلى الأبد » .

الإسلام والمسلمون في صحف العالم :

ألمانيا وموقفها من العالم الإسلامي

ماذا نعرف عن المسيحية في روسيا

ألمانيا والعالم الإسلامي :

في مقال طويل انتقدت مجلة « الأمم الإسلامية المتحدة » التي تصدر في تركيا تصرفات حكومة ألمانيا الغربية ضد العرب والمسلمين . فقالت : « إن حكومة بون على وشك أن تفقد العالم العربي الإسلامي لأنها تقدم المساعدات الهائلة تحت ستار التعويضات إلى ما يسمونه بحكومة إسرائيل ، وألمانيا تعلم أن إسرائيل لن تستخدم هذه المساعدات . وفيها ما فيها من المعدات الحربية والعتاد . إلا في شفاء غليلها باراقة دماء الأبرياء من العرب والمسلمين » .

ثم أبدت المجلة عجبها من أن تضجى ألمانيا بصداقتها التقليدية مع العالم الإسلامي لكي تكسب ود اليهود ، وقالت : إن هذا التصرف قد أثار الغضاضة والامتعاض في الأمم الإسلامية ، ومن جرائه أوشكت حكومة بون أن تفقد أسواقها في العالم الإسلامي .

ثم أشارت « مجلة الأمم الإسلامية المتحدة » إلى ناحية أخرى من تصرفات ألمانيا العجيبة إزاء العرب والمسلمين فقالت : وفي الوقت الذي تتجه فيه حكومة بون إلى توثيق صلاتها مع الغرب وإلى تعضيد اليهود نراها تضطهد الصحف الموالية للعرب والتي تنصر القضايا العربية والإسلامية وتسوق محريها إلى المحاكمات الإرهابية ، وضربت المجلة مثالا لذلك بما اتبعته حكومة ألمانيا في اضهاد « أحد إخواننا من المسلمين وهو أحمد فرنزرسلر الذي نادى بأعلى صوته بحقوق العرب في فلسطين . وقد كان « لأكثر من ست سنوات عضوا في البرلمان . وهو صاحب الخطاب البرلماني المشهور الذي هاجم فيه الصهيونية مهاجمة شديدة ، وتناول تفاصيل مشكلة فلسطين وحقوق العرب فيها ، فكان

أول خطاب من نوعه في برلمان ألمانيا الغربية يندد بالصهيونية . فكان أن قدمته الحكومة أخيراً إلى المحكمة وكل تهمة أن جريدة في الأرجنتين عالجت هذه المشكلة واستشهدت بكلامه ، وأكثر من هذا غرابة فإن المحكمة قررت تجريدته من حقوقه كموطن وهي الحقوق الواردة في دستور جمهورية بون الاتحادية . .

ثم ختمت المجلة مقالها قائلة : إن الدكتور أحمد فرنز قد رفع شكوى إلى جميع رؤساء البرلمانات في العالم العربي الإسلامي وشرح فيها تفاصيل قضيته ، وهي إحدى القضايا التنكيلية ضد أولئك الذين يعلنون بصراحة عن اليهودية العالمية في ألمانيا الغربية ، ونحن المسلمين نعلم ذلك ، ونعلم أنه لا يزال لنا أصدقاء في ألمانيا سينطقون بالحق حتى النفس الأخير ، وهؤلاء الأصدقاء هم الشعب الألماني النبيل .

انتهى ما قالته المجلة الإسلامية التركية ، وكل ما قالته صحيح ، ولكن في مقام الإنصاف نحب أن نسأل : نرى من هو المسئول الحقيقي عن هذا كله ، وأكثر من هذا كله ، مما تصنعه حكومة ألمانيا الغربية تجاه العرب والمسلمين ؟

واعتقد أن الجواب عن هذا لا يحتاج إلى بحث ، فإننا نعرف أن حكومة بون ليست إلا العوبة في يد دول الغرب ، ويد أمريكا خاصة ، فهذه الدول الاستعمارية هي التي فرضت على ألمانيا مبدأ تمويل إسرائيل ، وهي التي أجبرتها على أن تدفع من دمها الملايين لتمويل الدولة الصهيونية والشعب الألماني لا يجسد القوات ، وأبناءؤهم ينأون في العراق بعد أن هدمت الحرب دورهم وبلادهم ، وما دام الأمر للغرب الغربية وهي التي خلقت إسرائيل ، وما دام الأمر لأمريكا وهي لعبة الصهيونية ، فأحسب أن الأمر يكون من الواضح بحيث لا يحتاج إلى بيان .

إنه منطق الاستعمار . وما زالت ألمانيا الغربية تعيش تحت وطأة الاستعمار الغربي وجيوشه الجاثمة على قلب الألمانين ، وليست حكومة بون إلا آلة في يد هذا الاستعمار تنفذ رغباته . وتسير بتوجيهه ، فمن الإجحاف أن نعد ألمانيا مسئولة عن تلك المجازفة للعرب والمسلمين ، وإنما هو الاستعمار الغربي وحقيقته المعروفة ، ويوم يقدر لألمانيا أن تنطلق من ربة هذا الاستعمار ، وأن تظهر من رجسه ، فأننا سنجد ألمانيا على حقيقتها التي عرفناها على مدى الأيام .

المسلمون في روسيا :

كتبت مجلة « الإسلام » التي تصدر في كراتشي مقالا عن الشعوب الإسلامية التي تعيش في داخل الاتحاد السوفيتي فوصفتهم بأنهم ضحايا النظام الشيوعي الذي لا يعترف بالعقيدة الدينية ، وقد أوردت المجلة سلسلة من الاضطهادات والفظائع التي نزلت بالمسلمين في عهد الحكم الشيوعي الذي يستهدف تقويض دعائم الولاء للإسلام في نفوس معتنقيه كما تقول المجلة ، وما أريد أن أنقل هنا شيئا مما كتبت « الإسلام » عن هذه الاضطهادات والفظائع ، لأنني أحب أن أكون منصفا في هذا المقام ، ولست أدري هل كتبت المجلة ما كتبت بدافع الغيرة على الحق والإسلام وأنها تسوق في هذا حقائق حققتها ، أو هي تستجيب في ذلك لغرض آخر .

ومنذ أعوام ونحن نسمع كلاما كثيرا عن المسلمين في الاتحاد السوفيتي ، ولكنه مع الأسف كلام الدعاية السوفيتية التي تزعم أنهم يعيشون في جنات النعيم ، أو الدعاية المعادية التي تؤكد أنهم يقيمون في الدرك الأسفل من السعير ، وفي غمرة الدعايات تضيع عنا الحقيقة التي يمكن الاطمئنان إليها ، والتعويل عليها ، ولاني لأعجب للهيئات الإسلامية في بقاع العالم الإسلامي كيف لا تنزع لهذا الأمر فتوفد بعثة من رجالها يطوفون بتلك الأرجاء ويقفون على حال المسلمين فيها بأنفسهم ، ويعلنون ذلك للمسلمين حتى يطمئنوا على أولئك الملايين من إخوانهم في حياتهم وفي عقائدهم .

إنه فيما أرى عمل واجب ، فإن من التفريط أن تضيع حقيقة الحال لعشرات الملايين من المسلمين في غمرة الدعايات المغالية ، فهل للهيئات الإسلامية أن تبادر إلى النهوض بهذا الواجب ؟

محمد فراسي عبدالمطيف

يهود المغرب

أصدرت حكومة المغرب قانونا بمنع الهجرة الجماعية إلى إسرائيل ، وطردت أعضاء الوكالة اليهودية في طنجة ، وأن ٩٨٠ يهوديا من الذين يعيشون في طنجة ممنعوا من مغادرة البلاد نتيجة لهذا القانون ، وأن ١٤٠٠ يهودي آخر كان ينتظر أن يغادروا البلاد في الشهرين الماضيين لولا صدور ذلك القانون .

وقد أُلِف اليهود عصابات سرية في طنجة لتهريب اليهود سرا إلى إسرائيل ، لكن حكومة المغرب وافقة لهم بالمرصاد .

الروح

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ،
وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .
قرآن كريم

آمنت بالله القوى المبدع
ذهب الذين تطلعون لم يظفروا
لا لا سبيل إلى الوصول فكلنا
وسعت أداة العلم كل جليلة
ألزمته قنعا ولولا أنه
ضافت به أرض فطار مخلقا
يا روح أنت شعاع كل نجبا
أما حجابك مذ هبطت فسرره
أنت الصحاب على بساط مسرة
وأراك إن طوى البساط جمعهم
أنفاس من زهدوا وصوت نشيجهم
لله أنت محجب أسرارهِ
النور للعينين أنت وللنهي
عجبا تسكاد لقربها تدنو إلى
إن الذي أدريه أنك قوة
ماكنت مزمنة إلينا رحلة
وأراك بعد رضىته مرضية
الجسم أنت بنيته وأراك إن

مالي يذان بكشف ذاك البرقع
وحجبت بعدهم عن المتطلع
ألقى عصاه وما استقر بموضع
فاذا انتهى للروح أخفق لم يع
ألقى السلاح مسلما لم يقنع
بك وامتطى الأمواج غير مروع
تجلين ظلمته بنور ساطع
عند الإله ولا سبيل لطامع
يتنقلون مع الحديث المتع
متفجعا يحنوا على متفجع
يا روح أنت ودعوة المتضرع
أنى اتجهت لغاية سارت معي
فتمننى ما شئت أن تمننى
لمسى فإن حاولته لم أسطع
ذلت لسلطان القوى المبدع
صونا لنورك أن يحل ببلقع
« ولو استطعت إقامة لم ترمي » [١]
هدم البناء فزعت لا لا تفزعى

[١] الشطر القدي بن الفوسين لشوقى من قصيدته « النفس » .

لك عودة يا روح بعد وإنها
ويحي عليك إذا غلبت بحمأة
ناداك نهج للنبي مجد
صوني جلالك أن يهون بطينة
يا روح أنت إذا صفا بك مؤمن
سل خضر موسى عن روائع آيها
وسل السفينة والغلام .. فانها
هي إن صفت منحتك علما عاليا
لا لا تقل أربابها ذهبوا بها
أعطيتها لأصير روحا صافيا
توفيقك اللهم كي أرقى بها
جسمي وروحي أنت أقرب منهما
فلعلني بالروح أسكن جنة
عهد وما عهد له بمضيح
مسنونة : نور طفئ بمضيح
والروح عيسى بن البتول فأشعرى
يا روح صونيني به وترفعي
وأتى بما لم نأته لم يدفع
وسل الحكيم مفارقا لم يسطع
نطقت بأى كالضياء الساطع
وسمت بنفسك في تقى المتواضع
وكن الطموح بها لأرفع موضع
ويحي عرفت وما انتفعت بما أعى
متخلصا من كدرتى بترفعي
ربي بقربك كن إلهي رافعي
قد صورت بيد العلي المبدع

سير عبد المرووف سير

المدرس بمدرسة أسيوط الثانوية للبنات

أزياء السيدات

قال النائب سيد جلال في جلسة مجلس الأمة يوم ٢٥ سبتمبر :

إن الدستور نص على أن الأسرة أساس المجتمع ، وأن الدولة تحمي المواطنين ،
والذين يحكون مصر منذ خمس سنوات هم أكثر الناس احتشاما ومحافظة على الآداب
العامة . وطالب الحكومة بأن لاتقف من هذا الموضوع موقفا سلبيا ، كما طالب بأزياء
خاصة لطالبات الجامعة والمدارس والموظفات .

فأكده وزير الداخلية اهتمام الحكومة بالآداب العامة ، وقال : إن مثل هذه المسائل
الحساسة يجب أن تؤخذ بحذر ، وأن تدرس دراسة وافية قبل اتخاذ إجراءات معينة .
وقد شددت حكومة الثورة العقوبة في كثير من المسائل المتصلة بالآداب العامة ، وإن
الحكومة مهتمة بالاتجاه الذي ينادى به السيد العضو .

أخي العربي

مناجاة الروح للروح ، وهتاف القلب للقلب ، ونداء الدم للدم

أخي العربي :

أخوتنا لم تعد كأمّة وراء الحدود الإقليمية تخشى عبورها أو تهاب اجتيازها ، بل
سمّحو وجودها كل ما تصنع يد السياسة من الحدود والحواجز حينما ترن الصبيحة :
أخي العربي .

لقد زحفت العروبة بإيمانها وبنارها وحديدها ، وبوعيا ويقظتها ، تحت لواء
القومية العربية . فخطمت القيود ، وامتهنت حملة القيود وبخزرت من صانعي القيود حينما
أذن البعث ونادى مناديه : أخي العربي .

إنها أخوة في الله تنبثق من الإيمان الذي تخفق به القلوب ، وتحيا بجرارته القلوب ،
وتستمد وجودها منه القلوب . وإن الأخوة المنبعثة من هذا الإيمان لتسيخر من الدولار
ومن عابدى الدولار حين تستهدف العروبة لبرائن الغدر أو تلتقي حولها مخالب الطمع
فتصيح : أخي العربي .

وإنها أخوة في الدم الذي تنبض به العروق ، والذي ورث فيما ورث عن الآباء أعظم
معاني الشعم وأصدق آيات الإباء ، فالدم المصري في كرم عنصره أخ للدم السوري في
طيب أصله ، وكلاهما أخ للدم العراقي في عراقته والأردني في شرفه والجزائري والتونسي
واليمني والسوداني في صفاء معدنه ، وكله وليد الدم العريق الذي كان يعيش في الحجاز ونجد
في صدر الإسلام عصر الكفاح والقوة ، وهذه الأخوة في الدم تأبى أن يجد بينها
المتآمرين على العروبة كيما يديرونها فيه تآمرهم أو ينصبون حباثلهم ، كما تأبى أن تعلق بها

الشواىب الخبيثة أوعيش على حسابها المستغلون ، وإنما ستبقى حشودا عارمة تجرف المتأمرين وأذئاب المتأمرين حين يدوى النداء : أخى العربى .

ولإنها أخوة فى الوطن الوطن العربى الكبير الذى يمتد من المحيط الأطلسى فى أقصى الغرب إلى الخليج العربى فى أقصى الشرق ، الوطن الذى يعيش على أرضه الملايين من الشاىخين الأباة الذين عانوا مرارة الذل ولم يستمرئوا قسوة العبودية . وهذه الأخوة الوطنية ستنتفض جبارة عنيفة من الجبال والسهول والوديان والأغوار والكهوف والمعاقل والحصون والقصور والأكواخ ، من كل شبر فى أرض العرب ، فتعصف بصلف المغرورين حين تسمع الصيحة : أخى العربى .

أخى العربى :

إنه صراع بين العروبة وأعدائها ، صراع بين العدل والظلم ، صراع بين الإنسانية السامية ووحشية الغاب ، شهدت أرض الجزائر معركته الأولى ولم تزل تشهد شمس كل يوم مجزرة بشرية على أرضها ، ولم يزل السفاحون يدهون أنهم حماة الإنسانية وهذاتها ورسى السلام ودعائمه ، وإن يخذع شعب الجزائر ولن تلبى قناته ، بل سيمظل يسكاف غير قانط من نصر الله ولا يائس من رحمة الله ، وحسبه الأخوة العربية فهى خير سلاح يعتز به فى معركته .

ثم زحف الصراع ليفتح جبهة أخرى فكانت على أرض مصر المعركة الثانية ، وكان الصبر والإيمان والأخوة العربية خير أسلحة المعركة التى أحرزت بها مصر نصرها ولم يزل فشل الغرب فى هذه المعركة أطاعه ، بل تغير وجه المغير وتطلع إلى أن يجعل على أرض سوريا الحبيبة المعركة الثالثة ، ولكنه سيجنى هنالك الدمار ، سيجد المعجزة التى لا تقهر ، وسيرى صانع المؤامرات كيف يدره صانع المعجزات .

إن الأخوة العربية يومئذ ستنبعث من وراء الحواجز والحدود غير عابئة بالدمى المسخرة التى صنع منها الدولار أشباه رجال ، ستنبعث لتمحق عتق العتاء وتدوس كبرياء الطغاة ، ستنبعث لتطهر أرض العروبة من الاستعمار ومن قواعد الاستعمار .

ثم هو صراع يا أحنى العربى بينك وبين الطواغيت التى تستبد بك وتعبت بمصيرك
وتلهو بعزتك وتلعب بكرامتك ، وتتخذ من جماجمك معارج لشهواتها ، فلا تستسلم أبدا ،
ولا تنهن أبدا ، ولن يخذلك الله أبدا .

أحنى العربى : إن يدى ويدك أمام تطاول الأحداث وتداول المهلمات قوة تتحطم أمام
بأسها أنكى النوازل وأقسى الشدائد .

وإن قلبى وقلبك فى ميادين الكفاح سلاح يجمد أمامه فى يد العدو كل سلاح .

وإن إخلاصى وإخلاصك عدة تقضى على تأمر الطامعين .

وإن ثقتى وثقتك هما النور الذى يطلع على دنيانا الرهيبة المشحونة برائحة الموت
فدبغ به صبح الأمل والحياة .

فلنقتحم معا عاتى الأهوال ، ولنستعذب مرارة النضال ، فاما إلى الصدر ،
ولما إلى القبر ما

محمد محمد خليفة

المدرس بمعهد القاهرة

خريطة عربية لسواحل أوروبا

من القرن السادس الهجرى

قامت بعثة جامعة الدول العربية لتصوير المخطوطات بزيارة مكتبة الأمبروزيانا، وقد
عثرت فيها على خريطة عربية من القرن السادس الهجرى تبين الطرق البحرية التى كان
الملاحون العرب يسترشدون بها بين إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وأسبانيا عند ما يحرون إليها
من سواحل شمال أفريقيا ، وهذه الخريطة دقيقة جدا ولا تسكاد تخاف عن الخرائط
العصرية ، وقد أثبتت فيها أسماء الثغور والبلاد الأوربية بالحروف العربية كما كان ينطق
بها البحارة العرب فى العصر السادس الهجرى .

حصولنا مهددة من داخلها

دعوة الاستعمار إلى إحياء الحضارات السابقة على الاسلام

تعددت مصادر الثقافة في عصرنا وتنوعت ألوانها ، فلم تعد المدرسة وحدها هي المصنع الذي يصنع فيه الرجال وتصاغ الأجيال . فقد أصبح ينافسها في هذا الميدان كثير من القوى الجديدة التي ولدتها المدنية الحديثة ، ينافسها في ذلك المطبعة بما تخرجه من كتب ومن صحف ومن نشرات ، وتنافسها فيه الإذاعة بما توجهه من كلمات وألحان في مختلف الصور والألوان ، وتنافسها فيه السينما بما تجسمه لوحاتها الخداعة من حكايات وما تعرضه من فنون وشئون ، وتنافسها ألوان أخرى أقل أهمية ، مثل المحاضرات والندوات والمسامرات والمؤتمرات ، التي تعقد في الأندية وفي المواسم بمختلف صورها وفي الجماعات ، ومثل شركات تسجيل الأغاني ؛ ودور اللهو والتثليل .

كل هذه الألوان من مصادر الثقافة في عصرنا تبين أن وزارة التربية والتعليم لم تعد وحدها في هذا الميدان ، وأنها لا تستطيع أن تنهض بعينها ما لم تجد عوناً يشد أزرها من كل هذه الأدوات الضخمة ، ومن العبث الساخر والجهد الضائع أن تنفق هذه الوزارة ما تنفقه من جهد ومن مال بينما الأدوات الأخرى تتعقب جهودها وآثارها ، تنقض ما أبرمته ، وتشكك فيما قرره ، وتدعو إلى ما حذرت منه وحرمته ؛ وتقيم للناس مثلاً وتبتدع لهم طرائق وعادات مما تقترحه أو تختلقه ، هي على نقيض ما تريد المدارس أن تزرعه وأن تؤسسه في أخلاق النشء ، وتصرف القراء عن الجدل من القول إلى الهزل ، وعن النافع المنمّر إلى التافه الغث ، فتخلق أمرجة فاسدة باردة لا تجسد لذة ومتاعاً إلا في الساقط من القول واللهو من الحديث . من الواضح أن الدولة التي تنفق أموالها وتستهلك جهودها وقواها في إنشاء المدارس وفي إعداد القائمين عليها وفي إحكام نظمها وبرامجها وألوان النشاط فيها ، ثم تسهو بعد ذلك عن هذه القوى الخطيرة التي تشاركها في هذا الميدان ، فتترك سبلها ومنافذها مفتوحة لشهوات الماجورين والمخدوعين ومطايبا الشياطين من الفاسدين والمفسدين ، تفعل ذلك تقديساً للوهم الذي أقامته الثورة الفرنسية

اليهودية وزخرفت له اسما خداعا خلافا فسمته « حرية الرأي » أو « حرية النشر » أو « حرية الفرد » ، وما هو في حقيقة الأمر إلا وسيلة اليهودية العالمية لإفساد الجماعات وهدم كل الأديان ، حتى يتمكنوا من السيطرة عليها جميعا بعد أن يقضوا عليها قضاء مبرما [١] . إن الدولة التي تفعل هذا كالتاغ في قرية مقطوعة ، أو الجاني في حوض مثقوب .

وقد أنشئت في مصر وزارة للإرشاد القومي نرجو أن يكتب لها التوفيق فيما تنهض به من عبء ليس بالهين ولا بالقليل ، وواضح من اسم الوزارة أن مهمتها هي الإرشاد ، أي الهداية التي تنقذ من الغي والضلال ، وتهذب الطباع والخصال . فليس من عملها أن تستجيب لأهواء الناس وتببعهم فيما يشتهون ، لأنها تقود ولا تقاد ، ولأن مهمتها - كما يدل عليها اسمها - هو الإرشاد ، وليس التسمية ولا التلمية والترفيه ، وإن كان بعض ذلك قد يتخذ ثوبا للإرشاد ، فلا يكون مقصودا لنفسه ، ولكنه وسيلة لما انتدبت له هذه الوزارة الخطيرة من أمر ، ثم إن هذا الإرشاد محدود بحدود ، مقيد بقيود ، فهو إرشاد قومي ، أي أنه يخدم هدفا معينا هو خدمة قوم بعينهم لهم دين معروف ولهم قيم خلقية واجتماعية محددة مقررة ، ولهم سياسة ومصالح رستمها الدولة في دستورها وفي قوانينها . فإرشاد هذه الوزارة إذن هو في حدود واضحة بيئة المعالم والمناهج ، وليس متروكا لشطحات الشاطحين ونزغات النازعين من كل ذى هوى يزعم أن ضلاله هو عين الرشاد ،

[٢] أكثر الناس يجهلون أن شعار الثورة الفرنسية اليهودية : « الحرية والاعاء والمساواة » هو من وضع مجمع بورديو الماسوني . وهو شعار لم يخدم إلا الأقلية اليهودية . إذا سمح لسماسرتها بنشر الفساد ، وأعطتها على هدم سلطة الكنيسة وتقويض كل القيم ، باسم الحرية . وحماها في الوقت نفسه من تعصب المسيحيين على الأقلية اليهودية التي تستأثر بالسلطة عن طريق المال ، باسم الاعاء والمساواة . ومن أعجب ما يخضع له الناس من أوهام ، مما روجه اليهود ، تسمية الصحافة « صاحبة الجلالة » ، وإحاطتها بهالة من القداسة تسمح لأي أفاق مدسوس على قومه ، أو فاسق مريض القلب واللسان ، أن يلقى من الأضاليل ما يريد وما يراى له ، وأن يدسها على عقول السذج من الأحداث والأغرار ، والحقى من ضعاف العقول ، باسم العلم والثقافة والحرية والتقدم ، مادام قادرا على تأنيث دار للصحافة ، بماله أو بمال غيره . وسيطرة التنظيمات اليهودية على الصحافة العالمية وعلى وسائل النشر مشهورة معروفة . فزواج هذا الوهم بين الناس باسم « حرية الرأي » هو أكبر ما يمكن للدعاية اليهودية ويدعم سلطانها .

ويضع للهداية وللارشاد مقاييس لا يدري أحد من أين جاء بها ، ويعرف الخير والجمال تعريفات ينكرها ديننا وخلقنا ، ويسوق القول في مضائق ومآزق تعارض ما رسمت الدولة لنفسها من سياسة وما رزيت الأمة لنفسها من دستور .

ومع ما يدل عليه اسم الوزارة من معنى محدد يرسم منهجها بما لا يكاد يحتمل لبسا أو غموضا فالتأمل فيما يخضع لها من مصالح وأقسام وإدارات يحد عجبها فيما يمر به من متناقضات ، يخيل إليه معها في كثير من الأحيان أن مخالفة المنهاج أمر مقصود من فاعليه ، لم يتورطوا فيه عن خطأ أو نسيان .

خذ لذلك مثالا من الإذاعة . فالسياسة التي تجرى عليها هي إشباع الشهوات لا الإرشاد، وهي في كثير مما تهزبه أجواء الأرض من كلمات أو أصوات تفسد ولا تصلح وتغوى ولا تهدي ، وتحتاج للرشد مع أن مهمتها هي الإرشاد . فقصصها المسلسلة مثار للفرع الذي يقلق النفوس ويسقم الناشئة ويحجج بطبائعهم إلى الانحراف ، بما يدور حوله سياقها من جرائم تظهر عتاة الأشقياء في مظهر الأبطال ، وبما تعرضه من نماذج لنفوس فظة مريضة ، وبما توحى إلى أبنائنا وبناتنا من سلوك منحط سافل يتحدى خلقنا الإسلامي بما يزوره ويزيفه من مبتكرات الوهم الكبير الذي يسمى « علم النفس » وبما تقدمه لهم من نماذج لأساليب الكتابة والخطاب في أحاديث الغرام ورسائله وتأوهات المغمرين والمغمومات ، وتماوت المتهاككين والمتهاككات من المثليين والمثليات .

وقد يكون تأثير مثل هذه الحكايات الملفقة والحوادث المصنوعة ضعيفا على كبار النفوس وناضجى العقول من ذوى التجربة والمثقفين ، لأنهم لا يتندجون فيما يسمعون ، فهم دائما على ذكر من أن الذى يسمعون هو مجرد أوهام لاتمت للواقع بصله ، ولكن الشباب والأطفال وضعاف العقول لا يفرقون بين ما يسمعون فى الإذاعة وبين ما يشاهدونه فى الحياة ، ولا يميزون بين القصة التى يشاهدونها على لوحة الخيالة وبين واقع الأمر فى الحياة . فهم يتندجون اندماجا كاملا فيما يرون وما يسمعون من ذلك كله ، فتجذبهم الأحداث إلى الهياج تارة وإلى البكاء تارة أخرى ، وتنطبع آثارها فى نفوسهم فتصبح جزءا أصيلا من مشاهداتهم وتجاربهم ، بل إنها تصبح أصل من كل ما شاهدوا وما جربوا لما يحيطها من عوامل الإغراء والإقناع والتأثير التى افتن فيها مخرجوها وبلغوا فى ذلك أقصى الطاقة والجهد .

فاذا انتقلنا من القصص إلى البراج الأخرى على اختلاف أسمائها سمعنا أسئلة توجه إلى الرقيقة الساذجة وإلى « بنت البلد » المحافظة عن العشق والغرام تطمئننا إجاباتها إلى تقدم المرأة المصرية بعد أن زالت عنها أعراض (داء) الحياء القديم . كما نسمع نصائح من المخمورين والحشاشين وعتقاء السجون ، ونسمع خلال ذلك أبغض الأغاني إلى أصحاب الطبائع السليمة المستقيمة مما يطلبه هذا الحشد الذى لا أدرى أهو مصنوع ، أم أن الصدفة وحدها هى التى ألقت بيده وجمعتة .

وإذا أرادت الإذاعة أن تسرى عن سامعيها وتذهب عنهم ما ألم بهم من الملل ، من آثار ذلك (الجدل) الذى عرضنا بعض نماذجه ، أسمعوها فى « ساعة لقلبك » - وما أظن أن القلوب المقصودة بالخطاب إلا قلوب الفارغين والغافلين - سيلا من الشغائم النابية ، والمهارشات الفظة الهابطة ، التى لا ترضى حرمة ولا تعف عن لفظ ، ورأينا تسفلا إلى أحط المستويات الخلقية والاجتماعية ، تقدمه هيئة كان يظن أن مهمتها هى الارتفاع بالمتخلفين إلى مستويات فكرية أرقى ، وليست هى النزول بالمستمعين إلى مستواهم .

وآعجب ما يحتج به القائلون على هذه البراج وعلى غيرها من ضروب التلهية شئ جديد من مبتكرات هذا العصر ، افتتن به القروء المقلدون أيمًا افتتان ، ورصدت له مصالحة الفنون ومجلس الآداب شطرا كبيرا من جهودهما ، اسمه « الفولكلور » . والفولكلور (Folklore) اصطلاح ظهر فى أوروبا فى منتصف القرن الميلادى الماضى ليدل على الدراسات التاريخية التى تتصل بعادات الشعوب وتقاليدهم وطقوسهم ونحرفاتهم وأساطيرهم ومعتقداتهم وفنونهم وما يجرى على ألسنتهم من أغان أو أمثال أو شتائم أو مرثيات أو هازيج . يدرس ذلك كله من خلال الآثار والعاديات ، كما تستقصى آثاره الباقية فى الجماعات البشرية المعاصرة . وقد انصرفت هذه الدراسة فى أكثر الأحيان إلى المجتمعات المتخلفة وإلى المستعمرات ، بقصد التعمق فى تحايل نفوس أصحابها وإدراك دوافعها ونوازعها ، وفهم ما ينظم عواطفها وتفكيرها من منطق ، بغية الوصول إلى أمثل الطرق واحذق الخطط للتمكن منهم واستقلالهم واستدامة عبوديتهم (١) . ولما استولى علينا حب التقليد للأجنبي فى الشر والخير ، كان من بين ما ابتلينا به أننا أصبحنا لا نعجب

[١] كذلك نشأت هذه الدراسات فى أول أمرها ، وإن كان هذا لا يمنع من أنها قد امتدت فى السنوات الأخيرة إلى دراسة المجتمع الأوروبى فى مختلف البلدان والبيئات .

بأثر من آثارنا أو عادة من عاداتنا حتى نسمع تقرير الطاجن لها فنفكرها تبعاله ،
أو نرى اهتمامها بعنايته بدراساتها فندرسها اقتداء به . وقد ظلت « ألف ليلة وليلة »
دهورا لا يكثر لها إلا السوق والفارغون وأصحاب المجون حتى رأينا الأجانب يترجمونها
ويوهمون الناس أن حياة الشرقيين ليست إلا صورة مما تسوقه أقاصيصها ، فتنبه
علمائنا عند ذلك لها ، وتناولتها أقلامهم بالدراسة والتنقيح والتهديب والاقتباس . وكذلك
كان شأننا مع دراسات « الفولكلور » . ولما كنا نجهل أهدافها الحقيقية الأولى ظننا
أن المقصود هو الإشادة بهذه الألوان الشاذة حينما ، والبذخة حينما آخر ، والمتخلقة تارة
أخرى ، فاتجه همتنا إلى الدفاع عنها وتمجيدها ، والمحافظة عليها وتمجيدها ، بزعم أنها
طابعنا القومي المميز الذي لا ينفك عنا ولا ننفك عنه ، وكثر خلط المخلطين وتهريج المهرجين
باسم الشعب والشعبية . وأصبح الداعي إلى الترفع عن الشناعات والبذاءات وقبيح
العادات وسافط الأساليب والفنون يتم عند سفهاهم بعداوة الشعب وبالترفع عن عامة
الناس وبأنه من بقايا الإقطاعيين والأمراء والباشوات أو من خدامهم في العهد البائد .
وأصبح قصارى ما ينصح به أحد هؤلاء عن نفسه وما يتخذ من حجة إذا عارضك فيما
تبينه من الحرام والحلال ، وما تضعه من الحدود بين المحذور والمباح ، أن يسوق إليك
جملا من عادات بعض الجهال أو مذاهب الفراعنة . يعارضون بذلك الإسلام ، كأن
الفرعونية دين أو مذهب خلق ، وليست مجرد عصر تاريخي يجوز عليه الفساد والفضال .
وكان عرف الجاهلين والدهماء تنزيل يعارض به التنزيل ، ومثل أعلى يحمل عليه ناشئة
هذا الجيل .

وأكثر ما كان هذا الشطط في مذاهب دعاة العزلة والانفصال الذين كانوا يعارضون
الإسلام والعروبة بالفرعونية في الفترة التي تلت إلغاء الخلافة الإسلامية بعد الحرب
العالمية الأولى . فقد كان يزعم هؤلاء الغلاة من الانفصاليين أن تغير الدين في مصر من
الوثنية إلى المسيحية ثم الإسلام ، وتغير الكتابة واللغة فيها من الهيروغليفية إلى العربية
لم يقطع ما بين مصر الحديثة وبين مصر القديمة من صلات ، وكانوا يمثّلون لرد حياتنا
المعاصرة في مختلف مظاهرها إلى أصل فرعوني قديم ، ويدعون إلى أن تقوم نهضتنا على
بعث المجد الفرعوني القديم مثلما قامت النهضة الأوروبية الحديثة على بعث التراث اليوناني
الروماني في عصور الوثنية السابقة على المسيحية .

ومن هنا كان اتصال هذه الجماعة من المارقين الموكلين بتفريق شمل جماعة العرب

والمسلمين بما يسمونه « الدراسات الشعبية » أو « الفولكلور » ، إذ دعوا الأدباء والكتاب إلى البحث عن مواضع الاتصال بين مصر القديمة ومصر الحديثة في ميادين الأدب وكتب العقائد وطقوس العبادة وموروث التقاليد والعادات في شتى نواحي الحياة كما دعوا إلى إنشاء أدب خاص وفن مستقل في التصوير والنحت والموسيقى ، يتميز بطابعه المصرى المحلى . وقد وصف أحد دعاة هذا المذهب وقتذاك الأدب الذى يعنيه بأنه (مستقل عن آداب الشعوب الشرقية الأخرى الناطقة بالضاد) لأن (اللغة العربية ليست لغة شعب فحسب ، بل هى لغة شعوب وأمم عدة تنطق وتكتب بها . فنحن فى حاجة إذن إلى تقريب هذه اللغة إلى أذهاننا لتعبر عن خواطرنا ، وليس أدل على ذلك من ضرورة خلق أدب قومى تكون لنا غيرة عليه ، ويكون فى استقلاله بعيدا عن كل المؤثرات التى تجعله اشتراكيا محضا) .

ولم يكن هؤلاء يخفون أنهم متأثرون بالأوروبيين فى دعوتهم هذه ، ولم يكونوا يتحفظون فى دعوة أنصارهم إلى الاستفادة بكل ما جمعه الأوروبيون وما ألفوه فى هذا الباب . وكانوا يجاهدون باتخاذ القدوة من اللغات الأوروبية الحديثة التى نشأت على أنقاض اللغة اللاتينية ، حين كانت هى اللغة التى يكتب بها الشعر والنثر والقصة والأدب فى أوروبا كلها (ولكن شعور كل شعب بقوميته واعترازه بوطنيته واعتداده بنفسه ، حدا به إلى أن يتحرر من إسار اللغة اللاتينية وإلى أن يكون مستقلا فى آدابه عنها ، موحدا جهوده فى سبيل تهذيب لغته وطبعها بطابع قومى خاص له روعته وجماله) . وفى سبيل تحقيق هذا المثال كان هؤلاء يقولون : إن واجبنا هو (أن نبث فى الشعب روح القومية وروح الإنتاج المحلى) وأن (أول ما نولى وجوهنا ، فليكن شطر الأدب الفرعونى قبل كل شئ ، فهو تراث الآباء والأجداد ... فان لم يكن للكاتب ملكة ينمى أو وجدان يستمد من الأدب الفرعونى فليول وجهه شطر الأدب الرينى) . وكان دعايتهم لا يملون من تأكيد أن (الأدب المصرى الذى نعنيه هو أدب محلى يصور الحياة المصرية والقومية المصرية وحدهما ، فلا نعنى به أدبا شرقيا - كما أنهم على بعض الكتاب الأفاضل - يتناول حياة الشرق العربى أو البلاد الشقيقة المجاورة) .

وكانت هذه الجماعة التى تتخذ (السياسة الأسبوعية) لسانا لها تريد أن تكون (جماعة تقتصر على الكتاب الناشئين ، تعنى بتهذيب ملكاتهم وجعلهم أكثر إنتاجا وأكثر استقلالاً فى الفكر واعتمادا على أنفسهم وعلى مصريتهم) . وكانوا يتخذون الدكتور هيكل رئيس تحرير تلك الصحيفة قدوة لهم ، ويشيدون بقصة له ظهرت وقتذاك تحكى عن

الريف ويجرى الحوار فيها بالعامية، وهى قصة «زيب» التى كانت أول مظهر على لوحة الخيالة من الإنتاج المصرى حين كانت صورها صامتة، وكان من بين ما يقترحونه من الوسائل إلى خلق هذه الروح المصرية فى النشء: توجيه المسرح المصرى إلى الناحية القومية وجعله مسرحا مصريا روحا وقوة وإنتاجا، والعناية بالأناشيد القومية وجعلها تصور على قدر الإمكان أمانى المصريين وآمالهم، والعناية بالأدب الفكه والأدب الريفى [١].

ولعل هذا القدر الذى قدمته كاف فى توضيح خصائص هذه الدعوة والكشف عن خطورة أهدافها، التى لا تخدم إلا مطامع الغرب، الذى يتوسل إليها فى البلاد العربية وفى العالم الإسلامى بتقطيع أوصالها وبث روح التنافر والتدابير والتقاطع بين أفرادها وجماعاتها، استدامة للوضع الراهن الدليل الذى كانت فيه، وتحاشيا لاتحادها الذى يؤدى إلى قوتها وتمردا على هذا الوضع. وقد أشرت فى مقال سابق إلى أهداف الأوربيين والأمريكيين من الدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الإسلام، تلك الدعوة التى ظهرت فى وقت واحد فى كل من تركيا ومصر والشام والعراق وشمال أفريقيا وفارس والهند وأندونيسيا. وكان مظهرها فى كل هذه البلاد واحدا وكانت أساليبها متشابهة [٢].

ومن الواضح أن الأعياب الاستعمار فى هذا الباب قد انكشف أمرها ولم تعد تخفى على ذى بصر. فقد تنبهنا إلى ما يراد من تفريق شمل العرب والمسلمين، كما بصرتنا التجارب الأخيرة بما يمكن أن يعود على ذلك المجموع العربى والإسلامى من خير نتيجة لتضامنه واتحاده. فكل ما يقصد إلى زيادة هذا الاتحاد قوة فهو صادر عن باعث خير يستهدف صالح ذلك المجموع. وكل ما يقصد إلى توهين هذا الاتحاد وبث روح الفرقة والعصبية القبلية والشعوبية الجاهلية بين أفرادها فهو لا يخدم إلا أهداف العدو ولا يورثنا إلا الضعف.

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى بجامعة الاسكندرية

[١] لمن شاء التوسع فى ذلك أن يعود إلى صحيفة [السياسة الأسبوعية] فى أعداد ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦، ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٧، ٧ يناير سنة ١٩٢٨، ٢٨ يونيو سنة ١٩٣٠، ١٢ يوليو سنة ١٩٣٠، ١٩ يوليو ١٩٣٠. وعناوين المقالات المشار إليها مرتبة حسب التواريخ السابقة هى: [مصر الحديثة ومصر القديمة]، و [الفن المصرى]، و [هل من خطوة جديدة فى سبيل الفن المصرى] و [دعوة إلى خلق الأدب القومى]، و [فى سبيل الدعوة إلى الأدب القومى]، و [دعوة الأدب القومى].

[٢] راجع مجلة [الأزهر] فى جزء رمضان سنة ١٣٧٦ ص ٨١٦ - ٨١٨.

توحيد بدء الشهر الشرعى فى جميع الحكومات الاسلامية

هذه بنود عشرة فى خلاصة ما عالجته فى مجلة الأزهر (أجزاء صفر سنة ١٣٧٤ ،
وجمادى الآخرة سنة ١٣٧٥ ، ورجب سنة ١٣٧٥ ، ورمضان سنة ١٣٧٦) فلنكيا وشرعيا ،
لما يمكن عمله لتوحيد بدء الشهر الشرعى ، ومنع ما يحصل من الاختلاف بين الحكومات
الإسلامية فى الأعياد والمواسم الدينية ، وقد اختصرتها ابتغاء سرعة وصول القارئ إلى
تعلم الفائدة المنشودة ، مع استعدادى لإضافة فقرات لتوضيح كل بند والاستدلال عليه
شرعيا وفلسكيا عند الطالب ، والله الموفق :

بند (١) فى إمكان هذا التوجيه شرعا :

ثبت بعد البحث والتحرى أن الشريعة الإسلامية لا تمنع من ثبوت الشهر الشرعى فى
أى حكومة إسلامية إذا نقل إليها بالإذاعة اللاسلكية الرسمية خبر ثبوته شرعا فى حكومة
إسلامية أخرى ولو كان بينهما اختلاف مطالع ، مع بقاء وحدة التاريخ واليوم الأسبوعى .

بند (٢) فى بيان هذا الامكان فلسكيا :

حدد الشارع (المبدأ الزمانى) لليوم الشرعى الإسلامى بغروب الشمس « المغرب »
وترك تعيين (المبدأ المسكانى) أى الدورانى لاختيار المسلمين حسب ظروفهم ، وإذا
لا مانع شرعا للحكومات الإسلامية بعد تعددها واتساع رقعة مساكنها من سطح الأرض
وحلا لمشاكلها الاجتماعية الدينية أن تعتبر (المبدأ الدورانى) لليوم الشرعى عند (خط
الطول المار بالمحيط الهادئ عند الدرجة (١٨٠) شرق جرينتش المسمى (خط تغيير
التاريخ العام) الذى اتفقت دول جميع العالم على جعله (المبدأ الدورانى) لليوم المدنى
حلا لمشاكل المدنية .

مع العلم بأن هذه الحكومات الإسلامية التى لا يقل عددها عن عشرين حكومة

كلها محصورة في قارتي آسيا وأفريقيا من شاطئ آسيا الشرق لغاية شاطئ أفريقيا الغربى ، أعنى من خط (١٢٠) شرق جرينتش إلى خط (١٥ غربىها) مقدار تسع ساعات من (٢٤ ساعة) تتم فيها دورة اليوم بقسميه الليل والنهار حول الأرض من الشرق إلى الغرب .

بند (٣) في تطبيق ما تقدم على أبعد ما يفرض :

مقتضى ما تقدم لو ثبت الشهر الشرعى في أى حكومة منها ولو كانت أبعدا من جهة الغرب - كما كشف عند الشاطئ الغربى لأفريقيا - وأذاعت به فورا إلى سائر الحكومات الإسلامية ثبت الشهر في كل منها أيضا ولو كانت أبعدا من جهة الشرق كإندونيسيا والفلبين عند الشاطئ الشرقى لآسيا .

بمعنى أن إذاعة الرؤية من مراکش عقب مغربها إنما تسمع في إندونيسيا بعد مغربها بتسع ساعات أى قبل شروق الشمس فيها بنحو ثلاث ساعات لأن ليلها (١٢ ساعة) دائما ضرورة وجودها على خط الاستواء أعنى قبل الفجر عندهم بنحو ساعة ونصف ساعة وهو وقت يكفى السحور وغيره مما يلزمهم لصيام النهار دون أى حرج مع اتحاد اليوم والتاريخ .

وأما وحدة هذا اليوم في باقى بلاد الدورة من سطح الأرض كأمريكا فأمرها ظاهر ، إذ أنهم وقت هذه الإذاعة كانوا في عصر اليوم السابق أو في ظهره وحينئذ يستقبلون هذا اليوم الجديد من أوله دون تغيير فيه وكذا من بعدهم إلى تمام الدورة عند مبدئها .

الحساب الفلكى

بند (٤) مناط لإثبات الشهر الشرعى :

لا كلام في أن الشارع إنما أناط لإثبات الشهر بأحد أمرين لاثالث لهما : (١) رؤية الهلال مساء يوم (٢٩ بالرؤية) ، (٢) إكمال الشهر القديم (٣٠ يوما) عند عدم الرؤية مساء يوم (٢٩ بالرؤية) دون إناطته بالحساب .

كما أنه لا كلام في أن الشرع لم يمنع الحساب في ذاته بل حث عليه ، وقد ثبت بالتجربة نفعه في تنظيم الرؤية ومساندتها .

بند (٥) في حالات الرؤية :

وثبت أيضا أن محققى الفقهاء والرصاد من الفلكيين الشرعيين إبان النهضة العلمية الإسلامية قد تعاونوا متفقين على إثبات حالات ثلاثة لرؤية الهلال مساء يوم (٢٩ بالرؤية) من الشهر القديم ، وهى (استحالة الرؤية وإمكانها ووجوبها) ، كلها بحسب العادة طبعاً ثم طبقوا على كل حالة منها إذا بيّنها الحساب الموثوق به حكماً شرعياً هو بالنسبة إلى الاستحالة (رد القضاء لشهود الرؤية) إذ ترد الشهود لوجود ريبة عند القاضى والحساب القطعى أقوى من الريبة . وبالنسبة لحالة الإمكان بمعنى جواز حصول الرؤية وعدم حصولها (قبول القضاء لشهود الرؤية) ، وبالنسبة لحالة وجوب الرؤية وهى ما يكون فيها الهلال واضحاً وضاء بحيث يراه ملتصقه ، ولا بد إذا لم يكن بالسماء سخاب أو شبهه (إثبات الشهر لدى القاضى عند امتناع الرؤية لحساب أو شبهه) .

بند (٦) في تحرى (يوم ٢٩ بالرؤية) :

معنى التماس الرؤية مساء يوم (٢٩ بالرؤية أن يكون مبدأ هذا الشهر القديم قد ثبت أيضاً بالرؤية إذ قد ياتمس الهلال في مساء الأحد مثلاً (تاسع وعشرين) بالعد الاجتماعى كما في التقاويم الآن كنتيجة المساحة المصرية والحلبى وغيرهما ، ولا يرى الهلال فيكتفى القاضى بإكمال الشهر القديم بيوم الإثنين وفيه الخطر الداهم إذ قد يكون الإثنين هو (تاسع وعشرين) بالرؤية ويتم الثلاثين إنمّا هو الثلاثاء فيتمّ الشهر الشرعى يوماً أو يومين بسبب هذا الخطأ . وقد جربنا وقوعه في هذا الزمان . ولذا قال الفلكيون الشرعيون قديماً : « إذا لم يكن أول شهر الالتماس معلوماً بالرؤية يقوم الشمس والقمر لنصف نهار يوم (٢٩) بالحساب ، فإن استويا أو كان الفضل للشمس فذلك اليوم ليس (تاسع وعشرين) بالرؤية فانتقل إلى اليوم الذى بعده ، وإن زاد فضل القمر على (٥٤ درجة) أمكنت رؤيته وإلا فاستحالة ولا فائدة في الالتماس ، ومن هنا يعلم أن الحساب لازم لتنظيم الرؤية ومساندتها » .

بند (٧) في شروط الحساب الفلكى وحاسبه :

يؤخذ من كلام محققى الفقهاء وأئمة الرصد والهيئة الذين عنوا بتحقيق مسألة رؤية

الهلل إبان النهضة العلمية الإسلامية أنه يشترط في الحساب الفلكي الذي يعتمد لمساندة الرؤية وتنظيمها ليكون موثوقا به ما يأتي :

أولا : ألا يكون هذا الحساب من النوع التقريبي ، بل يجب أن يكون من النوع التحقيقي الدقيق المبني على قواعد فلكية مبرهنة من علوم الهندسة والجبر وحساب المثلثات الكروية أو المستوية للحركات الحقيقية لا الوسطية .

ثانيا : أن يكون منتجا لإحدى حالات الرؤية الثلاثة (الاستحالة أو الإمكان أو الواجب) كما لو كانت مدركة بالحس ، حتى يمكن أن يطبق عليها ما يناسبها من الأحكام الشرعية .

ثالثا : أن يكون قد اتفق على نتيجة هذا الحساب للرؤية جمع من الفلكيين الحاسبين بحيث يؤمن تواطؤهم على الخطأ .

بند (٨) في حدود الحالات الثلاث :

بعد الاطلاع على كل ما ورد عن المتقدمين من أئمة الهيئة والرصد من الفلكيين الشرعيين في تحديد حالتى (مبدأ إمكان الرؤية ومبدأ وجوبها) وجدتها تدور حول ستة أقواس هى (البعد المطلق - عرض القمر - نوره - مكثه - قوس رؤيته - قوس ارتفاعه) كما وجدت أن الثلاثة الأولى ، وهى (البعد المطلق والعرض والنور) يغنى عنها ذكر (قوس النور) فقط لأن تحققه مبنى على تحقق قوسى (البعد المطلق والعرض) كما وجدت قوسى « الرؤية والارتفاع » متشابهين فى الوضع والنتيجة تقريبا ويمكن الاكتفاء بأحدهما وأنسبهما بالذكر (الارتفاع) لظهور تعليل اشتراطه بالبعد عن الجو الغليظ .

فبقى معنا ثلاث أقواس فقط (المكث والنور والارتفاع) وقد أخذت بأحوط الأقوال فيها وأميلها إلى الاعتدال ، وما قيل فيه بالتجربة أو بإجماع المتأخرين على العمل به دون الالتفات إلى أقوال الحاسبين المحدثين غير الرصاد الذين يشترطون للإمكان الموجب للرؤية مكث (٢٤) دقيقة فقط كالشيخ الفيومى فى رسالته (بهجة النظر) التى ألفها سنة ١٣١٨ هـ - رية ، أو الذين يشترطون للإمكان المجوز للرؤية مكث (١٦) دقيقة كالشيخ الزرقاوى ، أو (١٥) دقيقة) كصاحبى كتاب (الهداية العباسية) فنتج ما فى هذا الجدول وهو خلاصة جميع الأقوال : -

الشروط	قوس المكث درج	قوس النور درج	قوس الارتفاع درج	توضيح
لمبدأ الإمكان	٧ ٩	٧ ١٠	٧ ٦	بمعنى أنه يشترط لبدء إمكان الرؤية أن يبلغ كل من هذه الأقواس الثلاثة (٧ درج) أو أن يبلغ متوسطها الحسابي (٨ درج) بشرط ألا يقل الارتفاع عن (٦ درج) وإلا خالة استحالة الرؤية .
لمبدأ الوجوب	١٢	١٠	٨	بمعنى أنه يشترط لبدء حالة وجوب الرؤية أن يبلغ كل قوس ذلك العدد الذي تحته وإلا كانت حالة جواز وقوع الرؤية وعدم وقوعها .

بند (٩) فيما يجب على الحاسبين للنتائج السنوية :

ينبغي بعد بيان ما تقدم بل يجب على الفلكيين الحاسبين للنتائج السنوية في مصر وغيرها خصوصاً الموثوق بحسابهم ، كالأقسام الفنية بمصاححة المساحة المصرية أن يراعوا هذه الشروط لتكون نتيجتهم هلالية شرعية عالمية مساندة ومنظمة لعملية الرؤية في جميع الحكومات الإسلامية موحدة لأوائل الشهور الدينية الإسلامية في جميع العالم .

بند (١٠) في كيفية إثبات الشهور الهلالية في النتائج بناء على ما تقدم :

من السهل جداً أن ينظر الحاسبون إلى نتائج حسابهم بالنسبة إلى الأقواس الثلاثة (مكث القمر ونوره وارتفاعه) بعد تحويلها إلى أفق مرا كش طول (١٥ درجة) غرب جرينتش . فإذا لم تبلغ شروط الإمكان أثبتوا الليلة من الشهر القديم ، وإذا بلغت شروط الوجوب أثبتوا الليلة من الشهر الجديد ، وأما إذا بلغت شروط الإمكان فقط ، ترك الأمر لنفس الرؤية دون تعيين للقديم أو الجديد ونبه على ذلك في أعلى صفحة الشهر .

فان رأى القمر في أى حكومة عندها إمكان وأثبت حاكمها الشهر وبلغ ذلك بالإذاعة الرسمية إلى جميع الحكومات ثبت الشهر القمري في جميع العالم ، وإن لم ير في أى بلد كانت الليلة من الشهر القديم في جميع الحكومات ، وبذلك تصير النتيجة هلالية عالمية والله سبحانه الموفق ما

محمد أبو العوا البنا

مدرس الفلك بتخصص كلية الشريعة

تعليقات

مجلس الأئمة وأزياء السيدات

بادرة طيبة من بواذر الغيرة تجلت في موقف النائب الموفق سيد جلال نحو أزياء السيدات ، ولم تعد أزياء السيدات المصريات بحاجة منا إلى التعليق عليها ، فقد أصبحت أبشع مما كنا نخشاه ، إذ انحرفت عن كل تقليد نعتز به من تقاليد البيئة الشرقية ، ولم تعد تتصل بما ينشده إسلام أو مسيحية ، ولا تمثل الحياء الذي يعد في الفطرة مما تتجمل به المرأة ، وتتحلى به الفتاة ، طغت علينا هذه الميوعة الجريئة حتى تسربت إلى بيوت كان يجب أن تظل محافظة على تراثها الأدبي ، وأن تدوم قدوة صالحة في البقاء على ما امتازت به من ترفع عن الإسفاف ، ومتابعة المارقين من حوزة الأخلاق الرفيعة .

ميوعة تلاشت بها الفوارق الأدبية بين كرائم البيوت وسواقط الطرقات اللاتي تطرحهن إلى المبادل أسباب غير كريمة ، حتى تعذر على الراغبين في الحياة الزوجية أن يصلوا إلى تلك الأسر التي كان يتعهدا الدين ، والتي ينشدها الدستور الحديد لبناء مجتمع صالح تتمثل فيه أمة مجيدة تحلق في أفق الأمل الصادق .

أصبحت مشكلة الأزياء النسوية نقيصة يرثي لها في البيئة المدنية من بلادنا هذه ، واتسعت حولها نغمة السخط على هذه الميوعة ، حتى أغرقت أهلها جميعا ، وإن كان بعضهم في دخيلته على بقية من العفة والحفاظ .

وكأن الناس لم تعد لهم حيلة في الرجوع بأنفسهم إلى مواطن السلامة من هذه المخزيات .

أو كأن الناس يرون الاستسلام إلى هذه النقيصة أخف عليهم من العود إلى السكال مادام في زعمهم أن عرى الأجسام ظاهرة المدنية والترف المعيشي وأنه اندماج في الأوساط الناعمة المشهود لها بالأصالة المحيطة .

وهذه - لاشك - أوهام باطلة متناقضة هبطت بالأنساب الكريمة إلى موضع الزرابة ، ولم تنهض بالأنساب الوضيعة إلى شيء مما نظنه ، وخلطت معادن الناس ، فلم تعد موازين الأخلاق في النظر العام تشهد بالخير لسيدة على أخرى ، ولم يعد سهلا في حساب المرء تمييز أسرة على أسرة .

وعند ما نندم لهذه الظاهرة المشؤومة نجد الرجل أول مسئول عن هذا الانحدار ، إذ كانت الغيرة تدفع برجل الأمس إلى المواقف الخشنة غيرة على محارمه أن يمتد إليها نظر الأجنبي ، أو عند ما يترامى إلى مسامعها لفظ مرذول ، وأصبح رجل اليوم وشبابه يصطحب محرمه في أبهى ما تستطيع من زينة بادية لا تأخذ بها في يديها ، وفي عرى فاضح لا تكون به في مثواها الزوجي ، ثم يطوف بها في مراحم الرجال ، وبين النظرات الخائنة واللفتات المريبة ، وليس من مأساة تصاب بها الرجولة أكثر من أن الشباب تهدأ فيهم جذوة الغيرة ، وتهبط فيهم الحماسة على الزوجات والمحارم ، حتى ليضطرب الواحد منهم أن تمدح فيه الزوجة والأخت أنه مودرن ، جديد ، لا يمانع من المخالطة ولا يأخذ بما يأخذ به أهل الغيرة ، هذه مأساة - لاشك - راجعة بنا إلى الوراء ، وقد وقع في مهالكها شعب سبقنا بل سبق العالم كله إليها .

ولا يمكن لمنصف أن يخفف من أثرها عاجلا ، أو أجلا .

ولن يستقيم في عقل أن تكون هذه المزالق مأمونة العواقب ، فانها على الأقل مخالفة لما شرع الله لعباده حسبما اقتضته الحكمة في تقدير الخير لهم لو استجابوا له فضلا عن التجارب التي تكفي للاقتناع ، وإن تكن هناك معذرة عن عدم مقاومة هذه المساخر والاكتفاء بتركها للإرشاد والثقافة والمساجد ونحوها فتلك معذرة من بعض نواحيها ، ولما كنا لا تشفع في السكوت عن المأساة ، وتركها للمقاومة الهينة التي تأتي من طريق الإرشاد والمساجد ، والثقافة ، فإذا تجدى المساجد والإرشاد مع من لا يتصلون بالمساجد ، ولا يستمعون لدعوة الإرشاد ، وماذا تجدى الثقافة الجديدة وهي الباب الواسع التي دخلت علينا منه تلك الميوعة وتغلغلت في مجتمعنا وأصبحت داء وبلا .

وماذا تجدى هذه العوامل مجتمعة في بناء الخلق إزاء ما يوجد من أضعافها وأضعافها للهدم ، والإغراء بالتبجح ، والتحلل ، والهتاف بالرديلة حتى في ربوع العلم والثقافة ،

وعلى مسامع الشباب المختلط ؟ أليس مما يجب فوراً ، وقف هذه الأصوات عن دعوتها السافرة إلى التحلل ، وعن زعزعة العقيدة والتهوين من رعاية الأخلاق حتى في دور العلم وبين شبابه وفتيانه ؟

إنه ليكنفى جداً في موضوعنا هذا أن تأمر الجهات المختصة بتغطية النحور والسيقان ، وإنه ليكنفى جداً أن نشعر الناس بأن الاحتشام قصده صحيح من مقاصد الثورة الرشيدة ، وأنه أصل أصيل في بناء الأسرة التي هتف الدستور بأنها « أساس المجتمع » وأن قوامها الدين ، والأخلاق ، والوطنية .

هذا ما نذشده ، ونطمع فيه ، ونرجو الأخذ به ، دون تفويض الأمر إلى مجرد الإرشاد ، أو التمويل على المساجد دون تعزيزها بجانب من سلطة الحكم .

وقديماً قيل - وهو حق لا جدال فيه - : إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وإنما لنطمع في رعاية جدية كما تعودنا في غير هذا الشأن ، والله الموفق ما

عبد الملطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

شعر الحكمة

حيل ابن آدم في الحياة كثيرة والموت يقطع حيلة المحتال
فاذا بليت ببذل وجهك سائلاً فابذله للترك المفضل
واصبر على غير الزمان فانما فرج الشدائد مثل حل عقال
بشار بن برد

الكتاب

عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير

الجزء الثالث - اختصار وتحقيق الشيخ أحمد شاكر - ٢٨٨ ص - دار المعارف بمصر
صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب النفيس الذي يعد في الذروة العليا في تفسير
كتاب الله ، وهو مبدوء بتفسير الآية ٩٣ من سورة آل عمران « كل الطعام كان حلا
لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » وآخره آية « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل
الكتاب » ١٢٣ - ١٢٦ من سورة النساء ، وقد سبق لنا التنبؤ به بزاي - هذا المختصر
في ص ٥٠٢ و ٧٩٢ من هذه المجلة في عامها الماضي بما لا يزال القارئ على ذكر منه .

ومن التعليقات التي يمتاز بها هذا الجزء مما يتعلق بتحقيق الأحاديث ما جاء في هامش
ص ١٧ عن حديث « من رأى منكم منكراً فليغيره » فقد عزاه ابن كثير إلى أبي هريرة
وهو لأبي سعيد الخدري في صحيح مسلم ومسنند أحمد ، ثم قال ابن كثير : وفي رواية
« وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » فنبه الشيخ أحمد شاكر إلى أنه ليس لأبي
هريرة رواية في هذا ولا في هذا ، وفي ص ٢٣٧ حديث ابن عمر عن بعث خالد إلى بني
جذيمة ، وهو في صحيح البخاري ومسنند أحمد وسنن النسائي ، غير أن ابن كثير ألحق به
ما نصه « وبعث علياً فودى قتلهم الخ » قال الشيخ أحمد شاكر : ليس من حديث ابن
عمر على اليقين بل هو تلخيص بالمعنى عن أبي جعفر محمد الباقر ، فهذه الرواية الملخصة
حديث مرسل وهم ابن كثير فأدرجها في حديث ابن عمر الصحيح المتصل ، والغالب أنه
كتب من حفظه . ونبه هنا إلى أن بني جذيمة بفتح الجيم ، ووقع في مطبوعة النهاية
لابن كثير (مادة صبا) مضبوطاً بالضم والصواب الفتح ، وفي ص ٢١٩ تحقيق في معنى
« يشرون » عند تفسير آية « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة »
وأن لذلك تفسيرين ذهب لأحدهما الإمام ابن جرير وللآخر الحافظ ابن كثير ، والذي
اختاره ابن كثير أعلى وأدق ، وفي ص ٣٨ كلام نفيس عن الربا في الإسلام وأنه كل ما زاد

على رأس مال الدائن، وفي ص ٦٤ - ٦٥ كلام عن الشورى في الإسلام ومن هم أهلها، وأنها شيء آخر غير الأنظمة الأجنبية التي لا يعرفها الإسلام، وفي ص ٥١. كلام مهم عن طاعة بعض المسلمين للمستعمرين حتى أسلموا إليهم عقولهم وألبابهم وأسلموا إليهم في بعض الأحيان بلادهم. وفي ص ١٠٢ - ١٠٩ كلام عظيم. بسوط عن تعدد الزوجات ينبغي لكل من يبحث في هذا الموضوع أن يرجع إليه، وفي ص ١٢٥ كلام عن الذين يدعون إلى مساواة المرأة بالرجل في الميراث، وفي ص ١٦٤ تعليق جيد على آية «الرجال قوامون على النساء»، وفي ص ١١ تعليق على حديث «هذه ثم لزوم الحصر»، وفي ص ١٣٥ موقف عبرة في حكم مخفف على شاب زنى بامرأة أبيه وتواطأ معها على قتله ولم يحكم عليه بالإعدام، وفي ص ١٥٦ بحث في السكائر والذين توسعوا فيها حتى ألفوا في ذلك مئات الصفحات، وتحقيق نفيس فيها لحافظ ابن حجر في فتح الباري.

وروح هذه التعليقات والمعنى الجامع لها ما أورده في ٢١٣ - ٢١٥ عن تفسير آية «لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم». فترجو الله أن يعين على اتمام هذا التفسير.

المسند للإمام أحمد بن حنبل

الجزء الخامس عشر - شرح الشيخ أحمد شاكر - ٢٣٩ ص - دار المعارف بمصر

صدر هذا الجزء من مسند الإمام أحمد وفيه من أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه من رقم ٧٨٧١ إلى رقم ٨٠٩٩. وألحق به في باب الاستدراك والتعقيب تحقیقات للأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي من علماء جامعة مفتاح العلوم بأعظم كره سابقا، يعلق بها على مواضع من أجزاء المسند إلى الجزء الثامن. وهذا الجزء الخامس عشر يمتاز بكل ما امتازت به الأجزاء السابقة، ولا سيما تحقيق الأحاديث ومعارضتها بما جاء في دواوين السنة.

مجموعة الحديث النجدية

نشرها سمو الأمير مشعل آل سعود - ٦٥٠ ص - المطبعة السلفية بالقاهرة

كان الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله قد نشر هذه المجموعة من مطبعة المنار

بالقاهرة ، ثم قام الآن نجله صاحب السمو الأمير مشعل بإعادة طبعها على ورق نفيس ،
وهي تتألف من الكتب الآتية :

- الأربعون حديثاً النووية وشرحها للإمام النووي .
- العمدة في الأحكام للحفاظ عبد الغنى المقدسى .
- أحاديث أصول الإيمان للإمام محمد بن عبد الوهاب .
- أحاديث فضل الإسلام . له .
- أحاديث الكبائر . له .
- نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين . له .
- رسالة الصلاة للإمام أحمد .
- كتاب الصلاة وحكم تاركها للإمام ابن القيم .
- الوابل الصيب من الكلم الطيب . له .
- وكلها معننى بطبعها وتصحيحها . فشكراً لسمو الأمير مشعل على بره للعلم وأهله .
- وقد وقف على طبعها الأستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عبد العزيز النافع مرافق
هيئة الأمر بالمعروف بالمسجد الحرام .

طريق المهجرتين وباب السعادتين

للإمام ابن القيم - ٣٤٢ ص - المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة

هذا الكتاب في التصوف الإسلامى المستمد من كتاب الله وسنة رسوله وهدى
الهداة من أئمة الدين . وكان الإمام ابن القيم قد ألف قبله شرحه (مدارج السالكين)
على رسالة (منازل السائرين) لشيخ الإسلام الهروي وهو في موضع الحرمة والتقدير من
زمن تأليفه إلى الآن . وكتاب طريق المهجرتين من نوعه لسكنه أكثر تحقيقاً وتركيزاً .
وهو من أجود ما ألف في الإسلام في تهذيب النفس الإسلامية وتوجيهها الوجهة
التي عرفها الصحابة من التعليم المحمدي الخالص . والمهجرتان : هجرة إلى الله بالطلب
والحبة والعبودية والتوكل والافتقار في كل نفس إليه ، وهجرة إلى رسوله في حركاته وسكناته
الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفضيل محاب الله ومراضاته .
والكتاب مطبوع على نفقة السيد محمد الصالح وكيل وزارة الدفاع والطيران السعودى ،

ووقف على طبعه فضيلة الشيخ يوسف بن عبد العزيز النافع مراقب هيئة الأمر بالمعروف
بالمسجد الحرام .

صور من البطولة الإسلامية

للاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف — ١٤٤ ص — المطبعة المنيرية

يقول المؤلف عن البطولة : إنها ليست في معناها الضيق كما حددها الأقدمون ، وإنما
هي أشمل وأوسع . وليست من الابتذال كما يراها المعاصرون ، وليكنها أكرم وأرفع .
فالبطولة هي التضحية بالذات ، والترفع عن تفاهات الحياة ، والسخاء والكرم ، والإباء
والشحم ، والصبر الذي لا يتفد على مكاره الأيام . وعند المؤلف أن كارليل خلط بين صفة
العظمة وصفة البطولة في النفس الإنسانية . وكذلك فعل فلو طرخس مؤرخ عظماء
اليونان والرومان . والعظمة لا تنكسب ولا يمكن أن تصنع بالتلقين وإنما هي هبة إلهية ،
فهى أندر من البطولة .

وطليعة البطولة في كتاب الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف إخاء ومسابقة إلى الحق
والخير والجهاد في سبيلهما بين ثلاثة من شباب الإسلام هم عبد الله بن عمر وعبد الله بن
مخرمة وسالم مولى حذيفة يوم شهدوا أعظم الجهاد في حديقة الموت ليردوا بني حنيفة
عن طريق الشيطان إلى دين الله . وهي قصة من أروع قصص الرعيل الأول في الإسلام .
والصورة الثانية الإسلامية في هذا الكتاب - صورة موسى بن نصير فاتح إسبانيا ، وحكاية
معهيره الأخير . والثالثة عن محمد بن القاسم الثقفي أصغر القادة والفاتحين سنا يوم فتح الهند .
والرابعة عن سقوط غرناطة وبطولة القائد المسلم في الدفاع عنها إلى الذمء الأخير .
والخامسة عن البطل المجهول عيسى العوام في جهاد صلاح الدين لقمع الصليبية وطردها
عن الوطن الإسلامي . والخامسة عن البطل الأعزل سلطان العلماء العز بن عبد السلام
رحمه الله . والسادسة عن البطل الأزهرى الناصر الشيخ الجوسقى وقد سبق نشرها بمجلة الأزهر .
والسابعة عن بطلة من القيروان وهى جميلة بنت عاتق وجهادها في موقعة الحصن
ومغامراتها إلى أن حكم عليها القسس بالصلب والإحراق . والثامنة عن البطل الصغير
الذى ثار على الفرنسيين في القاهرة ولو تعهدته يد طيبة بالتربية القويمة لكان مثل نابليون .
والتاسعة عن البطل الغريب أحمد العوام في جهاد السودان . والعاشرة عن أبطال المنصورة .
فشكرا للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف على كتابه الذى نرجوه الذبوع والانتشار .

طريق الوحدة الاقتصادية والبلاد العربية

للاستاذ يونس صالح الحريثي - ٢٢٨ ص - مطابع دار العلم للملايين في بيروت

الأستاذ يونس صالح الحريثي مؤلف هذا الكتاب والكتاب التالي من أفاضل المشتغلين بالعلوم المالية والاقتصادية في العراق ، وهو معاون مدير الصيرفة في البنك المركزي العراقي ، وقد عالج في كتابه هذا موضوع الوحدة الاقتصادية وأفضل الوسائل للتصرف بالموارد الإقليمية ، فتكلم في الفصل الأول على دور العوامل الاقتصادية في الاتحادات الإقليمية ، ومفهوم الاتحاد الاقتصادي ، والاتحادات الجزئية والشاملة . وفي الفصل الثاني على الاتحادات الجمركية وأغراضها ونتائجها . وعلى الاتحادات النقدية . وفي الفصل الثالث على العلاقة بين مشروعات التنمية والاتحادات الاقتصادية . وفي الفصل الرابع وهو الأخير - تكلم على المبررات الداعية إلى الاتحاد الاقتصادي بين البلاد العربية والتعاون الاقتصادي ومشروعات الوحدة .

واستعرض لذلك حالة تعاون العرب الاقتصادي بين الحربين العالميتين ، وميثاق الجامعة العربية وموقعه من ذلك ، والاتحاد الاقتصادي بين سوريا ولبنان ، ومشروعات جماعية للاتحاد ومعاودة التعاون ، ومشروعات الاتحاد النقدي بين البلاد العربية ، واتفاقيتي تسهيل التبادل التجاري وتسديد الموفوعات وانتقال رؤوس الأموال بين دول الجامعة العربية ، وخطوات الوحدة ووسائلها .

وهو كتاب مفيد في بابه يوطىء من الوجهة العلمية لتحقيق أمنية العرب في وحدتهم من الناحية الاقتصادية .

تطور اقتصاديات الشرق العربي

للاستاذ يونس صالح الحريثي - ٧٢ ص - مطابع دار العلم للملايين في بيروت

وهذا كتاب آخر لهذا الفاضل الاقتصادي العراقي ، درس فيه الميادين التي تشترك فيها دول الشرق العربي بخصائص اقتصادية واجتماعية واحدة كزيادة عدد السكان ، وانخفاض مستوى الدخل والانتاج ، وتركز النشاط الاقتصادي حول الزراعة ، وضالة رؤوس الأموال الوطنية الخ ، وما ينبغى للأوطان العربية من معالجة هذه النواحي للنهوض باقتصادياتها إلى المستوى الذي تطمح إليه في نشاطها القومي الحديث .

الأدب والعلوم

الأزهريون في معاهدهم

عاد الأزهريون في يوم السبت ٤ ربيع الأول (٢٨ سبتمبر) إلى كلياتهم في القاهرة ومعاهدهم فيها وفي أمهات مدن الجمهورية المصرية . وأذيعت نتائج قبول الطلاب الجدد . ووجه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر نصائحه الحكيمة إلى الأساتذة والطلاب لمناسبة العام الدراسي الجديد .

استئناف الدراسة

بدأت صباح يوم السبت ٢٥ صفر (٢١ سبتمبر) الدراسة في جميع المدارس الابتدائية والجامعات الأربع . ويبلغ عدد تلاميذ وتلميذات المدارس الابتدائية نحو مليونين ونصف مليون (أى أكثر من عشر تعداد سكان الجمهورية المصرية) كما يبلغ عدد طلبة الجامعات وطالباتها نحو ثمانين ألفا .

التربية العسكرية للطلاب

يبدأ هذا العام تدريس مادة التربية العسكرية إجباريا ، على أن يبدأ ذلك بالسنة الأولى الثانوية العامة والفنية . وقد أعد زى لـكل

طالب تدفع الوزارة ٦٠ ٪ من تكاليفه ويدفع الطالب ٤٠ ٪ . وقد أنشئت هيئة عسكرية في وزارة التربية - بالاتفاق مع وزارة الحربية - للإشراف على التربية العسكرية في المدارس الثانوية والمعاهد العليا كما أنشئت ميادين لضرب النار لتدريب الطلبة ، وسيكون في كل منطقة أكثر من ميدان ، وسيخصص لكل مدرسة ثانوية كبيرة ميدان للتدريب .

تدريس التعاون

في مؤتمر عقده مدير المناطق التعليمية لمناقشة سياسة التعليم ، طلب وزير التربية والتعليم أن يكون (التعاون) موضوع الدراسة في جميع مراحل التعليم هذا العام ، وأن يعنى ببيان فوائده للتلاميذ ، وتدريسه في كل مادة من مواد الدراسة ، حتى تغرس فضيلة التعاون في نفوس أبناء الشعب جميعا .

المؤتمر العلمى العربى الثالث

انعقد في بيروت المؤتمر العلمى العربى الثالث ، وقد أوصى في ختام جلساته بالعمل على توحيد الترجمة العربية للمصطلحات العلمية تمهيدا لوضع معجم شامل لها .

بتحفيظه . وأثنى على جهود الجماعة في خدمة الكتاب العزيز وحث الجامعات الإسلامية على أن تقتدى بها لتنال هذا الشرف العظيم ، شرف الخدمة لكتاب الله الكريم .

مسئولية كل مواطن

في بناء الجيل بناء سليما

لمناسبة العام الدراسي الجديد وجه السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم كلمة إلى الأمة وإلى كل مواطن من أفرادها ، تحدث فيها عن مسؤولية الجميع في موضوع التربية والتعليم ، ونحن نقف من بيانه ما يحتمله المقام مما ينبغي لكل مصرى أن يطبل التأمل فيه ، ولكل مدرس أن يجعله نصب عينيه وهو يؤدي رسالته ، وأن يعمل له ما استطاع . قال وزير التربية والتعليم :

« موضوع التربية والتعليم هو موضوع الخلق والسلوك الفردي لكل مواطن ، وهو موضوع الخلق والسلوك الاجتماعي لمجموعة المواطنين ، وهو أساس تقويم شخصية كل مواطن ، وهو كذلك أساس الشخصية العامة لجميع المواطنين وهو إلى ذلك كله موضوع يتصل بالوسيلة الفعالة لخلق الإرادة الحرة الواعية البناءة المنتجة في نفس كل فرد ، وفي حنايا كل مجموعة من المواطنين في كل ركن من أركان المجتمع .

ومن هنا كان موضوع التربية والتعليم

كما أوصى بتقوية الصلات العلمية بين الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية في البلاد العربية بتبادل الأساتذة والطلاب والبحوث العلمية .

وبمواصلة البحث للأفادة من مصادر الطاقة ولا سيما الطاقة الذرية لاستخدامها في الأغراض السلمية ، ومناشدة الدول منع استخدام الأسلحة الذرية ووقف تجاربها . وباستخدام الوسائل العلمية في التنمية الاقتصادية ودراسة مشاكل المناطق الصحراوية لتحويلها إلى مناطق زراعية . وبالعناية بالدراسات الجغرافية الطبيعية في البحث عن البترول والمعادن .

جماعة التربية الإسلامية

احتفلت جماعة التربية الإسلامية بشبرا مصر ، بامتحان تلاميذ مدرسة الجماعة ، التي أنشأتها لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده ، والتي يشرف عليها ويعينها الأزهر الشريف .

وقد أعدت الجماعة جوائز مالية للفائزين . وكان في طليعة الزائرين الأستاذ السيد / محمد صالح الريدى المشرف العام على تحفيظ القرآن الكريم في الجمهورية المصرية ، في نخبة من أهل العلم والفضل ممن يهمهم نشر كتاب الله تعالى تعليما وتعلما .

وقد ألقى السيد المشرف العام كلمة جامعة في فضل القرآن وأهله ودعا إلى العناية

النفوس الواعية الأبية الذين يقفون سدا منيعا وحصنا واقيا يضمن سلامة هذا الوطن .

لمثل هذه الغاية يجب أن تستمر التعبئة انتظارا للثمرات البعيدة التي يجب أن تفرس لها البذور منذ اليوم لتحقيق لأبناء الوطن المصرى والعربى حياة أسعد وأفضل وأحفل بأسباب القوة والعزة والكرامة .

هل يتحول الجرافيت إلى جواهر

بحرارة الانفجارات الجوية

يتوقع الجيولوجيون الأمريكيون أن تتحول مادة الجرافيت إلى أحجار كريمة بفعل الحرارة والضغط من التفجير الذرى على عمق تسعمائة قدم تحت سطح الأرض فى الأماكن التى يتفق وجود مادة الجرافيت فيها تحت ذلك العمق السحيق من طبقات الأرض .

وقد يكون لإعلان ذلك من باب الدعايات السياسية ، لتهوين أمر التفجيرات الذرية على الناس ، ومثل ذلك ادعاء الدكتور فريد تومسون من علماء النفس البريطانيين أن اختلاط الطعام والشراب بمادة الاسترونتيوم وغيرها من ذرات النشاط الإشعاعى المتخلف عن التجارب الذرية قد يكون سببا فى زيادة نسبة ذكاء الجليل الحديد من طلاب المدارس ، اللهم حوالهم ولا علينا .

هو موضوع المواضيع . ونحن حين نهتم به ونحشد نفوسنا جميعا للعناية بكل ما يتعلق بشأن من شئونه ، إنما نهتم ونعنى بأساس كياننا وكيان أبنائنا وأحفادنا وكيان وطننا فى الحاضر والمستقبل .

والخير كل الخير أن يستقر لنا رأى ، وأن تكون لنا عقيدة نسير على هداها فى هذا الشأن الخطير من شئون حياتنا ، وأن ننشر هذا الرأى وهذه العقيدة بين المواطنين جميعا ليسكونا رأيا وعقيدة لكل مواطن .

إنها مسئولية ضخمة وواجب شاق قد عبأنا له كل جهودنا ، وكل إمكانياتنا ، وحق لوطننا علينا أن تستمر هذه التعبئة وأن تكون تعبئة شاملة كاملة عامة بين صفوف المعلمين والمعلمات وبين رجال التربية والتعليم فى جميع المستويات وبين رجال العلم والفن والأدب ، وبين صفوف الآباء والأمهات ، وبين صفوف الطلاب والتلاميذ أنفسهم ، وبين المشتغلين بالصحة العامة والمهتمين بالشؤون البلدية والقروية ، والمعنيين بالإرشاد القومى والشؤون الاجتماعية والمالية ، وبين صفوف رجال الدين والصحافة والإذاعة ، وكل من يعمل فى النشر والثقافة . ان هذه التعبئة تأخذ مكانا طبيعيا كاملا فى القوات المسلحة ، إذ تساهم فى إعداد ضمائر الأبطال المجاهدين ذوى

إنباء العظمى النبيلة

جهاد الوحدة العربية

أرجاء الشرق الأوسط ، ولم يعد سرا أمر العدوان الثلاثي الغادر على مصر، ولا العدوان الجديدي الذي يبيت الآن لسوريا وراء حجب من دخان التضليل والتحريض وقلب الحقائق .

دعوة مليونين من اليهود

إلى فلسطين

أذاعت وكالة يو نيتد برس من نيويورك حديثاً أدلى به بن غوريون في التليفزيون بأنه يود أنه يرى جميع يهود العالم يهاجرون إلى فلسطين ، وزعم أنه سيحدث هذا عاجلاً أو آجلاً ، وقال : إن مليونين من اليهود على الأقل لا يستطيعون البقاء حيث هم الآن وأنه يدرك أن اليهود ليسوا جميعاً متفقين مع الصهيونية ، لذلك فكثيرون منهم راضون بالبقاء في البلاد التي يعيشون بها الآن . قال : ولـكنني أذكر مرة في إحدى زياراتي للولايات المتحدة أنني شاهدت قطعة من الأرض ثبتت عليها لافتة مكتوب عليها : « لا يمكن التصرف فيها » أي أن اليهود لا يستطيعون شراءها . وهذا مالا أستطيع أن أراضاه . ولو كنت يهودياً أمريكياً لسافرت

قال السيد شكري القوتلي في حفل الكلية العسكرية بدمشق لمناسبة تخريج ضباط جدد : « إن وحدة الأمة العربية قامت على الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله والحق ، ولم تنشأ التوسع أو الغلبة . وقد نصرها الله لأنها كانت تدافع عن حقها وبقائها . إننا نقول للعالم الذي تجمع ممثلوه في هيئة الأمم المتحدة : إننا ضحية حملات ظالمة لا مثيل لها ، فهي حملات يشنها الاستعمار والصهيونية ليؤخرنا نهضتنا ، وليعطلا أسباب وحدتنا ، ولينكرا حقوقنا المشروعة في الحرية . إن دول الاستعمار ظلت منذ أعوام تسلح الصهيونيين في السر والعلان ، لتهدد العرب في حريتهم وحياتهم ، وخطرة الاستعمار المرسومة بالاشتراك مع الصهيونية هي مضاعفة الهجرة اليهودية الواسعة إلى فلسطين ، ودعمها بجهاز حربي عدواني ، ومدها بالأموال . إننا لن نؤخذ غدرا ، ولن تباح أراضينا ومقدساتنا للغاصبين ، ولن نقدم للعالم دفعة جديدة من اللاجئين المشردين . فتسليح إسرائيل يعد مصدراً للشرارة التي تهدد باضرام نيران الحرب في

تحت الخيام خارج أملاكهم ووطنهم ، يعد سبة عار شنيعة على كل من أشترك في هذا الخزي ، أو كان له هوى في وقوعه ، وتدليس سمعة الحضارة الغربية بما لا تظهره بحار السكرة الأرضية كلها .

إسرائيل تضطهد عرب السواعيد

أرسلت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة إلى الدول الأعضاء اقترحت فيها العمل على إجراء اتصالات عاجلة مع ممثلي الأمم المتحدة في لجان الهدنة المشتركة بين العرب وإسرائيل للتحقيق في التدابير التعسفية التي تتخذها السلطات الإسرائيلية لاضطهاد عرب السواعيد القاطنين بمنطقة الجليل المحتلة ، والتي يهدف الاسرائيليون من ورائها إلى إرغام العرب على الهجرة من أراضيهم وترك ممتلكاتهم ، وطالبت الأمانة العامة للجامعة باتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان سلامة عرب فلسطين والمحافظة على أملاكهم فيها ، ومن أساليب هذا البغي أن إسرائيل تطالب عرب السواعيد بأن يثبتوا قانونية تصرفاتهم في أراضيهم الموروثة عن آبائهم خلال الخمسين عاما الأخيرة ، ومن جهة أخرى أوعزت إسرائيل إلى فرقة الهاجاناه الإسرائيلية بأن تقوم بمناورات بالذخيرة الحية في أراضي عرب السواعيد ، فوقعت بسبب ذلك خسائر كبيرة في الأرواح العربية وممتلكاتها .

إلى إسرائيل ، فإسرائيل بصفة خاصة تستطيع أن تفيد من اليهود الأمريكيين الذين يتميزون بروح الإقدام والمغامرة ، وحدد بن غوريون معنى الصهيونية بأن يكيف اليهودى حياته الخاصة في بلاده طبقا لمعتقداته ومثله الخاصة . وأعرب عن أسفه لأن العالم اليهودى اينشتاين رفض قبول رئاسة جمهورية إسرائيل عقب وفاة حايم وايزمان رئيسها الأول .

اللاجئون العرب

محك لامتحان الانسانية

أصدر مؤتمر الاتحاد البرلماني الدولي المنعقد في لندن قرارا يقضى بأن يحظى اللاجئون العرب بكل عناية تتطلبها « قضيتهم العادلة » ، وبأن توضع أية عقبات في طريق من يريدون رغبتهم في العودة إلى بلادهم . وقد حاول وفد البرلمان الإسرائيلي أن يستبعد عبارة « اللاجئ العرب » من هذا القرار ، لينصرف إلى اللاجئ عامة ، ولكنه فشل في محاولته ، ورفض اقتراحه بأغلبية ٣٣١ صوتا مقابل ١٨١ وامتنع ٥٢ عضوا عن التصويت .

والتاريخ عندما يسجل مثل هذه القرارات سيعتبرها محكا لامتحان إنسانية هذه الدول ومثلها : لأن قضية فلسطين نفسها وإخراج أكثر من مليون من أصحابها ليكونوا مشردين

بها ، ومصالحتنا مشتركة في الذود عن
حريتنا واستقلال بلادنا جميعا » .

إسرائيل هي الخطر الأكبر

زعم ساسة أمريكا أن الحكومات
المجاورة لسوريا ترى في ازدياد السلاح
السوري خطرا عليها ، فكان ممن كذب هذه
الدعوى وفد الأردن في الأمم المتحدة فأعلن
رئيسه السيد يوسف هيكل أن الدول العربية
لا تعتبر سوريا مصدر خطر عسكري على أية
دولة منها ، ولكنها ترى أن إسرائيل هي
الخطر الأكبر على أمنها وسلامتها .

جواب العراق إلى سوريا

كانت الحكومة السورية قد سألت
الحكومات العربية المجاورة عن صحة ما زعمته
أمريكا من أن هذه الحكومات تشكون من
تسلح سوريا ، وتعتبر ذلك خطرا عليها ،
فأذاعت شركة روتربرقية من بغداد بأن
متحدثا بلسان وزارة الخارجية العراقية صرح
بأن حكومة العراق مقتنعة تمام الاقتناع
بأن سوريا لن تفكر في القيام بأى عدوان
على أية دولة عربية شقيقة ، وأن شراء
سوريا الأسلحة من دول الكتلة السوفيتية
لأغراض الدفاع شيء ، ومسألة استغلال
الشيوعية الدولية للقومية العربية شيء آخر .
وأن الحكومة العراقية ترجو أن تستمر
سوريا في تعاونها مع سائر الدول العربية
ضد العدو المشترك وهو إسرائيل .

بيان سعودي

يقطع السنة الصهيونية وصنائعها

إن دبلوماسي الغرب الذين وضعوا
أنفسهم تحت تصرف اليهودية العالمية قد
أكثروا من القول بعد حصول سوريا أخيرا
على حاجتها الدفاعية من الأسلحة بأن جاراتها
أوجسن خيفة من ذلك ، ويعتبرن هذا
السلاح مهددا للسلام في الشرق الأوسط ،
وانتهزت اليهودية العالمية وصنائعها كل
مناسبة للتعبير عن المملكة السعودية وغيرها من
الحكومات العربية بأنهن يخالفن الحياد العربي
الذي تمثله سوريا ومصر . وقد أراد الملك
سعود وهو يستشفى في سويسرا أن يقطع السنة
الصهيونية وصنائعها فقطع لإجازته في أوروبا
وحضر إلى دمشق واجتمع برئيسها ، وكان
السيد على جودت الأيوبي رئيس وزارة
العراق موجودا في لبنان حينئذ ، فحضر هو
الآخر إلى دمشق ، وقد أذاع الملك سعود
بيانا صريحا فصيحا قال فيه : « إننى أربغ
أن أصرح بدون لبس ولا إبهام ، وبإخلاص
عرفنى به إخواني السوريون خاصة والعرب
عامة ، أننى أعارض كل اعتداء على سوريا
وعلى كل قطر عربي ، وسأقاوم مع إخواني
السوريين والعرب أى اعتداء يقع عليهم وعلى
استقلالهم أيا كان مصدره ، وقوانا العربية
- بعون الله وتوفيقه - مشتركة للدفاع عن
كيان المجموعة العربية أمام الخطر المحدق

وطالب المؤتمر بمقاومة مبدأ ايزنهاور .

تبرع أمير قطر

صر بمصر سمو الأمير على بن عبدالله الثانى حاكم قطر عند توجهه إلى سويسرا للاستشفاء ثم عند عودته منها إلى بلاده ، فكان موضع الحفاوة والإكرام من الحكومة المصرية وصحافتها وذوى المصلحة فى مصر ، ونزل على الحكومة ضيفاً فى قصر الطاهرة . وقد تبرع سموه بخمسة عشر ألف جنيه لضحايا العدوان الثلاثى على مصر فى العام الماضى .

الجزائر والدستور الفرنسى

فى برقية لروتران كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسية ألقى خطاباً قال فيه : إنه يتعين تعديل الدستور الفرنسى بحيث ينمو نمواً فديراً ليا يتفق والتطورات فى الجزائر والمستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار . إننا سنجد أنفسنا - دون شك - مضطرين لتعديل دستور لم يراع فى سنة ١٩٤٦ جميع التطورات المحتمل حدوثها . إننا بين خطرين : خطر انتهاج سياسة لإغراق قد يكون معناها الإبقاء على حالة البؤس والفوضى فى الجزائر ، وخطر سياسة تستند إلى القوة دون اعتبار لما يحدث فى العالم من تطورات دون اكتراث بما يصبو إليه الجزائريون من إدارة شئونهم .

سوريا بمجلس الأمة المصرى

قرر مجلس الأمة - بالإجماع - إعلان مناصرة سوريا فى نضالها ، واستنكار المؤامرات الاستعمارية الأمريكية ضد سوريا . وشكر الرئيس جمال عبد الناصر على موقفه من البلاد الشقيقة . وقد ناشد مجلس الأمة المصرى برلمانات وحكومات العالم مساندة سوريا فى صمودها وكفاحها ضد الاستعمار .

العدوان على سوريا

سيؤدى إلى حرب عالمية

تلقت الحكومة السورية تأكيدات جديدة من الاتحاد السوفيتى بأنه لن يسمح بأى عدوان على سوريا ، وكل عدوان عليها سيؤدى إلى حرب عالمية .

مؤتمر المحامين العرب

انعقد فى دمشق مؤتمر المحامين العرب ، ومن أهم مقرراته :

مشروع دستور الاتحاد العربى الذى يمنح المحامين العرب جميعاً حق المرافعة أمام المحاكم العربية دون استثناء النقابات . وأن تأميم قناة السويس تم على وجه سليم وفقاً للقانون الدولى .

ومطالبة حكومتى مصر وسوريا بالإسراع فى تحقيق الاتحاد الفيدرالى بينهما ، وترك الباب مفتوحاً للدول العربية كي تنضم إليه .

مصر وسوريا

في حديث عظيم للرئيس جمال عبد الناصر قال الرئيس جمال عبد الناصر في حديث تلفزيوني عظيم أدلى به إلى ويلتن وين مراسل وكالة اسوشيتد برس ، وويلز هانجن مراسل شركة الإذاعة الأهلية الأمريكية ، جوابا عن سؤالها عما إذا كانت مصر ستترسل قوات لمساعدة سوريا في حالة وقوع عدوان عليها : « إن هناك اتفاقا بين مصر وسوريا بشأن الدفاع ضد العدوان ، فإذا ما وقع عدوان على سوريا فإن مصر ستذهب لمساعدة سوريا بجميع الوسائل » . ونفى أن سوريا أصبحت شيوعية وقال : إن السوريين وطنيون ، وينبغي للمرء أن يفهم الفرق بين الوطنية والشيوعية . وأنا أعرف شخصا معظم الضباط البارزين في الجيش السوري وليس بينهم شيوعي واحد . وإنني على ثقة من أن سوريا لن تقع تحت أية سيطرة أجنبية » وتساءل قائلا : « لماذا لا ترسل الحكومة الأمريكية مبعوثين إلى دمشق بدلا من زيارة عواصم البلاد المحيطة بسوريا لجمع المعلومات عن سوريا » .

وهذا الحديث التلفزيوني نشر في ٧٦٠٠ جريدة في العالم ، وشاهد صورة الرئيس جمال عبد الناصر عند لقائه نحو أربعين مليوناً أمام أجهزة التلفزيون في أمريكا .

إحصاءات عن جهاد الجزائر

زاد عدد المجاهدين في جيش تحرير الجزائر خلال ثلاث سنوات من ثلاثة آلاف إلى خمسة وعشرين ألفاً ، وهناك عشرون ألفاً من المدنيين يقضون نصف وقتهم في مساعدة جيش التحرير .

* بدأت أسلحة جيش التحرير ببضع مئات من بنادق الصيد ، وهو الآن مسلح بأسلحة حديثة عشرها منتزع من أيدي الفرنسيين ، ويحصل الثوار شهريا على ١٥٠٠ قطعة سلاح من طريق تونس وخمسمائة قطعة من طريق المغرب .

* خسائر الثوار وأعدائهم الفرنسيين متعادلة ، فقد بلغت أربعين ألفاً لكل جانب في السنوات الثلاث .

* يتلقى جيش التحرير من الرأسماليين الجزائريين ٢٥٠٠٠ دولار سنويا ، ومن العمال ٣٠٠٠ و ٣٠٠ دولار ، وتبلغ معونة البلاد العربية ٦٥ مليون دولار سنويا ، وقدم الفلاحون لجيش التحرير ٧٥ ألف رأس ماشية .

هذه الإحصاءات حصل عليها ليونل ديراند مراسل مجلة نيوزويك الأمريكية من الجزائر .

حياد مصر الإيجابي

وجه مستر ويلز هانجن مراسل الإذاعة
الأهلية الأمريكية في الشرق الأوسط السؤال
التالى إلى الرئيس جمال عبد الناصر :

لقد سمعنا شرحا كثيرا لحياد مصر الإيجابي
ومع ذلك ففي أمريكا كثيرون لا يفهمون
كيف تستطيع مصر - من الناحية المعنوية -
أن تبقى محايدة بين ديمقراطية الغرب
وشبوعية الشرق ؟

فأجابه الرئيس : « عندما تتكلمون عن
حيادنا لا بد أن تنظروا إليه في ضوء تاريخنا
وأمانينا الوطنية ، بل في ضوء عقدنا النفسية
وفي ضوء تجاربنا مع الدول الكبرى ،
وبالأخص بريطانيا وفرنسا . لقد احتلت
بلادنا مئات السنين من الأتراك ، ثم جثم
الاحتلال البريطانى على أرضنا أكثر من
سبعين سنة . والآن حصلنا على استقلالنا ،
ولا نريد أن نضيعه . إننا نتبع سياسة عدم
الانحياز ، سياسة تمكنا من أن ندرس
بروح من العدل كل مشكلة يواجهها العالم
ونبدي رأينا فيها ، فنقف مع الحق ،
ونعارض الباطل ، دون ما قيد حتى على
حقنا في التفكير . ونحن نؤيد حق تقرير
المصير لكل شعب ، ونقف مع كل دولة
تحارب من أجل استقلالها ، هنا نستطيع
أن نكون محايدين .

« ولكن هذا ليس حيادا بين الشيوعية
والرأسمالية ، ذلك أننا في مصر نطبق نظاما
أقرب إلى النظام الرأسمالى منه إلى أى شئ
آخر ، بينما نحن نعارض المذهب الشيوعى
في بلادنا .

« حيادنا إذن هو المجال الدولى ، ومعناه
الأول هو عدم الانحياز . نحن نعتقد أن ذلك
خير ما يخدم قضية السلام وينهى الحرب
الباردة » .

وقال جوابا عن سؤال بشأن موقف
مصر من الاتحاد السوفيتى :

« إن سياستنا هى البعد عن المحالفات
العسكرية مع الجميع . أما عن الاتحاد السوفيتى
فالواقع أنه ساعدنا فى كل أزماتنا . وحينما
واجهنا خطر المجاعة بعد العدوان الثلاثى فى
العام الماضى كان الاتحاد السوفيتى هو الذى
باع لنا القمح والبتروىل ، بينما رفضت ذلك
الولايات المتحدة الأمريكية » .

مصر والمملكة السعودية

استقبل الملك سعود - قبل مغادرته
مدينة دمشق عائدا إلى بلاده - السيد محمود
رياض سفير مصر فى سوريا ، وقد دامت
المقابلة نصف ساعة ، وقد أباغ السفير
المصرى أثناء المقابلة تحيات الرئيس جمال
عبد الناصر للملك سعود ، وحمل الملك سعود
السفير المصرى رسالة شفوية تتضمن تحياته
وعواطفه الأخوية للرئيس جمال عبد الناصر

الفهرس

صفحة	للموضوع	بـ
١٩٣	كيف نحب رسول الله؟ وماذا نحبي ذكرناه؟	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١٩٩	نفحات القرآن : الثقافة المدنية للدخولة . . .	» عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٢٠٢	السنة : الدين النصيحة	» طه محمد الساكت
٢٠٦	الملايو . . . دولة إسلامية تولد	» أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر . . .
٢١٢	ذكرى الميلاد المحمدي	» محمد محمد أبو شهبه الأستاذ بكلية أصول الدين
٢١٦	مصادر الشريعة النظرية « المصالح المرسلة » .	» زكي الدين شعبان الأستاذ المساعد بكلية
		حقوق عين شمس
٢٢١	محمد صلى الله عليه وسلم نبي الوحدة ورسول	» محمد أبو المكارم الواعظ العام . .
	الاستقلال	
٢٢٥	في هذه المناسبة	» محمود النواوي
٢٣١	السيرة المحمدية تحت ضوء التحليل العلمي والفلسفي	» عباس طه
٢٣٦	دعوة الاسلام ومنهجها في الاصلاح — ٣ —	» يس سويلم طه المفتش بالأزهر . .
٢٤٣	حساب العرب والمسلمين مع أمريكا	» فتحي عثمان
٢٥١	الاسلام والمسلمون في صحف العالم	» محمد فهمي عبد الطيف
٢٥٤	الروح	» سيد عبد الرؤوف سيد
٢٥٦	أخي العربي	» محمد محمد خليفة المدرس بمعهد القاهرة
٢٥٩	حضورنا مهددة من داخلها « دعوة الاستعمار	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الادب
	إلى إحياء الحضارات السابقة على الاسلام »	العربي بجامعة الاسكندرية . . .
٢٦٦	توحيد بدء الشهر العربي في جميع الحكومات	الأستاذ محمد أبو العلا أستاذ مدرس الفلك
	الاسلامية	بتخصص كلية الشريعة
٢٧١	تعليمات : مجلس الامة وأزياء السيدات . . .	» عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٢٧٤	الكتب	المجلة
٢٧٩	الادب والعلوم	»
٢٨٢	العالم الاسلامي	»

بسم النحر	
محب الدين الخطيب	
الاشراك السنوي	
سليم	٤٠٠
في وادي النيل	٤٠٠
لطيفة وادي النيل	٣٠٠
للعلماء والدرسين بالاراض	٥٠٠
فارج المراءى	٣٠٠
للطبعة فارج المراءى	٤٠٠
للعلماء والدرسين فارج المراءى	

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر من شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الرابع - القاهرة في غرة ربيع الآخر ١٣٧٧ - ٢٤ أكتوبر ١٩٥٧ - المجلد التاسع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دولة تعاونية وأمة متعاونة

« التعاون » كلمة ضخمة ، وكلمة لها معنى كبير ...

كذلك قال جمال عبد الناصر عند ما افتتح في العام الماضي الدورة الثانية للؤتمر التعاوني العام . ومنذ قالها وأنا أترقب الفرصة لأتحدث إلى قرائي عن هذه الكلمة ، وعن معناها الكبير . ومهما أبطأت بي فرصة الحديث عن « التعاون » فانه موضوع لا يزال بكرا ، وهو جدير بالبحث والدراسة ، لانه حاجة الأمة العربية كلها في الزمن الذي نواجهه ونعيش فيه ، ويوشك أن يكون الهدف الأول للتفكير والتقدير والتدبير في المستقبل القريب لمصر وأوطان العروبة والإسلام جميعا .

هذه الشعوب الكبيرة والصغيرة من شعوب الأرض ، التي طاف القمر الصناعي بأجوائها في الشهر الماضي ، منقسمة - في معاشها وفي حياتها الاقتصادية والاجتماعية - إلى مذاهب أبرزها وأظهرها مذهبان : المذهب الرأسمالي الذي تمثله بيوت الأموال

والأعمال في أمريكا ، والمذهب الشيوعي الذي أخذت به روسيا منذ أربعين عاما ولحقت بها الصين الشعبية والبلاد الدائرة في تلك الأفلاك .

ونحن أبناء الأوطان العربية والإسلامية ، بما لنا من سجايا اجتماعية عريقة في القدم ، وبما تطوّرت به هذه السجايا تحت تأثير مبادئنا الأدبية والخلقية المستمدة من سنن الإسلام ، نميل دائماً إلى الاعتدال والتوسط في الأمور ، والأخذ من كل شيء بما فيه من عناصر الخير التي تلائم سجايانا ، وتسايرون الإسلام . لذلك كانت شعوبنا العربية والإسلامية تقرّ نظام التملك الفردي ، وتعترف للمواطن منفرداً ، وللأفراد مشتركين ، بثمرات نشاطه ونشاطهم في الكسب الحلال ، وتحبّ من الكاسب الصالح أن يكون عضواً نافعا في المجتمع ، متعاوناً معه على تقدّمه ، وتقدم المجتمع بتقدم أفرادهِ ، حتى يكون الفرد للمجموع والمجموع للفرد .

واعترافنا بمبدأ حرية التملك الفردي ، وإيماننا بصحة هذا المبدأ ، مقيد بالحقيقة فيما نبه إليه دستورنا الأعظم في سورة العلق (الآية ٦) : « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » ، وقد شاهدنا في عظات التاريخ ، ولا تزال نشاهد في مختلف البلاد ، مظاهر طغيان المال في تأثيره على اتجاهات الحكم . كما شاهدنا ولا تزال نشاهد مظاهر طغيان المال في استئثاره بمصادر العيش ومرافقه وأسواقه . لذلك كان من حكمة التشريع في نظام العروبة والإسلام تقييد حرية التملك الفردي أولاً بأن يكون اكتساب المال وتكوين رءوس الأموال بالأصاليب المشروعة ومن الطرق التي يرضاها الله ، وتقييد رءوس الأموال ثانياً - بعد تكوينها من حلها - بأن تكون قوة للمجتمع لا قوة عليه ، وذلك بأن يحاط المجتمع للحد من طغيان المال فيما يحتمل أن يؤثر به على اتجاهات الحكم كما هو واقع الآن من وراء ستار في بعض الدول الكبرى ، ثم فيما يحتمل أن يؤثر به على مصادر العيش ومرافقه وأسواقه مما هو مشاهد وملبوس في كثير من البلاد .

إن المسلمين الأولين من أصحاب الملايين كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وطبقتهما كانوا يفهمون من الآية السابعة في سورة الحديد أن الثروة التي يتيحها الله لمن شاء من الناس إنما هي أمانة الله تحت يد من ساقها إليه ، وكانوا يعلمون أن بين الذين حرموا منها من هم أقدر على تحصيل مثلها وأكثر منها لو كان الغنى والكسب بقدره الغنى الكاسب ، لا بقدره المغنى الواهب . فكان ذلك يزيدهم يقيناً بأن الله « يستخلف »

من شاء على ما شاء من خيراته ليمتحن الأغنياء في كيفية تصرفهم في الأموال . فكانوا يكتفون لنفقتهم الخاصة بما يكفيهم بالمعروف من غير تقدير ولا تبذير ، ثم يكون غنى الغنى منهم بعد ذلك قوة للأمة ، فيستعمله فيما تحتاج إليه الأمة في حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحربية . هذه بئر في المدينة يحتاج إليها المسلمون في شربهم ومرافقهم ، ويتحكم بها يهودى فيلقون من تحركه عنقا ، وعند مسلم رحيم من سرقة المسلمين المال الكافى لتفريغ هذا الضيق عن الناس ، فيبادر إلى شراء نصف البئر من اليهودى ويبيحها للأمة مجانا في أحد يومين ، فينقطع عن اليهودى مورد يومه الثانى لا كتفاء الناس بما يستقونه مجانا في اليوم السابق ، فيضطر اليهودى إلى عرض النصف الباقى له من البئر للبيع ، فيشتريه ذلك المسلم الرحيم ويبيح البئر كلها للناس مجانا ، وينقذهم من احتكار اليهودى البغيض . وهذا جيش رسول الله يجهز لارتداد مشارف الشام ، وإن كثيرين ممن أزمعوا الجهاد مع رسول الله لا يجدون الرواحل تنقلهم مع الجيش المتأهب للسفر ، فيقدم هذا السرى المسلم الرحيم الراحلة والعون لكل من يحتاج إليهما من المجاهدين . وهذه قافلة له قادمة من الشام إلى المدينة عليها مواد التموين في أيام حط وجاعة ، فيبذل له تجار المدينة أضعاف ثمنها ليتاجروا به ، فيقول لهم : إن ربى وعدنى بأكثر مما تبذلون ، وأباح ما تحمله القافلة لكل جائع من الفقراء والمساكين . إن هذا التصرف بالمال لخير المجتمع بهذا السخاء العجيب صادر عن دافع واحد هو اعتقاد أن ثروة الغنى أمانة من الله تحت يده استخلفه عليها ليمتحن حسن تصرفه فيها عند الشدائد . وهذه النظرة إلى المال لا ينتظر أن تكون بهذا المقياس الواسع إلا من تلاميذ معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه وعلى تلاميذه ، ونحن لا نطمع من سراتنا وكبار أغنيائنا أن يبلغوا هذه المنزلة ، ونرضى منهم بأن تبقى ثرواتهم تحت أيديهم على أن يتصرفوا فيها ويتخيروا أبواب استعمالها فيما يتفق مع حاجات الأمة وعزة الدولة . فقد يكون التعاون في عصرنا هذا على إنشاء مصنع للصلب والحديد ، أو المساهمة في إقامة مصانع للأسلحة ، أفضل عند الله من إنشاء الملوك في القرن الماضى والذي قبله نحس تكايا للسكالى والمنصرفين عن العمل والكسب النبيل . فإذا تونخى أصحاب رؤوس الأموال من سراتنا استعمال أموالهم فيما تقوى به الأمة ويتحقق به عز الدولة تجاه الأغيار من شأنئها ، فاننا نعد ذلك في هذا العصر من تعاون الأغنياء مع شعوبهم على ما يعلى مقامهم ومقام شعوبهم بين الأمم .

فالمبدأ الإسلامى في سياسة المال أن ينظر أصحاب الأعمال إلى مرافقهم الصناعية

والتجارية والاقتصادية بأنها جزء من ثروة الأمة والوطن ، وأنها أمانة الله تحت أيديهم استخلفهم الله عليها ليديروها بحسب مصالح الأمة ، وبما يزيد قوة ويعينها بذلك عن ذل الحاجة إلى الأغيار . ولعلمهم إذا نظروا هذه النظرة إلى مرافقهم ومؤسساتهم أن تسرى عدوى الخير إلى عمالهم فيكونوا أخلص لهم في خدمة المؤسسة واعتبار أنهم لا يخدمون فيها شخصا لمنفعته الخاصة ، بل يخدمون الوطن بحياطة جزء من ثروته والسهر على تنميتها وتقدمها . ويحزنى أن أقول : إن اليهود يتعاونون لصهيونيتهم بالعنصر المادى من هذه المعانى التى هم غرباء عنها وهى من مبادئنا ، ولعلنا نستطيع لذلك ونأخذ هذه المعانى سلاحا لنا فى المعترك الذى نخوضه لنكون عند الله من المجاهدين ، وفى جهادنا من الفائزين .

وإلى هنا أتسكلم عن التعاون بمعناه العام ، وأهدافه الإسلامية ، لا بمعناه الفنى الذى يوشك أن تختاره مصر نظاما لها بعد أن قالت فى المادة السادسة عشرة من دستورها : « تشجع الدولة التعاون ، وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها » .

وأنا أراقب حركة التعاون فى مصر من عشرات السنين ، فقد رأيتها وهى تولد ، وتابعت تطورها وهى تحبو ، ولاحظت قوانينها كلما تغيرت وتجددت . وعيها الأول والأخير فى نظرى أن التعاونيين ينظرون إلى حركة التعاون بعيون أوروبية وأمريكية . هى عندهم طريقة من طرق الحياة الاقتصادية تكون مستقيمة إذا صحت أرقامها وانتظمت ميزانيتها وحساباتها ، وأقصى ما يطمعون فيه لنجاحها أن تمول وأن يكون القائمون عليها حاذقين فى قواعدها والعمل بنظامها . وهذا الذى يهتمون به هو جسم التعاون ، ولهذا الجسم روح لعله هو الذى عناء جمال عبد الناصر لما قال : التعاون كلمة ضخمة ، وكلمة لها معنى كبير .

إن روح التعاون هو خلق التعاون ، والإيمان بالتعاون ، وثقة التعاونيين بعضهم ببعض . وهذا هو العنصر المفقود فى حركة التعاون قبل الوعد الذى أعلنه الدستور فى مادته السادسة عشرة بأن الدولة تشجع التعاون وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها . والذى أحب أن ألفت الأنظار إليه أن تشجيع التعاون ورعاية منشآته ينبغى أن يبدأ بتحرى روح التعاون والحرص على توفره فى المنشآت التعاونية ، فإذا استطاعت الدولة أن تتحرى هذا الروح وتشجعه وترعاه فإن التعاون سيقف على رجليه ويتحرك ويمشى ، وتكون له حركة ذات حيوية نشيطة ، فنطمع أن تكون الدولة حينئذ دولة تعاونية ، وهذا ما يوشك أن يكون ، وسوف يكون إن شاء الله طال المدى أو قصر ، وكلما عجلنا بوجود

عنصر الحيوية في التعاون ، وأعنى به خلق التعاون والإيمان به وتبادل الثقة بين أهله ، كان ذلك أسرع في نجاح حركة التعاون ، وقيام دولة التعاون وسيادتها في دنيا العروبة والإسلام .

أقول هذا لمناسبة ما نشرناه في باب الأدب والعلوم من الجزء الماضي عن مؤتمر المناطق التعليمية لمناقشة سياسة التعليم ، وإعلان وزير التربية والتعليم في ذلك المؤتمر : « أن التعاون ينبغي أن يكون موضوع الدراسة في جميع مراحل التعليم هذا العام ، وأن معنى ببيان فوائده للتلاميذ ، وتدريسه في كل مادة من مواد الدراسة ، حتى تفرس فضيلة التعاون في نفوس أبناء الشعب جميعا » . وهذا تحقيق عملي لما جاء في مادة الدستور خاصة بتشجيع الدولة للتعاون ، لـكنني أعود فأطمع من مدرسى وزارة التربية والتعليم الذين سيتولون هذه المهمة في المدارس أن يعنوا بروح التعاون وتربيته في نفوس النشء كعنايتهم بقواعد التعاون وتعليمها لهم ، فهمة المدرس الآن مزدوجة تتناول التربية والتعليم معا لا التعليم وحده كما كان الأمر من قبل ، وتتناول روح التعاون وقواعد التعاون معا لا قواعد التعاون وحدها كما كان مفهوم التعاون من قبل .

كان تعداد الجمعيات التعاونية في مصر في نهاية السنة الشمسية الماضية ٢٧٨٤ جمعية ، منها ١٨٩٢ جمعية تعاونية زراعية ، و ٣٥٢ جمعية تعاونية منزلية ، و ٢٩٤ جمعية تعاونية مدرسية و ٨٨ جمعية للإصلاح الزراعي ، و ٨١ جمعية تعاونية للمساكن ... الخ ، وهذا العدد الضخم من الجمعيات التعاونية كان يكفي لتمهيد الطرق بين يدي دولة تعاونية لو أنه نجح في إشاعة روح التعاون في الأمة حتى تكون أمة متعاونة ، ولكن العنصر المفقود في حركة التعاون أعنى روح التعاون هو الذي جعل العدد الأكبر من هذه الجمعيات متخلفا ويعتبر عبئا على المجتمع ، وقد يضطر القائمون بمهمة الإصلاح في الحركة التعاونية إلى إلغاء أكثر من نصف هذه الجمعيات لتفاهتها وتخلفها ، ولتجديد تكوينها من جديد على أسس صالحة . ومهما كانت الأسس المادية التي تبني عليها جمعيات التعاون الجديدة صالحة فإن روح التعاون وخلق التعاون والإيمان بالتعاون وعنصر الثقة في التعاون هو الذي يجب أن يتحرى قبل كل شيء ، وأن يبحث عن أهله ، وأن يشجع أهله ، ليتم بذلك تشجيع التعاون ورعاية منشآته بمختلف صورها .

كان المفروض في الجمعيات التعاونية التي تألفت لبناء المساكن ولا سيما في عاصمة الجمهورية أن تضرب المثل للتعامل بالمعاني التعاونية السامية ، لأن أعضائها سيكونون متجاورين في بقعة واحدة ، وسيصبح أبناؤهم فيها كأنهم أبناء أسرة واحدة أو قبيلة

واحدة يتبادلون حقوق الحوار ، ويتسابقون إلى القيام بواجبات المتعاونين الذين يمثلون - في الغالب - طبقة واحدة متشاكلة في المستوى الثقافي والتجاوب الاجتماعي والفكرى . ومع ذلك فإننا نسمع عن بعضهم من التسابق في دوافع الأثرة والأنانية ما يتنافى مع معاني التعاون وأهدافه العليا ، هذا ومساكنهم التعاونية لم تبين بعد ، فكيف يتمتعون بحلارة الحوار الهنيء والتعاون السعيد بعد السكنى إذا كان بعضهم يقطع الطريق على هذه السعادة وذلك الهناء بشيء من الأثرة لا يستحق كل هذه التضحية . وقد يكون التماذى في ذلك ناشئا عن ضعف الأعضاء الذين تقع عليهم مسؤولية تمثيلهم في إدارة الجمعية ، وكلا الحالتين من نواحي الضعف في السكيان التعاونى ، وكان ينبغى لقسم التعاون في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل أن يوجه لروح التعاون عنايته كما يوجهها لجسم التعاون ، ولا سيما في هذه السنوات من حياة الحركة التعاونية ، إلى أن ينمو فيها عنصر الثقة الذى لا حياة للتعاون إلا به ، بل هو التعاون والعناصر الأخرى تبع له .

وقد سمعت من صديق الأستاذ محمود فوزى مدير إدارة التعاون بالإصلاح الزراعى خبرا أنلج صدرى ، وذلك أن حريقا نشب في إحدى الجمعيات التعاونية للإصلاح الزراعى ، فحضر على الفور في نفس اليوم مندوبو عشرين جمعية تعاونية قريبة من منطقة الحريق ومع كل منهم مبالغ من المال تتراوح بين مائة جنيه ومائتى جنيه إعانة للشكوبين في الجمعية التى حدث فيها الحريق . إن هذا الحادث ينبغى أن يسجل في تاريخ التعاون المصرى ، لأنه يبشر بولادة التعاون بمعناه الحقيقى ، وسيكون له ما بعده من أمثال هذا التعاون الذى يجعل المؤمنين به - وهو من عناصر الإيمان الإسلامى - كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو سهرت على شكاواه بقية أعضائه . وقد يكون مندوبو الجمعيات الأخرى التى تعاونت مع زميلاتها بهذا التماسى في كارثة الحريق مدفوعين إلى ذلك بإرشاد المشرفين عليهم من كبار التعاونيين . ولكن على فرض وقوع ذلك فإن استجابة الجمعيات الأخرى لهذا الإرشاد يشعر بدبيب روح التعاون الحقيقى في بعض جمعيات الإصلاح الزراعى .

وبعد فقد كتب التعاونيون كثيرا في معالجة طرق الإصلاح التعاونى ، ولكن الناحية الخلقية قلما تناولتها الأعلام بالدراسة والتنبيه ، ولعل وزارة التربية والتعليم تتخذ من ذلك أساسا في تدريس التعاون ، ليسكون أساسا لقيام صرح التعاون الحقيقى في المستقبل .

محج الدين الخطيب

نفاية القرآن

- ٥٤ -

سلامة الامّة في تدينها لا في مجرد سلطانها وحضارتها

« ألم يروا : كم أهلـكنا من قبلهم من قرن
مكناهم في الأرض ما لم نمـكن لـكم ؟ ؟ »

ليس حديثا أن يقال : إن القرآن كتاب تربية جديدة ، وتقويم شامل ، لذلك كان منهجه في الخطاب منهج التفاهم بالهجة ، والإقناع ، وأن يسلك بالعقول مسالك التوجيه إلى ما يقع تحت الأبصار ، أولا يبعد عن المدارك . . . ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام : « ألم يروا كم أهلـكنا من قبلهم من قرون مكناهم في الأرض ما لم نمـكن لـكم ؟ » .

ومعروف أن دعوة القرآن كانت موجهة أول أمرها إلى أقوام عتاة ، يتحكم فيهم التقليد وتلهيهم الشواغل عن العبرة ، ويفهمون أن صلتهم بالزمن ستمتد بهم في أمان من الأحداث . فكان من سياسة القرآن معهم أن يمزج بهم على الماضي ، ويضرب لهم من أمثال الغابرين ما يقع تحت أبصارهم أو ما لا يبعد عن مداركهم .

والعرب قوم يرتحلون ، ويشهدون من معالم الدنيا وآثار الأقدمين شيئا غير يسير ، فهم يعرفون من أنباء الأمم المحيطة بهم ما يكفي لإيقاظ الوعي فيهم لو أرادوا .

ولمـكن لما عتوا ، وتمادوا في الإباء الغاشم جذبهم القرآن إلى ناحية العبرة ، وذكرهم بتاريخ شاخص لمن بصر به ، ولوى رقابهم إلى الوراء نحو الأحداث التي ألت بمن كانوا أشد منهم بأسا ، وأكثر مالا ، وأعز جانبا ، ومع ذلك مادت بهم دنياهم وعصف بهم الفضاء كما تعصف الريح بالهباء ، وأصبحوا في حساب التاريخ عبدة لمن بعدهم

وانظر تجد في الخطاب خصائص جمّة :

ففيه استفهام إنكارى ينطوى على سخط وسخرية بأولئك المتصلفين الذين يتعاملون عن رؤية ما يقع تحت بصرهم ، أولا يبعد عن مداركهم لو تفتنوا قليلا .

وينطوى على اعتزاز الله بقوته الجبارة ، حيث أهلك قرونا سابقة كانت بالغة العتو ، وأشد بأسا من هؤلاء الذين يواجههم القرآن من جديد .

وينطوى على تحقير هؤلاء بالنسبة لمن سبقوهم ، إذ كان للأولين تمسك في الأرض أكثر مما لهؤلاء ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ولا سلطانهم ، ولا قواهم وجبروتهم من الله شيئا .

ولزيادة الإيضاح ذكر الكتاب الكريم جانباً مما كان عليه الغابرون من بسطة في العيش لم تسكن للخاطبين من قريش ومن إليها .

فقال سبحانه : « وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم » . فالمطر مناط الحياة في البقاع الحجازية وما في حكمها ، وتعلق العرب بالمطر كتعلقهم بالحياة نفسها ، فإذا عرفوا أن المطر كان دائما لا يتخلف عن أولئك الغابرين ، ولا تجحف بهم كثرته ، بل كان غاسرا ، ومتاعا ، وخصبا ، وسعة فضفاضة في الأرزاق والحضارة إذا عرفوا ذلك ، وتنهبوا إلى أن حظهم من المطر وآثاره لم يبلغ ما بلغه أولئك . أدركوا ما بينهم وبين السابقين من فرق ، وعرفوا أن شأنهم في الدنيا أهون من شأن السابقين ، وكان عليهم أن يدركوا ما هم معرضون له كما تعرض له الأقوى منهم بسبب ذنوبهم ، وطغيانهم ، وأن الله أنشأ بعد إهلاك الأولين أمما أخرى سكنت ديارهم ، وورث أوطانهم ، وعمروها من بعدهم ، وأصبح ذكرهم قصصا لغيرهم .

وبعد - فما كان القرآن ليترنم بهذا القصص دون هدف يرمى إليه في إصلاح الناس ، والإفلاح بهم عن عماية البصائر وقسوة القلوب .

وما كان الإعراض عن خشية الله مهلا كما لأمم سابقة دون أن يكون شأنهم شأنا لغيرهم ممن يحاكيهم في بطرهم ، ويخطو على أثرهم في المفاسد .

وأن سنة الله في خلقه لا يقف دونها حائل من سلطان الأمم مهما بلغت من جبروت

ولماذا كان من حكمته أن يترفق بهم، وألا يعاجلهم بالهلاك، فليس في هذا أمان من أخذه كما أخذ القرى الظالمة من أهل القرون الأولى .

وقد عرف الناس من تاريخ الحياة قسما غير محدود ، وعرفوا أن الدنيا أصبحت في غير أونها الأول ، وأخذت في نمو مطرد ، وفي سرعة خاطفة ، حتى تعودنا أن نطمع في تجدد ما مطلع كل يوم جديد ، ونحن وكل من يدرك معنى الحياة نستبشر بهذا الرقي ، ونبتهج لانتعاش الحضارة ، ونود لو نعيش في ظلالها حقبة طويلة .

ومع ذلك نرى استكمال الدنيا لمبايحتها اقترابا من نهايتها « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزانت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أناها ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » فالقرآن يحجزنا عن الغرور بتلك المظاهر ، مع حثه لنا على الجِد فيهما والمناظرة في تعميرها ، وتدبر ما فيها من نعم ، والانتفاع بكل ما نصل إليه من أسرارها ونعمها مما أباح الله ، ولم يتعلق به حظر ، ولا تتصل به مفسدة .

وتحذير القرآن حماية لنا من الفتنة ومحاذلة علينا من الغفلة فالقرآن يدفعنا دفعا إلى الخير من جانبيه . جانب التمتع في الحياة بما اشتملت عليه ، وجانب الصلة بالله ، وتحاشي ما يذهب بالنعمة والتحفظ لاستدامتها بترضية الله فيما دعانا إليه من نشاط روحي أو مادي .

وهذا ربط للدنيا بالدين في أفق واسع ، ونبج رشيد ، وجهد متصل .

وفي ضوء ذلك تكون الحضارة الحديثة ، والمعارف ، والفنون ، وكل حركة إيجابية تأتي بنفع : تكون هذه كلها من وسائل الخير الذي يهدف إليه الدين ، ويعتبره مظهرا لفضل الله على عباده ، وتعميرا لدينه التي وفر فيها كل أسباب التعمير ، واختار الإنسان خليفة فيها ليتدبرها ، ويحسن استثمارها ، ويتمتع بها ويشكر المنعم علينا من أجلها .

وليس من الفهم للدين أن نفرضه عدوا للدنيا ، أو صارفا عنها بعد أن وضع لنا أنه يظهرها مما يشوبها ، ويرمى إلى كمالها ، وحسن الاتجاه فيها .

ومن غير التوفيق أيضا أن يعتبر هذا النشاط الدنيوي استثناء لما ينطوى من الزمن ، وامتدادا للحياة في سبيل الخلود ، فإن طبيعة الدنيا أمام الأعين ، وفي المدارك ، وفي كل

ما نحسه ، او نفكر فيه يشهد بالفناء ، والدنو إلى النهاية المحدودة في علم الله ، فعجيب منا أن ننسى جانب العبرة ، وأن نتمادى في التغاضى ، وأن تغمرنا مباحج الدنيا ، وندفع وراء الظواهر الفتانة التى تعرض ثم تنكش بدورها وتصبح في غير حساب البقاء .

إن المعالم الثابتة التى يستطيع الإنسان أن يسير فى ضوئها ويستمد منها معارفه هى الكتب السماوية القوية وملاكها القرآن الكريم .

وكم وددنا أن تجنح الأفهام إلى التزود منه ، وألا تحتجب عن موارده وراء العصبية ، أو الجهالة أو الانهماك فى العيش .

ولكن أناسا يتجهون نحوه فيهديهم الله بهدأته وآخرين يصدفون عنه فيضلهم بما كسبت أيديهم ، والقرآن فى ذاته مشرق دائماً لكل ذى بصيرة .

وصدق الله فى قوله : « إن هذا القرآن يهdy للتى هى أقوم » ١

عبد المظيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الرجل المخيف

يقول (روبرت جاكسون) القاضى بحكمة الاستئناف العليا بأمريكا :

« إن مجتمعنا يحق له أن يخاف الرجل المتعلم وحده ، وذلك لأن أفضح الجرائم وأشدها خطورة على الحضارة يمكن أن يرتكبها أولئك الذين نالوا قسطاً وافراً من العلوم ، وتجروا فى الدراسات الفنية التى تخصصوا فيها . وليس ثمة ما يصلح هذا الاتجاه الخطير سوى المطالبة بادراج الثقافات التقليدية العظيمة والمبادئ الإنسانية ذات القيم الروحية التى تيسر لصاحبها الحكم السليم على قيم الأشياء ، ضمن المواد التى يتحتم على جميع الطلاب دراستها .

الشيخة

الوصاية بكتاب الله عز وجل (*)

- ١ -

حياتنا دين لكتاب الله - هل نقضى هذا الدين ؟ -
 فرية مسطورة - ترويحها بين صديق جاهل أو عدو مخاتل -
 ما أجدرنا أن نتواصى بحياتنا خيرا .

عن طاحه بن مصرف قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنهما :
 هل كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف كتب على
 الناس الوصية ؟ ! أو أمروا بالوصية ؟ ! قال : أوصى بكتاب الله .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى)

* * *

بيننا في الحديث السابق أن النصيحة لكتاب الله تعالى : إجلاله وتعظيمه ، وتعلمه
 وتعليمه ، والعمل به ، والتأدب بأدبه ، والوقوف عند حدوده ، والذب عنه ، والدعاء
 إليه ، والإنفاق في سبيله .

(*) لمناسبة إشراف الأزهر المعمور على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم بأرض
 الكنانة ، أعزها الله وسائر بلاد المسلمين بكتابه . وهذا العنوان هو ترجمة الإمام
 أبي عبد الله البخارى للحديث في « فضائل القرآن » غير أننا اخترنا لفظ روايته له في أوائل
 « الوصايا » وقد رواه رواية ثالثة في « مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته »
 والروايات الثلاث متقاربة .

هذه النصيحة ، هي جماع الوصاة بهذا الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والوصية بكتاب الله عز وجل ، هي - بلا ريب - عين الوصية بحقوق الله وحقوق ورسوله ، بل هي عين الوصية بحقوق المسلمين بعضهم على بعض ، أمتهم وعامتهم جميعا .

إن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها : عزهم ومجدهم ، بل بقاءهم على ظهر البسيطة ، دين فى أعناقهم لهذا الكتاب الذى تعهد الله بحفظه « ومن أوفى بهده من الله » فليُنظر المسلمون : أفرادا وجماعات ، شعوبا وحكومات ، كيف يقضون هذا الدين - نظرته إلى البقاء والفناء ، أو نظرته إلى المقام الكريم ، والذل المقيم !! ! فوالله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ، لولا هذا الكتاب لذهب الإسلام والمسلمون إلى غير رجعة ، ولذهب على أثرهما ما فى الأرض جميعا « أى وربى إنه لحق » ومن أصدق الشواهد على ذلك أن رفع هذا الكتاب آية من آيات الساعة !! !

* * *

كان بعض أشياخ على رضى الله عنه ، وكرم الله وجهه ، أشاعوا أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلى من بعده ، وأن الصديق ثم الفاروق رضوان الله عليهما انتزعاها منه . . . ووضعوا فى هذه الفرية أكاذيب لا تزال مسطورة إلى اليوم ، يخدع بها ويخدع ، من ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة . . . وقد انبرى لرد فريتهم حملة العلم وأمناء هذه الأمة من سلفها الصالح إلى يومنا هذا . . . بل إن عليا نفسه رضوان الله عليه يكنزهم ويقرهم ويرد عليهم ، ولم يدعها لنفسه قط ، لا قبل خلافته ولا بعدها ، ولا ادعاه لها أحد من أصحابه وأبنائه ، وهذا أبو جحيفة رضى الله عنه يقول : قلت لعلى رضى عنه ، هل عندكم شئ من الوحي إلا فى كتاب الله ؟ فقال لا ، والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا فى القرآن ، وما فى هذه الصحيفة ، قلت : وما فى هذه الصحيفة ؟ قال : العقل (١) وفكك الأسير ، وألا يقتل مسلم بكافر ؛ وعنه كرم الله وجهه : ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ لم يعم الناس كافة إلا ما فى قراب سيفى هذا ، ثم أخرج صحيفة مكتوبة . . . وقالت عائشة

(١) الدية ؛ لأنهم كانوا يعطون فيها الإبل ويعلقونها بقاء دار المقتول بالعقال وهو الحبل . والمراد أن الصحيفة أحكام الدية ومقاديرها مفصلة .

رضى الله عنه - وقد ذكروا أن عليا كان وصيا - : متى أوصى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كنت مسندته إلى صدرى (أو قالت حجرى) فدعا بالطست ، فلقد انخنث (مال) فى حجرى وما شعرت أنه مات ! فتنى أوصى إليه ؟ ! كل هذا ثابت فى الصحيحين وغيرهما . . .

وهؤلاء الذين يزعمون الرصية لعل رضى الله عنه من الأصدقاء الجهلة الذين يتقصصونه ويذمونهم من حيث يظنون تعظيمه وتكريمه ، ذلك بأنهم نسبوه مع شجاعته وعلاوهمته وصلابته فى دين الله عز وجل ، نسبوه مع هذا كله إلى المصانعة والمداهنة والتقبة ، والحين عن المطالبة بحقه وهو قادر عليه والله مؤيده وناصره !! إن هذا هو العجز الشائن الذى يحى الله أوليائه وأهل بيته منه . . . لقد كان رضى الله عنه يتطلع إليها ويربدها لذات الله عز وجل ، ولما كان الحكيم العليم لم يردّها له ، ولو أرادها لأعلن بها الأمين المأمون صلوات الله وسلامه عليه ، ولصاحت بها الدنيا صيحة الحق فى الآفاق مدوية .

ولقد استحثته عمه العباس أن يسألها النبي صلى الله عليه وسلم والفرصة فى ظنه مواتية ، فأبى :

روى البخارى أن العباس أخذ بيد علي فقال له : أنت بعد ثلاث عبد العسا ! وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا ، إني لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله : فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا ، فقال على : إنا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحنها لا يعطيناها الناس بعده ، وإني والله لا أسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن هؤلاء الذين يزعمون أنه صلوات الله عليه وسلامه أوصى إلى على بالخلافة ، وانترعها منه أبو بكر وعمر ، ليؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه وأهل بيته ، قصدوا إلى هذا الإيذاء أم لم يقصدوا ، ويسئئون إلى دين الحق والعدل ، أرادوا أم لم يريدوا . . . ثم لن يبلغوا من ذلك مأربا . . .

* * *

لما شاعت تلك الفرية وزاعت ، وعمل على ترويحها صديق جاهل أوعدو لدين الله

مخاتل ، أحب طلحة بن مصرف أن يستبين ويستوثق من أحد علماء الصحابة وأئمتهم : عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنهما .

وطلحة بن مصرف أحد كبار التابعين وخيارهم ، اتفقوا على إمامته وجلالته وورعه ، ووفور علمه بالقرآن وغيره ، وكان يسمى سيد القراء ، ولما أجمعوا على أنه أقرأ أهل الكوفة غدا إلى الأعمش يقرأ عليه ليذهب ذلك الاسم .

وأما عبد الله بن أبي أوفى فهو الصحابي ابن الصحابي رضى الله عنهما :

شهد بيعة الرضوان وخير وما بعدهما من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يزل معه بالمدينة حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى . ثم تحول إلى الكوفة ، وهو آخر من توفي من الصحابة بها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقة قال : اللهم صل عليهم ، فلما أتاه أبو أوفى رضى الله عنه بصدقته قال : اللهم صل على آل أبي أوفى .

* * *

لا يجهل طلحة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى عند موته بثلاث . . . وأن آخر ما تكلم به « الصلاة وما ملكت أيمانكم » ، مما فصله قريبا إن شاء الله ، وإنما أراد الوصية الخاصة المزعومة ، وفهم ذلك منه بحق عبد الله رضى الله عنه ، فنفى نفيا باتا تلك الوصية المفتراة دون تردد ، ثم أثبت الوصاة بكتاب الله تعالى ، وهى الوصية للوافية الشافية التى ينطوى فيها كل ما عداها من الوصايا النبوية ، وهذا هو سراقتصاره - فى الإجابة - عليها .

وما أجدرنا نحن والنبي صلى الله عليه وسلم يوصينا بما فيه رفعتنا ومجدنا ، أن نتواصى برفعتنا ومجدنا وحياتنا خيرا ، والله المستعان على البقية ما

ط محمد السالك

بيان من مشيخة الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا بيان للناس وهدى وموعظة »

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أنس وأبو هريرة - : « خَيْرُكُمْ مَنْ يَرْجَى خَيْرَهُ وَيُؤْمِنُ شَرَّهُ ، وَتُشْرِكُمْ مَنْ لَا يَرْجَى خَيْرَهُ وَلَا يُؤْمِنُ شَرَّهُ » .

بهذا الإرشاد السماوى الكريم ، وهذا الهدى النبوى الحكيم ، الذى بعث الله به جميع الأنبياء والمرسلين ، تزكو النفوس ، وتطهر القلوب ، وتسعد حياة الامم والشعوب ، فإنه ينبغى أن تقوم أمور الناس فى هذه الحياة ، على المحبة والتعاون ، وعلى الصفاء والتواد ، لتصفو لهم ثمراتها ، وينتفعوا بخيراتها ، وليتفرغ العلماء منهم والباحثون ، للتفكير والتنقيب ، وبوجهوا جهودهم للكشف والاستنباط ، واستخدام ما خلقه الله فى الآفاق ، وما أودعه فى باطن الأرض وأعماق البحار ، من قوى وكنوز ومعادن وذخائر .

هذه القوى والمعادن ، وهذه الكنوز والذخائر - التى خلقها الله للإنسان ، وسخرها لنفعه ومعيشته ، وبقاء نوعه وإسعاد حياته - لا يمكن أن تضيق بحاجات هذا الإنسان ، مهما اشتدت هذه الحاجات وعظمت . ومهما تكاثرت أفراد النوع الإنسانى على وجه الأرض ونمت . بل إن هذه القوى والكنوز ، تغزر مادتها ، وتنجلي آية الله فى خلقها ، كلما اتسعت حاجات الإنسان ، وكلما امتدت الأيدى للأخذ منها والانتفاع بنفائسها . هى باقية ما بقيت

الأرض والسماء ، بل هي أبقى على الدنيا من حياة الإنسان نفسه ، فلا يكون من العقل ولا من الرشد ، التواضع والتعاقل عليها ، وسفك الدماء في سبيلها ، ما دام معيها هكذا لا ينضب ، وما دام مجال الانتفاع بها فيه مقسع للجميع .

إن أسباب البر بالإنسانية ميسرة ، ووسائل إنهابها والترفيه عنها موفورة بمهدة ، وليس على الإنسان العاقل البصير إلا أن يتدبرها ويحسن التصرف فيها ، وأن يستخدمها في الوجوه النافعة الصالحة ، ويتجنب بها الوجوه الضارة المهلكة ، حتى يعيش هو وإخوته في الإنسانية عيشة أمن وسلام ، فإن خير الناس أنفعهم للناس .

إن ثمرات هذه الدنيا وخيراتها وكنوزها وذخائرها ، موزعة بعدل الله وحكمته ، في جميع الأقطار والأرجاء ، فلم يست محسورة ولا محصورة في جانب محدود من الأرض ؛ وهذا يعنى أن شئون الناس في الحياة وأسباب معاشهم فيها مترابطة متشابكة ، كما أنهم مترابطون بنسب الآدمية ، متشابكون في معنى الإنسانية ، وأن شئون الحياة وأسباب المعاش يجب أن تسير بين الأمم والشعوب على نظام التبادل الحر ، وأن تضبط بينها بالاتفاقات الاقتصادية العادلة ، التي لا حيف فيها ولا حرب ، ولا احتكار ولا استعباد ، شأن جميع المبادلات والاتفاقات التي تجرى بين الأفراد والجماعات .

وإذا تضيق جدا دائرة الخلاف والشقاق ، وتضعف عناصر الشرع المرذول ، وتلأش عوامل الفتنة ، وأسباب الحسد والضغينة ، التي وجهت العلم والمال ، وسائر الطاقات والقوى ، إلى غير وجهتها الصالحة النافعة ، وسخرتها للتدمير والتخريب ، بدل أن توجه للتعمير والبناء والإصلاح .

لماذا تتسابق دول العالم شرقيه وغربيه ، في انفاق الملايين من الجنهات ، على تفجير القنابل الذرية وتحضير القنابل الهدروجينية ، وعلى الصواريخ الموجهة ، وسفن الهواء ، ومراكب الفضاء ، وعلى ما يبتلع كل ذخيرة ويفنى كل ثروة ؟ ألا الرشاشات والدبابات والنفائات لم تفلح في إبادة الشعوب ، التي لا تحب أن تخضع للاسترقاق والاستعباد ؟ أم لأن الأمم التي تفتقت معارفها عن اختراع تلك المدمرات المهلكات ، قد سخرت من الدنيا وبرمت بالحياة فيها ، فهي تعمل على الخلاص منها بوسائل الانتحار ، ثم عز عليها أن يبقى

على وجه الأرض أحد بعدها ، فأرادته دماراً عاماً ، وخراباً شاملاً ، يفسد كل شيء ويبيد كل حي ؟!

لأنه إذا لم يستطع مخترعو تلك الصواريخ ، وكاشفو الطاقات الذرية وغير الذرية ، أن ينفقوا استخدامهما على المنافع المدنية ، ولنعاش الحضارة الإنسانية ، لحرام أن ينفقوا شيئاً أى شيء ، فى سبيل تحضيرها وتفجيرها ، أو الاحتفاظ بها واختزانها . وحرام أن يروعو الآمنين ، وينقصوا الحياة على الأبرياء المسلمين ، بتلك المخترعات الشريرة التى لا يراعون بها فى جانب الإنسانية حقاً ولا حرمة ولا يخشون بها فى جانب الله بطشاً ولا قوة .

وقديماً بغى قارون على الناس مثل هذا البغى ، وبطر بالنعمة : نعمة العلم والمال والقوة ، وطغى مثل هذا الطغيان ، فأخذ الله وخسف به ، ونجى من كيدده وطغيانه المؤمنين المتقين . وإن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناها من السكروز ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندى ، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا . قال تعالى : د نجسنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . ثم قال سبحانه : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين .

إن شيخ الأزهر وعلماءه يبعثون بهذا إلى حكام الشعوب ، وإلى الهيئات العالمية ، والمنظمات الدولية ، وإلى كل ذى رأى مطاع فى قومه ، يدعونهم به إلى التآخى والاتجاه بكل ما يملكون من جهود ، نحو خير البشرية والرفق بها ، وإنقاذها عما يساورها فى هذه الأيام من قلق ، وما يحيط بها من ذعر ، حتى تصبح الإنسانية فى مأمن من المهالك ، ويتوافر للعالم الاستقرار والأمن والسلام .

والله الهادى إلى سواء السبيل .

عبد الرحمن تاج

شيخ الجامع الأزهر
ورئيس جماعة كبار العلماء

ربيع الأول سنة ١٣٧٧

أكتوبر سنة ١٩٥٧

من خواطر الساعة

دور رجال الدين بعد دور رجال العلم

تواجه الجماعات البشرية حالا من الرعب لا عهد لها بمثلها من قبل ولا طاقة لها باحتمالها ، فأخبار الصواريخ والقاذفات والأقمار الصناعية أثارت أعصابها ، وأخذت أسماعها وأبصارها ، وملأتها فزعا وذعرا : فمع كل طير طائرة ، ومع كل نبأة صاروخ ، ومع كل ومضة قمر صناعي ، وباتوا على حسك السعداء ، وشغلوا بالتفكير في مستقبلهم إزاء هذه المخترعات ، ومن قبل ذلك استنفدت الجماعات قدرا غير قليل من طاقتها العصبية في الخوف من أخطار حربين متتاليتين ، ثم فيما أعقبهما من شدائد معاشية عمت العالم كله نتيجة لهذه الحروب ولأسباب أخرى متصلة بها كوضع القيود المرهقة على التبادل التجاري الدولي في المواد الخام وفي المنتجات عامة .

نعم تواجه البشرية عهدا من الرعب تظاهرت على تصويره وتبشيعه وسائل النشر الحديثة من صحافة وإذاعة وغيرهما حتى ليخال الإنسان أن الكون انقلب بحجما تأخذه النيران فيه من بين يديه وعن خلفه وعن أيمنه وشماله ، ومن أعلاه وأسفله ، وضافت الدنيا بما رحبت ، وضافت أخلاق الناس وعزّ الصفيح والاحتمال ، وحار الطب والأطباء في تلك الأمراض العصبية الغربية التي انتشرت بين الناس وزادت موجات الانتحار في الشعوب كما زادت نسبة الجنون ، ومرد ذلك كله على ما يذكر المختصون إلى ظروف الرعب التي اجتاحت العالم في ظل المخترعات العلمية المدمرة .

ولقد جن جنون العالم وذهلت نفوس الناس إثر انطلاق الصاروخ بالقمر الروسى وشغلت صحافة العالم وإذاعاته بالحديث عن أثر هذا الاختراع في ميادين العلم والحرب والسياسة ، وعن مدى خطره على البشرية إذا قدر أن يستخدم كسلاح حربى ، وعن قوة فتكه بالأمم والشعوب ، وأضيف إلى بيان حقيقته العلمية وطاقته التدميرية مبالغات السكاتيين وخيالات المغالين ، فاستقر في نفوس الناس له صورة رهيبة ترصد لها النفوس

وتطير من حولها القلوب وتكره لها الحياة والأحياء والعلم والعلماء ، وحرار الناس فيما يفعلون ليردوا إلى القلوب استقرارها وإلى الحياة جمالها وإلى النفوس بهجتها وهناتها وليشعروا أنه في الحياة فائدة وفيها متاعا وفيها خيرا وليست هذه الحياة المظلمة القاتلة للفكر وللوجدان .

وفي هذه الغمرات يتطلع الناس إلى من ينير لهم الطريق ويهديهم سبيل الرشاد ويخرجهم من ظلمات الحيرة إلى نور الاطمئنان ويفتشون عن القادة والزعماء وأول من تقع عليه خواطرهم رجال السيامة فاذا هم منهم على سراب لا ينقع غلة ولا يروى أواما ، فالسامة يعميهم التعصب عن الصواب ويخرسهم عن قالة الحق وتمنعهم المداينة والحرص على المناصب عن الدعوة المخلصة إلى التعاون والسلام بين الشعوب ، وللناس في التشكك في إخلاص الساسة وغيرتهم عذرهم من تجارب الماضي والحاضر ، فواقف الساسة تتكيف بمصالح الشعوب الخاصة لا بمصالح العالم عامة وليس لهم استقرار على رأى ينقضون اليوم ما أبرموه بالأمس وينكرون في الصباح ما اعترفوا به في المساء تبعاً لاختلاف البواعث والدوافع .

لقد خاب ظن الناس في الساسة وفقدوا ثقتهم فيهم وعافوا أساليبهم ونفضوا أيديهم منهم وأخذوا ينشدون غيرهم ويبحثون عن سواهم علمهم يعثرون على طلبتهم ويظفرون بضالتهم . فأى الطوائف ينشدون ؟ وإلى أى قادة غيرهم يتجهون ؟ ليس للبشرية فيما نظن أمل بعد ذلك إلا في رجال الدين ، ورجال الدين أحق الناس الآن بقيادة الشعوب ودعوتهم أنجح الدعوات ، وإن لم يفلح هؤلاء في توجيه البشرية جهة الخير والصالح ، فلا رجاء في غيرهم . ولقد أفلح رجال الدين عصورا طويلة في قيادة الشعوب شرقا وغربا وتعمت الإنسانية في ظلال دعواتهم وهداياتهم بمعهود من الأمن والاستقرار والرخاء والاطمئنان ما زالت تذكرها وتحن إليها ، وما عمت العالم الفوضى وما حل به البلاء إلا حين انفلت الزمام من أيدي رجال الدين ، وأمسك به جماعة لم يسوسوا الشعوب بسياسة الأديان ، بل ساسوها بقوانين من وضع الإنسان ، لا يلبث بريقها أن يخبو فيسود العالم ظلام دامس تخبط الإنسانية فيه خبط عشواء .

سيقول السفهاء من الناس : إن قيادة الدين قيادة ضعيفة لا تظاهرها قوة النفوذ ولا قوة السلاح ، فكيف يقدر لها أن تفلح وهي مجردة من الحول والسلطان ؟ ! ولقد

وهم هؤلاء فقيادة الدين قيادة قوية تستمد قوتها من الدين وإيمان المؤمنين ، ويمكن الدين في نفوس العامة بالقدر الذى نحسه ونلمس أثره ، فالقيادة به قيادة أدبية منتجة وإن أبطأت ، مجودة وإن تعوقت .

بيد رجال الأديان أن يقودوا الشعوب إلى السلام ويوجهوها وجهة الخير والصلاح العام ، ويبدعهم أن يعدلوا من أفكار الساسة ويكفكفوا من غلواتهم ويكشفوا عن أساليب مكرهم وخداعهم ، ويبدع رجال الأديان أن يدعوا إلى استخدام ما ابتدعه العلم في سبيل السلام الإنسانى العام وفي مصلحة البشرية كلها لا فرق بين شرق وغرب ولا بين أبيض وأسود ولا أصفر وأحمر ، والأديان كلها تهدف إلى ذلك وتلتقى عند هذه الغاية ووجهتها جميعا خير البشرية وإسعادهم .

إن المسرح الآن معد لأن يؤدى رجال الأديان دورهم عليه وأن يعيدوا سالف أعجادهم في تزعم الشعوب وقيادتها ، وقد هيأت لهم أحوال العالم الفرصة فعلمهم أن يفتنموها ، فقد ضاق الناس بالساسة وأساليبهم ، وكشفت التجارب عن خداعهم وانجالت الأمور عن فشلهم وتطلع العالم إلى غيرهم يلتمس الطب لهذه العلل والأمراض ، وطب العالم وشفاؤه منوط اليوم برجال الدين ، وإنهم لأطباؤه إن أخلصوا القصد وصمموا العزم وطرحوا التعمصب المفقوت والجلد البغيض ، ومن واجبه أن يكونوا كذلك فالموقف جد خطير وحيرة العالم عامة وشقاؤه شامل ، لا ينحصر ديناً دون دين ولا طائفة دون طائفة والخطر الذى يواجهه العالم خطر داهم ، لن ينجو منه قبيل دون قبيل ولا دين دون دين . ومهمة رجال الدين هى تكوين رأى عام عالمى تشترك فيه سائر الشعوب ويتقدم إلى الحكومات بما يأتى :

- ١ - احترام استقلال الأمم وسيادتها .
- ٢ - تمكين الشعوب من نيل حريتها واستقلالها .
- ٣ - وقف التسليح وتوجيه نفقاته إلى رفع المستوى المعاشى للشعوب .
- ٤ - توجيه المخترعات الذرية إلى الأغراض السلمية المفيدة .
- ٥ - تخفيف القيود على التبادل التجارى بين عامة الشعوب .

هذه مطالب إجمالية تحمل كثيرا من مشا كل العالم وتخفف عنه ما ينوء به وتعيد إليه شيئا من استقراره المنشود إن أمكن تحقيقها ، والشعوب ممثلة في الرأي العام كفيلة أن تحمل الحكومات على الاستجابة لهذه المطالب ، فقد استيقظت على نذر الخطوب وأهوال الحروب وأصبح لها خطرها في توجيه شئونها الوجهة التي تلائم مصالحها ومستقبلها ، ولن تستطيع الحكومات أن تستبد بالشعوب وتغضى عن رغباتها وتوجهها إلى ما لا ترضاه ولا يتفق ومصلحتها .

وقد استطاع الشعب البريطاني أن يطيح بحكومة ايذن رغم استنادها إلى أغلبية برلمانية حين استبان له خطأها في الامتثال في الاعتداء على مصر ، ولم تغن عنه أغليته البرلمانية شيئا ، ووسمه بميسم العار والفشل ، وقضى على حياته السياسية فذاق وبال أمره وكان عاقبة أمره خسرا .

إن العالم الآن مرهف الإحساس ، مهيا الذهن لدعوات الخير ، وخصوصا إذا كانت من أهلها وكانت دعوات إلى السلام ، فقد ضاق الناس بالدعوة إلى الحروب وبأحاديث الحروب . وفي عنق رجال الدين أن يهتبلوا هذه الفرصة ، وأن ينشطوا للعمل وأن يثبتوا أن لهم مكانا في خدمة الحضارة والسلام العام ويخرسوا ألسنة السوء فيهم وفي أقدارهم وأخطارهم في قيادة الجماعات والشعوب . فهيا يا رجال الدين والقوها في مسامع الزمن دعوة تعبر القارات وتجتاز المحيطات وتستعيدوا بها مجدكم وتستكتبوا بها التاريخ صفحات عاطرة من سيركم ما

أبر الوفا المرغى

لو رتعت لرتعوا

حمل مرة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مال عظيم من الخمس ، فلما نظر إليه قال :

— إن قوما أدوا الأمانة في هذا لأمناء .

فقال له بعض الحاضرين : — إنك أديت الأمانة إلى الله ، فأدوا الأمانة إليك ،

ولو رتعت رتعوا .

مؤامرات ضد الاسلام

لقد رضيينا بالله جل جلاله ربا ، وبالإسلام الحنيف القويم ديننا ، وبمحمد نبي الرحمة ورسول النعمة قائدا وهاديا ، وبالقرآن الكريم المجيد نورا وإماما ...

لم يحملنا على ذلك إرغام أو إكراه ، ولم يخامرنا في ذلك ريب أو اشتباه ، بل آمنا - عن اعتقاد و يقين - بأن هذا هو الدين القيم الذي يجب أن نحيا له ، وأن نعمل به ، وأن نلقى الله عليه . ولذلك كان من حقنا - بل من واجبتنا - أن نغار على هذا الدين ، وأن ندود عنه سهام المفترين ، وأن نحذر فيه تضليل المخادعين ...

ولكن يظهر أن كثيرا من المنتسبين إلى الإسلام يفرطون في حقوقهم كما ينسون واجباتهم ، ويغالطون أنفسهم كما يغالطون سواهم ، فهم يرون المكايد السافرة المنظمة المتلاحقة المنصبة على هذا الدين ، وهم في غمرة ساهون ، أو عن حق دينهم في رقابهم يتغافلون ...

إن أعداء الدين السكبار والصغار يعملون بمكر على تحوير هذا الدين ، وتسخيره للالهواء والرغبات ، وتطويعه للذات والشهوات ، وإخضاعه - وهو هدى الله العلى الأعلى - للحياة الدنيا بمتاعها ولهوها ، وباطلها وزينتها ، بدل إخضاع هذه الحياة لتعاليم هذا الدين السمح الكريم ، وكلما راجت عندهم بدعة أو بلوى ، وراقت لشهواتهم ولذاتهم ، ذهبوا يقتصبون لها الفتوى من الدين في شطط وتكلف ، ويتأولون في الرخص تأولا فاحشا ، ويتوسعون فيها توسعا مسرفا ، يأخذون بالآراء الشاذة والأقوال الباطلة والفتاوى الكاذبة أو المتهالكة ضعفا ، لالضرورة ملحة ، ولا لمصلحة عامة لازمة ، بل لأن الهوى يريد ، ولأن الشهوة تتحكم ، ولأن الإجلال لحق الله تبارك وتعالى - وهو خالق الخلق وواهب الرزق وصاحب الأمر - ينكش فيهم ويتضاءل ، أو يحى ويزول ! ...

ولقد يضحك أهل الأرض على هؤلاء سخرية وهزءا حينما يستغل هؤلاء نصوص الدين بعد تحريفها عن مواضعها استغلالا وخفا دينيا في تبرير سيئاتهم وتسويغ منكراتهم ،

وحينما يحاولون باقتدارهم المختلف الألوان تسخير بعض المنتسبين إلى الدين لكي يأتوهم بالفتوى المصطنعة أو التسويغ الديني المراد ؛ ومعنى هذا أنهم يريدون أن يجعلوا الدين تبعاً للهوى ، لا أن يجعلوا الهوى خاضعاً للدين ، مع أن اتباع الهوى بهذه الصورة يكون باباً لكفران بالله ، والحق عز وجل هو الذى يقول : « أرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ أفأنت تكون عليه وكيلاً » ؟ . ويقول : « قل لا أتبع أهواءكم ، قد ضللت إذا ، وما أنا من المهتدين » . ويقول الرسول صلوات الله عليه : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » . وهذا الرسول نفسه - وهو المصنوع على عين ربه ، المختار لأمانته ورسالته ، المعصوم من الزلل في دينه ودعوته - لم يرض الله له أن يكون متبعاً للهوى أو خاضعاً لهوائه ، فقال عنه ربه : « والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » ! ...

* * *

ترون أعداء الدين يقولون مثلاً : « ليس في الإسلام رجال دين » ! . وهذه كلمة حق في ظاهرها ، يراد بها باطل خطير في باطنها ومرماها ، فهم يريدون من وراء ذلك أن يصلوا يوماً من الأيام - وما هم ببالغية - يقولون فيه : « ليس هناك دين » ! ...

نعم إن الإسلام لا يعرف طائفة خاصة لها سلطة روحية خاصة ، أو سيطرة دينية خاصة تعرف باسم « رجال الدين » على النحو المعروف في بعض الديانات ، ولكن الدين - بنصوصه وأحكامه ومبادئه وتعاليمه وأصوله وفروعه - محتاج دائماً إلى علماء من أهله يدرسون مسائله ، ويفقهون تعاليمه ، ويبينون للناس أحكامه ، ويبذلون للمؤمنين دعونه .

وللإسلام علوم تحتاج إلى جهد وتفريغ ودراسة وتبيان ، فالتفسير والحديث والفقه والتوحيد والأصول والأخلاق والسيرة وآراء الدين في مشكلات الحياة الفردية والجماعية ، كل هذه أمور دقيقة عميقة واسعة ، تحتاج إلى صبر وعكوف ، وتحتاج إلى إعداد واستعداد ، والله سبحانه يوصينا في كتابه بأن نسأل في الدين من له خبرة به : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . ويقول : « الرحمن ، فاسأل به خبيراً » . ويقول : « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » ! .

ونحن نعيش في عصر « التخصص » ، والناس ينادون بالتخصص في نواحي الحياة المختلفة ، ويحاربون اعتداء أى طائفة على اختصاص طائفة أخرى ... فالأطباء مثلاً جماعة لا يزاول عملها من لم يتخصص في الطب ، ولو باشر أحد من الناس عملاً من أعمال الطبيب لتعرض للحاكمة وناله العقاب ، وكذلك لا يجوز لغير المحامين أن يترافع في القضايا ، ولا لغير القضاة أن يفصل فيها ، ولا لغير الصيدليين أن يجهز الدواء ، ولا لغير الضباط أن يلبس ملابس الضباط ، فضلاً عن أن يباشر اختصاصهم .

فلماذا إذن لا يكون هناك متخصصون في الفتيا والدراسات الدينية وتبيان الأحكام الدقيقة والخطيرة للناس ؟ ... وإذا لم يكن في الإسلام « رجال دين » بالمعنى الذى ذكرنا فلماذا لا يكون هناك في الإسلام « علماء دين » يرجع إليهم المستفتون في أمور الدين ؟ .

هنا سيقول لك الماكرون المخادعون من أعداء الله وأعداء ملته : لا لا ... إن الدين ليس احتكاراً لأحد ! ... وهنا يديحون لكل من هب ودب - من هب هبوب الذباب أودب ديبب الخنفساء - أن يقول في الدين بما يشاء ، وأن يكتب وينشر ويذيع أفكاراً وفتاوى دينية ما أنزل الله بها من سلطان ، بل حدث منذ حين أن اشتركت امرأة لم تقرأ شيئاً عن الدين في مؤتمر خارج البلاد ، واشتركت فيه بصفتها الفردية ، ولكنها ادعت لنفسها في المؤتمر أنها تمثل العالم الإسلامى والرأى الإسلامى ، وبطبيعة الحال قبلها المؤتمر على هذا الوضع ، وصدقها فيما قالت ، وهى برأيها ونشأتها وتصرفاتها فى واد ، والرأى الإسلامى فى واد آخر بعيد ! .

وكلما حاول غيور أن يقف فى وجه هذا البلاء ثاروا ثورة الجمر الوحشية ، وتباكوا على حرية الرأى والفكر ، وهم فى الواقع يريدون ألا يكون هناك من يغار على حرمان الدين أو يدافع عنها ، أو من يذكر الناس بكلمة الدين فى شئونهم وأمور حياتهم ، حتى إذا لم توجد هذه الطائفة المناهضة لباطلهم وإثمهم ، المحاربة لفسقهم وفجورهم ، المنددة بتحللهم وانحلالهم ، المذكرة بحقوق ربهم ، ضاع الدين بين الجميع كما يحملون ويتوقعون وينتظرون ، وتقدرون فتضحك الأقدار . يقول الله تعالى فى سورة التوبة : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » . ويقول فى سورة الفتح : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ،

وكفى بالله شهيدا » ويقول في سورة الصف : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون » ! .

* * *

ومن أجل هذا الغرض الخطير الخبيث ترونهم يهاجمون الأزهر الشريف فى كل مناسبة ، ويهنون من شأنه ومن شأن رسالته ، ويحملون على علمائه وأهله حملة شعواء بلا رفق أو استثناء ، ويهضمون حقوقهم ، ويتناسون جهودهم وجهادهم ، ويفترون عليهم بالباطل ، ويعوقونهم عن أداء رسالتهم بشتى الوسائل ، ويسترون ذلك باسم الإصلاح والتطور والتجديد ، وهم فى الواقع يريدون أن يهدموا الحصن الأخير للإسلام ، وهو ذلك الأزهر الذى طاول القرون ، وعاش أكثر من ألف عام باسم الإسلام ، وانكمش فى فترات الظلمات والانحطاط على التراث الإسلامى والثقافة العربية ، حفظ لنا هذا الميراث الدينى العلمى اللغوى الأدبى الأخلاقى الضخم الجليل ، ولو لم يكن له إلا هذا الحفظ لكفاه مفخرة ! . . . الأزهر صاحب الفضل علينا وعلى الناس جميعا هنا وهناك وهناك . . . والذى نعي من ساحته مشاعر المسلمين وعواطفهم كلها ألمت بساحتنا مامة ، والذى نعيش على حسابه وبفضل سمعته وصيته فى سائر بلاد العروبة والإسلام ؛ ومع ذلك يحاربه فينا محاربون ، ويحمل عليه حاملون ، ويزيد فى بلاياه وأسباب عجزه وتأخره عن أداء رسالته كثيرون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وكان هؤلاء المفسدين الملاحدين لم يكفهم أن الطوفان المدنى الاجتماعى قد اكتسح فى طريقه كتابات القري التى كانت مبثوثة فى كل ناحية لتحفيظ القرآن الكريم ، فتضاءلت وانكمشت وقاربت أن تودع ، وقد كان الطفل فى البيت المسلم يفتح أذنيه أول ما يفتحهما على القرآن الكريم ، ويحرك شفقيه أول ما يحركهما بحفظ سورة ، فالبيت المسلم حينئذ تردد فيه الآيات كل صباح ، و « كتاب الحى » يتلقف الصبيان من أول الطريق ، بخفاء أعداء الدين فلففتونا عن قرآن ربنا بقصصهم الداعرة ، وكتبهم المأجنة ، وصحفهم المتحللة ، ودعواتهم الإلحادية السافرة ، وثقافتهم الرقيقة المرقعة : « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » .

* * *

واستغل هؤلاء موضوع المرأة ، لعلمهم أن المرأة هي ذات الأثر والخطر ، وأن المثل يقال عند كل حدث ذى بال : قتش عن المرأة ... وتعللوا أولا بأنها مهضومة الحقوق مظلومة ، فقلنا : الإسلام يطالب بانصافها .

وتعللوا بأن الرجل يهينها ويحتقرها ، فقلنا : نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام يكرمها ويرفع قدرها فيقول : « النساء شقائق الرجال » .

وتعللوا بأنها جاهلة يجب أن تتعلم ، فقلنا : الإسلام يوجب عليها العلم بما يجب العلم به من أمور الدين وشئون الدنيا ...

تعللوا بما تعللوا به ، وأجبناهم بما أحرس ألسنتهم وقطع عليهم تعللاتهم ؛ ولكنهم لم يكفوا ولم يرتدعوا ...

لقد أخذ هؤلاء الشياطين الساكرون يستغلون موضوع المرأة فى خبث عميق واسع ، فغرروا بالمرأة المسكينة ، ودفعوا بها إلى المعاطب والمهالك ، فلم تتعلم المرأة حقاً ولم تهذب صدقاً عن طريقهم وبأسلوبهم إلا فى القليل النادر ، ولا كنهها فى الأعم الأغلب أطلقت ساقها للريح - إلا من عصم الله وهن قليل - فتعرت المرأة باسم دعوة الحرية وتجردت ، ورقصت ودخت ، وسكرت وعربدت ، وتناولت المخدرات وخادنت ، وتاجرت بجسمها وخانت ، وأسرفت فى تحررها وتبجحت ، وشاركتها فى أغلب ذلك أمثالها من المتحللين من الرجال ... فلم يثق بها الرجل ، ولم يسعد بها البيت ، ولم يصلح بها المجتمع ، ولم تسعد المرأة نفسها بذلك الانطلاق الجارف ، بل شقيت جزاء ما أسرفت ، ولم يكن هذا الاستغلال للمرأة من أعداء الدين إلا نوعاً خبيثاً من الهدم لتعاليم ذلك الدين ونظمه ، لأن المرأة المهتدة الأخلاق والفضيلة هي العوبة الشيطان الخطيرة ! ...

لقد أراد الإسلام المرأة أما بفعلها هؤلاء لاهية لاعبة ، وأرادها زوجة حليمة ، بفعلها عشيقه خدينة ، وأرادها ذات عفة وفضيلة فحرضوها على الإثم ودفعوها إلى المنكر ، وأرادها عليمه بفعلها نصف متعلمة أو نصف جاهلة ، وأرادها شقيقة للرجل وشريكة له ، بفعلها مزاحمة منافسة ، وأرادها لعرشها فى البيت والأسرة ، فأخرجوها من مملكتها إلى زحمة الأسواق ومبائات الفساد ، وأرادها مصلية بفعلها راقصة ، وأرادها ذاكرة تاليسية ، بفعلها عريضة منطلقة ، وأرادها محتشمة متوقرة ، بفعلها متجردة عارية ؟ ! ...

ماذا يراد بالإسلام من وراء هذه المسكايد المتلاحقة التي تصب عليه صبا كأنها قطع الليل المظلم ؟ ... وكيف تتفق هذه المحاربة السافرة للإسلام مع أن المجتمع مسلم يؤمن أبناءه بدينهم ، ويقروون أن عقيدتهم أغلى شيء عندهم ، وأن من يحاربها يكون خارجا على هذا المجتمع ، ومتمردا في وجه نظمه الأساسية ؟ ...

إن دستور الدولة المصرية مثلا يقول في المادة الثامنة منه : « الإسلام دين الدولة » ويقول في المادة الخامسة منه : « الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق والوطنية » . ويقول في مادته الستين : « مراعاة النظام واحترام الآداب الاجتماعية العامة واجب على المصريين » .

فهل بلغ هذا آذان المفسدين الملحدين الذين يريدون بتحليلهم ودعواتهم الفاجرة أن يهدموا الدين ؟ ! ..

وهل آن لأهل الغيرة وأهل القدرة أن يوائموا بين هدى الله وبين تصرفاتنا في هذه الحياة ؟ ! ...

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

الأموال العامة

في كتاب (السياسة الشرعية) لشيخ الإسلام ابن تيمية :

قال رجل لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، لو وسعت على نفسك في النفقة من مال الله عز وجل .

فأجابه عمر : أتدري ما مثل ومثل هؤلاء ؟ إن مثل ومثلهم كمثل قوم كانوا في سفر ، فجمعوا منهم مالا ، وسلموه إلى رجل منهم ينفقه عليهم . فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عنهم من أموالهم .

القوة المادية والروحية

لا يكاد التاريخ يعرف ديناً رفع من شأن الجهاد والاستشهاد في سبيل الله والحق والمثل الإنسانية العليا ، ودعا إلى الحرية والعزة ، مثل ما عرف ذلك للإسلام ، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية البيان الوافي لما للجاهدين من منزلة عند الله وللشهداء من حياة عند ربهم ورزق مقيم في جنات النعيم . والإسلام حينما دعا إلى الجهاد لم يرد إذلال الناس وسلب الحريات وانتهاك الحرمات واستنزاف الأموال والأرزاق كما هو شأن دول الغرب ، وإنما أراد تأمين حرية الناس في عقائدهم ، والدفاع عن حرمة النفوس والأعراض والأموال ، وحماية الأوطان من ظلم الظالمين واستبداد المستبدين ، وإقامة قواعد الحق والعدل والفضائل الإنسانية في الأرض ، ولكي يكفل الإسلام العزة للمسلمين ، والنصر على الأعداء الذين لا يراعون إلا ولا ذمة ، ولا يحترمون حقوق الإنسان ، أمر بتحصيل أمرين مهمين :

١ — القوة المادية : فقد أمر الإسلام المسلمين بأعداد العدة وأخذ الأبهة للعداء ، فقال عز شأنه : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » [١] .

وقد جاءت الآية الكريمة على غاية الإيجاز ، إذ تركت تحديد القوة ووسائلها لما يوائم كل زمان ومكان ، وهو ضرب من الإعجاز ، وقد جاء التفسير النبوي للقوة في الآية معجزاً هو الآخر ، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن القوة فقال : (ألا إنها الرمي) ثلاثاً [٢] . وواضح من الآية أن الإسلام قصد بأعداد العدة حفظ كيان الأمة الإسلامية وإرهاب أعدائها حتى لا تسول لباغ نفسه أن ينال من عزة المسلمين أو ينتقص من أطراف بلادهم .

[١] سورة الانفال الآية ٦٠ .

[٢] قد أوسعت القول في هذا في هذه المجلة جزء صفر لعام ١٣٧٣ .

وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم والرعييل الأول من المسلمين بهذا المبدأ فأوجدوا وسيلة من وسائل العزة والغلب والنصر إلا وأخذوا بها ، فقد لبسوا البيضة على الرؤوس وتستروا بالحجن واستعملوا المتجنيق واستخدموا الدبابة المعروفة آنئذ ، ولما أشار سامان الفارسي على رسول الله بحفر الخندق ولم يكن للعرب علم به استحسن الرسول الفكرة ونفذها واشترك مع المسلمين : يكسر الصخور ، ويحمل التراب مع الحاملين ، وعلى هذا المنهج من الاستعداد سار المسلمون قرونا من الزمان فبقى سلطان المسلمين مرهوبا في الأرض وارند كيد الكائدين في نحورهم .

٢ — القوة الأدبية : وذلك بأعداد الأمة ولاسيا جيشها لإعدادا دينيا أدبيا خلقيا ، وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة الإسلامية بهذا الإعداد الأدبي فأرسي في قلوبهم حب الإيمان والحق والخير والفضائل الإنسانية السامية التي لاغنى لمجتمع صالح عنها ، فلا تعجب إذا خط المسلمون الأوائل في كتاب البطولة الإسلامية صحائف مشرفة لا تزال تعنولعظمتها الجباه ، هذه البطولة التي لم تقم على غدر وخيانة ونذالة وإسفاف كما تفعل دول الاستعمار اليوم ، وقد كان رسول الله يتعاهد المسلمين بما يقوى روحهم المعنوية ويلهب حماسهم ، ولاسيا عند التحام الجيوش مما كان له أكبر الأثر في النصر ، وبهذه القوة الروحية تغلب ثلثمائة وبضعة عشر رجلا قليل العدد على أضعافهم عددا وعدة في غزوة بدر الكبرى ، وبالقوة الروحية انتصر أربعة آلاف من المسلمين على أربعين ألفا من ذوى البأس الشديد من بنى حنيفة في موقعة اليمامة ، وبالقوة الروحية هزم أربعون ألفا من المسلمين مائتي ألف أو يزيدون من الروم في موقعة اليرموك .

لقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إذا أرسل جيشا أو سرية أو صاهم بتقوى الله ، وأن لا يغدروا ولا يغلوا ، ولا يقتلوا طفلا ولا امرأة ولا شيخا هراما . وكذلك فعل الخلفاء الراشدون المهديون من بعده لما يعلمون أن النصر متوقف إلى حد كبير على تقوى الله سبحانه ، وهل التقوى إلا جماع الخير والحق والعدل والفضائل ؟ ؟ وهذا هو الحق سبحانه بعد أن ذكر إمداد المسلمين بالملائكة في بدر قال : « وما النصر إلا من عند الله

إن الله عزيز حكيم « [١] » وذلك ليرينا أن الأخذ في الأسباب العادية ليس كل شيء ، وأن تقوى الله والعمل على مرضاته من أقوى أسباب النصر .

وليس بعزيز على الله - وهو المتصرف في الكون علويه وسفليه المرئى منه وغير المرئى - أن يهيء لعباده المتقين من جنوده المرئية وغير المرئية ما ينصرهم على أعدائهم ، وأن يوقع في صفوف الفساق وأهل البغى ما يخذلهم ويذهب بقوتهم المادية . وليست هذه أمنية وإنما هو أمر يقرره الواقع التاريخي : ففي بدر أمد الله المؤمنين بالملائكة « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فنهبوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » [٢] . وفي غزوة الأحزاب أمد الله المسلمين بجنوده المحسوسة وغير المحسوسة قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا » [٣] « والله جنود لا تعد ولا تحصى ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » ولعلنا على ذكر مما أحدثته الرياح - وهى بعض جند الله - في أمريكا في العام الفائت من خراب وتدمير ووقفت الدولة العاتية ذات الأساطيل والنفاثات والذريات أمامها عاجزة ذليلة ، وللفاروق عمر رضى الله كلام حكيم في هذا المقام فقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص فقال :

« أما بعد - فاني آمرك بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيمة في الحروب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم لأن عدونا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة وإن لا تنصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا . واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأتم في سبيل الله ولا تقولوا : إن عدونا شر منا فان يسلط علينا وإن أسأنا ، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفره الجحوس « بخاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » .

وهذه شهادة أخرى من الأعداء ، ذلك أن هرقل وهو على إنطاكية لما قدمت

[١] سورة الأنفال الآية ١٠

[٢] سورة الأنفال الآية ١٣ [٣] سورة الأحزاب الآية ٩

عليه الروم منهزمة قال لهم : ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشرا مثلكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن . قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أننا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط ونهني عما يرضى الله ونفسد في الأرض . فقال هرقل : أنت صدقتي .

ألا ما أشد حاجة الجند إلى التدين الصحيح ، وعلى القائمين عليهم أن يمرنوههم على أداء الفروض الدينية كتدعيمهم لهم على الفنون العسكرية . لقد اتفق لى أن ذهبت لزيارة أحد الجنود في ثكنة من ثكنات الجيش - وكان يوم الجمعة - فألمني أنى وجدت أن نسبة المصلين من الضباط والجنود كانت قليلة جدا . وقد أبدت امتعاضى وأسفى لبعض الضباط الذين كانوا يصلون معى ، فشاركونى التأسف والامتعاض . وإنا لنأمل من السيد وزير الحربية - وهو الغيور على مصلحة الوطن - أن يصدر قانونا ملزما للجنود بأداء الفروض الدينية وعنايتهم بها ، إذ الوعظ والإرشاد وحده لا يكفى ، لقد كنت أدعو بعض الجنود إلى الصلاة فيزعم أنه سيذهب ليتوضأ ثم لا يعود .

إن الجندى الذى يفرط في الصلاة يكون أشد تفريطا في غيرها من فروض الدين وآدابه ، والجندى الذى يفرط في حقوق الله يكون أشد تفريطا في حقوق وطنه ، ولا يرجى منه كبير غناء ، وإذا فشت المعاصى بين الجنود كان ذلك أضر عليهم من عدوهم - كما قال الفاروق رضى الله عنه - وواجبنا - معاشر العلماء - تبصير أولى الأمر بالتنبيه على ممكن الداء ووصف الدواء ، والسكوت في مثل هذا خيانة لله وللوطن .

وبعد : فما أشد حاجتنا - معاشر المسلمين والعرب - في يقظتنا ووثقتنا التى أقضت مضاجع الأعداء أن تزود إلى جانب التسليح المادى بالتسليح الروحى الذى ينبع من التدين الحق ، فبهذا السلاح الروحى نموض ما عسى أن ينقصنا من السلاح المادى وبه نستحق نصر الله ، وصدق الله : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « ولينصرن الله من ينصره إن لقوى عزيز » ما

المكتور محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

حصوننا مهددة من داخلها

إن أهداف الدعوات الشعبية التي تحدث عنها في مقالاتنا السابقة أصبحت تخالف دستورنا مخالفة صريحة توقع أصحابها تحت طائلة العقاب . فلم يعد هناك مجال للكلام عن الفرعونية التي تعتبر العرب دخلاء ، بعد أن قررت المادة الأولى من الدستور أن (مصر دولة عربية) ، وأن (الشعب المصرى جزء من الأمة العربية) ، ولم يعد هناك مجال للكلام عن (الفولكلور) المصرى القديم أو الحديث والدعوة إلى إقامة حياتنا وفنوننا على أساسه ، بعد أن نصت المادة الثالثة من الدستور على أن (الإسلام دين الدولة) ثم نصت المادة الخامسة على أن (الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق والوطنية) . فنظام مجتمعنا لا يستمد مقوماته إذن من ذلك (الفولكلور) قديمه أو حديثه ، ولكنه يستمدّها من ديننا الإسلامى ومن أخلاقنا الإسلامية ومن وطنيتنا العربية .

ولكن العجب الذى لا يشبهه عجب أن هذه الدعوة التي قتل الدستور جرائمها واستأصل سرطانها الفتاك قد أطلت برأسها من جديد تلتمس الحياة في صحيفة حكومية تصدرها وزارة الإرشاد القومى وهي صحيفة « المجلة » .

ويكفى أن تراجع العدد الأول من هذه الصحيفة لى تبين أن العصبة الشعبية والفرعونية الجاهلية تسيطر عليها سيطرة كاملة ، وأنها تتجاهل تجاهلا كاملا أنها في بلد عربى أو إسلامى . فهى تكاد تخلو من المواضيع الإسلامية أو العربية ، وهى مطبوعة بطابع شعوبى انفصالى يتحدى دستور الدولة ، لأنه يتحدث عن العرب بوصفهم غزاة دخلاء في بلد تنص المادة الأولى من دستوره على أنه عربى [١] ، وهى تقدس الفرعونية إلى حد الغلو الذى يخرج بها إلى الوثنية والكفر والتمكّم بقيم الإسلام وزعمائه وتشويه

(١) راجع مقال « صراع النومية المصرية من غزو الاسكندر حتى الفتح الإسلامى » في العدد الأول من « المجلة » من ٣٠ - ٤٣ .

سيرتهم . فاذا خرجت « المجلة » عن هذا الطابع الانفصالي الذى هو خليف أن يدعم مزاعم الدعايات الأجنبية التى تريد أن تصور سياسة مصر الحالية سياسة امبراطورية استعمارية ، إذا خرجت « المجلة » عن هذا الطابع لم تتحدث إلا عن أدب الغرب وموسيقى الغرب ورقص الغرب وفنون الغرب ، ذلك الغرب الذى وصفه أحد كتابه بأنه (العالم المتحضر) ، حين تحدث عن الاحتفال ببرناردشو ، فقال فى صدر مقاله : « احتفل العالم المتحضر بالعيد المئوى لميلاد برناردشو » ، وكأن من عدا هؤلاء المحتفلين ببرناردشو - ممن يزعم أنهم هم المتمدنون - رعاى وهمج .

يتحدث المقال الأول فى هذا العدد عن (قناة السويس بين التأميم والتدويل) فيزعم أن (تقاطيع رئيس جمهورية مصر الشاب تشبه تقاطيع الشخصيات والرجال الذين خلدت صورهم على جدران المعابد وأهيا كل الفرعونية منذ آلاف السنين) . وجمال عيد الناصر - مثله فى ذلك مثل ملايين عديدة من المصريين - عربى الأصل من بنى مصر . فمن أين يجيئه العرق الفرعونى ؟ وأى نفر فى أن يكون جده أحد هؤلاء الكفار الجبابرة الإقطاعيين الذين قطع الإسلام ما بيننا وبينهم ؟

ويمضى كاتب المقال على هذا النمط فى سائر مقاله ، تقوده نزعة فرعونية غالبية ، فيتحدث عن (عودة التاريخ الفرعونى بقاء وديب الحياة فيه) ، وتحرك الحضارة المصرية القديمة وسيرها على الأقدام وزحفها فى العربات السريعة الرشيقة التى نرى صورها فى الكتب ونعجب منها ومن رآكها وفارسها) . والحضارة كما هو معلوم دين وتفكير وأسلوب فى الحياة . فهل هناك نية للانسلاخ من حضارتنا الإسلامية والارتداد إلى الوثنية الفرعونية ؟ أم ماذا تكون الحضارة الفرعونية ؟ وكيف يكون تحركها وزحفها وبعثها ؟ ويتحدث المقال فيما يتحدث كذلك عن واجب مصر الأول نحو الناس وهو نشر الحضارة بينهم ، فيخيل للقارئ أن الكاتب يتحدث بلسان الإمبراطورية البريطانية فى القرن التاسع عشر . أمثل هذا تدعم القومية العربية وتحارب أكاذيب المفسدين والداساسين الذين ينفثون سموم الفرقة بين العرب ، حين يزعمون لإخواننا أن مصر دولة ذات مطامع استعمارية تمتدع إلى مطامعها بين العرب والمسلمين باسم العروبة والإسلام ؟

وإذا شئت المزيد من هذه العصبية ومن هذا التهور فاقرأ نص خطاب كاتب هذا المقال فى الاحتفال بافتتاح البرنامج الثانى (العدد ٦ ص ١٢٣ - ١٢٧) ، حيث يرد إلى الفراعنة مظاهر الحضارة الإنسانية بكل ألوانها وبكل فروعها وصورها ، وينسب إليهم

(صنع فكرة الإيمان بالله) على حد تعبيره ، وحيث يقول : « إن مصر الآن لا يشك في أنها تلعب دورا رساليا ، دورا ذا رسالة . ونحن لا نستطيع أن نضطلع بهذا الدور إلا إذا شحنا بطاريتنا ، لأن بطاريتنا فارغة » . ثم يروى قصة القبطان الذى نفذ ما في سفينته من الماء الحلو ، فأخذ يلح في طلبه ، ثم يتبين له أن الماء الحلو تحته وهو لا يدري ، بعد أن قطعت سفينته المحيط ودخلت في مصب أحد الأنهار . ويشبه حالنا في مصر بحال ذلك القبطان « الماء الحلو عندنا ، الماء الحلو في ثقافتنا ... في بعض هذه الهياكل والمعابد التى نستطيع أن نشاهدها ، فنرى كيف صنع أجدادنا من هذه الأرض وبهذه الأدوات » . ثم يقول : « وأرجو أن يكون البرنامج الثانى لإحدى هذه الرسائل في أعماق حياتنا التى امتدت ستة آلاف سنة بل أكثر . ونستطيع أن نخرج منها ماء حلوا لا لنشرب منه فقط ، وإنما نشرب ونوزع منه على العالم » . فهل هذا هو الدور الرسالى الذى ستقوم به مصر بين العرب ؟ هل رسالتها هى إحياء الفرعونية وفرعنة العرب جميعا ؟ وماذا يحدث لو أراد إخواننا المغاربة بالمثل أن يبرروا العرب ، ونازعهم في ذلك كل من العراقيين والشاميين واليمنيين واحدا منهم يباهى بجاهليته ويزعم أنها أحق بالسيادة ؟ هل هذا هو السبيل الصحيح لجمع العرب ، وهم بحمد الله وفضله مجتمعون فعلا على الإسلام ، لم تفرقهم إلا أمثال هذه الدعوات .

وتجد مثل هذا الانحراف المنفر في التعليق على العصر الفرعونى في مقال (تى - سيدة من الشعب وجهت أحداث عصرها - العدد الثانى ص ٢٥ - ٤٢) حيث يدور كلام الكاتب عن تقوية النفوذ المصرى خارج الحدود ، وعن منافسة الآشوريين والبابليين والحثيين لمصر في ذلك ، وعن أساليب مصر الفرعونية في نشر نفوذها عن طريق نشر التعليم المصرى . وكل ذلك لا يعين على تدعيم الثقة بين العرب ، ولا يلد إلا الشر لأنه يدعم مزاعم الذين يعيشون بالتفريق بينهم ويشكك في أهداف مصر من وراء مساعدة إخوانها العرب ومدعم بالمدرسين . ولا سيما إذا كان الذى ينشر هذا الكلام صحيفة تصدرها وزارة الإرشاد القومى .

ومن أمثلة هذه المقالات المنحرفة مقال عنوانه (صراع القومية المصرية من غزو الإسكندر حتى الفتح الإسلامى - العدد الأول ص ٣٠ - ٤٣) . وهو مقال طويل كله تقديس جنونى للفرعونية وحط من قدر العرب والإسلام ، ونزول بدوافع الفتح الإسلامى الأول في عهد الخلفاء الراشدين الذين أنقذنا الله بهم من النار وهدى آباءنا وأجدادنا ،

إلى مرتبة السطو والقرصنة واللصوصية ، . انظر إليه كيف يتحدث عن ذى النورين ، عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه ، حين يضعه بين جبابرة الرومان والمماليك ، حيث يقول : (فالخليفة يعزل عاملا من أعدل عماله على مصر ، ثم يعرض بسياسته المعتدلة في فرض الضرائب ، قائلا : لقد درت اللقحة بعدك يا عمرو . فيجيبه أعدل من ولى مصر بما يفيد أنها أضرت بوليدها - العدد الأول ص ٣١) ويرد ذلك بحديث مثله عن أباطرة الرومان وبكوات المماليك ، يصور أن همهم كله كان مصروفا لاستغلال الشعب المستعبد والتمتع على حساب كده وشقائه . والمقال كله يشف عن عداوة عميقة لكل فكرة إسلامية أو عربية . فهو يرفع ذلك العهد الفرعونى الإقطاعى إلى مرتبة من القداسة تكاد ترد الناس إلى ضرب من الوثنية . وهو لا يوقر صحابة رسول الله الذين كان فتحهم لمصر خيرا وبركة على المصريين ، إذ أنقذهم من الضلال وأدخلهم في رحمة الله بدخولهم في الإسلام . فهو حين يتحدث عن أولئك المجاهدين في نشر كلمة الله وهداية خلقه ، الذين عاشوا ما عاشوا زاهدين ، ثم خرجوا من الدنيا لا يملكون من حطامها شيئا ، يقرنهم بالوثنيين من الرومان واليونان وبالفسقة والجبابرة من الطغاة ، كلهم عنده سواء . تجدد ذلك في مثل قوله : « ولم تكن بيزنطة أرحم بالشعب المغلوب ، ولا كان الولاة العرب » (ص ٣١) . وفي قوله : « لم يكن المصرى يملك شيئا من أرضه ولا من غير أرضه . كلها إقطاعات للفرعون وأسرته ، وللعبد وسدنته ، ثم للبطليموس فالإمبراطور في رومة وبيزنطة ، ثم للخلفاء في شبه جزيرة العرب جنوبا وشمالا [١] ولمن جاء بعدهم من حكام مصر الأجانب » (ص ٣١) . وفي قوله : « وأنت تجد أثلة لهذه الاضطرابات والثورات على طول التاريخ المصرى في العهد القديم ، وبعده استتباب الأمر للبطالسة ، وإبان الحكم الرومانى والبيزنطى والعربى والعثمانى والفرنسى والارنؤودى والاحتلال البريطانى » (ص ٣٣) . وقوله : « حدث هذا بعد احتلال الرومان وبعد الفتح الإسلامى والغزو العثمانى » (ص ٣٥) . وقوله : « وكل همهم إرضاء المملك البعيد لمبراطورا أو خليفة أو سلطانا » (ص ٣٥) .

ولقد بلغ بالكاتب تقديسه للوطنية المصرية بهذا المعنى الشعبى المتطرف إلى حد يقرب من الشرك ، فكان من سوء اختياره للألفاظ أن وصفها بما اختاره الله جل وعلا

[١] المجلة - من الحقائق العلمية والتاريخية أن الفتح الإسلامى هو الذى ألغى به نظام الطبقات للمرة الأولى في مصر ، وتحجرت به الطبقة الكادحة في الزراعة ، وصار به حق تملك الأرض عاما لكل الطبقات . والذى يجعل هذه الحقيقة يجعل تاريخ الإسلام في مصر .

لنفسه فقال : إنها لا تتركها سنة ولا نوم (ص ٢٦) ، وأنزل الدين منزلة تلي في قداستها وسلطانها على النفوس هذه الوطنية ، إذ جعل اعتناق المصريين للمسيحية مظهرا من مظاهر المقاومة الوطنية للاحتلال الرومانى ، وأظهر عجزه لتحويل المصرى عن الوثنية إلى المسيحية متسائلا « كيف لم يحوص المصرى على ديانته العتيقة وهى آخر صلة له بجدها الغابر ؟ » (ص ٣٦) .

وفى « المجلة » بعد ذلك صور كثيرة من هذه الشعبية البغيضة فى مثل مقال « فن التصوير المصرى - العدد الأول ص ٤٤ - ٤٦ » الذى يقدر فن الفراغة الوثنى وما اتخذوه لأنفسهم من آلهة بزعمهم ، وفى مثل مقال « الفن المصرى - إدراك القانون - العدد الرابع ٢٩ - ٣٣ » بما يتخلله من مجازفات مارقة فى تعريف الدين والتدين والخلط بينهما وبين فنون الوثنية .

وفى مثل مقال « الرقص الشعبى فى الاتحاد السوفيتى - العدد الرابع ٧٢ - ٧٧ » الذى يدور حول حديث لراقص روسى عن خلق رقص مصرى ذى طابع مميز « بل إن الموضوعات الإسلامية التى تتناولها « المجلة » تنحرف بها نحو هذه الغاية ، فلا تتحدث عن الإسلام وأبطاله إن تحدثت - وقليل ما تفعل - إلا من هذه الزاوية الشعبية المنافية لروح الإسلام منافاة صريحة ، تجد ذلك فى مثل مقال « الخلافة المصرية الأولى - العدد السادس ٨١ - ٨٤ » ، الذى يدور حول تجسيد ثورة دحية بن المعصب فى مصر على الخلافة العباسية سنة ١٦٧ هـ فيسُميها كاتب المقال (الخلافة المصرية الأولى) ، وكأن خلافة المسلمين التى هى خلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تتجع شملهم على اختلاف أجناسهم ملك ينسب إلى البلاد لا إلى الإسلام نفسه ، ويحد المارقون المفتونون ممن يشعرون كلمة المسلمين ويثنون الفرقة بين صفوفهم .

وتجد فى « المجلة » مع ذلك كله حفاوة شديدة بتفاهات هابطة وبألوان من العبث الساذج تسميها « الفنون الشعبية » . تريد المجلة أن ترفع من قدر هذه التفاهات وتنادى بدراستها وتسجيلها لجرد تدعيم هذه الروح الشعبية المفرقة ، وإلا فالفن يتعلق دائما بمقاييس رفيعة ، وهو يهدف إلى ترقية الذوق الساذج المتخلف وثقيفه ، لا الهبوط بالذوق العام إلى مستوى الأذواق الفجة التى لم يهذبها التثقيف باسم الشعبية ، وأوضح ما يبدو ذلك فى مقال (الفنون الشعبية فى مصر - العدد الرابع ٤٦ - ٤٩) ، الذى يدعو إلى إحياء الشخصية المصرية ، ولا يعتبر الوثنية والمسيحية والإسلام إلا أعراضا لا تغير

من جوهر الشخصية المصرية بزعمه . فهى وثنية حيناً وهى مسيحية حيناً آخر وهى مسلمة تارة أخرى ولكنها فى كل هذه الأحوال مصرية دائماً ، وهذا هو ما أسمىه جنون (الفولكلور) والانحراف فى فهمه وتوجيهه ، وذلك الغرض المسموم المريض هو الحافز الحقيقى لكل ما نسمعه عن الدعوات التى تصدر عن الجامعات حيناً ومن مصلحة الفنون حيناً ومن مجلس الآداب تارة أخرى ، وكلها تدعو إلى الاهتمام بأدب العوام وأغانيهم وعاداتهم والاستعانة على تسجيل ذلك بكل ما أخرج العلم الحديث من وسائل وأدوات ، كما تدعو إلى تسكيم من عرفوا بتصوير هذه النزعة من الفنانين الذين ساءروا هذه الدعوة حين طغى مدها بعد الحرب العالمية الأولى ، عن وعى منهم أو عن غيروي ، مثل حافظ ابراهيم الشاعر ، ومختار المثل ، وسيد دريش المغنى .

ولهذه الدعوة بعد ذلك جانب آخر هدام هو الجانب اللغوى . فأصحاب هذه الدعوة من غلاة الشعوبية الموكلين بالتفريق والتشتيت ، يدعون دائماً إلى اتخاذ اللهجات السوقية (١) التى يطلق عليها « العامية » لأنها بزعمهم أصدق تعبيراً عن روح الشعب - وكأن الشعبية عندهم مرادف للجهل - ولأن (تراث الأدب العربى) كما يقول أحدهم : « ليس ولا يمكن أن يكون تراث لهجة بعينها من اللهجات ، وأن التفنن الأدبى لا شأن له إطلاقاً بالقواعد النحوية المصطلح عليها ، وأن الإعراب ليس شرطاً أساسياً لازماً للتفنن الأدبى . فلبدو شعرهم وسمروهم الذى يصدر عنهم عقو الخاطر ، والذى يفهمونه بعضهم عن بعض ، وللعوام فى المدن شعرهم ونثرهم الذى يتفاعلون هم وهو ولا يتفاعلون هم وغيره - العدد الأول تحت عنوان « الملحمة المصرية » ص ٥٥ » .

ومن الواضح أن هذا الكلام وأمثاله فاسد من الناحية الفنية الخالصة التى يحملها الداعون بهذه الدعوة أوزار دعوتهم فى أغاب الأحيان . فالفن فى صورته السكاملة وسيلة من وسائل السمو فوق الواقع المسف . والفن الذى يستحق أن يجهد النقاد أنفسهم فى تذوقه ونقده هو - الأثر الذى أجهد الفنان نفسه فى إنتاجه . فالنقاد غير مكلفين بعقو خواطر البدو

[١] تسمية هذه اللهجات بالسوقية نسبة إلى « السوق » لا إلى « السوق » لأنها فى نظرى لا تصلح إلا أن تكون لغة للتعامل فى الأسواق ، ووجودها الطبيعى فى كل الأمم واللغات ولكن فى داخل هذا النطاق . فهى لغة عملية تنوافر فيها السرعة التى تصل إلى ما يقرب من الرمز فى بعض الأحيان بينما تنوافر فى لغة الأدب الفصحى الأناقة والموسيقى والدقة ، وكل منها صالح فى ميدانه فلا تنافس ولا ازدواج كما يزعم الزاعمون .

والعوام ، لأن عفو خواطر العوام لا يصلح إلا للهو أمثالهم من العوام . أما عقول المثقفين فهي لا تجد في مثل هذا الانتاج لذة ولا متاعا . فالفن الراقى دائما - في كل عصر وفي كل مكان وفي كل لغة - مقصور على الخواص ، لأن الأثر الذي يستحق الاعتبار والبقاء لا يصدر إلا عن قلة موهوبة . ومن المسلم به أن الموهبة والاستعداد الحسن لا تنمو وتنضج وتخصب إلا على الماران والثقيف والعكوف على الدرس والتجويد .

أما الجانب الأشد خطورة في هذه الدعوة فهو أن ضررها لا يقف عند تمييز كل جماعة بطابع خاص تتعصب له مما لا يعين على تدعيم الوحدة العربية المرجوة ، ولسكنه يتجاوز ذلك إلى أن يقطع ما بينهم من الوشائج تقطيعا فيصحبون ولا يفهم بعضهم عن بعض . ومن المؤكد أن العرب في مختلف البلدان لا يجتمعون على فهم شيء من الإذاعة المصرية إلا فيما يذيعه « صوت العرب » بالفصحى . ومن المؤكد أيضا أنهم لا يفهمون من بعض صحفنا ما تحرص على تسجيله بالعامية مما يدور في مجلس الأمة أو في قاعات المحاكم .

والعجيب من الأمر أن جرأة الإذاعة وجرأة الصحف على الإلقاء بالسوقية والكتابة بها شيء جديد لم يجرؤ عليه أحد حين كانت القومية العربية حلما يتمناه المخلصون ويعارضه كثير من المفسدين والمخدوعين ، ولسكنهم تجرؤوا عليه بعد أن أصبح هذا الحلم حقيقة واقعة مسجلة في المادة الأولى من مواد الدستور . أليس ذلك مما يدعوا حقا إلى العجب ؟ وأعجب منه أن البرنامج الذي ابتدعته الإذاعة حديثا وسمته « البرنامج الثاني » وزعمت أنه برنامج الخاصة من هواة الفكر الرفيع يخاطب مستمعيه بهذه السوقية التي تسمى بالعامية . فإذا كانت العربية الفصحى لا تصلح لخطاب عامة الناس في البرامج العامة ولا تصلح لخطاب خاصتهم في البرامج الخاصة فأين ومتى تتعامل الشعوب العربية الصحيحة التي هي عنوان قوميتها ، ووعاء أمجادها ، والتي هي وسيلتها الوحيدة للتفاهم ؟

يبدو أن القائمين على هذا البرنامج مشغولون عن ترويح اللغة العربية بموسيقى (السيمفونيات) القديمة التي يكرهون المصريين على سماعها ، ويهتمون الزاهدين فيها بالتخلف وبلادة الذوق ، لا هون عن تدعيم عروبتنا وثقافتنا القومية بأدياء الغرب وفنانيه وبما يثيرون من غبار حول مقومات فنوننا وآدابنا . فهل نسي هؤلاء أنهم يتبعون وزارة الإرشاد القومي في بلد عربي ما ؟

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي بجامعة الإسكندرية

اليهود في بلادنا العربية

بدأ اليهود غزوهم لفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ ، وفي ذلك الوقت كانت فلسطين متأخرة جدا من الناحية الاقتصادية لأن الصناعة كانت بدائية فيها ، وكانت الطرق المتبعة فيها قديمة غير مجدية والعرب كانوا غير ملمين بالمعرفة والطرق الفنية اللازمة للصناعات الحديثة ، كما أن نظام الحكم في فلسطين لم يكن يعين على خلق صناعات جديدة أو على تطور اقتصادى بوجه عام ، أما الزراعة فلم يكن حالها أفضل من حال الصناعة ، فقد كانت تقوم على الطرق الساذجة القديمة ونظام الأعشار والضرائب ونظام توزيع الأراضي مما جعل معظمها في أيدي قلة من الإقطاعيين .

وقد سبب نظام توزيع الأراضي فيما بعد كارثة سياسية بالإضافة إلى الأضرار الاقتصادية . وقد كان تفوق اليهود ساحقا في أول الأمر بعد أن نص الانتداب البريطاني على وضع البلاد في أحوال اقتصادية وسياسية تساعد على إنشاء الوطن القومى اليهودى ، واستغل اليهود هذا النص استغلالا تاما فأصبح جهاز الحكم أداة طيعة تسهل لهم تحقيق مشاريعهم الاقتصادية المختلفة ، وبذلك استطاعوا أن يستثمروا الأموال الكثيرة التى جمعوها من أثرياء اليهود في مختلف أنحاء العالم ، وأنشأوا أيضا مؤسسات مالية تغذى مشاريعهم الاقتصادية على أساس تجارى ، وأخرى تغذيها على سبيل التبرع والهبة كلما نشأت الصعوبات والعقبات والمهاجرون اليهود لم تكن تعوزهم المعرفة الفنية ، فقد جاء معظمهم من بلاد صناعية متقدمة ووضعوا خبرتهم ومعرفةهم للقيام بالمشاريع المختلفة في هذا البلد العربى الذى سرقوه على أعين البريطانيين وسمعهم . وهكذا استطاع اليهود بكل هذه الوسائل إنشاء نظام اقتصادى لهم في فلسطين كلفهم مالا يقل عن المائة وعشرين مليوناً من الجنيهات وأنشأوا أيضا عددا كبيرا من الصناعات المختلفة كلفهم حوالى خمسة وعشرين مليوناً ، وأنفقوا حوالى عشرة ملايين من الجنيهات على زراعة الحمضيات ، أما الباقي فقد وزع على أنواع الزراعة الأخرى وتكاليف البناء والعمران والمشاريع الإنشائية والتجارية المختلفة .

والآن نرجع إلى أهدافهم وإلى كل ما كانوا يرمون إليه في بلاد العرب ، فأهدافهم واضحة جلية وضوح الشمس في كبد السماء ، فالهدف الأول دعم الحياة اليهودية في فلسطين وجعل الطائفة اليهودية فيها قادرة على النمو واستقبال اليهود المهاجرين من جميع أنحاء

العالم . والهدف الثانى إنشاء صناعات قوية تطحن على الصناعات الأهلية فى البلاد العربية وبذلك يستطيعون إضعاف العرب اقتصاديا وجعلهم فريسة سهلة للعدوان السياسى من جهة ، وفتح أسواق البلاد العربية للصناعة اليهودية من جهة أخرى . والهدف الثالث إجلاء المزارعين العرب عن أراضيهم وتحويل طبقة الفلاحين العرب فى فلسطين إلى طبقة عمالية حتى يسهل طردهم من بلادهم بوسائل الضغط الاقتصادية إذا تم تأسيس الدولة اليهودية الصهيونية المشئومة .

فنظرة واحدة إلى الأهداف السابقة تظهر لنا بوضوح أنها أهداف سياسية بحتة ، وقد جعل اليهود الاقتصاد أداة لتحقيقها . والدليل على ذلك أن اليهود لم يتقيدوا فى سبيل تحقيقها بما تنقيد به المشاريع الاقتصادية عادة من جهة الربح والخسارة ، بل طرحوا الخسائر جانباً تاركين للمستقبل أمر إعادة النظر فى تلك المشاريع لعرضها على أسس اقتصادية سليمة ، فكل ما تصبوا إليه نياتهم السيئة وآربهم الحظيرة هو إنشاء وطن قومى يهودى فى بلد عربى وطرد أهله العرب منه مستعينين بالأموال التى كانوا يجمعونها من يهود العالم كما استعانوا أيضاً بالحماية الجمركية العالمية التى استطاعوا أن يحصلوا عليها من حكومة الانتداب البريطانى فى فلسطين ، وأراك تسأل فتقول : هل نجحوا فى تحقيق هذه الأهداف ؟ والجواب على ذلك أن الهدف الأول وهو تثبيت أقدام اليهود فى فلسطين قد نجحوا فيه إلى حد غير قليل ، إلا أن هذا النجاح لم يكن سهلاً ، فقد مرت بهم فترات من الضيق الاقتصادى أظهرت فساد الأساس الذى بنى عليه نظامهم الاقتصادى أما أشد فترات الضيق التى مرت بهم فهى المدة بين سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٣٩ وهى فترة ثورة العرب فى فلسطين فلما قل دخول المهاجرين اليهود فلسطين بسبب الثورة العربية أدى ذلك إلى تناقص حركة البناء ، وقد كان أكثر من ٥٠ ٪ من اليهود معتمداً على حركة البناء ، والسبب الثانى هو هبوط أسعار المواخ فى الأسواق العالمية علماً بأن هذه التجارة كانت أحد الأركان المهمة فى الاقتصاد اليهودى . لكن هذه الفترة انتهت بإعلان الحرب العالمية الثانية التى فصلت فلسطين وكثيراً من البلاد العربية المجاورة عن مصدر الإنتاج الصناعى فى العالم . فانتهم اليهود هذه الفرصة وأنشأوا صناعات جديدة وأحيوا الصناعات الدارسة فكسبوا فى هذه الحرب أموالاً طائلة باذلين الجهود فى تصريف بضائعهم فى البلاد العربية متوسلين بوسائل كثيرة . فمثلاً إغراق الأسواق العربية ببضائع صهيونية رخيصة حتى باعوها بأرخص من أثمانها فى فلسطين نفسها . والدعاية والإعلان

كانتا من تلك الوسائل . وساعدهم أيضا أن كبار التجار في البلاد العربية كانوا من اليهود ، إلا أن العرب وقفوا صفا واحدا لمقاطعة هذه البضائع . وهدفهم الثاني وهو استيلائهم على أرض فلسطين العربية الزراعية وإجلاء أصحابها عنها وخلق طبقة الفلاحين الفلسطينيين الذين لا يملكون أرضا قد نجحوا فيه أيضا .

فاليهود في وقتنا الراهن يملكون ثلث الأراضي الزراعية في فلسطين وهو تقريبا الثلث الجيد المتوفرة فيه المياه إما بواسطة الآبار الارتوازية أو الأنهار أو الجداول أو مياه المطر . وتقع أكثر أراضي اليهود في فلسطين في السهل الساحلي ومرج ابن عامر وسهل الأردن والحوالة ، وهذه هي سهول فلسطين الرئيسية . فالحقيقة المجردة إذ أن اليهود يملكون نصف الأراضي الزراعية في فلسطين وقد أدت مشكلة الأراضي إلى الاضطراب والثورات المتلاحقة وقام بتحقيقها عدة لجان بريطانية وأهم تقريرين كتبوا عن فلسطين كتبهما خيران ، فالأول كتبه الخبير البريطاني چوب هوب سنة ١٩٣٠ وفيه يقول :
إن الأراضي التي يملكها الفلاحون الفلسطينيون العرب قليلة عن حاجتهم الزراعية بكثير ، وإن أكثر من ثلاثين في المائة من العرب لا يملكون أرضا على الإطلاق ، وهؤلاء الذين لا يملكون يعتمدون على الأعمال الزراعية الموسمية أو على مساعدة الأقارب أو على النزوح إلى المدن المزدهجة بالسكان فلا يحدون الأعمال التي يحنون عنها . أما الذين يملكون أرضا فليس لديهم ما يكفيهم ، والدليل على ذلك أنهم غارقون في الديون ، ولذلك يضطرون إلى بيع أراضيهم .

أما التقرير الثاني الذي كتبه الخبير جونسون كروسي الذي يقول فيه :

إن معدل دين العربي يزيد عن دخل سنة كاملة ، ومعدل ما يملك من الأرض نصف ما يحتاج إليه ، وكثيرا ما وجهنا اللوم إلى عرب فلسطين المساكين واعتبرناهم مسئولين عن بيع أراضيهم ، ولكن الحقيقة السافرة التي لا تدع قولاً لقائل ولا صولاً لصائل أن الفلسطينيين لم يبيعوا من أراضيهم إلا جزءا قليلا ، والدليل على ذلك أن اليهود كانوا يملكون جزءا بسيطا من أراضي فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى وقبل أن تظهر الصهيونية بشكلها القبيح ، أما بعد الحرب فاشتروا أكثر مما كانوا يملكون ومن ؟ ! من إقطاعيين لم يسكنوا فلسطين يوما من الأيام ، وكان أكثرهم من العائلات التي لم تعرف الوطنية ولم يكن يعنيتها في الحياة سوى الملذات والتشبه بالأجانب . علما بأن ملكيات الأراضي الكبيرة كانت إحدى العوامل الفعالة التي مكنت اليهود من شراء قدر كبير من أراضي الفلاحين العرب باغراء عدد قليل جدا من الإقطاعيين .

فكذاب أشر ذلك الذى يحاول إفهامك أن الفلاح الفلسطينى باع أرضه ، ولعلك تذكر أن حكومة فلسطين كانت مرغمة على إنشاء الوطن القومى اليهودى تحت لواء الانتداب البريطانى فلم تعمل الحكومة القائمة وقتئذ أى شىء لحماية الفلاح العربى من الآفات الثلاثة التى كانت مسلطة عليه وهى :

١ - السمسار : وعمله ينحصر فى إغراء الإقطاعى ببيع أرضه إليه ثم ببيعها السمسار بدوره إلى اليهود .

٢ - الدائن : وهو الذى كان يقوم بدور المحسن على القلة القليلة من صغار الفلاحين فيدينهم لياخذ أرضهم ويسكنه لم ينجح .

٣ - الجهل : وهذا يكفى لتدمير أ كبر قوة فى العالم .
وأخيرا فى سنة ١٩٤٠ تقريبا بعد أن استفحل الداء وشخ الدواء أصدرت الحكومة البريطانية قانونا لحماية الفلاح العربى وأرضه وهو :

- ١ - منطقة يمنع فيها بيع الأراضى إلا لعربى فلسطينى .
 - ٢ - منطقة يسمح فيها لليهود بشراء الأراضى الفلسطينية .
 - ٣ - منطقة يسمح فيها للأجانب بالشراء بعد موافقة المندوب البريطانى .
- أما اليهود فقد وجدوا طرقا عديدة للاحتيال على هذا القانون فاستمر تسرب الأراضى إليهم .

والسؤال الذى كثيرا ما دار فى خلد كل رجل ينظر إلى المستقبل بامعان وحذر هو : هل وليدة الاستعمار وقفت على قدميها واستطاعت أن تخطو خطوات إلى الإمام ؟ والجواب على ذلك : أنها ما زالت فى حضائنه ولكن أيتها الدهر كله ؟

كلا ، ستركها فى أول فترة من فترات الضيق الاقتصادى أو اليأس ، والدول الاستعمارية اليوم تمر بكثير من الفترات السيئة أو على الأقل تقف على أبوابها ، وعندئذ تصبح المتطفلة كسمك صغير جف الماء حوله وتركه للشمس والهواء

عباسى طه

المحامى

لغويات

ركب في السفينة ، ركب الجواد

هذا من محاسن العربية وفروقتها الدقيقة . فيقال : ركب الجواد لأن الراكب يعلمو الجواد ، ويقال في المجاز : ركبه الدين ، كأن الدين يعلم صاحبه ويكون ثقلا عليه ، ويقال : ركب في السفينة لأن الراكب يحل فيها ، كما يحل في المسكن والدار ، في حالة أمن وقرار .

وقد جاء هذا في الكتاب العزيز . ففي الآية ٦٥ من سورة العنكبوت : (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) ، وفي الآية ٨ من سورة النحل : (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) .

وعلى ذلك نقول : ركب في المركب السكربي (الترموى) أو مركب سكة الحديد (القطار) ، وجاء قوله تعالى في الآية ١٢ من سورة الزخرف : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) وتقدير الكلام : تركبونه ، فعلى الركوب للفلك بنفسه من غير صلة ، مع ركوب الأنعام ، وهذا لتغليب التعدى ، وفي هذا يقول الزخشرى : « فان قلت : يقال : ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك ، وقد ذكر الجنسين ، فكيف قال : تركبونه ؟ قلت : غاب المتعدى بغير واسطة - لقوته - على المتعدى بواسطة ، فقبل : تركبونه » .

فأما قوله تعالى في الآية ٧٩ من سورة غافر : (الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) فان المراد : لتركبوا بعضها ، والمراد : الإبل ، فانها التى تتركب في العادة من الأنعام ، وهى الإبل والبقر والغنم ، وهذا في معنى التعدية بغير واسطة ، والأخفش يجعل (من) في مثل هذا مزيدة في الإعراب والمجرور مفعولا به ، ومعنى التبعية مراد على كل حال .

شقط الكرة

يقول العامة : شقط الكرة أى تلففها ، وشقط الثمرة ، أخذها بيديه ، والذي فى دواوين اللغة من هذه المادّة : الشقيط ، وهو الجرار من الخرف يجعل فيها الماء ، وقال الفراء ؟ الشقيط : الفخار عامة ، وهذا لا يناسب ما تعنيه العامة .

وقد بدا لى أن أصل ذلك اللقط ، وقد ورد عن العرب : التقطت النوى واشتقطته واشتقطته ، فى معنى واحد . فاشتقاط النوى التقاطه . وإذا كان هذا لم يقيد فى المعاجم فقد جاء به ابن جنى ، وحسبك به حجة فى اللغة . فهو يقول فى الخصائص ٢ / ٣٤٩ : « فأما ما حكاه خلف - فيما أخبرنا به أبو على - من قول بعضهم : التقطت النوى واشتقطته واشتقطته فقد يجوز أن تكون الضاد بدلا من الشين فى اشتقطته . نعم ، ويجوز أن تكون بدلا من اللام فى التقطته ، فيترك إبدال التاء طاء مع الضاد ليكون ذلك إيذانا بأنها بدل من اللام أو الشين ، فتصح التاء مع الضاد ، كما صحت مع ما الضاد بدل منه » ، ويرى القارئ أن ابن جنى عنى ببيان الإبدال فى اشتقط ، ولم يعرض لأمر اشتقط ، وعندى أن الشين مبدلة من لام التقط ، فاشتقط فى الأصل التقط ، وقد جراً العامة على صوغ شقط وجود اشتقط ، والخطب فى هذا سهل يسير .

السلك

السلك عند الناس : حبل من الحديد ، وفى اللغة : السلك : الخيط الذى يخط به الثياب ، وكأن الأصل فى إطلاق الناس السلك على الرقيق من الحديد هو المشابهة لخيط الثياب .

ومما جاء فيه السلك بمعنى الخيط قول الراجز من رجز ورد فى معجم البلدان فى ترجمة (بعلبك) :

إذ لبست ثوبا دقيق السلك وعقد در ونظام سك

(والسك : عقد من الطيب) ، وترى فى هذا ضربا من تصرف العامة فى مفردات اللغة ، فقد هجروا المعنى الأصلى للكلمة واستعملوه فى معنى جديد له علاقة بالقديم المطروح .

على محمود عشرون فدانا

يجرى هذا في أسلوب الناس . وكنت أرى أن الوجه في العبارة أن يقال : له عشرون فدانا أو عنده عشرون فدانا وما جرى هذا المجرى . ولكنني وجدت في كلام العرب ما يوافق استعمال الناس . ففي ديوان الهذليين ١ / ١٢٦ : « يقال : على آل فلان كور عظيم أى قطيع من الإبل والبقر والظباء ، وعليهم أكوار من الإبل » . والإبل والبقر والظباء مال العرب في البادية ، ومال غيرهم الأرض المزدرة .

قنط ، قناطة

ويقول العامة لمن يعاف من الطعام ما لا يعافه سائر الناس : قنط ، وعنده قناطة . ويتوسعون في هذا فيقولون لمن يتقذر ويتقزز : قنط . وقد يقال للمتكبر : عنده قناطة . ومن العسير أخذها من القنوط الذى هو اليأس .

ويبدو لى أن أصل القنط : القنيت ، وهو الذى يصيب من الطعام قليلا ، وليس بالريغب الأكل . ويقال : قتين أيضا في هذا المعنى . فخزف العائمة القنيت إلى القنط بالحذف وإبدال التاء طاء .

محمد على النجار

التعليم الميكانيكى

قال الدكتور (جون بادو) المدير السابق للجامعة الأمريكية بالقاهرة في تقريره الذى نشره في مايو سنة ١٩٥١ :

« من المعلوم أنه بتقدم العلوم والتكنولوجيا في عالمنا الحديث أصبحت العناية بالتربية الميكانيكية المحضة تزداد يوما بعد يوم ، حتى أخذ نجم الآداب والفنون الثقافية الحرة في الأفول . فضلا عن هذا قد بلغ التخصص في كل ميدان من ميادين الدراسة الجامعية أقصى حد ، حتى ضاق أفق الطالب بضيق الدائرة التي تخصص فيها ، ونتج عن ذلك أننا أصبحنا نخرج علماء ومهندسين وكيميائيين ومحققين وأطباء ، على درجة كبيرة من التبحر في مهنتهم ، ولكن على درجة ضئيلة فيما يتعلق بمعنى الحياة الكاملة والقيم الروحية السامية التي بها يستطيعون مزاولة هذه المهنة على أحسن وجه » .

القمر الصناعي

كرم الله الإنسان بالعقل ، وأمره بالنظر والتفكير والفهم ليستطيع تسخير ما في السموات وما في الأرض تحقيقا لحكمة خالقها وإظهارا لأسرار مبدئها ومبدعها لتظهر صلاحية البشر للخلافة وال عمران ، وينالوا حظهم من منافع الجسد والنبات والحيوان ، وكل ذلك بتقدير الحكيم العلام .

قال تعالى في محكم القرآن : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » ، وقال تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

كلما ظهر في المخترعات جديد تكبر وتجبر عبيد ، وخاف وذعر وروع عبيد ، لأن السرائر خبيثة ، والنيات السيئة عن الخير بعيدة ، ومن الشر والغدر والخيانة والانتقام قريبة ، وقد كان أولى لها ثم أولى أن تجعل الخير رائدها ، ونفع البشرية مقصدها ، فيرتفع عن الإنسان البلاء ويتحقق له الرخاء ، ويخرج من الأرض وينزل من السماء من الخير ما هو الرجاء ، ولا يمكن وبالاأسف غلبت على الإنسان الضراوة ولحقته الشقاوة فأخذ من الصفات الحيوانية أخسها من لؤم وغدر وخيانة ، فلا يبالي بعد ذلك بما عليه من واجب للبشرية من الصيانة وما يلزمه من تبعات الأمانة . وما درى المخترعون للمهلكات والمبيدات والمفنيات أنها أسلحة ذات حدين تقتلهم وتقتل أعداءهم على سواء إن لم يجعلوا مخترعاتهم وسائل لتحصيل الخير ودفع الشر .

أيها المعسكران الشرقي السوفييتي ، والغربي الأمريكي لا يأخذكما الغرور فيصيب زعيم أحداكما الجنون . فتقع الحرب الثالثة المفنية فتنزّل بالبشرية فاقرة ، ليس لها من دون الله كاشفة . لا تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم . ويصبح الناس في جحيم وأى جحيم ! فياخذنا الله بعذاب عميم - وصدق أحكم الحاكمين إذ يقول : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض » .

أيها المعسكران ما لكم في السلطان والجاه والجهروت والاستعمار تختصمون ، وكان أجدر بكم أن تتعاونوا على بر بأممكم ، وخير لأوطانكم ، ونفع لأقوامكم ، فتصبحوا

مغاليق للشر ، مفاتيح للخير فيعيش الجميع فى اطمئنان يحنى كل مجتهد ثمرات جده وعمله وتعبه ونصبه ، فيرتفع مستوى المعيشة العالمية ، وننعم للبشرية ويرتفع عن كاهلها عبء الحروب الطاحنة التى تبتلع الأطفال ، وتشرذم الغلمان وتكثر من الأراامل بفقد الأزواج وهلاك الأكباد وفناء العباد .

أيها المسكتشفون ! كتاب الكون عامر الصفحات مليء العظات . فاقروا منه بتدبر ما شئتم من الحكيم والأسرار فلن تستطيعوا أن تصلوا إلى العلم إلا بمقدار ، وصدق الكبير المتعال : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » فحال عليكم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض إلا بما منحكم الله من إدراك وما يفيضه عليكم من فهم واستنباط حتى ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا ، ولصاحبه معصدا ومظهورا ونصيرا ، أماكم الأفلاك التى عرفتموها من : القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري الى آخر ما تعلمون ، وسواء عليكم أوصلتم إلى بعضها أو إلى جميعها ، فلن تكونوا لله فى الإيجاد شركاء ولا أندادا ، ولن تماثلوه فى أى صفة من صفات الربوبية ، ولا فى أى منزلة من منازل الإيجادية والخلقية ، قال الله تعالى : « ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » ولقد أخذ فرعون قبلكم الغرور فأمر بأعداد المعارج إلى السماء ليطلع على مبدع الكون وإله موسى ومرسله ، فكانت عاقبته أن التقمه اليم ، وما دفع عنه القضاء من كان حوله من الجند والحراس والأولياء قال تعالى : « وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا ، وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب » . وقال تعالى : « هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب إلى فرعون إنه طغى ، فقل : هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى ؟ فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال : أنا ربكم الأعلى ، فأخذ الله نكال الآخرة والأولى إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » .

أيها المخترعون : عجزكم عن درجة الألوهية محقق ، لأنكم عن إدراك سر حياة الإنسان عاجزون ، وعن الوصول إلى تحديد انتهاء الأجل قاصرون ، وعن معرفة النطفة المخلقة وغير المخلقة ، ومعرفة الذكورة والأنوثة فيها غائبون . فاذا غمركم العجز واستولى عليكم الضعف وأحاط بكم الجهل عما فى الأرض من أسرار وعلم ، فما بالكم بما فى السماء من مكنونات ، وما أودع الله فيها من مخلوقات ، ومبدع الكون يقول : وقوله الحق : « خلقي السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

أيها المكتشفون ، محال عليكم أن تمنعوا الزلازل المروعة وتصدوا الصواعق المفزعة وتزيلوا من السماء البروق اللامعة ، فما أنتم إلا في أوليات العلم الكونى من الباحثين ، وما أنتم لنهايته وغايته من الواصلين . قال أحكم الحاكمين : « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا » . فلا تسمخوا بأنوفكم ولا تصمعروا لنا خدودكم فلن تخرقوا الأرض غرورا ، ولن تبلغوا الجبال طولا ، ولن تعلموا إلا ظاهرا من الحياة ، وباطنها يعلمها معيها ومبيدتها « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » . ونحن رجال الدين إلى عقائدنا مطمئنون ، وبها مدعنون ، فلا تخيفنا مخترعاتكم ولا ترهبنا مكتشفاتكم بل تزيدنا تمسكا بما نحن عليه من يقين ومبادئ دينية وقواعد روحية مادمننا - ولا شك - نقطع بأنا وإياكم إلى فناء ، وأن حياتنا هباء ، وأن أحدا منكم لن يصل إلى الخلود ، ولن يخرج بما يملك عن سلطان الواحد المعبود ، فرحى مرحى بما توجدون ، فما أنتم أشد خلقا ممن خلق السماء ، ورفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها .

حقا لقد شكرتم الله على نعمة العقل فاستعملتموه فيما خلق لأجله ، وما خلق إلا لاستخراج كنوز السموات والأرض ، وما خلق الله من جماد وحيوان . وقد ذم الله أقواما عطلوا عقولهم وأهملوا قلوبهم فجعلهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

ونحن المسلمين أمام هذا الواقع في عالم المخترعات والمكتشفات ، تأخذنا الحسرة وتذينا اللوعة على ما غمرنا من نوم وسبات أجيالا طوالا ، فقطعنا حبل الجهاد العلمى المتواصل في هذا الشأن وفي تلك النواحي العلمية ، فما ازدهار العلوم الكونية ببغداد أيام العباسيين عنا ببعيد ، وما أمرها بخاف على الصدر والصديق ، ولكن لو تفتح أبواب الشيطان ، وتدخل اليأس والقنوط على بنى الإنسان ، فما علينا بعد الآن إلا أن نزج بأنفسنا في هذا الميدان ، ميدان المخترعات والمكتشفات فنأخذ منه بأوفر نصيب . فنحن أحوج ما نكون إلى رفع مستوانا المعيشى ، وما سبيله الآن إلا قطف ثمار المخترعات ، واستخدامها فيما يحقق للأمة نصيبا وافرا من المسكن والكساء والغذاء ، ويرفع عن قلوبها وأعينا غشاوة الجهل ، ويزيل عن أجسامها العلل والأدواء والأمراض ، فالعاقل من يأخذ الفرصة عند اهتبالها ويتصيدا في أوانها ، فلا تفلت من يده ثم يعرض عليها بنان الندم ، ويعيب زمانه والعييب فيه . فالعمل سبيل تحقيق الأمل . « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

عبد الله المرانغى

كلمات اسلامية خالدة

إن سلفنا الصالح وفي مقدمتهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قلوبهم مشرقة ، ونفوسهم صافية ، وسرائرهم طاهرة ، وبصائرهم نافذة ، لمعاصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أولقرب زمنهم من زمنه عليه الصلاة والسلام ، زمن الهدى والنور والحكمة . ولذلك كانت لهم كلمات إسلامية خالدة يتخذها الناس من بعدهم نبراسا لهم تضيء لهم الطريق وتهدبهم إلى صراط الله الذى له ما فى السموات والأرض . وقد اخترنا كلمة قصيرة لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه ، وأخرى لسيدنا عمر رضى الله عنه ، وثالثة لسيدنا على كرم الله وجهه . فاما التى لأبى بكر رضى الله عنه فقوله فى بعض خطبه : « أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذى شرع لكم وهذا كم به وإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم ، فانه من يطع الله وأولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أفلح وأدى الذى عليه من الحق » .

وهى حكمة من حكمه رضى الله عنه وإرشاد حكيم من قلب طاهر سليم ، فانها كلمة جامعة لأنواع الخير ومنظمة للسلوك الشخصى ، والسلوك فى المجتمع .

فأما السلوك الشخصى فيظهر أثره فى تقوى الله سبحانه والاعتصام بأمر الله الذى شرعه وبينه للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فان تقوى الله خشيته فى السر والعلن ، وطاعته فيما نهى عنه أو أمر ، حتى يصون نفسه مما يؤذيها ويرديها ويحفظها من كل شريك بها والاعتصام بأمر الله التمسك به والحرص على تنفيذه والاهتداء بهديه « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

وأما السلوك فى المجتمع فيظهر أثره فى طاعة ولى الأمر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قال رضى الله عنه ، فان ولى الأمر إنما يعمل لصالح الأمة ورعاية حقوقها ويسهر على إعزازها جماعات وأفراد ، وتيسير الخير لها ، واتحادها وجمع كلمتها ، والدود عن حرماتها ، والدفاع عن استقلالها وحياتها حياة العزة والكرامة . فاذا خولف أمره كثر النزاع بين أفراد الأمة وتفرقوا شيعا وأحزابا ، وطمع فيهم عدوهم وتربص بهم الدوائر - إن طاعة ولى الأمر الصالح المخلص فى عمله الناصح لأئمة العامل لرقبها المدافع عنها واجبة لا يجوز إهمالها ولا التفريط فيها ، والخروج عليه حرام مادام يعمل للصالح العام .

وأما التي لعمر رضى الله عنه فقوله لعبد الله بن قيس الأشعري أحد قضاة الأمة وهم عمرو على وزيد بن ثابت وأبو موسى : « آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا يياس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أدخل حراما أو حرم حلالا » .

لله درك يا ابن الخطاب عاصرت عهد النبوة وشاهدتها وامتلاء قلبك هدى ونورا ، فنطقت بالحكمة وفصل الخطاب في كلمات قليلات خلدها الزمان وتناقلتها الأجيال ، لما فيها من الهدى والرشاد . فقد بين بها أمير المؤمنين ما يجب على القاضى أن يتمسك به في قضاؤه ويتبعه في الفصل في الخصومات ، حتى يكون قضاؤه حتما مقبولا . ألا تراه يقول لقاضيه : « آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك » أى إذا جلست للقضاء بين الناس وفصل خصوماتهم فسق بينهم في ثلاثة أمور ، في وجهك فلا تقبل على أحدهما حتى لا تكاد تفارقه عينك ولا يتحول عنه وجهك ، وتعرض عن الآخر لإعراضا تاما حتى يسيء الظن بك ، وسق بينهم في عدلك ، فلا تحكم في بعض القضايا بالعدل والإنصاف وفي بعضها الآخر بالهوى والاعتساف ، وسق بينهم في مجلسك ، فإذا قربت أحد المتخاصمين فقرب الآخر وإذا أبعدته فأبعد الآخر - إنك إن فعلت ذلك أمنت أن يطلب منك شريف عظيم أن تخيف على الناس من أجله ونظمتهم تحقيقا لرغبته ، وأمنت مع ذلك أن يعتقد الضعيف فيك أنك تارك حقه يأخذه القوى منه ولا ترده عليه . روى أن المأمون كان يجلس للظالم في يوم جعله لذلك ، فبينما هو ذاهب إلى مكان حكمه لقيته امرأة في ثياب رثة فرفعت إليه شكوى ضد ولده العباس ، فلما وصل إلى مكان حكمه قال لقاضيه يحيى بن أكثم : أجلسها معه وانظر بينهما . فأجلسهما ونظر بينهما بحضرة المأمون ، وجعل كلامها يعلو على كلام العباس ، فزجرها بعض المحجب . فقال له المأمون : ويحك خلها ، فان الحق أنطقها والباطل أخرسه ، وأمر برد ضياعها إليها . هذا هو العدل الذي أراده عمر ، وهكذا يكون العدل بين الرعية ، وصديق سيدنا عمرو بن العاص إذ يقول : « سلطان عادل خير من خصب الزمان » .

ثم انظر إلى ابن الخطاب بعد ذلك يقول : « البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر » فانها رشفة من معين النبوة الصافي فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء قوم وأموالهم ، ولكن البينة على من ادعى واليمين

على من أنكر» ، وهذا أصل من أصول القضاء استنه الرسول صلوات الله وسلامه عليه لقضاة الدنيا جميعا ، فلا يكاد يحيد عنه أحد في قضائه ، والمدعى من زعم خلاف الأصل كأن يزعم أن فلانا مدين له ، فهذا خلاف الأصل لأن الأصل براءة الذمة من الدين وغيره فان المرء ولد هكذا بريئة ذمته من كل شيء فمن جاء بخلاف الأصل فهو المدعى ، وعليه أن يأتى ببينة أى شاهدين مسلمين عدلين يشهدان له بما ادعى ، فان عجز عن البينة طلب اليمين من المدعى عليه على براءة ذمته إن كان منكرا وعلى ذلك يحكم القاضي . روى أن هشام بن عبد الملك أرسل إلى قاضيه ليفصل في أمور بينه وبين إبراهيم بن محمد بن طلحة ، فلما حضر القاضي خرج إليه الوزير وقال له : إن أمير المؤمنين قدمنى للكلام عنه مع إبراهيم ، فقال القاضي : ائتنى ببينة على ذلك فقال أترانى أقول على أمير المؤمنين ما لم يقل ؟ قال : لا ، ولستكن لا يثبت الحق إلا بذلك فخرج أمير المؤمنين وجلس مع الخصم في مجلس واحد وحضرت البينة فوجب الحكم على أمير المؤمنين . فقضى القاضي عليه . هكذا يجب أن يكون القضاء ، لا يخشون في الحق لومة لائم كما قال الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » أما الصلح فيجىء أخيرا بعد الخصومة ، فاذا تخاصم بعض الناس مع بعض واشتد النزاع بينهم حتى أفضى إلى ما أفضى إليه من شيء ثم أرادوا الصلح بعد ذلك كان لهم ما أرادوا ، فالصلح خير كما قال الله سبحانه وهو جائز ، كما قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى وغيره « الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما » .

وأما التى لعلى رضى الله عنه فقوله في بعض خطبه عليه السلام : « رحم الله عبدا سمع فوعى ، ودعى إلى الرشاد فدنا ، وأخذ بحجزه هاد فنجا (أى استعان بهاد فخلصت له النجاة) ، وراقب ربه وخاف ذنبه ، وقدم خالصا وعمل صالحا ، واكتسب مذكورا واجتنب محذورا ، وكابر هواه وكذب مناه ، وحذر أجلا ودأب عملا ، وجعل الصبر رغبة حياته والتقى عدة وفاته ، يظهر دون ما يكتفى بأقل مما يعلم ، لزم الطريقة الغراء والمحجة البيضاء ، واغتم المهمل وبادر الأجل وتزود من العمل » . وهذا كلام لا يحتاج إلى تعليق فهو يشع نورا وهدى وينضح علما وحكمة . والله ولى التوفيق ما

محمد الطنيجي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

أم المؤمنين حفصة بنت عمر

كانت حفصة بنت الوزير الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أعز الله به الإسلام تحقيقاً لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت عائشة من قبلها بنت الوزير الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن دعا إلى الإسلام في بدئه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو معنى من المعاني الكريمة في صاحب الرسالة أن يآلف أصحابه وأحبابه بكل ما يحكم روابط الود ومنه الصهر . وكانت ولادة حفصة قبل الهجرة بنحو خمس عشرة سنة كما يدل له ما نقل ابن الأثير الجزري في أسد الغابة وغيره . من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها سنة ثلاث عند أكثر العلماء وأنها كانت في سن الثامنة عشرة تقريباً .

كانت تشبه عائشة رضي الله عنهما في جمالها وفي حسبها وفي قوة الرابطة وفي تقارب السن . وتشبه أم سلمة التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعدها في أن كلا منهما أرملة صحابي كريم وإن كانت حفصة فقدت زوجها الأول « حنيس بن حذافة السهمي » في شبابها وروائها وهي خالية من شواغل الولد وأحوج ما تكون إلى كفء كريم يعوض عليها ما فاتها من تبعل لم يطل مداه ولم يحقق غايته .

على أن الناظر إلى سنة الكون المجردة وطبيعة الوجود وحدها دون اعتبار آخر فإنه يرى أن حفصة إلى عهد أم سلمة أقرب من كن في البيوت النبوية الكريمة إلى تحقيق معاني الزوجية ؛ فهي أجمل وأقوى من سودة بنت زمعة التي تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد خديجة بنت خويلد عزاء لها عن زوجها (السكران) المهاجر المجاهد لتكون كلمة الله هي العليا وعزاء له عما فقد من خديجة التي كانت خير مشجع له في مهمته ، ولم تكن سودة - كما قالوا - ذات جمال ولا في شباب يحقق مطالب البشرية للأزواج ، وكانت حفصة - في حكم الطبيعة ، كما قلت - أنضج من عائشة أنوثة وأصلب عوداً وأخبر بالرجال وحقوقهم وأقوى على تحمل واجهم ، فهي فتاة ناضجة أرملة تكبر عائشة بنحو سبع سنوات أو أكثر قليلاً أو أقل قليلاً على اختلاف الرواية والبحث .

ولما وردت بعدها زينب بنت خزيمة (أم المساكين) إلى بيوت النبي الكريم استأثرت بها رحمة الله سبحانه بعد شهرين أو ثلاثة ، فلم تكن موضع بحث ولا موازنة .

ثم وفدت بعدها السيدة أم سلمة التي سبق الحديث عنها على صفحات هذه المجلة الغراء فكانت مسنة ذات عيال ، ولم تسكن في جمال عائشة ولا حفصة ولا في تفرغ واحدة منهما على جلال قدرها واضطلاعها بكثير من الأعباء .

ولست بصدد الإسهاب في الموازنة بين الأمهات فهو حديث جر إليه عقد المشابهة بين حافظة المصحف الشريف [١] وبين عائشة وأم سلمة .

تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة إذا جبراً لكسرهما ، وتخفيفاً لمصيبتها ، وتودداً إلى والدها ، وتحقيقاً لرغبة ملحة فيه أن يلتمس لها بعلاً كريماً ، يؤنس وحشتها ، ويسكن نفرتها . ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أوسع الناس ساحة وأقدرهم على تحقيق واجب الزوج ولو كثرت الأزواج . وعلى تحمل أعباء المرأة بما آتاه الله من خلق وطاقة عظيمة .

ودلت الأخبار على أن حفصة كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم زوجاً لصحابي جليل هو خنيس بن حذافة السهمي الذي شهد بدرًا لم يشهدا غيره من بني سهم ، وشهد أحداً بخرج فيها بجرح انتهى بموته ، وكان خنيس من السابقين إلى الإسلام ومن أصحاب الهجرتين فلما توفي خنيس وانقضت عدة حفصة عز على أبيها أن يسلمها إلى ذلك الحزن والانقباض الذي كان يشعر به كلما دخل عليها . وما أشد انقياد المرأة إلى داعي الحزن وتليبيتها دعوته ما لم تلتمس المخرج من محاسنه الخائفة .

رأى عمر إذا أن يلتمس لها بعلاً كريماً ، فعرضها على أحب الناس إليه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر الصديق ، ولكن أبا بكر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها نخشى أن يفشى سره قبل أن يبيت في الأمر ، وسكت ولم يجر جواباً مما أفهم عمر أنه غير راغب في ذلك الزواج ، على أن مثل حفصة ممن لا يعدل عن زواجه ولا يرد عرضه ولا سيما من صديق حبيب فاستاء عمر في نفسه .

ثم ذهب إلى عثمان يعرضها عليه لعله يقبل ما رفض صاحبه ، فقال له لا حاجة لي بالزواج اليوم . فاستاء استياء أشد من الأول ، وضائق في وجهه الدنيا ، وعجب أن يقع ما لم يقدره من صاحبيه في أمر كان يرى أنه موضع رغبة ومنافسة وأنه متفضل بعرضه وجدير ألا يخرج فيه . ولعل ذلك صده على أن يلتمس لها كفوًا سواهما وهما موضع الثقة وأولى الناس بالمصارحة . فلم يكن إلا أن يرفع شكواه إلى السيد رسول الله . وهو لا يفكر في ما ادخر الله لها وله .

[١] هو وصف للسيدة حفصة لما سترى بعد .

ذهب إلى السيد الرسول صلوات الله عليه يشكو إليه ما لقي من صاحبيه وأنها خيبا أمله ، وكانت الشكوى الثانية من عثمان وودّه عليه ، وقد كان عثمان زوجا لرقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفيت فعزم على أن يزوجه بنته الثانية أم كلثوم كما فكر في أن يتزوج حفصة بنت عمر فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يزف إليه البشارة فيه وفي أخيه عثمان في هذه الكناية البديعة والأسلوب الحلو الأنيق الجميل « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة » ووقعت البشارة بردا وسلاما على قلب عمر ، وخرج بها يتהל وجهه يريد أن يبشر بها كل حبيب ليبارك فرحه ، ويضاعف بهجته ، فكان أول من لقي أبا بكر . ولما رآه كذلك فهم ما كان ، وكان في القوم ذكاء وبصيرة وفراصة صادقة وحس عجيب يذكى الإيمان الصادق والبصيرة الصافية - ثم مديده إلى عمر مهنئا واعتذر إليه يقول : « لا تجد على يا عمر ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر حفصة فلم أكن لأقشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها لتزوجتها » ثم مضى كل من أبى بكر وعمر إلى ابنته فأما عمر فإبشّر حفصة وبهبتها ، وأما أبو بكر فليخفف عن ابنته عائشة من وقع الخبر وليهيئها للحياة الجديدة .

ثم كان أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فاتخذت منزلها من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم كما تزوج عثمان رضى الله عنه أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم وتحقق الخبر بشطريه ، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وفي البيت الكريم كل من سودة وعائشة فأما سودة فرضيت الزواج وباركته . وكان موقفها معها كموقفها مع عائشة من قبلها : رضا وتسليم ، ومباركة وتكريم . فان سودة كانت سيدة مسنة لا أرب لها في زواج السيد الرسول صلوات الله عليه إلا أن تخدمه وبناته وتلتمس بركته وأن يبعثها الله سبحانه زوجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قالت ذلك حين طلبها للزواج ، فهي إذن لا تنافس عليه النساء وأما عائشة فسكنت على مضضها ، وصبرت على ألم ، فقد كانت تستعمل على غير شديدة وتحاول الاستئثار برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن يعينها أمر سودة تلك السيدة المسنة قليلة الحظ من الجمال ، فأما حفصة فقد كانت جديرة أن تستثير مكان الغيرة بجأها وفتائها وقوتها وعزتها فهي جديرة أن توجه ميول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى شخصها ، وأن يكون لها حظها الوفير من حبه وإقباله .

ربما كانت عائشة تزهو على سودة أو تفخر على خديجة فتغار منها وهي في ذمة التاريخ فتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم مفضلة نفسها عليها : إنها عجوز حمراء الشدين قد أبدلك

الله خيرا منها ، فماذا عسى أن تقول في هذه الوسمة القسيمة سلبية عمر بن الخطاب ؟ ومن عمر بن الخطاب ؟ كان لا بد إذن أن تجد في نفسها جانبا من الغيرة من حفصة ، وكان جائزا - ولعله كان واقعا أيضا - أن تبادلها حفصة تلك الغيرة كما هو حكم الطبيعة ، وإن كانت عائشة أسبق من حفصة إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم وإلى قلبه الطاهر الكريم .

ولعل تكاثر الزوجات من بعد وفيهن من هي موضع الغيرة والمنافسة من أمثال زينب بنت جحش ، وصفية بنت حيي ، جعل عائشة رضى الله عنها تنسى كثيرا من مظاهر الغيرة على حفصة ، بل إنه جعلها تتخذ من حفصة صديقة لها تعزبها في المناسبات ، وتتقوى بها في المشاحنات .

ولا غرو فإن بينهما وجوها من المناسبات تدعو إلى حسن التفاهم ووشك المودة والبر ، فكل منهما بنت صديق الآخر ، وكل منهما بنت حبيب النبي صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس مودة له ، وكلتاها قرشية ، وقد كانت حفصة هي التي وفدت على عائشة من قبل كل وافدة من بعدها ، لأنها هي التي تليها في الزواج ، وقد كانت تقاربها في سنها وفي جمالها فليس بدع أن تكون أقرب زوجات النبي صلى الله عليه وسلم إليها ، وسيتجلى لك ذلك فيما يمر بك من الحديث ، ولا سيما في موقف كل منها مع مارية القبطية مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقد قامت المودة فعلا والصفاء بين عائشة وحفصة ، يتجلى ذلك في مناسباته ويظهر في صور يتحدث عنها التاريخ .

ومن ذلك ما يروى عن عائشة في موقفها من زواج أم سلمة .

قالت عائشة : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة حزنت حزنا شديدا لما ذكر لنا من جمالها فتلطفت حتى رأيتها ، فرأيت والله أضعاف ما وصفت به ، فذكرت ذلك لحفصة فقالت : هي كما يقول ، ولاكنها كبيرة السن . فرأيتها بعد ذلك فكانت كما قالت حفصة ولاكني كنت غيرة .

وتحدثوا أن السيدة عائشة كانت تضيق ذرعا بميل النبي صلى الله عليه وسلم إلى زينب بنت جحش وإطالة المكث عندها فكانت تتأمر مع حفصة وسودة أيتها دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعد انصرافه من عند زينب فلتقل : إني أجد منك ريح مغاير

(والمغافير) ثمر حلوه كريحه الرائحة [١] وكان صلى الله عليه وسلم يكره الرائحة السكرية أن يشمها أو تشم منه . على أنه ورد أن سودة لم تنفذ هذه المضايقة بالدقة .

وكان عمر بن الخطاب يكره لحفصة أن تسير عائشة في غيرتها ، فهي بنت أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما كانت زلتها مغفورة عنده ، ممحوة من حسابه ، ولا سيما أنه كان يعلم أن حبا بالغاً متبادلاً بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة ، وكان يقول لابنته حفصة : « أين أنت من عائشة وأين أبوك من أبيها » وربما أُنذرها فتعامل في إنذاره حتى لا تتورط في المكروه أحياناً . روى أنه قال لها يوماً : لا يفرنك هذه التي أعجبها حسننها وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحبك ولولا أنا لطلقك .

ويبدو لنا أن عمر بن الخطاب كان مبالغاً في الحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يحبها ، وأن الذي دفعه إلى ذلك زيادة الحرص على ابنته والعمل على صحتها عن بعض ما كان يبدو منها من مظاهر مضايقة غير مقصودة أحياناً وربما استشف ذلك من بعض الأخبار النبوية السكرية .

ويظهر أن إعجابها بالسيدة عائشة وتقديرها لمركزها العظيم كان يرحح عندها أحياناً أن تلجأ إليها مسترشدة أو مستنصحة وكان يحبب إليها أن تزدلف إليها - وهي الصوامة القوام - ببعض الأمر كان الأولى بها أن تسكت به ، وفي قصة مارية التي نزل بها القرآن الكريم : في سورة التحريم - على ما يرويه بعض علماء الخبر ، وما يذهب إليه كثير من المفسرين - دليل صادق على مقدار ما تكنه لعائشة من إخلاص وما تحبها به من إيثار .

حديث مارية القبطية

ذكر كثير من علماء الآثار وروى جماعة من المفسرين وهو ما رواه النسائي والحاكم وصححه [٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطمؤها ، فلم تزل عائشة وحفصة به حتى حرمها على نفسه ، فأنزل الله هذه الآية : « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله

[١] وله مفردات كثيرة ذكرت في القاموس منها مغفر كبير ومغفر بضمتين ومغفور ومغفار ومغفير .

[٢] راجع تفسير الألوسي في هذا المقام (سورة التحريم) .

لك « وأخرج البزار والطبراني بسند حسن صحيح عن ابن عباس قال : « نزلت (لم تحرم) في سريته » ، وكان معروفا أن هذه السرية هي مارية القبطية .

وأنه وطئها في بيت حفصة التي كانت تغار منها غيرة محرجة مضنية ، ويكمل الرواة هذه القصة فيقولون : إن حفصة بقيت حتى خرجت مارية فذهبت إلى السيد الرسول صلى الله عليه وسلم مغضبة صاخبة وقالت : « والله ما كنت لتفعل ذلك لولا هوانى عليك » قاسم النبي صلى الله عليه وسلم إليها حديثا في شأن مارية بأنها عليه حرام ، وفي شأن أبي بكر وعمر بأنهما يليان الخلافة من بعده كما أعلمه الله . وقد عهد إليها ألا تطلع أحدا على ذلك السر .

ولم تستطع حفصة أن تسكت ما أمرها الرسول صلى الله عليه وسلم بكتمانها ، فأخبرت السيدة عائشة وهذه الأم أيضا قد ساءها ما يختص النبي صلى الله عليه وسلم به هذه الأمة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعاملها معاملة يظهر أنها لم تكن تخصيصا لولا الغيرة . وقالوا : إنها جمعت سائر الزوجات الكريمات فأبرمن العمل على إخراج مولاة النبي صلى الله عليه وسلم مارية القبطية ، واشتعلت النار في بيوت النبي الكريم وظهر الشغب على السيد الرسول صلى الله عليه وسلم بينهن فكان الجواب الحازم أن اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء شهرًا واشتغل عنهن في أمور رسالته وشئونها والتزم المبيت في مشربة منفردة عن المجرات يتصل به خادمه ومولاه بلال ابن أبي رباح . فلما انقضى الشهر وكان تسعة وعشرين يوما عاد إليهن وقد صفت نفسه ، وثابت كل من حفصة وعائشة ، وتابتا عن العودة إلى مثل ما كان ومعهما بقية الأمهات الطاهرات ، ولكن هل طلق النبي صلى الله عليه وسلم حفصة في هذه المناسبة ؟

اختلفت الروايات في ذلك فبعضها على أنه صلى الله عليه وسلم طلقها وأنه راجعها بعد ذلك رحمة بعمر وابنته بعدها ، وأن جبريل هو الذي نزل عليه بذلك من عند الله .

وفي رواية أنه قال له : « أرجع حفصة فانها صوامة قوامة ، وأنها زوجتك في الجنة » ، والأصح عندنا في الرواية أنه صلى الله عليه وسلم لم يطلقها ولا واحدة من الأمهات الكريمات ، وإنما أنزل الله سبحانه ما فيه الكفاية من تعريفهم بقدر النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنزلته في سورة التحريم ، وإن كان بعض المفسرين يذهب إلى

أنها نزلت في قصة العسل والمغافير . على أن كلا من الروایتين صحيح ثابت لا مغمز فيه ، ولكن سياق القرآن الكريم يؤيد أن السورة نزلت في حادث مارية ، وليس هناك ما يمنع أن تكون السورة نزلت بعد الواقعةين معا وهي مناسبة لكل منهما ، رادعة عن كل ما فيه إساءة للرسول صلى الله عليه وسلم ومنطبقة على ما صدر في كل منهما ؛ وليس ذلك مجال البحث في ذلك .

ولأنما الذى يعيننا صحة القصة والدلالة على شدة الغيرة وتحقيق معنى التظاهر والمعاونة بين كل من عائشة وحفصة .

على أنه لا يعرف عن حفصة ولا عائشة ولا غيرهما من الأمهات تظاهر بعد ذلك الدرس ، ولأنما هو التفرغ للدرس النبوى والقنوت لله سبحانه وذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة حتى الخلق بالله عز وجل .

ومما سجل التاريخ لحفصة أنه وقع الاختيار عليها من بين الزوجات الطاهرات لحفظ المصحف الشريف الذى جمعه أبو بكر بمشورة عمر ، وأنه بقى عندها حتى سلمته إلى عثمان رضى الله عنه فمسح منه المسح الأربعة التى وزعت على الأمصار .

كما سجل لها أنها بعد أن فكرت في الخروج مع السيدة عائشة للطالبة بدم عثمان عدلت عن ذلك تقيّة وخوفاً من الله ، أن تخوض فيما لا تدرى عقباه ، وأعانها على ذلك شقيقها عبد الله بن عمر رضى الله عن الجميع .

ثم بقيت كما وصفها التاريخ صوامة قوامة تروى ما أخذت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويأخذ عنها عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة والتابعين حتى صعدت روحها الطاهرة إلى ربها في جمادى الأولى سنة ٤١ في عهد معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنه ما

محمود النواوى

المفتش بالأزهر

محنة اللغة العربية في الجزائر

ليس في وسع رجل ذى ضمير حى في العالم أن ينكر على الجزائريين حق الثورة في سبيل تحرير بلادهم من السيطرة الفرنسية ، وما أظن هؤلاء الذين يكابرون ويحددون حق هذا الشعب الحر المناضل إلا مصابين بعمى في أبصارهم أو بصائرهم أو انحراف في إنسانيتهم مما يجعلهم يميلون إلى التمسك بشريعة الغاب ، ويتجاهلون تجاهلا تاما قوانين الأخلاق والأديان والمبادئ السامية ، ولم يعد أحد يتخدد بتضليلاتهم ، ومحاولاتهم طمس الحقائق ، فقد وضع بما لا يدع مجالا للشك - بعد المجزرة البشرية الهائلة التي ترتكبها فرنسا في الجزائر ، والتي يصمون عنها أسماعهم - وضع لكل ذى عيدين أن مبادئ الحرية والعدل والإخاء والمساواة وما إليها إنما هي ألفاظ جوف تقبع في قواميس الدول المستعمرة ، وتجرى حينئذ على أفواههم بقصد التويه والتضليل ، أما حقائقها فلا وجود لها على سطح هذه الكرة ، ولا في قلوبهم .

فنحن من أى زاوية نظرنا إلى سلوك الفرنسيين في الجزائر ، وجدنا غرائب تفوق حد الخيال ، وأى خيال يمكن أن يصل إلى أن يعيش شعب في أرض آبائه وأجداده غربا عنها ، يتمتع غيره بخيراتهما ، ويعيش هو فقيرا محروما ؟ وهذه الحال قد حملت كاتبها فرنسا هو جان ميليا على أن يصبح في وجه فرنسا على أن تعامل مسلمي الجزائر كما تعامل الفرنسيين واليهود والأجانب المتفرنسين في هذا القطر ، ويذكر في صراحة وشجاعة أن الجزائريين يعيشون غرباء في بلادهم ، أى أنهم من أتباع فرنسا لا من رعاياها ، فهم محرومون من الحقوق السياسية فلا ينتخبون للمجلس النيابي الفرنسي ولا ينتخبون ، ولا يترقى المسلم الجزائري في الجيش الفرنسي رتبة تفوق الملازم الأول ، والذين بلغوا رتبة رئيس قليلون جدا ، ولا يتساوى المسلم والفرنسي حتى في رواتب التقاعد العسكرية ، وكان المسلمون ممنوعين من وظائف الحكومة في الجزائر ما لم يتجنسوا بالجنسية الفرنسية ، ثم يقول بعد أن يصف حالة الفقر المدقع التي يعيش فيها الجزائريون : « لا يستغرب بعد هذا أن تكون الجزائر الإسلامية نموذجا لأرض المجاعات » .

ومع أنهم يدرسون في مدارس فرنسية ، ويتخلقون - كما يقول المؤلف - بأخلاق فرنسية ، ويكتسبون عادات فرنسية ، ومع أنهم فرنسيون بموجب دستور سنة ١٨٤٨ م مع كل هذا - كما يقول المؤلف أيضا - لا تسرى عليهم قوانين فرنسا كلها ، لأنهم لا يحسبون فرنسيين ولا أجناب ولا بشرا [١] .

وأمر اللغة العربية في الجزائر أمر يدعو إلى أشد العجب ، فنحن نعرف أن المستعمرين في كل الأقطار يحرصون كل الحرص على أن ينشروا لغتهم وثقافتهم ، وأن يقضوا على لغة الدولة المستعمرة ، لأن اللغة روح الأمة ، ولا تزال الأمة بخير ما بقيت محافظة على لغتها ، أما حين تتهاون في شأن لغتها فتحملها أو تتركها نهائيا ، حينئذ تنسلخ عن كيانها ، وتصير أمة أخرى ، لذلك يحرص المستعمرون أول نزولهم أى قطر على وأد لغته ، ومع هذا فلانعرف دولة بلغ بها الحق وحب التسلط ، والعمل على القضاء على الأمة التي اغتصبوا أرضها كالدولة الإفريقية .

وتاريخ فرنسا الحديث شاهد عدل على أن الفرنسيين يعملون جادين في كل قطر يدخلونه على أن يسلبوه من قوميتهم ، ولولا أنهم في حاجة إلى الأيدي العاملة في تلك الأقطار لأبادوا سكانها كي تخلو لهم الأرض ، وهم يتذرعون بشتى الدعايات ، وبالأعمال المجرمة لتحقيق أهدافهم .

فهم في سوريا كانوا يدعون - حين كانوا متدينين عليها من لدن عصبة الأمم - أن السوريين ليسوا بعرب ، ولو كانت لغتهم عربية ، وأن اللبنانيين يختلفون عن العرب وعن السوريين في وقت واحد . إنهم فينثيقيون ، ولا سيما المسيحيون منهم ، فهم من أبعد الناس عن العروبة والعرب ، لأنهم من أحفاد الصليبيين الذين كانوا قد أتوا إلى سوريا ولبنان من مختلف البلاد الأوروبية ولا سيما من فرنسا .

لقد سعى الفرنسيون - طوال مدة انتدابهم على سوريا ولبنان لبث هذه الأفكار والآراء بواسطة الصحافة والمدارس والوعظ واستطاعوا أن يؤثروا في بعض النفوس ويجعلوهم دعاة للاقليمية وأعداء للقومية العربية [٢] .

[١] هذه الفقرات منقولة بتصرف من كتاب الاستعمار ج ١ ص ١٧٠ للأمر مصطفى الشهابي .

[٢] نشوء النكسة النومية ص ٢١٣ للاستاذ ساطع المصري .

وكذلك شقوا طريقهم في الجزائر ، فالجزائر في عرفهم يجب أن تكون فرنسية ، بل هي فرنسية بالفعل ، لأن موقعها الجغرافي يجعلها أقرب إلى فرنسا منها إلى جزيرة العرب ، واللغة العربية لغة أجنبية عن الجزائريين فيجب أن يتناسوها ، وبذلك صدر مرسوم في عام ١٩٣٨ م أصدره الوزير الفرنسي شوتان ، يحرم فيه تدريس اللغة العربية باعتبارها - كما زعم - لغة أجنبية .

ولم يقف الأمر عند حد إصدار المراسيم ، وسن القوانين بل تعداه إلى الناحية العملية ، بجعلت السلطات التدريس من رياض الأطفال إلى الفرق العالية باللغة الإفرنسية وحدها ، وجعلت كل مدرسة تدرس باللغة العربية في عداد المدارس الأجنبية التي تخضع لقانون خاص .

وكذلك الشأن في الصحف التي تصدر باللغة العربية ، فهي تعامل بقانون المدارس الأجنبية . ولعل الأدهى والأمر من كل ذلك أن تحتم مصلحة البريد على الجمهور أن يعنونوا رسائلهم بالفرنسية وإذا تعمد كاتب أو خطأ فعنون الرسالة باللغة العربية كان مصير رسالته الإهمال ، ولا ينجو في كثير من الأحيان من العقوبة على هذا الجرم الفظيع الذي سول له أن يستعمل لغته في عنوان رسالته .

وقد قرأت في بعض الكتب أن فرنسا تعتبر المدرسة العربية في الجزائر أشد خطرا من مصنع للذخيرة ، وهي تحارب بكل الوسائل معلم اللغة العربية ، وتعتبره أفظع جرما من اللصوص وقطاعى الطرق !

وكما حاربت المدارس العربية ، حاربت كذلك الكتاتيب القرآنية ، والجمعيات التي تعنى بتدريس الدين ، بل هي تعتبر كل جمعية تدرس الدين خصما مباشرا للدولة ، ولذلك اضطرت جمعيات إسلامية إلى الاختفاء .

وقد سجنّت السلطات الفرنسية مدوسا جزائريا لأنه درس لتلاميذه تاريخ الجزائر العربية الإسلامية ، إذ يرى الفرنسيون أن تاريخ الجزائر يجب أن يبدأ من سنة ١٨٣٠ م وهي سنة احتلالهم لها .

ولقد يذكرنا عمل فرنسا هذا بما عملته تركيا مع العرب أيام خضوعهم لحكمها ، فقد حارب هؤلاء اللغة العربية ، فجعلوا التعليم باللغة التركية ، حتى قال الشاعر سليمان التاجي الفاروق :

بضع وعشرون مليوناً لهم لغة تضيع ما بينهم ياشد ما غلبوا

وردد كثير من شعراء العرب هذا المعنى ، ولكن اليون شاسع بين شعور العرب في ذلك العهد نحو الأتراك وبين شعور الجزائريين نحو فرنسا ، ومع هذا فقد تقلص الحكم التركي ، وبقيت اللغة العربية مرفوعة الرأس ، منيعة الجانب .

والعجب من قادة فرنسا وساستها كيف يغيب عن أذهانهم أن القضاء على لغة من اللغات لا سيما اللغة التي لها ماض وتاريخ ، ولها ارتباط بدين سماوى ، ليس من الأمور الميسورة . وتغلب لغة على لغة يخضع لنواميس طبيعية ليس منها على أى حال من الأحوال ، القوة والتسلط ، وأول شرائط التغلب - وهو اتحاد اللغتين في الأصل - مفقود بين الفرنسية والعربية ، فالعربية من اللغات السامية ، والفرنسية ترجع إلى أصلها اللاتينى .

(وبعد) فليجهد الفرنسيون جهدهم ، وليبدلوا كل ما فى وسعهم ، فلن يقضى على لغة العرب فى بلاد العرب ، بل إننا على يقين من أنه سيقضى على نفوذ فرنسا فى بلاد العرب طال الطريق أم قصر ما

على العمارة
مكة المكرمة

حصوننا المهددة من داخلها

كما يسر الله التعاون بين مصر والشام فى مواقفهما العسكرية للدفاع عن حصوننا المهددة من الخارج ، فقد بدرت بواذر تدل على أنه سبحانه ييسر لنا التعاون كذلك فى مواقفنا الثقافية للدفاع عن حصوننا المهددة من الداخل . وقد تلقينا عدد ١٣ ربيع الأول (٨ أكتوبر) من جريدة (الأخبار) اليومية التى تصدر فى دمشق وفى صفحتها الأولى ترديد كريم لصدى الأفكار النيرة والإيقاظ المخلص الصادرين من قلم الدكتور محمد حسين فى مقاله العظيم (حصوننا مهددة من داخلها) المنشور فى جزء صفر من مجلة الأزهر ولا سيما ما يتعلق منه بالكتب الأمريكية الفاجرة التى تحرض على تمزيق حجاب الحياء والعفة بين البنات والبنين فى مصر والأوطان العربية ، وقد طلبت الجريدة اليومية الدمشقية أن يجازى المشرف المسئول عن هذه الدعوة الشيطانية بما يقى أبناء الجيل من عواقبها .

مصادر الشريعة الإسلامية

المصالح المرسلة « تعريفها »

— ١١ —

وعلى هذا لا يكون هذا رأى مخالفا لرأى المانعين بل هو موافق لأبيهم . وبذلك تكون آراء العلماء فى المصالح المرسلة منحصرة فى رأيين فقط : أحدهما رأى القائلين بحجيتها . وثانيهما رأى المنكرين لهذه الحجية . ولكل من الفريقين أدلة على ما ذهب إليه نوردتها فيما يلى :

وقد استدلل القائلون بحجية المصالح المرسلة بما يأتى :

١ — ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ . قال : أقضى بكتاب الله . قال : فإن لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله . قال : فإن لم يكن فى سنة رسول الله ؟ (قال : أجتهد رأى لا آلو . أى لا أقصر فى الاجتهاد) . قال : فضررب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ثم قال : « الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله » (١) فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر معاذاً على الاجتهاد بالرأى إذا لم يجد فى الكتاب أو السنة ما يقضى به . والاجتهاد بالرأى كما يكون بقياس النظر على نظيره يكون بتطبيق مبادئ الشريعة والاسترشاد بمقاصدها العامة . والعمل بالمصالح المرسلة لا يخرج عن هذا .

٢ — ان من يتتبع تشريع الصحابة الذين هم عماد الاجتهاد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر له أنهم كانوا يبنون الكثير من الأحكام على المصالح المرسلة من غير إنكار من أحد منهم على ذلك فكان ذلك إجماعاً منهم على العمل بالمصالح المرسلة والاعتداد بها فى تشريع الأحكام .

[١] صحيح الترمذى ج ٦ ص ٦٨ و ٦٩ . وسنن أبى داود ج ٢ ص ١١٦ .

وقد نقل العلماء عنهم كثيرا من الأحكام التي بنوها على ما رأوه من المصالح .
نورد هنا طائفة منها :

(١) أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جمع الصحف المتفرقة التي كتبت فيها القرآن في مصحف واحد في عهد أبي بكر بإشارة عمر بن الخطاب . وليس هنا ما يدل على جمعه وكتابته من الكتاب أو السنة . ولكنه عمل مبني على المصلحة كما يدل على ذلك قول أبي بكر عندما أشار عليه عمر بذلك : « كيف نفصل شيئا لم يفصله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » « وقول عمر : إنه والله خير ومصلحة للإسلام » [١] .

(ب) أن أبا بكر استخلف عمر بن الخطاب وهو عمل مبني على المصلحة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا بعده . ولم يرد عنه شيء في ذلك . [٢]

(ج) أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أبقي الأراضى المفتوحة في أيدي أهلها ولم يوزعها على الفاتحين . ووضع الخراج على أهلها ليكون موردا للمسلمين . وينتفع به أول المسلمين وآخرهم . وقد وافقه على ذلك سائر الصحابة بعد أن بين لهم ما يترتب على ذلك من المصلحة للمسلمين . ومما قاله في ذلك ردا على المعارضين له في أول الأمر : « إنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى . وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوهم . فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله . وأخرجت الخمس فوجته على وجهه . وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوهم ، وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها . فيكون فينا للمسلمين المقاتلة وللذرية . ولئن يأتي بعدهم . أريتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها . أريتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وإمداد العطاء عليهم . فمن أين يمدى هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج ؟ فقالوا جميعا : الرأي رأيك ! فنعم ما قلت وما رأيت ! إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجري عليهم ما يتقوون به رجوع أهل الكفر إلى مدنها . فقال : قد بان لي الأمر » وقرر إبقاء الأرض بأيدي أهلها وضرب عليهم الخراج . وسلم الجميع بذلك [٣] .

[١] الاعتصام للشاطبي ج ٢ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ .

[٢] الفكر السامي لمحمد بن الحسن الحجوى ج ٢ ص ١٣ .

[٣] راجع كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٢٨ — ٣٢ . والاموال لأبي حنيفة القاسم بن سلام

(د) أن المسلمين لما كثروا في عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه زاد الأذان الثانى لصلاة الجمعة . وجعله على دار في سوق المدينة تسمى بالزوراء . وهو الأذان الذى يفعل الآن فوق المآذن عند دخول وقت الصلاة . وهذا الأذان لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أبى بكر وعمر . فرأى عثمان رضى الله تعالى عنه أن الأذان إنما شرع لإعلام الناس بالصلاة . ولو اقتصر على ما كان قبله من الأذان بين يدي الخطيب أو على باب المسجد لما أدى الأذان المقصود منه ولفات الصلاة على كثير من المساميين البعيدين عن المسجد . وقد وافق الصحابة عثمان على ذلك . وليس له مستند فيه إلا المصاححة ودفع المفسدة التى كانت تترتب على بقاء الأمر على ما كان عليه قبل ذلك .

(هـ) أن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناعات ما كان في أيديهم من أمتعة الناس محافظة على الأموال من الضياع . وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « لا يصلح الناس إلا ذلك » يعنى الحكم بالضمان . ووجه المصاححة في هذا الحكم . كما يقول الشاطبي في « الاعتصام » : أن الناس لهم حاجة إلى الصناعات . وهم يغيبون عن الامتعة في غالب الأحوال . والأغلب عليهم التفريط وترك الحفظ فلولم يثبت تضمينهم مع مسيس الحاجة إلى استعمالهم لأفضى ذلك إلى أحد أمرين : إما ترك الاستصناع بالكلية . وذلك شاق على الخلق . وإما أن يعملوا ولا يضمّنوا ذلك بدعواهم الهلاك والضياع فتضيع الأموال . ويقل الاحتراز . وتتطرق الخيانة . فكانت المصاححة التضمين .

زكى العبد سعيه

الأستاذ المساعد بكلية حقوق عين شمس

اللغة العربية في كلياتنا العلمية

تقدم المجلس الأعلى للعلوم بمشروع إلى الجهات المختصة لتدريس مواد الكليات العلمية في جامعات مصر باللغة العربية بدلا من اللغة الإنجليزية . ويقترح المجلس أن يبدأ بذلك في المراحل الأولى للكليات الجامعية .

أضواء على التاريخ الإسلامى

قرأت معتبطاً تلك الخطوة الموفقة التى خطاها المجلس الأعلى للفنون والآداب ،
إذ قرر مشكوراً أن يسلط بعض الأضواء على تاريخ الإسلام .

هذا الاتجاه الصحيح ينبغى أن يزيه كل مشغول بالدراسات الإسلامية عامة
وبالتاريخ الإسلامى خاصة ، وليست تزكيتة أن يساق المديح للمجلس وأعضائه ، بل أن
يقدم كل دراس إسلامى خبرته ورأيه فى تعزيز هذا الاتجاه ، حتى تستفيد الثقافة
الإسلامية حق الفائدة ، وتنتفع من الفرصة المتاحة - قبل أن تضيع - أقصى انتفاع .

لقد دعوت وقلت فى حرارة منذ عام تقريباً ، وكان مجلس الفنون والآداب فى
باكورة حياته : « إننا نريد تاريخاً حياً ، ونريد تاريخ حضارة ودين ، ولقد وعدنا مجلس
الفنون والآداب خيراً فى تاريخنا القومى فعلية ألا ينسى تاريخنا الإسلامى ، حقق الله
الآمال » . وأشرت فى التعريف بالكتاب - الذى ضمته هذه الآمال - إلى الرسالة
القومية التى يؤدونها التاريخ الإسلامى : « بين القومية العربية والتاريخ الإسلامى رباط
وثيق ... فعن طريق هذا التاريخ برزت القومية العربية كشخصية عالمية ، وأصبح
مكانها أكبر من مجرد قبيلة أو شبه جزيرة . وعن طريق هذا التاريخ ارتبطت القومية
العربية بمنهج ورسالة ولم تعد مقصورة على فورة دم أو تمدد جسم ... » .

واليوم يطيب لى أن أرى آمالى فى « أضواء على التاريخ الإسلامى » قد صارت
حقائق ، وأخذت أكبر هيئة رسمية فى مصر لرعاية الفنون والآداب تتجه إلى تسليط
الأضواء على هذا التاريخ .

* * *

الترجمة وحدها ... لا تكفى :

لكننى اليوم لا أكتفى بالثناء على المجلس ، بل أناقش الخطوات العملية للتنفيذ ،
وأضع تحت النور المحاولات الممكنة لتدعيم هذا الاتجاه .

وأول ما أحب أن يستقر في ذهن أن الاعتماد على الترجمة فقط - ولا سيما في تاريخنا - سبيل لا يغنى ... وهو من قبل ومن بعد جهد لا ينتظر أن تقنع به أمة عربية هي جزء من هذا التاريخ الذى تترجم فيه عن الغرباء . فليس يعنى الاتجاه إلى تسليط الأضواء على التاريخ الإسلامى أن تترجم بعض كتب للمستشرقين في سلسلة الألف كتاب مثلا ، بل الأمر أعمق من ذلك بكثير .

وليس معنى هذا أننى أغض من قدر دراسات المستشرقين ، فأنا أقدر جهودهم ومناهجهم وقد قلت عنهم بالنص في (الأضواء) : « ومزايا المستشرقين في مناهج البحث وأساليب العرض وطرائق التحليل والنقد مذكورة مشكورة ، وإنما أتى المستشرقون من ناحيتين : اللغة ، والدين . فهم يدرسون لغة غربية عليهم ، ويدرسون حقبة من الزمن لغتها غير يسيرة حتى على أبنائها في هذا الجيل ، وهم يدرسون تراثا وحضارة لدين كانت له دولة في أسبانيا وإيطاليا ، وكانت له جولة في فرنسا ، وامتهنرت له ركائز في البلقان . هذا الدين بذل الأوربيون كل جهودهم ليخرجوه من الأندلس ، وتكاتفوا ليحرروا من حكمه اليونان ، ويحطموا خلافة آل عثمان . هذا الدين خاضوا القفار والبحار من أجل أن يحاربوه في عقر داره حاملين الصليب تارة ، وحاملين لواء التجارة والاستغلال والقروض والاستعمار أخرى ... فهل ينسى المستشرقون هذا كله ... هكذا يرتفع أمام بصيرة المؤرخين الأجانب حجاب من العقل ، فهم لا يتفاعلون مع الفكر العربى ، وحجاب من النفس ، فأوربا عندهم هي مركز العالم ، ومن أجل هذا وذلك يجب أن نتحفظ مع المستشرقين وإن كنا نحترم ما بذلوا من جهود وأدوا من خدمات » .

والتحفظ ليس معناه الإهمال ، ولكن معناه أن نترجم لهم ، ثم نغمر دراساتهم بالنور ، ونضيف إليها من التعليقات والحواشي مما تقتضيه الأمانة العلمية .

فأنا إذن أقدر جهود المستشرقين ، لكننى أراها وحدها لا تكفى .

لابد أن يعكف أبناء هذه الأمة على تاريخهم ، فهم أقدر الناس على فهمه وأجلدهم على خدمته ، وأخلصهم في نشره صحيفا سليما أمينا ، بغير تحيز ولا تحامل .

لابد أن يقبلوا على المادة الأصلية الخام ، التى تخطف منها المستشرقون عبارة هنا وعبرة هناك ، وفهموها بمفاهيمهم وتقاليدهم : « والتاريخ الإسلامى مرتبط في مصادره

بمنهج في التأليف ساد الثقافة الإسلامية في ذلك الوقت ، ولن يتسنى لنا الاستفادة من تلك المصادر على الوجه السليم دون أن نعرف أسلوبها وظروفها .

فكيف يصبر المستشرقون على عنت (التعديل والتجريح) و (الرواية والإسناد) ؟
وأنى لهم الجهد الصادق في التعمق في علم الرجال ، وفي (تقويم) المؤرخين وإنزالهم
منازلهم ؟ ؟ .

كل الذى رواه الطبرى ينسب إليه لا إلى من روى عنهم ! ؟ والطبرى والمسعودى ،
وابن الأثير واليعقوبى ، وابن كثير والمبرد سواء في الاحتجاج !! !

ومن فطن من المستشرقين إلى مراعاة سند الروايات التاريخية ، لم يدأب على التحييص
والتحقيق ليستفيد من هذه الملاحظة في كل ما يكتب ، فضلا عن أن من فطن إليها واتجه
إلى مراعاتها قليل .

الترجمة عن لغة واحدة . . . لا تكفى :

ويزيد الاعتماد على الترجمة قصورا أن تتجه كلها أو أغلبها إلى لسان واحد تنقل عنه
فكثير من تراجم مصر مأخوذة عن الإنجليزية ، في الوقت الذى تسود فيه الترجمة في
الشام عن الفرنسية والتراجم اليسيرة التى ظهرت عن الألمانية مثلا كشفت
عن دراسات إسلامية جليلة لا تعرف عنها شيئا ، والذين يعرفون الألمانية قليلون ،
والذين يريدون أن يستغلوا معرفتهم في ترجمة الأصول الألمانية أقل ، لأن أكثر من
أتقن لغة يفضل أن (ينشر) عبارات من كتاب في عشر كتب من تأليفه وإنتاج قلمه ،
كل جهده فيها أن يقدم إطارا لمنقولاته ليس فيه أصالة ولا طرافة يفضل هذا عن أن
(ينشر) كتابا كاملا مترجما عن لغته الأصلية ! !

وعلاج هذا يسير . . . فلو أجزل العطاء ، وخاصة في هذه اللغات التى لا يكتر
متعلموها الذين يستطيعون الترجمة عنها ، لانقطعت الحاجة إلى إخراج تلك المؤلفات
(فكة) أو (بالقطاعى) . ولأغنى الكتاب المترجم صاحبه وأغنى الناس عن هذا العناء !

وفي اللغة الروسية دراسات نافعة لمستشرقين روس ، نذكر منهم (فازيليف) الذى
نشرت له أخيرا إدارة الترجمة شيئا من دراسات في العلاقات العربية البيزنطية . فان

تعذر النقل فى مثل هذه اللغة عن الأصل الروسى فلا مناص من الاعتماد على ترجمة انجليزية أوفرنسية ، على أن تستشار المجامع العلمية فى الدولة صاحبة الأصل عن أكثر الترجمات وثوقا فى نظرها وتقديرها .

الأمهات العربية :

وإذا كانت الترجمات المتعددة ولو كانت من السنة كل أم الأرض لا تكفى وحدها ، فلا بد إذن من أن نوضح أن المنتظر من أمة عربية مسلمة أن تكون هى المصدر الأمين الأصيل للسادة التاريخية ، فإذا كان أجدادنا هم الذين صنعوا هذا التاريخ ، فلا أقل من نكون نحن رواة أخبارهم على وجهها الصحيح .

« إن من أعظم المفارقات فى ديننا أن نكون أغنى الأمم بالنصوص السليمة التى نستطيع أن نصحح بها تاريخنا فنبينه على أساس قويم من الحقائق العلمية التى لا يتطرق إليها الشك ، وأن تكون - مع ذلك - أشد أم الأرض إهمالا للفادة من تلك النصوص حتى بقى تاريخنا مضطربا كما أراده له الذين دسوا فيه ما ليس منه ، وشوهوا من جماله ما جعل المسلمين يسيئون الظن بأجد صفحات ماضيهم إن تاريخ مصر الإسلامية فى حاجة إلى التحييص والتنقيح والتصحيح ، وإن تاريخ العرب قبل الإسلام وعند ظهور الإسلام فى حاجة إلى البعث والكتابة من جديد ، وإن تاريخ المسلمين والإسلام أجدر تاريخ فى الإنسانية بأن يرجع به إلى نصوصه السليمة التى عرف رواها بالصدق والدين والمعرفة وعروبتهم الوثيقة . ولا يقوم بهذه المهمة لتاريخ مصر والعرب والإسلام إلا المحققون وأهل الألمعية من أوفياء المصريين والعرب والمسلمين لمصرياتهم وإسلامهم »

هذا الكلام الدقيق قرره رجل عالم بالتاريخ الإسلامى ، ولا أستطيع أن أضفه بأكثر من هذا فى المجلة التى يرأس هو تحريرها . فالسيد محب الدين الخطيب قد كتب هذا الكلام فى مجلة الأزهر نفسها (جزء رجب ١٣٧٣ هـ) ، وما فتئ يردده من قبل ومن بعد طول حياته - بارك الله فى عمره ونفع بعلمه ، وقد نقلته عنه فى خاتمة (الأضواء) تحت عنوان « ماذا نريد » ، وهأنذا أردده وسأكرره لأنى لا أجد أصدق منه تحديدا لما نريد ، ولا ينبئك مثل خبير .

وأنا أضيف إلى هذه المفارقات التى ذكرها أستاذنا الكبير ، أننا مع كوننا أضعف

الناس نشاطا في تحقيق تاريخنا ، فنحن أقواهم جرأة على التأليف فيه . . . مؤلف ونحن لا نعرف المادة الخام التي نستمد منها ، وتمتلئ السوق بكتابات في التاريخ الإسلامي قد يختلف حظ أسماء أصحابها من اللعان لكن لا يختلف حظها هي في التحقيق العلمي »

« إن تاريخنا كثيرا ما يبدو من بين الكتب التي نتداولها (تافها وهزبلا) بالنسبة إلى التواريخ الغربية (الناصعة المحيطة) ، ولكن السبب في ذلك لم يكن تفاهة تاريخنا نفسه بل هو رداءة الكتب التي تعرض لنا ذلك التاريخ . فإن الكتب التي نقرؤها عادة عن تواريخ الغربيين مكتوبة لنظرة علمية وخطة تربوية ونزعة قومية في وقت واحد . . . في الواقع قد صدرت في بعض الكتب وبعض المجالات عدة أبحاث تاريخية لا تخلو من مظهر الجذة ، ولكنها لا تزال بعيدة كل البعد عن المناحي العلمية الحقيقية ، ومجردة تجردا تاما من النظرات الاجتماعية الشاملة . وبينها ما ينم عن نزعة شعوبية جديدة تميل إلى استصغار شأن الأمة العربية في كل شيء ، وبينها ما يدل على روح تشاؤمية تلون كل شيء بألوان سوداء ، وبينها ما ينم عن التفكير اليأس الذي يعتبر كل النقائص متأصلة في نفوس العرب ، ويزعم أنه لا سبيل إلى التخلص منها بوجه من الوجوه » هذا تقويم لأبحاثنا التاريخية التي تخرجها المطابع بأسماء أصحابها ، من رجل خبير هو الأستاذ ساطع الحصري مؤسس معهد الدراسات العربية العالية ، ولا يحسن القارئ أن هذا تقرير ماض اندثر في تاريخنا الثماني فهو في كتاب حديث طبعته الأولى ظهرت في بيروت ١٩٥٦ بعنوان « دفاع عن العروبة » .

أليس من الأولى والأحق أن نولي جهودنا شطر تحقيق تراثنا ، والعمل على نشره نشرًا علميا ، حتى تتوفر لنا ولغيرنا من طلاب البحث المادة العلمية الصحيحة بدلا من تبديد الجهود في إخراج العجالات ، معتمدين على ما تحت أيدينا من المطبوع غير المحقق ، متجاهلين قدر هذا المطبوع ومؤلفه في منازل مؤرخينا ، ومتجاهلين مدى صحة هذا المطبوع وهو غير منشور بطريقة علمية ، ومتجاهلين ما لم يصلنا من مطبوعات لم نسمع بها ولم نبحث عنها ، ومن مخطوطات لم تر النور بعد ؟ ؟

من من دارسي التاريخ الإسلامي والكاتبين فيه يتجه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ويعرف أن له مرجعا في التاريخ هو (منهاج السنة) ؟ ومن يتجه إلى القاضي ابن العربي ويعرف أن له مرجعا في التاريخ هو «العواصم من القواصم» ؟ ومن يتجه إلى الحافظ الذهبي ليقرا

مختصره لمنهاج الاعتدال إن تعذر عليه المطول وهو « منهاج السنة » ؟ . الذائع الطائر بين الباحثين أن ابن تيمية مؤلف فى العقائد والفقه ، وأن لابن العربى كتابات فى التفسير والحديث ، وأن الذهبي صاحب حديث ... أما بضاعة هؤلاء فى التاريخ فقليل من يعرفها . وعلى دارسى التاريخ الإسلامى أن يعرفوا الحق ، لمحِب الدين الخطيب الذى نشر جزءا من (العواصم) عن مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول ، وفى تعليقاته عليه وحواشيه غمر الكتاب بالنور ، وفعل مثل ذلك أخيرا فى (منهاج الاعتدال) ... كل هذا جهد فرد واحد علاوة على نشره لكتيب ودراسات فى نواح إسلامية أخرى .

ثم من من دارسى التاريخ الإسلامى يعرف للورحين الذين اشتغلوا بعلوم إسلامية أ كسبتهم أمانة التحرى وخبرة تقويم الرواة - من يعرف هؤلاء فضلهم على غيرهم ، ولو على الأقل فى مواقف الفتن والريب حين تزيغ الأبصار وتزل الأقدام ؟ من ينظر للطبرى وابن الأثير وابن كثير النظرة الجديرة بهم ، وينزل المسعودى والمبرد واليعقوبى منازلهم - ؟ وهم دون سابقهم فى التحقيق بغير جدال . من يبصر بالروايات المنحولة كذبا لابن قتيبة المسماة (الإمامة والسياسة) ويحكم فى دعوى نسبتها إلى صاحبها ؟ ؟

نحن فى حاجة إذن قبل كل شئ إلى نشر الأمهات من كتب تاريخنا نشرها علميا محققا مفهرسا مغمورا بالنور ...

ولا يقنع العلم من مصر وهى داعية القومية العربية ، ومقر الأزهر والمؤتمر الإسلامى أن يخرج مجلسها الأعلى للفنون والآداب بطائفة من المترجمات عن أعلام الاستشراق ، على ما فى هذه المترجمات من نفع ، خاصة إن تعددت ألسنتها .

التأليف الجديدة :

وليس معنى هذا أن نصادر اتجاه التأليف أو نزهد فيه أو ننصرف عنه ... كل ما فى الأمر أن ترتفع بمستوى تأليفينا ، وأن نحترم عقولنا وأقلامنا ، وأن نقدر أمانة التاريخ . فقد يكون من الممكن أن تظهر مؤلفات فى موضوعات جزئية مدروسة مهضومة من مصادرها الأصلية مطبوعة ومخطوطة ، مستعان فيها بالترجمات الأجنبية المتعددة ... لكن قد يكون من المتعذر أن نصدر كتبنا شاملة ، أو موسوعة كاملة فى التاريخ الإسلامى كله ، ونحن على هذا النقص فى النشر والتحقيق .

ولست أترك بعد ، هذا الكلام على علته ، حتى أضع النقط فوق الحروف ، فقد تكون صياغة المبادئ أسهل من تخطيط تنفيذها .

من هنا نبدأ طريقنا :

كتاب الطليعة : إن الكتاب الذى أرشحه للبداية هو تاريخ الطبرى ... وهو كتاب منزلته التاريخية يشهد بها الجميع ، ولدينا منه طبعتان : طبعة ليذن وطبعة الحسينية ، ولا جدال فى أفضلية الأولى من ناحية التصحيح ، ولكن بقيت مهام أخرى جلية الخطر أشرت إليها فى كتاب « أضواء على التاريخ الإسلامى » إذ قلت فى مقدمته مانصه :

« فكتاب كتاريخ الطبرى يحتاج إلى لجنة علمية تفحص إسناده وتعلق على روايته ، وتقارن رواياته بروايات غيره من المؤرخين المتقدمين كالبلاذرى وابن عبد الحكم مثلاً ، ثم تذيله بفهارس دقيقة للأعلام والمعالم والموضوعات تجمع بها ما تناثر على مرّ السنين فى الحوليات . كل ذلك فضلاً عن الجهد الأصـيل الذى ينبغى أن يبذل فى مقابلة النسخ الخطية الموجودة فى المكتبات العالمية دون القنوع بطبعة ليذن أو القاهرة ، ولا يستطيع ناشر أن ينفق على هذا كله ، ولو أنفق فلن يستطيع أن يوزع سريعاً ما أنفق عليه كل هذا المال ، ودار الكتب نفسها - وهى مؤسسة حكومية - تمتاز مطبوعاتها بالعرض الجميل لكن الهوامش والتعليقات تحتاج إلى المزيد من العناية والإحاطة ... لقد صار لدينا مجلس أعلى للفنون والآداب ننتظر منه جهوداً فى شأن ثقافتنا الإسلامية ... ولدينا من العلماء المتخصصين من يلح عليه الشوق لتلقى دعوة ليبذل مثل هذا الجهد العلمى قبل أن يموت ، ترى من هو (المنصور) الذى يدعو لهذا (الموطأ) ؟ ؟ » .

هذا ما قلناه ، وهو ما نعيده ونكره ونلح عليه ، وإن كان قد وصل أسماعنا فى غضون العام الذى مرّ بعد ما كتبناه ، أن داراً للنشر أعدت العدة لإخراج كتاب الطبرى فى التاريخ .

وأنا لا أعتقد أن دار نشر مهما كانت إمكانياتها العلمية والفنية والمادية تطبق إنتاج هذا العمل العلمى الضخم فى صورته المبتغاة ، لكن تستطيع أن تتعاون مع الدولة فى هذا السبيل بأسلوب قريب مما كان يحدث فى تنظيم مشروع الألف كتاب بين إدارة الثقافة والناشرين .

آمال المستقبل :

وبعد : فان اتجاه المجلس الأعلى للفنون والآداب بداية متواضعة لجهود كثيرة منشودة ولطريق طويل :

« نحن نحتاج إلى أكاديميات متفرغة لثقافتنا الإسلامية تقوم بنشر معالم إسلامية (انسيكلوبيديات) ومجلات علمية متخصصة لهذه الثقافة ، فلا يليق أن يكون لدى الغرب مجامع ومعالم ومجلات للدراسات الإسلامية أو الشرقية أو الإسلامية وفقا لما يختار من أسماء في حين تخلو مصر من هذه الدراسات » .

نحن نريد مجلسا خاصا للثقافة الإسلامية ، فان تعذر فعلى الأقل لجنة خاصة في المجلس العام .

« ثم نحتاج إلى فهارس مضبوطة للخطوط والمطبوع في العالم من تراثنا القديم ولما نشر من الدراسات الحديثة في الثقافة الإسلامية ... وندعو مع الدكتور ماجد : « إننا في الشرق لم نقم بطبع الأصول التاريخية العربية إلا على نطاق ضيق جدا مع أهمية هذه الأصول في أنها تضع تحت أعيننا مجموعة هائلة من الحقائق التاريخية التي هي أساس البحث التاريخي . وإننا نلج على حكومتنا بالإسراع إلى تصوير المخطوطات العربية التي في حوزة الدول الأخرى ... هذا وإن دور المكتبات عندنا غير منظمة وفتقر إلى فهارس وقوائم للمخطوطات ، كذلك تنقصنا حتى الآن في مصر المجلات التاريخية الصرفة » .

ونحن نتابع في بعض هذا جهود الإدارة الثقافية في الجامعة العربية بأشراف الدكتور صلاح الدين المنجد في تصوير المخطوطات العربية في المكتبات الإفريقية . على (الميسكرو فيلم) ، ونرجو ألا تحول مشكلات ميزانية الجامعة دون استمرار هذه الجهود .

هذه آمال سبق لنا تراددها في « الأضواء » ... نأمل أن تأخذ طريقها إلى التحقيق بهذه البداية الموفقة لمجلس الفنون والآداب فتشع في عالم المعرفة منها الأضواء ما

فتمى عثمان

من تاريخ المسلمين في الهند:

ثورة الهند الدامية على الانجليز

سنة ١٨٥٧ م

- ٢ -

تحدثت في المقال السابق [١] عن بدء الزحف الغربي على الهند باسم التجارة ، وكيف اختفى الغرب وراء هذا الستار للوصول إلى أغراضه في السيطرة على الهند والبلاد الشرقية . ولقد كانت هذه الشركات التجارية ومنها شركة الهند الشرقية الانجليزية تعتمد على أساليب الخيلة والهدايا للوصول إلى ما تريد إبان قوة الحكام في الهند ولا سيما المغول . وكانوا كلما حدثتهم أنفسهم بالاعتماد على القوة ردعهم المغول وأدبهم . . . ولكن حينما بدأت قوة الحكام المسلمين في الضعف ، ولا سيما بعد موت الإمبراطور « أورنغزيب » أخذت رعوس الحيات تطل من أحجارها ، وظهرت للناس نيات الغربيين الحقيقية حين أسسوا لهم المستعمرات الصغيرة على الشاطئ وكوّنوا الجيوش من بنى جنسهم ومن المرتزقة الهنود وساحوهم بالأسلحة الحديثة ، ونزلوا بهم الحروب مساعدين بعض الأمراء على بعض ، مستغلين الخلافات التي بينهم لفرض نفوذهم ، معتمدين على بعض الخونة لتهييد الطريق أمامهم . .

وكانت موقعة « بلاسي » سنة ١٧٥٧ م بين الانجليز وبين « سراج الدولة » حاكم البنغال صورة مكبرة من غدر الانجليز وخيانة بعض أمراء المسلمين الذين تواطؤوا معهم على إخوانهم في الوطن والدين : فقد كان سراج الدولة يعمل دائماً على وقف تغافل الشركة الانجليزية ويحذر من طغيانها ، ولو أنه كان يتجنب - ما أمكن - الدخول معها في حرب ، حتى عقد معها معاهدة عدم اعتداء . .

[١] في عدد المحرم ١٣٧٧ ص ٦٦ .

لـكن قائد الشركة أو مديرها « مستر كلايف » لم يقف عند هذا ، بل أخذ يستعين بالخونة للفتك بسراج الدولة ، وكان كبير هؤلاء الخونة « مير جعفر » أحد القواد المسلمين في جيش سراج الدولة حيث اتفق مع الانجليز على أن يتخلى عن أميره حين يهاجمونه . . ولما وثقوا من ذلك نقضوا المعاهدة وهاجموا سراج الدولة في ٤ فبراير سنة ١٧٥٧ بجيش صغير ولكنّه مسلح بالأسلحة الحديثة ، وثبت لهم الحاكم المسلم مع قواده المخلصين حتى انتصر أولا ، ولكن خيانة القائد « جعفر » قلبت النصر إلى هزيمة شنيعة كان من نتيجتها أن نصبوا الخائن حاكما اسميا على البنغال بينما كانت السلطة كلها في أيديهم ، ثم قبضوا على سراج الدولة وقتلوه في بلدة « مرشد آباد » ومنذ هذا التاريخ وبعد هذه الموقعة سيطروا على البنغال وتركوا فيها وأصبح لهم مستعمرة كبيرة في الهند بالإضافة إلى المستعمرات الصغيرة على الساحل في مدراس وغيرها . . فكانت هذه الموقعة مفتاح سيطرة الانجليز على الهند كلها فيما بعد . . وكان الشعب لذلك يحتفل في ألم وحزن بذكرى هذه الموقعة كل سنة . .

وقد قال الشاعر الهندي المسلم : « إقبال » عن سراج الدولة وجهاده ضد المستعمرين « وما عرف الناس سراج الدولة على حقيقته ، وإلا اصارت « مرشد آباد » مثل « أجمير » كعبة للزوار ، و « مرشد آباد » هي المدينة التي دفن فيها المجاهد الشهيد أما « أجمير » فهي المدينة التي دفن فيها منبع الأولياء في الهند « الشيخ معين الدين الجشني » ويؤمها مئات الآلاف من الزوار كل عام . والعوام في الهند يعتبرونها المدينة الثالثة بعد مكة والمدينة . .

ولم يترك الشاعر « إقبال » هذا الخائن « جعفر » حتى دفعه بهذا البيت الذي يحفظه عامة المسلمين في الهند عن جعفر وعن زميل له خان سلطانه « المجاهد سلطان تيبو » حاكم ميسور وانضم للانجليز . فقال باللغة الأوردية :

جعفر أزبنغال صادق أزدكن نك ملت نك دين نك وطن
أى : جعفر من بنغال وصادق من دكن عار الملة وعار الدين وعار الوطن

* * *

بعد هذه الواقعة علا نجم الانجليز وأخذت الأنظار تتجه إليهم لا سيما أنظار الحكام

الذين يحرصون على مراكرهم والذين رأوا في الانجليز قوة يحسب حسابها ، وكانت الهند في ذلك الوقت قد تفتتت السلطة فيها بعد ضعف السلطة المركزية في « دهلې » فأصبح فيها مئات الولايات والحكام ، وكثير من هؤلاء وجدوا في الانجليز عوناً لهم على منافسيهم فتعاهدوا معهم ضد إخوانهم في الدين والوطن ، ومن خلال ذلك نفذت أصابع الشيطان الانجليزى إلى كل جانب في الهند ، وقوى أمره وبدأ يبطش بخالفية ويحاربهم ويقضى عليهم ويفرض نظامه وأحكامه على البلاد التى تخضع له ، حتى لم يبق في الهند كلها قوة تستطيع أن تصمد لهم . حتى السلطان المغولى القابع فى قلعته الحمراء فى دهلې أصبح خاضعاً هو الآخر للسيطرة الانجليزية فى أخص شئونه ، وأصبح كثير من حاشيته يرون بأبصارهم وقلوبهم إلى السادة الجدد الأقوياء غير مهتمين بسيدهم العجوز الضعيف الشأن .

وبذلك خضعت الهند كلها خضوعاً فعلياً لسيطرة الانجليز ونظامهم ... وكان هذا هو الذى دعا العلماء وعلى رأسهم العالم المحمد الشاه ولى الله الدهلوى ومن بعده أبنائه وتلامذته إلى القيام ضد الشركة وإعلان الجهاد العام لتخليص البلاد من سيطرتها . فقد أصدر الشاه عبد العزيز الدهلوى ابن الشاه ولى الله فتوى سنة ١٨٠٣ م : « بأن الهند صارت دار حرب بعد سيطرة الانجليز على شئون الملك فيها وأن الجهاد أصبح فرض عين على المسلمين » .

وقد كان لهذا الموقف من العلماء أثره القوى فى شحن النفوس بالكرهية للانجليز وتعبئتها للجهاد ضدهم حيث أخذ العلماء والمتصوفة يجوبون البلاد والقرى وينبهون الناس إلى الخطر المحدق بهم ، وكانوا قد أخذوا على عاتقهم إنقاذ البلاد والحكم الإسلامى فيها بعد أن رأوا ما آل إليه أمر سلاطين المسلمين من الضعف والتخاذل والتفرق حتى طمع فى المسلمين أعداؤهم من سكان الهند فأخذوا يشكلون بهم شر تشكيل ... وكان هذا هو الذى دعا العالم الصوفى الكبير « سيد أحمد بريلوى » إل أن يدعو أتباعه لتأليف جيش قاده بنفسه مع الشاه إسماعيل الدهلوى حفيد الشاه ولى الله ليكسر شوكة « السيک » الذين أخذوا يشكلون بالمسلمين فى البنجاب ، فقم له ما أراد أولاً لىكن خيانة بعض مرافقيه مكنت أعداءه منه فقتلوه مع الشاه إسماعيل وكثير من أصحابه وعرفا فى التاريخ باسم السيد الشهيد ، وإسماعيل الشهيد وكان ذلك سنة ١٢٤٦ هـ (سنة ١٨٣١ م) . ولم تنطفئ جذوة الجهاد بعدهما ، بل اشتعلت أكثر مما كانت لا سيما ضد الانجليز وتابع العلماء رسالتهم حتى اشتعلت الثورة .

وهناك أسباب جوهرية أشعلت النار وساعدت على التحمس لدعوة العلماء كان منها :

١ - أن عامة الشعب وجدوا من الشركة معاملة لم يألّفوها من قبل فقد كانت تتفنن في فرض الضرائب المهرقة بجوار ما وجدوه من كساد مصنوعاتهم المحلية نتيجة للسياسة التي رسمتها الشركة للقضاء على الصناعة في البلاد حتى يتسع المجال للتجارة والصناعة الانكليزية ، فحاق الإفلاس بالزراع والصناع ، بينما أخذت أموال الهند وخيراتها تتحول إلى إنجلترا فكان الأمر كما قال الأديب الانجليزي الكبير الذي عاش في الهند في هذه الفترة وهو لورد ماكولي : « إن أنهار الثروة في الهند كانت تنساب إلى إنجلترا » فأصبحت الهند كما قال سيرجون لورنس سنة ١٨٤٤ م : « إن الهند أصبحت مفلسة حتى إن أكثر أهلها قد هاموا على وجوههم » .

ولقد كان العمال الذين يشتغلون في أعمال الشركة يستغلون أسوأ استغلال فالعمل كثير مرهق والأجر قليل وتافه ، والسوط مسلط على من يبدى أقل تذمر ، وهذا شيء لم يكن مألوفاً في الهند من قبل .

جاء في مذكرة مصلحة التجارة البريطانية ١٧٦٦ - ١٨١١ م : « كان الصناع والمحترفون يكرهون على العمل للشركة ، ويؤخذ منهم ميثاق غليظ لا يزيدهم إلا خساراً ، ولا يجدون بجانهم ولياً ولا نصيراً ، إنهم يستغيثون ولا مغيث ، وكانوا يجبرون على عمل لا تستغنيهم نفوسهم وطالم سيقوا إلى دفع غرامات باهظة لامتناعهم عن العمل ، وكان الدساجون تفرض عليهم غرامات باهظة تضطربهم إلى ترك العمل » .

ويقول مؤرخ آخر : - كان يصب على أبدان الصانعين الباسين من ألوان الظلم والعقوبة ما لا يتصوره عقل كأنهم عبيد للشركة ، فان الغرامة والحبس والضرب بالعصا كل ذلك أبادهم وقطع جبلهم وأتى عن حرثهم ونسلهم .

وجاء في كتاب « بنغال في عهد الشركة سنة ١٧٨١ » : - قد أهلك الممالك بعد أن شد على أهلها الخناق بكل ما يمكن من الأنواع . واجتبح نحو نصف أملاك الأعيان الأبادة العاصرة في زمن أقل من ستة أعوام ، ودمرت أخصب الأراضى وغرب خمسة ملايين من الرجال الجحادين الأبرياء وأودى بهم .

ويقول جيمس تيلر « كان من نتائج كساد سوق التجارة والصناعة أن انحطت (دها كه) عاصمة البنغال عمراننا، فأن عمرانها الذي كان يضم مائتي ألف قد صار إلى ثمانية وستين ألفا فقط . . . » [١]

وهذه أقوال صادرة عن كتاب انجليز عنى بتدوينها مؤلف أمريكي اهتم بنشر ماحاول الانجليز إخفاؤه ، وسمى كتابه «الصورة الخلفية للثورة» The other side of medal وهي أقوال في غير حاجة إلى تعليق ، وتنطق بما حاق بالأهالي من الإفلاس والظلم .

وقد كان المسلمون أشد الناس تعرضا للفقر والإفلاس ، فالحكم كان بأيديهم وكان من الطبيعي أن يكون الأمراء والوزراء وغالبية الحاشية وكبار الموظفين والحكام منهم في الأقاليم ، وكانوا متمتعين بكثير من الأراضي والعطايا الملكية ، وقد سلب ذلك كله من أيديهم في كل مكان حل فيه الانجليز ، كما أن كبار الموظفين قد عزلوا عن أعمالهم وسد هذا الباب في وجوههم نهائيا وبدأ الحرمان يمتد إلى الموظفين الصغار منهم فخل البؤس والفقر مكان العز والنعمة بينما كانت الأغلبية من الهندوس تعتمد على العمل والتجارة ، وهؤلاء وإن كانوا قد أصابهم الضرر كذلك إلا أن نسبتهم كانت على كل حال أقل بكثير عما كانت بين المسلمين . . فقد كان الانجليز يتعمتون مع المسلمين خاصة لما يشعرون به من أنهم قد نزعوا السلطان من أيديهم وهم لا يفتنون عن السعي لإعادة هذا السلطان متى وجدوا لذلك سبيلا ، ولذلك اجتهد الانجليز في تقليص أظفارهم والعمل على إفقارهم بشق الوسائل حتى يسدوا كل باب يمكن أن يلجوه لإعادة سيطرتهم من جديد . من أجل هذا كله كانت النكبة على المسلمين أشد ، وكانت خطواتهم للثورة أسبق ، وفي مقال آخر نكمل الحديث عن المظالم التي أثارها هذا الشعب وأجبرته على أن يخوض هذه الثورة الدموية هادفا إلى الحرية والحياة الكريمة ٥

عبد المنعم النمر

مبعوث الأزهر والمؤتمر الإسلامي
في الهند

ديوبند

[١] الأقوال السابقة نقلا عن كتاب الوجه الثاني لثورة تأليف ادورد تومس الأمريكي ونشرتها مجلة الضياء العربية التي كانت تصدر في دار العلوم لكهنو شبان ١٣٥٤ .

أثر التراث الاسلامى فى حضارة العرب

أجمع المؤرخون على أن الأمة الإسلامية قامت فى نحو قرنين من الزمان بأعظم نهضة أدبية وعلمية عرفها البشر ، وقد امتدروا قواها على أكثر الأمم التى كانت معروفة حين حدوثها . فاعتبرت عالمية . وأفادت منها كل أمة حتى التى قاومتها بالحدس والنار . فانها بسبب الاتصالات العادية بين الشعوب استعادت ما أثر فى كيانها وظهرت ثمراته فيها بعد حين .

لسنا نحب أن نلقى بمثل هذه الأقوال على عواهنها ، فلا بد لنا من دعمها بالأدلة ، وليس من أدلة أعظم دفعا فى النفوس والعقول من الاستشهاد بأقوال الفرنجة فى هذا الموضوع وهم الذين جنوا أعظم الفوائد من احتكاكهم بالمسلمين .

من أوثق مصادر التاريخ الإسلامى فى هذا العصر كتاب العلامة الكبير (السكندر دريبر) المدرس بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية (المنازعات بين العلم والدين) Les conflits entre la science et la religion قال : « إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الإسكندرية سنة ٦٣٨ ميلادية أى بعد وفاة محمد (صلى الله عليه وسلم) بست سنين . ولم يمض عايمهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية اليونانية وقدروها قدرها الصحيح » .

إلى أن قال : « ولما تولى الخلافة أبو جعفر المنصور (سنة ٧٥٣ إلى سنة ٧٧٥ م) نقل عاصمة الملك إلى بغداد ، وجعلها عاصمة نخمة . ولم يأل جهدا فى بذل الوسع فى نشر العلوم الفلسفية ، وتأسيس مدارس الطب والشريعة . ولما تولى حفيده هرون الرشيد (٧٨٦ م) اتبع أثر جده فى هذه الفتوحات العلمية وأمر بإضافة مدرسة إلى كل مسجد فى جميع أرجاء مملكته . ولكن عصر العلم الزاهر فى القارة الآسيوية لم يشرق إلا فى خلافة المأمون الذى تولى الخلافة (من سنة ٨١٣ إلى سنة ٨٣٣ م) فانه جعل من بغداد

العاصمة العلمية العظمى وجمع إليها كتبها لا تحصى . وقرب إليه العلماء وبالغ في الحفاوة بهم . ذاق العرب في الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يجد القرينة ويصقل الذهن . وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الأمم كلها مجتمعة . أما في العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئاً من الأسلوب الذي توخوه في المباحث . وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الأوروبيين . لأنهم كانوا يحققون أن الأسلوب النظري العقلي لا يؤدي إلى التقدم ، وأن الأمل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها . من هنا كانت شعار أبحاثهم الأسلوب التجريبي والدستور العلمي الحسى .

هذا هو الذى قاد العرب إلى أن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء . والمستكشفين لعدة آلات للتقطير والتصفية والإسالة (إسالة الجوامد) والتصفية الخ الخ . . . وهذا عينه أيضاً هو الذى جعلهم يستعملون في أبحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة .

والاسطرلابات (آلات لقياس أبعاد الكواكب) وهو أيضاً الذى دعاهم لاستخدام الميزان في العلوم الكيميائية . وكانوا على علم عميق بنظريته . وهو الذى هداهم لعمل الجداول للأوزان النوعية للأجسام ، والأزياج الفلكية (هى جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التى كانت في بغداد وقرطبة وسمرقند . وهو أيضاً الذى أوجد لهم هذا الترقى الباهر في الهندسة وحساب المثلثات ، وهو أيضاً الذى هم بهم لاكتشاف علم الجبر . ودعاهم لاستعمال الأرقام الهندية .

ولقد دأبوا على جمع الكتب بطريقة منتظمة لأجل أن يتوصلوا إلى تكوين المكتبات التى تكلمت عنها آنفاً « إلى أن قال : « ولقد اشتملت مكتبة خلفاء الأندلس على ستمائة ألف مجلد . وغير هذه فقد كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة ، وكثير من المكتبات الخاصة .

ولقد كتبوا في كل فن وفي كل علم كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والإبل . كل هذه المؤلفات كانت تنشر بدون رقابة ولا حجر . وما يعلم من المراقبة على الكتب اللاهوتية فقد حدث بعد هذا التاريخ .

وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لأن تتخذ مادة كثيرة جداً في

الجغرافيا والإحصاءات والطب والتاريخ وقوانين اللغة ، وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد بن عباد ، وكان للعرب ذوق دقيق فى صنع الورق النظيف الناصع البياض وفى إعطاء المـدـاد الألوان المختلفة ، وفى زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الألوان المختلفة من المـدـاد ، والإبداع فى تنسيقها وتذهيبها على صور شتى .

وكان الملك الإسلامى حافلا بالمدارس والمكتبات ، وكانت بلاد المغول والتتار وصرا كش والأندلس حاصلة على عدد عديد منها ، وكان فى طرف من أطراف تلك المملكة الواسعة التى فاقت المملكة الرومانية كثيرا مرصد فى سمرقند لرصد الكواكب ، وكان يقابله من الطرف الآخر مرصد جيراك فى الأندلس .

ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رفقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم » ، ثم قال الأستاذ ديرير :

« اهتم الفلكيون من العرب أيضا بتحسين آلات الإرساد وتذهيبها ، وبحساب الأزمنة بالساعات المختلفة الأشكال والساعات المائية ، والسطوح المدرجة الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول (الرصاص) لهذا الغرض .

أما فى العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء وبعض محلاتها الشهيرة كحمض الكبريتيك وحمض النتريك والكحول » .

واستخدم العرب علم الكيمياء فى الطب ، لأنهم أول من أوجدوا علم تحضير العلاجات ، والأقربازينات ، واستخراج الجواهر المعدنية .

أما فى علم الميكانيكا فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الأجسام ، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة .

أما فى الإيدروستاتيك (وهو علم توازن السوائل والضغط الذى تحدثه على أوجيتها) فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لضروب الأوزان النوعية ، وكتبوا أبحاثا عن الأجسام السابجة والغائصة تحت الماء .

أما فى نظريات الضوء والإبصار فقد غيروا رأى اليونانى الذى كان مؤداه أن الإبصار يحصل بوصول شعاع من البصر إلى الجسم المرئى وقالوا عكس ذلك : أى أن

الإبصار يحصل بوصول شعاع من المرمى إلى العين ، وكانوا يصفون نظريات انعكاس الأشعة وانكسارها ، وقد اكتشف الحسن الشكل المنحني الذي يأخذه الشعاع في سيره في الجو ، وأثبت بذلك أننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهر حقيقة في الأفق ، وكذلك نراها في الغرب بعد أن يغيبا بقليل .

إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا التقدم الباهر الذي نالته الصنائع في عصرهم فقد أفادت منها فنون الزراعة في أساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وسن النظم الزراعية الحكيمة ، وإدخال زراعة الأرز والسكر والبن إلى بلادهم ، وقد انتشرت لديهم المعامل والصنائع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن ، وكانوا يذيبون المعادن ويجرون في عملها على ما هذبوه وحسنوه في صنعها وسبكها ، وإننا لندهش حين نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من ثمرات العلم في هذا العصر .

ثم بين الأستاذ (دريبر) كيف دخل علم المسلمين إلى أوروبا ، وكان سببا في نهضتها ومدنيتهما الراهنة . فقال :

« سلك العرب إلى أوروبا المسلك نفسه الذي سلكته أدبياتهم إليها ، وذلك أنه انهمر عليها من طريقين : جنوب فرنسا من جهة الأندلس ، وطريق جزيرة صقلية (سيبيليا) ، ومما ساعد على انتشاره في أوروبا اعتزال البابوات (في مدينة أفنيون) والتفرق العظيم الذي كان موجودا في المسيحية إذ ذاك . فلهذا السبب تمكن العلم العربي من ترسيخ قدميه في جنوب إيطاليا . »

ثم قال :

« وبرسوخ قدمى العلم في جنوب إيطاليا امتد رواق سلطانه على جميع البلاد الإيطالية ، وساعد على انتشاره وتكثير أنصاره هنالك زيادة عدد الجمعيات العلمية ، وكان ذلك على مثال ما وجد في غرناطة وقرطبة تحت سلطان العرب » - انتهى ما نقلناه عن العلامة (دريبر) .

بعد إيراد هذه الفذالة التاريخية عن مؤلف كبير من علماء الفرنجة ، نقول : إن هذه الحركة العلمية العالمية اضطلع بها رجال بذلوا حياتهم في سبيل إبلاغها إلى ما بلغت إليه ، حتى أصبحت الأمة الإسلامية فذة من هذه الناحية بين جميع الأمم .

نعم لأنها تناولت العلم عمن سبقها فى الوجود كاليونانيين والرومانيين والكلدانيين والهنود ولكنها هى أول من جمع بين جميع هذه المعارف على شسوع بلاد أهلها ، وقامت بتوحيدها ، والتأليف بينها . ولم تكثف بذلك بل زادت مادتها من ثمرات جهاد أبنائها ، بعد أن جردتها من طوابعها الخاصة المبنية على الظنون والخيالات . وجعلتها معارف تطبيقية على حاجات الحياة . كما فعل العلم الغربى اليوم بعد تجرده منذ القرن السادس عشر من بقايا الآراء الظنية تحت ضوء الدستور العلمى ، فكان أثره فى ترقية الحياة ظاهرا ، وتغلبه على الخيالات المذهبية باهرا .

أليس الرجال الذين اضطلعوا باحداث هذه النهضة الثقافية العالمية يستحقون منا — وقد بنوا لنا هذا الصرح الباذخ من المجد — أن نتدارس حقيقة حياتهم وأن نحال ضرور مؤلفاتهم لتقف على عوامل النهوض فى ثنايا آرائهم وأحناء وجهاتهم ؟

إن الرجال الذين يعتبرهم العلم الرسمى اليوم — كما تبين مما نقلناه عن العلامة (دربير) — أول الواضعين لعلم الكيمياء ، وأنهم المحترعون لعدد يذكر من أدواتها ، والمستخدمو الميزان فى أعمالها ، والمحدثو الترقيات البعيدة المدى فى تقدير الأوزان النوعية للأجسام وعمل الأزياج الفلكية ، وفى الهندسة وحساب المثلثات ، والمؤسسون لعلم تحضير العلاجات الخ... قلنا : إن الرجال الذين يعتبرهم العلم الرسمى اليوم الموجدون لكل هذه المعارف والوسائل ، معناه أنهم قد أحدثوا ثورة علمية عالمية عم يمتها العالم الإنسانى فى مشارق الأرض ومغاربها ولم يتسن مثلها لأمة قبلها .

نعم إن اليونانيين الذين نقلوا العلم عن المصريين قد قاموا بنصيب كبير فى بناء أسس صرحه العظيم ، ولكنهم بعد فتح الإسكندر المقدونى لبلادهم وإضاعتهم استقلالهم وقفوا منه عند حد محدود . ولما وقعوا تحت نير الرومانيين أصاب أمتهم العقم فلم تنجب ما كانت تنجبه من العلماء المختارين . وقويت شوكة رجال الدين فأودت بأهيات المؤلفات العلمية والفلسفية إلى ظلمات المكتبات ترتع فيها الحشرات وتستعمل صحفها للتغليف والحريق ، حتى جاء العرب الفاتحون فجعلوا همهم استخراج تلك المؤلفات وترجمتها ، واقتباس أحسن ما فيها ، وتدريسه ونشره فى الخافقين . ولو لاهم لافى الإهمال على أثر البقية الباقية من تلك المؤلفات ، ولما وجد الأوروبيون من يأخذ بيدهم إلى الترقى حين جاء دور بعثهم من لدن القرن الخامس عشر م

الأمير فهد الصباح في زيارة شيخ الأزهر

استقبل صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر سمو الأمير فهد السالم الصباح وزير الصحة والمواصلات والأشغال بالكويت وضيف مصر الكبير ورفقته السيد صلاح الشاهد تشریفاتی ریاسة الجمهورية .

وكان في استقبال سموه أصحاب الفضيلة السكرتير العام للأزهر وشيخ الكليات ومديرو الوعظ والعفتيش والامتحانات وأعضاء هيئة كبار العلماء وأساتذة الكليات والمعاهد وكبار موظفي الإدارة العامة للجامع الأزهر .

وقد عانق سمو الأمير فضيلة شيخ الأزهر عند وصوله إلى مكتبه ورحب به فضيلته وحياء وجرى الحديث بينهما حول العلاقات السكریمة التي تربط الكويت ومصر برابط الدين والعروبة والأخوة والمحبة ، ثم ألقى فضيلة مدير التفيتش كلمة ترحيب كما ألقى فضيلة مدير الوعظ كلمة مناسبة في هذا المقام باسم علماء الأزهر .

وقد رد سمو الأمير فهد بكلمة عليه وقال : « إنني أحبي الأزهر وأشكره جهوده في العلم والدين وفضله على العروبة واللغة فهو منار الدين وقبلة الأنظار واليه تتجه الملايين في أنحاء العالم ليتزودوا من علمه وينهلوا من ثقافته ، وطلب من السادة العلماء ألا يدنحروا وسعا في نصيح المسلمين والعمل على ما من شأنه أن يقوى الروابط بينهم » .

كما شكر سمو الأمير باسم الكويت للأزهر جهوده وخدماته للكويت بإرسال العلماء والأساتذة وقبول أبناء الكويت في معاهده وكلياته .

واختتم الأمير كلمته بأنه يعاهد الله أن يكون هو وأمراء الكويت وشعبها في خدمة مصر والعروبة ، وأنهى سموه كلمته بأن يحفظ الله الرئيس جمال عبد الناصر ويقيه ذخرا لمصر والعروبة ، وعاملا قويا في سبيل توحيد كلمة العرب في شتى البقاع .

وفي نهاية الزيارة أهدى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى الضيف الكريم « المصحف الشريف » فتقبله سمو الأمير باغنياط ثم ودع سموه بمثل ما استقبل به من الحفاوة والتكريم .

فى ذكرى المدوان الثلاثى :

رسالة الى شهيد . . . !

فى فترة من الهدوء النسبى الذى يتخلل المعارك أحيانا ، شاهدت مؤخرة بندقية تعود لأسلحتنا ، قد انطبعت عليها بالدماء الغالية صورة كف لشهيد مجيد ، فأخذت بهذا المشهد وأوحى إلىّ بتسطير رسالة إلى صاحبها الناعم بجوار ربه فى جنات الخلود . . . ! ولا عجب فى التحدث إلى شهيد : فالله سبحانه وتعالى يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله » . ورسالتى فى معناها ليست قاصرة على هذا الشهيد ، فإنا هو إلامن لأبطالنا ، الذين ضربوا أجل المثل فى الشجاعة والتضحية ، حين التقوا بعدو غادر فى معركة غير متكافئة ، فلم يهنوا ولم يتخاذلوا ، بل قاتلوا بصدق ، فمنهم من قضى نحبه . . . ! ومنهم من عاد وعلى رأسه إلكيل الفار . ليكشف عن قصص مثيرة تشهد بلحيشنا الباسل بالمجد والفداء ، وشاهدة بالجن والحدة على الأعداء . فحق على فى ذكرى النصر العظيم الذى هو ثمرة كفاح الأبرار من أبناء مصر أن أذكر أخدم . . . !

سلام عليك أيها الشهيد ، فى يوم النصر على الأعداء . . . !

ويوم فرض علينا القتال ، فأبليت أحسن البلاء . . . !

ويوم جدت بالروح على الأرض التى باركها الله من سيناء . . . !

سلام عليك يوم تبعت فى الخالدين . . . !

لقد دلتنى عليك رسالتك الخالدة ، التى هى على تضحيك شاهدة ، ووقفت أنا ومن رآها معى حياها حيارى ، وأمام عظمتها مشدوهين . . . ! كيف لا ؟ وقد كتبتها ، للوطن بدمائك ، فأتت عظيمة هائلة كوفائك ، تملأ النفس رهبة وجلالا ، وتؤكد الثقة فى عنصر شعبنا الأمين . . . !

بدت كلماتها ناطقة في سلاحك ، الذى تمثلك وقد احتضنته لزود به العدو الغادر
عن أرض أجدادك ، وجبن عدوك فلم يجرؤ على مواجهتك ، بل استعان عليك بشياطينه
فأسرعوا يحومون حولك ، وهم يزجرون ... ؟

وكثرتهم لم تفت في عضدك بل وقفت ثابتا شاخا ، تقاثل بعزم وبأس ،
معتزا بسلاحك ولا تفكر أبدا في التخلي عنه ، وكنتما حقا في صدق الود سواء فلم تتفرقا
إلا وأنتما أشلاء ... ! وبقيت مؤخرته لتحكى قصة تفانيك في السكفاح وقد سجل عليها
بذكى دمالك رسم ليدك ، وكأنك تشد بها على يد السلاح الحبيب قبل الرحيل مودعا ... !

وتأملت مليا تلك الصورة المؤثرة ، فرأيتها عن أسنى آيات الجهاد معبرة ، فأيقنت
بنصر الله لنا على القوى الغاشمة الغادرة ... !

فسلام عليك يا من جدت بالروح على أرض الصحراء ، فى بقعة ما ، يباركها الله
من سيناء ، سلام عليك مع النبيين والصديقين والصالحين ،
إبراهيم محمد الأصيل

ذكرى الاعتداء الثلاثى

أرسل السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى السيد الرئيس
جمال عبد الناصر البرقية التالية بمناسبة ذكرى الاعتداء الثلاثى على مصر :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر

حق على كل محب للحرية ومخلص لدعوة السلام أن يحمد مواقفكم مواقف الحزم والبطولة
والتضحية وأن يحيى مصر التى انتصرت فى مثل هذه الأيام على قوى البغى والعدوان .

وإنه ليطيب لى أن أهنيكم وأهنئ مصر بحكمة قيادتكم ، وأسأل الله أن يحفظكم
ويديم لكم جميل رعايته وتوفيقه ، وأن يحفظ بلادنا وسائر بلاد العرب والإسلام من
شور الفتن والمؤامرات وأن يؤلف بين قلوب القادة والزعماء ويجمع كلمتهم على الحق
والعمل لإقرار الأمن والسلام .

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

القاهرة فى } ٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٧
} ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٧

القمر الصنّاعى

ضيف الكواكب فى السماء طف حولها واغز الفضاء
واذكر لنا ماذا رأيت من الحفاوة واللقاء
وابعث إشارات تنم عن الخبايا فى الهواء
فى كل آن قدرة لله تظهر ما يشاء

* * *

أرسلت تنجر عن عوا لم فى العلا بين الخفاء
حارت عقول الخلق فيها ذلك .. لغر أم غباء ؟
ومراصد الأجواء تاهت وانثنت نحو الوراء
وتوقف الرادار عجزا عن تحركه ، وباء
يا من وصلت الأرض بالنجم المعلق فى السماء
أنذير حرب جئت تشمل نارها دون انطفاء ؟
أم أنت نور للسلا م طلعت فوق الأبرياء

* * *

خير لهذا الكون أن يحيا وليس به اعتداء
والأمن رفرف فوقه ونأى عن الكون البلاء
يارب أنت بنا الرحيم فمن سواك لذا العناء
عدت بالقلم الرفيع الخافيات ، بلا مرء
سبعان خالق كل شىء من تفرد بالبقاء
إن الصواريخ التى انطلقت تؤذن بالفناء
هى فى الحقيقة قدرة والله يخلق ما يشاء

عنى مهدي هداهد

سكرتير معهد الزقازيق الدينى

الكتب

تفسير الطبري

الجزء العاشر — ٦٣٤ ص — دار المعارف بمصر (مؤسسة المطبوعات الحديثة)
يبدأ هذا الجزء بالقول في تفسير الآية السادسة من سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة » ، ويتهى بالآية الرابعة والتسعين من تلك السورة : « ليعلم الله من يخافه بالغيب » . وفي هذا الجزء من الآثار ١٢٤٣ أثرا من رقم ١١٣٠٠ إلى ١٢٥٤٣ ، وقد نبه الفاضل المحقق الضليع الأستاذ محمود محمد شاكر في تصدير هذا الجزء إلى ما كان أشار إليه في تصدير الجزء الرابع من أنه شارك أخاه العلامة الأستاذ أحمد شاكر في بيان حال رجال الآثار ، وخرج ما اتفق منها . ثم كثر ذلك حتى صار يوقع باسمه في ذيل بعض التعليقات ، ولكنه منذ الجزء التاسع قد انفرد بالعمل كله ، فخرج عامة أحاديث التاسع والعاشر ، لأن الأعباء العلمية الكثيرة التي يقوم بها أخوه الأكبر شغلته عن مواصلة المراجعة وتخريج الأحاديث في تفسير الطبري . وقد بلغ عدد الأعلام الذين ترجم لهم في التعليق على هذا الجزء قريبا من أربع مائة ، وفيها من التحقيق والنقد ما يجعلها في قيمة كتاب مستقل . ومثل ذلك التحقيقات اللغوية ، والمصطلحات ، ومباحث العربية والنحو ، ومسائل الرد على الفرق ، ولكل من هذه الأنواع فهرس واف محيط بها ، وذلك غير فهرس الآيات التي استدل بها في غير مواضعها من التفسير ، وغير فهرس التفسير نفسه وما اشتمل عليه من نصوص وتحقيقات ومسائل رئيسية هي المقصود الأول من هذا الكتاب الذي لم يخدم كتاب الله بمثل ما خدمه به الإمام أبو جعفر محمد جرير الطبري ، ولم يخدم كتاب الطبري بمثل ما خدمه به الأستاذ محمود محمد شاكر .

كتاب التمهيد - للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني

نشره الأئمة رشيد مكارثي — ٤٤٠ ص — المكتبة الشرقية ببيروت

كان الأستاذان الفاضلان محمود محمد الحصري ومحمد عبد الهادي أبو ريذة قد نشرنا قبل

عشر سنوات كتاب (التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة والخوارج والمعتزلة)
 للإمام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، واعتمدا في نشره على مخطوطة دار الكتب الأهلية
 بباريس (مجموعة شفر رقم ٦٠٩٠ عربي) وكانا يعلمان أن للكتاب مخطوطتين أخريين
 في القسطنطينية إحداهما في مكتبة جامع أياصوفيا ٢٢٠١ والأخرى بمكتبة مصطفى عاطف
 أفندي لكن تعذر عليهما الاستعانة بهما في ذلك الحين . ولما كانت نسخة باريس ناقصة ،
 فقد تمكن الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي من تصوير مخطوطتي القسطنطينية وأكمل
 منهما الفصول الناقصة في مخطوطة باريس وعارض هذه الفصول الثلاثة في إخراج مطبوعته
 الجديدة لهذا الكتاب النفيس من مؤلفات القاضي الباقلاني ، وهو في أربعين بابا أولها في العلم
 وأقسامه وطرقه ، والثاني في المعلومات والموجودات ، والثالث في وجود الله وصفاته ،
 والرابع في القائلين بفعل الطباع ، والخامس في المنجمين ، والسادس في الثنوية ، والسابع في
 المجوس ، والثامن في النصراني ، والتاسع في البراهمة ، والعاشر في إثبات النبوة المحمدية والرد
 على من أنكروها ، والحادي عشر في إعجاز القرآن ، والثاني عشر إلى الخامس عشر في توابع
 الكلام على اليهود والنصارى ، والسادس عشر في المجسمة ، ثم أبواب الصفات والأسماء
 ونفى خلق القرآن ، ووجوب رؤية الله في الآخرة ، وأبواب أخرى في نقض مذاهب
 المعتزلة والقدرية والكلام في التعديل والتجوير ، والياب السادس والثلاثون في معنى
 الدين ، والسابع والثلاثون في الإيمان والإسلام والأسماء والأحكام ، والثامن والثلاثون
 في الوعد والوعيد ، والتاسع والثلاثون في الخصوص والعموم ، والأربعون في الشفاعة ،
 يليه ملحق في الإمامة وأقسام الخبر وإثبات التواتر ومعنى خبر الواحد .

وقد قام الناشر بتحقيق المعارضة بين المخطوطات بمجهود عظيم يشكر عليه ، وصدر
 الكتاب بمقدمة وفهرس للأبواب وما يتفرع عنها ، وألحق به فهرسا للآيات القرآنية
 المستشهد بها ، وفهرسا للأحاديث ، وثالثا للشعر ، ورابعا للأعلام ، وخامسا للفرق
 والمذاهب ، وسادسا للاصطلاحات والكلمات (وهو أطول الفهارس) ، وقد ذكر في
 عنوان الكتاب أنه من منشورات جامعة الحكمة في بغداد .

جواب أهل العلم والإيمان

لشيخ الإسلام ابن تيمية - ١٢٧ ص - المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة
 الاسم الكامل لهذا الكتاب (جواب أهل العلم والإيمان ، بتحقيق ما أخبر به

رسول الرحمن ، من أن « قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن) وهو من أنفس مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأشرفها ، بين فيه حكمة الله في تفاضل بعض السور والآيات ، مع أنها كلها من كلام الله عز وجل ، واستطرد فيه إلى دقائق من علوم اللغة وأسرار العربية ، وبيان مذاهب العلماء فيما اختلفوا فيه من مسائل أصول الدين ، والانتصار لمذهب السلف رضى الله عنهم ومنها صفة الكلام ، وفيه من حقائق التفسير ولطائف البحث ما لا يحده القارئ في كتاب غيره . ويرجع الفضل الأول في نشر هذا الكتاب لعلامة العراق السيد محمود شكرى الألوسى رحمه الله ، فقد عثر قبل نحو نصف قرن على مخطوطة منه ببغداد فنقلها بخطه وطبعت في القاهرة سنة ١٣٢٢م ثم أعيد طبعها سنة ١٣٢٥ . وقام الآن بتجديد طبعها السيد محمد الصالح وكيل وزارة الدفاع والطيران السعودى ، وتولى تصحيحها رئيس تحرير هذه المجلة ، مع الدلالة على مواضع ما ورد فيها من الآيات بتسمية سورها وتعيين أرقام آياتها . وألحق بها فهرس مفصل لجميع المطالب التي اشتمل عليها الكتاب .

حياة الشيخ عيسى منون

للاستاذين يوسف عبد الرزاق ومحمد عيسى منون - ١٢٢ ص

كان الشيخ عيسى منون رحمه الله (١٣٠٦ - ١٣٧٦) ركنا من أركان جماعة كبار العلماء ولجنة الفتوى بالأزهر وعميدا لكلية الشريعة وأصول الدين ومن أعلام الفقهاء في هذا العصر ، بدأ دراسته في الأزهر سنة ١٣٢٢ هـ ، وبعد انتسابه للأزهر بخمس سنوات دخلت الأنظمة الحديثة هذا المعهد الإسلامى القديم وجعلت مدة الدراسة فيه اثني عشر عاما ، فاستطاع هذا الطالب النجيب أن يتخطى السنين بكفاءته وتحصيله وقبل بالامتحان في التاسعة الدراسية ثم حصل على درجة العالمية من الدرجة الأولى في وقت قصير سنة ١٣٢٩ هـ (سنة ١٩١٢ م) واختير في تلك السنة مدرسا في الأزهر . وما زال يتدرج في مناصب التدريس إلى أن نال سنة ١٩٣٩ عضوية جماعة كبار العلماء بكتابه النفيس (نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الأصول) . وحياته كلها حافلة بخدمة العلم الإسلامى من بداية السلم إلى أعلى درجاته .

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا عن حياته ألفه صاحب الفضيلة الشيخ يوسف عبد الرزاق الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين ، ونجل الفقيه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عيسى منون المدرس بالأزهر . وفيه عن حياة الفقيه وما قيل فيه لمناسبة وفاته كل ما يهم القراء الاطلاع عليه .

الأدب والعلوم

التعليم الابتدائي بمصر

الصادرة منه على موجتين قصيرتين طول
إحدهما ١٥ مترا وقوتها ٢٠/٠٠٥ ميغاسيكل
وطول الأخرى ٧ أمتار ونصف وقوتها
٢ ١٠/٠ ميغاسيكل، ويمكن سماع الإشارة
كل ثلاثة أعشار الثانية على كل من الموجتين
وتشدد قوة هذه الإشارات بعد كل ٩٥ دقيقة
أى بعد المدة التى يستغرقها الكوكب فى
إتمام دورته حول الكرة الأرضية، وصوت
إشاراته يشبه الصوت الذى يصدر عن نطق
كلمات « ييب . . ييب . . ييب » ،
ونكتب هذا بعد نحو ثلاثة أسابيع من
انطلاقه ، وهو لا يزال يدرر حول الأرض
يتقدمه على مسافة بعيدة الصاروخ الذى
استخدم فى إطلاقه ، وقد أتمنا حوالى
ثلاثمائة دورة .

قال وزير التربية والتعليم فى جلسة
٣ أكتوبر لمجلس الأمة : ان المدارس
الابتدائية قبات منذ عام ١٩٥٣ إلى الآن
٨٠٠ ألف تلميذ ، أى بزيادة ٦٠ ٪. عمن
كانوا يقبلون فى المدارس قبل الثورة ،
وأصبح عدد تلاميذ الابتدائى الآن مليونين
ومائة ألف تلميذ ، وتبذل الحكومة جهدها
فى حدود الميزانية لإنشاء أكبر عدد من
المدارس لتتيح فرصة التعليم لأكثر عدد من
المواطنين تدريجا ، وقال : إن ما وصلنا
إليه اليوم وصلت إليه دول أخرى فى مئات
السنين ، مع أنها كانت متمتعة باستقلالها .

القمر الصناعى

وقد قدر العلماء البريطانيون ما أنفقه
الروس فى البحوث الخاصة بإطلاق القمر
الصناعى بحوالى خمسة آلاف مليون جنيه
أنفقت فى خمس سنوات ، أما نفقات صنع
القمر نفسه فتتراوح بين ٦ ملايين و ١٠ ملايين
من الجنيهات .

هدية لمرصد حلوان

صرح الأستاذ ديفارى وكيل البعثة الفلكية

أطلقت روسيا قمرًا صناعيًا فى مساء
٤ أكتوبر فأخذ يدرر حول الأرض بسرعة
١٨ ألف ميل فى الساعة وارتفاع فلاكه
٥٦٠ ميلا، وهو بحجم كرة قطرها ٢٢ بوصة،
وزنه ١٨٤ رطلا، وفيه جهاز إرسال قوى
للإشارات يمكن لهواة اللاسلكى التقاطها،
وهو يدور حول الأرض مرة كل ساعة
و ٣٥ دقيقة ، ويمكن سماع الإشارات

آلاف القراء... إن بعض الناس يحسب أن كثرة المترددين دليل النجاح.. ولكنى أرى العكس . وما الفائدة إذا كان ثلاثة أرباع القراء من هواة الروايات البوليسية ، وطلبة يبحثون عن سندباد والقراءة الرشيدة ؟

تشجيع البحوث التطبيقية

قرر المجلس الأعلى للعلوم برئاسة وزير التربية والتعليم منح مكافآت مالية لكل باحث مصرى يتقدم ببحث علمى يثبت نجاحه فى التطبيق العملى فى مجال الصناعة والإنتاج ، والهدف من هذه المكافآت تشجيع البحوث التطبيقية التى تستخدم الأهداف الحيوية .

ووضع المجلس خطة لمراقبة الصبية والشباب الذين توجد عندهم مكات علمية فى مراحلهم التعليمية الأولى ، فيتمهدهم الأسانذة المختصون بالرعاية والتوجيه .

وأقيم المعرض الأول للعلوم فى مصر ليكون بمثابة تجربة لإنشاء متحف دائم للعلوم الغرض منه تكوين الروح العلمية الأصيلة منذ الطفولة وخلال فترة الشباب ، وسيضم المتحف نماذج حية عالة لكل صناعة وكل جهاز ، ويلحق به ورش عملية وهيئات علمية لمراقبة الصغار وتسجيل اهتمامهم العلمى الذى يبدو منهم فى أثناء اتصالهم بهذا الوسط العلمى فى مظاهره التطبيقية .

التي زارت مصر أخيرا بأن البعثة أهدت جميع الأجهزة التى أحضرتها معها لمركز حلوان ، وقال : ان هذه الأجهزة ليس لها مثيل إلا فى روسيا وأمريكا وإنجلترا .

العربية فى جامع بلغراد

تقرر تدريس اللغة العربية فى جامعة بلغراد عاصمة يوغوسلافيا ، وقد اتفقت مصر ويوغوسلافيا على تبادل أسانذة الجامعات والطلبة والوفود العلمية والفنية . ومن المعلوم أن للعربية - فى ظل الإسلام - وطنا واسع الآفاق فى يوغوسلافيا وذلك فى مقاطعتى البوسنة والهرسك العامتين بمئات الألوف من الاخوان المحمدين ، وكذلك بعض البلاد الألبانية الداخلة فى حدود يوغوسلافيا . وفى البوسنة والهرسك عشرات من العلماء المسلمين الذين تلقوا ثقافتهم وعلومهم فى البلاد الإسلامية ولاسيما مصر وأزهرها المعمور ، بل إن فى بعض معاهد الأزهر من بلغ كراسى التدريس فيه من إخواننا مسلمى يوغوسلافيا .

المترددون على دار الكتب

قيل للأستاذ محمد حسين مدير دار الكتب المصرية : تدل إحصائيات الدار أن عدد المترددين عليها فى ازدياد مستمر ، فهل تعتبر ذلك نجاحا للدار ؟

فأجاب المدير : أنا لا يعنينى إقبال

إنباء العالم الإسلامي

العرب يدخلون العالم الكبير

قال شكري القوتلي صباح يوم ١٠ ربيع الأول عند افتتاحه مهرجان القطن في حلب : « إننا نعد أنفسنا لدخول العالم الكبير في ظروف دولية حرجة يحكم فيها الاستعمار حصاره الاقتصادي السياسي ضد سمعتنا وقوميتنا ومصالحنا الاقتصادية ، لأننا أخذنا نتحرر من قيوده . وفي الوقت نفسه ينبغي لنا أن نواجه الخطر الآتي من إسرائيل صنيعة الاستعمار . ولتعلموا - حق العلم أننا في هذه المعركة التي ساقنا المستعمرون لخوضها في شتى الجهات لن نعيد عما عزمنا عليه وسددنا جهودنا نحوه . وإننا نأبى أن نعيش على الصدقات في تعاملنا مع أية دولة ، ولن نغنى للحصول على المعونات الرخيصة والمساعدات المشبوهة . ومهما تسكن الصعاب التي تواجهنا ، ومهما يكن للحصار الذي يضرب حولنا من أثر في توجيه الحياة العامة ، فإننا نعلم أبدا أن أعظم منابع الثروة في هذا الوطن الحر هو سيادته » .

خروشتشيف يتحدث عن العرب

قال الزعيم الروسي خروشتشيف في حديث

له مع جيمس رستون نائب رئيس تحرير جريدة (نيو يورك تيمس) : ليس في سوريا جندي روسي واحد . والعرب عامة أبعد ما يكونون عن الشيوعية . وأنا أملك الأدلة القاطعة على أن دالاس بعث هندرسون ليحرض العراق والأردن على مهاجمة سوريا ، ثم جعل هندرسون يركز جهوده على تحريض تركيا ، وأن تركيا كانت على استعداد لتستجيب . انني أطلب من دالاس أن يقسم بالله أنه لم يفعل ذلك . وعلى تركيا أن تعلم أنها إذا صوبت مدافعها إلى سوريا فسوف تنهال على رأسها الصواريخ الروسية . إننا نستطيع أن نسحق تركيا تماما في أقل من يوم واحد . وقال خروشتشيف : إنه والرئيس جمال عبد الناصر يتعاونان بكل بساطة ضد كل أنواع الاستعمار ، بما في ذلك الاستعمار الأمريكي ، وإن هذا التعاون هو المعاشية السامية عند تطبيقها من الناحية العالمية . وقال في معرض الدلالة على أن العرب أبعد الأمم عن الشيوعية : إن الرئيس جمال عبد الناصر نفسه يودع الشيوعيين المصريين السجن .

وقال أيضا : إن تركيا بنقلها بعض قواتها قرب الحدود السورية تترك جزءا من

المدفعية فيها حوالى ١٠٠ مدفع أوتوماتيكي ومئات من قطع الأسلحة المضادة للدبابات وحوالى ٦٠ أو ٧٠ نفثة من طراز مبيج ، ومقادير كبيرة من مدافع المورتار والذخيرة وغيرها من أنواع العتاد الحربى ، و ٦ من زوارق الطوربيد ، وغواصتين . وتتضمن الشحنات المستقبلة حوالى ٥٠ طائرة مبيج النفثة وبعض السفن الحربية الصغيرة والدبابات وسيارات النقل الحربى .

ويعتقد الخبراء العسكريون أن هذه الشحنات من الأسلحة المتعددة الأنواع والتي ينتظر أن يتم تسليمها قبل الربع القادم تعد ضخمة جدا بالنسبة لمستوى التسليح فى الشرق الأوسط .

تبرع أمير الكويت لبورسعيد

كان فى زيارة مصر فى هذا الشهر الأمير فهد السالم الصباح شقيق حاكم الكويت ، وقد كان موضع الاجلال والإكرام فى جميع الأوساط المصرية . وعند زيارته لبورسعيد أعلن تبرعه بمبلغ مائة ألف جنيه باسم شقيقه الأمير عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت وباسمه واسم حرمه التى كانت معه فى هذه الزيارة لمصر ، وقد اختار أن يكون هذا المبالغ لمشروع إسكان الصيادين فى بورسعيد . وتقديرا من بورسعيد لهذه الأريحية العربية الكريمة قرر مجلسها البلدى اعتبار الأمير فهد والأميرة قرينته مواطنين فخريين فى بورسعيد

حدودها معنا بلا قوات ، والواجب يقضى بأن لا تفعل ذلك لأنها دولة ضعيفة ، ولن تحتل أكثر من يوم واحد إذا نشبت حرب .

وقال : إن المشكلة فى الشرق الأوسط هى أن أمريكا تعطى نفسها دور رجل البوليس الدولى فى تلك المنطقة ، فى الوقت الذى بدأ الاستعمار القديم ينهار . فعندما يحصل شعب من شعوب الشرق الأوسط على حريته تبادر أمريكا إلى محاولة سلب ذلك الشعب تلك الحرية . وهذا عمل معيب !

وقال : إن روسيا أرسلت حقيقة شحنات من الأسلحة إلى سوريا ، ولكنهم لم تقم بأية أعمال استفزازية فى سوريا . على أنه إذا كانت سوريا تريد أن تساعد روسيا فى الحرب ، فإن روسيا على استعداد لتقديم هذه المساعدة .

أسرار تسليم سوريا

قالت الدوائر الدبلوماسية فى لندن : إن صفقة الأسلحة التى عقدتها سوريا مع روسيا تقدر بحوالى ٢٤٠ مليون دولار . والمعتقد أن ثلثى هذه الكمية قد سلم فعلا إلى سوريا على شكل أسلحة من مختلف الأنواع من المدافع إلى الطائرات . ومن المنتظر أن يشحن الباقي إلى سوريا خلال الأشهر القادمة وقد تسلمت سوريا حتى الآن ١٢٠ دبابة من طراز (ت ٢٤) و ٣٥٠ قطعة من

شكوى سوريا للأمم المتحدة

عقدت اللجنة التوجيهية التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة اجتماعاً في قاعة مجلس الأمن مساء ١٨ أكتوبر للبحث في إدراج الشكوى المقدمة من سوريا عن (الخطر الذي يهدد سلامتها والسلام العالمي بمنطقة الحدود السورية التركية، وكان صلاح البيطار وزير خارجية سوريا أول المتكلمين فقال : إن تركيا وغيرها قامت بنشاط ضد سوريا من تصرفات ودعاية إلى أعمال استفزازية بحشود عسكرية على الحدود ، ويبدو أن ذلك جزء من خطة عامة موضوعة لتعريض سلامة سوريا واستقلالها السياسي للخطر مما ينذر باشتعال نيران حرب عالمية ، وقد لجأت سوريا إلى الأمم المتحدة بعد أن استنفدت جميع الوسائل الدبلوماسية في محاولة تسوية مشكلة الحدود مع تركيا ، وبعد أن استمعت لجنة الأمم المتحدة إلى شكوى وزير خارجية سوريا ووزير خارجية روسيا ومنذوب تركيا قررت باجماع الآراء تحويل الأزمة إلى جلسة سرية للجمعية العامة للأمم المتحدة .

قوات مصرية في سوريا

استناداً لاتفاقية الدفاع المشترك بين جمهوريتي سوريا ومصر ، وتنفيذا للخطة المشتركة التي تقررت في المؤتمرات التي

عقدت في القاهرة في ١١ سبتمبر سنة ١٩٥٧ بين القائد العام للقوات المسلحة والمشاركة والقائد العام للجيش والقوى المسلحة السورية باشرت القوات المسلحة المصرية بإيفاد عناصر أساسية إلى سوريا منذ منتصف سبتمبر من أجل ندهيم قوات سوريا وتعزيز إمكانياتها الدفاعية . وفي الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم ١٣ أكتوبر وصلت إلى ميناء اللاذقية القوات المصرية في حراسة القطع البحرية المصرية والقوات الجوية للدولتين ، وقامت قطع الأسطول المصري بزيارة رسمية للميناء السوري كان لها وقع عظيم في سوريا كلها حكومة وشعباً . وستتخذ سوريا ذلك اليوم عيداً قومياً لأنه الحادث العمل الأول في وضع الأساس للاتحاد القومي العربي المرجو قيامه كاملاً في أقرب فرصة إن شاء الله .

في المؤتمر الآسيوي الإفريقي

استقبات القاهرة حتى الآن ممثل إحدى وعشرين دولة من إفريقيا وآسيا ، انعقد منهم مؤتمر تمثلت فيه حركة التحرير التي يشدها ويجاهد في سبيلها شعوب صممت على مكافحة الاستعمار وتغيير سير التاريخ عما كان رسمه له طواغيت الغرب من ثلاثمائة سنة إلى الآن .

وقد اختير السيد أنور السادات لرئاسة اللجنة التحضيرية لهذا المؤتمر .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بقة
٢٨٩	دولة قماونية وأمة متعاونة	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٢٩٥	نفعات القرآن : سلامة الأمة في تدينها . . .	» عبداللطيف السبيعي عضو جماعة كبار العلماء
٢٩٩	السنة : الوصاء بكتاب الله عز وجل	» طه محمد الساكت
٣٠٣	بيان من مشيخة الأزهر	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٣٠٦	من خواطر الساعة	الأستاذ أبو الوفا المرأغي
٣١٠	مؤامرات ضد الاسلام	» أحمد الشرباصي للمدرس بالأزهر . . .
٣١٦	الفئة السادسة والروحية	الدكتور محمد محمد أبو شعبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٣٢٠	حصوننا مهددة من داخلها	» محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي
		بجامعة الاسكندرية
٣٢٧	اليهود في بلادنا العربية	الأستاذ عباس طه
٣٣١	لغويات	» محمد علي النجار
٣٣٤	القمر الصناعي	» عبد الله المرأغي
٣٣٧	كلمات إسلامية خالدة	» محمد الطنيجي عضو جماعة كبار العلماء
٣٤٠	أم المؤمنين حفصة بنت عمر	» محمود النواوي
٣٤٧	محنة اللغة العربية في الجزائر	» علي العماري
٣٥١	مصادر الشريعة الإسلامية « المصالح	» زكي الدين شعبان الأستاذ المساعد بكلية
	المرسلة « ١١ —	حقوق عين شمس
٣٥٤	أضواء على التاريخ الاسلامي	» فتحى عثمان
٣٦٢	تورة الهند الهامة على الانجيز	» عبد المنعم النمر مبعوث الأزهر والمؤتمر
		الاسلامي في الهند
٣٦٧	أثر التراث الاسلامي في حضارة العرب . . .	» عبد الحميد سامي بيومي
٣٧٢	الأمير فهمد الصباح في زيارة شيخ الأزهر . .	
٣٧٣	في ذكرى المدون الثلاثي : رسالة إلى شهيد	» ابراهيم محمد الأصيل سكرتير التحرير
٣٧٥	القمر الصناعي : « قصيدة »	» حنفي محمد هداهد
٣٧٦	الكتب	المجلة
٣٧٩	الأدب والعلوم	»
٣٨١	العالم الاسلامي	»

بسم التحرير	
محب الدين الخطيب	
الاشترار السنوي	
في وادي النيل	٤٠٠
لطلبة وادي النيل	٤٠٠
للعلماء والمدرسين بالوادي	٣٠٠
خارج الوادي	٥٠٠
لطلبة خارج الوادي	٣٠٠
للعلماء والمدرسين خارج الوادي	٤٠٠

مجلة الأزهر
بمكتبة شريعة جامعة
تصدر من شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تاسفون ٤٦٢١٤

الجزء الخامس - القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٧ - ٢٣ نوفمبر ١٩٥٧ - المجلد التاسع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إيماننا

قال : جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه :

« كننا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة
(أى فى إيمان شبابنا وقوتنا) ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم
القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً » .
سنن ابن ماجه

الباب ٩ من المقدمة (الحديث ٦١)

ونحن لما طغى علينا الغرب بثقافته وأسايب تعليمه ، وقعت فى يدى - وأنا فى مرحلة
التعليم الابتدائى - رسالة باللغة التركية ، أصلها من تأليف الحكيم الفرنسى فولنى
C . F. Volney (١٧٥٧ - ١٨٢٠) عن شريعة الفطرة Loi naturelle ومبادئ الأخلاق
الإنسانية العامة التى ينبغى لجميع أمم الأرض أن تشترك فى احترام أهلها وأن تنافسهم
فى العمل بها . ف وقعت تلك الرسالة من نفسى وأنا فى تلك السن موقع الاستحسان .
ثم كنت كلما تقدمت بى السن ، وازددت معرفة بالإيمان الإسلامى ، ازدادت يقيناً بأنه
هو شريعة الفطرة وقانونها الذى ينبغى لأبناء الإنسانية جميعاً أن يؤمنوا به ، وأن يحترموا

من يؤمن به ، وأن يروا أن من يؤمن به لا شك أنه على الحق في إيمانه ، وفيما يوجهه إليه هذا الإيمان .

ما هو الإيمان الفطرى الذى يطالبنا الإسلام بأن نؤمن به ؟

الإسلام يطالب الواحد منا بأن يعتقد أن الله حق ، وأن هذه الكائنات فى عظمتها ودقة أنظمتها ، وبدائع صنعها ، وما فيها من سرّ الحياة والحركة والجاذبية ، إنما هى من صنع الله وحده لا شريك له . وأن محمداً (صلوات الله وسلامه عليه) كان صادقاً فى الرسالة التى حملها من ربه إلى الإنسانية كلها ، والتى وافق بها رسالات الله السابقة وأيدها فى أصولها المشتركة ، ودعا إلى الإيمان بأصحابها توحيداً للإنسانية حول أتم رسالات الله وأكملها . ثم نصير إلى يوم يجازى فيه المحسن بإحسانه والمسيء بأساءته .

ويترب على الإيمان بالله وصدق الرسالة المحمدية ، أن نؤمن بصحة كل ما يطالبنا الإسلام بالإيمان بصحته من الأوامر والتوجيهات التى وردت فى كتاب الله ، والأوامر والتوجيهات التى صح صدورها عن حامل أكل رسالاته ، فإذا اعتقدنا صحتها وسرنا فى طريقها نحو أهدافها كننا مؤمنين .

وهنا نتساءل : ما هى هذه الأوامر والتوجيهات التى طالبنا القرآن بأن نؤمن بها ، وصح عن رسول الله أنه دعا إليها ووجه أمته إلى إقامتها والعمل بها وانطواء العزائم على تحقيقها ؟

فى حديث عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة من صحيحى البخارى ومسلم وأمهات كتب الحديث (واللفظ لمسلم فى كتاب الإيمان ، الباب ١٢ ، الحديث ٥٨) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

فالإيمان بوحداية الله أعلى شعب الإيمان ، والحياء شعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، وأدنى شعب الإيمان إماطة الأذى - كل أذى - عن طريق الناس ، والناس الذين من أدنى شعب إيمان المسلم أن يميّط الأذى عن طريقهم هم كل الناس بلا استثناء .

والحياء الذى عده رسول الله صلوات الله عليه شعبة من شعب الإيمان فى الحديث السابق ، قد تكررت الأحاديث المحمدية فى كونه من الإيمان ، منها حديث سالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه (فى صحيح البخارى ، الباب ١٦ من كتاب الإيمان) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعه ، فإن الحياء من الإيمان » .

وهذا الحياء المضروب به المثل فى الحديث ، شعبة من ستين أو سبعين شعبة من أمثاله ، وكلها من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، ولذلك كانت من شعب الإيمان به ، فالصدق من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، والإيمان به والعمل بهذا الإيمان شعبة من شعب الإيمان الإسلامى . والتعاون على الخير من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، فالإيمان به والعمل بهذا الإيمان شعبة أخرى من شعب الإيمان الإسلامى . والعدل من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، فالإيمان به ، والعمل بهذا الإيمان شعبة ثالثة من شعب الإيمان الإسلامى . والإحسان ، أعنى الإحسان فى المواساة ، والإحسان فيما يتولاه الإنسان من شئونه وشئون الناس ، والإحسان فى اختيار أفضل ما ينوى أحدا الجنوح إليه من أمور ، هذا الإحسان فى كل شىء هو من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، وخطباء المنابر الإسلامية يذكرون المسلمين فى كل جمعة بأن الله يأمر بالعدل والإحسان ، فالإيمان بالإحسان والعمل بهذا الإيمان شعبة مهمة من شعب الإيمان الإسلامى . وبر الوالدين ، والتراحم بين الناس ولا سيما بين ذوى القربى ، والتناصح فيما بين الأمة والحكومة ثم فيما بين أفراد الأمة خاصتهم وعامتهم ، كل هذا من صميم أوامر الإسلام وتوجيهاته ، ولذلك كان من صميم الإيمان الإسلامى . والأمانة ، هذه الشعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، أو شاء المسلم أن يكتب فى موقف الإسلام منها مجلدات لضاق به مجال القول ، وليست الأمانة قاصرة على ما يكون للناس تحت يدك من مال أو غيره ، بل أخلاقك أنت أمانة لله تحت يدك ، والإسلام يطالبك بأن تحفظ هذه الأمانة بما يوافق لإيمانك الذى ينبغى أن يكون أعز شىء عليك . ونقودك الزائدة عن نفقاتك المعتدلة هى كذلك أمانة لله تحت يدك . وصحتك من أمانات الله عندك فى نظامك الإسلامى . وأولادك ، وأهل بيتك ، من أعظم أمانات الله التى ستحاسب عليها باعتبار أنها شعبة من شعب هذا الإيمان الإسلامى . والوظيفة التى تتولاها للدولة ، والعمل الذى تتقاضى أجره ممن يستعين بك فى مؤسسته أو أعماله ، كل هذا من أمانات الله الداخلة فى إيمانك الإسلامى . ولعلك تذكر قول الله

سبحانه عن الأمانة وخطورة أمرها أن الله عرضها على السموات والأرض والجبال فأبينها وحملها الإنسان ، ولو عاش الإنسان عمره كله وهو يفكر في كل دقيقة من دقائقه بما يجب عليه لأمانات الله التي تحت يده لفاته من ذلك شيء كثير . والاقتصاد في كل الأمور - ولا سيما فيما يمكن الاستغناء عنه من كماليات وزينة وزخرف - يعد من صميم أوامر الله وتوجيهاته ، حتى إن الرجل وهو يتوضأ للصلاة من ماء النيل في مجراه الأعظم ينبغي له أن لا يسرف في الماء ، لا خوفاً على ماء النيل الأعظم من أن ينقص إذا أسرف المتوضئ فيما يستعمله من مائه ، بل خوفاً على أخلاق المسلم أن تنزلق في الإسراف والتبذير المنهى عنهما في توجيهات الإسلام . فهذا الاقتصاد من صميم أوامر الإسلام ، والإيمان به والعمل بهذا الإيمان شعبة مهمة من شعب الإيمان الإسلامي . والطاعة لنظام الحكم في الأوطان الإسلامية من أوامر الإسلام وتوجيهاته فيما لا معصية فيه لله ، والإيمان به والعمل بهذا الإيمان شعبة كبرى من شعب الإيمان الإسلامي . وتبادل الحبة والرحمة والمواساة بين أفراد الأمة - ولا سيما بين المتعالمين والمتجاورين - من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، وفي الباب السابع من كتاب الإيمان في صحيح البخاري والباب السابع عشر من كتاب الإيمان في صحيح مسلم (الحديث ٧٢) والباب التاسع من مقدمة سنن ابن ماجه (الحديث ٦٦) عن قتادة بن دعامة السدوسي يحدث عن أنس بن مالك خادم رسول الله أنه صلوات الله عليه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه - أو قال : لحاره - ما يحب لنفسه » . وفي كتاب الإيمان من صحيح مسلم (الباب ٢٢ الحديث ٩٣) ومقدمة سنن ابن ماجه (الحديث ٦٨) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » . وفي كتاب الإيمان من صحيح مسلم (الباب ١٩ ، الحديث ٧٥) عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت » . وفي الباب الحادى عشر من كتاب الإيمان في صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت الخزرجي رضى الله عنه - وكان شهيد بدرًا ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ، ثم هو أمير ربع المدد في الجيش الذي حمل دعوة الإسلام إلى مصر وكان من أسباب عروبتهاد دخولها في الإسلام - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصاية من أصحابه : « يا معشر بني لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا بهتاناً تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب

من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله : إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه » . قال عبادة بن الصامت : فبايعناه على ذلك .

وقد استقصى أئمة الإسلام وأعلامه هذه الأوامر والتوجيهات التي تتألف من مجموعها شعب الإيمان الإسلامي ، وألفوا فيها وفي نصوصها الكتب الجليلة ، ومنها كتاب (شعب الإيمان) للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨) . ومن تتبع هذا الموضوع وأطال النظر فيه وعنى بدراسته يتبين له أن الإيمان الإسلامي كما يتناول الإيمان بالغيب (ومنه أسماء الله وصفاته والإيمان بها وإصرارها كما وردت بلا تمثيل ولا تعطيل ، والإيمان باليوم الآخر ، والملائكة بلا زيادة ولا نقص) ، فإنه يتناول كذلك العبادات وما يلزم لها ، ونظام الدولة والمجتمع الإسلامي وما تتوفر له به أسباب القوة والطمأنينة والسعادة ، ويتناول بعد ذلك وقبل ذلك نفس المسلم وما يكون به تطهيرها وتكميلها والسمو بها إلى أعلى مراتب النزاهة والتبذل والعفة والنشاط والإقدام والعمل النافع .

وقد تتبعت جميع شعب الإيمان الإسلامي فوجدتها كلها ترجع إلى أصلين أصليين : الحق ، والخير . بل إن الإسلام نفسه (دين الحق) ما كان منه وما يكون ، وبذلك سماه الله في سورة التوبة (الآية ٣٣) وسورة الفتح (٢٨) وسورة الصف (٩) ، وستظل الإنسانية محتاجة إلى هذا الدين ما احترمت الحق والتزمته وأقامت على أساسه عقودها ومعاملاتها وأحكامها وعلومها وتفكيرها .

إيماننا الإسلامي كالشجرة العظمى التي تنشعب عروقها وأغصانها عشرات وعشرات إلى ستين أو سبعين ، والمسلم الكامل هو الذي يحرص على التحلي بجميع شعب الإيمان فيما استطاع ، وكان الرعيل الأول من أعلام الإسلام الذين تتلمذوا لرسول الله وتشرفوا بمبايعته على الحق والخير يقول (صلوات الله عليه) لكل واحد منهم ، إذا بايعه على السمع والطاعة لأوامر الإسلام وتوجيهاته كلها : « فيما استطعت ، والنصح لكل مسلم » كما صح عنه في كتاب الإيمان من صحيح مسلم (الباب ٢٣ ، الحديث ٩٩) عن الشعبي من حديث جرير .

وقد وصف الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الإيمان الإسلامي في صدر كتاب الإيمان من صحيحه بأنه « قول وعمل ، ويزيد وينقص » ، وإنما كان يزيد

وينقص بمقدار ما يتحلى به المسلم من شعب الإيمان قلة أو كثرة وقوة أو ضعفًا ، وقد استدل البخارى على زيادة الإيمان ونقصه بآيات كثيرة منها الآية ١٧ من سورة محمد « والذين اهتدوا زادهم هدى وآثارهم تقواهم » ، والآية ٢ من سورة الأنفال « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا » والآية ٢٢ من سورة الأحزاب « وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا » ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن عدى : إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسدًا ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان . فان أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص . ثم عاد البخارى فى الباب ٣٣ من كتاب الإيمان فى صحيحه فقال « باب زيادة الإيمان ونقصانه وقول الله تعالى « وزدناهم هدى » ، « ويزداد الذين آمنوا إيمانًا » وقال « اليوم أكملت لكم دينكم » فإذا ترك شيئًا من الكمال فهو ناقص » . وعن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أن رجلا من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين ، آية فى كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا ، قال عمر : أى آية ؟ قال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا » . قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة (أى فاتفق أن اليوم التالى لنزولها هو يوم العيد الأكبر للمسلمين إلى يوم القيامة)

واستدل البخارى فى الباب ١٨ من كتاب الإيمان على أن العمل به من شرط الإيمان به فقال : « باب من قال : إن الإيمان هو العمل ، لقول الله تعالى : وتلك الجنة التى أورشتموها بما كنتم تعملون » .

وكما أن للإيمان شعبا فان للكفر شعبا كذلك . وكما أن رأس الإيمان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فان الكفر بها رأس الكفر . فهذه الخمسة هى مناط الدخول فى الملة والخروج منها ، ثم الإخلال بشعبة من شعب الإيمان الأخرى تنشأ عنه شعبة من شعب الكفر ، وإن كان ذلك لا يبلغ أن يخرج به المؤمن عن الملة . مثال ذلك ما رواه البخارى فى الباب ٢١ من كتاب الإيمان عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « أريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان . لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيرا قط » . فهذا من النساء كفر بالإحسان والإحسان شعبة من شعب الإيمان ، فالكفر به كفر بشعبة من شعب الإيمان ،

لكنها ليست من أركانها التي هي مناط الدخول في الملة والخروج منها . وهكذا سائر شعب الإيمان التي أحصاها أعلام الأئمة ، وهي كلها داخلة في مدلول الحق والخير .

إن الإسلام رسالة السعادة والسيادة للإنسانية ، لكن المسلمين في مظهرهم العام وتطور مجتمعاتهم عطلوا العمل بشعب إيمانهم تخفيت على الناس ، ولو عرفتها الإنسانية لعرفت أنها هي ضالتها التي تنشد لها ، وكم من حكيم من حكام الغرب مثل جيته وغيره تساءلوا حين عرفوا شيئاً عن الإسلام : أليس هذا هو الذي نشده ولا نجده ؟ لكن إهمال الدول الإسلامية في مئات السنين الأخيرة تربية شعوبها بأداب هذا الدين ، وإحياء عناصر الإيمان الإسلامي ، قد جعل المسلمين حجاباً بين الدنيا والإسلام فلم تر جماله . ولو عرف فولني Volney الإيمان الإسلامي كما عرفته أنا بعد قراءتي رسائله عن شريعة الفطرة Loi naturelle لعرف أن الإيمان الإسلامي فوق كل ما كان يأمل ، وأنبل من كل ما كان يتصور . فهل آن لنا أن نرجع إلى إيماننا ! ؟

حُب المدين الخطيب

الحكام ومسئولية التعليم في الأوطان الإسلامية

كتب صاحب السمو الشيخ علي بن عبد الله الثاني حاكم قطر ، إلى مدير المعارف في بلاده الرسالة الآتية :

يا مدير المعارف :

إن اختيار المعلمين في ذمتك ، وأنا أريد أن أخبرك بما عندي - أنت ورئيس المعارف - حتى أتخلص من المسؤولية وأحاججكم عليها بين يدي الله تعالى .

نحن لا نزيد معلماً يحضر إلى هذه البلاد ومعه زيغ في العقيدة ، أو استهتار في الأخلاق ، أو إهمال في فرائض الدين .

إن أبناءنا هم أغلى شيء عندنا ، فاستوصوا بهم ، واجتهدوا غاية الاجتهاد لمصالحتهم . وإن بقاءهم على الفطرة أفضل من تعليم يجرهم للفساد والإلحاد . وحسبي الله ونعم الوكيل .

علي بن عبد الله الثاني

حاكم قطر

نَفَايِصُ الْقُرْآنِ

— ٥٥ —

الاعراض عن الحق من أسباب المحن الشديدة والدعاء إلى الله وسيلة لدفع البلاء

« ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم
بالبأساء والضراء ، لعلمهم يتضرعون » .

١ — من مفهوم الإيمان ، ومما تتم به العقيدة أن دعوة الأنبياء في كل عصر من عصورها كانت حقا وخيرا للأفراد وللأُمم .

ومن بدائه المعرفة أن عقولا سابقة مستها نفحة من هداية الله ، فاستجابت للدعوة ، وأسلمت وجهها إلى الله ، واطمأنت معها القلوب ، وعاشت في ظلال الحق ، حتى لقيت ربها على وفاء بمعهده ، وفوز برضوانه .

وكذلك من بدائه المعرفة أن عقولا أخرى — وهى الكثرة — تمكن منها الغباء والتعنّت ، وجنحت إلى كسر لو طلب منها أن تجترحه لكان نشاطها فيه دون النشاط الذى دفعها إليه جهلها ، وجرودها على تقاليد أسلافها ، وانقيادها لنزغات الشياطين . وقد نفذ الله سنته فى المخالفين فأخذهم — بعد الإمهال — بأنواع من عذابه يكون جزاء لهم وعبرة لمن بعدهم .

٢ — والآية التى معنا تفيد أن بعض المكذبين لرسولهم نزلت بهم الشدائد القاسية قبل أن يأخذهم الله بعذابه المأحق إذ ابتلاهم بالبأساء ، والضراء : تبصيرا لهم بسوء حالهم ، وتوجيها لهم نحو اتخاذ مسلك سوى مسلكهم الخاطئ الذى هم عليه — والبأساء : ضيق العيش ، وقلق الخاطر ، والحروب ، والمكاره التى لا يستطيعون العيش معها . والضراء : علل وأمراض تبدد نشاطهم الدنيوى ، وتزبدتهم نقصا جسمانيا فوق نقصهم المعيشى الذى أصبحوا فيه .

٣ — وكان مفروضا فيهم وقد تغيرت بهم الحال ، أن يلوذوا بالرجاء إلى الله ليكشف عنهم ما هم فيه ، إذ الحدير بالعاقل أن يزدجر بالبلاء السيئ ، وأن يتجه بالضراعة نحو من أنزله ، فهو القادر على تفريجه ، وتغيير الحال إلى خير منه .

كان مفروضاً أن يثبت في مداركهم وعي ، وأن يجيش في أنفسهم أمل ، وأن يتداركوا أمرهم بالتقرب إلى الله ، ويطمعوا في تجاوزه عنهم ، ورعايته لهم .

والله تعالى يحب من عبده أن يكون دائماً في رحابه ، وتحت فيضه ورحمته ، وفي ملتصق هدايته ، .. ومن أجل ذلك كان من سنته تعالى أن يبين لنا الرشد من الغي ، ودعانا إلى ناحية ، ونهانا عن أخرى وما جهلت أمة من الأمم أن هذه توجيهات الرسل ، ومقصد التشريع ، ولكن : لم يكن من تلك الأمم امثال ، ولم تأخذ بالرجاء ، بل أساءت أولاً وأخيراً ، ولم تأخذ من شدائد عبثها لحاضرها ، ومستقبلها ، ... والله تعالى يلومهم على ذلك أيضاً ، كما يلومهم على سابق تخلفهم ويقول فيهم : (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا !!) يعني لم يتضرعوا إليه حين جاءهم بأسه ، وفي ذلك تنديد وتأسيف لهم على ما فوتوا : من فرصة الرجوع إليه .

وفي هذا إشعار لهم بأن الله لم يغلق في وجوههم بابه لو عادوا إلى جانبه : سبحانه ولكنهم أعرضوا عن جانبه ولم يتجهوا إليه كما هو الشأن فيمن اشتدت به الضائقة ، وفيهم يقول تعالى : (ولكن : قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) ومع ما في هذا من تشنيع عليهم ، وتنديم لهم ، ففيه العبرة لغيرهم ، وفيه تمهيد لسبيل الاهتداء وفيه تشخيص للعاقبة السيئة التي انحدر إليها أولئك ، بسبب تقصيرهم ، وسوء اختيارهم لأنفسهم ، حتى يتجنبها ذو العقل ممن بعدهم .

٤ - وبعد هذا الموقف منهم ، ونسيانهم العظة مما حاق بهم ، ربه الله عنهم ثانياً ، وغمرهم بما كانوا يتمنون ، وليس هذا تكريماً لهم ، ولكن ، استدراج ، ومكرهم ، وإقامة للحجة عليهم وكشف عن خباياهم ، ليتبين لهم ما انطوت عليه طباعهم ، وليتبين للناس من بعد : أن الله لم يظلمهم فيما فعل بهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم ، فأخذهم بذنوبهم تحقيقاً لعدله فيهم .

وفي هذا يقول عز شأنه :

(فلما نسوا ما ذكروا به - من البأساء والضراء - فتحنا عليهم أبواب كل شيء - من الخير - حتى إذا فرحوا بما أوتوا ، أخذناهم بغتة ، فأذاهم مبلسون) أخذهم بغتة وهم في أمان ، وأهلكهم وهم في بسطة وسعة وسلطان « فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين » ، وهكذا انتهى أمرهم لإعراضهم عن الحق بعد أن تبين لهم .

هـ - فان يكن في شأن هذه الأنعم شيء من عجب ، حيث لم يستقيموا على النعمة - أولا - ولا على العظة بالبأساء والضراء - ثانيا - ولا على تجدد النعمة والترف لهم ثالثا ، ولم تكن فيهم صلاحية للحياة الدنيا ، حتى طهر الله منهم أرضه ، وقطع دابرهم منها : فان العجب لا يزال عالقا بالناس حتى اليوم ، لأن الشبه قائم فيهم إذ لا تقبل على الخير إلا في تكلف ، ولا تكف عن الشر إلا مخافة الناس ، ورياء لهم .

وكأننا لا نثق في توجيهه الله ، فنحن خفاف إلى المعصية ، ثقال عن الطاعة ، حتى إذا أصابنا المكروه وجدت فينا شبرا بمن لم يردعهم المكروه ، وشبرا بمن يدعون ربهم عندما يمسهم الضر ، فإذا كشف الضر عنهم نسوا ما كانوا فيه : وابتدءوا يحاربون الله من جديد ... يفهم الواحد منا أنه مسلم حقا ، فإذا استوعبت حاله وجدته في غير ناحية الإسلام ، وبعيدا عنها بعدا يكاد يقطع صلته بدينه ، فالناس متجهون اتجاهها مزعجا إلى المسادية وإن كانت ملوثة بالمحارم ، والناس - إلا قليلا منهم - مقاطعون لربهم ، لا يسجدون له ، ولا يدعونه ، ولا يخشون بأسه في سر ، ولا جهرا ، وأصبحت ترى نفسك في مجتمع غير مطبوع بطابع الإسلام اللائق بالمسلمين ومجدد لهم الأول ، وقد أتعب المصالحون أنفسهم كثيرا في الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية : كريمة في تقاليدها ، ومظاهرها وحياتها من كل ناحية .

ولكن الموجات الزاحفة تجد أنصارا كثيرين ممن لم تكن لهم نشأة في أحضان الإسلام ، أو قريبا من ظلاله .

وهذه الموجات تعترض الغيورين ، وتكلفهم جهودا مضنية وتطيل عليهم السبيل . ولولا أن الله - سبحانه - تفضل على محمد خاتم رسله - صلى الله عليه وسلم - بإمهال الأمة التي بعث إلى دعوتها - وهم الناس جميعا منذ رسالته - لكان نصيبها من عدل الله في معاملتها أشبه بنصيب من حدثنا عنهم القرآن الكريم ، وإن لله قدرا لا يتخلف مواعده ، وقضاء لا مرد له ، وهو ذو رحمة واسعة وذو عذاب أليم .

ونرجو أن يكون عملنا في الدنيا مبرورا ، وعفو الله عنا شاملا ، حتى لا نتعثر بعد

فيما نخشى من جزاء ما

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الوصية

الوصية بكتاب الله عز وجل

- ٢ -

الوصية في صدر الإسلام - ميراث الأنبياء - خصومة
الزهراء للصديق - أجمع الوصايا خيرا وبرا - الوصية بالصحابة
حق على الأئمة والعامة - أين مكاننا من القرآن؟! إنذار!!

عن طاححة بن مصرف قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى : هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا ، قلت : فلم كتب على المسلمين الوصية ؟ ! أو فلم أمروا بالوصية ؟ ! قال : أوصى بكتاب الله عز وجل .
(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم [*])

كانت الوصية حقا مفروضا للوالدين والأقربين في صدر الإسلام ، على كل من ترك مالا ، وذلك قوله جل سلطانه : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين » . فلما نزلت آيات الفرائض نسخت الوصية للوارثين ، وأضحت الموارث المقدره فريضة . من الله يأخذها أهلها من غير وصية ولا منة ، وخطب صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال : إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث .

وصارت الوصية بشيء من المال لغير الوارثين قربة من القرب المندوبة لمن كان ذا فضل وسعة ، وأعظم النبي صلى الله عليه وسلم شأنها حتى كاد يلحقها بالحقوق الواجبة ، فقال فيما رواه

(*) في كتاب الوصية ، وقد اخترنا في الجزء الماضي لفظ البخارى في كتاب الوصايا ، وبيننا أنه رواه في موضعين آخرين : في مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ، وفي فضائل القرآن ... والمناسبات في المواطن الثلاثة واضحة .

الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما : ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه ، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده .

* * *

لا جرم أن الوصية إنما تكون فيما يصح أن يورث ، والأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم لم يورثوا مالا ، وكل ما تركوه فأنما هو صدقة محبوسة على الأمة ، شأنها شأن الوقف المحبس ، وإنما أورثوا النبوة والعلم والهدى والحكمة ، ومن ذلك قول الله جل ثناؤه : « وورث سليمان داود » . وقوله سبحانه حكاية عن نبيه زكريا عليه السلام : « فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب » . وجاءت فاطمة إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقالت : من يرثك ؟ قال : أهلي وولدي . قالت : فما لي لا أرث أبي ؟ قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ولكني أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله ، وأنفق على من كان ينفق عليه ؛ وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر ياتهما من ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يطلبان أرضيهما من فذلك (١) وسههما من خير ، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه إلا صنعته ، فهجرت فاطمة رضوان الله عليها فلم تكلمه حتى ماتت ! وهذا أحد الأدلة التي لا تحصى على صلابة أبي بكر رضي الله عنه وشدة في دين الله عز وجل ، مع بلوغه الغاية التي لا مطمع وراءها في حب النبي صلى الله عليه وسلم وابنته وآل بيته ، وافتدائه إياهم بماله ونفسه ، وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا أوصى بشيء ؛ وروى البخاري عنها قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في يتي شيء ؟ يا كله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فبكته ففنى (٢) .

(١) بفتحيتين : قرية بخير ، على ثلاث مراحل من المدينة ، وكانت حبسا لأبناء السبيل ، وأما خير فكانت ثلاثة أجزاء : جزأين بين المسلمين ، وجزء نفقة أهله ، فما فضل منهم جعله بين فقراء المهاجرين .

(٢) روى الإمام أحمد والطبراني عن أبي الدرداء ، مرفوعا : كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه . فلعلها رضي الله عنها نسيت التسمية عند الكيل فنزعت بركة الطعام ، وللتسمية سر عظيم على رغم أنف الجاحدين ، أولعها كالتله لجرد الاختبار ذاهلة عن فضيلة الامتنال ، والعلم عند الله تعالى .

لعل هذه الأدلة الواضحة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يترك مالا يوصى فيه - وهى قليل من كثير - ترجح ما اقتصرنا عليه فى الجزء السابق من أن طلحة سأل عن الوصية المزعومة: وصيته صلى الله عليه وسلم بالخلافة... ولا مانع أن يريد الوصية بالمال، ويؤيد ذلك تعجبه من عدم وصيته به صلى الله عليه وسلم مع أمر الله ورسوله بها! وأيا ما كان المسئول عنه من خلافة أو مال، فقد نفاه ابن أبى أوفى رضى الله عنه نفيا باتا من غير تردد و«أو» التى بين الاستفهامين، للشك من الراوى عن طلحة: هل قال: فلم كتب على المسلمين الوصية؟ أو قال: فلم أمروا بالوصية؟ وهى من الأدلة القائمة على أمانة الرواة وتحريهم فى نقل الحديث، مما لم يعهد فى غير الأمة المحمدية.

* * *

ولما عجب طلحة من عدم وصيته صلى الله عليه وسلم بمال أو خلافة، مع أنه أولى الناس بالوصية، أجابه ابن أبى أوفى بأن الوصية لم تفتحه صلى الله عليه وسلم فهو أولى الناس بالخير، وأسبقهم إليه، وأحرصهم عليه، فليطب نفسا، وليطمئن فؤادا، وليعلم أن هناك وصية أوصى بها، هى أجمع الوصايا خيرا، وأعظمها ذخرا وبرا، هى الوصاة. بكتاب الله عز وجل: تعلموا وتعلوا، وفهما وتفهما، ودرسا ونشرا، ومهما تسكن من وصية فى خير فانها مقتبسة منه أو متصلة به نصا أو استنباطا، وهذا هو سر اقتصاره على الإجابة بهذه الوصية الجامعة الشافية، وإلا فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة وما ملكت أيمانكم، وأوصى بالمهاجرين والأنصار وأوصى بأصحابه خيرا، وقال: لا تسبوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه... ولم يعرف تاريخ الخليفة - ولن يعرف - من يدانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كرم صحبته، ومحافظته على أصحابه ووصيته بهم.

وأوصى بسنته والمحافظة عليها فقال: ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. والأريكة: السرير، وفى هذا الأسلوب أبلغ رد على هؤلاء الغواة الحمقى الذين يزعمون أنهم استغنوا بكتاب الله عن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما هو إلا الضلال والخبث، والكتاب العزيز نفسه يرد عليهم حماقتهم وضلاتهم إذ يقول: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» والحق أن هؤلاء يكيدون

للاسلام بطرح شطره الثاني، طمعا في أن يسهل عليهم طرح شطره الأول: « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

* * *

لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، وكان ذلك يوم الخميس [١] أوصى أصحابه بثلاث : أن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأن يجيزوا الوفد بنحو ما كان يجيزهم به ، قال الراوى عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو سعيد بن جبير : ونسيت الثالثة [٢] فقليل هى الوصية بالقرآن ، وقيل هى تجهيز جيش أسامة ، وقيل هى نهيه أن يتخذ قبره وثنا . وكل هذه الوصايا فى جملة ما تفصيلها منطوق فى كتاب الله تعالى .

* * *

وأحاديث الوصاة بالكتاب العزيز والعناية به ، من الشهرة والمعرفة بمكان عظيم ، ومن أشهرها - ولعل ابن أبى أوفى رضى الله عنهما يشير إليه فى إجابته - ما وراء مالك فى موطنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تركت فىكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

ألا إن حقا مفروضا على كل من يؤمن بالله وكتابه أن يكون له سهم - بقدر وسعه - فى المحافظة على القرآن الكريم والعناية به والدعوة إليه ، ونشره فى بقاع الأرض ، فإن لم يكن ذلك لإيمانه بالكتاب وحق الكتاب العزيز عليه ، فليكن لفضل القرآن ورحمته وإنقاذه ، فإن حياة العالم رهن بهذا الكتاب الذى لولاه لذهب الإسلام والمسلمون إلى غير رجعة كما قلنا فى الجزء الماضى ، ولذهب على أثرهما من فى الأرض جميعا .

فلينظر المسلمون أئمة وعامة أين مكانهم من القرآن ؟ وأين مكان القرآن منهم ؟ قبل أن يشكوه المصادق المصدق إلى ربه ، كما شكوا المشركين إليه من قبل فقال : « يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا » .

طه محمد الساكنت

-
- (١) الثامن والعشرين من شهر صفر ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين الذى يليه ، ثانى ربيع الأول تمام عشر سنين من الهجرة .
- (٢) نرجو أن نشرح هذا الحديث بتوفيق الله تعالى فى فرصة قريبة .

من مشكلات المجتمع :

بين الأستاذ والتلميذ

هذه الحياة كالنهر الجارى المتدفق الموصول التيار، كل موجة من موجاته تمهد الطريق لموجة تليها وتقبل بعدها ، والناس فيهم السابق واللاحق ، ومنهم الأسلاف والأخلاف ، وقد جرت سنة الحياة بأن يأخذ المتقدم بيد المتأخر ، وأن يعلم الصغير ، ويرشد الأستاذ التلميذ ، ولولا أن العالم يعلم الجاهل ، وأن المهتمدى يرشد الضال لما استقام أمر هذه الحياة !!! . . .

ومن هنا كان التعليم بمعناه العام الواسع أشرف عمل فى هذا الوجود ، فالله عز وجل هو « المعلم الأول » للخلائق ، وهو القائل فى كتابه : « الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان » وهو الذى يقول لنبيه : « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » فذكر الله التعليم منسوباً إليه فى معرض الامتنان بالفضل العظيم ، والتعليم هو وظيفة الأنبياء السامية ، ومجد إمامهم وخاتمهم يقول : « إنما بعثت معلما » وروى أنه صلات الله عليه دخل المسجد وفيه مجلسان : مجلس تعليم ، ومجلس دعاء ، فقال : « كلا المجلسين إلى خير ، أما هؤلاء فيدعون الله ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل ، هؤلاء أفضل ، بالتعليم أرسلت » ! . ثم قعد معهم ! ! .

وأتباع المسيح عليه السلام يجعلون من أوائل ألقابه التى ينعتونه بها لقب « المعلم » ! . وأفضل المراتب فى الإسلام أن يعلم المرء علما ، ويعمل به ، ويعلمه غيره ، « ولأن يهتدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » ! وشوق يشير إلى هذه المنزلة السامية التى يحتلها التعليم والتعلم فيقول :

سبحانك اللهم خير معلم	علمت بالقلم القرون الأولى
أخرجت هذا العقل من ظلماته	وهديته النور المبين سبيلا
وطبعته بيد المعلم ، تارة	صدى الحديد ، وتارة مصقولا

أرسلت بالتوراة موسى مرشدا وابن البتول فعلم الإنجيل
وبخرت ينبوع البيان مجدا فسقى الحديث، وناول التنزيلا
ولقد كانت العلاقة بين المعلم والمتعلم قائمة على الحب والوفاء، والتكريم والتوقير،
فالمعلم والد يؤدب بالحسنى ويهذب بالحكمة ويقسو حينما تجب القسوة، ولا تكنها قسوة
من يريد الخير لابنه وتلميذه :

فقسا ليزدجروا ، ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم
والمعلم ابن مطيع خاضع بار، يرى في إجلاله لأستاذه مظهرا من مظاهر الأدب وحسن
الخلق، وكان التلميذ يعتبر نفسه عجيبة في يد أستاذه المحب له الحريص عليه البصير به، فهو
يشكلها ويصوغها حسبما يرى فيه الخير ويعتقد فيه الصلاح. وعلى التلميذ أن يسمع ويستجيب .

وكان الطالب يحافظ على وفائه لأستاذه حتى بعد تخرجه، أو انقطاعه عن حلقة الدرس
أو بلوغه مرتبة ملحوظة في الحياة، فهو يظل يذكر مدرسه بالخير، وهو يحتفل لقدمه
ولقائه، ويجل محضره ومجلسه، ولا ينسى سابق فضله، وهو يتأدب أمامه ويستحي منه
وهو يزوره ويتودد إليه، والمدرس من جهته يظل على صلته بتلميذه، ولو نزل معترك
الحياة، وهو يواصل توجيهه وإرشاده حسب طاقته وإمكانه، وهو يتبع خطواته في
المجتمع، ويفرح لتفوقه ونجاحه ...

هذه العلاقة كانت إلى عهد قريب، ولو رجعنا إلى عهد أبعد، وذهبنا نستنق
تاريخنا الإسلامي لوجدناه عاطرا بقصص الوفاء والحب المتبادل بين المعلمين والمتعلمين،
ملينا بمواقف التلاميذ للامانة والمربين ...

فهذا هو الخليفة المأمون يحضر المعلم النحوى الشيخ « الفراء » ليعلم ولديه علوم العربية
وذات يوم أراد الفراء أن يقوم من درسه، فقسا بق الولدان الأميران إلى حدائمه، ليقدماه
إليه، وتنازعا على ذلك لحظة، ثم اتفقا على أن يحمل كل منهما من الحداء واحدة !! ...

وعلم الخليفة الوالد بالقصة، فتأثر منها وأعجب بها، والتقى بالفراء فسأله : من أعز
الناس ؟ فأجاب الفراء : لا أعرف أحدا أعز من أمير المؤمنين . فقال المأمون : بل أعز
الناس من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله إليه وليا عهد المسلمين، حتى يرضى كل واحد
منهما أن يقدم له فردا ! ... فقال الفراء : يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعهما من ذلك،
ولكنني خشيت أن أدفعهما عن مكربة سبقا إليها، أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها

وهذا عبد الله بن المبارك، كان عالم أهل خراسان وواعظها - والعالم والواعظ والمدرس والمعلم والأستاذ كلها ألفاظ متقاربة المفهوم متدانية المعنى ، إذ يراد بها ذلك الذى بعلم الناس من جهل ، ويقومهم من عوج ، ويهديهم من خطأ - ونزل ابن المبارك مدينة الرقة على شاطئ الفرات ، وكان إذا خرج التف الناس حوله ، وعظموه من أجل علمه ، وكان بالرقة حينئذ الخليفة هارون الرشيد ، ورأت أم ولد الخليفة هارون الرشيد موكب ابن المبارك ، فسألت : من هذا ؟ قالوا : هذا عالم أهل خراسان ، قدم الرقة ، يقال له عبد الله بن المبارك !... فقالت : هذا والله هو الملك ، لأمك هارون الذى لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان ! ! ...

وهذه هى العالمة المصرية الفاضلة تقيّة بنت غيث بن على ، كانت تلميذة للحافظ المحدث أبى طاهر السلفى ، وذات يوم عثر أستاذها بفجرح قدمه ، فشقت فتاة فى داره قطعة من نحرها ، وربطت بها الجرح ، وعلمت تقيّة بالحادث بعد ذلك ، فارتجبت تقول :

لو وجدت السبيل جدت بخدى عوضا عن نحر تلك الوليدة
كيف لى أن أقبل اليوم رجلا سلكت دهرها الطريق الحميدة

ولو امتد حبل الاستشهاد فى هذا المجال لذكرنا عشرات الأمثلة من هذا القبيل من تاريخنا الإسلامى الجليل ! .

هكذا كانت العلاقة بين التلاميذ والمعلمين ، وبين الطلاب والأساتذة ! ! ...

أما اليوم فوا أسفاه... أما اليوم فلا محبة ولا وفاء بين التلميذ والأستاذ فى كثير من الأحيان... إن الطالب غالبا ينسى حق أستاذه وهو بين يديه يغترف من علمه وفضله ، فكيف إذا بعد عنه ؟... وإن من المدرسين من لا يؤدى حق تلميذه وهو مكلف بهذا الحق « رسميا » كما يقولون ، فكيف إذا تخلص من قيود هذا التكليف « الرسمى » ! ! .

لقد انفصمت الرابطة الكريمة بين التلميذ ومدرسه ، وفسدت العلاقة بينهما فسادا ينذر بأخطر العواقب ، إذ بدأ التلميذ يسرف فى الاعتزاز بشخصيته ، وأخذ يعلو صوته على مدرسه ، ويخشن فى تعبيره معه . ويدخن فى محضره ، ويضع ساقا على ساق فى وجهه ، ويصرح أمامه فى جرأة بما لا يليق التصريح به - ولو من تلميذ فى حضرة أستاذه على أقل

تقدير ... وأخذ الطالب يتجاراً فبعصى أمر أستاذه ، ثم تجاراً التلميذ فشم الأستاذ ، ثم زاد جرأة فضربه ، ثم زاد حماقة فأسال دمه ، ثم بلغ قمة الإسراف فأزحق حياته بيده !!

« أريد حياته ويريد قتلى » !! ...

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني !!

ووصل هذا التطاول إلى محيط أبناء الإسلام ، وظهر في البيئة العالمية الدينية ، بين الذين نريد لهم أن يكونوا غدا مصابيح الظلام وهداة الأنام ، فيا ضيعة الرجاء ويا خيبة المسعى إن كانت النتيجة للتربية والتعليم هي أن تمتد اليد الناشئة إلى الذي رباها وعلمها فتعتدى عليه أو تنال منه !! ...

فأين إذن قول القرآن الكريم : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » ؟ ... وأين قول الحكيم : « من علمني حرفا صرت له عبدا » ؟ .. وأين قول الناصح اللبيب : « لا ترم في البئر التي تشرب منها حجرا » ؟ ... وأين قول شوقي :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أرأيت أعظم أو أجل من الذي يبنى وينشئ أنفسا وعقولا ؟

وأين تطبيق ذلك المبدأ السليم الحكيم الذي نردده أو نتذكره ، ولسكتنا لا نجد موضعه في القلوب ، أو تأثيره في النفوس ، وهو قول القائل :

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه واصبر لجهلك إن جفوت معلما

والعجيب أن هذه الجرأة الزائدة من التلميذ لم تصحبها قوة في العلم عنده . ولا اتساع في المعرفة لديه ، بل نرى أن الذين يسرفون في الجرأة من التلاميذ هم في الغالب أقل التلاميذ علما وثقافة ، وكلما اتسع علم التلميذ حسن خلقه ، وتهذبت نفسه ، وحفظ حق أستاذه ...

وقد وصل الأمر في بعض الأحوال أو في بعض المجالات التعليمية أن الطالب -

لجراته على أستاذه ولقلة احترامه له - قد حمل هذا المدرس حملا على عدم الإخلاص في تعليم هذا التلميذ، وعلى عدم التعب الموصول في سبيل إعداده وتوجيهه، فاكتمنى المدرس بأداء واجبه وإليه أداء آليا « رسميا » ، وقال المدرس لنفسه : إذا كانت التربة غير خصبة ، وكان الصدر غير وافي ، فليس على إلا أن أؤدي واجبي في نطاقه الضيق ، ثم ردد قول الأول : « دعوا دما ضيعه أهله » ، وقول الآخر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس أهونا !

ولانستطيع أن ننكر أن بعض المعلمين يسرف في القسوة ، أو في الاعتزاز بمكانته كعلم ، وقد يتجاهل شخصية التلميذ ، أو يتحكم فيه تحكما عنيفا ، وهذا خطأ مبين ، فالتلميذ يحتاج إلى الشعور بذاته وكيانه . والمعلم الناجح هو من يخلط اللين بالشدة، والرفق بالخرم؛ ويكون في تلاميذه صورا من شخصيته ، بدل أن يلغى شخصيات تلاميذه فلا تبقى سوى شخصيته ! ! .

ونحن لا نضع تبعة هذا الفساد على كواهل التلاميذ وحدهم ، ولا على كواهل المعلمين وحدهم ، وإن كان التلاميذ يبوؤون بجانب عظيم من التبعة في هذا المجال - فهناك الأوضاع الاجتماعية التي زاد التحرر فيها ، وهناك الانحلال الخلقي في الأسرة ، وهناك انعدام التعاون بين البيت والمدرسة ، وهناك شعور المدرس بأنه لم يأخذ حقه المادي والأدبي ، وهناك انصراف أغلب العناية في التعليم إلى حشد المعلومات وتنمية المعارف دون رعاية كافية للتربية والتهديب الروحي وغرس الأخلاق الفاضلة ، وهناك ضياع سلطة الوالدين وانعدام هيبة الولد لها وقلة خوفه منهما، وما دام الولد مدلا عند أبيه وأمه، « دلوعة » في بلته وأسرته ، فكيف ننتظر منه أن يحفظ حق معلمه في مدرسته ! ؟ .

إن موضوع العلاقة بين الأستاذ والتلميذ من موضوعات الساعة التي يجب أن تأخذ حظها من بحثنا وعلاجنا ، ولا شك أن هذا العلاج يشترك في تقديمه ولاية الأمور بسلطتهم ، والآباء باشرافهم وعنايتهم ، والمدرسون بتوجيههم وحكمتهم ، والتلاميذ بأدبهم وأخلاقهم ، ولعل بهذه السطور أكون قد فتحت الباب لتقديم هذا العلاج ! ! .

أحمد الترابصي

المدرس بالأزهر الشريف

من الهدى الحمدي

روى الإمام البخارى فى صحيحه عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » .

هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ومن رائع تمثيلاته وصادق توجيهاته وإرشاداته ، ضرب لنا فيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مثلا واضحا بليغا يعتبر بدعا فى بابه لم يتفقت عن مثله - فيما أعلم - بيان لإنسان ما ، اللهم إلا صاحب الرسالة العظمى الذى لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى .

وهذا الحديث الشريف يقرر سنة من سنن الله سبحانه فى السكون وأصلا من أصول الاجتماع ، وهو تكافل أفراد الأمة وتضامنهم وتعارفهم فى سبيل تثبيت دعائم الحق والخير والفضائل ، والقيام على حراسة هذه الأصول والقضاء على أهل الباطل والشرور والرذائل وإلا فلا قيام لحق ولا استقرار لفضيلة ولا دوام لعزة وسلطان .

والمراد بمحدود الله : ما نهى الله عنه من المعاصى والمحرمات ، والمراد بالقائم على الحدود : الناهى عن المنكرات .

والمراد بالواقع فيها : العصاة وأهل الباطل والإفساد فى الأرض . ومعنى استهموا : اقترعوا . فمثل أهل الحق القائمين عليه وأهل الباطل الواقعين فيه كمثل جماعة ركبوا سفينة توصلهم إلى مقصدهم وغايتهم ، وقد اقترعوا على اقتسامها ، فأصاب بعضهم - وهم أهل الحق - أعلاها ، وأصاب بعضهم - وهم أهل الباطل - أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا أحبوا أن يشربوا مروا على من فوقهم فبدأ لهم أن يخرقوا السفينة فى نصيبهم كي يستقوا من غير أن يضاروا من فوقهم ، فان تركهم من هم فى أعلاها يخرقون السفينة لم يلبث الماء أن يدخل جوفها فيعزق الجميع ، وإن منعوهم وحالوا بينهم وبين ما يريدون نجا من فى أعلاها ونجا من فى أسفلها .

كذلك أهل الحق مع أهل الباطل ، فان ترك أهل الحق والإصلاح أهل الباطل والمعاصى يفسدون ويملئون الأرض جورا ومنكرات لا يلبثون أن يهلكوا جميعا هلاكا معنويا وحسيا ؛ هلاكا معنويا بالقضاء على معنوياتهم ومقوماتهم الإنسانية وتدنيس فطرتهم وإضعاف دواعى الخير والحق فى نفوسهم ، وهلاكا حسيا بتقويض بنیان أمتهم وذهاب دولتهم وعزتهم وسلطانهم بين الأمم والشعوب ؛ وإن وقف أهل الحق لأهل الباطل بالمرصاد وقطعوا عليهم سبل الشر والفساد وضربوا على أيديهم باقامة الحدود أو التعزير والتأديب فقد نجوا جميعا : نجا المفسدون لأنهم لم يجدوا بيئة صالحة لإفسادهم وشرورهم ، ونجا الصالحون لأنهم لم يفرطوا فى الأمانة التى ائتمنوا عليها وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وحراسة الشريعة والقيام على ذلك ، وبذلك يحفظون على الأمة دينها واستقامتها ، فتبقى قوية البنيان عزيرة المنال ظاهرة السلطان ، وكانت جديرة بنصر الله الذى تكفل بنصر من ينصره وهم أهل الحق والإيمان .

والأمة التى يكون لها من أمرائها وعلمائها وصالحيتها رقابة صادقة على أفرادها ، وهيمنة زاجرة رادعة لأهل المعاصى والشرور والفجور والتحلل من الشرائع والفضائل واستمجان ما يفعلون ، والضرب على أيديهم العابثة ؛ أمة جديرة بالبقاء . أما الأمة التى تنعدم أو تضعف فيها روح المراقبة والسيطرة على سلوك أفرادها ويفشو فيها النفاق ومداينة أهل الباطل والفسوق والسكوت على مآثمهم ومقاسدهم ، بل ومجاوزة هذا إلى الثناء عليهم واستحسان منكراتهم ؛ فهى - ولا ريب - أمة متداعية وصائرة ولا محالة إلى الفناء ، سواء فى هذا صالحهم وطالحهم ومحققهم ومبطلهم .

وقد أكد المشرع صلوات الله وسلامه عليه هذا الأصل الثابت وهذه السنة الإلهية فى غير ما حديث ، روى أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال : يا أيها الناس ، إنكم تقرأون هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » . ورضى الله عن الصديق حينما بين لنا أن الآية ليست على ظاهرها كما يلهج بها المحرفون المغرضون ، وإنما فىمن أمر بمعروف ونهى عن منكر فلم يسمع له فحينئذ عليه نفسه .

وروى الإمام أحمد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده . فقلت : يا رسول الله ، أما فيهم أناس صالحون ؟ قال : بلى . قالت : فكيف يصنع أولئك ؟ قال : يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان » .

وروى أيضا مرفوعا « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعملون ثم لم يغيروهم إلا عمهم الله بعقاب » ومصدق هذا من كتاب الله سبحانه « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة [١] » قال ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية : « أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكرين بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب » .

لو أن الأمم الإسلامية جعلت رقباء من نفسها على نفسها ومن بعضها على بعضها لقلت المفاسد والشور ، واستقامت الأمور وصلحت الأحوال ولما كان المسامون بحق خير أمة أخرجت للناس لإيمانهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . ولكن لما يؤسف له غاية الأسف أن المفسدين وأهل الباطل وجدوا من معظم أفراد المجتمع مDAHنة ومجاملة في القيام على حدود الله ، فمن استشرى الفساد واستفحل الداء وضاعت صيحات المصلحين والغيورين سدى وصارت هباء ، ولا عجب إذا كان الله سبحانه ضرب القلوب بعضها ببعض وعمت النعمة والبلاء .

خلق المDAHنة والمجاملة في الحق خلق قديم ابتليت به بعض الشعوب في القديم فكان سبب هلاكها وغضب الله عليها ، وهو خلق يهودى متأصل فيهم ، وبسببه أذلم الله ولعنهم . روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلتقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلتقاء من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض . ثم قال : لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي

العذاب هم خالدون» . ثم قال : كلا والله ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا [١] ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، ثم ليأمتكم كما لعنهم » وهكذا يتبين لنا أن خلق المداينة في الحق أنكرته الأديان عامة على لسان موسى وداود وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وأنه سبب للهلاك والدمار واستحقاق اللعنة وسوء العذاب .

وبعد فهل نحن متمسكون بهذا الهدى المحمدى ، وهذا المبدأ الإسلامى العتيد الخالد ؟ الحق أن لا . إن في المجتمعات الإسلامية اليوم انحرافا عن سنن الإسلام وطريقه اللاحب المستقيم : فى العقائد ، والفضائل ، والأحكام ، والمعاملات . وفيه حركات ظاهرة وخفية وتيارات فكرية وعقدية ، وهى معاول هدم لصرح الإسلام الشاىخ ، وصرح الفضائل الثابتة التى تدعو إليها جميع الأديان . فما موقفنا منها ؟ وما الذى صنعتناه حيالها نحن المسئولين عن الإسلام والمسلمين ، حكما وعلماء وشعوبا ؟ وما مبلغ تطبيق هذا المبدأ الخالد فى مصر قطب الإسلام وقلبه النابض وبلد الأزهر الشريف ؟ ! .

بالأمس القريب قام رجل كريم من أعضاء مجلس الأمة يدعو دعوة الحق ، يدعو إلى الفضيلة والكرامة والاحتشام والحد من تبرج النساء الذى وصل إلى حد العرى الفاضح ، ومن الإباحية فى الأزياء التى وصلت إلى درجة الابتذال واستعمال المساحيق ونحوها من وسائل الإغراء ، فما مبالغ التجاوب معه من الشعب ؟ وما ذا قام به العلماء والمصلحون فى تأييد صاحب هذه الدعوة الحقبة الكريمة ؟ وما هى الخطوة العملية التى خطوناها فى هذا السبيل ؟ وهذه دعوة حقبة من عشرات الدعوات الكريمة .

يا قوم ، العمل العمل ، والنجاء النجاء ، قبل أن تفرق السفينة فنكون جميعا - والعياذ بالله - من الهالكين ما

محمد محمد أبو شربة
الأستاذ بكلية أصول الدين

[١] أطره على الحق أطرا : عطفه عليه ، وقصره على الحق : حبسه عليه .

المجتمع المختلط

كثير كلام الناس في هذه الأيام - في الصحف وفي دور العلم ، وأقسام الفلسفة ومعاهد تخريج المدرسين والإخصائيين الاجتماعيين منها خاصة - عن السكيت الجنسي ومضاره . وشاع بين كثير ممن ينتحلون الدراسات النفسية - والفرويدية منها خاصة - أن السبيل إلى تلافى الأضرار المتولدة عن هذا السكيت هي اختلاط الذكور بالإناث وتخفف النساء من الحجاب ومن الثياب ، وهو تخفف لا يعرف الداعون إليه مدى ينتهى عنده . ولعله ينتهى إلى ما انتهى إليه الأمر في مدن العراة التي نسكت فيها المدنية فارتدت إلى الهمجية الأولى . ذلك هو « المجتمع المختلط » الذي يدعون إلى تعميمه في المدارس وفي الإدارات الحكومية وفي المصانع وفي الشركات وفي الأندية والمجتمعات . وقد أخذت هذه الدعوة سبيلها إلى التنفيذ في بعض هذه الميادين .

والواقع أن هذا الاتجاه هو جزء من اتجاه أكبر وأعم يراد به فرنجة المرأة الشرقية وحملها على أساليب الغرب في شتى شئونها : في الزواج وفي الطلاق وفي المشاركة في العمل والإنتاج في شتى الميادين وفي الزى وفي المحافل والمراقص ، إلى آخر ما هنالك . وهذا الاتجاه هو بدوره جزء من اتجاه أكبر يراد به سلبنا من أدب إسلامنا وتشريعنا ، وإلحاقنا بالغرب في التشرع والأدب والموسيقى والرسم وفي سائر فنون الحياة بين جسد ولهو والموضوع ذو جوانب متعددة . ولكن أبرز جوانبه ناحيتان : اختلاط النساء بالرجال ، واشتغال النساء بأعمال الرجال . وسأعالج الناحية الأولى منه في هذا المقال ، مرجئاً الشق الثاني إلى مقال تال إن شاء الله .

وأخطر ما في هذه الدعوات الجديدة أن أصحابها يلجئون إلى تدعيمها وتثبيت جذورها الغربية في أرضنا بأسانيد من الدين بعد أن يحرفوا الكلم عن مواضعه في نصوصه الشريفة من قرآن أو حديث أو خبر . لذلك رأيت أن أبدأ هذه الكلمة بتقديم طائفة من الآيات القرآنية تبين بشكل قاطع حكم الإسلام الصريح في هذه الأمور .

١ - يقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين

يدينيين عليهم من جلاييين . ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين . وكان الله غفورا رحيما -
الأحزاب ٥٩ .

تأمر هذه الآية المسلمات باطالة الثياب وبإدناء بعض أطرافها من البعض الآخر ،
حتى تستر الصدور والظهور والأذرع والسوق . وتصرح بالحكمة في ذلك ، وهو تمييز
الأحرار من النساء وتكريمهن بصونهن عن أذى الذين يتعرضون للبغايا وللخبيعات ، لأن
التبرج والتبذل يسلكهن في مسالك الريب ويطمع الفساق في التعرض لهن وإيذاءهن وفي
أعراضهن بالأقوال أو الأفعال .

٢ - ويقول تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ،
ذلك أزكى لهم . إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن
ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ،
ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو بنائهن أو بناتهن أو
أخواتهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن
بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون -
النور : ٣٠ : ٣١ » .

تأمر هاتان الآيتان الرجل والمرأة كليهما بغض البصر عن رؤية أحدهما للآخر .
وتردف الأمر بالمحافظة على العفاف مع الأمر بغض البصر ، كأن النظر هو سبيل التفريط
في العفة . ثم هي تأمر المرأة بأن تحرص على ستر مواضع الفتنة والأنوثة منها وعدم إفشائها
بأدوات الزينة والتجميل المختلفة أو الثياب الضيقة أو الشفافة أو الحركات الخليعة التي تذيب
صوت ما تتخلى به من حلي ، كما يأمرها أن تغطي رأسها بالخمار وأن تضرب بفضوله على
صدرها ليسترفتحه ثوبها . ولا تبيح الآيتان للمرأة أن تتخلى عن هذا الحجاب إلا في حضرة
الذين لا تثيرهم مفاتها من المحارم أو الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم أو ناقصي الذكورة
من الرجال الذين لا أرب لهم في النساء . وتكشف الآية الأولى عن الحكمة فيما تطلب
إلى المؤمنين من غص الأبصار ، فتقول إنه ادعى إلى تركية النفس وتطهيرها ، والسمو
بها عن مواطن الدنس . وتقول للرتابين في صدق هذا الأمر وحكمته : إن الله أخبر بطبائع
خلقه وبمذاهبهم فيما يصنعون من أنفسهم . وتختتم الآيتان هذه الحدود المرسومة بدعوة

المؤمنين جميعا إلى أن يعودوا إلى طريق الله بعد أن نأت بهم عنه الشهوات ودعوات المضللين ، لأن التزام طريق الله هو سبيل الفلاح والنجاح .

٣ — يقول تعالى : (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن ، والله سميع عليم - النور ٦٠) .

أما هذه الآية فهي لا تبيح التخفيف من بعض الثياب (كالحلباب والرداء والقناع فوق الخمار) إلا للطاعنات في السن ممن ذهب روفهن وفارقن سن الزواج ، ولم يعد مثل هذا الصنيع منهن يثير الناظر إليهن ؛ ومع ذلك فهن مأمورات بأن يلزمن جانب الحشمة فلا يبرزن ما يتكلفن من زينة ، وتحثن الآية على التزام القصص فيما أباحت لهن ، وتصف الاحتشام أمام الغرباء بالعفة حيث تقول (وأن يستعففن خير لهن) .

٤ — يقول تعالى : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا . وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا - الأحزاب : ٣٢ ، ٣٣) .

الحديث في هاتين الآيتين موجه إلى نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يتضمن أمرهن بأن يلزمن بيوتهن ولا يصنعن صنيع الجاهليات في التبرج ، وبأن يقصدن في محادثة الرجال إذا دعت إليه ضرورة فيذهب به مذهب الجذ والحزم والإيجاز ، وبأن يقمن شعائر الدين من صلاة وزكاة ويلزمن حدود الله ، وتعمل الآية ذلك كله بأنه سبيل الطهارة والبعث عن مظان الريبة وإطعام مرضى القلوب .

وقد يظن بعض الناس أن توجيه الحديث في هاتين الآيتين إلى نساء الرسول صلى الله عليه وسلم يعني أنهن قد خصصن به دون سائر المسلمات ، وأن حكمه لا يتعداهن إلى غيرهن ، وهو خطأ ظاهر . فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو قدوة المسلمين ومثلهم الأعلى ، ونسأؤه قدوة المسلمات ومثلن الأعلى ، فالله سبحانه وتعالى يقول (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا - الأحزاب : ٢١) . فإذا كان هذا هو الأحوط وهو الأطهر وهو الأدعى إلى إذهاب الرجس عن بيت

سيدنا رسول الله وعن نسائه الطاهرات رضوان الله عليهن ، فلا شك أن عامة المسلمات - وهن أبعد عن العصمة جدا - أحوج إلى الأخذ به والتزامه ، وإذا كانت إلانة القول وإطالته في غير موجب من جانب نساء الرسول - وهن أمهات المؤمنين - مظنة إطماع مرضى القلوب فكيف يكون الحال بالقياس إلى سائر المسلمات اللاتي لا يحيطهن من أسباب العصمة وذود الشر ودفع الإطماع والإغراء ما كان يحيط بنساء الرسول صلى الله عليه وسلم .

٥ - يقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم ، والله لا يستحي من الحق ، وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا . إن ذلكم كان عند الله عظيما - الأحزاب ٥٣) .

هذه الآية خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم أيضا ، وهي تنبه المسلمين إلى أن يخففوا عند زيارته والإلمام ببيته ، وأن لا يتقلوا باطالة الحديث بعد قضاء حاجاتهم أو تناول ما دعوا إليه من طعام . كما تأمرهم إن احتاجوا إلى طلب شيء من نساء الرسول أن يكون حديثهم إليهن من خلف ستار يحجب كلا منهما عن الآخر ، وتعمل الآية الكريمة ذلك بأنه ادعى إلى طهارة الطرفين وأحوط في تجنب أسباب الفتنة ، وليت شعري إذا كان نساء النبي - وهن من هن - وصحابة رسول الله - وهم من هم - مأمورين بذلك ، فكيف لا نكون نحن مأمورين به ؟

٦ - يقول تعالى : (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيما نكح من فتياتكم المؤمنات . والله أعلم بإيمانكم ، بعضكم من بعض . فأنكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسالحات ولا متخذات أخدان . فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب . ذلك لمن خشى العنت منكم ، وأن تصبروا خير لكم . والله غفور رحيم . يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم . والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الإنسان ضعيفا - النساء : ٢٥ إلى ٢٨) .

المخاطبون بهذه الآيات هم الذين لا تساعدهم ظروفهم المالية على الزواج ودفع مهر الحرائر من النساء . والآيات تبيح لمن لا يستطيع الصبر من هؤلاء أن يتزوج من الإمام بعد أن يدفع مهورهن إلى مواليهن . وتنهى عن أن يكون سبيل التنفيس عن شهوات الذين لا يجدون إلى ضبطها سبيلا هو الزنا بهؤلاء الإمام أو عقد الصلوات معهم في السر واتخاذهن عشيقات أو صديقات - على ما يحل لبعض الناس في هذه الأيام أن يسميهم تقليدا لمذهب الفرنجة في تسميتهن (girl friends) . ولكنها تنصح لهم بالصبر حتى لا يجنوا على أولادهم من هؤلاء الإمام بجعلهم أرقاء . ويقول الله تبارك وتعالى إن (الصبر خير) ، بينما يسمى الفرويديون الصبر وضبط النفس والتحكم في الرغائب والشهوات كبتا . ويرتبون على هذا الكبت ما شاءت لهم شياطينهم من الأمراض النفسية . فليختر المسلمون لأنفسهم بين الكفر والإيمان ، وبين ما أوحى الله إلى نبيه وما أوحى شياطين الجن إلى شياطين الإنس .

وتختتم الآيات هذا الحديث بأن الله سبحانه وتعالى عليم يعرف حقائق شئونكم ودقائقها حكم يضع الأشياء في مواضعها . فهو - سبحانه وتعالى - يرشدكم إلى سبيل الطهارة والتوبة ويبين لكم طريق الرشاد والصلاح ، ويخفف عن الضعفاء منكم في رسم لهم ما يحتملون ولا يكلفهم ما لا يطيقون . يريد الله سبحانه وتعالى أن يعود بكم إلى طريقه الموصلة للخير والمنقذة من الضلال ، بينما يريد الذين يتبعون الشهوات أن يميلوا بكم عن طريق الهداية والنجاة ميلا عظيما .

هذه جملة من الآيات صريحة الدلالة فيما تأخذ به المسلمين والمسلمات فهي تأمرهم :

(١) بستر جسم المرأة كله - ومنه شعر الرأس - وتجنب إبداء المفاتن والتزين أمام الغرباء من غير المحارم .

(٢) بتجنب التسكع في الطرقات واستعراضها في غير حاجة ، وبالإستقرار والاكتنان في البيوت .

(٣) بتجنب التحدث إلى الرجال ، فإذا دعت إلى ذلك ضرورة فليكن بين الرجل والمرأة ستار ، وليكن الحديث أميل إلى القصد ، وعلى قدر ما تقضى به الضرورة .

(٤) بغض البصر عند التقائه بالرجال (والرجال مأمورون بمثل ذلك عند التقاء نظره بالنساء) .

(٥) بالزواج لمن استطاعه ، وبالصبر وضبط النفس لمن أطاقه ، وبالزواج من الإماء لمن لا يطيق الصبر ولا يجد مهر الحرائر . أما اتخاذ الخليلات ومقارفة البغايا فهو محرم يحذر منه الدين .

ولا أظننى محتاجا بعد ذلك كله إلى إطالة القول في أن التزام هذه القواعد التي يأمر بها الشرع أمر قاطع لا يدع مجالا للتوفيق بين إسلام المسلمين ، وبين مذاهب دعاة المجتمعات المختلطة في شتى صورها وأشكالها .

هذا هو حكم الدين لمن أراد أن يقيمه . وتلك هي حدود الله لمن أراد أن يلتزمها . وذلك هو الخير كل الخير لمن أسلم وجهه لله وآمن بالكتاب كله ، لا يحكم هواه أو أهواء الذين يضلون بغير علم ممن يتبعون الظن ، فيأخذ ببعض ويدع بعضا ، ولا يطلب دليلا على ما أمر به ولكنه ينقاد إليه سواء ظهر له وجه الخير فيه أو خفى عنه . لأن الدين يقوم على مجموعة من المسلمات يلتقى عندها الناس على اختلاف أفكارهم وأمزجتهم وبيئاتهم ، فيصبحون في اتحادهم أمة واحدة ، ويصبحون مع تعددهم كالفرد الواحد وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ويصبحون في توادهم وتراحمهم كالجسد إذا اشتكى منه عضو ندأى له سائر الأعضاء بالحصى والسم ، وذلك هو أقصى ما يطمح إليه التفكير السياسى من التماسك والتآلف والاستقرار والاطمئنان .

أما الذين لا يلزمون أنفسهم حدود الله ، ولا ينتقدون لما أمر به فلنا معهم حديث آخر . وإلى هؤلاء نقول :

قد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون جميع خلقه من ذكر وأنثى . تجد ذلك في الحيوان وفي النباتات وفي الظواهر الطبيعية كالكهرباء والمغناطيس ، وتجد في الكرة الأرضية نفسها ، فأحد قطبيها سالب والآخر موجب ، وتجد في أدق دقائق الخلق والطف وحداته ، وهى الذرة . و « سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون - يس : ٣٦ » ومن طبيعة الأزواج فى كل هذا الخلق أن تتجاذب . فالذكور والأنثى فى النوع الواحد يتجاذبان حتما حسب ما بنى الله عليه طبيعة كل منهما وحسب ما هدى إليه من فطرة ، وسبحان الذى « أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - طه : ٥٠ » . فمیل الرجل للمرأة ومیل المرأة للرجل إذن هو جزء من قانون عام اقتضته حكمة الله سبحانه ، لا سبيل إلى تجنبه أو إنكاره . وليس من المطلوب ولا هو مما يرغب فيه ويسعى إليه أن يخفف هذا الميل أو يعمل على إضعاف حدته .

ثم إن إطلاق الأمر في تجاوز الرجل والمرأة واختلاطهما لا يخلو من أحد أمرين : فهو إما أن يؤدي إلى إثارة الشهوة في الجنسيين وزيادة حدتها ، أو يؤدي إلى إضعافها وكسر حدتها . فإذا كان الاختلاط مؤديا إلى تجاذب الذكر والأنثى على ماركب في طبيعة كل منهما ولم تكن هناك حدود لهذا الاختلاط أو نظام مرسوم تحول الأمر إلى فوضى لا ضابط لها وعند ذلك يشيع الأذى بين الناس بشيوع الأمراض التي قدر الله سبحانه أن يضرب بها الذين يقارفون الفاحشة من الزناة ، ويفسد المجتمع ويضطرب نظامه ويتمزق شمل جماعته ويموج بعض الناس في بعض ، بتكاثر الأحقاد والضغائن بين الآباء الذين أودوا في بناتهم ، والأزواج الذين أودوا في نساءهم ، والأولاد الذين أودوا في أمهاتهم ، وبين المتنازعين والمتنازعات والمتنافسين والمتنافسات على العشيق الواحد والعشيقة الواحدة . وذلك كله مما لا خير فيه ، ومما لا تسعى إليه جماعة من الناس تنشد الوحدة والطمانينة والسلام ، ولا تسلك سبيلا تظن أنه يؤدي إليه . ذلك هو أحد الفرضين .

أما الفرض الآخر فهو أن التجاور بين الرجال والنساء وكثرة اللقاء بينهم وبينهن أفرادا وجماعات موجب لإضعاف التجاذب بخفوت صوت الشهوة الجنسية وإضعاف حدتها أو تحويلها عن وجهها وأسلوبها ، على ما يزعمه الزاعمون من بعض الباحثين في عالم النفس ، الداعين إلى تهذيب الغريزة الجنسية أو التنفيس عنها ، ومعنى هذا أن يجد كل من الذكور والإناث لذتهم في مجرد الاستمتاع بالحديث والنظر ، وأن طول التجاور والتقارب يولد في نفوسهم ونفوسهن شيئا من الإلف لا تثور معه الرغبة في استمتاع جسد الواحد منهم بجسد الجنس الآخر عند رؤيته ، بل مع قربه منه وملاصقته له ، وذلك كله أمر معقول ومحسوس يؤيده المنطق والتجربة ، لأن إلف النفس للشيء وتكرار اعتمادها إياه يضعف أثره فيها ، فالذي يطيل المكث في مكان عفن نتن يفقد الإحساس بعفنه ونتاجه على مر الزمان ، والذي يدمن شم رائحة زكية يفقد الإحساس بطيبها بعد وقت قصير أو طويل ، والذي يتعود لمس الأجسام الساخنة أو الشديدة البرودة يفقد الإحساس بحرارتها أو برودتها مما لا يطيقه غيره من الذين لم يدهنوا ممارسة ذلك .

وكذلك الشأن في الرجال والنساء . فالذين يسكنون المدن من الرجال لا يثير غرائزهم الجنسية رؤية أذرع النساء وسوقهن وصورهن ، بل إن بعضهم قد لا يثيره رؤية الجسد عاريا معروضا في أكثر الأوضاع لإغراء على شواطئ البحر في الصيف أو في مراسم

الرسامين من هواة رسم الأجساد البشرية العارية ، وفي هؤلاء الرجال من كان يعيش في الريف من قبل ، وكان يثير شهوته مجرد الاستماع إلى صوت المرأة أو مجرد النظر إلى وجهها أو يدها أو رجلها ، فضلا عن مجالستها أو مصاحتها . ذلك أمر صحيح تثبته التجربة ويؤكد الواقع ، والذي يذهب إليه دعاة تهذيب الشهوة صحيح من بعض نواحيه ، وإن كان كثير من الشهوات الجاححة الجارفة يستعصى على الترويض وينطلق إلى الفتك والافتراس ويفلت زمامه من المروضين ، وأغلب الظن أن إدمان الخضوع للتجربة على تعاقب الأيام قد ينتهى إلى ما يريده المروضون من دعاة التهذيب ، ولكن أى شيء يمكن أن يسمى هذا الذى يسعون إليه ويبذلون الجهود لتحقيقه ؟ أليس هذا هو البرود الجنسي عينه ؟ إذا رأى الرجل المرأة فلم يثر فيه هذا اللقاء ما يثور عادة في الرجال عند رؤية النساء ، وإذا رآها بعد ذلك عارية الأذرع والسوق والصدور والظهور بارزة النهود والأوراك فكان قصارى ما يلتذ به هو الحديث والنظر ، ولم يستتبع هذا الحديث والنظر أى اندفاع أو رغبة في ممارسة الصلة الجسدية ، وإذا تشابكت الأذرع بالأذرع والتفت السوق بالسوق ولا مست الأجساد الأجساد صدرا لصدور وبطنا لبطن ثم لم يطرأ على الرجل أى تغير جنسى جسدى ، وكان قصارى ما يستتبعه ذلك كله هو أن تسرى في جسده نشوة لا تدفع به إلى الحالة الإيجابية العضوية ، أليس يكون قد بلغ عند ذلك ما يسمى بالبرود الجنسي ؟ وهو عند ذلك برود مزدوج يشمل الطرفين كليهما : الرجل والمرأة ، ثم ، أليس البرود الجنسي مرضا يسعى المصابون به إلى الأطباء يلتمسون عندهم البرء والشفاء من أعراضه ؟ فكيف إذن نجعل هذا المرض غاية من الغايات نسعى إليها باسم التنفيس عن الكبت أو تهذيب الغريزة الجنسية ؟ وكيف يكون الحال لو تصورنا هذا الناموس - ناموس تجاذب الذكور والإناث - وقد « تهذب » في سائر خلق الله ، فبطل تجاذب السالب للوجب ، أوفتر ، فأصبح من غير المؤكد أن يترتب على التقائهما التوق الشديد والميل العنيف الذى لا يقاوم إلى الاندماج الكامل ؟ أليس يفسد الكون كله ؟ (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن . بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون - المؤمنون : ٧١) .

ثم إن هذا البرود الجنسي متفاوت الدرجات ، يختلف قوة وضعفا باختلاف درجات المجتمعات في الأخذ بمبدأ المجتمع المختلط ورفع الحواجز بين الذكران والإناث ، ولكنه - في غير الحالات المرضية الشديدة التى تعرض النوع البشرى للقضاء بانقطاع النسل -

يستتبع نتيجتين خطرتين : ضعف الذسل وتخلفه وانحطاط خصائصه ، وانتشار الشذوذ الجنسي واستفحال دائه .

أما النتيجة الأولى فهي ترجع إلى أن حدة الشهوة وقوتها سبيل إلى ضعف الذسل وداعية إلى تدهور خصائصه وانحطاط صفاته . ومما يتفق مع هذا المذهب في النتيجة - وإن اختلف معه في التعليل - ما يذهب إليه علماء من التنبيه إلى خطر زواج الأقارب ومضاره [١] . ويؤيده تأييدا قويا تحريم الشريعة الإسلامية زواج أخوات الرضاعة ، فمن الواضح أنه مبنى على اعتبار الغرباء الذين لا تربطهم قرابة الدم ممن تجاوروا حتى ازداد إلف أحدهما للآخر في حكم أقرباء الدم ، هذه حقيقة معروفة تقطع بها المشاهدة وتجارب الأجيال المتعاقبة ، وتؤديها الشرائع الثابتة ، وهي تشمل الإنسان والحيوان على السواء . ومن مظاهر تطبيقها على الحيوان إبعاد الذكور عن الإناث وعدم السماح باختلاطها إلا عند اللقاح . ومن علامات صحتها فيما أزعجه انحطاط خصائص الجنس البشرى في الهمج من العراة الذين لا يزالون يعيشون في المتاهات والأدغال على حال تقرب من البهيمية ، فانهم لا يأخذون طريقهم في مدارج الحضارة إلا بعد أن يكتسوا ، ويستطيع المراقب لحالم في تطورهم أن يلاحظ أنهم كلما تقدموا في الحضارة زادت

[١] علماء الوراثة لا يعتبرون أن قوة الشهوة أو ضعفها هي العلة في قوة الذسل وضعفه ، لأنهم يردون قوانين الوراثة إلى عوامل مادية خالصة . ويزعمون أن ما يسمى بالكروموسومات بما تحتوي عليه من الجينات التي تصور الخصائص المختلفة هي وحدها التي تتحكم في الوراثة ، بما تحمله البويضات والحيوانات للثوية منها ، فتتحدد بعض هذه الصفات والخصائص من الأسلاف إلى الأبناء والأحفاد حسب قوانين معينة رتبوها . ولكن علماء الوراثة مع ذلك يعترفون بأن الجينات تكاد تكون شيئا افتراضيا لم يره أحد ولا يمكن تحديد عددها في الكروموسوم الواحد أو وصفها أو بيان خصائصها . هذا إلى أن فرضهم هذا لا يستقيم مع كثير من الظواهر التي لا يمكن حلها على أساسه ، مثل ظواهر الوراثة المتعددة الأزمنة ، ومثل ظواهر الوراثة بالتأثير ، ومثل وراثة الحالات العارضة وقت الملوك ، ومثل قانون وراثة الصفات الخارجة عن المعتاد . على أن بين علماء الوراثة من أنكروا نظرية الكروموسومات التي يترتب عليها عدم قابلية الصفات المكتسبة للوراثة ، مثل لزنكو Lysenko . على أن علماء الوراثة جميعا يعترفون بما يسمونه (الطفرة) ، كما يعترفون بمعجزهم عن قلبها ، وبقصور قاعدة (الكروموسومات) المادية عن قلبها ، بل ومناقضتها لها ، وموضع الضعف في كل النظريات التي يكتشفها الباحثون أن أصحابها يظنون حين يظلمون على بعض الحقائق والأسباب أنهم قد أحاطوا بكل الحقائق والأسباب . وذلك ما لا يحصىه إلا الله وحده سبحانه وتعالى ، ثم إنهم لا يقولون إلا بما يخضع للحس والتجربة .

مساحة الأعضاء الكاسية من أجسادهم . كما يستطيع أن يلاحظ أن الحضارة الغربية في انتكاسها تعود في هذا الطريق القهقري درجة درجة حتى تنتهي إلى العرى الكامل في مدن العراق ، التي أخذت في الانتشار بعد الحرب العالمية الأولى ثم استفحل داؤها في السنوات الأخيرة .

وقد أدرك قدماء العرب ذلك بالتجربة والملاحظة ، فوصف أبو كبير الهذلي فارساً عربياً مشهوراً من صعاليك العرب - وهو تأبط شراً - بأن أمه قد حمت به وهي أشمى ما تكون إلى زوجها ، حين لم تكن مرضعاً ولم تكن في أعقاب حيض ، حتى لقد صور أباه في هياج شهوته وكأنه قد اغتصب أمه اغتصاباً وأخذها غلاباً ، وذلك حيث يقول (١) :

من حملن به وهن عواقد حبك النطاق بجاء غير مهبل
ومبرئ من كل غير حيضة وفساد مرضعة وداء مغبل
حملت به في ليلة مزوءة كرها وعقد نطاقها لم يحبل
فأنت به حوش الفؤاد مبطناً سهدا إذا ما نام ليل الهوجل

وأدرك ذلك أيضاً الإمام الجليل أبو حامد الغزالي ، فجاء في كتابه « إحياء علوم الدين » من بين ما سردده في الخصال المطيبة لعيش الزوجين قوله :

« ثامناً : أن لا تكون من القرابة القريبة . فإن ذلك يقلل الشهوة . قال صلى الله عليه وسلم (لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوياً) . وذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة . فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس . وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد . فأما المعهود الذي دام النظر إليه مدة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ، ولا تنبعث به الشهوة » .

أما النتيجة الثانية الخطيرة لشيوع البرود الجنسي وهي انتشار الشذوذ واستفحال دائه فهي راجعة إلى أن الرجل الذي ألف أن يقع نظره على مفاتن المرأة فلا يثور ، يحتاج

[١] شرح ديوان الحامسة لقتبريزي ١ : ٨٤ - ٨٦ ط مصطفى محمد ١٣٥٧

[٢] ج ٤ ص ١٣٢ - ١٣٣ ط لجنة نشر الثقافة الإسلامية ١٣٥٦ .

لسكى شور إلى مناظر وأوضاع تخالف ما ألف . ثم إن إصابته بالبرود تحرمه لذة من أكبر اللذائذ ، ومتعة من أعظم ما ينطوى عليه الناموس من المتع ، وهى متعة تسكن عندها النفس ويطمئن القلب ويستقر الاضطراب . ومصيبته هذه بالبرود الجنسي تحرمه من الإحساس بذكوره فيعاني أشد الألم مما يحسه فى أعماق نفسه من الذلة والمهانة . ويدفعه ذلك كله إلى أن يحاول تحقيق متعة الاتصال الجنسي وإثباتها من كل الوجوه ، عن طريق التقلب بين الخليلات وبائعات الهوى والتماس الشاذ الغريب من الأساليب والأوضاع ، رجاء انبعاث ما ركد من ذكوره . وقد تدفعه مع ذلك إلى إغراق نفسه فى المخدرات تعويضا لما فقدته من لذة ، أو إلى الإجرام أو المغامرة إثباتا لذكوره من وجه آخر . ومثل هذا الشذوذ يشمل المرأة والرجل على السواء ، لأن البرود الجنسي الذى يؤدي إليه هذا الاختلاط - بل الذى يسعى إليه دعاة الاختلاط - برود ذو شقين ، لا يحقق ما يزمونه من أهداف إلا إذا شمل الذكر والأنثى ، فانتفت الرغبة الجنسية الجسدية فى الطرفين كليهما عند اللقاء وعند اللعب وعند الممازجة والمراقبة . ويستطيع القارئ أن يتتبع هذه الظاهرة فى المجتمع الغربى ليتبين آثارها المدمرة فيه ، وهى آثار لا مفر منها من مثل مصير الذين خلوا من البائدين و « لن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » .

وأنا أعلم أن كثيرا من الناس لا يقع منهم الدليل موقع الإقناع إلا إذا نسب إلى الغرب . وإلى هؤلاء أسوق بعض ما نقلته صحف لا تنهم عندهم بالرجعية عن علماء الغرب وهيئاته . فمن ذلك ما نقله المصور (العدد ١٦٨٩ ص ٤) عن الأستاذ بيتيريم ساروكين مدير مركز الأبحاث بجامعة هارفارد فى كتاب له صدر أخيرا بعنوان (الثورة الجنسية) ، حيث يقرر أن أمريكا سائرة بسرعة إلى كارثة فى الفوضوية الجنسية . كما يقرر أنها متجهة إلى الاتجاه نفسه الذى أدى إلى سقوط الإمبراطورية الإغريقية ثم الإمبراطورية الرومانية فى الزمان القديم . ويقول فى ذلك الصدد : (إننا محاصرون من جميع الجهات بتيار مطرد من الجنس يفرق كل غرفة من بناء ثقافتنا وكل بقاع من حياتنا العامة . وهذه الثورة التى تعبر بنا آخذة فى تغيير حياة كل رجل وكل امرأة فى أمريكا أكثر من أى ثورة أخرى فى هذا العصر .

ومن ذلك ما جاء فى صحيفه « الأخبار » (عدد ٢٦ محرم ١٣٧٧ ص ٢ تحت عنوان : عالم أمريكى يقول : إن المرأة الأمريكية باردة) حيث نقلت ما صرح به الدكتور جون كيشلر أحد علماء النفس الأمريكىين فى شيكاغو ، حيث قال : (إن ٩٠ فى المائة من

الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسي ، وأن ٤٠ في المائة من الرجال مصابون بالعقم . وقال الدكتور: إن الإعلانات التجارية التي تعتمد على صور الفتيات العارية هي السبب في هبوط المستوى الجنسي للشعب الأمريكي) .

ومن شاء المزيد فليرجع إلى تقرير لجنة السكونغرس الأمريكية لتحقيق جرائم الأحداث في أمريكا ، والذي نقلته مجلة « التحرير » (العدد ٣٣٤ تحت عنوان : أخلاق المجتمع الأمريكي منهار) . وهو يشير إلى ارتفاع نسبة تعاطي المخدرات بين الأحداث ، وانتشار الحانات التي تقدم الخمر وكتب الجنس وقصص الجنس وأفلام الجنس ، وانتشار نوادي العراة بكثرة مخيفه على الشواطئ الشرقية خاصة) ومن شاء فليرجع كذلك إلى تقرير اللجنة التي شكلها مجلس العموم البريطاني للتحقيق في مشكلة الشذوذ الجنسي ، فاتهمت من بحثها إلى اقتراح بإباحته بعد الواحدة والعشرين ، وقد نشرته صحيفة « الأخبار » منذ شهرين تقريبا .

ثم أحب في آخر الأمر أن أضع بين يدي القارئ مقتطفات من خطة الصهيونية الكبرى للسيطرة على العالم عن طريق هدم كل مافيه من قوى ، التي اكتشفت مخطوطتها وذاع سرها للمرة الأولى في أواخر القرن التاسع عشر ، وهي الخطة المشهورة باسم « بروتوكول حكماء صهيون » فقد تعين على تدبر بعض مذكرته .

جاء في البروتوكول الأول : (يجب أن ننظر إلى أولئك السكارى الذين قد تبلدت أذهانهم بفعل الخمر . إن الحرية أتاحت لهم هذا الإفراط والإدمان ... إن الشعب لدى المسيحيين أضحى متبلد الذهن تحت تأثير الخمر ، كما إن الشباب قد انتابه العته لانغماسه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء ، والموظفين والنساء اللاتي يعملن في أماكن اللهو ، ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهن في الفسق والترف) .

وجاء فيه أيضا : (لقد كنا أول من صاح في الشعب فيما مضى « بالحرية والإخاء والمساواة » تلك الكلمات التي راح الجهلة في أنحاء المعمورة يرددونها . بعد ذلك دون تفكير أو وعي ... إن نداءنا « بالحرية والمساواة والإخاء » اجتذب إلى صفوفنا من كافة أركان العالم ، ويفضل أعواننا ، أفواجا بأكملها لم تلبث أن حملت لواءنا في حماسة وغيرة . وكانت هذه الكلمات - في ذلك الوقت - تسمى إلى الرخاء السائد لدى المسيحيين وتحطم

سالمهم وعزيمتهم ووحدهتهم ؛ عاملة بذلك على تقويض دعائم الدولة . وأدى ذلك العمل إلى انتصارنا) .

وجاء في البروتوكول الثانى : (.. أما غير اليهود فإنهم لا يستفيدون من تجارب التاريخ التى تمر بهم ، ولكنهم يتمسكون بنظريات وتينية دون تفكير فى النتائج التى قد يسفر عنها هذا المسلك . لذلك فنحن لا نغير غير اليهود أية أهمية . فليلهوا ما طاب لهم اللهو حتى ينقضى الوقت . وليعيشوا على أمل ملذات جديدة أو فى ذكرى متع سالفة . وليعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التى أوحينا بها لإلهم ذات أهمية قصوى . فهذا الاعتقاد الذى تؤكد صحافتنا نزيد من ثقتهم العمياء فى هذه القوانين ... يجب أن لا يكون هناك اعتقاد فى أن مناهجنا كلمات جوفاء . فنحن الذين هيأنا لنجاح دارون وماركس ونيقشة [١] ، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التى تركتها هذه النظريات فى أذهان غير اليهود) .

وجاء فى البروتوكول الرابع : (إن لفظة الحرية تجعل المجتمع فى صراع مع جميع القوى ، بل مع قوة الطبيعة وقوة الله نفسها ... على أن الحرية قد لا تنطوى على أى ضرر ، وقد توجد فى الحكومات وفى البلاد دون أن تسيء إلى رخاء الشعب ، وذلك إذا قامت على الدين والخوف من الله والإخاء بين الناس المجرد من فكرة المساواة التى تتعارض تماما مع قوانين الطبيعة ، تلك القوانين التى نصت على الخضوع ، والشعب باعتناقه هذه العقيدة سوف يخضع لوصاية رجال الدين ويعيش فى سلام ويسلم للعناية الإلهية السائدة على الأرض ، ومن ثم يتحتم علينا أن ننزع من أذهان المسيحيين فكرة الله والاستعاضة عنها بالأرقام الحسابية والمطالبة المادية) .

وجاء فى البروتوكول الخامس : (ولكى نطمئن إلى رأى العام يجب بادئ ذى بدء أن نربكه تماما فنسمعه من كل جانب وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق فى تيههم ، فيدركون حينئذ أن أقوم سبيل هو أن لا يكون لهم أى رأى فى الشؤون السياسية ... والسر الثانى الملزم لنجاح حكومتنا يقوم على مضاعفة الأخطاء

[١] من المعروف أن فرويد رأس المزايم النفسية الحديثة التى تستند إلى ما سماه العقل الباطن ، والتى تجعل الغريزة الجنسية محور الشخصية الانسانية يهودى . بل لقد كان معروفا بتعصبه المفرط لليهود فلم يكن يختار مساعديه وأعوانه إلا منهم .

التي ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية في البلاد لدرجة يتعذر معها التفكير تفكيراً سليماً وسط تلك الفوضى ... وسوف تساعدنا تلك السياسة كذلك على بث الفقرة بين جميع الأحزاب وعلى حل الجماعات القوية وعلى تثبيط عزيمته كل عمل فردى يمكن أن يعرقل مشروعاتنا) .

وجاء في البروتوكول الثامن : (لا يتيسر إسناد المناصب الرئيسية في الحكومة إلى إخواننا اليهود . فأننا سندسند المناصب المهمة إلى أناس من ذوى السمعة السيئة حتى تنشأ بينهم وبين الشعب هوة سحيقة ، أو إلى أناس يمكن محاكمتهم والزج بهم في السجون إذا ما حالوا دون تنفيذ أوامرنا ، والغرض من هذا هو إرغامهم على الدفاع عن مصالحنا حتى النفس الأخير) .

وجاء في البروتوكول التاسع : (ولكي نخطم التنظيمات التي أقامها غير اليهود عاجلاً ، فأننا قد دعمناها بخبرتنا وأمسكنا بأطراف أجهزتنا . فقد كانت الأجهزة تسير في الماضي بنظام صارم ولكن عادل . فأحللنا محلها نظاماً متحرراً غير منظم . ووضعنا يدنا على التشريع ، وعلى المناورات الانتخابية ، وتحكمتنا في إدارة الصحافة وفي نمو الحرية الفردية . والأهم من ذلك كله إشرافنا على التعليم وهو المعول الرئيسى للحياة الحرة) .

وبعد ، فاني أسوق هذا الحديث إلى دعاة المجتمع المختلط في المدارس وفي الجامعات وفي الأندية والمجتمعات ، وفي المصانع والمتاجر ، وفي إدارات الحكومة ومحافلها ، وفي المعسكرات والمهرجانات ، حيث تعرض أجساد الطالبات وأنفادهن وأذرعهن ومفاتيح أجسادهن في تمايلهن وتثنيهن باسم الرياضة والفن ، والتي انتهت أخيراً إلى إجراء مسابقات للسباحة في الجامعات تظهر فيها الطالبات عاريات إلا من زى الشاطئ الذى لا يستتر من العورات إلا ما يضاعف فتنته وإغراءه ، وذلك على مشهد من الأساتذة والطلاب في منشآت الجامعات الرياضية ، إلى هؤلاء جميعاً أسوق الحديث . ثم إنى أرجئ الشطر الآخر من الموضوع ، وهو الخاص باشتغال المرأة بأعمال الرجال مما جرى عرف بعض الناس في هذه الأيام على تسميته « حقوق المرأة » إلى حديث تال إن شاء الله ما

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

عروة بن الزبير

٢٢ - ٩٣

ما أشد حرصى لك أن تنظر فى تاريخ رجال الإسلام ، وعلمائه الأعلام ، ولا سيما مثل هذا التابعى الجليل الذى اختلط العلم والإيمان بأجمه ودمه فبلغ فى التماسك والرجولة وصفاء النفس . مبالغا لو تقطعت دونه أعناق المدعين المستكبرين من قادة الغربيين وكبار الموجهين فيهم ، لما بلغوا قليلا منه . وما أكثر نظراءه من رجال الإسلام أمثال سعيد بن المسيب والحسن البصرى وابن سيرين وعلى زين العابدين ومحمد بن الحنفية ومن قبلهم صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وما أكثرهم من أمثال ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وسعد بن بى وقاص وأبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وكثير غيرهم ممن نوهنا بهم على صفحات هذه المجلة أو بأشغالهم ثم أفردنا لهم كتابا تسجل فيه مفاخرهم ، وما كان لهم من مزايا وفضائل هيئات أن يظفر بها إلا من أخذ هذا الدين بقوة وهداه الله للعمل بذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للتقنين .

هذا ليعلم الشرق والغرب وكل عاقل منصف أن الإسلام بتربيته الرفيعة ، وبتوجيهاته السامية فتح على الإنسانية ثروة ثرة للبشرية أن ينضب معينها حتى يرت الله الأرض ومن عليها ، وأنه دين جدير أن يبنى النفوس على العز والمجد وأن يخرج النفوس من بؤر الشهوات . وأوجار الحيوانات ، وأعشاش الظلمات ، إلى حيث النور الساطع . والضياء الثاقب . والأحصان السماوية فى تلك النفوس الكريمة الملكية ، وإلى حيث الربانية الحق . قد انسلخت من استعباد المادة . وقبورها الضيقة الجبال . إلى حيث الروح الذى وسع كل شيء ، وقدر على كل شيء ، وأتى بالمعجزات ، وحير الكائنات .

وعروة بن الزبير تابعى من أئمة التابعين وكبارهم ، وابن صحابى من خيرة الصحابة وأفذاذهم وأفرادهم ، وصحابة من أعرق الصحابة وقائديهم وعبادهم . هو فى شرف النسب فى الغاية التى قل أن تدرك إلا فضلا من الله سبحانه : أبوه الزبير بن العوام الذى كان من أسبق السابقين إلى الإسلام . فكان رابع أربعة فيه وامتاز بأنه لم يبالغ الحنث ولم يقارف الشرك كابن خاله على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وبأنه أول من سل سيفا فى الإسلام

دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبأنه حوارى النبي صلى الله عليه وسلم وناصره ، وبأنه أحد العشرة المبشرين ، وبأن النبي صلى الله عليه وسلم فداد بأبويه يوم قريظة فقال : بأبي أنت وأمي ، وبأنه وبأنه ...

وأمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين العابدة القائنة العالمة الراوية ، وجده أبو بكر من جهة أمه ، وجده العوام بن خويلد أخو خديجة بنت خويلد من قبل أبيه ، وخالته عائشة بنت أبي بكر ، وأخوه عبد الله بن الزبير ، وأخوه مصعب بن الزبير . وكل هؤلاء ممن تكتب فيهم الأسفار فما تقضى حقهم ، ولا تنفى بآثرهم .

فلو لم يكن لعروة بن الزبير مناقب لكانت هذه مناقبه ، لأن غصنا ينبت من هذه الشجرة جذير ألا يكون إلا طيباً مؤتياً أطيب الثمرات ، والغصن ينبت حوله الغصن .

فما لك من خير أتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل

فكيف إذا تحقق له أنه كان من مفاخر آل الزبير بن العوام إذا ذكر الفقهاء فقد كان واحداً من سبعة يعدون على الأصابع . وإذا ذكر العلماء الربانيون فقد كان غرة في جبينهم ، ماحلته رجله نحو فاحشة ، ولا نام عن ورده ليلة . وإذا ذكر الكرماء والأجواد فقد كان من عيونهم ومفاخرهم . وكان يملك بستاناً من النخيل فكان يثله أيام الرطب ليدخل الناس بلا حاجب ولا حارس . فمنهم من يدخل فيأكل . ومنهم من يجمع فيجتمل والكل آمن قرير العين رضى بذلك الإحسان .

* * *

ولد عروة رضى الله عنه في السنة الحادية والعشرين للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وتوفي سنة ٩٣ هـ في عهد الوليد بن عبد الملك .

فقد نشأ في عهد خليفتي من الخلفاء الراشدين تكون فيهما وصاب عوده على علم النبوة الموروث بالمدينة التي هي موطنه يتقلب بين الصحابة ويأخذ العلم عن أبيه وغيره من علمائهم وأخبارهم وأئمتهم . واستوى في عهد بنى أمية الأول وفي الأمة بقية من الخير برغم ما كان يهب من عواصف السياسة التي لا يعرف لعروة مشاركة فيها كما عرف لأخويه ، ولكنه كان للعلم بشراشه ، وللخير من كل وجوهه ، يؤثر السلامة ، ويمض على السنة بنواجذه . وهذا العهد مبارك بمن فيه من الرعي الأول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هداة الأنام

ونجومه الوضاعة وقد شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم خير القرون ، فمن لزم جادتهم فقد فاز وأفلح ، ومن عشا إلى ضوئهم من أمثال عروة بن الزبير فقد هدى إلى صراط المستقيم .

أخذ العلم عن أبيه الزبير بن العوام وعن زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وسعيد بن زيد [١] وحكيم بن حزام [٢] وأبي هريرة . وتفقه كما نقل الذهبي بخالته عائشة فاطنك بمن تفقه بتلك السيدة العليمة أم المؤمنين .

ثم أخذ عنه بنوه محمد ويحيى وعثمان وعمر وعبد الله وحفيده عمر بن عبد الله ، وأخذ عنه الإمام الزهري [٣] وابن المنكدر [٤] وأبو الأسود وغيرهم ، وقالوا : إنه كان بحرا لا ينزف ، عالما بالأنساب ، حافظا متبعا ، وكان من الصلاح والذكاء بحيث يصوم الدهر كله ، ومات صائما ، وكان يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف ويقوم به فما تركه إلا ليلة قطعت رجله بالمنشار حين وقعت فيها الأكلة فأمر بقطعها . ومن الناس من يقول إنه لم يترك ورده في تلك الليلة ، وحديث قطع رجله وما حفر به من أعجب الأحاديث ومن أدلها على أن الروح إذا تغلبت على البدن وتخلصت من رعونات النفس فعلت العجب ، وتجلت بما يعجز عن مثله البدن ، واستغنت عن كثير مما تتقاضاه سنن السكون وأنظمتها كما وقع لعمر من رؤية سارية ودونه المسافات ، وكما وقع لجعفر وقد قطعت رجله فأخذها يخترق بها الصفوف ويقاثل بها .

حديث قطع رجله :

نقل ابن خلكان عن أبي اسحاق المبرد في كتاب المغازي عن اسحاق بن أيوب وعاصم ابن حفص وسلمة بن محارب قالوا : قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه

[١] صهر عمر بن الخطاب وابن عمه . وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .
[٢] هو ابن أخي خديجة - حزام بن خويلد ، وابن عم الزبير . وله في الكعبة وكان من أشرف قريش في الجاهلية والاسلام عاش ١٢٠ سنة ٦٠ في الجاهلية و ٦٠ في الاسلام .
[٣] كان الزهري أعلم الحفاظ ، وهو من التابعين ، سمع من ابن عمر ، وقال إمام مصر الليث ابن سعيد : إنه ما رأى عالما قط أجمع منه . وحدث عن نفسه فقال : أما رأيت أحدا أصبر على العلم مثلي ولا نشره أحد تشري .

[٤] شيخ الاسلام للقرشي التيمي تابعي سمع من أبي هريرة وابن عباس وغيرهم من كبار الصحابة قال مالك : إنه سيد القراء توفي سنة ١٣٠ .

ولده محمد بن عروة فدخل محمد دار الدواب فضربته دابة فخر ميتا ووقعت في رجل عروة الأكلة ، ولم يترك ، وردة في تلك الليلة . فقال له : الوليد : اقطعها وإلا أفسدت عليك جسدك ، فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير ولم يمسه أحد وقال : « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » ولم يزد على ذلك .

ثم عزاه إبراهيم بن محمد بن طاححة فكان أحسن من عزاه ، قال له : والله ما بك حاجة إلى المشي ، ولا أرب في السعي ، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة والكل تبع للبعض إن شاء الله ، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء ، وعنه غير أغنياء من علمك ورأيك . نفعك الله وإيانا به ، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك .

وقال ابن قتيبة وغيره : إنه لما دعى الجزار ليقطعها قال له : نسقيك الخمر حتى لا تجد لها ألما ؟ قال : لا أستعين بحرام الله على ما أرجو من عافية ! قال : فنسقيك المرقد ؟ قال : ما أحب أن يقطع عضو من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتسبه . قال : ودخل عليه قوم أنكرهم فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : يمسونك ، فان الألم ربما عذب معه الصبر . قال : أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسي ، فقطعت كعبه بالسكين حتى إذا باغ العظم وضع عليها المنشار فقطعت وهو يمل ويكبر ، ثم إنه أغلى لزيت في مغارف الحديد فحسم به فغشى عليه فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه ، ولما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبا في يده ثم قال : أما والذي حننى عليك إنه ليعلم أنى ما مشيت بك إلى حرام ، ثم قدم المدينة فقال :

اللهم إنه كان لي أطراف أربعة فأخذت واحدا وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد ، وإيم الله لئن أخذت لقد أبقيت ، ولئن ابتليت لاطالم عافيت .

وفي بعض الروايات أن الوليد بن عبد الملك كان في المجلس ساعة القطع وكان مشغولا بالحديث مع بعض جلسائه فلم يشعر إلا حين شم رائحتها عند الكي ، ومهما يكن لقد كان في هذه الحادثة كثير من العبر التي تفسر ما يصنع الإسلام بأبنائه من قوة وجلد وتماسك وصبر هيات أن يكون إلا في نفس آمنت بالله فاخترط الإيمان بها ، وقويت روحيتها بتعليم الإسلام فلم تبال ما يصيب جسدها .

فهذا رجل يمثل الإسلام الأولى في سلامته : بمصيبتين جليلتين :

إحداهما في ولده الذى استصحبه معه يستعين به على ضعف الشيخوخة وهو في دار غربلة لا عضد له سواه بعد الله .

والثانية في قدمه التى لم يسلبها كما يسلب الشيء المنفصل الذى قد يتعزى بفقده ويسلب عنه ، ولكنها قطعت بالسكين والمنشار ، والشأن في مثل ذلك أنه بلاء لا يحتمل ، وألم لا يطاق في طبيعة البشر ، ولهذا عرض عليه أن يشرب الخمر ثم عرض عليه أن يشرب المرقد ثم أحضر له قوم يمسكونه حتى لا يتفلت من الوضع إذا طاش به الحلم على مقتضى الطبع البشرى ، ولكنه أبى شيئاً من ذلك فلم يقبل واحداً منه ، ثم أمسك برجله وأقبل عليها يخاطبها ، وأشهد الله أنه لم يمش بها في غير طاعة الله . وذلك قرة عينه وغاية مطلبه ، ثم هو بعد ذلك يناجى ربه بأنه أحسن في المصيبة ، وأبقى له أكثر من العوضين ، فله هذه النفوس العظيمة الكريمة ، لقد علمها الله في دينه كيف تواجه كل شيء في الحياة وكيف تصبر على كل نازلة وبلاء وترضى في حالى النماء والضرء ، وهذا هو الإسلام الذى يريدون أن يصرفوا الناس عنه ويصدوهم عن سبيله ليكبلوهم في قيود الشهوات التى تحلل الناس وتفكك من تماسكهم وتجعلهم أقل وضعا من الحيوان الأعجم : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

أيها المسلمون : هذا دينكم وهذه بعض صور بعض من تكونوا في مدارسهم الصريحة ، نعرضه عليكم لتزدادوا إيمانه ، وتمسكاً بتعاليمه : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً » اللهم بصرنا بالحق وأعنا عليه .

محمود الزواوى

صفة العالم

كان أسلافنا يقولون : « لا يكون العالم عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ ثمناً على العلم » .

الإصلاح الدينى

«مقاصده وأطواره»

قامت دعوة الأنبياء والرسل فى أهدافها وأغراضها ، على تحقيق ثلاثة مقاصد ، وهى إصلاح العقائد ، وإصلاح الأخلاق ، وإصلاح الأعمال .

هذه هى المقاصد الإصلاحية ، التى اتفقت عليها جميع الشرائع السماوية ، والتى لم تختلف باختلاف الشعوب والأمم ، ولا بتعدد الأنبياء والرسل .

أما المقصد الأول : وهو إصلاح العقائد ، فيرجع فى جملته إلى تنمية الدين الفطرى ، والانتقال به من حيز الإجمال والسكران ، إلى حيز التفصيل والظهور ، والتدرج به من الشعور الوجدانى إلى الاعتقاد القلبى ، وذلك بالإرشاد إلى دلائل التوحيد والتنزيه ، التى لا تتعاضى على عقول المخاطبين ، ولا تنبؤ عنها مداركهم وأفهامهم ، كتوجيه عقولهم إلى مسارح النظر فى ظواهر العوالم الكونية ، وما فيها من الدلائل على وجود الله وتفردة بالألوهية والربوبية ، واتصافه بصفات الجلال والجمال والكمال ، التى تجلت مظاهرها فى بدائع الموجودات وروعة الكائنات ، فإن أقصى ما تستطيع العقول إدراكه من شئون الله جل جلاله ، إنما هو أسماءه الحسنى وصفاته العلىا ، وبذلك استطاع الإنسان أن ينتقل بايمانه من طور الشعور الوجدانى ، إلى طور العلم الاستدلالى ، وأن يجمع بين الدين الفطرى والدين التشريعى ، الذى بعث الله به الأنبياء والرسل .

وهذا المقصد هو الذى يحقق صلة الإنسان بربه ، وهى صلة العبودية لله وحده ، والاعتصام به والإسلام له ، كما قال تعالى : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » ، ٣ : ١٠١ ، « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، وإلى الله عاقبة الأمور » ، ٣١ : ٢٢ ، فالعبودية لله وحده ، والاعتصام به والاستسلام له ، والفرع إليه فى الشدائد والملمات ، والإقبال على طاعته ، والفرار من معصيته ، والخوف من عقابه وبطشه ، والرجاء فى عفوه وكرمه هى مظاهر الإيمان

بالله واليوم الآخر ، وآثاره الدالة على وجوده في أعماق القلوب ، وبدون هذه الآثار لا يتحقق له وجود واستقرار في القلوب ، فان وجود العقيدة يستلزم وجود آثارها ومظاهرها ، فلا تنفك عنها إلا بمقدار ضعفها أو فقدانها ، فالعمل هو الميزان الصحيح لقوة العقائد أو ضعفها .

وأما المقصد الثاني : وهو إصلاح الأخلاق ، فيرجع في جملته إلى تنمية غرائز الخير وأصول الفضائل في النفوس ، وترويضها على مكارم الأخلاق ومحامد الصفات ، وذلك بالترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، والتوجيه والإرشاد ، وشرع بعض العبادات التي تزكي النفوس وتهذب الأخلاق ، وتملأ القلوب بحبة الله وخشيته ، ومراقبة جلاله وعظمته ، والخوف من بطشه وانتقامه ، والرجاء في فضله وإحسانه ، وقد روعي في شرع هذه العبادات ، أن تكون بالـكـيفيات التي تتشـى في تأثيرها وانفعال النفوس بها ، مع الصفات النفسية والخلقية للأنـم التي شرعت لها ، وهذا المقصد من مقاصد الإصلاح الديني ، هو الذي يحقق في الإنسان معنى الإنسانية الكاملة ، ويعده للقيام بأعباء الخلافة التي خلق لأجلها ، فان الأخلاق القويمة السكرية ، هي الأساس الأول في بناء المجتمعات الصالحة ، التي تتمثل في مظاهرها الحياة السكرية الفاضلة .

وأما المقصد الثالث : وهو إصلاح الأعمال ، فيرجع في جماته إلى تنظيم الحياة العملية للأفراد والجماعات ، والسير بها على النهج الذي يجلب الخير والسعادة للساكنين ، وذلك بوضع أصول السير وقواعد السلوك ، التي يستطيع المخاطبون بها ، أن يقيموا عليها حياتهم الدينية والاجتماعية ، وتفصيل ما يتعاضى من مناهج السلوك على عقولهم ، ولا يستطيعون الاهتمام إليه على سبيل الاستقلال والابتكار ، وأما الشؤون الدنيوية التي لا تتعاضى على عقولهم وأفهامهم ، فقد وكلها الله إليهم بعد أن أرشدهم إلى أبواب الوصول إليها ، وحثهم على طلبها والبحث عنها ، والتصرف على مقدار الحاجة إليها ، وكيفية الانتفاع بها ، وطالبهم في ذلك كله بالالتزام القصد والاعتدال ، وحسن النية وسلامة الاعتقاد ، وهذا المقصد من مقاصد الإصلاح الديني ، هو المحقق لمعنى استخلاف الإنسان في الأرض ، فان العمل للدين والدنيا هو سر الخلافة الأرضية ، وهو الثمرة العملية لإصلاح العقائد والأخلاق ، وهو سبيل السعادة في الدنيا والآخرة .

هذه هي المقاصد الإصلاحية التي قامت عليها دعوة الأنبياء والرسل ، وانفقت عليها

جميع الشرائع والأديان، وهى الدين القيم الذى رضيه الله ديناً لعباده فى كل زمان ومكان، وربط به السعادة فى المعاش وفى المعاد، كما قال جل شأنه : « والعصر إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، ١٠٣ : ١ - ٣ » ، فدين الله فى الأولين والآخرين ، وعلى أسنة جميع النبيين والمرسلين ، دين واحد لا تختلف أصوله ومقاصده ، وإنما تختلف شرائعه ومناهجه ، تبعاً لاختلاف الأمم فى أطوارها وأحوالها ، ولقد قرر القرآن هاتين الحقيقتين فى آيات كثيرة ، فقال تعالى فى بيان الحقيقة الأولى : « إن الدين عند الله الإسلام ، ٣ : ١٩ » ، « ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين ، ٣ : ٨٥ » ، « قل إننى هدى إلى ربي إلى صراط مستقيم ، ديناً قيمياً ملة إبراهيم حنيفاً ، ٦ : ١٦١ » فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما فى معناها ، تدل دلالة واضحة جلية ، على أن دين الله فى الأولين والآخرين واحد فى أصوله ومقاصده .

وقال تعالى فى بيان الحقيقة الثانية : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، ٥ : ٤٨ » أى لكل أمة منكم جعلنا شريعة أوجبنا عليهم أن يقيموا أحكامها ، وطريقاً واضح المعالم فرضنا عليهم أن يسلكوا معالمه ، ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ، أى ذات شريعة واحدة ومنهاج واحد ، ولكنه لم يشأ ذلك ، بل جعلكم أمماً مختلفة ، وجعل لكل أمة شرعة ومنهاج ليختبركم فيما أعطاكم من الشرائع والمناهج ، فهذه الشرائع والمناهج العملية المختلفة ، هى مظاهر التفاوت بين شرائع الأنبياء والرسل ، وهذا التفاوت راجع كما قلنا ، إلى اختلاف أطوار الأمم فى حياتها الفكرية والاجتماعية ، وتفاوت أحوال السائرين فى مراحل السير المختلفة ، فكان لكل مرحلة من هذه المراحل منهاج تشريعى خاص ، يتشى مع مطالب السائرين واستعدادهم ، وتطور عقولهم وأفكارهم ، لأن الإنسان بمقتضى سنة التدرج التى فطر عليها ، لم يكن مستعداً للعمل بشريعة واحدة فى جميع أجياله وأطواره فافتضت حكمة التشريع السماوى ، أن يكون جارياً مع الإنسان على سنة التدرج فى تكليفه ، ومسائراً لأطوار حياته الفكرية والاجتماعية فى مناهجه ، وهكذا تمتش الشرائع السماوية فى أحكامها ومناهجها ، مع أطوار الأمم فى تعقلها وتفكيرها ، وبدواتها وحضارتها .

فكان التشريع فى أول نشأة الإنسان ووجوده ، قاصراً على بعض إرشادات

وتوجيهات تلائم حالة المخاطبين ، وتنقرر في أذهانهم لقلتها وسهولتها ، ولا تحتاج لتدوين ولا إلى إنزال كتب سماوية ، فكان الرسول في بداية التشريع الساموي ، يباشر بنفسه تبليغ هذه التوجيهات إلى قومه ، ويتعهدهم بالموعظة الحسنة والتربية العملية ، ويرعاهم كما يرعى الوالد شئون أبنائه وحفدته ، وهم على كשב منه لقلّة عددهم وتقارب مساكنهم ، فلما كثر العدد واتسع نطاق العمران في الأرض ، وتعددت الشعوب والأمم ، وتباعدت الأقطار والأمصار ، واختلفت الأنظار والاتجاهات .

اقتضى التشريع الإلهي الحكيم ، أن تدون الشرائع في صحف وكتب منزلة ، يقوم بتبليغها وتبيينها النبيون ، ويتدارسها الحواريون والربانيون ، ويتوارثها الأحرار والعلماء فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل عليهم الصحف والكتب ، على النهج الذي يتشى مع استعداد الأمم ، وفي إصلاح أحوالهم وعلاج أدوائهم ، وتنظيم شئون دينهم وديارهم ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، ٢ : ٢١٣ » .

وجاءت توجيهات العقول إلى دلائل التوحيد والتنزيه ، واستظهار آيات الله الكونية والتشريعية ، على قدر استعداد العقل البشري لإدراكها وفهمها ، وتمشت مع أطوار رقيه في بساطتها ودقتها ، فان النوع الإنساني ، لم يخلق على درجة واحدة من الفكر النظر ، والعلم والفهم ، من أول نشأته وعهده بالوجود ، إلى أن يبلغ متمى ما قدر له في الأرض من بقاء ووجود ، وإنما جرى في كماله العقلي والفكري ، على سنة التدرج والترقي ، وإلى هذه الحقيقة التي قررناها ، يشير قوله صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء ، أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » .

ووضعت منهج الأخلاق وتربية الملكات الفاضلة ، على قدر استعداد المخاطبين لمراتب الكمال البشري ، وحاجتهم إلى الإصلاح الخلق ، فان هذا الكمال الذي قدر للنوع الإنساني أن يبلغه ، لا يمكن أن يتحقق له في طور واحد من أطوار حياته ، وإنما يتحقق له على سبيل التدرج والترقي ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، والأمراض الخلقية التي تحتاج إلى وقاية أو علاج ، لم تحدث

كلها في محيط المجتمع البشرى في وقت واحد ، وإنما كانت تحدث شيئا فشيئا ، تبعا لحدوث أسبابها وعللها المتجددة ، فإن الانسان وإن كان بمقتضى فطرته جامعا لأصول الفرائض والأخلاق ، إلا أن عوامل الحياة وأحداثها المتجددة ، هى التى تظهر كوامن الفرائض وخفايا الأخلاق ، وتكشف عن مكنون الميول والأهواء ، والشرائع السماوية إنما جاءت للإصلاح والإرشاد ، والوقاية والعلاج .

والعلاج إنما يكون للأمراض الخلقية التى حدثت ، أو التى يتوقع حدوثها لوجود أسبابها وعللها ، فلم يكن من المعقول وهذه طبيعة العلاج والوقاية ، أن تعنى الشرائع السماوية ، بوضع القوانين العلاجية والوقائية ، لأمراض خلقية لم تحدث في محيط المخاطبين بها ، ولا ظهرت بينهم أسبابها وعللها ، ولهذا وضعت مناهج الأخلاق في كل شريعة من الشرائع ، على قدر حاجة المخاطبين إلى الإصلاح والعلاج كما قلنا .

ووضعت مناهج العبادات على صور تختلف باختلاف الأمم التى شرعت لها ، وتمشى في يسرها وشدتها ، مع رقة عواطفها أو شدة طباعها ، وإن كانت أصول هذه العبادات متحدة في الشرائع السابقة واللاحقة ، كما يدل لذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، ٢ : ١٨٣ » « واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ، ١٩ : ٥٤ - ٥٥ » « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا ، وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ٢٢ : ٢٦ - ٢٧ » فالصلاة والصوم والزكاة والحج ، كانت مشروعة في الشرائع السابقة ، كما هى مشروعة في شريعة الإسلام ، وإنما تختلف في صورها وكيفياتها ، ومقاديرها وأوقات أدائها ، تبعا لاختلاف الأمم في استعدادها ونفسياتها ، ومدى انفعالها وتأثرها بهذه الصور والكيفيات لأن العوامل الروحية التى تحرك أوتار القلوب ، وتثير كوامن الأحاسيس والمشاعر ، تختلف في تأثيرها باختلاف الصور والكيفيات ، والأمزجة والنفسيات .

ولهذا تمشت التكاليف الشرعية في صورها وكيفياتها ، وفي يسرها وشدتها ، مع تفاوت الأمم في أمزجتها ونفسياتها ، ورقة عواطفها وشدة طباعها ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ، الذى يجذونه مكتوبا عندهم في

التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، ٧ : ١٥٧ « أى الأحكام الشديدة التي كانت مفروضة عليهم في شرائعهم ، والتي تلائم شدة طباعهم وتمردهم على تعاليم أنبيائهم .

ووضعت أنظمة المعاملات بين الأفراد والجماعات ، على المناهج التي تتماشى مع تطور المجتمع الإنساني ، في حياته الفكرية والاجتماعية وتفي بحاجاته في بداوته وحضارته ، فإن هذا التطور كان في كل مرحلة من مراحله ، يحدث أنواعا من المعاملات والصلات ، لم تكن موجودة في المرحلة التي قبلها ، فكل طور من أطوار حياة الشعوب والأمم ، كان له طابع خاص في المعاملات والصلات ، والميول والاتجاهات ، فاقتمت سنة التدرج في التشريع السماوي ، أن تكون هذه الأنظمة متمشية في أصولها ومناهجها ، مع الأطوار المختلفة لحياة الشعوب والأمم ، ومن هنا يتضح لنا جليا أن التشريع السماوي سار مع النوع الإنساني ، على سنة التدرج والتطور ، وأن هذا التطور لم يكن في العقائد والأصول والمقاصد ، لأنها حقائق ثابتة ، لا تتغير ولا تبدل ، ولا تجري عليها سنن التدرج والتطور ، وإنما كان التدرج والتطور ، في طريقة تبليغ هذه الأصول والعقائد ، وفي كيفية الاستدلال عليها وتقريرها في الأذهان ، وفي التكاليف العملية والمناهج الإصلاحية ، على النحو الذي ينفي بحاجة المخاطبين إلى الإصلاح وتزكية النفوس ، ونشئة روح العبودية لله في القلوب ، وأن الشرائع السماوية وإن اتفقت كلها في المبدأ والغاية ، وفي كونها هدى ونورا للسائرين ، إلا أنها تختلف في مناهج الهداية والإرشاد ، وطرائق الإصلاح والعلاج ، تبعا لاختلاف الأمم في الاستعداد الفطري ، والاتجاه النفسي والفكري ، والسلوك الخلقى والاجتماعي .

وهكذا تدرج التشريع السماوي مع النوع الإنساني ، وسار به في أطواره حتى بلغ طور السكال والرشد ، واستعد لمرحلة تشريعية عامة ، وقيادة دينية واحدة ، يتولى زمامها رسول واحد ، وقد شادت إرادة الله جل جلاله وعظمت نهاؤه ، أن يعقد لواء هذه القيادة العامة والرسالة الخالدة ، لبشير الرحمة ونبي الإسلام ورسول السلام ، محمد بن عبد الله سيد المرسلين وخاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

وإلى الحديث التالي إن شاء الله ٥

بسمي سويلهم طه

المفتش بالأزهر

مصادر الشريعة الاسلامية

المصالح المرسلة - « تعريفها »

- ١٢ -

٣ - ان المقصود من التشريع جلب المصالح ودفع المفاسد والمضار عن الخلق ، ولا ريب في أن مصالح الناس تتجدد بتجدد الزمان ، وتختلف باختلاف البيئات ، ولا سبيل إلى حصرها في عدد معين . فاذا لم تعتبر المصالح المتجددة ، ولم تشرع لها الأحكام المناسبة ، ووقفنا عند المصالح التي قام الدليل على رعايتها لضاع على الناس كثير من مصالحهم ووقف التشريع عن مسيرة تطورات الحياة ، وهذا لا يتفق وما قصد بالتشريع من تحقيق مصالح الناس ، ودرء المفاسد عنهم ، ولا يتلاءم مع ما هو مقرر من أن هذه الشريعة شريعة الخلود والبقاء .

واستدل المنكرون لحجية المصالح المرسلة بما يأتي :

أولا : أن الشارع الحكيم ألغى بعض المصالح ، واعتبر بعضها ، والمصالح المرسلة مترددة بين ما ألغاه الشارع منها وبين ما اعتبره ، تحتل أن تكون من المصالح التي ألغاه الشارع ، وتحتل أن تكون من المصالح التي اعتبرها ، ومع هذا الاحتمال لا يصح الجزم ولا الظن باعتبارها وبناء الأحكام عليها ، وإلا كان ترجيحها بلا مرجح ، وهو لا يجوز والجواب عن هذه الشبهة : أن القائلين بحجية المصالح المرسلة لا يدعون الجزم باعتبارها بل يقولون : إن الظاهر اعتبارها ، والظهور كاف في الأحكام العملية .

وليس في الحكم بهذا الظهور ترجيح من غير مرجح لأن ما ألغاه الشارع من المصالح قليل بالنسبة لما اعتبره منها . فاذا كان هناك مصلحة لم يقم الدليل على اعتبارها أو إلغائها كان الظاهر إلحاقها بالكثير الغالب دون القليل النادر .

على أن ما ألغاه الشارع من المصالح لم يبلغه لأنه مصلحة ، بل لما يترتب على اعتبارها

من المفاسد التي تساويها أو ترجح عليها ، وهذا غير متحقق في المصالح المتنازع فيها .
لأن جانب المصلحة فيها راجح على جانب المفسدة . كما هو فرض الكلام فلا يصح إلحاقها
بالمصالح التي ألغاهما الشارع .

ثانياً : أن الاعتداد بالمصالح المرسلة في تشريع الأحكام طريق لذوى الأهواء ،
ومن ليس أهلاً للاجتهاد ينفذون منه إلى التصرف في أحكام الشريعة وبنائها على ما يوافق
أهواءهم ومصالحهم الخاصة ، وفي هذا إهدار للشريعة وخروج عن قيودها ، وهو لا يجوز .

والجواب عن هذه الشبهة سهل إذا عرفنا أن شرط الأخذ بالمصالح ألا يرد فيها دليل
شرعى معين يدل على اعتبارها أو إلغائها . فان هذا الشرط يخرجها عن أن تكون في
متناول العلماء الذين لم يبلغوا درجة الاجتهاد . فضلاً عن غيرهم من العوام أو ذوى
الأهواء . إذ لا يدري أن هذه المصلحة لم يرد في اعتبارها أو إلغائها دليل شرعى إلا من
كان أهلاً للاستنباط . فليس كل ما يبدو للعقل أنه مصلحة يدخل في قبيل المصالح
المرسلة ، وتبنى عليه الأحكام ، وإنما هي المصالح التي يدركها من هو أهل لتعرف
الأحكام الشرعية من مصادرها . حتى يمكن الوثوق بأنه لم يرد في الشريعة دليل يدل على
اعتبارها أو إلغائها .

ثالثاً : أن العمل بالمصالح المرسلة يؤدي إلى اختلاف الأحكام باختلاف الأزمان
والبيئات . فان المصالح - كما هو مشاهد - تتغير بتغير الأزمان وتتجدد بتجدد الأحوال ،
وهذا يناقى عموم الشريعة وصلاحياتها لكل زمان ومكان .

وهذه شبهة أضعف مما سبقها لأن اختلاف الأحكام باختلاف الأزمان وتبدلها
بتبدل المصالح معدود من محاسن الشريعة . وهو من الطرق التي تجعلها صالحة لكل
زمان ومكان .

وليس اختلاف الأحكام الناشئ عن مراعاة المصالح المرسلة اختلافاً في أصل
الخطاب حتى يكون منافياً لعموم الشريعة بل هو اختلاف ناشئ عن التطبيق لأصل
عام دائم ، وهو أن المصلحة التي لم يرد دليل على اعتبارها أو إلغائها يقضى فيها المجتهد
على قدر ما يراه فيها من صلاح ، فكأن الشارع يقول لمن أوتى العلم : إذا عرض لك

أمر فيه مصلحة ، ولم تجدوا في الأدلة ما يدل على اعتبارها أو إلغائها فزنوا تلك المصلحة بعقولكم الراسخة في فهم المقصود من التشريع ، وفصلوا لها حكما يوافقها .

هذه أدلة الفريقين وما يرد عليهما من مناقشة ومنها يتبين بجلء أن القول بحجية المصالح المرسله هو القول الراجح الذي تشهد له الأدلة ، والذي جرى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الاجتهاد في العصور المختلفة ، وأن إنكار هذا الأصل مخالفة للأدلة القائمة على حجتيه ، وفيه فتح باب للطعن على الشريعة ورميها بالجمود وعدم مسايرتها لتطورات الحياة .

وكيف يسوغ إنكار هذا الأصل وهو من أهم الأصول الشرعية ، والذي يمكن أن يأتي بثمر طيب إذا تناوله الرايخ في علوم الشريعة البصير بتطبيق أصولها .

فمن طريق هذا الأصل يمكن لولاة الأمور في الأمة الخبيرين بروح الشريعة ومبادئها العامة وقواعدها الأساسية أن يشرعوا لها الأحكام والقوانين التي تحقق مصلحتها وتلبي حاجاتها العارضة ومطالبها المتجددة إذا لم يجدوا لها دليلا خاصا من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس .

موازنة بين المصالح المرسله والقياس

من يمعن النظر في المصالح المرسله والقياس يجد أنهما يتفقان في أمرين :

أحدهما : أن العمل بهما إنما يكون في الوقائع التي لا يوجد لها حكم خاص في الكتاب أو السنة أو الإجماع .

وثانيهما : أن الحكم الثابت بهما مبني على رعاية المصلحة التي يغلب على الظن أنها تصلح أن تكون مناطا وعلة لتشريع الحكم .

وأنهما يختلفان في أمرين أيضا :

أحدهما : أن الوقائع التي يحكم فيها بالقياس لها نظير في الكتاب أو السنة أو الإجماع يمكن أن تقاس عليه بواسطة المصلحة التي لأجلها شرع الحكم في المنصوص أو المجمع عليه ، أما الوقائع التي يحكم فيها بالمصالح المرسله فليس لها نظير تقاس عليه بل

يثبت الحكم فيها ابتداء بناء على ما يكون فيها من المعنى المناسب الذى يترتب على تشريع الحكم عليه تحقيق مصلحة أو دفع مفسدة .

وثانئهما : أن المصلحة التى بنى الحكم عليها فى القياس قام الدليل المعين على اعتبارها ، أما المصلحة التى بنى الحكم عليها فى المصالح المرسله فلم يقد الدليل على اعتبارها أو إلغائها بل سكت الشارع عنها .

الفرق بين المصالح المرسله والاستحسان :

يمكن أن يفرق بين المصالح المرسله والاستحسان بأن الاستحسان يقتضى أن يكون للسأله التى يحكم به فيها نظائر قد حكم فيها على خلاف ذلك ، أما المصالح المرسله فليس لمحلها نظائر ثبت لها حكم على خلاف ما تقتضيه المصلحة فى ذلك الحال ، بل الحكم فيه ثابت بالمصلحة ابتداء .

وإلى هنا ينتهى الكلام على المصالح المرسله ونتكلم بعدها بمشيئة الله ، على المصدر الرابع وهو الاستصحاب .

زكى العبد شعبان

الأستاذ المساعد بحقوق عين شمس

الوقف على مصالح المسلمين

فى كتاب (السياسة الشرعية) لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ص ١٤٨ :

« من اجتهدات عمر السياسية أنه كان يجعل غنائم الأرض وقفا على مصالح المسلمين ، ينتفع بثمراتها أولهم ، ولا يحرم منها من يجرى بعدهم . وفى ذلك ما أخرجه البخارى (فى كتاب المغازى ، باب غزوة خيبر) . عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضى الله عنه قال : « لولا آخر المسلمين ما فتحت عليهم قرية إلا قسمتها كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر » . وهكذا فعل عمر بسواد العراق : « أبقاء وقفا على المصالح العامة ، وفرض فيه وظيفة الخراج » .

الفتح الاسلامى للمغرب العربى

نحب فى هذه اللمحة أن نحيط قراء مجلّة الأزهر ببعض ما كان عليه الفتح الإسلامى فى بداية أمره للبلاد المغربية لمناسبة ما يجرى على الألسنة بشأن الأحداث الجسام التى غمرت بلاد المغرب وأخذت عليها المسارب وجعلتها للغاصبين نهبا مقسما .

ولمناسبة تلك النهضات والحفيزات التى يقوم بها إخواننا المغاربة فى مناجزة الدولتين الغاصبتين فرنسا وأسبانيا ، وذلك الذى خلق شعورا فياضا عداثيا نحو الغربيين الذين استباحوا جزءا غير قليل من بلاد العرب فى أقطار المغرب العربى . والحق أن فتح العرب للمغرب قد حقق فى نهايته ما لم يستطعه خلال قرون طويلة الفينيقيون ولا القرطاجنيون . ولا حتى الرومانيون لأن العرب تمكنوا من إدخال المغاربة بسرعة فى حظيرة المسلمين ، وإدماجهم رويدا رويدا ، إلى حد امتزاج السلالتين واتحاد العنصرين . حتى أصبح من العسير تحقيق أصول القبائل فى كثير من المناحي .

فحوالى سنة ٦٣ هـ (٦٨٢ م) أى بعد مرور نصف قرن على وفاة الرسول الأعظم توغل عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان بالجيوش الإسلامية داخل الأراضى المغربية وقضى على مابقى من آثار دولة « بيزانس » التى استقرت للمرة الثانية فى المغرب . كما قضى على قبيلتى « كسيلة » و « الكاهنة » اللتين انبريتا للمقاومة . ولكن نجاح الفتح العربى لم يبلغ أشده إلا فى أوائل القرن الثامن الميلادى . بفضل حملة موسى بن نصير الذى يعتبر بحق الفاتح العربى المظفر للمغرب وفى سنة ٩١ هـ (٧٠٩ م) كان المغرب قد ألحق سياسيا بمهبطورة الخلفاء الأمويين ، وبعد ذلك بأقل من عامين اجتاز جيش عمر مكرم كثيف تحت قيادته بربرى مسلم هو طارق بن زياد الطائر الصيى فى عالم الفتوحات المضيق وتزل أسفل الجبل الذى ما يزال إلى اليوم وبعدة يحمل اسم هذا الفاتح العظيم وهو جبل طارق ، وكان البرابرة يؤلفون معظم الجيوش التى حاربت فى أسبانيا ووصلت إلى جنوب فرنسا سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م) وهكذا أسهم المغرب العربى فى المعارك طوال مدة فتح أسبانيا أكثر من أى قطر إسلامى آخر .

وليس فى طوقنا أن نذكر سر هذه السرعة الخارقة التى تم بها الفتح واعتناق المغاربة للإسلام إلا فى مزايا هذا الدين الحديد ، وهو رمز الوحدة والتحرير والإخاء والمساواة والحرية فى أوسع معانيها المشروعة . فبقدر ما كان أثر روما بالمغرب أنانيا واهيا حيث

لم تكن تعنى إلا باستغلال خيرات البلاد والاستثمار بمواردها وصادراتها بقدر ما كان الإسلام كما يقول « المؤرخ تيربى » يتواءم تواءما دقيقا مع مطامح شعب يهيم بالحرية ويهتف بها في أعماق نفسه ، وذلك لما يتسم به هذا الدين السمو الحنيفي من طهارة في روحه وبساطة في معتقداته مع صداقة في مبادئه وديمقراطية في مرماته ومغزاه . بل يمكن القول بأن هناك تجانسا إلى حد ما بين النفسية البربرية وجوهر الإسلام ، بلغ من العمق مبلغا وجد العرب بفضلته في المسلمين الأفارقة حماة لهذا الدين لاتين لهم قناة ، ولا تفرع لهم صفاة ، ويجب أن نضيف لهذه العوامل المختلفة أن سلطة الخلفاء الذين كانوا يشرفون من دمشق على المغرب لم تكن لتضيق المغاربة على ما يظهر ، فان الخلفاء لم يكونوا يطالبون بغير اعتناق الإسلام بحيث يصبح المغاربة بعد ذلك مساوين للعرب في جميع الميادين ، وفي هذا تفسير لذلك الانقلاب العجيب الذي جعل مصير المغرب يرتبط بمصير الإسلام ارتباطا لا يقبل الانفصام فغدا المغرب والإسلام خلال التاريخ أخوين في السراء والضراء ، وإن رسوخ قدم المغرب لم يصحبه أى اضطهاد لأقليات تدين بالمسيحية واليهودية بكامل الحرية .

وهكذا فان المغرب بعد أن دخل في حضنة الإسلام تعاقبت عليه دول إسلامية عظمى . ومنها دولة الأدارسة ، فبينما كان صرح الإمبراطورية العربية يتقوض باستيلاء العباسيين على الخلافة إذا بدول أخرى تشيد لها بناء وترفع لها صرحا ، ففى أسبانيا انفصل المسلمون عن سلطة خليفة بغداد واجتمعوا حول الخليفة الأموى فى قرطبة ، وفى المغرب ازدوجت هذه الحركة الاستقلالية بحركة الخوارج الآتين من الشرق ، غير أن هذه الحركات حوربت بصلاية رغم تمكنها من تأسيس دولة « سيجلماسة » وراء جبال الأطلس فلم تلبث دولة الأدارسة أن رفعت لواء السنة وأعادت للبلاد وحدتها .

نزل المولى إدريس - الذى نجى من اضطهاد الخليفة العباسى - فى طنجة عام ١٧٢ هـ (٧٨٨ م) ، واستقر قرب أطلال مدينة ولبلى الرومانية ، وما لبث أن فتح لأنصاره ميادين جديدة للغزو وراء نهر أبى رقراق فى نواح لم تستطع قط التوغل فيها جيوش الرومان . وكان بها جماعات مسيحية ويهودية ووثنية اكتسحتها بسهولة فدخلت فى حظيرة الإسلام .

فقلق الخليفة هارون الرشيد ووجم من هذا الانتصار الذى أحرزه المولى إدريس ، فدمس له من يقتله عام ١٨٠ هـ (٨٩٣ م) وخلفه نجله المولى إدريس الثانى الذى ولد له من بربرية فأصبح أميرا غير منازع على المغرب أجمع وناحية تلمسان ، وكان أول ما اهتم به

وهو فى شبابه تأسيس عاصمة لمملكته وهكذا أسست مدينة فاس . التى استمدت حضارتها من قرطبة والقيروان وهما محط رحال المدنية الإسلامية فى المغرب . وقد ورد من هاتين العاصمتين مهاجرون للاستيطان بالمدينة المغربية الجديدة وعندما بنى جامع « القرويين » أضحت مدينة فاس فى ذلك العهد أم القرى فى المغرب يؤمها العلماء والأدباء فيستقبلون فيها بكل حفاوة وإكرام وظلت هذه الجامعة التى كانت يومئذ أقدم جامعة فى العالم خلال القرون التالية مركزا من أهم المراكز الدينية والفكرية فى العالم الإسلامى .

لهذا فإن الأدارسة هم أول من أدخل الحضارة الإسلامية على المغرب بتأسيسهم مدينة فاس .

وبتأسيسهم هذه المدينة أضحت لهم المكانة السامية فى مختلف عصور التاريخ فى بلاد المغرب .

فمن مدينة فاس أشع على البلاد قبس من نور الفكر الإسلامى مقرونا باللغة العربية وآدابها وصراميتها وما يحيط بها من ثقافات ومذاهب . وقد احتفظ الأولون من خلفاء المولى إدريس الثانى للمغرب بعظمته وجلاله إلى منتصف القرن الحادى عشر . لكن ما لبثت قواهم أن تداعت ووهت تبعا لما نشب بعد ذلك من حروب داخلية أهلية طاحنة . كانت أفعال الأسباب فى انهيار قواهم وضياح تماسكهم ووحدهم حتى أصبحوا مثلا فى الأولين وعبرة للآخرين .

« والدهر ذو دول بالناس ينتقل » .

غير أن المسلمين كانوا مستمسكين بالعروة الوثقى ، وكانوا على أشدهم من التفقه فى دينهم والإحاطة بشعائهم والغيرة المتأججة على قوميتهم ، ولم يكونوا يقدرّون فى حسابهم أن الأيام ستقف لهم عقبة كأداء ، فيتحالف عليهم الأجنى وتجتمع عليهم دولتنا البغى والعدوان والسكبت والحرمان ، فرنسا وأسبانيا تظاهرها الدول المسيحية الأخرى ، واتفاقية مراکش سنة ١٩٠٤م شاهد عدل على أن دول الاستعمار تنهز كل فرصة للايقاع بالمسلمين وصدق شوقى حين يقول :

كأن الشمس حين جرى عليهم أطار بكل مملكة غرابا

غير أن يوم الخلاص قريب إن شاء الله . « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » وصدق الله ، ومن أصدق من الله قبيلا ؟ ... ما

عباسى
الحامى

من تاريخ المسلمين في الهند :

ثورة الهند الدامية على الانجليز

سنة ١٨٥٧ م

— ٣ —

تحدثت في المقال الماضي عن بعض أسباب الثورة وعن سياسة الانجليز في إفقار الشعب حتى يقلعوا أظفارهم . وهم وإن كانوا قد نجحوا في سياستهم هذه إلا أن نجاحهم كان من الأسباب التي دفعت بالشعب إلى الثورة عليهم .

وبجانب هذا اليأس الذي كان الناس يعانونه - وربما أمكن لهم أحيانا الصبر عليه - كانوا يحسون شيئا آخر يوجههم ويطعن في نفوسهم أعز شيء لديهم ، وهو دينهم وعقيدتهم لقد تآلفوا حولهم فوجدوا الشركة الانجليزية تجلب معها المبشرين المسيحيين ، وتعينهم بشتى الوسائل على أهدافهم ، وتوفر لهم كل الإمكانيات التي تساعد على تغيير عقيدة الشعب مسلمين وغير مسلمين .

ونحن نعرف من تاريخ الاستعمار - أو الاستخرا ب كما يجب أن نسميه نحن - أن هذه البعثات البشرية كانت دائما طلائع تمهد له طريقه . وتوطد أقدامه ومكانته في نفوس الشعب بالوسائل الظاهرية التي تلجأ إليها ، لابسمة مسوح الإنسانية والشفقة والرحمة لتخدع الناس وتجذب عواطفهم نحوها ونحو الغرب بصفة عامة ... !

وقد ربط الناس بين سياسة الحكومة في إفقارهم وبين سياستها في جذب الناس إلى المسيحية ، ففهموا أن سياسة الإفقار لها هدف آخر كذلك غير تعليم أظفارهم وتعجزهم ، وهو تنصيرهم وإخراجهم عن دينهم ... وكان تصرف موظفي حكومة الشركة لا يدع في نفوس الناس مجالا لحسن الظن بهم ، بل كان يحمل الناس حملا على الارتياح في مقاصد الانجليز السيئة نحو أديانهم ... ؟

ونحن نضع أمامك ماقورة سير سيد أحمد خان في كتابه « أسباب الثورة » والسير سيد أحمد معروف في التاريخ بميوله الانكليزية الصرفة فلا يمكن أن يكون متجنباً أو متحاملًا على أصدقائه الإنجليز فيما يقرره عنهم فيقول [١] : —

« لقد تيقن أهل الهند أن الإنجليز سينصرونهم بعد إفلاسهم كما نصروا اليتامى الذين فقدوا آباءهم في مجاعة عام ١٨٣٧ . وكان القسيسون يتقاضون مرتباتهم من الشركة كما إن كبار الموظفين الإنجليز كانوا يستغلون مراكزهم لتحسين المسيحية لصغار موظفيهم الهنود ، ويجمعونهم في بيوتهم بالقسس محاولين التأثير عليهم وجذبهم للدين المسيحي ، ويأتون بالشبهات والشكوك ليزلزلوا عقائدهم ، وكان المبشرون يوزعون الكتب مجاناً وهي محشوة بالطعن على أديان أهل الهند وزعمائهم الدينيين ، كما كانوا يذهبون إلى اجتماعات المسلمين والهندوس في حماية البوليس يأخذون في تحقير عقائدهم دون مبالاة . والناس يسمعون هذا وتثور نفوسهم لكنهم يخشون سطوة البوليس .

وبجوار ذلك نشط المبشرون في فتح المدارس بمعاونة حكومة الشركة في مختلف البلاد ، وكانوا يدرسون فيها الإنجيل ويسألون الطلاب في الاختبارات : من ربكم ؟ ومن ينجيكم ويفديكم ؟ ولا ينجح إلا الطالب الذي يجيب حسب عقائدهم ويعطونه الجوائز . وكان هذا التصرف مما أثار ثائرة الشعب والمسلمين على الخصوص وعلى رأسهم ملكهم المغولي . ويقول مولانا فضل حق خير أبادي وهو أحد العلماء المجاهدين الذين تزعموا هذه الثورة وذلك بأسلوبه العربي المسجوع عن أسباب « هذه الواقعة الفارقة التي جعلت الأمراء فقراء صعا ليك ، والملوك أسراء ممالك » : [٢]

[١] كتاب ماضي العلماء المغي . لمولانا محمد ميان ص ١٧ ، ١٨ ملخصاً عن كتاب « ثورة الهند ، لسير سيد احمد .

[٢] في كتابه « الثورة الهندية ص ٣٥٥ . وقد تزعم مولانا فضل حق ثورة الشعب مع غيره وأصدر فتوى بوجوب الجهاد وأعلنها في المسجد الجامع في دهللي ، بعد أن أخذ عليها توقيعات كبار العلماء والمفتين . وبعد انضمام الثورة في دهللي خرج مع أهله إلى موطنه وظل هناك حتى قبضوا عليه سنة ١٨٥٩ وحاكوه في « لسكنو » بتهمة معاونته لملك وإصداره فتوى بقتال الإنجليز وقد أقر بالفتوى وقال لازلت متمسكاً بها . وكان القاضي يعرفه ويحبه ويحاول أن يلقنه إنكار التهمة الموجهة إليه ولكنه أبى . فصدر الحكم عليه بالنفي للؤبد في جزائر « أندمان » في جنوب خليج بنغال وذاق مر العذاب هناك حتى توفي في ١٢ صفر ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م وكانت وفاته في اليوم الذي وصل فيه ابنه يحمل تقايج سعيه بالأفراج عنه . فلم يقدر له أن يراه حياً وإن كان قد اشترك في تشييع جنازته ودفنه هناك . عليه رحمة الله . هـ من كتاب « تاريخ حياة » لمولانا مدني شيخ الاسلام أمد الله في حياته . . ١

« من قصتها أن النصارى البراطنة شخنوا صدورهم بالشحناء الباطنة، بعد ما تسلطوا على ممالك الهند وأقطارها، وقراها وأمصارها، هموا بأن ينصروا كلا من سكانها وقطانها تنصيرا، ظنا بأن هؤلاء الضعفاء لا يجدون وليا ولا نصيرا، ليصير الناس كلهم كمثلهم لتخليهم أن اختلاف الأديان والملل، من أقوى العلل - فبنوا لتعليم الأطفال والأغفال وتلقيهم كتب لسانهم ودينهم في القرى والبلاد مدارس، وصيروا معالم العلوم والمدارس التي بنيت في العهود السوائف دوارس... الخ » .

ويقول في ذلك الموضوع أيضا من قصيدته الطويلة التي نظمها أيضا في منفاه يصور بها حال الهند قبيل الثورة، متحدثا عن ملكة إنجلترا : —

همت بتنصيرهم قبلا وهم شيع من مسلمين ومن عباد أباد
« والأباد » جمع بده ويطلق على الأصنام التي يعبدونها الهندوس .

* * *

ولقد كان عمل الانجليز في هذا تابعا لخطة مرسومة ربما لفوها في ستائر مختلفة الألوان لتأتى بثمرتها المرجوة - وقد رأينا مثل هذا قريبا في جنوب السودان حين سيطرة الانجليز عليه - وإذا كنا قد تعودنا من الانجائز وغيرهم من المستعمرين أن يحاولوا ستر هذه الأعمال لخداع الشعوب، فإن الشعوب دائما كذلك تتفطن سريعا وتدرک النيات المستورة لهؤلاء وتقطع عليهم الطريق ... ومع ذلك نجد من أقوال الرسميين الانجليز ما يثبت عليهم خبثهم ونيتهم السيئة نحو أديان الهند وسعيهم الخبيث للقضاء عليها . فقد وقف أحد أعضاء البرلمان الانجليزى سنة ١٨٥٧ بعد الانتصار على الثوار وقال في صراحة مكشوفة : « الحمد لله الذى أرانا هذا اليوم الذى أصبحت فيه الهند تحت سيطرة انجلترا وأمكن أن يرفرف علم المسيح عليها ، وعلينا أن نجعل قوانا ونبذل جهدنا في تنصير شعب الهند ولا نترك السكسل يستولى علينا » [١] .

وهذا كلام صريح يعبر عن روح الشركة الانجليزية في الهند وعملها تجاه الأديان ، أما أثر ذلك في النفوس فيحسه كل قارئ من نفسه حين يتصور أن عدوه الذى سلبه قوته وأمنه تمتد يده كذلك لتجرده من أعز شيء لديه وهو دينه وعقيدته ، وذلك

[١] من تاريخ الماضى للضياء لعلماء في الهند ص ٢٦ نقلا عن كتاب « المحكومة الاختيارية » ١٩٦٠ .

بأساليب لا تمت إلى الشرف والإنسانية بسبب ... إن الحمل الوداع لينقلب في هذه الحالة أسدا هصورا .

* * *

ويمكن أن نضيف لما سبق من الأسباب هذا الحدث الذى قابله الأهالى بفزع وخوف من المستقبل الذى تبدو فيه الشركة مهيمنة على كل شىء وذلك حين قبض « اللورد دلهوزى » على « واجد على شاه » ملك مملكة « أوده » التى كانت عاصمتها « لكهنو » وضم مملكته إلى حكم الشركة سنة ١٨٥٦ ، وكذلك إلغاؤه لكثير من الألقاب والمرتبات التى كان يتمتع بها بقايا ملوك الولايات التى ضمت للشركة من قبل ، وأكثر من هذا أثرا فى نفوس الناس حين وجه « اللورد كيننج » إنذارا إلى « بهادر شاه » الملك المغولى المسلم القابع فى قلعته مجردا عن السلطان : بأنه سيكون آخر من يتمتع باللقب والمزايا وسكنى القلعة ، وأنها أى القلعة ستتحول إلى ثكنة عسكرية للجنود الانجليز .

وقد كانت مهوى الأفئدة ومحط الرحال ، وطالما حفلات بأجناد الملوك وشرفت بسكناهم . ولا تسلم عن هذا الخبر فى النفوس ولا سيما فى نفوس المسلمين الذين سيطروا على الهند أكثر من ثمانية قرون ... لقد أحسوا أن الشمس التى أشرقت على الهند حين دخلها محمود الغزنوى سنة ١٠٠١ م والتى شهدوا آباؤهم منذ قرون كتب عليهم حظهم التمس أن يشاهدوا مغيبها .. وهو مغيب لا يؤملون معه شروقا .. فأى غم وحزن أصاب النفوس؟! وأية شرارة مستها لتهب من رقادها وتجى ذمارها؟! .. ! إنه ملك إسلامى عتيد يهوى .. وكان المسلمون - على أى حال ومهما ضعف ملكهم - يرون فيه رمزا لعزهم وحكمهم ويؤمنون أن يأتى ملك يعيد الروح إلى الجسد الخامد ويسترد عظمة آباءه وأجداده .. ولكن - وقد جاء الإنذار بإزالة آخر لافقة من حكم المسلمين وهى التى كانت باقية لهم يتعلقون بأهدابها - فما أفدح الخطب ... !

وإن كانت هذه روحا تساور المسلمين وتنفعل بها نفوسهم لقد كان أبناء الهند من أهل الأديان الأخرى يرون فى الملك المغولى المسلم ملكا وطنيا شعبيا يحكم الشعب للشعب حتى رأيناهم يختلف طبقاتهم يلتفون حول الملك . حتى « المراهتا » الذين طالما حاربوا ملك دهل وحاربهم أحسوا بأن الشعار الوطنى للهند كلها تمتد إليه يد أجنبية عن الهند جاءت من بعيد - من الجزر البريطانية - لتزيله ، وتقبض على أعناقهم ، فالتفوا حوله وأعلنوا خضوعهم له ، ومقاومتهم للانجليز تحت رايته .

وهكذا تجملت الجهود المبعثرة في ساحة القلعة تشخص بأبصارها نحو الملك على رغم ضعفه وشيخوخته . واجتمعت كبار الشخصيات المتحمسة تعد للثورة وتهيئ لها ، لكن الأمور سارت بسرعة ، والحوادث تعاقبت في عجل ، وبلغ استهتار الانجليز حدا فقد الناس معه الصبر ، فأخذت الثورة تندلع هنا وهناك بدون ترتيب .

اندلعت الثورة في « بنغال » بقيادة أحد الهندوس في مارس سنة ١٨٥٧ ، قبل أن تنهيا الأماكن الأخرى فتمكن الانجليز من إخمادها في سرعة وقوة ، وفي الأيام التي نفذوا فيها حكم الإعدام على قائد ثورة البنغال كانت الشرارة قد انبثقت من مكان آخر . فكانت إيذانا بفتح كتاب ضخم في تاريخ الهند والمسلمين على الأخص سجل فيه الشعب الهندي ولا سيما المسلمون منهم صفحات بيضاء من آيات البطولة والكفاح والتضحية ، وسجل الانجليز في الجانب الآخر منه صفحات سوداء من الخزي والعار . مما سنتحدث عنه في المقالات الآتية إن شاء الله ما

عبر المنعم النمر

مبعوث الأزهر والمؤتمر الإسلامي في الهند

ديوبند

الرافعي أديب الاسلام

في مساء الإثنين ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٧ هـ (٤ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م) أقيم بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة حفل كبير ضمن « أحاديث الإثنين » للحديث عن شخصية أديب العصر السيد مصطفى صادق الرافعي رحمه الله ، وقد افتتح الحفل الأستاذ أحمد الشرباصي بكلمة عن « الرافعي أديب الإسلام » أبان فيها كيف عاش الرافعي مدافعا عن الإسلام كاشفا لأسراره ، ثم تحدث الأستاذ محمد سعيد العريان عن كيفية معرفته للرافعي ، وكيف كان نسيج وحده في لغته وبيانه ، ثم تحدث الأستاذ محمود أبو رية عن الرافعي في رسائله ، وكيف تضمنت هذه الرسائل كثيرا من شؤون الإسلام والأدب واللغة ، ثم ألقى الدكتور حامد الغوابي كلمة عن مطالعته في أدب الرافعي ، مستشهدا بنماذج من كتابات الرافعي ذات وقع بليغ ، ثم تحدث الأستاذ طاهر الطناحي عن ذكريات الرافعي ، فأطلع السامعين على كثير من هذه الذكريات الراقية التي لم تنشر ولم تعرف من قبل ، وكان لهذه الذكريات تأثير عميق في نفوس الحاضرين ، ثم ختم الحفل بقصيدة للأستاذ هاشم الرافعي حيا بها شخصية الرافعي وأدبه الإسلامي الرفيع ، وقد أعلن رائد الجمعية أنهم سيحتفلون بالرافعي في كل عام بمشيئة الله .

انتصرونا على الخوف . . . !

بين وساوس الملح ، وهواجس الفزع عاش العرب أحقاباً تهصرهم عواتى الأحداث وتمصرهم طواغى الشدائد ، وتستبد بهم نوازع الوجع كلها قطب غاصب ، أو كشر طالب ، أو غضب دخيل ، أو سخط نزيل . حتى صاحت الصيحة فانطلقوا مع أنفاسها عمالقة كأنما تفرع رءوسهم مدارات الكواكب ، وتهز أبراج الشهب الثواقب ، وصرخوا في طواويس البشرية صرخة شوى خيلاءهم لظاها وأطار صوابهم صداها : تحررنا من الخنوع وانتصرونا على الخوف . . . !

لقد صنعت سياسة الاستعمار من بعض الملوك أشباه أرباب ، وسيقت إليهم نفوس المستذلين قرايين تستحل دماؤها وتستباح أرواحها ، ونصبت سياسة الاستعمار حول هؤلاء الملوك سياجا يستمد قوته من سلطان المستعمر ، ويحمي سيادته الجوفاء حديد المستعمر وناره ، وجعلت سياسة الاستعمار تصور هؤلاء الملوك معابد نسجت لها من الرهبة الزائفة قدسية ، وساقط إليها الشعوب تتمسح بالأعتاب ، وطالما تمسح بأعتاب المستعمر صاحب الأعتاب حتى دوى النفير وصاح النذير : لا استعمار ، ولا صنعة بيننا للاستعمار . تحررنا من التضييل ، وانتصرونا على الخوف . . . !

وأراد المستعمر أن تكون جيوشنا أشبه ما تكون ببيادق (الشطرنج) ، حركتها وسكونها رهن بارادة اللاعبين .

وأراد كذلك أن تكون أسلحتنا مما لفظته متاحفه لا مما تحدث مصانعه ، أسلحة تخيف الضارب وتضحك المضررب بل تهلك الرامي قبل أن تحمل الموت إلى المرمى ، أسلحة ليست من الخشب ولا من الحديد في يد المحارب المستعميت أشد منها فتكا ، وفي انبعاث العزائم أقسى منها وأنكر .

ثم أردنا أن تكون لنا جيوش تريد وتفعل ما تريد بل تعصف بمن يقيد إرادتها أو يكبل يوم الزحف عزتها فتجهموا ولووا رءوسهم .

وأردنا أن يكون لنا سلاح يحى حى العرب ويخيف الغاصب ويخشاها الطالب ، فغلقوا فى وجوهنا أبواب المصانع ، وحسبوا أننا لن نجروا على طلب السلاح ممن نريد ومن حيث نريد ، وحسبوا أنهم ضربوا حولنا سورا من الرهبة فلا نستطيع أن نمدا إلى غيرهم يدا ، بل إليهم وحدهم نمدا اليد ، بل اليد الضارعة ، ولكن أسقط فى يدهم حين رأوا السلاح الروسى يتدفق من البحر والجو فتمتلئ أرض العرب وصحراء العرب وأجواء العرب ومياه العرب بما يدرون وبما لا يدرون من السلاح ، وانطلقت الثورات العربية فى سلاحها الحديد من قطر إلى قطر ومن بلد إلى بلد وهى تهتف : حطمنا الأسوار ، وانتصرنا على الخوف ... !

وجن جنون المستعمر حينما ارتطم بالعزائم العربية وعيده ، وتناثر أمامه تهديده ، فالتى بحافله من الجو والبحر ليرد إلى سجنونه المنطلقين ، ويعيد إلى قيوده المتحررين . ولكن دهمته الحقائق الرهيبية ، حقائق العروبة المؤمنة التى يسخر إيمانها من القيود ، حقائق النفوس المنبعثة من أعماق الماضى المجيد ، لتكتب أنضر الصفحات لحاضرها الحديد ... !

حقائق الوعى المتجاوب الذى ربط آفاق العروبة بفعلها جميعا شواظا تلتهم ألسنته حماقة المعتدين . حقائق البعث الجبار الذى يسخر من الحديد والنار .

لقد اصطدم المستعمر بكل هذه الحقائق الزاحفة ، بجمع ما بقى له من جنود وعاد وهو كسير ، ولم تزل ترن فى أذنه صيحة الأحرار حققنا للعروبة وعدنا وانتصرنا على الخوف ... !

ثم أعلن المستعمر الحرب الاقتصادية ليصبح العرب نهبا للجوع والحرمان أو ليذهبوا ضحايا الخوف من الجوع والحرمان ، أعلنها فى إصرار ، ثم لوح بالدولار ، ليذل به أنفة العرب وليجرح به عزة العرب ، ولكن العرب الذين نبضت عروقهم بدماء العزة لن يخدعهم لين العيش فيذلوا له ، ولن يبيعوا حريتهم وكرامتهم بمظهر كله زيف ، أو جاه كله زور ... !

وهكذا علم المستعمر ما كان ينكر ، علم أنه أمام أمة عربية لا يخيفها الجوع ولا يذلها الحرمان .

وعلم أن الذهب الذى داسته أقدام الأجساد فى إيوان كسرى وفى قصور قرطبة ، لن يستذل بريقه الأحقاد فى القاهرة ودمشق والرباط وصنعاء والجزائر وتونس وغيرها

من بلاد العرب . وعلم أن هزيمته في الحرب الاقتصادية جنى هو شرها قبل أن يجنى العرب ضررها .

وعلم أخيرا أن النفوس الكبيرة أكبر من أن تستسلم للفرع أو تدين للخوف .
 إن الخوف الذي عبأ المستعمر ألوانه لحرب العرب لم يبق له على الأحرار سلطان .
 وإن الرعب الذي طامس سيطر على أرض العرب وأجوائهم وأموالهم قد جر أذيال
 الفشل أمام وثبات العزائم في كل بلد عربي ومن كل جو عربي وفي كل مياه عربية .
 فليفتق الغرب من غروره ، وليعلم الرجعيون أن سياسة استعباد الشعوب واستغلال
 مواردها تحت ضغط الإرهاب والخوف سياسة لم يعد يؤمن بها أحرار العالم ، ولم يعد
 يستسلم لها الضعفاء .

وسيعلم الغرب أن صوت الحرية الذي دوى في أرجاء العالم سيدبل قواعد الظلم
 وسيقوض عروش الظالمين ويطيح بتيجان المستهترين .

وسيعلم الغرب كذلك أن بلاد العرب التي عاث فيها واستغل كل ما فيها ستنقض
 عزوماتها صواعق تدمر كل ماله ، فلم يعد العرب يتحسسون مواطني أقدامهم منذ انتصروا
 على الخوف ما

محمد محمد خليفة

المدرس بمعهد القاهرة

فلسطين هي سوريا الجنوبية

بعث الحاج أمين الحسيني - بصفته رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين - ببرقية
 إلى المسؤولين في مصر وسوريا قال فيها : إن الشعب الفلسطيني يؤيد بحارة وحماة
 القرار البرلماني المشترك بشأن الاتحاد الفيدرالي بين مصر وسوريا . وإن الفلسطينيين
 يعتبرون بلادهم (سوريا الجنوبية) وأنها جزء لا يتجزأ من سوريا . وهم يطالبون باعتبار
 فلسطين بحدودها الطبيعية والسياسية فريقا في هذا الاتحاد الفيدرالي ، كما يطالبون بالعمل
 لتقرير مستقبلها السياسي على هذا الأساس .

الاسلام والمسلمون في صحف العالم :

وعى العالم الاسلامى أمام الاستعمار الغربى

كتبت جريدة «الكرريرا دلاسييرا» الإيطالية مقالا قالت فيه : لا جدال في أن وعى العالم الإسلامى هو أحد مظاهر العصر الذى نعيش فيه ومن الواجب أن نحسب حساب هذا الوعى في خلق توازن عالمى جديد ، يقوم على التعاون والسلام .

ثم قالت الجريدة الإيطالية : إن العالم الإسلامى يضم حوالى ٣٦٠ مليون نفس يؤمنون بتآخيمهم وتراحيمهم رغم اختلاف الجنسيات بينهم ، ويقول الرئيس جمال عبد الناصر في كتابه (فلسفة الثورة) : إنه عند ما يفكر في هذه الملايين المتحدة في عقيدة واحدة يقوى إيمانه بالإمكانات الضخمة التى يمكن أن تتوالد عن تعاون كافة المسلمين ، ثم انتهت الجريدة إلى إعلان الحقيقة التى لا بد منها ، والتى يجب أن تتدبرها دول الغرب فقالت : ول هذه القوى في الشرق الأوسط آيات ومظاهر تشهد بأن الدول الغربية يجب عليها أن تقتنع أجلا أو عاجلا بأن عهد الاستعمار قد انقضى وأن التعاون السياسى والاقتصادى يستطيع أن يخلق توازنا جديدا ، يقوم على السلام بين العالم الإسلامى والعالم الغربى ، وهذا هو السبيل الوحيد لسكبت الدعاية السوفيتية المأكرة ، التى ترسم استعمارا لا حدود له خلال الوهم الشيوعى .

وهذا الذى قالته الجريدة الإيطالية صحيح إلا أنها نقصت من تعداد المسلمين حوالى مائة مليون معتمدة في ذلك على تعداد قديم ، إذ أن تعداد المسلمين اليوم يزيد على ٤٥٠ مليون مسلم في بقاع الأرض [١] ، وثانيا فان الصحيفة الإيطالية قد قرنت وعى العالم الإسلامى

بما ترسمه الدعاية الشيوعية ، وهذا شأن جميع الصحف الأوروبية والأمريكية التى تتحدث عن أحوال المسلمين ، فانها لا تسوق الحديث فى هذا المجال دأماً إلا من خلال الدعايات الغربية والشيوعية ، والمصالح المشتركة التى تتنازعها الدول القوية على حساب المسلمين ، وكل منها تريد أن يكون لها أكبر نصيب من هذه المصالح على حساب المسلمين وإلناً الحقيقة التى يجب أن يدركها الغربيون والشيوعيون على السواء هى : أن الوعى الإسلامى يسير فى طريقه مستقلاً معتمداً على قواه الذاتية ، فلا تحركة دعاية غربية ولا دعاية شيوعية ، ولا يرضى لنفسه أن يكون أداة طيعة تمشى على أهواء أولئك المتنازعين على المصالح ، والمتصارعين على مناطق النفوذ .

يجب أن يعلم الغرب والشرق أن يقظة العالم الإسلامى يقظة تنبعث من وجدانه وضميره ، وأن هذا الوعى الذى يسود الشعوب الإسلامية ، إنما هو وعى ذاتى لا يستهدف إلا الخير للجميع ، وإلا السلام لجميع أبناء الأرض ، وإلا إقامة العدالة بين جميع الأمم والشعوب .

لأنها دعوة الإسلام التى تقوم على التآخى والتراحم والتعاون ، فاذا ما أراد الغرب أو الشرق أن يتعاون مع المسلمين على أساس هذه المبادئ ، فإن يد المسلمين لا شك ميسوطة بهذا للعمل فى مختلف النواحي وشتى الميادين .

الإسلام والشيوعية :

فى مقال عن الشيوعية والإسلام قالت جريدة « الأمة » السودانية : « إن الشرق العربى يتعرض اليوم لأكبر حملة شيوعية ، فالشرق العربى يدين بالإسلام ، والإسلام وضع من الأسس الاجتماعية خير ما يمكن أن يصل إليه عقل بشرى ، وليس ثمة حاجة إلى جلب أية مبادئ أخرى لتحل مشكلاته ، بل إن المذهب الشيوعى أخطر المذاهب على الإسلام والمسلمين » .

وخلصت الجريدة من هذه المقدمة إلى الحديث عن الوضع فى السودان ، بالنسبة للشيوعية فقالت : « السودان بلد عربى مسلم ، له من التقاليد الإسلامية ما يزيده زهداً فى الشيوعية ، وليس فى السودان طبقات بين الشعب ، ولكن الشيوعيين على قلتهم فى السودان يحاولون إيجاد الفوارق ، وإثارة الطوائف بعضها ضد بعض ، ثم ناشدت الجريدة حكومة السودان أن تعمل على حماية الشعب وتقاليدهم من عبث أولئك الشيوعيين .

وقد تلقفت إذاعة « أنقره » هذه الكلمة فأذاعتها على العالم الإسلامى مناشدة المسلمين أن يفتنوا لوسائل الدعاية الشيوعية ، ولخطر الشيوعية على الإسلام قائلة : إن الشيوعية أكبر خطر فى التاريخ على الإسلام والمسلمين .

ويبدو أن الصحيفة السودانية هى الأخرى قد تناولت هذا الموضوع بدافع محلى حزبي وأنها قصدت من تناول الموضوع أن تلقى على الحكومة تبعة من التبعات « . وعلى أية حال فإن ما قالته الصحيفة السودانية صحيح ، فإن المسلمين يجدون من مبادئ دينهم الاجتماعية والإنسانية ما يغنيهم عن اللجوء إلى أية مبادئ خارجية ، وإن فى الإسلام من المبادئ ما يحقق العدالة والمساواة على خير ما تكون العدالة والمساواة ، ولكن يجب أن نحذر فإن الدعايات المغرضة تحاول أن تجد لها مجالا ، لا تحقيقا لعدالة أو قصدا إلى مساواة كما يزعمون ، ولكن قصدا إلى غاية مفهومة هى : تحقيق مبادئها وتعاليمها ، ووسيلتها فى ذلك . إما منغص بطلب العيش أو جاهل لا يدري عن الإسلام أى شئ ، والفقر والجهل لا شك سبب كل علة ، ومصدر كل آفة .

المسلمون فى آسيا الوسطى :

عقد المسلمون فى آسيا الوسطى ، وقازاقستان مؤتمرهم الثالث فى طاشقند وقد استغرق أربعة أيام ، واشترك فيه مائة وخمسون وفدا يمثلون المسلمين فى هذه المناطق . وحضره السيد عبد المحيد عبد الله رئيس الجالية الإسلامية فى باكو ، والسيد قمر الدين ساليكوف إمام مسجد موسكو والسيد عبد الباقى إيسايف إمام مسجد ليننجراد .

وقد أذاعت وكالة الأنباء أن المؤتمر استمع إلى تقرير عن نشاط المسلمين فى آسيا الوسطى ، وضعه السيد ضياء الدين بابا كانوف نائب رئيس المؤتمر قال فيه : إن خمسين مسجدا قد تم إنشاؤها فى الفترة الأخيرة بأزبكستان .

وأن مدرسة إسلامية قد افتتحت فى باركان لتخريج العلماء ، وقال : إن جماعات كثيرة من مسلمى آسيا الوسطى قد أدت فريضة الحج فى الأعوام الماضية ، كما ازدادت الروابط بين المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، وبين المسلمين فى جميع أنحاء العالم ، وتم تبادل الوفود فيما بينهم ، وزارت وفود من المسلمين السوفيت لبنان وسوريا والهند واشتركوا فى مؤتمر الشعوب الآسيوية والإفريقية الذى عقد فى باندونج ، ونحن يهمنى

أن يكون كل ما قاله السيد ضياء الدين صحيحا، وأن تكون حال المسلمين في آسيا الوسطى على خير ما يجب أن تكون من التواد والتراحم والتعاطف بين المسلمين ، وبهنا ألا يكون ما أعلن في هذا المؤتمر من قبيل المظاهر التى تستغلها الدعايات المفرضة في هذه الأيام ، وألا تكون هذه المؤتمرات التى تعقد في بعض نواحي العالم الإسلامى ، كتلك المؤتمرات التى تعددت وتكررت بين المسلمين بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم ذهبت تلك المؤتمرات بذهاب الأغراض التى كانت وراءها الأيدى الخفية التى كانت تحركها .

إننا نحبذ عقد المؤتمرات بين أبناء العالم الإسلامى للتعارف وللتعاون ولتبادل الآراء ، ونحبذ أن تكون هذه المؤتمرات عامة شاملة يتمثل فيها صوت المسلمين في جميع الأرض . أما هذه المؤتمرات الجزئية المحلية فلن يكون لها جدوى طائلة ، ولماذا لم يوجه القائمون بأمر المؤتمر الإسلامى في آسيا الوسطى الدعوة إلى الهيئات الإسلامية ، وإلى ممثلى المسلمين في الأقطار الأخرى ، لحضور مؤتمريهم ، وللتعرف على شئون إخوانهم ؟ فلعلهم أن يتداركوا هذا في مؤتمريهم القابل . . . ! .

محمد فرامى عبد المظيف

نجاح سياسة الحياد

أعلنت الدوائر الدبلوماسية والرسمية في باريس أن مصر قد برهنت على نجاح سياسة « الحياد » في الحرب الباردة الناشئة بين الشرق والغرب ، وقد تصبح مصر « مثالا خطرا ، تحذو حذوه دول الشرق الأوسط »

وقالت صحيفة « لوموند » الفرنسية في مقال افتتاحى نشر في الصفحة الأولى : « إذا كان هناك مصرى واحد يساوره أدنى شك في المفعول الساحر للحياد الإيجابى ، فإن الأنباء الأخيرة - عن المعونة الاقتصادية الروسية لمصر - قد أزالته كل تردد » .

الثقافة المأجنية

وأثرها فى المجتمع

يتعرض شبابنا لمحنة قاسية سيكون لها أثرها فى المجتمع المصرى وقد بدأ خطرهما يمتأل أمام أعين بعض الناس وسيتفاقم ويشدد حتى نحس به جميعا وحتى يستعصى على العلاج ، ومن الخير أن يبادر المصلحون بالتنبيه إلى الوقاية منه وحماية المجتمع من شره .

فقد انصرف بعض الكتّاب إلى الكتابة فى الموضوعات التى تمس مسائل الجنس والغريزة دون تصوّن واحتشام ودون تقدير لعواقب هذه الكتابات على أخلاق الشباب وبناء المجتمع ، وأخذت المطابع تصدر كثيرا من هذه الكتب بعنايات مختلفة ترمز إلى ما فيها من موضوعات تستهوى نفوس الشبان وتسترعى أنظارهم ، وقد استغل أولئك الكتّاب عواطف الشباب وميولهم وإقبالهم على هذا النوع من الكتب فأخذوا يكثرّون منها ويفتنون فى عرضها وجذب الأنظار إليها ، ولم يكتفوا بالعبارات العاطفية الملتبّية بل استعانوا بالصورة الخليعة يرسومونها فى معارض مخجلة مخزية تنقبض لها نفوس الأحرار وتندى لها جباه الآباء والأمهات .

وقد راجت سوق هذه الكتب لما أسلفنا ، وساعد رواجها وكثرة ما يطبع منها على رخص أثمانها وخصا مكن أكثر الطبقات من قراءتها ففقدوا خطورها شاملا لا يخص طائفة دون أخرى ، وقد يهون الخطب لو اقتصر الأمر على هذه الكتب المستقلة ، ولكن المؤسف والمزعج أن لهذه الكتب روافد من الشر تمدّها وتظاهرها ، وفى كثير من المجالات التى نعدّها راقية وتقبل على قراءتها أسرار كريهة ، أبواب خاصة تنضح بالموضوعات الغريزية وتفوح منها رائحة الجنسيات صارخة كريهة ، تأنف لها الأخلاق الكريمة والثقاليد الفاضلة ، وفى هذه الأبواب استفئات فى خطايا جنسية انزلق فيها السائلون ووقعوا منها فى محرجات خلقية وعائلية ، وهم يطالبون إلى المفتين فى هذه المجالات فتاوى فى هذه النوازل يريجون بها ضمائرهم فيما يزعمون ، ويخلصون من آثامهم وأوزارهم ، ويتولى هؤلاء المفتون الإجابة عليها فى أصاليب يعف القلم عن اقتباس أمثلة منها ، ويأبى الحياء والإشفاق على

القارئین تلخیصها ، كما تأبی الاعتبار الکتبیه التصریح بأسماء هذه المجلات ، ومن العجیب فی بعض هذه الأبواب أن یكون المستفتی والمفتی من هذا الجنس الذی یحمد الله والناس منه خلق الحیاء والاحتشام .

وثالثة الأثافی أن تعرض محطة الإذاعة فی بعض أركانها لنواح خلقیه ما كان أغناها عنها وما ألیقها بالأتحوم حولها ، وفی هذه الأركان یمتنع ذكاء الأشخاص بسؤالهم عن کیفیه التخلّص من بعض المآزق ، وأحياناً ما تكون مآزق خلقیه مریبه فیمجبب الممتحن بما یسعفه به ذكاؤه فان لم ینلج فی حل تلك المشکلات ، والخلّاص من هذه الضائقات ، تولى الممتحن إرشاده إلى ما یحسن عمله للخلّاص من هذه الأزمات . ولقد أثارت هذه الأركان بعض المستمعین إليها فاحتجوا على إذاعتها لسوء أثرها الخلقی ، فهی إرشاد إلى التخلّص من الجرائم أشبه ما یكون بتمرین اللصوص على الفرار من المسؤولیات القانونیه والأدبیه ، وقد عدل عنها حیثاً ثم أعیدت دون ضرورات ماسه إليها فیا نعم .

سیمقول بعض أنصار الحریة الفکریه فی الدفاع عن معالجه مثل هذه الموضوعات : إننا لم نتجاوز حدنا فیا نکتب ، ولم تکن مصر بدعا بین الأمم فی هذا الشأن ، وفی معالجه مثل هذه الموضوعات الّتی ترجفون فی الخطر منها لون من الثقافه لا بد منه للشباب ، ویدعی بعض رجال التربیه الحدیثه ضروره الإلمام به لیکونوا على بصیره بمستقبلهم فیها ، إلى مغالطات أخرى لا یخفی على کثیر من الناس وجه الخطأ فیها . فالحریه لها حدود لا بد من الوقوف عندها ، فاذا جاوزتها كانت فوضى لا تؤمن عاقبتها ، وحد الحریه ألا تضرب بمصلحه المجتمع ، ولا تؤذی شعور الناس ، ولا تخدش الآداب العامه والتقالید الکریمه ، وما من شک فی أن هذه الکتب الّتی أشرنا إليها تجمع هذه المساویء وفوق ذلك فانها تغری الشباب بالاستهتار والتحلل وتصرفهم عن الثقافه الراقیه المفیده الّتی تغذی أرواحهم وعقولهم ، إلى هذه الثقافه التافهه الّتی تثیر غرائزهم وتلهب عواطفهم وتوقعهم فی الحیره والخرج وقد تجنّی على مستقبلهم بما تجلب من أمراض نفسیه وعصبیه نتيجه التعاقب بها .

ولیس الاحتجاج ببعض الشعوب بمبرر لنشرها ولا بنخل من المسؤولیه فیها ولا بدافع عنا ما نتوقعه من الخطر منها ، والاعتذار بالجریمه عن الجریمه لا یعنی من العقاب علیها ، وما آمن کثیر من الناس بسلامة الأخلاق فی الشعوب اتی سادتها الثقافه الجنسیه المزعومه ، وإن کثیراً من عقلاء تلك الشعوب یألمون منها ینزعون من نتائجها ینزعون إليها

الإخفاق في المواقف الوطنية الحاسمة ، ولئن سلمنا بما يزعمه أولئك من سلامة الأخلاق في هذه الشعوب ، إلا أنه ينبغي لنا ألا ننسى ما بيننا وبينها من فروق في التقاليد ، وفي المستوى الاجتماعي والثقافي ، ومن فروق في الأجواء الطبيعية ، وفي النظر إلى المسائل الجنسية . ودعوى تعميم الثقافة الجنسية بدعة أجنبية ، ينظر إليها العقلاء في كثير من الشك والارتياب والاستنكار ، وستكشف التجارب عما في هذه الفكرة من الخطأ والخطر [١] ، وقد أحاطت الأديان والأخلاق أمور الجنس بما ينبغي لها من حدود وأسوار ، وإن من الآداب الدينية أن نوري ولا نصرح ، ونشير ولا نوضح ، وأن نختار لها العبارات المهذبة ، والأساليب الراقية ، لأن ذلك مما يسير الفطر السليمة ، والأخلاق الكريمة ، وينمي فضيلة الحياء في أفراد المجتمع ، ويدعم بناءه الخلقى .

إن من واجب المسؤولين عن سلامة المجتمع وسلامة الشباب بوجه خاص ، أن يضعوا تحت أنظارهم هذه المطبوعات ، ويدرسوها بعناية تامة ليستبينوا مدى ما أشرنا إليه من أخطار تهدد مستقبل أبنائنا ، وكفى ما نعانيه من محن خلقية ، يستنفد علاجها كثيرا من مجهودات الهيئات المختصة بهذه الشؤون ، وفي يقيننا أن دعوتنا هذه ستجد طريقها إلى أسماع المسؤولين ، وستلقى نصيبها من القبول ، فهي ناحية من النواحي جدية بأن يكون لها حظ من الإصلاح في هذا العهد الواعى الغيور .

أبرار المرأى

مصر والقومية العربية

أعلن اللواء عبد الحكيم عامر قائد القوات المسلحة ، وهو يدلى ببيانته في مجلس الأمة عن رحلته إلى روسيا ، أنه قال في الكرملين مساء ١٩ نوفمبر في حضور قادة الاتحاد السوفيتي : « إن القومية العربية ليست رغبة في بناء امبراطورية ، وإنما هي نداء عاطفي ، وتاريخي ، وطبيعي . وهي أمن مشترك ، وسلامة جماعية . بل هي ضرورة استراتيجية لشعوب متحدة الأمانى تنشدها مكانا تحت الشمس (تصفيق) » .

[١] المجلة - في مقال الدكتور محمد محمد حسين للنشور في هذا الجزء من مجلة الأزهر دراسة علمية وافية ببيان ما في هذه الفكرة من الخطأ والخطر ، ولعل أهل الحل والعقد في الدولة والأمة يولون هذه الناحية ما تستحقه من تفكير حكيم وتدابير حازم يلبق بعهد الثورة على الباطل والشر .

بين مادية العلم وروحانية الدين...!

تنبهت البشرية الوسنانة على صوت العلم المجلجل ، وهو يعلن بداية الانتقال إلى مرحلة الدراسة العملية لعلاقة الأرض بالكواكب الأخرى ، بقصد الإفادة من هذه الدراسة في محاولة الوصول إلى ما يمكن بلوغه من تلك الكواكب ، والتعرف على مدى صلاحيته لحياة الإنسان عليه .

وأثار هذا النبأ وساوس وأحاديث ، حتى ارتابت نفوس فيما قرّ لديها من مبادئ ، وما تعرف عليه بينها من معتقدات ، لحسد أن دعا قوم إلى السير مع الركب المتقدم نحو المادة ، والتخفف مما ظن أنه سلاسل وأغلال تربط الإنسان - في زعمهم الخاطئ - بوهم الروح ، وتمسكه عن اللحاق بعجلة التقدم . وفي الحق لم تكن النتائج التي وصل إليها العلم غريبة على سمع الخاصة ، المعنيين بمسائله ، وإن فوجئ بها غيرهم - شأنها في ذلك - شأن ما سبقها من الاكتشافات التي اهتزت لها النفوس كتفجير الذرة ، والتحكم في قوة الهيدروجين ، والكوبالت ، وتوجيه الصواريخ إلى غير ذلك . والإنسانية ترحب بكل ما يفتح العلم من آفاق جديدة ، شريطة أن يكون القصد من وراء ذلك خيرها ورفاهيتها ، كما أن الدين الحق لا يحد من النشاط العلمي إذا توافر الشرط السالف ، ولا يصد تياره المتدفق عن أن يبلغ نهايته . . . !

فقد مضى إلى - غير رجعة - ذلك الزمن الذي اصطدم فيه العلماء الباحثون برجال في البلاد الأوروبية نسبوا إلى الدين ، فلاقي العلماء منهم عنتا وعسفا بلغا حدّ تقديمهم لهم كتمهين أمام محاكم التفتيش ، فقصبت بسجنهم ، والتنكيل بهم ، وتوعدتهم بالتعذيب ، وفرضت عليهم الكفارة حتى يحفظوا بالغفران . . . !

والدين الإسلامي خاصة ، قدس العلم ، ونعى على الجاهلين والغافلين جهلهم وغفلتهم فمن ذلك قول الله تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، وقوله تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

وبدهى أنه لولا البحث والدرس ، وحمل المشقات في سبيلهما ، بل وسقوط بعض العلماء صرعى تجاربهم وأبحاثهم أحيانا - لولا ذلك - لما بلغ العالم هذا الحظ من المدنية والتقدم ، ولما نعمت الإنسانية بما تنعم به الآن من أسباب الرفاهية ، التي جعلت حياتها سهلة ميسرة ، فتقاربت الأصقاع المتراصة ، وجمعت المسافات حتى صار سكان المعمورة وكأنهم مجتمع واحد . . . ! وإذا كانت الإنسانية مدينة للعلم بهذا بل وبأكثر من هذا . . . ! فحاجتها إلى الدين أيضا ماسة وضرورية إذ هو النور الذي يهديها ، ويرسم لها القيم الروحية التي ترتفع بها عن حضيض البهيمية ودرك المادية ، إلى سماء الروحانية . . . ! كما أن طلب العلم في ذاته كما يقول فقيده العلم والفلسفة الدكتور على مشرفة : مبنى على قيمة روحية هي : حب الحق .

فطالب العلم طالب حقيقة ، ومن هنا كان الدين داعيا إلى طلب العلم ودافعا إليه ، وكان العلماء أعرف الناس بالحق ، وأكثرهم إذعانا له ، وأشدهم إحساسا بقدرة الله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وأذكر بهذه المناسبة قصة رواها لنا في قاعة الدرس بالأزهر الشريف أحد أساتذتنا ، الذين درسوا لنا العلوم الحديثة ، وهي لا تزال عالقة بذهني على طول العهد بها ، وتبين بجلاء مدى الارتباط الوثيق بين العلم والدين : والقصة عن مبعوث أوفدته مصر إلى بلاد الانجيز للتخصص في دراسة علم الفلك ، فأقبل في دراسته على النجوم والكواكب يراقبها بالماظير المكبرة وهي تسير في أفلاكها ، بنظام محكم ، ودقة متناهية - على كثرة عددها وتقاربها - فرأى فيها الدلالة الحقة ، على قدرة الله العلي المبدع ، وما زال يتأمل فيها ويتدبر حتى أفضى به التأمل والتدبر ، إلى الاتجاه كلية إلى الله الخالق الأعظم ، واللهج بذكره تعالى والغفلة عما سواه ، وصدق جل وعلا حيث يقول : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولي الألباب . . . ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانه عذاب النار » .

فلا يظن ظان أن العلم يسير في طريق مواز لطريق الدين مما يستحيل معه أن يتلاقيا ، ولا يظن أيضا أن العلم يطبع قلوب العلماء بقسوة المادية ويجردها من رحمة الروح ، وإلا فكيف نفسر ما يذكره التاريخ بفخر لروبير كورى ومدام كورى من عزوف عن المسارب الفردية ، وبعد عن الأنانية ، ذلك البعد الذي دعاها لأن يرفضا باباء

الانتفاع ماديا من ثمرة كشفهما ، ويهباه خالصا لوجه الإنسانية ، كما يؤيد تلك الحقيقة الناصعة تطوع بعض العلماء الأمريكيين القائمين على شئون الذرة ، بنقل أسرارها للمعسكر الشرقى - كما وضع ذلك من التحقيقات التى أجريت فى هذا الشأن - إيماناً منهم بأن احتكار طرف واحد لها يغريه بالتسلط والطغيان ، وقد يدفعه النزق إلى إشعال نار الحرب فى محاولة لفرض الرأى ، والانفراد بالسلطان ، ولا يبقى كما قدروا سوى توجيه ما وصل إليه العلم إلى الأغراض السلمية ، إذ يبدو أن هناك منهم من يعانى من تأنيب الضمير على التعذيب الوحشى الذى لاقته الإنسانية من أمريكا فى هيروشيا ونجازاكي ، ويظهر ذلك جليا فى كتاباتهم بين الحين والحين مما دعا الحكومة الأمريكية نفسها إلى محاولة إخفاء آثار الجريمة باسداد الستار عليها وعدم التحدث عنها ، وما ظهر من آثارها حتى اليوم هو نتيجة مجهودات غيرها .

إذن فالعلم طريق من طرق الإيمان ، وإذن فالعلماء المخلصون قلوبهم عامرة بالخير نتيجة علمهم ومعرفتهم ، وهذا حق وإن لم يصل إليه بعض المرتابين .

على أن الأشواط الجبارة التى خطاها العلم المادى فى تقدمه ، تفرض علينا نحن أبناء الإسلام عامة والأزهر خاصة مضاعفة جهودنا فى رعاية تراثنا الإسلامى ، الذى حمل أمانته ردحا من الزمن معهدنا العتيق ، ويقع على أبنائه وحدهم اليوم عبء الدعوة إلى المثل الروحية العليا ، التى يخربها هذا التراث ، والتى هى سبيل الخلاص الحق للعالم الذى أبعدته التصارع على المادة عن جنسة الروح ، مع أنه لا غنى له عن كليهما ، ونحمد الله على أن هيا لنا حكومة تؤمن بالمثل العليا ، وتطبقها عمليا فى سياستها ومن أجل هذا تحيط الأزهر الشريف بالرعاية ، ليتمكن من تحقيق رسالته السامية المنشودة .

وأخيرا : أدعوا قومى العرب والمسلمين إلى مسابقة ركب الحضارة العالمية ، وعدم التخلّف عنها ، مكررا ألا تعارض مطلقا بين البحث العلمى المهادف لخير الإنسانية ، وبين مثلنا الدينية التى نحصر عليها ، حتى نعيد بذلك سيرة أجدادنا أعلام العلم ، أمثال الخوارزمى أول من وضع علم الجبر ، والرازى صاحب مؤلفات الطب القيمة ، وجابر بن حيان السكيميائى القدير ، والقرعائى والصوفى والبتانى علماء الفلك المبرزين ، والفارابى وابن سينا وابن خلدون وغيرهم كثيرون ، هؤلاء الذين نفخر بهم كمؤسسين للحركة العلمية ، والتى عنهم انتقلت إلى أوروبا فى منتصف القرن الثانى عشر ، ثم تابع الغربيون السير على أسمى حتى وصلوا إلى ماصلوا

إليه ، وتخلفنا نحن عنهم للمعوقات التي ابتلينا بها ، وها قد بدأت تزول هذه المعوقات عن وطننا العربي بفضل النهضة التحررية الداعية لاستقلال الشعب العربي ووحدته والتي حملت لواءها الشقيقتان مصر وسوريا ، فأطربت نغمتها الشعوب العربية التواقفة للحرية والوحدة ، وبعثت فيها روح الكفاح الصادق الرامي إلى التخلّص من المستعمر وأذنا به ... ! فالى غد قريب تشرق فيه شمس الحرية على بقية أجزاء الوطن العربي ، ومن بعده إن شاء الله يعم نورها الوطن الإسلامى الكبير ، وسبيلنا إلى تحقيق هذا الهدف الحبيب نهضة علمية مادية صاعدة ، تحوطها مثلنا الروحية الكريمة الماجدة ... ! . ما

ابراهيم محمد الوصيل

من الرئيس إلى الأستاذ الأكبر

أبرق السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية إلى السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر البرقية التالية ردا على برقية فضيلته المنشورة فى ص ٣٧٤ من الجزء الماضى بمناسبة الاعتداء الثلاثى الغاشم على مصر :

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر تلقيت بحال الص التقدير برقيتكم الرقيقة التي بعثتم بها بمناسبة ذكرى الاعتداء الآثم على الوطن العزيز ، وإنى إذ أبعث إليكم بأخلص الشكر مزودا بأطيب الأمانى ، أدعو الله تعالت قدرته أن يصون العروبة جمعاء ، من كيد الكائدين ، ويحقق لشعبها ما يصبو إليه من وحدة وعزة ومجد .
(جمال عبد الناصر)

لغويات

عريان . عرايا . عراة

يشيع اعلی لألسنة جمع عريان على عرايا ، وهذا الجمع للعريان غير صحيح ، وإنما العرايا جمع العرية ، وهى النخلة يمنحها الغنى الفقير لينتفع بثمرها ، ولها معان أخر تذكر فى باب الربا فى الفقه . فأما عريان فيجمع فى التصحيح إذا كان للعقلاء على عريانيين ، وفى التفسير على عراة ، وقد جاء الخطأ فى جمع عريان على عرايا من قبل شبهه بنخريان وندمان ، وهما يجعان على خزايا وندامى .

وإنى أسوق إليك نصا لسيبويه . قال فى الكتاب ٢ / ٢١٢ : « وإن شئت قلت فى عريان : عريانون ، فصار بمنزلة قولك : ظريفون وظريفات ، لأن الهاء الحقت ببناء التذكير حين أردت بناء التأنيث فلم يغيروا ، ولم يقولوا فى عريان : عراء ولا عرايا ، استغنوا بعراة ، لأنهم مما يستغنون بالشئ عن الشئ حتى لا يدخلوه فى كلامهم » ، وقوله : « ولم يقولوا : عراء » أى كما قالوا نحصان ونحاص ، فكان هذا سائغا لهم فى القياس أن يقولوا : عراء ، ولكنهم اطرحوه استغناء عنه بعراة ، وقوله : « ولا عرايا » أى كما قالوا : نخريان وخزايا ، وسكران وسكارى ، لأن عريانا ليس من باب نخريان . وقد بان من كلام سيبويه أن عراة ليس فى القياس جمعا لعريان ، وإنما هو قائم مقام جمعه ، وهو عراء نكماص . ذلك أن عراة جمع لعار كقضاة جمع لقاض ، غير أنه لما كان عريان فى معنى عار جعل عراة جمعا لعريان فى الاستعمال واستغنى به عن عراء ، وهذا كما استغنوا بكاة فى جمع كى عن أكياء لما كان كى فى معنى كام ، وفى اللسان ، « الكى : الشجاع المتكى فى سلاحه ، لأنه كى نفسه أى سترها بالدرع والبيضة . والجمع الكاة ، كأنهم جمعوا كاميا مثل قاضيا وقضاة » . ومن هذا جمعهم شاعرا على شعراء لما كان فى معنى شعير الذى كان حقه أن يكون وصفا من شعر بضم العين ، ولكنهم أهملوا هذا الوصف (وهو شعير) استغناء عنه بشاعر الوصف من شعر بفتح العين ، وهو باب أفاض فيه ابن جنى فى الخصائص ، ويعرف فى فقه اللغة بتداخل اللغات .

شرار الناس

هذا استعمال مشهور بين الناس . وشرار جمع شرّ يقال : رجل شرّ أى ذو شرّ ، وقد وصف الرجل بالشر للبالغة ، كما يقال : رجل عدل . غير أن الجمع الوارد في المعاجم لشرّ أشرار . ففى المصباح : « ورجل شرّ أى ذو شرّ وقوم أشرار » وفى اللسان : « وقوم أشرار : ضدّ الأخيار » وفيه : « وقوم أشرار وأشرّاء . وقال يونس : واحد الأشرار رجل شر مثل زند وأزناد . قال الأخفش : واحدها شرير وهو الرجل ذو الشر ، مثل يتيم وأيتام » .

غير أنى وجدت فى البخارى فى كتاب الصلاة (باب الصلاة فى البيعة : « عن عائشة أنّ أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيصة بأرض الحبشة يقال لها مارية . فذكرت ما فيها من الصور ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » . وبورودها فى الحديث يصحح الاستعمال المشهور بين الناس .

السموة : الطقيسى : الصندرة

يطلق أهل القاهرة الطقيسى على ما يعلو الحمام فى البيت إذا كان الحمام لا يباغ سقفه سقف البيت . وقد يسميه بعضهم الصندرة . ويوضع فيه بعض المتاع ونحوه المنزل . وقد وجدت فى العربية كلمة يقرب معناها من معنى الطقيسى وهى السموة . فقد جاء فى شرح التبريزى للحماسة ٨ / ٤ (طبعة المكتبة التجارية) : « والسموة : بيت صغير فى البيت الكبير ، وقيل : هو الصفة بين يديه ، وقيل : حائط بينى فيه ، وقيل : هو أن يحفر بيت فى الأرض ، وقال قوم : بينى حائط فى البيت لا يباغ به أقصاه ، ثم يوضع عليه الخشب ، فما كان بين الحائطين فهو سموة ، وما كان تحت الخشب فهو المخدع » . والذى يدخل فيما تحدث عنه هو التفسير الأخير .

جرصه ، رقصه

١ — يقول الناس : جرّصه أى فضّحه وأعلن فضيحته . وقد يقولون : جرّسه

بالسين، والاسم الجرسة . والأصل في هذا الجرس الذى يضرب به ويقال له : الجلجل .
فكأن تجريس المرء أن يضرب الجرس إيذاً بعيبه وما أتى من مأثم . ولم ترد هذه الصيغة
صيغة التفعيل من الجرس فى اللغة ، والذى فيها : أجرس الجرس : ضرب به .

ونرى التجريس فى شعر لشرف الدين البوصيرى صاحب البردة والهمزية المتوفى
بالإسكندرية فى سنة ٦٩٦ هـ . وهذا الشعر قاله على لسان حمارة له كان استعارها منه ناظر
الشرقية فأعجبته وحبسها ، وبعث إليه بمال . ومنه قوله :

لو جرسوه على من سفه لقلت غيظاً عليه : يستاهل

وقد ورد هكذا فى مطالع البدور ٢ / ١٩٢ ، وورد بالسين فى فوات الوفيات . وورد
التجريس فى حاشية الباجورى المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ على شرح ابن قاسم الغزى فى فقه
الشافعية فى كتاب الحدود . فقد كتب على قول المصنف (عزز) : « أى بما يراه الإمام
من ضرب أو صفع - بالفاء والعين المهملة ، وهو الضربة بجمع الكف أو بسطها -
أو حبس أو نفى أو تجريس أو تسويد وجه أو قيام من مجلس أو توبخ بكلام »

٢ - ويقولون : رفسه ، وعريتها : رفسه بالسين .

الشادوف : المنزفة

يطلق الشادوف فى مصر على أداة لرفع الماء من القناة ورى الزرع . وهو عند العراقيين
الجادوف ، ففى المعيار : « والجادوف - ككافور : شئ يرمى به الماء فى المزارع ، عراقية »
وهذا لا يعرف فى العربية ، وإنما يقال لهذه الأداة الدالية أو المنزفة . جاء فى المصباح
« الدالية : دلو ونحوها وخشب يصنع كهيئة الصليب ويشد برأس الدلو ثم يؤخذ حبل
يربط طرفه بذلك وطرفه بجذع قائم على رأس البئر ويسقى بها » . وفى اللسان : « والمنزفة
ما ينزف به الماء . وقبل : هى دلية تشد فى رأس عود طويل وينصب عود ويعرض ذلك
العود الذى فى طرفه الدلو على العود المنصوب ويستقى به الماء » .

ويبدو لى أن الشادوف أو الجادوف أصله الغادوف وهو المجذاف ، وفى الدالية عودها
وهو يشبه المجذاف . ويقرب من هذا الغادف وهو الملاح ، وهو بسبب من الدالية
لاتصالحها بالماء .

محمد على النجار

عاشق النور

علموه فى صباه الغزلا ورموه لىالى مثقلا ... !
كلما فاض به الوجد مضى يخدع الشوق ويدنى الأمل
ويذيب الحب دمعا ناحلا طاهر النبع - حنينا مرسلا
رب فجر راقبته عينه والدجى مازال صبرا مسدلا
كلما ألمع نور ظنه . . من ربا نجد فغنى غزلا
عاشق النور على آفاقه يهب الليل هناك الحللا
وشمها فى كل ومض مشهد من خيالات حبيب يحتلى
إيه ياروح خفى واطمعى أوشك الشوق يتبع الأمل

* * *

هذه « يثرب » ... هذاريجها قد أثار الدمع حبا مجلا
فانطلق يا دمعى ... خدى ظامئ ودموع القرب تشفى الغلا
ودموع فى لقاء أمل . . . فانهلى يا روح منها هلا
وانظرى حولك فى إشراقة والمحى المجد جليلا مذهلا
واسمعى « يثرب » تحكى قصة كيف صارت للعلى معقلا
أنصتى ياروح هذا سجعها يشهد الروح زمانا قد خلا
ونجيا لم يزل فى أفقه حين يزهى الناس أسماهم علا
هل ترين النور . . . هذا نوره غابت الشمس ولا ... لن يافلا
فى جبين الأفق يبدو غرة تجذب الروح وتهدى المقبلا
هذه طيبة . . . هذى داره فاخفضى الهام ... وأغضى نجلا
واسبحى كالطير فى تطوافها خانها الدمع نخنت زجلا

* * *

ها هنا صلى وناجى وبكى وبني مجدا وأحيا سبلا
 هذه الأرض أحبت حلمه ولدى الحرب وأنه مثلا
 هذه الأنسام من أعطاره مست الركب فأمسى ثملا
 هذه الروضة في بهجتها وحيب الله فيها يحتلى
 كلما ثارت بقلبي نشوة تلهب الوجد وتنسى الوجلا
 نهنتى رعدة لا تنفى كلما كدت . . . تنفى نجلا
 وأراني في جلال غامر يلجم الشوق ويمجرى المقللا
 لا أناجيه وإن ناجى دمي وحنيني فاض دمعاً مسبلا
 يمصف الشوق فؤادي ذاهلاً كلما زرت مددت الأجللا
 ووددت العيش في أكنافه لا أريد العمر عنه حولا

* * *

يا حبيبا كل روح ترتجى أن تلاقى في لقاء الأمللا
 أنا لم أهر - ولكن راعنى دينك الحر يعانى العلاللا
 فجعلت القرب أن لا أنثى أرفع الحق وأحيى المثللا
 وأهز الأرض في ظلماتها بالذى أهديت منه الأوللا

محمد بمر الدين

نظام مصر الاجتماعى

صفق النواب المصريون جميعاً عند ما قال لهم القائد العام عبد الحكيم عامر وهو يلقى بيانه في المجلس عن المهمة التي قام بها في روسيا : إنه قال في الكرملين - أمام قادة الاتحاد السوفيتي - : إن نظام مصر الاجتماعى يختلف عن نظام روسيا . كما صفق المجلس مرة أخرى عند ما شكر القائد العام روسيا لموقفها من الغزو على مصر والتهديد لسوريا .

سلطان العلم

علم الإنسان ما لم يعلم أول التنزيل من آياته
دعوة للعلم ما أروعها يدرك المجد على قدر النهى
آدم الجسد بأسماء سما أذعنوا لله حيث اختاره
ذاك فضل العلم يروى سره

* * *

سرح الطرف تنقل هل ترى كل ملك عز أو يذشده
قوة خرساء ما أنطقها تسمع الصم إذا نادتهم
إن يكن للال سحر فالعصا

* * *

مصر إنا قد جرينا قدما وذكرنا ماضيا مزدهرا
ثورة تبني وتعلي إنها بوأت مصر مكانا عاليا
يا عرين الأسد لا ديس الحمى نحن أقسمنا بمن أجرى به
يا جمالا قد دعا العلم إلى تدعيم الأخلاق بالعلم ولا
قل لمن قاموا عليه أطلعوا يفخر السلم بهم في سلمهم

سير عبد المرووف سير

المدرس بمدرسة أسيوط الثانوية للبنات

تعليقات

النشاط الجديد في المحيط النسوي

(١) حينما نقرر أن رسالة الرجل في الحياة غير رسالة المرأة فاننا لا ندعى للرجل انفراداً بالمهام كلها ، بل نرى حقاً أن للمرأة فراغاً لا يسده غيرها ، ولا يكاد الرجل يغني عنها شيئاً في سد هذا الفراغ . . . ذلك أن في المحيط النسوي جوانب لا يسرى فيها صوت كصوت المرأة ، ولا تستجاب فيها دعوة كدعوتها فإذا اتجهت رغبات المصلحين يوماً إلى تنظيم الأمومة ، أو نشر التعاليم الصحية بين الأسر المتواضعة ، أو بث روح التصنيع النسوي في الأوساط السكادحة ، أو الترويج لمعونة الشتاء بين القادرين . فإن نجاح الرجل في هذا لا يبلغ نجاح المرأة .

ووجه ذلك فيما أرجح أن خطاب المرأة لأختها خطاب عاطفي أكثر مما هو منطقي ، وللعاطفة أثرها في الاجتذاب إلى المطاوعة .

وقد عشنا زمناً لا نرى في الميدان غير الرجل ، حتى علقت بالرجل تهمة الاستبداد بالمرأة وعلقت بالمرأة تهمة الضعف عن مجارة الرجل ، والتخلف عن سد فراغها ، ثم كانت نهضة سياسية نجمت عنها يقظة في محيطنا النسوي ، وتطلعت فتاتنا إلى موقفها في مشارف الحياة الجديدة .

غير أن نشاط النساء في كثير من ضروبه تجاوز الصواب وانحرف عن مسالك الرشيدة ، وأصبحت ملاحمة مثارا للخاوف ، والنقد ، وغلب على الأفهام أن النساء مدفوعات بشئ من الضرر - لحدانة عهدهن بهذا النشاط - وبشيء من تشجيع المقهورين المتهمين بسوء القصد ، ولم نجد من واقع الحال ، ولا من مظاهر الوثبة النسائية ما يدفع عن النساء ذلك النقد .

ومازلنا في سبيل التفاهم مع كثير من الجماعات النسوية التي برزت في الميدان ، حتى نصادف ما يبرئها من المساس بجهودها .

(ب) وليس من الإنصاف أن نطلق هذا الحديث جزافا ونتغاضى عن جمعيات نسوية شبت من أول أمرها على صراط مستقيم ، إذ اعتدلت في تحديد غايتها ، ونظمت جهودها ، فدرجت في سبيلها محفوفة بالإعجاب ، وحسن التقدير ، وتعلق بها في الإصلاح أمل يطرد مع اطراد نشاطها المحمود ، وإذا لم أستوعب ذكر السيدات الفضليات ، وما هنالك من جماعات تسير تحت إشرافهن إلى الغايات النبيلة . فأنسى جمعية نساء الإسلام التي ترأسها السيدة إحسان القوصي ، تفرغت هذه السيدة من عملها في رئاسة المعهد العالي للخدمات الاجتماعية لا لتستريح ، ولا لتعكف على المنع التي يتلهى بها أهل البطالة ، بل لتبذل من راحتها ، ومالها ، وجهودها ما يضمن به بل ببعضه أكثر الناس .

دعيت إلى كلمة في مركز جمعية نساء الإسلام يوم ١١ ربيع الآخر (٥٧ / ١١ / ٣)
بعمارة الأوقاف خلف مسجد عمر مكرم بجوار المجمع في ميدان التحرير فأجبت ، وخرجت من دار الجمعية مقتنعا بأن المرأة إذا نشطت إلى واجبها ، وأدركت رسالتها ، وأخلصت نيّتها فإنها لتجد ميدانا فسيحا ينتظرها ، كما وجدت السيدة إحسان في عملها برئاسة الجمعية التي أنشأتها ... والسيدة إحسان بعد أن بذلت ومع ماتبذل من جهد ومال تحاول أن يؤازرها كل مصلح من ذوى الرأي والجاه ، وتدعو كل سيدة نبيلة ، وكل راغبة في النشاط المجدى إلى الاتصال بجمعيتها ، وليس في ذلك مزاحمة في الوقت ، ولا تكليف بما يرهق من مال ، وأحسب أن الاشتراك الشهري في الجمعية لا يتجاوز تذكرة سينما وهذا أمر تافه .

ويعجبني كثيرا من جمعية نساء الإسلام أنها جمعت نخبة من البيوتات المتمحضرة مع الاحتشام والتحفظ بأدب الإسلام مما ينبئ عن أصدق الآمال في هذه الجماعة ... وإلى لأود أن تصادف هذه الجمعية مؤازرة مالية من وزارة الإرشاد أو الأوقاف أو غيرها من جهات الخير ، لتستطيع أن تواصل رسالتها المشكورة ... كما أود أن تتصل بها كل سيدة تحب أن تظهر في أكرم مجتمع يتمثل فيه نشاط المسامة المصرية بجمعية نساء الإسلام ما

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الكتب

تفسير الطبرى

الجزء الحادى عشر - ٦٤٣ ص - دار المعارف بمصر (مؤسسة المطبوعات الحديثة)

انطوى هذا الجزء الحادى عشر من جامع البيان عن تأويل آى القرآن للامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى على تفسير بقية سورة المائدة من الآية ٩٥ إلى الآية ١٢٠ وعلى تفسير ٩٩ آية من أول سورة الأنعام . وكنا أشرنا فى وصف الجزء العاشر فى جزء المجلة الماضى إلى ما ذكره الأستاذ محمود شاكر من أنه انفرد بتحقيق هذا التفسير والتعليق عليه وتخريج أحاديثه بعد أن كثرت أعمال أخيه الأستاذ الشيخ أحمد شاكر ، ثم رأينا الآن كلمة نشرها الأستاذ الشيخ أحمد شاكر فى فاتحة هذا الجزء ذكر فيها سابق عمله الحميد فى هذا التفسير وقال : ثم تفضل أنى السيد محمود بمعاونتى فى التخريج ، فخرج الكثير من الأحاديث فى كثير من الأجزاء ، وهو أهل لذلك والحمد لله ، بما أوتيه من دقة النظر والدأب على البحث ، والثقة فيما ينقل عن الدواوين والمراجع ، وكنت ولا أزال مطمئنا إلى عمله واثقا به عن خبرة وبينه ، حتى إذا شغلتنى شواغل جمّة من أول الجزء التاسع تفرد هو بالتخريج . وقد رأى ورأيت معه منذ هذا الجزء أن تكون مراجعتى الأحاديث فى أعقاب طبع كرايسه ، ثم أفرد ما بدا لى من زيادة فى التخريج وما أراه من رأى فى بعض الأحاديث - وخاصة المرفوع منها - فى قسم مستقل يطبع فى آخر كل جزء ليكون « تمة التخريج » . وبالفعل ألحقت بهذا الجزء تمة من ص ٥٨٧ إلى ص ٥٩١ فيها ١٤ تعليقا لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر ، وهذا الجزء كسائر أجزاء الكتاب توفرت فيه جميع أسباب السكال والإتقان ، من تحقيقات وتعليقات وفهارس . أعان الله عز وجل على إتمامه .

ديوان العرجى

شرح خضر الطائي ورشيد العبيدي - ٢١٣ ص + ٤٦ - الشركة الإسلامية للطباعة ببغداد

العرجى هو عبد الله بن عمرو - أو عبد الله بن عمرو بن عمرو - الأموى ، حفيد أمير المؤمنين عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، وكان يسمى « المطرف » لجماله ، توفى سنة ١٢٠ هـ ، والعرجى نسبة إلى ماء يقال له العرج فى جهة الطائف كان له فيه ضياع ومزارع . وله جهاد بأرض الروم تحت راية مسلمة بن عبد الملك ، وشارك بماله فأنفق الكثير منه فى أشد السنين جدبا . وكان شاعرا بليغا يأخذ مأخذ عمر بن أبى ربيعة المخزومى ، وملا الفراغ الذى خلفه ابن أبى ربيعة عند موته ، وهو قائل البيت المشهور :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر

فلما لم يجد ميادين لفتوته فى يوم السكرية والدفاع عن الشعور سلك مسالك عمر ابن أبى ربيعة ووصف ذلك من نفسه يوم قال :

بختت أمشى على هول أجشمه تجشم المرء هولا فى الهوى كرم

على أنه يعد فى الأجواد الذين - كما قال ناشرا ديوانه - لا يعرفون فى الاقتصاد إلا معنى البخل ، ولا من البخل إلا معنى اللؤم ، ولا من اللؤم إلا ما لا ينفع معه مجد أو شرف . ودراسة شعر العرجى وبلاغته التى كان مطبوعا عليها قد وفاها الناشران حقها فى مقدمة بلغت قريبا من خمسين صفحة .

وديوان هذا الشاعر الأموى كان عزيزا نادرا ، وهو الآن يطبع للمرة الأولى فى عاصمة بنى العباس عن مخطوط ذكر فيه أنه منقول عن نسخة إمام اللغة أبى الفتح عثمان بن جنى ، وهناك نص بأن أسعد بن عفيف قرأ ديوان العرجى على ابن جنى سنة ٣٨٠ هـ . والمخطوط الذى اعتمد عليه فى الطبع فى مجموعة كانت للأب انستاس الكرملى وهى الآن فى مكتبة الآثار ببغداد برقم ١٣٤٢ . وقد عثر الناشران على جملة من شعر العرجى فى المراجع الأدبية واللغوية والتاريخية فذيل بها آخر الديوان . ووضعنا بسين دراستهما لشعر العرجى وديوانه صورا شمسية من الأصل ومن نسختين منقولتين عنه ، وإن نشرهما لهذا الديوان وعنايتهما بضبطه وشرحه وتحقيقه وتذييله يستحقان عليه كل شكر وثناء .

الغرب العربي

في طريق التطور والاتحاد الاقتصادي

للاستاذ يوسف صالح الحريثي — ١٨٣ ص — دار الأندلس للطباعة في بيروت

إنما طرأ الضعف على العالم الإسلامي بسبب ما طرأ من الضعف والانقسام في الأمة العربية ، ولا تعود إلى المسلمين قوتهم ونهضتهم إلا باستعادة الكيان العربي قوته ونهضته ولا استعادة الكيان العربي قوته ونهضته أسباب كثيرة منها الجانب الاقتصادي وهو ما يعني به مؤلف هذا الكتاب ، وقد سبق لنا التعريف بكتابين له في جزء ربيع الأول من هذه السنة أحدهما عن طريق الوحدة الاقتصادية في البلاد العربية والآخر عن تطور اقتصاديات الشرق العربي . وهذا الكتاب الثالث الذي نحاول التعريف به اليوم مكلل لهما لأنه يتناول دراسة الاتحاد الاقتصادي في الغرب العربي أحد جناحي الكيان العربي ، ولا ينهض الكيان العربي إلا بنهوض جناحيه الاثنين . ولذلك تصدى هذا المؤلف الاقتصادي العراقي لاستقصاء أسباب نهوض المغرب الاقتصادي بعد دراسته موارده الطبيعية والبشرية وتعرفه على شمال إفريقيا وقابليتها الإنتاجية وإمكانياتها الزراعية وما يتعلق بمعادنها وخاماتها وموارد الطاقة الكهربائية وغير ذلك من عناصر الحياة الاقتصادية . وفي الكتاب نظرة إلى امتيازات فرنسا في هذه الأوطان العربية المغربية وسوء معاملتها لها والوضع الاقتصادي الذي صارت إليه البلاد بما قيدت به من اتفاقيات اقتصادية ومالية . ثم تكلم المؤلف على إمكانيات التنمية الاقتصادية وإمكانيات الوحدة من هذا الجانب مع الوطن العربي الأكبر ، وهو بحث قيم جدير بالمشتغلين بالبحوث الاقتصادية عن الوطن العربي أن يطلعوا عليه .

الثائر الإسلامي جمال الدين الأفغاني

لفضيلة الأستاذ الشرباصي — ٤٨ ص — دار العهد الجديد بالقاهرة

تقوم في المركز العام للشبان المسلمين بالقاهرة ندوات ثقافية في أيام الاثنين يسمنونها « أحاديث الاثنين » ويشترك في كل ندوة منها رجال الفكر والثقافة الذين لهم اضطلاع بالموضوع الذي يدور حوله الحديث ، ويشرف على هذه الأحاديث في كل أسبوع فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر ورائد جمعيات الشبان المسلمين ، وله في ذلك

مواقف في بيان فضله تضارع ما يقرأه له قراء هذه المجلة من بحوث نافعة . وأما ما الآن رسالة سجلت فيها حلقة من حلقات سلسلة « أحاديث الاثنين » حول حياة الثائر الإسلامي جمال الدين الأفغانى ، جاء فيها بعد كلمة مستفيضة للأستاذ الشرباصى بحث قيم السيد صلاح الدين سلجوقى سفير أفغانستان فى مصر ، ثم تحية كريمة لروح الثائر وجهها إليه السيد محمد البشير الإبراهيمى رئيس جمعية العلماء الجزائريين المسلمين ، ثم كلمة عن تبطل جمال الدين لفضيلة الأستاذ عبد المعز عبد الستار الواعظ العام ، وكلمات أخرى منتورة ومنظومة جدير بمتقضى تاريخ النهضة الإسلامية أن لا يفوتهم الإمام بها .

مساهمة الهند

فى قضاء مآرب الإنسان الاقتصادية

بحث طريف كتبه الأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسينى ، وتناول فيه فوائد ومعلومات عن الهند وما امتازت به وما ساهمت فيه من شئون الحياة وابتكرات الصناعة وثمرات الأفكار وبدائع الطبيعة إلى غير ذلك من المكارم والمفانير للهند مما لا يوجد مجتمعاً بالعربية فى كتاب آخر . فنأنت إليه الأنظار .

الدين والتعبئة القومية

لفضيلة شيخ معهد دمياط — ٣٩ ص — مطبعة السرورى بالقاهرة

هذه محاضرة مستفيضة ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن جلال شيخ معهد دمياط الدينى بدعوة من الجامعة الشعبية تكلم فيها على تعاليم الدين الإسلامى وما تدعو إليه من التآلف ، وأن الدفاع عن الأوطان واجب دينى ، وبين حكم الجهاد وفضل المجاهد ، وجهاد المجاهد الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وشجاعة أصحابه رضوان الله عليهم . ثم تكلم على جهاد النساء المسلمات فى الصدر الأول ، وختم المحاضرة بكلمة عنوانها : « نصيحتى إلى قومى » وبقصيدة لامية تناسب المقام .

التأميم

يكشف عن المؤامرات الاستعمارية الصهيونية

هذا عنوان كتيب لطيف بقلم الأستاذ أحمد عز الدين عبد الله خلف الله مدرس الآداب

بمعهد طنطا الثانوى تسكلم فيه على الاستعمار وخطط الصهيونية وتهديدهما للسلام العالمى ، وعن أهداف الصهيونية واتفاقها مع الاستعمار ، وخطط الاستعمار والصهيونية ضد العرب . وكيف أن مصر حطمت الأغلال بتحقيقها الواجب القومى فى تأمين قناة السويس ، وأساليب الضغط الاستعمارى على مصر بعد التساميم ، والهجوم الإسرائيلى المدبر ، والعدوان الوحشى على مصر ومعركة بورسعيد ، ونتائج ذلك بعد فشل ذلك العدوان ، وما كسبته مصر من المعركة .

م شروع السنوات الخمس فى الهند

كانت الحجة الكبرى للاستعمار فى تبرير إحقاقه نفسه على بلاد الناس ، أنه جاء ليصلحها ويعمرها ! ومن هنا جاء عنوان « الاستعمار » الذى أطلقوه على هذا النظام الفضولى الجائر . فاللورد كرومر ، والذين كانوا ماجورين له ويردون مزاعمه ، كان من أبرز حججه وحججهم على تبرير الاحتلال البريطانى فى مصر دعوى التعمير والإصلاح . وهو يتجاهل جريمة الاحتلال فى مناصرته للاقطاع ، وتجريده التعليم من روح التربية ، وتضييقه دائرته بشتى الأساليب .

وما كاد الاستعمار يتداعى إلى الانهيار فى آسيا وإفريقية ، وأخذت أيدي المخلصين من أبناء البلاد التى جلا عنها الاستعمار تتولى مهمة الإصلاح والتعمير ، حتى ظهر الفرق للناس بين الغش الذى كان يمثل الاستعمار أدواره فى التعمير والإصلاح المزعوم ، وبين الجحد الذى ظهر للناس من مباشرة أبناء الوطن الحقيقين لمهمة الإصلاح الصادق ، والتعمير الأصيل . وإن هذه المعانى هى التى كانت تتردد فى خاطرننا ونحن نقرب صفحات كرامتين نشرتهما سفارة الهند بالقاهرة أولاها عن معالم شروع السنوات الخمس فى الهند ، والثانية عن مدارج التقدم فى تنفيذ هذا المشروع فى سنواته الثلاث الأولى . إن الإصلاح والتعمير اللذين تقوم بهما الهند فى بلادها ، وسائر الأمم الآسيوية والإفريقية فى أوطانها ، بعد جلاء الاستعمار ، إنما يراد بهما إغناء الوطنيين عن الحاجة إلى صناعات الغرب ، وما كان يفعله الاستعمار هو تكميل الوطنيين بالقيود ، وتحويل المواد الخام من بلادهم إلى أوربا لتعود مصنوعة بعشرات أضعاف أثمانها فتبتز بها أموال الوطنيين ليبقوا فقراء وجاهلاء .

الأدب والعلوم

سموم الاستعمار

في ثقافات البلاد العربية

انعقد في بغداد المؤتمر الثقافي العربي الثالث ، واشتركت فيه مع العراق مصر وسوريا والسعودية والسودان ولبنان وتونس والأردن والكويت . ومما أبرزته الوفود من أمانى الشعوب العربية عزم الشعوب العربية على تطهير ثقافتها من « السموم الاستعمارية » . وقال الأستاذ منذور المهدي رئيس وفد السودان : « إن المؤتمر يرمى إلى توجيه الجيل العربي الصاعد وجهة عربية قومية » . وقال الأستاذ فليح مندوب سوريا : « علينا أن نعد أنفسنا والأجيال القادمة لثقافة عربية قومية خالصة ، ثقافة عربية لا شرقية ولا غربية » . وقال الدكتور عادل إسماعيل ممثل لبنان : « إن المؤتمر يهدف إلى تنمية الوعي القومى العربى والثقافة العربية الأصيلة » . واعترف الدكتور القوصى ممثل مصر بأن كتبنا ومناهجنا مليئة بالألغام والسموم الثقافية ، فضجرت قاعة المؤتمر بالتصفيق .

الفساد في حركة التأليف

لوحظ على دار الكتب المصرية أنها متخمة الآن بالمؤلفات العصرية التافهة ، في حين أنها قلما تضاف إليها المؤلفات القيمة والمراجع النافعة . فقال الأستاذ محمد حسين مديردار الكتب جوابا على ذلك : إننى أتهم دور النشر بافساد السوق العلمية والفكرية في مصر . إن دور النشر تجرى وراء الربح ، وتفرض على المؤلفين ما تراه أكثر رواجاً . بينما لا تشجع الكتب والمراجع المهمة إذ كانت أقل حظاً في الراج . والفوضى الموجودة في السوق تنعكس في دار الكتب ، لأن القانون يلزم كل مؤلف بإيداع خمس نسخ من كتابه ، وهكذا ينال على الدارسين من كتب الأدب الرخيص ، وقطرات من كتب الفكر العميق . وهذه المشكلة تبحث الآن مع إدارة الثقافة والمجمع اللغوى .

التربية العسكرية

في الأزهر

أصدر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قراراً بأن

وتبرع الأمير منصور بن سعود بنصف نفقات هذه الجامعة العربية .

عيد العلم

تحدد يوم ٢١ ديسمبر للاحتفال بعيد العلم ، وقد تأجل من ١٢ نوفمبر إلى ١٢ ديسمبر لبتاح للطلبة العرب في الأقطار الشقيقة فرصة الاشتراك في هذا العيد .

الدراسات الإسلامية والمصرية

في معهد ألماني للآثار بالقاهرة كان للألمان قبل الحرب العالمية الأولى معهد للآثار تعطل عن العمل بتيام الجريين الأولى والثانية بين الألمان والانجليز . وقد استأنف الألمان إنشائه في هذا الشهر وافتتحه وزير التربية والتعليم . وخطب والتر بيكر سفير ألمانيا في حفل الافتتاح فأعرب عن رجائه أن يكون هذا المعهد وقفا على الجهود التي تبذل للبحث عن كنوز الحضارات المصرية من قديم الزمان حتى عهدنا هذا .

وقد جهز المعهد بعشرة آلاف كتاب أكثرها عن مصر قديما وحديثا ، وبثلاثة آلاف صورة تمثل مراحل التاريخ المصري القديم وعصور الإغريق والرومان والبطالسة فالعصور الإسلامية .

وقد خصص المعهد قسما للدراسات الإسلامية والبحوث الأثرية والثقافية

تسكون التربية العسكرية مادة أساسية في السلكيات الأزهرية وأقسام الإجازات والأقسام الثانوية بالمعاهد الدينية ، ويخصص لها حصتان أسبوعيا داخل الجدول ، ويحرم من امتحان آخر العام كل طالب لا يحصل على ٧٥ ٪ على الأقل من مجموع الحصص المخصصة للتربية العسكرية . أما الطلبة غير اللائقين لتلقى التدريبات العسكرية فيحضرون حصصها ولا يؤدون حركاتها . وقد أرفق بهذا القرار نظام يوضح المشروع في تنفيذ التربية العسكرية .

ميزانية دار الكتب

قال مدير دار الكتب المصرية إن ميزانية الدار ارتفعت من ٨٣ ألف جنيه مصرى في السنة إلى ١٢١ ألف جنيه ، ويجرى البحث لتدريب إخصائيين في شئون المكتبات ، وإدخال الدراسة العلمية في قسم المكتبات بالجامعة . ونعمل على تنسيق التعاون مع الهيئات الأخرى فيما يتعلق بالمخطوطات .

جامعة الرياض

في منتصف شهر ربيع الآخر (٧ نوفمبر) افتتح الملك سعود في مدينة الرياض أول جامعة سعودية تقام في قلب جزيرة العرب ، وفيها كلية للحقوق وأخرى للتجارة ، وقد تعين مديرا لها الدكتور عبد الوهاب عزام ،

الشمسى والأشعة الكونية وأجهزة لقياس درجات الحرارة والضغط الجوى . وكان ارتفاع القمر الأول فى الجو ٥٦٠ ميلا بينما وصل الثانى إلى ١٠٥٦ ميلا، وكان وزن القمر الأول ٨٢ كيلوجرام ، ووزن الثانى ٥٠٨ ، وسرعة انطلاق القمر الأول ١٨ ألف ميل فى الساعة والثانى ١٧٨٤٠ ميلا ، والقمر الأول كروى الشكل والثانى كشكل الصاروخ له مقدمة مدببة ، ويمتاز القمر الثانى بأنه يحمل كلبة وضعت فى غرفة مكيفة للهواء ومزودة بالطعام اللازم لها ، واسم هذه الكلبة « لاىكا » أى النباحة ، وقد أريد من إطلاقها فى القمر الثانى تجربة مبلغ تحمل الأحياء للإشعاع الشمسى وغيره من الإشعاعات التى تحترق غلاف القمر ، فإذا كان مما يتحمله الأحياء أمكن قيام الإنسان بمثل هذه التجربة فيما بعد ، وفى القمر الثانى أجهزة لتسجيل نبض الكلبة وتنفسها وضغط دمها ، وهذه التسجيلات تنقل إلى الأرض عن طريق صمام من صمامات التليفزيون ، وبعد أسبوع من انطلاق القمر الثانى انقطعت الإشارات اللاسلكية عن الكلبة ، فعلم من ذلك أنها ماتت ، وبعد أسبوعين من انطلاق القمر الثانى أى فى صباح ١٧ نوفمبر كان قد أتم ٢٠٨ دورات حول الأرض فقطع بذلك ٩ ملايين ٥٣٥ ألف كيلو متر، بينما القمر الأول كان إلى ١٧ نوفمبر قد أتم ٦٦ دورة حول الأرض .

المصرية والتاريخ المصرى فى دول الإسلام وحضاراته .

بعثة الثقافة المصرية

إلى الصين

وصلت إلى بكين بعثة الثقافة المصرية التى يرأسها الدكتور السعيد مصطفى السعيد مدير جامعة الإسكندرية . وقد زارت البعثة أكاديمية العلوم الصينية ، ومعاهد العلوم والثقافة فى بكين وغيرها . وكانت البعثة موضع ترحيب من الهيئات الثقافية والعلمية فى الصين . وأقام لها (سن - يان . بينج) وزير الثقافة حفلة استقبال دعا إليها عددا كبيرا من المشتغلين بالثقافة والعلوم والآداب والفنون .

القمر الصناعى الثانى

أطلقت روسيا يوم ٣ نوفمبر قمرًا صناعيًا ثانياً مزوداً بأجهزة علمية أدق وأكثر مما كان مزوداً به القمر الأول ، وهى تذيب ما تسجله من معلومات على ذبذبة طولها ٤٠٠٢ كيلوسا يكل ٢٠٠٠٥ كيلوسا يكل وفيه محطة إرسال لاسلكية تذيب على موجتين طول الأولى ٧٥ متراً والثانية ١٥ متراً ، ويتم دورته حول الكرة الأرضية فى ساعة واحدة و ٤٢ دقيقة ، بينما القمر الأول يكمل هذه الدورة فى ساعة و ٣٦ دقيقة لصغره وضيق منطقة دورانه . ومما يحمله القمر الثانى أجهزة خاصة بدراسة الإشعاع

إنشاء المجلس النيابي

سوريا ومصر في طريق الاتحاد

في صباح يوم السبت ٢٤ ربيع الآخر (١٦ نوفمبر) طار إلى سوريا وفد مؤلف من أربعين نائبا يمثلون مجلس الأمة المصري برئاسة السيد أنور السادات ، فاستقبل في دمشق وفي أمهات المدن السورية استقبالا رسميا وشعبيا منقطع النظير ، وأصدرت المقاومة الشعبية نداء إلى المتطوعين لاستقبال الوفد المصري بكامل أسلحتهم ، وتصدر مديرية البريد مجموعة من الطوابع تذكرا لهذه الزيارة .

ووصف راديو دمشق استقبال النواب المصريين بأن ٢٤٠ سيارة نقلت المستقبليين إلى مطار دمشق منها ٩٠ سيارة كبيرة ، وأطلقت أسراب كثيرة من الحمام ، ولشدة الازدحام الشعبي في المطار لم يتمكن النواب المصريون من مصافحة المستقبليين أو استعراض حرس الشرف . وقد عدد المستقبليين بثلاثين ألفا .

وأقام لهم السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية مأدبة غداء قال فيها : « إنكم في بيتكم ، وبين أهلكم وذويكم . وأتم إذ تنتقلون من مجلس الأمة في القاهرة إلى

المجلس النيابي في دمشق فانما تنتقلون إلى مجلس هو مجلسكم وأعضاؤه هم إخوانكم ، لهم نفس المشاعر والأهداف التي تسعون من أجلها ، وهى الوحدة العربية التي سنحققها بإذن الله وبفضل سعى الأمة العربية كلها .

وقال النائب المصري السيد كمال الحناوى :
إننا سنعمل معا لتحطيم الحدود المصطنعة بين البلاد العربية وبذلك يستطيع كل عربى أن ينتقل من بلد عربى إلى أى بلد عربى كأنه ينتقل داخل قطر واحد .

وفي جلسة عقدها مجلس سوريا النيابي بعد ظهر يوم الاثنين ٢٦ ربيع الآخر (١٨ نوفمبر) واشترك فيها نواب الأمتين ، أعلن نواب المجلسين النيابيين السوري والمصري رغبة شعبي البلدين في إقامة اتحاد فيدرالى بين مصر وسوريا ، ودعا المجلسان حكومتى البلدين للدخول فورا في مباحثات مشتركة لاستكمال تنفيذ هذا الاتحاد ، وقد وافق النواب بالإجماع على القرار الآتى :

« إن نواب المجلسين المجتمعين في جلسة مشتركة إذ يعلنون رغبة الشعب العربى في مصر وسوريا في إقامة اتحاد فيدرالى بين القطرين ، يباركون الخطوات العملية التي

أكرم الحوراني والسيد أنور السادات رئاسة الجلسة، كما تناوب السكرتارية السيد فاروق غلاب عضو مجلس الأمة المصري والسيد راتب الحسامي النائب السوري، وكان العلمان السوري والمصري يرتفعان فوق منصة رئيس المجلس .

وحضر هذه الجلسة التاريخية جميع الدبلوماسيين العرب وبعض ممثلي الدول الأجنبية . وعلى أثر إعلان قرار الاتحاد قامت مظاهرة ضخمة تهتف بالوحدة بين البلدين وبحياة رئيسيهما .

مجلس الأمة المصري

يوافق بالإجماع على الاتحاد

لما كان مجلس سوريا النيابي يتخذ القرار التاريخي العظيم بالاتحاد بين مصر وسوريا، كان مجلس الأمة المصري مجتمعاً ينتظر صدور ذلك القرار من دمشق، إلى أن تلقى هذا النبأ العظيم فعرض السيد عبد اللطيف البغدادي على المجلس اقتراحاً مقدماً من عشرين عضواً بتأييد قرار المجلس السوري . وتلى القرار فوافق عليه مجلس الأمة المصري بالإجماع وسط دوى التصفيق الشديد .

تعليق أنور السادات

قال السيد أنور السادات في مؤتمر صحفي

اتخذتها الحكومتان السورية والمصرية في سبيل تحقيق هذا الاتحاد، ويدعون حكومتى مصر وسوريا للدخول فوراً في مباحثات مشتركة بغية استكمال أسباب تنفيذ هذا الاتحاد .

وتكلم السيد أنور السادات خفاً المجلس باسم رئيس مصر ومجلس مصر وشعب مصر وقال : إن المعركة التي نخوضها سوريا اليوم ليست معركة سوريا وحدها إنما نخوضها سوريا باسم القومية العربية وباسم كل الشعوب العربية من أجل كل الشعوب ومن أجل القيم البشرية .

وقال : إن مصر وسوريا منذ قديم الأزل وطن واحد وشعب واحد ، وما من فترة انغزلت فيها سوريا عن مصر أو انفزلت فيها مصر عن سوريا إلا وحاقت بالعرب الكوارث والنكبات ، وما من مرة اجتمع فيها شمل الوطن الواحد لسوريا ومصر إلا وانتصر العرب وطردها كل من جاء إلى أرضهم يفرض عليهم استعماراً أو سيطرة . فإذا مادعونا اليوم لاتحاد بين سوريا ومصر فأنما نصصح الوقائع ونوصل الماضي بالحاضر . إنما لا نريد اتحاداً من أجل الاعتراف ، ولا من أجل الاستيلاء على أرض غيرنا ، ولسكننا نبغى الاتحاد من أجل حرية العرب أجمعين .

وكان من مظاهر الاتحاد تناوب السيد

نائب سورى

فى مجلس الأمة بمصر

فى جلسة مجلس الأمة التى ألقى فيها القائد العام عبد الحكيم عامر بيان عن مهمته فى روسيا، لاحظ السيد عبد اللطيف البغدادى رئيس المجلس أن فى شرفة الزائرين النائب السورى عبد الحميد رستم ، فقال الرئيس والجلسة لاتزال فى مستهلها : يشرفنا أن يكون من بين الحاضرين فى شرفة الزائرين النائب السورى عبد الحميد رستم . وأظن أن المجلس يشاطرنى رأى فى أن أدعوه لينضم إلينا ... وقوبلت هذه الكلمة بتصفيق شديد من أعضاء المجلس ، وانضم النائب السورى بعدها إلى زملائه بدعوة جماعية من أعضاء المجلس .

أقوى أمة فى العالم الإسلامى

علقت جريدة (ديلى ميرور) الأمريكية على الحالة فى الشرق الأوسط فقالت : إن فكرة الاتحاد بين سوريا ومصر قد تؤدي إلى تكوين أقوى أمة فى العالم الإسلامى فى تلك المنطقة .

٦٢ مليون جنيه

قيمة مصانع من روسيا لمصر

وصل اللواء عبد الحكيم عامر وزير الحربية المصرية فى خلال رحلة فى موسكو إلى اتفاق مع قادة الاتحاد السوفيتى يتضمن

عقده بدمشق مساء ٢١ نوفمبر : إن اتحاد مصر وسوريا هو الخطوة الأساسية لتحقيق (الاتحاد العربى الشامل) ، وإن وفد مجلس الأمة المصرى وأعضاء البرلمان السورى قد اتفقوا فى اجتماع عقد فى الليلة السابقة على إعلان قرار الاتحاد ، وسيتمون متابعة هذا القرار أمام المجلسين السورى والمصرى لوضعه فى حيز التنفيذ ، على أن يتاح لخبراء الحكومتين المصرية والسورية فرصة دراسة التفاصيل القانونية لهذا القرار ، لإعلانه بصفة رسمية ، إنكم تحسون أن هذا الاتحاد جاء وليد إرادة الشعبين السورى والمصرى ، وإننا نرحب بأى شعب عربى يريد أن يضم إرادته إلى الشعب السورى المصرى ، وإننا جميعا متفقون على أن أهدافنا كشعوب واحدة ، ولكن بعض الظروف بالنسبة للبعض منا هى التى تؤخر هذا الاتحاد .

ولمناسبة ما أعلنه الحاج أمين الحسينى من أن فلسطين هى سوريا الجنوبية وجزء لا يتجزأ منها ولذلك هى عضو فى الاتحاد المنشود قال السيد أنور السادات تعليقا على ذلك : إننا مدينون لفلسطين بما تم من خطوات نحو جمع الكلمة ، فلو لم تكن إسرائيل قد زرعت زراعا فى قلب وطننا العربى فى فلسطين لما استيقظنا من سباتنا العميق ، إن فلسطين طرف أصيل فى هذا الاتحاد .

فسيظل حوالى ٢٧ مليون جنيه من النقد الأجنبي في مصر ، وهذا ما حققه تأميم قناة السويس من نتائج مالية ونقد أجنبي .

وبرنامج السنوات الخمس مقدّر له مبلغ ٢٣. مليون جنيه ، منه ٧٠ أو ٨٠ مليون نفقات داخلية والباقي نفقات خارجية ، فالمعدات التى ستسلمها من الخارج وقيمتها ٦٢ مليون جنيه نتيجة القرض الروسى ستساعد على تنفيذ جزء كبير من برنامج التصنيع .

وقال عن تمصير البنوك : إنه موضوع كان ينبغي أن يتم من مدة طويلة ، ونحن الآن نفخر بالإدارة المصرية فى البنك الأهلى وقد مصرت البنوك وهى الآن تقوم بمهمتها أحسن مما كان قبل التمصير .

وإن الخطة الشاملة للتخطيط ستكون لمدة سنتين وستعرض على مجلس الأمة ثم تنفذ بعد إقرارها من المجلس .

إكمال التحرر باندونيسيا

إن الاستعمار الهولندى الذى أزاله الله من أندونيسيا بعد ثلاثمائة سنة من رسوخه واستقراره لا تزال له بقايا فى إيريان الغربية (غينيا الجديدة) . وأندونيسيا مصممة على قطع الذنب بعد أن حطمت الرأس . وستجرب الاستعانة بالضمير العالمى فى الأمم المتحدة ، فإن فشلت جهودها فى هذا الميدان

أن يقدم الاتحاد السوفيتى لمصر مصانع قيمتها ٧٠٠ مليون روبل ، أى ما يساوى ٣٠٠ مليون دولار (٦٢ مليون جنيه) تقدم كلها على شكل تعاون اقتصادى تستعمله مصر فى برنامج السنوات الخمس للتصنيع . على أن تبدأ مصر فى سداد هذا المبلغ بعد خمس سنوات من تاريخ عقد الاتفاق ، ويكون تسديده على أقساط تمتد إلى ١٢ سنة بعد السنوات الخمس الأولى (فيتم التسديد من إنتاج هذه المصانع فى سنة ١٩٧٤) .

برنامج السنوات الخمس لمصر

قال الدكتور القيسونى : هناك مشكلتان تواجهنا فى سياسة التنمية الاقتصادية : أولاها ضعف الجهاز الفنى ، وهى تحتاج لعلاج يأتى عن طريق التربية والتعليم والتقاليد الصناعية . وثانيتهما زيادة السكان بمقدار ٢١ ٪ سنويا ، ولكى نستطيع المحافظة على مستوى المعيشة الحالى يجب أن يستثمر الدخل القومى الذى يبلغ ألف مليون جنيه على أساس ٨ ٪ ، أى يكون للدخل استثمار ٨٠ مليون جنيه سنويا ، كما أننا نحتاج للمحافظة على المنشآت وصيانتها إلى ٥٠ مليون جنيه أخرى على أساس ٥ ٪ .

وهناك دخل قناة السويس ، فلو فرضنا أن الإيراد السنوى ٣٧ مليون جنيه ، والمصاريف الخارجية ما بين ٧ و ١٠ ملايين

متواضعة يديرها شيخ فى الخمسين من عمره وزوجته، فسأل المراسل زوجة مدير المدرسة عن الإسرائيليين ، وسمعتها تجيبه بعنف وهى تضرب المكتب بقبضتها : « إن الإسرائيليين فاشيون قذرون » . وكررت كلامها بغضب متزايد : « إن الإسرائيليين أسوأ من الجستابو ، إنهم سفاحون » . وسألها عن غارات الإرهابيين العرب على إسرائيل ، فانطلقت قائلة : « هذا بهتان ، وهم يكذبون . هم الذين يحضرون إلى هنا للنهب وهتك الأعراض » . ثم قالت : « يجب أن تزول دولة إسرائيل ، وليس هناك حل آخر » . قال المراسل الفرنسى : وكنت أقرأ على وجوه القوم هذه الكلمات : « هل ترون هذا السرطان ، هذا الجذام ؟ إنكم أنتم أيها الغربيون خلقتموه عندما خلقتم دولة إسرائيل » .

الاستعمار الاسباني فى المغرب

كانت الحكومة الإسبانية قد وعدت رسميا برد المنطقة التى تسيطر عليها فى الجنوب إلى الحكومة المغربية فى خلال أيام من الاحتفال بعيد جلوس ملك المغرب ، ولما تأخرت فى الوفاء بما وعدت قامت ثورة على السلطات الإسبانية فى منطقة سيدي حفنى ، والمتنظر أن يتسع نطاق الثورة إذا لم تحسن اسبانيا تقدير الموقف .

فستوجه همتها نحو تنفيذ قرار المؤتمر الشعبى الذى اتخذته الأندونسيون فى جاكرتا يوم الاثنين ٢٦ ربيع الآخر (١٨ نوفمبر) وهو يقضى بتأميم المؤسسات الهولندية الكبرى فى جميع بلاد أندونيسيا .

سرطان إسرائيل

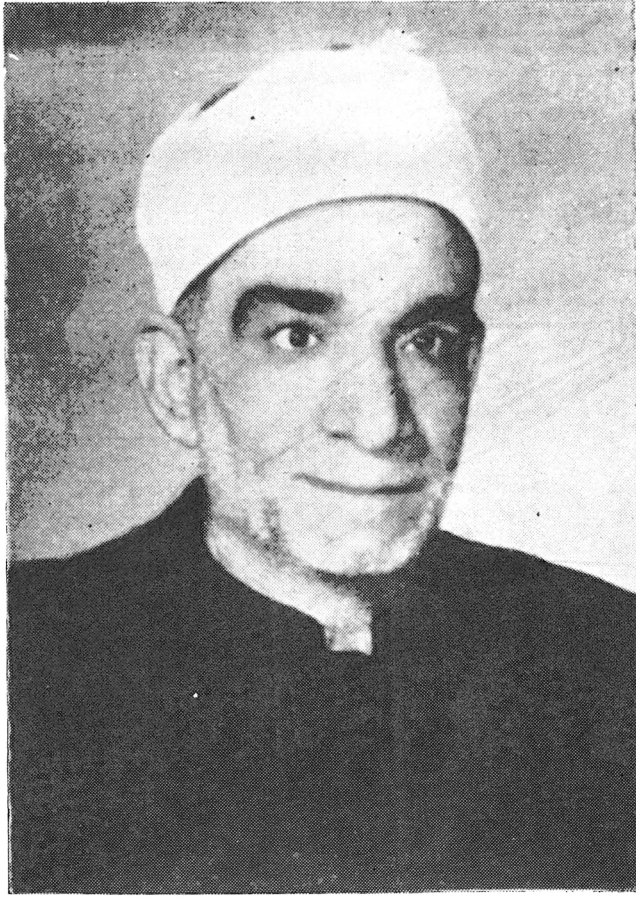
جاء فى الخطاب الذى أذاعه الملك سعود بمناسبة العام الخامس لارتقائه العرش : « إن الصهيونية حشدت الدول الاستعمارية كلها وتأمرت معها على العرب لتحقيق أطاعها التوسعية فى الدول العربية . فعلى المسلمين أن يضاعفوا جهودهم لمكافحة الصهيونية واستئصال سرطان إسرائيل ، وأن يتحدوا للدفاع عن حقوق اللاجئين العرب وإعادتهم إلى وطنهم وإعادة ممتلكاتهم إليهم . إننا نعتبر أنفسنا مع الدول العربية الشقيقة فى صد أى عدوان يقع على أية دولة عربية ، ونحن مصممون على المضى فى العمل وفقا لميثاق الجامعة وقرارات مؤتمر باندونج . ولن يستقر لنا قرار حتى تعود واحة البريمى إلى أحضان الوطن السعودى » .

اللاجئون من فلسطين

نذبت جريدة (فرانس سوار) صحفيا اسمه (ماوسيل نيدر جانج) ليزور البلاد العربية ويوافيها بسلسلة من الرسائل ، فكان مما زاره البيئات التى يعيش فيها اللاجئون الفلسطينيون العرب ، ودخل مدرسة

الفهرس

صفحة	الموضوع	بقة
٣٨٥	إيماننا	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٣٩٢	نفعات القرآن : الاعراض عن الحق من أسباب	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
.	الحزن الشديدة	
٣٩٥	السنة : الوصاة بكتاب الله عز وجل — ٢ —	» طه محمد السكاك
٣٩٩	بين الأستاذ والتلميذ	» أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر
٤٠٤	من الهدى المهدى	» محمد محمد أبوشهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٤٠٨	المجتمع المختلط	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي
.		الحديث بجامعة الاسكندرية
٤٢٢	عروة بن الزبير	الأستاذ محمود النواوي
٤٢٧	الاصلاح الديني « مقاصده وأطواره »	» يس سويلم طه المفتش بالأزهر
٤٣٣	مصادر الشريعة الاسلامية « المصالح	» زكي الدين شعبان الأستاذ المساعد بكلية
.	المرسلة » — ١١ —	حقوق عين شمس
٤٣٧	الفتح الاسلامي للمغرب العربي	» عباس طه
٤٤٠	نورة الهند الدائمة على الانجيز — ٣ —	» عبد المنعم النمر مبعوث الأزهر والمؤتمر
.		الاسلامى فى الهند
٤٤٥	انتصرنا على الخوف	» محمد محمد خليفة المدرس بمعهد القاهرة
٤٤٨	الاسلام والمسلمون فى صحف العالم : « وعى	» محمد فهمى عبد اللطيف
.	العالم الاسلامى أمام الاستعمار الغربى »	
٤٥٢	الثقافة المأجنة	» أبو الوفا المراكشى
٤٥٥	بين مادية العلم وروحانية الدين	» ابراهيم محمد الأصيل
٤٥٩	لفـويـات	» محمد على النجار
٤٦٢	حاشق النور « قصيدة »	» محمد بدر الدين
٤٦٤	سلطان العلم « قصيدة »	» سيد عبد الرؤوف سيد
٤٦٥	تطبيقات	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٤٦٧	السكرت	المجلة
٤٧٢	الأدب والعلوم	»
٤٧٥	العالم الاسلامى	»



فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل الأزهر

قرار جمهوري

رقم ١٠٤٩ لسنة ١٩٥٧

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ باعادة تنظيم الجامع الأزهر
والقوانين المعدلة له .

قرر

المادة الأولى : عين السيد الأستاذ الشيخ محمود شلتوت عضواً بجماعة كبار العلماء
وكيلاً للجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

المادة الثانية : على وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية تنفيذ هذا القرار ما

صدر برئاسة الجمهورية في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٧٧ (٩ نوفمبر سنة ١٩٥٧)

رئيس الجمهورية

جمال عبد الناصر

تحيّة الأزهر
لوكيل الأزهر

تحية الأزهر لوكيل الأزهر

تؤديها مجلة الأزهر

عن الأزهر بتربيتك طفلا إذ كانت مخايل ذكائك واضحة جليلة ؛ ومنحك بسخاء مناهله العذبة حتى رويت منها نهلا وعلا وأنت في بدء شبابك ، وما زال يرباك حتى أنس فيك القدرة على أن تكون في الصف الأول من صفوف رجال الدين ، فحملك الأمانة وأخذ منك العهد وخرجك ، لا أقول تحمل قبسا أو مشعلا ، ولكن تحمل منارة تهدي السالك في أحلك المسالك ، ويستضيء بنورها القريب والبعيد ، فكنت عند حسن ظن الأزهر فيك ، ولم يقف علمك عند بابه بل ولج كل المجتمعات ، واهتدى بنوره كل الطبقات ، وبلغ صوتك بالهدى والرشاد السمع في جميع الجهات ، حتى صار رأيك للناس في الدين من أكبر عوامل اليقين .

والأزهر إذ يهنتك بمنصب وكيله يحيي فيك غزارة العلم ، والشجاعة في الحق ، والقوة الجبارة في الذود عن الدين .

يا فضيلة الوكيل :

شغلت هذا المنصب بعد أنب جمد الأزهر ونضب معينه من دنيا ودين ، ونظمت كل الطوائف صفوفها للعمل في كل الميادين ، ووضعت خطط النهضة لجميع مراحل التعليم ، ووقف الأزهر مذهولا وقد خفت صوته أو كاد ، وجلجل صوت الضلال والإلحاد ، ولم يتقدم لحمل راية الأزهر أحد ، فها تقدم يا فضيلة الوكيل بما عهدناه فيك من شجاعة واحمل الراية ، وضع يدك في يد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وسيرا حثيثا في سبيل إصلاح الأزهر في جميع المراحل من كل نواحيه ، واعملا على أن يخرج الأزهر للناس رجلا للدين ، ومثلا يحتذى في الفضيلة والخلق المتين .

يا فضيلة الوكيل :

لقد جد للناس في دنياهم التي فاضت أمور ، ونزات بهم أحداث وظهرت لهم مشكلات ، وقد أكمل الله الدين فما من مستجد إلا له حكم ، ولكن الناس لا يدرون لذلك

حكمه من الدين ، بل ربما لا يدريه بعض الأزهريين ، إذ هو لا يزال يحتاج إلى البحث والاجتهاد ، فقد تعين عليكم أن تبينوه للناس ، إما بأنفسكم وأما بمن تختارون من ذوى العلم والقدرة على الاستنباط ، حتى يكون الناس على بينة من الأمر ويتبين الرشد من الغي .

يا فضيلة الوكيل :

لأبناء الأزهر حقوق مهضومة ، ودنيا ضاقت عليهم ووسعت غيرهم ، وعلى بعضهم وقعت مظالم ونزلت مسمات ، فاعملوا على أن تذودوا عن الحقوق المهضومة ، وتجلبوا السعة لمن ضيق عليهم ، وتدفعوا الظلم عن ظلم منهم ، وتردوا إلى كل ذى حق حقه .

اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، كتب الله لكم التوفيق ، ومنحكم المعونة ما

مدير المجلة

عبد الرحمن عيسى

فجر جديد

كان الأحرار من علماء الأزهر ، والغيورون من شبابه ، والأيقاظ المهادفون ذوو الرسالة فيه ، يحسون بالحسرة على ماضيهم ، وبالخيرة في حاضرهم ، وباللهفة على مستقبلهم ، ومصير هذه الجامعة كيف يكون ؟ .

خواطر تغمر هؤلاء ، وأسى يغدون ويروحون بين صبيحه ومساءه ، وهم ما بين يأس وارتاح بيأسه ، ومناضل لم يلق سيفاً ، وبينما هم كذلك : في ثورة نفس ، أو ظلمة يأس ، أو حيرة حس ، إذ وفد إليهم البشير بنبأ الرائد الجديد ليكون وكيلاً للأزهر .

وأشهد أن الأعباء الملقاة على كاهل الوكيل الجديد أعباء جسام ، لا ينهض بها غير أولى العزم الذين أوتوا الإيمان الراسخ ، والعزم المصحح ، والعقل الواعي ، والغيرة اليقظى الساهرة على مجد الأزهر وصالح المسلمين .

وأشهد كذلك أن نفوس الأحرار من أبناء الأزهر قد استقبلت الأستاذ الوكيل ، وهي غير حريصة على سوق ما عهد من أساليب التحية ، وإزجاء ما ألف من عاطر الثناء ، في مثل هذه المناسبات مترفعين بأنفسهم وبه أولاً عن التحيات التي هي أقرب ما يكون إلى الشعر ، وأبعد ما يكون عن الجدد ، فانما الأستاذ جاذ هادف يتحسس مواطن الإصلاح ويتحرق على مجد الأزهر ، وينهض بأحاسيس وخواطر في سبيل هذه الجامعة يجب أن يفضى إلى أبنائه بها ، وأن يستهدي رأيهم فيها ، وأن يستبين موقفهم منها ، شأن صاحب الرسالة الذي يعول على سكب أهدافها ومثلها وغاياتها في نفوس الناس .

لذلك رأيت إخواننا الذين سعوا إليه يقفون منه مواقف مقتضية لا ديباجة لها ولا فضول فيها ، ورأيتهم ينثرون على عاتقه أعباء وتبعات غير مترفقين ولا متمهلين ، ورأيتهم تتسم أساليبهم بالصراحة والصرامة ، ورأيت الأستاذ في ذلك عجباً ! !

رأيت « والله يعلم صدق ما أقول » : يطرب لهذا الأسلوب ويرتاح له ، ورأيت يتحدث بمثله قويا جريئاً مستهدفاً منى وغايات وأمجادا .

رأيت الشيخ قد اتجه في لقائنا به إلى فكرة هجر عنها وهو مؤمن أشد الإيمان حين قال : « إنى لا أقنع بهذا اللقاء الخاطف المفرق الذى يجرى من بعضكم وفي مناسبات ، لا بد أن نلتقى جميعا فى اجتماعات أسرية تقوم فى الأزهر أو فى الكليات أو فى قاعة المحاضرات ، لتتدارس شئوننا وشئون المسلمين ، ونتناول الرأى فيما يشغلنا ويشغل المسلمين »
هذه كلمات جرت على لسانه ، ونبتعت من جنانه ، وأكدها قسماته ، ونبراته ، وإشارات ، وعلم الله أنى لم أسمعها بأذن فحسب ، بل سمعتها بعقلى وبقلبى وبجوارحى .

الأحرار من أبناء الأزهر لا ينتفعون من صراحة القول ، بل يحشدون العبارات الجادة القاسية المفصحة عن الإصرار على نجدة الأزهر وتدارك مجده ، وتغيير وجه الأمر فيه ، والرائد الجديد يناديهم : أن تعالوا إلى اجتماعات أسرية نتشاور فيها ونتعاون وتتناصح ، فهو مؤمن بالشعب ، بالأزهر ، لا يخشاه بل يأنس إليه ويطلب لقاءه ويعول على رأيه واتجاهه .
والشعب الأزهرى مؤمن بضرورة الإصلاح ، زاحف إلى العمل والحياة المساجدة ، معول على رأى الشيخ ويقظته وأفكاره واتجاهه .

إذن فهذه بوادر موفقة ، ومطالع مشرقة تفرعن أمل حى وصفحة ناضرة فى تاريخ الأزهر إن شاء الله . .

ومتى كان فى ذرا الأزهر مثل هذا الجرىء الحى الذى لا يقنع باجتماعنا بل يدعو إليه ، ويسعده تناصحننا ويحض عليه ، كان ذلك هو الفرصة السانحة لتعااضد أولى الأمر فى الأزهر على ما من شأنه أن يعز الأزهر ، ويفسح له مواضع السيادة ، ويرد عنه العاديات والأعداء .

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

محمد طامل الفقى

المدرس فى كلية اللغة العربية

وكيل الجامع الأزهر

في معسكر الأزهرين

توجه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر إلى معسكر التربية العسكرية بميدان الكليات الأزهرية بدعوة من حضرات ضباط المعسكر الأزهرى .

وقد سره ما شاهده في المعسكر من نظام ونظافة تامين أعجب بهما فضيلته كثيرا ، فأثنى على القائمين بأمر هذا المعسكر ، وذكر لهما أن النظافة طهر يجب أن تتوافر حول دور المعرفة ، وأبنية التعليم ، فذلك يدعو إلى الفهم ويدفع إلى حب المعرفة ، ويكسب العقل حدته ، والذهن نشاطه ، ثم شاهد بعد ذلك أبناء الكليات والمعهد في أرض الطابور ، وهم في غاية الدقة ، وتمام الأبهة لتلبية أى نداء يصدر إليهم من قادتهم ، وما هى إلا دقائق حتى صدرت إليهم الأوامر ، فكانوا أسرع من البرق في العدو واختراق الخنادق وتسلق المرتفعات وتخطى الحواجز ، نارية كانت أو بنائية أو غير ذلك ، بشكل يبعث على الدهشة ، ويدعو إلى الغرابة . حتى في طلقاتهم المصوبة التى أطاحت بالهدف ، وأصابت الغرض بشكل جعل فضيلة الشيخ محمود شلتوت يسر كثيرا فدعاهم وتحدث إليهم بالآتى :

موجز كلمة فضيلته

أبنائى أبناء الأزهر : أبنائى أبناء الأزهر : وإذا قلت أبناء الأزهر فانما أقصد ذلك الأزهر ذا المجد العتيد ، والماضى الخالد ، والشخصية الفذة ، التى ينظر إليها العالم ، وتعرفها الدنيا ، ويحدها التاريخ . وأتم أبنائه يحملون رسالته ، رسالة النور والمعرفة التى قام بها شيوخنا وشيوخكم فى الماضى ، وتقومون أتم بها الآن ، وتزيدون عليها هذه الثقافة العسكرية . فهذا تجمعون بين الناحيتين النظرية والعلمية . فأنتم أرباب سيف وقلم ، ولقد كان يسعدنا أن نكون مثلكم نجمع بين الأمرين ، ونحوز المجدين ، ولكن ما فات الآباء يعوضه الأبناء ، ولو بعث شيوخنا من قبورهم ، أو أعيدت أرواحهم إلى أجسادهم لكانوا معكم ، وبين صفوفكم ، يفخرون بذلك ويعتزون به .

وكيل الجامع الأزهر في معسكر الأزهرين

وقد كان الأزهرى فى الماضى يعنى من الهندية ، ويظن ذلك مزية ، وحين حررنا منها طالبنا بها مع أن الإعفاء شر ، وكنا نطالب به لأننا كنا مغرورين مخدوعين بأساليب الاستعمار بالنسبة لنا ، حيث عرف العدو أن القوة أصلها الدين ومنبعها معرفة أسرارها ، فخال بين رجاله وبين الخدمة العسكرية بحجة التكريم لهم والرفع من شأنهم ، فما أهونه من تكريم !! .

ولو رجعتم إلى الوراء ، ونظرتم فى التاريخ الإسلامى ، لأدركتم أن القرآن لم يؤمر بكتابتها إلا حين استبحر القتل بين حفاظه فى موقعة اليمامة ، وخيف على القرآن من الضياع بموت حفظته . فمن هذا ترون أن حملة القرآن والقائمين عليه كانوا فى الصف الأول من صفوف المجاهدين فى سبيل الله ، وأكبر شاهد على ذلك رسولكم محمد « صلى الله عليه وسلم » فقد كان يتقدم الصفوف ويقتدى به المسلمون ، فضرب لهم المثل الأعلى فى الشجاعة والإقدام .

فسيروا على بركة الله فى طريق العلم تثقفون به نفوسكم وتحبون شعبكم ، وفى طريق القوة تحفظون بها كيانتكم ، وتردون بها قوى البغى عنكم وعن دينكم وعن أوطانكم .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أنوه بأن ما أحرزتموه من تفوق فى هذه الفترة الوجيزة يرجع إلى إخلاص قادتكم وحسن توجيههم لكم ، فلهم ولكم عظيم تقديرى وشكرى ، وفقكم الله جميعا .

والسلام عليكم ورحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم	
مَجَلَّةُ الْإِزْهَارِ	
مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٌ بِمُتَابَعَةٍ	
تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَزْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٌّ	
الاشتراك السنوي	
في وادي النيل	٤٠٠
للطبعة وادي النيل	٤٠٠
للطبعة والمدارس بالآزهر	٣٠٠
فارس المروعة	٥٠٠
للطبعة فنانج الراوي	٢٠٠
للطبعة والمدارس فنانج الراوي	٤٠٠

مَجَلَّةُ الْإِزْهَارِ

مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٌ بِمُتَابَعَةٍ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَزْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٌّ

مَدِيرُ الْمَجَلَّةِ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

العنوان

إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة

تليفون ٤٦٢١٤

الجزء السادس - القاهرة في غرة جمادى الآخرة ١٣٧٧ - ٢٢ ديسمبر ١٩٥٧ - المجلد التاسع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثورتنا الاجتماعية

لم يكن الغزو الاستعماري من الغرب لهذا الشرق الإسلامي والوطن العربي مقتصرًا - في المائة السنة الماضية وما قبلها - على مظاهره العسكرية وأسايبه السياسية ، كما يلوح لمن ينظر إليه في أول وهلة ، وإنما كان غزواً فكرياً وثقافياً ، واحتلالاً اجتماعياً واقتصادياً ، ثم هو بعد ذلك غزو عسكري واحتلال سياسي ، لمواصلة الغزو الفكري والاحتلال الاجتماعي والاقتصادي .

ومن طبيعة الغزو العسكري والاحتلال السياسي لقطر من الأقطار أن تنفرد به دولة واحدة من دول الغرب الاستعمارية ، وتجاهله - أو ترضى به وتباركه - زميلاتها ومنافساتها من دول الاستعمار الأخرى . أما الغزو الفكري والاحتلال الثقافي والاجتماعي - وربما انضم إليها الغزو الاقتصادي أيضاً - فتشارك في ذلك كله جهود أبناء الدول الأخرى وتتعاون عليه ، ويباح التنافس في ميادينته للغربيين جميعاً ولصنائعهم وأعوانهم من كل ملّة .

فالغزو الفكري والثقافي ، والاحتلال الاجتماعي والاقتصادي ، هما الغرض الأول من الاستعمار . والغزو السياسي والعسكري وسيلة لهما في بعض الظروف ، أو نتيجة من نتائجهما في ظروف أخرى .

كان غزو الانجليز العسكري في أيام الخديو توفيق (سنة ١٢٩٩ هـ ، ١٨٨٢ م) . أما الغزو الفكري والثقافي ، والاحتلال الاقتصادي والاجتماعي ، فقد سبقه إلى مصر من أيام الخديو إسماعيل (١٢٧٩ هـ ، ١٨٦٣ م) ، أي قبل الاحتلال العسكري بنحو عشرين سنة .

غزو الانجليز العسكري لمصر انفرد به الانجليز ، وأما الغزو الفكري والاجتماعي والاقتصادي ، من عهد إسماعيل إلى زمن ابنه توفيق ثم في مدة اللورد كرومر ، فكان غارة شعواء ، وغنيمة سامها كل مفلس ، ومائدة تهاقت عليها الجياح كلهم بلا استثناء ، حتى كادت تكون مصر وطننا عالميا ، بل كان النظام القائم في زمن اللورد كرومر يشجع الأجنبي على الوطني ، واستغلوا ما يسمحونه « الامتيازات الأجنبية » استغلالا مهيما . ومع أن نظام الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة والمحاكم القنصلية قد انتهى قبل نحو عشرين سنة ، إلا أن آثاره وسنته ورواسبه في أذهان الناس جعلت هذا الشر الاجتماعي والاقتصادي هو المألوف ، وهو القاعدة ، وكل دعوة إلى عكسه هي المستغربة ، لأن الحيل كان ينشأ بعد الحيل في عشرات السنين الماضية فلا تقع أبصار بنيه إلا على هذا الشر المألوف . والصحف بدعوتها إلى التفرنج ، والتنفير من مقوماتنا القومية الأصيلة واعتبارها ذلك رجعية وتخلفا ، قد عمات على ترسيخ هذا الإلف في النفوس والعقول والقلوب حتى كدنا ننكر أنفسنا ، وحتى انقلب معسكر الغزو الفكري والاجتماعي فصار جنوده من صميم أبنائنا وبناتنا وفي داخل قلاعنا .

كنا من عهد الخديو إسماعيل - أي قبل أكثر من تسعين عاما - هدفنا ثابتا لهذا الغزو الاجتماعي اللئيم الذي اجتاحت كياناتنا القومية ، وقلاعنا الفكرية والاقتصادية ، وتغلغل في أوضاعنا المالية والتجارية والمنزلية ، وما زال حتى استولى بيد من حديد على قيادتنا الثقافية والتوجيهية . ولقد أتيت على لمحة خاطفه من وصف بدايات هذا الغزو في مقال بعنوان « درس » في جزء جمادى الأولى من السنة الماضية ، وتحريت أن يكون مدعما بالوثائق الرسمية مقيدة بتواريخها ، وبالنصوص المحترمة معزوة إلى مصادرها ، مما لا يزال القراء على ذكر منه . ومن عهد الخديو إسماعيل توالى هذا الغزو بحملات

متواصلة ، وبأيد مختلفة ، حتى صرنا إلى كياننا الاجتماعى الغربى عنا والمفروض علينا ، وهو كيان تعقدت فيه المشا كل ، وسميت الأشياء بغير أسمائها ووصفت بعكس أوصافها .

لقد أحمو الصبغة الاجتماعية الأجنبية على مصر منذ أو هموا إسماعيل ورجال حكومته بل أقنعوهم حتى آمنوا « بأن التقدم لا يأتى إلا من ناحية أوروبا » كما اعترف بذلك نوبار وزير إسماعيل فى مذكرته التى رفعها إليه فى ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٧ ، فصارت حكومة إسماعيل « تتطلع إلى إشراك هذا العنصر المتمدن فى أعمالها » كما جاء فى تلك المذكرة التى اضطرت فيها نوبار إلى إعلان أن هذه السياسة لم تنتج إلا مشروع قناة السويس المشؤوم ، وأن كل ما وضع فيه الأوربيون أيديهم من مشروعات مصر الأخرى لم يتم ، وكان مدعاة للتعويضات ، فدفعت الحكومة المصرية فى السنوات الأربع الأولى من حكم إسماعيل سبعين مليوناً من الجنيهات تعويضاً للأوربيين عن مشروعات لم يتقوها ولم تنتفع بها مصر ، وتكبدت مصر - مع ذلك - كل الخسائر التى كبلت مالهاتها بأغلال من الديون والربا الحرام وسفت فيها دهرًا طويلاً ، وسقط إسماعيل بعد عشرين سنة من بداية حكمه رازحات أثقال من انخداعه بالغرب ، وإيمانه بحضارته الكاذبة ونظامه المبير ، ثم مات مخملوعاً ذليلاً . وجاء ابنه توفيق فاستعان على أمته بالغزو العسكرى والاحتلال السياسى الذى واصل به الانجليز غزو أوروبا الفكرى لمصر واحتلالها الاجتماعى والاقتصادى .

هذه نتيجة تعاون الحمل مع الذئب ، وقد اعترف نوبار بأن الحكومة التى كان يمثلها فى ظل إسماعيل تورطت فى اصطناع التقدم المجلوب من الخارج ، ومع أن هذا الاعتراف جاء فى السنة الرابعة من حكم إسماعيل - وكانوا لا يزالون فى بداية الشوط - فإنهم عجزوا عن تدارك الخطأ والعدول عن طريقهم الملتوى ، لأن الأغلال التى تمكن الغرب من تكبيل مصر بها حالت بين الحمل وبين الافتراق عن الذئب ، إلى أن جاء الاحتلال العسكرى والسياسى فى زمن توفيق فهذب حواشى الظلم ، وربى رجالاً مؤمنين به ، ويمكن للأجانب وأذناهم من ناصية التجارة والحركة الاقتصادية وبيوت المال وكفل للاقطاعيين مصالحهم بائزاز جهود الكادحين فى الزراعة ، وتم بذلك للانجليز ما أرادوه لإكمال الاحتلال المالى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى .

إن قصة الاحتلال البريطانى لمصر هى قصة إفساد المجتمع المصرى ، وتوجيه الأمة توجيهاً يؤمن معه بالغرب ، لتكون أداة لمصالحه وأغراضه القريبية والبعيدة فى السلم والحرب ، فقطع كل أمل لها فى استرداد سيادتها الحقة ، والعود بوطنها إلى نظام الاستقلال .

قصة الاحتلال البريطاني لمصر هي قصة تجريد المصريين من ينابيع ثروتهم الأدبية والمادية ، ووضع مفاتيح هذه الثروة في أيدي الأجانب ، أو في أيدي وطنيين يؤمنون بالغرب وببضاعته كإيمان الغربيين .

قصة الاحتلال البريطاني لمصر هي قصة التواطؤ بين الاستعمار الأجنبي وبين الذين رباهم على عينه ، فأمنوا كإيمان إسماعيل ونوبار بأن التقدم والترقي والحضارة هي في الانسلاخ عن سجاياها وفضائلها وأحكامها وأخلاقها والسكفر بها ، والاندماج بالغرب وسجاياه وما يعتبره فضائل وأخلاقا وتمدنا ، والإيمان بها ، بل بقشورها ...

هي قصة طويلة ألف فيها المؤرخون من مصريين وأجانب ، لكن هؤلاء المؤلفين وجهوا عنايتهم في مؤلفاتهم إلى جانب الغزو العسكري والاحتلال السياسي ، وتكلموا فيها بإيجاز أو تفصيل على الجانب الاقتصادي ، أما الجانب الاجتماعي والفكري والثقافي ، وما يتنافى منه مع روح مصر ومصلحة مصر والنصح لمصر ، وما انطوى عليه من مكاييد الاستعمار وخبثه ولؤمه ، فقد بقي الناس يجهلون الكثير من هذه الحقائق والدخائل ، وإن في حملة الأقلام من تلاميذ الاستعمار الأجنبي من يغالط قراءه حتى يومنا هذا فيتبجح بتصوير هذا الغزو تصويرا خلافا مزيينا يختلف الألوان الزاهية ، زاعما أن انسلاخ مصر عن مقوماتها القومية هو انسلاخ عن الرجعية وعن التخلف ، وأن الخير كل الخير لمصر أن تتفرد بأزيائها وثقافتها وعقليتها وعناصر إيمانها ، لأن حضارة الغرب بزعمهم كل لا يتجزأ ، وقد سبق لنا دراسة هذا الموضوع غير مرة ، وأقننا الحجج على ما ينبغي لنا أن نأخذه عن غيرنا وما ندع .

وقامت ثورة جمال عبد الناصر والأمة معه

هي ثورة على كل ماتراكم في المجتمع المصري من شرور ألمعنا إليها ووصفنا طغيانها على هذا البلد من أيام إسماعيل والذين جاءوا بعده .

إنها شرور معقدة ، ومهمة صعبة ، وكان فاروق ذكيا لما صرح في ساعة إخراجهم من مصر بصعوبتها ، لأنه يصرّف ما أساء به هو وأبوه وجده ومن تولى مهمة التعاون مع الاحتلال من أسرهم ، إلى أن تم على أيديهم جميع هذا الشر المتراكم ، وهذا الطغيان المعقد ، فانفجرت الثورة ، وكانت ثورة على هذه الشرور كلها .

وأول ما تناولته الثورة هذا الطاغوت الذى كان يمثل التعاون مع الغزو الأجنبي على كل ما وصفناه من سيئاته . فيسر الله خلاص مصر من طاغوتها ، وكان الناس يرون هذا الحادث التاريخى الكبير بأعينهم ويكادون لا يصدقون أعينهم .

وجاء دور إنقاذ مصر من الاحتلال العسكرى لقاعدة السويس الحربية ، مقرونا بانقاذ السودان من قبضة الانجليز الحديدية . إن الخلاص من هذا الاحتلال العسكرى المزدوج فى وادى النيل من أعماق السودان إلى قناة السويس كان كرامة من الله لهذا العهد ، وأنا أعترف عن نفسى - وقد تجاوزت السبعين من عمرى - بأننى لم أكن أحدث نفسى ولا بالأحلام بأن ذلك سيتم وسأراه بعينى قبل أن أموت . إن نعم الله السابغة متوالية على الناس ، وعلى أكثر من كل الناس ، ولكن هذه النعمة كانت من أعظم النعم ، ومن يوم حدوثها إلى الآن وأنا أفكر كيف أستطيع أن أقوم بشكر الله عليها .

وكان من أكبر مصائب مصر أن فيها طبقتين : أقلية تملك أرض النيل ومجارى ريه وصرفه ، وأكثرية تكدح مع المواشى فى استنبات القطن والمحاصيل الزراعية بين مجارى الرى والصرف . الأقلية حائرة لا تعرف كيف تبدد الأموال المنهجرة عليها من آلاف الفسدادين ومئات الفسدادين ، والأكثرية لا تحصل من كدحها مع المواشى على اللقمة الغذائية والماء النقي والكساء الساتر ، وتعيش هى والمواشى معا فى شبه القبور . الأقلية تنفق كنوز النيل على ما يسخط الله فى اللبائى الحمراء بمصر ، وعلى موائد القمار والخمر وبؤر الفساد ومواخير الفجور فى أوربا ، والأقلية تنتحر بالشاى الأسود إن لم تسكن همومها وآلامها بما هو أفظع منه . ولوازم ذلك فى الأخلاق التعايل والكذب وغير ذلك مما ألجأهم إليه هذا المجتمع الفاسد إلقاء جيلا بعد جيل . وقد سبق لى الحديث عن الطبقات ، وأن الخير كل الخير فى الطبقة الوسطى ، بأكثر من مقال . فالثورة فى مرحلتها الثالثة - بعد الخلاص من الطاغوت المحلى ، ومن الاحتلال العسكرى - كانت ثورة على هذا التفاوت الشاسع بين طبقة الأقلية الساهرين فى اللبائى الحمراء ، وبين جمهور الأمة الأعظم الذين يحاولون تسكين همومهم بالشاى الأسود وبما هو أشد منه تخديرا . فالحمل على إيجاد الطبقة الوسطى هو العمل الإصلاحى العظيم الذى كلما ازداد نجاحا ، كلما ارتفعت النسبة المئوية لعدد أهل هذه الطبقة ، كان ذلك تقدما لمصر فى سبيل الصلاح والسعادة ، ولو أن عمر بن الخطاب رضوان الله وسلامه عليه كان يلى أمورنا فى هذا العهد لرأى أن تكوين

الطبقة الوسطى في مصر وتضخيم عددها حتى تكون هي مصر ، لا شك أنه من أفضل أعمال الحاكم المنصف الساهر على خير أمته .

والثورة في حلقتها الرابعة هي الثورة على سرقة إيراد قناة السويس ، وكف يد الشركة الأجنبية عن إدارة هذا المرفق بإعلان تأميمه . إن هذه الحلقة من ثورتنا كانت طعنة بجلاء في قلوب العناصر الثلاثة التي كانت مشتركة في سرقة إيراد هذا المرفق ، وهم الفرنسيون والانجليز وقوارين اليهود . وإن الشر الواقع من رد الفعل لتأميم القناة قد حوله الله إلى خير يتمصير البنوك والمرافق المعادية التي كانت قلاعاً باقية للاستعمار الاقتصادي والاحتلال المالي في مصر بعد الاعتراف لها بالاستقلال ، وما كان هذا الاستقلال ليكون كاملاً حقاً إلا يتمصير هذه البنوك والمرافق ، ولا شك أن تمصيرها لا يقل في أهميته عن الجلاء العسكري .

وإن في كيان العالم الإسلامي عنصر القومية العربية الذي اختاره الله لحمل رسالة الإسلام يوم ولدت هذه الرسالة قبل أربعة عشر قرناً . وهذا العنصر هو الذي أقام دولة الإسلام في الأرض ، وهو الذي نشر دعوة الحق وأدخل شعوب العالم الإسلامي في الأخوة المحمدية . وقد كان هذا العنصر ولا يزال مظنة الخير الكثير كلما اجتمعت كلمته ، وعبدت له طرق السير إلى العلى ، وتمكن من حمل أعباء الحق مرة أخرى . وكانت الشعوبية قد تأمرت عليه وكفت يده عن سفينة الدولة قبل إثني عشر قرناً ، أي منذ نسي إبراهيم الإمام عروبته وقوشيته وهاشميته فكتب إلى أبي مسلم في خراسان يقول له : « اتهم ربعة في أمرهم ، وأما مضر فهم العدو القريب ، واقتل من شككت فيه ، وإن قدرت ألا تدع بخراسان من يتكلم العربية فافعل ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمة فاقطله » . من ذلك الحين واليد العربية بعيدة عن إدارة الدفة في السفينة الكبرى ، وكان تاريخ العروبة والإسلام في حاجة إلى من يثور على هذا الظلم التاريخي فيرد الأمور إلى قرارها ، إلى أن جاءت الثورة المصرية فأعلنت سياسة القومية العربية ، وامتدت اليد العربية من وادي النيل فتلققتها أختها من وادي بردى ، وأامتدت من وادي بردى فتلققتها أختها من وادي النيل ، وإذا صدق ظني فتجن الآن في بداية دور جديد من أدوار التاريخ في العالم الإسلامي سيضع حداً لشعوبية طال عليها الأمد ، ولا سيما إذا رضى سادتنا أساتذة التاريخ في الجامعات المصرية والمعاهد الأزهرية والمدارس الثانوية

فنظفوا مناهج التاريخ الإسلامى من الأكاذيب التقليدية على أبطال هذا التاريخ وعظمائه ، ليحسن ظن أبنائنا فى المدارس والجامعات بأسلافهم الذين نشروا دعوة الإسلام وكان تكوين كيان العالم الإسلامى من حسناتهم الخالدة إلى يوم الدين . إن الثورة المصرية التى نعيش فيها الآن ، والتى آمنت بقوميتها العربية ، تقتضينا إعادة النظر فى هذه الناحية من ثقافتنا الجوهرية ، ويوم يوضع ذلك على مائدة الدراسة والبحث سيكون لى فيه كلام أوسع وأعمق .

ومن حلقات الثورة التى نعلها ولا نحيط بها الأخذ بيد التعاون ليخطو متقدما إلى أقصى مداه ، إن هذه الحلقة ستقدر بنتائجها ، وتحقيق هذه النتائج فى أعناق الناس ، فإن قصرنا وقصرت خطاهم فإن المسئولية عظيمة وعواقب التقصير الاجتماعى تنطوى على عقوباتها . وبعد فإن ثورتنا الاجتماعية التى تحدث عنها جمال عبد الناصر فى افتتاح المؤتمر التعاونى الثالث تعد صيحة من صيحات الحق التى قلما يطرق مثلها آذان البشر إلا بين كل دهر ودهر ، وأعظم ما فيها إعلان جريمة الذين استوحوا التقدم الاجتماعى لمصر من الخارج ، وأن أول ما ينبغى لنا أن نستوحى هذا التقدم من ظروفنا ومن وحي طبيعتنا ، فهل لنا أن نتجاوب معه على هذا المبدأ ؟ إن المهمة عظيمة وثقيلة الأعباء ، إلا إذا عقدنا العزم على أن يكون كل إنسان منا جمالا عبد الناصر إلى جانب جمال عبد الناصر ، والتاريخ واقف يراقبنا ، فأطلقوا ألسنه التاريخ ليتحدث عنا بالكلام الطيب .

حب الربيع الخطيب

الخبير

اعتراف الأمريكيين بتهمة صهيونية

عقب نشوب الحرب العالمية الأولى كانت أمريكا لا تزال واقفة على الجهاد المزعوم بين الفريقين المتحاربين ، فطمع الألمان فى أن تستمر أمريكا فى هذا الجهاد ، وكتب ٩٣ عالما ألمانيا نشرة أذاعوها فى أمريكا سنة ١٩١٥ بعنوان «استغاثة بالعالم المتتمدن» فأجابهم الدكتور صموئيل هاردن تشرتش رئيس جامعة كرنيجى فى بتسبرغ جوابا نقلته مجلة المقتطف إلى العربية ونشرته فى جزء يونية ١٩١٥ (م ٤٦ ص ٥٧٢) وقد جاء فيه الاعتراف الآتى من رئيس الجامعة الأمريكية :

« . . . وكذلك نميل إلى سائر العناصر البشرية ونكرمها ، عدا - يا للأسف - العناصر الاسيوية ، ولكن لا بد أن تنمو فينا العاطفة الروحية يوما ما فترحب بهم أيضا كما نرحب بسواهم » .

فَتْحَاتُ الْقُرْآنِ

- ٥٦ -

الخيرون أولى بالدعوة إلى الخير

والأوفياء لله أهل للوفاء والرعاية من جانب الله

١ - « وأُنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ، لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ » .
 ب - « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ » .

١ - علمنا القرآن الكريم أن النفوس البشرية ليست في وضع واحد أمام دعوة القرآن لها ، بل منها نفوس خيرة تستقبل الدعوة باستعداد حسن كامن فيها ، فيشير القرآن ما فيها من معاني الخير ، ويزيدها صلاحية ، ويجعلها مصداقا لتربيته حتى يكون ممثلا في كل ما يصدر عنها من قول حسن ، أو عمل محمود .
 ومنها نفوس غير خيرة ، يتجه إليها القرآن فتأبى الإصغاء إليه ، وتتمادى في تأبينا وجمودها فلا يفيدها شيئا من صلاحية ، ولا يغير ما بها من فساد .
 وقد ضرب الله للنوعين مثلا بأرض طيبة ، وأرض خبيثة : يخرج من الأولى نباتاتها بإذن ربها فيعم نفعها من ثمار ، وأشجار ، وأزهار ، ولا يخرج من الثانية إلا نبات نكد : من أشواك مؤذية ، أو طفيليات عديمة الجدوى ، مع أن كلا من النوعين من الأرض يسقى بماء واحد : غير أن تربة خصبة بارك الله فيها ، وأودع فيها الخير ، وفضل ثمارها على ثمار غيرها في الأكل ، في حين أن تربة أخرى خبت معدنها ، فكانت جذبة : تأكل ما يلقي فيها من بذور ، والخير منها معدوم ، لأن الله لم يأذن لها أن تكون ذات نفع للناس ، لحكمة اقتضت هذا التمايز بين بقاع الأرض .

« والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا » .
 وتشبيه القرآن للنفوس بأرض طيبة وأرض خبيثة تمثيل بالواقع الذي نحسه ولا نمارى فيه ، وليس أصدق من الواقع المشاهد دلالة على صحة الدعوة ، وحسن التوجيه .

وكان من مقتضيات الحكمة إزاء هذا التباين الفطرى بين النفوس البشرية أن يؤثر الله أهل الخير بالدعوة دون الآخرين الذين لا تثمر فيهم الجهود ، وفى ذلك قوله سبحانه :

« وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ، ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلمهم يتقون » . فان هذا توجيه للرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يجعل إنذاره بالقرآن إلى من عرفوا بالاستجابة لا بالعتو ، وعرفوا بالخوف من الله يوم يحشرون إليه ، دون أن يكون لهم ولى يدفع عنهم سلطان الله ، أو شفيع من جانبهم يعفيهم من عذاب ربهم ، فهؤلاء المؤمنون بالخشر ، والمعروفون بالخوف والإيمان أن الله وحده هو صاحب الأمر فى خلقه ، وأن شفاعاة الشفعاء لا تكون إلا بأذن منه فى شأن من رضى الله عنهم ، وترفق بهم فقبل الشفاعاة فيهم : هؤلاء هم الذين تثمر فيهم الدعوة ، وتجديهم الموعظة فيهم خيرون ، وهم أهل وأولى بالدعوة إلى الخير دون المستكبرين الأشرار ، وفى هذا أيضا قوله تعالى : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » . « فذكر إن نفعت الذكرى ، سيدكر من يخشى ، ويتجنبها الأتقى - الآية » .

وليس فى هذا التوجيه صرف للنبي عن تبليغ رسالته إلى سواهم من الناس بل ، القصد من ذلك - أولا - تسليمة الرسول على صبره فى شأن هؤلاء الممتخفين - وثانيا - التشنيع على هؤلاء الجاهلين بأنهم انحرفوا عن سبيل الهداية انحرفا يبعدهم عن الأمل فى صلاح شأنهم ، حيث لم يوجد عندهم تصديق باليوم الآخر وبالخشر إلى ربهم فى هذا اليوم ، وإن كان فيهم من يقول باليوم الآخر فهو تصديق مشوب بالإنكار - وثالثا - الإشادة والتجديد لأهل الطاعة المراقبين لله بأنهم على رجاء حق فى الله لأنهم الذين يعبدونه ، ويستغفرونه ، ويتأبرون على الصلة به تعالى ، وفى توجيه الإنذار بالقرآن إلى المستجيبين رسم للسلك الدنيوى الذى ينبغى أن تسلكه ، فلا نبذل الجهود فى موضع اليأس ، بل نبذلها حيث يكون الأمل فى النجاح ، ولا نسرف على أنفسنا فى المحاولات الضائعة .

وإذا كان المنهج الدينى يتطلب بذل المجهود مع من يتوسم فيهم القبول والاهتمام ، فالمنهج الدنيوى يتابعه ويقاس عليه ، وإذا صارت الدنيا وراء الدين فهى فى أمن من العثار ، فلنكن فى دنيانا على هدى الدين إن كان للعقول حكم يطاع ، ولم تكن للالهواء والشهوات سيطرة غالبة ، أو لم تكن للانانية استبداد بالنفس ، وتحكم فى الاتجاه كما ابتلى بذلك كثير من الناس .

هذا وقد بلغ من الانانية عند من تمردوا على القرآن ، وتحلفوا عن مطاوعته أن زعموا أنفسهم أرفع منزلة ممن اهتمدوا وآمنوا ، وزعموا أيضا أن انتظامهم فى الإسلام يحط من

شأنهم ، إذ هم سراة القوم ، وأصحاب النفوذ ، فكيف يجتمعون مع أناس مقربين إلى الرسول ممن هم أرق حالا ، وأدنى منزلة منهم ؟ ؟

لذلك طلبوا من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يشارطهم على تخصيصهم بمجلس لا يكون فيه أولئك الفقراء ، فإذا أجبوا إلى مطلبهم هذا فهم على استعداد للإسلام بعد ، وبدون هذا المطلب لا يتحقق منهم إسلام ، إذ لا يمكنهم أن يتساووا في مجلس الرسول مع من دونهم عزة في قومهم .

وفاتهم أن الإسلام يدعو أول ما يدعو إلى المساواة ، وإلى التخلص من حمية الجاهلية وما كادوا يعلمون هذا حتى صدعهم الوحي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله تعالى :

(ب) « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردهم فتكون من الظالمين » . وفي هذه الآية بكت لنزعة الغرور عند أولئك المغرورين ، وقع لجبروتهم ، وتحقير شأنهم عند الله بجانب هؤلاء المسلمين الذين هم في موضع الحب والرعاية من الله وإن كانت دنياهم أضيق من دنيا أولئك المتصلقين .

ينهى الله نبيه عن مطاوعة الكافرين في طرد المسلمين عن مجلسه حين يوجد فيه هؤلاء المتكبرون ، ويشعرهم الله بهذا أنه غنى عن إسلامهم ، وأنه يفضل أولئك المتواضعين ، لأمر يرجح بها ميزانهم على كل ما يتمدح به المفتونون ، يفضل الله السابقين إلى الإسلام المتصلين بمجلس الرسول بما يأتي :

أولا : أنهم يدعون ربهم ، ويعبدونه غداة وعشيا ، وهذا عبارة عن حرصهم على صلتهم بالله دائما ، والتعبير بالغداة والعشي يراد منه المداومة بقدر ما يستطيعون على مراقبة الله في كل ما يصدر منهم .

ثانيا : أنهم في تدينهم مخلصون لله ، لا يريدون غير مرضاته ، فلا رياء ، ولا ملل ، ولا شائبة تنقص من إخلاصهم . وهذا معنى : « يرويدون وجهه » وواضح أن من يريد وجه الله هو من تخضعت سريرته لحب الله وإجلاله ، والطمع في الفوز عنده ، وهذه خاصية لمن كانوا يحاسنون الرسول ، ويزدريهم الكفار .

ثالثا : أن مرجع هؤلاء الجلساء في عملهم وإخلاصهم ، وحسابهم إلى الله وحده فلن يكون الرسول مسئولا عن مأخذهم التي يحاسبهم عليها ربهم إن كانت لهم مأخذ ، ولن يكونوا مسئولين كذلك عما يعتبر من عمل الرسول والعلاقة التي تربطهم بالرسول

علاقة دعوة من جانبه ، وطاعة ومحبة وإخلاص من جانبهم ، وما داموا أولياء الله ولرسوله فهم أهل لرعاية الله ومحبته ، وهم الجديرون بأن يكونوا حزب الله ، فكيف يسمع فيهم قول الكافرين ؟؟ وكيف يطردون من مجالس الرسول وهم السابقون إليه في لطفة ، وتضحية ، ودأب ؟؟

إن طردهم من أجل رغبة فئة خاطئة يعتبر ظلما ، وليس الظلم من نزعات الرسول . وقد نبه الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - على أن طاعة الكفار في هذا تعتبر طاعة منهم في اقتياد مجد إلى الظلم الذي يآباه مجد ، ويآباه الله ، وحرمة على عباده جميعا .

وإن سبق هؤلاء المستضعفين إلى الإسلام يعتبر ابتلاء واختبارا لمن زعموا أنفسهم خيرا منهم ، فلو كانت نظرهم إلى دعوة مجد نظرة رشيدة لسارعوا إليها كما سارع إليها الآخرون ، ولكنها نظرة حمقاء ، هيأت لهم أن الإسلام ليس خيرا ، ولو كان خيرا حقا لما فاتهم شيء منه ، فإذا كانت لهم الثروة والسيادة فكذلك يكون لهم الإسلام دون أولئك الفقراء ، وكانوا يرددون قولهم : « لو كان خيرا ما سبقونا إليه » يريدون : لو كان الإسلام خيرا لاختاره الله لنا ، لتفضيلنا على الناس بما فضلنا به من متاع الدنيا .

والله تعالى يكشف عن خطئهم فيما يزعمون ، ويقول : « وكذلك فتننا بعضهم ببعض ، ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بدنا » . نعم فتنوا بهم ، وقالوا ما قالوا ، والله يرد عليهم بقوله سبحانه : « أليس الله بأعلم بالشاكرين » . نعم هو أعلم بمن اهتدى ، وأعلم بمن شكركه ، وقد اهتدى أولئك الجلساء السابقون ، وشكروا ، فالله تعالى يعزهم بعزته ويرفع شأنهم على غيرهم ، ويسجل لهم مقام محمودا بين خلقه ، ويعلم الرسول كيف يكرمهم ويكرم أمثالهم ، وكيف يستقبلهم حين يقدمون عليه فيقول له : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة : أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ، ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم » .

يا مجد !! تحية هؤلاء المسلمين وكل من جاءك مؤمنا بآيات القرآن ، وآيات الله في الأنفس وفي آفاق الكون أن تبلغهم تحية الله لهم ، بقولك سلام عليكم ، وفي ضمن هذه التحية لإخبار عن الله تعالى بسلامتهم وأمنهم من عقابه .

وبلغهم يا مجد مع التحية بشرى من الله - بأنه كتب على نفسه الرحمة بعباده ، وبأن من عمل سوءا ثم تاب من بعده وأصلح فإن الله غفور رحيم .

وهذا وعد كريم من جانب الله بأن التوبة ، عن عمل السوء الذى يرتكبه صاحبه وهو متلبس بالجهالة ، إذا كان جاهلا حقا ، أو متلبسا بها حكما لأن الشأن فى عمل السوء أن يكون من الجاهل تقديرا ، وإن كان فى نفسه غير جاهل .

فهذا وصف لبيان الحال فيمن يرتكب السوء ، وليس وصفا مشروطا فيمن تقبل توبته بل التوبة الخالصة مقبولة عند الله تفضلا منه على عبادته ، فهى تجعل المذنب التائب حقا كمن لا ذنب له ، والله واسع المغفرة لمن أناب إليه .

وبعد - فإن انصراف أهل اليسار وأصحاب النفوذ ونحوهم ممن شغلهم حياتهم عن جانب الدين نزعة غاشمة ، نراها سارية حتى اليوم فيمن يرون أنفسهم أوسع حظا من سواهم ، فلا يرون الجنوح إلى الدين متمشيا مع شيوخهم ، ولا يطيب لهم أن يساوى الدين بينهم وبين من هم أضييق عيشا منهم ، أو أقل جاها وصيتا بين الناس .

بل يرى أولئك المفتونون - حتى اليوم - أن تدين الغير إنما هم للعجز عن بلوغهم مبلغ السادة ، وأنهم يتخذون من الدين ستارا لفضالة شأنهم .

وأنت ترى هذه النزعة فاشية حتى فى كثرة من الخاصة المثقفة الواعية ، والحق : أن هؤلاء فى غفلة عن الحق ، وأنهم مع امتيازهم بالثقافة والمدنية أشبه بالسوقة التى لا تدرك غير سعيها لتعيش فقد حجب هؤلاء عن المعرفة ، وعن جانب الدين إطلاقا نشأتهم فى أدنى الحرف ، وقصوهم عن التطلع إلى غير هذا ، حتى كأن الدنيا عندهم ليس بها سوى ما يعملون ليعيشوا .

كذلك المترفون فى النعمة ، ومن صبغتهم التقاليد الزاحفة ، والثقافة المدنية الناقصة . أولئك يطرحون الدين جانبا وينسون ما فى هذه الغفلة من جفاء لله ، وإنكار لما استحققه عليهم من شكر ، وفى هذا غرس لروح التمرد عند أطفالهم ، وفى أسرهم ، ومهما غمرتهم النعمة ، وطال بهم الزمن ، فإن الله لا تضره معصيتهم ولا تنفعه طاعتهم ، وإنما هم الفقراء إلى ربهم وقد حاربوه بنعمه ، وتمردوا عليه ، وهو القاهر فوق عبادته ، والقادر على هلاكهم وتجريدهم من نعمهم ، وستواجههم مواقف عسيرة حاسمة ، وقد سبق أمر الله فى أم خلت ، وسيكون الوعيد لمن خلف ، « فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون » ما

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفقيش بالأزهر

الشيخة

آخر الوصايا النبوية

الحرص النبوي - أعظم الوصايا - مصيبة هونت كل مصاب -
كلام الأنبياء حق وصدق في كل حال - اختلاف في الحضرة
النبوية - من الاختلاف يسر ورحمة - رأى سديد وقول أسد .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : يوم الخميس !
وما يوم الخميس ؟ ! ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء ! فقال : اشتد برسول
الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس ! فقال : اثنوني بكتاب أكتب لكم
كتابا لن تضلوا بعده أبدا ، فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبى تنازع - فقالوا :
هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : دعوني : فالذى أنا فيه خير مما تدعوني
إليه . وأوصى عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا
الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . ونسيت الثلاثة .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى*)

(*) في جوائز الوفد من كتاب الجهاد ، ورواه في إخراج اليهود من جزيرة العرب
من كتاب الجهاد أيضا ؛ وفي باب كتابة العلم ... وفي مرض النبي صلى الله عليه وسلم
وفاته من كتاب المغازي ؛ وفي قول المريض : قوموا عني من كتاب المرضى ؛ وفي
كراهية الخلاف من كتاب الاعتصام . وأما مسلم فرواه في كتاب الوصية ... وقد أشرنا
في الجزء الماضى إلى هذا الحديث ورجونا أن نشرحه ، والله المستعان .

لم يتباغ أمة من الأمم، ما بلغته أمة النبي صلى الله عليه وسلم، من حرصه عليهم، وورفته ورحمته بهم، وقد باغ هذا الحرص البليغ أشده، حينما اقتربت هجرته صلوات الله وسلامه عليه، من هذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى مع إخوانه النبيين، وتابعيهم من الصديقين والشهداء والصالحين.

انتقل إلى الرفيق الأعلى في يوم الاثنين ثاني يوم من ربيع الأول لتتام السنة العاشرة من هجرته، حوالى اليوم الثمانين من حجة وداعه، بعد أن مرض بضعة عشر يوما، اشتد مرضه في الأربعة الأخيرة منها!

* * *

وقد أحسن صلوات الله وسلامه عليه دنو أجله في حجة الوداع؛ إذ أنزل الله عليه في يوم عرقها وكان يوم جمعة: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً» (١) ولذا قال في خطبة هذه الحجة الجامعة: أيها الناس، اسمعوا قولى فانى لا أدري، لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً... ثم وصاهم أعظم وصية وصى بها نبي أمته، ونصحهم أصدق نصيحة نصح بها رائد أهله، وجعل للنساء وحقوقهن أوضح مكان في خطبته. وربما كانت خطبه ووصاياه بعد ذلك تبياناً أو تفصيلاً لهذه الخطبة الشاملة.

* * *

وكان مبدأ اشتداد وجعه صلى الله عليه وسلم يوم الخميس الأخير من صفر! ذلك اليوم الذى ذكر ترجمان القرآن، بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام، فذكر المصيبة التى هونت كل مصاب بعدها! ثم بكى حتى سالت دموعه على خديه، فبللت ما بين يديه من الحصى! وذكر إلى تلك المصيبة مصيبة أخرى في ظنه، هى الحيلولة بينه صلى الله عليه وسلم وبين كتابه الذى هم به...

ذلك بأنه بدا له أن يملى على أصحابه كتاباً هادياً لا يضلون بعده أبداً... فاختلفوا وتنازعوا وكثر اللغط وانقسم رأى: فريق يقول: قربوا له يكتب لكم كتابكم [٢]... .

(١) شرحنا حديث نزول هذه الآية الكريمة بعنوان: «عيد الدستور» في ج ٨ م ٢٢ وبيننا ما نزل بعدها وأنه لا يعارض لإكمال الدين وإتمام النعمة.

(٢) كانوا أكثر ما يكتبون على عظام الكتف، ولذا جاء في إحدى روايات مسلم: لا يتونى بالكتف والدواة... .

وفريق يقول ما قال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم غابه الوجد ، وعندنا كتاب الله حسبنا ، وثالث يقول : أجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ! استفهموه ماذا يريد أن يكتب ؟ يردّ بمقالته هذه على عمر ومن معه ، يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جادّ في طلب الكتاب الهادي الرشيد لا يهزل ولا يهذى وحاشاه ، ومن حال بينه وبين كتابه فكأنه يظن به الهجر ، وهجر المريض هجرا (بضم الهاء) إذا هذى فقال كلاما غير متزن ولا منتظم ، وهذا محال على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ؛ لأن كلامهم حق وصدق ، وعدل وجسد ، في الصحة والمرض ، والرضا والغضب ، فما لكم تحولون بينه وبين ما يريد ؟ ! فالاستفهام بالهمز - ظاهرا أو مضمرا - إنكارى ولا ريب . . وسائغ أن يكون مراد الفريق الثالث هجرته صلى الله عليه وسلم واستعداده للقاء ربه ، ويؤيده ما بعده . . .

فلما اختصموا دون أن يجتمعوا على رأى قال لهم صلوات الله وسلامه عليه : قوموا عني ولا يذبني عندى التنازع . . . أى اتركوني وشأني فما أنا فيه من فيض الله وإنعامه ، وتأهبي للقاءه وإكرامه ، أفضل وأجل مما بدا لي .

وما كان لهم أن يختلفوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، لولا رحابة صدره وصدر الحنيفية السمحة التي بعث بها ، وأولاً شدة وجهه وحاجته إلى السكون والطمأنينة لاحتمل اختلافهم ، ولم يأمرهم أن يقوموا عنه . . على أنهم لم يختلفوا إلا من بعد ما علموا أن أمره الأول بأن يأتوا بكتاب يكتبه لم يكن على سبيل الفرض المحتم ، ولم يكن مما أوحى إليه صلى الله عليه وسلم ، وإلا لم يكن ثمت مناص منه ، وإنما كان من قبيل الاجتهاد والإرشاد والمصلحة العارضة التي استبان بعد الاختلاف أن الخيرة في تركها .

* * *

وربما كانت دعوته إلى الكتاب اختيارا لهم وامتناعا ؛ لينظر كيف يكون شأنهم بعده ، وكيف يكون اختلافهم في شريعته التي تركها بيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، فألفاهم يختلفون للحق ابتغاء الوصول إليه ، ولا يختلفون في الحق بعد ما تبين ، والاختلاف ابتغاء الحق مع الاجتهاد فيه يسر ورحمة ، والاختلاف في الحق بعد ما تبين هلاك ونقمة ، وقد حمى الله أهل السنة والجماعة أن يضلوا أو يزيغوا . . ثم ألفى عمر وقد اجتهد فأصاب ، وهدهاه الله للحكمة وفصل الخطاب ، وكلم له رضى الله عنه في العهد النبوي وبعده من مواقف تنبئ عن قوة دينه ، وسلامة يقينه ، وعظم فقهه عن الله

ورسوله . . . فلينتقل إذا صلوات الله وسلامه عليه ، إلى الرفيق الأعلى راضيا مطمئنا ما دام في أصحابه من جعل الله الحق في قلبه وعلى لسانه ، يهتدى به ويهدى إليه .

* * *

بيد أن ترجمان القرآن رضى الله عنه غادر هذه الدنيا مهموما حزينا ، موقنا أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه ! ! لأنه كان بلا ريب يكون نصا واضحا لا مجال فيه لخلاف ، لا سيما إذا تناول ما اختلف فيه الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، فكانت أميته رضى الله عنه أن يكتب هذا الكتاب ليكون حكما فاصلا .

وكأنه غفل رضى الله عنه - على سعة علمه وبصره - عن أن الخلاف أمر لا محيص عنه ، وأن فيه خيرا وسعة ورحمة ، ما كان له وجه صحيح من السنة الهادية ، والجمعة الرشيدة وأنه صلى الله عليه وسلم قد وسع بهذا الخلاف على أمته ، في حياته وبعد مماته ، وأنه لم يعنف أحدا ممن قال لهم : لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة فأدركهم العصر في الطريق ، فصلى بعضهم وتأخر بعضهم حتى أتى بني قريظة فصلى فيها [١]

لقد خاف الفاروق رضى الله عنه - إلى إشفاقه على النبي صلى الله عليه وسلم - أن يكتب كتابا لا مجال للاجتهاد فيه ، فيختلفوا في الحق لا للحق ، أو يهجزوا عن إنفاذه فيستحقوا العقوبة ، ثم ذكر مع خوفه هذا كتابا أنزله الله تبارك وتعالى لئلا يسئلوا عن شيء ولم يفرض فيه من شيء ، فقال مقالته السكافية الشافية : حسبنا كتاب الله .

ولعله خاف رضى الله عنه أن يفتح هذا الكتاب بابا لمن في قلوبهم مرض ، يدخلون منه للطعن في الدين ، فيزعمون فيه نقضا أو زيادة ، اتباعا لأهوائهم ، فيكون اختلاف لا اتفاق معه ، وشر لا خير فيه ، وهذه هي القاصمة ! !

ألا إن قول الفاروق أسد ، وإن رأيه أهدى وأرشد ، ولذا وافقه المعصوم صلى الله عليه وسلم ورضى عنه .

وإذ ضاق هذا الجزء عن إتمام الشرح فلنرجئه للجزء الآتى إن شاء الله ما

طه محمد السالك

(١) شرحنا هذا الحديث بعنوان « مثل من اختلف الصحابة » في ج ٦ م ١٥

الوثيقة الدولية المظلومة « حقوق الانسان »

ليست قيمة العقود والوثائق بحسن أسلوبها والتأنق في ألفاظها ، وحسن صياغتها ، وتفصيل موضوعاتها ، ولكن قيمتها باخلاص المتعاقدين عليها ، وحسن نياتهم فيها وعزمهم الصادق على الوفاء بها وتنفيذها ، مهما تضمنت من أمور قد لا تتفق مع مصالح المتعاقدين ، وإذا أعوزها عنصر من هذه العناصر كانت قصاصات من الأوراق أولى بها سلال المهملات لا أضياب الزارات . ومن المؤسف أن نجد في هذا العصر عصر النور والعرفان وعصر تقدير العدالة وحقوق الشعوب والأفراد وثائق أعوزتها العناصر المهمة في تقييمها واحترامها ، فأصبحت قصاصات من الورق لا حظ لها من التقدير والاعتبار .

نعم : هناك وثيقة دولية هامة حشدت الكفايات السياسية والقانونية لوضعها وصياغتها ، فوضعت وضعا دقيقا محكما في عبارات رصينة قوية ، ربما كانت أنموذجا في الصياغة اللفظية وفي الناحية الموضوعية من حيث شمولها واستقصاؤها ، ولكن خالفها سوء الطالع فلم تؤد الغرض منها ولم تنفذ في أى ناحية من نواحيها ، هي « وثيقة حقوق الإنسان » فقد وضعتها هيئة الأمم المتحدة واحتفل العالم بميلادها ، وأقيمت لها البنود والبيارق ، واستقبلت على أنغام الموسيقى ودقات الطبول ، وانتشت الشعوب الصغيرة سرورا بميلادها ، وراودت المنى أحلامها ، وإذا هي منها كما قيل :

فأصبحت من لبلى الغداة كقباض على الماء خائنه فروج الأصابع
سمع العالم وقرأ نصوص هذه الوثيقة ، فسمع كلاما حلوا ، وقرأ كلاما جميلا ، وكان وقعها على أسماع الشعوب الصغيرة الذن من رنات المثاني على آذان المشوقين ، قرأ فيها هذا النص الخطير : « يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق ، وقد وهبوا عقلا وضميرا ، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء ، وأن لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان دون أى تمييز ، بسبب الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين أو الرأى السياسى أو أى رأى آخر أو الأصل الوطنى أو الاجتماعى أو الثروة أو الميلاد أو أى وضع آخر دون أى تفرقة بين الرجال والنساء » . قرأ الناس

ولا سيما الشعوب الصغيرة هذا الكلام الحلو البراق ، وانتظروا التنفيذ والتطبيق ويا بشر ما انتظروا ! انتظروا التطبيق فإذا هو يناقض النصوص مناقضة تامة !

في ظلال هذه الوثيقة اعتدى على بعض الشعوب الصغيرة ، وبالتالي اعتدى على الأفراد لأجناسها وألوانها وآرائها السياسية والاجتماعية ، وانتهكت حرياتنا واعتدى على استقلالها وعلى مواردها وعلى حقوق أفرادها في التعلم والمساواة الاجتماعية .

في ظلال هذه الوثيقة اعتدى على استقلال مصر وهاجمتها ثلاث دول اثنتان منها من كبريات الدول التي كان لها في وضعها نصيب كبير : هما بريطانيا وفرنسا ، وقد هاجمتها في وحشية لم يشهدها التاريخ من قبل ، هاجمتها من البر والبحر والجو ، واستعملت في هجومها أشنع أساليب القتال ، فقدقتها من الجو بالقنابل ولم تفرق بين مدينة وقرية ، ولا بين موقع وآخر ، وقذفت بوزر سعيد بمدافع الأسطول من البحر ، فأحرقت وهدمت ، وتساقط الشهداء من سكانها تساقط ورق الخريف في الصرصر العاتية ، ولولا لطف الله بمصر ومناصرة الرأي العالمي الحر ، ووقوف الدول العربية إلى جانبها مواسية ومعاونة لوقعت الكارثة وبلغت هذه الدول الآثمة أهدافها وعادة مصر مرة أخرى فريسة لاستعمار غاشم واحتلال بغيض .

وفي ظلال هذه الوثيقة تستعر في الجزائر حرب زبون تذهب كل يوم بأرواح المئات من أهلها ، وتمارس فيها فنون من حروب وحشية لا ضابط لها ولا زمام ، وتنصب لمجاهديها المشاقق بعد محاكمات صورية في محاكم دونها محاكم التفتيش في القرون الوسطى ، كل ذلك لتصبح الجزائر بالإكراه جزءا من الواطن الفرنسي ، وتبجج فرنسا في دعواها على صراى ومسمع من شعوب العالم بأن الجزائر قطعة منها ، وكأن تطاول الزمن على الاغتصاب يحيل الباطل حقا ويجعل الجزائريين العرب أعلاجا من الفرنجة الفرنسيين ، ومن البلية أن تثار قضية الجزائر في الأمم المتحدة ، وفي اليوم الذي يحتفل فيه العالم بالذكرى التاسعة لإعلان وثيقة حقوق الإنسان ، فتتضافر الدول الكبرى سرا ومجاهرة على اتخاذ قرار مائع لا يقر للجزائريين حقوقهم ولا يقف تلك المذابح المستعمرة مجاملة لفرنسا وحرصا على رضاها ، حتى لا تفسح من حلف الأطلس فيمنقرط عقده دون أن يحقق الأمل منه . وستظل الحرب بين فرنسا والجزائر حتى يفتح الله بينهما وينصر حق الجزائريين على باطل الفرنسيين ، ويبيء الاستعمار في الجزائر بالخزي والعار كما بآء بهما في مصر والهند وغيرهما من الشعوب التي ناضلت دون حقوقها حتى استردت حرياتنا رغم أنوف الغاصبين .

وفي ظلال هذه الوثيقة يذاد السود في أمريكا وجنوب إفريقيا عن معاهد تعليم البيض ، وعن مطاعمهم ومقاهيهم ومساحاتهم ، حتى لا يختلطوا بالبيض فينالوا من مكانهم الرفيع ، ويعكروا أمرجتهم الرقيقة ، وكأنما السود وضريدنس هؤلاء السادة ويسمأ أطعمتهم ، ويفسد أهواءهم وأجواءهم ، ويتحكم السود إلى المحاكم في قضية الاختلاط فتحكم بجوازه ، ويشور الشعب الأمريكي الرافق الحر المنحصر على هذه الأحكام وتقوم المظاهرات صاخبة ضدها ، وتحاصر المدارس حتى لا يدخلها أسود ، ويشترك البوليس بالجماهير فتسقط بعض الضحايا نتيجة لهذه الاشتباكات ، ويعصى حاكم إحدى الولايات أمر رئيس جمهورية الولايات المتحدة بتنفيذ هذه الأحكام ، فيمنع دخول السود مدارس البيض ، وتسير الأمور على هذا النمط في أمريكا ويحدث في جنوب إفريقيا مثل ما يحدث في الولايات المتحدة في شأن الملونين مع فارق عجيب ، وهو أن الحكومة في جنوب إفريقيا تقف إلى جانب الشعب في اضطهادهم واحتقارهم .

وفي اليمن وما حولها تثير بريطانيا حرباً شعواء لتحتكر منابع الزيت في هذه المناطق ، بعد أن طادرتها بعض الدول في المناطق الأخرى ، وترتكب في سبيل ذلك ما لا يحل شرع ولا قانون ، دون مبالاة وتقدير ، ويحدث ذلك أوشبهه في أنحاء متفرقة من العالم ، وعلى مرأى ومسمع من الدول الكبرى التي تنزع العالم وتتولى قيادته والإشراف عليه ، وتبتكر له الشرائع المثالية التي تحمي حقوقه ، ولكن لا يسمع لهذه الدول صوت في هذه الأحداث ، ولا تتداعى في التطبيق كما تتداعى في التشريع ، ولا نحس لها استنكاراً لتلك الحوادث اللهم إلا إن كان لها في الاستنكار مصلحة ، فهناك تستذكر الوثائق والقوانين ، ويتحكم اليها ويتخاصم بها ، لا غيرة عليها ، ولكن لتحقيق المصالح التي دعت إلى استذكارها والالتجاء إليها . وفي هذه الأجواء الاستعمارية القائمة تحتفل الحكومات بذكرى هذه الوثيقة ، وترفع الرايات والبندود ، ويتحدث الساسة والقادة عن مزاياها ، وما أفادته البشرية منها ، وتنظر الشعوب المضطهدة إلى هذا النفاق الدولي في سخرية واستغراب ، ويعجبون لمسافة الخلف بين القول والعمل ، ويستذكر المسلمون ما جاء به الإسلام من هذه الحقوق ، في معارض الأوامر الملزمة ، لا في صور التوصيات المجيزة ، ويستعرضون صوراً من التطبيقات العملية لهذه الحقوق ، بدأت من صدر الإسلام في أعمال النبي صلى الله عليه وسلم وفي أعمال أصحابه وخلفائه ، وستظل يطبقها كل مسلم مخلص لدينه وإن تمارضت أحياناً مع مصالحته الخاصة ، فيقدرون الفرق بين الوثائق الصادقة التي وضعت بباعث الخير العام للبشرية كلها ،

والوثائق الزائفة التي أملتها ظروف مiasية خاصة ، مخادعة للشعوب الصغيرة وإضعافاً لروحها التحررية ، وشيبت بنيات السوء من مقترحيها وواضعيها .

لقد مر على تلك الوثيقة تسعة أعوام فماذا كان أثرها الفعلي في علاج مشكلات العالم ؟ وماذا أفادت الشعوب الصغيرة منها ؟ ...!

إن العالم ما يزال بعد تلك الأعوام حيث كان قبلها ، ولولا أنه يستذكرها حيناً يحتفل بها لذسيها العالم وكأنها لم تكن .

لقد آن للسامسة أن يكونوا صرحاء واقعيين ، يواجهون مشكلات العالم بروح الإنصاف والإخلاص وأن يقولوا الحق ولو على أنفسهم وأممهم ، فقد استفاقت الشعوب وأصبحت قادرة على أن تميز بين ما يقال وما يفعل .

أبر الوفا المرافق

الحياة الايجابية هو السياسة الحكيمة

كتب البروفسور برنارد لافرنى الأستاذ بكلية الحقوق في جامعة باريس مقالة نبه فيه إلى من الخطر الذي يواجه أوروبا ابتعادها عن الحياة الإيجابية فيما بين أمريكا وروسيا ، ومما قاله : « إن أمريكا تريد أن تجعل من دول أوروبا الغربية (حاملات للطائرات الأمريكية) لتغير منها على الاتحاد السوفيتي . وقد تستطيع أمريكا أن تدمر بهذه الوسيلة بعض المدن الروسية ، وأن تلحق بالسوفييت أضرار جسيمة ، ولكن هذه الأضرار وهذا الدمار لن يبلغا عشر ما سوف يلحق بدول أوروبا الغربية - فرنسا وبلجيكا وهولندا وألمانيا الغربية والنرويج والدانمرك وبريطانيا - هذه الدول ستمحى تماماً من الوجود وسوف يقتل جميع سكانها في فترة لا تزيد على ثلاثة أسابيع . فهل هذا هو ما يسميه الأمريكيون ووزراؤنا الانجاس بالدفاع عن أوروبا ؟ ! » .

المسئولية في الاسلام

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للناس كافة ، من حكم به عدل ، ومن استمسك به رشد ، ومن اهتدى به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى في غيره فقد ضل وغوى « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » .

ولما كان الإسلام هو خاتم الشرائع التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله فقد جاء وافياً متكفلاً بحاجات البشر في دينهم ودنياهم ، وقد تناول الإسلام كل أمور الدين والدنيا من عبادات ومعاملات وجنائيات وأخلاقيات وسياسيات ، ومن ادعى أن الإسلام دين عبادة فحسب فقد ظلم الإسلام واقطع منه شطره الأكبر ، وليس أدل على أن الإسلام للدين والدنيا معاً مما زخر به القرآن والسنة من شؤون الدين وأحوال الناس وعلاقة بعضهم ببعض ، وإن ما فيهما من العبادات لشيء قليل بالنسبة لما فيهما من غير العبادات ، ولئن جاز أن يقال بالفصل بين أمور الدين والدنيا في بعض الأديان السماوية الأخرى التي جاءت جل تشريعاتها في المواعظ والعفو والتسامح وما شابهها من أخلاق وأدعية ، فلن يجوز أن يقال ذلك في حق الإسلام .

وقد ناط الإسلام بكل فرد من أفرادة مسئولية وتبعة نحو نفسه وأهله وأمتة ، وعلى قدر منزلة الشخص وما وكل إليه من ولاية تكون مسئوليته وتبعته ، وقد أفصح لنا مصلح البشرية ومعلم الإنسانية سيدنا ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه عن هذه المسئوليات فقال فيما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

وأعظم هذه المسئوليات وأحقها بالعناية والرعاية مسئولية الراعى عن الرعية ، لأنها تتعلق بأفراد الأمة كلها وبسياسة الدولة العامة وكيانها الدينى والخلقى والاجتماعى ، وبصلاح الراعى تصلح الرعية وبفساده تفسد ، وقديماً قال بعض السلف الصالح : « صنفان إن

صلحنا صلح الناس وإن فسدنا فسد الناس : العلماء والأمرء » فلا عجب أن كان الرسول لما شرع يفصل أنواع الرعاة بدأ بالإمام فقال : « فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته » .

ولفظ الإمام الذى جاء به الحديث لا يقصد به الخلفاء والأمرء والرؤساء الكبار فحسب ، بل هو يشملهم وغيرهم من كل من ولى أمرا من أمور المسلمين ، فالرئيس راع والوزير راع وقواد الجيش رعاة ورجل الشرطة راع والعالم راع والقاضى راع ورئيس الإقليم أو البلدة أو القرية راع وهكذا ، فكل هؤلاء مسئولون عن تحت أيديهم وسيحاسبون أحفظوا الأمانة أم ضيعوها ؟ وهل عملوا بدين الله ولصالح الناس أم حكوا بأهوائهم وعملوا لصالح أشخاصهم ؟ وأجل هؤلاء الرعاة وأجلهم خطرا هو الإمام الأعظم .

ورعاية الراعى للرعية ثابتة الأصول متشعبة الفروع فسيحة الجوانب ونجلها فيما يأتى :

(١) إقامة الحق والعدل وإعطاء كل ذى حق حقه من غير محاباة أو تحيف ، وأن يقيم نفسه من أموال الدولة مقام الخازن الأمين ، ويؤثر عن الفاروق عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : « إنى أنزلت نفسى من أموال المسلمين منزلة ولى اليتيم ، إن استغنيت تعففت ، وإن احتجت أكلت بالمعروف ، فإذا أيسرت قضيت » .

للنبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين المهديين - ومن سار على نهجهم من حكام المسلمين الصالحين - فى باب محاسبة النفس عن كل قطعير وقتيال من مال المسلمين تاريخ مضى مشرق ينطق بالعفة والنزاهة وهضم النفس والشعور بعظم الأمانة الموكولة إليهم ، وتقديم مصلحة المسلمين العامة على مصالحهم الخاصة ومنافع ذوى قرباتهم والمقربين إليهم ، مما لا نجد له مثيلا فى تاريخ الدنيا .

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن على رضى الله عنه أن فاطمة رضى الله عنها اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطاحن ، فبلغها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبي فأتته تسأله خادما ، فلم توافقه ، فذكرت لعائشة ، بخاء النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك عائشة له ، قالت فاطمة : فأنا وقد دخلنا مضاجعنا ، فذهبنا لنقوم ، فقال : على مكانكما حتى وجدت برد قدميه على صدرى ، فقال : ألا أدلكما على خير مما سألتانى ؟ إذا أخذتما

مضاجعكم فكبرا الله أربعاً وثلاثين، واحداً ثلاثاً وثلاثين، وسبعاً ثلاثاً وثلاثين، فإن ذلك خير لكم مما سألتناه» . ، وفي رواية الإمام أحمد « والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أجمعهم وأنفق عليهم من أثمانهم» .

ومما يروى عن الصديق رضى الله تعالى عنه أن زوجته اشتت حلوا، فقال لها: ليس لنا ما نشترى به . فقالت: أنا أستفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشترى به . قال افعلى . ففعلت ذلك، فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير فلما عرفت ذلك ليشتري به حلوا أخذه فردده إلى بيت المال، وقال: هذا يفضل عن قوتنا، وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم، وغرم ما حصل عليه لبيت المال من ملك كان له، وقد ذكرت آنفاً مقالة عمر فيما يحل للخلفاء والأمرء من أموال المسلمين، وقد طبق هذا المبدأ على نفسه غاية التطبيق حتى صار مثلاً نادراً لتقشف الخلفاء في القديم والحديث .

(٢) ومن مسؤولية الإمام أن يرفق برعيته ولا يشق عليهم ولا يكلفهم من الأمر شططا ويكون بهم رؤوفاً رحيماً، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي هذا يقول: « اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به » ، وفي الحديث المتفق عليه عن عائذ بن عمرو رضى الله عنه أنه دخل على عبيد الله بن زياد فقتل له: أى بنى: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن شر الرعاء الخطةمة [١] » فإياك أن تكون منهم .

(٣) السهر على مصالح الرعية وتأمينهم في دماءهم وأعراضهم وأموالهم وأقواتهم بتوفير الغذاء والكساء لهم ومساكنهم بتوفير المسكن الصحي لهم، وفي الحديث الصحيح أن أهل المدينة في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه سمعوا صوتاً مفزعاً فخرجوا يستطلعون الخبر فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إلى الصوت وقد عاد على فرس لأبى طلحة وفي عنقه السيف فقال لهم: « لن تراعوا » .

وفي عام الرمادة في عهد الفاروق عمر رضى الله عنه آلى على نفسه أن لا يأكل سمناً

(١) الرعاء جمع راع، والخطةمة القاسى الذى يظلم ولا يرق ولا يرحم .

ولا عسلا حتى يخلصب الناس ، وعكف على الاتئدام بالزيت حتى قورقر بطنه وتغير لونه وأبى على نفسه أن يتنعم بلذيذ الطعام ، والناس مجدبون ، ولم يتناول السمن حتى أخضب الناس وامتلأت الأسواق بالسمن والأقط .

(٤) ومن حقوق الرعية على الراعى أن لا يحتجب دون حوائجهم ومصالحهم وأن يعين له أعوانا وعيمونا يتعرفون أحوال الناس وحاجاتهم ويباغونها إليه كى يكون على علم بأحوال الرعية ، وفى الحديث الشريف « أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغى فان من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر » . وروى أبو داود والترمذى عن أبى صريم الأزدى رضى الله عنه أنه قال لما وية رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » فعمل معاوية رجلا على حوائج الناس ، ولم يكن لرسول الله ولا لخلقائه الراشدين بعده حجاب يحولون بينهم وبين الناس ومع هذا فقد روى الطبرى عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب لئن عشت إن شاء الله لاسيرن فى الرعية حولا ، فانى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى ، أما عملهم فلا يرفعونها إلى ، وأما هم فلا يصلون إلى ، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين . والله نعم الحول هذا .

(٥) من مسئولية الحاكم تخير أعوانه ووزرائه والمقربين إليه من أهل الدين والخلق والصالح الدينى والدنيوى ، فبقدر صلاح الأعوان والوزراء يكون صلاح أحوال العباد والبلاد ، وبقدر فسادهم وانحرافهم يكون الفساد والانحراف من الأفراد . وفى الحديث الذى رواه أبو داود عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ؛ إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه » . وفى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله » .

(٦) أن يسند الأمور إلى أربابها ومستحقها وأهل العلم كى تتحقق للأمة السعادتان

الدينية والدينية وهذا يقتضى وضع الرجل الكفء فى المكان اللائق به وإقصاء غير الكفء عن المهام التى ليس أهلها أما تقديم النكس الخب المداهن على الكفء القوى المصارح ، أو الأقرباء والأصدقاء على من هم أحق منهم وأولى ، فتضييع للأمانة وخيانة للعهد . ومن الحكم النبوية فى هذا أن رجلاً جاء يسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة فلما فرغ من حديثه قال : أين السائل ؟ ثم قال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة فقال الرجل : وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة .

(٧) المحافظة على كيان الدولة والعمل على عزتها وقوتها وأن يبقى سلطانها مرهوباً فى الأرض والعمل على صيانة حقوقها أن يغتصبها مغتصب أو يطمع فيها طامع ، وذلك يقتضى إعداد الجيوش وسد الثغور والمرابطة على الحدود وإعداد العدة والقوة وأخذ الأبهة ، وبذلك تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . وقد وضع رسول الإسلام الأساس الصالح لهذا . ففى السنة التاسعة من الهجرة ترمى إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن الروم سيغزون فى عقر داره ، فندب المسلمين للخرج ، وكان الوقت وقت حر شديد وجهد جهيد ، وكانو فى ضيق من المال وعوز فى الظهر ، ومع هذا فسرعان ما انتدبوا وخرجوا حتى وصلوا إلى تبوك بالقرب من مشارف الشام فلم يجدوا للروم أثراً فعادوا بعد أن ثبتوا سلطان دولتهم الناشئة وأمنوا حدودهم الشمالية ، فقد أسرع الأمراء المتناحرون لهم للقاء الرسول وعاهدوه وأذعنوا له بالخضوع .

وبعد : فهذه مسؤوليات الحاكم والأئمة فى الإسلام ، وهى مسؤوليات ضخام جسام وقد حرص على تطبيقها والعمل بها الخلفاء الأولون ، فلا عجب إن كانوا قد أقاموا أمة كانت مضرب الأمثال فى العدل والتراحم والتعاون والأمانة الفائقة والعفة النادرة والعزة القهضاء والسلطان المرهوب ، ولا تزال هذه الأسس نبزاً يهتدى به ويسير على ضوئه من يريد الخير لأمتيه ويحرص على أن يكون فى عداد الرعيل الأول من حكام المسلمين الأخيار المقسطين ما

محمد محمد أبو سريته

الأستاذ بكلية أصول الدين

حول مشكلة السينما :

مدرسة صارت للشيطان

الخير والشر في صراع موصول خلال هذا الحياة ، ومن وراء هذا الصراع يتميز الطيب من الخبيث ، لأن لكل من الخير والشر أتباعه وأعوانه ، ومن واجب الأخيار أن يتمسكوا بخيرهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وأن يدوموا عليه ولو وجدوا في طريقه تعباً أو نصيباً ، ولا يساوموا عليه أو يفرطوا فيه لعللة يمتلونها ، فإن الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه ، وإن الباطل لن ينقلب حقاً مهما كثر مشايعوه ، ولذلك قال التنزيل المجيد : « والله مع الصابرين » وقال لرسول الدعوة : « فاصبر صبراً جميلاً » .

وربما كان الشيء من الأشياء أمراً من أمور الخير في أصله أو بحسن استعماله ، ولكنه بسوء الاستعمال أو باطل التحريف ينقلب إلى أمر من أمور الشر والفساد . . .

وكم من أشياء ظهرت للانسان في هذه الحياة فاستخدمها على غير وجهها ، فأصبحت صاباً وعلقاً ، وقد كان وجه الصواب فيها أن تفيض عليه بالعذب السلسل النير .

ومن بين تلك الأشياء « السينما » ! . . .

والسينما أداة خطيرة كبيرة الخطر ، مؤثرة عميقة الأثر ، ابتدعها عقل الإنسان ، وكان من الممكن — بل إنه لمن الواجب — أن تكون مدرسة للاهتداء بهدى الرحمن ، أو لتثبيت أركان العقيدة والإيمان ، أو لتدعيم قواعد الديار والأوطان ، ولكنها مع الأسف صارت بانحرافها وسوء استغلالها مدرسة للشيطان ! . . .

والسينما قد انتشرت في كل مكان ، واجتذبت إليها الملايين بعد الملايين ، وزاد عدد دورها زيادة هائلة مرعبة ، وغلبت المساجد والمدارس والجمعيات ، واستبدت بالأموال والأوقات ، واستحوذت على قلوب الناس واهتمامهم ، وسببت الكثير من المتاعب والمشكلات للأفراد والجماعات . . .

ولقد تجد بعض نواحى القاهرة - مثلا - لا يوجد فيها مدرسة أو مسجد ، ولكنك قد تجد فيها أكثر من دار للسينما ، وفى القاهرة شوارع يوجد فى كل منها عدة دور للسينما ، بل يوجد مثلا فى ميدان السيدة زينب وحده أربع دور كبيرة للسينما ! ! . . .

والدراسة فى مدارسنا بضع ساعات من النهار ، وأكثر المدارس الآن تأخذ بنظام « نصف اليوم المدرسى » لقللة المدارس وضيقها بالتلاميذ الكثيرين ، وأما ساعات السينما فانها تبدأ من الساعة العاشرة صباحا وتمتد إلى منتصف الليل ، أى أنها تستمر أكثر من اثنتى عشرة ساعة ، لأنها تعرض أفلامها فى كل يوم أربع مرات . . .

وناهيكم بالعرض الأول من هذه العروض ، وهو عرض الساعة العاشرة صباحا . . . إنه ممكن داء دوى ، فالتلاميذ الذين لا رقابة عليهم يهربون من المدارس ، ويتواعدون مع الفتيات أو مع غير الفتيات على الذهاب إلى السينما فى هذا الوقت ، كما يذهبون إليها فى غير هذه الأوقات ، وهم يفعلون هذا لأن السينما فى تقديرهم ونظرهم أكثر جاذبية من المدرسة ، ونجوم السينما وممثلاتها وراقصاتها أجمل فى عيون هؤلاء التلاميذ الشاردين من وجوه مدرسيهم ، وفى المدارس يتعلمون أشياء ثقيلة الظل عليهم ، ولكن السينما تعلمهم أشياء تلذهم وتشبههم ، إنها تعلمهم الحب الرخيص ، والحوى الملوث ، والتفسيخ فى الأخلاق ، والتجمل من الواجبات ! . . .

ولم لا يفعلون ذلك والرقابة ضعيفة ، والتسليمية البريئة قليلة ، والتربية الروحية غير متمكنة ، والتوجيه الأخلاقى والدينى غير مسيطر ، والمحرضات على جذب الأحداث والتلاميذ إلى السينما كثيرة يتفنن فيها أهلها تفنن الأبالسة ؟ --- حتى جعلوا هؤلاء التلاميذ يستهينون بكل حرمة فى سبيل الذهاب إلى السينما ، فهم يتركون دروسهم ويهربون من مدارسهم لأجلها ، وهم يسرقون النقود من بيوتهم أو من غير بيوتهم كي يحصلوا على تذكارها ، وقد يسلكون أفذر الوسائل وأخطأ لدخولها ، والمسئولون عنهم لا يشعرون ، أو هم يشعرون ولكنهم يفرطون ويهملون ! .

هذا مثلا رجل سينمائى أراد أن يعلن عن فيلم من أفلامه ، فابتدع طريقة مشككة فى هذا الإعلان ، هى أنه طبع هذا الإعلان على جدول من جداول حصص الدروس ، وأخذ يوزع نسخه الكثيرة على طلاب المدارس وطالباتها ، وعلى هذا الجدول المطبوع ظهر بطل الفيلم وبطلته متعانقين متحاضنين ، فى قبلة عميقة فاجرة ! ...

وحول خانات الحصص المدرسية في الجدول طبعوا أسماء الممثلين والممثلات ، وكأنهم يريدون أن يقولوا للتلاميذ والتلميذات : دعوكم من مدارسكم ودروسكم ومدرسيكم ، وتعالوا إلى مدرستنا فهي أجمل ، وإلى ممثلاتنا فهن أروع وأرشق ! ... وكتب الممثل على الجدول يقول : إنه « يهئ الطالبات الفاتنات الناجحات بالسنة الدراسية الجديدة ، ويتمنى لمن أطيبت التمنيات ، وتحقيق آمالهن بمشاهدة فيلم ... » وذكر اسم الفيلم ! ...

أرايتم وسمعتهم ؟ ... إنه يهئ الطالبات « الفاتنات » ! - ومعنى الفتنة معروف - يهئ الفاتنات فقط ، أما الطالبات غير الفاتنات فلا ، وأما المتوسطات في الجبال فلا ، فالمقياس عنده في الطالبات هو الفتنة ، لا الدين ولا العلم ولا الأخلاق ! ... وهو يحصر تحقيق آمال هؤلاء الطالبات في مشاهدة فيلمه المعان عنه ! ...

ونرى في هذا الجدول المطبوع الموزع أن البطل يهئ الطالبات ، وأن البطلة تهئ الطلاب ! ... ولست أدري السر في أن البطل « الرجل » يهئ الطالبات « الإناث » ، بينما نجد البطلة « المرأة » تهئ الطلاب « الذكور » ! ... أذلك حكمة أيها الحكماء ؟ ..!

وقد وضعوا اسم الفيلم في هذا الجدول المدرسي المطبوع تحت عنوان « الحصة الثامنة » أى أن ختام الدروس عند هؤلاء يجب أن يكون في السينما تهدم بانحرافها وسوء استغلالها ما بنته المدرسة ! ...

وجاء في الإعلان أيضا أن « يوم الجمعة مخصص لمشاهدة الفيلم ما عدا أيام الزوغان » ومعنى هذا أن « أيام الزوغان » من المدرسة لها ذكر واعتبار عند هؤلاء ! ... أفليس هذا تحريضا ملفوفا - بل مكشوفاً - على الهروب من المدارس لأجل السينما ؟ ... أليس هذا تشجيعا على الإثم والانحراف ؟ .. أليست هذه دعوة سافرة لإفساد الطلاب والشباب ؟

هل درت بذلك وزارة التربية والتعليم ؟ ... وهلا ضربت على أيدي هؤلاء العابثين بكرامة المدارس وأخلاق التلاميذ ؟ ...

وهل بلغ هذا وزارة الإرشاد ؟ ... وهلا سارعت فعا لجحت هذه المأساة الخطيرة ؟ . أهكذا نترك هؤلاء يوزعون على طلابنا وتلاميذنا وبناتنا وفلذات أكبادنا جداول حصص تكون تحت أبصارهم باستمرار ، وفيها هذه السموم الخطيرة المثيرة ؟ ... دون هذا ويذهب حلم الحليم ! ...

هأنذا أقرأ في صدر جريدة « الأهرام » بتاريخ ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م أن ثلاثين صبيا من الأحداث قد فروا هاربين من مؤسسة البنين في حي العجوزة ، وتشتتوا في أرجاء القاهرة الواسعة ، بعد أن سرقوا بعض الأشياء ، وقد تقرر تقديمهم للحاكمه غيايبا ، لأن المسؤولين عنهم لم يضبطوهم ! ... ومن يدري ، فاعلمهم قد ذهبوا ليتلقوا الدروس هناك ، هناك في ظلام السينما وظلمات الأفلام ! ...

يا عالم ، يا ناس ، يا خلق ، يا بنى آدم ! ... إن البلاء قد عم وطم على أيدي هذه السينما المنحرفة الضالة الشاردة عن الصواب ... فهذا والد يذكر أن زوجته قد ذهبت مع ابنته الطالبة لمشاهدة عرض سينمائى تقدمه مدرسة ثانوية للبنات ، وفوجئت الزوجة بأن الفيلم غرامى صارخ ممتلىء بالعناق والقبلات ومشاهد الخلاعة ، وأن العامل المشرف على عرض الفيلم كان يكرر عرض بعض المناظر المثيرة التى تعجب الفتيات وكلهن فى سن المراهقة ، ويقول الوالد : إن المدرسة قد قررت عرض الأفلام فيها أسبوعيا ، وهو يطالب باختيار الأفلام الصالحة للعرض بدل الأفلام الخادشة للعرض ! ...

ألا تصدقنى ؟ ... إذن فلأترك التلخيص والتعليق ، ولأذكر لك المأساة كما روتها جريدة « الأهرام » بتاريخ ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م ، فقد جاء فى باب البريد منها ما نصه :

« هذه شكوى والد طلب منى عدم ذكر اسمه حتى لا يسبب ذلك متاعب لابنته ... يقول الوالد : ذهبت زوجتى بصحبة ابنتى لمشاهدة أحد الأفلام التى تعرضها المدرسة - مدرسة شبرا الثانوية للبنات - وفوجئت زوجتى بأن الفيلم الذى تعرضه المدرسة فيلم غرامى صارخ ملىء بالقبل والخلاعة ، ومن الغريب أن العامل الذى كان يشرف على عرض الفيلم كان يعيد عرض بعض لقطاته التى تنال استحسان البنات ، وجميعهن فى سن المراهقة ... لقد قررت المدرسة عرض الأفلام السينمائية مرة كل أسبوع ، وحددت له يوم الاثنين ، فهل لنا نحن أولياء الأمور أن نطلب اختيار الأفلام الصالحة للعرض بدلا من الأفلام التى تعرضها المدرسة ؟ ! ... »

وقد علق المحرر المختص بقوله : « لست أفهم أن تمنع وزارة الإرشاد دور السينما من السماح للشبان والشابات بدخول بعض الأفلام ، ثم تقوم المدرسة بعرضها على الطالبات فى المدارس . إن عرض الأفلام فى المدارس تقليد جميل ، ولكن لا بد من اختيار الأفلام الصالحة ، ولا أعنى بالصالحة الحالية كلية من الحب ، ولكن لا بد من الفكرة ، والهدف ، والتعليم ، لا مجرد إنارة الغرائز ! ... »

وهذا هو البابا المسيحي قد جأ بالشكوى من طوفان الأفلام الدائرة حول الغرائز والنحل الخلق ، والتي تشير أخطر ما في النفس البشرية من غرائز وأحاميس ، وتخوف بها عن سواء السبيل ، وقد طالب « البابا » بنع هذه الأفلام القدرة لتسلم البشرية من التردى في هاوية الرذيلة ، وهذا الموقف من « البابا » يهمننا في هذا الموضوع ، لأن بعض من لا خلاق لهم يصفون محاربة الأفلام الخليعة بأنها رجعية شرقية ، وضالة في التفكير ، وتخلف عن الحضارة... فهما هو ذا زعيم المسيحية الروحي وكبيرها في الغرب المتمدن المتحضر ينذر بالويل والثبور من جراء هذه الأفلام ، وأحب مرة أخرى أن أورد ما ذكرته « الأهرام » بتاريخ ٣٠ ربيع الآخر ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٥٧ م حول هذا الموضوع حيث قالت :

« صح البابا حين غمرت موجة الأفلام الغريزية شعوب العالم ، واجتاحت المراهقين بوسائلها المأسكرة ، فأقبلوا على هذه الأفلام التي خاطبت أخطر ما في أعماقهم ، وانحرف الكثيرون نتيجة طبيعية لمشاهدة هذه الأفلام ، والفيلم السينمائي له خطورته البالغة على النفوس ، وبخاصة الأحداث والشباب . . .

طالب البابا بضرورة الحد من هذه الأفلام الغريزية ، بل العمل على القضاء عليها ، خوفا على البشرية من التردى في هوى الرذائل... أقول هذا بمناسبة عرض بعض الأفلام الأجنبية في مصر ، التي تعالج قصصها موضوع الغريزة الجنسية علاجا فيه متاجرة بها ، بإثارة الناس وخاصة الشباب ، ضمنا للحصول على دراهم الإقبال . . .

لو أن هذه الأفلام عالجت موضوع الغريزة علاجا قائما على العلم والتوجيه والتسامي لكان ذلك رائعا وجليلا ، ولكن وجه الخطورة في النتائج المترتبة على انتشار هذه الأفلام الغريزية الضارة ، فينتشر الشذوذ والانحراف... مثال ذلك قصة فيلم أجنبي... امرأة متزوجة عارية دائما بين عشيقها وزوجها ، يناقش العشيق الزوج ليتخلى عن زوجته له ، وتسير هكذا حوادث القصة... إن هذا الاتجاه فيه تجارة رخيصة ، وفيه استغلال للناس ، وفيه خطر جسيم على البشرية ، فلنتنبه إلى هذه الخطورة ونحن الآن نبني مصر الحديثة ، ولنعمل على حماية جيلنا من الانهيار ، ولنجنبه مثل هذه الأفلام الهدامة المنحلة » .

إن هذه السطور السابقة ليست كلامي ، وليست كلام واعظ في مسجد ، وليست كلام رجل دين يحذر وينذر ، وليست كلام شخص رجعي متزمت ، وإنما هو كلام يقوله

المحرر الفني العصري في جريدة يومية معاصرة كبرى ، ومعنى هذا أنه قد شهد شاهد من أهل السينما والفن بانحراف هذه السينما وبخطورتها على الأخلاق والمجتمع ، فهلا يكفى ذلك لإشعار المسؤولين عن السينما بخطورة انحرافها وأضرارها وجاها ؟ . . .

وفوق هذا لدينا مزيد ، فهاهو ذا مدير مصلحة الفنون يصدر بيانا عن طريق المدير لمكتبه يتعرض فيه لهذا الانحراف الخطير الذى أصيبت به السينما ، ويقرر فيه أمورا خطيرة جدا ، وقد نشرت جريدة « الشعب » هذا البيان بتاريخ غرة جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م ، وقد جاء فيه ما نصه :

« كثر الحديث عن الأفلام الجنسية التى ظهرت فى هذا الموسم ، والمقارنة بينها وبين فيلم (شباب امرأة) وقيل : إن هذا الفيلم الأخير يعرض فى جميع دور السينما على الكبار والأحداث معا ، بينما منعت الرقابة الأحداث من مشاهدة الأفلام الجديدة . وأفسر هذا الوضع فأقول : إن فيلم (شباب امرأة) ظهر فى عام ١٩٥٥ م ، وهو أول فيلم مصرى يعالج مشكلة الجنس ، وكانت مصلحة الفنون تهدف إلى ترك هذا الباب مفتوحا أمام المنتجين ليتسع المجال أمامهم ! ولتتمكنوا من منافسة الأفلام الأجنبية من نفس اللون التى تلقى رواجا كبيرا !

ولكن المسؤولين فى وزاره الإرشاد لاحظوا أن التيار كله اتجه إلى هذا النوع ، وكان اتجاهه عنيفا ، وتدرج الأمر إلى أن أصبح إسفافا مخجلا ! ! ! . . . وأمام هذا الانحدار ، وإزاء رد الفعل الذى لوحظ على الجماهير أثناء مشاهدة هذه الأفلام رأت الوزارة أن من واجبها حماية الشعب ، فأصدرت تعليمات مشددة بوقف هذا الاتجاه الخطير نحو هذا النوع من الأفلام » .

هذا هو بيان مصلحة الفنون ، وفيه اعتراف صريح مؤلم كل الإيلام بالإسفاف السينمائى المخجل ، وبالانحدار فى هذا الإسفاف ، فهل وراء ذلك برهان أو دليل ؟ ! . . . ولقد نشر محرر « الشعب » الفنى هذا البيان ، ثم علق عليه بسؤال محرج ، إذ قال فى ذيله ما نصه : « والسؤال الموجه لوزارة الإرشاد الآن هو : وما العمل فى الأفلام المعروضة فعلا على الجماهير من هذا النوع ؟ » ! . . .

والواقع أننا الآن مصابون بالأفلام الغريزية الفاضحة من الخارج ، ومصابون بالأفلام

الجنسية القذرة من الداخل ، وهناك ما يقرب من خمسين فيلماً لا تخرج موضوعاتها - بل لا تكاد تخرج عناوينها - عن الحب واللذة الجسدية والاتصال الأثيم بين الرجل والمرأة ! !... والعجيب الغريب المضحك المبكى في هذا الباب أن الفيلم إذا زادت وقاحته أو رفاقته منعوا دخوله ومشاهدته عن الذين لم يبلغوا ستة عشر عاماً من أعمارهم ، أى الذين لم يبلغوا سن المراهقة والتأثر والانفعال ، وأما الذين باغوا هذه السن وأصبحوا وقوداً صالحاً للاشتعال بلهب الإثارة الجنسية فهم - ولأى بياح لهم أن يدخلوا هذه الأفلام الفاضحة ! !... فليعطى أحد القراء عقله لأفهم به ، فهذا منطق تضيع معه العقول ! !... !

مرة أخرى نقول : يا عالم ، يا ناس ، يا خلق ، يا بنى آدم... إن البلاء قد عم وطم بسبب هذه السينما المنحرفة الضالة... ولا بد لها من إصلاح... لا بد من إلغاء عرض الساعة العاشرة لأن أغلب مشاهديه من التلاميذ الهاربين من الدروس ، ولا بد من تطهير السينما من كل ما يضاد الدين ويخالف الأخلاق والفضيلة ، ولا بد من توجيه السينما إلى النواحي السامية كالمفاخر التاريخية ، والموضوعات الاجتماعية المفيدة ، والأعجاد القومية المختلفة ، والنواحي العلمية القيمة ، والمواطف الطاهرة النبيلة ، ولا بد من إشراف دقيق حازم على جميع الأفلام الأجنبية والمحلية ، وأن يشترك في هذا الإشراف رجال العلم والتاريخ والدين والأخلاق والغيرة الوطنية اشتراكاً إيجابياً فعالاً ، حتى تصير السينما بعد تطهيرها وتصفيتها وسيلة من وسائل الإصلاح والتسامي ، لا معولاً من معاول الهدم للفضائل والأخلاق ، والدولة التى تبني هنا وهناك يجب عليها أن تتذكر دائماً أن معاول التخريب إذا بقيت تهدم لا يتم معها البناء ، والأول يقول :

مضى يبلغ البنيان يوماً تماماًه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟!

فلتضرب الدولة بيد الحزم والعزم على أيدي هؤلاء الهادمين ، ليسلم لنا الوطن الأمين والمجتمع السليم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ! . . .

أحمد الترمباصى

المدرس بالأزهر الشريف

الجنس الثالث

أحسن ما قرأته في وصف النساء المترجلات ، اللاتي يابن إلا الخروج على فطهرتهن ، والزج بأنفسهن في ميادين الرجال ، تسمية أحد كتاب الانجيز لهن « الجنس الثالث » . فالواقع أن هذه التسمية وصف صادق كل الصدق لهذه الطبقة الجديدة من النساء ، التي برزت مشكلتها في المجتمع الأوربي منذ أواخر القرن الميلادي الماضي ، بعد أن تكاثرت عددها وطغى سيلها . ذلك لأنهن قد فقدن أنوثتهن فلم يعدن نساء ، وابتذلن أجسادهن وأرخسن مفاتهن حتى عافها الرجال وانصرفوا عنها . ثم إن فطرتهن وخلقتن تأبى عليهن من بعد أن يدخلن في الرجال . من أجل ذلك سماهن ذلك الكتاب الانجيزي الحصيف « الجنس الثالث » ، بعد أن أخرجن أنفسهن من عداد النساء واستحال عليهن أن يدخلن في عداد الرجال . فهن يخالفن الرجال طبيعة وتركيبا ، ويخالفن النساء وظائف وأعمالا . « وقد درس هذا الأستاذ أحوالهن درساً مدققاً فوجد أنهن يتركن الزواج . وباتزاعهن أنفسهن من وظائفهن الطبيعية كالأمومة وما يتبعها قد تغيرت إحساساتهن عن إحساسات بنات جنسهن ، وصرن في حالة من الكآبة تشبه أعراض الما ليخوليا » (١) .

أساءت المرأة إلى نفسها وأساء إليهما الذين ظاهروها وأعانوها ممن يزعمون أنهم أنصارها . فقد كانت ريحانة تشم ، فأصبحت مشكلاً يتطلب الحل . وكانت عرضاً يصان وأمانة تحفظ ، فأصبحت حملاً ثقيلاً يضيق به الأب والأخ ويتختم معه على المرأة أن تعمل لتعيش . نشأ الجيل السابق على أن يكفلها ويكفيها حاجتها ، وكان هذا التقليد عقيدة مركوزة في أعماق كل نفس ، يحرسها الإجماع عليها ، ولا يخطر لأب أو ابن أو أخ أو زوج أن يتخلى عنه ويخرج من عهده . فلما عملت المرأة لنفسها وشاع ذلك في المجتمع ماتت هذه العادة ، وماتت معها المروءة التي كانت تدفع إليهما ، والغيرة التي كانت سبباً في المحافظة عليهما وأصبحت المرأة إذا لم تبحث عن العمل من نفسها دفعها وليها إليه دفعاً وألزمها به إلزاماً . بل لقد أصبح القانون يلزمها بالعمل في النظام الشيوعي ، وأصبح الواقع يلزمها به في النظام الرأسمالي . وأصبحت التي لا تعمل في أيامنا لا تجد اللقمة

(١) « تربية المرأة » للاقتصادي المشهور محمد طلعت حرب ص ٢٨ ط ٥ ص ١٢١٧ [١٨٩٩م] .

ولا تجد الزوج ، لأن الرجال إن عدموا ذوات المال من الزوجات بحثوا عن الكادحات الكاسبات . وكاد ذلك يصبح قانونا من قوانين حياتنا يقضى على المستعفيات بالبوار والهلاك . فهل هذا هو ما يسميه الخادعون والمخدوعون والخادعات والمخدوعات « حقوق المرأة » ؟ .

وفي الوقت الذى يتجرع فيه الغرب آثار خروج المرأة على فطرتها ووظيفتها ، كان بعض كتابنا ومفكرينا ينادون بأن نأخذ فى ذلك الطريق الذى انتهى بالغرب إلى ما هو فيه من مشا كل اجتماعية واقتصادية هزت دعائم مجتمعه هذا عنيقا أفقده استقراره واتزانه وعرض سلامته وكيانه لأشد الأخطار . ولقد يبدو للدارس المتأمل أن المرأة لا توضع الآن حيث تدعو الحاجة - صحيحة كانت أو مزعومة - إلى أن توضع . ولكنها توضع لإثبات وجودها فى كل مكان ، وإلحاقها على كل ما كان العقل والعرف ينادى بعدم صلاحيتها له . فليس المقصود بتوظيفها فى هذه الأيام سد حاجة موجودة ، ولكن المقصود هو مخالفة عرف راسخ ، وتحطيم قاعدة قائمة مقررة ، وإقامة عرف جديد فى الدين وفى الأخلاق وفى الذوق ، وخلق المبررات والمقومات التى تجعل انسلاخنا من إسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا أمرا واقعا ، كما تجعل دخولنا فى دين الغرب ومذاهب الغرب وفسق الغرب أمرا واقعا كذلك .

وأخطر ما فى هذه الدعوة وأمثالها مما يراد به حملنا على كل فاسد من مذاهب الغرب أن أصحابها يريدون إلحاقها على إسلامنا زاعمين أنها لا تعارضه . وقد كان قاسم أمين هو أول من جرأ الناس على تحريف النصوص حين طلع علينا بطائفة من المزاعم التى تقوم على المجازفة ، ومن النصوص المحرفة عن مواضعها والمخلوعة من سياقها خلعا يخرجها عن مدلولها ، وحين تصيد من كتب التاريخ ورواياته - على اختلاف درجاتها ودرجات مؤلفيها - كل شاذ غريب فحشدها فى حيز واحد وضم بعض أشعاتها إلى بعض ، حتى خيل إلى قارئها أنها - على شذوذها وقلتها - شىء مألوف كثير الوقوع . ومع أن هذا الذى جمعه هو خلاصة ما فى الكتب - صحيحيها وسقيحيها - من غرائب الأخبار والآراء التى تصور حالات شاذة نادرة لا تنهض بها حجة ولا يبطل بها عرف ، ومع أن كثيرا من النصوص التاريخية أو الفقهية التى اقتطفها ناقصة الدلالة غامضة العبارة ، فقد استطاع أن يروج ذلك كله بين الناس بمرور الأيام ، بفضل قوة حزبه الذى كان ينوه به اللورد

كرومر في تقريره وكتبه [١] حتى أصبحت هذه النصوص من بعد - على فساد الاستدلال بها - هي البضاعة المشتركة للمتابعى دعوته ومطورها . وذلك كله هو الذى دعا الشاعر شوقى - رحمه الله - إلى أن يتسأل عن حقيقة صنيع قاسم أمين : أهو غير المدافع عن النصوص الإسلامية ، أم هو إغارة المحرف لها عن مواضعها ؟ . وذلك من قصيدة له ألقاها سنة ١٩٢٨ م ، وعرض فيها للباقة في الاستدلال ، وبراعته في الجدال ، فقال :

ولك البيان الحزل فى أثناؤه العلم الغزير
فى مطلب خشن كثير فى مزالقه العثور
ما بالكتاب ولا الحديث إذا ذكرتهما نكير
حتى لنسأل : هل تغا ر على العقائد أم تغير ؟

* * *

وقد لا تكون هناك نصوص صريحة فى القرآن أو فى الحديث تمنع المرأة من العمل فى خارج البيت لكسب عيشها حين تدعو إلى ذلك ضرورة . ولكن من المؤكد أن اتخاذ هذه السنة أصلا من أصول التنظيم الاجتماعى يخالف روح الشريعة ويناقض كثيرا من نصوصها ويتعارض مع كثير من شرائعها وحدودها تعارضا واضحا .

١ - قال تعالى فى كتابه العزيز : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم - النساء ٣٤) . تشير هذه الآية إلى ناموس من نواميس الله الثابتة وهى قوامة الرجال على النساء ، وقد ناط سبحانه وتعالى حكمته فى ذلك بسببين ظاهرين : أولهما أن فطرة الرجل تخالف فطرة المرأة . فهى تفضله فى تدبير شئون البيت وتربية الولد والقيام عليه ، بما جبلت عليه من الحنان والرفقة ومن التركيب العضوى الذى يعينها على وظيفتها مثل ضعف جهازها العصبى الذى يقلل إحساسها بالآلام الجبل والوضع ، وإن كان يجعلها فى الوقت نفسه أكثر استهدافا لأنواع الأمراض وأسرع

راجع نص تقارير كرومر المرفوعة إلى البرلمان الانجليزى [ط لندن] فى تقرير سنة ١٩٠٥ [المقدم إلى البرلمان الانجليزى فى أبريل ١٩٠٦] [الفقرة ٧ ص ١٥ - ١٦ . وراجع كذلك تقرير سنة ١٩٠٦ [المقدم إلى البرلمان فى أبريل ١٩٠٧] فى الفقرة ٣ - ٨ . وقد أوصى كرومر فى هذه التقارير وفى كتابه Modern Egypt بذلك الحزب خيرا وعلق على رجله الآمال فى رطابة المصالح الانجليزية عن طريق إنشاء علاقات من الود والتفاهم بين الانجليز وبهئ المسلمين فى مصر .

Reports by His Majesty's Agent and Consul General on the Finances, Administration, and Condition of Egypt and the Sudan .

تهيجا وأقوى أنفعالا ، مما يؤثر في سلامة التقدير وصحة الإدراك ويجعلها أقل قدرة من الرجل على مجابهة الأزمات والتماسك أمام الشدائد والملمات . أما الرجل فهو يفضلها - لما سلف من الأسباب - في القوة البدنية وفي قوة التفكير وصحة التقدير ورباطة الجأش ، مما يعده للكفاح ومعالجة المشاق ، والكبح وراء معاش الأسرة ، وفي سبيل الحفاظ على كيانه ودفع ما يتهده من أخطاره . والسبب الثاني الذي انبنت عليه هذه القوامة هو أن الرجل يتولى الإنفاق ، لأنه هو الذي يكسب المال حسب ما جبل عليه . فليس من العدل أن يكلف فرد بالإنفاق على هيئة أوجماعه ثم لا يكون له رأى في الإشراف على مصارف هذه النفقة . وعلى ذلك تجرى الحكومات النيابية المعاصرة ، ويعتبر ذلك أصلا من أصول تشريعاتها .

فاذا جرينا على اعتبار عمل المرأة في خارج المنزل وكدحها في سبيل كسب المال إلى جانب الرجل أصلا من أصول تقنيننا الاجتماعي ، فقد أخرجناها عن وظيفتها من ناحية ، وقد أخللنا بما هو مقرر في الآية السكرية من قوامة الرجل عليها من ناحية أخرى . لأن هذه القوامة مبنية على أصليين : أحدهما فضل الرجل على المرأة في الصلاحية للعمل خارج البيت ، وثانيهما أنه هو المكلف بالإنفاق على الأسرة .

ومن المظاهر التشريعية لتطبيق الأصل الأول - وهو فضل الرجل على المرأة في الصلاحية للعمل خارج البيت - أن شهادة المرأة لا تغني عن شهادة الرجل . ولا بد من انضمام امرأتين اثنتين إلى الشاهد الأول لكي تكون شهادتهما معادلة لشهادة رجل واحد وذلك بنص كتاب الله الحكيم في قوله تعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى - البقرة ٢٨٢) . فالآية السكرية تعمل ذلك بأن المرأة التي ليس من شأنها أن تخلط الرجال في شئون العمل والحياة ، والتي تحفظ في هذا الاختلاط إن دعيتها إلى ذلك الحاجة أو ساقتها إليه المصادفة ، هي مظنة أن لا تعي تفاصيل الواقعة التي تدلى بشهادتها فيها كما يعيها الرجل . لذلك كانت في حاجة إلى أن تظاهرها امرأة أخرى في هذه الشهادة حتى يقوم اتفاقهما مقام شهادة رجل واحد . (١)

[١] المجلة - وقد اعترف بهذا التفاوت بين الرجال والنساء في الشهادة وأمثالها كثير من حكماء الغرب ولا سيما في إيطاليا ، كما بسطه الأستاذ كامل أحمد ثابت من رجال القانون والنضاء في كتابه [علم النفس القضائي] ص ٢٢ ، ٢٤ ، ١٢٣ .

ومن المظاهر التشريعية لتطبيق الأصل الثانى - وهو تكليف الرجل بالإنفاق على الأسرة - أن نصيبه المقرر فى الميراث ضعف نصيب المرأة . وذلك بنص قوله تعالى : (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - النساء ١١) .

فإذا قررنا أن تعمل المرأة إلى جانب الرجل فى مختلف ميادين العمل والإنتاج والوظائف ، وجعلنا ذلك - اقتداء بالغرب - أصلاً من أصول التنظيم الاجتماعى ، فقد أبطلنا كل هذه التشريعات القرآنية - أصولها وفروعها - لمغايرتها عند ذلك لظروف الحالة الجديدة الطارئة .

ومع ذلك كله فقوامة الرجل على المرأة لا تقتضى تفضيله عليها فى الدين أو فى الدنيا . فالحمد لله سبحانه وتعالى يقول : (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض - آل عمران ١٩٥) - ولكن هذه القوامة قاعدة تنظيمية تستلزمها هندسة المجتمع واستقرار الأوضاع فى الحياة الدنيا ، ولا تسلم الحياة فى مجموعها إلا بالتزامها . فهى تشبه قوامة الرؤساء وأولى الأمر ، التى لا تستلزم أن يكون الرؤساء أفضل من كل المحكومين ، ولكنها مع ذلك ضرورة يستلزمها المجتمع الإنسانى ، ويأثم المسلم بالخروج عليها مهما يكن من فضله على ولى الأمر فى العلم أو فى الدين .

٢ - يقول تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة - البقرة ٢٢٨) . ويقول سبحانه : (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعقون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح - البقرة ٢٣٧) .

والآيتان كلتاها تؤكدان ماقررتة الآية الأولى من قوامة الرجال على النساء . ومن مظاهرها فى الآية الثانية جمل عقدة النكاح فى يد الرجل . وهى قوامة تسقط من تلقاء نفسها وتصبح داحضة بوضع المرأة مع الرجل على قدم المساواة فى ميادين العمل والكسب .

٣ - انبنت قوامة الرجل - كما سبق - على أصليين ، أحدهما أنه هو المكلف بالإنفاق على الأسرة . وفى الآية الأخيرة إشارة إلى هذا الواجب المقرر . فالرجل هو الذى يسوق المهر إلى زوجته . - على عكس ما هو مقرر عند الغربيين الذين يزعمون أنهم أكثر

إنصافاً للمرأة - ويسقط نصف حقه في هذا المهر إن طلق زوجته قبل أن يدخل بها .
وهناك آيات أخرى كثيرة تؤكد هذا الواجب الملقى على عاتق الرجل ، واجب الإنفاق
على الأسرة وكفالتها فمن ذلك قوله تعالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن
أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف - البقرة ٢٣٣) . ومن
ذلك أيضاً قوله تعالى : (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ،
ومتعهن ، على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين - البقرة
٢٣٦) . ومنه قوله تعالى : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهن متاعاً
إلى الحول غير إنحراج ... وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين - البقرة ٢٤١ ، ٢٤٠) .
في هذه الآيات تأكيد لما هو مقرر من تكليف الرجل بالإنفاق . وهو تكليف يقوم على
أن المرأة لا تعمل لكسب المال لأنها مصروفة عنه إلى غيره من الأعمال التي أعدها لها فطرة
الله التي فطر الناس عليها . فإذا أخذ المجتمع بأن تعمل المرأة عمل الرجال لزم تغيير هذه
التشريعات . وتغيير هذه التشريعات يخرج المسلمين من إسلامهم ، لأنهم مكلفون بالرجوع
إلى كتاب الله في شئون دينهم ودنياهم والإذعان له والتسليم بما جاء فيه ، لا يحددون عنه
ولا يبدلونه ، ولأن ما قرره القرآن من القوانين وما وضعه من الحدود منسوب إلى الله سبحانه
وتعالى ، محكوم على من يتجاوز به بالظلم والفسق بنص كتاب الله العزيز ، فالله سبحانه وتعالى
يقول في أحد المنافقين ، وكان قد احتكم إلى النبي عليه الصلاة والسلام ثم لم يرض حكمه فأعاد
الاحتكام إلى كعب بن الأشرف اليهودي : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وأولى الأمر منكم . فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً . ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن
يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون
عندك صدوداً ... فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم
حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً - النساء : ٥٩ - ٦٥) . ويقول تعالى بعد تبين بعض
أحكام الطلاق : (تلك حدود الله فلا تعتدوها . ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون
البقرة - ٢٢٩) ، (وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه - الطلاق : ١) .
ويقول تعالى بعد تبين أحكام الميراث : (تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نار خالداً فيها وله عذاب مهين - النساء : ١٣ ، ١٤) .

ومع ذلك كله فالله سبحانه وتعالى يقول : (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ؛ إن الله كان بكل شيء عليما - النساء : ٣٢) . نزلت هذه الآية حين قالت أم سلمة ونسوة معها : ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال ، فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم . فالآية تأمر الرجل والمرأة كليهما أن يلزم كل منهما وظيفته التي هيأه الله لها ، وتبين لهما أن الله سبحانه وتعالى يثيب المرأة على إخلاصها لوظيفتها مثل ثواب الرجل على إخلاصه لوظيفته .

ثم إنى أحب أن أسأل الذين يحاولون أن يسوغوا باطلهم الذى يجمعونه على إسلامنا بمزاعم يتحايلون على إلصاقها بالدين ونصوصه . أحب أن أسأل هؤلاء سواء حاسما يفرق بين الحق والباطل : هل تعلمون أن أحدا من المسلمين قد دعا قبل اليوم بدعوتكم ؟ فإذا كان ذلك لم يحدث من قبل فهل تستطيعون أن تزعموا أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقهاء المسلمين قد غفلوا جميعا عن فهم نصوص دينهم ، حتى جاء هؤلاء الذين أوحى إليهم شياطين الجن والإنس فى باريس من أمثال قاسم أمين فانتكس تفكيرهم بين معاهدها ومبادئها ، حين لم يعتصموا من دين الله بحبل متين ، ولم يأووا بهديه إلى ركن شديد ، يذود عنهم كل شيطان مرید ، وذلك حين بعثوا إلى تلك البلاد لينقلوا إلينا الصالح النافع من علومها وصناعاتها فضلوا الطريق ، وعادوا إلينا بغير الوجه الذى بعثوا به . جاء هؤلاء بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن ليخرجوا للناس حقائق النزول التى غاب علمها عن الأولين والآخرين من الفقهاء والمفسرين ، ويضربوا باجماع المسلمين فى الأجيال المتعاقبة والقرون المتطاولة مرض الحائط . أليس ابتداء هذه الدعوة فى ظل الاحتلال الانجليزى وتزعم فريق من المتفرنجين الذين عرفوا بموالاة ذلك الأجنبي المحتل لها ، هو وحده دليلا كافيا على أنها طائفة علينا من الغرب تقليدا لمذاهب أهل المبتدعين فى دينهم بأهوائهم وأهواء رؤسائهم ، والخارجين على نصرانيتهم وكتابها . ؟

* * *

ولو تدبر الناس الأمور وعقلوها ولم يتقادوا فى ذلك وراء شروعاتهم ولم يسلموا زمامهم لما يزوره المظللون وأصحاب الأهواء من زخرف القول لأدركوا وجه الحق ، ولقداهم المنطق السليم التزبه إلى الالتقاء بشرع الله ، واكتشاف ما تنطوى عليه أقوال الذين يتصدون للدفاع عما يزعمونه (حقوق المرأة) من أخطاء .

وأول أخطاء هؤلاء أنهم يجعلون أكبرهمهم مصر وفا إلى إثبات أن المرأة تستطيع القيام بأعمال الرجل ، وأنها إنسان مثله لا فرق بين عقلها وعقله ، ويجهدون أنفسهم في حصر الأمثلة التي تؤيد زعمهم ممن نبغ من النساء في مختلف العصور ، وليس هذا هو لب المشكل وصميمه ، ولا هو بالمقياس الصحيح في تقدير المسألة ، ولكن لب المشكل وصميمه هو : هل يؤثر اشتغال المرأة بأعمال الرجال على إتقانها لعملها النسوي الأصيل ؟ ثم ، ماذا يحدث لو انصرف كل النساء إلى أعمال الرجال ؟ هل يتحتم على الرجال عند ذاك أن يقوموا هم بأعمال النساء ؟ وإذا قبلوا ذلك فهل يصاحون له وهل يتقنونه ؟

من الواضح أن عمل الأنثى الأول الذي لا يصلح له غيرها هو النسل وحفظ النوع ، لأن تركيب الذكران العضوي لا يسمح لهم بحمل الجنين ولا بارضاعه ، ومن الثابت أن إرهاق المرأة بالعمل يترك أثرا في مزاجها وفي أعصابها ، ومن الثابت أيضا أن ذلك الأثر ينتقل إلى جنينها في حالة الحمل ، كما ينتقل إلى طفلها في حالة الرضاعة . بل إن بعض علماء الوراثة يتحدثون عن وراثة الصفات والأعراض الطارئة على الأب والأم كليهما في أثناء العسلوق والحمل . فالمرأة التي نيط بها حمل الجنين ، والسهر على أمنه وسلامته في بطنها ومن بعد أن يخرج إلى الدنيا ، محتاجة لأن تكفي مئونة التعرض للهجمات العصبية والإجهاد العضلي أو العقلي ، الذي تصل آثاره إلى ربيدها جنينا ورضيعا ، وترك فيه أسوأ الآثار . وذلك شيء يقضى به أوجب الواجبات وأهمها ، وهو المحافظة على سلامة النوع البشري . ثم إنها محتاجة بعد ذلك إلى أن توفر لها الفرصة الكاملة لملازمة طفلها ملازمة كاملة تسمح بأن يصنع على عينها جسما وعقلا وخلقا ، لكي تغرس فيه العادات الفاضلة ، وتجنبه ما قد يعرض له أو يطرأ عليه من عادات قبيحة . ومثل ذلك لا يتأتى بالأمر أو النهى مرة أو مرات . ولكن لا بد فيه من المراقبة الدائمة ، والإشراف على تكرار الفعل حتى يرسخ في نفسه ، واليقظة على الزجر مرة بعد مرات عن بعض الأفعال الأخرى حتى يحال بينها وبين الرسوخ في نفسه . وهذه المراقبة التي لا تغفل ، التي تنسم بالصبر الذي لا يمل ، هي وحدها التي تسمح باكتشاف أعراض الداء في البنين والبنات قبل أن يستفحل ويتعذر علاجه . والقول بأن كل صلة الأم بولدها تنحصر في الحمل والوضع هو نزول بالإنسان إلى مرتبة الحيوان . فالإنسان يمتاز بطول حضائنه لأطفاله . وهي حضانة ليست غذائية لحسب كما هي في سائر الحيوان ، ولكنها خلقية وعقلية أيضا في الإنسان ، وذلك من أهم الأسباب في تقدم البشرية ، لأنه يورث الجيل التالي تجارب

الأجيال السابقة ، بما يمكنه من متابعة الشوط وتوفير الوقت والجهد الذى يضيع فى تكرار التجارب .

واعتماد المرأة العاملة على الخدم وعلى دور الحضانة فى رعاية وليدها لا يؤدى إلى كمال تنشئته ، لأن الإخلاص له والحرص على ابتغاء الكمال من كل وجه لا يتوافر فى أحد توافره فى الأم ، لأن من وراء إخلاصها وحرصها غريزة الأمومة . والحرص على الواجب ، فى الخدم وفى دور الحضانة لا يمكن أن يرتفع إلى مرتبة الغريزة مهما افترضنا فيه من السمو ، ومهما عملنا على ترقيته إلى أقصى درجات الكمال ، ومهما تجاهلنا جنائيات الخيانة والإهمال والإفساد التى لا تحصى شواهدنا فى واقع الحياة .

ولجوء الأم العاملة إلى الوسائل الصناعية فى إرضاع طفلها خيانة للأمانة وتفريط فيها وتعطيل لسنة الله ؛ لأن الله سبحانه لم يخلق ثدى الأنثى لتبرزه فى السهرات وتكشف عن جماله وتنصبه شركا فى الطرقات ، ولـكنه أوجده أصلا للإرضاع . والرضاعة مع ذلك ليست عملية عضوية آلية فـسب ، ولـكنها حنان متبادل وميثاق غليظ . وليس لنا أن نتوقع بعد شيوع الرضاعة الصناعية إلا السعى لاختراع وسيلة للحمل الصناعى بعيدا عن بطن الأم - إن أمكن - توفير الجهدا وصيانة لجمالها !

وقد كان أنصار تعليم المرأة فى أول هذا القرن يحتجون لدعوتهم بأن تعليم المرأة أعون لها فى حسن القيام على تربية أولادها ، فلما تعلمت المرأة نسوا ما كانوا يدعون إليه أو تناسوه ، وراحوا يعملون على أن تكون المرأة صورة مكورة من الرجل . وصنيعهم هذا داليل على أنهم غير مخلصين فيما يدعون إليه ، وأن لهم من وراء دعواتهم أهدافا وغايات تخالف ظاهر أقوالهم .

ولو شئنا لقلنا بعد ذلك كله لأعداء المرأة وأعداء أنفسهم ممن جرى عرف الصحف والكتاب فى هذه الأيام على تسميتهم (أنصار المرأة) : إن المرأة لا تصلح للكد وممارسة الأعمال العامة صلاحية الرجل . لأنها بحكم تكوينها تحيض أسبوعا ، فى كل شهر ، وهى حالة تكاد تكون مرضا يخرجها عن مألوف عاداتها . وهى بعد ذلك إن حملت ظلت تعاني فى الشهر الأولى من حالات (الوحم) وما يلازمه من أسقام . ثم إنها تعاني فى الشهور الأخيرة من ثقل الحمل الذى يقيد حركاتها حتى يكاد يشلها . فإذا لم تكن المرأة العاملة متزوجة كانت مشغولة بالبحث عن الزوج ، معرضة للزلل والتفريط عند كل

بارقة من الأمل في الظفر به . وهى لا تعدل عن ذلك ولا تنصرف عنه إلا لعلة قد تكون شرا من البحث عن الزوج وأخطر .

وقد زعم أعداء المرأة المتسمين بأنصارها أن لزومها للنزل انتقاص لحقوقها وقتل لشخصيتها واعتداء على كيائها . ومن قلب الأوضاع أن نسمى المصون المخدم المكفى الحاجة سجيناً حسب ما توهم صاحب (تحرير المرأة) كما يبدو من عنوان كتابه ، وقد عاشت المرأة ما عاشت مكرمة معززة مدلة حاكمة على زوجها من خلف ستار ، ولم تحس يوماً أنها مهضومة الحق أو أنها مضطهدة أو سجيننة أو مهددة الكرامة والشخصية ، حتى ظهر ذلك النفر من الكتاب فأحل الصراع والتنازع بين الجنسيتين محل التواد والتراحم ، ومن عجب أن الذين حملوا اللواء في الدعوة إلى ما يسمونه (حقوق المرأة) كانوا من الرجال ولم يكونوا من النساء ، ولم يكن من وراء صنيعهم إلا إفساد الحياة على المرأة والرجل كليهما ، ذلك لأن الحياة تحتاج إلى طمأنينة توفر للناس السعادة والاستقرار ، وثورة النساء والرجال كل منهما على الآخر تحل القلق والبغضاء محل الطمأنينة والحب ، بين الجنسيتين اللذين أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل بينهما مودة ورحمة ينبني عليهما عمران السكون وحفظ النوع البشرى ، والمجتمع السليم يقوم على التواد والتراحم وعلى إخلاص كل عضو فيه لوظيفته وقيامه بها راضياً لا يمل ولا يتذمر ، فهو كالجسم الذى ينصرف كل عضو فيه إلى أداء عمله ووظيفته ، لو توقف أحد أعضائه عن أدائها أو تمرد عليها لاختل . فالله سبحانه وتعالى قد (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) . فهياً كل فرد ، بل كل ذرة ، من نبات أو حيوان أو جماد ، لوظيفة معينة ، وركب فيه من الطبائع ما يناسبه ، وصرفه لأدائها ، وعلى ذلك تقوم حياتنا الحديثة في كل شئونها وفي كل نواحي الصناعة والعلم فيها ، فهى تقوم على التخصص الدقيق الذى يتيح دقة المعرفة وحذق المراتنة لكل عاكف على فرع بعينه ، والتربية الحديثة تحاول أن تكتشف مواهب الأطفال والصبية لتوجه كلا منهم فيما يلائم استعداداته وتكوينه ، فلماذا نطبق هذين المبدأين - التخصص والعمل المناسب - في كل شيء ، ونأبى أن نطبقهما في الرجل والمرأة ؟

والرجل الذى يكد ويجهد نفسه ويرهقها في العمل خارج البيت محتاج إلى زوجة مترينة متعطرة ناعمة البال يأنس بها ويسكن إليها مما يجده من عناء ، وتسرى عنه بعض ما يمتريه من السأم والإجهاد ، وما يترك عنف التعامل مع الناس في نفسه من آثار

الضيق والملل ، وكدح المرأة في ميادين الأعمال العامة يصرفها عن رعاية الزوج والولد كليهما لا شك في ذلك ، لأنها تعود إلى البيت مكدودة مرهقة كالرجل ، فأيهما هو الذى يسرى عن الآخر ؟ وأيهما هو الذى سيمتسح صدره لمداعبة البتين واحتمال ما لا بد أن يحدث من تربيتهم وضييق مرحهم ؟ وهل تصبح الحياة عند ذلك إلا عناء وشقاء للمرأة وللرجل كليهما ؟ وهل يصبح الفرد - رجلا كان أم امرأة أو طفلا - إلا ترسا من تروس آلة صماء في حياة لا سكن فيها ولا قرار ؟

ويستطيع كل ذى لب وبصيرة أن يدرك آثار الفشل الذى حاق بتجارب المجتمع الأوربي والأمريكي في هذه الناحية . مع أن هذه الآثار لم تبلغ بعد منتهى مداها ، ولا تزال سائر عقايلها في الطريق . فهذا الجيل الغربى من التائمين والضائمين المحطى الأعصاب المبلبل الأفكار القلقى النفوس ، وهذه النسبة الآخذة في الارتفاع - حسب إحصاء الغربيين أنفسهم - للانحراف والشذوذ بكل ضروبه وألوانه ، هذه الظواهر والآثار كلها هى من آثار التجربة التى خاضها الغرب فى المرأة ؛ لأن هؤلاء جميعا هم أبناء العائلات والموظفات الذين عانوا من إرهاق أمهاتهم وهم فى بطونهم ، ثم تعرضوا لإهمالهن بعد أن وضعنهم . وماذا يبتغى الناس من تجربة فاشلة كهذه ؟ ألا يتدبرون ؟ !

وللفلسدين والخدوعين ممن يسمون (أنصار المرأة) حجج ومزاعم أكثرها مبنى على المغالطة . وأشهر مغالطاتهم فى ذلك ما يزعمونه من أن عكوف المرأة على منزلها فيه تعطيل لنصف المجتمع . وقولهم هذا مبنى على أن المرأة ليس لها عمل فى المنزل . والواقع أن وظيفتها فى تدبير شؤون البيت ورعاية الزوج والولد وقضاء حاجاتهم المتنوعة تستغرق كل وقتها لو أدت على وجهها . بل إن وقتها يضيق بها فى بعض الأحيان . والدليل الذى يخرس كل لسان على صدق ما نقول هو أن العائلات يحتجن دائما إلى توظيف الخدم من النساء والرجال لسد النقص الناشئ عن تخليهن عن وظيفتهن . فأى شئ تكسبه الدولة إذا كانت المرأة تخرج للعمل وتربط مكانها شخصا أو شخصين تعطلها عن العمل ؟ أين هو الكسب الاقتصادى المزعوم ؟ وهل هذا إلا الخلل عينه ؟ تشتغل المرأة خارج البيت بأعمال الرجال ، ويسقط من حساب الأيدى العاملة رجل أو رجلان يقومان بأعمالها فى المنزل ، ويسقط من حساب الدارسين والمشرعين جيل مضيع لا يقام لأضياعه وزن فى ميزان المكسب والخسارة ؟ ! ولو صح أن الاستفادة بنصف المجتمع المعطل هى الدافع الحقيقى

إلى توظيف المرأة لوجب أن يستوعب العمل كل المتعطلين من الرجال قبل أن يسمح لامرأة واحدة بتولى عمل من الأعمال العامة .

ومن مغالطاتهم كذلك أنهم يتصيدون الأمثلة لمن نبغن من المسلمات في بعض فروع العلم أو شاركن في القتال ليقيموا بهن الدليل على مطابقة دعوتهم للشرع ، والواقع أن للمرأة حقاً غير منكور في طلب العلم إن كان فيها استعداد له ، ولم ينكر أحد أن هناك بعض الوظائف التي تلائمها كتدريس البنات وتطبيب النساء ، ولم ينكر أحد حق المرأة في السعي الشريف للرزق إن دعتها إلى ذلك ضرورة ، والإسلام سمح ، قد أباح للضرورة أشياء كثيرة ، حتى الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ؛ فرفع الإثم فيها عن المضطر في أكثر من موضع من القرآن الكريم (البقرة ١٧٣ ، المائدة ٣ ، الأنعام ١٤٥ ، النحل ١١٥) . بل لقد رفع الإثم عمن أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان (النحل ١٠٦) . واشتراك المرأة في القتال هو من باب الاستثناء الذي تدعو إليه الضرورة ، وهو في حدود الأعمال التي تلائم المرأة كالترييض خلف صفوف القتال ، ومصدر الخطأ والخلط في ذلك كله ناشئ عن وضع الاستثناء والشذوذ موضع القاعدة والأصل ، واتخاذ أعمال الأفراد حجة على الشرع نفسه .

ومن مغالطاتهم التي ابتدعها قاسم أمين وتابعه فيها كثير من الناس أنهم يقولون : إن بين النساء نابغات وبينهن عانسات وبينهن من فقدت الزوج والعائل . فلماذا لا يشارك هؤلاء في الأعمال العامة في الحياة ؟ وليس كل ما يقولونه إلا أعذاراً وحيلاً لتتجمل لفتح الباب تمهيداً للزحف . إن الذي يسمح لقدمه أن تنزلق خطوة واحدة في أول الطريق لا يدرى إلى أين تسوقه قدماه وإلى أين ينتهى به المسير . إن مدمن الخمر قد سمح لنفسه أولاً بجحالة الشاربين ، ثم سمح لنفسه بأن يشاركهم النقل ، ثم تدرج من ذلك إلى مشاركتهم في قليل من الشراب لا يبالغ به حد الخلط وفقدان الإحساس ، ولم يزل يخطو في كل مرة خطوة من بعد خطوة حتى أصبح مدمناً ، وكذلك الشأن في المرأة وفي كل أمر ، ومنح صنف من النساء حق الاشتغال بالأعمال العامة هو الانزلاق في أول الطريق الذي يجر إلى السماح لسائر النساء بهذا الحق كما أثبتت التجربة . لذلك كان علينا أن نضع للأشياء حدوداً لا نسمح لأنفسنا بتخطيها . لأن المسألة في لبها وفي صميمها هي : ما هي

وظيفة المرأة ؟ ولأن التشريع إنما يوضع دائما للائتم للأغاب ، ثم ينفذ على كل الناس بلا استثناء .

ومن مغالطتهم كذلك أنهم يعتقدون بأن نزول المرأة إلى ميدان الأعمال العامة قد أصبح أمرا واقعا وقاعدة مقررة . وينبغي لهم أن يعرفوا أن الحق واحد لا يتغير . ومهما يتقدم العهد على الباطل فسيظل باطلا . ومهما يجر العمل على غير الحق فسيظل الحق هو هو وإن حاد عنه كل الناس . ثم إنه لا يبقى على توالى الأزمان إلا الحق ، لأن الباطل زهوق لا تدرم له دولة . والحق هو الناموس ، هو قانون الله الذى لا يتبدل ، هو فطرة الله التى فطر عليها الخلق ، هو ما ركبه الله سبحانه فى طبائع الأشياء حين أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، وناموس الله ثابت لا يتبدل « ولن تجسد لسنة الله تبديلا » . ولكن الذى يحول ويزول هو المعاند لسنة الله وفطرته . والذى يعارض الناموس ويخرج على الفطرة كالوعل الأحمق الذى وصفه الأعشى قديما حين قال :

كنناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

إن الأرض لا تستطيع أن تخرج على ما رسم لها من مدار ، والليل لا يسبق النهار . وكل كوكب يدور فى فلكه ، وكل كائن يسير فيما رسم له من منهج ومن طريق . والفطرة التى فطر الله عليها كل واحد من خلقه فأعطاه خلقا خاصا وأقامه فيما أراد ، هى جزء من الناموس ، وهى بعض إرادة الله سبحانه . والأمانة التى يحملها كل واحد من خلق الله هى أن يبذل قصارى جهده فى أداء الوظيفة التى أقامه الله فيها . وليس من شىء فى خلق الله إلا هو متقاد لإرادة الله سبحانه وتعالى مسلم لها ، يسبح خالقه بأداء الدور الذى رسم له فى استسلام لإرادته ، تجدد ذلك فى النحل وفى النمل وفى الحيوان كله وفى النبات بضر وبه والدواب بأنواعها ، وفى الكواكب والأجرام وفى مختلف الظواهر . ولا يشذ عن ذلك إلا الإنسان الذى ميزه الله عن سائر خلقه بالعقل ، فحمل بذلك أمانة لا يحملها أحد من سائر خلقه ، فهو إن استخدم هذا العقل فى طاعة الله بلغ به عمله حدا لا يبلغه شىء من خلق الله ، وإن شرد به عقله فى غير سبيل الله ضل وهوى إلى قرار سحيق . والله سبحانه هو المسئول أن يهديننا إلى أقوم طريق ما

الدكتور محمد محمد حسين

التفرقة العنصرية

يقضى على الألفاظ بالاضطهاد والعبودية فتنتزع منها خواصها وميزاتها كما يقضى على الأفراد والأمم ، فنحن نسمع في هذه الأيام كلمة (التفرقة العنصرية) يقصد منها اختلاف الألوان من بياض وسواد وحمرة ، وما هذه إلا أسماء مخترعة ، ومدلولات مختلفة لا تمت إلى المدلولات اللغوية بنسب ولا سبب فيما نعلم في بعض اللغات . فالعنصر في حقيقته عند الفلاسفة هو المادة التي تتكون منها جواهر الأشياء ، وقد أدرك الأقدمون بعضها ، وما زال العلم يكتشف المجهول من العناصر حتى قاربت الثمانين عنصرا وآخرها عنصر الراديوم الذي اكتشفته مدام كورى . فهل اختلاف اللون اختلاف في عنصر وجوهر أم اختلاف في عرض ولون ؟ وأي منطق نحتكم إليه وأي قانون نستمد منه الحكم وترجع إليه الأمم المغلوبة على أمرها في فهم مدلول التفرقة العنصرية ؟ فلا قانون يرضى عن هذه التسمية ، ولا عرف يستسيغ هذا الوضع ، اللهم إلا قانون واحد هو قانون الاستعمار والاغتصاب والسلب والنهب ، فهو الذي يحكم بما يشاء ويقضى بما يريد ، لا واد لحكمه ولا معقب لقضائه ، سلطانه نافذ واستبداده قائم ودائم ، فهو الذي يحرم على وزير دولة من الدول الملونة أن يأكل في مطعم عام في دولة من الدول البيضاء . فالمستعمرون يعطون للفوارق البسيطة مظهرا عظيما ليرتبوا عليه فوارق كبيرة جدا ، ليصلوا عن هذا الطريق إلى حرمان الأفراد والأمم من أهم مميزاتها ، حتى يمنعوا الملونين من اتمثال مناهل العلم والعرفان ، تكبرا من السادة البيض أن يجلسوا في معاهد العلم بجوار مسترقيهم من السود . وليت هذا قد حصل في القرون المظلمة والقرون الوسطى ، كلا بل حصل في النصف الثاني من القرن العشرين قرن ازدهار الحضارة والرقى ، فسياسة الاستعمار الغاشمة قادرة على أن تجعل اختلاف اللون مانعا من تمتع الإنسان بحريته بل وبانسانيته وكرامته وعزته ، وسياسة الاستعمار الجبارة الطاغية قادرة على قلب الحقائق والمغالطة وتسمية الاسترقاق والاستعباد للأمم والشعوب استصلاحا وتعميرا ورقيا وحضارة ، فهي تمتص دماء الشعوب وتسلب أرزاقها ، وتزعم أنها ترفع مستوى معيشتها وتأخذ بيدها إلى طريق التقدم والنهوض ، تحرم عليها التعلم وتدعى أنها تقودها إلى الثقافة والمعرفة ، وتجلب لها الأمراض والأوبئة الفتاكة ، وتزعم أنها ترفع مستواها الصحي وتبني لها وسائل القوة

الجهانية . فمنطق الاستعمار دائما . منطق معكوس يقلب الأوضاع ويغير المعايير والمقاييس ويبدل قيم الأشياء . ولقد قضى لهذا المنطق أن تحكم به أمم متعددة ، وأما كن كثيرة وبلاد شاسعة من العالم رزحت تحت نيره أحقابا طويلة ، فلقد كان فيما غير من الزمان إمبراطورية ألمانيا ، استعمرت تنجانيقا والشمال الشرقي من غينيا الجديدة والجنوب الغربي من إفريقيا ، وكان هناك استعمار بريطاني بسط ذراعيه على المحيط الهندي وعلى كثير من بلاد الشاطئ الإفريقي ، وكان هناك استعمار هولندي جثم على جاوه وسومطرا وجميع أندونيسيا ، بل كان يقال : إن أملاك بريطانيا لا تغيب الشمس عنها ، وكان هذا القول يذكر بخطاب أحد أمراء المؤمنين لسحابة رآها في السماء فقال لها : امطري حيث شئت فان محصول غلاتك سيصل إلينا . ولكن أين ذهب هذا كله ؟ إنه تبيد وتناثر وأصبح هباء ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ويقول عز من قائل : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » ولا ينكر أحد أن قولة أمير المؤمنين قولة صدق وعدل لأن بلاده كانت تتمتع بحقوقها كاملة غير منقوصة لا ظلم فيها ولا بغى ولا عدوان ، وقولة بريطانيا قولة بفسور وظلم وطغيان لأنها تستعمر البلاد كرها واغتصابا وسلميا واتهابا ، فشتان ما بين المقاتلين .

إن الوعي العالمي ومصارعة الشعوب في سبيل الحصول على حقوقها الطبيعية قد ضيقت الآن على الاستعمار الخناق ، وقصت أجنحة بغيه ، وقوضت أركان جبروته وهدمت دعائمه ، فلا يستطيع بعد الآن أن يعيد سيرته الأولى من طغيان وتجبر وخطرة مهجها اتخذ من وسائل المكر والخداع والمراوغة حتى في أروقة الأمم المتحدة - التي نصبت للحفاظ على حقوق الإنسان - تحاول بعض الدول فيها أن تقف حجر عثرة في طريق دعوة الحق وقولة الصدق .

فها هي مصر ومعها ثمان وخمسون دولة في اللجنة السياسية للأمم المتحدة تتخذ قرارا باستنكار سياسة جنوب إفريقيا في التفرقة العنصرية ، وإهمال تنفيذ القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة ، ورأت فيها تعديل السياسة المجافية للاسواة والحرية وللإنسانية فيما يختص بالتفرقة العنصرية ، ولقد كانت المعارضة لهذا القرار من جانب الدول الضليعة في الاستعمار وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وأستراليا وبلجيكا والبرتغال ، وحجة هؤلاء أن مثل هذه

المواضيع لا تبحث في الهيئات الدولية ؛ لأنها مسائل داخلية تحملها الدول بنفسها داخليا ولا سلطان عليها لأحد من الخارج ، فهم يريدون أن تقف هيئة الأمم موقف المتفرج على ما يجرى في بعض الدول من انتهاك حقوق الإنسان التي أسموها الحقوق المقدسة والتي لم يمس على إعلانها غير عشر سنوات فقط ، وقد جاء في ديباجة إعلانها ما يأتي : « بما أن الاعتراف بكرامة بنى الإنسان المتأصلة ، وبحقوقهم المتكافئة الثابتة هو أساس الحرية والعدالة والسلام في العالم . وبما أنه قد نجم عن إغفال حقوق الإنسان وازدراءها أعمال وحشية أثارت سخط الضمير الإنساني ، وأعلن الناس أن أسمى ما تصبو إليه نفوسهم هو إيجاد عالم يتمتعون فيه بحرية القول والعقيدة ، ويتحررون فيه من الخوف والعوز ، وبما أن حماية حقوق الإنسان بحكم القانون أمر ضرورى حتى لا يدفعه بأسه إلى الثورة على الظلم والطغيان ، وبما أن توثيق العلاقات الودية بين الشعوب قد أصبح أمرا بالغ الأهمية وبما أن شعوب الأمم المتحدة قد أكدت من جديد في ميثاقها إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقيمتها وبحقوق الرجال والنساء المتساوية ، واعتزمت العمل على زيادة التقدم الاجتماعى ، ورفع مستوى المعيشة في ظل حرية شاملة ، وبما أن الدول الأعضاء قد أخذت على نفسها عهدا أن تكفل بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية احتراما عالميا واقعيما ، وبما أنه من الأمور البالغة الأهمية أن يفهم الناس جميعا هذه الحقوق والحريات كي يتيسر الوفاء بهذا العهد وفاء كاملا ، لذلك تعلن الجمعية العامة هذا الإعلان العالمى بحقوق الإنسان ليكون مثلا أعلى للجميع تسعى شعوب الأرض وأممها نحو بلوغه . وعلى هدى هذا الإعلان وبوحى منه ينبغى لكل فرد ولكل عضو في المجتمع أن يحصل - بوسائل التربية والتعليم - على زيادة احترام هذه الحقوق والحريات ، وأن يستعين بالتدابير التقدمية - القومية منها والدولية - ليكفل الاعتراف بهذه الحقوق والحريات والمحافظة عليها محافظة فعالة سواء بين شعوب الدول الأعضاء نفسها ، أو بين شعوب البلاد الواقعة تحت حكمها » .

ديباجة مشرقة واضحة تطمئن كل غيور على حقوق الإنسان ، وتدخل الثقة على النفوس المفزعة من طيفان الإنسان على أخيه الإنسان ، وتنزع الوحشية الضارية من نفوس من أحبوا السيطرة والتعالى ، ممن يدينون بالفروق الجنسية والإقليمية ، وتألوه بعض الشعوب لوجودها في مكان معين على وجه الأرض ، أو مجاورتها لبعض البحار أو الأنهار أو غير ذلك من الاعتبارات الوهمية التي لا قيمة لها في شرعة العدل والإنصاف .

فالى متى هذا العدوان الصارخ على بنى البشر يا جمعية الأمم ويا مجلس الأمن، وإلى متى ترزح الإنسانية تحت هذه الأثقال من العذاب والهوان ، وأين توجد الحرية والإخاء والمساواة بلا تفاضل بين أفراد الإنسان وبلا تمييز لأحد على أحد ، اللهم إلا بمقدار ما يقدمه للبشرية من خير وما يسديه إليها من نفع فلا فضل لأحد على أحد بلون أو إقليم أو بجنسية من الجنسيات ... ! وإن من يطالع الثلاثين مادة التى صاغت فيها هيئة الأمم حقوق الإنسان ليعجب من حسن الصياغة وجودة السبك وتمام الاستقصاء لتلك الحقوق . ولكن وبالأأسف والحسرة والندامة هو بيان بالمسداد وعلى الورق فقط ، فإن الواقع فى جميع أنحاء الأرض لا يشهد بوجود أثر لهذه الحقوق ونحن لا نستطيع أن نذكر انتهاك حقوق الإنسان فى كل ناحية من نواحى الأرض ، بل نكتفى بذكر أمثلة صارخة من العدوان تقوم بها بعض الدول الاستعمارية العريقة فى العدوان وسفك دم الإنسان ، فقد حدث بعد صدور هذا الميثاق أن عرضت اقتراحات على بعض لجان هيئة الأمم تتصل بحقوق الإنسان وتدعيمها وتأكيدا ، فقال مندوب أمريكا : إننا نوقع على مثل هذه المواثيق ولا نلتزم تنفيذها لأن تنفيذها مستحيل علينا فى بعض الظروف والأحوال ! فهل هذه الإجابة تعد لإجابة جدية صادقة من شخص يؤمن بحقوق الإنسان ويؤمن بالمساواة والحرية لبنى البشر ؟ وأدهى من ذلك وأمر ما تعامل به سيدة البحار بريطانيا مستعمراتها ، فهى ترفض رفضا باتا مناقشة شئون مستعمراتها فى داخل الأمم المتحدة ، وتعد ما يتصل بتلك المستعمرات من الأمور الداخلية التى يكون محل بحثها من اختصاص الحكومة البريطانية دون غيرها بالرغم من توقيعها على ميثاق حقوق الإنسان ! وإذا طلبت حقوق الإنسان فى الجزائر ومدى احترام فرنسا لمستور حقوق الإنسان ، أجابتك عن ذلك الدماء المسفوكة والأشلاء المبعثرة والطائرات المغيرة والدبابات والمصفحات الطاغية الباغية ، وكل ذلك وأمثاله وأشد منه فظاعة وجرما يحصل على مرأى ومسمع من هيئة الأمم الحارسة لهذا القانون والقائمة على تنفيذه . وفى أمريكا ما يقرب من أربعة آلاف مدرسة لا تزال تصر على التمييز العنصرى بين المتعلمين ، وفى مقدمتها ولايات فيرجينيا وجورجيا وفلوريدا وآلاباما ، التى أنبأنا عنها أخيرا بعض الصحف بأن النيران قد تبودلت بين الملونين والبيض ، وكادت أن تقع حرب بين الفريقين بسبب المغالاة من السادة البيض فيما يطلبون من تكبر واستعلاء على مواطنيهم الملونين ، وتصر هذه الولايات وغيرها من ولايات أمريكا على عزل الأطفال الزوج وعدم اختلاطهم

بالأطفال البيض . ولو ذهبت تطالع الحال في جنوب إفريقيا لمالك الأمر واستولى عليك الذعر والهلج حينما ترى الفوارق الشاسعة في مستوى المعيشة بين أصحاب البلاد وأهلها وبين الدخلاء السادة المستعمرين . فأهل البلاد مسخرون لخدمة الغاصبين لا يتمتع الواحد منهم من العيش إلا بمقدار ما يجعله أهلا لخدمة سيده ؛ ليحقق الرفاهية ورغد العيش لمولاه . ومن فظائع ما يعامل به أهل جنوب إفريقيا أن المستعمر يخرجهم من البقاع الصالحة المخصبة ويطوح بهم في الصحارى المجردة الخاوية ؛ ليجعل مكانهم الغرباء الذين يجلبهم للمشاركة في السلب والنهب وأخذ الغنائم . وكيف يسمع الناس بعد صدور حقوق الإنسان في وثيقة عالمية أن في كينيا مناطق سكنية للأوروبيين لا يدخلها الوطنيون إلا خداما ، ويذكرنا هذا الوضع بما كانت تفعله الإمبراطورية الرومانية القديمة فقد كانت تقسم العالم إلى قسمين : رومانيين لهم كل الحقوق والامتيازات وليس عليهم واجب لأحد ، وبرابرة عليهم جميع الواجبات والالتزامات وليس لهم أى حق يتمتعون به أو يطالبون به ، فعليهم الفلاحة والزراعة والخدمة ليوفروا جميع أنواع المتع والملاذات لأسيادهم ، حتى لقد كان الفلاحون ياحقون بالأرض عند بيعها وشرائها لافرق بينهم وبين السوائم من الأنعام ، فأين كل هذه القوانين وأين مكانها من قانون السماء وتعاليم الشرائع ؟ أين هذا من قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وأين هذا من قول خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « ليس لعربي على عجمي ، ولا أبيض على أسود فضل إلا بالتقوى . كلكم لآدم وآدم من تراب » وقوله : « الناس سواسية كأسنان المشط » فليت حكام الأمم يرجعون إلى صوابهم ويحسبون عقولهم فيما يفصلون فيه من قضايا تتعلق بالشعوب المغلوبة على أمرها فلا يسيمونها سوء العذاب ، ولا يسلبونها حقها الطبيعي الذي تملكه بمقتضى الفطرة . ولقد نادى المنصفون بالتعايش السلمي بين الدول لتقوم كل منها بالواجب نحو غيرها كاملا غير منقوص بلاشط ولا وكس ولا تخيف ، وتطالب بحقوقها وافرة دون نقصان ولا زيغ . فهل لبث هذه الدعوة النفوس الشريرة المطبوعة على حب السيطرة والتي استولت عليها شهوات الجاه والنفوذ الاستعماري ؟

حقا لقد راوغت في ذلك أكثر دول الاستعمار في تلبية هذا النداء ، وتلونت تلون الحرياء وكففت حينما من الزمن عن شروها وآثامها وجرائمها ، ولكن لم يكن هذا الفعل منها إلا تحفزا واستبدادا لشر عظيم وبلاء كبير ، ينزل بالضعفاء في كثير من بقاع الأرض ،

فتمّ تمر بعض الدول الكبرى على اللغدر والحيانة والعدوان كما حدث ذلك أثناء العدوان الثلاثي على مصر ، وكما هو حاصل الآن من تآمر بعض الدول الكبرى على العدوان بسوريا . ولقد كان الضمير العالمي ويقظة العالم الحر حاجزا قويا وسدا منيعا من وقوع الكارثة المدمرة للعالم وهي الحرب الثالثة التي لا تبقى ولا تذر لو وقعت ، فهي الفناء بعينه وهي الفاقة التي تقصم ظهر الإنسانية وتوردها موارد الهلكة العامة الشاملة .

فلو أن المبادئ القويمة لاقت ما تستحق من عناية وتحمس لأمنت البشرية عوامل الدمار والهلاك . وإن مما يحدد الأمل ويوجد الطمأنينة داء العقلاء حينما بعد حين بمبادئ العدل والسلام البشري ، وأن الحق لا بد أن ينتصر والعاقبة للمتصالحين ما

عبد الله مصطفى المراغي

قواتنا الجوية في ٢٥ سنة

ولدت القوة الجوية المصرية في سنة ١٩٣٢ ، وكانت تتألف من ٣ طيارين و ٤٨ جنديا بضباطهم وكل ما تملكه خمس طائرات من طراز هينلاندوموث .

وفي أواخر سنة ١٩٥٢ وكانت ثورتنا في الشهر السادس من حياتها ذهب صحفي إلى مطار المظلة وطلب من قائد المطار تصوير مجموعة من الطيارين أمام طائراتهم ، فقال له القائد : لا يمكنني أن أجمع لك أكثر من عشرة طيارين وخمس طائرات ماتيور وفابير .

والآن لمناسبة مرور ٢٥ عاما على القوات الجوية المصرية ذهب الصحفي إلى نفس المطار وطلب من قائد القوات الجوية نفس الطلب ، فقال له : كم تريد ؟ مائة طيار ، مائتي طائرة ميسج ؟ إن القاعدة أمالك ، صور كما تشاء ...

توحيد بدء الشهر القمري الشرعي في جميع الحكومات الإسلامية

ورد إلى مشيخة الأزهر من مصلحة المساحة المصرية الرد على مذكري الخاصة بإمكان هذا التوحيد فلكيا وشرعيا والمنشورة في جزء ربيع الأول الماضي من مجلة الأزهر ما يأتي: بالإشارة إلى كتاب سيادتكم المؤرخ ١٤٠٤ سبتمبر سنة ١٩٥٧ بخصوص المذكرة الفلكية المقدمة من الأستاذ محمد أبو العلا البنا «الخاصة باثبات الأهلة بالحساب» نتشرف بالإحاطة بأن الطريقة المتبعة في حساب أوائل «الشهور العربية» في النتائج والتقاويم الحكومية هي أن الشهر يبدأ في الليلة التالية لاجتماع القمر والشمس ، بشرط أن يغرب القمر بعد غروب الشمس « نظرا » لأن رؤية الهلال تتوقف على أمور متغيرة « كمدة مكثته و مقدار نوره وحالة الجو » . . . فانه يحدث أحيانا ألا تتفق الرؤية والحساب . كما يعرّب على حركة القمر حول الأرض ألا تتفق أوائل الشهور العربية في العالم الإسلامي لانساع رقعته . . .

كما أن الاقتراح المقدم من الأستاذ الشيخ محمد أبو العلا البنا لتوحيد أوائل الشهور العربية في العالم الإسلامي ، ولتهيئة الظروف التي تمكن من رؤية الهلال بأن يكون الحساب على أساس شروط معينة لمدة مكث الهلال ومقدار نوره وارتفاعه . . .

هذا الاقتراح يؤدي إلى أن لا يؤخذ بالرؤية استنادا إلى عدم بلوغ الهلال الشروط التي أوردتها سيادته . والسلام عليكم ورحمة الله « ما
المدير العام

وأقول : إن رأى المساحة في هذه الإفادة يتضمن الرد على مشروع « توحيد بدء الشهر الشرعي بأربع شبه بنيت كلها على أمور بدائية لاتمس ماعلايه المحققون من الفلكيين الشرعيين ومن فقهاء الشريعة الإسلامية من البحث السامي في هذه المسئلة الشائكة ...

ومع ذلك فلا بد من تعرضنا لبيان فساد هذه الشبه وكذا بعض تعبيرات جاءت مخالفة في هذه الإفادة في تنبيهات ستة :

« التنبيه الأول » في الرد على وصف المذكرة الفلكية الشرعية المقدمة منى إلى الأزهر بأنها (خاصة بإثبات الأهلة بالحساب) ... أقول : إن هذا الوصف من المساحة تشويه لهذه المذكرة وتحويل لمقصدى منها الذى هو (إمكان توحيد بدء الشهر القمري شرعيا وفلكيا) مع أنه لم يرد فيها أصلا ما يدل على أن من رأى « إثبات الشهر بالحساب كما أنى في الحقيقة لست مع من يقول بأن الحساب يكون مناطا لإثبات الشهور الهلالية . وأن نص ما قلته في المذكرة بشأن الحساب الفلكي ما يأتى : (لا كلام في أن الشارع إنما أنط إثبات الشهر بأحد أمرين لا ثالث لهما : (١) رؤية الهلال مساء يوم ٢٩ بالرؤية ، (٢) إكمال الشهر القديم ثلاثين يوما - عند عدم الرؤية مساء يوم ٢٩ - بالرؤية دون إناطته بالحساب ... كما أنه لا كلام في أن الشارع لم يمنع الحساب الفلكي في ذاته بل حث على تعلمه وقد ثبت بالتجربة نفعه في تنظيم الرؤية ومساندتها) ... فهل بعد ذلك يقال إن هذه المذكرة (خاصة بإثبات الأهلة بالحساب) ... ؟

ألا تدرى المساحة أن معنى كلمة (إثبات الأهلة بالحساب) في عرف الشرع جعل الحساب مناطا لإثبات الشهر بمعنى أن يكون للقاضى الشرعى أن يحكم بثبوت الشهر ويأمر بالصيام أو الإفطار بناء على الحساب دون احتياج إلى ترائى الهلال أو رؤيته ، وهذا رأى وإن شذ بالقول به بعض الفقهاء ولكنه رأى موصوف بالضعف والجرأة على النصوص ، ولا زال الدفاع عنه غير مقبول ولا يصح الإفتاء ولا العمل به عند المحققين من الفقهاء والنصوص الشرعية في صفهم ...

« التنبيه الثانى » في فساد جعل بدء الشهر في الليلة التالية للاجتماع كما تأنزمه المساحة المصرية في حساب النتيجة الحكومية ...

إذ أن أصل هذا العمل اصطلاح هتيق قبل الإسلام كالاصطلاح الجدولى ،

والاثنان يجعلان بدء الشهر « الوضع الاجتماعى التقريبي » ، ولذا قد يتقدمان أو يتأخران يوما عن « الاجتماع الحقيقى » فضلا عن أنهما قد يقدا مان الشهر عن « الوضع الهلالى » يوما فى الأكثر ويومين فى الأقل ...

على أن تاريخ الحساب الفلكى يدل على أن بدء الشهر القمرى « بالوضع الاجتماعى » أصله معتقد اليهود من قبل الإسلام ولا زالوا يعملون به إلى الآن فى إثبات أشهرهم الدينية ، وقد نسخه الإسلام بالمدول إلى الوضع الهلالى : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » ، فإن غم عليكم فأكلوا عدة شعبان ثلاثين يوما » ، « لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه » ...

« التنبيه الثالث » فى فساد قول المساحة : « فانه يحدث أحيانا ألا تتفق الرؤية والحساب » ...

نعم قد لا تتفق الرؤية والحساب . ولكن أى حساب لا يتفق مع الرؤية ... ؟ إنما هو الحساب الذى يجعل بدء الشهر الاجتماع الحقيقى أو التقريبي . أما الحساب لإمكان الرؤية أو وجوبها طبقا للشروط المنقولة عن السلف من علماء الرصد والهيئة على ضوء الشريعة الإسلامية فمتفق مع الرؤية من غير كلام ...

على أن تسمية الشهر المبدوء من الاجتماع « بالشهر العربى » موهمة بأنه « شهر إسلامى يجوز اعتباره فى الأمور الدينية » وكثيرا ما كان سببا فى تخطئة عامة المسلمين بل وقضاتهم وحكوماتهم فى تعيين أوائل صيامهم وفطرم وأعيادهم - بند ٦ من المذكرة - .

وقد قلت مرارا : إن استمرار نتيجة الحكومة المصرية فى نشر الشهر المبدوء « بالاجتماع » وتسميتها له « بالشهر العربى » ومقارنته بالشهور الشمسية يوما بيوم ودفاعها عنه بأن رؤية الهلال متغيرة ومضطربة ولا يمكن اتفاقها مع الحساب وإجمال كلمة « الحساب » دون توضيح المراد منها بأنه الحساب للاجتماع دون الرؤية مع تقليد جميع أصحاب التقاويم والنتائج المصرية الأخرى لهذه النتيجة بصفتها الحكومية .

كل ذلك كاد يقضى على هذه الشعيرة الإسلامية الواجبة شرعا ونصا وهى بدء الشهر الدينى « بالوضع الهلالى » دون أى وضع آخر اجتماعى أو استقبالى للشمس والقمر ...

« التنبيه الرابع » في فساد دفاع المساحنة عن متابعة حساب الاجتماع في نتيجة الحكومة وغيرها « بصعوبة حساب الرؤية لتوقفها على أمور كثيرة متغيرة » ...

إن هذا الاعتذار بهذه العبارة مأثور أيضا عن القدماء في الجاهلية وفي أول الإسلام ممن لا يهمهم أمر الدين الإسلامي ، إلى أن وضع علماء الفلك الشرعي أيام النهضة العلمية الإسلامية « قوانين فلكية حسابية وجبرية مبرهنة من علوم الهندسة وحساب المثلثات المستوية والكروية » لمعرفة أحوال الرؤية الثلاثة وأوقات هذه الأحوال في جميع الآفاق واستنبطوا لهذه الأحوال بواسطة مولاتهم للرصد في مراصدهم الخاصة أو العامة (شروط لكل حالة) دون أن يمنعهم عن ذلك تغير الرؤية مستوعبين بهذه القوانين المبرهنة جميع أسباب التغير حتى صار الحساب للرؤية أضبط من الحساب للاجتماع ، ويشهد بذلك جميع كتب الحساب الفلكي التي بأيدينا ...

ولما حقق هؤلاء العلماء من فلكي الإسلام بالرصد والحساب الفلكي على ضوء الشريعة الإسلامية الحالات الثلاث وشروطها لحدود الرؤية بحيث لا تتعدها كما قدمنا (استحالة الرؤية وجوازها ووجوبها) استنبط محققو الفقهاء في ذلك العهد أيضا لكل حالة حكما شرعيا مناسبا . وقد نشرنا ذلك تفصيلا في مجلة الأزهر جزء رمضان سنة ١٣٧٦ .

« التنبيه الخامس » في الرد على قول المساحنة (إذ يترتب على حركة القمر حول الأرض ألا تنفق أوائل الشهور العربية في العالم الإسلامي لاتساع رقعته) . . .

وبيان هذا الرد من وجوه . « أولا » أن الشريعة الإسلامية لا تعترف بهذه الشهور المسماة « بالشهور العربية » وقد نبذ الإسلام من أول عهده بدء الشهور القمرية « بالاجتماع » سواء كان حقيقيا أو تقر بيا ولم يعتمد غير بدئها « بالهلال » ورؤيته .

ورأيي أن الرجوع إلى بدئها « بالاجتماع » وتسميتها « بالشهور العربية » دس على الدين الإسلامي وإعادة للمسلمين إلى العمل بأعمال الجاهلية بصفة أنها عربية .

« ثانيا » أن علماء الفقه الإسلامي لم يرغب عنهم أن يتكلموا في هذه المسئلة فنيا بأعمق ما يكون في علم الفلك فاننا نجد في كتب الفقه الإسلامي أبحاثا (لاختلاف مطالع القمر) بأوسع ما يكون منها في كتب الفلك حتى لا تمس الفقهاء أو علماء الأزهر حاجة إلى

التنبيه إليها يمثل هذه العبارة البدائية (يترتب على حركة القمر حول الأرض ألا تتفق أوائل الشهور العربية في العالم الإسلامي لاتساع رقعته) .

ولأننا كلام فقهاء الإسلام في « اختلاف مطالع القمر » يعلو موقف المساحة البدائي هذا إلى بحث آخر هو : هل اختلاف مطالع القمر معتبر عند الشارع كاعتبار مطالع الشمس بحيث تترتب عليه أحكام شرعية كما ترتبت على اختلاف مطالع الشمس أو ليس بمعتبر . ؟ هذا محل الكلام وليس لرجال مصلحة المساحة مجال الكلام في هذا المقام لتغايره جدا عن معلومات قسم المثلاثات بالمساحة ولم يكن مقصد الأزهر أن يسأل عنه من مصلحة المساحة . . .

كما لا ينبغي لنا أن ندخل في مناقشات معا لأن محل النقاش في هذا الموضوع يتعلق بعلمى (الفقه وأصوله) وليس من اختصاص رجال المساحة .

« ثالثا » أن المراد من قولنا (توحيد بدء الشهر الشرعى) توحيد اليوم الأول من الشهر في جميع الحكومات الإسلامية لا توحيد الجزء الأول من اليوم الأول من الشهر لأن الأحكام الشرعية المتعلقة باثبات الشهور القمرية لم تتعلق بأجزاء الأيام الأسبوعية كتعلق وجوب الصلوات الخمس بأجزاء اليوم وهى حصصه الخمس ، ولأننا تتعلق « باليوم الكامل » إذ يقال صام يوما أو يومين ، وأفطر يوما أو يومين ، ويوم عيد الفطر ، وأيام عيد النحر ، وأيام النشرىق ، وأيام التلبية والتكبير والتهليل ، والحج يوم عرفة ، ولا يقال صام نهار اليوم أو عيد ليلة اليوم أو الحج نهار عرفة إلى غير ذلك .

« رابعا » أن من عنده أدنى دراية من علم الفلك أو الجغرافيا الفلكية لا يخفى عليه مشاركة جميع العالم فضلا عن العالم الإسلامى فى كل يوم أسبوعى كيوم السبت مثلا الذى هو مقدار دورة فلكية يومية (٢٤ ساعة) ومساكن العالم كله لا يفوتها أن تشارك فى هذه الدورة الفلكية ، حتى أن البلاد القطبية لا يفوتها أن تشارك سائر بلاد العالم فى يوم السبت هذا لوجود هذه الدورة الفلكية عندهم أيضا وإن تغيرت عندهم علامات الليل والنهار أو عدمت .

وبيان هذا الكلام يخفى عند ما نتصور أنه إذا دخل مغرب يوم السبت هذا فى شرق آسيا مثلا أعنى فى أندونيسيا والفلبين كانتا فى اللحظة الأولى من يوم السبت شرعا

بينما جميع العالم لازال في يوم الجمعة ، فاذا زحف هذا المغرب إلى بلاد الهند كانت هي الأخرى في اللحظة الأولى أو الساعة الأولى من يوم السبت بينا تصير أندونيسيا والفلبين في الثالثة منه .

فاذا زحف هذا المغرب إلى مصر ابتدأت في الساعة الأولى من السبت بينا صارت أندونيسيا في الساعة السادسة ، والهند في الرابعة والباكستان في الثالثة ، وإذا وصل هذا المغرب إلى مرا كش كانت في الساعة الأولى من السبت وصارت أندونيسيا والفلبين في الساعة التاسعة منه والهند في السابعة ومصر في أول الثالثة ، فاذا زحف إلى أمريكا صارت في السبت هي الأخرى ومتى وصل إلى أندونيسيا بالشأنى ابتدأ بها يوم الأحد بينا صائر كل العالم لم ينته حينئذ من السبت ، وهكذا نجد مشاركة العالم كله في كل يوم من أيام الأسبوع وفي كل دورة يومية فلكية لليوم الواحد . . .

وإلى هنا قد علم كيف تتفق أوائل الشهور القمرية الهلالية دون أى اختلاف في الأيام الأسبوعية ، وأنه ليس للمسلمين أى حاجة إلى أعمال الجاهلية ببدء شهورهم بالاجتماع كما تفعله المساحة في النتيجة الحكومية . . .

«التنبيه السادس» في الرد على ما بقى من إفادة المساحة . وهو قولها : (كما أن الاقتراح المقدم من الأستاذ الشيخ محمد أبو العلا البنا لتوحيد أوائل الشهور العربية في العالم الإسلامى ولتهيئة الظروف التى تمكن من رؤية الهلال بأن يكون الحساب على أساس شروط معينة لمدة مكث الهلال ومقدار نوره وارتفاعه . هذا الاقتراح يؤدى إلى أن لا يؤخذ بالرؤية استنادا إلى عدم بلوغ الهلال الشروط التى أوردناها سيادته) . . .

وأقول : إن هذه العبارة الطويلة تتلخص في الجملة الآتية « إن مراعاة هذه الشروط في نتيجة الحكومة تمنع من الأخذ بالرؤية » . . .

ومعناها أنه : « قد توجد رؤية الهلال قبل تحقق شروط الإمكان هذه فلا يؤخذ بها لعدم تحقق هذه الشروط » وتوضيحه : « أن الناس قد يرون الهلال ويتقدمون إلى القاضى للشهادة فيرفضها القاضى بحجة عدم تحقق شروط إمكان الرؤية » . . .

وأقول : من أين علمت المساحة أنه « قد يرى الهلال عند عدم تحقق هذه الشروط » مع أن القائل لها فلكيون شرعيون ثقات في الحساب والرصد والهيئة . وهل يجوز لرجال

المساحة أن يفرضوا هذه المخالفة دون أن يكلفوا أنفسهم تجربة رصد الهلال للتحقق من حساب نتيجتهم وموافقته للرؤية ولو مرة واحدة ...

غالب ظني أن منشأ هذا الاعتقاد لرجال المساحة ما كان يقع في بعض السنين الماضية من الشهادة بالرؤية ، وإثبات الشهر بناء عليها حالة أن حساب النتيجة لم يصل إلى ما ذكره المتقدمون الأولون بل كانت توجد شهادة في بعض الأحيان والمكث في الحساب لا يصل نحس دقائق ...

ولا أنكر أنى كنت كذلك لا أعترض إلا على شهادة الشهود عندما بين الحساب أن المكث أقل من (١٧ دقيقة) في القاهرة استنادا على ما كنت أنقله عن الشيخ الزرقاوى وصاحبي كتاب الهداية العباسية وغيرهم من فلكي قرننا هذا ...

ولكنى لما اكتشفت وتحققت أن هؤلاء الشهود قد يشهدون متمجوزين في شهادتهم لا بناء على رؤيتهم الهلال حقيقة ، بل بناء على حساب نتيجة الحكومة وموافقة جميع النتائج المصرية لها وإجماعهم على أن أول الشهر غدا . . .

لذلك قمت بجولة رحلات مع طلبة تخصص القضاء الشرعى وبعض العلماء الثقات إلى مرصد حلوان في إيامى الثلاثين من الشهر ، لنحضر عملية التماس الهلال وتراعى مع المترائين المندوبين من المحكمة العليا أو دار الإفتاء ، وقد كان ولم نر الهلال عند عدم الشروط المأثورة عن المتقدمين ، بل وقد تنبه القضاة من حينها هؤلاء الشهود الزور فلم يحصل بعد ذلك أن شهدت شهود حين انعدام هذه الشروط ...

وإذا نخطأ رجال المساحة في اعتقاد أن الرؤية قد تحصل قبل تحقق هذه الشروط سيده إثبات القاضى للشهر بناء على الشهادة الخطأ ، وسبب خطأ الشهود في شهادتهم قول رجال المساحة في نتيجة الحكومة : إن أول الشهر غدا مثلا بناء على حسابهم الخطأ ، فسبب خطأ المساحة في هذا الاعتقاد خطأهم في الحساب وعدم مراعاتهم الشروط المأثورة عن ثقات الفلكيين ، وكان خطأهم المزدوج سببا في خطأ الشهود والقضاة وعامة المسلمين .
ولجميع ما تقدم أقترح ما يأتى :

« أولا » إنشاء جهاز حسابى فلكى يعمل على ضوء الشريعة الإسلامية ، أعنى إيجاد جماعة من الموظفين في الدولة للحسابات الفلكية بحيث يؤمن تواطؤهم على الخطأ كشرط

محققى الفقهاء للوثوق بالحساب الفلكى ، وأن يعملوا تحت رعاية « هيئة شرعية » كادارة الأزهر أو إدارة المؤتمر الإسلامى ليكون عملهم دائما فى هذه الحسابات الشرعية مطابقا للقواعد الشرعية ...

بحيث تكون مهمة هذه الجماعة « حساب جداول عامة لجميع المسلمين فى بقاع الأرض لأوقات الصلوات الخمس وضبط أحوال رؤية الهلال فى جميع عواصم الدولة الإسلامية وكذا البلاد المهمة التى يمكن فيها رؤيته لمساعدة العواصم وعمل جداول أيضا لتعيين القبلة » .

« ثانيا » حظر نشر النتائج التى لم يؤخذ حسابها من هذه الجداول العامة والتى تجعل أول الشهر القمري « الليلة التالية للاجتماع » دون تحرى الوضع الهلالى كما سنبينه ...

« ثالثا » أن يراعى فى حساب الجداول العامة لأحوال رؤية الهلال الشروط الواردة عند الفلكيين الشرعيين محققى الرصد والحساب والهيئة ، واجتناب ماورد عن الفلكيين المحدثين علماء الحساب الفلكى فقط دون أن يتثبتوا فيما يبدونه من رأى فى هذه المسألة الشائكة بواسطة تكرار الرصد بأنفسهم . وخلاصة شروط المتقدمين كما يأتى :

(١) شروط لإمكان الرؤية بمعنى جواز وقوعها وعدم وقوعها - أن يبلغ كل من أقواس (مكث الهلال ومقدار نوره وارتفاعه سبع درج) أو أن يبلغ المتوسط الحسابى لهذه الأقواس (٨ درج) بشرط ألا يقل الارتفاع عن (٦ درج) فإذا نقص أحد هذه الأقواس ولو درجة واحدة تكون الحالة حينئذ حالة استحالة الرؤية .

(٢) شروط وجوب الرؤية بمعنى أن يكون الهلال واضحاً وضاء فيرى ولا بد أن يبلغ المكث (١٢ درج) والنور (١٠ درج) والارتفاع (٨ درج) وإذا نقص أحدها عن عدده المعين ولو درجة واحدة كانت حالة إمكان .

هذا ولما كانت الحكومات الإسلامية كلها واقعة فى قارتى آسيا وإفريقيا بحيث يمر عليها مبدأ اليوم الشرعى فى نحو تسع ساعات وهو مقدار لا يؤثر فى توحيد الصيام والفطر والأعياد وسائر المواسم الدينية كما تقدم .

لذلك أقترح أيضا أن تراعى هذه الشروط فى أبعد حكومة إسلامية نحو الغرب وهى مراكش فى النتائج التى تنشر لتكون هلاية عالمية هادية للمسلمين لا مضللة لهم .

بحيث إذا بين الحساب حالة وجوب الرؤية في مرا كش ليلة الاثنين مثلاً يوضح في النتيجة أن أول الشهر يوم الاثنين وإذا بين الحساب استحالة الرؤية في مرا كش ليلة الاثنين يجعل يوم الاثنين من الشهر القديم ويوضح أن يوم الثلاثاء هو أول الشهر الجديد ، وإذا بين الحساب حالة إمكان الرؤية بمعنى جواز وقوع الرؤية وعدم وقوعها يرجأ تعيين أول الشهر بيوم الاثنين أو الثلاثاء وترك الأمر لنفس الرؤية الفعلية وينبه على ذلك في أول الصفحة الموافقة لأول الشهر من النتيجة .

وبذلك تكون النتيجة هادية إلى تحرى وقت التماس رؤية الهلال ومنظمة لها لأنه في حالة تبين الوجوب في مرا كش تكون الرؤية في غير مرا كش من بلاد الحكومات الأخرى ممكنة ، بمعنى الجواز وقريبة من الوجوب في هذه الليلة وصح للكل أن يلتبسوها في بلادهم قبل وصول المغرب إلى مرا كش ، ومن رأى من هذه البلاد وحكم قاضيا - أبرقت الحكومة إلى الجميع بحكم القضاء ...

وأما في حالة مبدأ إمكان الرؤية في مرا كش فبالطبع تكون مستحيلة في غيرها مما تختلف مطالعه عنها ويلحق بهذه الحالة ما يكون في مرا كش قريبا من الوجوب إذ في هذه الحالة تتسع رقعة الإمكان وربما عمت جميع الحكومات في بعض الأحيان وهذا كله سيبينه الحساب .

« الأمر الثالث مما أقترحه » .

أن يسمح لجماعة من هواة علم الفلك من خريجي الأزهر أن يتخصصوا في مادتي الهيئة والميقات ضمن أقسام تخصص المادة في الأزهر لينالوا شهادة في هذه المادة ويكونوا بعد التخرج مرجع الفتوى في الأمور الشرعية الفلكية وأساتذة التدريس فيها وليسدوا حاجة الدول الإسلامية في الوظائف المناسبة لعلم الفلك ويا لها من حاجة في هذا العهد ، نسأل الله التوفيق لجميع المسلمين ما

محمد أبو الهول البنا

أستاذ الفلك في تخصص القضاء

بكلمة الشريعة

(المجلة) جاءتنا هذه المقالة في الشهر الماضي ، ولطولها وكثرة المواد المعدة للنشر في الجزء الماضي اضطررنا إلى تأخيرها لهذا الشهر ، فنرجو المَعذرة .

مصادر الشريعة الاسلامية

الاستصحاب

تعريفه : الاستصحاب في اللغة استفعال من المصاحبة وهي الملازمة وعدم المفارقة ، يقول صاحب المصباح ، وكل شيء لازم شيئاً فقد استصحبه . قال ابن فارس وغيره ، واستصحببت الكتاب وغيره جعلته صحبتي ، ومن هنا قيل : استصحببت الحال إذا تمسكت بما كان ثابتاً كأنك جعلت تلك الحالة مصاحبة غير مفارقة ، وعند أهل الاصطلاح من الأصوليين : الحكم ببقاء أمر في الزمن الحاضر بناء على ثبوته في الزمن الماضي حتى يقوم الدليل على تغييره .

فكل أمر علم وجوده ، ثم حصل الشك في عدمه فإنه يحكم ببقائه بطريق الاستصحاب لذلك الوجود .

وكل أمر علم عدمه ، ثم حصل الشك في وجوده فإنه يحكم باستمرار عدمه بطريق الاستصحاب لذلك العدم .

فإذا تزوج شخص فتاة على أنها بكر ، ثم ادعى بعد الدخول بها أنه وجدها ثيباً لم تقبل دعواه إلا ببينة . لأن حال البكارة ثابت من حين نشأتها فيستصحب إلى حين الدخول حتى تقوم البينة على عدمه .

وإذا اشترى إنسان طائراً على أنه يحسن الصيادة ، ثم ادعى أنه وجده غير متعلم لها قبلت دعواه هذه إلا إذا قامت البينة على خلافها ، لأن الأصل في الحيوان عدم معرفة الصيادة حتى يدرب عليها . فإذا حصل النزاع فيها استصحب الأصل حتى يقوم الدليل على ثبوتها .

جاء في شرح مجلة الأحكام الشرعية لمحمد خالد الأناسي ما يأتي : لو اشترى شيئاً بشرط وصف مرغوب فيه ، فاختلفا في وجود الوصف وعدمه فعلى التفصيل : إن كان

من الصفات العارضة كالحيز والكتابة . فقال المشتري - ليرده - ليس كاتباً ، وقال البائع كاتب . فالقول قول المشتري يمينه لتسكه بالأصل ، وعلى البائع الإثبات ، ولو اشتراه بشرط أنه سليم من العيب بخاء ليرده واختلفا في وجود العيب وعدمه فالقول قول البائع لتسكه بالصفة الأصلية ، وهي السلامة ، وعلى المشتري الإثبات » [١] .

حجية الاستصحاب :

من يقرأ كتب الأصول المختلفة في هذا الموضوع يجد أكثر المؤلفين يحكي أقوالاً كثيرة للعلماء في حجية الاستصحاب بدون تفرقة بين نوع ونوع ، وأهمها ثلاثة أقوال وهي :
القول الأول : أن الاستصحاب حجة في الدفع والإثبات ، وهو مذهب الحنابلة والمالكية وأكثر الشافعية وطائفة من الحنفية منهم الإمام أبو منصور الماتريدي .
القول الثاني : أنه ليس حجة في الدفع والإثبات . وهو مذهب المتكلمين وكثير من الحنفية وبعض الشافعية . واختاره السكال بن الهمام في تحريره .

القول الثالث : أنه حجة في الدفع وليس حجة في الإثبات والاحتجاج به على الغير . وهو مذهب أبي زيد الدبوسي وشمس الأئمة السرخسي ونفر الإسلام من الحنفية .
ويذكرون الأدلة لهذه الأقوال ومناقشات المخالفين لها . وبعض الفروع الفقهية التي اختلف الفقهاء بناء على اختلافهم في حجية الاستصحاب كمسألة المفقود التي سيأتي الكلام عليها [٢] .

ونجد القليل منهم يورد أولاً ضروب الاستصحاب وأنواعه . ويحكي اتفاق العلماء على حجية بعضها واختلافهم في حجية بعضها . [٣] وهذا المسلك في نظرنا هو الصحيح

[١] شرح المجلة الأتاسي ج ١ ص ٢٨ . وانظر أيضاً فتح القدير ج ٥ ص ١٣٦ . والبحر الرائق ج ٦ ص ٢٦ . والأشياء والنظائر لابن نجيم ص ٢٥ .

[٢] راجع أصول السرخسي ج ٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٦ . والأحكام للآمدي ج ٣ ص ١٢٣ . ونهاية السؤل مع سلم الوصول ج ٤ ص ٣٥٨ وما بعدها وإرشاد الفحول للشوكاني ص ٣٠٨ .

[٣] انظر المستصفي للزالي ج ٢ ص ٢١٧ - ٢٢٢ . وجمع الجوامع بشرح الجلال المحلي وحاشية المطارد وتقرير العلامة الشريفي ج ٢ ص ٣٥٢ - ٣٥٧ . وإرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٠٩ . وأعلام اللوثة لابن القيم ج ٢ ص ٢٧ - ٣٤ .

في هذا الموضوع . لأن الاستصحاب من الأصول المتفق على حجيته والعمل به في الجملة .
والخلاف الحاصل بين العلماء في ذلك إنما هو اختلاف في بعض أنواعه . أو في تسمية
بعضها استصحاباً وعدم تسميته . كما تدل على ذلك المبادئ الفقهية التي بناها الفقهاء في
المذاهب المختلفة على هذا الأصل والفروع الفقهية المأخوذة منها . والتي سيأتي الكلام
على بعضها .

وسنسير هنا على طريقة هؤلاء العلماء فنورد أهم أنواع الاستصحاب . ونبين ما اتفق
العلماء على العمل به منها . وما اختلفوا فيه فيما يأتي :

أنواع الاستصحاب :

الاستصحاب - كما يؤخذ من تعريفه - لا يكون إلا في حكم قد دل على ثبوته في الزمن
الماضي دليل من الأدلة المعتبرة . ولم يوجد بعد البحث والاجتهاد ما يدل على تغييره عما
كان ، وباعتبار هذا الحكم ودليله الذي دل على ثبوته يتنوع الاستصحاب إلى الأنواع
الآتية :

النوع الأول : استصحاب الحكم الأصلي للأشياء . وهو الإباحة . عند عدم الدليل
على خلافه .

وذلك لأن المقرر عند جمهور العلماء . أن الحكم الثابت للأشياء النافعة للإنسان التي
لم يرد عن الشارع فيها حكم معين هو الإباحة والإذن . لقيام الأدلة العديدة على ذلك منها
قوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً [١] » وقوله جل شأنه « وسخر لكم
ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه [٢] » فان خلق ما في الأرض وتسخير ما يوجد فيها
وما يوجد في السموات للناس لا يكون إلا إذا كان مباحاً لهم . إذ لو كان محظوراً عليهم لم يكن
مخلوقاً ولا مسخراً لهم . وقوله سبحانه : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات
من الرزق [٣] » فانه سبحانه أنكر على من حرم ومنع زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به التي
خلقها لمنفعة عباده من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالخير والصوف والأوبار .
ومن المعادن كالخواتم والدروع . والطيبات من الرزق أي المستلذات من المساك

[١] آية : ٢٩ من سورة البقرة .

[٢] آية : ١٣ من سورة الجاثية .

[٣] آية : ٣٢ من سورة الأعراف .

والمشارب ومن لحوم الحيوانات وشحومها وألبانها : وهو يدل دلالة واضحة على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجمعات الإباحة والإذن [١] .

فإذا عرض أمر بحث المجتهد في تصرف حكمه من الأدلة السمعية أو القياس أو المصلحة فإن لم يظفر به هنالك حكم عليه بالحكم الأصلي الثابت للأشياء ، وهو الإباحة .

ومقتضى هذا الأصل أن كل ما يوجد في السكون من حيوان أو جماد أو نبات ولم يرد في الشرع ما يدل على المنع من تناوله واستعماله فإنه يكون مأذونا فيه . فإذا سئل الفقيه عن حكم حيوان أو جماد أو نبات أو أى عمل من الأعمال ولم يجد دليلاً شرعياً يدل على حكمه حكم بإباحته . بناء على أن الأصل في الأشياء الإباحة ، ولم يقم الدليل على خلافه .

وهذا النوع من الاستصحاب لم يخالف أحد من العلماء في العمل به ، وإن خالف بعضهم في تسميته استصحاباً .

النوع الثانى : استصحاب العدم الأصلى أو البراءة الأصلية كالحكم ببراءة الذمة من التكليف الشرعية ، والحقوق حتى يوجد الدليل على شغلها ، كإتلاف مال ، أو التزام . فإذا ادعى شخص ديناً له على آخر ، ولم يقم دليلاً على إثباته اعتبرت ذمة المدعى عليه بريئة من ذلك الدين ، لأن الأصل براءة الذمة حتى يقوم الدليل على خلاف ذلك [٢] وإذا أتلف رجل مالا لغيره واختلفا في مقداره أو قيمته كان المعتبر في ذلك هو قول المتألف إلا إذا أقام صاحب المال البينة على ما يدعيه ، لأن الأصل هو البراءة عن الزيادة فيتوقف ثبوتها على قيام الدليل [٣] .

وإذا اختلف الشريك مع شريكه في حصول الربح وعدمه . فادعى صاحب المال حصول الربح وأنكر الآخر حصول الربح كان القول له استصحاباً للأصل الذى هو عدم الربح إلا أن يثبت الربح بالبينة (٤) .

[١] راجع هذا الموضوع في نهاية السؤل مع سلم الوصول ج ٤ ص ٣٥٢ - ٣٥٨ .

[٢] الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٥٣ والمحاضرات الشرعية للشيخ يوسف راجى ص ٦٤ .

[٣] الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٢٣ . ومجلة الأحكام بشرح محمد خالد الأتامى ج ١ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ .

[٤] المرجعين السابقين ص ٢٥ ، ٢٧ و ٢٨ والمحاضرات للشرعية ص ٦٨ .

وإذا اشترى العامل صنفاً من البضائع فادعى صاحب المال أنه نهاه عن شراء هذا الصنف والتجارة فيه . وأنكر العامل ذلك كان قوله هو المعتبر في ذلك استصحاباً للأصل الذي هو عدم النهي [١] .

وهذا النوع أيضاً لم يخالف أحد من أهل العلم في العمل به .
النوع الثالث : استصحاب مادل الشرع على ثبوته ودوامه . كثبوت الملك عند حصول السبب الذي يفيد ، وثبوت الحل بين الزوجين عند جريان العقد الذي يفيد ، وشغل الذمة عند حصول الإلتاف أو الإلتزام [٢] .

فإذا ثبت الملك لشخص بسبب من أسباب الملك كالبيع أو الإرث اعتبر الملك قائماً - مهما طال الزمن - حتى يقوم الدليل على زواله بسبب طارئ .

وإذا تزوج شخص حكماً ببقاء الزوجية إلى أن يقوم الدليل على حصول الفرقة . وإذا استدان شخص مالا حكماً بشغل ذمته . واعتبرنا هذا الشغل ثابتاً حتى يقوم الدليل على براءتها .

وإذا توضأ شخص اعتبر وضوءه باقياً استصحاباً للحكم الشرعي وهو الطهارة الثابتة بفعل الوضوء بيقين . ويبقى هذا الحكم ثابتاً حتى يوجد ما يدل على زواله بيقين . وهكذا كل حكم دل الشرع على ثبوته عند وجود سببه الذي يترتب عليه فإنه يعتبر باقياً حتى يقوم الدليل على زواله .

وهذا النوع أيضاً لا خلاف بين العلماء في العمل به . وعليه بنيت المادة (١٨٠) من من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية السابقة ونصها « تكفي الشهادة بالدين ، وإن لم يصرح ببقائه في ذمة المدين ، وكذا الشهادة بالعين » والمادة (١٨١) ونصها « تكفي الشهادة بالوصية أو الإيضاء ، وإن لم يصرح باصرار الموصى إلى وقت الوفاة »

زكى العربي شعبان

الأستاذ المساعد بحقوق عين شمس

[١] الأشباه والنظائر ص ٢٥ .

[٢] شرح المجلة لمحمد خاله - ١ ص ٣١ .

عيد العلم

النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتعلم اللغة الأجنبية

استندت وزارة التربية والتعليم سنة حميدة باحتفائها بالعلم ، وإشادتها به ، وتقديرها له ، وتحديدها يوما جعلته له عيداً ، وهى بهذا تربط حاضرها المزهر بماضى الإسلام المجيد ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد الخير كله لأمته ، ويوجهها إلى ما ينفعها فى حاضرها ومستقبلها ، ويفيدها فى كل مناحى الحياة حتى تكون « خير أمة »

كان من أهم الأمور التى رآها النبي صلى الله عليه وسلم محققة لغرضه ودعوته ، العلم والمعرفة ، فالعلم أثره الذى لا يحصى فى تهذيب النفوس ، وثقيف العقول ؛ فلم يدخر وسعاً فى أن تكون أمة متعلمة مثقفة ، وأن تمسك بيدها مشعل النور والعرفان ليهتدى العالم بهديها ولتضىء له سبل الحياة المختلفة .

فلما كانت موقعة بدر ووقع كثير من الأسرى فى أيدي المسلمين ، سعى من كان منهم ذا مال أو كان أهله ذوى يسار إلى فك إيساره بالمال والفداء ، ولكن كان هناك شىء لا يقل أهمية عند النبي صلى الله عليه وسلم عن المال على الرغم من حاجته الشديدة إليه ، كان هناك العلم ، كان هناك العرفان الذى يريده مجد صلوات الله عليه لأمته ، ويريده للناس أجمعين ؛ لما له من خير للبشرية كافة ، وفائدة للإنسانية عامة ، فأعلن أن من يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة فك إيساره وأصبح حراً طليقاً ، فكان ذلك العمل الجليل والصنيع الفذ العظيم من مجد عليه الصلاة والسلام مبدءاً لنشر التعليم فى أمته وأساساً لمحو الأمية فى جماعته .

وكان من بين أولئك الذين تعلموا القراءة والكتابة على يد أسرى بدر فتى ألمعى من أهل المدينة هو زيد بن ثابت الذى صار له فيما بعد شأن من الشأن [١] .

[١] صار كاتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ومن أوفقه الصحابة وأعلمهم بمسالم الفرائض ، وهو الذى تولى كتابة الصحف فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه ، ورجو أن نوفق فى نشره وبلغنا فى تاريخه .

حث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على طلب العلم ، وحبيه إاليهم بما كان يتلوه عليهم من آى الذكر الحكيم التى كانت تحت على العلم وتظهر أثره ومنزلته من مثل قوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وقوله سبحانه : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ إنما يتذكر أولو الألباب » . وقوله عز من قائل : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وقوله جل شأنه : « وقل رب زدنى علما » . وقوله جل جلالته : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

كان يقول لهم : من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين (متفق عليه) . ويقول : ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة . رواه مسلم .

رغبهم فى العلم وفى تحمل المشاق والمتاعب فى سبيله وفى سبيل الاستزادة منه بمثل قوله : « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » . رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

أراد النبي صلى الله عليه وسلم لأمته أن تكون على بينة من معارف الحياة الدنيا ، وعلى علم من علوم الأمم الأخرى ؛ لما لذلك من أثر فى نشر دعوته وفى الدفاع عنها وإحباط ما يديرها من مكاييد ومؤامرات وما إلى ذلك مما يفيد فى دعوته .

وكانت هجرته إلى المدينة داعية لاتصاله باليهود واختلاط أصحابه بهم ، وكانت علاقتهم به على غير ما كان ينتظر من أهل الديانات السماوية ، ومن قوم بينه وبينهم ميثاق وعهد بحسن الجوار ؛ فقد ساءهم أن يروا الإسلام ينتشر ويسمو وتعلو رأيته ويدخل فيه الناس أفواجا ، فعملوا على السكيد للنبي صلى الله عليه وسلم بالمكر والخديعة تارة وبال حرب ومناصرة خصومه أخرى .

وما وافت السنة الرابعة من الهجرة حتى ظهرت الحاجة واضحة لتعلم لغة اليهود حتى يأمن شرهم ويعرف كيدهم ، ولا يمكن أن يتم له ذلك إلا إذا كان من بين يديه ومن أصحابه من يجيد لغة الغير ويحسنها ، فندب لذلك رجلا من أصحابه عرف بالذكاء النادر وقوة الحافظة والذاكرة ، وهو إلى جانب ذلك شاب عرف عنه الجلد والرغبة الملحة فى طلب العلم وهو زيد بن ثابت الذى اتخذته النبي صلى الله عليه وسلم كاتم السر وكتب الوحي .

ندب النبي صلى الله عليه وسلم زيدا لتعلم اللغة العبرية لئسد حاجة الدولة الإسلامية

الناسئة ، ويكفى النبي مغبة الاعتماد على غير ثقة في اتصالاته مع هؤلاء الذين صار لهم مخالطة ، وبينه وبينهم عهود ومواثيق ، وهم كما قلنا أهل كتاب سماوى وعلى أنارة من علم بديانات الأنبياء السابقين وشرائعهم ؛ فهم لذلك لهم شأن وخطر عظيم بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم ولدعوته .

بين النبي عليه السلام بعض جوانب المصالحة التي تعود عليه وعلى أمته من تعلم لغة الغير بقوله لزيد : « إنه يأتيني كتب من ناس لا أحب أن يقرأها أحد ، فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو السريانية ؟ فقلت نعم . فتعلمتها » .

وفي رواية ثانية لابن سعد في طبقاته عن زيد بن ثابت قال : « لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لى : تعلم كتاب اليهود فانى والله ما آمن اليهود على كتابي » (١) .

وهكذا أوضح لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن من تعلم لغة قوم آمن من شرهم . وقد روى هذه الحادثة كثير من المحدثين والمؤرخين بطرق كثيرة مما لا يدع مجالاً للشك فيها ، ومن رواها البخارى فى الأحكام وأبو داود فى العلم والترمذى فى الاستئذان وابن عساكر وابن الأثير وابن عبد البر فى ترجمة زيد بن ثابت .

إن نذب زيد ليتعلم العبرية حادث قد يقرؤه بعض الناس فيمر عليه من الكرام على اللغو ، ولا يعيره التفاتا ولكن الواقع أن له آثارا بعيدة المدى لا يمكنه كنهها ولا يكشف سرها إلا بالتأمل والتدبر .

وقد كشف لنا الرسول صلوات الله عليه وهو صاحب دين ومؤسس دولة عن بعض السر فى ذلك وبين أنه لا بد أن يكون من بين أصحابه من يعتمد عليه فى قراءة الكتب التي ترد عليه والتي لا يجوز أن يقرأها كل أحد .

وفى قراءة لغة الديانة السابقة وأخذها من مصادرها ، قطع السبل على أرباب هذه الديانات إن أرادوا تحريفا أو تغييرا فى ذلك الدين السماوى .

إذن فتعلم لغة أجنبية من الدين والدين .

هذا بالنسبة لجانب الدين ، أما بالنسبة لجانب الدنيا فيكفى أن نذكر أن من تعلم لغة

قوم أمن من شرهم ، واستفاد من علمهم وثمرة أذهانهم وعرفانهم وثقافتهم ، فتعلم لغة أجنبية يضيف إلى ثقافة الإنسان ومعارفه ثقافة ثانية ، ومعارف قيمة تعينه على حياته وتفيده في كشف أسرارها ومعالجتها .

وها نحن نرى اليوم كيف يفيد علماء العالم بعضهم من بعض ، ولولا تعلم اللغة الأجنبية لما أمكنهم ذلك .

وليس يضيرنا أن تكون هذه اللغة لغة قوم بيننا وبينهم مودة وسلم ، أو لغة قوم بيننا وبينهم حقد وحرب ، بل كان تعلم لغة العدو أجدى على الأمة وأكثر نفعاً كما يوضح ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لزيد : « تعلم كتاب اليهود ، فاني والله ما آمن اليهود على كتابي » .

أبو زيد علي
المفتش بالأزهر

« تصويبات »

في الجزء السابق

السطر الثالث من صفحة ٤١٦ (الصواب) : « وقوتها سبيل إلى تحسين النسل ، وداعية إلى إبراز أحسن خصائصه ، وأفضل صفاته ، كما أن فتور الشهوة وبرودها داعية إلى ضعف النسل » - بدلا من : وقوتها سبيل إلى ضعف النسل .

في هذا الجزء

السطر ١٣ من صفحة ٤٩٠ (الصواب) : دنيا أولئك المتصلفين - بدلا من : دنيا أولئك المتصلفين .

السطر ١٣ من صفحة ٤٩٨ (الصواب) : عادت مصر - بدلا من : عادة مصر .

السطر ١٢ من صفحة ٥٠٠ (الصواب) : نقل حرف الجر « من » لما قبل كلمة ابتعادها لتصير العبارة : إلى الخطر الذي يواجه أوروبا من ابتعادها .

تحديد النسل

فكرة صهيونية استعمارية

ضد مصر وشعوب الشرق الأوسط
وسيقضى عليها مشروع السنوات الخمس

كثر الكلام وخاصة في هذه الأيام في مشروع تحديد النسل وإزعاج الأمة من ارتفاع نسبة الزيادة سنويا في تعداد المواليد، ويقولون: إن هذه الزيادة لا تناسب مع إمكانيات الدولة ولا مع مواردها الطبيعية. ودخلت هذه الفكرة دخولا جديدا في أنفس الطبقات المثقفة وانتشر العمل على اتخاذ وسائل منع الحمل، وانتشرت كلمة فلانة حايشة نفسها وفلان حايش نفسه أى أنهم مانعوا أنفسهم باتخاذهم ما يمنع الحمل حتى أدى ذلك إلى حوادث إجهاض ووفيات ترتبت عليها قضايا جنائية، كل هذا من مفعول نشر هذه العقيدة السيئة بين الأوساط والنظر إلى كثرة التناسل على أنه حالة جاهلية وعمل رجعى، وكم يستعملون كلمة « رجعى » هذا السلاح الفاسد بغير حساب كاستعمال الأسلحة الفاسدة التى كانوا يغشون الأمم العربية بها في حرب فلسطين، ونشروا تقريرا مفزعا للسيد المدير العام لصحة بلدية الإسكندرية قال فيه: « من الواجب الآن النظر جديا في مسألة تحديد النسل، لأن الزيادة في المواليد بلغت ٢,٥ ٪ في مصر ». أى وعلى ذلك سيزداد تعداد القطر المصرى بعد ثلاثين سنة - إن لاحظنا عملية الأرباح المركبة في الحساب - إلى ضعف تعدادة، أى ستكون مصر أربعين مليونا أو خمسين مليونا.

يا للهول لكثرة تعداد مصر حينما تبلغ أربعين مليونا...! هذا أمر مفزع جدا يجب اتخاذ الوسائل الفعالة ضد الأمة المصرية أن تزداد، سيما كل بعضهم بعضا. ستضيق بهم الرقعة الزراعية بمصر، ستقع مجاعة، ستسد في وجوههم الهجرة إلى بلاد الله، ستضيق بهم أرض الله على ما رحبت. واشتد التهويل حتى دخل مجالس الأمة! حتى لقد وصى الدكتور أبو هيف مدير صحة البلدية بالإسكندرية الذى انهار من نسبة الزيادة في تعداد القطر المصرى أن لا يذيعوا تقريره خوفا من « البعبع الموجود في البلد » وهم رجال الدين. يالهول الأكار...! يالهول الأوهام...! يالهول النظر إلى رجال الدين في مصر...! الذين هم صمام الأمن والآداب والأخلاق والذين لا تنحسم الحروب العائلية في قرى الصعيد

وغيره إلا بوعظهم وكلماتهم الرحيمة التي تبدل الخوف أمنا، والذين أمثالهم في الأمم الأخرى لا يقول فيهم قائل مثل ما قال الدكتور أبو هيف...! على رسلكم أيها الكتاب الداهمون من هذه الطنطنة التي لا أعرف لكم فيها عذرا إلا هذه المقارنة التي تجدونها في نسبة الزيادة عندنا أكثر من نسبة الزيادة في البلاد الأخرى حينما تقررون الإحصائية . . . !

وأتم تعلمون أن الشعوب الأوروبية والأمريكية لا يكاد الرجل منهم يتزوج إلا عند سن الكهولة ، والمرأة كذلك ، والزواج الشرعى والنسل الحلال لا يوجد عندهم بمثل ما يوجد في البلاد الشرقية ، ونسبة العوانس عندهم هائلة ، وكما تقول تقاريرهم ٩٠ ٪ من نساءهم فيهم برود جنسى و ٤٠ ٪ من رجالهم عندهم عقم ، وهم عدا ذلك يتخذون أسباب منع الحمل بدرجته هائلة فلا يصح مقارنة الإحصائيات بيننا وبينهم مستندا لكم للفرق الكبير بين حالتهم الاجتماعية والأخلاقية وحالتنا ، وكما ينادى السيد رئيس الجمهورية دائما أنه يجب أن ينبثق الإصلاح عندنا من نفس بيئتنا ومن صميم أحوالنا ، لا نجعل الغرب إماما لنا في ذلك يجب أن تبطل هذه الخرافة وأن ننظر من جديد إلى حالتنا الاجتماعية التي تخالف الغرب في الأخلاق والعادات والآداب ، ونبنى عليها إصلاحنا الداخلى ونقضى على آثار الاستعمار الذى لا يريدنا أمة قوية كبيرة كثيرة .

ولو أن الأمة الانجليزية فكرت في توحيد النسل من أربعين سنة وهولات فيه هذا التحويل الذى نجده الآن في مصر يملا صحفها ، ويشيرون به النقاش بينهم وبين رجال الدين ليوسعوا هوة الخلف بين أبناء الأمة الواحدة ، الأمر الذى لا نجده في أمة أخرى ، أقول لهؤلاء الشغوفين بتقليد الغرب : لو أن الانجليز فكروا هذا التفكير من أربعين سنة لما كان لهم الآن نسب وصهر في أمريكا ، وأمة كبرى تناصرهم في الاستعمار وتناصرهم في العدوان على الشرق وعلى مصر ، فلماذا لا تكون مصر أمة كبرى وحينما تضيق بها بلادها يهاجر أبناؤها إلى البلاد الأخرى وتكون قوة لمصر في سائر بلاد الله .

إن القوة الدولية الآن إنما هى بالكثرة « وإنما العزة للكثرة » كما يقول الشاعر العربى ، وها هو الوعى انتشر والعلم ذاع ، وسيكون المستقبل للأمة الأكثر عددا لأنها ستكون أكثر عددا أيضا ، والغرب في انقراض لسوء الحالة الأخلاقية فيه وقلة الاهتمام بالزواج الشرعى والنسل الحلال ، فهم يفزعون من أمم الشرق الأوسط في تسكارها عنهم فيبشون عندنا هذه الأفكار ويتلففها الضعفاء من الصحفيين والكتاب في بلادنا باعتبارها أفكارا تقدمية .

فاذا باب الهجرة مفتوح على مصراعيه يا دعاة تحديد النسل...! فهو الذى يمتص الفائض ممن لم تسعهم رقعة مصر ، ولا رقعة المزروع فيها ، كما وسع هذا الباب - باب الهجرة - الفائض من أمم أوروبا الضيقة الرقعة عنا فهاجروا حتى عمروا قارة أمريكا ، ولم تضق بهم أرض الله . وها هو مشروع السنوات الخمس يا دعاة تحديد النسل قد أقبل ، وسيحتاج لملايين الأيدي العاملة ، وسيعمر مشروع السد العالمى ملايين الأفدنة ، فهل ستزرع نفسها هذه الملايين أم تزرعها أيدى مصرية تريدون القضاء عليها الآن وهم فى أصلاب آبائهم .

إن العلم الآن يهيب بمصر أن تصلح صحراؤها الغربية والشرقية ، وتستخرج ما فيها من كنوز ، هل تنتظر مصر أن تأتى البعثات من الغرب وتكتشف هذه الكنوز وتكتب التقارير لحكوماتها لتستعمر مصر مرة أخرى ، كما هو الحال فى الجزائر وتشبت فرنسا بها لأجل صحرائها وما فيها ؟ إن الغرب لا يطيق وجود الوعى ولا العلم فى الشرق ولا كثرة التناسل فيه وضخامة أممه ، لأن ذلك ليس من مصلحة الاستعمار ؛ لأن الاستعمار يريد أن يكون الشرق مستغلا له ، والأمم التى فيه على قدر ما يحتاجه من عمال لهذا المستغل . هذه حقيقة صارخة يعمل لها الاستعمار ، وأنتم يدعاة تحديد النسل فى مصر والأمم الشقيقة تساعدونه بكل قوتكم فيما يريد . فيجب أن تحولوا مجهودكم إليها الدعاة إلى تحديد النسل إلى تكثير النسل فى الأمة المصرية حتى تكون مائة مليون ، وتفتح مجاهيل إفريقيا كلها وتعبير علماءها وعمالها لشقيقها السودان الذى تفتح فيه الوعى وأخذ طريقه إلى الحضارة وأرضه تسع أضعاف أهله ألف مرة ، فلماذا لا يكون مهجرا للأمة المصرية حينما تزيد كما كانت أمريكا مهجرا للانجليز ؟

وها هى سيناء وقطر والحجاز وسائر جزيرة العرب تحتاج للإصلاح وتحتاج للأيدي العاملة ، ومصر ستصبح بلدا صناعيا أكثر منها بلدا زراعييا وستحتاج بجميع البلاد حولها للاستعانة منها .

وسيكون ذلك قوة لمصر كما أن العنصر الانجليزى فى أمريكا هو قوة لها ، والدم له حنان كما يقولون ، فدعوا إليها الدعاة إلى تحديد النسل هذه الديسة التى لبت عليكم ، وهى فى الأصل فكرة صهيونية استعمارية ، لأجل بقاء مصر أمة صغيرة ضعيفة ؛ لأن فى قوة مصر قوة للشرق الأوسط جميعه ، وهذا هو القضاء على الاستعمار فى الشرق وحرمانه من ماء الحياة الذى يعيش عليه الغرب ؛ من بتول الشرق الذى ذاق البؤس والفقر لما انقطع عنه حين العدوان على مصر ، ففكرة تحديد النسل فى مصر فكرة استعمارية قبل كل شئ ما

محمد عبد السلام القباني

حديث « تزوجوا تكثرُوا »

حديث نبوى صحيح

قرأت في عدد الجمهورية ٥٥٤ / بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ و ١٤ / ١٢ سنة ١٩٥٧ كلمة في الدفاع عن تحديد النسل ، واسترعى نظرى فيها القول : بأن حديث « تزوجوا تكثرُوا فانى أباهى بكم الأمم » مطعون فيه أو مدسوس على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يرد في الكلمة دليل علمى ولا نص شرعى مقبول في رد هذا الحديث الثابت لدى أئمة الحديث والفقه الذين رَوَوْه في كتبهم ومسانيدهم ومصنفاتهم الموثوقة ، والحقيقة أنه حديث مشهور ومعروف ورد في عدة روايات ثابتة في كتب الحديث النبوى الشريف ، بأسانيد صحيحة وحسنة فقد رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ١٠ ص ١٣٧ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انكحوا أمهات الأولاد فانى أباهى بهم يوم القيامة » : الحديث رقم ٦٥٩٨ قال شارح السند : إسناده صحيح وفي معناه حديث أنس مرفوعاً « تزوجوا الودود الولود فانى مكثركم الأنبياء يوم القيامة قال : الهيثمى في مجمع الزوائد ٤ : ٢٥٨ رواه أحمد والطبرانى في الأوسط وإسناده حسن : وأخرجه بن تيمية في المستقى ٣٤١٦ .

ورواه أبو داود في السنن ولفظه : « تزوجوا الودود الولود فانى مكثركم الأمم »
 ١ هـ ج ١ ص ٣٢٠ .

وعن معقل بن يسار الصحابى الجليل رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة فقال له : « تزوجوا الودود الولود فانى مكثركم الأمم » قال الحافظ المنذرى في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٧٠ - ٧١ : رواه أبو داود والنسائى والحاكم واللفظ له وقال : صحيح الإسناد .

وأخرجه ابن قدامة المقدسى في كتاب المحرر في أحاديث الأحكام ص ١٧٠ ولفظه

عن أنس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر « بالبائة »
« الزواج » وينهى عن التبذل نهيا شديدا ويقول : « تزوجوا الودود الولود إني مكاثربكم
الأنبياء يوم القيامة » رواه أحمد وسمويه وابن حبان ١ هـ .

ورواه البيهقي فى السنن بلفظ : تزوجوا فاني مكاثربكم الأمم ولا تكونوا كرهاينة
النصارى .

ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن معاوية بن حيدة عن النبی صلى الله عليه وسلم
قال : « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد واني مكاثربكم الأمم » أخرجهما السيوطى فى
الجامع الصغير ج ١ ص ٤٣٣ وج ٢ ص ٢٧ .

وروايته بلفظ « تناكحوا تسكثروا فاني أباهى بكم الأمم يوم القيامة » أخرجهما عبد الرزاق
والبيهقي عن سعيد بن أبى هلال مرسل . قال الحافظ ابن حجر فى بلوغ المرام ص ٢٠١
وله شاهد عند أبى داود والنسائى وابن حبان من حديث معقل ١ هـ .

وقد أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير رقم ٢٧٤٨ و ٢٧٥٠ وعزاه إلى ابن ماجه
ومسند أحمد ورمز له بعلامة الحديث الحسن .

وأخرجه العجلونى فى كشف الخفاء ج ١ ص ٣١١ باللفظ المشهور على الألسنة .

ومما سبق يتضح أن هذا الحديث ثابت بالأسانيد الصحيحة والحسنة، وأن النبى صلى
الله عليه وسلم ينصح رجال الأمة الإسلامية بالزواج، وترك التبذل والعزوبة، وأن يتزوجوا
المرأة الودود الولود ليكثر أتباع دينه الحنيف فيباهى بهم الأنبياء والأمم يوم القيامة .

والله الهادى إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

محمد صبرى عابدين

من علماء الأزهر الشريف

تحية وتهنئة وأمل . . . !

« بمناسبة تعيين فضيلة الشيخ محمود شلتوت وكيلًا للأزهر »

صادف اختيار فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت لمنصبه الجديد رضا من علماء الأزهر وطلابه ، وشاركهم في ذلك عارفو فضله في شتى أنحاء العالم الإسلامي . وفضيلته غنى عن التقديم ، فقد طبقت شهرته الآفاق ، ووصل حديثه إلى كل بيت ، وانتفع بعلمه العديد من تلاميذه وأذاعوه بدورهم على الناس ، وانتفع أيضا بعلمه المسلمون عامة كما وجدوا لديه دائما ، الحل لما يعرض لهم من شؤون دينهم ، يسوقه في غير موارد ، ولا التواء ، ولا مجاملة .

ومصر الناهضة لم يصلح من شأنها سوى السياسة الواضحة الحازمة ، التي اختطها لها الرئيس جمال عبد الناصر ، وعن طريقها تحررت سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وأصبحت ذات إيجابية فعالة في المجال الدولي .

وبقي لها بعد ذلك ، أن تسلم ومن ورائها العالم الإسلامي من الشرر المتطير ، الذي يقذف به قوم أفسدت ضمائرهم وخلقهم وأمزجتهم الثقافة المنحرفة ، فهم ينظرون إلى الإسلام بعيون أعدائه ، ويظلمون على الناس بين الحين والحين ، بما يثير شكوكهم في مبادئه السمحة ، ويستغلون سداجة المرأة وبراءتها ليخرجوها من كناسها العفيف ، لتكون لهم شيئا آخر غير الزوجة والأم لأولادهم ، باسم الحرية والحقوق المشروعة ... ! وتكلم منهم في أحكام الشريعة - في معرض الاستدلال السقيم - من لا يدري عن أحكام الشريعة شيئا ، فشرح وخرج ، ونفى وأثبت ، واختار من الدين ما اختار ، ورفض ما رفض ، وفرق بين الشريعة وأقوال الفقهاء في أمور متفق عليها ، الحق فيها ظاهر ، والحكمة واضحة ، وهم في كل ذلك يضمنون أحاديثهم - حين يحلو لهم ، أو حين يرتفع صوت بمعارضتهم - تهيجا على رجال الدين ، وتهكما على ما يقولون ، وبلغ السخف بأحدهم أن عقد - في حديث نشره - مقارنة بين رجال الدين والعلماء المخترعين ، وطالب الأزهريين بما لم يصل هو ومن على شاكلته إليه ، في أسلوب ينفي عن نفس أقفرت من القيم الروحية ، فبدت فارغة لا يصدر عنها إلا كل تافه ، وقد تصدى للرد عليه علم من أعلام الأزهر ، وضمن رده الحار المخلص قوله : « أيها الكتاب الدجالون ، أيها المؤلفون المضللون ، إن الأزهر لم يخترع الذرة ، ولا الصاروخ ، ولا القمر الصناعي ، فهل اخترعتموه أتم ، أو اشتركتم في اختراعه ، أو انتفعتم بنظريات المخترعين ، فاخترعتم

أشياء أخرى تخدم الإنسانية وتفيد العالم ؟ ... » إلى آخر ما جاء في حديثه المقدم بحمارة الإيمان وقوة الدين ، وصدق اليقين ... !

وليست من رسالة الأزهرين مهاجمة أحد ، عملاً بمنزلهم الدينية ، وحرصاً على اتحاد الصفوف ، ولكن - في الوقت نفسه - من الخيانة للأمانة الموكولة إليهم ، أن يسكرتوا على تلك السموم التي يريد لها بعض المارقين أن تسرى في بدن الأمة لتتقضى عليها ، عن جهل تارة ، وعن سوء قصد تارة أخرى ، وشأنهم في حالتهم الأولى كمن يحطم المصابيح ، ويطفئ الأنوار ، من حيث يظن أنه ينير الطريق ، ويضع على جوانبه المشاعل ... ! أقول : لم يبق بعد تحرر مصر هذا التحرر التام ، سوى القضاء على ما يعتورها من أفكار هدامة ، تلك الأفكار التي تهددها في دينها ومثلها؛ الأمر الذي يحتاج إلى حزم وعزم يصدران عن دين وخلق وعلم ، والذي قدرت حكومة الثورة خطورته وأثره على سلامة الجبهة الداخلية ، فأصدرت القرار الجمهوري بتعيين فضيلة الشيخ شلتوت وكيلًا للجامع الأزهر ، فإذا استبشر الأزهريون وغير الأزهرين خيراً بهذا الاختيار الموفق فلائنه يعني عندهم الكثير ... ! إذ هو إيدان بأن يحتل الأزهر مكانه اللائق به ، ويمكن من أداء رسالته الهادية الباعثة ، التي لا يجادل فيها إلا خاسر ، والتي يرقب نورها المسلمون في الآفاق القريبة والبعيدة ... ! وباختيار فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ شلتوت ، لهذا المنصب الخطير ، يكون قد توافر على توجيه الأزهر وقيادته شخصيتان عظيمتان ، لكل منهما ثقافتها الدينية الشاملة ، واتصالها الحصيف بختلف الآراء والنظريات والاتجاهات التي تنبعث من هنا أو تأتي من هناك ... ! وفي هذا الأمل كله في تجلية الشريعة الإسلامية بالوسائل المختلفة ؛ لتجد القبول الحسن لدى الغرباء عنها ، فضلاً عن أهلها ، مما يدفعهم إلى التمسك بأدائها والغيرة على أحكامها . وأحب ما نرجوه ويتمناه معنا كل مخلص أن يصبح الفقه الإسلامي بدلاً لنا عما يذكرنا بالمستعمر من آثار قانونية ، لا نزال نحتكم إليها - رغم تحررنا من كافة قيوده الأخرى - وفي شريعتنا التي هي عنوان قوميتنا كل الغنى عنها ... !

وبعد : فأسرة مجلة الأزهر يسعدها أن تقدم التهنئة خالصة للأزهر بوكيله الجديد . كما يسعدها أن تعلن : أن الترتيبات الكفيلة بنهوضها قد وضعت على يد فضيلته ، لتواصل جهادها على الوجه الأكمل ، وبالطريقة التي ترضى كل مسلم ، فتصبح المنار الهادي إلى أقوم سبيل ، والمعاون الناصح لحكومتنا الرشيدة ، التي ترحب بالآراء الصائبة السديدة ، وتبني وتحقق المشاريع البناءة المحيطة

ابراهيم محمد الوصيل
سكرتير التحرير

الأزهر المنشود...!

لم يزل يرن في سمعي من أصداء الماضي دوى العلم الذي كانت تتجاوب به جوانب الأزهر الرحبية ، فلا ينقطع إلا حين تقف هذه الحشود خاشعة في صلاتها ، ترتبط أرواحها ساعة من الزمن بالجلال الأكبر ، وبصاحب الجلال الأكبر ، فيطوى السكون هذا الرحاب الكبير وكأنما هذه الألوף المنبتلة قد تحللت إلى روحانية لا تسكن أجسادا ، وكأنما هي معاني الإيمان والخشوع والتقوى تضحها تلك المحاريب . . . !

ولم نزل تعبر وتستعبر أمام خيالي صور الماضي ، صور هذه الألوף المتباينة الألوان والألسنة واللهجات ، المترجمة الأرواح والعقول ، المتحدة المنهل والهدف ، التي طوت الأقطار والبحار ، واستعذبت مرارة الأسفار ، زاحفة بإيمانها لتزود من معين الأزهر الصافي ، ثم ليعود كل إلى أهله رسولا لمبادئ الإسلام السامية (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وهو لا يبغى من وراء ذلك أجرا ولا جزاء ولا شكورا . . . !

ولم نزل تتواهب أمام عيني تلك الثورات التي كانت تنفتح أبواب الأزهر ، فتنبعث فيها الأفواج الصاخبة مقتحمة أسباب الموت ونذره ، جارفة أمامها سلطان الغاصبين ، صاخرة من يران الطامعين ، فلا تسكن حتى يستسلم عتو العقاة ، وتخرب أمامها جباه الطغاة . . . !

إنها صور وذكريات ... ! إنها صور مشرقة يترجم إشرافها عن العزة الشاغحة ، والجلال السامق ، وإنها ذكريات تفور معها المشاعر ، وتضطرم الأحاسيس ، وتدمى القلوب أوتكاك . فأين نحن اليوم من كل هذا ؟ شغلتنا أموالنا وأهلونا ، وأهلانا التكاثر ، وسخرتنا المادة عبيدا لها حتى سخرت منا دنيانا . اللهم إنا جنينا على أنفسنا وجنينا على أزهرنا ، ولن نعود لنا أجدادنا أو نسترد في قلوب الناس مكاننا حتى يعود إلى الوجود الأزهر . ينظره المسلمون والذي يريده الإسلام ... !

يريد الإسلام الأزهر الذي تنبعث مناهجه من صميم الدعوة إلى الله ، ومما تحتاجه تلك الدعوة من ثقافات ومن لغات ، تأخذها الدعوة طريقها إلى الأسماع ، ومن قلوب مؤمنة

بهذه الثقافة ، ومؤمنة قبل كل هذا بالرسالة التي تحملها ، وبخطر هذه الرسالة ، وهذه القلوب أحوج ما تكون إلى تربية دينية صادقة ، تخلقها خلقا جديدا ، وتجعلها تعيش لله وتعمل في سبيل الله ... !

ويؤسفني أن أقول : إن ثقافة الأزهر اليوم في أعظم صورها تنجسه إلى تنقيف العقول ، ولا أثر فيها لتهذيب الأرواح . فنحن ندرس كتاب الله ونلم بكل ما فيه ولا نتأثر بشيء مما فيه ، ندرسه لدينا نصيبها لاهدى ننشده ، ندرسه دون أن نتعمق في آياته لنهذب نفوسنا بما تنطوى عليه من سمو وما تدعو إليه من خير ... !

وندرس حديث رسول الله عليه السلام ، فلا تخلق فينا هذه الدراسات الأثر الذي كانت تخلقه في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم ، ولاولدت أرواحا مثل أرواحهم ، تلك الأرواح التي جندت حياتها للدعوة ، وعاشت آمالها مع الدعوة ، وجعلت دينها لسانا صادقا للدعوة ، وإيماننا خالصا بالدعوة . فثقافتنا علمية تنبعث من العقول فتتلقفها العقول ولا تأخذ سبيلها إلى الأرواح لتصنع منها ما صنعت من أرواح السابقين الأولين ... !

يريد الإسلام الأزهر الذي يؤمن علمائه بخالقهم ثم بوجودهم وبكرامتهم وبرساتهم ، ويؤمنون كذلك بأنهم مجندون : أرواحهم وعلمهم وألسنتهم وأقلامهم لخير الإسلام والأزهر ، فلا تنحصر جهودهم في زمان ولا في مكان ، بل تنطلق من حدود الزمن المستأجر إلى غيره حتى تملأ زمنهم كله تهذيبا وتعلما وثقيفا ، كما يجب أن تنطلق هذه الجهود من مكان الرقابة الضيقة إلى رقابة الله والضمير ... !

ويريد الإسلام الأزهر الذي يتنافس طلابه في طلب العلم ، يبحثون مسائله ويناقشون مشاكه ويتعمقون في دراستهم ، ثم يفتحون قلوبهم وأرواحهم لما وعته عقولهم من علوم الدين وسيرة سيد المرسلين وكفاح المجاهدين السابقين . ولعل الأزهر بعد ذلك كله يرى جيلا جديدا قد انبعث من هذه الإشعاعات كلها فيمنطق في الدنيا هدى لمن طوتهم ظلمات ، الشكوك ، ولمن احتبست عقولهم بين أسوار التقليد ولمن عاشوا في مجاهل الدنيا لم يصلهم نور الإسلام ، ولم تسطع بينهم شريعة الإسلام ... !

ولعل الأزهر كذلك يرى في المستقبل بعونا جديدة ، تتغلغل في البلاد جميعها متحضرها وغير

متحضرها ، ولم يكن المال هدفها الأول الذى تطمح إليه ، ولم تكن وفرة الطعام والعيش والراح هى أمنيتها فى مهجرها ... !

وإن الأزهر يوم يلمس إيمان مبعوثيه برسالتهم ، ويرى تفانيهم فى أداء هذه الرسالة ، ويраهم مهاجرين من دنيا الخمول والجحود إلى الكفاح والجهاد ، ويраهم رسل سلام وإصلاح حينما حلوا ، ويраهم يتسابقون إلى رضوان الله ، ويتنافسون لخير الإسلام ، ويوم يراهم ينكرون أنفسهم ، ولا يمتنون بعملهم ، ولا يراءون فى كفاحهم ولا تطغيهم دنيا المظاهر ، يوم يرى الأزهر مبعوثيه وعلماءه جميعا كما يجب أن يراهم سيكون يوم وجوده ويوم خلوده ... !

أيها الأزهريون :

لقد نكرتكم اليوم دنياكم مجاهدين ، وعرفتكم قاعدين معوقين . نكرتكم أرواحا ، وعرفتكم أشباحا . نكرت فى نفوسكم ما تدعون إليه ، وعرفت فى قلوبكم ما تمنا الكون عليه . فهلا هزت صيحة البعث متبلدى الإحساس لينظروا حولهم الدنيا النائرة ، الدنيا التى لم يعد فيها عيش لحامل ولا مكان لهازل ... !

وهلا حركت إشراقة الفجر تلك النفوس الطامحة إلى البناء لتنتقل إلى بناء سلطانها قبل أن تغلب على مكانها ... !

إن الأزهر المنشود يريد بناء جديدا على أسس وطيدة من الإيمان .

ويريد أن يفسح المجال للكفايات لتعمل وتكافح وتبنى ، ويريد ألا يرى فى صفوفه الأولى هزيلا ولا ضيئلا ، ويريد ألا يرى فى طريقه تلك الأشوك التى تعوق انطلاقه .

ويريد أن يفتح علماءه صفحات جديدة من الكفاح الحر والرأى الحر والعمل الحر ... !

ويوم يطل الأزهر المنشود على هذه الدنيا فيغمرها بنور دعوته سيعرفه من نكره ، ويؤمن به من أنكره .

محمد محمد خليفة

المدرس فى معهد القاهرة

سلاح الطـيران

« في عيده الفضى »

يا فتية من بروج الخير مطلعهـم
شـبوا عن الطرق عشاقا لموطنهم
كانوا قليلا ورب العرش كثرهم
جابوا الفضاء نسورا غير عابثة
ودمروا الخضم جل الله ناصرهم
ليسوا من الجن لكن فعلهم عجب
قد حققوا المجد لم يبغيوا على أحد
كالعابدين طواهم خير معتقد
حتى غدوا كنجوم الليل فى العدد
بالخافيات وما فى السكون من عقد
وأطعموا البحر من حادوا عن الرشـد
كلا بل السـحر لم أنقص ولم أزد

* * *

يا ناشرين لواء العز أجنحة
هاتوا الكواكب نجلوها فقد علقـت
تحمى حمى الأهل والأوطان والولد
أنفاس غدر بصافى الضوء كاللبد

* * *

يا حاسب الغزو أسطولا تجهزه
إنا بنو النور لا خوف ولا حزن
لا تتعب النفس فالأفلاك من مددى
ولا طلاء يفر الناس كالزبد
نحميا على الحق تحدوننا ملائكة
والغرب فى غيه أعمى بلا سند

* * *

يا فتية قدموا لله أنفسهم
سيروا إلى المجد فالدنيا لكم تبع
ولم يبالوا بعيش ناعم رغـد
والله يمنحكم نصرا إلى الأبد

محمد كامل سـلى

مراقب المعهد الدينى بشبين الكوم

عيد النصر في ذكرى العدوان الثلاثي

هو العيد عيد النصر هلت بشارته
ودانت له الأيام وهي قريرة
وودت به الأعوام لو ظل ماثلا
فترنو له الدنيا ويبقى مخلدا
ويشدو به التاريخ من شرفاته
فما هو عيد بالثريات سحره
وطابت مجانيه وعمت مآثره
تزف به البشري وقد فاح عاطره
فلا شمس تنأى ولا الليل دائره
وتسعى له الأزمان وهي تسامره
ويملى على الأكوان ما هو ذاكره
ولكنه بالنصر عزت مناظره

* * *

يذكرنا العيد السعيد بساعة
وسلم إنذارا وفرق صحبة
ولم يكفه عاما وسبعين حجة
فأعقبه بنى وغدر وخدعة
ولكن هم الأحرار ردوا نذيرهم
تنكر فيها الغرب واشتد ماكره
وأنكر معروفا تجلت أوامره
قضاها على النعماء وهي تؤازره
يريد احتلالا كي تطاع أوامره
وقالوا: لنا مجد هنا لانقامره

* * *

فأصبح عدوان الثلاثة سافرا
أغاروا بآلاف من الأرض والسماء
وفي عابرات البحر ما ضاق بالعلاء
هنا طائرات كالعصافير تغتدى
على مصر كي ينفض في الشرق سامره
كأن نذير البعث دوت مزامره
من الجند حتى قيل: بالشرق كاسره
فتجيب نورا من سنا الشمس باهره

ومنها مظلات تدلت وأنزلت على مهج فاشتد بالحر نائره
فنادى جمال الشرق إن بلادنا حرام على رجس وإني لقاومه

* * *

وقاوم شعب في اعتزاز وقوة من الحق والدنيا تطل تناصره
ونادى نداء الأسد تزار للحمى وقام دفاعا لاتلين كواسره
وقال: هنا مصر، هنا الطهر والسنا هنا مصرع الباغي وفيه مقابره
فلا النيل يسقينا رحيقا ونصرة إذا لم نرد الغدر فيه خسائره
فهذى قناة في الحياة فداؤها تريد جلاء الرجس فاضت كبائره
فقامت عليه «بور سعيد» وأطبقت فصار هشيا لحمه وأظافره
ومن يك ذا حق وقوتل عنده فلا شك أن الله بالحق ناصره

* * *

لقد لقن الأعداء درسا وما رعوا حقيقة درس طال بالشرح آخره
وغرهم الآمال لئكن غرورهم سراب به الظمان تكوى سرائره
ألم يحسبوا أن العروبة أوقظت وأن بها شعبا من النور خاطره
ومن سيفه نار إذا الحرب أوقدت ومن كفه نبع إذا السلم عاطره
فلم يثنه وعد ومكر وخدعة ومن دأبه أن السلام منابره
رعى الله أحرارا بنوا مجد أمة كفهاها «جمالا» قد تسامت مفاخره
أقام لنا فضلا تسامى على تقى وأهدى جميلا لا تحدد أواخره
فاني بحمد الله أذكر فضله وإني عن الوطن العزيز لشاكره

مضى مهدي همداني

سكرتير معهد الزقازيق الديني

لغويات

بلغ محمد العقد الثاني من حياته

ينطق الناس (العقد) بكسر العين . وهم يذهبون إلى تشبيه العشرة والعشرين وما بعدهما بالقلادة تنتظم حبات الجوهر ؛ إذ كانت العشرة تنتظم أحادها ، وهكذا أخواتها . وقد يرشح بعض الكتاب هذه الاستعارة فيقول : إن محمدا لم يستوف حبات العقد الثاني من حياته .

وكننت أرتاب في هذا الشكل ، وأجنح إلى فتح العين في هذا الحرف . وكننت أرى أن العشرة - مثلا - أطلق عليها العقد إذ كان العاد يقف عندها ويعقد الحساب عليها ، وأيضا فإن هذا أتى من قبل طريقة للحساب عند العرب ، وهى الحساب بضم الأصابع ووضعها ، وكانت العشرة وأخواتها بعقد الإبهام مع غيره في أوضاع مختلفة . وورد في البخارى في قصة يأجوج ومأجوج في كتاب بدء الخلق : « عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وعقد بيده تسعين » . وعقد التسعين أن يجعل السبابة في باطن الإبهام ثم يضمهما حتى لا يبقى بينهما إلا خلل يسير . والسبابة الإصبع التى تلى الإبهام ، والمراد أن الذى فتح من سد يأجوج ومأجوج في وقت إخبار الصادق صلوات الله وسلامه عليه مثل هذا القدر اليسير . وجاء على هذه الطريقة قول الخليل [١] في انقباض كف البخيل :

كفك لم تخلقا للذى ولم يك بخلهما بدعه
فكف عن الخير مقبوضة كما نقصت مائة سبعه
وكف ثلاثة آلافها وتسع مئتها لها منه

وقد عانى أن أجد في دواوين اللغة بيانا شافيا ، فلم أظفر بنص صريح . ورجعت إلى المظان التى ترد فيها هذه الكلمة . وهاك ما وقفت عليه :

[١] أنظر أمرار البلاغة ص ١٢٣ . وانظر في الحساب بعقد الأصابع رسائل ابن طابدين

جاء في كتاب سيبويه ١٠٦/١ : « فإذا ضاعفت أدنى العقود كان له اسم من لفظه ، ولا يثنى العقد » . ويقول أيضا في هذه الصفحة : « فإذا بلغت العقد الذى يليه تركت التنوين والنون » ، « وكذلك العقد الذى بعده ، واحدا كان أو مثنى » . وقد ضبط (العقد) في هذه المواطن بفتح العين بضبط القلم .

وجاء في اللسان (نوف) : « وكل ما زاد على العقد فهو نيف بالتشديد ، وقد يخفف حتى يبلغ العقد الثانى . . . ولا يقال : نيف إلا بعد عقد . قال : وإنما قيل : نيف لأنه زائد على العدد الذى حواه ذلك العقد . . . » وضبط أيضا العقد بفتح العين بضبط القلم . وجاء في القاموس في مادة (نوف) أيضا : « وكل ما زاد على العقد فنيف إلى أن يبلغ العقد الثانى . . . » وقد ضبط (العقد) بكسر العين في النسخة المطبوعة بالمطبعة الحسينية المصرية في سنة ١٣٣٠ هـ ، وهذا بضبط القلم ، كما لا يخفى . وقد ارتبت في هذا الشكل فرجعت إلى مطبوعة بولاق سنة ١٢٧٢ هـ التى قام على تصحيحها الشيخان قطة العدوى ونصر الهورى ، فإذا (العقد) فيها بفتح العين ، وكذلك رجعت إلى مطبوعة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ فوجدت الضبط بفتح العين ، كسابقتها . ورغبة في زيادة التحرى رجعت إلى نسخة من القاموس مخطوطة سنة ٨٩٩ هـ مقروءة على نسخة المؤلف ، فوجدت الضبط بفتح العين وهذه النسخة محفوظة في دار المكتب المصرية تحت رقم (٣٤ لغة) .

وفي المخصص ١٣/٦٦ : « والنيف : ما بين العقدين منه » وفي ص ١٢٦ من الجزء السابع عشر منه : « فاجتمع في المائة ما افترق في عشر وتسعين من حيث كان عشر عشرات ، وكان العقد الذى بعد التسعين » . وضبط في الموضعين بفتح العين .

وبعد هذا أذكر أنه جاء في محيط المحيط : « العقود من الأعداد أولها العشرة وآخرها التسعون ، واحدها عقد » ، وضبط (عقد) بفتح العين ، ونقل عنه هذه العبارة بحروفها صاحب أقرب الموارد .

المشاعر : الحواس

أنكر بعض الباحثين استعمال (المشاعر) في الحواس الخمس ، وذكر أنها معالم العبادة ومواضع النسك في الحج ، ومنه المشعر الحرام ، وقد اعتمد في إنكاره على أن القاموس اقتصر على المعنى الثانى للمشاعر . فكان هذا حاديا لى على أن أنقل ما وقفت عليه .

جاء في الأساس : « وهو ذكيّ المشاعر ، وهي الحواس » . وفي اللسان :
 « والمشاعر : الحواس ؛ قال بلعاء بن قيس :
 والرأس مرتفع فيه مشاعره يهدي السبيل له سمع وعينان »

وفي تفسير البيضاوي عند قوله تعالى في سورة البقرة : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون » : « والشعور الإحساس ، ومشاعر الإنسان حواسه ، وأصله الشعر ، ومنه الشعار » ، وفسر الشهاب الإحساس بالإدراك بالحواس الخمس الظاهرة ، وذكر أن الشعور قد يأتي في معنى العلم ، وفسر الشعر الذي جعله البيضاوي أصل الشعور بالعلم الدقيق ، كما في قولهم ليت شعري . وفي حاشية الجمل على تفسير الجلالين في هذا الموضع : والشعور : إدراك الشيء من وجه يدق ويخفى ، مشتق من الشعر لدقته . وقيل : هو الإدراك بالحاسة ، مشتق من الشعار ، وهو ثوب يلي الجسد ، ومنه مشاعر الإنسان أي حواسه الخمس التي يشعر بها » .

ويؤخذ مما أوردته أن الشعور يرد للعلم وللإحساس ، وأن المشاعر : الحواس ، ولا يقال لوسائل العلم غير الحواس مشاعر .

وهنا يمن للباحث أن يعرف مفرد المشاعر . فهل هو مشعر بفتح الميم ، أو مشعر بكسرهما على لفظ اسم الآلة ؟ لم أقف على نص في هذا . والأقرب أن يكون بكسر الميم ، إذ الحاسة وسيلة للشعور والإحساس .

ويسوقني البحث في المشاعر - والشيء بالشيء يذكر - إلى ذكر شيء يتعلق بالشعور فالشعور - وإن كان يطلق على العلم - فهو أظهر ما يكون في الإحساس ، والإحساس قد يكون من غير العقلاء .

وأورد هنا نبذاً من كلام لأبي عليّ الفارسي نقله بن سيده في المخصص ٣/٣٢ « فقولهم شعرت ضرب من العلم مخصوص . فكل مشعور به معلوم ، وليس كل معلوم مشعوراً به ولهذا لم يجز في وصف الله تعالى ، كما لم يجز في وصفه دري ، وكان قول الله تعالى في وصف الكفار : (ولكن لا يشعرون) أبلغ في الذم (بالبعد) عن الفهم من وصفهم بأنهم لا يعلمون فان البهيمة قد تشعر من حيث كانت تحس فكأنهم وصفوا بنهاية الذهاب عن الفهم . وعلى هذا قال الله تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » فقال : (ولكن لا تشعرون) ولم يقل : (ولكن لا تعلمون) لأن المؤمنين إذا أخبرهم

الله تعالى أنهم أحياء علموا بأنهم أحياء ، فلا يجوز أن ينفى الله العلم عنهم بحياتهم ، إذ كانوا قد علموا ذلك باخباره إياهم وتيقنوه . ولكن يجوز أن يقال : ولكن لا تشعرون ، لأنهم ليس كل ما علموه يشعرونه ، كما أنهم ليس كل ما علموه يحسونه فلما كانوا لا يعلمون بحواسهم حياتهم - وإن كانوا قد علموا باخبار الله تعالى إياهم - وجب أن يقال : لا تشعرون ولم يحز أن يقال : ولكن لا تعلمون ، على هذا الحد .

استدراك على « التجريس »

ذكرت في لغويات الجزء السابق أن التجريس لم يرد في اللغة ، وهذا سهو ، فني القاموس (جرس) : « والتجريس : التحكيم والتجربة ، وبالقوم : التسميع بهم » . وترى أن الوارد أن يقال : جرس بفلان (أى سمع به وتدد) . وقد انحرف الناس فعدوا الفعل بنفسه ، فقالوا ، جرس فلانا .

محمد علي النجار

« استدراك »

في هذا الجزء

- السطر ١١ من صفحة ٤٩٣ (الصواب) : الثالثة - بدلا من : الثلاثة .
- السطر ٢٤ من صفحة ٤٩٥ (الصواب) : أوزينوا بدلا من : أوزيفوا .
- السطر ١٢ من صفحة ٥٥٣ (الصواب) : وأخرجه ابن تيمية في المتقى - بدلا من : وأخرجه بن تيمية في المستقى .
- السطر ٩ من صفحة ٥٥٤ (الصواب) : أخرجها عبد الرزاق - بدلا من : أخرجها عبد الرزاق .
- السطر ٢ من صفحة ٥٦٠ (الصواب) : الطوق - بدلا من : الطرق .

مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية الافريقية

عند مثول هذا الجزء من مجلة الأزهر للطبع التقت في القاهرة وفود ٤٦ شعبا تمثل ١٥٠٠ مليون من سكان آسيا وإفريقية ، وقد جاءوا إلى مصر ليواصلوا - في أعظم مؤتمر شعبي عرفه التاريخ - ما قام به مؤتمر باندونج قبل سنتين من تأييد حق الشعوب في الحرية والاستقلال وتقرير المصير . وقد خصص لاجتماعه قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة ، واختير لرؤاسته السيد أنور السادات ، وسنشر في الجزء الآتي - إن شاء الله - أهم قراراته وتوصياته .

تعليقات

مسابقة الرقص

في كلية الآداب بجامعة القاهرة

في الصفحة الأخيرة من الأهرام ٣ / ١٢ / ١٩٥٧ نبأ عن مسابقة في الرقص والغناء تقيمها كلية الآداب بجامعة القاهرة بين الشبان والفتيات من طلابها على أن تكون الجائزة للمتفوقين منحهم المجانية في التعليم .

وهذا النبأ يحمل في طيه ما لا يحتاج إلى تعليق على خروج كلية الآداب عن رعايتها للآداب ، وأحسب أن الأمة حينما أنشأت جامعتها ، وأنشأت فيها كلية الآداب لم يكن يخطر ببالها أن تصبح الكلية حربا على الآداب ، ومهبطا للغواية ، وشرعة للإباحية في ألوان متعددة .

كانت الأمة وثيقة الأمل في أن الجامعة من أول أمرها ستغنى أبناءها عن جامعات الغرب ، وستحميهم من مفاتن الغرب ، وتحفظ عليهم شرفيتهم ، وتقاليدهم السكرية ، وما قدرت الأمة لأبنائها في الجامعة غير تثقيف يشد من عزائمهم نحو المجد ، ويخلق فيهم العزة القومية ويغرس في قلوبهم الوطنية الجسادة ، ويعلمهم وهم في مرحلة التكوين كيف يكون الخلق الكريم وكيف تتوافر المبادئ السكفيلة بإنشاء مجتمع صالح تتمثل فيه الأمة المصرية في أكرم وضع قومي .

وفي سبيل هذه الأهداف رضيت الأمة عن طيب خاطرها بالإففاق في سخاء على الجامعة ، وإفاساح المجال لها في كل ناحية تتصل بالثقافة والإنتاج ، ومن بينها كلية الآداب .
وها نحن أولاء في مرتقب عزتنا القومية ، وفي أعقاب ثورة رشيدة قامت في وجه الفساد ، وأقامت نهضتها الحديثة على أنقاض العهد الماضي ، نرى مثالب التربية الاستعمارية ، ومفاتن الغرب التي سئمتها ونبذناها تعود فستفحل بلبنا في غير حياء ،

وتتبعجج في غير تراث ، ولا اكتراث بالمبادئ التي يفصح عنها الدستور ، وينادى بها في مسامع الأفراد والهيئات ، ويخفق بها علم النهضة على مشارف الوطن .

نرى كلية الآداب من حين إلى حين تطالعنا بما لم نكن نرضاه يوم كان الفساد متغلغلا دون أن يكفها عن ذلك توجيه من ذوى السلطة ، ودون أن تقيم وزنا للأوضاع التي ترتضيها الأمة ، وتنأى عما لا ترتضيه .

في العام الماضي جهر نفر من أساتذة الآداب بفكرة الوجودية ، وإنكار الإله والتنصل من الإيمان بوجوده ، وتبليت أفكار الشباب البسطاء فترة من الزمن ، ثم كانت مسابقة الجمال في السيقان بين أساتذة الآداب مما أثار امتعاض الجمهور لهذه المهزلة ولهذا التخنت الذي يبدو بين الأساتذة ويذاع بين أبنائنا في الجامعة .

وفي هذا العام بل في هذا الشهر (ديسمبر سنة ١٩٥٧) تعلن كلية الآداب عن مسابقة في الرقص والغناء بين أبنائنا وبناتنا في الحرم الجامعي ، وهذه طامة لا تحتمل ، ويزيدها وبالا على وبال أن تكون الجائزة للفائزين في هذه الميوعة منحهم المجانية على حساب الأمة .

وقد يكون في الجامعة من هم أولى بالمجانية لنبوغهم في العلم ، وحاجتهم إلى المال ومهما يكن ، فإن إنفاق المال في سبيل الغواية عمل لا تستسيغه مصلحة الشعب ، ولا يعد عملا جديا مسموحا به في ربوع العلم ، ولا يجوز مطلقا أن تحول ربوع العلم إلى كبريات للرقص نكتب هذا ونحن في لوعة من الأسى لذبوع الإباحية قديما وحديثا من كلية الآداب ، فما عسى أن يكون شأنها في توجيه الجيل الجديد إذا ترك لها أن تجترح كل يوم ما تراه تجديدا ، وتزعمه ثقافة ، وهي تحارب به الآداب وتخرج به عن كل مسلك رشيد ؟ ؟ سيقولون عنا ما يرضيهم من سخرية ، وسيزعمون أننا في عزلة عن الحياة ، وفي جهالة بمسالك التربية الحديثة .

ونحن لا نرى في تعاملهم شيئا من الرشد ، ولا في غوايتهم أمنا على الناشئة من أبنائنا ولا أمانة في التربية والتعليم .

وجريرة هذا كله تقع على من يبتدعه ، وعلى من لا يكفه بسلطانه ، وعلى من لا ينكره بيده وقلبه ولسانه ، وقد فعلنا فهل من مجيب ؟ ؟ .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الكتاب

عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير

اختصار وتحقيق العلامة الشيخ أحمد شاكر - الجزء الرابع - ٢٧٥ ص - دار المعارف بمصر

تقدم لنا التعريف بثلاثة أجزاء من هذا الكتاب . وقد صدر في هذا الشهر الجزء الرابع منه ، وأوله الآية ١٢٧ من سورة النساء « ويستفتونك في النساء ، قل الله يفتيكم فيهن » وينتهي الجزء بالآية ١٣٠ من سورة المائدة « لله ملك السموات والأرض وما فيهن »

وفي هذا الجزء (ص ٢٢٥) من نفائس التعليقات تصحيح فقرة منسوبة لمالك في قتل المحرم الغراب ومعارضتها بما صح عن مالك في الموطأ . وفي ص ٢٣٨ - ٢٤٠ تفسير لثلاث آيات من سورة المائدة (٩٧ - ٩٩) سما الحافظ ابن كثير عن كتابة تفسيرها . وفي ص ٢٥٩ التنبيه على كلام دسه أحد أعداء الإسلام فوقع في حباله أبو الهذيل الأودى إذ زعم ذلك الدساس أن نبي الله عيسى بن مريم كان يقرأ سورة تبارك وسورة تنزيل السجدة ، ليوهم أن في القرآن ما لم ينزل ابتداء على خاتم النبيين صلوات الله عليه . وفي ص ٢٦٢ تحقيق في خبر المائدة وتزولها على بنى إسرائيل وإن لم تذكر في كتبهم ، وأن عدم ذكرها في كتبهم لا يقتضى تأويلها كما فعل بعض المفسرين . وفي ص ٣١ تحقيق في توهين قصة رواها المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في آية « وما قتلوه وما صلبوه » ويرى الشيخ أحمد شاكر أنها من أوهام المنهال لأنها ليس عليها ضوء كلام ذلك العصر الزاهر بل لا تكاد ترتفع إلى مرتبة الاسرائيليات . وفي ص ٨٦ بيان أن المنسويين الآن للكتابين من ملاحدة اليهود والنصارى في أوروبا وأمريكا قد خرجوا من كل دين فلا يجوز إن يسموا بأهل الكتاب . وفي ص ٨٧ كلام على الإحصان والمحصنات وما ينزع إليه أهل الفجور من حملة الأقلام بتسمية

الإحصان « كبتا » وتسمية الحض عليه تخلفا ورجعية . وفي ص ١٤٦ - ١٤٧ بيان أن أحكام الحدود هي من صميم العقيدة ، وأن تعطيل الاستعمار العمل بها قد أشاع الإجرام في الأوطان الإسلامية حتى غصت السجون بالناس . ولو أعلن العمل بها لكانت الهيبة منها رادعة عن ارتكاب الجرائم كما هو واقع في البلاد الإسلامية التي تقام فيها الحدود . وفي ص ١٥٥ - ١٥٨ مناظرة بين أبي مجلز السدوسي التابعي وبين جماعة من قومه يذهبون مذهب الإباضية عن بعض الأحكام الذين كانوا يخالفون أحكام الشرع ولا يحكون بها فذهب ابن مجلز إلى أنهم عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبا ، ولا يعدون كافرين أو فاسقين . وقد احتج بعضهم بقول أبي مجلز للذين يبطلون العمل بالشرع ويعملون بشيء آخر يخالفه كشرية اليساق التي منها جنكزخان لخلفائه . وقد رد الأستاذ محمود شاكر على ذلك وقال إن هذا لا ينطبق على ما ذكره أبو مجلز . وفي ص ١٧٣ - ١٧٤ بيان لحكم العمل بنظام اليساق وما هو في حكمه ، وكلام على اليساق القديم واليساق العصري . وفي ص ١٦٥ - ١٦٨ كلام على آية « وأن احكم بينهم بما أنزل الله » وأنها قد رفعت التخيير في آية « فان جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » وقد نقل النص بذلك عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله . والكتاب مليء بأمثال هذه التحقيقات النفيسة .

آداب الزفاف في السنة المطهرة

للاستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - ٢٠٨ ص - مطبعة دار الفكر الإسلامي بدمشق

مؤلف هذا الكتاب من أفذاذ المشتغلين بعلم السنة في العالم الإسلامي ، وله فيها مؤلفات هي في موضع التقدير من علماء هذا الشأن . وقد سبق لنا التنويه بفضله ، والتعريف ببعض كتبه . ورسالة « آداب الزفاف في السنة المطهرة » طبعت الآن للمرة الثانية بزيادات كثيرة عن الطبعة الأولى ، وقد كتب مقدمتها رئيس تحرير هذه المجلة ، وقد جمعت الرسالة أهم ما ورد في السنة المحمدية عن الزفاف والزواج وآدابها وأحكامها والتنبيه على البدع التي وقع فيها المسلمون في هذه الناحية من حياة مجتمعاتهم ، وفيه من الوصايا للزوجين ما يحسن البيوت الإسلامية أن تنتفع به وترجع به إلى آداب دينها وسنة نبيها لتعود رحمة الله إلى بيوتنا ونتمتع برضاه عز وجل عنا في الدنيا والآخرة .

العمل والعمال في نظر الاسلام

للاستاذ عطية صقر بمراقبة الثقافة بالأزهر - الطبعة الثانية - ص ١٠٣

للعمل مكانة عظيمة في التشريع الإسلامى ، بل هو الطريق إلى مرضاة الله لمن حسن عمله ، وإلى سخط الله على من ساء عمله . والعمل الحسن مع النية السليمة لون من ألوان العبادة في الإسلام ، والعمل السئ في كل ما يتصل به صاحبه بالخلق والخلق هو مدرجة الانزلاق إلى النار ، وبما أن الإحسان في العمل - في أى نوع من أنواع العمل - مما يرفع من مستوى الأوطان ، فإنه يرفع كذلك منزلة الإنسان عند الرب الديان . والإساءة في العمل - أى نوع من أنواع العمل - يحط من قدر المجتمع في الدنيا ويزيد في عدد أهل النار في الآخرة . وهذه الرسالة من أنفس ما كتب عن العمل والعمال في نظر الإسلام ، وهى حافلة بالنصوص والشواهد والمثل من سيرة العاملين والعاملات في تاريخ الإسلام . وحبذا لو اتخذ رجال الوعظ من هذه النصوص وسيلة للتوسع في موضوعات الوعظ وإشاعتها في طبقات العمال ، فإن هذه الناحية إحدى نواحي الضعف في حياتنا ويا حبذا لو تعاونوا على معالجتها بما نستطيع .

قبس من الايمان

للاستاذ كمال أحمد عون - ٧٦ ص - مطبعة الشعراوى بطنطا

مؤلف هذه الرسالة من أفاضل العلماء المدرسين بمعهد طنطا الثانوى ، وقد سبق له التأليف في موضوع المرأة في الإسلام فأحسن فيه الإحسان كله . ورسائله هذه يحاسب فيها الملاحدة والوجوديين ، ويحاول فيها أن يزيل حيرة الشباب فيما هم معرضون له في المحنة الفكرية الواقعة الآن بعد أن أفسد علينا الاستعمار مناهج التفكير في العالم الإسلامى وسنحتاج إلى كثير من جهاد أمثال المؤلف لإزالة الحيرة عن يريد الله لهم الخير من شباب الأمة . وقد سلك لذلك في رسالته مسلكين : أحدهما قبس من الإيمان ببيان ما تدل عليه الآية : « وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ، لعلمهم يرشدون » . ثم سلك المسلك الآخر بمناقشة علمية لآراء الخاطئين وشبهات الملحدين في القديم والحديث . وكان موفقا فيهما والله الحمد . فرجو الله أن يحسن نوابه ، وأن ينفع أبناءنا الشباب بما أرادهم لهم من خير .

الأدب والعلوم

عيد العلم

غزة وفلسطين والمغرب وسوريا ولبنان
والسودان والبحرين ، وقد حضروا إلى
مصر لتسلم جوائز الامتياز في عيد العلم وقد
رحب بهم الوزير وقال لهم : لانكم في بلدكم
مصر ، وبين اهلكم وعشيرتكم ، وأهنتكم
واحدًا واحدًا ، وأرجو لكم اطراد الفوز
والتفوق وأن تكونوا قدوة لإخوانكم .

مؤتمر الأدباء الثالث

انعقد مؤتمر الأدباء الثالث في القاهرة ،
واشتركت فيه وفود الأوطان العربية ، واتخذ
المؤتمر توصيات أهمها :
حماية الملكية الأدبية .
رعاية حركة الترجمة .

تعميم العربية الفصحى في مراحل التدريس
العناية بالتراث الشعري ، ونشر مجموعات
ممتازة منه .

تأليف جمعيات أدبية في كل وطن عربي
تخصيص جائزة للانتاج الأدبي الذي
يهدف إلى خدمة القومية العربية .

ومما يذكر أن بعض المتشرين نزعات
غريبة مما يثنه الاستعمار في مدارس ومعااهده

احتفل يوم ٢٠ جمادى الأولى
(١٢ ديسمبر) بعيد العلم في جميع أنحاء
الجمهورية المصرية ، واتهمزت مصر هذه
الفرصة لإحياء ذكرى العلامة على مبارك
أول وزير مصري للتربية والتعليم . ووزعت
الجوائز على الفائزين بها من أصحاب الإنتاج
العلمي والأدبي ، كما وزعت الجوائز على
أوائل الشهادات العامة والمتفوقين في
الامتحانات . وفي المساء وزعت جوائز
الفائزين في برنامج أوائل الطلبة . وبلغ عدد
الجوائز التي وزعت على الطلبة والأساتذة
وأولياء الأمور ١١٣٥١ جائزة ، منها
٣٠٠٠ تشجيعية نقدية ، و ٧٠٠ من
الميداليات ، و ٢٥٠٠ جائزة من الكتب
الثقافية ، و ١٣٠٠ جائزة من الشارات ،
وجوائز أخرى عينية .

فائزو الأقطار الشقيقة

في عيد العلم

استقبل وزير التربية والتعليم ٣٣ طالبا
من مختلف المراحل التعليمية في مدارس

القريب من نانسكين كوكبا شمسيا صغيرا خارج نطاق مدار الأرض ، ويدور هذا الكوكب حول الشمس في مدار يقل معدل نصف قطره عن ضعف المسافة بين الأرض والشمس .

متحف للقضايا الكبرى

يتجه التفكير إلى إنشاء متحف في دار القضاء العالي يضم القضايا المهمة ، والقضايا السياسية القديمة التي كان لها تأثير كبير في الرأي العام . لأن المتبع حتى الآن أن تتلف ملفات القضايا المنتهية بعد مرور خمس عشرة سنة عليها بالأكثر لتعذر حفظ مئات الألوف من الملفات التي تضيق بها الأمكنة ولا ينتفع بها في شيء . أما القضايا ذات الشأن كقضية مقتل بطرس غالي ، والاعتداء على سعد زغلول ، وإسماعيل صدقي ، ومقتل أمين عثمان ، والنقراشي ، وأحمد ماهر ، وقضية الأسلحة الفاسدة ، وبعض القضايا الشيوعية ، فيجب أن تظل محفوظة للتاريخ وللرجوع إليها عند اللزوم .

ومما يذكر أنه لم يعثر على ملفات قضية دنشواي ، وقضية الاعتداء على السلطان حسين ، فلا بد أن تكون هنالك يد قوية أمرت بنقل هذه الملفات من مظان

اكتشف الفلكيون في مرصد (تروشين شان) وجودها .

تعرض للدين بما استنكره جميع العقلاء . من أعضاء المؤتمر ، فانهز الأستاذ السيد سعيد العريان الفرصة المناسبة وتكلم في هذا الموضوع بكلام حكيم كان له أجمال الوقع في نفوس الوفود الأدبية من مختلف الأقطار .

وقد دعا الأمير عبد الله سالم الصباح المؤتمر لعقد دورته الرابعة في الكويت .

التدريب المهني

في التعليم الثانوي والإعدادي

تقرر تعديل مناهج التعليم الثانوي والإعدادي العام ابتداء من العام الدراسي القادم ، وستعد مناهج دراسية جديدة يدخل فيها التدريب المهني لجميع الطلبة ، فيتدرّبون على الأعمال الفنية العملية : التجارية ، والزراعية ، والصناعية ، وعلى الأعمال الذسوية في مدارس البنات . وستعد هذه المواد أساسية في تدريسها للطلبة في المرحلتين ، وسيختار كل طالب المادة التي تناسبه للتدريب عليها حتى يمكن مواجهة الحياة العملية الفنية بعد الانتهاء من المرحلة الثانوية العامة ، لئلا يعلق آماله بالالتحاق بوظائف الحكومة التي ضاق نطاقها بقدر ما اتسع نطاق التعليم العام .

كوكب شمسي جديد

اكتشف الفلكيون في مرصد (تروشين شان) وجودها .

إنباء العجّل الأنيلامح

ودمياط وميت غمر والزقازيق ودمهور
وكفر الدوار والواسطى وبني سويف
والمنيا وأسيوط.

الازهر

يدعو إلى وقف التجارب الذرية
أصدرت مشيخة الأزهر بياناً باللغتين
العربية والانجليزية حذرت فيه حكام
الشعوب ، والهيئات العالمية ، والمنظمات
الدولية ، من التسابق - في الصراع القائم -
إلى تفجير القنابل الذرية والهيدروجينية
وإطلاق الصواريخ وسفن الفضاء ، ودعت
العلماء والباحثين إلى التثقيب والكشف
عما خلق الله في الآفاق وما أودعه باطن
الأرض وأعماق البحار وتوجيهه لنفع الناس
ولإسعاد معيشتهم . وطالب بانقاذ البشرية مما
يساورها في هذه الأيام من قلق ، وما يحيط
بها من زهر وحيرة ، وتأمين الإنسانية من
المهالك وتوفير الاستقرار والأمن والسلام
للشعوب جميعا .

ملك المغرب

يتكلم في الأمم المتحدة عن الجزائر
ألقي الملك محمد الخامس ملك المغرب

العيد الفضى لقوات مصر الجوية

احتفلت مصر يوم ٢٨ جمادى الأولى
(٢٠ ديسمبر) بمرور ٢٥ عاماً على بداية إنشاء
القوات الجوية المصرية ، وقد وصفنا في
ص ٥٣١ من هذا الجزء ما كانت عليه نواة
القوة الجوية المصرية عند إنشائها ، وما صارت
إليه عند قيام الثورة ، إلى أن أصبحت الآن
في الذروة العليا بين القوات الجوية في الشرق
الأوسط . وفي يوم الاحتفال بهذه الذكرى
خرجت أسراب عديدة من طائرات القتال
(الميج) وقاذفات القنابل (الأليوشن) من
قواعدها وأخذت تحلق في سماء مصر كلها .
كانت المجموعات تطير في تشكيلات جميلة
منتظمة ، ولا تكاد تمرق إحداها بسرعة
خاطفة في السماء حتى تعقبها مجموعة أخرى ،
وظل أزيز الطائرات وهدير محركاتها النفثة
مسموعاً ساعات طويلة من يوم الاحتفال ،
وكانت تلقى أعلاماً تذكارية في أمهات المدن :
القاهرة والإسكندرية وبور سعيد
والاسماعيلية والسويس وبها وطنطا
والحلة الكبرى والمنصورة وكفر الزيات

الطلاق فى مجلس الأمة

تقدم النائب حسين الجعرانى إلى مجلس الأمة باقتراح مشروع قانون يقضى بتقييد الطلاق وتعويض المطلقة الفقيرة ، فرأت لجنة الاقتراحات والعرائض رفض هذا الاقتراح بالإجماع . ولما أخذ رأى المجلس فى ذلك وافق على الرفض برفع الأيدى ثم بالتصفيق .

والنائب الجعرانى هو صاحب الاقتراح بإعادة البغاء الرسمى ، الذى فتحت إحدى الصحف صدرها لتشجيعه قبل عرضه على مجلس الأمة ، فاستنكر المجلس ذلك . وقد سبق لنا الإشارة إلى الاقتراح الأول فى جزء صفر من هذه السنة ص ١٨٨ .

المعادن المصرية

يواصل الدكتور منذور المدير السابق لمركز حلوان عمله لإنجاز خريط توزيع الجاذبية الأرضية فى شتى أنحاء الجمهورية المصرية ، وبمعمونة هذه الخريط التى تحدد الجاذبية الأرضية فى كل بقعة يتيسر الكشف عن مواطن الثروة المخبوءة فى جوف الأرض بواسطة الأجهزة الحديثة الشديدة الحساسية للمعادن والزيوت وغيرها . وعند إنجاز هذه الخريط ومقارنتها بالبحوث الفنية الخاصة بمسح الأراضى بأجهزة مخصوصة ينتظر أن نعرف الكثير مما تحويه أرض مصر من المعادن .

خطابا فى جلسة خاصة عقدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٧ جمادى الأولى (٩ ديسمبر) دعا فيها لإجراء مفاوضات بين فرنسا والجزائر لحسم النزاع القائم بينهما على أساس الاعتراف بحرية الجزائريين وحقوقهم فى تقرير المصير ، وقال : إن الأهداف التى يتوخاها المغرب هى نفس الأهداف التى تعمل الأمم المتحدة لتحقيقها والتى تقوم على أساس الدء-وة لإجراء المفاوضات بغية حل المشكلات بروح عصرية على قدم المساواة ، فإن العالم يعيش فى عصر لا تستطيع فيه دولة أن تبقى بمعزل عن الدول الأخرى ، فينبغى للجميع أن يتعاونوا .

المؤتمر التعاونى الثالث

عقد المؤتمر التعاونى العام للجمهورية المصرية دورته الثالثة فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ، وبلغ عدد الحاضرين خمسة عشر ألف مواطن ، وبعد أن ألقى السيد وزير الشؤون الاجتماعية كلمة الافتتاح بصفتة رئيسا للمؤتمر نهض الرئيس جمال عبد الناصر فارتجل خطابه التاريخى الذى نوهنا فى افتتاحية هذا الجزء من المجلة بكثير من نواحى التوجيه التى اشتمل عليها والتى كانت موضع اهتمام الأوطان العربية والبلاد الأجنبية .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم
٤٨١	ثورتنا الاجتماعية	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٤٨٨	نفعات القرآن : الحبرون أولى بالدعوة إلى الخير	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٤٩٣	السنة : آخر الوصايا النبوية	« طه محمد الساكت
٤٩٧	الوثيقة الدولية المظلومة « حقوق الانسان »	« أبو الوفا المراغى
٥٠١	المسؤولية فى الاسلام	« محمد محمداً بوشهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٥٠٦	حول مشكلة السيئنا « مدرسة صارت للشيطان »	« أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر
٥١٣	الجنس الثالث	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى
٥٢٦	التفرقة العنصرية	الحديث بجامعة الاسكندرية
٥٣٢	توحيد بدء الشهر القمري الشرعى « فى جميع	الأستاذ عبد الله مصطفى المراغى
٥٤١	الحكومات الاسلامية «	« محمد أبو الملا البنا أستاذ الفلك فى
٥٤٦	مصادر الشريعة الاسلامية « الاستصحاب »	تخصص القضاء بكلية الشريعة
٥٤٦	عيد المعلم	« زكى الدين شعبان الأستاذ المساعد بكلية
٥٥٠	تحديد النفل	حقوق عين شمس
٥٥٣	حديث « تزوجوا تكثروا » حديث نبوى صحيح	« أبو زيد شلبي المفتش بالأزهر
٥٥٥	تحية وتهنئة وأمل !	« محمد عبد السلام القبانى
٥٥٧	الأزهر المنشود !	« محمد صبرى طابدين من علماء الأزهر الشريف
٥٦٠	سلاح الطيران « فى عيده الفضى » « قصيدة »	« ابراهيم محمد الأصيل
٥٦١	عيد النصر « فى ذكرى العدوان الثلاثى » « قصيدة »	« محمد محمد خليفة المدرس بمعهد القاهرة
٥٦٣	لفـويـات	« محمد كامل شلش المراقب بمعدشين الكوم
٥٦٧	قطيفات	« حسنى مهدى هداهد
٥٦٩	الكتب	« محمد على النجار
٥٧٢	الأدب والعلوم	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٥٧٤	العالم الاسلامى	المجلة



الرئيسان العظيمان بطلا الوحدة العربية السيد شكري القوتلي والسيد جمال عبد الناصر
وبجوارهما السيد صبرى العسلى وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ
الجامع الأزهر أثناء تأديتهم صلاة الجمعة بالجامع الأزهر .

(بمناسبة اعلان ميلاد الجمهورية العربية المتحدة)

حكم الصور العارية في الشريعة الاسلامية

حكم الصور العارية

في الشريعة الإسلامية

كثير الحديث في هذه الأيام عن الصور العارية ، والشكايات الصارخة بسبب عرضها للبيع . وما قرره بعض الناس من عدم اعتبار بيعها مخرلا بالأداب ، وأن فيها سموا بالذوق وتنمية للوعي الفن الجميل .

وهذه الحادثة ليست بنت اليوم فلها ماض سابق ، وليس أمر الصور الفاتنة مقصورا على ما يعرضه الباعة المتجولون ، فلذلك أشباه ونظائر في الإعلانات ، واللوحات ، وفي الأفلام المليئة بالمواقف الغرامية ، والأوضاع المثيرة ، وفي الشوارع والحدائق العامة والمصايف التي تغص في كثير من فصول السنة بالطبيعة الحية التي ضج منها كل ذى غيرة على الشرف والفضيلة ، بل إن المراقص ودور اللهو في سهراتها وحفلاتها ، والاستعراضات التي تقام لمناسبات متعددة ، تشهد ما هو أشد وأقبح وأشنع من مجرد عرض المفاتن أمام الأنظار ، من صور عارية وغير عارية .

وأمثال هذه المخازى قال فيها الدين قوله ، وجهر العلماء والمصلحون برأيهم فيها ، بما يذيعون من خطب ومحاضرات ، وما ينشرون من كتب ومقالات . وحذروا الناس من مغبتها وأثرها السيئ في الأخلاق ، وضررها على الفرد والأسرة والمجتمع كله ، وأهابوا بالجميع أن يتعاونوا على صد هذا التيار الجارف المخيف .

لقد بين الدين ما يجب التزامه على كل من الرجل والمرأة حيال الآخر، فيما يرجع إلى المعاني التي من شأنها إثارة الغرائز الجنسية بين الرجال والنساء غير الحلال، وأوجب كمال الاحتياط في هذا الأمر بتجنب كل ما يؤدي إلى إثارة هذه الغرائز؛ صيانة للشرف وحماية للأخلاق، حتى لا يتردى الناس في مهاوى الفجور والفاحشة ، وحتى تحفظ الأعراض والأنساب .

أمر الإسلام بستر العورات والغض من الأبصار، وحذر من الخلوة المريبة والخضوع بالقول للين وعن كل ما يثير الفتنة ، ويوقع في شرك المعصية ، والنصوص والآثار في ذلك

حكم الصور العارية في الشريعة الإسلامية

كثيرة يكفى منها قول الله سبحانه : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن ، أو بنى إخوانهن ، أو بنى أخواتهن ، أو نسائهن ، أو ما ملكت أيمانهن ، أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

ونقصد من هذه الآيات إلى قوله سبحانه : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » فانه نهى للمرأة أن تضرب برجلها في مشيتها مثلاً حتى يسمع الرجال الأجانب صوت خلايلها ، ورين زينتها ولو كانت خلف ستار بحيث لا يراها أحد من الرجال ؛ فان ذلك يحرك في قلب الرجل دواعى الشر ويجره إلى الفتنة .

حرام على المرأة أن تصنع هذا الصنيع ، وحرام على من يلى أمرها من أب أو زوج أو غيرهما أن يغفل أمرها في ذلك ، وألا يوجهها فيه الوجهة الصالحة التى تطلبها الشريعة الحفيظة على الآداب وشرف الأخلاق .

وإذا كان حراماً أن يضرب النساء بأرجلهن ليسمع صوت خلايلهن ، ورين زينتهن ولو في غير مرأى من الرجال ؛ لما في ذلك من إثارة أسباب الفتنة وتحريك دواعى الفجور ، فكيف يكون الحال في نشر صور النساء العاريات ، وبيعها علانية في الشوارع والأسواق .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عن محاسن المرأة إلى رجل أجنبي عنها ، حتى لا يفتن بها ، وحتى لا يكون في ذلك إفشاء الأسرار ، التى يحوص ذوو الشمم والمروءة على كتمانها ، وحتى يحافظ على مراعاة الذوق العام الذى يأبى التحدث في هذه الأمور ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لا تبشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها » . متفق عليه من حديث ابن مسعود ، ويقول : « إن من أشعر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة وتفضى إليه ثم ينشر سرها » ، « مسلم عن أبي سعيد الخدرى » . فإذا كان مجرد التحدث عن صفات المرأة منهيًا عنه ، فما بالك بالصور العارية التى هى أقوى من القول ، وأشد تأثيراً وانتهاكاً للحرمت ، وامتهاناً للروءة وآداب الإسلام .

حكم الصور العارية في الشريعة الإسلامية

إن المصلحين يضحجون بالشكوى ، وينادون بالعمل والتكاتف على صد تيارات هذا الفساد والتحلل الخلقى ، الذى جره علينا الاستعمار والتقليد الأعمى لعادات الغربيين ، الذين يحرصون على هدم صرح الخلق والدين .

ومن المؤسف المخجل أن تعارض دعوة الإصلاح دعوة أخرى هدامة ، يحمل لواءها من كان يظن فيهم أن يكونوا عوناً للمصلحين على القضاء على هذا الوباء ، هؤلاء يزعمون أن فى الصور العارية ترقية للوعى الفنى وتقوية لأحاسيس الجمال ، وانطلاقاً من القيود الثقيلة التى كان يفرضها علينا الماضى بعقليته وتقاليده الرجعية القديمة ، ويقال هؤلاء : إن الإسلام بتعاليمه وآدابه ، يسمح بالذوق ويكبر أمر الجمال ، ويفسح المجال للفنون والآداب الرفيعة ، كى تؤدي رسالتها فى خدمة المجتمع .

ولكن ليس معنى هذا أن تطلق الفرائز والشهوات ، فتضرب فى كل واد وتتخطى كل حد ، فإن كل حرية فى العالم محدودة ومقيدة بما لا يضر الغير ، ويؤثر على المصلحة العامة ، وإذا كانت هذه الصور تخدم الفن من ناحية ، فإن آثارها السيئة على الأخلاق لا تدع مجالاً للشك فى خطورتها ، ووجوب العمل على منعها ، ومما اتفق عليه المفكرون والمصلحون ، أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وأن ما زاد ضرره على نفعه يجب منعه ، سدا للذريعة وإبقاء على مصلحة المجموع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	
مَجَلَّةُ الدِّينِ الْخَطِيبِ	
الاشتراك السنوي	
في وادي النيل	٤٠٠
طبعة وادي النيل	٤٠٠
للعمارة والمدرسين بالوادي	٣٠٠
خارج الوادي	٥٠٠
للطبعة خارج الوادي	٣٠٠
للعمارة والمدرسين خارج الوادي	٤٠٠

مَجَلَّةُ الدِّينِ الْخَطِيبِ
مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ
تَقْدَرُ مِنْ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

مَدِيرُ الْمَجَلَّةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء السابع - القاهرة في غرة رجب ١٣٧٧ - ٢١ يناير ١٩٥٨ - المجلد التاسع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نقطة تحول في تاريخنا

كنا - تحت النظام الذي عشنا فيه على عهد فاروق وأسلافه - نزع لأنفسنا أننا أمة ، وكنا في الواقع أشتناا ...

كنا نحاول أن نظهر للناس بمظهر الجماعة ، ونحن في الحقيقة أفراد ...

كان الواحد منا يعيش لنفسه ولو على حساب الجماعة ، وينشد الكسب والمصلحة لـكيانه الفردي ؛ في خلسة عن كيان الأمة التي هو منها ...

كنا مجموعة أفراد تعاد في جداول الإحصاء بالملايين ، لكننا نتعامل فيما بيننا مجردة من روح الجماعة ، وتسكافل الجماعة ، وتعاون الجماعة ، والتجاوب الخلقى بين عواطف الجماعة ...

كان الفرد منا أمة وحده ، وإنما يعيش في الأمة ليأخذ منها ، لا ليتعاون معها ...

كان الفرد منا يلقي الآخر في الطريق ، فيقف ليجيبه ، وكلاهما يتساءل في نفسه : أى كسب يمكننى أن أصيبه من صاحبي هذا ؟ ! .

بل كنا إذا رأينا القائمين - بمقتضى وظائفهم - على شيء من مصالح الجماعة يطاردون الخارج عليها، أو يمحون عن الهارب من الجندية - مثلاً - نشعر بالعطف على هذا الخارج أو الهارب ونتمنى له السلامة رحمة به. وإنما كنا ننحاز إلى الرفق بالفرد الخارج على الجماعة لفقدان روح الجماعة من بيننا، ولأننا كنا نعيش أفراداً منفصلين عن كيان الجماعة...

كان الموظف ينير المصباح في غرفة مكتبه نهارة وأشعة الشمس مألثة غرفته، وكان عداد النور ماضياً يسجل ما تستهلكه تلك الغرفة من النور لحساب شركة ليبون الفرنسية يومئذ فتتقاضاه في آخر الشهر من خزانة الدولة. ولولا فقدان روح الجماعة من مجتمعنا ما كان إيراد شركة ليبون يزيد في كل شهر من مال الخزانة العامة بقدر ما كانت تسجله عدادات النور نهارة في مئات المصالح التابعة لوزارات الدولة.

وكان القائمون على مصالحة الجماعة يزينون الشوارع والطرق بالأشجار اللطيفة، عاملين بمقتضى وظائفهم، فتمتد إليها أيدي الشباب الناشئ بالسكسر والقلع والأذى!

وكانت المظاهرات تقوم باسم الوطنية، ويكون من مظاهرها نشاطها تحطيم مصابيح الشوارع، والاعتداء على ما اتصل إليه الأيدي من المرافق العامة...

ومرد ذلك كله إلى أن النظام القائم في ذلك الحين كان يمكن لأفراد من أهل الثروة والملك وذوى السلطان الأعلى أن يكون لهم كل شيء، ويحول بين الملايين من الناس وبين أن يكون لهم أى شيء... فكانت حياتنا الفردية في جماهير الأمة رد فعل لحياة الأثرة الفردية التي كان يقوم عليها نظامنا الاجتماعي - بل الانفرادي - تحت سلطان أسرة محمد على.

وكان الأذكياء من المثقفين والأميين، ومن الموظفين والتجار والمزارعين وأرباب الصناعات وسائر الناس، يرون بأعينهم مظاهر الأثرة الفردية في الكبراء وذوى السلطان، فيكون لهم من ذلك أسوة سيئة في نقطة روح الجشع وحب الاستئثار، ويستعملون ذكاهم في أن يعيش الواحد منهم لنفسه، وأن يكون أمة وحده. ولذلك كان في تجار المحاصيل والأغذية والأكسية وسائر الحاجيات من يجتهد في أن يكون محتكراً لما يستطيع أن يحتكره، أو في الأقل متعاوناً مع المحتكرين. والذي لا يستطيع أن يصيب الثراء الفاحش من طريق الحلال لا يتورع عن أن يئشده من غير الحلال، وهكذا كنا مجموعة ملايين من الأفراد الفاقدين روح الجماعة، ونزعم لأنفسنا أننا أمة، وكنا في الواقع أشتاتا...

ثم قامت الثورة ...

وكانت ثورة على رواسب الشرور كلها ، ومن شر هذه الرواسب أننا كننا كالجيش لا قيادة له ، فكل فرد في الجيش يقاتل لحساب نفسه ، وكان روح الجماعة ، وهدف الجماعة ، ونظام الجماعة ، مفقودا من مجتمعنا . وكان ينبغي لنا أن نضع حدا لذلك لنستأنف جهادنا في الحياة مجتمعين ، متعاونين ، نقيم لنا هدفا واحدا تحت قيادة موحدة ، لنكون أمة في الواقع ، ولتكون جهود هذه الأمة منسجمة يعم خيرها كل من ينتظم في سلكها . وهذا أول ما حاولته الثورة ، وكان عملا عظيما حقا .

ولأجل أن تعالج مرضا ينبغي لك أن تشخص أعراضه ، وأن تحصر أسبابه ، وأن تستأصل تلك الأسباب . وكان مما لا يختلف فيه طبيبان من أطباء المجتمع أن السبب الأول لحياتنا الفردية استئثار الأقوياء من ذوى السلطان بلبنا بيع الثروة والرزق في البلد ، وأول ما يعالج به مرض الفردية بتر جذور المستأثرين ، وإباحة أسباب الرزق الحلال لكل من يطلب الرزق الحلال ، فيكثر سواد العاملين منهم ، وتضمحل أسباب الحياة الفردية ولو بالتدريج ، ثم يذوق الناس لذة التعاون ، ويرتد إليهم روح الجماعة ونظام حياتها .

هذا هو معنى الإصلاح الزراعي .

هذا هو معنى المادة السادسة عشرة من الدستور : « تشجع الدولة التعاون ، وترعى المذشآت التعاونية بختلف صورها » .

هذا هو معنى سياسة التصنيع ، والعزم على إنشاء الصناعات الكبرى لتستوعب الأيدي العاملة وتجندها في ميادين العمل والكسب لأفرادها وللكيان الاجتماعي .

ولتحقيق هذا المعنى تعمل الدولة في مجال العمل الوطني والدولي لإقامة السد العالي بين يدي النيل الأعظم ، فتعود لمصر مكانتها تحت الشمس .

هذه أعمال اقتصادية في الظاهر ، وأنا أراها أعمالا للأخلاق والفضائل في الحقيقة . والأخلاق والفضائل من روح الدين .

الغنى من طريق الأثرة طغيان ، وكاد الفقر أن يكون كفرا .

فاذا تكافأت الفرص للكسب الحلال ، وكانت الطرق إليه معبدة ومباحة لكل عامل على قدر جهوده وإخلاصه وكفايته ، شعر الناس حينئذ بلذة الحلال ، وشعروا

كذلك بثمرات التعاون ، وعلموا أن لكل عمل ثمنا على قدره ، وأن للاخلاص في العمل وتحري الإحسان فيه ثمنا على قدر هذا الإخلاص وهذا الإحسان ، وتحولوا بذلك - ولو بالتدريج - من الحياة الفردية إلى الحياة الاجتماعية .

بذلك يكون الناس في نشاطهم الاقتصادي كالجيش له هدف وقيادة موحدة ، وكل فرد فيه يعمل متضامنا مع المجموع لغرض مشترك في نظام محترم من الجميع .

إن الأنظمة الاقتصادية التي تفيد منها الطبقات كلها هي التي يتحول بها أفراد الأمة عن حياة الذئاب إلى حياة الجماعة الإنسانية المتعاونة . وهي - في الوقت نفسه - مدرجة إلى التخلق بفضيلة التعاون ، وفضيلة التعاون درّة متألفة في نظام الإسلام .

هذه النتيجة الخلقية لهذا التحول الاقتصادي ستأتي بالتدريج ، وسيكون تحقيقها أسرع وأنجح بقدر ما يتعاون على ذلك إخواننا الهداة من وعاظ الأزهر ، مع المصلحين من رجال الاجتماع والاقتصاد ، والمربين في فصول المدارس ، وولاة أمور الجليل الحديد في المنازل من آباء وأمّهات .

إن أبناء الجليل القائم ينبغي لهم أن يعلموا أن الزمان قد استدار ، وأن الطغاة الذين كانوا قدوة سيئة لغيرهم في الأنانية والحياة الفردية قد زالوا إلى غير رجعة ، وأننا يجب علينا لأبنائنا من رجال الغد ونسائه أن نكون قدوة حسنة لهم في بث روح الجماعة ، والتعامل بفضائل التعاون ، لينشأ النشء الجديد مؤمنا بأتمه ، منسجما معها ، متعاوننا مع كل من يتصل به ويتعامل معه على كل ما ييسر للجميع أسباب الحياة الهنيئة .

سنكون إن شاء الله أمة عاملة صالحة في وقت قريب أو بعيد ، شئنا أو أبينا ، وسيكون موعد ذلك أقرب كلما كثر فينا مشيخو مرضنا الوبيل ، مرض الأنانية والحياة الفردية ، وكلما كثر الدعاة إلى معالجته والشفاء منه ، والمؤمنون بأن روح الجماعة أعون للفرد على السلامة والفوز والغنيمة من الأنانية التي يقاتل صاحبها في ميدان الحياة منفردا بلا معين .

سنكون أمة عاملة صالحة شئنا أو أبينا ، لأن الزمان استدار ، ونحن في نقطة تحول من تاريخنا ، وكان ذلك رأس مقاصد الثورة منذ قامت ، فلتعاون على التعجيل بتحقيق هذا المقصد لننتقل منه إلى مقاصدنا النبيلة الأخرى .

ومن أعظم مقاصدنا النبيلة الأخرى بعث قوميتنا العربية في المجتمع الإنساني ،
لنستأنف رسالتها العظمى في التاريخ .

إن للقومية العربية رسالة عظمى ما زالت معطلة منذ أكثر من ألف عام ، ورسالة
القومية العربية أقدم من تاريخها المكتوب . إن أكثر هذه الكتب المؤلفة في التاريخ
العربي والإسلامي ألقت بعد تعطيل رسالة القومية العربية ، وبعد أن كفت يد العروبة
عن مواصلة القيام برسالتها . لقد قامت القومية العربية برسالتها مدة قرن وبعض قرن ،
فأوجدت هذا العالم الإسلامي الذي نعزبه والذي يملأ أنحاء الأرض ، ونشرت لغة
الضاد والآداب العربية والفضائل الإسلامية تحت كل نجم ، ويعترف لها أعداؤها
بأنها قامت في التاريخ بمعجزة عجزت عن مثلها دولة الرومان وكل دولة أخرى عرفها
الناس ، والذين كتبوا التاريخ الإسلامي بعد أن كفت يد العروبة عن مواصلة القيام
برسالتها كان بعضهم مخلصا فبث في تضاعيف ما ألفه فقرات ونصوصا عن سر تلك
المعجزة وعظمة أبطالها ، وكان بعضهم الآخر شعوبيا خبيثا فصور لنا أبطال تلك المعجزة
بغير صورهم الحقيقية ، ودس في سيرهم ما لم يكن منها ، فذشأنا مقصرين في معرفة
أقدار أولئك الأبطال ، ولم نعرف لهم فضل إدخالهم أسلافنا في الإسلام ، وفضل تكوينهم
كيان العروبة في أوطانها الحاضرة . ومن حسن الحظ أن الفقرات والنصوص التي نجدها
في كتب المؤرخين المخلصين منسجمة مع سيرة أولئك الأبطال وباهر أعمالهم ، بل النصوص
التي دونها عنهم الصادقون من رجال الحديث كالبخاري ومسلم ومن في منزلتهما ، ستصحح
تلك الأخطاء في تاريخنا ، وستعين على تجريده مما دسه فيه الشعوبيون والمغرضون .

يجب علينا - لإقامة كيان القومية العربية - أن نعيد النظر في كتب التاريخ العربي
والإسلامي التي نعلمها لأبنائنا ، فإن الأخطاء المدسوسة فيها حالت بين أبنائنا وبين
اعتزازهم بالذين خاطبهم الله سبحانه قائلا لهم وهو أصدق القائلين : « كنتم خير أمة أخرجت
للناس » ، ومن بواكير الإصلاح الواجب علينا أن نبادر إلى تجريد التاريخ العربي والإسلامي
مما يعارض هذا الخطاب الإلهي ، ولا ينسجم مع المعجزة التي قام بها المخاطبون به ،
وأن نعترف بأبنائنا بأقدار أسلافهم العظام الذين كونوا هذا الكيان العربي وأوجدوا
هذا العالم الإسلامي .

والآن فان القومية العربية تستأنف كيائها من جديد ، لأنها في أيام مولدها الثاني . إن السنة التي نحن فيها سيتم فيها إن شاء الله اتحاد مصر وسوريا تحت لواء العروبة توطئة لانساع دائرة هذا الاتحاد، حتى يحتضن بذراعيه القويتين كل ناطق بالضاد . إنها خطوة مباركة سيكون لها ما بعدها ، وكلما خطونا خطواتنا الأخرى بعدها بسداد وحكمة وبصيرة نيرة فسيكون ذلك لخير الإنسانية كلها بحول الله وقوته . غير أن هذا العبء جسيم ، وأول ما يجب علينا لتحقيقه أن نكون من أهل العزائم السامية الذين يربأون بكيانهم القومي أن يختنق بهذه الخطوط التي أقامها الاستعمار لحدود مصطنعة في داخل الوطن العربي الأكبر لم يصنعها الله ولم يصنعها عباده من أبناء لغة القرآن ، وإنما صنعها لهم أعداؤهم لتكون اللقمة الكبيرة مجزأة إلى أجزاء صغيرة فيسهل على العدو ازديادها . إن دعوة الحق هذه موجهة إلى شباب العروبة في كل مكان ليعلموا أنهم على مفترق الطرق ، وفي نقطة التحول من تاريخهم . إن تاريخ العروبة يواجه الآن حادثاً عظيماً نصحيح فيه خطأ وقعت فيه الإنسانية قبل أكثر من ألف سنة ، يوم كفت يد العروبة عن إكمال الرسالة التي هيأها الله لها . ويوم كانت للعروبة رايات ظافرة تخفق في آفاق الدنيا البعيدة لم يكن للوطن العربي الأكبر حدود مصطنعة في داخل أوطانه . كان العرب أمة واحدة يوم كانت ترفرف عليهم روح الجماعة ، ويوم كانوا يزحفون من جميع أنحاء أوطانهم لحماية حدود وطنهم الأكبر ، وللتعاون مع دولتهم على البر والتقوى . ثم فقدت الشعوب العربية روح الجماعة بين أوطانها كما فقدت مصر روح الجماعة بين أفرادها ، فكان ذلك فرصة للشعبوية ثم للاستعمار في أن يبيض فساد أهلها ويفرخ في خير البلاد وأسعداها .

وكما قامت الثورة المصرية أول ما قامت لإنقاذ مصر من رواسب الحياة الفردية بما يشاهده الناس وبما أتينا على وصف لمحات منه ، فان ثورة العروبة قائمة الآن كذلك لإنقاذ الكيان العربي من رواسب الحياة الفردية بين الأوطان العربية التي مزقتها الاستعمار بالحدود المصطنعة لئلا تتجاوب قلوب العرب النابضة بالشوق الشديد إلى استئناف كيان العروبة من جديد . ومن سعادتنا نحن أبناء هذا الجيل أن يكون مولدها الثاني بمشهد منا ، وأن يتم الاتحاد بين مصر وسوريا في عامنا هذا ، إرغاما لشیطان التفريق وحزبه ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا .

وبعد فأننا لسنا وحدنا، إن الله معنا، وما تم لنا حتى الآن من خير فانه من صنع الله، وكلما توخينا الإصلاح ، وبذلنا ما في وسعنا لنكون أقوياء ، فإن الله يقيض لنا من عباده من يؤيدنا ويعيننا ويسر لنا مهمتنا .

أنا أراقب هذا السكيان العربي منذ كنت يافعا أيام دراستي الثانوية ، وأترقب يقطته وبعثه للقيام برسالة الإسلام التي أعده الله لها من الأزل . إن نهضة العالم الإسلامي كله في انتظار بقطعة العروبة لتقوده إلى المهمة الإنسانية الكبرى التي قاده إليها أبو بكر وعمر وأعوانهما على الحق والخير . ومسئولية انحراف العالم الإسلامي سيئالنا الله عنها معاشر الناطقين بالضاد قبل أن يسأل عنها أى شعب آخر من شعوب المسلمين . وسيستقيم العالم الإسلامي كله في طريق الحق يوم يعرف العرب طريقهم إلى الحق وتسير قافاتهم إلى أهدافه . وأغلب ظنى أن أعداءنا يعرفون ذلك ، وهم يقيمون في طريقنا من العوائق ما لم يقيموه للذين تنكروا للإسلام من قادة الحكم في بلاد إسلامية أخرى . ولكنهم إذا تنكروا لنا ليمنعونا من حمل رسالتنا إلى الإنسانية فإن الله أرحم وأكرم من أن يخذلنا في مواقف الحق والخير .

وأنا أكتب هذا بعد انتهاء مؤتمر عظيم عقد في القاهرة ، واشتركت فيه ست وأربعون دولة ، وكانت الوفود إليه تمثل ألفا وخمسمائة مليون من سكان آسيا وإفريقية ، وهم أكثر من نصف سكان الأرض . إن اجتماع كلمة هذا العدد من البشر على ما يخالف الظلم وأهله ، وإعلانهم التعاون على وضع حد لطغيان الاستعمار في فلسطين، وفي الجزائر ، وفي كل مكان ، يعد حادثا عظيما في تاريخ الإنسانية ، وكلما ازداد تنظيم التعاون بين البشر على مثل ما قرره مؤتمر التضامن الإفريقي الآسيوى ، فإنه سيسر لنا ولقوميتنا العربية المهمة التي نحن ماضون في سبيلها . ولن يحول بيننا وبين القيام برسالتنا إلا التقصير في الاستعداد لها بما يتناسب مع خطورتها من أخلاق وعزائم واضطلاح بأسباب القوة ، فإن القوة لتأييد الحق رأس الفضائل ، وقوة السلاح لا تعد قوة كاملة ما لم يكن لها عون من قوة الأخلاق والروح العالية ، وهذا ما يجب على رجال الدين ورجال التعليم ورجال الإصلاح أن يوجهوا إليه كل عنايتهم ، لتخلص سريرا من جميع أسباب الضعف الخلقى والمادى ، ولنعلم جميعا أن الضعف جريمة لا يفتقرها التاريخ لأصحابها .

كتب الدين الخطيب

فِكَائِهِ الْقُرْآنِ

— ٥٧ —

الناس في دينهم طبقات متفاوتة
والقرآن يخاطب كل طبقة بما يلائمها

« وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم ،
كتب ربكم على نفسه الرحمة : أنه من عمل منكم سوءا بجهالة
ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » .

١ — سياسة القرآن تتجه إلى الناس اتجاها واحدا في دعوتهم جميعا إلى الخير ،
وصرفهم جميعا عن ملازمة الشر ، وتتجه إليهم اتجاها متفاوتا في تقدير منازلهم ، وتخاطب
كل طبقة بما يلائمها ... فأهل الإيمان والامثال لهم خطوة عند الله ، ولهم من القرآن
خطاب كريم ، وأسلوب رحيم ... وأهل العصيان عليهم سخط من الله ، ولهم من القرآن
خطاب غير كريم ، وأسلوب غير رحيم .

٢ — وإذا كانت غاية الإسلام تهذيب أخلاق الناس ، وإصلاح شأنهم عامة :
وجب في حكمة الله أن تكون دعوتهم إلى الخير على غرار واحد .

وإذا كان الناس في إقبالهم على دعوة الإسلام أتباعا لميولهم ، وشيعا في اختيارهم
وجب كذلك في حكمة الله أن يتلطف القرآن في قصصه وبيانه عن الفريق الإيجابي ،
وأن يقسو في هجوه وزرأته بشأن الفريق السلبي .

وهذا وضع حكيم ، وتميز عادل بين من جنحوا إلى اليمين ، ومن انحازوا إلى الشمال .

٣ — وإنها لسنة الله لنا في المجتمع ، نفتدى بها في معاملة من يسالمتنا في صفاء ،
ويصادقنا على الحق ، ومع من يخاصمتنا في عنت ، ويناهض الحق بالباطل ، فما ينبغي
أن يسوى بين المحسن والمسيء .

٤ - هذا قبس نستمدّه من حديث القرآن مع محمد - صلى الله عليه وسلم - مرة في جانب المستجيبين للدعوة ، ومرة أخرى في شأن المناوئين لها .

ففي جانب الأولين يعلم الله نبيه كيف يتلقاهم إذا وفدوا عليه ، وكيف يشعروهم بما أحرزوا عند ربهم ، ويقول له في ذلك : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » .

فهؤلاء نخبة من القوم هداهم الله إلى صراطه المستقيم ، فتعامل عليهم كفار قومهم وحاولوا أن يبعدهم النبي عن مجلسه ، ولكن الله انتصر لهم ، وهلم نبيه أن يستقبلهم بتبليغهم سلام الله إليهم ، وأن يبشرهم بأن الله كتب على نفسه الرحمة ، وأن يفسر له هذه الرحمة بأن من عمل منهم سوءا - بجهالة - ثم تاب من بعد عمله ، وأصلح فيما بقي من حياته « فان الله غفور رحيم » وبهذه البشري يطعنون على أنفسهم مما كانوا يخافونه ، ويتهللون بالوعد الكريم ، ويفرحون بأن لهم عند ربهم تلك المكانة المرضية التي لم يظفر بها من يعاديهم .

وهذا وعد الله لكل تائب من ذنبه إذا أصلح عمله بعد توبته ولم يكن متلعبا فيها . وعمل الذنب تمحوه التوبة مطلقا : سواء أ كان عن جهالة بالحكم ، أم عن علم به ، مادام المذنب لا يأتيه مستحلاله ، ومستبيحا لمحارم الله ودائبا على ذلك ، فان هذا كفر لا يحويه غير الإيمان من جديد .

وذكر الجهالة - في قوله تعالى : « من عمل منكم سوءا بجهالة » - ليس شرطا في قبول التوبة بل ذكر لبيان الشأن في المذنب ، أعني أن القصد من ذكر التنبيه على أن عمل السوء من شأنه ألا يكون إلا عن جهالة ثابتة ، أو جهالة اعتبارية ممن لا يذوده علمه عن مقارفة الذنب ، فيكون جاهلا حكما ، والعلم الذي لا يكف صاحبه عن التورط في عمل السوء هو والجهل سواء .

وهذا توجيه حميد إلى أنه لا ينبغي لعالم بالحكم الديني أن يتشبه بالجاهل في عمل السوء ، فان ذلك التشبه نزول عن مكانة كريمة يستحقها ذو العلم : إلى مكانة وضيعة يهبط إليها الجاهل بسبب جهله .

وإلى هنا يتضح تكريم الله سبحانه للمستجيبين ، ورعايته لهم بتمييزهم على من عداهم .

٥ - أما الفريق السلبى فإن القرآن يقسو عليهم ، ويحط من شأنهم ، ويلقن النبي - صلى الله عليه وسلم - كيف يشعروهم بهوان منازلهم ، ويسخر من تمثيلهم ، وينفر من مطاوعتهم فيما يقترحون عليه .

وهنا أربعة أوامر صريحة ، يتلقاها النبي - صلى الله عليه وسلم - فى نسق واحد ، وفى كل أمر منها تقريع ، وتهكم ، ومهانة لأولئك الراغبين عن هداية الله .

الأمر الأول : « قل إني نهيت أن أعبد الذين تدهون من دون الله » ، وهذا قطع لأملهم فى مطاوعة النبي لم وعبادته لآلهتهم التى أشركوا بها مع الله .

الأمر الثانى : « قل لا أتبع أهواءكم » وفى هذا ترفع من النبي عليه السلام عن متابعتهم هداهم ، وفيه تسجيل عليهم أنهم على غير بصيرة ، وإلماهم بخوضون فى باطل .

ثم يزيدهم تجريحا بقوله : « قد ضللت اذا ، وما أنا من المهتدين » يعنى أن مطاوعتكم ضلال ، فلا أخذ بما أخذكم حتى لا أكون مثلكم من غير المهتدين .

الأمر الثالث : « قل إني على بينة من ربي ، وكذبتكم به » يعنى قل يا محمد : لست صاحب فكرة أدعوكم إليها كما تدعوننى ، ولست مخترع دين كما تخترعون ، بل أنا على حجة بينة من عند ربي ، وهى القرآن الذى أنزله الله ولم يجعل له هوجا وأنتم تكذبون به . وما دمت أنا وأنتم على طرفى نقيض من الأمر فلكم دينكم ولى دينى .

الأمر الرابع : « قل : لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم » يعنى : تطالبون منى أن آتيتكم بعذاب عاجل ، أثبت به صدق دعوتى ، وتستعجلون الوعيد الذى أهددكم به من عند الله كما تحقق وعيد الرسل من قبلى لأنهم سابقة ، ولكن الله الذى أخذ كلا منهم بذنبه لم يشأ أن يعاجلهم بالهلاك ، ولم يجعل الأمر إلى اختيارى ، ولا من تصرفى ، ولو كان فى مقدورى لأنفذته فيكم تصديقا لوعيد الله ، وتحلصا من معارضتكم لدينه ، وبهذا كان ينتهى الأمر بينى وبينكم ، ولكن الامهال لا يفركم ، ولا يخلف الوعيد فيكم ، فإن هذا إلى أجل مسمى عند الله « والله أعلم بالظالمين » فلن يفلت واحد من وعيده ، وإن هذا لقول فصل ، وما هو بالهزل ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

وبعد : فهذا موطن من مواطن العبرة، يساق فيه القصص الحق ، ويتناول جانب العقيدة ، والعمل ، والخلق ، وهو منهج القرآن في تهذيب البشر ، والاتجاه بهم إلى أكرم وضع إنسانى يجعل الناس على مودة مع ربهم ، وعلى إخاء فيما بينهم ، ويكفل لكل فرد أن يكون فى نفسه راضيا ، وأن يكون أخذا بنصيبه فى حدود العدل ، وقائما بواجبه فى ظل الوفاء والإخلاص .

ولو أن الناس أرهفوا أسماعهم للقرآن كما يذنبى لطربت له نفوسهم ، ووجدوا الخير كله فى آياته ، ولأدركوا أن القرآن خير تحفة يتهبج لها القلوب ، ولأصبحت دعوة النصحاء محبة إلى كل ذى وعى .

ولكن الناس استسلموا للهو الحياة ، وتهافتوا على مباحجها فى غير اتزان ، فنقلت عليهم كلمة التقوى ، ونبذوا كل موعظة ، حتى أصبح من العسير على ذوى الأبواب أن يميزوا بين المسلم وغير المسلم من رجال ونساء ، إذ أصبحت المجاهرة بالتبجح شعارا سائدا ، ولم تعد الغيرة ذات سلطان على الرجل ، ولا الاحتشام حلية للمرأة فى أوساط كاللذئاب ، وخيل إلى كثير من الغافلين وذوى الميوعة أن الدين والتدين من خصائص قوم دون آخرين وهؤلاء يعيشون فى جوعا ب ، ولا صلة لهم بدين ينتسبون إليه ، وهذا وهن عقلى ، ووباء خلقى تفشى فى موجة التقاليد الزائفة التى ابتلينا بها ، وروجت لها الدعاية اللادينية من أناس حملوا الأقلام الطائشة ، واستخدمتهم بالنقود جهات معادية للإسلام .

ومهما يكن من تصدع الجانب الدينى عند أناس ، أو فى هيئات : فستظل دعوة القرآن فى قوتها ، ومنابرتها على قسرع الأسماع ، ومقاومة الباطل ، وهداية الناس إلى باب التوبة ، وباب التوبة مفتوح أمام ابن آدم ما دامت فيه روح ... والله يهدينا ويجعلنا من التوابين ما

عبد الطيف العبكى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الشيخة

آخر الوصايا النبوية

- ٢ -

من الأدب النبوي - باب أبي بكر - مدى الطاعة لأولى الأمر - حماية ووقاية - باب عظيم من أبواب الفضل - أجمع الوصايا - آخر الكلام النبوي .

عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما : يوم الخميس ! وما يوم الخميس ؟ ! ثم بكى حتى بل دمه الحصى ! فقالت : يا ابن عباس ، وما يوم الخميس ؟ قال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه فقال : ائتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، فتنزعوا - وما ينبغي عند نبى تنازع - وقالوا : ما شأنه ؟ أهجر ؟ استهيموه ؟ قال : دعوني فالذى أنا فيه خير ، أوصيكم بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . قال : وسكت عن الثالثة ، أو قالها فأنسيتها .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم (*))

(*) فى كتاب الوصية كما قدمنا فى الجزء الماضى ، وقدمنا فيه أيضا مواطن رواياته فى صحيح البخارى حيث اخترنا روايته فى جوائز الوفد من كتاب الجهاد . وآخرها « ونسيت الثالثة » من غير شك .

لما قفل النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، أخذ يضاعف اهتمامه بشئون أمته ، علاوة على شغله الشاغل ببقاء ربه : وقد أراد أن يشهرهم بقرب هذا اللقاء تمهيدا له ، وتأدبا بأدب الله عز وجل لعباده ، في إعلامهم بالبلاء قبل نزوله ، رافة بهم ورحمة ، فجلس على المنبر يوما فقال : إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ، فبكى أبو بكر رضى الله عنه ! وكان أعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريد ! فقال يا أبا بكر لا تبك ! إن أمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر .

* * *

لم تكن هذه الخطبة النبوية الحكيمة مهادا للصاب الأعظم فحسب ، بل كانت إلى ذلك عمادا لاختيار أبي بكر ، كي يضطلع بالأمر من بعده ! فانه بما جمع الله له من المزايا التي لم يهبها لغيره - أقدر أصحابه على احتمال هذا العبء الجسيم وأولاهم به .

ولقد همّ ذات يوم صلوات الله وسلامه عليه ، أن يعهد للصدّيق عهدا صريحا لا مجال للجدال فيه ، ولكنه عدل عما همّ به اكتفاء بالإشارة الواضحة في خطبته ؛ وإنما يكون العهد أو الاستخلاف سنة متبعة ، تغلق باب الاجتهاد والشورى والنصح للأمة ، وتفتح عليها من أبواب الهوى والشر ما لا طاقة لها به .

* * *

فهل كان يريد صلوات الله وسلامه عليه ، أن يسجل في الكتاب الذي دعا إليه ، ما هم به قبل ثم عدل عنه ، من خلافة أبى بكر ليس غير ، أو يضم إليه من بعده من الخلفاء على الترتيب ، إلى عهد بعيد أو قريب ، أو يجمع إلى ذلك من مهمات الدين وأصول السياسة ما لا يقبل اختلافًا ولا تأويلا ؟ ! فقد كان يخاف على أمته شر الاختلاف وضلال التأويل ، كما كان يخاف عليهم أشد الخوف فساد ذات البين ، فان فساد ذات البين هي الخالقة ! !

ومن هنا كان لا يفتأ بأمرهم بتقوى الله والسمع والطاعة لمن يتولى أمرهم ويقودهم بكتاب الله تعالى ، ولو كان عبدا حبشيا كأن رأسه زبيبة ، ما أقام الصلاة ولم يأمر بمعصية ، فان ترك الصلاة أو أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ، كما كان يوصى الولاة بالعدل

والرفق ، ويشتر من رفق منهم بأمتة أن يرفق الله به ، وينذر من شق منهم على أمتة أن يشق الله عليه ، ومن غش أمتة ولم يتب أن يحرم الله عليه الجنة !!!

* * *

وأيا ما كان الذى يريد كتابته صلوات الله عليه ، فقد كفانا مثونته بما ترك فينا ، مما لو تمسكنا به لن نضل أبدا : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .
على أنه استبدل بالكتاب الذى عدل عنه ، ثلاث وصايا تعتمد عليهن الأمة في سلامة بنائها ، وحفظ كيانها ، ودعم قوتها ، واجتماع كلمتها :

إخراج المشركين من جزيرة العرب :

والمراد بالمشركين كل من لم يرتض الإسلام ديناً ، والمراد من جزيرة العرب الحجاز خاصة ، مكة والمدينة واليامة وما إليها .

لا جرم أن الفتنة مع المشركين أينما حلوا ، فبقاؤهم في مهد الإسلام ، وموطنه الأول ، مما يشير عواصف الفتن ، ويهيج كوامن الإحن ، ويرجم بالو بال على المشركين أنفسهم ؛ فأحراجهم من الحجاز إذا حماية لهم ورحمة بهم ، ذلك إلى الوقاية من شر فتنهم ، وسوء طويتهم .

ولقد شغل الصديق عن إنفاذ هذه الوصية بقتال المرتدين وما نعى الزكاة حتى أنفذها الفاروق رضى الله عنه كما أشرنا إلى ذلك في حديث جلاء اليهود أوائل العام السابق .

وإجازة الوفد :

والإجازة العطية . وكانت جائزة الفرد على عهده صلى الله عليه وسلم أوقية من فضة ، وهى أربعون درهما . والمقصود لإكرام الوافدين على البلاد الإسلامية ، وإعانتهم من بيت المال ، مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، كل على حسب مكانته ومثلته ، في غير إسراف ولا معصية . وذلك باب عظيم من أبواب الفضل والبر الذى يدعو إليه الإسلام ويحض عليه ؛ وفيه من تأليف القلوب وبشاشة النفوس ورعاية المصالح العامة ما الإسلام أحق به وأهله .

* * *

قال راوى الحديث : وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها .

وقد روى الحديث سفيان بن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بخائزان يكون كل من هؤلاء الرواة هو القائل ، والذي روى عنه هو الساكت ، وفي سنن أبي داود : قال ابن عباس : « وسكت عن الثلاثة » إلخ... إلا أن صاحب الفتح لم يذكر هذا الوجه ، ورجح أن القائل هو سليمان ، فالساكت إذا هو سعيد... ولا يعيننا من هذا الخلاف إلا صيغة الشك التي تنبئ بتخري الرواة وبلوغهم الغاية القصوى في أمانة النقل .

* * *

وبعد فلماذا عسى أن تكون هذه الوصية الثالثة ؟ .
أهى إنفاذ جيش أسامة بن زيد لغزو الروم ؟ .
ويؤيده أن الصحابة لما اختلفوا في إنفاذه على أبي بكر رضى الله عنه ، أخبرهم بأنه صلى الله عليه وسلم عهد إليه بانفاذه عند موته [١] ! .
أم هى وصاته بكتاب الله عز وجل ؟ .
ولا ريب أنها أجمع الوصايا وأعظمها ، ويدل لذلك ما قدمناه قريبا في الجزأين :
الرابع والخامس .
أم هى قوله : لا تتخذوا قبورى وثنا ؟
ويؤيده أن هذا النهى جاء فى موطأ مالك مقرونا بالنهى عن بقاء دينين بأرض العرب .
أم هى الصلاة وما ملكت أيمنكم ؟
ويؤيدها أنها آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم ، كما فى سنن أبي داود والنسائى
ومسند الإمام أحمد .

* * *

لقد ثبت أن هذه الوصايا كلها كانت أو آخر كلامه صلوات الله وسلامه عليه وهو يودع هذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى ، لكن خاتمتها الحقيقية لا « النسبية » هى الصلاة وما ملكت أيمنكم ، لا جرم أن فى هذه الخاتمة من الحكم النبوية واللغات الربانية ، ما نرجو قريبا أن نقبس بتوفيق الله ومشيتته قبسا مشرقا منه ما

طه محمد الساكت

الأجيال الحديثة

مسئولية المربين عنها

مساكين هذه الأجيال . استقبلوا الدنيا في ظروف غريبة ، أكثر ما فيها مزيج مقلق يزهد فيها ويرغب عنها ، استقبلوها لا على أغاني الحب ، وأناشيد السلام ، ولكن على أصوات القنابل ، وزئير المدافع ، وصليل السيوف ، وفي نار العلم التي تحرق ، لافي نوره الذي يضيء . فقد انحرف العلم إلى المخترعات الحربية يضاعف من قواها في الفتك والتدمير ، وجد في ذلك حتى قطع أشواطاً أشبه ما تكون بالأحلام والمعجزات ، وأصبح لا وقاية للبشرية من أخطارها وإن استعصمت ببطون الكهوف أو ذرى الجبال أو أعماق البحار ، وصار اسم الحرب معناه القناء الشامل والخراب العام ، كما استقبل الأجيال دنياهم في ظروف معاشية قاسية تظاهرت على قسوتها جملة من العوامل المحلية والعالمية ، وأصبحوا يعانون من ضروراتهم المعاشية ما يرهق ويضني ، وحرّم أكثرهم لذائذ العيش ولم ينعموا بما كان ينعم به السابقون من آباءهم وأجدادهم رغم مظاهر الحضارة البراقة ، وصار الحديث عن الماضي المعاشي غريباً لديهم يكادون يعدونه ضروباً من الأخيالة ، أو أنواعاً من الأساطير ، ولم تستطع وسائل الترفيه الحضارية تعويضهم ما حرّموا منه من رخاء وأمن واستقرار .

واستقبلوا الدنيا كذلك في جو اجتماعي خانق سادته روح المادة وأوجد التنافس عليها نوعاً من القطيعة بين الناس ، وساءت علاقات بعضهم ببعض ، وفقدت الثقة بينهم وضعفت صلات التواد والتعاطف ، وانصرف كل إلى نفسه لا يعنيه من شؤون غيره شيء ولو كان ذا قربي ، وصار للرديلة فلسفة وفلاسفة يحللونها ويعالونها ليدفعوا عن أنفسهم تهمة العيب والتقصير ، وليفتروا من المسؤوليات الدينية والخلقية التي تفرضها عليهم الأخوة الإنسانية ، وشاع في الجو الاجتماعي روح التحلل الخلق وتغيرت نظرة الناس إلى العلاقات الجنسية ، وهانت لديهم الحرمات ، وصار للشرف والمرورة معان غير ما تمنىها الأديان وترضى عنها الأوضاع الخلقية الصحيحة . وخلق التطور المفاجيء في بعض الأمم هوة عميقة بين هذا الجيل والأجيال السابقة واختلفت نظرات كل منهم

إلى العادات والتقاليد ، فبينما تؤمن الأجيال السابقة بجودها إذا بهذا الجيل ينظر إليها في كثير من الشك والارتياب ، وبين تشيئ كل منهما برأيه تنشأ المشكلات ، ونشتد الأزمات .

في هذا الجو العالمي الصاخب ، وفي هذه الأجواء المحلية المضطربة تنشأ الأجيال الحديثة حائرة قلقة تحوطها عوامل الخوف والازعاج وتجري بها سفينة الحياة في بحر لحي مصطخب الأمواج ، ينشدون الأمن والاستقرار ليدوقوا طعم الحياة حلوا لذيذا كما ذاقها آباؤهم من قبل ولكن يخيب واقع الحياة آمالهم ويردهم أشد ما يكونون قلقا وحسرة ، فيسيرون في طرق مشتبهة المعالم لا تؤمن غايتها ولا تتحدد مغبتها ، وزاد في قلق الأجيال وبليلة خواطرهم أن تظاهرت أقلام السوء على النيل من تقاليدنا الدينية والقومية وزلزلت إيمان الشباب بها وبفائدتها في استقرار النفوس وتكوين الشخصيات ودعم الأخلاق ، ولم تستطع تلك الأقلام الهدامة أن ترشد هؤلاء إلى ما يقوم مقام هذه المقررات في نفوسهم ، فظل الشباب يقاسى من الحيرة والقلق وتصدر تصرفاتهم صورة لنفوسهم غير مرضية ولا مستقيمة ، ويحاولون أن يجدوا من ظروفهم السابقة ما يبرر تصرفاتهم ويدفع عنهم اللوم والمؤاخذه .

ولقد أحسن عقلاء العالم بمشكلة الأجيال الحاضرة من نواحيها المختلفة وبضرورة التفكير السريع في علاجها ليردوا إليهم إيمانهم بالحياة وبالقيم الخلقية التي تنظمهم بانسجام في سلك المجتمع الذي يعيشون فيه ويعملون له ، واختلفت الأنظار في علاج تلك المشكلات باختلاف أحوال الأمم وبنسبة تفاقمها في كل شعب ، إلا أن هناك علاجا مشتركا تقع مسؤوليته على رجال الدين وعلماء الاجتماع لأن هؤلاء هم المختصون فيما نعلم بالطب لهذه المشكلات ، وإن كان ذلك لا يعنى أنه ليس على غيرهم من رجال المال والاقتصاد شيئا من المسؤولية فيه فتأمين الشباب على مستقبلهم الاقتصادي له حظه في اطمئنانهم النفسى ، وفي انصرافهم إلى العمل ونشاطهم فيه ، وتشجيعهم الإمكانات الاقتصادية على تكوين الأسر والعيش في ظلها إعفاء أطهارا بمنأى عن حياة التحلل والاستهتار .

على رجال الأخلاق في العالم أن يتدارسوا مشا كل الشباب في الأمم المختلفة وهي متشابهة متشاككة ، وعلى ضوء هذه الدراسات الفاحصة الناقدة يصفون العلاج ويوصون الشعوب والحكومات بأخذ الشباب به والسير على نهجه ، وعلى رجال الاجتماع مثل ما على

رجال الأخلاق ، وفي الدراسات الاجتماعية مجال واسع للدرس والتمحيص ، ورجال الاجتماع أشد إحساسا بهذه المشاكل وأقدر على تقصي الأسباب والعمل ، وقد يكونون لهذا أقدر على تشخيص الداء ووصف الدواء . ورجال الأديان أعظم مسؤولية من أولئك جميعا وأوفر حظا من القدرة على الأخذ بيد الشباب إلى النهج السديد والطريق الرشيد ، بيدهم أن يعتمدوا على مكان الدين في نفوس الشباب واحترامهم الفطري لتعاليمه وخشيتهم من عواقب التفريط فيه ، وأن يستغلوا هذه المعاني فيهم ، ويبنوا على هذه الأسس ، وإنها لصالحة للبناء والتكوين ، والدين عصمة من الزلل ، ومعاذ من الخطل ، وسكن النفوس الحائرة ، ومصحح العقائد الزائفة ، والمنهج الواضح للعمل في الحياة في هدوء واستقرار .

وسيجد رجال الدين في محاولتهم عناء وعنتا وسيقطعون أشواطا طويلة قبل أن يبلغوا القصد ويصيبوا الهدف ، فقد جفا الناس الدين وصار غريبا لديهم ، وصار المتكلمون به غرباء ، وأصبحوا في حاجة إلى كثير من الصبر وسعة الصدر ، وإلى شيء من اللباقة وحسن العرض وبراعة الأسلوب ليأنس بهم الشباب ويستجيبوا لهم ويؤمنوا بهم . وعلى الحكومات قبل ذلك كله أن تضرب على أيدي السفهاء من أرباب الأقلام الضالة التي تزين إلى الشباب حياة الفوضى وتدعوهم باسم الحرية الكاذبة إلى اختبار المقررات الدينية بأنظارهم القصيرة وعقولهم الكليمة وتسوقهم إلى مهارى الضلال ودركات الانحلال .

وإن أخذ النشء بتعاليم الدين أنجع علاج لهذه المشاكل وهي في نفوس الصغار أشد توقيرا ، وأبقى أثرا ، وأثبت جذورا ، وتظل مدى الحياة مهيمنة على تصرفاتهم وميزان لأعمالهم . وما اختلفت أحوال الشباب إلا من بعدما غلبت الثقافات المدنية في الشعوب ثقافتهم الدينية وضعف وازع الدين في نفوسهم ، وصارت أهواؤهم وعواطفهم بواعث أعمالهم ودوافع نشاطهم .

إن مشاكل الشباب هي مشاكل الأمم في مستقبلها القريب ، فشباب اليوم رجال الغد . وسيكون بأيديهم زمام الأمور في الشعوب ، فإن صاحبا صالحت واستقرت ونهضت ، وإن زلوا هبطت بهم إلى دركات الفوضى ومهاوى الشقاء . وليس بكثير على الحكومات أن تميء جهودها لتقوم من أخلاق الشباب وتصلح من شئونهم ، وكل جهد يبذل في هذا الميدان فهو جهد مجرود القصد ، نبيل الغاية ، طيب الثمرات ما

حول تعدد الزوجات

ثارت في هذه الأيام زوبعة هوجاء حول تعدد الزوجات والطلاق تهدف إلى منع التعمد وتقييد الطلاق ، وطرقت هذه الزوبعة باب مجلس الأمة ، ولكن لجنة الاقتراحات رفضت الاقتراح . وكان المنطق يقضى بأن تقف الزوبعة عند هذا الحد ولكن سيدها عضوا بمجلس الأمة ابت إلا أن تترغم الحركة وتدافع عن الاقتراح دفاعها عن حق للمرأة مهضوم طال أمد استبداد الرجال به وقد كانت بعيدة عن الميدان فأما وقد صالت وجالت في ميدان مجلس الأمة فقد مكن لها الزمان أن تسترد حقها المهضوم وتستخلصه من أيدي الظالمين . ثم حدث بعد ذلك أن تقدم مندوب تونس إلى لجنة شئون المرأة والطفل إحدى لجان المؤتمر الأسيوي الأفريقي باقتراح يقضى بالآلا يجوز الزواج والطلاق إلا بأمر من القاضي ، ولا ندرى أيقدر هؤلاء خطورة وقفهم بالنسبة لموضوع بحثه الدين السماوي الذي أنزل على محمد بن عبد الله من جميع أطرافه وبينه أوفى بيان واهتدى بهديه المسلمون من وقت نزول هذا الدين وعلى مشهد من الرسول الأمين إلى يومنا هذا وأحاطه رجال الدين بما يصونه ويبنوا للناس أن هذا سبيل المؤمنين : « ومن يبتغ غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

ونريد أن نبين أن دين الإسلام الذي شرعه الله لكافة البشر ما كان ليهدر مصالحة المرأة في تشريع تعدد الزوجات وفي تشريع الطلاق وهو الذي عني بتكوين الأسرة الصالحة وتحديد واجبات كل فرد منها في حال الخطبة وفي حال الزواج والمعاشرة وفي الرضاع والفظام وفي المراهقة والشيخوخة وبعد الموت للذكر والأنثى ، وهو الذي منح المرأة حرية الرأي والملكية والمعاملات المالية ، وقد نادى رسول هذا الدين في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع على مشهد من المسلمين من جميع بقاع الأرض « اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله » والحق أن التشريع الإسلامي قد انتشل النساء مما كن يرزحن تحته وحفظ لهن إنسانيتهم وأخذ لهن على الرجال الموائيق ، فلمن عليهم حقوق كآلهم عليهم حقوق وتساوت رؤوسهن ورؤوس الرجال حين قال : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

تلك إشارات ورموز لما منح الله المرأة من العناية في التشريع الإسلامى حتى في تشريع تعدد الزوجات وسيتبين ذلك . أما أصل الزواج فقد شرعه الله ورغب فيه رسوله لأن به يحفظ النسل وتتكون الأسر ومنها تتألف الشعوب والأمم وبذلك يتم نظام الكون ويحصل العمران ، وكل من عنده مثقال ذرة من عقل يعرف ذلك وأظن أن السيدة أمينة شكري لا تعارض في أصل الزواج وإنما تعارض في تعدد الزوجات ولنا معها وقفة ، أما السيد مندوب تونس المسلمة ، فماذا يريد بقوله أن عقد الزواج لا يجوز إلا بأمر القاضي ؟ أيريد أن عقد الزواج المستوفى شروطه الشرعية إذا حصل بدران أمر القاضي يكون باطلا ؟ إن كان يريد ذلك فهذا بأخف تعبير خطأ فاحش لا يقره عليه الدين وبتعبير آخر هو خروج على الدين أو خروج من الدين . أم يريد بذلك الاستيثاق للزواج والاطمئنان على الزوجية والأنساب وحقوق الأولاد وهذا ما يظن بمثله فليطمئن سيادته إلى أن الحكومة المصرية بارشاد رجال الدين قد احتاطت لذلك بتشريع المأذون المكلف بأن يشهد العقد ويضمن على استيفائه شروط صحته ويحور له ثلاث وثائق وثيقة للزوجة ووثيقة للزوج والوثيقة الثالثة للحكومة تسجل وتحفظ . فعلى مؤتمر الشعوب الآسيوية الأفريقية أن يأخذ هذا النظام الدينى الصحيح عن حكومة مصر المسلمة .

وأما تعدد الزوجات فنريد أن نبين للناس وفي مقدمتهم السيدة عضو مجلس الأمة سرا عظيما من أسرارها ربما يكون قد خفى على بعض الناس . نحن مؤمنون بأن دين الإسلام الذى هو دين الفطرة دين عام لجميع البشر كما قدمنا قال الله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) ولقد عمر الأرض عنصر الرجال والنساء ولكن عنصر النساء أكثر أفرادا في أقطار الأرض وإذا لاحظنا أنه يزداد كثرة بالحروب التى تغنى الكثير من الرجال وتطرد الزيادة أيضا بما ينوء به الرجال من الصناعات الثقيلة والأعمال القاسية في المناجم والمحاجر ومناجم البترول وما يتعرضون له من مخاطر فوق متون المحيطات والبحار وتحت متونها في الغواصات إلى غير ذلك من أهوال قد تودى بحياة كثير من الرجال كان من حكمة الحكيم العليم إن صان عنصر النساء بتشريع تعدد الزوجات ليحمى كل رجل بالزواج من يستطيع حمايته من النساء مثنى وثلاث ورباع كل على قدر استعدادة فالدين كما رغب في الزواج لحفظ النسل وتكوين الأسرة رغب في تعدد الزوجات صيانة لعنصر النساء الذى تطرد زيادة أفرادها على عنصر الرجال . والمحاطب بهذا التشريع المؤمنون ، شأنهم إن يتقوا الله في أنفسهم ،

وفي نسايتهم ويؤدوا لكل ذى حق حقه . ولعلك قد أدركت من ذلك أن أصل التشريع يدعو إلى تعدد الزوجات عند الوثوق بالعدالة بينهن وبهذا نقول وإن المتتبع لتاريخ أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم يعرف إن كبارهم وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون قد عددوا الزوجات إذ أن التعدد هو الأصل في تشريع الزواج المرغب فيه ، وقد كانوا حريصين على أفضل الحالات ، ولتسكلم على الآية التي تفيده ذلك وهى قول الله تعالى : (وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) - المعنى ان خفتم ألا تعدلوا فى حقوق اليتامى فتخرجتم منهن فحافوا الله فى النساء فانكحوا منهن العدد الذى يمكنكم الوفاء بحقه مثنى وثلاث ورباع ، وهذا هو الأصل فى تشريع الزواج المرغب فيه مع توفر العدالة بين الزوجات إذ أن قلب المؤمن مطمئن بالإيمان وممتلىء بخشية الله فله ضمير حى يحاسبه إذا زلت قدمه ، وقدم فى الآية هذا الحكم لأنه كما قلنا الأصل وقوله (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) بمثابة الرخصة للعدول عن الأصل وهو التعدد أى ان خفتم عدم العدل بين الزوجات لأى سبب من الأسباب فتزوجوا واحدة . (ذلك أدنى ألا تعولوا) أى الاقتصار فى الزواج على واحدة أقل درجات عدم العول والقيام بمؤن الأسرة وشئونها وقد قرئ ذلك أدنى ألا تعولوا من أعال ويرجع ذلك للمعنى الذى ذكرناه ، والدين يدعو كل رجل أن يعول أسرة أو أسرا وأن أقل أسرة يجب أن يكون فيها زوجة وذلك أدنى الحدود فى التخلل عن إعالة غيره أو المعنى الاقتصار على زوجة واحدة أقرب من عدم الإعالة فهو أيضا أقل درجات الإعالة التى يدعو إليها الدين إذ ليس بعده إلا عدمها وذلك يشعر بأن الأفضل ما كان فيه إعالة أكثر وظهور أن الدين رغب فى تعدد الزوجات وقدمه فى الآية وجعله كالأصل وأخر عدم التعدد وجعله كالفرع وشرط فيه خوف عدم العدل بين الزوجات وفى كلتا الحالتين جعل الله القول فى توفر العدل والخوف من عدمه للأؤمن نفسه فمرجع ذلك إلى قلبه العاقل بالإيمان والله مطلع عليه وذلك قوله تعالى : (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) أى تزوجوا مثنى وثلاث ورباع عند اطمئنانكم إلى العدل بين الزوجات فان خفتم ألا تعدلوا ولم تطمئنوا من هذه الناحية فتزوجوا واحدة وهذا الأسلوب يشعر بأن الحكم بتعدد الزوجات عند الثقة بالعدل بينهن هو الأصل والحكم بزواج الواحدة عند خوف عدم العدل هو الفرع ، ونظير ذلك قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فربا لا أوركبانا . فالصلوة مطلوب أدائها تامة العدد والأركان والهيئات عند عدم الخوف

وهذا هو الأصل، فإن حصل الخوف جاز أداؤها حسبما تسمح الحال رجالا أو ركبانا وبأى كيفية من كيفية صلاة الخوف وهذا هو الفرع والرخصة، وقد أردنا من ذلك أن نبين أن الدين قد اهتم بالترغيب في تعدد الزوجات ومنح ذلك عناية لا تقل عن عنايته بالترغيب في أصل الزواج وترك تقدير ما يلائم كل شخص لضميره الخاضع لدينه وبيننا أن تشريع تعدد الزوجات إنما هو لمصلحة النساء أنفسهن بحماية الرجال إياهن بالقدر الممكن كل رجل على قدر استطاعته وحسب ما يأنس في نفسه من العدل والحرص على حقوق الزوجات ويلاحظ أننا كررنا القول في المعنى الواحد مرارا ولكن ذلك عن قصد لمزيد الإيضاح .

بقى ما قد يعرض لبعض الناس ويحتاج به لمنع التعدد إذ يقول إن تعدد الزوجات حرام وممنوع عند خوف عدم العدل بينهن لقوله فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة، وقد قال الله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء » فتأبد الحكم بمنع تعدد الزوجات وهذا خطأ يكفى لكشفه أن يكلف الشخص نفسه قراءة بقية الآية ليعلم أن الآية نزلت للتفسير على من يريد تعدد الزوجات لا لممنعه ونص الآية : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » فهذه الآية جاءت لبيان العدل الذى يجب توفره عند تعدد الزوجات وكأنه يقول إن العدل التام فى كل شىء بين الزوجات فى المعاملة والمعاشرة والقسم فى المبيت وفى المحبة والميول القلبية غير مستطاع ولا يدخل تحت قدرتك والله تعالى لا يكلف العبد إلا بما يدخل تحت قدرته ، فالعدل بهذا المعنى لا يشترط توفره عند تعدد الزوجات وإنما المطلوب توفره عند التعدد هو العدل فى المعاملة والمعاشرة والمبيت والنفقة والكسوة وغير ذلك من مطالب الزوجية ، أما الميل القلبي فالمطلوب منه ما يتحقق به حسن الصلة مع الزوجة بحيث تشعر منه بالميل الذى يتلاءم مع نسبتها إليه وحمايته إياها بوصفها زوجه وعرضا له فلا يميل عنها كل الميل فيذرها كالمعلقة التى ليست بذات زوج ولا مطلقة ، فالآية تيسر على الزوج الراغب فى تعدد الزوجات بأنه لا يلزمه التسوية بين الزوجات فى الحب والميل القلبي ويلزمه التسوية فى النفقة والكسوة والقسم فى المبيت ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بين زوجاته فى النفقة والقسم ويقول (اللهم إن هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى بما تملك ولا أملك) .

هذا وإن أعباء الحياة ولا سيما الحياة الزوجية قد صارت فى هذا الزمان حملا عسيرا يثن منه الرجال فصرفهم إلا قليلا جدا عن تعدد الزوجات فلا يكاد يوجد فى المدن إلا

نادرا وقد يوجد في الريف قليلا لتيسر أعباء الحياة هناك نوعا ما مع توفر الحاجة إلى تعدد الزوجات لتكثر الأيدي العاملة في الحقل ، ويتعاون الأبناء مع الآباء ولكن نسبته لا تزال في هبوط مستمر فليطعن من كان عنده انزعاج من هذه الناحية إلى أن الأمر يسير بطبعه إلى ما يريد من غير تشريع يعارض تشريع الحكيم العليم . وكيف يظن عاقل أن الخير في غيره ويبنى له قيودا تبطله . فغترا بأنه إنما يأخذ من تشريع الأقوياء النابهين ، مع أن القوة وحدها هي التي سترت مفاسده في الظاهر ، ولكن أدنى حركة تكشف ستره وتظهر عيوبه ، فكم بيوت للزوجية استبدلت بيوت للاخذان والخليلات ، وكم زوجات هناك تمنى أن تشملها وزوجة أخرى معاشرة زوجية عادلة كما شرع الإسلام ، ولقد ذهب جماعة من النساء المسلمات إلى لجنة الاقتراحات بمجلس الأمة وقال لها : لا نرضى من الرجل أن يمتنع عن تعدد الزوجات ويجمع مع زوجته الخليلات . فسمعت لقولهن اللجنة ورفضت الاقتراح مشكورة .

وإننا نلجئ نرجو غناصين لمجلس الأمة التوفيق والنجاح ، ولذا ننصح لهم بأن يرجعوا في كل تشريع يتصل بالدين إلى رجال الدين إذ هم أهل المعرفة والبصيرة به ، وقد أخذ الله عليهم الميثاق ليدينه للناس ولا يكتمونه ، وسيجدون عندهم من دين الله ما يزيل الإشكال ويضي لهم طريق التشريع القويم ويهديهم الصراط المستقيم ونسأل الله لهم دوام التوفيق والسداد ما

عبد الرحمن عيسى
مدير مجلة الأزهر

السفور بعد الحجاب

قل لمن بعد حجاب سفرت أبهذا يأمر الغيـد الشرف
أسفورا والحيا يحظره وتقى الله وآداب السلف
ليست المرأة إلا درة أيكون الدر إلا في الصدف
أمين ناصر الدين

نحو مجتمع إسلامى :

خذوا الطريق على الرذيلة

طالعنا الصحف أخيرا بأبناء أذاعتها أكبر شركات الأخبار فى العالم ، تشير إلى تحقيقات تجرى فى « انجلترا » بسبب انتشار الرذيلة فيها ، وشيوع الانحراف الجنس فى نواحيها ، وتخبرنا بأن كثيرا من الفتيات والمرضات ينتشرن فى « لندن » عاصمة انجلترا ليقترفن الفاحشة ، وإن أغلب النساء قد وقعتن فى هذه الرذيلة ! ... يحدث هذا فى « انجلترا » المتعلمة المثقفة المتحضرة ، ذات الجامعات والمعاهد ، والتي يختلط فيها الرجال بالنساء ، والتي تقول إن تثقيف الجنسين واختلاطهما أثناء التعليم وأثناء العمل مما يؤدى إلى تهذيب الغرائز ، وتلطيف المشاعر ، ويقضى على الشهوات الجنسية والرغبات الجسدية ! !

وها قد تنقفت انجلترا ما تنقفت ، وتعلمت ما تعلمت ، وأخذت بنظام الاختلاط ما أخذت ، ومع ذلك انتشرت فيها الرذيلة ، وضجت بالشكوى من ذبوع الفاحشة بين نساءها ورجالها ، وتألفت اللجان لبحث المشكلة ، وجرى التحقيقات والبحوث هنا وهناك ، والناس فى انتظار النتيجة التى يصل إليها هؤلاء من وراء ذلك التحقيق .

ولو استقام تفكير هؤلاء وشعورهم لوصلوا إلى النتيجة القديمة الباقية الدائمة ، وهى أن الرجل رجل والمرأة امرأة ، وأنهما قطبان يجاذبان حين يقتربان ، وما بالذات لا يتخلف كما يقول العلماء ، وقد أكدت الطبائع وقررت الشرائع أن شهوة الجنس والفرج هى أغلب الشهوات على الإنسان ، وأطغأها على سلطان العقل حينما يخرف طريقها أوحينا تهيج وتثور ، ولذلك نفر الدين من دواعيها ومثيراتها ومهيجاتها كالنظر الدائم أو العارم ، والاختلاط الواسع ، والتبرج الفاحش ، والخلو ، وكشف العورة ، وما إلى ذلك ، وقد أشار الرسول صلوات الله وسلامه عليه - فى الحديث المتفق عليه - إلى خطر هذه الناحية فقال : « ما تركت بعدى فتنة أضمر على الرجال من النساء » ! ! .

والخبر للعقول والألباب أننا نسمع هذا من قديم ، ونفهمه المرة بعد المرة ، ثم نخالفه في أعمالنا وتصرفاتنا ، فهذه بعض صحفنا تطالعنا بمثل هذا العنوان : « لا جريمة ولا مؤاخذه إذا لف شاب ذراعه حول فتاة وصار معها في الطريق العام » ! وجاء تحت هذا العنوان أن العمل المذكور لم يعتبر جريمة لأن « الجمهور اعتاد مشاهدة هذه المناظر ، وأصبحت مألوفاً لديه ، وليس فيها ما يخذش الحياء » . . . !

يا عجبا كل العجب ! . . ! إنهم يتحدثون عن الحياء عليه رحمة الله ! . ! وأين هو الحياء في دنيا التحلل والانحلال يا بنى آدم ؟ . لقد صار الحياء بضاعة قديمة كاسدة ، يعتبرها هؤلاء المتحللون المنحلون من مخلفات الآباء والأجداد ، وصاروا يستحيون من الحياء ، ويخجلون من كلمة الحياء ، ويلومون من كان عنده حياء ، ويعيبون من يدعو إلى الحياء ، وأصبح الشخص المتمرد يغضب ويحتج إذا وصفه آخر بأنه ذو حياء ! . . . !

وما دام الحياء قد ذهب وودّع فسير تكب الأشرار كل رذيلة وكل موبقة وهم آمنون أن سيئاتهم لن تخذش الحياء ، ولن تخل بالحياء ، لأنه غير موجود ! . . ! وقد قال سيد الوجود محمد صلوات الله عليه : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ! . ! أى إنه إذا لم يكن في الشخص حياء رادع وازع فإنه يقدم على كل فاحشة ، ويأتى كل مصيبة بلا تردد ، لأنه كما يقول الناس قد خلع برقع الحياء ! .

ولو كان في الناس حياء من حياء الإسلام والمسلمين لنحزوا من القبايح والمنكرات ، ولتباعدوا عن حماها ، واغضبوا حين يرون منكرا ولو كان فعلة ممن لا يستحيون ولا يخجلون ، لأن الحياة الطيبة الطاهرة ليست ملكا للأفراد وحدهم ، بل هى من حق المجتمع الإسلامى القويم ، عليه أن يحرسها ويصونها ويذود عنها ، وهذا رسول الله يقول لصحابته : استحيوا من الله حق الحياء . قالوا : يا رسول الله ، إنا نستحي والحمد لله . قال : « ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، (كالسمع والبصر واللسان) ، والبطن وما حوى (كالطعام والفرج) ، ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » .

وهم يقولون : إن تطويق شاب لفتاة في الطريق العام ليس فيه مؤاخذه ، لأنه صار من المناظر المألوفة عند الناس . وليت شعري عند من صار هذا مألوفا ؟ . أعند المسلمين المتقين العقلاء أم عند المتحللين المتفسخين الرقعاء ؟ . وليت شعري ، من هذا المسلم الذى

يقبل لنفسه أن يفعل هذا في وسط إسلامي له كرامة ؟ . أيقبل مسلم عنده بقية من دين أو حياء أن يطوق أمه أو أخته أو زوجته أو بنته على أنظار الناس ، ويسير بها في الطريق العام ؟ . إنما يفعل ذلك شخص لا يراعى شعور الناس ، ولا يحرص على كرامته ولا على كرامة الفتاة التي معه ، وهي في الغالب إما خلية أليفة .

وهل ألفه الشء القذر أو المنكر تعتبر من أسباب إباحته أو السكوت عليه ؟ . هل نبيح النفاق مثلاً لأنه صار مألوفاً ؟ . هل نبيح الكذب لأنه صار مألوفاً ؟ . هل نبيح شرب الخمر لأنه صار مألوفاً ؟ . هل نبيح الخيانة الزوجية لأنها صارت مألوفة ؟ . . أفوتوا أيها الناس فقد ضاعت معالم الطريق ! ! .

ألم يأتكم أن هذا العذر الغريب كان حجة الضالين من القدماء في تفحشهم وإتيانهم السيئات ؟ . يقول القرآن : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون » ؟ . فهم قد احتجوا على جواز الفاحشة بأنها كانت معروفة ومألوفة لآبائهم ، وافتروا على الله فادعوا أنه أمرهم بها ، وهذا كذب صراح ، ولذلك رد عليهم فقال : « قل إن الله لا يأمر بالفحشاء » ثم إن الله تعالى يقول في الآية التالية : « قل أمر ربي بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين ، كما بدأكم تهودون » . . .

والإسلام يحارب الفاحشة في أى مكان وبأى لون ، والفاحشة هي كل شئ جاوز قدره ، ولا تكون إلا في القبيح ، وقيل إن الفاحشة هي كل ما ينفر منه الطبع السليم ويستنكره العقل المستقيم ، وقد حمل القرآن الكريم حملة قوية على الفاحشة والفحشاء في عدة مواضع منه ، وحينئذ قوله : « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، وقوله : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، وقوله : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » ! .

وقصة هذا الفتى الذى طوق الفتاة بذراعه في الشارع العام تذكرنا بقصة موضوعها أن بعض الشبان الماجنين تعرضوا لفتاة في الطريق العام بألفاظ قذرة وعبارات جارحة وحركات ماجنة ، ولما عرض الموضوع قيل إنه لاجريمة ولا عقوبة ، ونشرت الصحف ذلك . . . لماذا ؟ . قالوا : لأن الفتاة لم تشتك ولم تطالب بالعقوبة . مع أنها لم تشتك

في الغالب خوفا على سمعتها ؛ أو تخلصا من متاعب الشكوى والتحقيق والمقاضاة ، والحمد لله فقد تدارك بعض ولاية الأمور الموقف ، وأعيد النظر في الموضوع ، لأن مكافأة الجريمة من واجبات المجتمع ، وفي الحديث : « إذا خفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها ، وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة » ! .

فلنذكر هنا أن بعض الباحثين الأمريكيين يقررون أن نسبة الإقبال على الزواج في أمريكا قد انخفضت بشكل مخيف ، لأن الرجل غير مرتاح إلى حرية المرأة الواسعة وتحللها الفظيع ، ولنذكر أن أحد الذين اشتركوا مع قاسم أمين في دعوته للسفور قد كتب يلعن كل امرأة متبرجة لا تتحشم ولا تتفرغ لبيت الزوجية ، ويقول : إن قاسم أمين لو عاد ورأى هذا التحلل لنادى بالعودة إلى الحجاب ، ولنذكر أن أخلاقنا وأخلاق ذرياتنا ودعائهم مجتمعنا مهددة بالويل والثبور إذا لم تأخذ الأيدي القادرة على هذه الفواحش طرقها وسبلها ، وإذا لم يحاول كل منا - قدر استطاعته - ألا يكون شريكا في إشاعة الفاحشة بين المسلمين : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

أحمد الصرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

إلى بنت الشرق

طوافك بالغداة وبالعشي	أجذك هل حسبت من الرقي
نسكت به عن النهج السوي	برمت بكسر بيتك وهو زين
ضلال الزوج أو جهل الولي	وألهب فيك عاطفة التماذي
بخاز عليك تضليل الغوى	أقال لك الغواة : البيت سجن
فقد وجد الوسيلة للهوى	مجون إن تماذي الشرق فيه
فما فضل الحصان على البغي	إذا كان التمدن في التمري

محمد النجمي

المسئولية في الاسلام

— ٢ —

في المقال السابق تكلمت عن المسئولية في الإسلام والتبعات التي جعلها الله سبحانه على الرعاة في رعيتهم حسبا جاء بها الحديث المتفق عليه « ألا كلّم راع وكلّم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلّم راع وكلّم مسئول عن رعيته » .

وقد تكلمت فيما مضى عن الراعى الأكبر ، وهو الإمام ، وفي هذا المقال سأتكلم عن المسئولية الثانية ، وهى مسئولية الرجل عن أهل بيته من زوجة وولد ، وإذا كان الأئمة والولاة يسوسون المملكة الكبرى وهم مسئولون عنها ، فالرجل هو الذى يسوس المملكة الصغرى وهى الأسرة وهو مسئول عنها . ولا ريب أنه إذا صالحت الأسرة صالحت الأمة فما الأمة إلا مجموعة من خليات هى الأسرة ، وما الأسرة إلا لبنات وهى الأفراد .

ويمكننا إجمال مسئولية الرجل في هذه المسئوليات الثلاث :

١ — مسئولية الرجل عن والديه وذوى قرابته بأن يحسن إليهم وينفق على من تجب عليه نفقته منهم ، ويعاملهم بالرفق ويأخذهم بالحسنى ويتعهدهم بالتعاليم والتمهيد إن كانوا في حاجة إليه ، ويرشدهم إلى الطريق الأقوم في دينهم ودنياهم . وأعظم الحقوق الواجبة على الرجال حقوق الوالدين ولا سيما الأم ثم الأقرب فالأقرب ، وقد استفاد القرآن الكريم بالوصاية بالوالدين والأحسان إليهما وإلى ذوى القربى ، قال تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى الآية [١] » وقال « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا آياه وبالوالدين أحسانا [٢] » وفي السنة النبوية الأحاديث المتكررة في البر بالوالدين وإحسان إلى ذوى القربى وأن ذلك منسأة في العمر مثرة في المال والولد . وفيها الحث على مقابلة أذاهم بالصبر وإساعتهم بالإحسان وقطيعتهم بالوصل والإغضاء

عن هفواتهم ، وما ذلك إلا للابقاء على عروة من عرى الأسرة الوثيقة والمحافظة عليها من أن تنفصم ، ولقد كان من هدى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إذا نزل عليه أمر أو نهى أن يبدأ بذى قرباء فيبلغهم ويعظمهم ويذكرهم ويبين لهم أن الناس ينظرون إليهم كما ينظر الطير إلى اللحم ، فأهل الرجل هم أولى الرجل بنصحه وإرشاده . وفي الكتاب الكريم « وأنذر عشيرك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون » ولما أثنى الله سبحانه على نبيه إسماعيل كان فيما أثنى عليه به قوله « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » [١]

٢ — مسئولية الرجل عن زوجه فالرجال مسئولون عن أزواجهم مسئولية كبرى إذ الزوجة هي محور البيت وعماد الأسرة ، وصلاح الأسرة أو فسادها يتوقف إلى حد كبير على صلاحها أو فسادها . وقد جعل هذا الحديث الشريف للرجل حق الولاية والقوامة على زوجته ، وفي الكتاب الكريم « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » [٢]

وهذه القوامة والولاية التي خولها الإسلام للرجال قوامة لإرشاد وحسن توجيه ونصح إلى ما هو الأقوم والأعدل ، لا قوامة لإذلال أو إيذاء أو إنقاص للحقوق ، وهذه القوامة تحتم على الرجل أن يعلم زوجته فرائض الدين وآدابه إن كانت جاهلة ، ويرشدها إلى الطريق المستقيم إن كانت غاوية ، ويقوم اعوجاجها إن كان في لسانها أو طباعها سلطة أو جفاء وغلظة ، على أن يكون الرجل في ذلك حكيما رفيقا لينا ، وبهذا يلين الصلب ويستقيم المعوج . وقد أشار إلى الرفق بالزوجات في التأديب والتهذيب رسول الإنسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال فيما رواه البخاري ومسلم « امتصصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيرا » .

وطلب السكّال في الزوجات أمر قليل التحقق ، والحياف الزوجية تتطلب من الرجل الحكيم شيئا من التغاضى والتسامح فيما لا يخل بدين أو مروءة حتى تدوم العشرة الزوجية ، وفي الحديث الذي يرويه مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يفرك مؤمن

مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر ، والله سبحانه يقول حائثا على حسن العشرة والتغاضى عن بعض ما يكره منها وعدم الانسياق مع الهوى والرغبة « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » [١] .

نعم إن فعلت المرأة ما يخل بهدين أو مروءة أو حق للزوج فقد شرع الإسلام للرجل طريق الإصلاح ، قال تعالى : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واجبروهن فى المضاجع واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليه سبيلا إن الله كان عليا كبيرا » [٢] والضرب فى الآية السكرية إنما يلجأ إليه عند الضرورة ، فهو كما يقال « آخر الدواء الكى » ، وإنما جعله الله لمن لا يقيد معها وعظ ولا يجبر فى المضجع ، ومثل هذه طبيعتها لا تستقيم إلا بالضرب ، على أن المراد بالضرب الإخافة والزجر أكثر من أن يراد به الإهانة والإذلال والإيلام ، وليس أدل على هذا مما جاءت به السنة شرحا للآية أن يكون ضربا غير مبرح فلا يكسر عظما ولا يقصد وجها ولا يقبح شيئا من محاسن المرأة .

ومن مسئولية الرجل عن امرأته أن يطعمها ويكسوها ويسكنها السكنى الحسنة ، وأن لا يضيق عليها حيث يكون هو فى سعة من رزقه ، وقد سأل معاوية بن حيدة رضى الله عنه رسول الله فقال : ما حق زوجة أحدا عليه ؟ قال « أن تطعمها إذا طعمت ، وتسكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ولا تمجر إلا فى البيت » أى المضاجعة ، ويسمى الإسلام فى باب معاملة الزوجة فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم « خياركم خياركم نساءكم » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وفى باب الإنفاق عليها فيقول الرسول أيضا « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى ربة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك رواه مسلم ، وفى مقدمه الأهل تكون الزوجة والأولاد .

ومن مسئولية الرجل إذا كان له أكثر من زوجة أن يقسم بينهما بالسوية ويعدل فى النفقة والبيتوتة بل وفى بسط الوجه والبشاشة والمؤانسة . أما فى الميل القلبى والحب النفسى فلا ، إذ لا دخل لاختيار الإنسان فيه فلا مسئولية عليه ، وقد توعد النبى صلوات الله وسلامه عليه من لا يعدل بين نسائه بأن يأتى يوم القيامة وشقه مائل ، فتكون سمة مميزة له فى هذا الشهد العظيم ، والجزاء من جنس العمل .

وقصارى القول أن على الرجال تبعات نحو أزواجهم ، وأن الله سائلهم عن هذه التبعات أحفظوها أم ضيعوها . وإن الإسلام لا يعنى الرجل من المسئولية إذا كان صالحا وأهله صالحون ، وصدق الله حيث يقول : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى [١] » . ويقول : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة [٢] » .

٣ — مسئولية الآباء عن الأبناء : وأعظم مسئوليات الرجل نحو أهله مسئوليته عن ولده ، والأبناء أشد قبولا للتطبع والتعلم من الأهل والزوجة ، وهم أمل الأسرة المرجى وعدة الوطن في المستقبل .

ومن حق الأبناء على الآباء الإنفاق عليهم وتعهدهم من الصغر وحسن اختيار المرضعات والمربيات لهم إن لم تقم الأمهات بالإرضاع والتربية ، وأن يحوطهم بالرعاية ويشعرهم بالرحمة والشفقة ويحاول قدر استطاعته أن يسوى بينهم في البر والحفارة والرفقة والرحمة ، ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقبل الحسن والحسين ويجلسهما على فخذه ويقول هما ريحانتاي من الدنيا . وقد رآه أحد الأعراب وهو يقبل الحسن فقال : إن لى أولادا عشرة ما قبلت واحدا منهم ، فقال الرءوف الرحيم : « أوأملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك ؟ من لا يرحم لا يرحم » .

ومن حق الأبناء على الآباء تعليمهم وتنقيفهم ، ويحى في مقدمة ما يتعلمون علم الدين والشريعة ، إذ لاصلاح للحياة الإنسانية إلا بهذا العلم . ثم يأتى بعد علم الدين العلوم الدنيوية النافعة ، والآباء مسئولون عن تعليم أبنائهم أمام الله والله سبحانه حين قال : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » إنما أراد أول ما أراد تعليمهم أمور دينهم من الحلال والحرام والعبادات وغيرها إذ لا نجاة من وقود الناس مع الجهل بالدين وأحكامه .

ومما يؤسف له غاية الأسف أن معظم المسلمين شغلوا عن علوم الدين بعلوم الدنيا ، واستهوتهم زخارف الحياة الدنيا ومناصبها فتأوا بأولادهم عن علوم الدين إلى غيرها

مما ترتب عليه نشوء جيل لا يفقه من تعاليم دينه إلا قشورا لا تغنى ولا تسمن ، بل كثير من الشبهة المتعلّمة تعليما مدنيا لا يعلم عن دينه لا كثيرا ولا قليلا ، فنشأت بين المسلمين أمية دينية هي أخطر على الأمة من الأمية الكتابية ، والإسلام لا يعرف الفصل بين علوم الدين والدنيا ويرى أن كلا منهما مكمل للآخر ، ويحتم على كل مسلم أيا كانت حرفته ومهنته أن يفقه أمور دينه .

ومن مسؤوليات الرجال عن الأبناء أن ينشئوهم على عقائد الإسلام وآدابه وفضائله من الصغر وأن يكونوا هم أنفسهم قدوة حسنة في التدين والأخلاق لأبنائهم والمعاملة الكريمة ، وأن يحرصوا فإن الحرص أن لا تقع أعينهم على ما يكره ويستقبح ، وبذلك ينشأ الفتيان والفتيات في هذا البيت الإسلامى الكريم نشأة دينية أخلاقية ويشبون على تقوى من الله ورضوان فيكونون صورة صادقة للسلم الصحيح ، ويمثلون بسلوكهم الإسلام الصحيح ، ويعصمون أنفسهم عن مزالق الفتن والشبهات . ومن الحقائق المرة المؤلمة أن الكثرة الكاثرة من بيوتنا لا تنسم بطابع الإسلام ولم تألف فيها البنون والبنات الجوال الإسلامى ، فاذا ما كبروا ووعظوا وذكروا بالإسلام وتعاليمه لا تجد الدعوة من نفوسهم قبولا ، بل تجد تباعدا ونفورا .

ومن مسؤوليات الآباء العدل بين الأولاد والمساواة بينهم ، فلا يميز بينهم في معاملة أو عطية أو هبة حتى لا يكون هذا التصرف زارعا في قلوبهم الحقد والعداوة والبغضاء والشعور بالنقص ، وإن بعض الآباء يسيئون إلى أنفسهم وأولادهم وإلى المجتمع بمثل هذا التصرف ، وبحسب المفضلين بعض أولادهم على بعض ما رواه الشيخان في صحيحهما عن النعمان بن بشير قال : « أعطاني أبي عطية ، فقالت عمرة بنت رواحة - يعنى أمه - لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله . قال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . قال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم . قال فرجع فرد عطيته » وفي بعض الروايات عند أحمد « إن لبنيك عليك أن تعدل بينهم فلا تشهدني على جور . أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟ قال : بلى . قال : فلا إذا » وإلى ظاهر هذا الحديث الصحيح ذهب بعض العلماء وقالوا بجرمة هذا التصرف

بل وبطلانه . وبعضهم منع ذلك إلا إن كان له غرض صحيح كزمانة أو عمی أو طلب علم أو نحو ذلك . وبعضهم أجاز ذلك وجعله مكروها [١] .

ومن التصرفات التي يؤاخذ عليها الآباء ما يفعله بعضهم من حرمان البنات من الأموال وقصرها على البنين ، أو تفضيل الذكور على الإناث في العطية ونحوها مما يمت إلى عادات الجاهلية ولا يمت إلى الإسلام ، والإسلام دين تراحم وتحاب وتواصل ، فكل ما يخل بشيء منها فلا يقره الإسلام .

والواجب على المسلم أن يقف عند حدود الله فيحل ما أحل الله، ويحرم ما حرم الله، وحينئذ تستقيم أحوال الناس وتصفو لهم الحياة من المكدرات ، ويعيشون إخوة متحابين متحدين ، لا أعداء متنافرين متفرقين .

* * *

وبعد : فهذه هي مسؤولية الرجال عن الأهل والزوجة والأبناء كما أرادها الإسلام ، وهي مسؤولية تقتضي من الآباء أن يكونوا في مكان القدوة، وأن يأخذوا أنفسهم أولا بما يحبون أن يأخذوا به أهلهم وأبناءهم، وإلا كان كمناف في رماذ، ولم يسمع له قول أو يسترشد له برأى ، فالرجل راع ومسئول عن نفسه أولا ثم عن أهله ثانيا .

ترى - أيها القارئ الكريم - لو أن كل رجل قام نحو نفسه ونحو أهله بهذه الرعاية، فهل كانت المجتمعات الإسلامية تعاني ما تعانيه اليوم من ضعف في التدين ، وانحراف في السلوك، وإسفاف في الأخلاق، وإغراق في التحلل من المقومات الإسلامية والأخلاقية؟؟ وهل كنت تجد في بيئاتنا الإسلامية من يرى المنكر معروفا والمعروف منكرا؟؟ وهل كانت تقع عينك على هذه المناظر المؤذية في بيوتنا وفي طرقنا وأنديتنا؟؟ اللهم لا ما

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

[١] انظر تفصيل القول في هذا في فتح الباري شرح صحيح البخاري جزء ٥ ص ١٦٣ وما بعدها.

الملايو والاسلام

« إلى القائمين على شئون الدعوة
في الأزهر والمؤتمر الإسلامى : أهدى
هذا المقال .
(شريعة)

تاريخ الإسلام في الملايو :

لا يزال تاريخ دخول الإسلام إلى الملايو غامضاً . فالأتقياء من أهل الملايو يردونه إلى دعاة عرب قدموا من مكة ، ولكن ذلك لا يعدو أن يكون التماس أصل قديم لأمر جديد .

والمؤرخون من الغربيين ليس أمامهم إلا أن يعتمدوا على بقايا المنقول وعلى النزر اليسير من الآثار ، وإذا فالرأى السائد - وهو قائم على نظريات المستشرقين الهولنديين - ليس البتة رأياً صحيحاً . ويبدو أن الوضع الصحيح لهذا الأمر هو أنه كان التجار العرب - منذ عهد مبكر - يجوبون المحيط الهندي . وحين كانت الصين قوية ، مستقرة أمورها ، منعت التجارة التي تمر من ملقا وأفنت ، في تلك الأوقات أنشئت المراكز التجارية العربية .

ولما ظهر الإسلام كانت أسرة (تانج) تحكم الصين ، وقامت العلاقات التجارية عبر المضيق بين الجزيرة العربية والصين . وفي عهد (آل سونج) زار التجار العرب (كده) وغيرها من أجزاء الهند الشرقية .

ولكن هذه الصلات الباكرة لم تؤد إلى نشاط سياسى أو اجتماعى دينى بين أهل البلاد . ولما جاء المغوليون كثرت هجرة المسلمين إلى الصين . وبازدياد التجارة عبر البحر مع الشرق الأوسط والهند قامت صلات بين المسلمين وسومطرة كان وسيطها بعثات من مسلمى الصين . وفي ذات الوقت كان النفوذ الإسلامى فى جنوبى الهند يزداد ازدياداً كبيراً ، واستطاع الدعاة التجار من أهل هذه المنطقة أن يجذبوا إلى دعوتهم أهل شمالى سومطرة .

وحوالى سنة ١٢٨٠ م قامت ولاية صغيرة هى ولاية (سامودرا - باساي) وكانت أول قطر يتخذ الإسلام ديناً رسمياً فى الملايو ، وهذا سبق فى اعتناق الإسلام قد هياً لشمالي سومطرة مركزاً ممتازاً بين المسلمين فى الملايو لا تزال تتمتع به حتى اليوم ، وإذا كانت سامودرا باساي قد ذهبت فقد ذهبت خلفها (أخيه) التى اضطلعت بمهامها واشتهرت بشيوخ الصوفية كما اشتهرت بالتعليم الدينى وبتعصب أهلها لدينهم .

وقد فتح المسلمون إقليم (كوجرات) فى غربى الهند فى سنة ١٢٩٧ م وأصبح جزءاً من إمارة دهللى حتى سنة ١٤٠١ م وبدأ هذا الإقليم - فى القرن الرابع عشر - يقوم بدور هام فى التجارة مع الهند الشرقية عن طريق ميناء (كامباى) .

ومنذ سنة ١٤٠١ م حتى سنة ١٥٧٢ م صار هذا الإقليم إمارة مستقلة يعمل على أن يكون صاحب النصيب الأوفر فى تجارة الهند الشرقية وخاصة مع سوق ملقا العظيم .

ويذهب المؤرخون الهولنديون إلى أن جذور الإسلام الملايوى مجلوبة من كوجرات . وذلك بجانب الحقيقة ، لأن التجار الكوجراتين أكثرهم من طائفة البهرة الإسماعيلية ، وليسوا سنيين شافعية كما هو حال أهل الملايو ، ثم إنه حين دخل أهل سامودرا باساي الإسلام كان إقليم كوجرات لا يزال يحكمه الهندوس ، وكان أغلب أهله من البهرة الشيعة والخوجات وقليل من أهل السنة العرب ، فكان التأثير الكوجراتى على التجارة والثقافة لاهل الدين فى هذا الوقت ، وبرغم ذلك فإن سفنهم هى التى حملت إلى الملايو التجار والمغامرين والدعاة ورجال العلم والصوفية من الهند وفارس ومختلف بقاع الشرق الأوسط .

والإسلام - فيما يبدو - قد وضع قدميه فى الملايو قرب نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ، كما يدل على ذلك نقش ملايوى ، هو أقدم سجل كتب بالحروف العربية بقى لنا إذ يرجع تاريخه إلى سنة ١٣٨٩ م بل لعله أقدم من ذلك ، وهو يسجل إصدار بعض القوانين فى (ترينجانو) .

على أن الانتشار الحقيقى للإسلام - قد ارتبط بقيام ولاية ملقا التجارية العظيمة سنة ١٤٠٠ م تقريباً . وكان أوج قوة ملقا (١٤٠٠ - ١٥١١ م) مع أوج القوة الكوجراتية وكلتااهما تعتمد على تجارة الشرق الأقصى شأنهما فى ذلك شأن سنغافورة اليوم .

وقد اطرود نجاح ملقا وكوجرات باعتمادهما على سياسة الاحتكار الإسلامية فى تجارة المحيطة ، بل إن ملقا كانت أكثر حظاً فى ذلك نتيجة للسياسة الخارجية المستنيرة التى

وضعتها أسرة منج الحاكمة في الصين ، فقد شجعت التجارة الخارجية مع الأقاليم الجنوبية تحت ستار حماية هذه الولايات مقابل جزية تدفعها .

وكانت ملقا في أول نشأتها ولاية هندوسية خلفت سنغافورة الهندوسية . وهذه الأخيرة كانت بدورها فرعاً من امبراطورية (سرى فيجايا) في سومطرة . وقد قامت رابطة بين (بارا مسوارا) - أول حاكم لولاية ملقا حوالي سنة ١٤١٠ م - وبين البيت الحاكم في سامودرا باساي ختمت بزواجه أميرة باساوية واعتناقها لدينها .

ويبدو أنه كان هناك رد فعل ظهر أثره في أيام من خلفوه مباشرة ، ولكن الإسلام كان قد ثبت أقدامه نهائياً في سنة ١٤٤٠ م حين استطاع السلطان مظفر شاه أن يسترد عرشه بعد صراع وأن يبدأ سياسة التوسع باسم الإسلام .

واستطاع هو ومن أتوا بعده أن يسيطروا سلطانهم على الجزء الأعظم من شبه جزيرة الملايو كما استطاعوا أن يسيطروا على الولايات النهرية شرقي سومطرة . وقد مكّن ذلك ملقا من أن تسيطر على المضائق ، وأن تحتكر تجارة الهند الشرقية مما جلب لها الثراء العريض والنفوذ على الأقاليم المجاورة .

أما الاتصال بين الجاويين والملايوين في ملقا ، وما يقوم به أهل الملايو وأهل كوجرات من نشاط في مختلف النواحي في الأجزاء الشمالية الشرقية من جاوا ، فقد كان له أثر في نشر الإسلام في هذه المنطقة . وقد استمرت هذه الطريقة - في الملايو ذاتها وفي جزر الهند الشرقية - حتى بعد أن سقطت ملقا في أيدي البرتغاليين سنة ١٥١١ م .

على أن ملقا ، وإن كانت المركز الأساسي للقوة الملايوية ، إلا أنها لم تستطع فيما يبدو أن تكون منبع التعاليم والثقافة الإسلامية ، فقد اعتنق أهل الملايو الإسلام ولكنهم ظلوا فترة طويلة ينتظرون من باساي الإرشاد في أمور دينهم ، ويرسلون في بعض الأحيان إلى شيوخها يستفتونهم في مشاكلهم الدينية . وكان لشيوخ المسلمين من الهنود تأثير صوفي عليهم ، وميلهم إلى القول بوحدة الوجود كان عنصراً هاماً من عناصر الإسلام في الملايو . وقد حظى هؤلاء الشيوخ برعاية الملوك كما حظوا برعاية العامة .

على أن فارس في هذا الوقت كانت قد نالت أعظم شهرة في أنها منبع العلم والثقافة الإسلامية ، وكان أهل الملايو شافعية وحكام الامبراطورية الفارسية من آل تيور

(١٣٨٠ - ١٥٠٢ م) شافعية كذلك بل إن تيمور نفسه كان أعظم سند للشافعية ؛ ولذلك كان لشيوخ هذا المذهب من الفرس أثر واضح في بلاد الملايو من حيث أنهم من شيوخ أهل السنة .

وقد حدث كثير من التغيرات خلال القرن السادس عشر فسيادة ملقا انتهت بفتح البرتغاليين لها سنة ١٥١١م ، وانتقلت إلى حد ما قيادة الملايو إلى (أخيه) في سومطرة ، وإلى (جوهور) في شبه الجزيرة . وقد صاحب ذلك زوال ملك آل تيمور المغوليين من فارس وقيام نهضة وطنية تحت زعامة الأسرة الصوفية ، وكان هؤلاء الحكام الجدد شيعة وبذلك لم يعد ينظر أهل الملايو السنيين إلى فارس على أنها مصدر للتعليم الديني . وقد سد هذا النقص السادة الأشراف من أهل حضرموت على الشاطئ الجنوبي لشبه جزيرة العرب ، وقد جاءوا إلى الملايو تجارا وعلماء وحظوا بمنزلة عظيمة .

وكانت الصلات مع الهند لا تزال قائمة وخاصة الآن مع إمارة هضبة الدكن ، وهذا التأثير الهندي يظهر أتم ما يظهر في الأدب الملايوى الذى بقى لنا من هذه الأيام .

وبمضى الأيام قامت صلات قوية بين الملايو وبين شبه جزيرة العرب ومنها مكة ، وكذلك بينها وبين مصر ، وقد جاءت الصلات مع شبه الجزيرة العربية في صور مختلفة فهناك حركة صوفية هامة هى الطريقة الشطارية ، نشأت أول ما نشأت في الهند ثم رحب بها في جزيرة العرب وبخاصة في المدينة ، ومن المدينة انتقلت إلى سومطرة والملايو وجاوا وإن ازدياد تأثير الأسانذة العرب وكثرة عدد الحجاج قوى روابط الملايو بجزيرة العرب ، وبمرور الأيام بدأ الإسلام يفقد صبغته الهندية التى تربطه إلى القائلين بوحدة الوجود [١] ، وأخذ يقترب رويدا رويدا من الصبغة السنية ، وذلك ملاحظ في اضمحلال شأن طريقة الشطارية الصوفية ، وانتشار أمر القادرية في جزء من بلاد الملايو ، وعلى كل فان النصيب الذى تناله الطرق الصوفية في تلك النواحي نصيب هزيل .

أما تعليم رجال الدين فقد اتبع الأنموذج الشائع في العالم الإسلامى ، فهو قائم على دراسة اللغة العربية ، والعلوم الدينية باللغة العربية ، ولكن إجادة العربية كان أمرا بعيد المنال ، ولذلك فانه ابتداء من القرن الثامن عشر ترجم إلى الملايوية واختصر عدد من المؤلفات العربية الهامة .

[١] المجلة - أى عدم التمييز بين واجب الوجود وجائز الوجود ، واعتبارهما موجودا واحدا ، ومعنى ذلك القول بأن الكائنات هى الله ، وهذا إنكار لوجود الله ، وهى عقيدة برهمية جاءت من الهند .

خصائص الإسلام في الملايو :

استمر نشر الإسلام في الملايو بعد فتح البرتغاليين لها ، وأهل الملايو يربطون الجنس بالدين ، والدين والعرف بالحاكم . فاعتناق الأمراء الإسلام في الملايو إيذان بأن الجنس كله صائر للإسلام .

ولكن انتشار الإسلام كان في بعض الأحيان ظاهرياً فقط ، فقد ظلت الآراء الهندوسية والقائلين بوجود الحياة في كل موجود . وسر ذلك أن الملايو تنقصه العصبية الدينية ، ولكنه مستمسك بالإسلام لأنه يرى فيه حصناً يدفع عنه مظالم الأجناس الأخرى ، والعناصر الخارجة عن النطاق الإسلامي مردها إما إلى أفكار ملايوية قديمة بعثت ، وإما إلى شواذ فكرية اجتلبت من الهند . فالصوفية القائلة بوحدة الوجود - وهي تتعارض أصالة مع الإسلام الصحيح - جاءت من الهند وانتشرت بين الناس وبخاصة في شمالي سومطرة وجاوا .

والعناصر الشيعية تظهر في أدب الملايو القديم ، أو تبعث في بعض التقاليد من مثل مواكب عاشوراء في بعض الأماكن . أما مراسم الزواج وكثير من التقاليد الملكية فإنها تحتفظ بعدد من الشعائر الهندوسية التي لم يدخلها تحرير تقريباً .

وأهل الملايو يتبعون مذهب الشافعي ، شأنهم في ذلك شأن أهل جنوبي الهند وعرب حضرموت ؛ ولكن الشريعة الإسلامية في كل مكان من الملايو يعدلها العرف والعادة ، ففي (نجرى سمييلان) لا تزال بعض التقاليد القديمة الخاصة بالأمومة تجد لها مجالا ، ولا تجد المرأة في أي مكان متحجبة أو ملتزمة دارها .

ومنزلة السلطان عند الملايو - وإن تكن دون ريب متفقة مع الآراء الإسلامية - إلا أنها منتزعة من الفكرة الهندوسية عن الملك الإله ، ولا يزال تقديس الملايو لحاكمه عاملاً ذا أهمية سياسية .

وإذا كان الإسلام قد انتشر في بلاد الملايو في سلم ودون بذل أموال ضخمة ؛ وإذا كان الإسلام غير قادر - في الملايو - على أن ينشئ امبراطورية فإن ذلك يعني أن الثقافة الإسلامية تموزها الشخصية المحلية القوية ، فالمنشآت المعمارية ضعيفة ، والمسجد بسقفه المنحدرة المربعة يشبه إلى حد كبير مساجد (ساحل ملابار) .

وكذلك الحال في الأدب الملايوى فهو أدب اقتباس وتقليد وليس أدبا يمثل في قوة تجربة الملايوى في الحياة ، إذا استثنينا كاتباً أو اثنين .

وكذلك آثارهم في الفنون ضئيلة الأهمية ، على أن هناك ما يبعث على السرور ، ولسكنه قاصر تقريباً على التطريز والنساج وصبغة الذهب وصنع أواني الفضة والخناجر الملايوية .

التطور الإسلامى الحديث في الملايو :

يمكن أن نقول : إن العصر الحديث قد بدأ في الملايو مع استخدام البخار في تسيير السفن ، فذلك لم يقتصر أثره على نقل مؤثرات الحضارة من الغرب ، بل هو كذلك قد أتاح الفرص لعدد أكبر من الحجاج إلى مكة . فقد زاد عدد الحجاج من الملايو ومن أندونيسيا وخاصة حين كانت أسعار المطاط مرتفعة تمد الحاج بنفقات الرحلة .

وفي مكة تقيم جالية أندونيسية كبيرة جعلت عملها نقل الحجاج والقيام على شئونهم ، مع اشتغالها بدراسة العلوم الإسلامية ونقلها إلى لغتهم ونشرها في الملايو ، وإن أكثر الحركات الدينية المجددة في الملايو إنما قام بها حجاج عائدون .

والطلاب الذين يدرسون علوم الدين يدرسونها إما في مكة وإما في جامعة الأزهر في القاهرة - وقد شهدت سنة ١٩٥٥م افتتاح أول كلية لعلوم الدين الإسلامى في (كلانج) وبعض أساتذة هذه الكلية من رجال الأزهر .

وقد اختصت المحاكم الشرعية بالنظر في مسائل الأحوال الشخصية ، من زواج وطلاق وميراث ، كما اختصت بالنظر في إلزام الناس أداء الشعائر الدينية ، وإدارة الأوقاف ، وقد مد القضاة سلطانهم إلى النظر في قضايا الميراث التي تصل إلى ثلثمائة جنيه ، بعد أن كانوا لا ينظرون إلا القضايا التي تقل قيمتها عن مائة جنيه ، وهذه المحاكم من سلطتها أن تلزم الناس الصوم ومن لم يهم غرم ، وهى لا تقصر سلطتها على المسلمين من أهل البلاد وحدهم بل تملأ كذلك إلى المسلمين الأجانب الذين يقيمون بها وإن كان من المشكوك فيه أن يقع ذلك .

ومشكلة الطلاق قد أدت إلى رأيين مختلفين ، رأى المصلحين وهم يرون أن الإسلام قد ألمع إلى التزام الزواج بواحدة على أساس أن الزواج بأربع إنما أبيع بشرط التسوية والعدل بينهما ، وهو شرط لا تقوى الطبيعة البشرية على تحقيقه [١] ، ولكن هذا التفسير للنص القرآني لا يرتضيه المحافظون المقلدون الذين يرون أن مفارقة القدامى في تفسيرهم للقرآن أو العرف المأثور ليست إلا هجوما مقنعا على الدين ، ومع ذلك فإن الحركة النسائية تستجمع أمرها وتطالب بقسط من الطمأنينة والأمان للسامة أكثر مما كان لها من قبل .

والتحضر في أندونيسيا قد قطع شوطا أكثر مما قطعه في الملايو . فقد اطرحت أندونيسيا الحروف العربية حتى في الكتب الدينية ، بل إن الأدب الحديث يستلهم مثلا أخرى من الثقافة الهندوكية الأصل التي استقرت في جاوا ، ومن آثار رابندرانات تاجور ، وما خلفته الحركة العقلية الفلسفية في فرنسا ، بل في كتابات (ماركس) .

ولكن الكتابة في الملايو لا تزال تستخدم الحروف العربية ، والأدب لا يزال يتمسك باسلاميته ، ومن هنا نجد أن أندونيسيا والملايو قد اختطت كل منهما اتجاهها ، وأن امتزاج الوعي القومي في الملايو باللغة والكتابة قد حال بينها وبين أن تكون وسيلة لوحدة قائمة على أصول سلافية .

المسلمون الأجانب في الملايو :

جاء الإسلام إلى الملايو من الهند وقد ظلت الصلة قائمة بينهما منذ دخل الإسلام ، ولكن الجمهور الأعظم إنما هو من المهاجرين الذين وفدوا حديثا إلى الملايو والجمهور الأعظم إنما هو من المهاجرين الذين جاءوا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، والهنود يكونون أكبر جالية مسلمة في الملايو ، وهم يشملون :

- ١ - المسلمين من أهل التاميل ، وأكثرهم من (تاجور) في مقاطعة (تانجور) ويستغل معظمهم بتجارة الثياب أو الكتب أو البقالة الخ .

[١] في هذا الجزء مقال مبسوط في بيان حكم الإسلام وحكمته في هذا الموضوع .

- ٢ - المسلمين الملاباريون ، وهم من (بوناني) وغيرها من ساحل ملابار ، وكثير من هؤلاء أصحاب مطاعم ، والتامليون والملاباريون شافعية كأهل الملايو .
 - ٣ - المسلمين من كوجرات وأكثر هؤلاء بهرة (شيعة اسماعيليون) من بومباي ، ويشغل معظمهم بالاتجار في الثياب .
 - ٤ - المسلمين من البنجاب ، وأكثرهم من صغار العمال ، أو ممن يقومون باصلاح الساعات ، وقليل منهم من رجال الأعمال .
- وفي سنغافورة وغيرها من البلاد قريب من أربعة آلاف من سادة حضرموت وعدن وهم كذلك شافعيو المذهب يشتغلون بالتجارة في موانئ البحار الجنوبية .
- وفي هذه الأيام نجد قلة من الصينيين في الملايو مسلمين ، وأكثرهم أسلموا بسبب زواجهم مسلمات ملايويات ، وأبناء هؤلاء يندمجون في المجتمع الملايوى .
- والهنود المسلمون أكثر إثارة للشغب والصخب من مسلمى الملايو « إن نال الإسلام شيء » . والاضطرابات التي وقعت سنة ١٩٥٠ م . كان الهنود هم الذين حرضوا الملايويون فيها . إن مسألة الفتاة الهولندية الكاثوليكية التي ربتها على الإسلام سيدة ملايوية ثم انتزعت منها وزوجت قد فسرت على أنها هجوم من حكومة مسيحية على قوانين الإسلام في الزواج .

نور الدين شريعة

كاتب هذا البحث الأستاذ ماري سورن يقيم إلى اليوم في سنغافورة وهذا جزء من البحث وأرجو أن أقدم الجزء الباقي منه قريباً .

الإسلام وساحة الفكر

الحرية أحد الأصول الرئيسية التي تتحقق بها سلامة الأفراد والجماعات ، بل الشعوب والحكومات ، وعليها تعتمد الأمم ذات الرسالة الإنسانية في أداء رسالتها ، وهي حق طبيعي للإنسان ، بل هي من فطرة الله التي فطر الله الناس عليها . والإسلام - وهو التشريع العام الخالد الصالح لكل زمان ومكان والدستور الجامع المنظم لشئون الأمة الدينية والدنيوية ، المحقق لصالح الفرد والجماعة والأمة على السواء - قد عالج الموضوعات الحيوية الهامة - وفي طليعتها موضوع الحريات - معالجة حكيمة ناجحة .

فقرر الحرية للأفراد والجماعات ، ضمن نطاق الحكمة والمصلحة العامة ، وشرع من النظم والأحكام ما يكفل تحقيق ذلك ، ويصونه ، سابقا وبارا جميع النظم الدستورية الأخرى التي عرفها الإنسان .

هذا وسأقتصر في بحثي على حرية الرأي والفكر . مع بيان ما قرره الإسلام في شأنها .

جاء الإسلام والناس في كل مكان أسرى التقاليد وعبيد الوراثة ، قد حرم عليهم رؤساء ملهم أن ينظروا في عقيدتهم مستقلين ، وأن يجروا في شيء على غير ما رسمه لهم أئمة الدين ، فتمطلت مهجة العقل ، وشلت حركة التفكير واختلفت الأمم في نحلها بقدر ما اختلفت في جماعاتها ، ووقر في نفوسها بأن الدين لا يتناول بالنظر ، ولكن بالوراثة ، ولا يؤخذ بالدليل ولكن بالتسليم ، فكانت نتيجة ذلك كله أن استشرت الوثنية في الأمم ، وفسدت القلوب بفساد التقاليد التي اقتضتها ، واختلت أداة الحكم بنشوء الطبقات التي تتنازع السلطان على الجماعة ، ونضب معين العلم وضاعت الحرية الإنسانية ، وكثرت الفتن الأهلية والدسائس السياسية ، وفقدت الحياة معناها السامي في حرية الفرد والجماعة .

جاء الإسلام والأمم على هذا الحال .

أما الذي حدث فقد أطلق الإسلام حرية الرأي والفكر ، وأحاطها بسياسات منيعة من

القوة والمنعة ، وأشاد بشأن العقل وأحله المنزلة الرفيعة ، ومدح عباده الذين يتبعون أحسن ما يستمعون من القول بعد بحثه وفحصه وتحيصه - قال تعالى : (فبشر عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

أراد الله بذلك إيقاظ العقل والحث على تربية القوى الفكرية ، مع الاعتداد بالنفس والعمل على استقلال الرأى وحرية التفكير .

حث الإسلام أهله على أن يتمثلوا الشجاعة لاستعمال عقولهم وإبداء آرائهم فى كل ما يحقق مصالحهم ، ويدفع مفاسدهم ، فدعا إلى الاجتهاد ، وجعل القياس - وهو الرأى السديد فى إلحاق الأشباه بالأشباه والنظائر بالنظائر فى الأمور التى لم يرد فيها نص صريح من كتاب أو سنة - أحد مصادر التشريع الأربعة وهى الكتاب والسنة والإجماع والقياس . وفى هذا مجال فسيح للرأى وتقدير الحرية التفكير .

جاء الإسلام داعياً إلى البحث والتنقيب وتصييد الحكمة والمعرفة : (الحكمة ضالة المؤمن) . (خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت) .

وقد أجمع المؤرخون على أن المسلمين بدأوا يطلبون العلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بست سنين ولم يخرجوا عن أخذ الحق والخير حيث وجدوهما ، حتى إذا ما جاء العصر العباسى اشتد النهم عند المسلمين إلى المعارف الإنسانية يدرسونها فى تحقيق واستقصاء ويستوعبونها ، حتى أصبح هذا اللون من الثقافة الواسعة الشاملة . فلا غرو أن يوجد عند المسلمين كبار الأئمة الثقات فى الدراسات التاريخية واللغوية والفلسفية . فى هذا الجو المشبع بالعلم ، وهذا الأفق المفتوح للسعى والعمل ، تغير الواقع من حولهم فكان من الطبيعى أن يتغير ما بأنفسهم . وإن الدنيا بعد أن كانت تبدو لهم عقياً وباطلاً تحولت فى نظرهم إلى الجهاد العلمى والتأمل النظرى المجرد .

استوعب العقل العربى بدافع قوى من الإسلام كل ما كان لدى الأمم السابقة فى الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والعلوم الزراعية والبيطرية . حتى نظروا فيما ألفوه فى السحريات والطلاسميات . فكان لهم من كل ذلك حظ وفير . والعقل الذى يستطيع استيعاب كافة نواحي التقدم العلمى السائدة فى زمانه . لا شك أنه عقل موفق خصيب . ويستدعى هذا العقل من أمثالنا الذين يريدون إظهار ما كان وراءه من نفس وثابة وهمة غلبة أن يطيل التأمل فى آثاره للوصول إلى سر عبقريته ونبوغته .

ويظهر لنا من تحليل الشخصيات الإسلامية الكبيرة ، أمثال ابن رشد والفارابي والكندي والغزالي وغيرهم من العلماء الذين خدموا العلم والفلسفة في عهد ازدهار الأمم الإسلامية . أنها مظهر رائع من دراسات عميقة وتحقيقات دقيقة . صادفتها أدوار من الاضطهادات كما حدث مثله في كل عهد من عهود التطورات الأدبية في الأمم . وقد ساعد هؤلاء الأفراد الممتازين على النبوغ أن الإسلام لم يحجروا على العقول أن تخوض أى مجال من مجالات البحوث أيا كان نوعها ومن أى بيئة صدرت . ومما لا مشاحة فيه أن العلوم التي اقتبسوها عن اليونانيين والفرس والكلدانيين والهنود قد ساعدتهم على توسيع دائرة سلطانهم العقلي . ولم يكتفوا بما وجدوه من التراث العلمي بين يدي أهله . فعملوا على ترجمة ما كان مختزنا من المؤلفات في شايها المكتبات وقضى على أصحابها التعصب للدين أن لا ينظروا فيها .

وعلى الرغم من الكشافة الذهنية التي طغت على الناس في أوروبا في القرون الوسطى ، وما كان لنفوذ رجال الدين هنالك من القوة في الحد من سلطان حرية العقل ، على الرغم من هذه العوامل تجلت بواسطة المسلمين حرية البحث والتقريب بأجلى صورها في غضون هذه العصور ، وكان لأهل أوروبا منها نصيب وافر ، فقد كانوا يرسلون شبانهم إلى بلاد المسلمين لتلقي العلوم في جامعاتها .

نعم إن نفرا من الذين كانوا يمثلون الفلسفة اليونانية في قسمها النظري ، قد مرت بهم أوقات حرجة من الاضطهادات ، ولكنها كانت أدوارا عابرة لم تلبث أن انقشعت ، وتمكن رجال تلك العصور من ممثلي تلك الفلسفة أن يعيشوا بسلام بين ظهراني إخوانهم المسلمين ، وأن يحظى كثير منهم بتعظيمهم وتبجيلهم .

ولسنا ممن يقولون بأن اختفاء مؤلفي كتاب « إخوان الصفا » عن الأبصار وتأليف كتابهم في طي السر والكتمان دلالة على سوء منقلب من كانت تحدته نفسه بالاشتغال بالفلسفة الهلينية [١] . فقد كانوا يعيشون على أكمل حالات الحرية بين الناس ، ومنهم من

[١] المجلة - بل هم الذين آمنوا بالتكتم لما كانوا ينطوون عليه من مقاصد الاسماعيلية الباطنيين . والاسماعيلية بنيت من أساسها على العمل في الخفاء ، وقديما قيل :

الستر دون الفاحشات ولا يلفاك دون الخير من ستر

حظى بالألقاب الضخمة . منهم الفارابي الذي لقبه المسلمون بالمعلم الثاني باعتبار أن أرسطو كان المعلم الأول ، وأبو علي بن سينا وقد لقبه الناس بالشيخ الرئيس ، والقاضي ابن رشد ، وقد سمح له أن يرد على حجة الإسلام الغزالي .

نعم إننا لا نقول : إن هؤلاء الرجال وغيرهم لم يصادفوا اضطهادا ما ، ولكننا نقول : إن اضطهادهم كان لا يعتبر شيئا يذكر بجانب اضطهاد أمثالهم في أوروبا وقد أحرقوا بالنار وصلبوا على الأعواد ، وإنه ليجب على المسلمين أن يدركوا هذا الفارق وأن لا ينساقوا مع المبالغين الذين يهولون بذكر الاضطهادات ضعفا منهم عن تقدير الحقائق ، وغفلة عن أنهم بعملهم هذا يطعنون في أسلافهم عن جهل وقلة مبالاة .

وعلى الجملة ، ففي كل ما تقدم دليل واضح على أن الإسلام أطلق حرية الرأي ، وأن عقائده وتعاليمه وأحكامه تتفق مع العقل السليم والنظر الصحيح ، وأنه دعا إلى الاجتهاد واعتبر القياس . فلا يمكن أن يتطرق إليه الجمود أو أن يضيق عن حاجات الاجتماع ، أو يصادم الحقائق العلمية ، أو يعارض النظريات السكونية ، أو أنواع العلوم التي تحقق مصالحة الأمة ونواميس الحياة .

عبد الحميد سامي بيومي

أول مدرسة للطب

في أوروبا

أول مدرسة أنشئت في أوروبا للطب هي التي أنشأها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر في قرطبة . وقد امتلأت الأندلس بالمدارس لجميع العلوم على عهد العرب ، بل يقال إن جامعة (مونبليه) الطبية في جنوب فرنسا كان الفضل في تأسيسها للعرب .

سلسلة الفقه الاسلامى

الفقه الإسلامى قد وجد فى جزيرة العرب وعماده كتاب الله الكريم الذى نزل منبجا على وفق الحوادث والتدرج فى التشريع ، وقد كان ينزل به الوحي الصادق على النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والقرآن أول مصدر من مصادر التشريع الإسلامى لا يستطيع عاقل أن ينكر علينا قدسيته ، وعدم انتسابه لأحد إلا لله رب العالمين وقد حوى هذا الكتاب الكريم جميع نواحي التشريع : من عادات ومعاملات وأحوال شخصية وعقوبات وتشريعات للسلم والحرب والمواريث ، وتلك التشريعات كانت تارة واضحة مفصلة عرفت أحكامها بيسر وسهولة ، والبعض الآخر قام الرسول الأكرم بتفصيله وتوضيحه ، فالمسلمون فى فجر الإسلام ما عرفوا فقهها رومانيا ولا غير رومانى ، بل كانوا محصورين فى الجزيرة العربية وما جاورها لا يفزعون عند وقوع الحوادث التى تتطلب أحكاما إلا إلى رسولهم وكتابهم . وقد كانت للرسول أفضية كثيرة جمعت فى كتب متعددة فيما بعد ، فقد كان منبع الفقه الإسلامى فى ذلك العهد من كتاب الله وسنة رسوله ، وإذا نظرنا إلى الطريقة التى نزل بها القرآن والتى جمع بها والتى وصل بها إلينا وجدناها أقوى طريق عرفه البشر فى ثبوت الحقائق العلمية ، فلا تعدلها نظرية الثبوت التى ابتكرها ديكرت أو غيره من فلاسفة الغرب والشرق ، فقد تحقق فى طريق نقل القرآن التواتر الذى يحيل العقل كذب إخباراته وأنبائه .

ذلك هو حال التشريع زمن النبي عليه السلام ، وقد كان يرسل به هدايته ودعائه إلى الجهات التى أذعن أهلها للإسلام ، ولا يطلب من مبعوثه أن يتلمس تشريعه واستنباط الأحكام إلا من الكتاب والسنة ، فان لم يجد فيها ما يريد أمره بأن يجتهد ويستنبط ، فلم يكن الفقيه الإسلامى يعتمد على مدد أجنبى أو مصدر غير إسلامى ، يرشد لذلك أن الرسول عليه السلام لما أراد أن يرسل معاذا إلى اليمن استدعاه قبل إرساله ليرى صلاحيته واستعداده للقيام بأعباء وظيفته والاطلاع بمهامها ، فقال له : « كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ فقال : أقضى بكتاب الله . فقال عليه السلام ؟ فان لم تجد فى كتاب الله تعالى ؟ فقال معاذ : أقضى بسنة رسوله . فقال عليه السلام : فان لم تجد فى سنة رسوله ؟ فقال معاذ : أجتهد رأى ولا أقصر فقال عليه السلام : (الحمد لله الذى وفق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضى رسول الله) .

وإذا انتقلنا بعد هذا إلى عصر الخلفاء الراشدين نجدهم قد ساروا فى التشريع على النهج الذى وضعه الرسول لهم ، فنرى كبار الصحابة قد أشربت نفوسهم تعاليم الإسلام ، واستعدت عقولهم وقويت ملكاتهم على التشريع ، فقاموا به خير قيام ، بل قد تخصص بعضهم فى بعض المباحث الفقهية كما جاء ذلك فى خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه إذ قام خطيباً فقال : أيها الناس من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبى بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى فإن الله جعلنى له قاسماً وخازناً .

ونرى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يرسل أبى موسى الأشعرى إلى البصرة يضع له دستوراً عاماً ولائحة للقضاء ويحدد له مصادر التشريع ، فإذا هى كتاب الله وسنة رسوله واجتهاده واستنباطه الأحكام للحوادث التى تجد قياسها على الحوادث الماضية المعروفة لديه ، وقد عرف عدد كبير من الصحابة والتابعين بالفقه والقدرة على التشريع كعبد الله بن عمر وأبى هريرة وسعيد بن المسيب وابن شهاب الزهري والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز وجابر بن زيد وغيرهم . هذا ما كانت عليه الحال فى عهد الصحابة والتابعين إلى منتهى القرن الأول الهجرى ثم لما جاء القرن الثانى وجدت فيه ظاهرة جديدة وروح وثابة إلى وضع القواعد التشريعية التى تبنى عليها المسائل الجزئية ، فقد ظهر أبو حنيفة بالكوفة وتلاميذه أبو يوسف ومحمد وغيرهما وأخذوا يؤسسون المذهب الحنفى ، وفى ذلك الوقت وجد الإمام مالك بالمدينة ، وكان له أتباع وتلاميذ ، وبعد ذلك ظهر الإمام محمد بن إدريس الشافعى المولود بغزة من أعمال عسقلان سنة خمس مائة هجرية ، ثم أعقبه الإمام الرابع أحمد بن حنبل ، وقد أسس هؤلاء الأئمة مذاهبهم على الكتاب والسنة ، وظهر فى ذلك العهد مصدر آخر من مصادر التشريع وهو الإجماع الذى أثبتوا صحته كدليل من أدلة الشرع بقوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » حيث قالوا : إن اتباع غير سبيل المؤمنين هو مخالفة الإجماع ، وبأحاديث متعددة تحرم الخروج على الجماعة .

وقد اشتد الجدل وكثر حول القياس وكيفية إثبات الأحكام به ، وقد أراد كل إمام أن يضع لمذهبه الضوابط والمقاييس حتى يجمع جزئيات المسائل تحت أصل من الأصول

الثابتة ، وبذلك نشأ عند الفقهاء علم جديد سمي بعلم أصول الفقه وهو الذى جعل أساسا لاستنباط الأحكام الشرعية ، وقد دون هؤلاء الأئمة وتلاميذهم الكتب التى جمعت أحكام كل مذهب : فدون أبو يوسف ومجد مذهب أبى حنيفة فى كتب مدونة لا تزال مطبوعة إلى اليوم ككتاب الخراج وكتاب الآثار لأبى يوسف ، وكتاب السير الكبير وغيره من الكتب التى ألفها الإمام محمد، وقد قام بعض الفقهاء باختصار بعض مؤلفات الإمام محمد وجمعها فى كتاب واحد كما فعل ذلك الحاكم الشهيد فى كتابه المسعى بالكافى، وقد صنع الإمام مالك وتلاميذه مثل ما صنع أبو حنيفة فقد ألف الإمام مالك كتاب الموطأ وجمع فيه كثيرا من الأحاديث المؤيدة لأحكام مذهبه وألف بعده عبدالله بن الحكم المصرى كتاب المختصر الكبير وألف محمد بن سحنون كتابه المشهور بالجامع وغير هؤلاء ألفوا كتباً كثيرة فى مذهب الإمام مالك .

وسار الإمام الشافعى فى جميع مذهبه على هذا المنوال فقد ألف كتاب الأم الجامع لأغلب أحكام المذهب ، وألف كتاب الرسالة فى أدلة الأحكام ، وللبويطى تلميذ الشافعى كتاب المختصر الكبير والمختصر الصغير وكتاب الفرائض ، ولا زالت هذه الكتب معروفة فى العصور الإسلامية يرجع إليها فقهاء المسلمين ولا يعرفون غيرها ، ولو تتبعنا نشأة الأئمة وكيف تعلموا العلم ومن أين أخذوه لوجدناهم نشأوا فى بلاد لا علاقة لها ببلاد الرومان أو غيرهم ، فالسلسلة التشريعية الإسلامية ابتدأت أولى حلقاتها بالكتاب والسنة وما فيها من الأحكام ، ثم امتدت الحلقات بالخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الصحابة والتابعين، ثم ظهر الأئمة المجتهدون بعد ذلك وما استنبطوه من الأحكام المبتثثة فى كتبهم وكتب تلاميذهم ، وقد ظلت هذه الأحكام متناقلة إلى عصرنا الحاضر لا يستطيع أحد مهما كان شأنه أن يدعى أنها تأثرت بأى مؤثر خارجى من أى نوع من أنواع التشريعات غير الإسلامية .

عبد الله مصطفى المرافى

(يتبع)

الشيخ محمد عبد الله دراز

انتقل إلى رحمة الله عز وجل في مدينة لاهور بباكستان يوم الاثنين ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٦ من يناير سنة ١٩٥٨ م هلم من أعلام الأزهر الأستاذ الكبير الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز ، وصلى عليه في الجامع الأزهر المعمور ، وقد ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ كامل محمد حسن وكيل كلية اللغة العربية كلمة الرثاء الآتية في مشهد تشييع الجنازة بعد الصلاة عليها ، قال :

بسم الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد صدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ، ولكن يقبضه بموت أهله » - بموت العلماء العاملين - وأى عالم فقدناه اليوم في ميدان العلم وخدمة المجتمع الإسلامي ؟ ! إنه المثل الكامل ، للعالم العامل ، الذي أمدّه الله بالعلم النافع ، وتوجه بالخلق الكريم ، وجمله بالأدب الوفير .

إنه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد الله دراز ، كان نفاعاً للعالم بأحاديثه الممتعة القيّمة ، كان جماعاً للقلوب ، بعيداً عن مواطن العيوب ، جاهد في سبيل ربه ، وأخلص لله في عمله ، فعرف الناس قدره ، وشهدوا جميعاً بفضله .

ارتقب الناس زمانه بعد أن بلغ الله به ، وتطلع المصلحون إليه بعد أن أنهض الله الخير له ، ولكن حوادث المنون ، التي تشيب وتريب ، كانت وراء آماله مائلة ، وسهامها الغادرة كانت تنفذ إلى قلبه الطاهر مسرعة وعاجلة ، ولو أن موت هذا العالم العظيم يفتدى ، لرخص والله الفداء بأموالنا وأنفسنا ، ولكننا المنايا إذا نزلت ، لا يدفعها مال ولا نسب ، وقضاء الله بالموت محتوم ، وأجل الله إذا جاء لا يؤخر .

وفي الحق إننا في موقف رهيب ، لا يترك للإنسان لبا ، ولا يستبقى منه قلباً ، وما أصعب الكلام على المرء وقلبه مثقل بالأحزان ، ونفسه مأخوذة بتصاريف الزمان .

ولو كان هما واحدا لاحتملتة ولكنهما هم وثالث وثالث

هم أصاب العالم الإسلامي بفقد عظيم ديني ، وعالم اجتماعي ، قضى نحبه وهو مشغول بخدمة المجتمع الإسلامي ، في لاهور ، في الآفاق البعيدة النائية ، في مصر وفي غير مصر يخدم الإسلام والمسلمين !...

وهم أصاب العلماء بفقد علم من أعلامهم ، وكان العلم المرفوع الخفاق !...

وهم ثالث أعظم ! أصاب أهل الأزهر عامة ، وأبناء كلية اللغة العربية خاصة ، بانقطاع ذلك المدد العلمي الروحي الفياض ، الذي كانت تستمد منه قلوبهم ، وتحييا به نفوسهم ، فقد كان لهم الأستاذ الراحل كالماء يسوقه الله إلى الأرض الجرز فتحييا به الأرض بعد موتها ، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها !...

إن الله الذي بيده ماسكوت كل شيء هو الذي عجل بخيارنا إلى لقائه ، وهو وحده الذي يلهمنا جميل الصبر على قضائه ، فإليك يا الله وحدك نتوجه ، وأنت علام الغيوب ، المطاع على هذه القلوب الحزينة ، الخاشعة الذليلة الكسيرة ، ونسألك أن تشمل راحلنا الكريم بعفوك ورضاك ، اللهم اجعله في ولايتك وأنت ولي المؤمنين ، واشمله بواسع فضلك ورحمتك وأنت أرحم الراحمين ، وألهم آله وأنجاله وأسرته الأزهرية بالعالم الإسلامي جميل الصبر على ما أصابهم !...

أيها الراحل الكريم...! إننا في هذا الموقف الرهيب نذكر قول الإمام على كرم الله وجهه ، حين وقف على قبر زوجته فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، يرثيها بقوله :

سكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذى دون الثمات قابل

وإن افتقادی فاطما بعد أحمد دليل على ألا يدوم خليل

فسلام الله عليك حيا وميتا ، وسبحانك ربنا ، إلیک أتینا ، وإلیک المصیر ، وإنا لله وإنا الیه راجعون !...

طامل محمد صبي

وكيل كلية اللغة العربية

رثاء المر حوم

الدكتور محمد عبد الله دراز

طيب الله ثراه

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان بدير الأستاذ
بكلية أصول الدين وهي قصيدة في نحو مائة بيت
ونكتفى منها بنشر ثلاثين بيتاً .

الله باق والورى لفناء كيف المات لسائر الأحياء
كل يسير إلى التراب وإنما يبقى الإله مقلب الآناء
في قبضة الله الوجود جميعه يجرى الأمور بحكمة وقضاء
وله المشيئة في الخلائق ، حكمها جار على العطاء والحقراء
ما أنت يا دنيا سوى حلم حلت فيه الأمانى ساعة الإغفاء
فاذا أفاق المرء من إغفائه كنت السراب يلوح في البيداء

* * *

اليوم مات « محمد » علم الهدى في عصرنا ، ومنازة العلماء
رجل يفيض كما يفيض البحر من علم العليم ، وحكمة الحكماء
يلقاك في بشر الكريم ولطفه مستقبلاً بمباحة السمحاء
خلق أرق من الذسيم لطافة وتواضع في عزه وإباء
ما كان في يوم يذل العلم بالـ -زلقى لذي جاه ولا برىاء
يفتى على هدى الكتاب وسنة الـ هادى ونهج أئمة الفقهاء
خدم الخليفة خدمة مشكورة في المشرقين فحاز خير ثناء
ولكل مؤتمر يقوم ممثلاً للآزهر المعمور في الأنحاء
بالأمس في (لاهور) أدى واجبا لله ، والإسلام خير أداء

وهناك غالته المنون كأنه شمس الضحى نخرت من الزرقاء
لك حكمة يارب فيما حل بال إسلام من محن ومن أرزاء

* * *

يارافعا للدين راية مجده خفاقة في سائر الأجواء
إن الحنيفة عند موتك نكست يوم الحداد عليك كل لواء
والمسلمون وقد رأوك مشيعا للقبر ماظفروا بحسن عزاء
يبيكون فيك شمائلًا ومواهبًا جعلتك نخر الملة الغراء
لو كنت تمنع يا مجد بالفدا لوجدت عند الموت كل فداء
ماذا أقول من الرثاء لصاحبي والموت يخرس ألسن الشعراء
لو يملك المحزون غير دموعه صاغ الرثاء اليوم كالخندساء
الدمع أفصح من لسانى منطقا عند الفجيعة إن أردت رثائي
لا شئ بعدك في الحياة يسرنى عظم المصاب فقل فيه عزائي
ومشى الأسى في عارفك كأنه وهج السعير يدب في الأحشاء
نم في جوار الله يرباك الذى يضيف عليك سوايغ الآلاء
فلقد دفعت عن الحنيف خصومه وقرعتهم بالحنة الغراء
سيخلد التاريخ ذكرك عاطرا مثل الأريخ يفوح في الأرجاء
صديقك المحزون

محمد سليمان بربر

الأستاذ بكلية أصول الدين

فقيد الأزهري

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء

صدعت لأمر الله إذ كان داعيا
تعلت مصدوع تغشاه فاجئ
إذا جنّ ليل الخطب أو طمّ هوله
وما كان خطبا تألف الأذن وقعه
ولم تفدح الجلى شجى نذيرها
نروح على الدنيا ونغدو لموعده
تشابه أهلوها دفيناً ودافنا
وكيف يرى حيا رهين بيومه
ومن وسد الأحياب في الترب ميت
يقسم فيهم كل يوم فؤاده
نحمت الخطا والموت يحدو ركابنا
ونوغل في الدنيا احتراباً وكلنا
وبين حياة المرء والموت زفرة
وكيف تسبغ الهون والعمر واحد
(وإن ابن عبد الله خلى مكانه)
سل الأزهري المعمور ما باله اغتدى
تلاطم فيه الدمع حتى كأنما
تلقاه مجحولا مسجى وكم غدا
مضى باسمه من راح يرفع رأسه
وكنا نرجى فيه أوبة سالم
أقلته فتخاء الجناحين بارح
كساها جلال العلم والموت هيبة

وكذبت في منعك من قام ناعيا
يرد أساه ذاكر القوم ناسيا
رأى حلماً من كان بالعين رائيا
ولكنه خطب يهز الرواسيا
كما فدحته بالفجاءة خاليا
تساوى به من راح أو ظل باقيا
ومن كان مرثيا ومن كان رائيا
إذا كان هذا اليوم لاشك آتيا
وإن عاش دهرها بعدهم ولياليا
ويحسب في الأحياء من كان فانيا
ونبنى المنى قبرا لمن كان بانيا
على مورد للموت يسقى الصواديا
فعشها كريما شاخ الرأس عاليا
إذا لم تكن يوما سوى الله راجيا
وما كان خوارا ولا كان وانيا
من الهول مغشيا عليه وغاشيا
مآذنه أيد تصدّ الأواذيا
إلى ساحه بالأمس جذلان ساعيا
وينفح (باكستان) منه غواليا
على الطائر الميمون يقظان شاديا
تترّز أزيّا نأخ الجرحس باكيا
فيالك من نعش طوى الجوساريا

تسير الهوينى والملائك حولها تشيع مرضى الشئائل صافيا
 وكم هزّ أطباق الأثير بصوته فهذا الأثير اليوم يحدوه حانيا
 وكم قد غزا الآفاق حيا بهديه فما زال بعد الموت للآفق غازيا
 هو الأزهر المعمور نكس حظه وأنغر جرح فيه أعيا المداويا
 يعجل بالسباق فيه مظفراً وبالبجر فياضاً وبالنجم هاديا
 وبالفدّ لمّا وبالنذب عزّة وبالورد منصوراً وبالفصن حاليا
 لقد كنت تأسو يا مجد جرحه فأمسى وما يلقي لفقدك آسيا
 فأين أمان كنّ أحلام خاطر طموح المعالي لا يرى النجم نائيا
 تعجلك المقدور عنها وغالها وأقضى المنايا ما يमित الأمانيا
 ففي ذمة الرحمن ساع لربه ليلقاه مرضياً عليه وراضيا

مصن جاد

الأستاذ بكلية اللغة العربية

« اعتذار »

ورد للمجلة في رثاء فضيلة الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء ، عدا ما نشر كلمات ثرية وأخرى شعرية - تمّ كلها عن روح التقدير والإجلال والتأثر - وقد ضاق النطاق عن نشرها ، فنعتذر للسادة ذويها ، ونخص بالذكر أصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ محمد كامل الفقي والشيخ أحمد شفيع والشيخ محمود جميلة ، الأساتذة بكلية اللغة العربية ، والمجلة إذ تقدر للجميع صادق شعورهم ، تتوجه إلى المولى جل وعلا أن ينزل الفقيّد منازل الأبرار ، ويعوض الأزهر والمسلمين فيه خيرا .

الحكمة في تعدد الزوجات

- ١ -

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » سبيل وسبيل الأزهرين كلهم واضحة مستقيمة ، لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ، سهل عبورها يسير السير فيها ، « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . سبيلنا أن ندفع بكل ما أوتينا من حول وقوة « ولا حول ولا قوة إلا بالله » تلكم الأستار الكثيفة والمجرب المتراكمة التي وضعتهما يد الأغراض ، وأسدلتها نزعة الشهوات على وجه ديننا الخفيف ، وهو الدين الخالص السليم من كل عيب ، البعيد من كل جور وحيف حتى تطاول عليه الملحدون بحجة الفلسفة العلمية وهم منها براء ، ومن أنوارها خلاء .

معاذ الله : أن تحجب نور الدين حجب وأستار ، أو تحول دونه شبه وأوهام . ولكن المتحللين شاءوا أن يجعلوها عليه فكانت لأعينهم هم غشاء ، ولقـلوبهم أكنة وغطاء ، فما أبصروا الدين ولا وعوه ، وهو الهابط من سموات الجلال ، ومهابط التعاليم الربانية ، والحكم الإلهية . انتشر نوره في جميع الأرجاء ، وملائت حكيمته القلوب التي لم تعمها الأغراض والأهواء . سبيلنا « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .

سأتكلم هنا في موضوع من أهم الموضوعات الدينية الاجتماعية وألزمها للمرء في أيام حياته ، وعليه وضع أساس العمران ومبدأ الحياة الاجتماعية ، ولأنه ليؤلمني جد الألم أننا أصبحنا في زمن نسمع فيه ممن ينتسبون إلى الدين - بزعمهم - ما لم نكن نسمعه من قبل إلا من المبشرين الأمريكيين وغيرهم من الدعاة إلى غير دين الإسلام ، فكانوا يعيبون على دين الإسلام قصورا منهم عن تعرف أسرارهم ، وتبين حكمهم ما توخاه في تعاليمه كلها من خير المجتمع ونفعه ، فقلدهم أولئك جاهلين أو متجاهلين ؛ لغاية سيئة ظالمة اختمرت في رءوسهم « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

سأحاول ما استطعت شرح آية من آيات الذكر الحكيم أثبت الله بها أصلا من أصول الحياة العمرانية التي جاء بها الدين الخفيف ، وأسأل الله من فضله أن يمدني بروح منه ،

أستعين بها في شرحها وبيان ما انطوت عليه من حكم وأسرار ، وبيان الحكمة العظيمة في تعدد الزوجات .

تلك الآية هي قول الله تعالى : « وإن خفتم ألا تنفستوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لکم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » .

سأشرحها إن شاء الله وأبين متى يجوز تعدد الزوجات ، ومتى لا يجوز ، وأبين حكمة التعدد في ذاته .

ظاهر إلى حد البداهة أن القوانين كلها - ومنها الدين الحنيف - قامت ضد الشهوات ، ووقفت حائلة بين المرء والسير في طريق شهوته ، واتباع هواه ، وعفوا إذا سميت الدين قانونا ، فإن الدين معتبر فيه أن يكون مذبوبا لله سبحانه وتعالى حيث يعرفونه : بأنه وضع إلهي سائق لذوي العقول إلى اختيار ما هو خير لهم الخ ... ، وليست كذلك القوانين ، فإنها مجموعة مواد تحدد بها المصالح فعلا أو تركا ، بقدر ما تصل إليه عقول واضعها ، من تعرف أما كن المنافع والسبيل المؤدية إليها ، غير أن الدين والقوانين تشترك جميعا في أن الغرض منها جميعها بيان طرق المنافع ، والحيلولة بين الناس وبين الشرور والمضار ، وغير خاف أن متانة القانون ورفعته إنما تكون بقدر ما حدد من مصالحة ، وبين من حكمة وهدى إلى سبيل ، وأرشد إلى خير وسعادة ، وإنما يكون ذلك في القانون بمقدار سعة علم واضعه ، وإحاطته بمصالح الناس في حالهم ومستقبلهم ، دنياهم وآخرهم ، وبمقدار حكمته ووضعه الأشياء فيما يصلح لها من مكان ، ويليق بها من زمان ، وخبرته بما تتغير إليه أحوال الناس ، وما يحتاجون إليه بحسب هذا التغير والتطور ، فإن لهم في كل حالة أحكاما تلئم معهم ، ونصائح إن اتبعوها نفعتهم ، وأعتقد أننا لا نجد في الدنيا من يخالف في أن الله سبحانه أوسع علما وأحكم إرشادا وأهدى سبيلا ، إذا فالأديان أو القوانين الإلهية هي خير القوانين وأحسنها وأجمعها لمصالح العباد ومنافعهم « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

قوى الخير والشر في الإنسان

خلق الله الإنسان وركب فيه قوى مختلفة ، وجعل له منازع ينزع إليها بحسب ما فيه

من بواعث وشهوات وصفات فطر عليها ، قال علماء الأخلاق : إن الله جلت قدرته جعل في الإنسان النفس والعقل ، أما النفس فتدعوه إلى الشرور والقبائح « إن النفس لأماراة بالسوء » ، وأما العقل فيدعوه إلى الخير ومحاسن الأشياء ، وماسمى عقلا إلا لعقله صاحبه ومنعه عما يضره ويؤذيه . وتمد النفس الشهوات ، ويمد العقل العلم والعرفان ، فكان عدلا وإنصافا وحكمة ، أن يقف الدين أمام الشهوة ولا يرنح لأربابها العنان ، وإلا هلكوا وفسدت أحوالهم ، وليس من الحكمة في شيء أن يصدها صدا تاما ويمنعها عما تصبو إليه وتتوق له ، وهو فطرة من الفطر التي فطر الله الناس عليها ، فشرع لها ما تأخذ منه حاجتها على قصد وعدم إفراط . ولا أتكلم عن جميع قوى المسرة الشهوية وغير الشهوية فإن ذلك يحتاج إلى بحوث كثيرة طويلة ، ولاسكتني سأقصر الكلام على شهوة النكاح ؛ فإنه هو الذي تتكلم عنه الآية الكريمة ، وتشرع للناس حاجتهم منه وكفائتهم فيه .

ذكر الأطباء والشرعيون أيضا أن الشهوة أو النطفة تتولد في الشخص من أنواع الغذاء ، وأن بقاءها بالجسم باستمرار ضار به إلى حد ما ، على أنها مع هذا هي أصل التناسل وأساس الذرية . وكما أن الله سبحانه جعل شهوة الطعام وسيلة إلى بقاء الأشخاص إلى غاية ، فإنه جعل النكاح كذلك وسيلة لبقاء الأنواع إلى غاية ؛ مع ما فيه من التناسل وكثرة الأولاد التي يباهي بها النبي صلى الله عليه وسلم الأمم يوم القيامة ، كما يفيد قوله صلى الله عليه وسلم : « تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة » ، تلك حكمة من حكم النكاح وسره الذي أبيع لأجله ، ومن حكمه أيضا كسر الشهوة التي يضر بقاؤها في الجسم ، وقد تحمل صاحبها على العنت والفجور إن لم يجد حلالا ، كذلك فيه الإعانة على تدبير المنزل وتنظيمه وكثرة العشيرة .

بيان الآية الكريمة

يقول الله تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » .

لما نزلت الآية قبل في أمر اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير والإثم العظيم ، تخرج الناس من ولايتهم وخافوا أن يلحقهم ذلك العصيان الكبير بترك الإقسط

وهو العدل والإنصاف في أموال اليتامى وحقوقهم ، وكانوا مع هذا لا يخرجون من ترك العدل بين النساء اللاتي في العصمة ؛ بما جبلت عليه النفوس من الظلم وارتكز في الطباع من حب التغلب ونفوذ الرأى .

والظلم من شيم النفوس فإن تجدد ذاعفة فلملة لا يظلم
فإن الرجل منهم ربما كان تحته العشر من النساء أو الست أو السبع - قبل تحريم الزائد على الأربع - وكان لا يبالي عدل بينهن أو جار ، قام بحقوقهن أو قصر ، فأراد الله وهو الناصح الحكيم لعباده اللطيف بهم أن ينبههم إلى أن النساء لسن أمتعة في أيديكم تفعلون بهن ما تشاءون من حيف وجور ، بل هن أناسى مثلكم لهن عليكم حقوق كما لكم عليهن حقوق « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » .

وفي الحديث الشريف : « الله الله في النساء فإنهن عوان في أيديكم (أى أسراء) أخذتموهن بأمانة الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله » ، وكما أنكم تكرهون أن يجار عليكم وأن ينزل بكم ظلم ، فكذلك النساء لا يردن ذلك ولا يريد الله لهن ، وإذا كنتم تخرجون من ولاية اليتيم خشية الإثم والمعصية فلتتخرجوا أيضا من ذنب يساويه في الخطورة ، فإن من خشى ذنبا وخافه وهو مرتكب مثله فليس بخاش ولا خائف ، فأنما تخاف الذنوب وتحذر لأنها بتحريمها علم قبورها وسوء مغبتها والقبح قائم في كل ذنب ، فليس من الحكمة والرشد ترك ذنب والإقامة على مثله ، فإن خشيتكم عدم العدل في اليتامى فخافوا مثله في النساء اللاتي في ولايتكم ؛ فإن الظلم أنى وجد شيء قبيح ، فقللوا من النساء وانكحوا ما طاب لكم منهن لتستطيعوا العدل بينهن ، ولا تميلوا كل الميل فإن القلة أقرب إلى العدل وأيسر إلى المحافظة ، وفي الحديث : « من كان له امرأتان يميل مع إحداها جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » .

وقيل : كان القوم يخرجون من ولاية اليتيم ، ولا يخرجون من الزنا فليل لهم : إن كنتم تخشون الجور في حق اليتامى لقبحة وسوئه ، فاخشوا الزنا فإنه أضر منه وأسوأ مآلا ، وانكحوا ما طاب لكم من النساء ، وقد جرت عادة الله سبحانه في تعليمه لعباده أن يقرن لهم النظير بالنظير ؛ ليبين لهم ما فيه صلاحهم وحسن حالهم .

محمد الطنبجى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير الوعظ بالجمهورية المصرية

البعثة المحمدية

وحاجة العالم اليها وعموم الرسالة

(١) حاجة العالم إلى البعثة المحمدية :

اتفقت كلمة الباحثين في تاريخ الشعوب والأمم ، على أن العالم قبل البعثة المحمدية ، كان مغمورا بموجة عاتية من الفساد الاعتقادي والعمل ، أشاعت في آفاقه الأحداث والفتن ، وقوضت في أنحائه دعائم الأمن والاستقرار ، وبعثت في حكامه روح الظلم والطغيان ، وأفسدت في شعوبه أوضاع السلوك والتدين ، فاضطربت في أممه أنظمة الإدارة والحكم ، وتقطعت بينها روابط الصلات والحوار ، واختلت في أعمالها موازين الحق والعدل .

فقامت فيها الحياة الاجتماعية على كبت الحريات ، واعتقال الألسنة والعقول في محابس الاضطهاد والاستبداد ، وسفك الدماء المعصومة على مذابح القسوة والاستعباد ، وقامت الحياة السياسية على سلطان القوة الغاشمة ، التي لا تعرف حقا ولا عدلا ، ورهبة الجبروت الحربي الذي لا يعري ذمة ولا عهدا ، وقامت الحياة الدينية في أوضاعها وصورها ، على تحكم الأهواء والشهوات ، واختراع الشرائع والأديان ، والمكوف على عبادة الأصنام والأوثان ، هكذا كان حال الحكام في طغيانهم واستبدادهم ، وحال المحكومين في شقائهم واستعبادهم ، وهكذا كانت مظاهر الحياة في نواحيها السياسية والاجتماعية والدينية ، فان شعوب العالم في هذه الحقبة من الزمان ، كانت تتمثل في دولة الفرس في الشرق ، ودولة الروم في الغرب ، والأمة العربية في جزيرة العرب .

أما الفرس والرومان : فان التاريخ وإن سجل لهم ما سجل من حضارات ومدنيات ، ونقل عنهم ما نقل من أنظمة وتشريعات ، إلا أنه سجل عليهم بجانب ذلك كله ، أنهم أقاموا هذه الحضارة بكل مقوماتها وأهدافها ، على نزغات الأهواء والشهوات ، ونزعات الظلم والطغيان ، ونزوات القسوة والاستبداد ، واغتصاب الحقوق وإهدار الكرامات فكانت شقاء للشعوب والأمم ، وبلاء للأفراد والجماعات ، لأن الحضارة التي لا تقوم على هدى الشرائع السماوية ، تدفع أهلها إلى التحلل من القوانين الأخلاقية والقيم الروحية ،

والتشريع الذى لا يقوم على قواعد العدل الإلهى ، يكون من أقوى البواعث على ظلم العباد واستعباد الرقاب ، وويل للأفراد والجماعات ، من ظلم تفرده التشريعات الجائرة ، وطغيان تحميهِ القوانين الظالمة .

وأما الأمة العربية فى بدواتها ، فإنها على رغم ما كانت تتمتاز به من حياة الحرية والاستقلال ، كانت غارقة فى جاهلية جهلاء ، فقد كانوا فى فتره من إرسال الرسل وتشريع الشرائع ، قضوا فيها زمنا طويلا وهم أبناء الطبيعة البهيمية ، تسير بهم فى مناحى الحياة والوانها ، على النهج الذى توحى به أهواؤهم وشهواتهم ، فأنحرفت أخلاقهم وطباعهم ، وضلت عقائدهم وأعمالهم ، ونمت فيهم نزعات العصبية الجاهلية ، فاستحوذت على قلوبهم وعقولهم ، وتحكمت فى تفكيرهم وسلوكهم ، وحببت إليهم العتو والنزوع إلى الشر وفرقتهم شعوبا وقبائل متعادية .

وهكذا تحكمت الأهواء والشهوات فى سلوك الشعوب والجماعات ، واستشرى الفساد فى كل جانب من جوانب الحياة ، واختفت معالم الشرائع السماوية فى كل ناحية .

هذه صورة إجمالية لما كان عليه العالم قبيل البعث المحمدى ، وهى كما ترى تدل دلالة قاطعة ، على أنه كان فى حاجة شديدة إلى صيحة من صيحات الحق الإلهى ، تقوض عروش الطغاة الجبابرة ، وتزلزل قواعد القوة العاشمة ، وتنقذ الإنسانية من محنها وويلاتها ، وتملأ جوانب الأرض حقاً وعدلاً ، وتنشر فى أرجائها الأمن والسلام والاستقرار ، وهذا هو الذى أراد الله كونه فكان ، فقد تداركته رحمة الله ببعثة خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

فكانت بعثته صلى الله عليه وسلم ، استجابة لدعوة أبيه إبراهيم عليه السلام ، كما قال الله تعالى حكاية عنه فى دعائه : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » ، ٢ : ١٢٩ « وتحقيقا لبشرى أخيه عيسى بن مريم ، كما قال عز شأنه : « وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يديّ من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، ٦١ : ٦ « ورحمة عامة للعالمين ، كما قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، ٢١ : ١٠٧ « ومنة كبرى على المؤمنين ، كما قال جل جلاله : « لقد منّ الله على

المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، ٣ : ١٦٤ » .

وببعثته صلى الله عليه وسلم ، اكتمل عقد النبيين والمرسلين ، وتكاملت لبنات البناء الذي أقامه النبيون السابقون ، كما قال الله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، ٣٣ : ٤٠ » وقال صلى الله عليه وسلم : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بناء فآحسته وأجمله ، إلا موضع لبنة من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » ، وبها تمت مراحل التشريع السماوي ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فرسلته صلى الله عليه وسلم خاتمة النبوات والرسالات ، ومتمة للمراحل التشريعية السماوية ، ومكملة لبناء الإصلاح الذي أقامه النبيون من قبله ، فلا نبوة ولا شريعة بعد نبوته وشريعته ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وخلاصة القول في هذا المطلب ، أن البعثة المحمدية كانت ضرورة لإصلاح حال المجتمع الإنساني ، وقضت بها سنة التدرج في التشريع السماوي ، والسير بركب الحياة الإنسانية إلى الكمال المقدر لها ، إذ لو كانت الدعوة المحمدية غير ضرورية لإصلاح العالم في مرحلته الأخيرة ، أو كانت مقتطعة من مرحلة تشريعية لا تحتاج إلى تشريع جديد ، أو كانت آتية في تشريعها على خلاف سنة التطور في الإصلاح الديني ، أو كانت من مبتكرات العقل البشري ، أو كانت مستمدة من الوحي الباطني كما يزعم الجاهلون والمضللون ، لكانت شريعتهما أضيق الشرائع أفقا وأسرعها عفاء ، ولما استطاعت الصمود أمام الأحداث العنيفة التي لا حقتها في بدايتها ، واستمرت معها في صراع عنيف وكفاح رهيب ، والتي لا تزال معها في هذا الصراع والكفاح إلى الآن ، ولكن اقتضاء حاجة العالم لمرحلتها التشريعية ، وجريانها على سنة التطور التشريعي ، ووضوح دلائل صدقها وحقيقتها ، وروعة تشريعها وإصلاحها ، وصلاحية هذا التشريع لكل زمان ومكان ، ومسايرته لمطالب الحياة الإنسانية في أكل صورها وأشكالها ، كل ذلك هو الذي جعلها تثبت أمام هجمات هذه الأحداث العنيفة ، وتنتصر عليها انتصارا رائعا ، وجعل صوتها يذوي في الأمصار والأقطار ، ونورها يتألق في الجواء والآفاق ، رغم ما قام في طريقها من عقبات وأحداث ، فقد حاربتها الأعداء في ماضيها وفي حاضرها ، بأموالها ورجالها

وعلموها ، وسلط عليها جهالة المبشرين والمستشرقين ألسنتهم وأقلامهم ، فلم ينالوا من قوتها منالا ، ولا استطاعوا الوقوف في طريقها ، ولا صرف القلوب عن دلائل صدقها ، ولا صد الشعوب عن الانضواء تحت لوائها « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ٩ : ٣٢ - ٣٣ » .

(٢) عموم الرسالة المحمدية :

وكان الله مراحل التشريع السماوى ، ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وجعله خاتم النبيين والمرسلين ، جعل رسالته عامة باقية ، لا تختص بأمة دون أمة ، ولا بزمان دون زمان ، كما قال جل جلاله : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ، ٧ : ١٥٨ » « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، ٢١ : ١٠٧ » « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، ٢٥ : ١ » « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ٣٤ : ٢٨ » فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما فى معناها ، تقرر فى وضوح وجلاء ، أن الله تعالى - وهو صاحب السلطان المطلق - أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، وبشيرا ونذيرا للناس أجمعين ، لافرق بين بدوى وحضرى ، ولا بين عربى وعجمى ، ولا بين زمان وزمان ، وقد نفذ الرسول ذلك التعميم تنفيذا عمليا ، حيث بعث برسله وكتبه إلى الشعوب والأمم ، على اختلاف أجناسها وعقائدها وأوطانها ، فقد أرسل رسله بكتبه ، إلى هرقل ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، والمقوقس عظيم القبط بمصر ، والنجاشى ملك الحبشة ، والحارث الغسانى ملك الحيرة ، والحارث الحميرى ملك اليمن ، يعلمهم فيها ببعثته ويدعوهم إلى الإسلام ، وعلى ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « إن الله قد بعثنى رحمة للناس كافة » ، وقد سار على ذلك الخلفاء الراشدون من بعده .

ولمّا كانت رسالة الإسلام رسالة عامة دون غيرها من الرسالات ، لأنها الرسالة التى نزلت من السماء ، وقد مر على النوع الإنسانى أزمان وأجيال ، كان فيها بين علو وسقوط ، وارتفاع وهبوط ، وتقلب فى كثير من أطوار التشريع السماوى ، فألهبت عقله وفكره أطوار الحياة وأحداثها ، وبلغت به سنة الترقى طور النضوج والرشد ، وتركت أكثر شعوبه فى أخلاقها وعاداتها ، وأفسكارها واتجاهاتها ، وتقاربت بينها طرائق الحياة والمعاملات والصلوات ، وأعدته الشرائع السابقة لمرحلة التشريع العام ، فاستعد لإدراك

أدق دلائل التوحيد والتنزيه ، وإحكام النظر في ملكوت السموات والأرض ، واستجلاء آيات الله الكونية والتشريعية ، وفهم أصول التشريع العام وفروعه ، وتطبيق قواعده على ما يعرض له من أحداث وأقضية ، وبذلك أصبح العالم صالحاً للانضواء تحت قيادة دينية واحدة ، في ظل نظام تشريعي واحد ، يقوم بتبليغه وتنفيذه رسول واحد ، هو رسول السلام ونبي الإسلام ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وبذلك توحدت القيادة الدينية السماوية في مرحلتها الأخيرة ، وتجمعت عناصرها في يد قائد واحد بأمر إلهي ، أخذ الله به العهد والميثاق على الناس أجمعين ، وأشهد على ذلك النبيين وكان معهم من الشاهدين ، كما قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أقررتم وأخذتم على ذلك إصرى ، قالوا أقررن ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، ٣ : ٨١ - ٨٢ » ولا يخفى أن أئم النبيين تابعون لهم ، في أخذ هذا الميثاق وجوب الوفاء به عليهم .

وخلاصة القول في هذا المطلب ، أن التشريع الإسلامي تشريع عام خالد ، لا يختص بأمة دون أمة ، ولا بزمان دون زمان ، ولا يعرض له نسخ ولا تبديل ، ولا يحتاج إلى تعديل أو تغيير في أصوله وقواعده . وأقصى ما يحتاج إليه في العمل به ورد الأعمال إلى أحكامه ، إنما هو الاجتهاد في الوقوف على مصادره والإحاطة بها ، وفهم نصوصها على مقتضى قوانين اللغة العربية في أوضاعها ودلالاتها ، وكيفية تطبيق هذه النصوص على أقوال الناس وأعمالهم ، وما يعرض لهم من الأحداث والأقضية ، التي يقتضيها تطور الحياة في حضارتها ومدنيتها ، إذ ليس من شأن التشريع العام الخالد أن يبين على سبيل النص والتفصيل ، أحكام كل ما يمكن أن يحدث على مر الأيام وتجدد الزمان ، وإلا لعجزت العقول والأفهام عن إدراكها والإحاطة بها ، وإنما شأنه أنه يبين على سبيل النص والتفصيل ، الجوانب التشريعية التي لا مجال للعقل فيها كالعبادات ، وهذه الجوانب لانحصارها واتحاد صورها ، يمكن الإحاطة بجزئياتها وتفصيلها .

وأما الجوانب التشريعية التي للعقل فيها مجال ونظر ، والتي لا يمكن الإحاطة بجزئياتها وتفصيلها ، لتجدد صورها بتجدد ألوان الحياة والمعاملات ، فانه يكفي فيها بوضع الأصول العامة والقواعد الكلية ، التي يمكن البناء عليها والاستنباط منها ، مع النص على بعض الجزئيات التي توضح هذه القواعد الكلية ، والتي تصلح لإلحاق نظائرها بها ، في

أحكامها التي ثبتت لها بطريق النص الشرعى ، فإن كل ما يمكن أن يحدث فى مرحلة التشريع الإسلامى ، من شئون الحياة وأحداثها وأقضيتها ، لا يخرج عن كونه جزئيا من جزئيات قاعدة كلية فيأخذ حكمها ، أو صورة مكررة لما حدث فى عهد التشريع وتقرر له حكم شرعى ، أو نظيرا له فيكون لا حقا به فى حكمه الذى تقرر له ، ولهذا كان إلحاق الأشباه والنظائر المسكوت عنها ، بأشباهها ونظائرها المنصوص عليها ، أصلا من أصول التشريع الإسلامى ، وهذا الأصل هو المعروف بالقياس الشرعى .

ومما تقدم يتضح لنا جلليا ، أن ما يتقوله الجاهلون والمضللون ، من أن الرسالة المحمدية خاصة بالعرب وحدهم ، أو خاصة بمن كانوا فى عهددها وخوطبوا بها شفاها ، أو أنها ليست خاتمة النبوات والرسالات ، أو أن تشريعها لا يساير الحضارة الإنسانية فى عصور رقيها وتقدمها ، إنما هو كذب وافتراء ، وتضليل وتدليس ، وإبعاد فى ظلمة الجهل القاتل ، وانقياد أعمى للعصبية الغاشمة ، وتمرد على قدسية الميثاق الإلهى ، الذى شهد به النبيون على أنفسهم وأممهم ، وشهد الله به على هؤلاء وهؤلاء ، وكفى بالله شهيدا ما

يسى سويلم ط
المفتش بالأزهر

« استدرأك »

فى الجزء السابق

السطر ١٦ من كلمة فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر فى معسكر الأزهرين ، المنشورة بصدر الجزء السابق (الصواب) : « فهذا تجمعون بين الناحيتين النظرية والعملية » - بدلا من : « فهذا تجمعون بين الناحيتين النظرية والعملية » .

السطر ٢ من هامش ص ٥٤٦ (الصواب) : « أبو بكر » - بدلا من : « عثمان » .

الاسلام والمسلمون في صحيف العالم :

شئ من تاريخ الاسلام

في يوغوسلافيا

نقلت وكالات الأنباء من سراي بوسنة في يوغوسلافيا أن احتفالا كبيرا أقيم بمناسبة تسلم الحاج سليمان كيميورا مهام منصبه الديني رئيسا لمجلس علماء المسلمين ، وقد حضر هذا الاحتفال الحاج مسيلمو بيچوفيتش سكرتير المجلس التنفيذي للشؤون الدينية ، وأعضاء المجلس التنفيذي لجمهورية البوسنة والهرسك ورجال الدين من الأرثوذكس والكاثوليك واليهود وأعضاء مجلس الأديان الأعلى .

وقالت الأنباء : إن الحاج سليمان ألقى خطابا في الاحتفال قال فيه : إن من واجباته إقامة علاقة الصداقة مع زعماء الأديان الأخرى في يوغوسلافيا ، فعقيدة الإسلام ووطنية المسلمين تدعو لنشر مبادئ الأخوة بين الشعب باعتبارها أساسا لسعادتنا ورخائنا وتقديم بلدنا ، ثم قال : إن الإسلام يدعو للسلام فقيه رخاء الجنس البشري وسلامته .

وأعلن باسم مسلمي يوغوسلافيا معارضته لإنتاج الأسلحة الذرية وتأييد قادة يوغوسلافيا في مطالبهم بوقف التجارب الذرية ، ثم أعلن في ختام خطابه تأييد مسلمي يوغوسلافيا لكفاح الشعوب المستعمرة من أجل الحصول على استقلالها القومي والاقتصادي .

وإنما عنيت بنقل هذا الكلام لعله أن يكون تذكرة بمجد غابر وتاريخ حافل وأيام سالفة للإسلام في تلك البلاد ، ثم طوت الأحداث صفحتها ، فليس فينا من يذكرها ، أويذكر شيئا عنها ، وكأن ما ذهب من مجد أيامنا قد ذهبت بحقيقته الأيام .

فن منا يذكر أن مدينة سراي بوسنة هذه إنما أسسها المسلمون عند دخولهم تلك البلاد .

ويقول الرحالة التركي « أوليا شلي » في رحلته : إنه كان فيها على زمنه في أواسط القرن الحادى عشر مائة وسبعون مسجدا ، منها سبعون جامعا تصلى فيها الجمعات ، كما كان فيها مدارس أهلية ومدارس للمسلمين خاصة ، يتعلم فيها الأولاد الحروف العربية وقراءة القرآن والعقائد وأحكام الصلاة والصيام ، وكانت هناك مدرسة خاصة يخرج فيها قضاة نواب الشرع ، بل لقد ذكر « أوليا شلي » وهو يتحدث عن مدينة باغراد عاصمة يوغوسلافيا أنه كان بها مائتان وسبعة عشر مسجدا وثمان مدارس وتسع دور للحديث وسبع عشرة تسكية للذكور ومائتان وسبعون مكتبا لتعليم الصبيان .

وكان في مدينة سراي مجلس من أربعة من العلماء يسمى بمجلس « الرئاسة العلمية » ، وعليهم شخص يسمى « رئيس العلماء » ، وكانت رئاسته في أول الأمر خاصة بمسلمي البوسنة والهرسك ، ثم أصبحت شاملة لجميع المسلمين في يوغوسلافيا ، وهذا المجلس هو الذى يسمى الآن بمجلس علماء المسلمين ، وهو الذى تولى رئاسته الحاج سليمان كيميورا كما نقلت لنا الأنباء .

ترى من منا يذكر ذلك التاريخ ، أو يعنى بشيء مما كان للمسلمين من أجداد في تلك البلاد ، وما بذلوه لخدمة الحضارة والإنسانية والعلم والأدب ، وما خلفوا وراءهم من ثروة ثقافية ضخمة استبدت بها الأحداث ، وطوتها الأيام في مطاوى النسيان ، بل من منا يعرف شيئا عن حال المسلمين في تلك البلاد اليوم ومدى ما هم عليه من صلة بالمسلمين والإسلام ؟ ! . .

إننا والله لا ندرى ، وإنى لأعود على صفحات هذه المجلة فأدعو الأزهر وأدعو المؤتمر الإسلامى وأدعو جمعية الشبان المسلمين إلى أن أول واجب عليهم هو عقد أوامر الصلة والتعارف بين المسلمين في أطراف الأرض ، فانه لن تكون للمسلمين وحدة ونهضة إلا على أساس من التآخى والتعارف ، أليس من العار أن يكون لشراذم اليهود في أنحاء العالم رابطة واحدة تربطهم وتوجههم وترسم سياستهم ، والمسلمون في مناطقهم مفترقون متدابرون ؟ ! .

لعن الله السياسة :

تركيا تتحدث في هذه الأيام عن الرابطة الإسلامية ، وهى عاتبة على دول العالم

الإسلامي ودول الجامعة العربية بصفة خاصة ، لأنها لا ترعى حقوق هذه الرابطة ، ولا تعنى في اتجاهاتها السياسية الدولية بحق الأخوة التي تفرضها هذه الرابطة .

فقد أذاعت إذاعة أنقرة تعليقا تناقلته الصحف الغربية قالت فيه : إن العالم الإسلامي بدأ يشعر بضرورة تبني جميع القضايا التي تهتم المسلمين أينما كانوا ؛ لأن المؤمنين إخوة مهما تخالفوا أو تباعدوا ، ثم قالت : والرأى العام التركي يهتم كثيرا بالقضايا الإسلامية ، كقضايا الجزائر وفلسطين وكشمير ويعتبرها قضاياها ، وضربت مثلا لذلك بالحفاوة التي قوبل بها ممثلو هيئة تحرير الجزائر ، عند وصولهم للاتصال بالهيئات التركية في موضوع نظر القضية الجزائرية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة .

ثم خلصت الإذاعة التركية من هذا إلى ما تريد فقالت : ولهذا استغربنا صدور قرار من جامعة الدول العربية يقضى بتأييد اليونان ضد تركيا المسلمة في قضية قبرص ، كما استغربنا سلوك بعض الدول طريقا خاطئا بتأييدها الهند التي اعترفت بإسرائيل في قضية كشمير ضد باكستان المسلمة ، التي كانت دائما في صفوف العرب ضد إسرائيل ، بل إن مما يحز في النفوس أن لا تجد الدول الإسلامية تهتم بما يعانيه مسلمو روسيا من إهدار للحريات الدينية واضطهاد لدينهم الإسلامي الحنيف .

وانشدت إذاعة تركيا العالم الإسلامي أن لا يهمل واجب الدفاع عن مسلمي روسيا ، وقالت : إننا نود ألا تؤثر العواطف السياسية على توجيه التعاون بين المسلمين ، ونرجو أن أن يكون هذا التعاون خالصا لله وفي سبيله .

وهذا كلام حسن في ذاته ، وكنا نود أن يكون خالصا لله وفي سبيله ، ولكننا في مقام الكتابة نستطيع أن نذكر لتركيا عشرات الأمثلة التي بدرت من جانبها نحو الدول الإسلامية ولا تقرها الأخوة ولا يرضاها الإسلام .

فتركيا التي تذيع هذا الكلام هي التي تنكرت في سياستها للإسلام والمسلمين أكثر من ربع قرن ، حتى نشأ الناشئون من أبنائها في مدارسها على ذلك ، وأخر ذلك أنها حشدت قواتها على حدود سوريا المسلمة ، وأخذت تتحرش بها في عناد عجيب ، استجابة لرغبة أمريكا ، لا لشيء إلا لأن سوريا حصلت على صفقة من الأسلحة لتتقي بها اعتداءات إسرائيل ، ولتحمي نفسها من المؤامرات الاستعمارية والصهيونية ، فهل هذا مما يرضى الأخوة الإسلامية ويتفق مع رابطة الإسلام ؟ !

وتركيا التي تذيب هذا الكلام هي التي تؤيد إسرائيل ضد العرب والمسلمين ، وتتعامل معها اقتصاديا على أوسع نطاق ، وتبادلها التعاون في شتى الميادين ، فهل هذا مما يرضى الأخوة الإسلامية ، ويتفق مع رابطة الإسلام ؟ .

وإذا كانت تركيا قد نسيت ، فنحن في مصر لا يمكن أن ننسى أبدا يوم أن خرج سفيراها في القاهرة مع سفراء أمريكا وبريطانيا وفرنسا ، ليوجهوا إنذارا إلى مصر لأنها ألغت معاهدتها مع بريطانيا ، وأرادت أن تتخلص من ربة ذلك الاستعمار البغيض الذي قيدها أكثر من سبعين عاما عن الحركة والنهوض ، فهل كان هذا مما يرضى الأخوة الإسلامية ويتفق مع رابطة الإسلام ؟ !

إننا كنا نتمنى صادقين أن يكون حديث تركيا عن واجبات الأخوة الإسلامية عن عقيدة و يقين ، وكنا نرجو لو أنها هي ارتفعت بحقوق هذه الرابطة فوق العواطف السياسية ، والاتجاهات الغربية الأشعبية ... وأن تجعل تعاونها مع العالم الإسلامي كما تقول خالصا لله وفي سبيله ... !

إننا كنا نرجو هذا ، وكنا نرجو أن تراجع تركيا موقفها ، وأن تعي هذا الدرس قبل أن تلقيه علينا ، وأن تراجع صفحتها قبل أن تنشر صفحة غيرها ، ولكن لعنة الله على السياسة فانها كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده : ما دخلت في شيء إلا أفسدته ، وما أفسد المسلمين إلا تلك الملعونة التي اسمها السياسة ، وما دخل على المسلمين الشر إلا من يوم أن جعلوا هذه السياسة شيئا غير الدين ، واتجاهها غير اتجاه الإسلام .

محمد فهمي عبد المطفيف

مكيدة تحديد النسل

نشرت (الجمهورية) يوم ٢٢ يناير الحالى ، تلخيصا للنشرة الأمريكية الرسمية للشئون الخارجية ، من ص ٢٩١ يتبين منه أن الدعوة في مصر وسوريا لتحديد النسل في مصلحة التوسع اليهودي في دولة إسرائيل .

العالم الأزهرى امتدين المتحرر الكريم

الشيخ حسونة النواوى

١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) - ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م)

كان هذا الشيخ متدينا يكرم نفسه ويرتفع بالعلم الذى منحه الله عن كل دنية ، وكان - إلى ذلك - متحررا من كل قيد ، ومجافيا لكل تقليد يحول دون مسيرة الحياة ، ويقف حجر عثرة فى سبيل التقدم والمدنية ، إلا أن يكون ذلك القيد من قيود الدين التى لا تخرج منها ، فانه كان أشد الناس تمسكا بها وأحرصهم عليها ، لا يحول دون تمسكه بها لإغراء بمنصب أو مادة ، ولا لإرهاب بما يخاف منه الخائفون ، أو يتوهم الشرفيه المتوهمون ، لا يرى مع تحرره وانطلاقه خيرا إلا فى الإسلام وتعاليمه ، وهو دين للتحرر والانطلاق فيما لا يسىء إلى الآخرين ، ولا يبق على حقوق المخلوقين ، فهو دين الميزان السليم الذى يجمع الإنسانية تحت لواء الحب وتبادل المنافع والتعاون على الخير حيثما كان !

رحم الله الشيخ وأجزل مثوبته ، فوالله ما ذكرته على ما كان يمثل لى إلا ذكرت مجدا من أجداد الأزهر والإسلام ، جديرا بكل أزهرى وبكل مسلم أن يمتنذيه ، على أنى وأيته فى حياته مرة واحدة فى جنازة أخلى مات صغيرا ، وكان الشيخ فى أخريات عهده بالدنيا ، فشغلنى النظر إليه على ضآلة جسمه ، عن كل ما يحف بى من ألم ، وما أصابنى من مصيبة ، وقد كانت فرصة تتيح لى أن أرى ذلك العلم الشاخص الذى كان من مفاخر الأزهر وأجداده ، وكان ذلك فى سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) وأنا طالب بالسنة الثانية الابتدائية بالأزهر .

كان الشيخ يمثل فى عزته وإبائه ورفعة نفسه مجد السلف الأولين من علماء الإسلام ، الذين كانوا يدلون على الأمراء ويعتزون على الخلفاء ، فما يبالون أنخطوا أم رضوا ، إذا كان الله هو الذى يأمرهم ودينه هو الذى يوجههم ، فهم يتجهون صوب توجيهه ، ولو كره ذلك الناس جميعا .

وكان يرى العز كل العز في الإيمان بالله والنجوء إلى كنفه واللباذ به، والاعتداد بالعلم الذى فضله به على غيره من عبادته، والانقياد للحق وتلبية داعيه !

ولقد طالما اختلف مع الخديوى (عباس الثانى) فى كثير من المسائل كما حدثنا من عاصروه، فكان أبى إلا أن يعتد بما يراه الحق ولو أدى إلى خروجه من مشيخة الأزهر، كما سترى تفصيل شىء من ذلك .

ولقد قامت الدعوة إلى الإصلاح وصاح بها الأستاذ الإمام محمد عبده؛ ليخرج الأزهر من ركوده وليجمع له خير الدين والدنيا، فكان الشيخ حسونة النواوى أكبر مناصر لهذه الدعوة وعامل على تحقيقها مع الشيخ عبد الكريم سلمان، الذى كان أبرز صديق للأستاذ الإمام، على كثرة ما اختلف الأزهريون - إلا قليلا منهم - على الأستاذ الإمام، وكتبوا فى شأنه للحاكم، كما كتبوا فى الشيخ حسونة النواوى، وحاولوا أن يحولوا دون ترشيح الخديوى إياه لمشيخة الأزهر فأفلحوا، فقد كان عباس يريد ألا يتخلف الأزهر عن مسيرة شعبه يوم ذاك، وإن كان عاث فسادا فى أوقافه وحقوقه . ومهما يكن من شىء فقد كان الشيخ حسونة النواوى بسعة أفقه من خير من يعملون على تنظيم الأزهر فى إدارته وفى مناهج دراسته وفى تنظيم إجازته، وكان شديد الحرص على أن تكون له الكلمة العليا فى كل ما يتصل بشئون الدين، وألا ينازع الأزهر وشيخه فى ذلك أحد ولو كان ملكا تحف به الجنود وتحقق من فوقه البنود .

وكان والدى - رحمه الله - ممن عاصروا الشيخ وعاشروه وتفاهموا معه وأعجبوا بشهامته ومروءته وحرصه على كرامة العلم والدين، فكان يهتمز فرصة وجودنا فى مجلسه فيحدثنا بالكثير من أخبار الشيخ وتاريخه، ويروى لنا الكثير من ذلك؛ ليكون فيه المعلم لنا والموجه فى الأخلاق والولاية للحق والاستماتة فيه .

* * *

وقد ولد الشيخ - رحمه الله - فى قرية نواى فى أسرة كان هو بدء مجدها، وموجه أهلها، بما كتب الله سبحانه له أن يكون ممن يسعدهم القرآن والعلم، وإنما يسعد القرآن والعلم كل نفس طاب محتدا، وكرمت أرومتها، فكانت كأرض نقية قبلت الماء فأنبئت العشب والكلأ، وجادت على الإنسانية بالخير العزيز: « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » .

كذلك كان الشيخ ممن باركهم الله بالعلم ورفعهم به درجات .

* * *

لم يكن الشيخ من أبناء الأغنياء المترفين الذين ربوا في التعليم يأكلون من الطعام ألوانا، ويتشدقون في الكلام - وما أكثر ما يصرف الكبر والترف هؤلاء عن السمو الصحيح والعلم النافع والمجد المنشود - وإنما كان الشيخ من أبناء الفقراء الذين تضافر على تربيتهم وتكونهم هذا الفقر الذى يعرف الإنسان قدر نفسه ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ، ثم هذا الفقر الذى يعلم النفس التواضع لله ولعباده، وخفض الجناح لهم والعطف عليهم وتكريم إنسانيتهم ، إلى العلم النافع الذى يزيد الإنسان بصرا بربه ، وتقربا إليه بكل ما هو رفعة للإنسان وإحسان للخلافة الآدمية في الأرض ، حتى يصير صاحبه من ملائكة الإنسان في الأرض ، ومن مفاتيح الخير ومغاليق الشر ، هذا كله إلى كرم العنصر الذى عرف لهذه الأسرة وتجلى في شهامة أفرادها ، ونصرتهم للظلم وجبرهم لعثرات السكرام وتعففهم وترفعهم ، وقد تجلى ذلك في الشيخ في مواقف الصلابة في الحق ، والاستهانة بكل ما يخاف منه الناس إلا الله وكفى بالله حسيبا .

الفقر والعلم والأصالة هن ثلاث ما جعلن لمخلوق إلا كون له شخصية مجيدة ، تحسن إلى الناس وتتخذ الأيادى عند الفقراء قبل الأغنياء ، وتعرف قدر العلماء وترى في عملهم الرحمة الماسة والقرابة القريبة ، وتنكر الأغنياء إلا إذا تأدبوا بأدب الإسلام ، وعرفوا الحق وتواضعوا له . ثم تكون تلك الشخصية لا ترضى الدنية أبدا ولو كانت ممن يقصدهم الناس بالقرب وابتغاء مرضاتهم .

وهن ثلاث ما جعلن لمخلوق إلا حصنه من مآثم العمل ، وباعدن بينه وبين بطور الغنى وطغيانه ، وذلل الجهل وخذلانه ، وضعف اللؤم وامتهانه ، واللؤم والخسة معنى يأبى على صاحبه إلا أن يكون ذنبا في ذنب . أو بوقا فاسدا مختلا لذوى المناصب والرتب .

رحم الله الشيخ حسونة ذلك العالم الأزهرى الذى كان مفخرة لقومه ، وكان مفخرة لمعهده .

كان مفخرة لقومه لأنه رفع شأنهم بالعلم والخلق ، ونفوذ الكلمة وذبوع الصيت ، ولأنه يتثل فيه قول القائل :

أبى الله أن أسمو بغير فضائل إذا ما سما فى الناس كل مسود
وإن كرمتم قبلى أوائل أسرتى فانى بحمد الله مبدؤ سؤدد

لقد رفع العلم بيته وشجعه على تربية أبنائه وأحفاده؛ فكانوا أجدادا للوطنية وشرفا لأمتهم . فمن أبنائه الأستاذ عبد الوهاب عزت المستشار الذي خدم العدل والقانون حينما من الدهر مثالا للنزاهة والشرف، ومن أحفاده الأستاذ السيد عبد الخالق محمد حسونة النواوى ، أمين الجامعة العربية وممثلها في كل البلاد ، مخلصا صادقاً مضحياً براحته في أسفاره التي لا تنقطع لمجد الوطن الإسلامى ، والشرق العربى لا يريد من أحد جزاء ولا شكورا ، ومنهم السيد الطيب النطاسى المخلص الصادق ابراهيم محمد حسونة الذى عرفته أوساط الطب ، فقدّمته ممثلاً لها في أكرم المناسبات ، مثلاً للخلق الفاضل والإخلاص والصدق والمروءة .

وكان الشيخ مجدا لمعهده ؛ لأنه ولى مشيخة الأزهر فتألق به نجمه ووجد الإصلاح مجاله في أرجائه ، بعد ما حال جمود الأزهريين دون مساهرة الأزهر لحاجات الناس وتمشيه مع روح العصر ومقتضياته . وكان الشيخ حسونة كما رأيت رجلاً كريماً أصيلاً ثابتاً على الحق ، لا يبالي أن يخالف أحدا مهما كانت منزلته ما دام يعتقد أن ما رآه حق ورشد .

الشيخ حسونة وإصلاح الأزهر :

جرى الإصلاح إلى غايته الممكنة في عهد الشيخ حسونة النواوى ، فتيخلص من كثير من الفوضى الاقتصادية ، ومن فوضى المنهاج ودراسة الحواشى والتقارير ، ومن فوضى إهمال العلوم الكونية والرياضية والأدبية ، التي لا بد منها لكل كائن مثقف يريد أن يعيش في كرامة الثقافة والعلم ، والتي لا بد منها لعلماء الدين معوانا لهم على فهم دينهم وربطه بالحياة ، ونقله إلى الناس في مختلف ثقافاتهم واتجاهاتهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ، حدثوا الناس بما يفهمون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ » .

ومهما يكن فقد فسح مجال التحرر لكل باحث ، وكل ذى فكر ثقب وعقل سليم ، وحمى الأستاذ الإمام محمد عبده ، ومدرسة الإصلاح التي فجرها السيد جمال الدين الأفغانى ، ولم تجد الحكومة من يعمل المصلحون في الأزهر تحت رايته سوى الشيخ حسونة النواوى ، وإلى القارئ الكريم تفصيل بعض الأطوار التي تتصل بالشيخ النواوى من إصلاح الأزهر الشريف ، في إيجاز يتناسب مع ما هو الشأن في هذا المقام لهذا المقال :

أتى على الأزهريين حين من الدهر - ولا سيما منذ عهد الظلم والظلمات ، عهد الأتراك العثمانيين - كانوا على غاية ما يكون الجود الذى ياباه دينهم وهو أوسع الأديان أفقا ، وأكثرها تمشيا مع مقتضيات الحضارة ، لا يسبقه فى ذلك شئ .

كانوا جامدين فى التزام فنون معينة من العلم لا يقبلون غيرها ، وهى مقاصد الشريعة ووسائلها أو آلتها فيما كانوا يقولون ، وكانوا جامدين بالترام كتب معينة فى تلك الفنون ، أكثرها قائم - مع الأسف الشديد - إلى اليوم يدرس بالأزهر ، فى لغة عقيمة بعيدة عما وصلت إليه اللغة اليوم من التهذيب والأدب العظيم ، وبعيدة أيضا عما تتطلبه حاجات العصر من أحكام الشريعة ، ومقاومة العقائد الجديدة الفاسدة وتيارات الإلحاد الجارفة ، وما إلى ذلك مما هو ملموس محسوس .

وكانوا جامدين بالترام طريقة معينة فى دراسة تلك الكتب فى أسلوب الشروح والخواشى والتقارير والمباحثات التى تخلط علما بعلم ، وتضيق مطلوب (المتون) من فقه المسائل بين خلافات فى إعراب العبارات ، وصياغة الأقيسة والاعتراضات ، وما إلى ذلك مما يعيا به الحكيم ، وبأسف له كل كريم ، ولا يزال بعض ذلك متجددا فى عهدنا الذى قفز فيه كل شئ ، وتحرك فلم يبق جمود حتى ولا فى الجماد نفسه .

وكانوا جامدين حتى فى علاقاتهم بالناس ينقبضون عنهم ، ويرون الأنس فى الوحشة منهم . وقد أسرفوا فى ذلك إسرافا لا يحتمل ، فان الغاية من دراسة الأزهر أن يقوم على حفظ الشريعة ، وفهمها على وجهها ، وتعليمها للناس علما يتفق مع مداركهم ، ومستويات عقولهم ، وكثيرا ما تنبه لذلك بعض النابهين فيهم كالشيخ العطار ، والشيخ رفاعة الطهطاوى وغيرهما ، وبعض الأجانب ، حتى من الأتراك يوم حكمهم ، ولا غرو فهو شئ يلفت النظر ويقتضى العجب .

فلما قدم الشيخ جمال الدين الأفغانى إلى مصر - وكانت مهمته تكوين شعب إسلامى يحرر بلاده بقوة الدين وثقافته الدافقة ، التى لاتدع مجالا لاستعمار ولا رفعة لغير كلمة الله وصوت الحق - هن عليه أن يكون الأزهر معقل آمال المسلمين هكذا ، كالرحى التى تدور حول نفسها ، ولا يمكن أن يمتد أمدها إلى غير محورها ، ورأى أن خسارة كبرى أن يكون الأزهر كذلك ، وأن تضيق أعمار الناس هكذا هباء ، دون جدوى يظهر أثرها للإسلام وكرامته ولعلوم الدين وثمراتها ، التى أعزت العرب الأولين ورفعت شأنهم فى العالمين ،

فغرس نواة لإصلاحه بتلك المدرسة التي أنشأها في بيته نموذجاً للعلم الصحيح ، ودرس لهم علوم الدين والحكمة ، والأدب العربي والإنشاء على وجه فتح أعينهم على الطريق ، ودلهم على تقويم الاتجاه بالتعليم والتعلم ، وهؤلاء قاموا بثورتهم على نظم الأزهر وتقاليدته المتخلفة عن عهود الظلم والاستبداد ، والتي يعمل المستعمر جاهداً على تنويم الأزهر بها ، حتى لا تقوم فيه روعة الإسلام الذي ينفي كل خبث ، ويأبى إلا أن تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولسكن أكثر المنافقين لا يعلمون .

ومنذ ذلك الحين عرف الناس ما يقضون فيه أعمارهم الضائعة ، وأخذ الأذكياء منهم ينضمون إلى حزب الشيخ محمد عبده وأنصاره ، وكان من خير من احتضنوا هذا الإصلاح الشيخ حسونة النواوى ، الذى ظل عهداً طويلاً مدرسا فى خارج الأزهر بين جامع القلعة ومدرسة الحقوق ودار العلوم ، وألف لهؤلاء بما رأى أنه يتفق مع لغة التعليم المنحمر ، وقارن بين ذلك وبين كتابات الكتب العقيمة التى نجا من عنتها وشققها بما فتح الله له من الأبواب العملية خارج الأزهر .

وقد سبق عهد الشيخ المهدي العباسي الذى تولى مشيخة الأزهر حوالى سنة ١٢٢٧هـ (١٨١٢ م) بشيء من الإصلاح الشكلى يرجع إلى تشكيل لجان فى منزله لمن يريد أن يكون من العلماء بالتعمين فى أحد عشر علماً ، وجلس اللجنة حول الطالب بعد تحضير المواد ومناقشته ثم تقديمه ، ثم ثار الأزهريون على الشيخ فلزم داره ، ولم يحدث شئ يذكر بعد ذلك فى الإصلاح حتى كان عهد الشيخ الإنبأى ، وكان خصماً عنيداً لكل من يدعو إلى إصلاح الأزهر .

وقد جرى فى آخر عهده أن ضعف عن القيام بإدارة الأزهر وشكا الأزهريون منه ومن ضعفه ، وتطلعت نفوسهم إلى أن يخرج الأزهريون من سباتهم العميق ، وودوا لو ظفر الأزهر برئيس مصلح مجود ، فرأت الحكومة أن تعهد بوكالة الأزهر إلى رجل يمكنه أن يحتضن الإصلاح ويرعاه ويتعهده بالتدريج حتى لا تكون الطفرة ، التى قد تسبب إلى كثير من النفوس سنة الله فى خلقه ، ولم تشأ أن تقبل الشيخ الإنبأى من منصبه رعاية لتقاليد التكريم للعلماء ورؤسائهم ، فعينت الشيخ حسونة النواوى وكيلاً للأزهر لأنه أصالح العلماء لهذه المهمة ، بما عرف فيه من علو الهمة والشجاعة والإباء والتحرر ، وأطلقت يده فى الإصلاح ومكنت للشيخ محمد عبده ومدرسة جمال الدين أن تقوم بالدعاية وأن تعمل ما تراه صالحاً فى

ظل الشيخ النواوى، الذى كان ينهى على الأزهرين جمودهم، ويتحدث فى مجالسه ومع ولاية الأمور بانكار ما هم فيه من قبوع وتكبل فى القيود . ثم لم تكثف الحكومة بتوكيل الشيخ النواوى ، بل أوعزت إلى الشيخ تحمله على الاستقالة ، وألحت عليه برغم ما كان يكتب من الجامدين فى مناصرته وطلب إبقائه ، فاستقال سنة ١٣١٣ هـ وعين الشيخ حسونة بدله فى مشيخة الأزهر .

وقد شكلت الحكومة مجلسا لإدارة الأزهر منذ عهد وكالة الشيخ حسونة ، وكونته من خمسة أعضاء: اثنان من خارج الأزهر وهما: الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سامان زميل الشيخ محمد عبده وصديقه ، وكان الشيخ حسونة رئيس المجلس .

وقد انعقد المجلس وقرر ما رأى أن يبدأ الإصلاح به، وهو ضبط مرتبات الأزهرين وتحديددها بحسب الدرجات العلمية ، وكانت قبل ذلك لاضابط لها لعدم الميزانية التى تنظم ذلك .

ثم نظر المجلس فى توسيع دائرة التعليم بفعله فى طنطا ودسوق ودمياط . ثم اتجه إلى مقصد الإصلاح وهدفه الصحيح ، وكان ذلك بعد أن أسندت مشيخة الأزهر إلى الشيخ الوكيل حسونة النواوى، الذى ظل فى المشيخة من سنة ١٣١٣ هـ إلى سنة ١٣١٧ هـ، وهى السنة التى اعتزل فيها منصبه، لأنه عارض الحكومة فيما أرادته من منع الحج بسبب وباء كان فى بلاد الحجاز . هذا ما يرويه بعض المؤرخين، ويخيل إلى أنه كانت هناك خلافات أخرى، ترجع إلى صلابه الشيخ وتمسكه بحقوق الأزهر ، وأما مسألة منع الحج للوباء فلا تستدعى خلافا ولا توجب أزمة . وقد سمعت من مصادر عدة ومنها والدى - رحمه الله - أن الشيخ قد اشتدت وطأة الخلاف بينه وبين بطرس غالى، الذى كان رئيسا للوزارة، وكان يتدخل فى الشؤون الإسلامية، حتى أراد أن يعين قاضيين من المستشارين بوزارة الحقانية ، ليمكنا عضوين فى المحاكم الشرعية ، فلما تفوه بطرس بذلك فى مجلس الشيخ حسونة، قال له هذه العبارة المأثورة: « احرص يا بطرس لكم دينكم ولى دين » . وكان ذلك من مواقف الشيخ الكريمة وما أكثرها ! وكان ذلك هو السبب فى إقالته من منصبه مكرما ، يعتز به الأزهر وبيارك جهاده العظيم .

ومهما يكن فقد أفاد الأزهر من عهد الشيخ مالم يفده من قبل، بفضل تضافره مع أنصار الإصلاح، وعلى رأسهم الأستاذ الإمام محمد عبده، وما كان يعمل به مجلس الإدارة للأزهر وتقدمه وقد استطاع أن يستصدر قانونا يشتمل على ستة أبواب تحوى ٦٢ مادة :

- ١ - الباب الأول يختص بمجلس الإدارة وتشكيله - كما رأيت من قبل - ليضع القواعد التي يسير التدريس عليها ، وكان من قبل بلا قاعدة .
- ٢ - الثاني في شروط الانتساب إلى الأزهر من السن وحفظ القرآن أو نصفه .
- ٣ - الثالث في التدريس ، ومنع قراءة الخواشي والتقارير .
- ٤ - والرابع في الامتحان ، ووضع نظام شهادتين أهلية وعالمية بدرجاتها الثلاث .
- ٥ - الخامس في أمور الضبط والعقوبات .
- ٦ - والسادس في أحكام عامة .

ومهما يكن أيضا فقد قسم هذا النظام العلوم إلى قسمين : مقاصد ، ووسائل . وأدخل في الوسائل الحساب والخبر . وجعل هناك علوما اختيارية يفضل من يعرفها على غيره في الوظائف والدرجات ، وهي الإنشاء وتاريخ الإسلام ومتن اللغة وآدابها وتقويم البلدان ومبادئ الهندسة . وعلى الجملة كان عهده حركة دائبة مما يطول شرحه ولا يتسع له هذا المجال . وكان هذا كل ما يمكن عمله إذ ذاك ، وبعد ذلك العهد أخذ الأزهر يتراجع ، حتى كان العهد الأخير ، الذي طفر بالأزهر طفرة كادت تسبق الزمن لو اطردها النجاح ، وخلت من المعوقات والمنغصات ثم كان مارأى الناس مما سيحكم فيه التاريخ حكمه . ونحن اليوم في عهد تتفاعل فيه للأزهر بالخير ، لما جد فيه من عنصر كريم مرموق في العالم الإسلامي كله ، وقد دبّت فيه حياة طيبة كريمة نرجو أن تدوم وتطرّد بفضل الله وإحسانه . فأما الشيخ حسونة النواوي فإنه خلفه ابن عمه الشيخ عبد الرحمن الخطيب ولكن المنية عاجلته في العام نفسه .

وفي سنة ١٣٢٦ هـ بعد استقالة الشيخ الشربيني ، الذي حاول أن يعود بالأزهر إلى عهود الجود والفوضى ، رأى أن يعود الشيخ حسونة النواوي ، ولما كنّه عاد وقد فقد الأزهر والدين عناصر الحياة والنشاط ، واستأثرت رحمة الله بالشيخ محمد عبده وأعوان الإصلاح ، وتمكنت روح الجود في الأزهر ، فرأى الشيخ نفسه غريبا لانصرافه ، وأنه لا يستطيع أن يقوم بأعباء الأمر وحده ، فأثر في العام نفسه أن يعود إلى عرينه مكرما معززا ، وعكف على قراءة الكتاب الكريم ودرسه ، قاصرا مجهوده وإصلاحه على كل من يعيش إلى ضوئه ، وعلى أسرته وأحفاده وعار في فضله ، فكان بيته كعبة القاصدين ، وموردا عذبا للتدنيين والمقدرين ، حتى استأثرت به رحمة الله في سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤) م بعد أن ترك المثل العليا من صفاته ، في إباء الضيم والعزة والكرامة وسعة الأفق ، والسير مع الحق حيث صار ، رحمه الله وعطر ذكراه

لغويات

أيما أحب إليك ، آلعلم أم المال ؟

المألف المستساغ أن يقال : أى- الأمرين أحب- إليك ؟ وذلك أن أيا الاستفهامية كسائر أضرب أى- تلزم الإضافة . وجاء فى الأمالى للقالى ٥٨/٢ : « ذكروا عند عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - : أيهما أطيب ، آلعنب أم الرطب ؟ فقال عمر : أرسلوا إلى أبى حشمة . فقال : ياأبا حشمة أيهما أطيب ، آلرطب أم العنب ؟ ... » .

ويصادف القارئ الاستعمال الذى هو موضوع البحث فى عدة مواطن .

ففى البيان والتبيين ٢/٢٢٠ (تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون) : « حدثنى صديق لى قال : قلت لعيناوة : أيما أجن- ، أنت أو طاق البصل ؟ فقال : أنا شىء وطاق البصل شىء آخر » .

وفى الأمالى ١٨٢/٢ : « قيل لأعرابى : أيما أحب- إليك ، الخبز أو التمر ؟ فقال : التمر حلوا وما عن الخبز مصبر » .

وفى الموشح للرزبانى ١٣١ : « قيل لحرير : أيما أشعر ، أنت فى قولك :

حتى الغداة برامة الأطلالا رسما تحمل أهله فأحالا

أم الأخطل فى جوابها : « كذبتك عينك » ؟ قال : هو أشعر منى ... » .

وفى طبقات الزبيدى ٢٢٣ فى الكلام على وفاة يعقوب بن السكيت : « كان سبب ذلك أنه حضر مجلس الندام للمتوكل ، فدخل عليه ابنه : المعتز والمؤيد . فقال له : يا يعقوب ، أيما خير الحسن والحسين أم هذان ؟ فقال له يعقوب : قنبر خير منهما ، فأمر به المتوكل فديس بطنه » وقنبر مولى لعل- رضى الله عنه ، وكان ابن السكيت يتشيع .

ويعن- لى فى تخرىج هذا الأسلوب وجهان .

١ - أن تكون (ما) فى (أيما) نكرة تامة واقعة على مبهم ، وتفسر على حسب المقام والسياق . ففى قولك : أيما أحب- إليك ، آلعلم أم المال معناه : أى شىء ...

وفي قولك : أيما أفضل ، عامر أم عمر معناه : أى رجل --- وهكذا . وقد يقول قائل : ألم يكن الواجب في المثال الأخير أن يقال : أى من أفضل إذا كان السؤال عن العاقل ؟ والجواب أن (ما) قد تستعمل في موضع (من) من غير تكبير ، والخطب في هذا يسير . و (أى) على هذا الوجه مضافة إلى (ما) التى هى في موضع الجر .

٢ — وأن تكون (ما) زائدة كافة لأى عن الإضافة ، وهى في هذا مثل بين ، فهى ملازمة للإضافة وتلحقها (ما) في قولك : بينما أنا جالس أقبل على صديق ، فتكشفها عن الإضافة ، ومثل بعد في قول الشاعر :

أعلاقة أم الوليد بعد ما أفنان رأسك كالثغام المحلس

والنحويون لم يذكروا هذا الضرب في أقسام ما الكافة ، والأمر فيها ليس ببعيد .

وحاصل هذين الوجهين أن أيا اكتفت بما عن المضاف إليه ، ويستوى في هذا أن تكون (ما) هى المضاف إليه أو تكون كافة عن الإضافة .

ويجوز هذا في أى الشرطية . فلك أن تقول : أيما تقرأ أقرأ ، أى أى كتاب تقرأ أقرأ ، وإذا قلت : أيما كتاب تقرأ أقرأ بجر كتاب فإ زائدة وأى مضافة إلى كتاب ، وهذا على حدّ قوله تعالى : « أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على » ، ولك أن تقول : أيما كتابا تقرأ أقرأ ، ويكون (كتابا) بدلا من أى ، وقد اكتفت أى في الإضافة بما على أحد الوجهين السابقين ، وإذا قلت : أيما طالب علم اجتهد فاز ، فلك جرّ (طالب علم) بالإضافة وهو الكثير المألوف ، ولك رفعه على أن يكون بدلا من أى الشرطية ، وقد استشكل الإبدال من الشرط مع عدم اقتران البديل بأداة الشرط وتعرض العلماء للجواب عنه ، ويقول الصبيان في حاشيته على الأشموني في مبحث البديل : « اجتمعت مع جماعة كثيرة من أهل العلم في بعض المحافل ، فأورد بعضهم سؤالا في قوله صلى الله عليه وسلم : أيما أمة ولدت من سيدها فهى حرة عن دبر منه ، حاصله أنهم جؤزوا أن يكون أمة بالرفع على البدلية من أى مع أن بدل المضمن معنى الشرط يجب أن يلى حرف الشرط ، كما أن بدل المضمن حرف الاستفهام يجب أن يلى حرف الاستفهام ، فسكت جميع الحاضرين . فعند ذلك أجبت بأن محـلّ وجوب إيلاء بدل المضمن معنى الشرط حرف الشرط إذا وقع البديل بعد فعل الشرط . . . » ، وهذا الحديث رواه

ابن ماجه والحاكم ، ويورده الفقهاء في باب أمهات الأولاد في كتاب العتق ، وقد أوسع الكلام عليه البجيرمي في حاشيته على المنهج في فقه الشافعية ، ومن قوله : و (ما) من (أيم) زائدة ، و (أمة) مضاف إليه ويحتمل أن تكون (أمة) مرفوعة ، و (ما) اسم موصول حذف صدر صلاته وإن كان قليلا لأن الصلة لم تطل ، ويحتمل أن تكون (أمة) بدلا من (أى) . لكن يرد عليه أن بدل المضمن معنى الشرط يلى شرطا ، كما ذكره الأشموني عند قول ابن مالك : وبدل المضمن الهمز يلى همزا الخ ، نحو من يقيم إن زيد وإن عمرو أقم معه ، وأجيب بأن محل ذلك إذا كان البديل بعد فعل الشرط وهو هنا قبله ، وأجيب أيضا بأن هذا أغلبي بدليل قوله تعالى : يومئذ تحدث أخبارها ، فإن (يومئذ) بدل من (إذا) في قوله تعالى : (إذا زلزلت الأرض) ولم يلى شرطا و (تحدث أخبارها) هو جواب الشرط ، و (إذا) و (يومئذ) معمولان له .

خمسة شهور

المعروف أن تمييز العدد من ثلاثة إلى تسعة يكون جمع قلة ، ولا يعدل إلى جمع الكثرة إلا في أحوال معدودة ؛ كالأى يكون للمعدود جمع قلة ؛ نحو ثلاثة رجال وخمسة قلوب . وعلى هذا يجب أن يقال : خمسة أشهر ؛ كما قال عز وجل : « والذين يتوفون منكم ويزون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » . فأما خمسة شهور فهو خروج على القاعدة وخلاف عليها . ولا يسوغ الإتيان بجمع الكثرة هنا إلا مع الجربن ؛ كما تقول : ثلاثة من الكلاب وخمسة من الشهور .

وقد جاء قوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » بخفاء فيه جمع الكثرة وهو قروء ، و واحدة قرء و قرء بفتح القاف وضمها ، وهذا مع ورود جمعى القلة لهما ، وهما أقرؤ ، وأقراء .

وقد عنى النحويون بالجواب عن خروج قاعدتهم عما فى الآية الكريمة . فيقول الحريرى فى الدرة : « المعنى : لتربص كل واحدة من المطلقات ثلاثة أقراء ، فلما أسند إلى جماعتهم أتى بلفظ قروء على الكثرة المرادة والمعنى الملبوح » يريد أن جمع القرء تجاوز حد القلة إذا كان المراد جميع المطلقات ، ولكل مطلقة ثلاثة أقراء ، وهذا فيه من تضاعيف القرء ما لا نهاية له ، فلذلك أتى بجمع الكثرة فى موضع جمع القلة إشارة إلى هذه

اللطيفة . ويرى بعضهم أن القروء اشتهر في الجمع بخلاف أقرؤ وأقراء . ويرى آخرون أن هذا على تقدير من داخلته على قروء أى ثلاثة من قروء .

وملاحظة جمع القلة عسيرة على كثير من المعاصرين . فيندر أن يقول أحدهم : خمسة أحمره وستة أكلب ، وإنما يقال في هذا حمير وكلاب .

وقد قدمت أن جمع السكثرة سائع إذا سبقته من ؛ نحو خمسة من الكلاب وأربعة من الحمير . وجاء في كتاب سيوييه ٢ / ١٧٦ : « وقد تجيء خمسة كلاب يراد به : خمسة من الكلاب » . وقد أطلق سيوييه هذا التأويل ، ولم ين عن أنه يوقف به عندما جاء عن العرب - وهذا هو الظاهر - أو يطرد في القياس . والمبرد يقيسه ؛ ففي شرح الرضى على الكافية في باب العدد : « وقال المبرد : يجوز قياسا ثلاثة كلاب بتأويل ثلاثة من كلاب . وليس بمشهور » . ويقول أبو حيان في البحر المحيط ٢ / ١٨٧ في الكلام على القروء في الآية : « وأجاز المبرد ثلاثة حمير وثلاثة كلاب على إرادة : من كلاب ومن حمير » .

وجاء في المصباح في مادة (قرأ) : « ذهب بعضهم إلى أن ميم الثلاثة إلى العشرة يجوز أن يكون جمع كثرة من غير تأويل ، فيقال فيه : خمسة كلاب وستة عبيد ، ولا يجب عند هذا القائل أن يقال : خمسة أكلب ولا ستة أعبد » .

ويرى القارئ فيما أوردته سعة في قول الناس : خمسة شهور .

محمد علي النجار

أعظم عمل حققته الثورة

من الأسئلة التي وجهت إلى الرئيس جمال عبد الناصر من بعثة الصحافة الأمريكية المؤلفة من ٣٠ صحافيا :

- ما هو أعظم عمل حققته الثورة المصرية حتى الآن ؟

فأجاب الرئيس : أعتقد أن أهم ما حققته الثورة حتى الآن هو بث الشعور بكرامتنا كشعب ، وإعادة ثقتنا بأنفسنا ، وهذه أشياء معنوية وليست مادية .

كلمة تاريخية عن تحرر العرب في الجزائر

لم يسجل التاريخ صفحة من صفحات الكفاح أنصع ولا أقوى من كفاح شعوب المغرب العربي في سبيل الدفاع عن حريتها واستقلالها، ومقاومة الاعتداءات الاستعمارية التي دبرتها ضدها أم لايتينية، مدفوعة بتعصبها الديني وشرها لاستعباد الغير.

وإذا كان تغلغل الاستعمار الفرنسي في الجزائر هو الذي مهد السبيل لتحقيق المطامع الاجنبية في الشرق العربي، فلا يمكن أن يطعنن عرب الشرق على ديارهم وأمنهم، مادامت أم المغرب العربي خاضعة للمستعمرين، وما دامت ديارهم مجازا يمكن أن يحتازه الأجانب المستغلون ليصلوا إلى أهدافهم في هذا السد الإسلامي العتيق، الذي حكم أسلافنا العرب في مصير العالم كله.

من أجل ذلك تعتبر الحركات الاستقلالية المغربية ذات أثر بالغ، لا للغاربة وحدهم بل للعرب أجمعين، الذين ينشدون الاستقرار والطمأنينة والعدل والحرية. وخلق بالعرب أن يعنوا بهذه الحركات، خصوصا وأن القائمين بها معرضون أكثر من غيرهم لدسائس الأجنبي ومكره وحيله.

اعتدت فرنسا على الجزائر في وقت كانت السيادة فيه للدولة العثمانية في آخر عهدهما بالحكم في هذه البلاد، وما هي إلا فترة قصيرة حتى بدأت المقاومة العربية العنيفة، وقد افتتحها الجيش المراكشي في أكتوبر سنة ١٨٣٠ م بمدينة تلمسان، ولم تخد هذه الثورة إلا بعد أن أطلق بسمارك سراح الجيش الفرنسي الذي كان معتقلا في ألمانيا «بعد حرب السبعين»، وقد كان أثر هذه البربرية المتوحشة عظيما في تقوية الوعي القومي في نفوس الجزائريين، ولم تلبث إلا قليلا حتى أعقبتها ثورة استقلالية جارفة في عمالة وهران، وتأسست لذلك لجنة وطنية غايتها العمل على تحقيق الجامعة الإسلامية، ولذلك ارتبطت بالحركات التحريرية القائمة في البلاد التابعة للدولة العثمانية إذ ذاك، وقامت أثناء الحرب

الكبرى حركة ترمى إلى منع الجيش الجزائري من الوقوف إلى جانب فرنسا ، ففر من الجندية آلاف ، والتجأ الكثير من الشباب القادر على القتال إلى الجبال ، وكانوا زهاء المائة والعشرين ألفا ، ولقد أعلن الشعب الجزائري أكثر من مرة ، رفضه للسياسة التي ترمى إلى تجنيس الجزائر بالجنسية الفرنسية كشرط لاستقلالها ، وقاوم هذه الدعوة بشتى الوسائل .

واستمرت الحركات التحريرية بالجزائر ، فلم تضعف ولم تنه ، ووجدت أن خير وسيلة لتحرير الجزائر ، هي توحيد صفوفها مع أخواتها من الدول العربية .

ولا غرو أن حركة الجزائر القائمة اليوم ، إنما هي امتداد لحركة الجهاد السابق الذي قام به إخواننا الجزائريون من أيام الأمير عبد القادر إلى الآن ، وأبلاوا فيه بلاء حسنا أكثر من مائة سنة مـ

عباسي طه
المحامي

كلمات للإمام أحمد بن حنبل

- * لا تزال بخير ما نويت الخير .
- * كل شيء من الخير تهتم به فبادر به قبل أن يحال بينك وبينه .
- * لو أن الدنيا اجتمعت حتى تكون في مقدار لقمة ، ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعها في فم أخيه المسلم لما كان مسرفا .
- * الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى .
- * ما قل من الدنيا كان أقل للحساب .
- * ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط .

الأزهر

وطرق التدريس قديمها وحديثها

العناصر :

(١) طريقة التعيينات . (٢) النهج الحوارى . (٣) مراعاة الفروق الفردية .
يزعم المربون المحدثون أنهم قد وقعوا على طرق لتدريس المواد المختلفة ، فى جوتربوى
حديث مشبع بروح علم النفس الحديث ، ولكن نظرة سريعة إلى ما كان عليه الأزهر
فى طرقة القديمة ، تقنع الباحث الناقد إلى أسبقية الأزهر فى هذه الطرق التى يتشددون بها ،
وأنهم لم يأتوا بجديد . وهالك بعض الأدلة :

١ - درج الأزهر منذ عهده القديم على طرق التعيينات ، وهى المعروفة فى عالم
التربية الحديثة بما يسمى « التحصيل الذاتى وأثره وخطره الخ . .
وهذا التحصيل الذاتى هو بعينه طريقة التعيينات التى أخذ بها الأزهر طلابه ، فى
تسكينهم لإعداد دروسهم معتمدين فى ذلك على أنفسهم ، مستقلين بتحصيلها على ضوء
ما درسوا وما وجهوا إلى مراجع يهتدون بهديها ، ويستعينون بها فى حرية تامة ومطلقة
من كل القيود ، وبهذا يكون الأزهر قد سار فى قديمه على نهج تربوى ، مؤيد ومعزز بعلم
النفس فى أحدث قواعده وأحكامه ونظرياته ، وفى رياضة عقلية مترامية الأطراف ،
تفتق الذهن وتربى الملكات وتنبى القدرات ، مما جعل الأزهر وحده موئل هذه الكفايات
العقلية والجسدية . ولعلنا نلمس هذا بوضوح عندما احتاجت الدولة فى أول عهدها
بالإصلاح إلى حقول مفكرة أو ذات اقتدار خاص ، ولم تجد مصر طلبتها فى غير الأزهر ،
واختارت البعثة الأولى من طلابه واستعانت برفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك ،
وغيرهما من رجالات الأزهر الذين عادوا إلى أوطانهم ، ونهضوا نهوضا ملحوظا .

٢ - وكان النهج الحوارى وسيلة الفهم والتفهم والعلم والتعلم ، وهى نسبت تلك
القالبة المشهورة والسكبة المأثورة « إذا اعترض بكذا أجيب بكذا » ، يرددونها عند ما كانوا
يعالجون نصا أيا كان لونه فقهما أو عربيا ؟ .

إلى وربى . . . ! تلك طريقهم التحليلية وهذا مذهبهم الجدلى : الفرض ، ثم الاعتراض
ثم النقاش الفلسفى الأزهرى ، يحالون به المنطوق ، والمفهوم ، والظاهر والباطن ، والمداول
والمحتمل والمتنظر ، وما عساه يكون فى زوايا البحث من معنى خفى ، ويظنون هكذا حتى

يقتل النص بحثاً كما يقال، وفي هذا ما فيه من مزايا التركيز، واستقرار المعرفة في الأذهان، وترويض العقل، واتساع الأفق، واكتساب قوة التصوير وملاكات المهاراة في التعبير، ومراعاة على اللسان والفصاحة والبلاغة، والفهم المركز والتعمق في البحوث المختلفة، مما جعل الأزهر وحده الملجأ والملاذ للقضاء إبان نشأة وتأسيس المحاكم، واحتياج البلاد إلى لسان مقال، واختيار المحامين من صفوة الأزهرين أمثال سعد زغلول، وأبو شادي والهللأوى وغيرهم وغيرهم .

٣ - ومراعاة الفروق الفردية التي يباهى بها المربون من المحدثين، تلك هي الأخرى من طرق الأزهر في قديمه، هم الآن يقولون منادين بجعل التلميذ الفعال في تعليم نفسه بنفسه، وأن عليه أن يكشف الحقائق بنفسه إلى آخر ما يقولون في هذا الباب من كتب التربية الحديثة .

وترى أن الأزهر قد سبقهم في هذه أيضاً، حتى لقد سبقهم في منح التلميذ حرية اختيار الأستاذ، واختيار الدرس، وتحديد الوقت، وما أشبه حلقات الدرس بقاعات البحث في كل شيء، وبفارق واحد هو الفرق بين النظري والعمل على الرغم مما بينهما من صعوبات . نقول: إن الأزهر القديم قد سبق المربين المحدثين، فأباح لطالب الأزهر أن يدرس ما شاء وأنى شاء، حتى إذا آتس في نفسه القدرة على نيل العالمية تقدم إليها بدون ما شرط، ومن غير أي قيد .

ولعلك لا تنسى أولئك الأعلام من العلماء الفطاحل الفحول، الذين نشأهم الأزهر بطريقته الخاصة، هذه التمشئة التي ملأت بمؤلفاتهم المكتبات النفيسة في مختلف العلوم وشتى البحوث دينية وعربية وغيرها، عدا ما ذاع لهم من صيت وما اكتسبوا من سمعة . ولعلك أيضاً لا تنسى طريقتهم التقليدية، وقولهم: «ظاهر يا مولانا»، وإن دلت هذه على شيء فلن تدل إلا على التعمق في الفهم، واستساعة الدرس حتى يهضم وحتى يجري في الأفهام مجرى الماء في الأغصان، وحتى لا ينسى، وهو - والحمد لله - ما كان ينسى أبد الدهر؛ لأنه أسس على قواعد ثابتة من البحث التأمل، والتفكير العقلي والتعقل الواعي إلى غير ذلك، مما لا يستطيع رواد التربية أن يبالغوا، فهيمات هيئات بين اللب والقشور، وشتان ما بين الطريقتين في دنيا التدريس وعالم التربية .

عبد الحكيم الجوهري

مدرس التربية باجازه التدريس بالأزهر
والمفتش السابق بوزارة التربية والتعليم

تعليقا

الندوة الأولى لعلاج انحراف الشباب

أصبح انحراف الشباب مشكلة من مشا كل المجتمع ، وأصبح علاج هذا الانحراف ضرورة من ضرورات الإصلاح ، ووزير التربية أجدر بالنهوض إلى ذلك ، وأعرف بالقيم الأخلاقية ، وأحرص على دعمها في الجيل الناشئ ، فما شباب اليوم إلا أمة الغد القريب ، وإذا تصدع بناء الشبيبة ، وغفلت عيون المصلحين عن تدارك هذا التصدع في الأخلاق ، والتفكير ، والاتجاه ، كان هذا تقويضا مبكرا لبناء الأمة في مستقبلها العاجل .

ولأنه لعمل مبرور ، وخير مشكور أن ينهض وزير التربية والتعليم إلى بحث هذه المشكلة في جد ، وعناية ، ومحاولة موصولة لتعرف أسبابها ، ونواحيها ، ووسائل التخلص منها ، والرجوع بالشباب إلى الأوضاع المستقيمة ، والبعد بهم عما يشينهم ، أو يقصمهم عن رجاء الأمة فيهم .

كانت الندوة الأولى بدعوة الأستاذ سعيد العريان مدير الشؤون العامة بوزارة التربية ، وتحت إشراف السيد الوزير .

تحدث فيها السيد الوزير عن الوجهة في عقد هذه الندوات : من تحديد المسؤولية في هذا الانحراف ، وتعرف آراء المجتمع في وسائل الإصلاح ، والاستقامة ، بما يتلقاه من مشورات مجدية .

وكان الوزير صريحا في الحق ، غيورا على الشبيبة المصرية مما ألم بها ، وواضح العزم على إصلاح ما فسد ، وتقوية ما وهن ، وتعزيز ما تهدم في نفوس الشباب ، وهم عماد الأمة ، وملئقي آمالها ، وهم الحصن المنيع للقومية المصرية بل للقومية العربية .

قوبلت كلمات السيد الوزير بالإعجاب ، والشكر ، والدعاء بالتوفيق .

ثم تحدث الدكتور حسين فوزى ، وهو فوق مركزه الرسمى كبير المشرفين على رعاية الشباب ، فكان فى حديثه لسانا صادقا يفيض عن قلب عامر بالوطنية ، وعن إيمان بأن الشباب فى عهدته المسئولين ، وأن تقويم الشباب وصيانتهم من عوامل إفساده أمانة يسأل عنها كل ذى نصيب من السلطة ، وكل ذى صلة بالتوجيه .

ثم أبان فى صراحة مسئولية الفن عن انحراف الشباب ، ثم ضرب الأمثال للفن المسئول بالصور الخلية ، والأحداث المأجنة التى تتسابق إليها الصحف والمجلات ، وتعنى بنشرها ، ومع أنه ترك الإسهاب عن مسئولية الصحافة إلى الدكتور سهير القلماوى ، فقد أفاض فى بيان إحساسه بما يحسه الجمهور الواعى ، وفى عز مهم على وضع الشباب موضع العناية بما يكفل إنقاذه من الورطة التى انحدر إليها ، ويكفل توجيهه إلى الأهداف التى يتجلى فيها طابع الثورة ، وطابع النهضة التى ينشدها المجتمع من طريق الخلق الرفيع .

غير أن الدكتور حسين فوزى تحدث فى شبه اعتقاد بأن رجال الدين يعارضون الفن ، وأن هذه المعارضة تصدهم أو تقلل من نشاطهم فى إصلاح الفن واستخدامه فى الثقافة والنهوض بالذوق ، واستشهد على مقاومة رجال الدين بموقف أخير وقفه الشيخ عبد اللطيف السبكى من ذبوع الخلاعة والرقص فى كلية الآداب ، ولم يكن الدكتور حسين فوزى واعيا لهذا الموقف وعى المنصت . فكانت لهجته بعيدة عن الواقع ، ولكن الله انتصر للحق على لسان الدكتور منصور فهمى ، إذ نهض وصحح الموضوع ، وأبان فى لهجة صادقة سمعها الوزير وكل من فى مجلس الندوة : أن رجال الدين يعارضون الفن الفاسد ، وينكرون كل محاولة تنافى الخلق الكريم ، وتتزع الحياء من وجوه الناشئة ، وحينما يحتشم دعاة الفتننة فى عملهم ، ويثوب أهل الفن إلى رشدهم ، ويتجنبون الصور المتفحشة ، والأغاني المبتذلة ، والرقص الفاتن ، وخاصة المختلط من ذكور وإناث : حينما تصالح الوسيلة ، وتتزه الغاية ، ويحسن اختيار الفن للإصلاح ، يكون ذلك جزءا من رسالة رجال الدين ، لا شيئا مبيانا لمنهجهم فى تهذيب النفس وإصلاح الخلق .

وهذا موقف لا نجده للدكتور منصور فهمى ، فهو رجل الحقائق ، ورجل التوجيه الرشيد ، ورجل العلم الصحيح والرأى البرىء ، وحسبه منا شكر وعرفان ، وحسبه من الله جزاء وإحسان .

ولما جاء دور الدكتور سهر القلماوى لم نجد في حديثها ما كنا نطمح فيه ، فلها أسلوب منسق ، ولكنها تعمدت إغفال الحق ، أو خاتها الذاكرة ، فقررت رغم الإجماع الذى شهدته وسمعته ، أن شباب الجامعة ليس فيهم انحراف .

وكان الوزير ورجال الوزارة يبحثون الانحراف في رجال الغيط ، أو رجال الورشة ، لا في شباب الجامعة ، والمدارس . وكأنها تجامل بعض أناس ، وإن خالفت ما يحسه الوزير ، ويحسه المجتمع ، وتشهد به الأعين وتسمع به الآذان .

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

التناهى عن المنكر

جاءنا بيان موقع عليه من فضيلة رئيس جماعة التربية الإسلامية بشبرا ، وممثلى اثنتى عشرة جمعية إسلامية أخرى ، عن اجتماع لهم عقدوه للنظر فيما نشر في العدد ٣١٦ و ٣١٧ من مجلة الجليل الجديد ، من نقاش دارين صاحب الفضيلة الشيخ عبد المظيف السبكي عضو هيئة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر ، والدكتور عز الدين فريد عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة ، حول أمور تمس الخلق والدين نشرتها الصحف عن الكلية ، فأنكرها فضيلة الأئمة السبكي عملا بالحديث النبوى : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبأسانه ... » وترى هذه الجمعيات أنه كان من الواجب على العميد أن يصدر بيانا يكذب فيه ما نسبته الصحف إلى كليته من المآخذ ، وإلا فليتحمل النقد وليجب عليه برحابة صدر ، والشكر للناقدين ، لا بالإسفاف في التعبير ، ولا سيما لعلم من أعلام الدين يجب احترامه لدينه ومنصبه وسنه ، وليكن رائدنا جميعا التواصى بالحق والتواصى بالصبر .

الكتيب

الإغراب في جدل الإغراب - ولمع الأدلة - لابن الأنباري

رسالتان بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني - ١٦٠ ص - مطبعة الجامعة السورية بدمشق .
الأستاذ سعيد الأفغاني من ألمع أساتذة كلية الآداب بالجامعة السورية بدمشق ،
وقد قام في العام الماضي برحلة علمية إلى معاهد العلم ودور الكتب العامة في عواصم
أوروبا وأمهاث مدنها وشمال إفريقيا ومصر ، وعاد إلى كلية الآداب في الجامعة السورية
بمعلومات قيمة عن تراث السلف ولاسيما في اللغة والأدب . وقد سبق له نشر مخطوطات
قام بتحقيقها من مؤلفات الزركشي وابن حزم والحافظ الذهبي ، وكتب أخرى من مؤلفاته
لها مكانة محترمة عند رجال العلم .

والآن يقدم إلى المكتبة العربية كتابين من مؤلفات أبي البركات بن الأنباري ،
(٥١٣ - ٥٧٧) أحدهما (الإغراب في جدل الإغراب) تتكلم فيه على السؤال ووصف
السائل والمسئول به والمسئول منه والمسئول عنه ، والجواب والاستدلال والاعتراض على
الاستدلال بالنقل ، والاعتراض عليه بالقياس ، والاعتراض عليه باستصحاب الحال .
وختمه في ترتيب الأسئلة وترجيح الأدلة ، وهي فصول تدور حول قوانين الجدل في علم
العربية . ويقول الأنباري في خطبته أنه أول ما صنف لهذه الصناعة ، وأنه ألفه بعد كتابه
(الإنصاف) . وقد اعتمد الأستاذ الأفغاني في تحقيقه على ثلاث مخطوطات : إحداها
بخط ابن الشحنة في المكتبة الوطنية بباريس وهي خيرهن ، والثانية بمكتبة عاطف
بالقسطنطينية ، والثالثة بمكتبة الأسكور يال بأسبانيا ، وقدم له مقدمات فيها ترجمة المؤلف
ووصف النسخ وصور لنماذج منها وبيان خطة النشر ، وختمه بفهارس للأعلام والكتب
والأبيات والموضوعات .

والرسالة الثانية للأنباري (لمع الأدلة) في أصول النحو اعتمد أولا في نشرها على
مخطوطة في مكتبة عاطف بالقسطنطينية بخط ابن الشيرازي ، وابن الشيرازي - هذا هو
الذي كتب مخطوطة كتاب (الميسر والقudah) لابن قتيبة الذي نشره رئيس تحرير - هذه

المجلة قبل نحو ثلاثين سنة . وبما أحن الأستاذ الأفغانى أن مخطوطة (لمع الأدلة) التى بخط ابن الشيرازى ناقصة من أولها أربعة فصول وبعض الخامس ، فلما زار القاهرة فى العام الماضى وزار صديقه رئيس تحرير هذه المجلة وجد فى مكتبته الخاصة مخطوطة بخط مغربى جميل دقيق تحتوى على كتاب (الاقتراح) للسيوطى و (لمع الأدلة) لابن الأنبارى و (الإغراب فى جسد الإعراب) ، ومع أن كاتب المجموعة كان يلخص العبارات فى بعض الأحيان ، فإن الأستاذ الأفغانى استطاع أن يكمل من هذه المجموعة الفصول الناقصة من كتاب (لمع الأدلة) وتمكن من نشر هاتين الرسالتين بتحقيقاته النفيسة وقد قامت مطبعة الجامعة السورية بطبعهما لأنهما من متعلقات المنهج فى شهادة علوم اللغة العربية بكلية الآداب .

البيان فى الخطابة وتصحيح الإيمان

لفضيلة الشيخ ابراهيم عبد الباقي - ٣٣٦ ص - المكتبة التجارية الكبرى

فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم عبد الباقي مدرس وخطيب مسجد أولاد عنان بالقاهرة من أفاضل الوعاظ والمرشدين الذين يقاومون البدع ويعملون على الرجوع بالمسلمين إلى فطرة الإسلام كما كان عليه فى صدره الأول ، مجردا من الطوارئ عليه ، وطريقته فى ذلك طريقة فقيده الوعظ والإرشاد بمصر الشيخ على محفوظ رحمه الله ، وكتابه هذا حافل بهذه المعانى الطيبة وبيان المشروع وغير المشروع مما يراه العوام ديناً ، فهو يثبتهم على المشروع من عقائد الإسلام وعباداته وشعائره ، وينبههم إلى غير المشروع من ذلك وما لم يكن للمسلمين الأولين عهد به ، وقد عقد فصلاً نافعا مفيداً عن الابتداع فى الدين والتحذير منه ، وعن الأعياد الدينية ومشروعيتها وحكم الشريعة الإسلامية فى الموالد وعن شبهة المتبدعين فى العبادات .

وفى الكتاب نماذج من خطب النبى صلى الله عليه وسلم وخطب الخلفاء الراشدين وعظات كبار التابعين .

وفيه بحوث عن الحياة البيتية والزوجية ، وعن الضمان الاجتماعى فى دستور الإسلام وعن الحلف المشروع وغير المشروع ، وعن التاجر الصدوق ومكانته العالية عند الله . فشكراً لفضيلة الأستاذ المؤلف ونرجو المزيد من هذا الخير .

مشاعل على الطريق

للاستاذ عبد الرحيم فوده - ٢٢٨ ص - مطبعة وزارة الأوقاف

هذا كتاب يدل عليه عنوانه . قدمه فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف ، وطبعته مطبعة الأوقاف ، وهو كما قال الأستاذ الباقورى : « كلمات يقرأها القارئ فيجد بينه وبين كاتبها قرابة قريبة ، ونسبا جامعا . فالكلمات التى اشتمل عليها هذا الكتاب إنما هى فلذات كبدا الكاتب وذوب نفسه . إنهن نصيبح أفكاره ، وعصارة مشاعره ، وخفقات قلبه ، وخلصات ضميره » .

ومن عناوين هذه الكلمات : فى جو المعركة ، أضواء على أخطاء ، فى التعليم والتربية ، نحو أدب هادف ، لكل سيدة وفتاة ، فى ذكرى مولد الرسول ، ظلال رجال ، الشورى والديمقراطية ، فى معركة فلسطين الأولى ، مشروعات حققها الثورة ، فنلفت إلى هذه المشاعل أنظار القراء .

نزعات التجديد فى الأدب العربى المعاصر

للاستاذ أنور الجندى - ٢٧٦ - مكتبة الإنجلو المصرية

هذا كتاب جديد للاستاذ أنور الجندى ، يأتى فى القمة من مظهر نشاطه الأدبى والصحفى ، تتكلم فيه على نزعات التجديد فى الأدب المعاصر من ثورة سنة ١٩١٩ إلى ثورة سنة ١٩٥٢ وهو الجزء الموضوعى من دراسة لتاريخ الأدب العربى المعاصر فى مصر بالقرن العشرين ، ووعد بأن يصدر بعده قسما آخر يتضمن رأيه فى الأدب المعاصر له .

وفى هذا الجزء فصل عن شخصية الأدب المصرى الحديث ، وآخر عن مدارس الأدب فى مصر ، وفصل عن قضايا الأدب العربى المعاصر ، وفصل عن النزعات والاتجاهات ، ثم فصل عن تيارات النثر ، وآخر عن نزعات الشعر ، وفصل عن تطور القصة ، وبعده مساجلات أدبية وفصول تكميلية ، نخاتمة عن الاحياء الإسلامى والاحياء العربى .

ومواضع الكتاب أوسع مما تدل عليه عناوين فصوله ، ولعل من أهمها استعراض المعارك بين العامية والفصحى وأمثال ذلك مما يهم كل متأدب الوقوف عليه ، فنحن المستغلين بالأدب والثقافة على الاستفادة منه .

الأدب والعلوم

تحرير اللغة العربية

من المصطلحات الأجنبية الدخيلة

اتجهت مصر أخيراً إلى رسم خطة لتنظيم اشتراك الصحافة والإذاعة وسائر أجهزة الإرشاد في تخليص اللغة القومية وتحريرها من الكلمات والاصطلاحات والعبارات الدخيلة .

وتستترك جامعة الدول العربية وكلية اللغة العربية بالأزهر وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وكلية آداب عين شمس مع لجنة فنية من ممثلي وزارات التربية والتعليم والشئون الاجتماعية والعمل والإرشاد القومي في وضع الخطة المثل للوصول إلى هذا التحرير المطلوب في اللغة العربية من كل دخيل أجنبي .

دراسات المشاكل الاجتماعية

في كليات الأزهر

تقرر أن تكون دراسة المشاكل الاجتماعية إحدى مواد الدراسة في كليات الجامعة الأزهرية .

تعاون الأسرة والمدرسة

على تكوين الجيل

عقد في القاهرة مؤتمر للتعاون بين الأسرة والمدرسة على تربية رجال الغد وأمهاته التربوية اللائقة بالمجتمع الذى نعمل على إنشائه وتكوينه . وافتتح هذا المؤتمر وزير التربية والتعليم بخطبة نوه فيها بقيمة التعاون وأثره في تحقيق الأهداف ، وأن من واجبنا رسم الطريق لمستقبل بلادنا بالتعاون ، وخاصة بين الأسرة والمدرسة ، وذلك بتكوين مجالس الآباء والمدرسين لرعاية مصالح طلابها وتأليف المجالس الاستشارية الإقليمية في كل منطقة من الصفوة العاملة .

وتكلم الأستاذ محمد على حافظ وكيل الوزارة عن تحويل الدراسات إلى مشروعات يعمل فيها الطلاب بأنفسهم ، واجتذاب الآباء والأمهات للنهوض بالمدرسة .

القمر الروسى الأول

قالت اللجنة المركزية القومية للسنة الجغرافية الطبيعية في الاتحاد السوفيتى : إن القمر الصناعى الأول اخترق الطبقة الجوية الكثيفة وتبخر يوم ٤ يناير بعد ٩٢ يوماً دار خلالها ١٤٠٠ مرة حول الكرة الأرضية قاطعاً مسافة ستة ملايين من الكيلومترات .

إنشاء العجملة الإسلامية

قيام الوحدة العربية

حلم قديم يتحقق اليوم . إن البلدين الناهضين مصر وسوريا يضهما حجر الأساس في البناء الذي سيكون له شأنه العظيم في تاريخ الإنسانية . نكتب هذا ونتوقع مجيء الرئيس شكري القوتلي إلى القاهرة ومعه كبار المسؤولين في الدولة السورية ليعلموا مع مصر اندماج الدولتين في جمهورية واحدة تكون القاهرة عاصمتها . وسيون التمثيل السياسي واحدا ، والجيش واحدا ، وعلم الدولة المتحدة واحدا ، وإن بقي العلم المصري لإقليم مصر والعلم السوري لإقليم سوريا . وسيكون للدولة الموحدة مجلس نيابي مركزي ، وستكون من ورائه مجالس نيابية إقليمية لحكومة إقليمية . وستكون للدولة الجديدة نقود موحدة ومجلس دائم للاتحاد مقره القاهرة . وإن أسس هذه الوحدة ستعرض في استفتاء شعبي .

إن هذا الحادث التاريخي العظيم فاتحة لما يرجى بعده من التوسع فيه تحقيقاً لأمان أمة مزقتها الشعوبية منذ أكثر من ألف سنة ، وأفاد الاستعمار من ذلك فزادها فرقة وتمزيقا . إلى أن أراد الله لها اليقظة في

جميع أوطانها ، فالقلوب العربية تتطالع الآن إلى هذا الحادث التاريخي من كل مكان : من ضفاف الرافدين ، ومن جانبي الأردن ، ومن ربوع لبنان ، ومن كل مكان ينطق أهله بالضاد . يلتفتون إلى الماضي يوم خرجت العروبة من جزيرتها لتقيم الوطن الأكبر ولتبنى العالم الإسلامي كله ، ويتطلعون إلى المستقبل الذي سيتم فيه البعث وستسأنف فيه العروبة رسالتها في العالم الإسلامي والمجتمع الإنساني . إن هذا لخير البشر كلهم ، ولخير الأمم التي عاشت على الاستعمار ، وسيكون ذلك نقطة تحول سعيد في التاريخ العالمي .

زيارة سوكارنو لمصر

وتعاون مصر وأندونيسيا

زار السيد أحمد سوكارنو رئيس الدولة الإسلامية (أندونيسيا) واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر مرارا وبجنا القضايا التي تهم الدولتين ، كما بحثا الموقف الدولي الراهن بصفة عامة ، وقد أكد الرئيس جمال عبد الناصر التأييد الكامل من الحكومة المصرية والشعب المصري للحكومة الأندونيسية والشعب الأندونيسي لتحرير إيريان الغربية من الاستعمار الهولندي

والسـخافات التى كانت تجرى فى الموالد ، من ضرب الدفوف ودق الطبول والمنفخ فى النـاء وظهور النساء فى حلقات الذكر بساحات الموالد أو فى مواكب أهل الطرق ، كما منعت بدع ضرب الأجسام بالسلاح وأكل الحشرات وارتداء الأزياء الغربية ، وكذلك عرض ألعاب الميسر والخلاعة وما إلى ذلك .

وقد كلف وزير الداخلية مشيخة الطرق بأن تدب أشخاصا من الممتحنين إليها بمراقبة تنفيذ هذا القرار .

مقاطعة العرب لاسرائيل

يقدر الخبراء الاقتصاديون ما يلحق لإسرائيل من خسائر بسبب مقاطعة العرب لها بخمسة وعشرين مليوناً من الدولارات سنوياً ، وهو ما يستجديه الصهيونيون من حكومة أمريكا إعانة لهذه الدولة المصنوعة بالخيانة والبغى ، فدافع الضرائب الأمريكى يتحمل عن إسرائيل ثمن البغى الذى رضيت حكومته أن تلتطخ به سمعتها وتاريخها .

الاتجار بالصور العارية

جريمة

حكمت محكمة جنح الأزبكية برياسة الأستاذ محمود الزبدى القاضى بالحبس شهراً مع الشغل على بائع للصور العارية ، وذكرت

وأكد الرئيسان إيمانهما بالمبادئ المتفق عليها فى مؤتمر باندونج للدول الآسيوية والإفريقية ، وبالمبادئ التى يقوم عليها ميثاق الأمم المتحدة ، وكان الرئيسان على اتفاق تام بأن سياسة عدم الانحياز هى خير مساهمة يمكن أن يقدمها لتحقيق السلام والرفاهية والاستقرار فى العالم .

واتفق الرئيسان أثناء استعراضهما للتعاون بين مصر وأندونيسيا فى الميدان السياسى والاقتصادى والثقاقى على ضرورة توسيع نطاق هذا التعاون وتنميته ، كما أعربا عن عزمهما على أن يبذلا كل الجهود الممكنة لبلوغ هذه الأهداف ، زيادة فى تدعيم الروابط بين الأمتين ، وقد قبل الرئيس عبد الناصر الدعوة التى وجهها الرئيس أحمد سوكارنو لزيارة أندونيسيا عند ما تسمح الظروف بذلك ، وقد شمر الرئيس سوكارنو بأن زيارته لمصر قد هيأت له فرصة كبيرة لاستعادة صحته الطبيعية ، ويرجع ذلك إلى الاستقبال الأخوى الحار الذى لقيه فى مصر ، وأعرب الرئيس جمال عبد الناصر لضيفه العظيم عن الأمانى القلبية التى يكنها الشعب المصرى للرئيس الأندونيسى كما تمنى للشعب الأندونيسى السعادة والازدهار .

البدع فى الموالد

منعت وزارة الداخلية البدع والمعاصى

تريد أن تجعله حقاً مدنياً . وإن مشكلة الطلاق مشكلة أخلاقية فقط ، وعلاجها بتقويم الأخلاق ، لا بعمل « الروش » في نصوص الشريعة ، وإن تقييد الزواج والطلاق يجعل الحياة بين الزوجين بالإكراه ، وينشر الزواج العرفي بدرجة كبيرة في المجتمع ، وسيضرب الشبان عن الزواج تفادياً للمحاكم والمتاعب وستزداد أزمة الزواج ويترتب على ذلك انهيار خلقي في المجتمع » .

اليابانيون والبترول السعودي

وقعت المملكة العربية السعودية اتفاقاً مع شركة البترول اليابانية يقضى بمنح الشركة اليابانية امتيازاً باستنباط البترول من المنطقة المغمورة في النصف المشاع بين المملكة العربية والكويت .

إسرائيل دولة لصوص

أعدت جامعة الدول العربية لإحصاء دقيقاً عن المخالفات القانونية التي ارتكبتها دولة اللصوص التي أنشأتها دول الغرب في الوطن العربي (فلسطين) باسم (إسرائيل) ، فتبين أنها ارتكبت في العام الماضي ٨٥ ألف جريمة ، وبلغت قيمة المسرقات في جرائم السطو ١١٤ مليون جنيه ، وتناول التحقيق ٢٤٣٦٧١ شخصاً أى ١٢ فى المائة من مجموع

المحاكمة فى أسباب حكمها أن الدين الإسلامى الذى شئت فى ظله تقاليد المجتمع المصرى يأبى كل الإباء الاطلاع على مثل هذه الصور فالدين الإسلامى الذى يمنع التبرج ويعتبر جسم المرأة عورة لا يسمح بحال بنشر صور عارية تسكشف عن المفاتن والعورات .

ودافع المتهم عن نفسه بأن الصور هى صور فنية ولا تعد منافية للأداب فضلاً عن أنها انتشرت فى كل مكان ، فقالت محكمة جنح الأزبكية أن الصور العارية ليس لها صلة بالفن ، فضلاً عن أنها طبعت فى طبعات بخسة الثمن وتعرض على جمهور لا يدرك إلا معنى واحداً هو معنى الإثارة للغرائز الجنسية .

صوت المرأة المسلمة

فى الدفاع عن النظام الإسلامى للأسرة

تقدمت نائبة من أعضاء مجلس الأمة بمشروع غير مشروع إلى المجلس طالبة فيه الحد من تعدد الزوجات وتقييد الطلاق ، فقامت (جمعية نساء الدولة) بمعارضة هذا المشروع غير المشروع ، وذهب وفد منها برئاسة السيدة منيرة حسنى فقابله رئيس مجلس الأمة وقدم له مذكرة قلن فيها :

« إن الطلاق والزواج من اختصاص رجال الدين ، ولكن النائبة أمينة شكرى

وإسكانهم على نفقتها الخاصة بدلا من دفع تعويضات فردية لهم .
وستكون مصر والسودان طرفا واحدا في أى مباحثات تجرى في المستقبل مع أثيوبيا أو غيرها بشأن الكميات الزائدة التى تتدفق من النيلين الأزرق والأبيض في مجرى النيل بالبلدين .

أمانة

سيتم إعلان الوحدة في اجتماع يعقده الرئيسان شكري القوتلى وجمال عبد الناصر .
سيمعان القرار في مجلس الأمة بالقاهرة ومجلس النواب السورى بدمشق في وقت واحد .

قال شكري القوتلى وهو في دمشق قبل أن يأتى إلى القاهرة لإعلان الوحدة : لقد كلفت في سبيل الوحدة مع إخوان أعزاء علق بعضهم على أعواد المشانق ، ونال الشهادة عدد منهم في ثورات الاستقلال ، وحكم على أنا بالإعدام ثلاث مرات . ولم نكن نعمل لتستقل الأوطان العربية استقلالاً محلياً ، بل كنا نجاهد جميعاً لأجل الوحدة . وقد عقدنا الآمال على كثير من الرجال لتحقيق وحدة الأمة العربية ، فشأت إرادة الله أن يتأخر تحقيق نتائج جهادنا إلى اليوم لأكون أنا رئيساً للجمهورية ، وأسلم (الأمانة) يدا بيد للرئيس جمال عبدالناصر الشاب المتهلئ عروبة وحماة وإخلاصاً للأمة العربية .

السكان ، وقد وزعت المخالفات على الوقت فتبين أن إسرائيل ارتكبت مخالفة قانونية في كل ست دقائق .

مباحثات مياه النيل

دارت المباحثات بين مصر والسودان حول التفصيلات الفنية التى تتولاها لجان فنية مشتركة بشأن أسس مباحثات مياه النيل . وقد تم الاتفاق حول الخطوط العريضة التى تدور حولها هذه التفصيلات ، وفى مقدمة ذلك موافقة السودان على إنشاء السد العالى ، والموافقة على مبدأ الحق المكتسب في مياه النيل بالنسبة لاتفاق سنة ١٩٢٩ ، وتقسيم المياه الزائدة المترتبة على إنشاء السد العالى أو أية مشروعات مستقبلية بالنسب التى تواجه حاجة البلدين . وقد اتفق مبدئياً على أن يكون هذا التقسيم بنسبة ٥٠ ٪ أى مناصفة . وتعوض مصر السودان عن الأراضى التى سوف يفرقها المشروع في بلاد النوبة ، وتدفع نفقات ترحيل أهلها وإسكانهم في منطقة تقع جنوبى كسلا ، وتقدر هذه التعويضات مبدئياً بمبلغ يتفاوت بين ١٠ و ١٢ مليون جنيهه فإذا لم يتمكن الطرفان من الاتفاق على قيمة التعويضات ، فإن السودان يقترح أن تقوم مصر بعملية نقل أهالى النوبة السودانين

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم
٥٧٧	نقطة تحول في تاريخنا	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٥٨٤	نفحات القرآن : الناس في دينهم طبقات متفاوتة	» عبداللطيف السبيعي عضو جماعة كبار العلماء
٥٨٨	السنة : آخر الوصايا النبوية - ٢ -	» طه محمد الساكت
٥٩٢	الاجيال الحديثة « مسئولية المربين عنها »	» أبو الوفا المراغي
٥٩٥	حول تعدد الزوجات	» عبد الرحمن عيسى مدير المجلة
٦٠٠	خذوا الطريق على الرذيلة	» أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر
٦٠٤	المسؤولية في الاسلام - ٢ -	» محمد أحمد أبوشهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٦١٠	الملايو والاسلام	» نور الدين شريعة
٦١٨	الاسلام وسباحة الفكر	» عبد الحميد سامي بيومي
٦٢٢	سلسلة الفقه الاسلامي	» عبد الله مصطفى المراغي
٦٢٥	فقيه الأزهر : الشيخ محمد عبد الله دراز	» كامل محمد حسن وكيل كلية اللغة العربية
٦٢٧	رثاء المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز « قصيدة »	» محمد سليمان بدير الأستاذ بكلية أصول الدين
٦٢٩	فقيه الأزهر « قصيدة »	» حسن جاد الأستاذ بكلية اللغة العربية
٦٣١	الحكمة في تعدد الزوجات - ١ -	» محمد الطنبغي عضو جماعة كبار العلماء
٦٣٥	البعثة الحمديدية وحاجة العالم إليها	» يس سويلم طه المفتش بالأزهر
٦٤١	الاسلام والمسلمون في صحف العالم	» محمد فهمي عبد اللطيف
٦٤٥	الشيخ حسونة النواوي	» محمود النواوي
٦٥٣	لغويات	» محمد علي النجار
٦٥٧	كلمة تاريخية عن تحرر العرب في الجزائر	» عباس طه المحامي
٦٥٩	الأزهر وطرق التدريس	» عبد الحكيم الجوهري مدرس التربية
		بإجازة التدريس بالأزهر
٦٦١	تعليقات	» عبد اللطيف السبيعي عضو جماعة كبار العلماء
٦٦٤	السكرتير	المجلة
٦٦٧	الأدب والعلوم	»
٦٦٨	العالم الاسلامي	»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	
مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِ	
الْإِسْتِزَاكُ السَّنَوِيُّ	
في وادي النيل	٤٠٠
للطبعة الأولى النيل	٤٠٠
للعلماء والمدرسين بالوادي	٣٠٠
خارج الوادي	٥٠٠
للطبعة خارج الوادي	٣٠٠
للعلماء والمدرسين خارج الوادي	٤٠٠

مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِ

مَجْلَدُ شَهْرِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَزْهَرِ فِي كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِي

مُدِيرُ الْمَجْلَدِ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة

٤٦٢١٤

الجزء الثامن - القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٧ - ٢٠ فبراير ١٩٥٨ - المجلد التاسع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العروبة

من جذورها - إلى أغصانها، وثمراتها

هي كلمة الله الطيبة ، من الأزل إلى الأبد . . .

قد يحجبها إبليس ورهطه بأجنحتهم عن مدارك أهلها حيناً ، وعن أسماع الإنسانية وأبصارها حيناً آخر ، ثم يظهرها الله لأهلها لعلمهم يفيثون إلى أمره ، ويظهرها أهلها للناس لعلمهم يهتدون طريق السعادة .

هي : « كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت ، وفرعها في السماء .. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلمهم يتذكرون » .

إنها شجرة طيبة فيما بين الأزل والأبد ، توغلت جذورها في أعماق الأودية ، وبين طبقات الأرض ، لتتجدد أغصانها بتجدد الأدهار ، ودورات الفلك ، وازدهار الأزمان .

لقد كان من ثمراتها الشهية الناضجة في الأمس القريب إبراهيم أبو الأنبياء والصالحون من أبنائه ، إلى خاتمهم وأكملهم حامل أسمى رسالات الله ، محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم إلى يوم البعث الأكبر .

إن الأمة التي كان منها إبراهيم ، كانت غصنا من دوحه أصيلة أنبتها الله في جزيرة العرب مهد الساميين الأول ، ووطن العروبة وحصنها المنيع . قال المؤرخ الأمريكي باتون [١] : إن أول مهاجرة سامية ذكرت في التاريخ هي مجيء جماعة من الساميين من أرض العرب إلى البقعة التي بين مصبي دجلة والفرات . ولم يذكر باتون زمن هجرتهم هذه من أوطانهم الأولى إلى العراق ، لأنها موهلة في القدم ، ولكنه أثبت لهم حضارة زاهرة في ذلك القطر في القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد ...

والذي أبقته لنا يد الدهر من بقايا آثار هذه الحضارة من نحو ستة آلاف عام ، يتسلمه الدكتور ناجي الأصيل أمين الآثار العراقية في بغداد ، ويتعاون رجاله على حفظه في المتحف العراقي ، ويقومون على وصفه في مجلة سومر باللغتين العربية والانجليزية عاما بعد عام .

وذهب العلامة المحقق الانجليزي أرشيبلد هنري سايس A . H . Sayce - وهو من أعلام جامعة أوكسفورد في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين - إلى أن قبيلة من الساميين يقال لها (كلدة) كانت نازلة عند مصب النهرين في الخليج العربي ، أى في مقاطعة البصرة والكوفة ، وأنها طليعة الآراميين الذين نزحوا من شمال بلاد العرب ونزلوا القطر البابلخي وخيموا على ضفاف الفرات .

وقال الأب أنستاس ماري الكرملي (في مجلته لغة العرب ٢ : ٥٧٨) : كلدة شيخ عربي ، هو مؤسس دولة الكلدان .

هذا هو الغصن المبارك الذي كان من أطيب ثمراته إبراهيم وبنوه ، وإن جذور الدوحة الكبرى التي منها هذا الغصن هي من جذور العروبة في وطنها الحصين المنيع مهبط وحى الله ، ومنه ظهرت أقدم رسالات الله .

قال باتون الأمريكي : « ثم إن بلاد العرب عادت فغصت بأبنائها بعد ألف سنة ، فكانت الهجرة الأمورية السكمانية (أى الفينيقية) حوالى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد » .

ويؤيد قول باتون - من أن أصل الفينيقيين من صميم بلاد العرب - ما ذكره الأب

مرتين اليسوعي (في تاريخ لبنان طبعه الآباء اليسوعيين في بيروت ص ٢٤١) وهو أن (أرنو) وجد في الكتابات الأثرية في اليمن بخط المسند اسم (عشروت) إلهة الفينيقيين . وكان اليمنيون يسمونها (عثر) .

ويزيد هذه الحقيقة تأييدا وتأكيدا ما رواه الرحالة اليوناني سترايون المعاصر للسيد المسيح سلام الله عليه (في الفصل ١٦ من كتابه في الجغرافيا رقم ٣ و ٤) حيث قال : « إذا سرت في الخليج العربي رأيت جزيرتي صور وأرود وفيهما هياكل تشبه هياكل الفينيقيين » . بل إن في الخليج العربي نفرا اسمه جبيل ، وعند انتقال الفينيقيين من وطنهم العربي على ساحل الخليج إلى سواحل الشام أنشأوا بلادا على اسم بلادهم التي هاجروا منها : صور ، أرود ، جبيل . . .

ولما زار هيرودوتس أبو التاريخ البلاد الفينيقية ، واجتمع بكنهتهم في هيكل (بعل ملك قرت) سنة ٤٥٠ قبل الميلاد ، وتحدث إليهم عن ماضيهم وأوليتهم ، كتب عنهم (في العدد ٨٩ من الكتاب السابع) يقول : « إن الفينيقيين كما يخبرون هم بأنفسهم أقاموا أولا في البحر الأثيري (أي الخليج العربي) ثم رحلوا من هناك ، وجاءوا فسكنوا في سواحل الشام » .

وفي كتاب تروغ بمبي (١٨ : ٣) وهو من مصادر التاريخ القديمة : « إن الفينيقيين لما أذتهم الزلازل في أوطانهم (وهي نجد من قلب جزيرة العرب كما صيأت) هجروها وأقاموا أولا بالقرب من البحيرة الأشورية (الخليج العربي) ثم رحلوا من هناك ونزلوا عند البحر الأبيض ، وهناك بنوا مدينة سموها صيداء لكثرة الأسماك في ساحلها » .

وقال المؤرخ الفرنسي فرنسيس لنورمان F. Lenormand : « إن تقليد الفينيقيين الذي جمعه في نفس مدينة صور المؤرخ هيرودوتس البارع في تحرى منابع الأخبار ، وقبله تروغ بمبي المعروف بالرأى الصائب ، وتقليد سكان العربية الجنوبية الذي نقله سترايون ، ثم التقليد الذي كان جاريا ببابل في أوائل النصرانية أيام أنشئ الكتاب السرياني الكلداني في الفلاحة النبطية ، جميع هذه التقاليد الثلاثة متفق على أن الكنعانيين (أي الفينيقيين) سكنوا في بادئ الأمر بالقرب من الكوشيين لإخوتهم الأصليين عند أرياف الخليج العربي ، أي في الجهة التي تسمى اليوم في المصوّرات الحديثة (القطيف) . وإن طريق القوافل ممتدة الآن من ناحية القطيف ومتصلة ببلاد الأحساء وكامل وادي غطفان إلى حد جبل طويق . وفيما وراء ذلك بقليل تميل إلى جهة الشمال الغربي في ناحية

الوشم إلى أن تتصل بمدينة عنيزة ، ومن هناك تأخذ نحو الغرب مارة بجميع جهه القصبم لتتصل بطريق الحاج على مساواة الحنيكية . هذه هي الطريق التي سلكها الفينيقيون عند هجرتهم من قلب بلاد العرب إلى الشام ، وذلك أمر لا يستطيع الارتباب فيه ... ولما وصل الكنعانيون إلى الحنيكية تخلفت منهم قبيلة ، وأتم الباقيون سيرهم نحو سواحل البحر الأبيض المتوسط . وفي تقاليد العرب القديمة أن ثمود أقامت بتلك الجهة ونحتت من الجبال بيوتها لها .

وقال مؤرخ فرنسي آخر وهو مسيو رنه دوسو René Dussaud (في كتابه العرب في سوريا قبل الإسلام ص ١٨) اعتمادا على تحقيق العلامة وين-كلر Winckler : « إن المستعمرات والمصارف الفينيقية في شمال إفريقية ليست نتيجة استعمار ، وإنما هي نتيجة حركة اكتساح عن طريق البركتلك الحركة التي قام بها الفينيقيون يوم خروجهم من بلاد العرب وانتشارهم في سوريا . ويعتبر وين-كلر أن بلاد العرب كانت الموطن الأصلي للساميين ، وأن البابليين (الكلدانيين) والكنعانيين (الفينيقيين) والآراميين (السريان) خرجوا من بلاد العرب فوجا بعد فوج كما خرج المجاهدون المسلمون في القرن السابع الميلادي . »

وقبل أن أقطع الكلام عن الفينيقيين وثمود الذين يرى لنورمان أنهم انخزعو عنهم في هجرتهم معا قبل الميلاد بستة وعشرين قرنا ، أريد أن أشير إلى أداة المعارف الإنسانية الأولى وهي الكتابة ، في الدور الذي انتقلت فيه من الكتابة بالصور (كالخط الهيروغليفى) إلى الكتابة بحروف الهجاء التي يرى مؤرخو الثقافة الإنسانية العامة أن الفينيقيين هم الذين اخترعوها لأول مرة ، وأن اليونانيين ثم الرومان أخذوها عنهم . ولكن الباحثين في تاريخ الموجات السامية والذين توصلوا إلى أن جزيرة العرب هي مهد الساميين الأول ومنها خرج الكلدانيون والفينيقيون وغيرهم ، أخذوا يتساءلون عن الأبجدية الفينيقية هل هي أصل الأبجديات ، أم أنها من تراث أوطانهم الأولى في الجزيرة العربية ؟ وهناك من يرى أن الكنعانيين وثمود وعرب الصفا وكذلك الحبشة وسائر الساميين لا يبعد أن يكونوا أخذوا أبجدياتهم من اليمن عن خط المسند الذي كتبت به أجيال عريقة في القدم من اليمنيين . وإن آثار اليمن القديمة لا تزال بكرا ، وأمام رجال العلم من العرب واجبات عظيمة في التنقيب عن تلك الآثار والعناية بدراساتها . ويقول

العلامة أرشيبالد هنرى سايس : إذا ذهبنا إلى أن مصدر الحروف الهجائية كان في بلاد العرب يكون أحسن حل لمعضلة التاريخ الأول لحروف الهجاء . لأن أسماء صور الحروف الفينيقية ليس فيها أدنى انطباق في كثير من الأحوال للرموز والإشارات التي تدل عليها ، من ذلك حرف ثور (أى الألف) فان رسمه في كتابة المسند الذي كان يكتب به المينيون من أهل اليمن أكثر شبيها برأس الحيوان (الثور) الذي سمي حرف الألف باسمه . قال : وإن المكتشفات المقبلة في بلاد العرب ستدلنا على أنباء الشعوب التي سكنت تلك الأصقاع قبل عصر التاريخ وأسست فيها الحضارة .

ونلفت الأنظار إلى الأحقاف (الربع الخالي) الذي دلت الدلائل على أنه كان حافلا بالخصب في أزمان عريقة في القدم قبل التاريخ ، وكانت تسمي إليه أودية الداسر وتثليث منحدره من جبال عسير فتصب في الربع الخالي وتملأه عمراناً وخصباً وخيراً ، ثم اضمحل عمراناه بزلازل وآفات سماوية تحول بها إلى بلقع ومقازات لا يجرؤ أحد الآن على اقتحامها .

وهناك دولة الحثيين الكبرى Hittites التي ملأت آثار عظمتها وسطوتها شمال الديار الشامية وسكنت بلاد الأنضول كلها قبل البنظيين بعهد طويل ، إن هذه الدولة التي ألف عنها الأستاذ أرشيبالد هنرى سايس كتاباً في ١٥٠ صفحة (وعند طبعته الثانية سنة ١٨٩٢) يسمى دولة الحثيين (الإمبراطورية المنسية Forgotten Empire) وإن التوراة في كل ما تحدثت به عن الحثيين تنعتهم بأنهم إخوة الكنعانيين - أى الفينيقيين - وقد أوردنا الأدلة والنصوص على أن الفينيقيين من جزيرة العرب ، فالمعقول أن يكون إخوتهم الحثيون موجة من الموجات التي هاجرت من جزيرة العرب ، ولكن في عهد أقدم من الزمن الذي هاجر فيه الفينيقيون إلى سواحل الشام ، بل هي موجة أعظم وأقوى وأعز شأناً . ولست أدري لماذا لا تقوم وزارة التربية والتعليم بترجمة كتب أمثال باتون ووينكار وسايس وخليفته في البحوث السامية ث . و . تاكر أستاذ اللغات السامية بجامعة درهام باسكتلندا ، وكتاب الغصن الذهبي عن معتقدات العالم القديم للسر جيمس فريزر . نعم إن أكثر هؤلاء الباحثين ينظرون إلى هذه البحوث من زاوية التوراة وجهات النظر اليهودية ، لكن اطلاع المشتغلين بالتاريخ العريق للأوطان السامية على كل ما يتصل بالماضي العربي والسامي أمر ضروري جداً لفتح أبواب البحث في جامعاتنا لهذه الأمور . بل ينبغي لنا أن نطلع على دراسات اليهود من علماء الفيلولوجيا في جامعة القدس العبرية عن مقارنة أصول الكلمات العبرية بما يوافقها في العربية وسائر اللغات

السامية ، فانهم يقومون بمقارنة هذه اللغات من جذورها على حد تعبيرهم ، والاطلاع على ذلك من أهم واجبات الجامعات العربية . ومن العجيب أن يعنى اليهود بذلك ولغتهم أحدث اللغات السامية وتكاد تكون من أفقرها ، بينما العرب - ولغتهم هى البنت البكر للغة السامية المنقرضة ، وهى أكلها وأوسعها ، لأنها وارثتها الأولى والأعرق فى القدم - لا يزالون فى غفلة مخجلة عن هذا الواجب القومى والعلمى الذى ينبغى لطائفة منا أن تتفرغ له وتنقطع لدراسته ، حتى تكون مرجعا للأجانب عنه ممن نحى على اشتغال أسلافهم به مائة سنة أو أكثر .

ولما بدأت بكتابة هذا المقال كنت أنوى التحدث عن الموجات السامية الأخرى من جزيرة العرب ، كقوم حورابى الذين أسسوا الدولة الكلدية الخامسة قبل الميلاد بألف وستائة سنة ، والنصوص فى هجرتها عن باروز الآرامى كاهن معبد بعل فى بلاد آشور أيام الإسكندر المقدونى ، وعن أبى دان السكاهن المصرى فى هيكل أزوريس على عهد خلفاء الإسكندر ، وبوليستور المتوفى فى القرن الأول قبل الميلاد ، وأبولو ووروس المعاصر لسيدنا عيسى عليه السلام . وقد نقل عن الأخيرين جورج سينسالوس وأوسايبوس قول كاهن بعل : « إن العرب استولوا على كلديا ، وجلس منهم على أريكتها تسعة ملوك فى مدة ٢٤٥ سنة » وقد اعتمد المؤرخ ولانسن رواية باروز الآرامى وحسب أن المدة التى خلت فيها الأريكة الكلدية للأسرة العربية المالكة امتدت من سنة ١٥٤٦ إلى سنة ١٣٠١ قبل الميلاد .

ومن الموجات العربية نحو الشمال هجرات بنى اسماعيل قبل الميلاد بحوالى ٦٠٠ سنة ، منهم بنو يطور بن اسماعيل الذين أسسوا مملكة فى جنوب دمشق ، وفى التوراة ذكر لهم (فى سفر التكوين ٢٥ : ١٥ و ١٦ . وفى أخبار الأيام الأول ١ : ٣١) . وإخوتهم بنو قيدار وبنو نابت الذين انتقلوا من مكة إلى يثرب ومدائن صالح فخلع أيلة (العقبة) ووادى موسى . ولبنى نابت آثار منقوشة على الأحجار بين وادى موسى والسويس ، وبين العقبة والطور . ويقول المؤرخ القديم ديودور الصقلى : إن لهم عشرة آلاف مقاتل من أشجع الرجال ، وقد بطشوا بجملة أنتيغونس سنة ٣١٢ ق م بطشة أفنتها عن آخرها ومنعت أنتيغونس من غزو مصر . وقد امتدت مملكة نابت من وادى القرى على حدود يثرب إلى دمشق فى الشمال ، واتخذوا حصن (سلع) فى وادى موسى أحد فروع العربية عاصمة لهم . والرومانيون يسمون حصن سلع (بتر) أى الصخر ، وهو من أعاجيب الآثار . ومن

ملوكهم الحارث وزيد ايل وعبادة ورثبال ومالك . وانهضت دولتهم على يد الإمبراطور تراجان الرومانى سنة ١٠٦ م . وقد أخطأ الذين نقلوا عن الرومانيين اسم عاصمتهم بترا وكان ينبغي لهم أن يسموها باسمها العربى (ملع) ، كما أخطأوا فى تسمية هذا الشعب العربى النبط ومملكتهم مملكة النبط ، وهذا الاسم جاءهم من اسم جدتهم (نابت بن اسماعيل) وكان ينبغي أن يسموا (الأنبات) . أما النبط فخل آخر البطائخ بين العراقيين سموا بذلك لاشتغالهم باستنباط ما يخرج من الأرض .

وكان بعد هجرة بنى اسماعيل إلى الشمال افتراق بنى معد فى الحجاز وتهامة ، وهجرة ميل العرم من اليمن ، ولافتراق بنى معد تفصيل دقيق فى مقدمة معجم ما استعجم للبكرى ، وقد أوغلوا فى سواد العراق والموصل وتكريت والأنضول وحولوا فيها مقاطعة قهستان إلى مستعمرة عربية اشتهرت إلى هذا اليوم باسم (ديار بكر) أى ديار بكر بن وائل وهى الآن ولاية تركية فى صميم الأنضول ، كما استقرت جماهير منهم فى سنجار ونصيبين والخابور فصارت تسمى (ديار ربيعة) .

أما الموجة الفحطانية التى اندفعت إلى الشمال بانهيars سد العرم فنفا الأوس والخزرج وهم الأنصار الذين نزلوا مدينة يثرب ، وخزاعة الذين توطنوا فى مكة ، ولخم الذين ملأوا العراق ، وغسان الذين كانت لهم مملكة فى الشام ، وعاملة الذين انتشروا فى جنوب الساحل اللبنانى فخافوا أسلافهم الفينيقيين . وبلغت تنوخ أعماق سوريا الشمالية ومن سلالتها حكيم شعراء العرب أبو العلاء ومواطنوه من أهل معرة النعمان وشيزر وما وراء ذلك فى الشمال .

وكان ينبغي لى أن أعرض لما كان بين مصر وجزيرة العرب من وشائج وأواصر متصلة من أقدم تاريخ عرفناه لمصر حتى اليوم ، لولا أنى ألمت بشيء من ذلك فى مقال (الشعب المصرى جزء من الأمة العربية) المنشور فى جزء رجب سنة ١٣٧٥ من هذه المجلة لمناسبة صدور دستور الشعب المصرى معلنا هذه الحقيقة فى مادته الأولى .

تلك هى جذور العروبة ، لدوحة مباركة امتدت أغصانها فى آفاق لا عهد للتاريخ بمثلها فى أمة من أمم الأرض . أما ثمراتها فسوف نحاول إحصاءها كلما رجعنا إلى أنفسنا ، وعرفنا من نحن ، وما هو تراثنا ، من أعرق الدهور فى القدم إلى أن تقوم الساعة .

ولا ريب أن أعظم هذه الثمرات هي التي جنيناها وسنجنينا من فيض الموجة الإسلامية الكبرى التي أعادت إلى البلاد السامية وحدتها القومية بألحان العربية الفصحى، وشملت بهدايتها ربوع الهند وجزائر أندونيسا ومدائن الصين شرقاً، كما غمرت شمال إفريقيا إلى أقصى جبال الأطلس ولحج المحيط الأعظم في الغرب، وجاست ربوع أوروبا حتى وطئت خيول عبد الرحمن الغافقي جنوب فرنسا، ورحم الله حسان العروبة فؤادا الخطيب يوم كان يترنم على مسامعنا بقوله :

تلك الحياة التي كانت محجبة	في الغيب لا سأمًا تخشى ولا سقمًا
سارت مع الدهر من بدو إلى حضر	حتى استتبت فكانت نهضة عما
من ذلك البيت، من تلك البقاع، على	تلك الطريق مشت أجدادكم قدما
من كل أروع وثاب إذا انتسبت	بيض الصوارم كان الصارم الخدما
وانقض من عدواء الدار منصلنا	وانغل في غمرات الموت مقتحما
لستم بنبيهم ولستم من سلاتهم	إن لم يكن سعيكم من سعيهم أمما
إلى الشام، إلى أرض العراق، إلى	أرض الجزيرة سيروا واحملوا العلما

وبعد فإنا ننحى على الاستعمار الغربي ما أنزله بالعروبة في حروب الصليبيين الأولى وفي أختها في الأزمان الأخيرة . وينبغي لنا أن نعلم أن الذي نزل بالعروبة والإسلام من كيد الشعوبية شر من الذي لقيناه من الاستعمار . فالذي كادت لنا به الشعوبية في ألف سنة قد أنسانا أنفسنا ، وجعلنا نرى الظن بمعدنا ، وشوّه فمنا سمعة خيارنا من الصحابة إلى التابعين والفاطحيين والمصالحين . وجعل مدلول الدين في نفوس الدهماء منا غير المدلول الذي كان له في صدر الإسلام . ولا بد أن نسارع في الحال إلى تنقية قبحنا من الأعشاب السامة الضارة التي دسّت فيه . أليس من العجيب أن يفتخر مسلمو الهند وباكستان بالفتى العبقري محمد بن القاسم الثقفي ويتبركون بذكراه لأنه كان سبب دخولهم في الإسلام ، ونحن لا نعرف أين قبر صاحب رسول الله عمرو بن العاص رائد العروبة إلى مصر وحامل لواء الهداية المحمدية فيها وسبب إسلام أهلها من زمانه إلى الآن ، نذوره الزيارة الشرعية ، ونذوه له برحمة الله ورضوانه جزاء تسكينه لسكباننا ، وإلغائه شرعية الإسلام نظام الطبقات الذي كانت تنقل به ملكية الأرض وما عليها من العيال والمواشي والأشجار من البائع إلى المشتري ومن المورث إلى الوارث ، فكان النظام الحديد الذي جاء به عمرو

إلى مصر أول مبطل لهذا الباطل ، ونحن لا نعرف له هذا الجميل كما ينبغي ، لأن تاريخنا قد اختلط فيه القمح بالأعشاب السامة ، وقد آن أوان إنقاذنا منها .

إن الشعوبية أفسدت علمنا عقيدتنا بعروبتنا ، وأفسدت علمنا حسن ظننا بسلفنا الذى كان - بشهادة الله له - خير أمة أخرجت للناس . ومن أعظم ما يكفر به الدهر عن ذنوبه للعروبة فى هذه الأيام السعيدة رجوعنا إلى أنفسنا ، واطمئناننا إلى هذا الأصل النبيل الذى سيجتمع به شملنا بمشيئة الله وتوفيقه . ومتى استأصلنا من مجتمعنا جذور الشعوبية ، وأقمنا بنيان التربية والتعليم فى مدارسنا وجامعاتنا على هذا الأساس المتين ، فسيكون منا للانسانية القوة الثالثة المهيبة التى تعمل للحق والخير ، وتدعو إلى العدل والرفق والتعايش السعيد فيما بين الأفراد وفيما بين الأمم ، وإن ذلك له ما بعده فى تاريخ الإنسانية إن شاء الله ما

حُب المدين الخليل

مصر والشام

وطن واحد لأبناء سام	عربي فى خطوه ومجاله
ليس عمرو وخالد غير قطب	ين أطلا منه على آماله
وطن العرب خافه كل عات	أغرق الفاتحين بحر رماله
كفلائه الصحراء شرقا وغربا	حين فت الأعداء فى أوصاله
مصر والشام مطلعان لفجر	عربي غطى على أصاله
نهضا يبعثان عصرا قديما	فى جديد حاككا على منواله
مصر والشام دوحتان لشعب	صانه الله ، مد فى أظلاله

محمد الشريفي

وزير خارجية الأردن سابقا

نفاية القرآن

- ٥٨ -

عبرة منسية

الحياة الدنيا بين وفاة كل ليلة وبعث كل يوم

« وهو الذى يتوفاكم بالليل ، ويعلم ما جرحتم بالنهار » .

حياتنا قضية زمنية تشابه معاملها ، ويتكرر عرضها ، ويحسها الآدمى ، وتجرى على كل كائن حى .. وهى ناطقة بالعبرة ، وزاخرة بالتوجيهات ، والإنسان أقدر على فهمها ، وأعرف بمفهومها ، ولكنه سادر فى الغفلة ، ونائه فى أفق ضيق من حياته الشخصية ، ولا يفيق من غفلته إلا بعد الفصل فى القضية ، ولا يتبصر فى موقفه إلا بعد انتهاء العرض وانطواء الصفحة ... فماذا هو مدرك بعد ذلك غير ما وعى من مشاهد القضية ؟ وماذا هو مستحق سوى ما أحرز لنفسه من مغام روحية يهتدى بها ، ويعيش فى ضوئها إنسانا عاقلا ، وساعيا خيرا ، وعاملا ناجحا : يتخطى دنياه التى تنطوى به بين ليل ونهار ، ووفاة وبعث متجددين ، إلى بعث دائم ، وحياة خالدة ؟ .

هذه حياتنا الدنيا نبدوها نهارا فى جهاد ودأب ، وذهاب وجيئة ، ومنافسة وتزاحم ، وكسب وخسران ، وتنتهى بنا إلى ليل ، نقضيه فى استجمام ، وننفض على جوانبه متاعب اليوم ثم نهض صباحا إلى ما بدأنا وننتهى مساء إلى مثل ما انتهينا .

وقد تمر بنا الذكريات ، وتطوف بأخيلتنا العبر ، ولكنه تلبه . وقت أشبه بالخاطر السانح ، لا يكاد يعرض حتى ينقشع ويذول .

والله تعالى يحدثنا فى هذا الشأن حديثا واقعا ، لا تلاحقه الريبة ، وينبهنا إلى أمر نحسه ولا يتسع لجلد ، فيقول سبحانه : (١) « وهو الذى يتوفاكم بالليل » (ب) « ويعلم ما جرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه » .

ومعنى هذا أن الله يتوفى خلقه بالليل ، ثم يبعثهم فى النهار ، وهو عالم بما يعملون من خير وشر ... ولكن عبارة القرآن ذكرت البعث فى النهار بعد ذكر العلم بما عمله نهارا ،

على خلاف ترتيب المعنى الذى بينته ، وليس فى ذلك مخالفة ، وإنما هو سياق فى التقديم والتأخير ، تأذن به لغة العرب ، ويختاره القرآن كثيرا لحكمة ربط الكلام بما بعده مثلا كما هنا .

وذكر الوفاة بالليل مقصود به النوم ، إذ الوفاة عند العرب كما تطلق على الموت تطلق على النوم ، والله تعالى يتوفى أرواح الناس بالنوم يعنى يقبضها قبضا يمتد منها من التصرف فى الأجسام ، وإذا كان النوم يحصل نهارا كما يحصل فى الليل ، فالمقصود عموم الوفاة ليلا أو نهارا ، وفى تخصيص الليل به مراعاة لشأن الليل ، وما هو غالب وشائع فيه ، كما أن الشائع والغالب فى النهار أن يكون للعمل واكتساب الخير والشر ، وإن كان ذلك يحصل ليلا أيضا .

ويذكر الله تعالى : أنه يعلم ما تأتى جوارحنا من أعمال أثناء النهار ، وذلك أيضا متابعة للغالب فى أحواله ، والله سبحانه عليم بما نجتزعه ليلا كما يعلم ما فى النهار .

وكثير من الناس يظن أن التعبير بالوفاة لا يكون إلا فى الموت ، وأن البعث لا يكون إلا بعد الموت ، ولكن لغة العرب أوسع من ذلك فهم يذكرون الوفاة فى النوم وفى الموت ، ويذكرون البعث فى اليقظة بعد النوم وفى الحياة الآخرة بعد الوفاة .

وخلاصة هذا أن الله يتوفى الأنفس حين النوم ويتوفاها أخيرا بالموت . وأنه يرسل الأنفس النائمة من وفاتها هذه لتستأنف جهادها فى الحياة ليالى وأياما بين وفاة ويقظة ، حتى ينتهى ما قدر لها من زمن تعيشه ، ثم يمسكها بالوفاة الأخيرة بعد الأجل المسمى - « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » .

ويبدو من ذكر القرآن للوفاة ليلا والبعث نهارا ، أن القصد تنبيه الناس من غفلتهم ، وإقناعهم بأن الوفاة والبعث واقعان دائما ، بنومهم ويقظتهم ، وأن ما وراء الوفاة والبعث أخيرا حساب لاشك فيه ، جزاء لا مفر منه ، فاما نعيم ، ولما عذاب أليم ، فليس للناس أن يغفلوا ما هو جار عليهم ، أو يتجاهلوا ما هو على مقربة منهم ، وهم - مهما عاشوا - فى سبيلهم إلى تلك النهاية . بعد غدوات معدودة ، وعشيات محدودة .

وأمر خطير كهذا ، بل هو - وأخطر الأمور المقدورة على الناس يقتضى فى حكمة الله أن يكون التذكير به دائما للناس فى نومهم ويقظتهم . ومصدق هذا قوله سبحانه : « ثم إليه مرجعكم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون » .

وتأتى الآية الثانية ، فتشعر الناس أن الله قاهر لهم ، وقادر عليهم ، وأن سلطانه فوق سلطانهم المزعوم « وهو القاهر فوق عباده » ومن مظاهر قهره وغلبته ، ومن أمارات رحمته أنه يرسل عليهم حفظة من ملائكته يراقبونهم ، ويحصون أعمالهم ويكتبونها في صحف ينشرونها يوم القيامة ، كما أن فيهم من يتولون المحافظة على الناس من أحداث مقدرة على غيرهم ، ففلان من الناس يصادفه شيء مقدور عليه دون فلان ، فالملائكة يحفظون الآخر مما جرى على غيره ، كما يحفظون على الناس من أضرار الجن والشياطين إلى آخر ما يعلمه الله ، وعلى الوجه الذى تجرى به حكمته فى خلقه ، ولم يكلفنا باستيعابه أو إخضه فحسبنا الإيمان بما أخبرنا .

وواضح أن علم الإنسان بوجود الملائكة ، وأن لهم هيمنة على أعماله ، وتوجيها له نحو الخير ، يشجعه على الترفق بنفسه ، والاعتدال فى مسلكه ، ترضية لله وللملائكة . كما يستفاد ذلك من قوله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

بخلاف ما إذا كان العبد متروكا لشأنه دون مراقبة من الملائكة ، فإنه يكون مهكلا ومتروكا لهواه ، وشيطانه ، وتكون حياته سدى ، أشبه بحياة الحيوان الضال يسير على غير هدى ، ولا يدرك لعيشه مغزى ولا غاية .

ولكن الله تعالى كرم الإنسان فرفعه فوق هذه المنزلة ، ووصل حياته بنظامه الحكيم ، فجعلنا تحت مراقبة الملائكة ، وأعد لنا حسابا على ما قدمنا ، وسيجد الناس صحائفهم . نشرة بين أيديهم فى موقف الحساب أمام ربهم ، وسيبدو لهم أن الله أحاط بكل شى علميا ، وأنه سيقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ، وصدق الله فيما ختم به الآية « ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » .

وبعد - فما أجدر العقول أن تنبهه ، والقلوب أن تتعظ ، وما أجدر المسلم أن يبصر أخاه بما ينهبه من غفلته ، وأن يعاونه على كل خير ، إذ المسلم أمانة فى عهد أخيه ، ينصح به بما ينصح به نفسه ، ويحجزه عن الغواية - وإن لم يفعل ذلك امرؤ وهو قادر عليه فليس حفيظا على أمانة الأخوة ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : « ولا دين لمن لا أمانة له » والله يعصمنا من الزلل ويرشدنا إلى صالح العمل ما

عبد الطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفقيش بالأزهر

العلم

كيف يقبض العلم ؟ ! (*)

ميراث الأنبياء - حياة العلم - رب جهل خير من علم - ليس
العلم بكثرة الرواية - ورثة الأنبياء حقاً - جهال في ثياب العلماء -
شرف الفتوى - وصاة خافضة راشد .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ،
ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ؛ حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً
جهالاً ففسدوا ، فافتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا !

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى)

* * *

العلماء ورثة الأنبياء ، ما في ذلك ريب .
والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم :
ورثوا العلم بأسماء الله وصفاته ، وسننه في خلقه وآياته .
وورثوا العلم بكتاب الله وحدوده ، والحكم بما أنزل الله فيه .

(*) هذه ترجمة الإمام أبي عبد الله البخارى في كتاب العلم ، وهذا لفظه فيه ، ورواه
بلفظ آخر في كتاب الاعتصام وترجمته فيه : باب ما يذكر من ذم الرأى وتكلف القياس .
ورواه مسلم في كتاب العلم كذلك ، وترجمته هناك : باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل
والفتن في آخر الزمان ! والحديث علم من أعلام النبوة كما ترى .

ورثوا العلم بشريعة الله ودينه الذي رضي له عباده ، وتعبد لهم به ، ووصاهم أن يقيموه ويهتدوا بهديه ، لأنه النور المبين ، والصراط المستقيم ، إلى الحياة الطيبة ، والعيشة الراضية ، والجزاء الأوفى ، في الآخرة والأولى .
ومصدق ذلك كله قول الله جل جلاله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

* * *

ويتصل بهذا الميراث النبوي كل علم يهدي إليه ، وكل وسيلة توصل له ، متى خلصت النية ، وسلم القلب من الأمراض والعال ، وطهر من الآفات والدسائس ، لا جرم أن للوسائل حكم المقاصد ، وأن للمقدمات حكم النتائج ، في الخير والشر ، والنفع والضر ، فانما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى .

* * *

وغنى عن البيان أن هذا العلم النبوي ، لن يتجرد - ولا ينبغي له أن يتجرد - عن لبه وجوهره ، وحياته ونوره ، وهو العمل به والاهتداء بهديه ، فمن أبعد المحال أن يرفع الله الذين أوتوا العلم درجات وهم في واد وما أوتوه في واد ، بل يهبط بهؤلاء علمهم دركات ، لأنه حجة عليهم وفتنة لهم . والجهل خير من العلم إذا كان فتنة ، والعياذ بالله !!
على أن العلم لو تجرد عن العمل به لن يكون ميراثا نبويا بحال ، فإن الأنبياء لم يورثوا من شاء الله أن يورثوه - كلاما وجدلا ، وإنما ورثوا حجة وبيانا ، وهداية ونورا ، وفقها في دين الله عز وجل .

* * *

وغنى عن البيان كذلك أن هذا العلم ليس بكثرة الرواية ، ولا بقوة الجدل في المناظرة ، وإنما هو - بالتلقي والتعلم - نور يهدي الله به ، ويهدي الله له من اصطفاة من عباده ، وعلامة هذا الاصطفاء أن يفقهه في دينه ، ويلهمه الرشاد والسداد ، فإن من عليه بجعله قدوة للعباد ، فذلك الذي يدعى في ملكوت السماء عظيما ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

* * *

إن العلماء العاملين ، الناصحين المخلصين ، مصابيح الظلام ، وهداة الأنعام ، يبنون الأئمة ، ويحيون المهمم « يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .

هؤلاء هم ورثة الأنبياء حقاً، يهتدون بهديهم، ويحددون للناس أمر دينهم، ويستغنون بالغنى الحميد عما في أيديهم، ولولا بقية منهم لهلك العالم أجمع .

* * *

ولقد بشرنا الله على المؤمنين بهذه البقية ، كما من عليهم بالنبين وخاتمهم وأصحابه من قبل ، إلا أنها ثقل وتتضاءل - تدريجاً - بقض أرواحها ، لا برفع العلم ونحوه من صدورها ؛ فإن الكريم إذا وهب لا يسترد ، فما بالك بأكرم الأكرمين سبحانه ؟ ! لا نحصى ثناء عليه .

وقد بشرنا الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، بهذه البقية ، وبين لنا علامتها إذ يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطى ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » رواه الشيخان [١] .

* * *

وقد يبدو بين الحديثين خلاف أول النظر ، ولكنّه يذهب عند التأمل ؛ فإن الحديثين لا يختلفان في ذهاب العلم بموت العلماء من حملة الشريعة وفقهاء الأمة ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً يستفتونهم في أمر دينهم ، فيستنكف أحدهم أن يقول : لا أدري ، ويتعاضم أن يرجع إلى أحد من هذه البقية التي بشر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، أو يشق عليه الرجوع إليها ، لقلتها وتفرقها حتى باتت في حكم العدم !

وحينذاك تفشو الجهالة ، وتعم الضلالة ، ويوسد الأمر إلى غير أهله ، تمهيداً لقيام الساعة على كل لسع وابن لسع من شرار الخلق ! !

* * *

وها نحن أولاء نرى جهالاً في ثياب العلماء ، يتصدرون للفتوى والقول على الله بغير علم ، ولا يعدمون من أتباع كل ناعق من يصدقهم ويدافع عنهم ، وهو يجهل الضروري مما افترض الله عليه ، وإذا كان هذا وفي الأمة الإسلامية بقية من أولى العلم والفضل ، فما بالك إذا اضمحلت هذه البقية إلى معشارها أو أقل ؟ !

* * *

وإذا كان في الحديث تنويه بشأن العلم والعلماء عامة ، ففيه تنويه أعظم وأجل بشأن الفتوى والمفتين خاصة ، وحسب الفتوى شرفاً وفضلاً أن الله - تعالى جده - تولاه بنفسه ثم ولاها خاتم أنبيائه ورسله ، ثم تولاه سادة الأمة وقادتها ، أبرها قلوبها ، وأعمقها علماً ، وأفلها تكلفاً ، أولئك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فليعد المفتون لهذا المنصب عدته ، وليعرفوا له خطوره وجلالته [١] .

* * *

ورواية الإمام أحمد لهذا الحديث - بمعناه - عن أبي أمامة رضى الله عنه ، في حجة الوداع ، تدل على مكان التحديث به ، كما تدل على مبالغ اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم وأخذه وروايته ، وتوكيد وصاته به في آخر حياته ، وتحذير أمته - ولا سيما الآخرين منهم - أن يتهاونوا في طلب العلم والحرص عليه حتى يقبض بقبض العلماء !! فيفشوا الجهل ، ويستفحل الداء ، وتكون الآزفة !! .

وقد توجس خيفة من هذا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، في رأس المائة الأولى ، إذ كتب إلى أبي بكر بن حزم نائبه على المدينة :

« انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا » .
والله المستعان على العلم والعمل به ، والفقہ في دينه والنصح له ما

طه محمد السكاك

من وحي الوحدة

كنت حلماً في خيالي	نازع الدهر البقاء
ما طلت فيه الليالي	وأجابته السماء
طوف المجد وجال	واصطفني خير الرجال
ثم آخى في الكمال	بين شكري وجمال

« من قصيدة للاستاذ محمد كامل شلش »

(٢) انظر تفصيل هذا الإجمال في « اعلام الموقعين عن رب العالمين » .

الفقه

الطلاق في الاسلام

منح الله الحكيم العليم الأسرة الإسلامية مزيداً من العناية في تكوينها ، ورسم خطوط السير لكل فرد منها ، وحث الزوجين على حسن العشرة وكرام المعاملة ، حتى ترفرف على بيت الزوجية أجنحة السعادة ، ويتعاون كل من الزوجين على جلب ما يسعدهما ويسعد ما منحهما الله من ثمرة الزوجية الموفقة من بنين وبنات ، وذلك هدف عظيم لتشريع الزواج في الإسلام .

ولكن الأمور قد تسير في غير هذا الطريق ، وينزع الشيطان بين الزوجين فيقلب سعادتهما شقاء ، ويجعل البيت المأوى جميعاً حتى يضيق كل منهما بصاحبه ، ويتنى أن لو تقطعت الأسباب بينهما ، وبعد كل عن الآخر بعد المشرقين .

لهذه الحال القاسية التي تآزمت فيها الأمور ، واستعصى العلاج شرع الله الطلاق - وهو أبغض الحلال إليه - إذ لا علاج غيره ، وقد لوحظ في تشريعه الترفق بالزوجين ، وعدم نسيان الماضي الجميل دفعة واحدة « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، فللزوج أن يلجأ إلى هذا العلاج أول مرة لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ، فتتجسس السحب السوداء ، ويرجع الزوج إلى زوجته وقد أدرك كل منهما خطأه وقدر موقفه ، فترفرف أجنحة السعادة من جديد على بيتهما ، وينعم كل منهما بصاحبه ، وإن دامت الأمور على هذا كان ذلك من فضل الله وتوفيقه ، وإن ساءت وتعقدت ثانياً كان لهما أن يتجرعا كأس الطلاق مرة ثانية ؛ لعل البرء يكن فيها ويحصل بتكرار العلاج ، فإن أنس الزوج من نفسه ومن صاحبه الشقاء من مرض الانحلال الزوجي ، والاستعداد الطيب لحياة زوجية هادئة ، كان له أن يراجع زوجته المرة الثانية ، ويستأنفا حياة زوجية مستقرة بعد ما عصفت بها الأعاصير مرة بعد أخرى ، ولعل كلا منهما يقدر هذه المرة خطورة الحال فيحرص على حسن العشرة ليعتصم بالهدوء ويظفرا بالسعادة ، أما إذا ركب كل منهما رأسه واستأنفا النزاع والشقاق ولم ينبج الدواء ، وانقطع حبل الأمل في الحياة السعيدة ، وصار كل من الزوجين قدس في عين صاحبه ، فلا مناص من قطع الصلة بينهما ، وبت كل منهما عن الآخر بالطلاق الثالث الذي تبين به الزوجة ، ولا يملك بعده الزوج مراجعتها ، بل يصبح كل منهما أجنبياً من الآخر ، لا ينسى له الإساءة ويوشك أن ينسى له الفضل الذي حث الله على عدم نسيانه

إذ يقول : « ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير » ولعل السعادة التي لم يذوقها لها طعما في اتصالها يتمتع بها كلاهما في انفصالها : « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » .

هذا هو الطلاق الذي شرعه الله لحل عقدة النكاح عندما تتأزم الأمور ، وتدفع المصالحة إلى الفراق ، وبعد كل من الزوجين عن صاحبه ، وقد أعطى الله الرجل الحق في هذا التصرف ؛ إذ هو الرأس المكون للأسرة وباني عش الزوجية - شأنه - وهو المسلم المتدين ، أن يقدر المصالحة في بقاء الزوجية أو انتهائها أكثر من غيره ، ولم يعطه الله الحق في هذا التصرف مطلقا ؛ ليستعمله كيفما شاء من عدل أو جور ، بل أوجب عليه العدل في المعاشرة كما أوجب عليه الإحسان في المفارقة ، وكرر عليه الأمر والنهي في هذا الشأن « فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، « فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » .

فتسريع الطلاق إنما هو لمصالحة الأسرة فقد يكون لمصالحة الرجل ، وقد تكون المرأة أحرص عليه من الرجل ، وقد يكون لكل منهما فيه مصالحة ، وهذا هو الأغلب حتى لو كان سبب النزاع من طرف واحد ؛ إذ لا بد حينئذ من فساد حال الزوجية وتدهورها إلى الحضيض ، الذي يتعين معه الانفصال واتجاه كل من الزوجين إلى حال يطعن إليها ويستقر معها .

وربما يخيّل إلى بعض الناس ، لماذا لا تكون المرأة صاحبة حق في التصرف بالطلاق ؟ ولكن الحوادث أثبتت أن المرأة لا تحسن التصرف في الطلاق ، وأنها في هذا الموضوع على الأخص تغلب عليها عاطفتها ، وتحكم فيها ويغلق أمامها باب التفكير الصحيح ، وكم من امرأة ألحت على زوجها في طلب الطلاق ، وبعد رفضه وكثرة إلحاحها أجابها إلى ما طلبت من الطلاق ، فاطمعت الحدود وشقت الجيوب وندمت حيث لا ينفع الندم ، بل قد تغلب على المرأة عاطفتها في طلاق غيرها ، فكم من أم ألحت على زوجها في طلب طلاق ابنتها ، وربما أبنته بأن ابنته ستكون في البيت بلمعتها كالخادمة ، فلما أجابها وحقق لها طلاق ابنته من زوجها لطمت ، وقالت : كأنك كنت تتحين الفرصة لطلاق ابنتك فإذا أجابها بأنها هي التي ألحت في طلب طلاق ابنته ، وأبنته على عدم إجابته ، قالت : كنت تنتظر بعض الوقت لعلنا نتدبر ، وما نحن إلا نساء لا يحصى خطؤهن ، والحوادث في تحكم عاطفة المرأة في موضوع الطلاق أكثر من أن تحصر ، فلهذا ولما قدمنا من أن الرجل هو رأس الأسرة وباني عش الزوجية ، جعل الله حق التصرف في الطلاق للرجال ،

وأخذ للنساء عليهم ميثاقا غليظا بحسن العشرة ، وإيتائهم جميع حقوقهن في الزوجية وفي الطلاق ، وذلك تشريع الحكيم العليم .

على أن هناك أحوالا تكون المرأة فيها المرجع في انفصال الزوجية إما بالطلاق وإما بفسخ العقد : فإذا ساءت حالة الزوجية ؛ لقسوة الزوج وسوء معاملته وإمعانه في الإضرار بزوجته ، فللزوجة في هذه الحال أن ترفع الأمر إلى القاضي وتطلب الطلاق للاضرار ، فإذا ثبت عند القاضي ما ادعته الزوجة طلق القاضي على الزوج زوجته ، وكذلك إذا كان الزوج معسرا بحيث لا يستطيع القيام بشئون الزوجية ومطالبها ، فللزوجة الحق في أن ترفع الأمر إلى القاضي ، وتطلب الطلاق لإعسار الزوج بنفقات الزوجية ، ومتى ثبت عند القاضي إعسار الزوج طلق الزوجة بنظام خاص يتبع في ذلك ، ففي هذه الأحوال كان الطلاق بناء على طلب الزوجة وكذلك أيضا إذا ظهر بعد عقد الزوجية أن بالزوج عيبا لا تصلح معه الزوجية ؛ إما بمرض بدني كالجدام والبرص والسل والسرطان ، أو بمرض عقلي وهو الجنون ، أو بمرض يمتنع معه التمتع الزوجي كالعنة ، فللزوجة في هذه الأحوال أن ترفع الأمر إلى القاضي وتثبت هذا العيب وتطلب فسخ النكاح ، ومتى ثبت عند القاضي العيب الذي تدعيه في الزوج ، فسخ القاضي النكاح بالنظام المقرر لكل عيب ، وفي هذه الأحوال كان فسخ النكاح بناء على طلب الزوجة .

وربما يخيل إلى بعض الناس أيضا ، لماذا لا يقيد الطلاق بأنه لا يجوز إلا بأمر القاضي ؟ فإذا رفع إليه الأمر تدخل في موضوع النزاع بين الزوجين ، وربما تكون النتيجة الصالح بينهما وعودتهما إلى بيت الزوجية ، ونناقش ذلك فنقول : إن أريد بأنه لا يجوز الطلاق إلا بأمر القاضي أن الطلاق الذي يصدر من الزوج بدون إذن القاضي ، يكون باطلا ولو كانت صيغته مستوفية لشروطها الشرعية ، فهذا غير دين الإسلام ، وقد انعقد إجماع المسلمين على أنه إذا صدرت صيغة الطلاق من الزوج المكلف باختياره ، كأن قال : زوجتي طالق ، فإن الطلاق يقع ، سواء حضره قاض أم لا ، وسواء أذن القاضي أم لا ، بل وسواء حضرته الزوجة أم لا ، بإجماع المسلمين . فهذا سبيلهم ؛ ومن « يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

وإن أريد بذلك أن يرفع الأمر إلى القاضي ؛ ليتدخل ويحسم النزاع ويتم الصلح في كثير من الأحوال ، فنقول : إن ما ذكرناه من وقوع الطلاق متى صدرت صيغته الشرعية من الزوج المكلف باختياره هو ما شرعه الدين ، أما ما يراد من المصلحة بالصلح إذا تدخل القاضي ،

فيمكن تحقيقه بتدخل المأذون، فلأمانع من تكليف المأذون بالتدخل للمصلح بين الزوجين، ومراجعة الزوج الذي يريد طلاق زوجته؛ ففعل الله يوفق بينهما وتبقى الحياة الزوجية. وإن كثيرا من المأذونين ليمتطعون بالتدخل للمصلح بين الزوجين بدافع حب الخير، وإصلاح ذات البين، وإذا كان المأذون مكلفا بذلك كان أثره أعظم، وهذا كله في طلاق لم يقع بعد، ويراد إبقائه عند المأذون، أما إذا كانت صيغة الطلاق قد صدرت من الزوج مستوفية لشروط الطلاق الشرعي، فقد وقع الطلاق، وحسب من الطلقات الثلاث التي يملكها الزوج، ولو كان ذلك في غيبة المأذون، بل ولو كان في غيبة الزوجة، ويجب على المأذون إذا حضر لديه هذا الزوج لإثبات ذلك الطلاق، أن يثبته حرصا على الذم والأعراض.

والذي يهمنا أن نبين أن الدين قد شرع الطلاق لمصلحة الأسرة، وحرص على أن تنال المرأة جميع حقوقها في الزوجية وفي الفرقة، فليس هناك إهمال لأى شأن من شئون الأسرة، لا في حال الاجتماع ولا في حال الانفصال، نعم إن بعض الناس قد أسرف في استعمال الطلاق، حتى جعل منه يمينا يريد به الحث على حصول فعل؛ أو المنع من حصوله، أو لتحقيق خبر، إما بقوله على الطلاق، أو بصيغة التعاليق، ولكن العلماء قد قروا أن ذلك لا يعتبر طلاقا، وحكم بذلك القضاة الشرعيون في محاكمهم، وليس من الدين أن يسكن الرجل من استعمال صيغ الطلاق هذا الاستعمال بل ذلك دليل على الطيش والسفه.

هذا الذى بينا من أن الله قد شرع الطلاق للمصالح العام، وحل الأزمات المعقدة التي لا تصلح معها الزوجية، وأنه قد جعل لكل حالة ما يناسبها، هو نموذج لتشريع الطلاق في الإسلام.

ونريد أن نقارنه بما عند غيرنا من علاج لحل أزمات الزوجية المعقدة، فلا نجد عند أى دين علاجا لحل هذه الأزمات، بل الواجب عندهم ترك الأمر للزمن، ولو أدى ذلك إلى استفحال الخطب وازدياد سوء الحال، وفي مقدمة هذه الأديان: المسيحية فهي لا تعترف بصحة الطلاق مهما تأزمت الأمور، ولو صار كل من الزوجين يرى في صاحبه مثال الشقاء والتعاسة فيصبح ويمسى وهو ينشد:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد.

فكل من الزوجين يعاشر صاحبه على دخل ودغل، ويتمنى فراقه ولو بالموت. وكثيرا ما كانت هذه الحال سببا لأن يخرج المسيحي من دينه وينبذ مسيحيته، وقد دعا ذلك بعض المفكرين منهم إلى وضع تشريع للطلاق، ولكنه يعتبر تشريعا مدنيا

لأن الكنيسة مصرة على منع الطلاق وتحريمه ، ويرى رجالها أن كل من طلق ثم تزوج زان ، وأن كل من طلقت ثم تزوجت زانية ، وأن المسيحي لا يصبح منه الطلاق مهما بلغت حال الزوجية من سوء ، فالزوج يعيش مع من يشاء من الخليلات ، والزوجة تعيش مع من تشاء من الأخلاء مع علم كل منهما بحال صاحبه ، وربما اجتمع الخليل بخليلته في بيت الزوجية ، مع إغضاء كل من الزوجين عما يكون من صاحبه ، وذلك عملهم حيث عجز دينهم عن حل الأزمة .

أما المتحللون عندهم من الدين فيلجئون إلى الطلاق وإن كان تشريعا مدنيا لم تقره الكنيسة ، ولعلنا لم ننس بعد ، حادثة الدوق وندسور ملك الانجليز ، الذي أولع بحب امرأة مطلقة طلاقا مدنيا ، ولمّا أظهر أنه يريد زواجها وفى في وجهه رجال الكنيسة ، معلنين أن طلاق هذه المرأة باطل لا يقره الدين ، وأنها لا تزال في عصمة زوجها فلا يصح أن تتزوج غيره ، وأن الدوق وندسور وهو ملك على عرش مسيحي يجب أن يختار بين هذه المرأة التي يحبها ، وبين العرش الذي لا تغيب عنه الشمس ، ولكنه خضع لسلطان الحب واختار المرأة ، ورفض العرش الذي تتحكم فيه مسيحية لا تقر الطلاق ، ولا تعرف حلا لهذه الأزمات ، وقد كان الدوق صريحا في تصرفه ، إذ أنه كان في استطاعته أن يقنع باتخاذ المرأة خلية محظية ، وتقنع هي بذلك كما فعل من قبله أمير البحر اللورد نلسون الانجليزي ، وكما يفعل أبناء جنسه الخاضعون لحكم الكنيسة عند ما تتأزم أمور الزوجية .

فبربك أيها المسلم ألا ترهوا بالإسلام الذي شرع الطلاق لعلاج هذه الأزمات ، وأبغضه وهو الحلال ، وجعل لسكل حال متأزمة ما يناسبها ، وقرر مبدأ عاما خاطب به الرجال إذ يقول : « وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » . ليتنبه الرجل إلى أنه يجب أن يكون حذرا في تصرفه بالطلاق ، وأنه قد يضيع به خيرا أكثر مما يدرؤه من شر ، فلا يقدم عليه إلا إذا سدت في وجهه جميع طرق الحياة الزوجية السعيدة ، وأن لامناص من الفراق .

على أننا إذا نظرنا إلى ما يحصل من الطلاق المدني نجده قد صار مهزلة ، وأنه وإن كان بأمر القاضى إلا أنهم قد تهافتوا عليه وأكثروا منه لأوهى الأسباب ، فمرة نسمع عن طلاق امرأة لأن زوجها يعطيها ظهره وهو نائم معها في السرير ، وتارة نسمع أنها طلقت لأن زوجها لا يقبلها عند عودته من السفر ، ومرة يبلغنا أنها طلقت لأن زوجها أهانها بضرب كلبها ، وسمعنا أخيرا أنها طلقت لأن زوجها يصر على تربية الكتا كيت في المنزل إلى

غير ذلك من مهازل الطلاق التي انتقلوا بها من الضد إلى الضد ، بقى ما يقترحه بعض الناس من منح المرأة عند طلاقها تعويضا عما لحقها بالطلاق من ضرر أدبي ومادى ، ونرى أنه لا مانع من ذلك والدين يدعو إليه وهذا التعويض هو ما يسمى فى التشريع الإسلامى متمعة ، ولنبين الآيات الدالة على ذلك .

قال الله تعالى : فى سورة البقرة . « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفوضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، متاعا بالمعروف حقا على المحسنين » وقال أيضا فى سورة البقرة : « وللطلاق متاع بالمعروف حقا على المتقين » وقال فى سورة الأحزاب « يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ، ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدّة تعتدونها ، فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا » فهذه الآيات تدل على وجوب تمتيع الزوج مطلقة أى إعطائها متمعة غير مقدرة على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، أى على من يكون ذا سعة وغنى ما يطيقه ، وعلى من يكون ذا ضيق وقلة مال ما يطيقه ، ويرجع فى تقدير ذلك للمعروف عند الناس مع مراعاة حال الزوج من يسار وإعسار .

وذكر العلماء أن المتمعة مال غير مقدر يعطيه المطلق مطلقة جبرا لما لحقها بالطلاق من إعياش وضرر ، وبعض العلماء يوجبها لجميع المطلقات ، وبعضهم يستثنى المطلقة قبل الدخول التى يجب لها نصف المهر ، وبعضهم يرى استحبابها ، ولكن الآيات ظاهرة فى الدلالة على الوجوب وهو الراجح إلا أنهم قالوا : إن تقديرها متروك للرجل فضميره هو الذى يحكم عليه بمقدارها المناسب لحاله من يسار وإعسار .

ونرى أنه حيث جعلنا المتمعة واجبة ، ويختلف مقدارها تبعاً لحال الزوج من يسار وإعسار فيمكن أن نسلك بها مسلك النفقة ، فإذا قدرها المطلق وقبلت منه مطلقة هذا المقدار فيها ، وإلا كان لها أن ترفع الأمر إلى القاضى ليفصل فى مقدارها ، كما يفصل فى مقدار النفقة تبعاً لیسار الزوج وإعساره .

وبجميع ما قدمنا ظهر أن تشريع الطلاق فى الإسلام قد حقق المحافظة على حقوق المرأة وصيانة الأسرة ، ورعاية مصلحة كل من الزوج والزوجة ، فى حال العشرة والفرقة ، وظهرت عظمة هذا التشريع ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

عبد الرحمن عيسى
مدير مجلة الأزهر

حصوننا مهددة من داخلها

« في جامعة الدول العربية »

جامعة الدول العربية حصن من أكبر الحصون التي تسهر على حراسة حقيقة من أخطر حقائق وطنيتنا وهي « العروبة » ، ومن المفيد - رغم تغير الظروف الآن - أن نتذكر أن هذه الجامعة قد أنشئت أول ما أنشئت بتشجيع دولة من أكبر دول الاستعباد الغربي - وهي إنجلترا - لأنها كانت تطمع وقتذاك في أن تجعل هذه المؤسسة تحت رقابتها ووصايتها ، فتكون وسيلتها إلى السيطرة على العرب جملة ، وبذلك تتحكم في التيار الحديد فتسرم له المصارف والمجاري وتوجهه إلى حيث تريد ، قبل أن يطفئ سيله فيحطم السدود ويجرفها ويجرف معها كل دول الاستعباد الغربي ويجوكل أثر من آثاره ، وقدر الانجليز ودبروا ورسّموا وخططوا ، ولكن التيار كان أقوى من كل ما يدبرون . وأخذ سيل هذه القومية الجارية يشق لنفسه الطريق بعيدا عن الطرق التي رسمت له من قبل بأيدي غير أيدي أبنائه ، وأصبحت القومية العربية اليوم حقيقة واقعة ، ولم تعد حلمًا ولا أملاً . أصبحت حقيقة تعترف بها حكومتا مصر وسوريا في دستور كل من البلدين ، وها هو ذا تيارها يجري إلى مستقره بأسرع مما كان يحلم أكثر الناس تفاؤلا ، وهي بعد ذلك حقيقة واقعة مقررة عند الشعوب العربية كلها على اختلافها وعلى اختلاف ميول حكامها ، وهذا التطور الجديد يزيد جامعة الدول العربية أهمية ، ويجعلها الآن أهم مما كانت في أي وقت مضى منذ ظهرت للمرة الأولى في أعقاب الحرب العالمية الثانية . لذلك كان من المهم أن نستوثق من أن هذه المؤسسة قد تخلصت من كل آثار ماضيها ، وأصبحت تعمل بغير العقل الذي كانت تعمل به يوم كان الاستعباد الغربي من ورائها ، ومن وراء أصدقائه فيها .

وليس من شأنى الآن ، وليس من شأن هذه المجلة التي أكتب لها ، أن أتناول الجانب السياسى من جامعة الدول العربية ، ولكن الذى يعنينى الآن هو الجانب الثقافى . وهو جانب شديد الاتصال بالسياسة على غير ما قد يبدو للناظر الأول . بل هو أخطر أثر

في التوجيه السياسى ؛ لأن آثاره أعلق بالنفس ، وهى لذلك أدوم فى الجيل المعاصر وأبقى فى الأجيال التالية ، ولأنه يعمل فى خفاء قد يبعده عن أعين الرقباء من رجال السياسة الذين قد لا يولونه من الاهتمام القدر الذى يستحقه ، وقد لا يتنبهون إلى أن من الممكن دائماً تمييز سماسة الاستعباد على اختلاف ألوانهم ونزعاتهم من لون الثقافات التى يروجونها والتى يدعون إليها ، فهى العملة التى يمكن أن يستدل منها على المول ، والخاتم الذى يحمل اسم المصنع .

وسوف أتناول فى حديثى هذا اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية كما تبدو من مطبوعاتها الوافرة الغزيرة ، وهى اللجنة التى كان يشرف عليها أحمد أمين ، ثم ورثها طه حسين بعد وفاته ، وسأقسم منشوراتها إلى ثلاثة أقسام :

(١) البحوث والمحاضرات . (٢) الكتب المترجمة . (٣) المؤتمرات .

وأنا أعجل بتقديم النتيجة التى انتهيت إليها من بحث أعمال هذه اللجنة الثقافية ليضعها القارئ نصب عينيه على طول هذا المقال . هذه اللجنة كانت - ولا تزال - تنظر بغير عين العرب ، وتعمل بغير عقل العرب ، وتهدف إلى غير أهداف العرب . إنها لا تزال كما كانت يوم أنشأها الذين كانوا يحرصون على أن يكون العرب ذيلاً لدول الاستعباد الغربى ، لا يرون الأشياء إلا كما يراها الغربى ، ولا يتذوقونها إلا كما يتذوقونها ، ولا يقدرونها إلا كما يقدرها ، إنها لا تزال تعمل على ما يسميه دهاقنة الاستعباد الغربى Westernisation أى (التغريب) . ويقصد به طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية ، مما يساعد على إيجاد روابط من الود والتفاهم بين الحمار وراكبه ، وهى روابط تفيد الراكب دائماً ولا تفيد الحمار ! وذلك هو ما تهدف إليه كل الجماعات التى من نوع (أصـدقاء الشرق الأوسط) الآن ، أو (الصـداقة الانجليزية المصرية) و (الصداقة الفرنسية) سابقاً ، وهذا الذى يسميه الاستعباد الغربى (تغريباً) هو ما يسميه سماسة ذلك الاستعباد وصنائعه (تطويراً) . وهو ما يعنونه حين يتكلمون عن (بناء المجتمع من جديد) ، فالذين يتكلمون عن بناء المجتمع من جديد ، أو بناء المجتمع الجديد ، يعرفون أن مشروعهم هذا يشتمل على خطوتين : الخطوة الأولى هى هدم (القديم) ، والخطوة الثانية هى بناء ما يتوهمونه من (الجديد) . وهم ماضون فى الهدم ، لا يرضيهم إلا أن يأتوا على بنياننا من القواعد ، بما يتضمنه من دين وتقاليد وفنون وآداب . ولكنهم سوف يعجزون عن البناء ، سيهدمون مجتمعنا ثم يتركونه وسط أنقاض نظامه

القديم في فوضى لا سكن فيها ولا قرار . وبوادر هذه الفوضى وأعراضها ظاهرة لكل ذى عينين ؛ ذلك لأن المجتمعات لا تبني في يوم وليلة ، ولـسكنها تبني في مئات السنين ، ولا تبني في صحف منشرة أو قاعات مغلقة ، ولـسكنها عملية معقدة أشد التعقيد تتفاعل فيها قوى المجتمع كله ، ويستمر هذا التفاعل أجيالا تتمخض عن هذه القواعد وهذه الأشكال ، بما تتضح منه من التقاليد والقوانين وأساليب الذوق والتفكير .

ولأكتف بهذا القدر الآن ؛ لأشرك القارئ معي في استعراض نماذج من نشاط هذه اللجنة الثقافية ، ولنبدأ بالقسم الأول ، الذى يتمثل في البحوث والمحاضرات . وليس من المستطاع في هذا المقال المحدود أن استعرض هنا هذا النشاط في كل مطبوعاته ، ولذلك سأكتفى بتقديم نموذج منه في واحد من كتبه ، وليكن هذا الكتاب هو الجزء الثانى من (العالم العربى - مقالات وبحوث) الذى نشرته الإدارة الثقافية سنة ١٩٥٣ . مصدرا بمقدمة لأحمد أمين رئيس هذه الإدارة وقتذاك . وسأكتفى - على سبيل المثال ، ورغبة في الاختصار - من هذا الكتاب باستعراض مقالين طويلين ، أحدهما للدكتور كامل عياد عن (مستقبل الثقافة في المجتمع العربى ص ١٤٣ - ١٦٧) والآخر للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى عن (القانون المدنى العربى ص ٥ - ٢٩) .

أما المقال الأول (مستقبل الثقافة في المجتمع العربى) - وهو مقال طويل يشغل خمسا وعشرين صفحة - فيبدو من عنوانه أن صاحبه يعارض كتاب (مستقبل الثقافة في مصر) لطلح حسين . والواقع أنه لا يعارض الكتاب في عنوانه فحسب ، ولـسكنه يعارضه - كما سنرى - في أسلوبه التفكيكى أيضا ، ويتفوق عليه في جرأته على الدين وإسرافه في إنكار ما رواء المادة المحسوسة الملموسة من عالم الغيب ، ومحاربة كل مواردنا الدينية والأدبية والاجتماعية على الإطلاق . وهو يبنى تفكيكه على وهم خاطئ جعله أساسا لكل ما بناه عليه من الأباطيل ، فقد زعم - أو توهم - أن (الروحانية) التى يصف بها كتاب الغرب وباحثوه ثقافتنا الشرقية إنما يقصد بها صرفنا عن الحقائق بهم ، لأن هذه الروحانية (تستند إلى العاطفة والوجدان ، وتتعارض مع التفكير العقلى القائم على المشاهدة الحسية والتجربة العلمية والنظرة الموضوعية . وعلى كل حال فإنما القصد هو إظهار الفرق بين الغربيين والشعوب الأخرى ، ثم دفع هذه الشعوب إلى التمسك بعاداتها وتقاليدها وطرائق تفكيرها القديمة ؛ لئلا تقتبس الحضارة الحديثة وتسعى لتحرر من سيطرة الغربيين - ص ١٤٩) . وقد بنى زعمه هذا على واقعة شهد فيها مندوبا

من مؤسسة روكفلر الأمريكية يزور الجامعة السورية بدمشق ، وقد تملك هذا المندوب ولاذ بمختلف المعاذير حين أعربت له الجامعة عن حاجتها إلى بعض المخابر والأجهزة العلمية ، ولكنه لم يلبث أن أظهر البشاشة ولم يتردد في قطع الوعود بالمساعدة حين انتقل الحديث إلى إنشاء معهد لدراسة التصوف الإسلامى . والواقع أن كاتب المقال لم يحسن فهم دلالة هذه الواقعة ، ولم يكن على صواب في استنباط ما استنبطه منها ، فليس صحيحا ما زعمه وما استنبطه من أن دول الاستعباد الغربى تريد أن تصرف الناس في مستعبداتها عن اقتباس الحضارة الغربية . ليس ذلك صحيحا على إطلاقه ! فن الثابت المؤكد أنهم عملوا على نشر مساوئ حضارتهم التى تتضمن جانب الترف والتفنن في المتع والملاذات ، وفي وسائل التسلية وترجيح الفراغ . ومن الثابت المؤكد أنهم بذلوا جهودا شاقة لتحويل المسلمين عن إسلامهم إلى ثقافة الغرب ، وجرهم إلى هذا التيه من الآراء المختلطة المتناقضة باسم العلم وحرية التفكير . ومجهوداتهم في هذا السبيل مشهورة معروفة في شمال إفريقيا وفي الهند وفي كل مكان حلوه . ولا أستثنى من ذلك مصر ، وذلك هو ما يسميه كتابهم بالـ Westernisation . ولا يزال ما ثلا في الأذهان ، أن من أول ما اشترطته فرنسا لإعادة علاقاتها مع مصر في المفاوضات الدائرة الآن إعادة مدارسها ومعاهدها ، فهمل يفهم الناس معنى ذلك ؟ إذا لم يفهموه فما هو ذا نص واضح لا يحتاج إلى تأويل ، هو ترجمة لما جاء في تقرير اللورد كرومر واضح أسس الاستعباد الانجليزى في مصر ، بمناسبة تعيين سعد باشا زغلول وزيرا للمعارف سنة ١٩٠٦ .

يقول كرومر ، بعد كلام طويل عن الوطنية المصرية وصف في ختامه المدرسة العسكرية التى ينتمى إليها سعد زغلول بأن برنامجها يقوم على (التعاون مع الأوربيين - لا على معارضتهم - في إدخال المدنية الأوروبية إلى بلادهم) ، ونصح بأن يمنحوا كل تشجيع ممكن ، يقول كرومر بعد ذلك : إن اختيار سعد زغلول لمنصب وزير المعارف ليس إلا تنفيذاً لسياسة ترمى إلى تأييد هذه المدرسة ، ووضع مقاليد السلطة في يدها ، ثم يقول عقب ذلك ما نصه : (وسوف نراقب ما تتمخض عنه هذه التجربة من آثار في عناية وانتباه . فإذا نجحت التجربة ، وذلك ما آمله وما أعتقد ، فسوف نمنح قدرا أكبر من التشجيع للسير في الاتجاه نفسه إلى مدى أبعد . أما إذا فشلت التجربة ، فستكون النتيجة الحتمية لذلك هى الاعتماد في شئون الإصلاح على الأوربيين وعلى الانجليز خاصة - إلى مدى أكبر مما جرى عليه العمل سابقا . وأية ما كانت الحال

فلن يكون هناك سبيل إلى التراجع . إن العمل يسير بحمد ونشاط في إدخال المدنية الغربية إلى مصر ، وهو يأخذ طريقه بتقدم ونجاح في كل إدارة من إدارات البلد ، حسب خطة مرسومة وضعت خطوطها بعد دراسة للوقوف ، تقوّم على التطور والتدرج ، لا على الانقلاب العنيف والتغيير المفاجئ - الفقرة الثالثة من تقرير سنة ١٩٠٦ ص ٨ من المذكرة الانجليزية) . ولو شئت لقدمت كثيرا من الأمثلة التي تدعم هذا النص الذي قدمته ، ولكن أظن أن فيه الكفاية لإثبات ما بذله الاستعمار الغربي في سبيل نشر أسوأ ما في حضارته وإحلاله محل الإسلام في كل مستعبداته ، يسمون صنيعهم هذا « نشر الحضارة » ويزعمونه « رسالة الرجل الأبيض » التي لا يملون من الحديث عنها ، ولكن الذي حالوا بين الناس في مستعبداتهم وبين الوصول إليه هو الأخذ بأسباب القوة ، أو بعبارة أخرى الجانب المتمر المقيّد من هذه الحضارة .

أما الروحانية التي يحاربها الكتاب عن جهل ، لأنه يزعم أن الاستعمار الغربي يشجعها فهي شيء آخر غير الصوفية التي جاء ذكرها في قصة مندوب روكفلر مع الجامعة السورية . فالصوفية مذهب غير إسلامي في كثير من تفاسيله وشطحاته وتقاليده ونظمه الدخيلة ، أو هو يبدو كذلك فيما هو مشهور عن كثير من فرقته التي تدعو إلى سلبية يائسة مستسلمة تعارض روح الإسلام معارضة صريحة ، وهو شيء آخر غير الزهد الذي عرف عن بعض الصادقين من الصالحين في صدر الإسلام خاصة وفيما تلا ذلك من العصور .

أما الروحانية فإذا قصد بها نقيض المادية التي يدعو إليها الكتاب في مقاله ، فلا شك أن كل الأديان روحانية ، لأنها تؤمن بالروح والغيب والثواب والعقاب وبما وراء المحسوس الملموس .

وكانت المقال لا يفرق بين الثقافة التي تتصل بالجانب الروحي والخلق والديني من الإنسان ، وبين العلم الذي يتصل بالجانب العقلي والمادي منه . ولذلك فهو يقول : (لا بد لنا من الاعتراف بأن تقاليدنا لا تتعارض مع الاقتباس من الثقافة الحديثة السائدة في الغرب . وفي الحقيقة ، إذا تركنا المحافظين في بعض الأقطار العربية - وهي فئة قد أصبحت لحسن الحظ قليلة العدد - فإننا لا نجد اليوم بيننا من ينكر ضرورة هذا الاقتباس . وإنما هناك فئة تسمى نفسها بالمعتدلة تريد أن يقتصر الاقتباس على محاسن الحضارة الغربية وعلى تلك النواحي من ثقافتها التي تتلاءم مع خصائصنا وتقاليدنا وعاداتنا . ونقطة

الضعف في هذا الرأي هي الصعوبة في تحديد الصفات والتقاليد والعادات التي نختص بها ويجب أن نحافظ عليها ، ثم الاختلاف حول المعيار الذي يميز المحامن من المساوي - ص ١٥١) . فالكتاب هنا ساخط أشد السخط على المحافظين . ويسره جدا أن عددهم يتناقص بيننا اليوم ، بل هو ساخط على المعتدلين الذين يدعون إلى التمييز بين الضار والنافع ، وما يلائمنا وما لا يلائمنا ، حين ننقل عن حضارة الغرب ، لأنه يريد فيما يبدو أن ننقل الحضارة الغربية (خيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد وما يعاب) كما يقول صنوه طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) في الفقرة ٩ ص ٤١ . ومن الواضح أن هذا التصور الخطر لاقتباس حضارة الغرب ناشئ من عدم التفريق بين العلم والثقافة .

فالعالم - والمقصود به في الاصطلاح الأوروبي Science هو الرياضة والعلوم التجريبية - يتصل بالملبوس المحسوس الذي أثبتته التجربة وتستطيع أن تعيد إثباته في كل زمان ومكان ، أو هو يتصل بالمنطق العقلي الذي تشترك كل العقول البشرية في إدراكه على وجه القطع واليقين مثل علوم الرياضة وكلها مما يشترك في إدراك حقائقه كل الناس بقدر واحد لا خلاف فيه ، ويمكن إعادة تجاربه ومراجعتها والاستيثاق من صحتها والانتفاع بنتائج تطبيقها على اختلاف الأزمنة والأمكنة . أما الثقافة فهي تختلف باختلاف الأجناس والبيئات والأديان حسب حكمة الله سبحانه ، الذي جعل لكل قوم منسكاهم ناسكوه ، والذي جعل لكل قوم شرعة ومنهاجا ، والذي جعل الناس شعوبا وقبائل ليتنافسوا في الخير وليتبادلوا العلوم والمعارف ، والذي جعلهم أمما ولو شاء لجعلهم أمة واحدة . والثقافة لا تتصل بالمحسوس الملبوس أو المعقول المشترك كما هو الشأن في العلم ، لأن بعض عناصرها يتصل بقيم الخير والشر ، والجمال والقبح ، والحق والباطل ، وهي جميعا تعتمد على ما وراء المادة من الغيب الذي لا تتفق عليه العقول ولا تدرکه الأفهام ولا تشملته التجربة ولا يتناول إليه الفكر . فهناك خلاف واسع في تقدير الخير والشر بين الكافر الذي يقول : (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) وبين المؤمن الذي يراقب في أعماله ثواب الله سبحانه وعقابه في الدار الآخرة . فبينما يرى الأول أن حرمان النفس مما تشتهيه - كل ما تشتهيه - ضرب من الحماقة ليس له ما يبرره ، يرى الآخر أن الإدمان على الشهوات هو عين الحماقة وقصر النظر . والمتدين يرى التفريط في العرض والعفاف شرا ، بينما يراه الوجودي مثلا حماقة . والمتدين يرى ضبط النفس فضيلة ، بينما يراه الفرويدي شرا يسبب الكبت الذي يورث في زعمه أمراض النفس .

والمسلم يرى اللص والقاتل مجرماً تجب عقوبته والاقتصاص منه ، والمتفرنج الذى يعقل بأذنيه ويقلد تقليد القروء يراه مريضاً خليقاً بالعطف . والمتدين يرى صورة المرأة العارية قبيحة ؛ لأنه يرى معها قببح نفس صانعها وذنس شهوته التى تخاطب صنعتها فتتفر منها نفسه ، وقد يراها غير المتدين جميلة ؛ لأنه لا يرى إلا مفاتها ، ولأنها تخاطب شهواته وحواسه وحدها ولا تخاطب ضميره وخلقه ، أو هى تخاطب منه ضميراً وخلقا يخالف ضمير المتدين وخلقه على الأصح . وقبل مثل ذلك فى كل ما يتصل بالخير والشر ، والجمال والقبح ، والحق والباطل . فهذا الذى يدعو إليه الكاتب ، ويدعو إليه طه حسين وأضرابهما من المتفرنجين ، الذين يدعون إلى انتحال ثقافة الغرب بغير نقد أو تمييز ، لا شك أنه كما وصفه مصطفى صادق الرافعى رحمه الله : (نوع من المشاكلة بيننا وبينهم ، ووجه من التقريب بين جنسين يعين على اندماج أضعفهما فى أقواهما . ويضيق دائرة الخلاف بينهما . ثم هو من أين اعتبرته وجدت فائدته للأوروبيين أشبه بتليين اللقمة الصلبة تحت الأسنان القاطمة . وهل نسى الشرقيون أنه لا حجة للغرب فى استعبادهم إلا أنه يريد تمدنيهم - وحى القلم ٣ : ٢٠٥) .

فى حضارة الغرب مواضع للقوة كانت سبب مجده وسيادته وتفوقه . ولكن فيها مواطن للضعف تحمل جرائم موته ، وقد كانت سبباً فيما اعتراه أخيراً من مظاهر الانحلال التى تصور أنه يسير فى طريقه إلى الدمار والانهدام . فإذا كان مفهومنا أن نقل النافع الذى كان سبباً فى مجد الغرب ، فكيف نفهم الدعوة إلى نقل الضار وقد كان سبباً فى الخراب ، الذى تبدو طلائعه لكل ذى بصيرة ؟ .

يزعم الكاتب أن من غير الممكن اقتباس صناعات الغرب الآلية دون ثقافته . ويدعى أننا (لا يمكننا أن نتقدم فى الصناعة الآلية ... دون نشر هذه الثقافة بين الشعب على أكبر مقياس ممكن) وأنه (لا فائدة فى أن يصبح العامل قادراً على استخدام آلة تعادل قوتها ٢٤٠ من العبيد ، إذا ظل هو نفسه خاملاً بليدا عاجزاً عن التفكير الذاتى وعن النقد ، لا يستطيع تمييز الأخبار الصحيحة من الكاذبة ، وينقاد إلى الإيحاء والتضليل ولا يسيطر على أهوائه ونزعاته البدائية - ص ١٦٥) والدين هو المقصود بكل هذه الإشارات الأخيرة ،

ولست أدرى إلى أى شىء قد استند الكاتب فيما يزعمه من أننا لا نستطيع الاستفادة من تجارب الغرب فى التفوق الصناعى الآلى إلا إذا نقلنا ثقافته ، أى أننا لا نستطيع - فى زعمه ووجهه - أن ننقل الصناعة وحدها دون الإلحاد والمادية والدعارة والانحلال التى تنطوى عليها ثقافة الغرب اليوم ، والتى يضح منها عقلاؤه ومصالحوه ، والتى تنتهى حتماً إلى زوال

أصحاب هذه الحضارة في القريب العاجل . هذا زعم عجيب ، هو مجرد ادعاء لا يقوم عليه دليل ، بل إن ألف دليل ودليل من الواقع ومن التاريخ ومن العقل يقوم على عكسه . وإذا كان هذا الكاتب الذى ينطق بلسان ببغاء لا يدرك أن ثقافة الغرب ومدنيته التى يطالبنا بنقلها، قد دخلها من الفساد ما هو خليك أن يجر الغرب كله إلى كارثة تقضى عليه، وتلحقه بالبائدين ممن حق عليهم القول فدمروا تدميراً، وإذا كان هو وأضرابه لا يصدقون إلا ما يجرىء من الغرب، ولا يرون صواباً إلا ما رآه كتاب الغرب، فليقرأ ما كتبه المؤرخ الانجليزى المعاصر آرنولد توينبى Arnold Toynbee فى كتابه (الحضارة فى الميزان Civilisation on Trial) وفى كتابه (الحضارة والغرب Civilisation and the West) ليرى حكمه على حضارة قومه بأنها فى النزاع الأخير ، وأنها تمر بمثل المرحلة التى سبقت سقوط الدولة الرومانية .

وكاتب المقال لا يعترف بأن لنا عادات خاصة ومقومات تميزنا عن غيرنا بوصفنا أمة من الأمم، لأنه يتساءل (هل يكفى أن تستمر بعض التقاليد والعادات مدة عصر أو عشرة عصور حتى تصبح جزءاً لا ينفصل من تراثنا ينبغى التمسك به ؟ ص ١٥٢) . والواقع أن هذه التقاليد التى يدعو الكاتب وشيعته إلى نبذها وهدمها هى التى تمسك المجتمع وتشده ، لأن سلطانها فوق سلطان القانون . والدليل على ذلك أن كثيراً من الناس يرتكبون جرائم القتل التى تعرض رقابهم لحبل المشنقة، ولا يبالون سلطان القانون، وذلك تحت ضغط التقاليد وسلطانها القاهر، فهم يرون عقوبة القانون التى تهدد حياتهم أهون من العار الذى يلحقهم من خرق التقاليد . هذا السلطان القاهر للتقاليد هو الذى يمسك المجتمع ويشد بعضه إلى بعض؛ لأنه يكون أشكلاً ثابتة من الصلات والروابط، يلتقى عندها الناس على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم وأنواعهم . ومن المسلم به عند كل الباحثين - حتى الماديين منهم - أن أعمق التقاليد جذورها وأعظمها سلطاناً هو ما كان مستمداً من الدين . فإذا هدمنا هذه التقاليد على ما يريد الكاتب وأمثاله ، فأى شئ يغنى غناؤها ويقوم مقامها ؟ وأية سلطة تمسك المجتمع عند ذلك وتمنعه أن يتفتت ثم يزول وينهار ؟ .

لا يعترف كاتب المقال بغير الجانب المادى من الحياة ، فنظريته مادية خالصة ، واقتباساته كلها من مفكرى الغرب المعروفين بنزعهم المادية . وبعض هؤلاء الذين يقتبس منهم - مثل نيتشه - قد اعترف اليهود فى خطتهم المشهورة بروتوكولات صهيون ، بأنهم هم الذين نشروا آراءهم وروجوها بين الناس لإفساد عقائد غير اليهود ومجتمعاتهم .

لا يرى كاتب المقال الأديان إلا أوهاما وخرافات وأساطير . ولا يجد شيئا إلا العلم المادى الحديث الذى أوجد عصر الآلة الذى نعيش فيه . فإليه يرجع الفضل - حسب مايتوهم - (فى تحرير البشرية من الضلال والأوهام والخوف ... ولا شك فى أن أبرز أثره هو تغييره لتفكير الإنسان . فان طريقة البحث العلمى جعلتنا نؤمن بالعقل ، ولا نتقيد إلا بالواقع الذى تدركه الحواس ولا نتقبل شيئا (كذا !) لا تؤيده التجربة . وتقتضى هذه الطريقة التحرر من العقائد الغيبية السحرية ، ومن الأوهام والأحكام السابقة . وهى تفرض علينا المشاهدة الموضوعية ، والملاحظة المضبوطة والقياس الدقيق والتجرد من العواطف والتمسك بالحياذ - ص ١٦٤) . وواضح من كلامه هذا أنه لا يعتمد بالدين كله ؛ لأنه يقوم على الإيمان بالغيب ، وهو لا يؤمن إلا بالمشاهد الملموس ، ويرى أن ذلك من مزايا العلم التجريبي الحديث الذى حررنا - حسب زعمه - من الضلال والأوهام والخوف .

فالأديان كلها عنده ضلالات وأوهام ، كان الناس يخضعون لما تخوفهم به من العذاب ، ثم تحرروا من هذا الخوف ، ولم يعودوا يخافون العذاب الموهوم الذى زعمته هذه الأديان . هل هناك هدم أصرح من هذا ؟ ! وهل لا يعرف المسكين أن العلم التجريبي محدود الميدان والمدى لا يتناول إلا المدرك المحسوس . والمدرك المحسوس أقل بكثير مما لا يخضع لحسنا وإدراكنا ، بل هو لا يقاس إليه ويعتبر كأنه ليس شيئا مذكورا إلى جانبه . وقد أدرك العلم الحديث نفسه - الذى يتمسح به الكاتب - ذلك ، فعرف أن الموجات التى تدخل فى مدى إدراكنا الحسى ليست إلا شيئا ضئيلا تافها بالقياس إلى المعروف منها فضلا عن المجهول . ومن المعروف أن الكلاب والحيل وكثيرا من الحيوان - الأليف منه والوحشى - تدرك ما لا ندركه . ولا تزال نعتمد على الكلاب خاصة ونستعين بها مستغلين اتساع مدى هذا الإدراك فيها .

ولا يزال علماء الفلك يقفون مشدوهين أمام ذلك الفضاء الجبار الذى لا يعرفون مقاييسه وأبعاده إلا ظنا ورجما بالغيب ، كلما زادوه تأملا انقلب إليهم البصر خاسئا وهو حسير . بل إن بعض ما يستنتجونه فى هذا أدعى إلى الحيرة من الجهل به . فهم يقدرّون مثلا أن بعض النجوم - أركتورس مثلا - تبعد عنا ثلاثين سنة ضوئية . ومعنى هذا أن ذلك النجم الذى نراه الآن لا نراه كما هو الآن ، ولسكننا نراه كما كان منذ ثلاثين سنة ، لأن الشعاع الضوئى الذى يصل إلى أبصارنا منه الآن هو الذى انبعث منه منذ ثلاثين سنة . ومعنى هذا أيضا أن من الجائز أن يكون ذلك النجم الذى يبدو لأنظارنا الآن غير

موجود الآن في حقيقة الأمر، لأن رؤيتنا له لا تثبت إلا أنه كان موجودا عندما انبعثت منه الأشعة الضوئية التي وصلت إلى عيوننا . وهذه لم تنبعث إلا منذ ثلاثين سنة . وما ينبعث منه الآن لا يصل إلى أبصارنا إلا بعد ثلاثين سنة ، أى أنه لا يمكن التأكد من أن ذلك النجم موجود الآن إلا بعد ثلاثين سنة . ويقدر الفلكيون أن بعض المجرات يبعد عنا ملايين من السنين الضوئية، ومئات الملايين [١] أليس هذا العلم أدعى إلى الحيرة من الجهل، وأدنى إلى أن يكون تعبيرا عن جهلنا وقصورنا ؟ ثم أليس يدل هذا ومثله - وهو كثير في علم الفلك خاصة - على ضآلة مدى العلوم التجريبية من ناحية، وعلى صعوبة إدراك حقيقة الأشياء الأصلية من ناحية أخرى ؟ إن العقل يستطيع أن يوصلنا إلى تسخير بعض الظواهر والطاقت وتطويعها لمصالحتنا ، ولكنه لا يوصلنا إلى حقائق هذه الظواهر والطاقت ، أليس الكفر بالله وبالأديان نتيجة لهذا القليل الذي أتيج لنا الوصول إليه، من آثار الكشوف الأخيرة، لو أننا من البطار ومن الغرور الذي يدرك ضعاف النفوس حين يصيبون حظا قليلا من النعمة أو القوة ، فيظنون أنفسهم أربابا و يظنون أنهم يستطيعون كل شيء ؟ .

حقيقة الأمر في هذه العلوم التجريبية أنها مفيدة في ميادينها المادية فحسب ، ولكنها غير صالحة لأن تعالج عالم المجردات الذي لا يخضع للحس لأنه لا يخضع لتجارها . وذلك هو ما يسميه الإسلام عالم (الغيب) أى ما غاب عن الحس . ونحن مكلفون فيه بأن نؤمن بما جاء به الدين ، لأنه هو السبيل الوحيد إلى معرفة وإلى تحديد موقفنا منه وما فيه فائدتنا بالقياس إليه . فميدان الدين إذن غير ميدان العلم التجريبي . فالأول يستأثر بعالم الغيب ، ويدبر شؤون حياتنا على أساس الصلاحية لما بعد هذه الحياة، مما لا يتعارض مع مصالحنا في هذه الدنيا . والثاني لا يتعدى عالم الشهادة - أى ما يخضع للشهادة والحس - والمفروض مع ذلك أن الإدراك الصحيح لحقائق المشاهد الملموس يهديننا إلى ما ينطوى عليه من نظام دقيق معجز ، كما يقودنا إلى إدراك عجزنا أمام كثير جدا من المعضلات ، وهو عجز لا مفر منه من اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى . وليت كاتب هذا المقال وأمثاله يقرءون قول كبير من رجال العلم المظلوم ، الذى يحملونه أوزار كفرهم

[١] العالم وأنشيتين تأليف لـنـكـولـن بـارنـت وترجمة البرقوق ص ٥٢ ، مع الله في السماء تأليف الدكتور أحمد ذكى ص ٢٥٢ .

وضلالاتهم . ليته يقرأ قول أنيشتين : (إن أبحل الأحاسيس وأعرق العواطف هي تلك التي نتعرض لها عند بحث الخفايا ، لأنها تؤدي إلى العلم الحقيقي . وكل من يشكر هذه الأحاسيس ، ولا يتعرض للدهشة أو للرعب ، فإنه يعتبر في عداد الأموات . والمؤمنون هم الذين يعلمون أن هناك أشياء تخفى على علمهم . وهذا هو غاية الحكمة ، وأقصى درجات الجمال المشع التي تستطيع حواسنا القاصرة إدراكها - العالم وأنيشتين ص ١١٥) . وليته يقرأ قول نيلز بوهر : (إن الناس إما ممثلون أو متفرجون في تمثيلية وجودهم . فالإنسان هو نفسه أكبر أعجوبة غامضة في الحياة ، فهو لا يدرك الكون الغامض الذي يعيش فيه ؛ لأنه لا يدرك كنهه نفسه . فهو لا يعلم إلا القليل من أمر العمليات العضوية في جسمه . ويعلم الأقل من ذلك في شئون عقله وقدرته على فهم الدنيا التي تحيط به . بل إن قدرته محدودة في التعليل وفي التخيل . بل إنه يكاد يكون عاجزا عن فهم أنبل وأعجب خصائصه ، ألا وهي قدرته على السمو بنفسه وإدراك كنهها في عملية التصور والتخيل - الكتاب السابق ص ١٢٧) . ليته يقرأ ذلك - وغيره كثير - ليعلم أن الكفر بالغييب ليس ثمرة المعرفة ولا ثمرة العلم ، وإنه من آفات القليل من المعرفة والقشور من العلم .

هذا هو أحد النموذجين اللذين أردت تقديمهما لتصوير ما تنشره الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية من بحوث ومقالات . أما النموذج الآخر فهو بحث الدكتور عبد الرزاق أحمد السهوري أو مقاله عن « القانون المدني العربي - ص ٥ - ٢٩ » وسنتحدث عنه في المقال الآتي إن شاء الله .

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث

بجامعة الإسكندرية

من كلام الأحنف بن قيس

- * ليس لكذب مروءة ، ولا لحسود راحة ، ولا لسيئ الخلق سوءدد .
- * المروءة أن لا تعمل في السر شيئا تستحى منه في العلانية .
- * فضل الصمت لا يعدو صاحبه ، وفضل المنطق ينتفع به من سمعه .
- * لأفنى تحكك في جوانب بيتي أحب إلى من أيم ردت عنها كفوا .

سلسلة الفقه الاسلامى

- ٢ -

وحيث انتهى بنا المطاف إلى هذه النتائج القاطعة نستطيع ، أن نقول : إن مصادر التشريع الإسلامى هى الكتاب والسنة والإجماع ، ونستطيع أن نقول فى غير شك : إن فقهاء المسلمين ما جلسوا إلى معلم رومانى ، وما قرأوا كتباً رومانية ، لأن التاريخ القاطع الذى يعترف به الرومان أنفسهم ، يدلنا على أن الوقت الذى وجدت فيه النهضة التشريعية الإسلامية حتى وصلت إلى أرقى درجاتها ، لم تكن معاصرة لرقى الدولة الرومانية بل على العكس من ذلك ، فقد كانت الدولة الرومانية فى ذلك الوقت فى عهد الانحطاط والتقهقر فى جميع نواحيها ، إذ أن الفقه الرومانى قد ضعف بموت الإمبراطور جستنيان سنة خمس وستين وخمسمائة ميلادية ، والإسلام قد بدأ بعد ذلك بنصف قرن . ولا يستطيع أحد أن يدعى انتقال الفقه الرومانى بعد هذا التاريخ إلى جزيرة العرب ، التى نشأ فيها الفقه الإسلامى ، بل يجمع المؤرخون على أن الفقه الرومانى ظل مجهولاً عن جميع الناس حتى عن أهل أوربا أنفسهم ، لأنه فى ذلك التاريخ لم تكن الطباعة معروفة ، فظلت جميع المعارف محبوسة فى دائرة ضيقة جداً ، فى أيدي مؤلفيها أو ورثتهم أو فى السكنايس وما شابهها ، والمقطوع به أنها لم تتجاوز محيط الدائرة التى وجدت فيها ، وبذلك كله تنهار الشبهة التى نشأت عند بعض الباحثين من اعتقادهم بتأثر الفقه الإسلامى بالفقه الرومانى ، بحجة أن الفقه الرومانى سابق فى الوجود على الفقه الإسلامى ، وهذا منشأ خاطئ لا سند له ، سببه عدم التعمق فى البحث والاستقصاء والتقييم والسير على الطريق المنطقى الصحيح ، فإن السبق فى الوجود الزمنى ليس وحده دليلاً على أخذ اللاحق ولا سيما إذا كان للاحق يتابع ومصادر خاصة ليست للسابق ، ولا دليل ، فكيف من للاحق يأتى بالعجائب والمبتكرات التى لم تخطر على بال من سبقه من أهل فنّه أو علمه ، وأقوى دليل لذلك وجود المخترعات الكثيرة العظيمة التى وجدت فى أواخر القرن الماضى والقرن الحالى مما أصبحنا فى دهشة منه ، فإن القمر الصناعى والصاروخ عابر القارات والتلفزيون والمناطيد وغير ذلك من المخترعات لا يمكن لأحد أن يدعى تأثر مخترعيها بمن سبقهم من أهل هذا الفن ، وكل ما يمكن أن يقال لدفع شبهة المماثلة فى بعض الأحيان ، بين الفقه الإسلامى والفقه الرومانى ، أن بعض العقول الراجحة قد تدرك المصلحة فى طريق علاج بعض تصرفات الإنسان ، فتضع لها أحكاماً مناسبة ،

وقد كان لقدماء المصريين تشريعات فى الأحوال الشخصية والعقوبات والموارىث، كما كان عند الإغريقيين والسكندانيين وغيرهم من الأمم التى سبقت الرومان بأزمان طويلة ، فوجود شبه الرومانية فى الفقه الإسلامى لا يدل بأى وجه من الوجوه على التأثير . ويوضح ما ذهبنا إليه من أن الشبه بين التشريعين لا يدل على التأثير بحال من الأحوال للقطع بعدم الصلة بين التشريعين ، وهذا بعينه ما صرح به مترجم مدونة جوستنتيان عند ترجمته للملحق الثانى منها ، وهو الأصول الفقهية العامة إذ قال : « بعض هذه القواعد مكرر العبارة فى المعنى الواحد ، والسبب اختلاف أشخاص واضعها أو اختلاف عبارات الناقلين عنهم ، كما أن الأثر الواحد منها بعينه ، أحيانا ما نقلته إلى العربية بعبارات مختلفة كل منها دال على ذات المعنى تماما ، فلم نطلع أن يختار منها ما يريد . وما كان من قواعد الأصول له مقابل عند فقهاءنا ، قد وضعت ما قابله مأخوذا بنصه من مجلة الأحكام العدلية أو من كتاب الأشباه والنظائر ، ووضعت تحته خطا إعلاما بهذا » . وبذلك يظهر جليا وجه الصحة فيما ذهبنا إليه من القول بأن بعض العقول الراجحة قد تتلاقى آراؤها وأقوالها ، ومثل هذا التلاقى يوجد عند الشعراء والحكماء والأدباء من غير أن يكون هناك تأثير من أحد الفائلين بغيره .

وإتماما للفائدة وتوضيحا للنظرية بطريقة عملية نذكر بعض الأمثلة التى ذكرها مترجم مدونة جوستنتيان ، فقد قال فى القاعدة الثامنة : « الأولى تفسير العقود وفهمها على ما يقتضى إعمالها دون ما يقتضى إهمالها » وأتى بمقابلها من الفقه الإسلامى « إعمال الكلام أولى من إهماله » . وقال فى القاعدة السادسة عشرة : « العادة شرع محكم » وأتى بمقابلها من الفقه الإسلامى « العادة محكمة » وقال فى القاعدة الرابعة والعشرين : « الشئ الواحد لا يحتمل مالكين » وأتى بمقابلها من الفقه الإسلامى « المملوك لا يملك ، أو إجتماع المالكين فى عمل واحد محال » وقد أفاض المترجم بذكر كثير من قواعد الأشباه والنظائر ومجلة الأحكام العدلية ، فلمن وجدت عندهم شبهة تأثر الفقه الإسلامى بالفقه الرومانى بعض العذر لعدم تعمقهم فى دراسة تاريخ القانون الرومانى ، وفى دراسة تاريخ الفقه الإسلامى ، ومن أجل ذلك ، كانت دراسة تاريخ التشريع علما هاما عند الجامعات التى تدرس فى بعض كلياتها القوانين المختلفة ، كما اهتمت بعض الجامعات بدراسة القانون المقارن لتقف على أوفق النظريات وأشدها ملامة للاخذ بها فى التشريعات ، وللوقوف على التراث القانونى لجميع الأمم الحية لينير الطريق أمام المشرع الحديث ؛ فان خير الأعمال ما كان له سند

وأسس ينبني عليها ، لتثبت خطاه ويأمن من الزلزال ، ولا زالت شبه تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني في حاجة شديدة إلى من يقوم بادحاضها وردها ، إذ أنها لا تزال باقية حتى عند بعض الأوساط العلمية إلى الآن ، حتى إن السؤال الذي وجه إلى العضو الإسلامي من لجنة تحضير الموضوعات لمؤتمر مقارنة القوانين منذ عهد قريب ، كانت صيغته على الوجه الآتي : « هل تأثرت الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني ؟ » . فالأزهر في أشد الحاجة إلى إعداد طائفة تجمع بين ثقافة قانونية وضعية ، إلى جانب ثقافتها الدينية التشريعية ، وعند ذلك يمكن رد كل شبهة تثار حول الشريعة الغراء .

والله يهدي العاملين إلى سواء السبيل ما

عبد الله مصطفى المراغي

حكمة عاد وجرهم

قال أبو بكر بن دريد :

الم تر ما أدت إلينا وسيرت	على قدم الأيام عاد وجرهم
هم اقتضوا الأمثال صعبا قيادها	فذل لهم منها الشريس الغشمشم
وقالوا « الهوى يقضان والعقل راقد »	و « ذو العقل مذكور وذو الصمت أسلم »
ومما جرى كالوسم في الدهر قولهم	« على نفسه يحنى الجهول ويحرم »
وكالنار في ييس الهشيم مقالهم	« ألا إن أصل العود من حيث يقضم »
فقد سيروا مالا يسير مثله	فصيح على وجه الزمان وأعجم

بين الوقاية والتقوى

يقرر الأطباء العقلاء في قواعدهم ومبادئهم أن « الوقاية خير من العلاج » ، والوقاية هي حفظ النفس مما يؤذيها ، وإبعادها عما يضرها ، وإنما كانت الوقاية خيرا من العلاج لأن الحيلولة دون وقوع الداء توفر الكثير من الجهود والمتاعب ، ولأن سد الباب على العلة أسهل بكثير من معالجتها بعد أن تتمكن وتحكم . ونحن نستطيع بيسر أن نصد الكثير من الآفات إذا جاءت تريد الدخول ، ولكننا قد نفشل في القضاء عليها إذا فتحنا أمامها الباب وسمحنا لها بالدخول . والقرآن الكريم يشير إلى مكانة الوقاية وأهميتها حيث يقول : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وقودها الناس والحجارة » . وحيث يقول على لسان حملة العرش في دعائهم للمؤمنين : « وقهم السيئات » ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم » . والله سبحانه يجعل وقايته للمؤمنين من الشر والسوء ، منة كبرى عليهم فيقول : « فوqاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » .

والوقاية قريبة في معناها من « التقوى » ، لأن التقوى اتقاء واجتناب وسد للذرائع وحذر من الشبهات ، وهي ترك للعصية وصبر على الطاعة وإخلاص فيها ، وهي جعل النفس في وقاية من كل نخوف ، فهي إذن وقاية وابتعاد عن أسباب الشر والفساد ، وتمسك بأسباب الهدى والرشاد ، ولو أردنا أن نصف دين الإسلام بوصف وجيز مركز لقلنا : إنه « دين التقوى » . وحسبنا أن مادة « التقوى » قد ذكرت في القرآن الكريم ما يقرب من مائتين وخمسين مرة ، والله قد وعد من وقى نفسه السيئات وحرص على الصالحات بالأمن والسعادة : « فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . والقرآن يحدثنا بأن المتقين قوم حذرون متنبهون ، فإذا لحقهم شيء لا يليق بهم من وسوسة الشيطان سارعوا بسد الطريق في وجهه ، لأنهم أهل بصيرة وإيمان : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذا هم مبصرون » .

ومن الناس من يفهم أن التقوى مقصورة على أداء ألوان من العبادات أو القيام بطائفة من القربات ، وأنها لا تخرج عن ذلك ، وهذا فهم قاصر ، لأن التقوى تشمل عمل الخير واجتناب الشر ، ويتسع معناها حتى يشمل الجانب الإيجابي بأداء ما فرضه الله وحرض عليه ، ويشمل الجانب السلبي بالابتعاد عما حذر الله منه ونهى عنه ، وقد تحدث أسلافنا عن التقوى بما يفيد هذا الاتساع ، فقال ابن عباس : « التقوى كرم الخلق وطيب الم مطعم » وقال شقيق البلخي : « تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء : في أخذه ومنعه وكلامه » وقال شاه السكرماني : « علامة التقوى الورع ، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات » . وقال أبو الحسين النيسابوري : « أجل شيء يفتح الله تعالى به على عبده التقوى ، فإن منه تشعب جميع الخيرات » . وهؤلاء وغيرهم ينهلون في أقوالهم من رحيق القرآن الذي يقول : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » ! .

وهنا نسأل : هل نأخذ بمبدأ الوقاية والتقوى في حياتنا الفردية والجماعية ؟ . . .

لقد لقيني أناس فرحوا بالقرار الحكيم الذي اعتبر بيع الصور النسائية العارية جريمة ، وألغى القرار العجيب القائل : إنها فن وتنمية للذوق وليس فيها ما يخل بالآداب ، وقد نشرت صحيفة (الأهرام) بتاريخ ٢ رجب ١٣٧٧ هـ - ٢٢ يناير ١٩٥٨ م خبر هذا القرار الذي قال : إن قرار حفظ التحقيق السابق (لا يتفق مع نصوص قانون العقوبات الذي اهتمدى بأحكام الشريعة في بلد نص دستورها على أن الإسلام دين الدولة ، والدين الإسلامي - بل جميع الأديان السماوية - لا يتيح تصوير النساء العاريات ، ولا تميل إلى جعلها سلعة للبيع والشراء ، كما أن القانون يعاقب على حيازة الصور المنافية للآداب بقصد الاتجار ، ولا يمكن القول إن حيازة هذه الصور إحياء للفن والعلم) . . . وجعل هؤلاء يقولون لي : لقد أفلحت الحملة الدينية على هذا الفجور ، فكنت أبادلهم تهنئة بتهنئة ، ولكنني في الوقت نفسه كنت أصبح بخاطري في أفق واسع ومجال فسيح . . . كنت أتساءل : فيم كان هذا العناء واللف والدوران والجهود الضائعة والأصوات الثائرة ؟ ولماذا لا نمنع الشر إلا بضجة وبعد زوبعة ؟ . . . لماذا لا نأخذ بمبدأ الوقاية والتقوى لنريح ونستريح ؟ ! . . .

لقد طالت - مثلاً - قصة هذه الصور حتى سخفت القصة وسمجت ، وضح الناس منها ، وكان من السهل الميسور أن نتقيها فنسد عليها الباب من أول الطريق ومنذ البداية . . . إن المحرمين من المتحليين قد استباحوا لحوم النساء ، وصوروا منها هذه الصور العارية ،

ثم طبعوا منها آلاف النسخ ، ثم باعوها ووزعوها ، ثم ضج الناس بالشكوى ، ثم قبض على بعض البائعين للتحقيق ، ثم أفرج عنهم وحفظ التحقيق ، ثم ثارت ثائرة الذين يغارون ، وأخيرا أعيد التحقيق ، ونحن الآن في انتظار النتائج ...!!

لماذا كل هذا يا قوم ! ... لماذا نلف وندور ونتعب ، وفي النهاية نعود إلى البداية ، وهى أن الأخلاق لا بد لها من قوامين ، وأن الدين لا بد له من حراس ، وأن التحلل داء خبيث ، وأن الله يزعم بالسلطان ما لا يزعم بالقرآن ، وأن الحق لا بد له من قوة تحميه وتدافع عنه ، وأن كثيرا من الناس كعميد العصا لا يسمعون ولا يطيعون إلا بخوف ورهبة ! ! ...

ولقد استشهد القرار - زاد الله مصدره توفيقا وغيره على الدين والأخلاق ، وهو رئيس النيابة فى شمال القاهرة - بالنص الوارد فى الدستور وهو أن « الإسلام دين الدولة » ، والواقع أننى تطلعت إلى هذه الجملة صرات لأتأكد من وجودها ، ولأتأكد من أن معناها الذى أفهمه هو نفس المعنى الذى يفهمه واضع القرار . . . إذن الإسلام دين الدولة . . . إذن قانوننا يهتدى بأحكام الشريعة . . . إذن مخالفة الإسلام مخالفة للقانون . . . إذن كل من يعمل على هدم ركن من أركان الإسلام ، أو مبدأ من مبادئه يكون خارجا على هذا القانون ويستحق الجزاء والعقاب ؟ ! هذا مبدأ جليل ومغنى عظيم حين تؤمن به ونحرص عليه ونخلص فى تطبيقه . . . وهذا يقتضينا هنا أن نقول : إن محاكمة بائعى هذه الصور ليست هى كل شئ . . . إن على الدولة هنا واجبا أكبر وأوسع . . . إن من واجبها أن تعرف صاحبات هذه الصور ومصوريها وطابعيها وبائعيها ورؤساء توزيعها ثم تؤدب هؤلاء أو تهذبهم . . . إن الدولة تستطيع أن تتعقب المجرم وتذيقه وبال أمره ، والذين يشيعون الفواحش والزنا فى الأمة مجرمون . . . مجرمون بشهادة القانون وبشهادة حراس القانون ، لأن هؤلاء المجرمين يحاولون هدم السكبان الاجتماعى والأخلاقى والدينى ، ويحطمون مقومات الأفراد ومعنوياتهم ، ويضعفون روح الأمة وأخلاقها . . .

وليست هذه الصور المباعة فى الشوارع هى كل ما يشكو منه الأخيار فى هذا الباب . . . فهناك غيرها - ومن قبلها - كثير . . . هناك صور عارية وشبه عارية ، وفاضحة وشبه فاضحة ، وجارحة وشبه جارحة ، ووقحة وشبه وقحة ، ومجرمة وشبه مجرمة ، تنشر هنا وهناك فى لوحات الإعلانات ، وفى النشرات ، وفى المجلات المتحللة . . . ومن هذه الصور

ما هو أشنع وأفظع ، فهذه هي مجالات التحلل والانحلال تنشر علينا فاجر الصور بالآلاف ، وفي أوسع نطاق ، فأين عين الرقيب التي تحاسب على الفتيل والقطمير ؟ ... ولم لا يأخذ بالعقاب كل محرض على الإخلال بالآداب ، وكل هادم للأخلاق ، وكل متطاول على الدين والعقائد ؟ ... !

إننا في فترة جليلة حاسمة من فترات البناء والتعمير ، والإصلاح والتطهير ، وأساس البناء في الأمم هو سلامة عقيدتها ، وصفاء طبيعتها ، ومناخ أخلاقها ، وحصانة أعراضها ، وصيانة حرمانها ، ولن يعمر بنيان قوم - مهما شيدوا وجددوا - إذا كانت أخلاقهم خرابا ، أو كانت صدورهم يبابا ، وإنما يسحو البنيان ويسحق ، ويعلو ويشقق ، على قواعد أمينة رصينة ، وأسس متينة ركيكة ، من العقائد السليمة ، والأخلاق القويمة ، والأعراض الكريمة ، وصدق الله العلي الكبير حين يرشدنا إلى صراط الهدى والرشاد ، فيقول : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه ، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون » . ويقول : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

ديانة الغرب

اعتقادي الجازم أن أوروبا لم تعد اليوم تمثل روح الله أو المسيحية ، ولكنها تمثل روح الشيطان .

وأكثر ما يكون الشيطان موفقا حين يبدو واسم الله على شفثيه .

غاندي

القراءات الشاذة

آراء علماء الاسلام فيها

- ١ -

ذكر علماء القراءات قاعدة تعرف بها القراءات المقبولة ، وتميز عن غيرها من القراءات الشاذة المردودة .

وهذه القاعدة هي : كل قراءة وافقت اللغة العربية ، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ، وثبتت بطريق التواتر . نقول : كل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة ، موافقة اللغة ، وموافقة أحد المصاحف العثمانية ، وثبوتها بطريق التواتر ، هي القراءة التي يجب قبولها ، ولا يحل جحدها وإنكارها . وهي من جملة الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم .

ومتى لم تحقق هذه الأركان كلها أو بعضها في قراءة فهي قراءة شاذة مردودة . وينبغي أن يعلم أن أهم هذه الأركان هو الركن الثالث ، وأما الركنان الأولان فهما لازمان له ، إذ أنه متى تحقق تواتر القراءة لزم أن تكون موافقة للغة العرب . ولأحد المصاحف العثمانية ، فالعمدة هو التواتر ، وهو الجزء الأهم في الحد . فلا تتصور ما هية القرآن إلا به .

والتواتر نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد جنح الشيخ مكي بن أبي طالب وتبعه المحقق ابن الجزري - مع الركنين الأولين - إلى الاكتفاء بصحة السند . وجعله مكان التواتر .

قال صاحب (غيث النفع) : وهذا قول محدث لا يعول عليه ، ويؤدي إلى تسوية غير القرآن بالقرآن . ثم قال : ومذهب الأصوليين . وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين ، والقراء أن التواتر شرط في صحة القراءة ، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر . ولو وافقت العربية ، ورسم المصاحف العثمانية .

وقال النويرى فى شرح الطيبة : وهذا قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم ، لأن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة : منهم الغزالى ، وصدر الشريعة ، وموفق الدين المقدسى وغيرهم ، هو ما نقل بين دفتى المصحف نقلا متواترا . اهـ

ولذلك عرفوا القرآن بأنه اللفظ العربى المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقول إلينا متواترا ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة من سوره .

قال الإمام النويرى : وعلى هذا لا بد من حصول التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة لم يخالف أحد منهم فيما علمت بعد الفحص الزائد ، وصرح به جماعة لا يحصون : منهم ابن عبد البر ، وابن عطية ، وابن تيمية ، والنووى ، والأذرى ، وابن السبكى ، والزرکشى وابن الحاجب وغيرهم . وأما القراء فقد أجمعوا على ذلك أول الزمان ، وكذلك آخره . ولم يخالف من المتأخرين إلا مكى وتبعه بعض المتأخرين اهـ .

ومن كلام علماء القراءات الدال على اشتراط التواتر ما صرح به الإمام الجعبرى فى شرح الشاطبية حيث يقول : ضابط كل قراءة تواتر نقلها ، ووافقت العربية مطلقا ، ورسم المصاحف ولو تقديرا ، فهى من الأحرف السبعة ، وما لم يجتمع فيه ذلك فشاذا هـ .

والذى توفرت فيه الأركان الثلاثة إنما هى القراءات العشر . قال فى غيث النفع : فالشاذا ما ليس بمتواتر ، وكل ما زاد الآن على القراءات العشر فهو غير متواتر اهـ .

وقال النويرى : أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على القراءات العشر ، وكذلك أجمع عليه القراء إلا من لا يعتد بخلافه .

وقال الإمام ابن الجزرى فى « منجد المقرئين » والذى جمع فى زماننا الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التى أجمع الناس على تلقىها بالقبول .

وقال أيضا فى الكتاب المذكور « وقول من قال : إن القراءات المتواترة لا حد لها إن أراد فى زماننا ، فغير صحيح إذ لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشرة ، وإن أراد فى الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله تعالى » .

ويؤخذ من هذه النقول أن القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر ، وأن التواتر لم يتحقق إلا فى القراءات العشر وعلى هذا فكل قراءة وراء القراءات العشر لا يحكم بقرآنيته ، بل هى قراءة شاذة لا تجوز القراءة بها لا فى الصلاة ولا خارج الصلاة .

قال الإمام النووي ، ولا تجوز القراءة في الصلاة ، ولا في غيرها بالقراءات الشاذة ، وليست قرآنا ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، وأما الشاذة فليست متواترة ، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه ، سواء قرأ بها في الصلاة أو غيرها ، هذا هو الصواب الذي لا معدل عنه . ومن قال غيره فهو غلط أو جاهل .

وقد نقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ وأنه لا يصلي خلف من قرأ بها .

وقال ابن السبكي في جمع الجوامع ، وتحرم القراءة بالشاذ ، والصحيح أنه ما وراء العشرة انتهى ، ومثل ذلك عن ابن الحاجب .

وقال ابن الصلاح ، وهو ممنوع من القراءة بما زاد على العشر منع تحريم لا منع كراهة ، في الصلاة وخارجها ، ويجب على كل أحد إنكارها ، ومن أصر عليه وجب منعه وتأنيبه وتعزيره بالحبس وغيره ، وعلى المتمكن من ذلك ألا يحمله .

واستفتى الإمام ابن حجر العسقلاني عن حكم القراءة بالشاذ فقال : تحرم القراءة بالشاذ وفي الصلاة أشد ، ولا نعرف خلافا بين أئمة الشافعية في تفسير الشاذ أنه ما زاد على العشر : بل منهم من ضيق فقال ما زاد على السبع اه .

وقال السخاوي : لا تجوز القراءة بشيء مما خرج عن الإجماع ولو كان موافقا للصريفة وخط المصحف ولو نقلته الثقات لأنه جاء من طريق الأحاد ، وتلك الطريق لا يثبت بها القرآن اه .

ونقل النووي عن شمس الدين الديري أنه قال : لا يجوز اعتقاد القرآنية في الشواذ التي لم تنقل بالشهرة والتواتر ، ولا يجوز إيهام السامعين قرآنتها ، لاسيما إذا كان في الصلاة ، وما زاد عن السبع فهو في حكم الشاذ وإن تفاوتت طرق نقله ، وإذا نهى عن ذلك فلم ينته ، وجب الإنكار عليه ، ومقابلته بما يزجره اه .

ونقل النووي عن أبي عمرو بن العلاء أنه رد قراءة « فيومئذ لا يعذب عذابه أحد . ولا يوقن وثاقه أحد » بفتح الذال والفاء ، فقال له رجل : كيف وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم هذه القراءة ؟ فقال أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذي قال سمعت النبي

صلى الله عليه وسلم ما أخذته عنه ، أندرى لم ذلك ؟ لأنى أنهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به الأمة ، وإنما أنكر أبو عمرو هذه القراءة لأنها لم تبلغه على وجه التواتر ، وقد يتواتر الخبر عن قوم دون قوم .

وورد عن أبي حاتم السجستاني أنه قال : أول من تتبع بالبصرة وجوه القرآن وتببع الشاذ منها هرون بن موسى الأعور ، فسكره الناس ذلك منه وقالوا : قد أساء حين ألفها ؛ لأن القراءة إنما يأخذها قرن عن قرن ، وأمة عن أفواه أمة ، ولا يلتفت منها إلى ما جاء من وراء وراءه .

وهذه النصوص التى نقلناها عن أئمة الإسلام وعلماء القراءات تدل فى صراحة وجلاء على أمور :

أولاً : أن القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر ، ولا يكتفى فى ثبوته بصحة السند .

ثانياً : أن القول بالاكتفاء بالسند الصحيح غير المتواتر قول حادث ، مخالف لإجماع الأصوليين والفقهاء والمحدثين وعلماء القراءات ، سلفهم وخلفهم إلا من لا يعتد بقوله ، ولا يعبا بخلافه .

ثالثاً : أن التواتر منحصر فى القراءات العشر التى نقرؤها الآن بل قبل فى السبع فقط .

رابعاً : أن ما وراءها من القراءات فهو قراءات شاذة ، وإن وافقت العربية والرسم ونقلت عن الثقات واشتهرت واستفاضت ؛ فإن ذلك لا يخرجها عن شذوذها فلا تسمى قرآناً ، وتحرم القراءة بها فى الصلاة وخارجها ، بل يحرم على المسلم اعتقاد قرآنتها وإيها السامعين أنها من القرآن ، ويجب على كل مسلم يحترم القرآن ويؤمن به أن ينكر على من يقرأ بهذه القراءات ، ويمنع من القراءة بها منعاً باتاً ، ويعززه بالحبس وغيره إن استطاع إلى ذلك سبيلاً .

هذا رأى جماهير العلماء من الأصوليين والفقهاء والمحدثين وعامة علماء القراءات ، ولم يشذ عن هذا الرأى إلا أفراد قلائل لا يحفل بهم ولا يلتفت لآرائهم ، منهم مكى ابن أبى طالب والشيخ ابن الجوزى ذهب إلى الاكتفاء فى ثبوت القراءة بصحة السند ، وإن لم تكن متواترة ، فالقراءة التى نقلها الثقات بطريق الآحاد ووافقت الرسم والعربية فهى قراءة مقبولة عندهما ، ويصح القراءة بها فى الصلاة وخارجها ، ولكن بشرط أن تظفر هذه القراءة بالشهرة والاستفاضة والتألق بالقبول ، أما القراءة التى نقلها غير الثقات ولو

وافقت العربية والرسم، أو نقلها الثقات وخالفت الرسم أو العربية، أو نقلها الثقات ووافقت الرسم والعربية ولكن لم تبلغ حد الشهرة والاستفاضة، فهي بأقسامها الثلاثة قراءة شاذة مردودة.

وبنا على هذا نستطيع أن نحكم - في اطمئنان وثبت - على القراءة التي انفرد بنقلها المشايخ الأربعة ابن محيصن ويحيى اليزيدي والحسن البصري والأعمش أو أحد هؤلاء أو راو من روايتهم بأنها قراءة شاذة مردودة لا تسمى قرآناً، ويحرم اعتقاد قرآنتها، وإيهام السامعين أنها من القرآن، وتحرم القراءة بها مطلقاً ويعزر من يقرؤها، وهذا كله باجماع العلماء حتى ابن الجزرى ومكي بن أبي طالب.

أما عند جماهير العلماء فلا ن هذه القراءة لم تنقل إلينا بطريق التواتر، إذ التواتر منحصر في القراءات العشر كما تقدم.

وأما عند ابن الجزرى ومكي فلا ن بعضها مخالف لسواد المصحف مثل « اهدنا صراطاً مستقيماً » في سورة الفاتحة في قراءة الحسن، وبعضها مخالف للغة العرب كما سيأتى :

وهي كلها على فرض صحة سندها وموافقتها للرسم واللغة لم تبلغ حد الشهرة والاستفاضة. وهما يشترطان في صحة القراءة التي لم تثبت بالتواتر أن تكون صحيحة السند، موافقة للرسم والعربية، وأن تظهر بالاستفاضة والشهرة.

إذا قراءة هؤلاء الأربعة شاذة باجماع علماء المسلمين ما

يتبع

عبد الفتاح القاضي

المفتش بالأزهر والمعاهد الدينية

تفاوت الأقسام

ما جعل الله سبيل المصلحة والمفسدة إلا من أفهامنا، حتى إن الأدمغة لتعبد من أكبر العلل في أمراض التاريخ الإنساني، وربما كانت العلة الكبرى في طائفة من الطوائف صورة أثرية لأكبر رأس فيها.

مصطفى صادق الرافعي

الأزهر يكافح سهوم المخدرات

وجه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الطنيجي مدير الوعظ والإرشاد إلى كل من أصحاب الفضيلة الوعاظ الكتاب الآتي :

أيها الزميل : ----

السلام عليكم ورحمة الله - أما بعد - فانك تعلم - أعزك الله - أن العقل والصحة من أجل نعم الله التي أنعم بها على عباده ، بل هما أغلى وأكبر النعم ، فالعقل السليم يهدي إلى البر ، ويميز بين الخبيث والطيب ، ويعرف الهدى من الضلال والرشد من الغي ، والصحة تعين صاحبها على القيام بالواجب : نحو ربه ونحو نفسه ونحو وطنه على أكل الوجوه وأحسنها (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) . ولذلك وجبت المحافظة عليهما وصيانتهما مما يؤذيهما ويضر بهما ، ولقد راعنا أيها الزميل انتشار المخدرات في أمتنا العزيزة بشكل مروع ، يخاف منه أن يذهب بعقول الكثير من أفرادها وصحتهم ، وينك قواهم ويضعف عزيمتهم ويضيع أموالهم ، فلا يلبثوا أن يكونوا عالة على الأمة ، وتنتشر البطالة بين بنينا ، وإن حكومتنا الرشيدة تعمل جاهدة لمنع دخول هذه السموم إلى بلادنا العزيزة محافظة على كيان الأمة ومعنوياتها ، ولكن أعداء بلادنا - قاتلهم الله - يحتالون بشتى الحيل لتسرب هذه المهلكات الفاتكات إلى بلادنا بغية إذلالها وذهاب النخوة والقوة من نفوس أهلها وتعرثر الأمة في نشاطها وحركتها الصناعية والتجارية والزراعية .

فنأمل أيها الزميل أن تجد في تبصير الناس بمغبة تعاطي تلك المدمرات ، وبيان حكم دينهم : في استعمالها أو الاتجار فيها أو تهريبها أو إحرازها ، فإن للدين سلطاناً على النفوس ، ويحل من القلوب المحل الأرفع ، ووازع الدين أقوى وازع ، وأحسن هاد إلى الصراط المستقيم .

أيها الزميل : إن الله سبحانه يقول : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) . وقد آتاك ربك الكتاب فضلاً منه ونعمة ، فينبه للناس وعلمهم أحكامه صافية نقية ، وأرشدكم به إلى ما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة ، والله يتولى هدايا وهداك ، ويسدد خطانا وخطاك ، ويهدينا صراطاً سوياً (من يهد الله فهو المهتدى) ما

محمد الطنيجي

مدير الوعظ والإرشاد

المسئولية في الاسلام

— ٣ —

في هذا المقال سأحدث عن المسئولية الثالثة ، وهى مسئولية النساء حسبما جاء بها الحديث المتفق عليه « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، الحديث ... » .

وبعد أن كانت المرأة قبل الإسلام تسام كما يسام الحيوان ، ولا يقام لها وزن ولا تناط بها تبعه ، جاء الإسلام فرفع من شأنها ، وجعل عليها مسئوليات جساما نحو نفسها وزوجها وأولادها ، وجعل لها ولاية تتفق وفطرتها وطبيعتها وهى ولايتها على شئون بيتها ، والله الذى خلق الزوجين الذكر والأنثى ناط بكل منهما مسئوليات ، فالرجل يكسب ويعمل وينفق ويوجه إلى خير الطرق وأقومها ، والمرأة تهيب له ولأهله وولده الغذاء الشهى والشراب الهنى والمسكن النظيف الهادئ ، وتتقبل إرشادات الرجل الحصيف وقوامته عليها بقبول حسن ونفس راضية مطمئنة .

وهذا الحديث الشريف نص صريح في تحديد مكان المرأة فى الحياة ومنزلتها فى المجتمع ، وهو قيامها على المملكة الصغرى وهو البيت ، وإذا علمنا أن البيت هو البيئة الأولى التى تكون الأولاد ، وتعد لهم للدرسة والمجتمع ، وأن لهذا الإعداد آثارا بعيدة المدى فى حياة الأولاد ومستقبلهم ، أدركنا عظم هذه المسئولية الملقاة على كاهل النساء ، وبقدر قيام المرأة على شئون بيتها ورعايه زوجها وولده وأهله يكون تقدم الأمة ورفقها ، وبقدر تفریطها فى هذه المسئولية تكون الخسارة على بيتها وأمتها .

إن مكان المرأة فى المجتمع هو البيت والقيام على شئونه ، أما المصنع ، أما المعمل ، أما الديوان ، فكل ذلك لا يوائم فطرتها وضرره أكثر من نفعه إن كان فيه نفع ، وقد جارينا فى الخروج بالمرأة عن طبيعتها أمما أخرى لاتوافقنا فى بيئة ، ولا فى دين ، ولا فى تقاليد كريمة ، وهاهى اليوم تنن وتتوجع مما جره عليها اشتغال المرأة بغير شئون بيتها من مآس أخلاقية ،

وغير أخلاقية ومسئولية المرأة عن بيت زوجها وأهله تشمل مسؤوليتها عن : (١) زوجها
(٢) وعن أولادها (٣) وعن أهل زوجها .

مسئولية المرأة عن زوجها :

وإذا كان الإسلام قد جعل للنساء على الرجال حقوقا فقد جعل للرجال على النساء حقوقا ، وزاد للرجال على النساء درجة وهو حق القوامة عليها بحسن الإرشاد والتوجيه بهذا صمدع القرآن الكريم قال تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » [١] وقد جعل الإسلام حق الزوج على زوجته أعظم الحقوق وأجلها وذلك لما له عليها من أباد وآلاء ، ففي الحديث الذي رواه الترمذى بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » حديث حسن صحيح .

وقد سما الإسلام في باب بناء الأسر وإقامتها على أساس من التعاون ورعاية الحقوق ، بجعل رعاية الزوجة لزوجها وإحسانها إليه في العشرة جهادا ، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « جهاد المرأة حسن التبعل » - أى حسن القيام بحقوق البعل - أى الزوج . ويسمى الإسلام أيضا في الإيحاء إلى المرأة بالحرص على كسب ود زوجها ورضاه ، حيث جعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه لمرضاء الزوج في حدود المشروع سبيلا إلى دخول الجنة فيقول : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح ، وأعظم بدين يجعل رعاية حق الزوج جهادا وسبيلا إلى الجنة ! ويمكننا إجمال رعاية الزوجة لزوجها فيما يأتى : -

١ - رعاية حق الزوج في نفسها بأن تكون حصانا عفيفة ، فلا تمد طرفها إلى غير زوجها ، ولا تمكن أحدا من أن يطأ فراشه ، ولا تدخل البيت أحدا يكره الزوج دخوله وأن تكون رعايتها لحقوق زوجها في غيبته كرايتها له في حضرته بل أشد ، وعلى هذه الرعاية تتوقف الحياة الزوجية وسعادتها ، وبقاء هذه العلاقة الوثقى إلى الأبد ، وقد أثنى الله سبحانه في كتابه الكريم على هذا الصنف العفيف الأمين الحفيظ للأمانة والعهود بقوله : « الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من

أموالهم، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله» [١] . وقد بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه هذا الحق فقال في خطبته في حجة الوداع : « فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » رواه مسلم . وفي حديث آخر : « ألا إن لكم على نسائكم حقا، ونسائكم عليكم حقا، فحقم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحققن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

فأين من هذا الأدب الإسلامى العظيم في رعاية حرمة الزوج ما تفعله بعض النساء من طموح العيون إلى غير الأزواج ، وإلانة الكلام ثم تكون المواعدة واللقاء، وما تفعله بعض الزوجات من لقاء أصحاب الأزواج والأصدقاء وإدخالهم البيوت في غير حضرة الأزواج ، بل جازن الحد حتى عم السيل وطفح الكيل، فأقمن الحفلات الصاخبة المأجنة للصدقات والأصدقاء على غير رضا من الزوج بل على كره منه، ولا يملك الزوج الضعيف المسكين إلا السكوت والإذعان ، وإلا كان ما لا تحمد عقباه .

٢ - من رعاية المرأة لزوجها أن تكون مثالا للطهر والنظافة وعفة القول والتزهد عن القبيح قولاً وعملاً، وأن تحرص على أن لا تقع عين زوجها منها على ما يكره، وأن تكون له سميرة طائعة ما دام لم يأمرها بمنكر ولم ينهها عن معروف ، وأن تؤثر رضاه على هواها وشهوئها ومتعتها ، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء ديناً ودنيا فقال فيما رواه ابن جرير عنه : « خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك » . فلتحرصن أيتها النساء المسلمات الحريصات على رضا الأزواج أن تكن كما وصف رسول الله ، فإن ذلك أحرى أن يديم بين الأزواج المحبة والمودة ويوثق عرى الزوجية . إن الزوجة العاقلة المؤمنة يمكنها بحسن منطقتها وطهارتها خلقها وخلقها ولطف عشرتها أن تحول بين زوجها وبين الهروب من البيت وقضاء السهرات التي قد تكون بريئة في مبدأ أمرها ، ثم لا تلبث أن تسير سهرات صاخبة وغير بريئة .

٣ - من حق الزوج على زوجته أن تعفه وأن تعينه على أن يفيض بصره ويحصن فرجه بأن تملأ عينيه رواء وحسناً ونفسه سروراً وأنساً ، وأن لا تتأبى عليه إذا ما دعاها إلى فراشه ، وإلا عرضت نفسها لغضب الله ولعنة الملائكة وباعدت بين نفسها وبين

الجنة ، وفي الحديث الذى رواه الشيخان مرفوعا « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأتة فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » ، وفي رواية أخرى « والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساء خطا عليها حتى يرضى عنها » . وهذا أمر قد يظنه بعض الناس هينا ، ولـكـنـنا إذا علمنا أن كثيرا من الشرور والآثام ، تنجم عن التأبى على الزوج وعدم إرضاء داعى فطرته أدركنا بعد نظر الإسلام فى تشريعاته وتوجيهاته وإرشاداته ، وأن كثيرا من الانحرافات الزوجية ترجع إلى التفريط فى هذا الحق من جانب الزوج أو الزوجة وعدم إعفاف كل منهما الآخر ، ولحرص الإسلام على هذا الإعفاف قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد - أى حاضر - إلا بإذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه » متفق عليه .

٤ - ومن المسؤوليات التى ستحاسب عليها المرأة رعايتها لمال زوجها وما تحت يدها من معاش أو متاع ، والزوجة العاقلة المدبرة هى التى تراعى حال زوجها إعسارا ويسارا ، فلا ترهقه بما لا يدخل تحت طاقته ، وتراعى القصد فى معيشتها وفى ثيابها ومتاعها وزينتها ، وتتجنب قدر استطاعتها التبذير وإنفاق المال فى غير وجوهه المشروعة ، قصد التباهى والتفاخر بغالى الثياب وفانر الأثاث والرياش ، وفى هذا غفلة عن إرشاد القرآن الكريم حيث يقول : « ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا [١] » ويقول : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما [٢] » .

إن الزوجة العاقلة المؤمنة هى التى تنظر إلى من دونها فتشكر الله على ما أنعم عليها ، ولا تنظر إلى من فوقها فتزدري نعمة الله عليها ، ومن توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم السيدة فى هذا « انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم » متفق عليه .

والمرأة مؤتمنة على مال زوجها ، وليس لها منه إلا ما يكفيها وبنيتها بالمعروف ، من غير تقثير ولا إسراف ، وليس لها أن تلتهمز فرصة كثرة ماله ، أو اتهمنا عليه فتدروه ذات اليمين وذات الشمال على ملاذها وإرضاء نزعة الغرور والتفاخر المتسلطة عليها ، وإلا كانت آثمة فى حق زوجها ، وبحسبنا هذا اليوم وتمة الحديث عن مسؤوليات المرأة فى مقال آت إن شاء الله ما

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

عقائد الألوهية والربوبية كما قررها الإسلام

كانت شعوب العالم قبيل البعث الإسلامي ، قد ضلّت في عقائد الألوهية والربوبية ضلّالا بعيدا ، ولم يقف هذا الضلال عند حدود الأمم التي طغت عليها الوثنية بأضاليلها وأباطيلها ، بل جاوزها إلى الأمم التي كانت على صلة بشرائع التبيين والموسلين ، فقد امتدت أيدي قادتها الدينيين إلى كتب أنبيائهم ورسلهم ، خرفوا وبلّوا فيها بجهلهم وسوء طويّاتهم ، وافترّوا على الله الكذب في صفاته تعالى وأفعاله وشرائعه ، فشوّهوا بذلك توحيد أنبيائهم وشرائع رسلهم ، وبقي هذا الضلال مسيطرا على الشعوب في عقائدها وأعمالها ، حتى جاء الإسلام بهديه وإصلاحه ، فأصلح ما فسد من العقائد وما ضل من الأعمال ، وحرر الأفكار من أوهام الوثنية وخرافاتهما ، وردّ العقول الضالة إلى رشدها ، وأعاد توحيد النّبيين إلى أصوله الحقّة الخالصة ، وأرشد الضالّين والمنحرفين إلى ينابيعه العذبة الصافية .

ولقد هنى القرآن بتقرير عقائد التوحيد والتنزيه عنايه كبرى ، وجلاها للعقول في أساليب رائعة محكمة ، جمعت بين الإقناع العقلي والتأثير القلبي ، بما اشتملت عليه من القضايا العقلية والحقائق الوجدانية ، وما أودع الله فيها من الروعة البلاغية والقوة الروحية ، والإبداع في تجلّية الحقائق وتصوير المعاني ، فاستمع إلى القرآن بعقلك ووجدانك ، وهو يقرر عقائد الألوهية والربوبية .

تارة بتوجيه العقول إلى مساح الفـكر في عوالم السموات والأرض ، وما فيها من الآيات الواضحة والدلائل القاطعة ، على أن لهذه العوالم صانعا خلقها بعد أن لم تكن ، إذ كان الله في الأزل موجودا ولا موجود معه ، فأحدث العوالم إظهارا لقدرته وحكمته ، وتعريفا بجلاله وعظمته ، وتنوينا بسلطانه وقهره ، كما في قوله تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » . « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » . « وفي الأرض آيات للوقنين ،

وفي أنفسكم أفلا تبصرون » . « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » . « ويربك آياته فأى آيات الله تنكرون » . وهكذا خاطب القرآن العقول والأفهام ، وأيقظ الحواس والمشاعر ، وعرض عليها روائع النظم السكونية وبدائع السنن الإلهية ، لتتخذ منها كتابا تشهد فيه عجائب الملك والمملوك ، وتقرأ في صحائفه سنن الله في الخلق والتدبير ، وتطالع في سطوره آثار قدرته ودلائل وحدانيته .

فوجود الكون على هذا النظام البديع المحكم ، دليل قاطع على وجود خالقه ومبدعه ؛ لأنه إذا كان المشاهد في مصنوعاتنا وأنظمتنا ، أنه لا يمكن أن يخرج منها شيء إلى ساحة الوجود ، ولا أن يكون في وجوده بديع الإتقان والإحكام ، مستكملا لعناصر الوجود ووسائل البقاء ، إلا إذا كان صادرا عن صانع ماهر صنعه وأحسن صنعه ، ومنظم خبير نظمه وأحكم تنظيمه ، فكيف يستقيم في حكم العقل ومنطق الحق ، أن يوجد هذا الكون على اختلاف عوالمه وأنظمتها الهائلة ، بغير صانع قادر صنعه بقدرته ، ومبدع حكيم أبدعه بحكمته وإرادته ، وحى قيوم يقوم بحفظه وتدبير أمره ، اللهم إن الحق واضح جلي ، ووجودك يا ربنا ماثل في كل شيء أمام العقول ، والإحساس بعظمتك كامن في أعماق النفوس ، والشعور بجلالك منبث في شغاف القلوب وحنايا الضلوع ، ولكن أكثر الناس ضلوا طريق الهدى وهو على كثر منهم ، وإلنف العادة أنساهم دلائل الآيات وهي محيطة بهم ، يشاهدونها في كل لحظة وهم عنها غافلون ، وتطالعههم بدلائلها في كل آونة وهم عنها معرضون ، كما قال تعالى : « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

والنظر في عالم الكون وبدائعه ، هو أقرب طريق لمعرفة جلال خالقه وعظمته ومبدعه ؛ فإن الإنسان إذا ما نظر لنفسه ، وهي أقرب مجال إلى فكره كيف خلقه الله من نقطة أخرجها من بين الصلب والترائب ، وجعلها في قرار مكين إلى وقت معلوم ، وأجرى عليها أطوارا مختلفة من الخلق والتكوين ، ثم أنشأ خلقا ناميا وإنسانا ناطقا ، وإلى الأرض التي يمشى في مناكبها ، كيف جعلها الله فراشا ومهادا ، وسلك فيها سبلا بخاجا ، وأحكم جوانبها بالجبال الرواسي ، وأجرى فيها العيون والأنهار ، وأنبث فيها زرع والأشجار ، وقدر فيها الأقوات والأرزاق ، وإلى السماء كيف أحكم الله بناءها ، ورفعها بغير عمد نراها ، وإلى الشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل

إذا يغشاها ، وإلى السكواكب في نألقها وإشراقها ، وهى تسبح في أفلاكها ومداراتها ، وتسبح بحمد خالقها ومبدعها ، « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون ، ٣٦ : ٤٠ » أو تدبر قول الله جل جلاله « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » وأخذ يسائل نفسه عن مدى عظم هذه المواقع ، التى أقسم الله بها وأعظم شأن القسم بها ، ويناجيها بجلال خالقها وعظمة صانعها ، إذا هدى الإنسان إلى كل هذه الأنظار أو إلى بعضها ، فحدث بما شئت عما يثمر هذا النظر الروحى ، من نور لعقله وحياة لقلبه ، وتجاوب مع أحاسيسه ومشاعره ، ومعرفة يقينية بجلال الله وعظمته ، وإحاطة علمه وبكال قدرته ، وإيمان راسخ بوحدانية الله فى ألوهيته وربوبيته وكل ذلك ممكن بل واجب أن يكون ، متى حسنت النيات وصالحت القلوب ، وسلمت النفوس من غلبة الجهل وطغيان الهوى ، وتحجرت العقول من رِق التقليد الأعمى ، واتجهت فى تفكيرها وأحكامها ، الاتجاه الذى يطلب الحق وينشد السكال ، ويستجيب لوحى الفطرة والوجدان ، وينحضع لسلطان الحجّة والبرهان ، واسكن القلوب العليلّة ، والبصائر المدخولة ، والأهواء المتحركة ، هى التى تحجب نور الحقائق الفطرية ، وتكدر صفو المعارف الوجدانية ، وتعكس الحقائق والأوضاع ، وتطمس معالم الحق ، وتوجب اختلال قوانين الفكر وموازين الحكم ، وهى التى اجتالت كثيرا ممن عنوا بدراسة العوالم الكونية وخواصها ، ووقفوا على كثير من نواميسها وأسرارها ، وغفلوا عن عظمة خالقها ومبدعها ، فتذكروا للأديان السماوية والعوالم الغيبية ، بل كلما توسعوا فى الدراسات الكونية والعلوم الطبيعية ، كلما أوغلوا فى مجاهل الإلحاد وإنكار الألوهية والربوبية ، وهم لغرورهم وافتتانهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، كما قال تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فخببط أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا » .

وتارة يلفت العقول إلى تفرد تعالى بصفات الألوهية وشئون الربوبية ، وما فى ذلك التفرد من الدلائل القاطعة ، على أنه تعالى هو الله الذى لا إله غيره ولا ربّ سواه ، وقد قرر القرآن هذه الحقائق فى آيات كثيرة ، وعرضها على العقول فى معرض القضايا التى لا تحتاج إلى أدلة تقام عليها ، لأن لها من دلالة الحس وشهادة الفطرة والوجدان ، ما يقوم فى مواقف الحجاج والإلزام مقام الحجّة والبرهان ، كقوله تعالى فى بيان تفرد

بالخلق والإيجاد، والتقدير والتدبير: « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ». « ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين » .

« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض » فالله جل جلاله ، هو الذى خلق كل شيء فقدره تقديرا معلوما ، ودبر أمره تدبيرا محكما ، وبيده مقاليد السموات والأرض ، بجميع العوامل الكونية قائمة على سنن معينة ، وأنظمة إلهية محكمة ، وكلها سائرة بتدبيره وتصريفه ، وجارية على أحسن الوجوه وأكملها ، وأبدع النظم وأعدلها ، ومشمولة بعين العناية الإلهية التى تلاحظ كل شيء فى الوجود ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون » « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل فى كتاب مبين » .

وكقوله تعالى فى بيان تفرد به الملك والمملوك ، والعزة والجبروت ، والسلطان والقهر ، وعموم الإرادة ونفوذ المشيئة ، « قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » « وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » .

فالله جل جلاله ، هو مالك الملك وحده ، وله الخلق والأمر ، وإليه المرجع والمآب يقدر الأمور بعلمه وحكمته ، ويصدرها بإرادته وقدرته ، ويصرفها بتدبيره ومشيئته ، لا يعارضه معارض ، ولا يمانعه ممانع ، إذ ليس معه سبحانه إله يعارضه أو يمانعه كما قال عز شأنه « قل لو كان معه آلهة كما يقولون ، إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذا لذهب كل إله بما خلق ، ولعل بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » فكل الكائنات فى قبضة قدرته ، وخاضعة لسلطانه وقهره ، وجارية بقضائه وقدره ، ومحكومة بتدبيره ومشيئته ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فلا يخرج عن مشيئته لفظة ناظر ، ولا يند عن إرادته لمحة خاطر ، أراد فى الأزل وجود هذه المخلوقات ، وقدر لوجودها الحدود والأوقات ، فوجدت فى أوقاتها كما أراد فى أزله ، وجاءت

في حدودها كما سبق في علمه ، فيا من فتنتم بعلومكم وفلسفتكم ، ويا من خدعكم التقليد الأعمى في عقائدكم ، حكوا عقولكم وأفهامكم ، وراجعوا ضماثركم وسراثركم ، « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون ، ١٠ : ٣٢ » .

هذا ولم تقف عناية الإسلام بأمر التوحيد عند تقرير أصوله وعقائده ، بل حاطه بسياج من الاحتياط في الاعتقاد ، والتحفظ والاعتدال في البحث والنظر ، وسد على الوهم والخيال منافذ التشبيه ومساالك الزلل ، فبين أنه تعالى قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وتعالى ذاته العلية عن الإحاطة والإدراك ، وتنزهت صفاته القدسية عن المشابهة والمثالة ، كما في قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » . « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » « ليس كمثل شيء وهو السميع البصير » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وإن الملائكة الأعلى ليطالبونه كما تطلبونه أتم » . « تفكروا في مخلوقاته ولا تتفكروا في ذاته » . فأقصى ما تستطيع العقول إدراكه هو صفاته تعالى وأسمائه الحسنى ، وغاية ما تدركه الأبصار هو مظاهر هذه الأسماء والصفات ، التي تتجلى في بدائع الموجودات وروعة الكائنات .

بهذه الحقائق الصادقة بالحق ، والقضايا الناطقة بالصدق ، والدلائل التي تكشف عن القلوب ظلمة الجهل وغمة الشك ، وتبلغ بها النفوس في المعرفة درجة الرسوخ العلمي والذوق الوجداني ، وتصعد بها في الإيمان إلى مرتبة الإذعان النفسى واليقين القلبي ، وبهذا المنهج الاستدلالي القرآني ، الذي يجعل مجال النظر والفكر سهلا ميسرا ، وطريق الوصول إلى معرفة الله قريبا معبدا ، قرر الإسلام عقائد التوحيد والتنزيه ، وجلاها للعقول في روعة الحق وجلال الصدق ، وطهر القلوب من أوضار الوثنية والشرك . وحرر الإنسان من رق الأوهام والخرافات ، ورفع شأنه وأعلى مكانته ، وجعله عزيزا كريما في نفسه ، وعبدا خالصا لربه ، لا يظهر بمظهر العبودية إلا لخالقه ، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لله الواحد القهار .

بسمي سور بلعم طه

المفتش بالأزهر

سابق الفرس الى الاسلام

سلمان الفارسي

الفطر السليمة تهتدى إلى الحق بهداية الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، قال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » فكل من تجرد عن تأثير البيئات وتلوث ما انحرف من النحل أو الديانات اهتدى إلى الحق وعرف الله صانع هذا الخلق ، وقد كانت الكتب السماوية ولا سيما التوراة والإنجيل قبل أن يحرفهما الذين كفروا من بنى إسرائيل ، تدل على نبينا أصدق دلالة وتنص على الإسلام نصا لا يحتمل خلافا ولا مكابرة ، وكان الذين أوتوا الكتاب كما وصف الله سبحانه يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون .

كان هذان العاملان إذن : (سلامة الفطرة ودلالة الكتب السماوية) مما جمع الله لرجل فارسي ، تتضافر كتب السير والأخبار على ذكر قصته ؛ بما يبين للناس أن الدين إذا قوى داعيه في النفوس ، وأن الهداية إذا حلت في بعض القلوب ، فما وراء ذلك من أهل ومال ووطن إن هو إلا متاع تافه حقير ، لا يملأ فراغ النفس ، ولا يحل عندها محل الإيمان بالرب ، والتعلق به في كبريائه ومجده ، هاتفة بدعاء الفطرة الخالد وضراعة القدسية المساجدة : « إياك نعبد وإياك نستقيم . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين » .

كان سلمان الفارسي عبدا من أهل فارس ، أنعم الله عليه وجعله مثالا للترفين من أبناء الأغنياء ، الذين ربوا في أحضان النعيم حتى لا يبطرهم الغنى ، ولا يصددهم الترف عن سبيل الحق ، كان أبوه يحبس في داره كما تحبس الجوارى ، وعلمه المجوسية فأوغل فيها حتى بلغ مبلغ السادن على النار ، لكنه تلجج بالفطرة واتمس لنفسه ما هو أولى بالاتباع ، مما يختلف الناس فيه « والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » . فإذا قيل إن الغنى مطاوعة وسبيل مفسدة ، فعنى ذلك أن النفوس السقيمة تزاد به فسادا ، فأما النفوس السليمة فبحال أن يصددها عن سبيل الله شيء مهما كان فيه من إغراء . إن في قصة سلمان لعبرة لكل عاقل

وتبصرة لكل باحث ، فهو مفهوم في طلب الحق ، زاهد منصرف عما يتنافس فيه الأشقياء من مال أو جاه ، مشفق على نفسه أن يزيغ في طريق الضلال ، ويتنكب بها عن صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض .

نسب سلمان :

سلمان كما قلنا رجل فارسي سمى الإسلام كذلك (سلمان) وكان اسمه قبل الإسلام (مابه) ابن بودخشان بن مورسلان بن يهبوذان من نسل آب الملك الفارسي ، وكان كما قلنا مجوسيا سادنا للنار ولما أسلم وقيل له انتسب قال : (أنا سلمان ابن الإسلام) ومن شاء أن يقف عند ذلك الجواب وقفة ، فإن له أن يجد العبرة من قوة هذه النفس السالمانية الرفيعة ، وعظمتها الخالدة ، وكذلك النفوس السكريمة تسخر بكل اعتبار عرفي ماعدا الحق والحكمة ، وتهزأ بكل معنى دنيوي تتنافس عليه صغار النفوس ، وما كان ضرر سلمان لو أنه انتسب حتى انتهى إلى (آب الملك) الفارسي ، وقد كان للولك من الفرس في نفوس العرب روعة يجدونها منذ حكمهم على بلادهم وتصريفهم لشئونهم ، ولكن الإسلام الذي محاضاؤه كل اعتبار ، أشرب نفس سلمان ، وخالط اللحم والدم والعصب فرآه المجد الحقيقي ، والشرف الإنساني ، ولهذا هجر به كل ما عداه من معاني هذه الحياة فهو ابن الإسلام يتأدب بأدبه ، يأخذ نفسه بماأخذه ويتربى في أحضانه ، ولا يعرف حياة مع غيره مهما تكن تلك الحياة .

كيف أسلم سلمان :

قصة عجيبة يرويها رجال الأثر ، وينقلها ابن الأثير ، وغيره من نقلة التراجم ورجال السير بالأسانيد المختلفة تلتقي عند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني سلمان أنه كان رجلا من أهل فارس من أصبهان ، من قرية بها تسمى (جس) وكان أبوه دهقان [١] أرضه ، وأنه كان أحب الخلق إليه وأنه أجلسه في البيت كالجواري ، فاجتهد في المجوسية حتى كان في النار التي توقد فلا تخبو [٢] ، وأن أباه كان صاحب ضيعة ، وكان له بناء يعالجه فقال له يوما : (يا سلمان قد شغلني ما ترى فانطلق إلى الضيعة ولا تحتبس فتشغلني بهمى بك) قال سلمان : (نخرجت لذلك فمررت بكنيسة للنصارى وهم يصلون

[١] رئيس المزارعين أو رئيس الانليم . [٢] صرحت بعض الروايات أنه كان سادنا لها .

فلما أتى إليهم ، وأعجبني أمرهم وقلت هذا والله خير من ديني ، ثم أقمت عندهم حتى غابت الشمس لا آتى الضيعة ، ولا أرجع إلى أبي ، فاستبطأني وبعث الرسل في طلبي (ولما عاد سلمان إلى أبيه قص عليه أمره وقال له : إن دين هؤلاء خير من ديننا . فقال : يا بني : دينك ودين آبائك خير من دينهم ، وهنا وقفة مع القارئ الكريم نبين فيها كيف سجل أحد هذين الرجلين (الأب وابنه) على نفسه الخيبة والخسران ، والويل والحerman ، على حين أبي الثاني منهما إلى أن ينجو من ظلمة الكفر ، ويسلم من براثن الطغيان والإثم ، ولو شاء الثاني لكان كالأول ، ولو شاء الأول لكان كالثاني ، ولكنه التقليد وأنكاله ، والتحرر واستقلاله ، فأبو سلمان مكبل في أنكال التقليد ، جامد على ما ترك الآباء من دين ، فهو يأبى أن يفتح في أمره أو النظر فيه ، وأما سلمان فإنه رجل يأبى إلا الالتماس للحق وطلبه ، وإلا النظر ونشدان الهدى حيثما كان ، وكذلك الحق والباطل من قديم الزمان ! وهل فرق بين المسلم والكافر ، وميز الحق من الباطل إلا التحرر من القيود ، ولين الجانب لكتابة الحق أينما كانت ، ومع من كانت أو الخروج على ذلك ، وفي القرآن الكريم دراسات سامية ، توضح هذا المعنى وتجليه لمن صفت نفسه ، وفسح أفقه وليس المجال اليوم مجالها فليطلبها من شاء هنالك .

ثم يطرد سلمان في قصته فيقول : إنه رد على أبيه ما يقول ، نخافه أبوه وقيده حتى لا يتصل هؤلاء النصارى فيفتنوه عن دينه ، لكنه احتال فاتصل بهم ، وسألم أن يعلموه إذا أراد أحد أن يسافر إلى الشام التي هي أصل هذا الدين حتى يسافر معه إلى هناك ، فلما أخبروه بالركب المسافرين فك القيد الذي قيده به أبوه وألقاه ، ثم سافر على بركة الله ، وفي بلاد الشام سأل عن عالمها فدل على الأسقف ، فصحبته وأخذ عنه حتى مات ، ثم صحب خليفته وأخذ عنه حتى مات ، ثم سافر إلى الموصل بوصية من الأسقف الثاني ، فقد كان أوصاه أن يذهب إلى أسقف هناك يعلم ذلك الدين ، وهذا الموصل أوصاه قبل موته برجل من عمورية فبقى معه واتخذ غنيمة وبقرات ، ولما حضرت منيته قال له سلمان أوصني فقال له : « لا أعلم اليوم أحدا على ما كنا عليه ولكن قد أظلك نبي يبعث بدين إبراهيم مهاجرة (مكان هجرته) بأرض ذات نخل وبه آيات وعلامات لا تخفى ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فان استطعت فتخلص إليه » .

ولنا هنا أيضا تعليلة تلفت بها نظر القارئ إلى ما عرف من أمر النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكتابين ومعهم الكهان ، فقد كثرت الحديث عنه ولا سيما حين أظلم زمنه

ولا غرو فهو شيء كانوا (يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) . « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين ، بلسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين . وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا تؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم » .

ذلك حكم الله سبحانه في قوم من حسدة العلماء اليهود ، يسجل به عليهم بغيتهم وحسدتهم ، وينعى عليهم تناقضهم واضطراب أخبارهم .

فأما المنصفون منهم ، وأما المنصفون من النصارى ، فقد آمنوا به فآتاهم الله أجرهم مرتين ، ومن شاء فليطالع كتب السير ؛ ليرى كيف اطرده التبشير به من الأخبار والرهبان والسكهان .

فأما سلمان فقد حرص على أن يظفر به ، وأن يلزم غرضه ، فما هو إلا أن مر به ركب من العرب في طريقهم إليه فأغرامهم باستصحابه ، بذل لهم ما يملك من غنم وبقر إن حملوه . فأخذوه معهم وباعوه من يهودى بالقرب من المدينة ، وما أظلم الإنسان ! أهذا جزاء الإحسان استرقوه بغير حق ، وباعوه وكانوا ظالمين ! ولما حسن عند سلمان كل ما يقرب من هذا النبي ويصل بأسبابه ، ثم كان أن بقى سلمان عند اليهودى فحاء يهودى آخر من بنى قريظة فاشتراه وقدم به المدينة فعرفها بصفتها وفرح برؤية نخبائها ، وقوى أمله في أن يهديه الله إلى النبي المبعوث ! بقى إذا سلمان مع ذلك اليهودى بالمدينة يعمل في نخل له حتى كان ذات يوم في رأس نخلة فسمع يهوديا آخر يقول لصاحبه : أى فلان : قاتل الله بنى قبيلة (الأوس والخزرج) ! صررت بهم آنفا وهم مجتمعون على رجل منهم من مكة يزعم أنه نبي ! قال سلمان : فما هو إلا أن سمعته حتى أخذ منى القر ، ورجفت بى النخلة حتى كدت أسقط ، ثم نزلت أسأل صاحبي عن الخبر فـلـكنى لسكة ، وقال : ما أنت وذاك ؟ أقبل على شأنك ! وقاتل الله الاغتراب والمهانة ، ولكنه صبر المؤمن الذى يجرى وراء أنفـس غاية قدرها قدرها واحتمل كل ما يلقي في سبيلها ، والعاقبة للمتقوى ... قال سلمان : فلما أمسيت جمعت شيئا فأتيته به وهو بقاء بين أصحابه ، فقلت هذا شيء اجتمع عندي ، أردت أن أتصدق به فبلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحابك ذوو حاجة ، فأريتكم

أحق به ووضعت بين يديه، فكشف يده وقال لأصحابه : كلوا ، فأكلوا ، فقلت هذه واحدة ، وأراد سلمان أنه لم يأكل من الصدقة فكان مصداقا لواحدة مما قال الأسقف . قال سلمان : ثم تحول من قباء إلى المدينة ، فجمعت له شيئا فأتيته به ، فقلت أحبيت كرامتك فأهديت لك هدية وليست بصدقة ، فأكل وأكل أصحابه فقلت هاتان اثنتان . ثم أتيتهم وقد تبع جنارة وحوله أصحابه فسلمت وتحولت أنظر الخاتم في ظهره فعلم ما أردت فألقى رداءه فرأيت الخاتم فقبلته وبكيت ! فأجاسني بين يديه فحدثته بشأني كله كما حدثتك يا ابن عباس ، فأعجبه ذلك وأحب أن يسمعه أصحابه ، ثم فاتني معه بدر وأحد بسبب الرق ، فقال لي : كاتب يا سلمان عن نفسك [١] قال سلمان فلم أزل بصاحبي (اليهودي) حتى كاتبته على أن أغرس له ثمانية ودية [٢] وعلى أربعين أوقية من الذهب - وهنا نذبتك إلى أدب الإسلام في معاملة الناس ، وإيثار الحسنى وحفظ الحقوق للآخرين ولو كانوا أعداء الإسلام ، فلو شاء النبي صلى الله عليه وسلم لحرر سلمان ولم يبال بهذا اليهودي ولا احترام استرقاقه ، ولا سيما أنه على غير أساس صادق ، لأن سلمان لم يكن رقيقا بموجب شرعي ، ولكنها مسالة الإسلام والأسوة الحسنة في رسوله صلوات الله عليه ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك مع سلمان مسلك التعاون الإسلامي واكتتب له من (ودي) إخوانه من الصحابة ، فكان منهم من يعين بالخمسة ، ومنهم من يعين بالعشر ، ومنهم غير ذلك ، فلما اجتمع له ما طلب صاحبه من النخل قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « نقر لها يا سلمان ولا تضع منها شيئا حتى أضعه بيني » . فوضعها النبي صلى الله عليه وسلم كلها فوالذي بعثه بالحق ما ماتت منها واحدة . وانظر أيها القارئ إلى ذلك السمو في التواضع النبوي والنفس الرضية الزكية نفعا لله وإياك بانباعها ، ولكن بقي الذهب على سلمان فهل يتركه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ؟

كلا : لم يتركه صلوات الله وسلامه عليه ، ولكنه انتظر فرصة لإتمام مهمة سلمان ، فبينما هو قاعد إذ أتاه أحد أصحابه بمثل البيضة من ذهب ، فقال ادع سلمان المسكين الفارسي

[١] المكتبة في الإسلام أن يشتري العبد نفسه من سيده بمال أو مقسط ، وهي مندوبة في الإسلام ، ويرى بعض الأئمة وجوبها وذلك لشدة حرص الإسلام على حرية الناس ، وقد جعل الله للمكاتب نصيبا مفروضا من مال الصدقة في قوله سبحانه « إنما الصدقات للفقراء . . . وفي الرقاب الآية » .

وراجع كتاب الوحي المحمدي للسيد رشيد رضا ص ١٦٤ .

[٢] هي النخلة الصغيرة تنقل من مكانها لتفوس في غيره .

المكاتب فقال : أذهذه فقلت : يا رسول الله : وأية تقم هذه مما على ؟ ولكن الله باركها فأدت عن سلمان ونجما من الرق ، وخلص لله وحده ولدعوة الحق ، فكان أول مشاهدته غزوة الخندق وقطع علاقته بما سوى الله ورسوله ، واندج في خير أمة أخرجت للناس يأمرهم بالمعروف ، ويمنعون عن المنكر ، ويؤمنون بالله . أفهكذا أم ضياع بوذ خشان وعقاره ؟ وما يغني عنه ماله إذا تردى ؟ .

منزلة سلمان وأثره في الإسلام :

أسلم سلمان في السنة الأولى من الهجرة ، وهو في سن كبيرة حتى قيل إنه من المعمرين قد حنكته الأيام وأحكمت التجارب ، وتعاقبت عليه الدول فأخذ الإسلام بقوة عجيبة ، وأخلص له إخلاصا يبادل قوة رغبته ، وتهالكه عليه وتضحياته التي مرت بك ، ففض عليه بالنواجذ وضم معارفه إلى ما أخذ من قبل ، وكان أول موقف له مشهود في أول غزوة شهدها وهي غزوة الأحزاب التي حارب فيها اليهود قبائل العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما غاظهم أمرهم واستحكم بينهم دين المسلمين ، وقويت شوكتهم ، وصادف ذلك هوى من العرب ولا سيما قريش ، فأجمعوا أمرهم على أن يفنؤهم وينقضوا عليهم من داخل المدينة وخارجها ، وكان الخطر الداهم والبلاء اللازم . لولا فكرة هذا الفارسي وميكته لدعوة الحق ، نعم إنها هي التي أنقذت الإسلام ضمن الأسباب السكونية والجند الحفية التي ينصر الله بها عباده المرسلين ليباغ أمره . قد جعل الله لكل شىء قدرا .

أشار سلمان بحفر الخندق في شمال المدينة ، وكانت الجهات الأخرى محصنة بالجبال والنخيل والأبنية . وكان موقفا أعجب به المسلمون جميعا فتنازع كل من الأنصار والمهاجرين سلمان كل يقول : « سلمان منا » فتوجه النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التاج الذي يكافئ ما قدم للإسلام من تضحيات ، وما حفظ للمدينة في أهلها وما تضم من عصاة الإسلام ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت » وهي قضية جديرة أن تكون عامة لكل من تمسك بهذا الدين ، فآل النبي كل تقى ، من أطاع الله فهو من النبي ، ومن عصاه فليس منه ، ولو كان منه « إنه ليس من أهلنا لأنه عمل غير صالح » ولكن مزية سلمان ما سجل لشخصه بالنص عليه ، ولا سيما بعد أن تنازعه طائفتان من المسلمين كل تدعيه لنفسها ، وقد كان من آثار ذلك الخندق الجليل أن طول أمد الحصار على

القوم المعتدين ، وهم في اغتراب عن أوطانهم ، فحذف الله في قلوبهم الرعب ، وكان ما فصله سبحانه في سورة الأحزاب . ورجع الكفار بخيبة الأمل وقد خسروا ما خسروا من مال وعتاد ورجال ، ثم لم يفكروا في غزو المدينة بعد ذلك الخندق الذي منع المدينة وحصنها تحصيناً جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اليوم نغزوهم ولا يغزونا » .

ثم لم يتخلف سلمان عن مشهد بعد الخندق ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي الدرداء [١] ، وقد أقاما بالمدينة في مدرسة النبوة يأخذان العلم والحكمة ، ثم تقلبت بهما الأحوال بعد ذلك بما لا يفصله التاريخ ، ولكنهم يقولون : إن سلمان كان أميراً على المدائن في عهد عمر بن الخطاب فعمله هنالك بموطنه الأول فقضى حقه بالدعوة إلى الله التي أخذت عليه كل شيء وزهدته في كل شيء ، وقالوا إنه كان يرى هنالك (بالمدائن) وهو في أشد مظاهر التقشف والزهد في الدنيا ، وأنه كان يلبس الصوف ويأكل خبز الشعير ويركب الحمار بلا إكاف .

رحم الله سلمان : لقد كان من خيرة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كان من زهادهم وفضلائهم كما كان أخوه أبو الدرداء . وكان من الصف الأول عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى روى عن عائشة رضي الله عنها كان لسلمان مجلس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كاد يغلبنا عليه ، فما ظنك برجل يريد أن يغلب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ما ظنك برجل يشهد له علي بن أبي طالب فيقول فيما يرويه ابن الأثير في أسد الغابة قال : سئل علي عن سلمان فقال : علم العلم الأول والعلم الآخر ، وهو بحر زاهر ، وهو منا أهل البيت .

ونقل ابن الأثير أنه سكن العراق وأن أخاه أبا الدرداء سكن الشام فكتب أبو الدرداء إلى سلمان يقول :

سلام عليك : أما بعد ، فقد رزقني الله بعدك مالا وولدا ، وسكنت الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان يقول :

[١] عويم بن عامر الأنصاري الخزرجي كان من أفاضل الصحابة وعلماهم وحكائهم ، روى عنه أنس بن مالك وعبد الله بن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين تأخر إسلامه فلم يجهد بدرا ، وشهد أحدا وغيرهما من المشاهد ، توفي بدمشق سنة ٣٣٠ هـ .

سلام عليكم . أما بعد : فانك كتبت إلى أن الله رزقك مالا وولدا ، فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد ، ولكن الخير أن يكثر حلمك ، وأن ينفعك علمك ؛ وكتبت إلى أنك نزلت الأرض المقدسة ، وإن الأرض لا تعمل لأحد . إعمل كأنك ترى . واعدد نفسك من الموتى :

وكان عطاؤه خمسة آلاف فاذا خرج عطاؤه فرقه وأكل كل من كسب يده ، وكان عمله سف الخوص (سف الخوص نسجه) هكذا كان مذهب سلمان ، وهكذا انتهى علم سلمان وحكمته إلى احتقار الدنيا وتهذيب النفس ، وإتقان العمل ، وتقدير الأمل ، وهكذا يكون المؤمن العارف المتحقق .

وتوفي سلمان في خلافة عمر وزعموا أنه عمر إلى ثلثمائة وخمسين سنة ، قال العباس ابن يزيد : قال أهل العلم : عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة ، فأما مائتان وخمسون فلا يشكون فيه . ولكن ليت شعري ، هل كان أبوه من المعمرين فقد رأيت أنه فارقه وقد أظله زمن النبي صلى الله عليه وسلم ؟

ثم ذكروا أنه خلف ثلاث بنات واحدة بأصبهان ، واثنين بمصر ، ولم يذكروا لنا ما أقامهما بمصر ، أذهب سلمان بهما إلى هنالك ؟ أم لعلهما تزوجتا فكان زوجاهما بمصر ! هذا ما استطعنا أن نظفر به من أمر سلمان في مراجعته مما يعني القارئ وينفعه ، رحم الله سلمان وجعل لنا في ذكرى الصالحين خير عبرة ما

محمود النواوي

« استدراك »

في الجزء الماضي

السطر ١٢ من صفحة ٥٩٥ (الصواب) : « ويتبع غير سبيل المؤمنين ... الخ الآية الكريمة » .

السطر ٢٢ من نفس الصفحة (الصواب) : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ... الخ الآية الكريمة » .

[ما عدا هاتين الآيتين الكريمتين ، نترك تصويبه لفضيلة القارئ الكريم] .

شيخ الأزهري السابق :

السيد محمد الخضر حسين

١٢٩٣ - ١٣ رجب ١٣٧٧

هذا رجل آمن بالإسلام ودعوته ، وأحب من صدر حياته أن يكون من الذين قال الله سبحانه فيهم : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون » .

إن الاستقامة على طريق الله بعلم وحزم وحكمة ويقين هي الولاية ، فإذا تعارضت مصلحة الدين ومصلحة الدنيا أمام الرجل المسلم ، فآثر مصلحة الدين على مصلحة الدنيا ، ومضى على ذلك في تصرفاته كلها مدى الحياة ، فهو من أولياء الله ، أى من أنصاره . والولاية هي النصر ، وقد جرت سنة الله أن يأخذ بأيدي أوليائه وينصرهم ما نصرهوا ودعوته وسنته في الأرض . وهذه المرتبة في متناول يد كل من رامها من شبابنا وكهولنا وشيوخنا إذا آلى أن يجعلها وجهته في مراحل الحياة . وسأتحدث في هذه الصفحات إلى إخواني من شباب المسلمين وكهولهم وشيوخهم عن مراحل حياة هذا الرجل المؤمن بالإسلام كما راقبتها فيه أو علمتها منه من سنة ١٣٣٠ إلى أن اختاره الله إليه .

ولد السيد محمد الخضر حسين عام ١٢٩٣ في بلدة نفطة من بلاد الجريد في الوطن التونسي . وأبوه من أسرة شريفة أصلها من الجزائر ، وقد حدثني قبل ولايته مشيخة الأزهر عن ظهير من أحد ملوك المغرب الأدارسة إلى جده من جدد الشيخ يتلقى بنسبهم . وأرجو ممن صارت إليهم أوراقه أن يعنوا بما فيها من أمثال ذلك ليستعان بها في تدوين سيرته ، وإرسال شعاع من نور على الأزمان التي عاشها في مراحل حياته .

وكانت أمه من صالحات النساء ، وله فيها قصيدة (بكاء على قبر) لما بلغه خبر وفاتها سنة ١٣٣٥ . وكان أبوها الشيخ مصطفى بن عزوز من أهل العلم والفضل ، له ترجمة

في تاريخ الوزير أحمد بن أبي الضياف ، وأبو جده لأمه محمد بن عزوز من الأفاضل أيضا وله ترجمة في كتاب (تعريف الخلف برجال السلف) للشيخ الحفناوى بن عروس .
وخاله السيد محمد المسكى بن عزوز من كبار العلماء الصالحين ، وكان موضع الإجلال والاحترام من رجال الدولة العثمانية في العهد الحميدى ، وقضى الشطر الأخير من حياته في الآستانة برغبة من السلطان ، وله مؤلفات معروفة . ولفقيدنا قصيدة في تأبينه ووصفه لمناسبة وفاته سنة ١٣٣٤ أثبتنا في ص ١٨٠ من ديوانه في طبعته الثانية .

وفي سنة ١٣٠٥ انتقلت أسرهم من نفطة إلى العاصمة التونسية ، وكان فقيدنا في الثانية عشرة من حياته ، وقد تأدب قبل ذلك بأدب الإسلام ، وتلقى كتاب الله ومبادئ العلوم الشرعية والعربية . فلما نزلوا تونس التحق بجامعة الأعظم (جامع الزيتونة) ، وأخذ يتنقل في مراحل التعليم ، وكان من أبرز شيوخه العلامة الكبير الشيخ سالم بو حاجب المتوفى سنة ١٣٣٩ رحمه الله . ولفقيدنا أبيات في وصفه وروثائه هي في ديوانه (ص ١٠١) .

وحوالى سنة ١٣٣١ حصل على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ، وما لبث أن أصدر مجلته (السعادة العظمى) ، وأخذ يساهم في النهضة العلمية والأدبية ، ويبارى رجالها لإحراز قصبات السبق طمعا في مرضاة الله . وفي ديوانه (ص ٧٣) قصيدة نظمها في هذه الحقبة انطوت على روح الدعوة التي أنشأ هذه المجلة للقيام بها .

وفي سنة ١٣٣٤ تولى قضاء بلدة بنزرت ومنطقتها .

وفي مساء ١٧ ربيع الآخر من تلك السنة ألقى محاضرة عنوانها (الحرية في الإسلام) في نادى قدماء خريجي المدرسة الصادقية بلغت ٦٤ صفحة ، ودلت على نزعة المبتكرة إلى الحرية ، وفهمه السليم لرسالة الإسلام من هذه الناحية .

ولم تطل مدة ولايته القضاء ، لأن الجمع بينه وبين انطلاقه الفكرى في بلد محتل بالاستعمار الملون كان محاولة للجمع بين الضدين ، لذلك رأيناه في سنة ١٣٣٧ عاد مدرسا في جامع الزيتونة ، ولعله فارق القضاء قبل تدريسه في الزيتونة فتولى التدريس قبل ذلك في المدرسة الصادقية ، وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة في الوطن التونسى كله .

وفي مساء السبت ١١ شوال سنة ١٣٣٧ ألقى في نادى الجمعية الخلدونية بتونس محاضرة عنوانها (حياة اللغة العربية) تحدث فيها عن أطوار هذه اللغة ، وفصاحة مفرداتها ،

وحكمة تراكيبها ، وتعدد أساليبها ، وما تفردت به من إعجاز الإيجاز ، وبدائع التشبيه ، وارتقاء مستوى اللغة بارتقاء تمدن العربى . وتحدث عن العامية والعربية والفصحى .

وفى ديوانه (ص ٢٣) قصيدة نظمها سنة ١٣٢٨ بعد ولايته القضاء والتدريس يوجه بها أنظار القارئ على جامع الزيتونة إلى ضرورة العناية بتدريس الإنشاء وتمارين الزيتونيين عليه ليكون للوطن من علماء هذا المعهد الإسلامى كتاب بارعون يؤدون مهمة الدعوة ويقودون الأمة إلى أهدافها .

وفى تلك السنة سرت بتونس بعثة الهلال الأحمر العثمانى قاصدة طرابلس الغرب بعد حملة البنى الإيطالى عليها ، فنظم قصيدة يدعو فيها إلى معونة هذه البعثة وإعانتها (وهى فى الديوان ص ٣٣) .

وفى السنة التالية (١٣٢٩) وجهت إليه التهمة بئس روح العداء للغرب ولا سيما سلطة الحماية الفرنسية ، فسافر إلى الآستانة متذرعاً بزيارة خاله السيد محمد المسمى ابن عزوز ، ولما ظن أن الزوبعة هدأت عاد إلى تونس بطريق نابولى (انظر ديوانه ص ١١٥ و ١٦٤) ، ولما استقر به المقام رأى أنه لن يطبق البقاء فى ذلك الجوّ الخانق ، فأزمع الهجرة منه نهائياً ، ووقع اختياره على دمشق ليتخذها وطناً ثانياً له ، وقد مر بنا فى مصر فى هذه المرة (سنة ١٣٣٠) وسعدت بالتعرف به ، واجتمع عندى بشيخنا الشيخ طاهر الجزائرى وأحمد تيمور باشا والسيد رشيد رضا وأضرابهم ، وكنت وقتئذ أعمل فى قلم تحرير المؤيد .

ولما وصل إلى دمشق كانت الحركة العربية فى بدايتها ، وكانت الأمة تطالب الحكومة العثمانية بأعطاء اللغة العربية حقها من التعليم فى المدارس الرسمية ، فعين السيد محمد الخضر حسين مدرساً للعربية فى المدرسة السلطانية بدمشق ، وكانت سكة الحجاز الحديدية متصلة فيما بين دمشق والمدينة المنورة فنزار المسجد النبوى سنة ١٣٣١ ، وله فى هذه الزيارة قصيدة فى الديوان (ص ١٠٦) .

وفى هذه الفترة زار تونس ، وفى ديوانه من ذكريات هذه الزيارة أبيات فى ص ١٢٦ و ١٣٤ .

وذهب فى هذه المدة إلى الآستانة ولقى وزير حريتها أنور باشا ، واختير الشيخ محمداً عربياً فى وزارة الحربية .

وكان في هذه الحقبة قد عرف دخيلة الحال في الدولة ، وأصيب بخيبة أمل بين ما كان يتصوره بعين الخيال وبين ما رآه بعين الحقيقة ، فنظم في سنة ١٣٣٢ أبياتا بعنوان « بكاء على مجد ضائع » تجدها في ديوانه ص ٦١ ومنها :

أدمى فؤادي أن أرى الـ أفلام ترسّفت في تيود
فهجرت قوما كنت في أنظارهم بيت القصيد
وحسبت هذا الشرق لم يبرح على عهد الرشيد
فاذا المجال كأنه من ضيقه خلق الوليد

وفي سنة ١٣٣٣ أرسله أنور باشا إلى برلين بمهمة رسمية ف قضى في ألمانيا تسعة أشهر اجتهد في خلالها أن يتعلم الألمانية . وفي ديوانه قطع كثيرة مما نظمها هناك . ومن ذلك أنه كان في قطار بضواحي برلين يرافقه مدير الأمور الشرقية بوزارة الخارجية الألمانية ، وكان يتحدث مع شاب ألماني باللغة الألمانية ، ثم أقبل مدير الأمور الشرقية على الشيخ وقال له : أليس هكذا يقول ابن خلدون إن العرب أبعد الناس عن السياسة ؟ فنظم الشيخ في هذه الحادثة أبياتا يقول فيها :

عذيري من فتي أزرى بقومي وفي الأهواء ما يلد الهذاء
سلوا التاريخ عن حكم تملت رعاياه العدالة والرخاء
هو الفاروق لم يدرك مداه أمير هنز في الدنيا لواء

وأدركه عيد الفطر في برلين ، فقال :

يوم عيد وما تفتق كم عن أنيس ولا كسم الخياط
أين جيراننا وأين المصلى وخطيب يهدى لخير صراط
لو تقاضيت في اغترابي أمرا نهضت همتي له ونشاطي
لأدرت العنان نحو دمشق وحدثت السرى على الأشواط

وعاد إلى الآستانة ، فوجد أن خاله الشيخ المكي بن عزوز قد توفي بها قبل قدومه بنحو شهرين ، فرثاه بما في الديوان (ص ١٨٠) ، ثم ضاقت به العاصمة العثمانية على سمعتها ، وصرفه عنها وعن عظمتها يومئذ ما كان يشعر به من الشوق إلى دمشق ، حتى تمكن من الوصول إليها والاستقرار فيها . غير أنه ما لبث أن ناله شواظ من شرور

السفاح الجسكيزى أحمد جمال باشا الذى لم يسلم فاضل من شره ، فاعتقل فى رمضان سنة ١٣٣٤ وكان فى زنزانة واحدة هو والأستاذ سعدى بك الملا ، الذى تولى رياسة الوزراء اللبنانية بين الحريين العالميتين ، وكانت جريرة سعدى بك الملا أنه كان سكرتيرا لشكرى باشا الأيوبي من كبار رجال الجيش العثمانى الذين أنجبتهم الشام ، أما شكرى باشا فكان تحت التعذيب الأليم الذى يذكر الناس بديوان التفتيش الكاثوليكي فى إسبانيا ، ومن شعر السيد محمد الخضر حسين فى هذا الاعتقال :

جرى سمر يوم اعتقلنا بفندق ضحانا به ليل ، وسامرنا ردى
فقال رفيقى فى شقا الحبس : إن فى الحضارة أنسا لا يقاس به أنس
فقلت له : فضل البداوة راجح وحسبك أن البدوليس به حبس

وأكبر ظنى أنه كان لأنور باشا دخل فى إنقاذ شيخنا من قبضة جمال باشا ، فما كاد يفرج عنه ويخرج حتى أزمع السفر إلى الآستانة ، وما كاد القطار يسير به حتى قال (وهى فى الديوان ص ١٢٦) :

أردد أنفاسا كذات الوقود إذ رمتنى من البين المشت رواشق
وما أنت مثلى يا قطار وإن نأى بك السير تغشى بلدة وتفارق
فألك تلقى زفرة بعد زفرة وشملك إذ تطوى القلا متناسق

ولما بلغ الآستانة أوفده أنور باشا سنة ١٣٣٥ للمرة الثانية إلى ألمانيا ، ف قضى فيها زمنا طويلا ، وعاد إلى الآستانة ، ثم إلى دمشق ، فتولى التدريس بالمدرسة السلطانية مرة أخرى بقية سنة ١٣٣٥ ثم فى سنة ١٣٣٦ ، وفى هذه المدة شرع فى دراسة كتاب (مغنى اللبيب) فى علم العربية لجمال الدين ابن هشام (٧٠٦ - ٧٦١) بحضر جماعة من أذكىاء طلاب العلم بدمشق ، وكان يرجع فى تقرير المسائل المتصلة بالسمع والقياس إلى تلك الأصول المقررة والمستنبطة ، فاقترح عليه أولو الجلد من الطلبة جمع هذه الأصول المتفرقة ليكونوا على بيئة منها ساعة المطالعة ، فألف مقالات تشرح حقيقة القياس وتفصل شروطه وتدل على مواقفه وأحكامه ، ومن هذه المقالات تألفت رسالة (القياس فى اللغة العربية) التى أعاد عليها نظره بمصر ، ونال بها عضوية جماعة كبار العلماء ، وقبنا بطبعها سنة ١٣٥٣ .

وفي سنة ١٣٣٧ ذهب إلى الآستانة ، وكانت الحرب العالمية الأولى في نهاياتها ،
والحالة في دولة الاتحاد والترقي مؤذنة بالزوال ، فتوجه إلى ألمانيا ، وقضى هناك
سبعة أشهر ؛ وكانت عودته منها في هذه المرة إلى دمشق رأسا وهو يقول (الديوان
ص ٢٠٠) :

سمت ، وما سمت سوى مقامى بدار لا يروج بها بيانى
فأزمنت الرحيل ، وفرط شوقى إلى بردى تحكم فى عنانى
هلم حقيبتي لأحط رحلى فنفخ زهور جلق فى تدانى

ووافقت هودة الشيخ إلى دمشق دخول الجيش العربى وولاية فيصل بن الحسين
على سوريا ، وفيها اجتمعت بالشيخ مرة أخرى بعد عودتي من الججاز لأتولى الجريدة
الرسمية للحكومة السورية ، وكنت أقوم بتأسيس المعهد العلمى ، وأدير اللجنة الوطنية العليا
مع المجاهد الكبير العلامة الشيخ كامل القصاب رحمه الله ، فكنت ألقى الشيخ الفقيه
مرارا ، ومن شعره يومئذ متصجرا من كثرة أسفاره السابقة ، ومتمنيا الاستقرار فى دمشق
المدينة التى أحبها ، والأبيات فى الديوان (ص ٤١) :

أنا كأس الكرم والأرض ناد والمطايا تطوف بى كالسقاة
كم كثوس هوت إلى الأرض صرعى بين كف تدبرها واللهامة
فاسمحي يا حياة بى لبخيل جفن ساقيه طاف بسبات

وأراد الله أن يقع الاحتلال الفرنسى ، فعدت أنا إلى مصر على الإبل بى أعرابى ،
وبقى الشيخ فى دمشق على أمل أن يعود إلى تونس فيكمل حياته فيها ، ولكن الله أراد له
المحاق بنا إلى مصر فى العام التالى (١٣٣٩) . وله فى ذلك موشحة لطيفة فى الديوان
(ص ١٤٥) وقال عند سفره من دمشق (الديوان ص ١٦٠) :

كأنى دينار وجلق راحة تنافس فى الإنفاق راحة حاتم
فكم سمحت بى للرحيل ، وليتنى ضربت بها الأوتاد ضربة لازم

وفى مصر أخذ يشغل بالكتابة والتحرير والدرس . وفى سنة ١٣٤٠ ألف رسالته
(الخيال فى الشعر العربى) . وبعدئذ كسبته دار الكتب المصرية فالتحق بقسمها
الأدبى عدة سنين ، ثم تجنس بالجنسية المصرية ، وتقدم للامتحان فى الأزهر فقام على

امتحانه لجنة برئاسة العلامة الشيخ عبد المجيد اللبان ، وكانت اللجنة كلما اكتشفت آفاق علمه زادت في التعمق بمناقشته واستخراج كنوز فضله ، وأصبح بعدئذ من أكل أساتذة هذا الصرح العلمى العظيم فى عصور الإسلام الطويلة ، وإن تلاميذ الشيخ صاروا فحول العلماء وأطواد التحقيق فى الشريعة وعلموم العربية . وإن كثيرين منهم كانوا يرغبون فى القيام بواجب الكتابة عن فضله وأياديه الكريمة فى التحقيق وتخريج الرجال ، فلما علموا أنى سأكتب عنه تخلوا لى - حفظهم الله - عن هذه المهمة لما يعلمونه من طول خلطى به وقديم صداقتنا التى أعز بها وطالما أفدت منها .

وفى سنة ١٣٤٢ أسس (جمعية تعاون جاليات إفريقية الشامية) وسن لها قانونا قمت أنا بطبعه .

وفى سنة ١٣٤٣ مرض مرضا شديدا ردد صداه فى شعره (الديوان ٢٦) ومنه :

أطل على الموت من خلل الفنا فآنست وجه الموت غير كئيب
ولو جس أحشائى نخلت بنانه وإن هال أقواما بنان طيب
فلا كان من عيش أرى فيه أمتى تساس بكفى غاشم وغريب

وفى سنة ١٣٤٤ ظهر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) ، وكان السيد محمد الخضر صديقا حميا لآل عبد الرازق ويزورهم ويسر بلقائهم ، فلما كاد الكتاب ينتهى طبعه ، وكان لا يعرف مذهب مؤلفه فيه ، طلبوا منه أن يمدهم بعناوين كبار العالم العربى والإسلامى ليهدوا الكتاب إليهم ، فطلب الشيخ هذه العناوين منى ، وكتبت له بها قائمة طويلة ، ثم صدر الكتاب وأهدوا نسخة منه إلى الشيخ ونسخة أخرى لمجلة الزهراء التى كنت أصدرها ، فراعنا من الكتاب أنه ينكر كون الإسلام دين حكم ، فانتقدته أنا فى مجلة الزهراء ، وكتب الشيخ على مقالة افتتاحية فى جريدة السياسة يجيب بها على نقدى ، وتفورغ فقيدنا لنقض الكتاب فقرة فقرة ، وفى أقرب وقت صدر كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) وفى شهر واحد نفدت طبعته لشدة الإقبال عليها .

وفى السنة التالية (١٣٤٥) افتضحت رسالة (فى الشعر الجاهلى) فعكف الشيخ على نقض كل ما فيها من باطل ، وصدر كتاب (نقض كتاب فى الشعر الجاهلى) وبقيت بقية من آخر أقلام استعمالها فى تأليفه ، فأهداها إلى خزانة العلامة أحمد تيمور باشا ، وكتب أبياتا فى بطاقة ربطها ببقية القلم (وهى فى الديوان ص ٨١) وهى :

سفكت دمي في الطرس أنمل كاتب وطوتني المبراة إلا ما ترى
 ناضلت عن حق يحاول ذو هوى تصويره للناس شيئا منكرا
 لا تضربوا وجه الثرى ببقية منى كما ترمى النواة وتزدرى
 نخزانة الأستاذ تيمور ازدهت بحلى من العرفان تبهر منظرا
 فأنا الشهيد وتلك جنات الهدى لا أبتغى بسوى ذراها مظهرا

وفي سنة ١٣٤٦ أسسنا المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وكان الفقيد مع تيمور باشا رحمهما الله ركنين ركنين في تأسيسه ، وقد عبئت لذلك يومئذ كل شخصيات المناصرة للإسلام من شباب وكهول ، فكان تأسيس تلك الجمعية نقطة تحول بين تيار العداء للإسلام باسم التجديد ، وبين قيام كان مرموق للإسلام في وادي النيل .

ولما تم النجاح في هذا العمل الحميد ، تفرغ فقيدنا لتأسيس جمعية الهداية الإسلامية فضمت أهل الغيرة والنشاط من شباب الأزهر وشيوخه ، ومن نهج منهمجهم من المثقفين ثقافة مدنية . وكما صدرت لجمعية الشبان مجلة صدرت لجمعية الهداية مجلة . وكما قامت لجمعية الشبان فروع في الأقطار قامت للهداية فروع مثلها .

وفي محرم سنة ١٣٤٩ صدرت مجلتنا هذه (الأزهر) وكان عنوانها يومئذ (نور الإسلام) فتولى فقيدنا رئاسة تحريرها من جزئها الأول إلى ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ ، وفي سنة ١٣٥٠ عاوده مرض مزيج أثار فيه خواطر شعرية تراها في ص ٤٢ من ديوانه .

وواصل - رحمه الله - السنين المباركة في حياته بعد ذلك في التدريس بكلية أصول الدين على طريقة العلماء الأقدمين في التحقيق ، والرجوع بقضايا العلم إلى أصولها ، والغوص في أعماقها . ويقضى الليالي في محاضرة جماهير الشباب وأهل الفضل بدار جمعية الهداية الإسلامية داعيا إلى تجديد حيوية الإسلام في نفوس أهله ، وتقرير حقائقه بأساليب بليغة كانت موضع الحزمة والتقدير من جميع الطبقات ، وقد نشر بعضها مستقلا أو على صفحات مجلة الهداية الإسلامية ، ثم جمع الكثير منه في كتابه (وسائل الإصلاح) الذي طبع في ثلاثة أجزاء .

وعند ما أسس المجمع اللغوي كان من أقدم أعضائه ، وله فيه بحوث وقصائد ودفاع عن الفصحى ، وتبيان لأسرارها وعرض لجواهرها .

وما زال مستمرا في التأليف والخطابة والوعظ في الهداية الإسلامية والتدريس في الحلقات العليا بالأزهر . وفي سنة ١٣٦٦ صدرت مجلة لواء الإسلام ، وعهد إليه برياسة تحريرها ، وظل يواصلها بجوئه إلى آخر حياته المباركة .

وفي سنة ١٣٧٠ نال عضوية هيئة كبار العلماء برسالة (القياس في اللغة العربية) التي ألف أصلها وهو في دمشق أيام الحرب العالمية الأولى .

وفي يوم الثلاثاء ٢٦ من ذي الحجة ١٣٧١ (١٦ سبتمبر ١٩٥٢) خرج من مجلس الوزراء أثناء انعقاده ثلاثة من أعضاء ذلك المجلس فتوجهوا إلى المنزل الذي كان يسكنه الشيخ في شارع خيرت ، وعرضوا عليه مشيخة الجامع الأزهر باسم حكومة الثورة ، وجاء الشيخ إلى مشيخة الأزهر وللأزهر في ذهنه رسالة يتنى لو اضططع بها الأزهر ليطمئنه بها حمل أمانة الإسلام .

وكان هذا الاختيار تحقيقا للاخوة الإسلامية في الدستور الإسلامي ، وبرهانا من الله أنه وجل على أن من كان مع الله كان الله معه ، وعلى أن من عاش يؤثر الآجلة على العاجلة عند اختلافهما فإن الله يكافئه بخير مما يطعم فيه الذين يؤثرون العاجلة على الآجلة .

ولما أضعفته الشيخوخة عن مواصلة الاضطلاع بحمل هذه الأمانة عاد إلى منزله يواصل العكوف على المكتب والكتابة والتفكير ، حتى لقد نظم ديوانا آخر كله مقطعات في الحكمة والخواطر التي تحوم حول الحق والخير .

وفي يوم ١٣ رجب مساء اختاره الله إليه وهو لا يزال على عهد الأول من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فكان جديرا بما وعد الله به أمثاله أن تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . وفي ظهر اليوم التالي صلى عليه بعد الفريضة في الجامع الأزهر ، ومشى في موكب جنازته علماء الأزهر وأعيان الأمة والمنسبون إلى العلم حتى بلغ النعش باب الخلق والموكب متصل فيما بينه وبين الأزهر ، ودفن بجوار صديقه أحمد تيمور باشا بوصية منه ، رحمهما الله وصالحى المسامين وتغمدهم برحمته .

حج الدين الخطيب

رجل عظيم

ويزيده عظما وقدرا أنه يعرف قدر العظيم

ما كنت أحسب وأنا أنعى إليه شيخنا وإمامنا الراحل ؛ وقد أسلم الروح إلى بارئها ، إلا أنه يحاملني بكلمة عزاء تمر كما يمر غيرها من الكلام . . . ولكن ما كان أعظم دهشتي حينما فزع واسترجع ! ثم أخذ يلقي على درسا في تقدير العظماء الراحلين : درسا خليقا بأن يسجل ويروى في تاريخ الخالدين .

كانت بين الشيخين خصومة في بعض مسائل العلم ، ولكنها كانت خصومة نبيلة كريمة ، من قبيل « الخصومة بين الأكابر » تلك التي سجلنا نماذج من طرازها الأول في المجلد الخامس والعشرين .

وكان من أدب فقيدها الراحل - تغمده الله برحمته - أن يسجل مسائل الخلاف بينه وبين خصمه في مقال أو رسالة ، ثم يأتي عليها بالحجة الساطعة والبيان الناصع ، في أمانة من النقل ، وعفة من القول ، هما المثل الأعلى لمن يتبغى الإنصاف والحق ، من أعدل طريق وأمثله .

* * *

ويقرأ خصمه الرد عليهم في مقالاته وكتبه ، وكلهم أوجلهم من علية القوم وأكابر الكتاب ، فيعجبون للأدب الرشيد والقول السديد ، والحجة البالغة ، والعلم المصنفى ، والحكم البصير النافذ ، الذي يتقدمه الإخلاص والإيمان ، ويصحبه العدل والإحسان ، فيخشع له كل عالم وأريب ، ويهابه كل دفع أو تعقيب !

* * *

لكن النبلاء من خصمه ، يفيدون من ذلك النبع الفياض ، والأدب العالى

الرفيع ، ثم بنوهون به في حياته ، ويدعون إلى التخلق به بعد وفاته ، وكذلك فعل « الرجل العظيم » .

كانا عضوين بالمجمع اللغوي إلا أن « إمامنا » كان أسبق ، إذ كان ركنا من أركان المجمع منذ أنشئ ، وكانا عضوين في جماعة كبار العلماء ، إلا أن « عظيمنا » كان أسبق منذ بضع سنين . . .

فلما تقدم إمامنا إلى عضوية الجماعة ، ظن من لا يعرفون « الرجل » أن الفرصة قد هيئت للوقوف في طريق خصمه . . . لكنها كانت مفاجأة كريمة حاسمة ، أن زكاه الخضم النبيل وهو يقول : إن من لا يزكي السيد الخضر في عضوية الجماعة ، فأنما يلغى عقله ، أو يسقط نفسه ، أو قال كلمة نحوها ! !

فلما قضى الله قضاءه ، واستأثر شيخنا برحمته ، هنأني « الرجل » بكلماته هنأ وهو يدعو إلى التأسى به ، حتى كأن المسرة كانت ترتجف من هول ما أصابه ، أو من عظمة ما يقول ! !

* * *

أما بعد ، فإن أهمك أن تعرف « الرجل » فحسبك أنه يشغل مركزا اجتماعيا خطيرا ما خلا منصباً أزهريا كبيرا ، فإن لم تعرفه بعد ذلك ، فحسبك درس عظيم ، من رجل عظيم ، في إمام كريم ، عاش في الله ، وجاهد في الله ، ثم مات في الله ، ورحل - بأذن الله - إلى الرفيق الأعلى « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

طه محمد السكاك

الجمهورية العربية المتحدة

وليدة إرادة الشعب العربي

إن الجمهورية العربية المتحدة وليدة إرادة الشعب في كل من مصر وسوريا ، ولذلك فإن من الطبيعي أن تعم الفرحة ، ويسود الابتهاج أرجاء البلاد العربية عامة ، لأن الجميع يشعرون ويؤمنون بأن هذه الجمهورية تمثل رغباتهم وأمانهم ، وتحقيق حلمهم الذي طالما حنوا إليه .

رشيد كرامي

رئيس وزراء لبنان الأسبق

قيام الجمهورية العربية المتحدة

وانتخاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر أول رئيس لها

فضيلة الأستاذ الأكبر يهنئ السيد الرئيس جمال عبد الناصر
برئاسة الجمهورية العربية المتحدة

يطيب لى اليوم أن أهني سيادتكم باجماع الشعب على تأييد قرار الوحدة وعلى
اختياركم أول رئيس للجمهورية المتحدة .

والأزهريون وهم جند العروبة المخلصون يفخرون بتحقيق هذه الأمنية العزيزة ،
ويعتزون بقائدهم الذى اجتمعت له القلوب بالمحبة والتأييد لماله من أصالة الرأى وصدق
الوطنية وكال الإخلاص للواجب ، والتفانى فى خدمة العروبة .
سدد الله خطاكم ، وجمع قلوب العرب على كلمة الحق ، إنه ولى التوفيق .

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

ويهنئ نخامة السيد شكرى القوتلى بقيام الجمهورية العربية المتحدة .

كما أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر إلى نخامة السيد شكرى القوتلى البرقية الآتية :

نخامة الرئيس شكرى القوتلى قصر القبة القاهرة

يسرنى أن أبعث إلى نخامتكم بالتهنئة الخالصة ، بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة ،
التي كانت ثمرة جهودكم المتواصلة وتضحياتكم الرائعة ، راجيا لفخامتكم دوام التوفيق
وللشعب العربية الرفعة والعزة .

شيخ الجامع الأزهر

رد السيد الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة على برقية فضيلة الأستاذ الأكبر

أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة إلى السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر البرقية التالية :

تلقيت ببالح السرور برقيتكم بمناسبة إعلان الجمهورية العربية المتحدة التي ستكون حصنا منيعا للعروبة وسبيلا نهضة العرب . والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير للأمة العربية .

وذلك ردا على برقية فضيلته السابقة :

الأزهر ووحدة مصر وسوريا

أرسل علماء الجامع الأموي الكبير بدمشق تهنئة إلى الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر بوحدة مصر وسوريا ، وأشادوا فيها بدور الأزهر في دعم هذه الوحدة ، وقد رد عليهم فضيلته بخطاب شكر جاء فيه : إن أولى الناس بالاعتزاز بهذا العمل المجيد هم أولو العلم ، الذين يقدرّون هذه الخطوة المباركة حق قدرها ، ويحرصون كل الحرص على أن ينضوى تحت لوائها كل عربي مؤمن بعروبتة ، مخلص لوطنه ، وإن أجدر العرب بالمبادرة إلى دعم هذه الوحدة هم إخواننا السوريون الذين رفعوا ألوية الوحدة على أطراف الدولة الإسلامية آمادا طويلا .

وبين فضيلته أن الأزهر الشريف ظل دائما حصنا منيعا لدعوة الحق ، ومناورا عاليا يشع نوره في جنبات الأرض ، ويضم في ساحته الرحبة كل محب للثقافة الدينية من أبناء العروبة والإسلام ، في مساواة تامة ، وأخوة صادقة ، ويهيئهم تهيئة صحيحة للاضطلاع بمهمتهم النبيلة في ميادين العلم والثقافة الوطنية .

كما تلقت مشيخة الأزهر من الكليات والمعاهد الدينية والهيئات المختلفة ، سيلان من البرقيات وخطابات التهنة بوحدة مصر وسوريا ، والآمال الكبيرة التي يملؤها العرب

والمسلمون على قيام الجمهورية العربية المتحدة ، كما وردت من الخارج بهذا الخصوص برقيات ورسائل من جهات متعددة ، كان من أبرزها تهنئة من علماء الجامع الأموي الكبير بدمشق التي سبقت الإشارة إليها ، وأخرى من الاتحاد الدولي للطلاب في براغ .

وقد رد فضيلة الأستاذ الأكبر على هذه التهنئة مشيدا بالروح الطيبة التي تحس بجلال هذا العمل المجيد ، ناصحا بالعمل المتواصل لدعم هذه الوحدة ومساندتها للوصول إلى الغاية المرجوة من وراء أكبر حدث في تاريخ الأمة العربية الحديث .

بيان من مشيخة الأزهر

بمناسبة الاستفتاء على قرار الوحدة بين مصر وسوريا

وانتخاب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

شيخ الأزهر وعلمائه : يهيبون بجميع المواطنين في سوريا ومصر أن يتوجهوا إلى لجان الاستفتاء عن قرار الوحدة بين القطرين العربيين الشقيقين ، وانتخاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة .

وهم على ثقة تامة بأن إيمان الشعب بهذا العمل الجليل ، وحاجته الأكيدة إلى وحدة تجمع الشمل ، وتنضم الجهود ، تحت قيادة رشيدة حكيمة ، كفيلان بحرص المواطنين جميعا على أداء هذا الواجب الوطن نحو أكبر حدث في تاريخ العرب الحديث ، ذلك الحدث الذي توج كفاح الشعبين الكريمين ، بقيادة زعمائهما المخلصين الذين جعلوا مجد العرب نصب أعينهم ، وبذلوا في الوصول إليه كل ما يملكون من جهود وتضحيات ، جديرة بالتقدير والالتفاف حولهم ، ومساندتهم للوصول بالوطن الواحد ، إلى ما يريدون له من عز ومجد وسؤدد .

حيا الله الأمة العربية وحيا زعماءها الأحرار ، ووقفنا جميعا إلى ما فيه خير الوطن وعزة العروبة .

كلمة فضيلة الاستاذ الاكبر

بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة

إن قيام الجمهورية العربية المتحدة ، التي تضم مصر وسوريا ، وتجمل من دولتيهما دولة واحدة عظيمة ، ومن شعبيهما أمة واحدة قوية لهُو من أجل النعم التي يجب أن تعطى حقها من الشكر ، بحسن رعايتها ، والاحتفاظ بقوتها .

هو أكبر حدث في تاريخ الأمة العربية الحديث ، قد توج به كفاح الشعبين العظيمين تحت قيادة زعمائهما الأحرار ، الذين آمنوا أصدق الإيمان بحقهم ، وأخلصوا أعظم الإخلاص لقضية عروبتهم ، وجاهدوا أشق الجهاد وأمره ، للوصول إلى ما هو جدير بهذه الأمة من عزة وسيادة ، ومجد وكرامة .

وإن هذا العمل السياسي الخطير ، لهُو بشير أمل كبير ، في مستقبل سعيد باهر ، ينتظر الأمة العربية كلها ، وسيتحقق به هذا الأمل المنشود بحول الله وقوته . ذلك لأنه عمل نابع من قرارة الإيمان ، منبعت عن صدق إخلاص وصحة وجدان ، فهو ترجمة للفكرة الأصيلة ، والعقيدة الراسخة ، التي يعمر بها قلب كل عربي ، عليم بما تقاسيه الشعوب العربية وتعاينيه ، من جراء تدابير الفتنة ، ووسائل التفرقة ، التي كان يحكيها ويحبك أطرافها الاستعمار البغيض .

إن هذه الوحدة المباركة التي جمعت بين سوريا ومصر ، ليست عنصرا غريبا طارئا على كيان الشرق العربي ، فإن جامعة الدين والدم واللغة والتاريخ قد ربطت بين أهل هذا الشرق من قديم الزمان برباط قوى متين ، وجعلت منهم في دهور طويلة دولة قوية ، كان يهتز لها العالم كله رغبا أو رهبا . ولم يضعف شأن هذه الدولة إلا عندما وقفت تدابير السوء ضدها ، وبرزت أفاعي الشر وأفاعيل الحقد والحسد في طريقها ، وعمل الاستعمار جاهدا على تفريقها أحزابا وشيعا ، وتمزيقها دويلات وإمارات .

نعم ولكننا لم تفقد حيويتها ولم تمت فيها روح المقاومة ، بل ظلت تكافح وتقاوم بما كان يتنهاى لها من وسائل المقاومة والكفاح .

وكان أهم ما يعوزها في هذا الكفاح الطويل لتستعيد حريتها ، وتسترد مكانتها هو القائد البطل الخبير الذي يحسن التوجيه ويعرف كيف تكون القيادة الحازمة الحكيمة التي تسلك بالأمة إلى مستقر الأمن والعزة والحرية .

وقد أراد الله الخير لشعبى سوريا ومصر ، فقيض لسوريا البطل الشيخ شكرى القوتلى وقيض لمصر البطل الشاب جمال عبد الناصر . تألفت روحهما وتوافق إيمانهما وإخلاصهما واجتمعا على قلب رجل واحد ، وذلك حيث كان قد اكتمل في الشعبين العظيمين تفاعل قوى الإيمان بالوحدة ، واليقين بالعزة في اجتماع الكلمة ، والشعور بضرورة العمل في صف واحد ، لإحياء تراث العرب ، واستعادة مجد العروبة وعزتها وقوتها .

وقد انبثق بفعل هذه العوامل القوية الشريفة بخر الوحدة ، وتكونت الجمهورية العربية من الشعبين الكريمين . أمة واحدة تؤمن بالخير وتدعو إليه ، وتبغض الشر وتعمل للقضاء عليه ، أمة غايتها من اتحادها بعد طول جهادها وكفاحها ن تعيش عزيزة كريمة ، وأن تؤيد كل من يعمل لعزة الشعوب وكرامتها ، واللهولى التوفيق يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ما

تحية وتقدير

إلى الشيخ الوقور ، والبطل المجاهد ، المواطن الأول في الجمهورية العربية المتحدة ،
نخامة السيد شكرى القوتلى :

بعثت المجد للعرب اتحادا	وخلدت العروبة والجهادا
بنيت لهم وأعليت العمادا	بعزم يصنع العرب الشدا
فوحدهم ، وثق عراهم	فذب الغاب يأكلنا فرادى
	عبد الحكيم الجوهري

وليد ميمون

الجمهورية العربية المتحدة

فى اليوم الثانى عشر من رجب سنة ١٣٧٧هـ الموافق الأول من فبراير سنة ١٩٥٨م، تخض الزمن عن أكرم وليد فى تاريخ العرب ، وهو الجمهورية العربية المتحدة ، تلك الجمهورية التى امتزج فيها الشعبان العربيان السكريم ، الشعب السورى والشعب المصرى ، وأصبح القطران قطرا واحدا ودولة واحدة ، وقد قرت بذلك أعين المحبين وتميزت غيظا قلوب الحاقدين الشائئين .

ولقد تظاهرت على تكوين ذلك الوليد عوامل حاول السكاتبون أن يتقصوها ويتعرفوا قريبها وبعيدها ، وذكروا أن الاتفاق فى الأهداف بين الشعبين كان من العوامل القوية فى وحدتهما وتكوين الجمهورية المتحدة ، وأن اشتراكهما فى الآلام التى صرت بهما على أيدي المستعمرين والمسيطرين كان من تلك العوامل ، وكذلك وحدة الجنس واللغة والدين والماضى التاريخى ، وقال بعض ممن يزعم استبطان الحقائق : إن استهداف القطرين لخطر المستعمرين والمتآمرين هو العامل الأهم فى ميلادها ، ومهما تكن هذه الأفهام من الواقع فإن الحقيقة التى نؤمن بها ولا يخامرنا فيها ظل من الشك أن فى مقدمة العوامل وأهمها ، وأغربها فيما ترى أعيننا ، تضحية الزعيم السورى شكرى القوتلى ، فقد فدى برياسته وزعامته وجاهه ومظاهره مصلحة العرب وشعوب العرب والقومية العربية ، وما قرأنا فى تاريخ الزعامات والرجال مثل هذه التضحية والإيثار ونكران الذات . والذى قرأناه أن أكثر الزعماء كانوا يفدون أمجادهم الشخصية بمصالح الشعوب وأجنادها ، ولا غرابة ، أن تتحقق بتلك التضحية أحلام الشعوب العربية ، وأن تقوم الوحدة بين الشعبين السورى والمصرى بمثل هذه السرعة التى لم تعهد فى تاريخ الدول .

لقد استقبل الشعبان المصرى والسورى مولد الجمهورية العربية المتحدة فى احتفالات قل نظيرها من قبل ، ولم تكن تلك الاحتفالات مظاهر اصططنعها الشعبان فى الأغاني والأناشيد والأعلام والبنود ، واسكنها كانت مسرات وابتهاجات انبعثت من القلوب

والوجدانات فانطلقت بها الألسنة هتافات مصورة معبرة ، شاملة لا تقف عند حد ، ولا تقصر دون غاية .

لقد هلّل المصريون وكبروا ، وفرحوا وابتهجوا كما يفرح السكهل بوحيدة ، يدخره للهام والأحداث الجسام ، ويعتزبه عضدا وعونا على الأيام ، وكذلك المصريون والسوريون ينتظرون من هذه الوحدة تعاونا وتبادلا وتكافلا في المصالح الداخلية ، وينتظرون منها حماية واطمئنانا وأمنا وسلاما من الأحداث الأجنبية .

لقد سارت خطوات تلك الوحدة موفقة سريعة لم تتعثر ولم تتعوق : فقد كان حادياها الإخلاص للعرب وللقومية العربية ، ولم تشبها الأغراض ولا الغايات الشخصية ، وكان حادياها أيضا رغبة الشعبين في حياة حرة كريمة ، لا تتحقق إلا بتكافل القوى وتضافر الجهود واجتماع القلوب ، وسارت موفقة أيضا إذ لم تقف دونها مكاييد المستعمرين ، ولأنها كانت ثمرة جهاد طويل بذل الشعبان فيه من الدماء والأرواح ما وعاه التاريخ .

لقد قال شكري القوتلي إثر توقيع ميثاق الوحدة : « إننا بإعلاننا وحدة الجزأين العربيين الغاليين ، والقطرين المجاهدين المناضلين ، وطننا واحدا في جميع مرافقه وشئونه بلا تفریق ولا تمييز ، وبلا تحديد وبلا تحفظ ، إننا لم نأت بمجديد ، بل إننا نصحيح أوضاعا ونعيد لها إلى أصولها ، ونتجه بذلك كل الاتجاه مع حقيقة الأمة العربية ، وحقيقتها كانت وما زالت وستبقى إلى الأبد حرة ووحدة .

وإنى لعلى إيمان راسخ بأن الأجزاء العربية إذا وعت وتحورت ، تعارفت واثلتفت وتجمعت فتلاقت ، فالألفة هي الأصل ، والحرية للعرب أمر محتوم لن تستطيع أكف الإنسان العاقي مهما اصطنعت لنفسها من قوى الشر أن تغير قليلا أو كثيرا من أقدار الأمة العربية ، من أجل هذا أرانى واثقا كل الوثوق أن وحدتنا القومية هذه نواة ستكبر وتنمو ، وخطوة في صميم الواقع العربي ستتلوها خطوات ، ولقد فتحنا نوافذنا للشمس ، وصنعنا صفحات للآجيال القادمة في أفضل طريق للتحرر والوحدة » .

لقد كان ميلاد الجمهورية العربية المتحدة حدثا تاريخيا فذا ، معناه أن العرب أمة واحدة ، وأن العربي في أقصى المشرق أخو العربي في أقصى المغرب ، يتجاوبان ويتعاطفان : مشاعرهم واحدة ، وإحساساتهم واحدة ، وأنهم إن تفرقوا فعلى غير رضا وعلى غير هوى ، وبعوامل ليست من صنعهم ، ولكنها من صنع أعدائهم الذين يتربصون بهم الفرص ، ويعملون

على تمزيقهم ليسهل التهامهم واهتضامهم ، واستعبادهم واستغلالهم ، وإذا زالت عوامل
الفرقة عادوا مؤتلفين مشوقين ، عودة النازح إلى داره والغريب إلى وطنه .

سيقيس قصار النظر الوحدة السورية المصرية بالمقياس المادى التافه فيقولون :
سيكون من وراء ذلك مجال للزراعة والصناعة والعمل والرواج إلى غير ذلك ، أما ذوو
العقول الكبيرة والتقدير الصحيح فيقيسونها بفوائدها المعنوية والأدبية ، وبمقدار ما تحققه
للشعبين وللعرب عامة من عزرة وكرامة ، وما تضيفه عليهم من مهابة وتقدير من الشعوب
الناهضة الواعية ، وبمقدار ما تدفعه تلك الوحدة من أطماع في الشعوب العربية
وفى حرياتهما واستقلالهما .

لقد كانت تلك الوحدة برضا الشعبين ، وتحقيقا لإرادتهما الواضحة الخالصة من كل ضغط
أو إكراه أو نفوذ أجنبي ، فهي وحدة نابغة من ضمير الشعبين ومستندة إليه ، وكانت أمنية
من أمانى الشعبين تهفو إليها قلوبهم ، وحلموا يراود خواطرهم ، ودعاء تردده ألسنتهم ،
فأصبحت حقيقة واقعة ترمقها العيون وتحوطها القلوب ، وما أحلى الأمانى أن تتحقق ،
وأعذب الأحلام أن تصدق والدعوات أن تستجاب !! .

وما تم بإرادة الشعوب فإن الله سيباركه ويحقق الثمرات المرجوة منه ، وسيحرص
عليه كل فرد منها ، ويحافظ عليه حفاظه على مصدر عزه ومبعث كرامته ، وإن واجب
كل فرد في مصر وسوريا أن يعمل على تثبيت أركان الدولة الموحدة ، وتمكين دعائمها لتحقيق
أهدافها ، وتؤدي الغرض منها ، ولتكون مثالا صالحا تحتذي به الأجيال القادمة في خدمة
القومية العربية والوطن العربي .

وسيدكر التاريخ في إعزاز ونخار بطلين عربيين مجاهدين ، عملا على تحقيق الوحدة
في عزم وتضحية وإخلاص ، ولم يهدفوا إلى مجد شخصى أو مغنم مادى ، ولكنهما استهدفا مجد
العرب وخير العرب ، وحسبهما شهادة التاريخ وتقدير العرب . **أبر الوفا المرافق**

الشعوب تؤيد الجمهورية العربية المتحدة

ولا تؤيد اتحاد الملكين

أبرق ريموند هيرسفير الولايات المتحدة في القاهرة إلى حكومته يقول :
إن الجمهورية العربية المتحدة تتمتع بتأييد الشعوب العربية لها ، في حين أن اتحاد
ملكى العراق والأردن لا يحظى بمثل هذا التأييد ، فقد أنشأه الملكان دون استفتاء
شعبيهما في أمر إقامته .

وثبنا.... نحو وحدة العرب

وكأنما كان عمرو بن العاص وهو يملك جواده بشدة لينهب الأرض منها حتى يجتاز (الحدود) بين الشام ومصر ، يدفع الحواجز حتى تتطايير مع الغبار الذي أثارته سنا بك الخيل « . . .

وما كان مسير عمرو من الشام إلى مصر جديدا ، فالجمع بينهما كان هدف القوى السياسية قبل عمرو وبعد عمرو : تحتمس والإسكندر وقيصر ، ثم دول الإسلام المتعاقبة حتى بعد قيام (حكم ذاتي) في مصر ، وأخيرا بونابرت فالاستعمار الإنجليو فرنسي للشرق العربي . .
ولكن عمرو بن العاص وحده هو الذي حقق المعجزة

لأنه لم يرفع خطوطا من الورق تمثل الحدود فحسب ، بل أدمج الدّم وأدمج اللسان حين أدمج الأرض إنه أجرى تحولا حضاريا وانقلابا اجتماعيا إنه أحل مصر قطعة من جسد العروبة الحية ، وجعل أبنائها - حتى غير المسلمين - لا يتفاهمون بغير العربية ، ولو في شئون الدين والمعتقدات التي كانت - من قبل - في كتبها المقدسة وتراتيلها وعظاتها لا تعرف الطريق للعربية ! !

لقد أراد إخناتون أن يبتكر ديانة توحد الإقليمين فكريا بعد أن توحد سياسيا .. فسكانت ديانة الشمس المشرقة ، ولكن الديانة الموحدة هزت عرشه هو في الداخل قتهاوى ، وانهارت معه ديانة (آتون) ... وبقيت الانقسامات التقليدية وزالت الدولة الموحدة القوية ! !

لكن عمرو كان يحمل رسالة الذي يعلم ما تخفى الصدور ، وهو الذي سوى الأنفس وبرأ الناس فخالط فطرة الرسالة فطرة القلوب (فطرة الله التي فطر الناس عليها ؛ لا تبديل لخلق الله ؛ ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) !

كان عمرو يرتكز إلى ركن الوحدة الركين : كان معه الرباط الجامع والعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وكتب للوحدة الخلود يوم دعم قاعدتها (الفكرية الروحية) دين الخلود.

وبقي الإسلام مهوى الأفئدة هنا وهناك وبقي لقاء السورى والمصرى على مائدة القرآن إن عز اللقاء بالأجسام ، وتلاقى وجهاهما على قبلة البيت الحرام إن تعذرت المقابلة بأرض مصر أو بأرض الشام ، إثر الحدود التى فترت بين الأشقاء ! !

وجاء وضع مصر الخاص فى ظل حكم محمد على وخلفائه ، ثم الاحتلال الانجليزى ، وأخيرا الاتجاه نحو الاستقلال السياسى فى حدود النزعة الإقليمية كل هذه كانت عوامل تفريق ، فى حين كانت اللغة لا تفتأ تحتفظ بالمجارى العميقة الغائرة التى تجمع مصر والشام تحت مظهر الانفصال السطحي ، وكان الإسلام تيارا فكريا مشتركا يتحدى الجوازاات والجمارك قصاصات التمزيق الدولية : قوارات لندن ، وسايكس - بيكو ووعد بلفور ومعااهدات الصلح النهائية !

* * *

وظن المستعمر أنه يسخر من العرب ؛ حين أوحى بتكوين (جامعة دول) فى نهاية الحرب الماضية ثم ظن أنه يمعن فى السخرية حين يعرض جامعة الدول لحك المحنة فى فلسطين فيخرج العرب وقد ذاقوا مرارة الهزيمة ، وأوغرت صدورهم العداوة فلا يفتأون يترشقون بالاتهامات : من المسئول ؟؟ .

وكانت النتيجة غير ما أمل العدو ... ولو كان يخمن ما حدث لما رضى (بنين إسرائيل) ...

نعم ... فقد بلورت الكارثة مشاعر العرب ، وجعلت الوحدة ليست (صكا) ممنوحا لهم من عل ، ولكن تجاوبا حقيقيا وإدراكا واعيا لمصالحهم المشتركة ، وآمالهم وآلامهم القائمة ، والخطر العام المتحفر - الرابض فى قاب ديارهم .

وصار اللاجئين الذين تشتتوا بين ديار العرب ليجمع منهم الاستعمار عنوان الهوان والعار - صاروا على غير ما قدر - حافز الهمة ووقاء الزيغ ، تنحس آلامهم كل من ينزع إلى دعة أو يخلد إلى دون ... وكانت المعركة كلها تعريفا بالطريق الصحيح إلى الوحدة ، وكشفا للعيوب والثغرات ، وبيانا للعراقيل والعقبات ... فالوحدة لا تتحقق خلف المسكاتب الفاخرة ، وفى الأحفال الباهرة بين أهواء متنازعة متصارعة ، وإنما تتحقق

الوحدة يوم تتمثل رغبات الشعوب حقيقة واقعة في اتجاه الدول ، ويوم تختبر هذه
الرغبات في المحن والنكبات فتثبت في الامتحان ...

كانت معركة فلسطين مدرسة ... وكان تشتت اللاجئين تذكارا ... وكان قيام إسرائيل
نذيرا ... فانظر كيف قدر العدو نخاب التقدير !

* * *

وطوت معركة فلسطين آثار عزلة فكرية ونفسية قامت أثر تباعد العرب السياسي
ردحا من الزمن ... لقد قامت الدول العربية المعاصرة تنفخ فيها روح القومية المحلية ،
وغفل نفر ممن يعيشون في القرن العشرين عن اتجاه العالم نحو التكتل ...

سمعنا عن فرعونية وأشورية وفينيقية ... رغم أن المتنقل بين العرب في كل أرجاء
عالمهم لا يسمع غير لسان العرب ، ولا يرى إلا أمة العرب ! !

أين آشور وبابل في بغداد والبصرة والموصل ؟ أين فينيقيا في دمشق وحلب
والقدس ويروت ؟ .

أين قرطاجنة في تونس والجزائر والرباط ؟ ؟ أين الفراعنة في القاهرة ؟ ؟ .
إنني لا أجد هذه (الأثریات) إلا في المتاحف وحفريات القبور وبين الذكريات ...
يرشدني إليها ويعرفني بها دليل عربي ، وكتاب عربي ، في أمة عربية ! !

وسمعنا عن وحدة عالمية مرتقبة تغني عما عداها من وحدات ... وكأن وحدة العرب
نشاز في وحدة العالم ، مع أن اندماج الوحدات الإقليمية الصغرى في وحدة ، أكبر تقريب
لتحقيق الحلم الإنساني المنشود !

وسمعنا عن خلافات اللهجات ، وتعدد الطوائف ، ومشكلات الاقتصاد والتشريع
ونسوا أن الأمة حين توجد بكيانها الأصيل ، فكل مظاهر التباين في أجزائها سطحية غير
عميقة الجذور ... كيف وعندنا العربية السليمة تجمع كل شتات ، والإسلام الحنيف يبسر
حل المشكلات ! !

* * *

وكانت سوريا طليعة الرّواد إلى الخير والمعرفة ...

« وذلك لأن سوريا - كما هو معلوم لدى الجميع - أعرق الأقطار العربية في الشعور بالقومية العربية ، وأكثرها تجردا عن النزعات الإقليمية ، وأشدّها توقفا إلى الوحدة العربية . وكانت قد أعلنت - خلال مشاورات الوحدة العربية (١٩٤٤) - على لسان ممثلها بصورة رسمية استعدادها التام للنزاع عن سيادتها في تكوين (دولة عربية) تجمع تحت رايتها جميع شعوب الأمة العربية ... »

ولم تكتف في دستور ١٩٥٠ بالنص على (عروبة سوريا) بل أشارت إلى (وحدة الأقطار العربية) .

(...) ونعلم أن شعبنا الذي هو جزء من الأمة العربية بتاريخه وحاضره ومستقبله يتطلع إلى اليوم الذي تجتمع فيه أمتنا العزيزة في دولة واحدة ، وسيعمل جاهدا على تحقيق هذه الأمنية المقدسة في ظل الاستقلال والحرية) . وجاء في قسم رئيس الجمهورية والنواب : (وأن أعمل على تحقيق وحدة الأقطار العربية) ... وفي شأن الجنسية : (... ويكون تسهيل خاص للغربيين وأبنائهم وأبناء الأقطار العربية) * .

تلك شهادة الأستاذ ساطع الحصري لموقف سوريا في موكب وحدة العرب ... فلا غرو أن رأينا - هذه المرة - سوريا تتبع الطلائع بالطلائع ، والبشائر بالبشائر ، من قرارات الأحزاب ثم للجلس النيابي ومجلس الوزراء ، إلى إرسال الوفود والمشاركة في الجلسات ، إلى إهداء العلم السوري - وهو الرمز المكرّم الحبيب - ليرفع على منصة الرياضة في مجلس مصر ! .

* * *

ولسنا - ونحن في زهو الأفراح - عن تبعات الوحدة بغافلين ...

نحن نقرأ في التاريخ الماضي كيف قابلت ألمانيا وإيطاليا المتاعب ، ونعرف أن تبلور الوحدة واعتماد التكافل في المفارم والمغانم ، وتقاسم الأعباء والمزايا يحتاج لعزمات الرجال ...

ونحن نقرأ في التاريخ المعاصر كيف طاف طائف (وحدة أوروبا) بالذهن ، ثم استحال جهودا متتابعة : منظمة سياسية تضم مجلسا وزاريا وآخر برلمانيا للاتحاد الأوروبي ، فاتحاد الصناعات الأساسية التي تناثرت مراكزها ، ثم سوق مشتركة ، ومشاورات متصلة حتى لا تظهر ثلمة من جراء فرقة ، وما زالوا في الطريق .

فنحن نعلم أن الاقتصاد السوري لا يحوى مناجم الذهب السعيدة التى سيغترف منها المصريون بالأكوام ، كما أن الاقتصاد المصرى لا يضم الكنوز التى سيبسط السوريون حجورهم ليحملوا منها بالأطنان ! ونحن نعلم أن العدو يتربص بمصر الدوائر من أجل (استراتيجيات الفتنة) وظروف مصر الجغرافية والمعنوية ، كما نعلم أن العدو يتربص بسوريا الدوائر وراء (استراتيجيات البترول) ! ! ونحن نعلم أن الصراع بين الكنلتين يدور ولا ينتهى ، وأن الشرق الأوسط صار من ميادينه ، ونحن اليوم بين الشد والجذب نريد عدم الانحياز . . .

فوقفنا دقيق . . . يذبح أن نكون بنيانا مرصوبا يصمد لضغط الأخطار من الخارج ، ويتغلب على ضغط الأهواء فى الداخل ، يذبح أن نتجح فى أن (نضبط) أنفسنا ، ونضبط قوانا الاقتصادية والتنظيمية والدفاعية على السواء . . . يذبح ألا نتجه لغير العمل والواجب ، وحينئذ نسلم من عدونا ونضاعف إنتاجنا .

* * *

ثم واتلنا الأنباء عن اتحاد جديد بين الأردن والعراق . . .

وللرئيس بورقيبة أمنية فى اتحاد عربى لشمال إفريقيا يضم تونس والجزائر ومراكش وليبيا أيضا إذا أمكن ، وليس فى هذا الاتحاد أوزاك إلا بادرة الخير ، فإن ترحح الحواجز المصطنعة لن يقف فلندعها تخسر ولو بالتدريج !

ولن يغطى الخلاف السياسى الطارئ لبعض الوقت فى جيل من الأجيال ، على تقدير خطوة تؤكد مستقبلا أفضل لأمة العرب على مدى الأجيال !

إن اتحاد الملايو خطوة نحو خير المسلمين لو أحسنوا الإفادة منها ، وإن نشأ هذا الاتحاد فى كنف (الكومنولث) ، وكذلك اتحاد (محميات الخليج) لو نشأ - أو أريد له أن ينشأ - كلها خطوات نحو الأمل المرموق ، مهما كانت الأيدي التى تصنع والأهداف التى تقصد ! !

وراء الأيدي يد القدر ، وأمام الهدف المصنوع هدف مطبوع على صفحات القلوب . . .

ولندكر جميعا أن (كندا) التى استبقته بريطانيا فى إطار روابطها ، ما فتئت تتحرر تدريجا من هذه الروابط ، وهى اليوم أقرب إلى (الولايات المتحدة) جارتها وشقيقتها

منها إلى بريطانيا التي يضمها وإياها (السكومنولث)! ومركزها السياسى والاقتصادى قد يفوق مركز بريطانيا نفسها فى كثير من الجوانب والأطراف .

* * *

هكذا يعود التاريخ إلى مجراه ...

وتضم دولة واحدة (المسجد العتيق : مسجد عمرو) بالقاهرة والمسجد الأموى فى دمشق ... بعد أن جمعتما قبلة واحدة ويتعاون (الأزهر) مع (الكلية الشرعية) ...
تحية من مصر إلى دعاة الحركة العربية من العرب الأحياء الذين يشهدون معنا عيد العرب :

تحية إلى الرئيسين جمال عبد الناصر وشكري القوتلى ، وإلى السادة صبرى العسلى وصلاح البيطار وإحسان الجابرى ، والسيدى اللذين يعملان فى جد وصمت محمود فوزى وعلى صبرى ، وتحية إلى محب الدين الخطيب وساطع الحصرى ، وما أكثر ما دافعا عن العروبة وبصرا العرب فهما مثال (لمفكرى) القومية العربية الرؤاد ، الذين ما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا ...

ثم تحية إلى ربوع الأرض المقدسة التى بارك الله حولها ... تحية إلى شهداء فلسطين وإلى أحياء فلسطين ...

وأخيرا : تحية لكل خطوة نحو الوحدة فى كل ديار العرب .

وإلى الإسلام جميعا : نعمق به وحدتنا ، ونوثق عروتنا ، ونؤكد قبلتنا ، ونقيم شرعتنا ، ونذيع فى العالم رسالتنا ، لننهض بالأمانة الملقاة على عاتقنا :
« وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون » .

فتى عمارة

« تهنئة »

نبح المواطن العربى الحر عبد الحميد السراج ، فى امتحان القومية العربية ، بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى ، وسقط المنحنون ، فتهنئه .

عن المجلة

ابراهيم محمد الأصيل

وحدة مصر وسوريا

أمل تحقق بعد طول كفاح في وحدة كانت منى الأرواح
صار البشير بها لأمة يعرب مستبشرا في نشوة المفرح
متهلل القسمات يشرق وجهه مثل الغزالة في النهار الضاح
وبصوته الرنان أعلن وحدة سر الصديق بها وغص اللاحي
نبأ سرى بين الربوع كما سرى نفح الشذى بأريج الفواح
طربت له أبناء يعرب كلها واستقبلته بهجة الأفراح
واستبشر القدس الشريف وكبر بيت العتيق مهلا (بصلاح) [١]
وشدت بلابل في الرياض تهز أع طاف الغصون الزهر في الأدواح
فكأنما أغصان كل نخيلة تصغي لصوت الطائر الصيداح [٢]
وتردد الإنشاد خلف طيورها في هزة وتمایل ومراح
إن الطيور شدت لفرحة يعرب طربا بكل عشية وصباح
المطربون بصوتهم وبنائهم وبعودهم فاقوا على الصداح
ما أعذب الأنغام إن هي رددت في السمع صوت المطرب المصداح
يتلو نشيد الظافرين مرجعا لحن الوفق بغدوة ورواح
لحن يروى الظامئين بسلسل متدفق حلو المذاق قراح

* * *

قل للزمان اليوم سجل وحدة للعرب تم قيامها بنجاح
الله رائدها إلى غاياتها والروح ظلها بظل جناح
(و محمد) والصحب في طرب بما قد حقق الرحمن من إنجاح
والعرب تهتف في البلاد بفرحة قد بددت ما كان من أتراح
والنيل صفق كالطروب مهنئا (بردى) بفيض بيانه الوضاح

[١] صلاح بفتح الصاد وكسر الحاء اسم لـمكة المكرمة .

[٢] الصيداح والصداح بمعنى .

وتبسمت في الشام أزهار الربا وافتر في الوادي ثغور أفاح
لم لا تشاظرنا الطبيعة حبرة هي من أجل منائح المناح ؟

* * *

مصر وسوريا وحدتهم دولة كبرى بناها فالق الإصباح
جمعهم لغة الكتاب وشرعة تدعو إلى التوحيد والإصلاح
وأرومة لفت كريم عروقهم في سادة شم الأنوف صباح
لما دعا داعي الوفاق لوحدة لبوا وما سمعوا مقالة لاح
وسعوا لتطهير القلوب وأخلصوا لله ، قبل تصاغ بالراح
وتعاونوا في سل كل سخيمة وذهاب أضغان ، ورم جراح
وبنوا على الإخلاص أعظم دولة قامت بأيدي مصالحين سماح
كفل الإله لها البقاء على مدى الأيام خالدة بغير براح
ما كان بدعا وحدة عربية أوحى بها لصلاح يعرب واح
هي وحدة الأهداف والغايات واللغة التي زانت بيان فصاح إن الثقافة والمصالح لم تزل تهفو بأرواح إلى أرواح

* * *

لله وحدة إخوة لبوا بها صوت الضمير الناصح الملحاح
ستعيد للعرب الكرام مكانة فوق المحجرة في مدار براح [١]
وتعز أوطان العروبة بالظبا وأسنة مسنونة ، ورماح
من نال الاستقلال كان عليه أن يحى حماء بهمة الطحطاح [٢]
الحق في هذا الزمان مضعضع إن لم يعز بقوة وسلاح
إن التجارب كلها قد أثبتت ألا بقاء لنا بغير كفاح
والعرب ماظفروا ببهض حقوقهم إلا بحمد صوارم وصفاح
صمدوا ففازوا بالتحرر بعدما طردوا الغزاة بقوة المحتاح

[١] براح بفتح الباء وكسر الحاء اسم للشمس .

[٢] الطحطاح من أسماء الأسد .

قد حققوا استقلال بعض بلادهم بنضال حر باصل نضاح

* * *

يأيها العرب الأباة توثبوا في البر، والأجواء، والفياح [١]
 فعلى الدماء ضريبة قد أوجبت تقديم أنفسكم لأشرف ساح [٢]
 بيعوا الحياة إذا دعا داعى الفدا والبذل للأوطان بيع سماح
 لا ترهبوا الأعداء إن هم هددوا ما يرهب الآساد صوت نباح
 لا تخشوا الموت الزؤام فإنما الأعمار قد حددن فى الألواح
 لا تركوا حمل السلاح وأرهبوا جيش العدو بصارم جراح
 أجناد الاستعمار ما زالت على أوطاننا فى عامر وبراح
 هذى الجزائر ما تزال تحارب الأعداء فوق أريضة وقراح
 و(عمان) فى حرب عوان دوخت فيها العدا بسباسب وبطاح
 لو أنصف العرب الأباة لوحدوا كل القوى، وتفاهموا بصراح
 وقضوا على أعدائهم فى وثبة تجتاحهم بالجنف الطواح
 إن التخاذل والتقاطع بينهم ترك العروبة فى مهبط رياح
 والله لا يرضى التفرق بعد ما جاء الحنيف بنوره الوضاح

* * *

قل للذين تخلفوا عن وحدة الله ما هذا لكم بمباح
 الله يأمركم بجمع شتاتكم والدين يطلب ذاك فى إلحاح
 وكتابكم يدعو لترك تنازع ويهيب بالتوحيد فى إفصاح
 عودوا إلى هدى الكتاب فانه ما جاءكم بتقاطع وشياع [٣]
 أبى العروبة تلك أسعد فرصة سنحت بضم صفوفكم وصفاح [٤]

[١] الفياح : البحر الواسع .

[٢] الساح جمع ساحة .

[٣] الشياح بكسر الشين الاغراض .

[٤] الصفاح بكسر الصاد مصدر صافح .

منلى بأن تصغوا لنصحي مخلصا
بالله لا تهنوا ولا تنزعوا
لا تركوا وطن العروبة نهبة
ولكم (بأندلس) مواعظ لم تزل
كانت بها للمسلمين ممالك
لم يبق للإسلام فيها غير ما
وخذوا تجارب من (فلسطين) التي
وطن العروبة في فلسطين غدا
عاثوا به مثل الذئاب فصيروا الـ
فمقي أرى تلك العصاة شردت
في وحدة تدعو إلى الإصلاح
يوما فتذهب ويحكم كريات
للساهبين له ، وللنزاح
تبكى العيون لرزئها الفداح
قد ضيعت بتفروق وتلاح
تركته من حزن لنا ونواح
قد أنحنت أبنائها بجراح
بنى (يهود) مجللا بقباح
أجحات مفسدة لكل إباحي
ومحاهمو بسيوف يعرب ماح ؟ !

* * *

أبني العروبة فتحو آذانكم
مصر وسوريا قد دعتم دعوة
ذكرا مجادتكم ومليك (أمية)
وضع الأساس له (معاوية) الذي
قد مد سلطان العروبة واسعا
وتذكرا (بغداد) وهى مدينة
نشرت بأيام (الرشد) وشبله الـ
وبنت حضارتها على أسس غدت
وبجيشها الجرار كالآساد قد
وتدارسا عصر الفواطم زاهرا
بيد (المعز) بنو لمصر دولة
وبنوا لها (المعمور) فيه أئمة
فاضت على الآفاق منه . تاهل
وحى الحنيف لمن يعز بدينه
واليوم ناداكم بصوت ناصح
لا تخذلوا إخوانكم في مصر أو
لسماح نصيح الحاذق النصاح
للحق ، فاستبقوا بغير جاح
بالشام فوق ممالك ونواح
ساس الشعوب بحكمة وسماح
في المشرقين على قرى وضواح
شعت بنور العلم كالمصباح
مأمون (للامام خير وشاح
لحضارة الأجيال كالمفتاح
غلبت على دول عظمى فساد
في (مصر) بين توشب وطماح
عظمى بهمة قائد فتاح
بالعلم والعرفان غير شحاح
فياضه كالصيب السحاح
وكتابه ، والضاد للفصاح
لله ، فاستمعوا نداء الواح
في الشام إن دعيا إلى إصلاح

فيهم (صلاح الدين) قام يذود عن وفدت عليه جيوش الاستعمار في زعما وما كان الصليبي مهاجما وأخو الحنيفة لا يروع آمنا لـكنهم جعلوه دين تعصب لم يبق في قوس التصبر منزع فأعد جيشا للدفاع تخاله يحمي شريعته ويدفع خصمه طرد الغزاة عن البلاد كأنهم خرجوا جميعا والصغار يحفهم والغرب أصبح بعدها في مآتم

قدس الحمى بعمرهم محتاح زى الهداة عن الصليب تلاحى بل فيه دين محبة وسماح في سربه ، بأسنة وسلاح أعمر يسوق الناس بالمطواح^(١) عند ابن (أيوب) الفقى الصفاح جند الإله يذود جيش (سبحاح) بكتيبة مثل الأسود رداح خبث الغناء أمام سيل جلاح^(٢) والخزى عند هزيمة الجراح والقبض والإسلام في أفراح

* * *

اليوم والتاريخ يرجع نفسه سيعيد عز المسلمين ومجدهم فهو الذى أجل الغزاة عن الحمى وأشاع في كل المرافق نهضة بعثت عزيمته السكناة بعدما فكأنما أحيى المسيح رفاتها والخير مقرون بين الـ بطل الرئيس ووجهه الوضاح^(٥) أقسمت ما استعصت بمصر أزمة فاستبشروا يا عرب بالـ مقدم، والهمام، والنفاع، والنفاح

سنرى (جمالا) في مكان (صلاح) بجنوده الأبطال ، يوم فياح [٣] وبني لمصر قواعد الإصلاح عظمى تبشر مصر بالأرباح دفنت وراء التراب والصفاح^(٤) فسرت به الأرواح في الأشباح

[١] المطواح : العصا .

[٢] سيل جلاح هو القى لا يبق أمامه شيئا .

[٣] فياح بفتح الفاء وكسر الحاء اسم للقارة .

[٤] الصفاح الحجارة المريضة .

[٥] الوضاح : البسام .

إن الذى اختارت عناية ربكم سيكون للظالماء نور لياح ^(١)
ليل الخطوب قد انجلي وبدالنا الـ فجـر الوليد بسيد جحاح ^(٢)
عرف الذى قد ضاع من أجدادنا فرنا بطرف للعلـى طماح
بطل رأى (القوتلى) فيه قوة فى عزمه ، وذكائه اللـاح ^(٣)
والأح مولاه له ما لم يسكن يوما لأعظم قائد بمتاح
يمضى إلى غاياته فى عزمة تحكى عزيمة يهـس ^(٤) نضاح
ثبت الجنان محنك مستيقظ فطن لبيب ، للمكايد صاح
اختاره (شكـرى) لأنبـل غاية ورجا (ليعرب) فيه كل فلاح
أدبت يا (شكـرى) الأمانة حينما بيد الأمين وضعها يا صاح
سيظل ما أدبت مقروءا على سمع الزمان بالسن الإفصاح
ويدوم ذكرك فى العروبة هاديا كالنيرات الزهر فى الإيضاح

* * *

لله تضحية (لشكرى) ذكرت (بابن الوليد) القائد الفتاح
فى وقعة (اليرموك) ضحى مؤثرا لله ، لم يركب هوى الجمـاح [٥]
ترك القيادة (خالد) متنازلا لأبى عبيدة عامر الجراح
وأطاع أمر ضميره وأميـره وعلى المحيـا فرحة المراتـح
وانضم جنـديا يـعاون قائدا بحسامه ، ونصيحة النصـاح
والمؤمن الأبواب يشكر ذاته إن عاد ذاك لقومـه بربـاح ^(٦)
هذا هو الإسلام فى تعليمه لا يبتغى فى الحكم غير صلاح

محمد مختار سليمان بربر

الأستاذ بكلية أصول الدين

[١] الياح : الصبح .

[٢] الجحاح : الصبح .

[٣] اللماح : اللماح .

[٤] الـهـس من أسماء الأسد .

[٥] الجمـاح : صيغة مبالغة من جـج .

[٦] الربـاح : الربح .

كلية

عن تاريخ اليمن وأطوارها

لمناسبة مولد الجمهورية العربية المتحدة وما تبع ذلك من اتجاه كريم للدول العربية المتحررة للانضمام إلى هذه الجمهورية المتحدة، إما بالوحدة أو اتحاد فيدرالى، وفي مقدمة الدول العربية التي أعلنت عن هذه الرغبة مملكة اليمن، لذلك نعرض ولو بقدر لقراء مجلة الأزهر لتاريخ اليمن القديم وأدوار حياتها وأطوار وجودها التي مرت بها من أقدم العصور إلى يومنا الراهن. حين يعرض للناس الكلام عن الحضارة العربية أو أثر جزيرة العرب في التقدم الإنسانى، تنصرف بدائه الناس في الأعم الأغلب إلى العصر الذى انبلج فيه نور الإسلام، فظهر قلوب العرب وآخى بين عقائدهم. فخرجوا يفتحون الأمصار وأنشأوا دولتهم العظيمة.

ولكن قبل مولد النبي العربى بأكثر من ١٥٠٠ عام، كانت هناك في بلاد العرب حضارة عتيقة لا تقل عن الحضارات الأخرى في بلاد الشرق، وما زالت بقايا هذه الحضارة قائمة في بعض جهات اليمن، فمعابد المعينيين وآثارهم الأخرى التي بنيت في القرن الثامن قبل الميلاد، ما زالت تطاول السماء في أسوارها الضخمة، وأعمدتها المرتفعة، كما نقش سكان اليمن القدماء على جدران بعض معابدهم، وعلى لوحات من الحجر والنحاس بعض أخبارهم، فأصبحنا نعرف الكثير عنهم. وليس القرن الثامن قبل ميلاد المسيح عليه السلام هو مبدأ ظهور الحضارة في اليمن، ولكنه تاريخ محدد معروف، ولا شك في أن بدء ازدهار الحضارة في تلك البلاد يعود إلى عصر أقدم من هذا العصر بضع مئات من السنين أو أكثر من ذلك. كما أن صلة اليمن بالبلاد المجاورة لها يرجع إلى آلاف السنين، ولا يخالفنا شك في أن دراسة آثار اليمن بعد حفر مناطقها الأثرية. سيلقى كثيرا من الضوء ليس على تاريخ هذه الجزيرة فحسب، بل سيوضح لنا الكثير عن صلة الحضارات القديمة بعضها ببعض، والدور الذى لعبه قدماء اليمنيين في تاريخ حضارة الشرق.

أقدم الصلات بين اليمن وغيرها من البلاد :

نعرف من الآثار المصرية أن المصريين القدماء كانوا يقومون منذ فجر تاريخهم برحلات بحرية في البحر الأحمر لإحضار البخور المشهور في بلاد اليمن ، وأشياء أخرى من بلاد بونت ، وهى البلاد الواقعة حول بوغاز باب المنتدب على الشاطئين الآسيوى والإفريقى أى بلاد الصومال ، وجنوب اليمن وحضرموت .

وقد كثرت هذه الرحلات منذ ألف عام قبل الميلاد، واستمرت حتى آخر أيام الحضارة المصرية ، وأشهر هذه الرحلات هى الأسطول الكبير الذى أرسلته الملكة المصرية الفرعونية « حتشبسوت » فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وعاد محملاً بخيرات تلك البلاد كما عاد أيضاً ومعه أشجار البخور لغرسها فى معبد الإله آمون . وقد نقش النقاشون المصريون على جدران معبد هذه الملكة فى البر الغربى بالأقصر « وهو المعروف باسم معبد الدير البحرى ، تفاصيل هذه الحملة وخيرات بلاد بونت ورسوموا بعض بيوتها وحيواناتها وأهلها وأسماك البحر الأحمر .

ومما تجب الإشارة إليه أن الصلات التجارية بين مصر واليمن ، لم تقتصر على مدن الشاطئ بل وجدت طريقها إلى داخل البلاد . وفى اليمن آثار مصرية أهمها جعران من عهد الملك « أمينوفيس الثالث » ، من الأسرة الثالثة عشرة المصرية فى أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وبعض آثار مصرية أخرى يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد .

ولكن هناك ما هو أوثق من هذه الصلات التجارية . فقد عرف قدماء المصريين أن بعض أجدادهم أتوا من طريق « قفط القصير » ، كما أنهم يزعمون أن بعض معبوداتهم بينه وبين بلاد العرب صلة .

وكما اتصلت بلاد اليمن بمصر . فقد اتصلت بمهد الحضارات الأخرى فى ألوان شتى . وقد ورد على آثار السوميريين منذ عام ٣٤٠٠ قبل الميلاد إشارات إلى الصلة بينها وبين الجزيرة العربية .

وفى أخبار الملك « تيجلات باسر الثالث » حوالى عام ٧٣٦ قبل الميلاد أنه أخذ من أهل سبأ جزية من الذهب والبخور والجمال .

أما صلة اليمن بالشاطئ الإفريقي فلا بد أنها بدأت منذ أقدم عصور التاريخ . وتركت القبائل اليمنية على الشاطئ الإفريقي وأحياناً داخل البلاد أثراً لا يخفى من حضارتها وثقافتها منذ آلاف السنين إلى اليوم . وأهل يكسوم القدماء ليسوا في الأصل إلا بعض من هاجر من اليمن إلى بلاد الحبشة .

ذكر حضارة اليمن في الكتب المقدسة :

يتبين من القرآن الكريم ومن التوراة بجلاء ، المدى البعيد الذى وصلت إليه حضارة اليمن . وحسبنا الإشارة إلى قصة النبي سليمان ومملكة سبأ . ووصف مملكتها وعرشها لإدراك ما كانت عليه اليمن حوالى عام ألف قبل الميلاد .

وجميع هذه الأطوار المختلفة يشير إليها الكتاب المنزل فى سورة سبأ ، كما ورد ذكر ممالك معين وسبأ فى التوراة وفى كتب الأنبياء .

وحسب المرء أن يدرك من بين هذه الإشارات ما كانت عليه اليمن من حضارة ، وما كان فى أيدي بنينا من سيطرة على الاقتصاد الشرقى القديم ، وذلك قبل سطوع نور الإسلام بأكثر من ١٢٠٠ سنة .

علاقة اليمن بالرومان واليونان :

ولم تخل كتب مؤرخى اليونان والرومان من ذكر الجزيرة العربية « اليمن » وذكر المعينيين والسبئيين والحيريين وذكر تجارة العطور والبخور التى كانت رائجة فى أيدي أبناء اليمن ، واتخذوا منها تسويقاً لتجارته عادت على أبناء البلاد بأبرك الثمرات وأطيب الفوائد . ولم يكن مسموحاً للسفن الهندية أن تجتاز ميناء عدن يومئذ . فكانت مضطرة إلى أن تبسح أحمالها إلى تجار اليمن الذين كانوا ينقلونها بقوافلهم إلى أسواق الشام ، مجتازين تلك الجزيرة العربية من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال . ومن غزاة تأخذ طريقها شرقاً إلى بابل ، أو غرباً إلى مصر ومنها إلى أوروبا . وتعود قوافل اليمنيين من الشام محملة بكل ما يحدونه فى أسواقها فيبيعونها مرة أخرى لسكان الجزيرة أو إلى غيرهم من التجار .

أما حضارة اليمن الإسلامية المشرقة فى عهدها الأخير ، وما عرض لها من تطورات تبعث على الفخر والإعجاب والزهو والإطنا ب نهضاتها المختلفة ، وما شاع فيها من النخوة العربية والحمة الإسلامية الكاملة ، وما ربط بينها وبين البلاد الإسلامية فى المشرق والمغرب العربى ، فوعدنا بإيفاء كل ذلك حقه فى فرصة مواتية ما

عباسي ط

شيخ الجامع الأزهر

يستقبل وفد علماء يوغوسلافيا

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمسكته صباح الاثنين خامس شعبان (٢٤ / ٢ / ١٩٥٨) وفد علماء يوغوسلافيا برئاسة الحاج سليمان كيمورا رئيس الجامعة الإسلامية اليوغوسلافية ، وعضوية السيد / بدرى عبد الحميد رئيس مجلس علماء مقدونيا ، والسيد / بيرم أغاني رئيس مجلس علماء صربيا ، والسيد / الحاج مصطفى شوا عضو مجلس علماء البوسنة والمهرسك ، والسيد / جودت ظا-كا عضو هيئة علماء المسلمين في سراي بوسنة . وكان الحديث يدور حول أحوال المسلمين في يوغوسلافيا واهتمامهم بأخبار العرب ، لأن قوتهم قوة للإسلام ، وسرورهم بقيام الجمهورية العربية المتحدة ، وتقديرهم للأزهر في نشر رسالة الإسلام في جميع بقاع الأرض .

وقد أكد لهم الأستاذ الأكبر أن الإسلام هو دين الوحدة التي لا تعرف التفرقة والعنصرية ، وأن قوة المسلمين في اعتصامهم بكتاب الله ، والتفافهم حول كلمة الحق ، كما ذكر لهم استعداد الأزهر لتلقي طلاب العلم من جميع أرجاء العالم ، وتيسير وسائل الراحة لهم ، واستعداده لإرسال البعثات الأزهرية إلى من هم في حاجة إلى تعلم الدين والتزود من ثقافته . وقد ألح الوفد في طلب تشريف الأستاذ الأكبر لبلادهم بالزيارة ، لأن مليونين من المسلمين هناك في أشد الشوق لمقابلة شيخ الجامع الأزهر الذى أفاد من ثقافته المسلمون في الشرق والغرب ، فوعدهم فضيلته بهذه الزيارة عند ما تسمح الظروف ، وقد أهداهم فضيلته بعض المصاحف والكتب الدينية ومجموعات من مجلة الأزهر .

حفل كريم

وجهه سعادة سفير جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية ، الدعوة إلى الأزهر والهيئات المختلفة ، للاستراك في تكريم السادة علماء يوغوسلافيا ، في حفل زاهر ، أتيح فيه التعرف والاطمئنان على أحوال مسلمي يوغوسلافيا ، مما يزيد العلاقات الودية بين جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية واتحاد الدول العربية قوة وازدهارا .

وأسرة تحرير المجلة تتوجه بالشكر الوافر إلى سعادة سفير جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية على دعوته الكريمة لها بحضور الحفل ، وتشيد بالفاهية والسعادة التي يعيش فيها مسلمو يوغوسلافيا مع مواطنيهم ، بزعامة رجل السلام والحياد الرئيس تيتو العظيم .

تعليقات

مهاجمة الدكتور عبد العزيز القوصي لبرامج الدراسة في الأزهر

مما قاله الدكتور مستشار التربية والتعليم - فيما نشرته الأهرام يوم ١٩٥٨/٣/١ - :
مناهج الدراسة بالأزهر لا تتصل بالحياة الواقعية -

١ - وهذا الكلام وما يرادفه ، تجديد لدعوة سابقة إلى - الخطوة الثانية -
وإلحاق من المجددين المتأمرين في التخلّص من الدراسة الإسلامية ، والاكتفاء عنها بما
تقدمه المؤسسات اليهودية الأمريكية ، وترجمة لنا القوصي ، وينشره في الجمهورية
العربية المتحدة بنفوذه ، وعنوانه ، كمستشار للوزارة ، ورائد للثقافة المعاصرة .

وهو ينشره باسم الثقافة ، والتربية ، والعلم ، وما إلى هذا من الألفاظ الخادعة ،
وليست من هذا في قليل .

وكأن الأستاذ القوصي المستشار - والمستشار أمين . . والرائد - والرائد لا يكذب - كأنه
بعد أن فرغ من إصلاح التربية في وزارة التربية ، وبعد أن ركز التعليم في المدارس كلها
على كتب - شرشر ، وفرفر ، وبربر - تطوّع بالاتّجاه نحو الأزهر ليشتغل فراغ نفسه
بما كتب ، وبما اقترح .

وكأنه بالخوض في سياسة الأزهر يتم رسالة موكولة إليه ، وينفذ خطة وضعت له . .
والرجل تحت هذه الأعباء كلها نسي أموراً ألصق به مما تعرض له ، ونسي ورطة
هو واقع فيها قبل أن يتورط في شأن الأزهر : مما لا يتصل به كموظف ، ومما لم
يسأل عنه كمستشار لغير الأزهر - بل مستشار غير ناجح فيما يخصه .

٢ - القوصي المستشار الفني للتعليم تلقى ضربات قاسية في تقارير ديوان الموظفين
وتقارير وزارة الخارجية عن هبوط المستوى العلمي ، وضعف المتخرجين في الكليات

الجامعية . . . وتعليل هذا فيما ذكرته التقارير فشل التعليم الأساسي في المدارس التي تعتبر مصدر التكوين للجامعات ، ومع هذه الملاحظات المريرة يفهم المستشار أنه فرغ من عمله ، ونجح فيه ، فلا بأس أن يفيض على الأزهر بشيء من كفايته ، ولو لم تكن له صلة ، ولا خبرة بما لدى الأزهر من ثقافة وكتب .

٣ - القوصى الرائد للثقافة يتكفل بترجمة كتب أمريكية ، تقوم بنشرها مؤسسة تدعى - مؤسسة فرنكلن - وهذه كتب خبيثة غاية الخبث في إفساد النشء ، ودفعهم إلى المجون ، وانتزاع الحياء من وجوههم ، وإغرائهم بالعدوان على الأعراض ولو في الطرقات العامة ، وتزعم هذه الكتب أن الإقدام على هذه المحارم شجاعة ، والتخلف عنها جبن ، وهكذا مما يطول الحديث عنه ، والقوصى بترجمته لهذه المفاحش ، وبترويجه لها ، وتيسيرها على الشباب يعتبر نفسه مجاريا للحياة الواقعية ، أما الأزهر فأخذ بكتب قديمة ، فيها ما ينقض هذه المزاعم ، وفيها ما يحول بين الناس - وخاصة الشباب - وبين هذه المآثم الإجرامية ، وفيها تنقيف صحيح للدين والدنيا ... ومادامت مؤسسة فرنكلن تفقد الدولارات وتملاؤها جيوب دعايتها فوجب على المستطبع أن يكون وفيها لها ، وطاعنا على الأزهر بما يسميه الحياة الواقعية ، وهى فى الحق واقعية أولئك الوجوديين الذين يتصلون من العقيدة فى الله ، ومن التدين بصفة عامة ، ويؤمنون بما يحسونه فقط ، ويعملون بما يشتهون ، وإن قام هذا الاتجاه على نقض الأخلاق وهدم القيم .

٤ - لم يطلب الأزهر من المستشار إبداء رأيه فى شيء ما .
ومستشار لغير الأزهر لا يملك التدخل فيه من تلقاء نفسه ، ولديه منفذ يتيح له أن يتقدم بما يراه إن صح أن له رأيا ينصح به .

وهو أنه عضو فى المجلس الأعلى للأزهر ، فله أن يتقدم بمشروعه إلى هيئة المجلس ليأخذ نصيبه من البحث قبل الإعلان ، كما هو الشأن فى موقف العضو من الجماعة ، ولو كان عضوا فى عصبة .

ولكن المستشار تجاوز واجبه الواضح ، واقتحم الصحافة بخافة ، ورمى الأزهر بحجر طائش ، لم يمس الأزهر ، بل ارتد إلى جبين صاحبه على غير توقع منه لذلك .

٥ - هناك دوافع ورغبات ، استبدت بتفكير المستشار الرائد ، وحملته على الخوض فى شأن غير مهضوم عنده ، ولو أنصف الرجل نفسه لتحرى قبل أن يكتب ، حتى

لا يكشف للناس عن سقطته : وهو رائدهم في مجال الثقافة كما يقال ، بل لو تجرأ وأنصف لأشاد بنجاح الأزهر في رسالته أضعاف ما نجحت جهات أخرى ، فيما دكارة كثيرون من غراس العصر الدنلوبى الانجليزى ، ولا يزالون على ذلك الطراز يعيشون في مصر بعقول انجليزية ، ويفقهون بمدارك مضطربة غير شرعية ، ويقلدون الاستعمار في خروجه علينا بتوجيهات تفسد قوميتنا ، وتنقض أخلاقنا ، وتترعنا من نطاق الدين ، لتدفع بنا إلى إباحية مطلقة ، وتقصينا عن تقاليد كريمة ، هى طابع القومية العربية ، التى رسمها الإسلام قديما ، والتى طغت عليها عوادي الزمن ، حتى أفقنا أخيرا من غفلتنا ، وسمعنا الثورة تنادى بها ، وتسير حثيثا إلى تجديدها ، والاستقلال بعروشها ، والاستمداد من روحها وحيويتها ، وتلك هى القومية التى عاش الأزهر حارسا لثرائها .

٦ — شنع المستشار على ثقافة الأزهر ، وعلى مناهجه ، وكتبه القديمة التاريخ ، وعلى ألفية بن مالك فى النحو وطريقة حفظها الخ وأنا لا أقسو عليه كما قسا على الأزهر المظلوم وإن كان البادى أظلم .

بل أؤكد له أن فى الأزهر مناهج حديثة ، تحوى طائفة جمة من المواد ، يعجبه أن يراها فى الأزهر قبل أن يكون هو مستشارا بزمان .

فى الأزهر مراقبة فنية تشرف على علوم الرياضة ، ومراقبة أخرى تشرف على الآداب وكلتا المراقبتين من رجال فنيين ، اختارهم الأزهر من وزارة التربية والتعليم منذ عشرات السنين ، وفى الأزهر علوم التربية الوطنية ، والتربية الفنية ، ولغات أجنبية منها الانجليزية — كما يحب المستشار الفنى — ومنها الفرنسية والألمانية ولغات أخرى ، وفى الأزهر قسم للدراسات الاجتماعية ، وفى الأزهر ثقافة عسكرية إجبارية ، وفيه نشاط رياضى ، وثقافى وكل هذه الجوانب تحت إشراف الإخصائيين من رجال التربية ، ووزارتى الشؤون والدفاع .

وقد بدأ نشاط الأزهريين فى أسبوع الشباب الجامعى فأحرزوا ميداليات التقدير والشرف ، وإن لم يعرف ذلك المستشار ؟ .

وبدا نشاط الأزهر فى معرض الرسم المقام منذ عشرين يوما ، وزاره السيد وزير التربية ، وسجل فيه كتابة شهادته الحققة بقوة إبداع الأزهريين فيما عرضوه ، كما شهد به سفير أمريكا ، واقترح أن يتنقل المعرض الأزهرى من قطر إلى قطر لو أمكن .

٧ - وفي الأزهر طبعاً دراسة إسلامية هي وثيقة الإخاء بين أبناء العروبة ، وهي المزاج السماوي الذي جعل المسلمين أينما كانوا كتلة واحدة ، يعبر عنها بالعرب ، أو بالقومية العربية دون نظر إلى لون ، أو لغة ، أو إقليم (إنما المؤمنون إخوة) .

هذه الدراسة يا دكتور قوصي يجب ويجب ويجب أن تتغلغل في المدارس والجامعات حتى تأخذ حظها من النفوس ، وحتى تنض عليها القومية العربية التي كلفت نفسك توجيهنا إليها في حديثك ، والتي يفهمها الأزهر أكثر مما يفهمها غيره ، ويجب ويجب أن تبذل أنت نشاطك في الدعاية لها أضعاف ما تبذل في خدمة الكتب الأمريكية إن كنت جاداً فيما تقول : وكنت وفيما بأمانة المستشار في جمهوريتنا العربية المتحدة ! .

٨ - والأزهر يؤدي رسالته في الوعظ والإرشاد على أحسن وجه يكفل إصلاح المجتمع خلقياً ، ودينياً ، واجتماعياً ، مما لا تستطيع الثقافة المدنية أن تقوم بشيء منه ، بل مما تحتاج الثقافة المدنية أن تقتبس منه لنفسها نصيباً كبيراً .

٩ - يا دكتور قوصي ! ! غضبت : لأن مجلة الأزهر اعترضت على نشاطك الأمريكي الدنلوبى ، ولأن واحداً من رجال الأزهر كشف عن مساوئ التعليم المدرسى والجامعى في محاضرة عامة ، فقمت تثار وتقول : كذا وكذا مما دسه عليك أتباعك .

وأخيراً : نصارحك بأن نقص الأزهر في شيء واحد : هو خلوه من صالة فسيحة لرقص الباليه وغيرها ، ولعلمها تكون وتدعو إليها من يعيبون الأزهر ، ليرضوا عنه بعد ، ويكون واقعياً معهم ، فانتظر مع الدكاترة الغاضبين ما

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الأزهر في مجارة الخطابة والشعر

فازت الجامعة الأزهرية بكأس الرئيس جمال عبد الناصر في مجارة الخطابة والشعر التي أقيمت هذا الشهر في أسبوع شباب الجامعات .

وكان موضوع المباراة (خطبة في الاحتفال بمولد الجمهورية العربية المتحدة) . وقد اختار المتبارون هذا الموضوع من بين عشرة موضوعات .

الكتاب

صفوة البيان ، لمعانى القرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسين مخلوف - جزآن بالقطع الكامل ٤٨٦ + ٥٨٤ ص
نشره السيد حسن الشربتلى

هذه خدمة جديدة جلييلة لكتاب الله عز وجل ، يقوم بها عصرنا فى مصرنا ،
اقتداء بما قام به سلفنا فى كل عصر ومصر ، من واجب العناية بالقرآن الحكيم ،
وتقريب مقاصده من قلوب المساميين وعقولهم .

وقد توجت صفحات هذا التفسير بالآيات الكريمة بحروف جلية جميلة ، مضبوطة
بالشكل الكامل ، والعلامات الفنية للوقف والابتداء والوصل والفصل وغير ذلك مما
امتاز به رسم المصحف العثمانى ، مع بيان لذلك فى ص ٥٨٣ - ٥٨٤ من الجزء الثانى
بعد انتهاء الكتاب .

وبلى الآيات فى كل صفحة صفوة البيان لمعانها بأسلوب جزل مفسرا الآيات
الحكمات بما فسرهما به أعلام أئمة التفسير ، ونبه فى المسألة الرابعة من المقدمة (١ : ٨)
على مذهب السلف فى المتشابه كآيات الصفحات (الرحمن على العرش استوى ، كل شئ هالك
إلا وجهه ، ولتصنع على عيني ، يد الله فوق أيديهم ، والسموات مطويات بيمينه) فقال :
مذهب جمهور أهل السنة ، ومنهم سفيان الثورى وابن المبارك وابن عبيدة ووكيع والأئمة
الأربعة ، إنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تعالى ، وترك
تأويلها ، مع تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث . ونقل نصوص الأئمة فى ذلك ، وهذا
هو مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان .

وبالجملة فإن هذا التفسير الوجيز من خير ما يوضع فى أيدي الجمهور لمعرفة ما ينبغى
للسلم معرفته من معانى القرآن ، فقد جمع إلى جمال التأليف جمال الطبع . وكما نشكر
الأستاذ المؤلف على هذه الخدمة منه للاسلام نشكر الوزير السعودى معالى السيد الشربتلى
على قيامه بنفقات طبعه ، وجعله نسخته وفقا لله عز وجل . تولى الله مكافأتهما .

منهج القرآن في بناء المجتمع

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت - ٢٣٢ ص - إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف

هذه فصول جمعت بين الإيجاز والإحاطة ، تناولت الحديث عن المجتمع الإسلامي كما يتحدث عنه الإسلام ، وقد رأت إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف أن تنتفع به الجماهير فقامت بنشره . ومن أهم فصوله : أساس الإسلام في رباط المجتمع . التبتل في نظر الإسلام . التكالب على الدنيا . الروحية المهدبة . الإسلام دين العقل والعلم . مكانة العلم في الوقاية من الأمراض . التضامن الاجتماعي . الأموال . التضامن المادي . أصاليب القرآن في الدعوة إلى الإنفاق . التسول . استغلال حاجة المحتاج . الدين والاجتماع . العبادات الإسلامية . العناية باليتيم . كيف نحبي العمل بالإسلام . الإسلام يدعو إلى التقدم . خير السبل لتوحيد كلمة المسلمين . الأعمال وأساس قبولها عند الله . الابتداع في الدين . التعاليم المحمدية واتصالها بالكون . العظمة المحمدية . القرية السعيدة . نتائج الميلاد النبوي . ندوة العلم والتعليم في خدمة المجتمع . وهذا الكتاب هو الحلقة الخامسة من نشرات إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف . فنلفت إليه الأنظار .

نظرات في الاسلام

لفقيه الأزهر الدكتور محمد عبد الله دراز - ١٢٦ ص - المكتب الفنى للنشر

هذا آخر ما نشر من مؤلفات فقيه الأزهر الدكتور محمد عبد الله دراز ، ويتأخص موضوعه في كلمة قالها المؤلف رحمه الله في المقدمة « لقد نظرنا في تاريخ الحركات الدينية ، وتاريخ الرسائل الإصلاحية ، ونظرنا في تاريخ الدول الناشئة وتاريخ الدعوات الجديدة ، فما رأينا كرسالة الإسلام : لا في تمسكها واستقرارها حيث بلغت من أقطارها ، ولا في عمق نفوذها وبعدها آثارها » .

وهذا الحكم برهن عليه المؤلف في أربعة فصول هي : مع التشريع الإسلامي ، في حياتنا الاجتماعية ، بين المثالية والواقعية ، الإسلام والعلاقات .

وهو من المكتب الجيدة التي ينبغي لشباب المسلمين الاطلاع عليها ، والإحاطة بأغراضها ومراميها .

إنباء العجّل الأنيل المحمّد

في طريق الاتحاد

في صباح يوم الجمعة ١١ رجب (آخريناير) وصلت إلى القاهرة الطائرة المصرية التي أقلت الرئيس شكرى القوتلى من دمشق ومعه السادة الوزراء صبرى العسلى وخالد العظم وصالح الدين البيطار وفاخر الكيالى ومأمون السكربرى وأسعد هارون وخليل الكلاس وحامد الخوجه وصالح عقيل واللواء عفيف البزرى وفؤاد الحلبي والدكتور حسنى سنج وفؤاد الشايب ، وكان يحرس الطائرة بين دمشق والقاهرة سرب من الطائرات المصرية النفاثة .

وكان فى استقبالهم فى مطار المأظلة الرئيس جمال عبد الناصر والوزراء المصريون ورجال السلك الدبلوماسى يتقدمهم سفير سوريا .

ودوت المدافع فى أجواء المطار ساعسة للقاء تحية وتعظيما ، ثم توجه موكب القادمين والمستقبلين إلى القصر الجمهورى بالقبة ، وبعد راحة قليلة توجهوا إلى الجامع الأزهر لأداء فريضة الجمعة ، وكانت الهتافات تملو بالتحية والدعاء للمروبة المتحدة على طول الطريق ، والزهور تنثر على الموكب من شرفات المنازل ، والأعلام المصرية

والسورية تخفق فى كل مكان بين أقواس النصر وأنغام الفرق الموسيقية المختلطة بالهتافات والزغاريد .

ولما وصل الموكب إلى الجامع الأزهر كان فى استقباله فضيلة الأستاذ الأكبر والوزراء وكبار العلماء ووكيل مجلس الأمة . وبعد أداء صلاة تحية المسجد والاستماع إلى آيات الذكر الحكيم خطب على منبر الأزهر فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر والرائد الدينى لجمعيات الشبان المسلمين وكان موضوع الخطبة (الوحدة فى الإسلام) ، وبعد انتهاء الصلاة كان الازدحام الشعبى فى طريق عودة الموكب أعظم مما كان عند القدوم فقطع ركب الرئيسين مسافة لا تزيد على كيلومترين فى أكثر من أربعين دقيقة .

وقد وجه السيد شكرى القوتلى رسالة إلى الشعب العربى فى مصر أعلن فيها أن ميثاقا جديدا للقومية العربية قد ولد ، وأنه سيكون نقطة تحول كبير فى مجرى أحداث هذا الزمان .

وثيقة

إعلان الجمهورية العربية المتحدة فى يوم السبت ١٢ رجب (أول فبراير) وكان يوم عيد عام احتشدت فيه مئات الألوف من أفراد الشعب أمام دار رياصة الجمهورية

واجبهم أن يخرجوا بهذه الوحدة من نطاق الأمانى إلى حيز التنفيذ ، فى عزم ثابت ، وإصرار قوى .

ثم خلاص المجتمعون من هذا كله إلى أن عناصر قيام الوحدة بين الجمهوريتين السورية والمصرية وأسباب نجاحها قد توافرت بعد أن جمع بينهما فى الحقة الأخيرة كفاح مشترك زاد معنى القومية وضوحا ، وأكد أنها حركة بناء وتحرير ، وعقيدة تعاون وسلام . لذلك يعلن المجتمعون اتفاقهم التام وإيمانهم الكامل وثقتهم العميقة فى وجوب توحيد سوريا ومصر فى دولة واحدة اسمها (الجمهورية العربية المتحدة) - كما يعلنون اتفاقهم الإجماعى على أن يكون نظام الحكم فى الجمهورية العربية ديمقراطيا رياسيا يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم ، ويكونون مسئولين أمامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد . ويكون لهذه الجمهورية علم واحد يظل شعبا واحدا وجيشا واحدا ، فى وحدة يتساوى فيها أبنائها فى الحقوق والواجبات ، ويدعون جميعا لحمايتها بالأنفس والمهج والأرواح . ويتسايقون لتثبيت عزتها وتأكيد منعقتها . وسيتقدم كل من نخامة الرئيسين ببيان إلى الشعب يلقى أمام مجلس النواب السورى ، ومجلس الأمة المصرى فى يوم الأربعاء ١٦ من رجب سنة ١٣٧٧ (٥ فبراير) يبسطان فيه ما انتهى إليه هذا الاجتماع من قرارات ... كما

بالقاهرة ، وقف السيد صبرى العسلى رئيس وزراء سوريا ، بإذن من الرئيسين القوتلى وعبد الناصر وتلا هذا البيان الرسمى معلنا وثيقة قيام الوحدة بين مصر وسوريا : « فى جلسة تاريخية عقدت فى قصر القبة فى القاهرة فى ١٣ من رجب سنة ١٣٧٧ الموافق أول فبراير ١٩٥٨ ، اجتمع نخامة الرئيس شكري القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وسيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر بممثلى جمهوريتى سوريا ومصر (وذكر أسماءهم) وكانت غاية هذا الاجتماع أن يتداولوا فى الإجراءات النهائية لتحقيق إرادة الشعب العربى ، ولتنفيذ ما نص عليه دستور الجمهوريتين من أن شعب كل منهما جزء من الأمة العربية لذلك تذاكروا ماقرره كل من مجلس الأمة المصرى ومجلس النواب السورى من الموافقة الإجماعية على قيام الوحدة بين البلدين خطوة أولى نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، كما تذاكروا ما توالى فى السنين الأخيرة من الدلائل القاطعة على أن القومية العربية كانت روحا لتاريخ طويل ساد العرب فى مختلف أقطارهم ، ولحاضر مشترك بينهم ، ومستقبل مأمول من كل فرد من أفرادهم . واتفقوا إلى أن هذه الوحدة التى هى ثمرة القومية العربية هى طريق العرب إلى الحرية والسيادة ، وسبيل من سبيل الإنسانية للتعاون والسلام . ولذلك فإن

(أول فبراير) في وثيقة إعلان الجمهورية العربية المتحدة . وأعلن الرئيسان في وقت واحد لإجماع الشعبين على تحقيق الحلم الذي راود العرب وكان «شرق الوحدة» . وقال جمال عبد الناصر : « يجب أن تتحول أمانينا إلى فيضان منظم ، لا إلى طوفان عال شديد » . ووصف القوتلى الوحدة بأنها : « حدث الأحداث في هذا العصر » . وقال : « من واجبي أن أكون أول مواطن يرشح عبد الناصر الرجل المؤمن والقائد الملهم لرياسة الجمهورية العربية المتحدة » .

الاستفتاء

في يوم الجمعة ٢ شعبان (٢١ فبراير) جرت عملية الاستفتاء في جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة (إقليم مصر ، وإقليم سوريا) في الموافقة أو عدم الموافقة على قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وفي الموافقة أو عدم الموافقة على اختيار الرئيس جمال عبد الناصر لهذه الرئاسة .

وقد وافق الناخبون في مصر على وحدة سوريا ومصر بأغلبية ٦١٠٢١٢٨ صوتاً مقابل ٢٤٧ ، وكانت النسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعويين ٩٨,١٣ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد آراء الموافقين إلى الآراء الصحيحة التي أعطيت ٩٩,٩٩ ٪ .

ووافق الناخبون في مصر على انتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية

سيدعى الشعب في مصر وسوريا إلى استفتاء على أسس الوحدة وشخص رئيس الجمهورية . والمجتمون إذ يعلنون قراراتهم هذه يحسون بأعمق السعادة إذ شاركوا في الخطوة الإيجابية في طريق وحدة العرب حقبة بعد حقبة ، وجيلاً بعد جيل ، وإذ يقررون وحدة البلدين يعلنون أن وحدتهم تتوحد جمع شمل العرب ، ويؤكدون أن باب الوحدة مفتوح لكل بلد عربي يريد أن يشترك معها في وحدة أو اتحاد يدفع عن العرب الأذى ، ويعزز سيادة العروبة ويحفظ كياناتها ، والله نسأل أن يكمل هذه الخطوة وما يتلوها من خطوات بعين رعايته الساهرة وبفضل عنايته السابغة ، وأن يكتب للعرب في ظل الوحدة والعزة السلام » .

إجماع ممثلي الشعبين

في الساعة الخامسة والدقيقة الأربعين من مساء الأربعاء ١٦ رجب (٥ فبراير) خطب الرئيس جمال عبد الناصر في مجلس الأمة بالقاهرة ، وفي نفس اللحظة خطب الرئيس شكري القوتلى في مجلس النواب بدمشق ، فأعلننا أسس الوحدة بين مصر وسوريا ، وكان مجلس الأمة المصري يصفق في كل مرة يذكر فيها اسم الرئيس القوتلى ، في الوقت الذي كان مجلس النواب السوري يصفق عند سماع اسم الرئيس جمال عبد الناصر . وقد أجمع المجالسان على القرارات المشتركة التي أعلنت يوم ١٢ رجب

باب الطائرة فوجئوا بالرئيس جمال عبد الناصر وهو يهبط من سلم الطائرة ويمد إليهم يده مصافحا ومن خلفه المشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وأنور السادات وعبد القادر حاتم .

وفي دقائق انتشر الخبر على الطريقة العربية إلى أحياء دمشق ، ثم إلى الضواحي ، فسائر المدن السورية ، فالى لبنان ، والأردن ، والعراق . وقضى جمال عبد الناصر أكثر من عشرة أيام (إلى ساعة كتابة هذا) وهو يستقبل عشرات الألوف المتواصلة فوجا بعد فوج وموجا بعد موج وسيلا بعد سيل في النهار والليل ، ويبقى عليهم الخطب من شرفة دار الضيافة ، بما عجزت أقلام الصحفيين والمراسلين عن استيفاء وصفه ، حتى كان ذلك استفتاء آخر شعبيا عن مبلغ ابتهاج القومية العربية بالجمهورية العربية المتحدة وبطلها المؤمن الملهم الذي كانت العروبة تنتظره منذ أمد طويل حتى ظفرت به واستيقظت حيويتها بقيادته الحكيمة الموفقة . وقد أحصت الجهات الحكومية في لبنان عدد اللبنانيين الذين زحفوا إلى دمشق لتحية قائد العروبة بأكثر من مئاة ألف لبناني من جميع الطبقات والمذاهب ، حتى مات أعداء تحرر العروبة بغيظهم ، وحاروا فيما يصنعون أمام هذه الحيوية التي كانت بعثا جديدا للعرب فتحت

المتحدة بأغلبية ٦١٠٢١١٦ صوتا مقابل ٢٦٥ صوتا ، وكانت النسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعويين ٩٨,١٣ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد آراء الموافقين إلى عدد الآراء الصحيحة التي أعطيت ٩٩,٩٩ ٪ .

وفي سوريا كان عدد الناخبين المدعويين لإبداء الرأي ١٤٣١١٥٧ ، وقد اشترك منهم في عملية الاستفتاء ١٣١٣٠٧٠ ، والنسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعويين ٩١,٧٥ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد آراء الموافقين إلى عدد الآراء الصحيحة التي أعطيت ٩٩,٩٨ ٪ . ووافق الناخبون في سوريا على انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة بأغلبية ١٣١٢٨٠٨ صوتا مقابل ١٨٧ صوتا ، والنسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعويين ٩١,٧٥ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد الموافقين إلى عدد الآراء الصحيحة التي أعطيت ٩٩,٩٨ ٪ .

جمال في دمشق

في الساعة التاسعة إلا ربعا من صباح الاثنين ٥ شعبان (٢٤ فبراير) كان جماعة من قواد الجيش السوري يتقدمهم اللواء عفيف البزري وآخرون ينتظرون في مطار المزة بدمشق وصول القائد العام المشير عبد الحكيم عامر من القاهرة ، ولما فتح

به الأبواب إلى مستقبل له ما بعده
إن شاء الله .

جمال في خط النار

كانت أول زيارة قام بها الرئيس جمال
عبد الناصر وهو في إقليم سوريا هي زيارة
القوات المسلحة للجمهورية في الخطوط
الأممية، فقد فاجأ الرئيس ضباطه وجنوده
على حدود إسرائيل مع مطلع الفجر من يوم
الخميس ٨ شعبان (٢٧ فبراير) فأقبلوا عليه
يعانقونه ويقبلونه ويهتفون بحياة محقق
الوحدة ومنشئ الجمهورية العربية المتحدة
وقاهر الاستعمار وأعوان الاستعمار . وعلمت
المناطق المجاورة لخط النار بوجود الرئيس
فتقاطرت جموع الأهالي واشتركوا مع
الضباط والجنود في تحية الرئيس .

انضمام اليمن

إلى الجمهورية العربية المتحدة
كان الأمير سيف الإسلام البدر نجلى
إمام اليمن وولى عهده قد زار مصر في الشهر
الماضى مع وفد من أهل الحل والعقد
في اليمن ، وتفاوض مع الرئيس ورجال
الجمهورية في الأمن والقواعد التي يمكن
أن يقوم عليها اتفاق انضمام اليمن إلى
الجمهورية العربية المتحدة، ثم سافر إلى تعز
للاجتماع بالده والحصول منه على الموافقة
على هذه الأمن والقواعد .

وفي صباح السبت ١٠ شعبان (أول
مارس) وصل الأمير سيف الإسلام إلى
دمشق عائدا من اليمن ومعه توقيع جلالته

خطبة لجمال في دمشق

ألقي الرئيس جمال عبد الناصر بعد ظهر
يوم الأربعاء ٧ شعبان (٢٦ فبراير) خطبة
من خطبه المتواصلة في دمشق قال فيها :
« ان الشعب العربي يمسك زمام الموقف
بيده ، ويقرر مصيره بنفسه اليوم لا مستقبل
للذين يتنادون بشعار الوحدة بأقوالهم ويعملون
ضدها بأفعالهم ، ولا مستقبل للذين يعتقدون
أن يقظة شعوب العرب ضد مصالحهم
الشخصية . إن الشعب العربي وآماله لن
تورث بعد اليوم ، انها ليست تركة . إننا
نساند جميع البلاد العربية ، وإننا نسلم من
يسالمتنا ، ولا نعادى إلا من يعادينا . لقد
وقفنا ضد حلف بغداد لامن أجل أن اسمه
حلف بغداد ، بل لقد كنا نحب أن حلف
بغداد هذا يكون حلفا عربيا للعرب
منبثقا من صميم العرب لصالح العرب ،
ولو أنه كان كذلك ، لكننا أول من يرحب
بحلف بغداد ، ونرحب باسم بغداد . إننا
نعز ببغداد ، ونعز باسم بغداد ، ونعز
بالعراق وشعب العراق ، ولكننا قاومنا
حلف بغداد وحاربناه لأنه يمثل في هذه
المنطقة النفوذ الأجنبي ، وحينما أعلننا أننا
نقاوم حلف بغداد كنا نقاوم السيطرة
الأجنبية ومناطق النفوذ » .

الذين . وينص هذا الميثاق على إنشاء اتحاد يسمى (الدول العربية المتحدة) ، وأنه مفتوح لجميع الدول العربية ، وينشأ له (مجلس أعلى) يتألف من رؤساء الدول الأعضاء فى الاتحاد ، ويختص بالسياسة العليا ، ويصدر القوانين الاتحادية ، ويعين القائد العام ، ويضع الميزانية العامة .

وينشأ (مجلس اتحادى) لمعاونة المجلس الأعلى ، أعضاؤه يمثلون الدول الأعضاء فى اتحاد الدول العربية . وتكون رئاسة المجلس بالتناوب بين الدول الأعضاء ، وهو يضع البرنامج التنفيذى لسياسة المجلس الأعلى ، ويشرف على تنفيذ القوانين الاتحادية ، ويتفرع من المجلس الاتحادى (مجلس دفاع) و (مجلس اقتصادى) و (مجلس ثقافى) . والقوانين الاتحادية لها قوة إلزامية ،

ويعين رئيس كل دولة وزيرا له لدى الدول العربية المتحدة للإشراف على تنفيذ قرارات الاتحاد ، ويلغى التمثيل السياسى بين الدول الأعضاء . ولكل مواطن فى الدول العربية المتحدة حق العمل فى أى دولة منها . والمساواة بين كل المواطنين دون تفرقة . وحرية التنقل مكفولة . وللدول العربية المتحدة سياسة خارجية موحدة ، وهيئة واحدة للتمثيل السياسى ، وقوات مسلحة واحدة ، وتنفيذ الشؤون الاقتصادية وفقا لخطة مرسومة ، وتنسق أمور التعليم والثقافة ، وينشأ اتحاد جمركى يحدده القانون .

والده الإمام على كل وثائق قيام الاتحاد الفيدرالى بين الذين من ناحية والجمهورية العربية المتحدة من جهة أخرى ، ويحمل كذلك تفويض جلالة والده الإمام له فى أن يوقع الاتفاق النهائى بحضور الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

وفى يوم الأحد ١١ شعبان (٢ مارس) أعلن الأمير البدر فى دمشق قرار الذين بالاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة ، وأمسك الرئيس جمال عبد الناصر بيد الأمير البدر ورفعها إلى أعلى وسط هتاف الجماهير الحاشدة وقال :

« إننا حينما نرحب بالذين العزيز ، وحينما نرحب بخطوة الإمام أحمد ملك الذين ، إنما نشعر من كل قلوبنا أن ذلك الاتحاد الذى انبثق من صميم الأمة العربية هو القوة التى نسعى إليها ، وأنه نواة للوحدة العربية الشاملة » .

وقال الأمير البدر : « إننا نعاهد الله على أن نعمل منذ اليوم على تحقيق كل ما نصبو إليه ، فنحور فلسطين الذبيحة ، ونظهر الجنوب اليمنى المحتل ، كما نظهر كل بقعة من بقاع العالم العربى » .

الدول العربية المتحدة

فى يوم السبت ١٧ شعبان (٨ مارس) أعلن فى دمشق توقيع ميثاق إنشاء اتحاد فيدرالى بين الجمهورية العربية المتحدة وإمامة

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم الله
٦٧٣	المروبة من جذورها - إلى أغصانها، وتمراتها	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٦٨٢	نفحات القرآن : مبرة منسية	» عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٦٨٥	للسنة : كيف يقبض العلم ؟	» طه محمد الساكت
٦٨٩	الفقه : الطلاق في الاسلام	» عبد الرحمن عيسى مدير المجلة . . .
٦٩٥	حصوننا مهددة من داخلها : « في جامعة الدول العربية »	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الاسكندرية
٧٠٦	سلسلة الفقه الاسلامي - ٢ -	الأستاذ عبد الله مصطفى المراغي . . .
٧٠٩	نحو مجتمع إسلامي : بين الوقاية والتقوى .	» أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر . . .
٧١٣	القراءات الشاذة « آراء علماء الاسلام فيها »	» عبد الفتاح القاضي المفتش بالأزهر
٧١٨	الأزهر يكافح سموم المخدرات	» محمد الطنيجي عضو جماعة كبار العلماء
٧١٩	المسئولية في الاسلام - ٣ -	» محمد محمد أبوشهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٧٢٣	عقائدا لوهية والروبية « كما قررها الاسلام »	» يس سويلم طه المفتش بالأزهر . . .
٧٢٨	سابق الفرس إلى الاسلام « سلمان الفارسي »	» محمود النواوي
٧٣٦	شيخ الأزهر السابق : السيد محمد الحضر حسين	» محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٧٤٥	رجل عظيم	» طه محمد الساكت
٧٤٧	قيام الجمهورية العربية المتحدة وانتخاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر أول رئيس لها .	
٧٤٨	رد السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة على تهمة فضيلة الأستاذ الأكبر	
٧٤٩	بيان من مشيخة الأزهر بمناسبة الافتتاح على قرار الوحدة بين مصر وسوريا وانتخاب رئيس	
	الجمهورية العربية المتحدة	
٧٥٠	كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة	
٧٥٢	وليد ميمون « الجمهورية العربية المتحدة »	» أبو الوفا المراغي
٧٥٥	وثبا . . . نحو وحدة العرب	» فتحى عثمان
٧٦١	وحدة مصر وسوريا « قصيدة »	» محمد مختار سليمان مدير الأستاذ بكلية أصول الدين
٧٦٧	كلمة عن تاريخ اليمن وأطوارها	» عباس طه الحامى
٧٧٠	شيخ الجامع الأزهر يستقبل وفد علماء يوغوسلافيا	
٧٧١	فلتفتدوا جميلة	
٧٧٢	تعليقات	» عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٧٧٦	الكتب	المجلة
٧٧٨	العالم الاسلامي	»

حديث رمضان

لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان يقول : قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، كتب عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر . رواه أحمد والنسائي .

« أيها المسلمون » :

كلما اقتربت مواسم الخير ، وأوقات البرهفت إليها النفوس الخيرة ، البارة المؤمنة ، ونشطت لاستقبالها واغتنام فرصتها ، وعملت على أن تحوز فيها ، أكبر حظ من الخير ، وأسباب السعادة .

على هذه الصورة السكرية ، كان السلف الصالح ، من الصحابة الأبرار ، والتابعين الأخيار . كانوا يحسون بنشوة الفرح تملأ قلوبهم ، وتشرح صدورهم عند حلول الأيام التي تسبق رمضان ، من حيث أنها تحمل البشرية بقدوم هذا الشهر الكريم ، الذي كانوا يحظون بأيامه المباركة ، ويشعرون فيها عن سواعد الجهد ، للفوز بأكثر نصيب مما تزخر به من خير وفضل .

وأى مؤمن يسمع قول رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام ، فيما يحكيه عن ربه عز وجل : « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزي به » ويعلم أن فى رمضان ليلة هى خير من ألف شهر ، من حرمها فقد حرم الخير الكثير ، ويعلم من الأحاديث الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن الله عند كل فطر فى كل ليلة من رمضان عتقاء من النار » ، « وأن خلوفاً فى الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » . أى مؤمن يعلم هذا كله ويعتقده ، ويوقن بحسن جزاء الصائمين المخلصين عند رب العالمين ، ثم لا يحرص على الصوم ، وعلى اغتنام الفرصة بالإقبال على العمل الصالح فى هذا الموسم العظيم ؟ .

رمضان « أيها المسلمون » مدرسة يتلقى فيها الصائم دروساً عملية نافعة ، وفرة تمرين

تعمده للعمل الخير المشعر في الأيام التالية ، وتزوده بالقوة التي تذلل له الصعاب وتزيل من طريقه ما قد يعترضه من عقبات .

فالصوم يأخذ الإنسان بضرب قوى من الحمية ، ويضعه تحت تجربة الجوع والحرمان من الشهوة ، ويجعله يحس بنوع الإحساس الذي يتعرض له الفقير ، الذي لا يجد ما يسد به جوعته ، ويشفى غلته .

والصوم يخلص الصائم من سلطان المادة وتحكم الشهوة ، ويرتفع به عن دركات الحيوانية ، الى مستوى الملائكة ، الذين غذاء أرواحهم العبادة والطاعة ومراقبة الله . والصوم يربى في النفوس ملكة الصبر ، وقوة الاحتمال ، والقدرة على مواجهة مكاره الحياة . ويكون في الإنسان فضائل الشجاعة والصراحة والإخلاص في العمل ، ويبعده عن رذائل النفاق والمراءاة ، ويقضى على نوازع الشر ، وما تحمله النفوس من ضعفان وإحزن ، ويميل مع الهوى ، واندفاع وراء الشهوات . ويعود الإنسان النظام وضبط الأعمال ، وينمى فيه روح الاجتماع ، والاهتمام بما يرفع شأن الجماعة الإنسانية ويصون الكرامة الأدبية .

« أيها المسلمون » :

اغتنموا فرصة هذا الشهر العظيم ، وتزودوا فيه بخير زاد من التقوى والعمل الصالح وتذهبوا الى الجانب الاجتماعى في فريضة الصوم ، وهو الذى يرمى الى أن تتمكن بين الناس أسباب المودة والمحبة ، وأن يشعر الفقير بأنه لم تغفله منكم عاطفة البر والرحمة . واعملوا على تقوية روح التعاون فى الأعمال والمنشآت التي تشد أركان الوطن ، وتنهض بالأمة . فإن الأمم الكبيرة التي تعتر اليوم بسلطانها وقوتها ، إنما تقوم شئونها على النظم الجماعية ، والمنشآت التعاونية . وهذا قبل كل شيء هو ما يرشد إليه الإسلام .

« أيها المسلمون » :

إنى أشعر بالغبطة فغمرنى ، وأرى السعادة تظللنى ، وأنا أخطبكم في هذا العام من عاصمة الجمهورية العربية المتحدة . هذه الجمهورية التي كان يحلم بها المسلمون ، فأصبحت حقيقة واقعة .

وإذا كان في قيامها تصحيح لبعض الأوضاع ، وعود بالعرب الى ماضيهم الحميم فإنها من غير شك ثمرة كفاح الأبطال ، الذين جاهدوا وصابروا ، واشتهد كثير منهم في ساحة الشرف ، لتحقيق هذه الغاية السعيدة ، والأمنية الغالية .

وإن شهر رمضان العظيم، بروحانيته الخالصة، ودروسه القوية، في الصبر والجلد، والعزم والتصميم، وفي التضحية بالمذات، والتعاون والرحمة والإيثار ليوحى إلى بالنويع بشأن قادتنا الأماجد، الذين خالص جهادهم لله، وتمكن من قلوبهم حب الوطن، وضخوا بكل نفيس وغال في سبيل توحيد كلمة العرب، وتخليصهم من أسر الاستعباد، الذي تجرعوا مرارته حقبة طويلة، عمل فيها المستعمر على بذر بذور الشقاق والفتنة، وفتفتت القوة، وتفككت الرابطة، والقضاء على مقومات العروبة الأصيلة، والمعاني السكرية النبيلة التي توارثها العرب الأعراء، الشرفاء الأمتاء، كابرًا عن كابر، وجيلاً بعد جيل.

هذا وإنني أهيب بجميع المسلمين، في جميع الأقطار، أن يبذلوا كل جهودهم في دعم وحدة العرب، هذه الوحدة التي وضعت أولى لبناتها في هذه الأيام السعيدة، وأن يدفعوا عنها كل شريراد بها، ويقضوا على كل محاولة أو مؤامرة تحاك حولها، وأن يحوها من التيارات التي تعطل سيرها أو تقف في سبيل ازدهارها وتقوية أمرها. وألا يمكننا الدخيل من نفث سمومه فيهم، وبث فتنه بينهم: وأن يحذروا شباكه التي ينصبها في طريقهم للايقاع بهم، وعرقلة جهودهم، والرجوع بهم إلى العهود الأولى التي كان يمتص فيها دماءهم ويتحكم في مصائرهم، ويتخذ منهم أعوانا عليهم.

وإنني أدعوكم أيها المسلمون إلى الإقبال على الحياة الجديدة بجد وعزم، وثقة وكبير أمل، لتأخذوا بأسباب القوة، وموجبات العزة، ولتنزلوا إلى ميدان العمل بجميع كفاياتكم وإمكانياتكم، التي تستند إلى إخلاصكم، وعظيم ثباتكم، وإن ما عندكم من طاقات روحية وكالات خلقية وقوة إيمان بالله واعتزاز بعزة الله، كفيل بتحقيق النصر وبلوغ الغاية إن شاء الله.

واعلموا أن من يتذكر لوحدة العرب، ويتخذ له أولياء من أعدائهم أو أعداء الإسلام فهو إما خارج على ملته، وإما خائن لقوميته وعرويته، وأهون هذين الأمرين من أقبح الآثام. أسأل الله العلي الكبير أن يجمع قلوبكم على الحق، ويمدكم بعونه وجميل رعايته، ويدفع عنكم كيد الحاسنين إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الرحمن ناج
شيخ الجامع الأزهر

مجلد	٤٠٠
في واري النيل	٤٠٠
للطبعة واري النيل	٣٠٠
للعلماء والمربين بالواري	٥٠٠
فماج الوادع	٣٠٠
للطبعة فماج الواري	٤٠٠
للعلماء والمربين فماج الواري	٤٠٠

مجلد ١٥٨
مجلد شهرية جامعة
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء التاسع - القاهرة في غرة رمضان ١٣٧٧ - ٢١ مارس ١٩٥٨ - المجلد التاسع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من إلهامات رمضان :

موقف المسلم
من هذه الأحداث الكبرى

نحن في شهر رمضان ...

وشهر رمضان في السنة ، بكس المسألة في الساعة : يدعو أهله إلى أمر غير الذي كانوا فيه ...

يدعوننا إلى تغيير نظام معيشتنا ، والانتقال من حياة الدعة والانطلاق المباح ، إلى التقيد بقيود طارئة ، والتزام أمور كنا في حل من التزامها في سائر شهور السنة .

بل نحن في رمضاننا هذا نستقبل أحداثنا من أحداث التاريخ يتأثر بها كياننا ومجتمعنا في صميمهما لا في مظاهرهما ، وفي مصيرهما لا في حال طارئ ثم يزول . إنها أحداث غير التي كنا نعيش فيها وآباؤنا من قبل ...

هذه الأحداث الكبرى التي استقبلناها مع رمضان هذا العام ، أو قبيل رمضان ، جاءت لتنبهنا إلى واجبات جديدة ، وحياة جديدة . إنها تدعونا إلى أن نكيف حياتنا ، وأنفسنا ، ونظام معيشتنا ، بما يلائم هذه الأحداث .

إن رمضان بكمرس المنبه في الساعة ، يقرع آذاننا ونحن نيام ، أو أشباه النيام ، ليوقظنا من غفلتنا ، ولينقلنا من نظام الدعة الرتيب في المعيشة وسياسة النفس ، إلى نظام التقيد الطارئ في المعيشة وسياسة النفس .

وحكمة الإسلام في هذا التغيير الطارئ على رمضان ، وعلى حياة المسلمين في رمضان ، هي تمرين النفس المسلمة على أن يكون هذا التغيير - ولا سيما ما يتعلق منه بكبح جماح النفس ، واعتياد الصبر - سجيّة للمسلمين في غير رمضان ، وفي ظروف حياتهم كلها .

إن هذا التغيير في نظام المعيشة يحدث في رمضان ، ولكن أثره في كبح جماح النفس ، ينبغي أن ينسحب إلى تطوير أخلاقنا الإسلامية في سائر الشهور بعد رمضان ، حتى ننطبع به ونألفه في حياتنا كلها ، وإلا كان رمضان كالجسم مجردا من حيويته ، ومن الروح السماوية التي يمتاز بها .

ورمضان يأتي بنا بأدابه وأساليب تهذيبه في كل سنة ، أما الأحداث الكبرى التي رافقت رمضان هذا العام ، وما سيطرت عليها من تطور ، فإنها من نوع قلما يتكرر في ألف عام . فنحن منذ عامنا هذا في حاجة إلى التخلق بالأخلاق الإسلامية التي يملها علينا رمضان ، أكثر مما كنا محتاجين إلى ذلك فيما مضى .

يأتينا رمضان في كل سنة لنتحرن فيه على الصبر ، وتهذيب النفس ، وكبحها عن لغو القول ، وعن الاستجابة لدواعي الشهوة .

يأتينا ليعودنا عفة اللسان ، وطهارة القلب ، في كل ما يتحرك به اللسان ويخفق به القلب .

يأتينا ليذكرنا بالله ، وليعودنا السير في الطريق الذي شرعه لنا الإسلام ، ولنتوحي ما يرضى الله من قول وعمل فيما بين السجود والإفطار ، ثم فيما بين الإفطار والسجود .

يأتينا بنظامه المشروع ، ومن نظامه المشروع ضبط النفس ، وقمع شهواتها ، وتقوية الروح والبدن بالإقلال من الطعام ، حتى يكون غذاء النفس وغذاء البدن متعادلين متعاونين في حياة المسلم السكادح المسكاخ .

نحن - في أحداثنا الكبرى التي استقبلنا طلابها ، ويوشك أن يمن الله علينا بتيسير ما بعدها - مقبلون على أمور عظيمة تحتاج إلى تعبئة قوانا كلها : قوى النفوس ، واكتشاف معادنها ، واستعمالها في الكفاح المنتظر . وقوى الأجسام وإعدادها للنهوض بأعباء الجهاد المقدس . وقوة المال واستعماله في النهضة الاقتصادية وميادين التصنيع والتعمير . ودفائن الأرض من معادن وزراعة وتشجير نقوم منها بما نبرهن به على معرفتنا بأقدار النعم الإلهية علينا ، وشكر الله عليها بحسن استعمالها واستغلالها واستثمارها وتعميم النفع بها إلى أقصى ما تبلغه قدرتنا وجهودنا .

هذه التعبئة القومية لجميع قوانا المادية والأدبية ، تحتاج منا إلى أن نقتصد في كل قوة من هذه القوى ، فلا نستعملها إلا فيما يزيدنا قوة وعزة وثروة ومنعة .

هنا حقيقة من حقائق الاقتصاد الإسلامى يجب أن يعلمها كل مسلم ، وأن يعمل بها كل مسلم ، وإن لم يفعل فقد نقص من إسلامه بمقدار ما يفرط به من العلم بهذه الحقيقة والعمل بها .

أيها المسلم ، إن ما تحت يدك وفي تصرفك من الأموال - قلت أو كثرت - ليس ملكاً لك ، فالملك كله لله ، وإنما هى أمانة الله تحت يدك ، حصلت عليها بتوفيق الله وتيسيره لاجتهدك أو سعيك ، وقد يكون فيمن تعرف أولاً تعرف من الناس من هو أبرع منك في تحصيل المال وأنشط سعيًا منك لتحصيله ، ويكون مع ذلك أفقر منك وأقل توفيقًا ، لحكمة يعلمها الله . وقدما زعم قارون وهو يتحدث عن أمواله أنه أوتيها على علم منه بطرق تحصيلها ، فكذبه الله وأباد أمواله . إن الذى لك من مالك - قل أو كثير - ما يقوم منه بحاجاتك الضرورية تنفق منه بالمعروف ، وما زاد على ذلك فهو أمانة الله تحت يدك ، فإن كنت صاحب مصنع عليك أن توسع به مصنعك وترقيه ليمنتفع بنوع قومك بزيادة إنتاجه ، ولئلا يحتاج بلدك إلى استيراد شئ من ذلك من البلاد الأجنبية . وإن كنت من أصحاب الحقول والمزارع والبساتين فأثر بنى قومك بتوسيع زراعة ما تمس حاجتهم إليه ، وإن كان أقل رجاء لك من زراعة أصناف أخرى لا تمس حاجة بنى وطنك إليها . وإن كنت تاجراً فلا تقع في مثل الخطأ الذى وقع فيه أحد أصحاب الملايين من تجارنا إذ حصل على إذن باستيراد سيارات رخيصة مما ينتفع به أرباب الأعمال في أعمالهم ، فأحدث في إذن الاستيراد تغييراً ليستورد سيارات فاخرة لأرباب الترف والمُسرفين في الأرض ، فيحصل من ذلك على ربح أكبر ، وعاقبه الله بمتاعب كان فى غنى عنها لو أنه أحسن استعمال أمواله فيما ينفع

الناس ويرضى الله ، لا فيما يتهاافت عليه المسرفون في الأرض وبيتزبه أموالهم . ولو أن كل تاجر أو مزارع أو صاحب مصنع علم أن ما تحت يده إنما هو أمانة لله عنده اتقنه عليها ليحسن استعمالها فيما ينهض بالأمة ويرفع مستواها بين الأمم ، لزاده الله ثروة وغنى ومحبة في قلوب الناس وتوفيقا في أعماله وبركة في ثروته .

كان مرشدنا الأعظم صلوات الله عليه لا يخشى علينا الفقر بقدر ما كان يخشى علينا طغيان الثروة والأموال ، ونحن نشاهد الآن من طغيان المال في أيدي الذين أنعم الله به عليهم ما نقضى له العجب من التبذير في إنفاقه وتبديده وتحويله من بلاد المسلمين إلى بلاد أعدائهم ، بل قد يتمدى طغيان المال في أيدي بعض الطغاة إلى ما وراء ذلك مما يسخط الله ويستعجل غضبه .

أين نحن من عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان يملك الممالك في آسيا وإفريقية وأوربا ، ومع ذلك فانه تحوّل يوم تولى الخلافة عن الدار الخضراء دار الخلافة إلى منزل صغير في خارج الباب الشمالى من مسجد بنى أمية ، وفيما كان يعمل للدولة ليلا على ضوء شمعة من مال الدولة جاءه من يحدثه في غير شئون الدولة فاطفاً الشمعة لئلا يسرف في شيء من دوائيق الدولة التي اتقنه الله عليها .

إنما كان في أسلافنا من تبلغ به الأمانة على ما تحت يده من الأموال إلى هذا الحد لأنهم كانوا يدركون معاني نظام الإسلام الاقتصادى ويحملون بها ، ويحرصون على أن يقيسوا إسلامهم بمقاييس هذا الإدراك لرسالة الإسلام وأغراضه ، ولذلك اتسعت حدود ملكهم إلى أسبانيا من بلاد أوربا ، وإلى قفقاسيا وما وراءها من بلاد روسيا ، ولم تكن في الأرض يومئذ مبراطورية أوسع وأغنى وأرقى من البلاد التي كانت تحكمها الخلافة الإسلامية في القارات المعروفة في زمانهم .

وإنما كان في أسلافنا من تبلغ به الأمانة على ما تحت يده من الأموال إلى هذا الحد ؛ لأن رمضان كان يأتيهم فيترك فيهم أثره من ضبط النفس ، وقمع شهواتها ، وينسحب ذلك في أخلاقهم بعد رمضان ؛ حتى انطبع نفوسهم بطابع رمضان ، وألفوه في حياتهم كلها فمزوا وسادوا ، وكانوا هم الناس بين أم الأرض .

هذا رمضان قد جاءنا مرة أخرى ليدعونا إلى التخلق بأخلاق أسلافنا في صدر الإسلام ، فهل لنا أن نحاسب أنفسنا عما نقيمه من أنظمة رمضان المشروعة ، وما نحققه من أغراضه ؟ .

أليس في الصائمين منا من يخرفون عن حكمة الصيام وكأله بما يكيدون به للناس من شر ، وما تتحرك به ألسنتهم من باطل ، وما يسيخلون به ربهم فيما بين سحورهم وإفطارهم ، وما يقضون به سهراتهم من الإفطار إلى السحور ، وما ينفقون على شهواتهم من أموال يزعمون أنها لهم ، وإنما هي أمانة الله تحت أيديهم يمتحنهم بها ليعلم كيف يتصرفون فيها بعقل وكياسة وحكمة . وفيهم من يذكرون الله ، ولكنهم يذكرونه بألسنتهم دون قلوبهم ، وإذا حلت ساعات السحور أو الإفطار ملاءوا بطونهم بما جاء رمضان ليكفهم عن الإسراف فيه .

إن الشيطان قد نجح - فيما مضى من شهور رمضان السالفة - في إقناع أشباه الرجال منا بأن يفسدوا على أنفسهم صيامهم ببعض ما يخالف حكمة الله في الصيام ، وشعائر الصيام ، وأنظمة الصيام . فهل لنا أن نخزي الشيطان في رمضاننا هذا ، فنحكم بعزائمنا الإسلامية ، على نفوسنا الإسلامية ، توطئة لإعدادها لما يريد الله لنا من أمر عظيم ، في مستقبل عظيم ، نحكم فيه أوطاننا الإسلامية بأدبنا الإسلامية ، لنهض بهذه الأمة إلى مستوى السيادة والسعادة في الأرض ؟ !

كما أن الإسلام دين الحق ، فهو كذلك دين الصبر ، والاعتدال ، والاقتصاد . ورمضان إنما تقوم فينا شعائره لنقيم بها الحق ، ولنتعود بها الصبر ، ولنكون فيها من أهل الاعتدال ، والاقتصاد .

النعمة العظيمة التي أنعم الله بها علينا في هذه الأحداث الكبرى التي استقبلناها مع رمضان هذا العام يوشك أن يزيدنا الله من آلائه فيها لنكون أمة كريمة بين الأمم ، وتكون لنا دولة عظيمة بين الدول ، وإن الغفلة عن هذه الأحداث ، وعن حكمة الله فيها ، وتجاهل ما يترتب عليها ، ووقوفنا منها موقف المتفرج وهي مقبلة علينا ، يجعلنا منها كالذاهل الواجم أمام القطار المندفع نحوه ، فلا يلبث أن يدهم الغافلين عنه ويحطمهم ، جزاء تقصيرهم في مسيرته ، وتلكوتهم في الاضطلاع بالأعباء الجديدة التي ترتبت على هذه الأحداث .

كنّا نشكو الاستعمار ، ونشكو حكاهم سوء ، ونضيف إليهم كل سيئة تقع في أوطاننا ، وكل ضعف أصيبت به شعوبنا . وفي الواقع كان الاستعمار مصدر الشرور والسيئات فيما أصابنا من ضعف ، وكان حكاهم سوء قدوة الدماء والوارثين فيما انحدرنا إليه من تبذير وإسراف وإسفاف . ولكن سياسة الإسلام كانت تهتف بمن يعقل عنها

منادية على ملاء الأئمة : كما تكونوا يول عليكم . فنحن الذين أهملنا سنن ديننا ونظام الإسلام في حياتنا فوقنا بين برائن الاستعمار ، ونحن الذين أسرفنا فابتلانا الله بحكام السوء . ولو أننا استقمنا على سنة الإسلام في معيشتنا وتصرفاتنا لكف الله عنا سلطان الاستعمار ، ولو أننا شرر بحكام السوء .

وأخيرا ، أنقذنا الله من برائن الاستعمار ، ومن أذنا به حكام السوء ، ليمتحن سلوكنا في الحياة ، واستعدادنا للحفاظ على هذه النعمة ، وتأهيل مجتمعتنا للضي فيها ، وليرى موقفنا من سننه في الارتقاء والانحطاط ، وفي التقدم والتخلف .

إن النعم التي يسديها الله سبحانه لأمة من الأمم ترتب عليها مسؤوليات ، ولا ندوم هذه النعم إلا إذا اضطلعت الأمة بتلك المسؤوليات .

إن نعمة الله علينا بالخلاص من كابوس الاستعمار وحكام السوء قد ترتب عليها واجب عظيم هو تعبئة كل القوى لإقامة كيائنا القوي الحديد ، على أساس متين من الأخلاق والعلم والثروة والتنظيم والاستثمار واعتبار الأموال التي تحت أيدينا أمانة لله نتصرف فيها بما فيه المصلحة العامة للأمة والوطن ، وهذا الأساس وحده هو الذي يتحمل البنيان الشاخ الذي يسر الله لنا أسباب تشييده هدية من جيلنا إلى الأجيال القادمة من أبنائنا وأحفادنا .

من حسن حظنا أن في نظام الإسلام - إذا وطنا أنفسنا على العمل به - ما يساعدنا على تعبئة قوانا كلها ، وإقامة بنياننا الشاخ على أساسها . والحياة الإسلامية في رمضان - كما أراد الإسلام للمسلمين - هي حجر الزاوية في هذا الأساس الذي يدعونا رمضان إلى إقامة بنيان المستقبل عليه .

ليسكن رمضاننا في هذا العام بداية عهد جديد لتكوين النفس المسلمة على كبح جماح الشهوات ، والمشاركة في التعبئة القومية الكبرى لاستقبال الأحداث القومية الكبرى ، بحسن استعمال ما أئمتنا الله عليه من أوطان ، وثروة ، وصحة ، وقوة ، فنجعل ذلك كله في سبيل الله وفي مرضاته ، والعاقبة للمتقين ٥

محج الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٥٩ —

مجالسة الآثمين تقيصة خلقية ، وجريمة دينية

« وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » .

مجالسة المرء لغيره متعة وغنيمة ، أو مأساة وجريمة ، وأمر ذلك بيقظة الضمير وغفلته ، ونباهة الحس وبلادته ، ومجرى الحديث وشجونه .

والكثير من أحاديث الناس في مجالسهم يكون مرسلًا ، وحريةهم في القول تصيد الخواطر السانحة ، واللسان يرمى بكل ما توحى به الفكرة يمينًا وشمالًا ، وعاما وخاصا ، وجدا وهزلا .

والدين لم يحظر على الناس أن يتسامروا ، ولم ينكر عليهم أن يتبسطوا ، بل اعتبر المحادثة من أسباب المودة ، ووسائل التعارف ، ولم يرض أن يتنكر الجالس بجليسه بالصمت ، أو يتأذى في التجاهل ، كما نشهد في مجالس كثيرة وفي أسفار طويلة من بعض الأشخاص الذين يأخذون بتقليد الفرنجة ، أو الذين يزعمون أن في الصمت عن محادثة الجالس لونا من العظمة . . . وهي عظمة جافة ، ومروءة ناضبة .

إذا هي نوع من المقاطعة . . . والإسلام يشرع ما يشرع من المحادثة بين الجالسين وجليسه — إذا لم يكن مانع — ليسد الفراغ بين المرء وأخيه ، وليدفع وحشة المجالس عن نفس كل منهما .

وهذه سياسة اجتماعية ينشرها الإسلام بين الأفراد ، لتمتد إلى صفوف المجتمع كله ، فتصبح ثمرتها في المجموع وحدة لا فرقة ، وتعاطفا لا قسوة .

غير أن الإسلام مع دعوته إلى التودد بكل وسيلة ، يحرص على مجالسنا من الشوائب ، وينهض بنا في الاجتماع إلى المستوى الكريم ، فيصرفنا عن المهارزات في الحديث ، ويطلب إلى كل منا أن يقول خيرا أو يصمت ، ويكفنا عن التعرض لبحر الكلام ولغو ، حتى

لا يفحش الإنسان في حديثه ولا يأخذ فيما لا فائدة فيه ؛ يكفنا عن هذا كله في قوة ، فيشبه المجلس الصالح الذي يمسك عن لغو الحديث بحابل المسك إذ يستفيد المرء منه أيما فائدة ، ويشبه المجلس السوء بحداد ينفخ كبير الفحم فيحترق جلسيه ، أو يتأذى بريجه على الأقل ، وهذا تصوير قوى الدلالة ، واضح التوجيه .

فإذا كان حديث الجلساء في جانب الدين وجب أن تكون الحيلة أشد ، والأدب أكمل ، حتى لا يكون الحديث وبالاً على صاحبه ، وعلى سامعه .

وواضح أن الانحراف في السمر العادي إثم أو نقيصة ، فإذا كان خوضاً في الآيات ، ومساساً لها بالباطل ، أو كان قدحا في تشريع صحيح فأن ذلك جرأة شائنة وتبجحها تنصل من الدين ، وتمرد على حرمانه ، وعلى من بلغ آياته - صلى الله عليه وسلم .

وكثيراً ما نجد في البيئة الحاضرة ، ومن أهل الثقافة المعاصرة ، من يزجون بأنفسهم في هذا التورط : لا مستفهمين عن حكم ، ولا مستفسرين عن آية ، بل تدفعهم فلسفة غاشمة إلى حرية جامحة فيتناقشون في غير ما تهيأوا له ، ويتحكون في غير ما يفهمون ، ويحسبون الدين ونصوصه وأحكامه كلاً يرتع فيه الأعرج والصحيح ؛ ويفوتهم أن هذا عدوان على التشريع ، وأنه مسلك أهل الجاهلية الأولى : الذين تحكمت فيهم غشومة فصاروا يخوضون في الآيات بدلاً من مطاوعتها ، ويهبطون في الكفر مهبط أخرى ، وطالما هتف بهم القرآن لينتشلهم منها وهم لا يسمعون .

والجميل أن القرآن يترفق بهم ، فلا ينهى الرسول عن التعرف بهم ، بل يطلب إليه أن يعتمد عنهم حين خوضهم في الآيات ، ومساسهم بجلالها . . فإذا ما أخذوا في حديث آخر غير باطل فلا حرج على النبي أن يجالسهم ، وهذا رفق بقوم لم يترفقوا بأنفسهم : حتى تظل فرصة الهداية بهدى النبي صلى الله عليه وسلم سائحة لهم .

وذلك قوله تعالى : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » .

وهل الخطاب للنبي - صلوات الله عليه - وتعليم لأمته ؟ ؟ أو هو خطاب لكل مسلم يصادفه هذا الشأن ؟ ؟ .

الأرجح أنه عام لكل مسلم يرى في مجلسه مثل ما كان يرى النبي وأصحابه صلى الله عليه وسلم .
وفي الآية إشكال يثير الاهتمام . . ففيها « وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع
القوم الظالمين » وكيف ينسب النبي بسبب الشيطان أمر مكلف به ؟ ؟ مع أن الله قال :
في الشيطان ، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والنسيان من عمل
الشيطان كما ذكرت الآية فيكون له سلطان على الرسول .

والجواب عن علماء التفسير أن الخطاب مقصود به غير النبي ، فالنسيان واقع من
الشيطان لا محالة بالنسبة لغيره ، وجواب آخر : أن النسيان لا يعتبر سلطان للشيطان ،
بل السلطان أن يدفع المرء بوساوسه وتأثيره إلى ارتكاب محرم ، أما مجرد الترك لتنفيذ
شيء أمر به فلا يسمى سلطانا ، مع أن الله يتدارك نبيه عاجلا بالتذكير لما نسي فلا
غضاضة فيه ، وهذا كله مفروض في غير ما أمر بتبليغه ، فإنه لا ينسى أبدا . .

وربما كان النسيان في غير التبليغ لحكمة : هي بيان الحكم الشرعى في الحادثة
التي كان فيها النسيان .

وحسبنا هذا من كلام طويل ، والعبرة التي نأخذها نحن من السياق : ألا نجارى
أهل الباطل في حديثهم ، ولا نرضى عن مجالسهم ، بل نردهم بالحسنى عن خوضهم . فإذا لم
يستجيبوا هجرنا مجالسهم حتى يتأدبوا .

وقد يبالغ التسامح ببعض الناس أن يغفلوا هذا الحرص : حياء ، أو مهابة ،
أو مجاملة ، ولكن التغاضى عن كلمة الحق مجاملة لسيخط الله ، وشؤم على المجتمع إذا
تفشيت فيه هذه الهوادة .

ولحق أساليب مقبولة ، ودعاية معسولة ، وهى حكمة الإسلام في دعوته ، وتبليغ
رسالته والله يعصمنا من الزلل ، ويهدينا سبيل الرشاد .

عبدالمطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الشيخة

مدرسة الصيام

أعظم ميراث نبوي - أعظم الناس حظاً من الفضائل -
 التخلق بأخلاق القرآن - نماذج من الجود النبوي - عرض
 القرآن ومدارسه - دروس يتلقاها الصائمون - نعم أجر العاملين .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ؛ وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ؛ وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ؛ فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

(رواه الشيخان ، والملفظ للبخاري) [*]

* * *

بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً . هذه أصول الإسلام ودعائمه العظمى .

وتؤلف كل دعامة منها مدرسة لها منهاجها وحدودها ، وأحكامها وآدابها . . . ثم تؤلف الدعائم كلها منهاج الدين كله ، في جملته وتفصيله ، فأما الجملة فقد أشار إليها

(*) في بدء الوحي ، ورواه بعد ذلك في الصوم . وفي بدء الخلق : باب ذكر الملائكة ، وفي الأنبياء : باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي فضائل القرآن ؛ وأما مسلم فرواه في كتاب الفضائل .

حديث الشيخين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان ، وأما التفصيل فقد بينه صلوات الله وسلامه عليه أو في بيان ، منذ أوحى إليه في شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، إلى أن ودع هذه الدنيا ، تاركا لأمتة أعظم ميراث نبوى ، وأوفى منهاج سماوى ، أعجز الأولين والآخرين أن يأتوا بمثله ، وأن يجدوا سعادتهم الدنيوية والأخروية في غيره .

* * *

ولكل من هذه الدعائم الخمس - ما عدا الأولى - ميقاتها الزمانى ليس غير ، أو الزمانى والمكانى معا ، وأما الدعامة الأولى ، فهى أساس الدعائم الأربع ومفتاحها ، وقطبها وعمادها ، لا يوزن عند الله عمل إلا بميزانها ، ولن يرضى الله عن عبد إلا إذا امتلأ بقيمتها بها ، فليس لها إذا زمان ولا مكان ... اللهم إلا قلب سليم ينبض بالحق ، ولسان قويم ينطق بالصدق ، ونفس مؤمنة راضية : رضيت بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم عبداً لله ورسولاً .

* * *

ولئن كانت الدعائم الخمس ، يتصل بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً ، إن لكل منها مزايا خاصة ، وفضائل وأسراراً ، وحكماً بالغة توحى بها أو تشير إليها ، وتعرف من مدرستها ومنهجها ، بمقدار فقه العبد في دينه ، وتلقيه العلم عن أهله . وإنما النبى صلى الله عليه وسلم قاسم ، والله يعطى ... لا جرم أن أعظم الناس حظاً من هذه الفضائل والمزايا ، الأنبياء والصديقون ، والعلماء العاملين ، على درجات بينهم .

* * *

وأول ما اختصت به دعامة الصيام ، أن الله جلت حكمته ، وتباركت نعمته ، اختار زمانها - قبل أن تكون كتاباً موقوتاً ، وفرضاً محتوماً - مبدأً لإنزال كتابه ، في ليلة مباركة ، هى ليلة القدر ، أعظم الفضل فيها ، والإنعام بها ، حتى جعلها خيراً من ألف شهر .

عطاء جد عظيم ، وجود من جواد كريم ، لا يقدر عليه إلا مالك الملك ... ومن بيده الخير ، وهو على كل شئ قدير .

لا عجب بعد هذه الهبة الإلهية العظمى ، واستقرار الإسلام بدعائمه الثلاثة الأولى ، أن تفرض الدعامة الروحية الكبرى ، شكراً للمولى النعم ، وذكرنا لأجل النعم ، واحتفالاً كريماً في كل عام ، بفتحة الهدى والفرقان .

* * *

ومن أجل ما اختصت به هذه الدعامة الروحية ، الإخلاص الذي لا يشوبه رياء ، وهو أول درس يتلقاه الصائمون في مدرسة الصيام ... وسر هذا الإخلاص الخاص ، أن الصيام عبادة سلبية خفية لا يعلمها إلا الله عز وجل ، ومن ثم شرفها باضافتها إليه وحده دون سائر العبادات ، فقال سبحانه في حديثه القدسي : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به [١] ...

* * *

وإذا كان الإيمان بين الصبر والشكر ، كما يشير إلى هذا قوله جل ثناؤه : « إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » . وقوله صلوات الله وسلامه عليه : عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له [٢] - فالصائم يتلقى في مدرسة الصوم كل ضروب الصبر ، وكل فنون الشكر ، حتى يشرف بالعبودية لله وحده ، فيكون صالحا لعازة الأرض ، خليقا برضوان الله عز وجل .

* * *

وإذا كان شكر كل نعمة بما يناسبها ويتصل بها ، نخلق بمن يشكر هذه المنة الكبرى ، أن يجمع إلى الفرح بصوم رمضان ، تخلقه بأخلاق القرآن ، فإذا كان يحفظه أو يحفظ منه قدرا فليأخذ من تلاوته ومدارسته شكرا وذكرنا ، أما العمل به والتخلق بأخلاقه ، فذلك جماع الشكر ، وأفضل الذكر ، وكذلك كان هدى أول المسلمين ، وقدوة الشاكرين ، صلى الله عليه وسلم .

كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه .

(١) الحديث رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وشرحه أستاذنا الجبالي

في م ٤ ونسبنا أن نرجع إلى جدول الأحاديث فشرحناه في م ٢٤ .

(٢) رواه مسلم عن صهيب بن سنان رضي الله عنه .

وكان أحسن الناس ، وأشجع الناس ، وأجود الناس ، ما سئل شيئاً قط فقال : لا، إن كان عنده أعطى وإن لم يكن عنده وعد وعدا كريماً . وكان يعطى عطاء من لا يخاف الفاقة ، على حين يعيش في نفسه وأهله عيش الفقراء ، حتى نيمكت الشهر أو الشهرين لا يوقد في بيته نار ، إن هو إلا التمر والماء !

* * *

كان جوده قبل أن يبعث كرماً لإنسانيا ، فلما أكرمه الله بالرسالة ، أصبح جوده كرماً ربانيا ، ومن أولى من رسول الله ، بأن يتخلق بأخلاق مولاه ؟ ! فإذا جاء شهر التنزيل ، فمن دونه البحر فيضاً وصفاء ، بل من دونه الريح انطلافاً ورخاء .

* * *

ومن جوده بالخير صلوات الله وسلامه عليه ، تعليم الجاهلين ، وهداية الضالين ، وإخراج النفوس من ظلماتها ، وإحياء القلوب بعد موتها ، في غير كلفة ولا منة ، بل بالحكمة والموعظة الحسنة ، وذلك من آثار فضل الله عليه ورحته ، ولا سيما في هذا الشهر الكريم .

ومن هذا الفضل أن يلقاه الروح الأمين في كل ليلة من لياليه فيدارسه القرآن فيه ، ويعرضه كل منهما مرة في كل عام ، حتى إذا كان رمضان الأخير كانت المعارضة مرتين ، إيدانا بانتقاله إلى الرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه .

* * *

ألا إن الجود عامة ، وفي رمضان خاصة ، وتلاوة القرآن ومدارسته ، وتراور المحبين في الله ، وشكر المنعم على ما أولاه ، والتعاون على البر والتقوى ، كل أولئك من الدروس التهذيبية القيمة ، التي يتلقاها الصائمون في مدرسة هذا الشهر العظيم ، ولسكن مضت سنة الله تعالى ، ألا ينفع عالم بعلمه ، حتى يكون به من العاملين ما

ط محمد السكاك

صيام رمضان

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتذكروا العدة ولتذكروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . »

نادى الله سبحانه المسلمين بأحب الأوصاف إليهم ، وأعلمهم أنه فرض عليهم الصيام ، وأنهم ليسوا في ذلك بدعا بين الأمم ، فقد فرضه على الذين من قبلهم . وذلك يدل على أن الصوم يحقق الصالح العام للبشر ، ولهذا شرعه الله لنا ولمن قبلنا وإن اختلفت الكيفية ، وكانت فرضية صوم رمضان في شعبان من السنة الثانية الهجرية ، وصامه النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنوات .

وتضافرت على فرضيته الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، وفرضيته معلومة من الدين بالضرورة ، ومنكرها كافر كمنكر فرضية الصلاة ، أما من ترك صوم رمضان بغير عذر كسلا فيحبس ويمنع عنه الطعام والشراب نهارا .

والصيام عند المسلمين الإمساك عن المفطرات (شهوتي البطن والفرج) من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وبين الله أن ما فرض عليهم صيامه أيام معدودات أى قليلة بالنسبة للعام أو معلومة ، والمراد بها رمضان ، فيكون الله سبحانه قد أخبر أولا بفرضية الصيام ثم بينه بأنه أيام معدودات ، ثم بينه بقوله شهر رمضان توطينا للنفس عليه ، وقد رخص الله من فضله للمريض الذي يشق عليه الصوم والمسافر أن يفطرا ويصوما عدة ما أفطرا من أيام أخر .

ثم قال الله : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين . » والعلماء بالنظر لهذه الآية

فريقان ، فريق يرى أن هذه الآية منسوخة ، وأن معناها : وعلى الذين يطيقون الصوم أى يقدرّون عليه إذا أفطروا فدية ، وذلك أن الصوم أول ما فرض كانت فرضيته على سبيل التخيير إما أن يصوم من يطيق الصوم ويقدر عليه ، وإما أن يفطر وعليه فدية طعام مسكين عن كل يوم والصوم أفضل ، ثم نسخ التخيير بقوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » . فصار الصوم متحتما وهذا التفسير مبنى على أن الإطاقة القدرة على الفعل ، والطاقة اسم مصدر بمعنى الإطاقة .

وفريق آخر يرى أن الآية غير منسوخة ، وأن معناها : وعلى الذين يطيقونه مع مشقة وشدة فدية إذا أفطروا ، وهذا يشمل الكبير الهرم والعجوز ونحوهما ، وهذا التفسير مبنى على أن الإطاقة والطاقة القدرة على الفعل مع مشقة وشدة ، وتناقش رأى كل من الفريقين :

أما الأول وهو أن الصوم كان على التخيير بين الصوم والفطر مع الفدية ، فانه لا يحتاج إلى الترخيص بالتيسير للمريض والمسافر ، ومع هذا فكيف يكون الترخيص إذ يؤول الأمر إلى أن المريض والمسافر إذا أفطرا كان عليهما أن يصوما من أيام أخر عدة ما أفطرا - أما القادر على الصوم إذا أفطر بلا عذر فعليه الفدية فقط ، وبالتالي يؤول إلى أن من أفطر بعذر المرض والسفر عليه عدة من أيام أخر ، ومن أفطر بلا عذر عليه الفدية ، وتشريع يؤول إلى هذا لا يكون معقولا .

على أن النسخ في كتاب الله لا يجيزه بعض العلماء ومع قطع النظر عن هذا ، ففي هذه الآية بخصوصها قد اختلف في نسخها الصحابة والعلماء ، ومن الصحابة عائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم يقولون إن الآية غير منسوخة .

وأما الرأى الثانى : الذى يقرر عدم نسخ الآية وأن معناها وعلى الذين يصومونه بمشقة وشدة فدية ، وأن الإطاقة والطاقة القدرة على الفعل بمشقة وشدة .

فأولا - نذكر نص القاموس وهو يخالف ذلك - الإطاقة : القدرة على الشيء ، وقد طاقه طوقا وأطاقه وعليه ، والاسم الطاقه - وعبرة لسان العرب بهذا المعنى وتزيد عليه أن الطاقه هى الوسع ونصها .

الطوق والإطاقة القدرة على الشيء والطوق الطاقه ، وقد طاقه طوقا وأطاقه إطاقة وأطاق عليه والامم الطاقه وهو فى طوقى أى فى وسعى .

ومن ذلك قوله تعالى : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » أى ما لا قدرة لنا على تحمله ، وقوله : « فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » أى لا قدرة لنا على قتالهم .

وثانياً - معنى الآية عندكم وعلى الذين يقدرّون على الصوم بمشقة فدية - وهذا المعنى يشمل أيضاً المريض الذى يشق عليه الصوم ويعسر ، ويشمل المسافر باعتبار أن الشأن فى صوم المسافر أن يكون بمشقة ، وعلى هذا يكون حكم المريض والمسافر مضطرباً فى الآية ، فمرة ينص بخصوصه على أن الواجب على من أفطر بعذر المرض والسفر الإعادة ، ومرة يشمله نص عام على أن الذى يشق عليه الصوم (ومنه المريض والمسافر) إذا أفطر عليه الفدية فيكون للمريض والمسافر حكمان مختلفان وهذا غير معقول .

ويمكن أن يقرر معنى الآية على غير الرايين السابقين ، ويكون ذلك رأياً ثالثاً يتفق مع الرأى الأول فى تفسير الإطاقة ، وأن معناها القدرة على الفعل ومعنى قوله « وعلى الذين يطيقونه فدية » أى الذين يقدرّون على الصوم إذا أفطروا عليهم فدية - ولكن الآية غير منسوخة كما يقرر الرأى الثانى عدم المنسخ .

ويصير المعنى للآية كلها فرض الله الصيام على جميع المسلمين المكلفين ، ورخص للمريض والمسافر أن يفطرا ، وعليهما عدة من أيام أخر ، وعلى من يطبق الصوم ويقدر عليه إذا أفطر فدية مع عدة من أيام أخر ، ويكون التنصيص على العدة مع القادر على الصوم غير محتاج إليه ؛ لأنه إذا وجب فى حق المريض والمسافر ، فأولى أن يجب فى حق القادر ، وجاء التنصيص فى حقه على الفدية ، فكأنه قيل : وعلى الذين يطيقونه مع العدة فدية طعام مسكين .

فالمعذور بالمرض أو السفر إذا أفطر عليه القضاء فقط ، وغير المعذور والقادر على الصوم إذا أفطر عليه القضاء والفدية .

فمن أكل فى نهار رمضان عامداً عالماً من غير عذر ، غير مبال بحرمة شهر رمضان فلا علماء فى حكمه آراء : -

الحنفية والمالكية يوجبون عليه القضاء والكفارة .

والشافعية والحنابلة يوجبون عليه القضاء فقط .

والرأى الأخير فى الآية يوجب عليه القضاء والفدية .

حكمة تشريع الصوم

شرع الله للناس الصيام وما به حاجة إلى أن يدعوا طعامهم وشراهم ، ولكن لأن الصيام يحقق الصالح العام للبشرية ؛ ولهذا فرض على الذين من قبلنا ، فإن الله قد أودع في طبيعة الإنسان الشهوات ، فإذا اندفع المرء وراء شهواته وأرغى لها العنان فيما تطلب ، وأجابها إلى كل ما ترغب ، فقد انحط إلى درك البهيمية وربما زاد عليها ، أما إذا كبح شهوته وأخضعها لحكم شريعة السماء ، يصرفها كما أمر الله ويسيرها في الصراط المستقيم الذي خطه له الحكيم العليم ، ارتفع إلى أوج الملائكة وكان من عباد الله المكرمين ، وربما فاق الملائكة المقربين ؛ إذ هو قد وصل إلى هذه المرتبة السامية بجهد عنيف لشهواته ، ونضال قوى بين وازع الدين ودواعي الطبيعة والشياطين ، أما الملائكة المقربون فلم يودع الله فيهم هذه الطباع ؛ ولذا لا يتجشعون ذلك الجهد ، فهم بطبعهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وعلى الجملة فبالصوم يخضع المسلم شهواته ، ويتحكم في ملذاته ، وتقوى إرادته وتشتد عزيمته ، ويضعف أمامه سلطان النفس والشيطان ، ويقوى سلطان الدين والديان ، ويشير إلى ذلك قول الرسول الأكرم : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج) أى من قدر على مطالب الزوجية فليتزوج (ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) بكسر الواو أى مانع من استرسال الشهوة .

وقد صرح الكتاب الكريم في الآية بحكمة الصوم وذلك قوله : « لعلكم تتقون » . أى أن الله فرض عليكم الصيام لتصلوا به إلى تقوى الله وامتنال أمره واجتناب نهيه ، ومتى أمسك الصائم عن مطالب بطنه وفرجه ، تصديقا بأمر الله وطمعا في فضله وثوابه ، ولازمه ذلك المعنى نهاره ولم ينقطع عنه بالسكينة ليله ، فقد فاز بصفة المراقبة لحالقه وهى نتيجة لازمة للصوم إذا تحرى الصائم المحافظة على آداب الصيام ، وكيف يجرو من حرم نفسه شهواتها ابتغاء مرضاة الله على أن يجمع إلى ذلك ما يسيخط مولاه .

هذه بعض مزايا الصوم الدينية ، وإليك بعض فوائده ومقاصده في الدنيا .

أما فائده في صحة البدن وتطهيره من كثير من السموم ، وآثاره في نشاطه وقوته ؛ فقد بسط الأطباء فيها القول ، وحسبنا على الجملة أن نذكر أن المعدة وجهاز الهضم أعضاء دقيقة

ضعيفة ، لا تحتمل أن توالى أداء عملها ليلا ونهارا طوال العام ، ثم الذى يليه والذى يليه حتى ينتهى الأجل ، ولكنها فى حاجة إلى الراحة والاستجمام ، وذلك بما شرع الله بالصوم من إجازة مدة شهر رمضان ، وليست إجازة طويلة بالنسبة للعام ، فهى وإن كانت شهرا فقد آلت إلى نصف شهر مدة النهار فحسب .

ومن هذه الفوائد أن الصيام يربى فى نفس الصائم صفة الصبر واحتمال الأذى ومجادة المسكاره حتى يصير ملكة عنده ، كذلك يرقق الصيام القلب ، ويجعل الصائم الغنى يحس بحرمان الفقير وألمه ، فيدفعه ذلك إلى العطف عليه ومده بشىء مما أتاه الله ، ولهذا ورد فى الحديث : (كان رسول الله صلى عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، فلو رسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة) .

وعلى الجملة فالصوم تهذيب للنفس ودفع بها إلى الفضائل وسمو بالخلق ، فليحذر الذين تفحش بالصوم أخلاقهم وتسوء معاملتهم ويؤذون الناس بحصائد أسنتهم ، أن يهدروا صيامهم ويضيعوا جزاءهم .

من أحكام الصيام

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكلوا عدة شعبان ثلاثين .

استنبط العلماء من هذا الحديث أن الصوم يجب برؤية الهلال فى الصبح ، والسماخ خالية مما يمنع الرؤية من غيم ونحوه ، وإذا لم يكن الجو صحوا وكان غيم أو دخان أو غبار أو نحوه مما يمنع الرؤية وجب الصوم بإكمال شعبان ثلاثين يوما .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له .

اختلف العلماء فى معنى قوله (فاقدروا له) فقال : مالك وأبو حنيفة والشافعى اقدروا له تمام العدد ثلاثين يوما ويكون آخر شعبان - وقال الإمام أحمد وطائفة : معناه ضيقوا له وقدروه تحت السحاب ، وأوجبوا الصوم عند الغيم ويكون أول رمضان ، وقال أبو العباس بن سريخ ومطرف بن عبد الله وابن قتيبة وغيرهم معناه قدروه بحساب

المنازل، واحتج الجمهور بالروايات المصرح فيها بإكمال عدة شعبان ثلاثين عند الغيم، قالوا ومن قال بحساب المنازل فقلوه مردود بقوله صلى الله عليه وسلم : إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب الشهر، هكذا وهكذا يعني مرة تسعا وعشرين، ومرة ثلاثين، قالوا ولأن الناس لو كفوا بذلك ضاق عليهم لأنه لا يعرف الحساب إلا أفراد من الناس في البلاد الكبيرة .

ورج متأخرو الشافعية رأى ابن سريج ومن وافقه في الحساب، وقالوا إن الحاسب متى وثق بحسابه وجب عليه العمل به ، وكذلك يجب على من صدقه ، أما بالنسبة لعموم الناس فلا يجب ، إذ لا يجب الصوم على العموم إلا بحكم القاضى ، وهو يعتمد على رؤية الهلال .

فاذا شهد عند القاضى شاهد ، ولكن علماء الفلك والحساب اتفقوا على أن رؤية الهلال في تلك الليلة غير ممكنة ، فمن العلماء من قل تقبل الشهادة ، ومنهم من قال ترد شهادته .

وقد ظهر من ذلك أن الذين لم يعملوا بالحساب أخذوا بظاهر الحديث إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب، وعملوا بالطريقة الميسرة لمن لم يتوفر له الحساب وهى رؤية الهلال التى أرشدهم إليها الحديث (صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته) .

ويمكن أن يحمل هذا الأمر على الوجوب ما دامت صفة عدم الحساب والكتابة باقية للأمة وملازمة لها، فأما إذا زالت وتوفر لدى الأمة علم الحساب الفلكى كان لنا أن نعتد أيضاً على الحساب ونعمل به ، ولا سيما إذا وصل إلى مثل هذه الدقة التى وصل إليها فى هذا العصر كما هو رأى متأخرى الشافعية .

وما لنا نغالط أنفسنا وكلنا نعمل بالحساب فى صلاتنا ونتعرف منه أوقاتها، ففى الفرق بين الصلاة والصوم على أننا فى الصيام لا نحتاج إلى الحساب إلا فى عملية واحدة هى أول الشهر ، أما فى الصلاة فنحتاج إلى الحساب لمعرفة الأوقات الخمسة لكل يوم .

وليس المقصود من هذا أن نهمل جانب الرؤية، ولكن لنا أن نجتمع معها الحساب ولا سيما عند الغيم ، أو إذا كان الشخص فى مكان ناء عن بلد الحاك ولا يتيسر له العلم بحكمه أو نحو ذلك ، فله أن يعمل بحساب الفلكيين .

لا يجب على المرأة الحائض والنفساء الصوم ولكن يجب عليهما القضاء فى أيام أخر .

الحامل والمرضع يجوز لهما الفطر إن خافتا على أنفسهما أو على الحمل والرضيع ، وعليهما القضاء ، وقال ابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير يفطران وعليهما الفدية ولا قضاء عليهما .

الحقنة الشرجية إذا استعملها الصائم أفطر عند جمهور العلماء ، وقال القاضي حسين لا يفطر بالحقنة الشرجية . قال النووي وهو شاذ وإن كان منقاسا ؛ لأنها إنما تصل إلى الأمعاء لتنظيفها ولا تصل إلى المعدة ، ولهذا لا تحدث شبعاً ولا رياء .

أما الحقنة الجلدية والعضلية والوريدية فلا تفطر لأنها عن طريق المسام ، كالسكحل والقطرة في العين لا يفطران وإن وجد الطعم في حلقه .

إذا قطر في أذنه دواء أو ماء أو غيره ، قال القاضي حسين والغزالي والفوراني إنه لا يفطر ؛ لأنه لا منفذ من الأذن إلى الدماغ وإنما يصل بالمسام كالأكتحال .

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

عربي أنا

لى من دىنى ، ولى من لغتى	نسب بالعرب موصول الحبال
هم إذا رقوا فينبوع جرى	يرتوى الظمآن منه بالزلال
أو نسيم ينشر الطيب وقد	راح يسرى فوق ممتد الظلال
أو سحاب حاد بالخصب وما	قال : إني... عف عن ذكر النوال
فاغنم صفوهم واحذر ، فمن	رام كيدا لهم رام المحال
	سيد عبد الرؤف سعد

شهر الصيام في واقع حياة المسلمين :

رمضان ... يكشف لنا الطريق

من شعائر هذا الدين ما شرع ليتدخل الحياة اليومية العادية ، ينفخ فيها روح الإيمان ساعة بعد ساعة ، دون أن يقطع المرء من بيئته ومشاغله إلا بقدر وذلك واضح في فرائض الصلاة الخمسة في كل يوم .

ومن شعائر هذا الدين ما اتجه إلى تغيير نظام (الزمان) الذي يعيش خلاله الإنسان تغييرا مباشرا ... ويتجلى هذا في فريضة الصيام التي تغير مواعيد الطعام والشراب إلى أوقات أخرى تماما .

ومن شعائر هذا الدين ما اتجه إلى تغيير (المكان) الذي يحيا فيه الإنسان تغييرا مباشرا ... ويظهر هذا في فريضة الحج التي يرحل فيها المسلم إلى صحراء ، ويلبس ملابس الإحرام ، وتمتنع عليه طوال الإحرام أعمال معينة مما كان يزاوله في الحياة اليومية عادة .

ولكل من هذه الشعائر أثره في حياة الإنسان الصلاة تنبيهات خفيفة (لضبط) الآلة الإنسانية خلال مجرى الحياة العادية ، والصوم (فك ومسح) لهذه الآلة مما يكون قد علق بها على مدار العام عن طريق تغيير للعوائد والنظام ، والحج (غيار كامل) لما تلف من هذه الآلة طوال العمر .

وكما كانت الشعيرة الدينية أطول أمدا وأكثر تغييرا للآلوفات الرتيبة كلما تركت انعكاساتها على نفس الفرد وواقع المجتمع ، ويبدو جلليا مدى اهتمام الإسلام بأثر المجتمع على نفوس الأفراد . فهو لا يترك المؤمن يشقى بالإيمان في بيئة تلح عليه ضغوطها المادية والأدبية لينخلع من دينه ، وإنما يرسي بالإيمان نظاما للفرد والمجموع يحقق سلام الضمير وسلام البيت وسلام الجماعات كلها ، دون تصادم أو تمزيق .

والذين يريدون دراسة صحيحة (للأسلوب الديني) في التربية والتنظيم ، فعليهم

(برمضان) فهو جامع لمناح متعددة من أسلوب الدين في التوجيه :

فـرمضان أولـا علم على المجتمع الإسلامى يميزه فلا يخطئه السائح القادم من بعيد ...
 فع أن الصيام شعيرة حقيقتها بين العبد وربّه « كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فإنه لى وأنا أجرى به ^(١) » ، إلا أن لهذه العبادة ظواهر تراها فى المجتمع كله خلال رمضان .
وجو رمضان الاجتماعى : هو الأثر الباقي الذى لم يتخلف عن حياتنا الإسلامية ،
 ومهما تاه المسلمون وتفرقت بهم السبل عبر شهور العام ، فانهم يفيئون إلى الطريق
 فى رمضان .

فـنهار رمضان تقفل فيه حوانيت الطعام ، وتمتنع الأفواه عن الازدراء أو الاحتساء ،
 ويصبح الشذوذ أن ترى إنسانا يأكل أو يشرب أمام الناس ...
 وتعود الحساسية تغشى جماعات المسلمين فلا يطيقون رؤية ناشز آبق ، ويعود الحياء إلى
 وجوه أفراد المسلمين فقلما ترى مجاهرا بمصيان ، وإن رأيتـه سارع إلى الاعتذار والتبرير !

لا أقول إن هذا هو الحكم السائد الشامل ... ولكن لو قارنت الحال فى موقف الناس
 من مخالفات رمضان ، وموقفهم إذا رأوا الكاذب الخائن أو العرييد فيما اعتاده من
 أيام ... لتحققت الفارق الكبير .
 وقبل المغرب ترى مجتمعا صائما يستعد للفرحة الأولى : فرحة الفطر
 إقبال على حوانيت الطعام

وترى الطرقات تموج بالناس ، ثم رويدا رويدا تنتقل الأقدام عن جوب الشوارع
 لتسكن فى البيوت ، وهكذا تخلو الطرقات وتغلق معظم الحوانيت ، وتصير المدن فى حالة
 هدوء تام يقطعه صوت مدفع الإفطار ...

وما يكاد ينتهى الإفطار حتى تنتفض الشوارع حركة ، وتقذف البيوت بسكانها إلى
 (تراويح) رمضان ، ثم (سهرات) رمضان ... وتعوض البلاد بالليل ما افتقدته بالنهار .
 حتى الأطفال الصغار لهم فى رمضان تقاليد وعوائد ، يهدون بضجيجهم ساعة العصر
 لضربة المدفع ، فإذا أقبل الليل كان لهم سمر ولهو ، ومنهم من يصمر على أن يرافق
 (المسحراتى) أو يقلده ليغنى الناس عنه .

[١] من حديث الطبرانى فى الكبير ، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير .

إن رمضان هنا يلقى علمينا درسا نفيسا في تطبيق الإسلام...

فلن ينمض دين الله إلا إذا تعاون عليه الفرد والمجموع ، الصغار والكبار ، الرجال والنساء ، الأسرة والمدرسة ، الإذاعة والصحافة ، الفن والأدب ... وهكذا .

ولن تستمر جذور دين الله غائرة ضاربة متغلغلة ، إلا إن كان المجتمع كله يتعاون على المعروف ويتواصى بالحق والخير ، فينكر كل مخالف مارق حتى يجد نفسه غريبا في مجتمع تميز بالطهر والإيمان .

ولن ينجح التوجيه الديني إلا إن أشركنا فيه نساءنا وأطفالنا ، وعمرنا به أيا منا وليالينا . ولا أعنى بالتوجيه الديني إزجاء المواعظ فحسب ، ولا كن أعنى الحياة الكاملة التي يشيع فيها الصدق في القول والإخلاص في العمل ، والحب لله والبغض لله .

الحياة التي لا يكون فيها الدين أحمالا وأنقلا وأعباء فقط... بل يتخلل الدين كل دروب الحياة ومسالكها ويسد كل ثغراتها ، جسدها ولهاها ، فرحها وترحها ، سلمها وحرها...

الحياة التي يكون الدين فيها تقاليد مستقرة ، وعرفا جاريا ، وقدوة سائدة... ولا يكون (المعروف والمنكر) مجرد كلمات يصرخ بها في واد ، بل حقيقة واقعة تحتها حياة فاضلة لمجتمع يسوق تنظيمه نفسه إلى الخير دون ملاحاة أو اضطراع... مجتمع فيه كفالة للاحتياجات ، وتعاون على الملمات ، وتصالح في الحق ، ولا مكان فيه للكذب والنفاق والخيانة ، إذ لا يجد المرء فيه ما يخافه ليمتقي به بالالتواء والتعقد ، وإنما هو آمن على حريته وعمله ودينه ووطنه وعقيدته .

فليكن مكان الدين كله من حياتنا ، مثل مكان رمضان بيننا... وحينئذ يخلد الدين في واقع أمرنا ، خلود رمضان على تتابع الأعوام .

* * *

ورمضان مدرسة...

نرى في رمضان :

* ارتباط الوجدان بالفكر والعمل .

* وارتباط التكليف بالتيسير .

- * وارتباط الحرمان بالمتعة .
- * وارتباط الفرد بالمجموع .
- * وارتباط الشعائر بالحياة .

وفي هذه الصور المتعددة من الارتباط ، تعبير عن الوحدة في الدين والحياة ...
فإن الإنسان مشاعر وأحاسيس ، والإنسان عقل وفكر ، والإنسان سلوك ونزوع ...
بـرمضان نموذج لاستيعاب الدين حاجات الإنسان كلها . فالصوم في رمضان شفاء
ووقاية للنفس ، والقرآن نزل في رمضان ذكرا وضياء للعقول ، وفي رمضان ذكريات
جهاد وكفاح ترسم للمؤمنين منهج السلوك ، وفيه زكاة الفطر حق للسائل والمحروم .

ورياضة النفس بغير فكر أصيل لن تزيد الإنسانية ثراء إلا في عدد الذين ينأمنون على
المسامير ، ويسرون على الحبال ويتلعون النيران ويلعبون بالسكاكين ... والفكر الأصيل
إذا لم تعصمه نفس طهور قد يكون وبالا على صاحبه وعلى الناس ... وإذا عفت
النفس واستقامت العقول فلا بد من عمل وثمر يعمر الدنيا بالخير .

والمسلمون يستقبلون في رمضان ندرات القرآن بعد صيام وقيام ، وما أجدرهم أن
يخرجوا من رمضان بنفوس سوية وعقول مستنيرة ... لو كانوا يعقلون .

* * *

ورمضان فيه تكليف ومشقة ... ولكنه يعبر عن روح الدين كله إذ يجمع إلى ذلك
التخفيف والتيسير : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر
فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ،
ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلمكم تشكرون » .

الدين عندنا ليس إعتنا للناس وتشديدا في لحظات ، ثم بعد ذلك إطلاقا للعنان
وإرخاء للشهوات في غير أوقات الشعائر وبמידا عن دور العبادة ...

والدين عندنا ليس إضناء للبدن وتعذيبا للجسد زعما بأن ذلك يرقى الروح ...
هذا وذلك من الأفكار الغريبة عن ديننا ، الدخيلة عليه .

الدين عندنا تحقيق لكل الضرورات والحاجات والآمال ، وتقرير (للراحة
الإنسانية) في صورتها الكاملة : راحة للجسد والروح ، للنفس والعقل ، للفرد والمجموع .

لذلك نرى الدين الذى فرض الصوم فى رمضان ، ينهى عن الصوم فى الأعياد ، وينهى عن الوصال فى الصوم ، ويدعو إلى تعجيل الفطر وتأخير السجور رحمة بالصائمين : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

ومن أجل ذلك خفف الله عن المسافر والمريض « ليس من البر الصيام فى السفر »^(١) . وفى غزوة بدر « نادى منادى رسول الله يا معشر العصاة إنى مفطر فأفطروا ! ! ... وذلك أنه قد كان قال لهم قبل ذلك : أفطروا فلم يفعلوا » وتكرر الموقف يوم الفتح « وبلغه أن قوما صاموا فقال : أولئك العصاة ! ... وقال بمر الظهران : إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم »^(٢) .

« وسافر رسول الله فى رمضان فى أعظم الغزوات وأجلها : فى غزاة بدر وفى غزاة الفتح . قال عمر بن الخطاب : غزونا مع رسول الله فى رمضان غزوتين : يوم بدر والفتح ، فأفطرنا فيهما ... ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم تقدير المسافة التى يفطر فيها الصائم بحمد ولا يصح عنه فى ذلك شيء ، وقد أفطر دحية خليفة السكبي فى سفر ثلاثة أميال وقال لمن صام : قد رغوا عن هدى محمد ... وكان الصحابة حين يذشئون السفر يفطرون من غير اعتبار مجاوزة البيوت ... » .

وإذا كان رسول الله يأمر أصحابه بالفطر إذا دنوا من عدوهم ليتقوا على قتاله ، « فلو اتفق مثل هذا فى الحضر وكان فى الفطر قوة لهم على لقاء عدوهم فهل لهم الفطر فيه قولان : أصحابهما دليلان أن لهم ذلك ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ، وبه أفتى العساكر الإسلامية لما لقوا العدو بظاهر دمشق . ولا ريب أن الفطر لذلك أولى من الفطر لمجرد السفر ، بل إباحة الفطر للمسافر تنبيه على إباحته فى هذه الحالة فإنها أحق بجوازه ، لأن القوة هناك تختص بالمسافر والقوة هنا له وللمسلمين ، ولأن مشقة الجهاد أعظم من مشقة السفر ، ولأن المصاحبة الحاصلة بالفطر للجهاد أعظم من المصاحبة بفطر المسافر ولأن الله تعالى قال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » والفطر عند اللقاء من أعظم أسباب القوة [٣] » .

[١] رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير .

[٢] المقرئى : إمتاع الأسماع - طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ٧٣ ، ٣٦٥ .

[٣] ابن القيم : زاد المعاد [مطبعة السنة المحمدية] ج ١ ص ٣٣٤ : ٣٣٦ .

دين واقعى إنسانى :

« والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما »
يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الإنسان ضعيفا » .

* * *

ولكى ينفى الدين معنى (التعبد بالحرمان وإجهاد البدن) ، ويثبت معنى (التعبد بطاعة أوامر الله) سواء كان فيها تخفيف أو تشديد ، فانه جعل الصوم ساعات معدودات حتم الفطر بعدها وحرّم المواصلة فوقها ، وأحلّ ليلة الصيام أن يخلو الرجل لأهله ...

وأنت تقرأ فى ذلك حنو الربانية الرحيمة على الطبيعة الإنسانية التى يعلم الله سرها ونجواها :

« أحلّ لكم ليلة الصيام ، الرفث إلى نسائكم ، هنّ لباس لكم ، وأنتم لباس لهنّ ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم ، وعفا عنكم ، فالآن باشروهن ، وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » .

وفى هذا أصل جليل ، حدّد فيه الإسلام فطرته إلى دوافع النفس ، فلم يزهد فى الاستجابة لها ولم يحط من قدرها ، بل عمل على إرضائها بما يغنى الفرد ولا يحيف على المجتمع ، بعيدا عن كبت المنزمتين أو انطلاق الفجرة .

« وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن قد يدركه الفجر وهو جنب من أهله فيغتسل بعد الفجر ويصوم ، وربما كان يقبل بعض أزواجه وهو صائم فى رمضان [١] » .

هكذا يسوق الدين أحكام قضاء الوطر فى ثنايا أحكام الصيام حتى يغدو الصيام قربة لله بالامتناع عن الطعام والشراب والنساء ، كما يغدو تلبية نداء الفطرة قربة لله بابتغاء ما كتبه الله لعباده « فالآن باشروهن ، وابتغوا ما كتب الله لكم » .

[١] المصدر السابق ص ٣٣٧ . لكنه من الأزواج فى سن الشـباب من ذلك لأنهم لا يملكون أوطارهم .

فاذا انتهى رمضان ختم الله أيامه المباركة بعيد الفطر وهكذا يتزوج في الدين الصبر على المشقة ، ثم الإقبال على المتعة والبهجة ، فلا إفراط ولا تفريط .

« وكان صلى الله عليه وسلم لم يلبس للخروج إلى العيدين أجمل ثيابه ، فكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة ، ومرة كان يلبس بردين أخضرين ، ومرة بردا أحمر (١) » .

« كانت مظاهر الإسلام تتجلى في الاحتفال بالعيدين في الأمصار الإسلامية ، وعلى الأخص في بغداد وبيت المقدس ودمشق . . . وكان يبلغ منتهى الروعة في البلاد التي يكون فيها الشعور الإسلامي قويا مثل طرسوس حيث كان يتوافد إليها غزاة المسلمين من أنحاء الدولة الإسلامية ، وترد إليها صلوات أهل البر من المسلمين الذين لا يستطيعون الخروج للجهاد بأنفسهم » . (حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام - ٢ ص ٣١٥) .

وقد شاء الله أن يكون ختام الصوم عيداً ، وأن يكون ختام الحج عيداً ... وكما تكون الطاعة باحتمال مشقة الصوم والحج ، تكون الطاعة باشاعة مشاعر السرور في عيد الفطر وعيد النحر .

* * *

وليس الصوم مقصورا على تربية الفرد فحسب ، بل إنه يضمن آثاره على الفرد وعلى المجموع ، فيعقب صوم رمضان زكاة الفطر ، كما أن أيام الحج تنتهي بالأضحية في عيد النحر .

وفي هذا وذاك يتقرر حق الفقير والمسكين ، وتثمر شعائر العبادة ثمارها في روح

الفرد في مصالح المجموع على السواء .

« كان رسول الله يخرج يوم العيد من يوم الفطر ، فيصلي بالناس تينك الركعتين ، ثم يسلم فيستقبل الناس فيقول : تصدقوا ، وكان أكثر من يتصدق النساء ... (٢) » .

* * *

[١] المصدر السابق ص ٢٥٠ .

[٢] المصدر السابق ص ٢٥٣ .

وأخيرا... فاننا نجد ارتباطا كاملا بين الصيام والحياة ، وهو ارتباط نجده في كل

شعيرة من شعائر الإسلام .

فليست الشعائر في الإسلام مقصودة لذاتها، وإن لم ينعكس أثر الصلاة والصيام والحج على واقع حياة المصلين والصائمين والمحجّاج فانهم لم يعرفوا الطريق بعد... « ربّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، وربّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر » . رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وصححه السيوطي في جامعه الصغير .

الشعائر في الدين مدرسة أخلاقية ، وعبادة نفسية ، وتربية اجتماعية : « إن الصلاة

تنهى عن الفحشاء والمنكر » . « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهنّ الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » ...

وفي الصيام بالذات توجيه لتقوية الإرادة والعزيمة ، وتعوّد الصبر والاحتمال ، وتأكيد لانقياد الفرد لأحكام الله أخصّ مقومات حياته - غزائر حفظ النفس وحفظ النوع... « الصيام جنة من النار ، فمن أصبح صائما فلا يحجل يومئذ ، وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه ، وليقل إنى صائم » . « الصيام نفس الصبر » . « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

ويبين القرآن ثمرة تربية المجاهدين على الصبر : « فلما فصل طالوت بالجنود قال : إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فإنه مني ، إلا من اغترف غرفة بيده » . فأما الذين لم يطعموا الصبر على العطش بعض الوقت فقد كانوا أعجز عن مواجهة العدو : « قالوا لا طاقة لنا اليوم بالجنود وجنوده » . وأما الذين ثبتوا على الطاعة فقد واجهوا عدوهم ثابتين : « قال الذين يظنون أنها ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين . ولما برزوا لجنالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم باذن الله » .

فهل يخرج المسلمون من رمضان ، بأخلاق في عزائمتهم وسلوكهم تليق لهم مصاعب الحياة ؟ ؟ .

وهل يعرف المسلمون أن شعائر العبادة في الإسلام (نماذج مركزة) للتعليم ، لن تغنى شيئاً إذا لم تتحقق عن طريقها النماذج الأصلية على الطبيعة في واقع الحياة ؟ ؟ .

وهل يعلم المسلمون أن (شهادات) أداء الشعائر لن تنفعهم إذا لم يجتازوا بها ميدان العمل ، ويتفوقوا بها على من لا يحملون مؤهلاتهم ؟ ؟ .

وهل يصمم المسلمون على أن يجمعوا للإسلام في حياتهم قاعدته الاجتماعية يتضامنون على إرسائها ، كما أرسوا بينهم تقاليد رمضان ؟ ؟ .

فتى عثمان

يقظة العروبة

قال المستشرق الانجليزى الدكتور جب : العرب يتسكون بلغتهم وأديبهم ، ويتغنون بحمد الإسلام ، ولم تقم في بلادهم حركة وطنية إلا كانت الروح الإسلامية أساسها . فهل يفكر العرب بعد هذا في إبدال حروف لغتهم بالحروف اللاتينية ، أو ينصرفون عن لغة القرآن التى تربطهم بالعالم الإسلامى كافة ؟ هذا مستحيل . وسبق الروح الإسلامية تسود بلادهم وتتقدم أبداً بلا كلل ولا ملل ، ولن يطرأ عليها أى ضعف أو وهن .

حصوننا مهددة من داخلها

« في جامعة الدول العربية »

— ٢ —

يدعو السنهوري في مقاله - الذي وعدت بالحديث عنه - إلى توحيد القانون المدني في سائر البلاد العربية ، فيستثنى من ذلك المجاز واليمن ؛ لأنهما تلزمان الشريعة الإسلامية ، (إلى أن يحين الوقت الذي تتمكن فيه من المشاركة في حركة التقنين المدني العربي - ص ٨) . ويقول بعد ذلك : إن التقنين العربي يتنازعه تياران ، أحدهما ممثل في القانون المصري ، وهو تيار غربي خالص أو يكاد .

والآخر يمثله القانون العراقي الحديث ، وهو يمزج بين الشريعة الإسلامية والقوانين الغربية . ويدخل في القسم الأول الذي يصفه بأنه (ينتمى إلى الثقافة المدنية الغربية) مصر وسوريا ولبنان وتونس والجزائر ومراكش ، بينما يدخل في القسم الثاني العراق والأردن وفلسطين .

وهو يصف القانون المدني الجديد في مصر بأنه قد جعل للشريعة الإسلامية بعض الاعتبار . ولكنه يعترف بأن (المشرع المصري بالرغم من كل ذلك لم يخط خطوة حاسمة في جعل القانون المدني مشتقا في مجموعه من الفقه الإسلامي) . ويعتذر عن ذلك بأن المشرع المصري قد أخذ بأسباب الأناة والتبصر (وترى حتى يأخذ الفقه الإسلامي بأسباب التطور - ص ١٠) . ثم يعود فيؤكد أن هذا القانون (يمثل أصدق تمثيل للثقافة المدنية الغربية في العصر الذي نعيش فيه - ص ١٥) .

أما القانون العراقي فهو يتميز عنده بأنه (أول قانون مدني حديث يتلاقى فيه الفقه الإسلامي والقوانين الغربية الحديثة جنباً إلى جنب بقدر متساو في الكم والكيف - ص ١٨) وهو يرى أن هذه التجربة (من أخطر التجارب في تاريخ التقنين الحديث) ، لأن وضع نصوص الشريعة الإسلامية إلى جانب النصوص الغربية قد (مكن لعوامل المقارنة

والتقريب من أن تنتج أثرها ، ومهد الطريق للمرحلة الثالثة والأخيرة في نهضة الفقه الإسلامي ، يوم يصبح هذا الفقه مصدرا لأحكام حديثة تجارى مدينة العصر وتسائر أحدث القوانين وأكثرها تقدما ورقيا - ص ١٩) .

وهو يقدر (بعد أن أصبح الفقه الإسلامي والقانون المدنى الغربى جنبا إلى جنب فى صعيد واحد ، أن يتكامل القانونان وأن يتفاعلا . - هذا يؤثر فى ذاك وقد يتأثر به . ومن ثم تقوم نهضة علمية حقة لدراسة الفقه الإسلامى فى ضوء القانون المدنى الغربى . وهذه الدراسة هى التى قصدت أن أصل إليها ، حتى إذا آتت ثمارها وتقدمت دراسة الفقه الإسلامى إلى الحد الذى يجعله مصدرا لقانون مدنى يجارى مدينة العصر ويسائر ثقافة الجيل ، عند ذلك نكون قد بلغنا المرحلة الثالثة والأخيرة ويتحقق ببلوغنا هذه المرحلة الهدف المنشود - ص ٢٠) .

والهدف المنشود عنده هو الذى أشار إليه قبل ذلك بسطور قليلة حين قال (والهدف الذى قصدت إليه هو أن يكون للبلاد العربية قانون واحد يشق رأسا من الشريعة الإسلامية) ولكن كلامه الذى تلا ذلك - وهو كلام بالغ الخطورة - يكشف عن مبلغ ما فى هذا الزعم من إخلاص ، وبين أنه ليس إلا خداعا ، وأن الشريعة الإسلامية التى يقصدها هى شىء آخر غير الشريعة التى أنزلها الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فهى شريعة تستهدى (مدينة العصر) الغربية و (ثقافة الجيل) الغربية أيضا ، وتروض نفسها على أن ترتفع إلى مستوى شرائع الغرب ؛ لأنها فى زعم المؤلف لم تبلغ هذا المستوى . وقصد الكاتب إلى (تطوير) الشريعة الإسلامية واضح فى مقاله هذا كل الوضوح . وهو يقصد بتطوير الشريعة الإسلامية جعلها ملائمة لنظم حياتنا ولأنماطها المنقولة عن الغرب المسيحى ، أو الغرب اللادىنى على الأصح ، فهو يريد أن يشكل الشريعة الإسلامية بشكل هذه الحياة ، بدل أن يشكل الحياة بشكل الشريعة ، أى أنه يحكم هذه الأنماط الغربية فى الشريعة بدلا من أن يحكم الشريعة فى اختيار ما يلائمنا من هذه الأنماط . أو بعبارة أخرى هو يعرض الشريعة على واقع الحياة ، ولا يعرض واقع الحياة على الشريعة . وهو مع ذلك لا يميز بين الشريعة الإسلامية المنزلة من عند الله وبين القانون الغربى الذى صنعتته المصالح والأهواء ، بل الذى صنعتته اليهودية العالمية فى بعض الأحيان ، كما هو الشأن فى القانون الفرنسى الذى استمد منه القانون المصرى خاصة ؛ لأن هذا القانون ثمرة من ثمار الثورة

الفرنسية اليهودية التي أصبحت فرنسا من وقتها دولة لادينية من الناحية الرسمية على الأقل . وما وجه المقارنة بين قانون صنعه الإنسان وبين قانون منزل من عند الله العالم الخبير ؟ .

إن الذى يعتريه شك فى أن الشريعة الإسلامية - كما هى فى القرآن الكريم وكما بينتها السنة الشريفة - منزلة من عند الله كافر . والذى يؤمن بأنها منزلة من عند الله لا يعتريه شك فى صلاحيتها لكل زمان ومكان ، لأن الله سبحانه وتعالى يعلم الماضى والحاضر والمستقبل ، قد أحاط بكل شىء علما ، وأحصى كل شىء عددا ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ، بذلك وصف نفسه - سبحانه - فى محكم كتابه ، وبذلك يؤمن المسلمون .

والواقع أن هذا الذى يهدف إليه السنهورى هو شر الحلول ؛ لأن الذى يفعله هو تبديل الشريعة الإسلامية ، ولا شك أن تفاعل الشريعة الإسلامية السماوية مع شرائع الغرب الوضعية هو شر مما كان حادثا من استعارة القانون الغربى كله أو بعضه . لأن من الممكن التخلص من الدخيل فى هذه الحالة . أما فى حالة الاندماج والتفاعل فادراك الحدود بينهما صعب ، وتحلّص الشريعة الإسلامية مما دخلها من أسباب الزيغ والانحراف يكاد يتعذر بعد أن تتغلغل الروح الغربية فى كيانها ، ويصبح الناتج من تفاعلها شيئا جديدا معقد التركيب تختلف خصائصه وصفاته عن كل من العنصرين المكونين له .

ثم إن الناس فى الحالة الأولى يدركون إدراكا واضحا أن القانون الذى يحكمهم قانون دخيل . أما فى الحالة الثانية فقد يتوهمون أن القانون الذى يحتكون إليه قانون إسلامى بل إن كاتب المقال يزعم لهم ذلك منذ الآن .

والواقع أن هذا الذى يفعله السنهورى هو الذى يهدف إليه الاستعباد الغربى . يقول هـ . ا . ر . جب فى كتابه « إلى أين يتجه الإسلام Whither Islam - ص ٣٢٨ - ٣٢٩ من طبعة لندن ١٩٣٢ » (إن مستقبل التغريب والدور الذى سيلعبه فى العالم الإسلامى لا يتوقف على هذه المظاهر الخارجية للتأثر والاقتراس ؛ لأن الصورة الظاهرية ثانوية ، وكلما كان التقليد فى المظاهر أكمل كان امتزاج الشىء المنقول بنفس المقلدين أقل ؛ لأن فهم الروح والأصول التى تنطوى عليها المظاهر الخارجية فهما كاملا لابد أن يصحبه إدراك التعديلات التى تتطلبها الظروف المحلية ، ويمكن أن يزول من العالم الإسلامى كثير من النظم الغربية التى نراها فيه الآن ، ولن يكون بعد ذلك أقل حظا من الاستغراب

بل ربما كان أوفر حظا ، وإذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح للنفوذ الغربي ومدى تغلغل الثقافة الغربية في الإسلام كان علينا أن ننظر إلى ما وراء المظاهر السطحية . علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة والحركات المستحدثة التي ابتكرت بدافع من التأثير بالأماليب الغربية بعد أن تهضم وتصبح جزءا حقيقيا من كيان الدول الإسلامية ، فنتخذ شكلا يلائم ظروفها) .

يعود كاتب مقال اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية فيؤكد أن هدفه هو تفريب الشريعة الإسلامية نفسها وفرنجتها ، أو بعبارة أخرى لإيجاد « إسلام غربي » إن صح هذا التعبير ، وذلك حيث يقول (فالنتيجة الحتمية لإذن لوضع القانون المدني المصري ثم لوضع القانون المدني العراقي مشتقا منه ومن الفقه الإسلامي على السواء هي النهوض بدراسة الفقه الإسلامي في ضوء القانون المدني الغربي - ص ٢١) .

ومع ذلك فهذا القانوني الذي يظن بالتشريع الإسلامي التخلف عن القانون الغربي يعترف بأنه لم يدرس الشريعة الإسلامية إلا في وقت حديث متأخر جدا ، حين اشترك في وضع القانون المدني العراقي . فأتيج له الاطلاع على بعض نصوص الفقه الإسلامي ، وهو هنا يعترف اعترافا صريحا بأن اطلاعه على الفقه الإسلامي جديد تاريخيا ، ومحدود موضوعا ، لا يتجاوز ما أتيح له أثناء اشتراكه في لجان وضع القانون العراقي ، ولم يمنحه من وقته سنة من عشرات السنين التي أفناها في دراسة القانون الفرنسي ، والواقع أن هذا الجهل بالشريعة الإسلامية يعال فتنه بالقوانين الغربية ، التي حدث به إلى المجاهرة بأن تكون روح التقنين الغربي وأسلوبه هما قوام نهضة التشريع الإسلامي ، وهو بذلك معذور لجهله حسب اعترافه ، ومن جهل شيئا عاداه ، ولكن من الظلم للناس وللإسلام ولل قانون أن يسلم زمام التشريع في البلاد الإسلامية إلى الذين يجهلون شريعتها ، ومن الواضح أن الرجل حين رأس لجان القانون المدني الجديد في مصر لم يكن على معرفة بالشريعة الإسلامية ؛ لأنه إنما اتصل بها حسب اعترافه أثناء اشتراكه في لجان القانون المدني العراقي ، وقد كان ذلك بعد وضع القانون المدني المصري الجديد ، واعترافه في هذا الصدد صريح ، إذ يقول (وأكثر ما كان درسي للفقه الإسلامي عند وضع القانون المدني العراقي . فإن هذا القانون كما قدمت مزاج صالح من الفقه الإسلامي والقانون المصري الجديد . فأتاح لي اطلاعي على نصوص الفقه الإسلامي ، سواء كانت مقننة

في المجلة [١] ومرشد الحيران ، أو كانت معروضة عرضاً فقهيها في أمهات الكتب وفي مختلف المذاهب ، أن ألحظ مكانة هذا الفقه وحظه من الأصالة والابتداع ، وما يمكن فيه من حيوية وقابلية للتطور (ص ٢٢) .

ويرسم كاتب المقال منهجاً يقترحه لدراسة الفقه الإسلامى (لإحيائه والنهضة به نهضة علمية صحيحة) حسب زعمه . فيقرر في بدء كلامه أن (الأساس في هذه الدراسة أن تكون دراسة مقارنة . فيدرس الفقه الإسلامى في ضوء القانون المقارن) . ولست أدري ما حاجتنا إلى هذه المقارنة . ولماذا كل هذا الحرص على أن لا نخالف التشريع الغربى ولا نبتعد عن روحه ؟ أليس في تلك قتل لشخصيتنا وإفناء لها في الغرب ، مما لا يخدم سوى مصالح الاستعباد والتبشير ؟ ذلك إلى ما يتضمنه من تبديل شرع الله وتحريف الكلم فيه عن مواضعه ، وهو كفر صريح ، وليس بعد الكفر ذنب .

ويطالب الكاتب بدراسة مذاهب الفقه الإسلامى المختلفة ، السنى منها والشيعى والخارجى والظاهرى : (وتستكشف من وراء كل هذا قواعد الصناعة الفقهية الإسلامية ، ثم تقارن هذه الصناعة بصناعة الفقه الغربى الحديث ، حتى يتضح ما بينهما من الفروق ووجوه الشبه ، وحتى نرى أين وقف الفقه الإسلامى ، لا في قواعده الأساسية ومبادئه ، بل في أحكامه التفصيلية وفي تفريعاته ، فتتمتد يد التطور إلى هذه التفصيلات ، على أسس تقوم على ذات الفقه الإسلامى وطرق صياغته وأساليب منطقته . وحيث يحتاج الفقه الإسلامى إلى التطور يتطور ، وحيث يستطيع أن يجارى مدنية العصر يبقى على حاله دون تغيير . وهو في الحالين فقه إسلامى خالص (؟ !) لم تداخله عوامل أجنبية فتخرجه عن أصله (؟ !) - (ص ٢٣) .

ألا تعجب معى لهذا الرجل الذى يزعم بعد كل ما قاله أن الفقه الإسلامى الذى يسعى إلى تطويره تحت وصاية التقنين الغربى وفى ولايته هو فقه إسلامى خالص ؟ وكيف يكون خالصاً وهو يحكم فيه (روح العصر) ، وهى روح غربية حسب اعترافه فى كل موضع من مقاله ؟ ومن الواضح أن (مدنية العصر) التى يطلب السنهورى إلى الفقه الإسلامى أن

[١] المقصود هو (مجلة الأحكام العدلية) التى أصدرتها الدولة العثمانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر مقضنة صياغة الأحكام الإسلامية - على المذهب الحنفى - فى شكل مواد على النمط الغربى .

يجاريها ، ويطلب إلى واضعي القانون أن يتخذوها مقياسا لصلاحية الفقه الإسلامى ، هذه المدنية هى مدنية غربية فرضها الاستعباد الغربى ونجح فى ترويحها وفى إرساء دعائمها وتنشئة الرجال الذين يسهرون عليها ورعاية هؤلاء الرجال ودفعهم إلى منصب القيادة والزعامة بما يسمح لهم أن يرعوا جيلا جديدا من أتباعهم ، ثم يرعى هذا الجيل جيلا من بعده ، وهكذا دواليك . فتصبح قيادة المسلمين الفكرية والسياسية دائما فى يد هذه العصابة ، لا يسمع الناس إلا كلامها وكلام أذنانها ، ولا يرون إلا صورها وصور أذنانها ، ولا يرى أحدهم إلى مرتبة من مراتب الشرف ولا يفتح له باب من أبواب الرزق إلا إذا حصل على جواز المرور من هذه العصابة التى تسد كل منفذ ، وتحكم فى كل باب وتحتل كل معقل . ويظل المسلمون هكذا محكومين فى حقيقة الأمر بالاستعباد الغربى وهم يظنون أن حكمهم هم إخوانهم وأبناء أمتهم .

ويقترح السنهورى بعد ذلك إنشاء معهد خاص يلحق بجامعة الدول العربية لدراسة الفقه الإسلامى حسب ذلك المنهج الذى يقترحه . وهنا يلتقى السنهورى بطه حسين ، الذى اقترح فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر - الفقرة ٤٩) إنشاء معهد للدراسات الإسلامية فى كلية الآداب ، كما يلتقى بمحمد خلف الله فى اقتراحه الذى تقدم به إلى وزارة التربية والتعليم عن إعداد مدرس الدين ، فاقترح فيه (أن يعاد النظر فى تكوينه وإعداداته وأن يرسم لذلك منهج جديد يحقق له عمق الثقافة وحرية الفكر) . وبنى على ذلك اقتراحا بإنشاء (قسم أو شعبة للدراسات الإسلامية فى كل كلية للآداب بالجامعات المصرية) تدرس فيما تدرسه (سيكولوجية الدين) و (النظم الدينية والأخلاقية المقارنة) و (لغة أو لغتين شرقيتين كالفارسية والأردية ، ولغة أو لغتين غربييتين ، ليكونوا على اتصال بتيارات التفكير الثقافى فى الشرق الإسلامى وفى الغرب) [١] .

ومع ذلك كله فليس للشريعة الإسلامية من الاعتبار عند كاتب هذا المقال أكثر مما للقانون الرومانى . فالغاية عنده من إنشاء ذلك المعهد الذى اقترحه هى أن تنتهى هذه الدراسة بعد عشرات من السنين إلى أن يتجدد شباب هذا الفقه ، وتدب فيه عوامل التطور فيعود كما كان فقها صالحا للتطبيق المباشر ، مسائرا لروح العصر . وتكون نهضة

[١] مجلة الأسرة - يصدرها قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالاسكندرية - العدد السادس

الفقه الإسلامى - هذه شبهة بنهضة القانون الرومانى فى العصور الوسطى . وينبت الفقه الإسلامى قانونا مدنيا متطورا يجرى المدنية الحديثة . وينطبق هذا القانون الحديث من الشريعة الإسلامية كما انبثقت الشرائع اللاتينية والشرائع الجرمانية من الفقه الرومانى - (ص ٢٤)

ومثل هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن مسلم يعتقد أن الشريعة الإسلامية منزلة من عند الله ، وأنها حدود الله ، لا يتعداها إلا كافر ظالم لنفسه .

ثم يأخذ الكاتب فى بيان ما يتضمنه التقاء القانون الغربى بالفقه الإسلامى من وجوه واحتمالات ، ويخرج القارئ من كلامه بأن ما يسميه (اشتقاق القانون من الشريعة الإسلامية) ليس فى حقيقة الأمر إلا إخضاع الشريعة الإسلامية لأهواء العصر وشهواته وهو ما يسميه (مدنية العصر) . وخلاصة ما يقوله هنا أنه لا يأخذ بحكم الشرع إلا حيث يتفق تماما مع روح القوانين المدنية المستجلبة من أوروبا . ثم هو يعدل الحكم الشرعى أو يلغيه ويسقطه حسب مبالغ تعارضه مع هذه القوانين الغربية الأصول ، التى هى فى زعمه (أصلح للعصر) أو (تجارى - مدنية العصر) أو (تساير روح العصر) حسب تعبيره فى مواضع مختلفة من هذا المقال الطويل .

وتطوير الفقه الإسلامى الذى يدعو إليه الكاتب ، أو تبديله على الأصح ، - هو تطوير وتبديل لا يقف عند حد حسب اعترافه هو نفسه حيث يقول : (فالهدف الذى نرمى إليه هو تطوير الفقه الإسلامى وفقا لأصول صناعته ، حتى نشق منه قانونا حديثا يصلح للعصر الذى نعيش فيه . فإذا استخلصنا هذا القانون فى نهاية الدرس وأبقيناه دائم التطور حتى يجرى مدنيات العصور المتعاقبة ، فقد تكون أحكامه فى جزء منها ، قل أو أكثر ، مطابقة لأحكام القانون المدنى العراقى أو لأحكام القانون المدنى المصرى أو لأحكام كل من القانونين ... الخ ص ٢٨) . والمهم فى ذلك كله أن هذا التطور الدائم سوف ينتهى بذلك التشريع الإسلامى المزعوم فى المدى القريب أو البعيد إلى أن يصبح شيئا مختلفا عن الإسلام الذى أنزل على نبيينا عليه الصلاة والسلام اختلافا تاما . بل إنه - كذلك منذ بدء وضعه أو التفكير فيه كما هو ظاهر فى هذا البحث -

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

الأزهر بين العروبة والإسلام

هذا موقف من مواقف الإنصاف وإيضاح الحقائق يرى الأزهر نفسه مضطرا فيه إلى الحديث عن ذاته، لا برغبة المفاخرة والمنافرة، بل بدافع التصحيح للوقائع، والتقويم للأحكام، والتعديل للعوج، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

والأزهر الشريف هو صاحب الفضل عالمنا وعلى الناس هنا وهناك، وهو الجامع الإسلامي العربي الأكبر، الذي صان تراث الإسلام والعروبة خلال أكثر من ألف عام، والذي حقق الوحدة العربية والوحدة الإسلامية منذ أقدم العصور، ففي أروقة الأزهر وحول أعمدته، وفي رحباته وجناباته، وفي معاهده وفروعه، تتلاقى أبناء الأمة العربية، وأبناء الأمة الإسلامية خلال هذه القرون الطويلة، فتعارفوا وتآلفوا، وتذاكروا وتدارسوا، واجتمعوا على عقيدة الإسلام السمحة ولغة القرآن العربية، كتلة واحدة ومجموعة متحدة، تتقارب عواطفها ومشاعرها، وتتلاقى أفكارها وخواطرها...

والأزهر هو الذي لولاه في عصور الظلمات وعهود الاحتلال - لضاعت العروبة وضاعت كلمة الإسلام من هذه الديار، ولما بقي في الحى رجل يقرأ أو يدري الكتاب، كما يقول « شوقي » عليه رحمة الله.

فقد نظم « شوقي » قصيدة يحيي بها كتاب « فتح مصر الحديث »، وفيها يصف ظلمات البغي والاحتلال والاستعباد التي طافت بالبلاد والعباد، ثم ينوه بفضل الأزهر الشريف خلال هذه العهود المظلمة فيقول :

ظلمات لا ترى في جنتها	غير هذا الأزهر السمع شهابا
زبدت الأخلاق فيه حائطاً	قاحت في فيها رواقاً وقباباً
وترى الأعزّال من أشياخه	صـيروه بسلاح الحق غاباً
قسماً لولاه لم يبق بها	رجل يقرأ أو يدري الكتابا
حفظ الدين ملياً ومضى	ينقذ الدنيا فلم يملك ذهابا
أوذيت هيئته من عجزه	وقصارى عاجزا ألا يهابا !

ولقد حاول الأتراك أن يفرضوا التركية في بلادنا على الجميع ، وحاول الفرنسيون أن يفرضوا الفرنسية ، وحاول الإنجليز أن يفرضوا الإنجليزية ، ودخلت هذه اللغات فعلا في الدواوين والمصالح والنظارات والوزارات والبيوت والأندية والمجتمعات ، وكاد صوت العربية يضيع ، لولا أن الأزهر الجليل أبي واستعصم أمام هذا الطوفان الأعجمي الغربي الجارف ، فضاعت اللغة العربية في أماكن كثيرة وبقيت حية فنية في الأزهر . أفيقال بعد ذلك في نزوة من نزوات النقد أو التأكيد إن الأزهر مقطوع الصلة بالقومية العربية ؟ .

وكيف يقال ذلك والأزهر كان ولا يزال المنبع الذي تفيض منه الدعوات المحرزة على خير البلاد والعباد ، وتشع منه الأضواء التي تنير السبيل في فترات الكفاح والجهاد ، وهو الذي تعبئ منه الدولة مشاعر الأمة وعواطفها في كل موقف فاصل من مواقف التاريخ ، وفي كل مائة من مائة الأحداث ، وفي كل مرحلة من مراحل النضال ، ففي يوم الاعتداء الثلاثي الأسود على مصر انبعث صوت التعبئة العامة من جوف الأزهر ، وفي يوم ميلاد الجمهورية العربية المتحدة ارتفعت كلمة الإسلام من ساحة الأزهر تؤيد هذه الوحدة وتركيبها ، وما من يوم من أيام الفصل في تاريخ هذا البلد وهذه الأمة إلا وكان فيه للأزهر كلمة مسموعة وصوت مرفوع ؟ ! .

والأزهر عربي كل العروبة ، عربي في داره وعلومه ولغته وأساتذته وطلابه ، والأكثرية الكاثرة من طلابه هم أبناء البلاد العربية ، ولو لجأنا إلى لغة الأرقام لقلنا إن تسعين في المائة من طلابه على الأقل عرب من أبناء العرب ، جاءوا إليه من أقطار عربية ، وفيهم ما فيهم من مقومات العروبة ، فزادهم الأزهر عروبة وعربية ، وأهدى إليهم فوق تقويته لعروبتهم هدية كبرى ، هي أن فقههم في دين الله ، وجعلهم دعاة للإسلام ، والإسلام هو خير من زكى العروبة وأعلاها ، وأيدها وقواها

والأزهر قد عرب الذين ليسوا بعرب ... عرب الكثيرين من العجم الذين لم تكن لهم رابطة بالعروبة والعربية ... فكلم من آلاف الطلاب غير العرب قدموا إلى الأزهر من أقطار نائية وديار بعيدة ، وهم لا يعرفون حرفا من العربية ، ولا ينطقون فيها بكلمة ، فتسلمهم الأزهر ، ففتق ألسنتهم بالعربية ، ودرس لهم كتب العربية ، وجعلهم يكتبون بالعربية ، وينطقون بالعربية ، ويفكرون بالعربية ، وفي أثناء ذلك عمر الأزهر عقولهم وقلوبهم بتاريخ العرب وأجداد العرب ومفاخر العرب ، وعاد هؤلاء إلى بلادهم ينشرون

الإسلام بلغة العرب ، فيحسنون المزج بين العروبة والإسلام ، ويبعثون في الديار التي ليست بعربية في أصلها ذكرا للعرب وريحا عاطرة للعروبة ...

ويقولون - ويا إلفك ما يقولون - إن الأزهر مقطوع الصلة بالحياة ولا يدرس العلوم الكونية والمواد الحديثة ؛ مع أن الأزهر تدرس فيه علوم التاريخ والجغرافيا والرسم والهندسة والجبر والطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان وعلم النبات وتثريح الجسم وقواعد الصحة واللغات الأوروبية . أفليس هذه من علوم الحياة ؟ . . .

وهذه صحيفة « الأهرام » تنقل لنا في صباح السبت ١٧ شعبان سنة ١٣٧٧ هـ - ٨ مارس سنة ١٩٥٨ م ، رأى رجل مسيحي ، وهو من رجال السياسة والقانون المحضرين الذين شابوا في معمران المصاومات السياسية والتيارات الاجتماعية ؛ وهو الأستاذ لويس فانوس ، الذي كان عضواً بمجلس الشيوخ في الماضي ، وفي هذا الرأي يقول :

« إنني كمسيحي أو من بدني أؤكد أن الدراسة في الأزهر خير دراسة يقوم عليها منهج قديم أو حديث ، فإن الأزهر هو ذلك المعهد القديم الذي صان القومية العربية واللغة العربية والفقهاء الإسلامى الذى لم يترك شيئاً من حياة المجتمع إلا نظمته ، كالجنايات والحدود وشئون التوثيق وأحوال الأسرة » ! ! ! .

وفي الأزهر فرق كبرى للتدريب العسكرى والحرس الوطنى ، أفليس هذا التدريب من الاستجابة القوية للحياة وللواجب نحو الوطن ؟ ... وفي الأزهر فرق كثيرة للرياضة يختلف أنواعها ، وقد تغلب بالأمس القريب فريق الأزهر لكرة السلة على فريق الإقليم السورى فى الجمهورية العربية المتحدة ، أفليس هذا دليلاً على اتصال الأزهر بالحياة ؟ ... ومنذ أيام أقام الأزهر معرضاً للفنون ... إلى الله أقام معرضاً للفنون زاره الكثيرون من شعبين وحكوميين ، أبعد هذا اتصال بالحياة ؟ ... ولقد قال أحد علماء الأزهر فى مؤتمر رياضى عام منذ سنوات وهو ينطق باسم الأزهر الحديث : « نريد بجوار كل مسجد ملعباً ونريد فى كل ملعب مسجداً » ، أفليس هذا من اتصال الأزهر بالحياة ؟ ... ولقد نادى أحد علماء الأزهر بالتعاون الصادق بين رجال الدين - وهم أهل الأزهر - وبين رجال الفن ، وقال كلمته التى سارت : إنه إذا تدين رجل الفن وتفنن رجل الدين التقيا فى منتصف الطريق لخدمة العقيدة الصحيحة والفن السامى ... أترجد وراء هذه رغبة كريمة بوصل الأزهر بالحياة ؟ ...

معاذ الإنصاف بعد هذا أن نقول إن الأزهر خلو من العيوب ، أو إن مناهج دراسته صورية من صور السكال والتمام ، فالنقصان حظ الإنسان ، والمثل الأعلى يرتفع دائما كلما خطا الإنسان نحوه خطوة أو خطوات ، ولكن المؤسف كل الأسف أن تكال للأزهر وعلومه ومناهجه تهم هو منها براء ، فيقال إنه مقطوع عن القومية العربية ، مع أنه عماد هذه القومية العربية ، أو يقال إن علومه لا تتصل بالحياة ، مع أن أغلبها عميق الصلة والارتباط بهذه الحياة ! ...

لو قيل - مثلا - إن الأزهر مهضوم في حقه ، أو مظلوم من بعض أهله ، أو منكور الفضل عند بعض قومه ، أو مصدود عن مكانته بسبب عجزه ، أو متأخر عن موضعه بسبب الضن المادى والأدبى عليه ، لكان القول أشبه بالإنصاف وأدنى إلى الإصلاح ... أما أن يقال إنه منقطع عن القومية العربية ، ومقطوع الصلة بالحياة ، فكبرت كلمة تخرج من الأفواه ...

بعض الإنصاف يا هؤلاء ، فإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذروه ! ...

أحمد السرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

نسبة التعليم في سوريا

بلغت نسبة التعليم في سوريا ٨٠ ٪ بين أفراد الشعب .

وقد أوجب دستور سوريا الذى صدر عام ١٩٥٠ تعميم التعليم الابتدائى فى كافة أنحاء سوريا خلال عشر سنوات على الأكثر ، على أن يوضع لذلك برنامج مفصل على مراحل ، وتلتزم بتنفيذه جميع الحكومات المتعاقبة خلال هذه السنوات .

كما أوجب الدستور القضاء على الأمية خلال عشر سنوات ، وأن يوضع برنامج مفصل لذلك تلتزم جميع الحكومات المتعاقبة بتنفيذه .

رسالة الأزهري

هي رسالة في تحمية ، وتحية في رسالة ، كلتاها صنوا لأختها ، يسقيان بماء واحد في جنب هذا البيت المعمور برسالاته نيفاً وألف عام .

المساجد :

« وأن المساجد لله » فهي دور العبادة ومهابط التقى ومراد تربية الأرواح على هدى الدين الحنيف ، ومنتديات التحاب بين القلوب بهذه التجمعات التي تؤدي بها الصلاة ، وقد بدأ تأسيسها في الإسلام الرسول الكريم ، من بحر أيام جهاده في الدعوة إلى دين الله ، وكان يلقي فيها خطبه ويبين التعاليم التي أضاعت للناس سبل الاستجابة للدعوة الإسلامية . كما كانت في أيام ورثته على القيام بهذه الدعوة ، الخلفاء الراشدين ، مثابة لكل خير فمنها انبعثت التشريعات للحكم الصالح ، وسياسة الحياة الفاضلة ، وفيها كان التقاضى بين الناس والفصل في الخصومات ، وإقامة الحدود الشرعية ، وفيها كانت تعقد ما يشبه المجالس النيابية للمفاوضة فيما يقتضى تمحيص الرأي كأمور الجيش وحرب المعاندين إذ أن لم يكن دخول العلم ومدارسته على وظائفها هذه بالأمر المقبح عليها ، وإنما رسالتها هي التي جذبت إليها اجتذاباً وولدت منها توليداً . فرسالة الدين والعلم ورسالة التعبد والتقوى ، ورسالة النظر في مصالح المسلمين هي رسالة واحدة لغاية واحدة ، وهذه مساجد الإسلام الكبرى دخلها العلم والتفقه بالدين فصارا من نسيج رسالتها كالحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، والمسجد الأقصى أو جامع عمر بالقدس ومساجد ابن العاص وابن طولون والأزهري بمصر ، والمسجد القرطبي بقرطبة ، والمسجد الجامع ببغداد ، والمسجد الأموي بدمشق ، ومسجد الزيتونة بتونس ، ومسجد الكتبية بمراكش ، ومسجد السلطانين أحمد وعبد الآستانة . كلها دخلها العلم ومدارسة أحكام الدين من باب رسالتها ، لا بالاستعارة ولكن بالحقيقة والأصالة ، وسرعان ما جبيت إليها ثمرات العلوم من كل حذب ، فأمدت المعرفة بفيض علمي ثجاج ، مع تفاوت بينها قريب أو بعيد في أزمان التأسيس وانتظام التلقي ودرجات الإفادة . فمنها ما خدم العلم هونا ما ، ومنها ما أدى رسالته له قوة عارمة . فما هي إذن رسالة الأزهري من بينها ؟

رسالة الأزهر :

كأن الأزهر كان على موعد لم يخلف في حمل رسالة الدين والعلم بعد أن دك الطودان الشاخوان على التعاقب : بغداد دار العلم والسلام والخلافة ، وقعت صريعة تحت وحشية المغول الذين مثلوا بالعلم وأعلم علماء الدنيا شر تمثيل ، وبحسبي من وصف هذه الوحشية الجهلاء أنهم اتخذوا من أكادس السكتب العلمية معاير يعبرون عليها الأنهار ، ثم الأندلس التي ارتفع فيها العلم والمعرفة بكل أنواعهما إلى قبة الفلك ، إنها أيضا كأختها بغداد زال منها الوجود العلمي بغزو برابرة الأسبان . كان الأزهر على موعد من حمل ذلك التراث العلمي الضخم .

الفاطميون والأزهر :

فتح الفاطميون مصر وخطبوا لزعيمهم « المعز لدين الله » في جامع عمرو بن العاص في التاسع عشر من شعبان سنة ٣٥٨ هـ وبعد تأسيس « القاهرة المعزية » - كما سموها - رأوا أن يؤسسوا لهم مسجدا يحوطونه بكل أنواع الرعاية ، فأسسوا « الجامع الأزهر » سنة ٣٦١ هـ ، وقد سموه الأزهر أخذا من اسم السيدة فاطمة الزهراء التي قسموا اسمها إلى قسمين نسبوا دولتهم إلى القسم الأول منه فكانت الدولة « الفاطمية » وأخذوا من القسم الثاني منه اسم (مسجدهم الجديد فكان « الجامع الأزهر » .

الأزهر والعلم :

كان الفاطميون علماء حقا في أداء رسالتهم الدينية والعلمية ، وقد أرادوا أن يلفتوا الأنظار إلى مسجدهم هذا . فاختروا له نواة صالحة من العلماء ، وأخذوا يدرون عليهم الأرزاق ويننون لهم المساكن بجوار الأزهر ، وكم أقاموا فيه من احتفالات بهيجة تارة في صلاة الجمع وتارة في افتتاح الدراسة به مما وصفه مؤرخ مصر « المقرئ » بأوصاف تفيض روعة وجلالا ، وكانوا يسجلون أسماء الحاضرين في سجلات خاصة كتشكرهم لهم ، وقد جلبت هذه الوسائل الإكرامية الجماهير من طلبة العلم وطبقات الناس إلى ارتياد الجامع الأزهر ، وهذا نجاح بلا ريب للفاطميين الذين كانوا أكثر الناس شغفا بالاحتفالات الدينية وتاريخ احتفالاتهم بالأعياد ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف للمطلعين .

على هذه الأسس أخذ الأزهر يؤدي رسالته العلمية والدينية بمجد ونشاط حتى صار

معهدا علميا جامعيا في أسرع الأوقات بما أدخل فيه من مناهج الدراسة وترتيب أوقات الدراسة والتحليل من القيود في البحوث العلمية بما كان يصل بها إلى مداها . وقد أعانهم على استقامة هذه الطرق العلمية وتنوع العلوم الدراسية - مكتبتهم التي أربت على مائتي ألف كتاب ، فيها من كل ما ألف في مختلف العلوم والفنون إلى وقتهم .

الأزهر والمرأة :

جذبت أساليب عناية الفاطميين بالأزهر النساء كما سبق أن جذبت إليه الرجال ، فلقد روى المقرئى أنه كان للنساء في الحضور إلى الأزهر نصيب وكن يقردن فيه بمجالس خاص . ولى هنا وقفة قصيرة هي وقفة الإعجاب بالأساليب الساحرة التي أحاط بها الفاطميون الأزهر لا سيما التي جذبت إليه النساء يتعلمن فيه الدين ، وفي الحق إن الفاطميين كانوا أبرع أهل المذاهب في الدعوة إلى مذهبهم ، ومن أكرم الناس عطاء للعلماء والطلبة والطالبات ؛ ولذلك استمرت الحركة العلمية تزدهر في الأزهر ونزح إليه النازحون من المشرق والمغرب لأنه صار المعهد العلمى الإسلامى الذى طبق ذكره الآفاق ، وضربت في السعى إليه آباط الابل .

المحاسبة :

إذا حاسبنا الفاطميين في رسالة الأزهر العلمية فإن هذا المعهد ليفوز في حلبة المحاسبة فوزا كبيرا ، ففيه درس المذهب الفاطمى والعلوم والفنون الكثيرة على أوسع طرق الدراسة ، وفيه دخلت إلى هذا المعهد الطرق الجامعية في أداء الرسالة العلمية ، وفيه انتظم النساء في حلقات دراسية خصصت لهن بعيدة عن حلقات الرجال .

وجاء دور السلطان صلاح الدين الأيوبي في حكم مصر وكان سلفيا في مذهبه فعمل على تعطيل دراسة مذهب الشيعة في الأزهر وركدت الحال العلمية فيه :

ثم ابتدأ الملك الظاهر بيبرس حكمه بأن أعاد إلى الأزهر ما كان فيه من حركة علمية ودراسية ، ولكن على المذهب السلفى ، ومن هنا تعطلت دراسة مذهب الشيعة في الأزهر وأخذ الأزهر يؤدي رسالة نهضة جديدة للدين و لغة القرآن . وإننى إذا ذكرت دعائم النعوض في هذه العودة فإننى أذكر بكل نثار الإمام الجلال السيوطى الذى تعطينا ، ولفاته - على وجه التقريب -

ما كان يدرس في الأزهر من علوم ألف فيها هذا العالم الجليل خمسمائة كتاب ، عنونت رسالة الأزهر العلمية بعنوان قوى لا تزال مراجعه معتبرة للدارسين ، هذه المؤلفات في علوم التفسير والقراءات والحديث ومتعلقاته والفقه واللغة العربية ومتعلقاتها والأصول والبيان والتصوف والتاريخ والأدب . كما أذكر الجلال المحلى وعز الدين بن عبد السلام وعلماء البيت السبكي من الأب إلى أولاده ، والشهاب القرافى وابن هشام وابن دقيق العيد والأدقوى وغيرهم . ولا يسعنى الإيجاز - المقدر لبحث في مجلة - أن أذكر شيئاً عن كل واحد منهم . كما ارتحل إلى مصر كثيرون من الطلبة المسلمين الغرباء فنهلوا من مناهل الأزهر ، وكان هذا هو ابتداء تكوين ما يشبه عصابة أمم إسلامية في هذا المعهد العتيق . أذكر منهم الأجلء الزيلعى والأصبهانى والتبريزى وعز الدين المقدسى وابن عيسى الأندلسى والحافظ العراقى وابن حجر العسقلانى وعلاء الدين الجوى والرضى الشاطبى والعيدروس الفاسى وقاسم التونسى وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى .

أدى هؤلاء السادة العلماء في هذه الحقب رسالتهم في عزلة عن كل مطامع الحياة وزخرفها ، فاعتكفوا على أداء رسالة الدين ولغته تأليفاً ودراسة فأورثوا العالم الإسلامى أوسع المؤلفات وأضخم الموسوعات مشرقاً ومغرباً . وكالت المراجع الخالدة للدين واللغة وما يدور حولها من علوم وستظل أبداً هى المراجع الأولى فيما ألفت فيه . كما أدوا رسالة الوعظ والإرشاد بتعليم الناس أمور دينهم في نقشف وزهادة ، فكانوا للفقراء أفضل مثال في تحمل ضيق العيش ، وبخلاصة القول كانت حياتهم العلمية من تأليف وإرشاد وحياتهم الخلقية السكرية وتدينهم وتقواهم - أفضل رسالة أداها الأزهر للدين والدنيا معاً .

عصر التطور ورسالته :

أريد بهذا العصر عصر الإمام محمد عبده ، وبحسبى ابتداء من وصف هذا العصر ورجله الجليل أن أذكر رأى الإمام المراغى في ذلك بما نصه .

« أعتقد أننا إذا جاوزنا عصر السلف الصالح لا تجد رجالاً رزق فهماً في هداية القرآن ووسع صدره أدق معانيه الاجتماعية والعمرانية مثل الإمام محمد عبده ، ولقد وهبه الله شروط الإمامة الدينية جميعها كما منحه البصر في أمور الدنيا ، ومن الحق على المسلمين أن يترسموا خطواته بالإصلاح الدينى والدنيوى إذا أرادوا إعزاز دينهم ورفعته أتباعه في دنياهم » .

وهب الله الإمام شروط الإمامة التي كان من مظاهرها الدفاع عن دين الله أمام كتاب الغرب ومفكرهم ، وأعتقد أن القائلين على إصلاح الأزهر لو فكروا في تدريس مقارعات الإمام « هانوتو » لكان ذلك خيرا كبيرا ، لأن الإمام وصل في أداء رسالة الدين في ردوده إلى أرفع الدرجات وأسمى الغايات ، ولم يجد الإسلام وقد وجهت إليه التهم الشكراء من هانوتو وأمثاله إلا عبقرية هذا الإمام الجليل فذب عنه وحى حماه ، ولم يكن هذا الجدل إلا ناحية من الصراع الفكري بين الشرق والغرب ، صوره الكاتب الفرنسي بأن ألبس الدين الإسلامي ثوبا ممزقا كل ممزق ، وصوره إمامنا الجليل بأنه الدين القوى المتين في أصوله وفروعه ، يلحق البيئة بالبيئة ويميز بين ما هو من صلب الدين وما هو دخيل عليه .

أما إصلاحه الدين والدنيا بتفسير كتاب الله على طريقته فذلك ما خرت له العقول ساجدة دون الأجسام . تتقاطر إلى درسه أفواج المسلمين من مصر والشرق والمغرب ؛ لتسمع درر الشيخ وكأنها تشهد تحفة فريدة في صنعها . هذه الطريقة المثلثية في تفسير كتاب الله هي التي تشرّبها العقول النابهة إلى يومنا وقد رأيناها واختصة جليلة فيما فسر الشيخ المراغي من آي القرآن الحكيم ، ثم انتقلت بعد المراغي إلى من استقاموا على طريقته المثلثية أمثال فضيلة الشيخ محمود شلتوت في كتابه « منهج القرآن في بناء المجتمع » وكذلك إلى هؤلاء الأماتة الأزهريين الذين رأيناهم في المؤتمرات الإسلامية بصورون رسالة الأزهر أقوم تمثيل في تفسير القرآن وفلسفة الدين الإسلامي وما عهد . وتتم لاهور ببعيد . ولعظم تمكن أسرار الدين من نفس الإمام نراه قد غاص إلى الأعماق في وصف إصلاحاته بنفى البدع التي أدخلت عليه ممن شوها بها ، سواء أكانوا من الغربيين أو من الجاهلين ، الذين ينتسبون إلى الدين وهم لا يفقهون منه شيئا إلا القشور وما لا يجدى . وقد نادى في ذلك الإصلاح بأصول كبرى : مثل الرجوع بالإسلام إلى ينابيعه الأولى ، ومثل أنه لا سعادة للمسلمين إلا بأن يكون لهم الدين وجدانا . كما أنه رأى فتح باب الاجتهاد لمن أهله منزلة العالمية وقوته العقلية لارتداد سبيله .

مصطفى الشبلي

عضو نقابة الصحفيين

الاسلام والوحدة

كان للحدث العظيم - اتحاد إقليمي مصر وسوريا - الذي تخففت عنه هذه الأيام الغمر في تاريخ العرب والمسلمين فرحة وأى فرحة في نفس كل مخاض للاسلام والعروبة ، فما جر هذا البلاء المستطير الذي نال العرب والمسلمين في تاريخهم الحديث ، إلا تفرقهم شيعة وأحزابا ، وما أتوا إلا من هذه الجهة ، حتى لقد أصبح مشهورا أن من مبادئ الدول المستعمرة الغاشمة « فرق تسد » ، ولقد نجح المستعمرون في الإفادة من هذا المبدأ الماكر الخبيث إلى حد كبير ، حتى قبض الله للشرق العربي الإسلامي دعاء الإصلاح والاستقلال : أمثال السيد الكبير جمال الدين الأفغاني ، وتلميذه ابن الأزهري البكر الأستاذ الإمام محمد عبده والزعيم الأزهرى الفلاح أحمد مرابي ، والزعيم مصطفى كامل ، والزعيم الأزهرى سعد زغلول وغيرهم . فاستيقظ بعد النوم وبدأ حياة الكفاح والجهاد ، وما زال الشعب العربى يكافح ويكافح حتى استجاب له القدر ، وأكمل الله بناء التحرر والاستقلال على يد فئة مؤمنة أخاصت لله وللوطن العربى فى مصر وفى غير مصر ، فضربت بمطرقة من حديد على رأس الاستعمار ، وما زالت تضرب وتضرب حتى يئس شيطان الاستعمار أن يطاع فى أرضنا ! .

وبدأ العملاق العربى يرفع رأسه ويبدأ ويبدأ بعد طول هذا الكابوس - كابوس الاستعمار - الذى جثم على صدره فترة من الزمان حتى امتوى قائما على قدميه ، ثم أخذ فى الانطلاق يبتغى الحرية الكاملة والقوة المسالمة والإصلاح الشامل .

فاذا بالاستعمار يلفظ أنفاسه الأخيرة فى أغلب أقطار العرب والمسلمين ، وإذا العرب يصبح لهم صوت مسموح فى المحافل الدولية وأضحى لهم قوة لها معيارها فى الميزان الدولى ، وإذا بالاتحاد يتم بين شعبى مصر وسوريا « فى جمهورية عربية متحدة » ، وإذا بالاستفتاء الحر يسفر عن انتخاب فتى الفتيان ، الزعيم العربى جمال ، أول رئيس لهذه الجمهورية وقد بارك هذا الاتحاد الرجل الذى ضرب أروع مثل التضحية ، وإنكار الذات والوفاء « الزعيم العربى شكرى » ، ولقد كان اتحاد مصر وسوريا خطوة مباركة ، تلتها وستتلوها إن شاء الله خطوات فما هو الين قد انضوى تحت لواء الاتحاد مع الجمهورية العربية

المتحدة ، ومن يدري ؟ فقد لا ينتهي عامنا هذا إلا وتكون الأقطار العربية كلها من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي قد أصبحت تحت راية واحدة في دولة متحدة .
ثم تكون من بعد ذلك الخطوة الأخيرة الاتحاد الإسلامي الأكبر ، من بلاد الصين إلى بلاد المغرب ، وحينئذ يصبح المسلمون قوة ثالثة ، تدعو إلى الحق والعدل والتراحم والإيمان والأمان والسلام ، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوى العزيز . إن الإسلام ليؤيد أى اتحاد يكون بين العرب والمسلمين . والإسلام دين الوحدة ، فالمسلمون أمة واحدة ، ربهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، وغايتهم واحدة ، وهم في صلاتهم ستمتهم واحدة ، وجهتهم واحدة ، وفي صومهم شعارهم واحد ، وأوقات فطرمهم وإمسائهم واحدة ، وهم في حجهم شعائرهم واحدة ، ومظهرهم واحد ، وهكذا تتجلى مظاهر الوحدة ، في عقيدتهم وعبادتهم .

وفي الكتاب الكريم - الذى هو أصل الدين ومنبع الصراط المستقيم - يقول الحق تبارك وتعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ^(١) » . ويقول : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين [٢] » . وفي السنة القولية والعملية ما يدعو إلى الاتحاد ، وجمع الكلمة ، والانحياز إلى الجماعة ، وينفر من التفرق والاختلاف ومفارقة الجماعة .

ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط ثلاثا قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » . وضمن النبي صلى الله عليه وسلم لأئمة عند اتفاقهم واجتماعهم العصمة من الخطأ والنسيان كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة . وكان من أعماله صلى الله عليه وسلم البارة حقا أنه لما هاجر هو وأصحابه إلى المدينة آتى بين المهاجرين والأنصار ، كي يؤكد بينهم المودة والوحدة ، ويوثق العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وبهذا الآتى ضمن لهم التكافل والترافق فيما بينهم ، كما ضمن لهم التناصر على أعدائهم المجاورين لهم من اليهود وأضرابهم .

[١] آل عمران الآية ١٠٣ .

[٢] الأنفال الآية ٤٦ .

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ، لم يكن قومه العرب على حال تسر في حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية ، وقد كانت أطراف بلادهم نبها مقسما بين الدولتين المفتحتين للعالم آنئذ : فارس والروم ، ولم يكن ذلك لقلتهم فقد كانوا كثيرين ولالعدم شجاعتهم وإقدامهم ، فقد كانوا مضرب الأمثال في الإقدام والشجاعة ، ولكن السبب الأصيل هو تفرقهم وتنازعهم وعدم وجود رابطة قوية بينهم تربطهم ، ولعل في قصة أبرهة وغزوه لبلادهم ، كى يهدم الكعبة المقدسة في نفوسهم ، ما يدل دلالة أكيدة على مبلغ تفرقهم وتخاذلهم ، وعدم وجود جامعة تجمعهم ، فماذا كان من الرسول ؟ .

لقد أخذهم بالتربية والتهديب والتعالم ، وما زال ينتزع من عقولهم ونفوسهم العقائد الزائفة والآراء الضارة ، ويزرع في نفوسهم العقائد الصحيحة والتعاليم الرشيدة ، ويروضهم على الأخلاق السكرية ، ويرشدهم إلى من الله في السكون والخلقة ، حتى كون منهم أمة واحدة لا تعرف التفرق ، متآلفة لا يخالط قلوبها البغض ، متآخية متناصرمة لا يتطرق إليها الوهن أو التخاذل ، وماذا كان منهم ؟ .

لقد كونوا دولة مرهوبة الجانب عزيزة المنال وثيقة الأركان ، وبدلهم الله سبحانه من بعد خوفهم أمنا ، ومن بعد ضعفهم قوة ، فاذا بهم ينطلقون خارج جزيرتهم ويتلون عروش الأكلسة والقيصرة ، لاحبا في الملك أو في الجبروت فما كان أرحمهم وأعدلهم ، ولا استترافا لخيرات الأثم وأموالها ، فما كان أزهدهم في الدنيا وزخارفها ، وإنما كان لتخليص الشعوب المظلومة المستذلة من نير استعباد الملوك والباطرة ، واستبدادهم وتعتسهم ، وإطلاعهم على النور الذى حاول الطغاة حجبهم عن عيونهم ، نور الرسالة المحمدية ، رسالة الحق والخير والعدل والرحمة ، فاذا بهذه الشعوب تحب الإسلام وتخلص له لإخلاص العرب أنفسهم ، وتدخل تحت لوائه طائفة مختارة ، فقد فتح عيونهم على النور ، وأشهرهم بالحياة الحرة السكرية ، وأمنهم على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، ولم يمض قرن من الزمان حتى خفقت راية الإسلام على ربوع العالم المعروف آنئذ ، وحتى قال أحد خلفاء بنى العباس ، وقد مرت عليه سحابة معصرة « أمطرى حيث تمطرين فسيأتينى خراجك » .

وقد استمرت العزة والسلطان لهذه الأمة وهى متحدة ، فلما صارت شيعة وأحزابا تتنازعها الأهواء والشهوات ، وصارت الدولة الواحدة دويلات لا تجمعها وحدة ، ولا تسعى لغاية واحدة ضعفت وزهد ريجها وضاعت هيبتها ، وكان ما كان من المآسى التى لا يتسع لها المقام . إن الاتحاد الذى حصلنا عليه اليوم فى حاجة إلى يقظة وإلى حراسة قوية ، فإن

أعداءنا يتربصون بنا الدوائر، ويتحينون الفرص ويحاولون ما وسعهم الحيلة أن يبذروا بيننا بذور الفتنة، ويفوتوا علينا فوائد هذه الوحدة المباركة، فلنكن جد حذرين ويقظين، وليكن لنا في نقطة النبي العربي سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه أسوة حسنة، ذلك أنه بعد ما وفق في التأليف بين الأوس والخزرج بالمدينة، وصاروا قوة لا يستهان بها في شد أزr الإسلام ونشر دعوته ألم ذلك اليهود، وأكل كبدهم فأوعز رئيس من رؤسائهم وهو: شامس بن قيس، إلى شاب يهودي أن يأتي إليهم في مجلسهم فيذكرهم بيوم بعث^(١) وينشدهم بعض ما تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل وجازت الدسيسة عليهم، فتنازعوا وتوالت رجلائهم من الحيين على الركب فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه إن شئتم رددناها جذعة، وغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا: السلاح السلاح! وتواعدوا على اللقاء في الحرة ظاهر المدينة، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين الله الله!!! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله تعالى إلى الإسلام وأكرمكم به؟ وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟ فعرف القوم أنها كانت نزعة شيطانية، وكبد لهم من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا ندما على ما فعلوا وعانق بعضهم بعضا: ثم انصرفوا مع رسول صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين. واثن كان في مبدأ الإسلام شامس ونفر ممن هم على شاكلته، ففي حاضرتنا اليوم عشرات بل مئات دعاة فتنة وتفرق، برعوا في الدس والوقعة وتفنونوا فيهما، وتيسرت لهم من الإمكانيات للوصول إلى أغراضهم الدينية ما لم يتيسر لغيرهم، فبالقرب منا إسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية: بأموالها وإذاعاتها وصحفها ودعاياتها، والدول الاستعمارية الموتورة المشايعة لإسرائيل، والتي لولاها لما كان لها وجود على خريطة الأرض، وصحفها وإذاعاتها. وهناك فئات ماجورة لا تفتأ تنفث سمومها القاتلة، اتخذهم المستعمرون لهم صنيععة واشتروا قلوبهم بالأصفر الرنان، والجاه الكاذب. فلم يراعوا حقوق الدين واللغة والجوار، كل هؤلاء وأولئك أعداء لتكامل المسلمين والعرب، فاحذروهم ولا تلقوا إلى افتراءاتهم بالا وقفوا لهم بالمرصاد، وأفسدوا عليهم خططهم وتديبيرهم، وليكن لكم في الرسول المعظم صلى الله عليه وسلم أسوة وما أوجبها من أسوة ما

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

[١] يوم اقتنات فيه الأوس والخزرج في الجاهلية، وكان الظفر للأوس على الخزرج.

من الاتجاهات الخالدة في التاريخ :

الوحدة العربية

يرى فريق من الناس أن في الشرق اليوم حركة وغليانا شديدا ، وأن آسيا وإفريقية تتخضع عن حوادث خطيرة ، وأن العالم العربي والإسلامي من الشرق إلى الغرب يتحفز ويتوثب ليسترد مجده السالف ، وعززه الغابر ، ويسترجع أقطاره المخصوصة وحقوقه المهضومة .

ويرى فريق آخر ، ولا سيما الغربيين أن العالم العربي خاصة ، والشرق عامة مفكك الأجزاء ، مقطوع الأوصال ، عاجز عن أسباب الدفاع والثورة ، يعوزه العلم والسلاح ، وما بلغ من النهوض والوعي بعد درجة تكفل له تحطيم سلاسل الاستعمار الثقيلة ، أو استرداد ممالكه الواسعة ، بل لا يزال الجهل مخميا على آفاقه ، وما برحت العصبية الجاهلية تعمل عملها في تفكيك عرأه ، كما أن الرعب والخوف من سطوة الأجانب والمستعمرين ملء السمع والجوانح .

ومن الحق والعالم الشرق هذه حالته أن تقيم أوروبا ودول الاستعمار له وزنا ، وأن تحسب للعرب والمسلمين حسابا ، ومن الحزم في زعمهم أن تمضى أوروبا قدما في سياستها المبينة على التوسع والفتح والاستعمار ، غير مبالية ولا متحرجة بما يعترض طريقها من ثورات وانتفاضات .

ومع ما أحدثته الحربان العالميتان الأولى والثانية من تضحيات في الأنفس والأموال والحضارات ، فلا يزال هذا الفريق عند رأيه ومذهبه تجاه العالم العربي والشرق عامة . ولم يتنبه ساسة الدول الغربية ، وزعماء الاستعمار إلى مراعاة القصد ، وإيثار الرفق والاعتدال ، والتحدث بغير نغمة القوة والغلبة والاستعلاء ، بل لا يزال محور سياستهم ، قهر العالم العربي والشرق وإعناته ، والتسابق على استعماره واقتسامه بكل وسيلة ، والحيلولة بينه وبين الاتحاد والتحرر والتماصك .

ويعالى هذا الفريق فيعتقد أن حالة التفكك والتمخاذل التي تنتاب العالم العربي والآسيوي والإفريقي ستبقى أبدا ، وسيطرة الأجنبي عليهم ستستمر ، وأنهم سيلبثون

أبد الدهر فريسة للاستعمار ، ووقودا لنار الاستعباد والمذلة ، وأن ستكون لدول الغرب السيادة خالصة له من دون الناس .

لكن الرأي الذى يعول عليه ، وهو الذى يتفق مع منطق الحوادث العاقل الواعى أن العالم العربى ، بل والشرق أجمع ، قد استيقظ من رقده ، ونهض من كبوته ، وأخذ يعمل فى نشاط وقوة على استرداد سلطانه ومجده ووحدته .

إن العالم العربى ، والشرق المترامى الأطراف ، الواسع الرقعة ، تتغلغل فيه اليوم عوامل الانقلاب ، وتنبث فى عروقه فواعل التبدل . وإذا ما رحت تسرح ببصرك نحو أقطاره الواسعة المترامية من مراكش حتى الخليج الفارسى ، بل من مراكش حتى بلاد الصين وما وراءها . ومن تركستان وأفغانستان إلى السكونغو وأواسط إفريقيا رأيت الشعوب جميعا قد ثارت نفوسهم ، وانفعلت بضروب الآراء الجديدة والمطامح والآمال عقولهم وقلوبهم ، وإن عاقبة هذا الانقلاب الشامل لعظيمة الأثر وستتأثر بهذه النتائج أم الأرض جميعا .

إن منشأ هذا الانقلاب قديم العهد ، بعيد الزمن ، فقد أقيمت بذوره فى الولايات العربية والإسلامية قبل الحرب العالمية الأولى .

ومنذ ذلك الحين أخذت بذور هذا الانقلاب العربى والشرقى تنمو ، وإن كان نموا بطيئا الحركة أول الأمر ، حتى كانت الحرب العالمية الأولى . ومنذ هذه الحرب احتاج العالم العربى ، وأخذ يشور بجأة متنقلا من طور عنيف إلى طور أشد عنفا ، حتى انتهى به الأمر إلى ما نشاهده اليوم من يقظة واعية فاهمة ، ونهضة متوثبة جاححة .

وكما شهد القرن التاسع عشر استقلال أمريكا بأسرها ، فسوف تشهد بقية القرن العشرين ، استقلال العرب واستقلال إفريقيا وآسيا كذلك على ما نعتقد ، وبذلك يلى العرب بلادهم ، والإسلام أقطاره ، ويباغ هؤلاء ، وأولئك من نعمة الاستقلال والوحدة ، وقمة العظمة والسلطان ما يصبو إليه .

إن نهوض العرب ، والشرق كله هو الشرط الأول فى سيادة السلام ، وحقن الدماء ، وحفظ التوازن فى العالم ، فعلى الأمم الشرقية أن تلتحمس المنفعة فى مسابقة الدول الغربية فى ارتياد ميادين العالم ، والسير حثيثا نحو المعرفة والثقافة لتكون ذات قوة وذات بأس شديد ، فبالعلم والمعرفة تكون القوة ، وبالقوة يتحقق خلاص العرب والشرق ، ويعملوا الحق .

وإن من ثمرات هذه اليقظة الشرقية الواعية ، والنهضة العربية المتوثبة ، وحدة سوريا ومصر . ونشأة « الجمهورية العربية المتحدة » .

إن الوحدة السورية المصرية هي الباب الذي فتحه الله أمام العرب للعزة وسمو كلمة الحق . هي حكم على الاستعمار المتخاذل المضطرب بأن يرحل ويتزحزح . هي نور الحق أمام الشعوب العربية لتحرير القلوب والعقول من رق العبودية ، ومن أسر الأوهام ، وورقة التبعية الوضيعة التي تنحدر بالنفس الإنسانية إلى خزي المذلة والهوان .

هنالك عندما أعلنت الوحدة ، وأضحت حقيقة واقعة اضطربت نار المعركة التي كانت ناشبة بين الشرق العربي ودول الاستعمار ، وصارت من أشد ما وقع في التاريخ منذ عرف الغرب الشرق ، والشرق الغرب . وهي معركة حياة أو موت بالنسبة للفريقين معا والنصر لا ريب فيه للمصادقين المؤمنين بالعزة والحرية والقومية .

حقا لقد عظم الأمر على دول الغرب ، وحزنى صدورهم نشأة « الوحدة العربية » ، إذ أدركوا أن فيها خطرا على مكانتهم ونفوذهم ، لذا أخذوا يبذلون كما بذأوا من قبل جهودا جبارة في محاربة القومية العربية ، والحيلولة دون تحرر العرب واستقلالهم ، وجمع كلمتهم ! .

ولسكن هل ما قام به دول الغرب ، وأعوان الاستعمار للمناهضة القومية العربية ، وما بذلوه ، وببذلون في جهد من إغراء ورجاء حينما ، ودعاية متهافنة وتهديد وضغط اقتصادي أحيانا ، نقول هل أثر ذلك في نفسية شعب سوريا ومصر ، أو أوهن له عزما ؟ !

كلا ! ! فقد أنجابت مخاوف العرب من الغرب ، ولم يبق لفرعهم واهلهم منه موضع ، وزالت خشيته من نفوسهم .

واجتمعت كلمتهم وتحققت وحدتهم وبدأت واضحة تباشير الفوز ، وانفتح باب الرجاء أمام الدول العربية والإسلامية في الاتحاد والتكتل وجمع الكلمة .

ولا عجب أن هيأت المقادير للقاهرة ودمشق هذا الحظ والفتح المبين ، فقد كان لهما من ماضيها العظيم وتاريخهما الأجدد ما يهيئهما لحمل رسالة الجهاد والتحرير لخير العرب والإنسانية .

دكتور بروى عبد المطلب عوضى

الأستاذ بكلية أصول الدين ودار العلوم

كفاح الجزائر

ما هذا الهول النائر الذي يخبط بجناحيه جوانب الصحراء ، فتتطاير وراء البحار نفوس ، وتخلع قلوب ، وتنفذ أرواح ، وتهز عروش ، ويرتعش سلطان ، ويسقط صولجان . ؟ ... !

وما هذه المعجزة التي انبعثت من الذين انطلقوا من الأغوار والكهوف ، والأكواخ وشواحق الجبال وأعماق الوديان ليكتبوا تاريخا ، وليظهروا للوجود القوة الخارقة الماحقة قوة العاقلة التي تنائر أمام إيمانها أشلاء الطائرات والدبابات والمدافع ، وليثبتوا للمستضعفين في الدنيا أنه لن يغلب الحق غالب ، ولن يستمرئ حياته في الشرق غاصب ؟ ... !

وما هذه الثورة التي يلتهم أوراها أبراج العظمة المريضة وتحتاج زلازها الشمطاء المتصالبة ، ويستشرى بأسها ليدفع أحفاد العبيد الذين تحسكوا في أحقاد سادة آبائهم ، ويسرى انتفاضها عنيفا مدمرا لا يسكن حتى ينسخ من شمالي إفريقيا ظل هذه الأشباح البغيضة ؟ ... !

هذا هو هول نضال الجزائر ... !

وتلك هي معجزة البعث ... !

وهذه هي ثورة التحرر ... !

هول النضال الجزائري العنيف الذي استمد عنفه من قوة - حق الشعب ، والحق سلاح قوي يضاعف بأس أصحابه ، ولا يخدعه زور أعدائه ، ولا يخور أبدا أمام تمر الوعيد ، ولا تهره زار ولا يقله حديد ... !

وحق الجزائر في الحياة وفي الحرية وفي استغلال أرضها وينايع ثرواتها وفي - حكم نفسها لا يحجده إلا أولئك الذين ينكرون جميع حقوق الشعوب ، ويعيشون على حساب الشعوب ، بل يتخذون الوطنيين غرباء في بلادهم ، بل عبيدا يكدحون ليجنى غيرهم ثمرات كدحهم ، ويكدون لينعم سواهم بقطوف كدمهم ... !

ولهذا الظلم الصارخ كان عنف النضال ... !

ولهذا الاستغلال الوحشي الذي يحرم الكادح حتى من قشور كدحه ، يشتد عنف النضال ، وسيحضر المناضلون في كل شبر من أرضهم قبورا لأعدائهم ، وسينصبون على كل درب من دروب الصحراء ، وكل سبيل من سبلها لوحة كتبوا عليها بالدم : إلى مقابر البغاة ... !

ولن يهدأ هذا النضال ولن يسكن ضرامه حتى يتغير وجه التاريخ في هذه البلاد ، ويتسلم أبناءها مقاليد أمورها ، ويتفيا شعب الجزائر ظلال الحكم الذي ير جوه لنفسه شعب حر مناضل ... !

وما معجزة البعث إلا أثر للاضطهاد المرير الذي عانته الجزائر من استعمار الفرنسيين بمقدسات هذا الشعب ، واستماتهم بحرماته ، وتفاضيلهم عما تفرضه القوانين الدولية من احترام حقوق الشعوب .

ومن ثم تفجر البعث ولم يكن بقطة كتلك التي تكون في الشعوب أول شعورها بالظلم ، ولم يكن وعيا شعربه فرد منحه الله من صرامة اللسان وقوة البيان ما يفرع أعاديده ويوظف مواطنيه لا . لا ... !

إنه للبعث الزاحف الذي جعل من الجزائر كلها في لمح خاطفة بحما يضطرم في الأرض فتتقد كأنها بحرة ، ويتنفس في الجو فيجمله أشد لفحا من نار السموم ... !

وهو البعث : الذي لا نوم بعده أبدا فهو في الحرب هدم وتدمير ، وفي السلم بناء وتعمير ... !

وإن الشعوب المنبعثة من الأغلال والتي ذاقت مرارة الإقطاع والاستغلال حريصة على صلاح نفوسها وإصلاح مجتمعاتها ، متى أحس كل فرد أنه أصبح لبننة في بناء مجتمعه ، ومن هذه اللبنة السليمة من شوائب الضعف والاسترخاء يكون البناء السليم .

ولم تكن الثورة التحررية التي تابجت في الجزائر ثورة تحرر عسكري فحسب ، بل إنها تهدف إلى التحرر الكامل من كل ما يمس سيادتها ويقيد عقول أبنائها ، ويشل اقتصادها وينخر في جوانب اجتماعياتها ... !

إنها تحرر كأمة مسلمة عربية لتميش في حدود المبادئ والعادات والتقاليد الإسلامية العربية ... !

هذا هو التحرر الذى تندفع فى سبيله ثورة الجزائر، والذى من أجله يكافح شعبها، وفى ميادينها تزهق الأرواح وتراق الدماء، ولا سبيل لقوة فى الأرض أن تحول بينها وبين الغاية التى تزحف إليها .

وإن كفاح الجزائر الذى صقل عزمها، وشحذ قوتها، وجعل منها قوة أصاب من أن تهزها ذاريات الأحداث، جعل منها كذلك مثلاً حياً يتطلع إليه طلاب الحريات، الذين لا تقسوا قوتهم، ولا يتأمل سلاحهم مع قوى أو سلاح الذين يسومونهم سوء العذاب . وهكذا خلق الله من شعب الجزائر فى جهله بفنون الحرب وبأسلحة الفتك المستحدثة، وفى اضطراب يديه من المال الذى يعينه فى هذه الحرب الطويلة، خلق الله منه معلماً للشعوب المستضعفة، التى تفكر فى الخوف قبل أن تلقى بين حبال الخوف، وما عز شعب ساور الرعب قلوب بذي قبل أن يحمل السخط وجهه شأئيه ... !

ولا ساد شعب أقعد الوجل وواده عن التفكير فى بعثه، خوفاً من غضبة الحكام الذين يهينهم أن يظل المحكرومون بين أسوار تحول بينهم وبين الحرية فى كل ألوانها وصورها، فأجدر الشعوب التى تميش بين أطواق الحكام الذين يعيشون لأنفسهم ولعروشهم، بانتفاضة تحطم الأطواق والأسوار التى ضربت عليها، لتميش مع الأحرار بين ظلال الحرية ... !
ولن يصل مكافئ إلى عزته إلا على جسر من الأشلاء على بحر من الدماء ينوشه شواظ من النار وتتناهبه شظايا الدمار ... !

وتلك هى السبل التى تسلكها الجزائر إلى عزتها ... !

وإن شهداءها الذين روت دماؤهم شجرة الحرية فنمت وبسقت فروعها ... !
وإن مكافئها من الشيب والشباب والنساء والفتيات، الذين اتخذوا مواقعهم عند سفوح الجبال وبين ظلمات المغاور وفى الشعاب والدروب، لا يرعشهم زهري ولا يهزهم هجير، هؤلاء وأولئك قد كتبوا فى تاريخ الجهاد سجلاً مليئاً بالأنجاد سيبقى على الزمن حديث الأجيال ونشيد الجلال ... !

حيا الله الجزائر فى نضالها، وكتب لها النصر فى كفاحها أما شهداؤها فهم « أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله » .

محمد محمد خليفة

المدرس بمعهد القاهرة

يوم الجزائر

حى فى الأطلس الأشم رجالا بهم صال فى الكفاح وجالا
 صنعتهم يد الظلوم ، وقد ماصنم الظلم قادة أباالا
 ثورة فى الظلام أعلنها الشعب فبات بها الليالى حبالى
 وأجابت جبال (أطلس) عنده برصاص يحطم الأنذالا
 سبق هذا إلى السجون ، وذاك اغتيل غدرا بها وذاك استقالا
 وبنفط الفلاة جنوا ، فهلا جرعوا سمه فينروا ارتحالا
 وأقاموا الحدود بين بلاد وفلبوب توحدت آمالا
 كان قطرا على (الخريطة) ميتا فتجلى دما بها يتلالا
 أى طرس بحسنه ما تحلى وكتاب ماصاغ منه مقالا
 وعلى الألسن الجزائر كانت عنبرة فى بيانها لن تقالا
 ثم أمست فصاحة وبيانا وجرت فى الشفاه ماء زلالا
 ساجلت صاحب القصيد فغنى وتملى بها الخطيب فقالا
 يا ابن شعبي ، يد الينا ترامت تفتدينا شجاعة ونوالا
 حيا يا فتي الجزائر بالبأس وحيي الجميل منها نضالا
 (نيل) مصر لو استطاع الحباب البيد شوقا إليك يغزو الرمالا
 (وأبو الهول) لو يطيق حرا كان هولا على العدا ووالا
 إن يكن جائما ، فاجتمعت مصر وقد عززتك روحا ومالا
 (أطلس) المغرب الأبي لو ارتد خداعا فناد عنك ومالا
 (بردى) كم يحن أن لو تراه أحمر من دما عدوك ساللا
 سال شهدا على شفاهك يا شعبي وصابا على الطغاة استقالا
 ونحير (الفرات) رجم حنين ليقيم بكى أبا مفتالا
 وعلى الكعبة الحرام دعاء يا ابن شعبي بنصرنا قد تعالى
 وسألناه فى الحروب نصيرا فعشا نحونا الوجود امتثالا
 لو تحلى الوجود عنا حمانا الله منه بقوة لن تنالا

أبو عبد الله صالح الجزائري

محنة الشعر المعاصر

يدفنتنا إلى الكتابة في هذا الموضوع تلك الظاهرة التي صاحبت نهضتنا الحاضرة ،
والتي رأينا فيها شبابنا المتأدب يندفع في تيار مضاد لتراثنا الثقافي وتقاليدنا الأدبية ،
و يثور على الأوضاع الشعرية التي سجلت تاريخنا العربي العميق ، وتغنت بأجناد العروبة
على طول الأزمان والأحقاب .

وإن من المفارقات العجيبة أنه بينما نذب الآن وثبتنا الظاهرة في التحرر من الاستعمار
السياسي ، وتحطيم أغلاله ، ومحو آثاره ، وبينما نبني في شموخ وعزة واستقلال مجدنا
العربي ، ونستعيد تاريخه المجيد ، ونحدد شخصيتنا العربية على أساس ممكن من ترابط
الهم والفكر والأمل والثقافة والتقاليد ، نجد هذه الطائفة مفتونة كل الفتنة بثقافة
المستعمر وأمسكاره وتقاليد الأدبية ؛ فإذا نعق في الغرب غراب بفسكرة إلحادية
أو مذهب وجودي رأينا صدهاء في نفوس هذه الشبيبة وفي تفكيرها وكتاباتنا . وإذا
كان الشعر الأوربي لا يلتزم وزنا ولا يتقيد بقافية ، اندفعوا في تياره ، منددين بالشعر
العربي ، متهمين إياه بالعمق والجمود والتخلف والبلى ؛ وإنه لاستعمار ثقافي وفكري أشد
خطرا وأوخم عاقبة - لو أدركنا - من الاستعمار السياسي الذي تخلصنا منه . فأى كيان
لنا إذا نحن قطعنا صلقتنا بماضينا وتاريخنا وتراثنا ؟ وأي شخصية تحدد وجودنا إذا نحن
ذبحنا في تفكير غيرنا وتقاليد وثقافته ؟ .

إنها المفارقة عجيبة حقا أن نتحرر من استعمار لنمكن لما هو أخطر منه ، وأن ننور على
استعباد ونشايح ما هو أتمكى منه وأقسى ، وأن نرى في موكب ثورتنا المتحرر ، المنتفض
بالآمال الصاعدة من هم أشبه بالمهرجين في موكب الأفراح ؛ فإذا كانت الثورة الحاضرة
تحرر الوطن من الاستعمار السياسي ، ونشور على مظاهره ، وتقضي على أسبابه ، وتحارب
للفساد والظلم ، فهم هؤلاء أنها ثورة على كل شيء ... حتى على التقاليد والتراث وكل
ما يربطنا بماضينا ، أو انهنزوا الفرصة لترويح ما يؤمنون به ، وأشاعوا التهموس والتهریح
في زحام هذا الموكب الرزين .

ولعله فقر الثقافة ، ونضوب المعرفة ، وجذب التفكير ، واختصار الطريق إلى الشهرة ، وتوفير العناء والجهد في التحصيل . فليس أيسر على هؤلاء من قول الشعر مادام لا يكلف صاحبه تجويدا في صياغة ، ولا تحريا للغة ، ولا احتفاظا بوزن ، ولا التزاما لثقافة ، وإنما هي كلمات مبعثرة موزعة على السطور بلا قانون ولا مقياس ، أشبه شئ ، بقافاة العبي المحصر .

من اليسر على كل إنسان إذن أن يصبح شاعرا في لمح البصر ، لأن الشعر لم يعد ذلك الفن الذي يتركز على الموهبة الفطرية ، ويعتمد على المنايع الأولى للأدب العربي والنظر فيها والتحصيل منها ، كما يعتمد على تقويم اللسان وسلامة الأداء ، ورعاية موسيقى الأوزان . وإنما أصبح كلاما أى كلام ينثر كالحصا ، ويوزع على السطور كيفما اتفق . وهو بعد ذلك في حماية مضمونه ، فالواقع أن الذى حى هذا السخف والهذيان مما يسمى شعرا في هذه الأيام إنما هو انتهازية أصحابه من المهرجين ، الذين يندسون في موكب النهضة ، فيضمون الموضوعات الوطنية والنضالية التي نهيش فيها ، ولولا هذا الموكب الذى يحمون به لما كان لصيحاتهم هذه المعردة المضطربة . مكان في الصحف والمجلات ، وإنما يكون مجالها الذى تتجاوب فيه مستهفى المجاذيب .

وليس أدل على ذلك من فشل هذه التجربة في الميدان الجدى إبان المعركة الحقيقية في فترة الاعتماد العاشم على بلادنا ، لقد كانت الأناشيد الحماسية التي تستفز العزائم ، وتستنهض الهمم ، وتدفع إلى المعركة دفعا ، أناشيد صيغت كلها في قوالب من الأوزان المعروفة الموروثة القائمة على أسس منظمة من الوحدات الموسيقية المتناسبة التي تنسق مع التلحين والنغم . فهل كان من الممكن أن يصبح لحن واحد ويستقيم مع هذا التمرجج الذى يبعثر الألفاظ بلا نظام ثبت أو مقياس يمكن أن يتخذ أساسا أو يحتذى ؟ .

ومن العجيب أن يسخر هؤلاء من نظام الشعر القديم ، وأن يروجوا للتجمل من تقاليده اللبالية في صياغته وأوزانه ، وأن يصفوه بالتخلف عن التجارب مع المجتمع والحياة ، وكأنه لم يسجل حياة الجاهليين ، ولم يتجاوب مع الثورة الإسلامية ، ولم ينهض بألوان الحضارات المزدهرة في ظلال العباسيين ، ولم يتناسق مع جمال الطبيعة في الأندلس ، ولم يطاول الدهر بقاء وخلودا في كل هذه العصور ، ويتجسسون بالواقعية ، ولا يقصرونها على المضمون بل يطبقونها على التعبير ، فهم يدعون إلى البساطة فيه حتى ينزلون إلى لغة

الشارع ، ويتبدلون في الأسلوب حتى يدخلون الأزقة والحارات ، وكل هذا ليكون (الفن للحياة) وليكون واقعياً ، كأنه لا يكون كذلك إلا إذا نزلنا بمستوى اللغة والتعبير بدلاً من أن نرتفع بهما . وكأنما لا بد لنا من تناسي طائفة المنففين ، وتجاهل أسباب ارتفاع مستوانا الثقافي والتعبيري ، وإنما لكثيرة في عصرنا . إننا بهذا نخدرونقضى بالتدريج على اللغة الفصحى ذلك الرباط الوحيد الذى يصلنا بماضيها ، ويصون عروبتنا ، ويربط بأقوى الوشائج عرى قوميتنا العربية في كل بلادها . فهل سلامة التعبير وجمال الصياغة والتزام الموازين الموسيقية في الشعر ، يتنافى الواقعية التى بها يتشدقون .

إنهم يسخرون من البارودى وشوقي وحافظ وغيرهم ، تماماً كما حدث في فرنسا في عصر النهضة . كان الشاعر لا مرتين يقول : « إننى أظلم الشعر كما يزهر الغصن ويغنى الطائر » . ولكن الشعراء الرمنين الذين دانوا بالغموض وابتدعوا المذهب الرمنى الغامض ، من أمثال مورياس ورأمو وبول فاليرى ، سخروا من لا مرتين ؛ لأنهم كانوا يدعون إلى التعبير عن المعنى في صورة ضبابية حالكة ، وتطرفوا في ذلك الغموض والإبهام حتى ابتدعوا لغة في اللغة ، وأوغلوا في الرمنية حتى فسروا الرموز بالرموز ، والألغاز بالألغاز ، فسميت مدرستهم بمدرسة (اللاوعى) أو المدرسة السريالية (ما وراء الواقع) وضاق بها الناس حتى سموها (مدرسة الهبوط والانحدار) .

نحن لا نحارب الواقعية ، ولا نريد للفن أن يعيش بعيداً عن الحياة والمجتمع ، فالفن انعكاس للبيئة والحياة والتجارب النفسية ، بل إننا ندعو إلى أن يكون الفن تعبيراً عن القيم الغالية ، والتجارب الرفيعة .

فالشعر الجميل الرواء ، الرائع الصياغة لا قيمة له إذا كان مجرد صياغة شكلية لا تعبر عن مضمون رفيع ، ولكنه كذلك شعر خال من الفن إذا كان مجرد مضمون في قالب مهلهل تافه ، لا تظهر فيه جودة ، ولا ينتظمه إيقاع مثير .

يقول ماوتسى تونج في كتابه (مشاكل الأدب والفن) : « إن الأعمال الأدبية الحالية من الجودة الفنية لا أثر لها مهما تكن تقدمية من الناحية السياسية » .

إنهم يقولون إن الشعر أصبح قوة مكافحة مناضلة ، وإن الشاعر لا يستطيع الانطلاق والإعراب عن تجاربه الجديدة وحقائق دنياه في مرونة وحيوية وجدة وحدة ،

إذا هو إلترزم هذه القواعد الكلاسيكية البالية ، وتقيد بالأوزان العتيقة التي تعوق الانطلاق والتعبير الحر .

أحقا أن الأوزان الشعرية قد عاقت الشعراء عن الانطلاق في التعبير عن ألوان الحياة في عصر من العصور ؟ هل عاقت الشعراء عن تصوير الحياة الجاهلية في حروبها المستعرة وتقاليدھا الملتزمة ؟ هل عاقت أمثال ابن أبي ربيعة وأبي نواس وجرير والأخطل وأبي تمام والمتنبي وابن خفاجة وغيرهم من شعراء العربية في كل عصورها عن الانطلاق في تصوير اللذة ، والتعبير عن خلمات النفس ، ورسم مشاهد الجمال في الطبيعة ، وتمثيل ألوان الفنون في الحضارة ، والإعراب عن الميول السياسية والحزبية ، واستظهار الأفسار الفلسفية والثقافية ؟ أم هل عاقت أمثال شوقي وحافظ الذي انعكست في شعرهما آمال مصر وآلامها ، وانطبعت فيه مشاهدھا وأجنادھا وتاريخھا وأحداثھا ؟ .

إنھا حجة العاجز الذي لا يريد أن يتجشم عناء ، أو يتكلف تعباً ، وإنما يريد أن يكون فنانياً من أقرب طريق .

ومع ذلك فإننا لا نطالب بالوقوف على أوزان الخليل ، وإنما نريد فقط أن يظل الشعر محتفظاً بطابعه الخاص الذي يضيف عليه سمعة معينة وهي الوزن ، فإن لحسن الإيقاع ، وجمال التقسيم ، وروعة التنعيم ، من الخلفة على السمع ، والعلوق بالقلب ، والتأثير في النفس ، ما ليس للكلام المسرود الذي لا يسنده الوزن ، ولا يؤلف بينه النظام .

ولقد رأينا في أدبنا العربي أن ما بهر الناس وراعههم وأثار كامن إعجابهم من الشعر ، إنما جاء في هذا السمت وذلك الطراز ، وبهذا يتميز الشعر عن النثر الفني يمتاز بهذه الموسيقى الخرجية التي نسميها بحورا وأوزانا ، فإذا اجتهد فنان في خلق صورة تلتهم أضواؤها ، وتشع أفسكارها ، في ألفاظ مرسلّة ، فلما إنھا نشر ، خللها من هذا الوزن الذي كان يزيد من جمالها ويضاعف من رونقها وبهائها . فلولاً الوزن اضاع هذا الرنين الموسيقي العروضي المصاحب للألفاظ والمعاني .

والقافية أشبه بوقفات المغنين ، ونهايات العازفين ، فهي نهاية النفس في البيت ، واستراحة منه إلى الآخر .

قدموا لنا ما شئتم من الأوزان وألوان البحور الجديدة على أن تكون أوزانا ذات مقاييس ثابتة ، يمكن أن تؤلف وحدات متناسقة ، تعمل عملها الموسيقي في الإنارة والانفعال ؛

أما بعثرة الألفاظ والكلمات هكذا فلم تصرون على تسميتها شعرا ؟ وماذا تسمون النثر الفني إذن وهو - وينهض بمضمون الشعر ويخلق في أجوائه الخيالية ، ويرفل في وشى من جمال التعبير وروعة الصياغة ، وترن في ألفاظه الموسيقى الداخلية التى تكمن وراء التعبير ؟ .

إنها نكسة بالشعر إلى الوراء . . . الوراء العميق فى مجاهل الزمن ، أول عهد الإنسان بالشعر قبل أن يستقر فى هذه القوالب ؟ فما قصة هذه النكسة ؟ وكيف نشأت هذه القوالب ؟ وكيف جدد فيها المجددون على مر العصور ؟ .

ثم ما هذا الشعر الحديث إن صح أن نسميه شعرا ؟ .
ذلك ما نعرض له فى مقال تال إن شاء الله ما

مصطفى جواد

المدرس بكلية اللغة العربية

مهندس عربى فى صناعة الأقمار الأمريكية

فى مختبر البحوث التابع للبحرية الأمريكية شاب يدعى أ . يوسف حبيب أبى يونس مولود فى أمريكا وهو من أصل لبنانى ، وله دور كبير يقوم به فى صناعة الأقمار الصناعية ، وبعد ثقة وحجة فى كل ما يتعلق بالأجرام السماوية وعلم الفضاء .

وقد ألقى محاضرة فى جمعية المهندسين المدنيين بأمريكا فقال : إن العلماء الأمريكيين كانوا يغطون فى سبات عميق بينما كان الروس يفاخرون بأقمارهم الصناعية .

الحكمة في تعدد الزوجات

- ٢ -

نبه سبحانه الناس أن يتخيروا الطيبات من النساء لتحسن العشرة بين الأزواج والزوجات ، ويسود بينهم الوفاق والوئام ، فيكون ذلك أطيب لقلوبهم وقلوبهن ، وتصلح الذرية وتستقيم حالها بصلاحيهم واستقامتهم ؛ فان البيت الواحد كمملكة صغيرة ملائكتها الزوج ووزيرها الزوجة والرعية الأولاد ، فاذا صلحت حال الملك ووزيره صلحت حال الرعية فانها تستقي مما منه يستقون ، وبصلاح البيوت أو الممالك الصغيرة تصلح الأمة بأسرها أو المملكة الكبيرة .

إن من خير النصائح وأحسنها النصيح باختيار الطيبة من النساء ؛ فان المرأة إذا كانت طيبة عند زوجها مرغوبا فيها منه كان ذلك وسيلة إلى حفظه من الفسق والفجور ، وإنا لنشاهد هذا في كثير من الناس ، يتهتكون ويفجرون إذا لم تكن قبيحات بيوتهم طيبات ، وإن كانت الأخلاق الآن تدهورت إلى أقصى حد ممكن ، وباتت بحيث لا يربح لها صلاح ، فلا يخشى زنا ، ولا يتخرج من فجور ، طابت النساء أو لم تطب ، والأمر لله وحده ... ! .

انظروا - رعاكم الله - إلى بلاغة التنزيل الحكيم حيث أريد من النساء أوصافهن عبر بما التى لغير العاقل ، وصرح جارا لله الزمخشري بأن المراد بالطيبات الحلال دون من حرمهن الله سبحانه في قوله - حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم الخ - - - وعندى أن المراد طيبهن عند النفوس بحيث تميل إليهن وترغب فيهن ، وقد ورد في الحديث الشريف ما معناه : تنكح المرأة لدينها وجمالها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك . فبين في الحديث مرغبات الرجل في المرأة وأسباب الميل لها ، وبين أن خيرها وأحسنها الدين ، ولا أطيل بذكر اختلاف الفقهاء في النكاح من حيث وجوبه وعدمه ، ولكني أقول على وجه الإجمال : إن الفقهاء ذكروا أنه تتوارد عليه الأحكام الخمسة : الوجوب والندب والتحریم والكراهة والإباحة ، وكل منها موضع يطول الكلام بشرحه وتفصيله

ثم وسع الله على عباده ولم يضيق عليهم رحمة بهم بفعل لهم النكاح (مثنى وثلاث ورباع) . تلك الكلمات الثلاث كانت مشارعاً شديداً ، وتطاحن كبير ، بين الناظرين في كتاب الله المستنبطين للأحكام منه ، فذهب جماعة إلى أنه يجوز من النساء إلى تسع تمسكا بما يفيد ظاهر الآية الكريمة من الجمع بين هذه الأعداد ، ومجموعها كما ترون تسع ، وذهبت طائفة أخرى إلى جوازه إلى ثمانية عشر ، تمسكا بأن هذه الألفاظ الثلاثة معدولة عن أعداد مكررة من ألفاظها فثنى معدولة عن اثنتين اثنتين ، وثلاث معدولة عن ثلاث ثلاث ، وهكذا ... وهى تفيد إباحة مجموع هذه الأعداد ومجموعها ثمانية عشر ، وأغربت جماعة أخرى بل أفرطت في التقدير ، وأبعدت جداً حيث أجازت الجمع بين النساء مهما بلغ عددهن ، محتجة بأن ما ذكر من العدد ليس المقصود منه الحصر ، ولكنه ذكر على وجه التمثيل ، لتعذر ذكر جميع الأعداد لعدم وقوفها عند حد ، وهذا لعمري خبط وخط في معنى الآية الكريمة تنبؤ عنه جزالة اللفظ ومتانة الأسلوب ، فان الخطاب في الآية الشريفة لجميع الناس الراغبين في النكاح ، والمقصود التوسعة عليهم ليصيب كل واحد منهم ما أراد من العدد الذى أطلق له ، وهل لو قال قائل اقتسموا هذا المال درهمين درهمين وثلاثا ثلاثا وأربعة أربعة أكان يفهم منه ذو عقل رشيد وفهم شديد أن يعطى كل واحد مجموع هذه الأعداد؟ أو هو لا يفهم منه إلا أن جماعة يأخذ كل واحد منها درهمين ، وجماعة أخرى يأخذ كل واحد منها ثلاثة ، وأخرى يأخذ كل واحد منها أربعة ، ولو ذهبت تغير اللفظ إلى غيره كأن قلت اقتسموا هذا المال درهمين وثلاثة وأربعة لما أفدت معنى صحيحا ، ولو قلت اقتسموه درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة لما أفدت إلا أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه على نوع واحد من هذه القسمة ، وذلك مظهر من مظاهري إعجاز القرآن الشريف وبلوغه من البلاغة أعلى حد فيها وأرفع منزلة منها .

لهذا اتفق الأئمة المجتهدون رضى الله عنهم على أنه لا يجوز ما فوق الأربع ، وهو إجماع لا تجوز مخالفته ، بل من أخفش الكبائر وأقبح الذنوب تعديه إلى حد غيره ، ويدل له ماورد أن سيدنا غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وتحتته عشر نسوة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اختر منهن أربعا . وفى لفظ آخر أمسك منهن أربعا وفارق سائرهن ، وحصل ذلك لكثير من الصحابة سواء رضى الله عنهم وكانت فتواه صلى الله عليه وسلم لجميعهم ما ذكر ، أفيجرؤ بعد هذا مسلم على تحليل ما زاد عن الأربع ، إنه بذلك يرتكب فى الدين خطأ من أكبر الأخطاء وأغظها وقانا الله السوء وحفظنا منه .

أما جواز الزيادة عن الأربع لسيد الأنام صلى الله عليه وسلم فانما كان ذلك خصوصية له من أرسله للناس بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . وسنين بعد ، حكمة التعدد في ذاته حكمته له صلى الله عليه وسلم .

بيد أن الله جلت قدرته وتعالى حكمته وإن أباح للزوج أن يجمع ، إلا أنه احتاط للنساء وحافظ عليهن محافظة كبيرة فشرط أن يكون ذلك الجمع عند تحقق العدل والتسوية بينهما فقال : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » فإن رغب واحد منكم جمع أى عدد مما أبحت لكم في عصمته ، فليترث في أمره ، ويتثبت من حاله ، فإن أحسن من نفسه القيام بحقوقهن وأداء ما لهن عليه من واجبات ، بحيث يعدل بينهما أقدم على ذلك ، وإن خاف ألا يعدل بينهما فليتزوج واحدة ويلزمها ، أو فالأحسن أن يشكح واحدة ، وقد نص الفقهاء على أن العدل الواجب إنما هو في القسم في النفقات والبيتوتة حتى قالوا : يجب على ولي المجنون أن يطوفه على نسائه ، وصرحوا بأنه لا يجوز للزوج أن يدخل عند إحدى زوجاته في نوبة الأخرى إلا بإذنها حتى إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يظاف به في مرضه على بيوت أزواجه محبولا ، حفظا للعدل ومن أولى بذلك منه صلى الله عليه وسلم ، ولم يرض بالإقامة في بيت إحداهن خاصة إلا بعد أن أذن له لما كان عند إحداهن ، فسأل في أى بيت أكون غدا ، فعلم نساؤه أمهات المؤمنين رضى الله عنهن أنه يسأل عن نوبة السيدة عائشة رضى الله عنها ، فأذن له في المقام عندها مدة المرض فقال : صلى الله عليه وسلم هل رضيتم ، فقلن نعم . فأقام عندها صلى الله عليه وسلم ، هذا هو القسم الواجب بين النساء ، أما الميل القلبي فذلك الذى لا يكلف به المرء بالتسوية فيه ، فإن القلوب بيد الله وحده يقلبها كيف يشاء ، يثبت فيها ما يشاء ويمحو منها ما يشاء ، لذلك كان صلى الله عليه وسلم يعتذر من ميله القلبي فيقول : اللهم هذا (أى القسم في النفقة والبيتوتة) جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك .

وعلى هذا الميل القلبي والحب النفسى حمل العلماء قوله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » ولو حمل العدل في هذه الآية على العدل في البيتوتة والعطاء لكانت النتيجة اللازمة للآيتين عدم جواز التعدد بحال وهو ظاهر البطلان بين الفساد .

وإن تعجب فعجب أن بعض من ينتسبون إلى العلم - بزعمهم - كتب مقالة في بعض الجرائد بعنوان (القرآن أو الإسلام - لست أذكر - يحرم تعدد الزوجات) واستدل على

ذلك فيما يفهم هو، أو يفهم الذين أُرشدوه بأن الآية السكرية أباحت التعدد بشرط العدل، والعدل محال بدليل آية « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . وهذا فهم سقيم لا يتجه إليه عاقل، إذ لا يستاغ أبدا أن يبيع لنا ربنا سبحانه شيئا ثم يعلقه على محال، فإن هذا أشبه شيء باللعب والهزء بعباده، ولو أراد الله جل شأنه تحريم التعدد بين ذلك فيمن حرمهن في قوله حرمت عليكم أمهاتكم بكلمة واحدة، فيقول مثلا وأن تجعوا بين الأختين أو اثنتين ويكون هذا نصا واضحا لا يمتري فيه أحد .

ثم إن الله سبحانه لم يترك النساء سلعة في يد الأزواج يطوحن بهن أنى شاءوا، وعلى أى حال أرادوا، بل أوجب على الزوج أن يحسن العشرة ولا يسيء فيها فقال : « فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان » . وقال : « فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف » .

هذا وقد سوى الله سبحانه وتعالى عند خوف عدم العدل بين المرأة الواحدة الحرة وبين الإماء من غير حصر في السهولة واليسر فقال : « فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » . قال جار الله : لعمري لمن (أى الإماء) أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤونة من الحرائر لا عليك أكثر منهن أم أقلت عدلت بينهما في القسم أو لم تعدل ، وعقب سبحانه ما تقدم بقوله : « ذلك أدنى ألا تعولوا » . أى ألا تجوروا أو تميلوا إلى إحدى نسائكم تأكيدا لأمر العدل وتنبيها على المحافظة عليه فإن المرأة الواحدة لا يعقل طلب العدل في شأنها إذ لا يطلب إلا بين متعدد، وإن كان لها حقوق أخرى بينت في آيات أخرى - أما الإماء فقد رفع الله عن الرجل إصر القسمة بينهما فضلا من الله ونعمة ورحمة .

من هذا يتضح لنا متى يجوز تعدد الزوجات في الإسلام وبقي يكون الاقتصار على الواحدة أو ما ملكت أيمانكم مطلوبا، وليس من غرضي في هذا المقال أن أوازن بين الحالين حال التعدد وحال الانفراد وأفاضل بينهما، ما دام الشرع الشريف قد نص على جواز الأمرين كل بما حد له من شروط وبين من أسباب، ووكل ذلك إلى الرجل نفسه بعد أن هداه السبيل وأرشد الطريق، من تولى العدل والمحافظة عليه مع استطاعة القيام بحقوقهن وأداء ما يلزمهن من النفقات، ولـكن الذى أقصده من حديثي هو حكمة تعدد الزوجات في الإسلام .

كأن المرأة إنما خلقت لتكون بلاء لنا نحن المسلمين في ديننا واختبارا لتعاليمه الحكيمة ووصاياه المستقيمة، إذا قلنا يجوز طلاق المرأة، قال الأجانب في حقنا : إنهم

قساة القلب ، غلاظ الأكباد ، يأمرهم دينهم بطلاق المرأة ، وقد تكون قضت أيام شبابها مع الرجل وأفنت زهرة حياتها بصحبته ، وإن قلنا للمرأة قرى في بيتك ولا ترى الناس جمالك ضنا بها أن يراها الأجنبي عنها وحفظا لدينها وهرضا ، قالوا : جامدون متشددون لا يتمشون مع المدنية الحديثة ونظامها ، وإن قلنا يجوز الجمع بين الزوجات قالوا : شهمانيون ، ودينهم شهماني يسلك بهم في ميادين الشهوة إلى حد بعيد ، كذا يقولون وغير ذلك يقولون في حق ديننا الحنيف ، وما يضر الشمس ألا يراها الأعمى ، تلك شذشنة نعرفها من أنحزم ، وهذا شأنهم في كل نصيح حكيم من نصائح ديننا العظيم ، إذا لم يعرفوا أسرارها ووجه الحكمة فيه ، ولو أنهم تأملوا قليلا ونظروا إلى الدين بعينين لم تعمهما الأغراض والأهواء ، وفكروا فيه بقلوب لم يطبع عليها غشاء التعصب المفقوت ، لآلفوا الدين الإسلامي دين المدنية الفاضلة والنظام الاجتماعي المستقيم .

الغرض الأصلي من النكاح إنما هو النسل والذرية ، أما مجرد قضاء الوطر فحسب فتلك وظيفة البهائم وعجماوات الحيوانات ، ولا سبيل لمن أراد كثرة النسل وتعدد الذرية إلا بتعدد الزوجات حتى قال بعض حكماء الغرب ، لو تركنا رجلا واحدا مع مائة امرأة سنة واحدة لحساز أن يكون لنا من نسله في السنة الواحدة مائة إنسان ، وأما إذا تركنا مائة رجل مع امرأة واحدة سنة كاملة فأكثر ما يمكن أن يكون لنا من نسلهم إنسان واحد ، والأرجح أن هذه المرأة لا تنتج أحدا ، لأن كل واحد من الرجال يفسد حرث الآخر ، فتعدد الزوجات يكثر العشيرة ويجعل عددها وفيرا ، وما أدراك ما فائدة العشيرة إذا كثرت ، تعظم بذلك الأمم ، وتسطيع الدفاع عن حقوقها برجالها وأبنائها ، وإنكم لتعرفون أن الجهاد مشروع في كل الدول ، وأنه وسيلة من وسائل حفظها وبقائها ، فلا دولة إلا ولها قوة حربية تسمى جهدها في تحسينها وتجهيزها بكل ما يمكن من معدات الحرب والنضال ، وبمقدار استعداد الأمة بأموالها ورجالها تكون هيبتها في نفوس الأمم وعظمتها لديهم ، وإنكم لترون بأعينكم أن الدول قليلات الرجال نهب مقسم بين الدول الكبيرة ، تمسكها إحداها وتتنازل عنها للآخرى كأنها صلع تباع وتشترى ، وهنا أقول والفخر فخر المواطن برجال وطنه المخلصين : إن رجال ثورتنا - حفظهم الله - عرفوا هذا المعنى حق معرفته فأعدوا جيشنا إعدادا كاملا وقووه وزادوا في عدده وعتاده حتى صار جيشا مرهوب الجانب مخشى السطوة ، حتى قال قائل الصمونيين - قاتلهم الله وأخزاهم - لو أراد جيش مصر أن يسحقنا في ثمان وأربعين ساعة لفعل ، ولقد

زوت مصنعين للذخيرة في جهتين من جهات القاهرة، فرأيت ما ملأ نفسى زهوا ونفرا
وتقديرا لرجال ثورتنا المخلصين العاملين ، وودت لو أن جميع المصريين يزورون هذه
المصانع ؛ ليروا بأعينهم ما يعمل به رجال الثورة لأمتهم ، وما يبنيونه لها من مجد وعز وسؤدد ،
وقاهم الله شر العوادي ، وحفظهم لجمهوريةنا العربية العزيزة وللأزهر والأزهريين
وللعروبة والإسلام .

هذا ومن المعلوم أن الحرب من شأنها أن تطحن الرجال ، وتغتال الأبطال وفيهم
قطعا المستزوجون والعائلون لبنات وأزواج ، فالى أين يذهب هؤلاء النسوة وتلك
البنات اللاتي استلبت الحرب منهن عائلتهن ومن يقوم بمصالحهن ؟ أيمتن جوعا وعطشا ؟
أم يفرطن في عفافهن رجاء أن يقبضن ما يقمن به أصلاهن ؟ أو يبعثن في الأرض فسادا
فيصبحن أدواء تنخر في بنيان الأمة التي ينتسبن إليها ، وقد قالت كاتبة من كاتبات الغرب
لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك ، وإذا كنت
امرأة ترانى أنظر إلى هاتيك الفتيات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنا ، وماذا عسى يفيدهن
بئى وحزنى ، وتوجع وتفجعى ، وإن شاركنى الناس فيه جميعا ولله درتوماس فانه رأى
الداء ووصف له الدواء الكافل للشفاء ، وهو أن يباح للرجل أن يتزوج أكثر
من واحدة .

على أن عدم التعدد في البلاد المتمسكة به جعل الزنا يفشو بينهم وينتشر فيهم ، حتى
عم الفساد وساءت الحال ، ولقد حدثت عن مصرى سافر إلى أوروبا للرياضة أنه لم يكد تظا
رجلاه بعض بلاد أوروبا حتى أحاطت به جماعة من النسوة ، تلك تأخذ بيده وهذه تضع
يدها على صدره ، وأخرى تضمه إلى صدرها الخ الحديث ... ولكن الشريعة الإسلامية
المطهرة أباحت التعدد حتى يستطيع حفظهن وكفلان اللاتي لا كفيل لهن ولا قيم عليهن ،
لا سيما إبان الحروب وبعدها .

ومن جهة أخرى فقد أثبت التعداد أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال في غالب
البلدان ان لم يكن في جميعها ، فلو جعلنا لكل رجل واحدة فأين يذهب أولئك النساء
البقيات ؟ ليس لهن من وسيلة إذا إلا أن يتجنن بأعراضهن فيأتين بأولاد غير شرعيين ،
كما هو الحال في البلاد المتمسكة بالواحدة فقط ، ولعمري كيف يعييون تعدد الزوجات ،
ولا يعييون هتك الأعراض وتمزيق جلباب العفاف ، وبعده فالرجل ربما لا تكفيه
المرأة الواحدة لأنه قد يريد لها وهي مريضة ، أو بها مانع من الموانع الشرعية ،

ولولم يأتها لاضطر إلى الزنا وهو ممنوع في جميع الشرائع ، فهل الأفضل حينئذ أن تدع الرجل يزني أو نبيح له تعدد الزوجات ، ربما يقول قائل : إن المرأة أيضا ربما لا يكفيها الرجل الواحد فلم لم ينبح لها أكثر من واحد ؟ قلنا سؤال وجيه ، ولكنه نادر جدًا ومعروف أن النادر لا تبني عليه الأحكام ، وإنما تبني على الأعم الأغلب ، على أن الشرع الشريف حكيم في فعله ، فإن إباحة ذلك للمرأة مما يفسد الأنساب ويضيع الحقوق ، خصوصاً في الموارث ، فعارضت تلك المصلحة في حق المرأة مفسدة من أكبر المفاسد فكان إنصافاً وحكمة غلق هذا الباب وارتاجه أحكم ارتاج وأشدّه ، وهناك عدا ما ذكرنا حكم كثيرة ومزايا فاضلة لهذا التعدد ، قالت كاتبة إنكليزية : وإباحة الزوج بأكثر من واحدة للرجل يزيل البلاء بلا ريب ولا شبهة ، وبه تصبح بناتنا ربّات بيوت والبلاء كل البلاء من جعل الرجل مقيداً حسب التقليد بالاكتفاء بامرأة واحدة ، وهذا التجديد هو الذي جعل بناتنا شاردات وعالة على المجتمع الإنساني وقد أطالت في ذلك .

أما حكمة زواجه صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع ، فهي السياسة الرشيدة والحكمة الغالية ، فلم يكن عليه الصلاة والسلام يريد بتعدد الزوجات ما يريد الملوك والأمراء من مجرد التمتع بالحلال ، إذ لو أراد ذلك لاختار حسانوات الأبقار ، على أولئك النتيات المسكنهلات ، وإنما راعى صلى الله عليه وسلم المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه عليهن الرضوان في التشريع ، ولكل واحدة من نسائه صلى الله عليه وسلم حكمة ، ولا يمكن أبجل القول في ذلك إجمالاً فأقول بهذا التعدد جذب إليه صلى الله عليه وسلم كبار القبائل بمصاهرتهم ، وعلم أنبأه احترام النساء ، بعد أن كنّ أذلة في أيدي الأزواج ، وعلمهم كيف يقيمون العدل بينهم ، ودلهم بزواجه من السيدة زينب بنت جحش امرأة زيد الذي تبناه على إبطال تلك البدع الجاهلية من تحريم زوج المتبنى كزوج ابن الصلب ، وقدر الأحكام بذلك وثبتها ، وترك من بعده تسع نسوة من أمهات المؤمنين ، يعلمن نساءهم من الأحكام ما ينبغي أن يتعلم من النساء دون الرجال ، وأذكر هنا حكمة زواجه بواحدة من نسائه رضي الله عنها ليتضح أثر مصاهرته صلى الله عليه وسلم للقبائل من جمعها حوله ، واستظلالها بظله الوارف وهو ما لأجله بعثه الله رب العالمين .

تلك هي السيدة برة بنت الحارث سيد قومه بنى المصطلق ، فإن المسلمين كانوا قد أسروا من قومها كثيراً من الرجال والنساء والذراير ، وفيهم سيدتهم برة ، فأراد رسول

الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بسيداتهم هذه بأمر من ربه ليكون ذلك وسيلة لاعتقادهم وفك أسرهم ، ولو أسرههم صلى الله عليه وسلم لا تئمروا وما خالفوا ، ولما كانه أراد أن يأخذهم بسياسة حازمة حكيمة ، إذ كان عليه السلام الأسوة والقدوة ، فلما تزوج تلك السيدة قال الصحابة رضى الله عنهم أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم ، فأطلقوا سبيلهم وأعتقوهم ، فأسلم جميع بنى المصطلق وصاروا عوناً للمسلمين بعد أن كانوا حرباً عليهم ، وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم منار هدى وإرشاد لجميع الناس فى كل ما هو خير لهم فى حياتهم وآخرتهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم) وفقنا الله إلى سلوك سبيله ، وهدانا إلى طريقه السوى المستقيم ما

محمد الطنيجي

عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ والإرشاد

الحالة فى العراق

خطب السيد رضا الشيبى فى البرلمان العراقى فقال : « إن هناك احتكاراً للرأى فى العراق . هناك نكسة فى العلاقات مع الدول العربية . بريطانيا تتدخل فى كل مسألة . حرية الاجتماع ممنوعة ، حرية الرأى ممنوعة . إننى أقولها بملء صوتى : إن التفسير الحقيقى لاستقلال العراق أنه استقلال جماعة معينة فى إدارة شئون الدولة بما لا يتفق ومصلحة الدولة » .

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

بحث فى الطلاق

(١) التشريع الجديد الذى جرى التطبيق عليه فى محاكم الأحوال الشخصية متأثر بسنة التدرج والانتقال . (ب) الطلاق وأسرار إباحته . (ح) جعل الفراق بيد الرجل والحكمة فيه . (د) ما فى حكم الطلاق مما به حل عقدة الشكاح وأسرار ذلك . (هـ) الكشف عن بعض المذاهب الإسلامية التى جرى عليها تطبيق بعض أحكام قانون الأحوال الشخصية من غير مذهب أبى حنيفة فى العهد الأخير .

لما ظهر قانون إلغاء المحاكم الشرعية فى عهدنا الراهن طلب إلينا الكثير من زملائنا فى المحاكم الوطنية ومن المشتغلين بقضايا الأحوال الشخصية أن نفصح لهم فى بحث مستفيض عن المادة الثامنة من القانون المشار إليه ، والتي تقول إن الطلاق بجميع أنواعه وملاساته والنسب بعد أن كان يفصل فيه لدى المحاكم الحزبية ، أصبح من المواد التى تطرح أمام القضاء الكلى فى المحاكم السككية الابتدائية ، واستجابة لحضرات الزملاء نحقق لهم رجاءهم فيما طلبوا ، فننشر فى هذه المجلة ما استقر عليه الفقه الإسلامى فى باب الطلاق وما أخذت به المحاكم ، متوخين فى ذلك كله الموسوعات والمراجع الوثيقة فى باب الفقه والقضاء والله المستعان .

الطلاق وأسباب إباحته :

هى أولا : عدم تعطيل النسل المرغوب فيه ، المندوب إليه على الرجل والمرأة ؛ لأن المرأة قد تكون عقيما أو آيسا والرجل فقيرا لا قدرة له على الجمع بين اثنتين ، فان لم يستبدل لم يكن مستعدا لأداء النسل ، ولأن الرجل قد يكون هو العقيم أو به ما يمنع انخلوة بها كالعنة ، فان لم يفارق المرأة ليختص بها سواء تعطل نسلها عليها وفات عليها استعدادها له .

وثانيا : رفع الحرج عن الزوجين ؛ لأنه قد يتصف أحدهما بسوء في خلقه وفساد في تربيته أو ضعف في دينه ، أو يكون بينهما تخالف في الطباع وتضاد في المقاصد ، فتتنافر القلوب وينعدم التآلف . والزوجية إن لم تتألف على المحبة وتدعم بالموافقة ، تداعت أركانها وانهار بناؤها وانعكس المقصود منها ، فصار الضرر - لولا الطلاق - محققا ، والفساد أمرا واقعا ، لأن العداوة تظهر في أقبح مظاهرها فلا يأمن كلاهما الآخر على نفسه ، ولا يعامله بلطف واحتشام ، فيصير العيش ذميا ، والحياة مريرة ، وتقع ذرايرهما وأعقابهما السيئة الحظ في حيرة وارتباك ، وبعد عن أحد الجانبين مع اقتراب من الآخر ، فتضطر إلى المخادعة والنفاق والغش والتدليس ، فيصير ذلك خلقا وسجية مألوفة ، فتقبح نعوتها ويسوء مقلبيها ، ولقد رأينا من الأزواج من هجر وطنه وهو عزيز ، ومن فارق دينه وهو أعز ، ومن قتل نفسه ولا شيء يعدلها ، ومن أودى بصاحبه وهو جناية كبرى ، تخلصا من قرين السوء والحياة الذميمة .

ولهذا نرى كثيرا من أبناء الديانات الأخرى يلجئون إلى الطلاق المدني إشفافا من ترتب آثار الزوجية ، وحذرا من الوقوع في أخطار يقدرها هؤلاء ، أقلها نتيجة حدوث تنافر بين الزوجين ، ولا يجد كلاهما إلى التخاصم من ضرره مهيلا . ولهذا اضطرت دول إلى الاعتراف بهذا الطلاق المدني ، وجعلته أصلا من أصول مدنيته وإن خالف أصول دينها . وإن شركة روتر البرقية نقلت إلينا في أول ديسمبر سنة ١٩٤٩ م أن الإحصاء الحكومي بالولايات المتحدة أبان أن المحاكم في العشرين سنة الأخيرة ، قضت بإجراء مايمون طلاق . فبقارن بحقك بيننا وبين غيرنا ، وانظر إلى آثار رحمة الله بنا ، واشكر مولاك على ما أولاك من هذه النعم الجزيلة والمنة الحقة .

ثالثا : إن جعل الطلاق بيد الرجل وحده يقرب من بقاء الزوجية ، ويبعد من زوالها قدر الاستطاعة ، لأن للرجل فضلا على المرأة ، ولأنه كلف بالإنفاق وإيتاء الصداق ، فهو لذلك لا يقدم على الفراق ما وجد للتأخر عنه سبيلا ، بخلاف المرأة لأنها قليلة التثبت في الأمور ، وكثيرة الاضطراب في الآراء ، سريعة السير مع الأهواء ، ضعيفة بطبيعتها عن احتمال المسكاره ، وتفرح وتحزن بأحق الأسباب . فإذا جعل الطلاق بإرادتها انهار بناء الاجتماع متى وجد خصام وتلاح ، وإن جعل بيد كل من الرجل والمرأة كان الأمر أفظع والفراق أسرع ؛ لأن المرأة كما رأينا في معزل عن الأمور التي بها بقاء الزوجية ،

والرجل يعلم ذلك ويأنف أن يكون الفراق منها ، وقد تكون مثله في تلك الأنفة ، فإذا ما وجد شقاق بينهما يسىء كلاهما الظن بصاحبه ، ويخشى أن يفارقه ، فيبادر هو بالفراق فرارا مما أنف منه .

على أن جعل الفراق بيد الرجل خاصة إنما يكون إذا أراد الرجل أن ينازل عن حقوقه قبل المرأة ويوفيهما جميع حقها . أما إذا أراد كلاهما أن يكون له حق حل عقد النكاح - وقد وضع بعض حملة الدين حق الفراق بيد المرأة إن اشترط ذلك في عقد الزواج ، وجرى عليه الآن كثير من العقود - فليس على من خافت من بعلها سوء العشرة ، وتمسكت بهذا الشرط من بأس .

لكن حدث - ملازمة لسير التطورات ، ومسايرة لشقي الاعتبار المتولدة عن الوقائع والحداثات - أن تمريعا وضع سنة ١٩٢٠ وهو المرسوم بقانون رقم ٢٥ ، بعد أن كثرت الشكوى من بقاء قيد النكاح في أيدي الأزواج ، يتلاعب بها شرارهم ، ويعمل الزوجية في نظر المستهترين متاعا يستمتع به ذوو الغايات ، وسبيلا إلى الانتقام بشتى الوسائل ، فجاءت المادة التاسعة من القانون المذكور ، وهى تبيح للزوجة أن تطلب التفريق إذا وجدت عيبا لا يمكن البرء منه ، أو يمكن بعد زمن طويل ، ولا يمكنها المقام معه إلا بضرر ، كالجنون والجدام ، سواء أكان ذلك العيب بالزوج قبل العقد ولم تعلم به ، أو حدث بعد العقد ولم ترض به ، ثم جاء قانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فأباح للزوجة أن تطلب إلى القاضى التطليق على الزوج ، في حالات بينت من المادة السادسة إلى المادة الحادية عشرة من هذا القانون في حالة تعمد إضرار الزوج بها . ثم أباح لها أن تطلب إلى القاضى التطليق على زوجها عند غيبته في شرائطها المبينة من المادة الثانية عشرة إلى الرابعة عشرة من هذا القانون . ذلك لأن الطلاق شرع في الإسلام للتخلص من رابطة الزوجية إذا تحقق أن المعاشرة بالمعروف وأداء حقوق الزوجية مستحيلة البقاء . والشقاق بين الزوجين مثار لأضرار كثيرة ، لا يقتصر ضررها على الزوجين فحسب ، بل يجاوزها إلى ما خلق الله بينهما من ذرية ، وإلى كل من له بهما علاقة قرابة أو مصاهرة .

فأرأت الوزارة من أجل ذلك أن المصلحة تدعو إلى الأخذ بمذهب الإمام مالك رضى الله عنه في أحكام الشقاق بين الزوجين . ووضعت القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المتقدم ذكره .

التطليق لغيبه الزوج أو لحبسه :

كذلك قد يغيب الزوج عن زوجته مدة طويلة بلا عذر مقبول ، لطالب العلم ، أو للتجارة ، أو لانقطاع المواصلات ، ثم هو لا يحمل زوجته إليه ولا هو يطلقها لتتخذ لها زوجا غيره . ومقام الزوجة على هذه الحال زمنا طويلا مع محافظتها على العفة والشرف أمر لا تتحمله الطبيعة في الأعم الأغلب ، وإن ترك لها الزوج ما تستطيع منه الإنفاق . وقد يقترف الزوج من الجرائم ما يستحق عقوبة السجن الطويل ، فتقع زوجته في مثل ما وقعت فيه زوجة الغائب .

من أجل ذلك شرعت المواد ١٢ و ١٣ و ١٤ من القانون المذكور لإنهاء لذلك العذاب الذي كان في يدى الزوج قبل زوجته يرهقها به أنى شاء ما

عباس طه
المحامى

المسلمون فى يوغوسلافيا

تبلغ نسبة المسلمين فى يوغوسلافيا إلى مجموع السكان ١٢,٥٢ ٪. ويشرف على حياة المسلمين الدينية مجالس أعلى للأوقاف ، وعلى رأسه رئيس للعلماء ، ولهم ثلاثة معاهد دينية فى سراى بوسنة واسكوب وبرشتنة ويخرج العلماء من هذه المعاهد ، ولهم مجلة إسلامية تنشر فيها بعض المقالات العربية أحيانا . وفى يوغوسلافيا ثمانية آلاف مسجد وعدة مئات من المكتبات القرآنية ، وأهم المدارس الإسلامية مدرسة الغازى خسرف بك فى سراى بوسنة .

مكانة الأزهر المعمور

« ألفت هذه القصيدة في الاحتفال الكبير الذى عقد في دار المركز العام لجمعية الشبان المسلمين ضمن سلسلة (حديث الاثنين) يوم ١٩ شعبان سنة ١٣٧٧ هـ تحت عنوان : (رسالة الأزهر الشريف) وقد خطب فيه الاساتذة : عبد اللطيف السبكي ومحمود حب الله وأحمد الشرباصي ومحمد الغزالي وعبد الرحيم فودة وصاحب القصيدة » :

لأئيم القدس الريب « الأزهر »
من علمه ، متذكرا ، ومذكرا
متدبرا ، مستفسرا ، ومفسرا
في قومه شيخا مهيبا نبيا
أسفى على من عقها أو أنكرا
وأنا ابن من لبس العمامة أدهرا
فتقبلوني هاديا متأهرا
للدين والدنيا ، وهدى للورى
ما كان صاحبه « المعز » و« جوهر »
للمسلمين وعزة ابن تقهرا
من قبل عرف بالسفارة قد جرى
من كل باغ قد عتا وتجبرا
ومجال شورى بينهم ومعسكرا
في العز من سحب المقام الأظهرا
ومؤدب لمن امترى ومن افترى
كيا يزندق جيلنا ويكفرا
إن نحن عفناه فلن نتحضرا
فلقد أعنا المفسد المستعمرا
ولقد جعلنا الضاد كإ مهدرا
لا تجعلوا النبراس إلا « الأزهر » !

ردوا على صباى غضا أزهر
وأجول في حلقاته متلقنا
متعلما لغة الكتاب وآيه
ومتوجا بعمامة تبدى الفتى
إن العمامة هيبه وفضيلة
أسفى على أن لم أكن من أهلها
إن لم ترونى أزهريا وافيها
هذا البناء حصانة وصيانة
الله صاحبه ورافع ركنه
هذا البناء كرامة وسلامة
هذا سفير تآلف ومعارف
هذا الذى محق الغزاة شعاعه
لاذ الحماة به فكان لهم حمى
قد عاش جارا « للحسين » ولم يزل
فالأزهر المعمور حارس ديننا
ولفاسق متهتك ، ولمن سعى
والأزهر المعمور نبع حضارة
ولئن صدقنا عن قويم علومه
ولقد طعنا الدين في أحشائه
لا تزهدوا العلم الحديث ، وإنما

تحية الوحدة

عادت لذروتها البنود فأبشرى
وغدت مهاد الأنبياء بأهلها
وتعانق الأخوان جهد ملوع
شكرى الذى وهب الوفاء حياته
عطفا القلوب على القلوب كأنما
ورزقا على الإخلاص سحر الساحر

* * *

يا وحدة الغرض الشريف تحية
أنا إن مدحتك كنت مادح نفسه
بطلاك خطا فى السجل صحيفة
وهما اللذان توخيا لعروبتى
من شاهد بالمكرمات مقدر
لكن تفاقم الانفعال بخاطرى
يزهو بها فى الفخر شعر الشاعر
شرف الشعوب وكل مجد زاهر

* * *

يا أخت سلم حبذته شريعتى
بكت المروءة من تأمر معشر
جعلوا الرياء سبيلهم وتنكروا
طعموا الشهى على الشهى وأتخووا
باعوا الضمائر للعدو رخيصة
يا ويح عاصى الأهل من نزواته
خسر الحياة وإن تأخر يومه
إن الذين تربصوا بجاهد
ودعت إليه بحكمة وتبصر
حبكوا الخيانة فى جلال السامر
لغير والمعروف أى تنكر
وتجاهلوا حق الفقير المعسر
رغم الثراء وساء حظ المشتري
وجنوحه نحو الدخيل الغادر
وقضى البقية نصب عين المزدري
لم يؤمنوا بالله غير تظاهروا

* * *

يأيها البطل النقى سريرة
الله جل جلاله لك حافظ
والمستجيب لكل بذل مثر
فاغنم رضاه على المجد الصابر

محمد طامل سلتى

مراقب المعهد الدينى بشبين السكوم

لغويات

الاتحاد والوحدة

يراد بالاتحاد اجتماع اثنين فأكثر واشتراكهما وتعاونهما في أمورهما ، يكون هذا في آحاد الناس وفي الأمم . وهذا المعنى الشريف قديم جاء في أشعار العرب وفي الكتاب العزيز ، وقول الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه ، والأمر في هذا لا يحتاج إلى تذكير ، ومما جاء من الشعر قول الحكيم :

كونوا جميعا يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا

غير أن لفظ الاتحاد ومتصرفاته لم أره في نصوص العرب القديمة ، وهو يكثر في عبارات المؤلفين والمصنفين للعلوم .

ونرى لفظ الاتحاد في القرن الرابع فما بعده ، ويقول [١] الصابي في كتاب أنشأه للصالح بين ابني عضد الدولة كتيبه في سنة ٣٧٦ هـ : « وعلى أن يمسكا بينهما بالسير الحميدة ، والسنن الرشيدة التي منها لها السلف الصالح من آبائهما وأجدادهما في التألف والتوازر ... والاتحاد بخلوص الطوايا والخفايا ، وسلامة الخواطر ، وطهارة الضمائر » . وكتب [٢] زين الدين طاهر الحلبي من كتاب السلطان فرج بن برقوق في سنة ٨٠٥ هـ في كتاب صالح بين هذا السلطان والملك تيمور لنسك ، وكان يلقب بالمقام القطبي : « وحلف المقام القطبي على الموافاة والمصافاة واتحاد المملكتين ، وإجراء الأمور على السداد ، وعمل مصالح العباد والبلاد » . وفي كتاب [٣] الصالح هذا : « هذا على أن يكون كل من المقامين الشريفين المشار إليهما مع الآخر على أكل ما يكون في السراء والضراء : من حسن الوفاء ، وجميل المودة والصفاء ، ويكونا في الاتحاد كالوالد والولد ، وعلى المبالغة في الامتزاج والاختلاط كروحين في جسد » .

[١] صبح الأعشى ٩٣/١٤ .

[٢] المرجع السابق ص ١٠٣ .

[٣] المرجع السابق ص ١٠٧ .

وإذا رجعنا إلى المعاجم لا نجد في اللسان ذكرا لصيغة الاتحاد في مادتي (أحد) و(وحد) ؛ ونرى في القاموس في (أحد) : « واتحد : انفرد » وهذا في غير المعنى الذى يستعمل في هذه الأيام ، ونرى أن القاموس جاء فيه اتحد من المهموز وهذا لا يحرى في القياس ، وإنما قياسه : اتحد ، وإنما تقلب فاء الافتعال تاء إذا كانت واوا أو ياء لا همزة كما هو معروف ، وقد خطأ النحاة قول المحدثين : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزر » وهو افتعال من الإزار ، وكان يجب أن يقال : يأتزر . وجاء في الأساس : « واتحد الرجلان ، وبينهما اتحاد » وهذا يساوى المعنى المستعمل في الاتحاد ، وحسبنا بهذا مصدرا ثقة يعول عليه ، ويستند إليه .

فأما الوحدة فقد فسرت في المعاجم بالانفراد ، وتستعمل الآن في معنى الاتحاد أو صيرورة الاثنين فافوقهما واحدا ، فيقال : وحدة الدولتين ، ووحدة قوانين التجارة ؛ وكأن هذا المعنى نشأ بالتوسع والتجوز في المعنى الأول ، فمن شأن المنفرد الضبط وعدم الانتشار ومن شأن التعدد التشتت ، فاستعملت الوحدة التي أصلها الانفراد في الاجتماع الذى فيه الضبط والالتزام ، ومن دعائهم : اللهم اضمم نشرى ، وهذا المعنى المجازى اشتهر ، وعرف في اللغة العالمية . ففى كليات أبى البقاء ٣٧٠ : « الوحدة كون الشيء بحيث لا ينقسم وتطلق ويراد بها عدم التجزئة والانقسام ؛ ويكثر إطلاق الواحد بهذا المعنى ، وقد تطلق بأزاء التعدد والكثرة » .

بقى بعد هذا ، البحث في ضبط الوحدة .

فقد جرى على ألسنة الناس كسر واو الوحدة ؛ وهذا لم أفق عليه ، وإنما الذى وقفت عليه فتح الواو . فهذا ما وجدته في اللسان والأساس والمصباح والصحاح ، ويرى القارئ في نسخة القاموس المطبوعة بالمطبعة الحسينية المصرية في سنة ١٣٣٠ هـ ضبط الوحدة بضم الواو ، وهذا الضبط يراه القارئ في التاج شرح القاموس ، ولكنى وجدت في نسخة القاموس المطبوعة في مطبعة بولاق في سنة ١٢٧٢ هـ الوحدة مضبوطة بفتح الواو ، وأرى أن صاحب التاج وقعت له نسخة من القاموس فيها ضم الواو خطأ من الناسخ فاعتمدها ، وتبعه مصحح مطبوعة المطبعة الحسينية ، فيذبحى ألا يعاج على هذا الضبط ولا يركن إليه ، ويدل على هذا أن صاحبى الصحاح والمحكم اقتصر على فتح الواو ، وهذان الكتابان مصدران للقاموس فهو يأتي بما فيهما وقد يزيد عليهما ، وهو

لم يذكر الوحدة إلا مرة واحدة ، فالمرجح أنها هي التي في الصحاح والمحكم ، ولو كان المجد وقف على الضم لذكر الوحدة التي في السكتابين والوحدة (بالضم) التي زادها عليهما .
ومما يؤكد أن الوحدة بالفتح قولهم في تخريج جاء وحده : إن الأصل : وحدته فحذفت التاء للاضافة ، ويقول الرضى في شرح الكافية في مبحث الحال : « وحدك في الأصل وحدتك ، فحذفت التاء لقيام المضاف إليه مقامه ، كما في قوله تعالى : « وإقام الصلاة ، والوحدة : الانفراد » . ومما يتصل بهذا أن الوجدانية أى التفرد وانقطاع النظير نسبة إلى الوحدة يقصد بها المبالغة ، كالجمانى والرقبانى في النسب إلى الجملة والرقبة ، وقد انسلخت الكلمة عن النسبة وصار يراد بها الحدث وتدخل فيما يسمى بالمصدر الصناعى ، والوجدانية بفتح الواو لا محالة ، ولا يقبل تجوز بعضهم كسر الواو في الوجدانية ، فقد جاء في كتابة الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد في مبحث الوجدانية : « ثم أفاد سيدى يحيى صحة كسر الواو نسبة إلى حدة كمعدة وهبة ، وأصلهما وحد بكسر الواو من وحد يحده ، قالوا : هذا على حدة ، وهذا على حدة ، فتأمل » ، وأمر الأمير بالتأمل في كلام سيدى يحيى يوحى بأنه لا يرضاه ، ووجه هذا أن النسب إلى حدة : حدى ، ولا ترد الفاء المحذوفة ، فلا تكون الوجدانية منسوبة إلى الحدة .

ويذكر بعض الباحثين أن الوحدة بكسر الواو تقبل على أنها اسم الهيئة وإن لم يسمع ذلك ، إذ إن صوغ الفعالة للهيئة مما يتقاسم . وفي نصوص النحويين قصر المرة على الأفعال العلاجية ، ففي حاشية الصبان على الأشمونى في أواخر أبنية المصادر : « ثم فعلة التي للمرة إنما تكون لما يدل على فعل الجوارح الحسية ، كأمثلة الناظم والشارح ، لا ما يدل على الفعل الباطنى ، كالعلم والجهل والجن والبيخل ، أو الصفة الثابتة ، كالحسن والظرف » ، وقد سكت الصبان عن الهيئة ، ويبدو أنها كلمة لا تكون إلا من الأفعال العلاجية التي لها هيئة وشكل خاص يظهر .

والوحدة أى الاجتماع ليست - فيما يبدو - من الأفعال العلاجية الحسية .

والوحدة مصدر ، وفعاله وحد يحده كوعده بعد ، ومن مصادر هذا الفعل الحدة كالمعدة . ويقال أيضا : وحد يوحده بضم الحاء فيهما . وأثبت بعض اللغويين وحد كسمع أيضا :

والناس يستعملون الوحدة في مكان الاتحاد أى اسم مصدر له ، ولا ينطقون بفعل ثلاثي ، وإنما ينطقون بالفعل من الاتحاد .

الفانوس

الفانوس معروف . وهو وعاء من زجاج يوضع فيه مصباح أو شمع ، فيمكنه من الهواء . ويبدو أنه في مبدأ أمره لم يكن من الزجاج ، بل كان يغطى بستر رقيق من البياض الشفاف ، ولا يزال هذا جاريا في فوانيس بعض الطرق الصوفية في احتفالاتهم الدينية . ويقول مجير الدين بن تميم :

أبدى اعتذارا لنا الفانوس حين بدا في حالة من هواه ليس ينكرها
رأى الهوى مضرا ما بين أضراسه نار الجوى فغدا بالثوب يسترها

ذكر هذا الغزولي في مطالع البدور ١ / ٨٧ . والغزولي من أدباء صدر القرن التاسع الهجري . وأنشد في هذا الموطن للوجيه المناوي :

كأنما الليل وفانوسنا يحلو دجى الظلمة للشمس
لجة ببحر قد طما موجه تسميح فيه كرة الشمس

ولا نرى ذكر للفانوس في اللسان . وجاء في القاموس : « والفانوس : النمام عن المازرى . وكأن فانوس الشمع منه » . ولا نرى في المادة غير الفانوس إلا الفنس بالتحريك ، وهو الفقر المدقع ، وظاهر أنه مبدل من الفاس ، وعلى ذلك تكون كلمة الفانوس ليس لها مادة تتصرف منها . وهذا أمانة أنها دخيلة في العربية ، ومن آيات ذلك إغفال المعاجم القديمة لها ، وإنما نقلها صاحب القاموس عن المازرى في شرح مسلم ، وذكر المازرى أن معناها النمام . ويبدى المجد احتمال أن فانوس الشمع - وهو الفانوس المعروف - من الفانوس بمعنى النمام . وذلك أن فانوس الشمع يتم عما فيه من الشمع أو المصباح لما كان لا يحجب ضوءهما . وقد بعثني هذا على النظر في أصل الكلمة ومأناها ، فعلمت أن الفانوس في اليونانية معناه المضيء المنير ، وقد انتقل من اليونانية إلى العبرية بهذا المعنى ، كما أخبرني ثقة في هذه اللغة . وعلى هذا فقد انتقلت الكلمة إلى العربية من اليونانية أو العبرية بمعنى المضيء ، واستعمل في المعروف اليوم لإضاءته ، وإذن فاستعمال الفانوس في فانوس الشمع هو الأصل ، واستعمل للنمام ، لأنه يتم عما بين الناس

من الأسرار ويكشف عنها ، كما يتم فانوس الشمع عمما في داخله . وهذا عكس ما رآه صاحب القاموس .

وقد بدا لي أن الفانوس في اليونانية أصله فاروس . وفاروس كانت جزيرة أمام الإسكندرية ، بنى فيها بطليموس فيلا دلف في القرن الثالث قبل ميلاد المسيح عليه السلام منارا يضئ ليلا لهداية السفن إلى مدى مائة ميل ، وصار لفظ فاروس رديفا للنار . وقد أخذ الفرنسيون لفظ فار من فاروس للنار ، وللفانوس الشديد الإضاءة . ونرى في العامية الفتيار لضرب من المصابيح ، ويبدو أن هذا أيضا أصله فاروس . وكان مكان المنار يعرف بمنارة الإسكندرية ، وظل معروفا بهذا عند علماء المسلمين ، وكانت تروى في شأنه أساطير ، وأطال القول فيه ياقوت في معجم البلدان في الحديث عن الإسكندرية ، ومن كلامه : « وأما خبر المنارة فقد رووا لها أخبار هائلة ، وادعوا لها دعاوى عن الصديق عادلة ، وعن الحق مائلة ... » ولمن أراد سعة في العلم بها فليرجع إلى هذا المرجع .

محمد علي النجار

الحروب الصليبية والاستعمار

قال الرئيس جمال عبد الناصر في خطبته مساء آخر شعبان بالقاهرة :

إن العرب حين وثقوا في بريطانيا وفرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى ، ليتخلصوا من ظلم العثمانيين نسوا أنهم يستعينون بنفس الذين كانوا يحاربونهم قبل العثمانيين ، وإذا كان العرب قد نسوا ، فإن بريطانيا لم تنس وكذلك فرنسا .

وعند ما دخل ألنبي القائد البريطاني المشهور إلى بيت المقدس قال : « الآن انتهت الحروب الصليبية » .

وعند ما دخل الجنرال غورد الفرنسي دمشق اتجه إلى قبر صلاح الدين وقال : « ها قد عدنا يا صلاح الدين » .

إن الحروب الصليبية كانت استعمارا يستغل اسم الدين .

تعلیقاً

١ - اتحاد سوريا ومصر

شئ تمنيناه طويلا ، وقضينا في انتظاره أحقابا ، ثم سمحت به الاقدار في أحوج ما نكون إليه ، ووافت به الايام أكمل ما ترجوه سوريا ومصر ، وأجل ما تشده العروبة في كل ناحية من أوطانها .

نجاح علقنا عليه الدنيا أملها في استقرار السلام ، وكف الاطماع ونحو الدسائس حول هذه الاوطان وكانت هي مهبط الوحي ، ومبعث الهداية ، ومشرق العلم والحضارة ، بعد أن تعثرت الإنسانية في مسيرها ، وقبل أن تنهض على آثار الشرق أمم جامدة ، وتقتبس من علمه وحضارته شعوب جاحدة .

وما نستطيع أن نشبع الرغبة بالإعراب عن شعورنا ، ولا تحديد ما يملكنا من عزة بعد أن تواطأت على مذلتنا أمم حاققة علينا ، وناصبتنا الخصومة ، ووقفت في سبيلنا حيناً وأحياناً من الزمن ، ومهما يكن فقد خسروا وظفروا ، واندحروا ونهضنا ، وشمنا عبير الأمل بعد طغيان مطبق ، وظلم محقق ، وعدوان جاثر ، وتدبير خاسر .

والله يعصمنا من كيدهم ، ويبقى لوحدة قوتها وهيبتها ، حتى نكون كأولنا يوم شنوا حروباً صليبية تجمعوا لها من كل ركن ، وعدوا علينا في غير هوادة ، وبعد قرن من الزمن كانت رايقتنا فوق راياتهم ، وتاريخنا أنصع من تاريخهم ، وكان اعتزاز الإنسانية بنا سلوة عن خزيها بوحشتهم ، وكانت فرحة الدنيا بنصرتنا عليهم يومذاك أشبه بفرحتها لليوم اقيام حقنا على باطلهم .

وستظل الراية مرفوعة ، وكلمتنا مسموعة ، والزعامة رشيدة ، وخطانا إلى الامام فسيحة غير وثيدة . . وإن فيما سمعناه من كلمات الزعيمين ، وتمنياتهما للشعبين والعروبة كلها الخير

قال ، وأصدق بشرى بما سيكون : من تكوين مجتمع جديد ، وإنشاء جيل يعرف وطنه ، ودينه ، وخلقه ، ويحترم تاريخه ، فكلما الزعيمين على أصدق إيمان بالله ، وجنوح إلى دين الله . وكلاهما لا يفتى تذكير نفسه بحاجته إلى ربه ، وكلاهما لا يغفل من حسابه أن يعز دين الله ، ويسير في ضوء كتابه . وفق الله الزعيمين - شكري وجمالا - وشد على يديهما وأيدي أعوانهما بالعصمة من الزلزل .

٢ - الندوة الثانية لحماية الشباب

قلنا مرة : إن فكرة عقد هذه الندوة فكرة واعية ، ووسيلة مجدية في توجيه الشباب إلى الخير . وكانت الندوة الثانية شاهداً بالتوفيق للقائمين على الندوة ، بعد أن كانت الأولى بشيراً بالتوفيق ، غير أن لنا بعض لفتات يسيرة ، نعرضها في غير نقد ، ولا انتقاص لتلك الجهود .

أولاً : لم يراعوا فسحة الوقت بين حلول صلاة المغرب وبين الموعد للندوة ، إذ أن المغرب [حينئذ كان] يحين في الساعة ٢ و٥ ، والندوة في تمام الساعة ٦ فالدقائق اليسيرة - ١٨ - لا تتيح للناس أن يصلوا فرضهم ثم يدرکوا أما كنهم قبل الموعد مهما حاولوا : إلا من كان ذا سيارة كوزير التربية ، أو كانت الندوة تفتقره كوزير التربية أيضاً . . مع أنهم وضعوا في صدر الندوة لوحة كتب عليها : يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، . . الآية . فن الحق تمكن الناس بفسحة الوقت ، أو بوضع مصلى فسيح في جانب من جوانب الندوة وهذه تكون سنة مشكورة لو قبلوها .

ثانياً : المفروض فيمن يشترك في الندوة ويدلى برأيه في الخلق أن يكون معروفاً بحسن الخلق ، أو مستور الحال على الأقل .

ولكن الندوة تخللها من عرف بالمجون حتى بعد كبر سنه ، والناس لم ينسوا نقاشه في يوم ما مع المرحوم على أبوب حينما أقر صاحبنا هذا على نفسه في مجلة الجيل أنه في المجون أشبه بخصمه ، ولم يحاول - أو - لم يكثرث بتنزيه نفسه عما رمى به ؛ لأنه لا يكثرث بذلك ، وكانت كلماته في الندوة تشف عن هذا ، فن الخير ألا يكون للمخدوشين موقف بين النصحاء حتى لا يكون هذا مأخذاً على الندوة .

٣ - يقظة أدبية

قرأت في جريدة الشعب يوم ٢١/٢/١٩٤٨ كلمات طبيبات لسيدات ، منهن السيدة النائبة أمينة شكرى ، وهى كلمات أجمعت على إنكار الازياء النسوية القصيرة ؛ لكشفها ما يجب ستره من سيقان المرأة ، ولأن قصر الملابس لا يأتى بجمال ، بل قد يكون كاشفاً عن قبيح دميم ، وأن ذلك تقليد للنساء غير شرقيات .

وهذه أصوات كريمة جديرة بالاستماع من كل سيدة ، ومن كل رجل يملك توجيه زوجته أو ابنته ، وجديرة عند إخواننا علماء المساجد والوعظ أن يشيدوا بها فى مجتمعاتهم بالرجال والسيدات ، ولعلمنا نصيحة تفشو وتعم .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الأزهر يسجل نصرا فى الميدان الرياضى

زار الإقليم المصرى فى الأسبوع الماضى ، فريق منتخب سورية لكرة السلة ، ونظمت ضمن مباراته مع فرق الإقليم المصرى ، مباراة تقابل فيها مع فريق الأزهر .
وابتدأت فى الثامنة من مساء يوم ١٦ من شعبان الموافق ٧ من مارس على ملعب جمعية الشبان المسلمين .

وذلك بعد أن تبادل أحمد صادق رئيس فريق سورية ، وناصف سليم رئيس فريق الأزهر الاعلام التذكارية والهدايا الرمزية وباقات الورود .

وكان النصر حليف منتخب الأزهر من أول المباراة ، وظل يتقدم فى تسجيل الاهداف حتى خرج منتصرا على الفريق السورى ٦٥ - ٦٠ ثم اختلف المدعوون والفريقان الى حفل شاي كبير ، أعده الأزهر بصالة الجمعية ، وقد تحدث فيه فضيلة الاستاذ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر والرائد الدينى لجمعيات الشبان المسلمين .

فنوه بتقديم الأزهر فى الميدان الرياضى ، ودحض فرية القائلين بتخلفه عن ركب الحياة العامة .

الكتب

قصص من التاريخ

للاستاذ السيد علي الطنطاوي - ٢٢٤ ص - مؤسسة دار السلام للطباعة والنشر بدمشق

أصدق كلمة سجلها حامل قلم في هذا العصر هي قول مؤلف هذا الكتاب النفيس :
« إننا أمة تجهل تاريخها . هذا التاريخ الذي ليس لأمة مثله . هذا العالم الذي يفيض
بالحب والنبل والتضحية والبطولة والإيمان . هذا السجل الأدبي الذي اشتمل على بذور
مأس وملاحم وقصص ودواوين لو وجدت من يستخرجها ويزرعها في ذهن الخصب
لـكان حصاها أدب جديد يزحم بمنكبيه آداب الأمم جميعا » .

وهذه الحقيقة برهن عليها الكاتب الأديب البليغ مؤلف هذا الكتاب ببضع
وعشرين تحفة أدبية كان في كل تحفة منها يتناول خبرا من الأخبار يقع عليه في أي كثر من
تراثنا الثقافي الخافل بالبدائع ، فيديره في ذهنه ، ويتصور تفاصيله ، ثم يحاول أن يعرضه
موسعا موضحا كما لو كان من شهود وقائمه ، ومن لدات الأشخاص الذين وقعت لهم تلك
الوقائع ، فتجىء من ذلك قصة من قصص التاريخ الإسلامي تفيض بالحب والنبل
والتضحية والبطولة والإيمان كما قال المؤلف ، ولو رجعت إلى أصول هذه الفصول
في التاريخ لوجدت أن أكثرها لا يجاوز بضعة أسطر جاءت متوالية في حاشية من
الحواشي أو زاوية من الزوايا لا ينتبه لها القارئ ولا يقف عليها ، وليست أبجل ما في تاريخنا
ولا هي من أبجل ما فيه ، واسكن القلم البليغ ، والمعارف التاريخية الأخرى التي تبعت
الحيوية والجلدة في أحاديث النبل والبطولة والإيمان هي التي تنمي ثروة الأدب العربي بمثل
هذه التحف فتساعد الجليل على أن يعيش في سجايا أسلافه الذين ملأوا الدنيا بطولة ونبلا .

إن أدب الأستاذ الطنطاوي لا يحتاج منا إلى تعريف ، فقرأه عرفوه من قبل ،
وإنما أردنا أن نلفت أنظارهم إلى هذه الحلقة الجديدة من سلسلة حلت من نفوسهم
المحل اللائق بها .

حياة حافظ إبراهيم

للاستاذ أحمد محفوظ - ٢٤٥ ص - مؤسسة نصار للتوزيع والنشر

قال المؤلف : « هذا حافظ إبراهيم ، أجلوه للقارئ : بمولده ، وطفولته ، وشبابه ، وكهولته ، وشيخوخته ، وموته . وبدرسه ، وبيئته ، وأصدقائه ، وظرفه ، وبؤسه ، وغدواته وروحائه ، وفنه » .

وقد كتب مقدمته الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة فوصف الكتاب بأنه « قيم ، حوى الكثير الجلم من عصر حافظ ، وأحاط بطرائف متنوعة عاشها حافظ مع رجال الصحافة والسياسة والعلماء والأدباء والظرفاء والشعراء . وأروع ما فى الكتاب أنه يكشف لنا عن حياة القاهرة فى مفتتح القرن العشرين : فى أندية ولياليها وسهراتها ومواصلاتها ، كما يكشف لنا عن ظرف حافظ وأصدقائه حافظ وحياته كلها من لدن مولده حتى موته . . وقد تعرض المؤلف لضروب شعر حافظ بالنقد فأنصفه فى بعضها ، وتجنب عليه فى البعض الآخر . والنقد قبل كل شئ ذوق خاص للنقاد لا يلزم به إلا هو » .

فهذا الكتاب ذكرى للكهول والشيوخ ترجع بهم إلى حياة القاهرة وأدبائها قبل نصف قرن ، وتاريخ للشباب يعتبرون بمقارنة عصرهم وبيئتهم بعصر حافظ وبيئته ، ومعرفة ذلك خبر لهم من أكثر ما تنشر المطابع من قصص وأدب ركيك فى هذه الأيام .

التربية الإسلامية

من مطبوعات وزارة التربية والتعليم السورية - أربعة أجزاء

لقسمى القرآن الكريم والحديث

هذا كتاب نموذجى جيد لتلقين طلاب السنتين الأولى والثانية الثانويتين فى المدارس السورية ما ينبغى لهم أن يعلموه وأن يتأدبوا به من كتاب الله وسنة رسوله . فالقسم الخاص بالقرآن الكريم من هذا الكتاب فى جزءين كل منهما فى أكثر من مائتى صفحة تضمننا السور القرآنية المقررة فى منهاج الدراسة مبدوءة بدراسة موجزة لكل سورة ، ثم تأتى السورة مطبوعة على رسم المصحف المطبوع ، مشفوعة بمعجمات لأهم الكلمات اللغوية فيها ، ثم تفسير مجمل مشفوع ببعض التفصيل ، وألحق بذلك أحيانا خلاصات لبعض المعانى ، وأمثلة توجيحية يمكن أن يقيس عليها المدرسون والطلاب توسيعا للفائدة المرجوة . أما قسم الحديث النبوى الشريف والبحوث الإسلامية فهو أيضا فى جزءين للسنتين الأولى والثانية الثانوية حسب منهج التربية الدينية الذى أقرته وزارة التربية والتعليم

السورية ، وقد قامت بتأليفه لجنة مكلفة من قبل الوزارة ، وقد بذت جهدها لأداء مهمتها بقدر ما ساعدها على ذلك المنهج الرسمي ، وقالت في مقدمته : إن الكتاب الصالح والمدرس الصالح إذا وجدا للطالب المجتهد كان منهما النفع الكبير له ولأمتة ، وقد نبه المؤلفون المدرسين إلى تبعثهم العظمى تجاه دينهم وأمتهم وتلاميذهم .

وكل جزء يحتوي على قسم الحديث الشريف للدراسة والحفظ مذيلا كل حديث بشرحه وبما يرشد إليه الحديث . ثم قسم البحوث الإسلامية ، وفيه فصول عظيمة نافعة في العبادات والآداب الإسلامية والأهداف المالية . وعسى أن يتسع صدر وزارات التربية والتعليم في البلاد الإسلامية لأكثر مما في هذه الأجزاء النافعة الصادرة عن الوزارة السورية .

الاجوبة الخفيفة في مذهب أبي حنيفة

للاستاذ سيد عبد الله حسين — ٤٥٥ ص — المكتبة المحمودية بالأزهر

هذا كتاب في الفقه على طريقة السؤال والجواب ألفه مؤلفه ليتذكر به الطالب دروسه ، وليرجع إليه العلماء من غير عناء للبحث عن الأحكام المرغوبة لهم ، وقد اشتمل على العبادات والمعاملات والأقضية والشهادات والميراث وأبواب الزكاة وكفاية الطلاق والعدة وربا الفضل والنساء والدية وذوى القروض والمجرب الخ .

وبآخره فهرس أبجدي مطول ، وفهرس آخر لأبواب وفصول المواضيع الفقهية .
فخرجوا الله أن ينفع به .

جمال الدين الأفغانى - تاريخه ورسالته

للاستاذ الشيخ محمود أبو رية — ١٦٢ ص — مؤسسة نصار للتوزيع والنشر

كتاب لطيف جامع ، قدم له الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، تدور فصوله على نشأة اليقظة الإسلامية ، والجامعة الإسلامية ، وتعاليم جمال الدين وأثرها في الثورة العربية وسائر الحركات الحرة في البلاد الإسلامية ، وأنه الباعث الرئيسى الأول للروح المعاصرة ، وأقوال أعلام العصر عنه وتحقيقات عن حياته الأخيرة في العاصمة العثمانية وما قبل في أسباب وفاته .

الأدب والعلوم

رسالة المعلم العربي

بناءة امتازت على حضارات الأمم جميعاً بأنها
تشع الإنسانية والمدنية الحقيقية ، وتنشر العلم
والعرفان ، وتهدف إلى حرية الشعوب .

إن معركتنا نحن المعلمين ليست معركة محلية
أو وقتية ، بل هي معركة مسنمة تقودها
في السلم وفي الحرب لتقوية الإيمان والعمل ،
وتقوية القوة المادية بين أبنائنا من أجل
وحدتنا ومستقبل أمتنا العربية .

المركز الثقافي الاسلامي بلندن

رشحت مشيخة الازهر فضيلة الشيخ سليمان
دنيا - الاستاذ المساعد بكلية أصول الدين -
لإدارة المركز الثقافي الإسلامى فى لندن ،
وقد تلقى من فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ
الجامع الازهر التوجيهات الحكيمة فيما يجب
أن يتخذ من الإجراءات هناك .

وما يذكر أن إدارة المركز الثقافي الإسلامى
بلندن ظلت شاغرة منذ نفل مديره السابق
الدكتور على حسن عبد القادر ، وكان هناك
بلاد إسلامية أخرى تريد أن تستأثر بهذا
المركز الإسلامى ، لكن مجلس الامناء الذى
يشرف عليه رأى أن يرجع إلى مشيخة الازهر

عقد السيد كمال الدين حسين وزير التربية
والتعليم ندوة فى مدرج الجامعة السورية
بدمشق ضمت معلى المدارس الابتدائية
والثانوية ومعلماتها فتحدث بهم عن رسالة
المعلم العربى فى تكوين أمة عربية واحدة ،
موحدة الآمال والاهداف . وقال : يجب علينا
أن نعى ونذكر أن هؤلاء الابناء الذين نبني
لهم المستقبل أو نبني بهم المستقبل ، لا بد أن نوفر
لهم جميع عناصر القوة ، لكي يتحملوا
هذا العبء الضخم الذى يوضع على كواهلهم .
ويمكن تلخيص القوة التى ننشئها لهم فى قوة
الروح ، وقوة الإيمان ، لأنه بدونها
سوف نفقد كثيراً من عناصر القوة المادية
التي يمكن أن يستفيد منها أبناء الاجيال
المستقبلية .

يجب أن نكون على سباق مع الزمن ،
فقد فاتنا وقت كثير ، ويلزمنا أن نقطع مسافة
طويلة لنلحق بالركب ، ثم لفسبق الركب .

يجب أن ننبه أذهان الجيل الصاعد إلى حضارة
أمة العربية ، وأنها كانت وما زالت حضارة

عبد السلام بدران الملحق الثقافي في سفارة الجمهورية العربية المتحدة، ومما قاله: إن إنشاء هذا الفصل سيدعم التبادل الثقافي والمضامير الودية بين الامةين الصيفية والعربية .

المعهد الأزهرى للفتيات

وافق مجلس الأزهر الاعلى على افتتاح المعهد الأزهرى للفتيات فى العام الدراسى القادم ، ويكون التعليم فيه مقصوراً عليهن .

وكان مقررأ أن يفتح هذا المعهد فى العام الدراسى الماضى ، غير أن ظروفأ حالت دون ذلك .

وستستمر بهذا المعهد للفتيات فى مختلف أنحاء الجمهورية العربية المتحدة أسباب الثقافة الاسلاميه ، فيخطو - إن شاء الله - بتعليم الفتاة المسلمة خطوة صحيحة تقدم بالطابع اللائق بها ، فتدير البيت وتربي الجيل ، وهي تعلم ما يرضى الله وما يستخفه ، وما يدنى الامة من سعادتها أو يبعدها عنها .

وفى المنهج الدراسى المرسوم لهذا المعهد إلى جانب ما يلزم من الثقافة الشرعية والعربية - عناية خاصة بالدراسات المنزلية وشئون التطريز والتدريس والإسعافات الطبية الاولى .

فى هذا ، لانه يعتقد أن مصر هى الزعيمة الروحية لكل المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، وهى صاحبة الرأى والتوجيه فيمن يصح أن يشغل هذا المركز ، فكتب المجلس إلى مشيخة الأزهر كتاباً يقول فيه إن مصر هى البلد الإسلامى الكبير الذى يأتى به العالم الإسلامى فى مختلف البلدان . ولذلك رغب المجلس فى أن يكل إلى مشيخة الأزهر ترشيح المدير الجديد للمركز الثقافى الإسلامى .

الأزهر فى مجمع اللغة العربية

أقام مجمع اللغة العربية حفلة علمية لتأبين شيخ الأزهر السابق العلامة السيد محمد الحضر حسين ، وتولى فضيلة الاستاذ الشيخ محمد على النجار استعراض حياة الفقيد رحمه الله .

اللغة العربية فى الصين

افتتح فى بكين رسمياً فصل لتدريس اللغة العربية فى أوقات الفراغ ، وأشرفت على إنشاء هذا الفصل جمعية الصداقة بين الصين والجمهورية العربية المتحدة . وتستغرق الدراسة فى هذا الفصل عامين يتلقى الطلبة خلالها الدراسة مرتين فى الأسبوع .

وخطب فى افتتاح هذا الفصل السيد

إنباء العجلاء النبلاء

القوة العليا الخالدة

قال الرئيس جمال عبد الناصر في أول خطبة له في مصر بعد عودته من الشام :

« إن هذا العصر عصر الشعوب . وكانت الشعوب هي التي فرضت الوحدة ، فرضتها فرضاو كننت سعيداً بأنها فرضتها ، إذ معنى ذلك . أن زحف الشعب المقدس قد بدأ ، وأن وعيه يتبلور ، وأنه أصبح القوة العليا الخالدة ، .

وأذاع الأمير فيصل ولي العهد ورئيس الوزراء بياناً للشعب السعودي ناشده فيه أن يتعاون مع الحكومة في عهدها الجديد .

وألف الأمير فيصل ثلاث لجان : واحدة للسياسة الداخلية ، وأخرى للسياسة الخارجية وثالثة للسياسة المالية . وستولى كل منها الإشراف على الناحية التي تدخل في نطاق اختصاصها .

سلطات الحكم

في البلاد العربية السعودية

تنازل الملك سعود عن سلطات مباشرة الحكم لولى عهده ورئيس وزرائه الأمير فيصل ، وأصدر مرسوماً منحه فيه السلطة الكاملة في مسئولية رسم السياسة الداخلية والإشراف على تنفيذها ، ومسئولية رسم السياسة الخارجية والإشراف على تنفيذها ، ومسئولية الحالة المالية والعسكرية للمملكة السعودية والإشراف عليهما إشرافاً كاملاً .

وقد أعلن ذلك في المملكة العربية السعودية وأذيع في الوقت نفسه في الأمم المتحدة .

مسئوليات

الجمهورية العربية المتحدة

في الخطبة الكبرى التي ألقاها الرئيس جمال عبد الناصر بالقاهرة مساء آخر شعبان ، حدد المسئوليات التي تحملتها الجمهورية العربية المتحدة في النقاط التالية :

إن هذه الجمهورية تحملت أن تكون خط الدفاع الأول عن الأمة العربية .

وتحملت أن تكون أداة التعبير عن آمال الأمة العربية .

وتحملت أن تكون قاعدة الدعوة إلى الوحدة العربية .

في مقدور أحد ولا في استطاعة دولة أجنبية حل المواطنين في أى بلد عربى على الاستسلام لها . ومن عجب أن يتظاهر البعض برغبته في إقامة اتحاد بين سوريا والعراق ، ثم ينكر إقامة اتحاد بين العراق من جهة وسوريا ومصر معاً من الجهة الأخرى . وكذلك الحال بالنسبة للأردن ، فإن دخوله مع العراق في اتحاد يشمل الجمهورية العربية المتحدة أدعى إلى تأسيس وحدة الصف العربى .

« إن العراقيين قد ملوا العهد الذى يبيع لبضعة أشخاص أن يدعوا التعبير عن إرادة الشعب ، في وقت لا يجد فيه هذا الشعب أية وسيلة للافصاح عن رأيه في صحف حرة ، أو اجتماعات عامة ، أو انتخابات سليمة ، بعد أن عطلت أحكام الدستور التى هى كل لا يتجزأ » .

جامعة الدول العربية

في عامها الثالث عشر

احتفلت جامعة الدول العربية بعيدها الثالث عشر ، ووجه الأمين العام للجامعة رسالة إلى العالم العربى تكلم فيها على أهداف هذه المؤسسة العظيمة ، والنشاط الذى قامت به في الميدانين العربى والدولى . وموقف الجامعة العربية من قضية فلسطين . وتحدث عن تمهيد الجامعة لسبل الوحدة السيامية

وتحملت أن ترى العالم القوة البناءة للقومية العربية .

وتحملت أن تقوم بنصيب العرب في صيانة السلام العالمى ؛ لأنها تمثل فكرة مستقلة لها كيانها الدولى ، بينما باقى الدول الأخرى ذبول منحازة إلى معسكر دولى .

إنذار من زعماء العراق

إلى حكومتهم

وجه ثلاثة وأربعون من زعماء العراق - بينهم رؤساء وزارة ووزراء سابقون ورؤساء أحزاب ونواب ونقباء محامين ومحامون ورجال أعمال وعمداء كليات وأساتذة جامعيون - إنذاراً قالوا فيه لرئيس الوزارة العراقية وحكومته :

« لقد اخترتم سياسة معينة أدت إلى تحويل العراق عن الامة العربية إلى الارتباط بحلف بغداد والاتفاق الخاص مع بريطانيا . فعطلت وزارتك جميع حقوق الشعب الدستورية ، وأصبح من المتعذر في هذا الجو الخناق الذى يسود العراق اليوم أن يعلن أبناء الشعب وجهة نظرهم وهم آمنون من الاذى » .

وقالوا : « إن وحدة مصر وسوريا ووحدة طبيعية لأنه قد أتاحت لكل منهما ممارسة حقوق سيادتها كاملة مجردة من أية تبعية أجنبية . وهذه الوحدة تتحدى سياسة التفريق التى لم يعد

منطق العروبة ومنطق الاستعمار

روى الرئيس جمال عبد الناصر في خطبة آخر شعبان قال :

« جاءني بعد الوحدة أحد الأجانِب وسألني : ما هي الدولة التي ستضمونها بعد ذلك إلى الجمهورية العربية المتحدة ؟ »

فقلت له : ضم ؟ ! إن منطق الضم هناك مع منطق الاستعمار . إن الضم هو ما فعلوه في الهند وفي سنغافورة وغيرهما . أما هنا فأمر آخر . هذه إرادة شعوب ، مائة في المائة ، .

اللاجئون

الفلسطينيون في الأردن

تلقت الدوائر العربية المطلعة في القاهرة أن حكومة الأردن بدأت تنفذ المشروع الصهيوني الخاص بتصفية قضية اللاجئين في الضفة الغربية لنهر الأردن ، فأجبرت عدداً كبيراً من الاسر الفلسطينية على الرحيل إلى الصحارى الشمالية في العراق وإلى أستراليا وأمريكا الجنوبية . وأن أسراً كثيرة تم ترحيلها بالقوة في ظلام الليل ، وزج في السجون كثير من اللاجئين الذين رفضوا هذه الهجرة الإجبارية .

والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية بين الدول العربية ، كما تكلم عن قوة الرأي العام العربي ، وعن ضرورة كسب الرأي العام العالمى ، وعن انتصارات القومية العربية في الحاضر وأملها في المستقبل .

جربنا الوقوف معهم مرتين

قال الرئيس جمال عبد الناصر في خطبته الأخيرة بالقاهرة :

« لقد وقفنا مع الحلفاء مرتين : مرة في الحرب العالمية الأولى ، وكان جزاؤنا وعد بلفور !

ومرة في الحرب العالمية الثانية ، وكان جزاؤنا تنفيذ وعد بلفور واقتطاع جزء من أرضنا ومنحه لإسرائيل ، .

تكاليف العدوان البريطاني

على قناة السويس

أذاعت الحكومة البريطانية تقريراً رسمياً عن عدوانها على قناة السويس جاء فيه أن تكاليف القوات البريطانية البرية في اعتدائها على منطقة القناة بلغت في مدة أربعين ساعة فقط نحو خمسين مليون جنيه ، وهذا عدداً نفقات الوحدات البحرية والجوية التي اشتركت في العدوان .

سلاح الوحدة

من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر
في خطبته الأخيرة بالقاهرة :

« إن الوحدة هي السلاح الوحيد لصيانة
مستقبل العالم العربى . وإذا أردنا الحرية
والوحدة فلا مناص لنا من الاعتماد
على أنفسنا . أما إذا اعتمدنا على الدول
الكبرى فإن نكون إلا غنيمه للدول
الكبرى » .

الفحم فى سيناء

كان أحد الجيولوجيين المصريين الذين
يعملون فى شركة شل قد اشقبه منذ أعوام
فى وجود مناطق للفحم بجوار مناطق البترول
فى سيناء ، وأبلغ الشركة عن ذلك ، فأرادت
شركة شل أن يبق ذلك سرا لها ، وحفظت
أوراقه فى أظايرها ، ونقلت المهندس
الجيولوجى المصرى إلى عمل آخر بعيد
عن هذه الجهة .

ولما جعلت شركة شل تحت الحراسة
المصرية ، تبين للقائمين على حراستها أمر
الوثائق الخاصة بمناطق الفحم فى سيناء ،
فأسرعت وزارة الصناعة إلى إرسال العلماء
والجيولوجيين المصريين للبحث عن الفحم
فى تلك المناطق ، وقد تسكلت بحوثهم بكثير
من النجاح .

ثورة سومطرا

أخذت حكومة أندونيسيا فى التغلب
على ثورة سومطرا التى ثبت قيام علاقات
بينها وبين الاصابع الأمريكية التى تغذى
هذه الفتنة بالسلاح والمال والدعاية . وقد
أخذ عدد كبير من جنود الثوار فى الانضمام
إلى قوات الحكومة المركزية فى باكافغ
بسومطرا الوسطى .

وقد اعترفت الدوائر الغربية فى جاكرتا
بأن مركز المتطرفين أصبح يدعو إلى اليأس .

مسؤوليات النصر

من الفقرات الحكيمه التى وردت

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم
١	حديث رمضان	لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٧٨٨	من إلهامات رمضان : موقف المسلم من هذه	الأحداث الكبرى
٧٩٤	نفحات القرآن : مجالسة الآمين نقيصة خلقية ،	وجريمة دينية
٧٩٧	السنة : مدرسة الصيام	» طه محمد الساكت
٨٠١	صيام رمضان	» عبد الرحمن عيسى مدير المجلة
٨٠٨	رمضان يكشف لنا الطريق	» فتحي عثمان
٨١٧	حروثنا مهددة من داخلها » في جامعة الدول	الدركتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب
	العربية « - ٢ -	العربي الحديث بجامعة الاسكندرية
٨٢٤	الأزهر بين العروبة والاسلام	الاستاذ أحمد للشرباصي المدرس بالأزهر
٨٢٨	رسالة الأزهر	» حسن الشيخة عضو نقابة الصحفيين
٨٣٣	الاسلام والوحدة	» محمدأبوشهبة الأستاذ بكلمة أصول الدين
٨٣٧	من الانتجاهات الخالدة في التاريخ: الوحدة العربية	الدكتور بدوى عبد اللطيف الأستاذ بكلمة
		أصول الدين ودار العلوم
٨٤٠	كفاح الجزائر	الاستاذ محمد محمد خليفة للمدرس بمعهد القاهرة
٨٤٣	يوم الجزائر « قصيدة »	» أبو عبد الله صالح الجزائري
٨٤٤	محنة الشعر المعاصر - ١ -	» حسن جاد المدرس بكلمة اللغة العربية
٨٤٩	الحكمة في تعدد الزوجات - ٢ -	» محمد الطنيجي عضو جماعة كبار العلماء
٨٥٧	أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته « بحث في الطلاق »	» عباس طه المحامي
٨٦١	مكانة الأزهر المعمور « قصيدة »	» محمد مصطفى حمام
٨٦٢	تحية الوحدة « قصيدة »	» محمد كامل شاش
٨٦٣	لغويات	» محمد علي النجار
٨٦٨	تعليقات	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٨٧٠	الكتب	المجلة
٨٧٣	الأدب والعلوم	»
٨٧٦	العالم الاسلامي	»

حديث

عيد الفطر المبارك

للسيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإنه يسرني في هذا اليوم السعيد ، أن أبعث بالتهنئة بعيد الفطر المبارك ، إلى جميع المسلمين ، في مشارق الارض ومغاربها ، وأن أشفع هذه التهنئة ، بالتمنيات الطيبة ، أن تتوالى أعيادهم ، ومواسم أفراحهم ، وأن يحقق الله آمالهم ، ويمسكنهم من جنى ثمار كفاحهم ، ويمسكن لهم في حياة عزيزة كريمة ، هي حياة الاستقلال والاستقرار ، في ظل ظليل ، من الامن والقوة والمنعة .

أهنتهم بتوفيق الله لإياهم لأداء فريضة الصيام ، وأهنتهم بما يفيض الله عليهم ، في هذا اليوم الكريم ، من نفحات البر والإحسان والرضوان ، جزاء ما أدوا من طاعة وأخلصوا لله في العبادة ، وأحسنوا إلى أنفسهم باتباع هدى نبيهم ، والاستمسك بشريعتهم ، التي إنما جاءت لخيرهم ونفعهم وإصلاح شأنهم .

إن شريعة الصيام ، هي كغيرها من شرائع الإسلام ، لا يقصد بها إلا خير الإنسان ، وسعادته ، وصلاح أمره في شئون دنياه وآخرته .

وإذا كانت فريضة الصوم لا تخلو من شدة أو مشقة ، فليست هذه الشدة أو هذه المشقة ببالغة حد الحرج أو العنت ، فإنه محال أن يكون في شيء من تعاليم الدين وتكاليف الإسلام إحراج أو إهانت . والله تعالى يقول في كتابه العزيز : « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » ، ويقول عز وجل : « ما يريد الله ليجعل عليكم حرجا ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

حديث عيد الفطر المبارك

إن الله سبحانه لم يرد بالناس عنتا حين فرض عليهم صيام رمضان ، بل جعله تهذيبا للنفس ، وتصفية للروح ، وفترة استصلاح واستعداد ، يعرف الصائم بعدها كيف يحسن التصرف فيما خلق الله له من نعم ، وكيف ينتفع في حكمة واعتدال ، بما هيا له من خير ، فإن تعاليم الإسلام في جماتها وتفصيلها ، قد جات لإصلاح حال الناس في الدين والدنيا معا وشرعت للتوفيق بين مطالب الروح ومطالب الجسد جميعا .

فالإسلام ليس روحانيا محضا ، ولا رهبانية صرفا ، تحجز الإنسان عن عالم المادة ، وتقطع صلته بهذا الكون الذي خلقه الله وسخره له ، وجعل رحابه الواسعة مجال نشاطه الفكري والعمل .

والإسلام ليس ماديا بحثا يستجيب لكل رغبات النفس ، ويبيع الانغماس من غير وعى في جميع صنوف الملذات والشهوات ، بل هو دين الوسط والاعتدال ، والحكمة والوزن المستقيم ، يرتفع بالإنسان عن مستوى الهيمية ، ويدنو به ما استطاع من صفوف الملائكة ، يجمع له بين المتع الروحية ، والنافع الصالح من المطالب البدنية : يشهد لذلك قول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ » . « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُعْبُدُونَ » ، « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ » .

ومن أجل هذا المعنى الكريم الذي هو جمع الشريعة بين مطالب الدنيا ومطالب الدين ، أوجب الله على الصائمين أن يفطروا يوم العيد ، وحرم عليهم أن يصوموه ، إذ جعله يوم حمد وشكر ، وفرح وبهجة ، وندب المسلمين فيه أن يتطهروا ويتطيبوا ويظهروا في أحسن أزيائهم ، وأجل ثيابهم ليكُونُوا في اجتماعهم لصلاة العيد وفي احتفالهم بيومهم المجيد ، في مظاهر كريم يليق بهم ، وتجل فيه نعمة الله عليهم .

حديث عيد الفطر المبارك

ثم أراد الشارع الحكيم ، أن يكون الفرح بالعيد عاما شاملا لجميع المسلمين ، على اختلاف مقدراتهم المالية ، وحالتهم الاجتماعية ، فأوجب صدقة الفطر على القادرين ، وحث على المبادرة بصرفها قبل أن ينتهى يوم العيد ، كي يتمكن الفقير من المشاركة في بهجة هذا اليوم العظيم .

أيها المسلمون :

أنتم اليوم في فرح بالعيد ، بعد ثلاثين يوما كابتم فيها مشقة الحرمان ، إذ كنتم تمسكون من الطعام والشراب ومختلف المشتبهات طوال نهارها ، لكنكم كنتم أيضاً تشعرون بفرحة الإفطار عند غروب الشمس في كل يوم من أيامها ، كما كنتم تهمون بالطيبات من الرزق ، في جميع ليلاتها .

وإن ذللكم الذى كنتم عليه في تلك الايام ، وهذا الذى أنتم فيه اليوم ، جدير أن يذكركم بإخوة لكم ، في ركن من أركان الوطن الإسلامى ، فانهم منذ زمن بعيد ، في حرمان مستمر ، ونوع من الصيام قاس وشديد ، هؤلاء هم إخوانكم المجاهدون في الجزائر الرابضون للعدو في الكهوف والمغاور ، وفي بطون الأودية وعلى قمم الجبال ، لا مؤنس لهم في ظلمات الليالى الحامكة ، والرياح الشديدة العاتية ، إلا إيمانهم بالله ، وثقتهم بنصر الله ، ولا معزى لهم في تلك المحنة القاسية التى فرقت بينهم وبين أبنائهم ونسائهم ، إلا الاطمئنان إلى أن لهم إخوة في الدين والإنسانية ، والكفاح في سبيل الحرية وعزة القومية ، يرعون حرمانهم ، ويحمون ظهورهم ويعينونهم وينصرونهم في جهادهم بأقصى ما يستطيعون من وسائل المعونة والنصرة .

أيها المسلمون :

إن الجهاد ضد الوحشية التى يرتكبها المستعمرون ، والكفاح ضد البربرية التى يحمل أوزارها الفرنسيون ، هو فرض مقدس على جميع المسلمين ، وعلى كل من يؤمن بمبادئ الحق والعدل والحرية .

وإذا كان إخواننا في الجزائر ، قد هبوا لهذا الجهاد بأنفسهم ، ونهضوا يبذلون دماءهم وأرواحهم في سبيل استقلالهم ، وإخراج عدوهم من ديارهم ، التى هى جزء من الوطن الإسلامى الكبير ، فيجب عليكم جميعاً أن تقفوا من ورائهم ، تشدون أزرهم وتقوون

حديث عيد الفطر المبارك

سواعدهم وترعون حق الله وحققهم في هذا الموقف العظيم ، إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديث صحيح متفق عليه : « من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله فقد غزا » .

أشعروا هؤلاء المؤمنين المجاهدين ، بأن في الناس من يحنو عليهم ، ويهتم بشأنهم ويحبي كريم مواقفهم . واعملوا على أن تخففوا عنهم قسوة الأحداث ، بما تجود به نفوسكم من خير . وبرهنوا على أنفسكم كسبتهم من رمضان شهر البر والرحمة ، عاطفة قومية جميلة ، تدعو إلى أعمال البر والرحمة .

ثم اجعلوا هؤلاء المجاهدين الأبطال ، من الزكاة المفروضة عليكم ، نصيباً يساعدهم على مواصلة كفاحهم وجهادهم ، حتى يطردوا العدو من ديارهم ، وحتى تنقشع عنهم ظلمات الاستعمار والاحتلال ، التي طال أمدها عليهم ، واعلموا أن أعظم مصرف الزكاة ، هو مصرف الجهاد في سبيل الله .

هذا - ولأنى أكرر لكم تهنئتي ، وأصفيكم نصيحتي ، أن تتعاونوا على الخير والإنسانية ، وحماية مقدساتنا الدينية والوطنية ، وأن تعملوا صفاً واحداً ، للنهوض بالوطن الإسلامي وخدمة قضية العرب والمسلمين .

وفكم الله جميعاً للخير ، وهذا أنا وإياكم سواء السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
شيخ الجامع الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

(العالم الإسلامي يحيى فضيلة الاستاذ الأكبر بعيد الفطر المبارك)

وردت آلاف البرقيات والرسائل من أساتذة وطلاب الأزهر والمعاهد الدينية في الجمهورية العربية المتحدة ، ومن كبار الشخصيات في العالم العربي الإسلامي يحيى فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بعيد الفطر المبارك وتشيد بمجهود الأزهر في تأدية رسالته السامية في دعم أركان الفضيلة ، وتقوية أواصر المحبة بين المسلمين ، وإرشادهم إلى الطريق السوي لبلوغ أهدافهم المشروعة .

وقد رد فضيلته على هذه الرسائل بالشكر الخالص والتعنيات الطيبة أن يعيد الله أمثال هذا العيد على المسلمين ، وقد قويت شوكتهم واتحدت كلمتهم ، وعز شأنهم وتحققت آمالهم وأهاب بالمسلمين جميعاً أن يعملوا صفاً واحداً لرفع راية السلام وإعلاء كلمة الإسلام ، وتخفيف ويلات الإنسانية والاختذ بيدها إلى حيث الطمأنينة والاستقرار .

السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الازهر ،
يمنى " السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، رئيس الجمهورية العربية المتحدة بعيد الفطر المبارك .

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة القاهرة

يسعدني أن أبعث إلى سيادتكم - بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك - بأخلص التهاني
مقرونة بأطيب التمنيات ، سائلاً الله العلي الكبير أن يديم عليكم وعلى أعوانكم المخلصين
التوفيق والسداد ؛ لتوطيد دعائم الوحدة بين العرب جميعاً لحدمة قضية السلام ورفعة شأن
العروبة والإسلام .

(عبد الرحمن تاج)

شيخ الجامع الازهر

ويمنى " السيد المواطن العربي الاول .

دمشق

السيد المواطن الاول شكري القوتلي

لسيادتكم خالص تهنئي بعيد الفطر المبارك راجياً لكم ولجميع المخلصين من أبناء الامة
العربية التوفيق والنجاح في العمل على توحيد كلمة العرب ورفعة شأنهم .

(عبد الرحمن تاج)

شيخ الجامع الازهر

السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الازهر ،
يمنى " السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة بسلامة الوصول إلى
موسكو عاصمة الاتحاد السوفياتي .

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة قصر الكرملين - موسكو
يسرني أن أبعث إلى سيادتكم ورفاقكم المخلصين بصادق تهنئي بسلامة الوصول ضارعا
إلى الله تعالى وأتمنى في رحلة الكفاح والجهاد أن يوفقكم دائماً بالتعاون مع الشعوب المحبة
للحرية والسلام في تحقيق هدفكم الاسمي لجمع الكلمة وتوطيد دعائم المحبة ، ونشر السلام
بين ربوع العالم .

(شيخ الازهر)

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، يشكر السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الازهر ، ويبادل فضيلته التهئة بعيد الفطر المبارك .

السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الازهر تلقيت بمنزلة الاهتمام تهانيكم الصادقة وتمنياتكم الكريمة ، بمناسبة عيد الفطر المبارك ، ولنه ليسرني أن أبعث إليكم بأخلص الشكر مقرونا بأطيب الاماني بدوام الصحة والسعادة .
(جمال عبد الناصر)

كما أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة إلى السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الازهر البرقية التالية :
كان لبرقيتكم التي حملت إلى خالص التهانى وصادق العاطفة ، أجمل الاثر في نفسي ، ولنا لدعو الله العلى الكبير أن يحمى الجمهورية العربية المتحدة من كل ما يراد بها من سوء حتى يتحقق لشعوب الامة العربية ما نرجوه لها جميعاً من المجد والرفعة ، ويطيب لى أن أبعث إليكم وإلى رجال الازهر بأصدق الشكر مقرونا بأطيب التمنيات .

(جمال عبد الناصر)

وذلك رداً على برقية فضيلته التي نصها :

باسم الازهر أبعث إلى سيادتكم بخالص التهئة على الخطاب الوطنى الرائع الذى كشفتم فيه مؤامرة أعداء الوحدة العربية ، التي جاهدتم أنتم ونخامة الرئيس شكري القوتلى ورجال العرب الاحرار لتحقيقها ، وأحيى جيش الجمهورية فى شخص الضابط المخلص عبد الحميد المراج الذى ضرب المثل الاعلى فى الشرف والكرامة والتضحية بكل التعروض والمغريات فى سبيل مجد العروبة ، وتقوية أركان الجمهورية العربية المتحدة .

حقق الله على يديكم الآمال ، وأدام لكم التوفيق والسداد . (شيخ الجامع الازهر)
السيد المواطن العربى الاول الرئيس شكري القوتلى ، يشكر السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الازهر ، ويبادل فضيلته التهئة أيضاً بعيد الفطر المبارك .

السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الازهر أشكر فضيلتكم أجمل الشكر على ما حملته برقيتكم من كريم التهئة بعيد الفطر السعيد أعاده الله عليكم وعلى الامة العربية والإسلام باليمن والخير والبركة . (شكري القوتلى)

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، يشكر السيد صاحب
الفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر .
السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر .
تلقيت بالتقدير برقيتكم التي أعربتم فيها باسمكم وباسم الأزهر عن كريم المشاعر
وصادق الهاني بمناسبة انتخابي رئيساً للجمهورية العربية المتحدة ، ولإني إذ أشكركم جميعاً
أخلص الشكر أرجو أن يوفقنا الله جللت قدرته إلى ما فيه الخير والعزة للأمة العربية
ويسرني أن أبعث إليكم بأطيب التمنيات .
(جمال عبد الناصر)

وذلك رداً على برقية فضيلته التي نصها :

يطيب لي اليوم أن أهنئ سيادتكم بإجماع الشعب على تأييد قرار الوحدة وعلى اختياركم
أول رئيس للجمهورية العربية المتحدة .
والأزهريون وهم جند العروبة المخلص يفاخرون بتحقيق هذه الامنية العزيزة ويعتزون
بقائهم الذي اجتمعت له القلوب بالحبّة والتأييد لما له من أصالة الرأي وصدق الوطنية
وكمال الإخلاص للواجب والتفاني في خدمة العروبة .
سدد الله خطاكم ، وجمع قلوب العرب على كلمة الحق ، إنه ولي التوفيق .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ،
يحيي مؤتمر وحدة شمال إفريقيا .
سكرتير مؤتمر وحدة شمال إفريقيا :

طنجة — مراکش

شيخ الأزهر وعلمائه يشيدون بجهودكم العظيمة في خدمة قضية الجزائر ، ويستنكرون
الأصايب الوحشية التي يرتكبها المستعمرون في شمال إفريقيا ، ويناشدونكم مواصلة
الجهاد في سبيل تحرير الجزائر ويهيبون بالأحرار في كل مكان أن يبذلوا أقصى ما يستطيعون
من عون مادي وأدبي لإتمام ما بدأه المجاهدون من كفاح لنيل حقوقهم المشروعة وتوطيد
دعائم السلام .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

« من برقيات العالم الإسلامى لفضيلة الأستاذ الأكبر »

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج وإخوانه المحترمين من
هيئة العلماء القاهرة

بمناسبة عيد الفطر المبارك أبعث لكم ولجميع الشعوب العربية بالإصالة عن نفسى وبالنيابة
عن جميع المسلمين فى موسكو أطيب التحيات وغالص التهاني متمنيا لكم الفلاح والتوفيق ،
ونسأل الله تعالى أن يعصون الجمهورية العربية المتحدة ، ويعز شأنها ويشمل شعبها بالخير
والسعادة والسلام .
(قر الدين بن بهاء الدين صالح)

إمام وخطيب ومختبب مسجد موسكو
من صميم قلبى نهى سيادتكم وجميع الأساتذة والطلاب بشهر رمضان وبالعيد المبارك
أتمنى لكم ولشعب مصر حياة سعيدة فى أمن وازدهار .

كما أسأل الله تبارك وتعالى أن يزيد علاقتنا الودية المتينة والتعاون القوى فيما بين الشعبين
فى سبيل النضال من أجل السلم .

داعياً لكم بالسلامة وراجياً لقاءكم عن قريب . رئيس الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى
(المفتى ضياء الدين بن إيشان باباخان)

السيد صاحب الفضيلة الامتاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر
يشكر السيد إمام وخطيب مسجد موسكو ويبادله التهئة بعيد الفطر المبارك .

السيد الحاج قر الدين صالح

إمام وخطيب مسجد موسكو -- موسكو

أشكر سيادتكم كريم تهنتكم بعيد الفطر المبارك وشعوركم الطيب نحو الجمهورية
العربية المتحدة وأتمنى لكم ولجميع المسلمين فى موسكو والاتحاد السوفيتى حياة طيبة وتوفيقاً
دائماً لما فيه خير الإسلام والمسلمين .
(شيخ الجامع الأزهر)

ويشكر فضيلته أيضاً السيد رئيس الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى ويبادله
التهئة بالعيد .

السيد المفتى ضياء الدين باباخان

رئيس الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى طشقند

أشكر لكم جميل تهنتكم بشهر رمضان المبارك وعيد الفطر السعيد : وأتمنى لكم
ولجميع المسلمين فى آسيا الوسطى وسائر أنحاء العالم حياة سعيدة طيبة ، وتوفيقاً دائماً لما فيه
الخير والسلام .
(شيخ الجامع الأزهر)

مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِ	
الْإِشْرَاقُ السِّنَوِيُّ	
في وادي النيل	٤٠٠
لطيفة وادي النيل	٤٠٠
للعلماء والمدرسين بالازدي	٣٠٠
فناج الموائد	٥٠٠
للطيفة فنانج الموائد	٣٠٠
للعلماء والمدرسين طناج الموائد	٤٠٠

مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِ
مَجْلَدُ شَهْرِيَّةِ جَامِعَةِ
تَصَدَّرَ مِنْ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

مَدِيرُ الْمَجْلَدِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي
الْعُنْوَانُ
إِدَارَةُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ بِالْقَاهِرَةِ
تَابِعُونَ ٤٦٢١٤

الجزء العاشر - القاهرة في غرة شوال ١٣٧٧ - ٢٠ إبريل ١٩٥٨ - المجلد التاسع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معــدن العروبة

ومكانة العرب من رسالة الاسلام

حدث الإمام العلم الثقة عمرو بن دينار المكي الأثرم مولى بني جحج رحمه الله أن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : إنا لنعوذ بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ صرت امرأة ، فقال بعض القوم : هذه ابنة محمد (و يروى أنها ابنة عمه دزة بنت أبي لهب ، وكانت زوجة للحارث بن نوفل ، ثم تزوجها دحية الكلبي) . فقال رجل : إن مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط النتن . فانطلقت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم . فخاء عليه السلام يعرف في وجهه الغضب ، ثم قام على القوم فقال :

« ما بال أقوام تبغضني عن أقوام ؟ ! إن الله عز وجل خلق الخلق ، فاختار من الخلق بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر

قريشا ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم : فأنا خيار إلى خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم » حديث حسن [١] .

ويشهد لصحته حديث واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى كنانة من بنى إسماعيل ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم » . وهو حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه . ومثله في مسند الإمام أحمد . ومثلهما في جامع الترمذى .

وثبوت فضل العرب في الحديث النبوى ، وأنهم خيرة الأمم ، لا يختلف فيه أحد من عرب المسلمين وعجمهم ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهم كتب السنة وأصحها [٢] بروايات كثيرة وألفاظ متعددة أنه صلوات الله وسلامه عليه قال :

« الناس معادن كمدان الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير هذا الحديث [٣] : « فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضة ، كان معدن الذهب خيرا ، لأنه مظنة وجود أفضل الأمرين فيه . فان قدر أنه تعطل ولم يخرج ذهباً كان ما يخرج الفضة أفضل منه .

» فالعرب في الأجناس ، وقريش فيها ، ثم هاشم في قريش ، مظنة أن يكون فيهم الخير أعظم مما يوجد في غيرهم . ولهذا كان في بنى هاشم النبي صلى الله عليه وسلم الذى لا يماثله أحد في قريش ، فضلا عن وجوده في سائر العرب وغير العرب . وكان في قريش الخلفاء الراشدون وسائر العشيرة وغيرهم ممن لا يوجد له نظير في العرب

[١] قال الامام الحافظ المحدث زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي الكردى [٧٢٥ — ٨٠٦] فى كتيب له عن فضل العرب ومكانتهم فى الإسلام ألفه فى مدينة الرسول فى شهر رجب سنة ٨٩١ : أخرجه الحاكم فى المستدرک على الصحيحين ، ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط وقال : حديث صحيح . ورواه الحاكم من غير هذا الاسناد أيضا ، وروى نحوه عن أبى هريرة .

[٢] منها صحيح البخارى [الكتاب ٦١ ، الباب الأول] . وصحيح الامام مسلم [الكتاب ٤٣ ، الحديث ١٦٨] والكتاب ٤٤ ، الحديث ١٤٩ . وصحيح الامام ابن حبان [رقم ٩٢] . ومسند الامام أحمد [رقم ٧٤٨٧] ومواضع أخرى كثيرة منه .

[٣] منهاج السنة (٢ : ٢٦٠ — ٢٦١) .

وغير العرب . وكان في العرب من السابقين الأولين من لا يوجد له نظير في سائر الأجناس . فلا بد أن يوجد في الصنف الأفضل ما لا يوجد مثله في المفضول ، وقد يوجد في المفضول ما يكون أفضل من كثير مما يوجد في الفاضل ، كما أن الأنبياء الذين ليسوا من العرب أفضل من العرب الذين ليسوا بأنبياء . والمؤمنون المتقون من غير قریش أفضل من القرشيين الذين ليسوا مثلهم في الإيمان والتقوى . وكذلك المؤمنون المتقون من قریش وغيرهم أفضل ممن ليس مثلهم في الإيمان والتقوى من بنى هاشم .

« فهذا هو الأصل المعتبر في هذا الباب ، دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقاً ، ودون من ظن أن الله تعالى يفضل الإنسان بنسبه على من هو أعظم إيماناً وتقوى منه . فكلما القولين خطأ ، وهما متقابلان . بل الفضيلة بالنسب فضيلة جملة ، وفضيلة لأجل المظنة والسبب . والفضيلة بالإيمان والتقوى فضيلة تعيين وتحقيق وغاية . فالأول يفضل به لأنه سبب وعلامة ، ولأن الجملة منه أفضل من جملة تساويها في العدد . والثاني يفضل به لأنه الحقيقة والغاية ، ولأن كل من كان أتقى لله كان أكرم عند الله ، والثواب من الله يقع على هذا لأن الحقيقة قد وجدت فلم يعلق الحكم بالمظنة ، ولأن الله سبحانه يعلم الأشياء على ما هي عليه ، فلا يستدل بالأسباب والعلامات » .

وكون العرب مظنة الخير والفضل قد بينه حكاء الأمم بوجوه ومعاني لا تحصى ، وكلها مستمدة من صفة الواقع . من ذلك قول أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه (الأخبار) وهو من الكتب الضائعة ، وقد نقل ذلك عنه الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى في كتابه (المنية والأمل) ، قال أبو عثمان :

« ليس في الأرض قوم عنى بدم جليل القبيح ودقيقة ، وبمدح دقيق الحسن وجليله مثل العرب . حتى لو جهد أفطن البرية وأعقل الخليفة أن يذكر معنى لم يذكره لما أصابه . وللعرب من صدق الحسن ، وصواب الحدس ، وجودة النظر ، وصحة الرأي ، ما لا يعرف لغيرهم . ولهم العزم الذي لا يشبهه عزم ، والصبر الذي لا يشبهه صبر ، والجود ، والأنفة ، والحمية التي لا يدانهم أحد فيها ، ولا يتعلق بها رومي ولا هندي ولا فارسي . وفيهم أيضاً خصلة لا تصاب إلا فيهم ، وذلك أن سفلة كل جيل ، وغفلة كل صنف ، إذا اشتد تشاجرهم وطالت ملاحظاتهم وكثر مزاحهم والدعابة بينهم ، وجدتهم يخرجون إلى ذكر الحرمات وشتيمة الأمهات واللفظ السيئ والسفه الفاحش ، ولست بسامع

من هذا حرفاً في البادية لا في صغيرهم ولا في كبيرهم ولا جاهلهم ولا عالمهم . وكيف يقولون هذا والحيان منهم يتفانيان في دون ذلك . وليس في الأرض صبيان في عقول الرجال غير صبيانهم . وكل شيء تقوله العرب فهو سهل عليها ، أو كطبيعة منها ، وكل شيء تقوله العجم فهو تكلف واستكراه .

ومما لا حظته منذ سنوات طويلة ونهت عليه أن جميع أمم الأرض من شرقية وغربية كانت في بداوتها وقبل أن تستعمل القلم والكتاب ضعيفة العقول قصيرة المدارك وفقيرة في لغاتها ، إلا العرب فإن مداركها وأحلامها في بداوتها كانت تزن الجبال ، ولغتها في أوديتها وجبالها قد ملأ ما بقي منها في الذكرة عند التدوين عشرات المجلدات . وهذا يدل على عراقة هذه الأمة في التفكير والمنطق وتجارب الدهور ، وذلك ما يمكن استنتاجه من مقالة « العروبة من جذورها - إلى أغصانها وثمراتها » التي كتبتها لحزب شعبان الماضي [١] .

ومعنى كون قریش ومضر صفوة العرب وخيرة الله منها - كما ورد في حديث عبد الله ابن عمر الذي افترضت به هذا المقال - قد أبان عنه الحافظ أبو سليمان الخطابي (٣١٧ - ٣٨٨) في كتاب الغزلة (ص ٥٢ الطبعة الأولى و ٥٥ الطبعة الثانية) قال : « وبلغني عن بعض العلماء أنه سئل عن قریش كيف صارت أفضل العرب قاطبة ، وإنما هي قبيلة من مضر ؟ فقال : لأن دار قریش لم تزل موسم الناس ومنسك الحاج ، وكانت العرب تقصدها في كل عام لحجهم ، وتردها لقضاء نسكهم ، فهم لا يزالون يتأملون أحوالهم ويراعونها فيختارون منها أحسن ما يشاهدونه ، ويتكلمون بأفصح ما يسمعون من كلامهم ، ويتخلقون بأحسن ما يرونه من شمائلهم ، فصاروا أفضل العرب من قبل حسن الاختيار الذي هو ثمرة العقل . فلما ابتعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم منهم تمت لهم الفضيلة ، وكملت لهم به السيادة » .

[١] كتب إلى أخ في الاسلام - وهو الأستاذ وهي سليمان الالباني - كتاباً رقيقاً مهذباً يثني به على ما أكتبه بما لا أستحقه . لكنه ظن أن نشرى لمحاسن العروبة وأصالتها وعراقتها في الانسانية قد يحمل على المصيبة الجنسية . وقد يفتأى مع ما أنا بسبيله من الدعوة الاسلامية ، فكان ذلك حاملاً لي على كتابة هذا الفصل عن « معدن العروبة ، ومكانة العرب من رسالة الاسلام » لا يبين به أن العروبة ظئر الاسلام ، وأن العروبة والاسلام كلاماً من كنوز الانسانية وينابيع سعادتها إذا عرف أهلها قيمتهما ، وإذا أتيت لها أسباب الظهور للناس على حقيقةتهما .

وقد اعترف المنصفون للعرب بأنهم مظنة أن يكون فيهم الخير أعظم مما يوجد في غيرهم ، وسجل ذلك لهم المؤرخون من جميع أمم الأرض قديما وحديثا ، ولو شئنا أن ننقل النصوص في ذلك عن أعلام الشرق والغرب لامتلا بها مجلد كبير . وقد قرر هذه الحقيقة في الصدر الأول صاحب رسول الله وخادمه عبد الله بن مسعود - وهو من كبار علماء الصحابة وفقهائهم - فقال لتلاميذه من أهل العراق : « إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه . ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه » .

ومما يندرج في حديث « الناس معادن ... » ما رواه أبو نضرة المنذر بن مالك العبدى (المتوفى سنة ١٠٨) أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسوا يوما إلى رجل من التابعين وأعجبهم مجلسه وحديثه ، فقال له قائلهم : « إن مثل القرآن كمثل المطر : حلو طيب ، طهور مبارك ، أنزله الله فأصاب به الشجر حلوه ومره ، فزاد الحلوة حلوة إلى حلوتها ، والمرة مرارة إلى مرارتها » . ولعل الصحابي قائل هذه الكلمة في ذلك المجلس قد أخذ معنى كلمته من قول الله سبحانه في سورة فصلت ٤٣ : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد » . ومن الأدلة على حلاوة الأرض الأولى التي اختارها الله عز وجل لسحاب حبه ، وغيث كتابه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتحق بالرفيق الأعلى إلا والعرب كلهم من أهل الإجابة لهذه الدعوة ، والذين لم يصطلحوا إليه في حياته من أعماق الجنوب أو أطراف الشمال كانت وفودهم في الطريق إلى خليفته العظيمين أبي بكر وعمر ، فتألفت منهم كتائب الدعوة إلى الله في الأقطار بما لم يسبق له نظير في أمة نبي من أنبياء الله السابقين . وإن التوراة من أولها إلى آخرها تنعى بلسان أنبياء بني إسرائيل سوء سيرة أممهم في الأرض ، وقرأ إن شئت سفر إرميا وما أوحى إليه فيما فعلته المرتدة الفاجرة لإسرائيل ، وأختها الغادرة السكافرة يهوذا ، وقارن المعدن الذي منه بنو إسماعيل وإخوتهم من قحطان في جزيرة العرب ، والمعدن الذي منه بنو إسحاق وأسباطهم في أرض سدوم وعمورة وما إليها لترى العجب العجيب ...

ومن بديع صنع الله في آخر رسالاته وأكلها إلى بني الإنسان أنه كما اختار لها أكل خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم الذي اختصه دون العالمين بهذه المهمة الكبرى ، اختار لها

كذلك اللغة الأصلية التي أنزل كتابه بها ، ووصل نسبه بسببها ، والأمة التي بعث منها خاتم رسله ، واختصها بأن جعل منها الدعوة الأولين إلى هذه الرسالة ، والقائمين بعدهم بحمايتها وتعليمها للناس وتعميمها في أقطار الأرض ، وهم الذين قال فيهم صلوات الله وسلامه عليه : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، فكان حديثه الشريف هذا تفسيراً لقول الله سبحانه في سورة آل عمران ١١٠ : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر » .

لما بعث الله محمداً بأكل رسالاته كانت أمم الأرض إما أهل حضارة تفسخت وأنتنت فلا ينتظر أن تستجيب ابتداء لحق ولا لفضيلة ، إلا أن ترى أمة أخرى سباقة إلى الحق والخير تتقمصهما وتؤمن بهما وتعمل بسننهما فتكون قدوة للآخرين . وإما أهل بداءة همجية طمطمانية لا إدراك لهم ولا وعي فلا يلتحقون بهذه الدعوة إلا تبعاً وتقليداً . وكانت جزيرة العرب هي التي طهرها الله من موبقات الخلفاء التي طغت على الحضارة البالية يومئذ في الشرق والغرب ، وحررها من شهوات التحلل ومرض الإسراف . ووهب أهلها - مع بداوتهم - ما سجله الجاحظ من قوة المدارك ودقة الشعور وحلاوة المنطق وفضائل النفس الإنسانية الممتازة ، بما كان لهم من نظام الضيافة حتى كان كل بيت للعرب فندقاً مجانياً يستقبل كل طارق بطرقه مستضيفاً ، ويرون ذلك حقاً له لا يضيّق به فقير منهم ولا ذوغى . وبما كان لهم من نظام الجوار الذي لا نظير له في غير العرب [١] . وما كان لهم من نظام الأشهر الحرم التي يسود فيها السلام وتمتنع فيها العداوات والحروب والإحن . وأعلى من كل هذا وأسمى في معاني الإنسانية قيام البيت الحرام ملجأ للإنسان والطير ، فلا يروّع فيه خائف أو ضعيف ، ولا يهرق به دم . وحتى في حالة الحرب كان من حق الأسير عندهم إذا طلب رسولاً إلى أهله أن يقدموا له من يؤدي إلى أهله رسالته .

والوثنية في الحجاز وجزيرة العرب كانت مرضاً أجنبياً طارئاً عليها من شرق الأردن وبلاد كنعان ، حمله منها عمرو بن لحي في بعض الوقت الذي تولت فيه خزاعة الحكم في الحجاز قبل الهجرة بنحو أربع مائة سنة ، فهي أقصر وثنيات العالم عمراً [٢] . ولأنها كانت قصيرة العمر ببلاد العرب لم تقم لها عندهم هياكل وتماثيل وأنظمة وأساطير ،

[١] انظر فصل «جوار المروبة وذمة الاسلام» في ص ٩٩ - ١٠٣ من كتاب [مع الرعيل الأول] .

[٢] انظر فصل [ذكرى فتح مكة] في كتاب [الرعيل الأول] ص ٨٦ .

كالتى كانت للوثنية العريقة فى الهند والصين ومعابد الفراعنة وأثينة وروما . وكان العرب وشعراؤهم وفرسانهم أكثر أم الأرض سخرية بأوثانهم كلما اصطدمت حلومهم بدليل من أدلة عجز تلك الأوثان وسخفها . ومع ذلك فقد كانت لحنيقية ابراهيم بقايا امتدت إلى زمن البعثة المحمدية . بل كان فى العرب بقية من شريعة خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام ، روى على بن الطاهر الموسوى فى أماليه (٢ : ١٦٧) عن أبى حامد السجستانى أن الحارث بن كعب المذحجى كان أحد الذين بقوا على دين شعيب ، ومثله أحميد بن خزيمة ، وتميم بن مر .

ولو أن الدعوة المحمدية ظهرت فى أى وطن إنسانى آخر غير جزيرة العرب ، وفى غير قريش بالذات ، لقوبلت بغير ما قوبلت به من قريش . لأن قابلية قريش للاستجابة للدعوة المحمدية كانت أعظم وأكرم من قابلية أية أمة أخرى لذلك فى أنحاء الأرض . وأذكر أننا كنا فى حفل أقامه المركز العام للشبان المسلمين لذكرى غزوة بدر قبل نحو عشر سنوات أو أكثر ، وكان خطيب الحفل الدكتور عبد الوهاب عزام ، وكان فى البلد إضراب فى المواصلات ، ولم نجد ما يوصلنا إلى جزيرة الروضة ، فشينا أنا والدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ عبد المنعم خلاف وآخرون من دار الجمعية فى حى معروف إلى الروضة ، وكانت ليلة من ليالى رمضان ، وكان حديثنا عن حكمة الله فى ظهور الإسلام من مكة ، فقال الدكتور عبد الوهاب : إن المقاومة التى لقيها الإسلام من قريش لم تكن شيئا يذكر فى جانب ما كان يمكن أن يلقاه الإسلام من حكومة الملك فاروق لو أنها عاصرتة وعاصرها ، فذكرت لهم خلاصة حديث فى مسند الإمام أحمد (رقم ٧٠٣٦) عن يحيى ابن عروة بن الزبير عن أبيه عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال - أى عروة بن الزبير - قلت له (أى لعبد الله بن عمرو) : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما كانت تظهر من عداوته ؟ قال : « حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط : سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفترق جماعتنا ، وسب آلقتنا . لقد صبرنا منه على أمر عظيم . قال : فبينما هم كذلك ، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول ، قال : فعرفت ذلك فى وجهه . ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجهه . ثم مضى الثالثة فغمزوه بمثلها

فقال : تسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتمكم بالذبح . فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشدا ، فوالله ما كنت جهولا . قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ! فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون له : أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم . قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذي أقول ذلك . قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ يجمع ردائه قال : وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي : « أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله » ؟ ثم انصرفوا عنه . فان ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط . والحديث إسناده صحيح وراويہ يحيى بن عروة بن الزبير أخرج له الشيخان في الصحيحين .

وأكثر الذين عارضوا الإسلام من قريش تشرفوا بعد ذلك بالإيمان ، ومنهم من صاروا بعد ذلك من كبار المجاهدين الأخيار . والذين ماتوا منهم على الكفر عدد ضئيل جدا معروفون بأسمائهم . فالعرب وقريش استجابوا كلهم للإسلام في أوقات مختلفة ، وأعز الله بهم هذه الدعوة ونصرها على أيديهم . وصح عن رسول الله صلوات الله عليه الثناء والدعاء منه لأفرادهم على التخصيص ، أما ثناء التعميم بالجملة فقد امتلأت به دواوين السنة النبوية ، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ثابت عن أنس : « حب قريش إيمان ، وبغضهم كفر . من أحب العرب فقد أحبنى ، ومن أبغض العرب فقد أبغضني » . أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين وقال : حسن صحيح .

وعن سلمان الفارسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا سلمان ، لا تبغضني فتفارق دينك » . فقال له سلمان : يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله ؟ قال : « تبغض العرب فتبغضني » . أخرجه الترمذي في جامعه بلفظ « وبك هداني الله » ، ورواه محدثون آخرون بلفظ « وبك هدانا الله » .

وحدث عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أحبوا العرب

ثلاث : لأثنى عربى ، والقرآن عربى ، ولسان أهل الجنة عربى . رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحین ، والطبرانی في المعجم الكبير .

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أحبوا العرب وبقائهم ، فإن بقاءهم نور في الإسلام ، وإن فناءهم فناء في الإسلام » . رواه أبو الشيخ بن حبان في كتاب الثواب وفضائل الأعمال .

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا ذلت العرب ذل الإسلام » . حديث صحيح .

وعن علي كرم الله وجهه قال : أسندت النبي صلى الله عليه وسلم إلى ، فقال لي : « يا علي ، أوصيك بالعرب خيرا » . رواه أبو بكر البزار في مسنده . واقتصر الطبرانی في المعجم الكبير على لفظ الوصية .

وعن ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ، ولم تنله مودتي » . أخرجه الترمذی في جامعه وقال : حديث حسن صحيح .

وعن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إني دعوت للعرب فقلت : اللهم من لقيك منهم معترفا بك فاغفر له أيام حياته . وهي دعوة إبراهيم واسماعيل عليهما السلام . وإن لواء الحمد يوم القيامة بيدي ، وإن أقرب الخلق من لوائى يومئذ العرب » . أخرجه الطبرانی في معجمه الكبير ، وفي مسند أبي بكر البزار مختصرا ، وإسناده جيد .

وعن عمرو بن ميمون : رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بأيام (وذكر خبر طعن عمر ووصيته ، وفي آخر الوصية) : « وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب خيرا ، فانهم ردة الإسلام ، وحياة المال ، وغيت العدو ، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم . وأوصيه بالأعراب خيرا فانهم أصل العرب ، ومادة الإسلام : أن يأخذ من حواشي أموالهم ، فيرده على فقرائهم » .

ومما يلاحظ أن مصنفى أكثر كتب السنة النبوية - التي دونت هذه الأحاديث

الشريفة في فضل العرب ومكانتهم من رسالة الإسلام - لم تكن لهم أصول عريقة في العروبة « غير أنهم يغتبطون جميعاً بما من الله به عليهم من الاندماج بالكيان العربى ، حتى كانوا - بأداب الإسلام وأخلاق العروبة وتقوى الله - جسماً واحداً مع الذين سبقوهم في الإيمان ، وكانوا سبب إيمانهم . وقد كان الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى يفتخر بالانتساب إلى قبائل جعفى اليمنية ، لأن أسلافه تشرفوا بالإسلام على أيدى رجالها أيام ولاية سعيد بن جعفر الجعفى على خراسان ، فكان أهل بخارى وسمرقند يعدون أنفسهم أبناء أو كالأبناء لبني جعفى بن سعد العشيرة من مذحج ، ومذحج أخو طيء جد حاتم ، وأخو الأشعر جد أبى موسى الأشعرى .

إن العروبة ما برحت منذ عشرات كثيرة من القرون تزحف بموجات متتابعة من أبنائها منذفة من جزيرة العرب إلى العراق والشام ، وإلى مصر والسودان وشمال إفريقيا وشرقها ، فتتغذى هذه الأوطان بدماء العروبة وأخلاقها ونبجائها ، وبلغتها وعقليتها وأساليب تفكيرها ، ومن الأمثال السائرة في العراق قولهم : « البادية أم العراق داية » ، والشام لا تعرف نفسها إلا معسكراً للعروبة يربط في الشمال للدفاع عن أمانات التاريخ ، والعمامة في مصر لا يعرفون أنفسهم إلا أولاد العرب ، والسودانيون يرون أنهم هم العرب وأن المقابليين لهم وراء الساحل الشرقى من البحر الأحمرهم جهينة ، أى أنهم لا يفترقون عن عرب السودان إلا بكونهم قبيلة من قبائل العرب ، فالعروبة في الأوطان التى تتكلم الآن اللغة العربية قومية أصيلة عريقة الجذور في أعماق التاريخ ، وما عليها بعد الآن إلا أن تتعرف إلى رسالتها نحو العروبة والإسلام فتجدد حيويتها كما فعل أسلافها من قبل .

وعلى كل حال فالحضارة بوتقة تذوب فيها الأنساب ، وتبقى فيها التقوى الإسلامية ، والآداب الفاضلة ، ولغة القرآن الجامعة ، وتعاون جميع أبناء العروبة والإسلام على العمل الصالح ، لبناء الكيان الصالح ، فى الدنيا والآخرة ما

محـب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ٦٠ -

المنحرف عن الدين أحق ولن يفلت من قبضة الله

- ١ - « وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ،
وغرتهم الحياة الدنيا » .
ب - وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ...

١ - الدعوة إلى الدين مكرمة من الله على عباده ، إذ القصد منها أولا وأخيرا تعليم الإنسان ما يحل ، وهداية العبد من ضلاله ، والوصول بالبشرية إلى الخير هنا وهناك .

وهذا هو وجه الامتنان على الناس بنعمة الدين « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » : « فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه »
« إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » .

ومع هذه التوجيهات ونحوها نرى من حكمة الله في خلقه أن تكون هذه الدعوة الخيرة الواضحة الأهداف مجال شقاق بين الناس منذ القدم ، ومثار الجدل بين أناس وبين الرسل والدعاة من بعدهم ، حتى تعب الدعاة جميعا ، وحتى كانت عزيمة النبوة بحاجة إلى مؤازرة من جانب الله ، وإلى شحذها بالوعود السعيدة ، والتسليية بما جرى بين الأسلاف منذ درج الناس على وجه الأرض وتحت قبة السماء .

وكان في التسليية بذكر الأسلاف تعريف للرسل ولما سلكوا طريقهم أن هذه سنة الله في خلقه بين الداعين والمدعوبين « ولقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا ، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبي المرسلين - فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ولا تستعجل لهم ، كأنهم يوم يرون ما يوعدون

لم يلبثوا إلا ساعة من نهار - واصبر ، وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولاتك في ضيق مما يمكرون ... » .

ففي هذه التسليية وما اقترن بها من وعود ووعيد تثبيت للرسول ولأهل الحق على ما يبذلون من جهد ، وما يلقون من عنت ، وفيها تهديد للكافرين ، وإعلانهم أنهم على حق ، وأن الله سيأخذهم بعذله وقدرته ، وسيأثر منهم لدينه بحوله وقوته ، وسينزل بهم البلاء في الدنيا ، أو في الآخرة ، أو فيهما معا « لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .

وكان من التهديد الرادع الذي توجهت له وجوه الحق ، ولم تستجب له عقولهم الملتوية قول الله - سبحانه - « وذرا الذين اتخذوا دينهم لعبا ، ولهوا ، وغرتهم الحياة الدنيا .. » .

فكفار قريش يومذاك ، كانوا لا يكثرثون بالدين ، ولا بدعوة مجد إليه ، بل كانوا يتخذونه لعبة وسخرية ، أو كانوا يعملون اللعب واللهو بالباطل دينا لهم ، ودينا يلزمونه : فسواء أكان الدين الحق سخرية لهم ، أم كان اللعب واللهو هما الدين الذي ارتضوه بدلا من دين الله : فهم على أى التوجيهين منصرفون عن الهدى ، وعاكفون على الباطل ، ومجد صلوات الله عليه وسلامه يحاول ويحاول أن يهدى القوم إلى سبيل الله ، ويحتمل ما يحتمل من صدودهم ، ومقاومتهم ، طامعا في توفيق الله لهم ، ولكن الله تعالى يترفق برسوله ، فيقول له مرة - إن عليك إلا البلاغ - ومرة - إنك لاتهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء - ومرة يقول له « وذرا الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا » .

يعنى اتركهم ، ولا تشغل نفسك بأمرهم أكثر من تبليغ الدعوة ، وحسابهم موكل إلينا ، وما عليك في شأنهم من حرج « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

ب - ثم يتجه الخطاب إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - في رسم الطريق له نحو الغاية العظمى فيقول له « وذكر به : أن تبسل نفس بما كسبت ، ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع ، وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها .. » .

فهنا مقاصد ثلاثة تتعلق بها فواصل الآية :

أحدها : تذكير الناس بالقرآن أن النفوس تبسل - أى تحبس في العذاب وعن النعيم في الآخرة بسبب ما كسبت في الدنيا من مآثم .

وثانيها : أن ليس للأَنْفُس ولي غير الله يتولى نجاتها من عذابه ؛ ولا شفيع يتوسط في إفلاتها من الحساب والجزاء .

وثالثها : أن النفس المحبوسة في العذاب ، المتنوعة من النعيم لا تستطيع أن تفتدى من هذا الشقاء ، كما كانت تفتدى في الدنيا من المكارة بالمال أو بغيره ، ولو فرض أنها تستطيع ذلك وتقدمت بما يعدلها ويساويها ، بل لو تقدمت بكل عدل - فداء - فلن يقبل منها شيء : لأنها الآن في ساحة الجزاء : لا في مساومة الفداء !!

فما بالك وهي غير قادرة على شيء مما كانت تبذله في دنياها ؟؟ إنها مفلسة من العمل ، ومفلسة من المال الذي كانت تعترض به من قبل ، وليس أمامها سوى حساب عدل ، وجزاء حق ، وعذاب مقيم .

هناك موقف الفصل ، وهناك جد لا هزل ، وهناك يقظة لا غفلة بعدها ، وحياة لا نهاية لها ، ولكل امرئ نصيب يوفاه غير منقوص .

وإن مسألة الحساب والجزاء من البدائث التي لا يحفلها إنسان يعيش مع الناس ، إذ هي محور بارز يدور حوله خطاب القرآن ، وكلما اتجهنا مع الآيات في أى ناحية من مسالكها : وجدنا العظة والتذكير والتخويف من العذاب ، والترغيب في الثواب شاخصة في مواجهتنا ، وفيما تنطوى عليه الأساليب المتنوعة ، والبلاغة الأخاذة .

ونحن في عصرنا هذا بين أقوام يجهلون الدين كما كان يجهله أهل البداوة قبل مشرق الإسلام .

ولهؤلاء على أهل العلم حق النصيحة والتوجيه ، وأخذهم بالحكمة والموعظة الحسنة كما أوجب الله ، حتى تنجلي عنهم غشاوة الجهل ولو بعض الشيء ، وحتى تتضح لهم السبل ، وتبدو لهم الغاية .

وربما كان عجيبا : بل هو غاية العجيب أن تجد بين القوم جمهرة من أهل الثقافة المدنية ، لانضغهم في مستوى الجهلاء ، ولا ننكر عليهم أنهم أوتوا حظا من العلم ، ولكن ثقافتهم صرفت كثيرا منهم عن وعي ما تنادى به الثقافة الدينية المستقاة من نبع الكتاب السماوى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والذى نفهمه : أن العلم كيفما كان نوعه لا ينافي توجيه الدين ، ولا يتنافى مع ما يرمى

إليه من التهذيب ، وتربية الضمير ، وإحياء الصلة بالله في قلوب الناس ؛ وصيانة المجتمع من شرور العابثين بالنظام ، وتوجيه البشرية إلى ما أريد لها ، وما طلب منها من نشاط ، وطموح ، وبذل ، في سبيل حضارتها وسعادتها . ومن الحق أن العلم متى كان مسلما به وصح أن يسمى علما لا يكون مجافيا للدين . .

والقرآن نفسه حينما أشاد بالعلم وأهله قصد طبع العلم الذي يهتدى إلى معرفة الحق وإلى الطريق المستقيم ، وقصد كذلك كل علم نافع يكون من عبقرية الإنسان وتجاربه ، فانظر مثلا إلى قوله تعالى - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ ؟ .

فقد أطلق العلم ، ولم يحصره في فرع خاص ، بل أفسح مفهومه لكل ما ينفع الناس ولا يجلب عليهم نقيصة في دين ولا خلق .

وانظر إلى قوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - بضم همزة العلماء - فهو يشعر بامتداح أهل العلم الديني الذين يتقون ربهم ، ولا يمنع أن يكون شاملا لأهل العلم الدنيوي الذين يهدهم البحث إلى الإيمان بالله ، والإقرار بعظمته ، وإبداعه في خلقه ، فقد آل بهم العلم إلى الخشية من الله .

وانظر كذلك إلى قوله سبحانه - قل هل يستوى الأعمى والبصير ؟ ؟ - فانه ينفي المساواة بين العالم والجاهل ، ويشبه العمى بالجهل ، والعلم بالبصر ، والمفروض كما قلنا أن العلم نوريهتدى إلى الحق ، وأن أهل العلم الصحيح أعرف الناس بربهم ، وأقواهم حساسية بقدرة الله وخشيته ، إذا صادف علمهم طوعية من أنفسهم ، ولم تتغلب عليهم شقتهم .

وحينما قال النبي - عليه الصلاة والسلام - اطلبوا العلم ولو بالعيين - كان يحضنا على التماس العلوم النافعة وإن بعدت أوطانها ، والإسلام لا يرى شيئا خيرا من العلم ، ويحسنا عليه في قوة ، لنكون على معرفة أكثر من سوانا ولنكون بالعلم أقوى من غيرنا في هذه الحياة .

والمفروض أن العلوم الدينية في طبيعة العلوم المرغوب فيها ؛ لأنها تهتدى الإنسانية من حيرتها دينا ، ودنيا ، ولأنها لا تدع الناس في غفلة عن ربهم ، ولا تلهيهم عن العمل للتعاقب الخالد في الحياة الباقية .

وللعلوم الدنيوية مقامها بعد ذلك ، إذ هي ضرورية للإنسانية في تقويم دنياها ، ولـكنها لا تكفل خير الآخرة إلا إذا اتخذناها في عمل يتصل بالآخرة : لا في المفاتن

ولا في مناهضة الدين، والبعد عن توجيهاته، ولا يسوغ - حين امتداحنا . . لعلوم الدنيا بقدر ما لها من شأن في حضارتنا وسعادتنا أن نرفع من درجتها إلى مستوى العلوم الدينية، ولا أن نرفع من مقام علمائها إلى منازل الأبرار عند الله .

فإن العلوم الدينية مستقاة من عند الله : لا من طريق التجربة التي تنجح يوما وتتهثر يوما آخر، وإن علماء الدنيا لا يستوون مع علماء الدين العاملين بعلمهم : لأن العقيدة والأخذ بالدين الحق، والامتثال لآدابه ترفع من شأن فريق على فريق عند الله .

ونستطيع أن نقرر بعد ذلك أن العلوم كلها متضامنة في الخير وإن تفاوتت في مقداره وتفاوت أهلها بالإيمان وعدم الإيمان كما أوضح الله سبحانه .

هذا : وكثيرا ما قرأنا عن علماء غير متدينين أن البحث العلمي جنح بهم إلى الإيمان وأنهم لمسوا ضرورة الدين بعد أن فطنوا إلى أن القوة التي تدبر هذا العالم وتتولى رعايته جديرة بالإيمان بها، والاستجابة لها وهي - الله - جلّت عظمته وتباركت أسمائه وصفاته .

وتلك نتيجة حتمية للعلم الصحيح يهتدى إليها العقل الناضج .

فما بالنا نرى أناسا لم يبلغوا من الثقافة المدنية مبلغ أولئك العباقرة يتخذون ثقافتهم المحدودة حربا على الدين، ووسيلة هدامة إلى التحلل من العقيدة، والآداب، وإهدار القيم؟؟ . هل انعكست طبيعة العلم عند هؤلاء عما كانت عند من هضموا تلك المعارف، وفطنوا إلى أسرار الله في هذا الكون؟؟ .

أعتقد أن الجريمة ليست جريمة العلم، وإنما هي جريمة العقول القاصرة، والأفهام السكليلة، والأمزجة المنحرفة... وهي جريمة الإخفاق والعجز عن الربط بين دين الله وبين ما خلق الله من كائنات، وأودع فيها من أسرار .

فنحن نؤمن، ونأخذ بالعلوم كلها، وننتفع بها، ونحمد الله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وما سوى ذلك مما يتشدد به الملاحدة فردود عليهم، والله يهدينا ويهديهم .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الْبَيْتُ

آخر الكلام النبوى

توفيق بين حديثين - وسيلة وغاية - خاتمة حاسمة - صلة
العبد بمالكه ومملوكه - وداع !

عن على رضى الله عنه قال : كان آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم : الصلاة
الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم .

(رواه أبو داود (*))

* * *

لا خلاف بين حديث على هذا وحديث عائشة في الصحيحين وغيرهما ، قالت : كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح : إنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده
في الجنة ثم يخير . فلما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه على فخذي غشى عليه
ساعة ثم أفاق ، فأشخص بصره إلى السقف ثم قال : اللهم الرفيق الأعلى . قلت إذا
لا يختارنا ، وعرفت الحديث الذى كان يحدثنا به وهو صحيح . قالت عائشة : فكانت
تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله اللهم الرفيق الأعلى .

(*) فى حق المملوك . وأخرجـه السيوطى فى الجامع الصغير بلفظ : الصلاة
وما ملكت أيمانكم ، الصلاة وما ملكت أيمانكم . ورمز إلى الأئمة : أحمد والنسائي
وابن ماجة وابن حبان إذ رووه عن أنس ، وإلى أحمد وابن ماجة أيضا إذ روياه عن
أم سلمة ، وإلى الطبراني إذ رواه عن ابن عمر . والصلاة منصوب على الإغراء ، أى
أى الزموا الصلاة أو احفظوها ، وملك اليمين هم الرقيق ، وأغرب من قال : الزكاة
كما سيأتى . وفى الإغراء إيحاز وتأكيد ، فالتكرير إذا لمزيد التأكيد .

لا خلاف بين الحديثين في أن كلا منهما كان آخر كلامه صلوات الله وسلامه عليه وهو يودع هذه الدنيا ، إلا أن الحديث الأول كان آخر كلامه وهو يوصي أمته ، والحديث الآخر كان آخر كلامه وهو يناجي ربه ، وذلك بعد أن مسح وجهه بيده من ماء كان في علبه بين يديه وهو يقول : لا إله إلا الله ! إن للموت سكرات ! !

وكأن الصلة بين الحديثين هي الصلة بين المقدمة ونتيجتها والوسيلة وغايتها ، فلا ريب أن الوسيلة إلى الرفيق الأعلى ، إنما هي تقوى الله تعالى ، في تأدية حقوقه وحقوق عباده ، وقد جاءت كلها في رسالات الله بينة واضحة ، إن أجملت تارة فقد فصلت تارة أخرى .

* * *

لبث خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم نيفاً وعشرين عاماً ، يؤدي الأمانة ، ويبلغ الرسالة ، ويجاهد في الله حق جهاده ، لا يفتر ولا يهن ، حتى حج حجة الوداع وخطب فيها خطبته الجامعة ، التي بين فيها لأمته ، خلاصة رسالته العامة الخالدة .

فلما قفل من حجة الوداع أخذ يضاعف اهتمامه بشئون أمته ، علاوة على اهتمامه بلقاء ربه ، وخاف عليهم أن يتنافسوا في الخلافة والمملك ، وفي زهرة الحياة الدنيا ، فتهاكهم كما أهلكت من كان قبلهم ، وتلهيهم عن مقومات العزة والسعادة في الدنيا والآخرة... فلم يزل يتعهدهم بوصاياهم وهدايتهم ، حتى ودعهم آخر وداع بوصيته الخاتمة الحاسمة ، أجمع جوامع الكلم ، وأبلغ مقومات الأمم ، وأهدى سبيل إلى الحياة الطيبة السكينة ، والسعادة الأبدية الشاملة : الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمنكم :

إنها وصية مؤكدة بأن يحسن العبد صلته بخالقه وماله ومولاه العلى الأعلى .

وإنها وصية مؤكدة بأن يحسن العبد صلته بمملوكه وخادمه ومولاه الأدنى .

وإن من أحسن هاتين الصلتين نخاف مقام ربه ، وراعى حق خادمه ، فقد تم دينه ، وبكت مروءته ، وعظمت سيادته ، وسعت إليه الدنيا صاغره ، وكان جسده برا بالعزة والكرامة ، وبالاستخلاف في الأرض ، والعمارة الصالحة فيها .

* * *

إن أمانة الله ورسالته - التي أداها أنبيأؤه ، وبلغها رسالته ، وقام عليها بعدهم من اصطفاهم الله لوراثته كتابه ، وحملهم أمانة وحيه - إنما تعتمد في جملتها وتفصيلها على حقوق الله وحقوق عباده ، فركز النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ، حقوق الله في الصلاة ،

إذ كانت قيامها وعمادها وملاك أمرها كله ، من أقامها فهو لغيرها أشد إقامة ، ومن أضاعها فهو لغيرها أكثر إضاعة . ولن ترجو من تارك الصلاة خيرا أبدا ، وإن كان عند الناس عظيما ، لا لنفسه ولا لغيره ، لا في دين ولا دنيا ، وكيف يرجى الخير من حاد الله ورسوله ، ومن هو للكفر أقرب منه للإيمان ؟ ! !

* * *

وركر صلوات الله وسلامه عليه ، حقوق عباد الله في رعاية الضعفاء منهم وتقوى الله فيهم ، بالعدل في معاملتهم ، والإحسان إليهم . . ومن اتقى الله في العبيد والضعفاء ، فهو أجدر بأن يتقيه في الأحرار والأقوياء ، موقنا بأنهم جميعا إخوانه ، لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى .

* * *

ومن غريب الشرح وطريفه ، ما قيل في ملك اليمين هنا إنه الزكاة ، ويؤيده أن الصلاة قلما تفارقها في الذكر ، ولكن المعروف والمألوف في لسان العرب والشرع ، أجدر بالفهم ، وأحق بالعلم .

* * *

ألا إن أحق الناس عملا بهذه الوصية النبوية الخاتمة ، ودعوة إليها ، وأخذًا على أيدي المفرطين فيها ، هما الصنفان اللذان إذا صالحوا صالح الناس ، وإذا فسدوا فسد الناس : العلماء والأمراء . .

ألا وإن التهاون في شأن الصلاة ، وفي رعاية الضعفاء من عباد الله ، أعظم خطر يهدد الدول الإسلامية بسلب عزتها وكرامتها ، وينذرنا بأن يتخلى الله عنها ويكلها إلى غيره ، ومن يتخلى الله عنه ويكله إلى غيره فقد أهانه « ومن يهن الله فما له من مكرم » .

* * *

أما بعد ، فنبذ عهد غير قريب وأنا أستخير الله تعالى ، وأترضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أودع الكتابة في هذا المكان إلى أجل مسمى عند الله عز وجل ، وهأنذا أستأذن أسرة المجلة وقراءها . . . حتى يأذن الله لي بالعود ، والعود إن شاء الله أحمد « وما توفيقي إلا بالله »

طه محمد السكاك

الحج والعمرة

من القواعد الخمس التي بنى عليها الإسلام : الحج ، فهو فرض عين من فروضه ، وكان فرضه في السنة السادسة من الهجرة وقيل في الخامسة .

وثبتت فرضيته بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، فمن أنكره كان كافرا كإنكار كل أمر معلوم من الدين بالضرورة .

ولأنما يجب الحج مرة واحدة في العمر ، لما روى مسلم عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه .

من يجب عليه الحج :

يجب على المسلم البالغ العاقل المستطيع ، وتحقيق الاستطاعة بتوفر المال الذي يحتاج إليه في أداء هذه الفريضة فاضلا عما يلزم أسرته ومن يقوم بشئونه مدة ذهابه للحج وإيابه ، وقاضيا عما عليه من دين ولو كان مؤجلا ، وأن يجد في طريقه ما يحتاج إليه من الضروريات ، وأن يكون قادرا على تحمل أعباء ذلك السفر بدون مشقة عظيمة ، واستتباب الأمن في الطريق وفي مكة ومواضع الذسك .

وجميع ما تقدم شروط لوجوب الحج على الرجل والمرأة ، وتختص المرأة بشرط وهو أن يخرج معها زوجها أو أحد محارمها ، قال الشافعية أو امرأتان ثقتان ، وقال المالكية أو رفقة مأمونة ، وقال الحنفية هذا إذا كان بين بلدها وبين مكة ثلاثة أيام فأكثر وإلا فلا يشترط أن يخرج معها زوجها أو محرمها .

هل وجوب الحج على الفور أو على التراخي :

إذا توفرت شروط وجوب الحج في شخص فهل يجب عليه أن يؤدي الحج في أول عام توفرت فيه الشروط وتمكن فيه من أدائه :

مذهب الجمهور : ومنهم الحنفية والمالكية والحنابلة يجب أداء الحج فوراً بمجرد التمكن من أدائه وإذا أخره يكون آثماً بالتأخير .

ومذهب الشافعية : لا يجب أداء الحج فوراً ، فله تأخيره عن أول سنة تمكن فيها إلى سنة أخرى ، بشرط أن يغلب على ظنه سلامة بدنه وماله إلى أن يؤديه ، وأن يكون عازماً على فعله في المستقبل ، ولكن يستحب له أن يبادر بفعله لقوله تعالى : فاستبقوا الخيرات ، ولأن تأخره يعرضه للفتن بحدوث الزمان ، فإن خاف العجز لكبر سنه أو لمرض يخشى زيادته ، أو خاف عدم بقاء المال المحتاج إليه في حجه وجب أدائه فوراً وأثم بالتأخير .

وإذا لم يحج من وجب عليه الحج حتى عجز عنه لمرض أو كبر سن ، وجب عليه أن ينيب من يحج عنه متبرعاً أو بأجر ، أما إذا مات فيجب على ورثته قضاء الحج من تركته : كدين الأدعى ، فإن لم يكن له تركة استقر في ذمته ، ويستحب لورثته قضاؤه ، ومتى حج عن الميت الوارث أو غيره سقط الفرض عنه .

وقد استدلل الشافعية على أن الحج يجب على التراخي بأنه قد فرض في السنة السادسة أو الخامسة من الهجرة ، ولم يحج النبي هو وزوجاته وعامة أصحابه إلا في السنة العاشرة ، مع أنه كان مستطيعاً ، وكان فتح مكة في رمضان من السنة الثامنة ، وانصرف عنها في شوال من سنته ، وولى عليها عتاب بن أسيد فحج بالناس ، ثم ولى أبا بكر في السنة التاسعة إمارة الحج فحج بالناس ، ثم حج النبي هو وأزواجه وعامة أصحابه سنة عشر فدل على جواز تأخر الحج عن سنة الاستطاعة .

العمرة :

العمرة مطلوبة من المسلم مرة واحدة في العمر كالحج ، ولكن الأئمة اختلفوا في حكمها ، فالشافعية والحنابلة قالوا إن العمرة فرض عين كالحج واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله » ، مع قراءة « وأقيموا الحج والعمرة لله » ، واستدلوا أيضاً بحديث عائشة قالت : (قلت يا رسول هل على النساء جهاد ؟ قل جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة) وغير ذلك من الأحاديث .

والمالكية والحنفية قالوا : إن العمرة سنة مؤكدة ولكنها تجب بالشرع فيها ، والمسلم الورع يتحرى الخروج من الخلاف بالإتيان بالعمرة .

ويجوز فيها الخلاف السابق في الحج من أنها على الفور أو على التراخي .

حكمة مشروعية الحج :

الحج من الشرائع القديمة فرضه الله أول ما فرضه على خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وذلك أن الله أمره بإسكان ابنه إسماعيل مع أمه هاجر مكة فصعد بالأمر ، ولما ودعهما قال : « ربنا إني أمكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ، فأجاب الله دعوته بأكثر مما كان ينتظر وفرض عليه وعلى أمته الحج ، فصارت مكة مثابة للناس وأمنا ، وصار الحج موسما عظيما للناس يتبادلون فيه التجارة ، ويشهدون منافع لهم : دينية ودنيوية ، ويطعمون فيه البؤساء والمحتاجين ، وعاش إسماعيل وذريته في أمن من العيش وسعة تناسب حال هذا الوادى .

وكانت أعمال الحج كلها في عهد إبراهيم وإسماعيل بريئة من شوائب الشرك (مله إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) ، إلى أن لعبت يد الشيطان ، وأدخلت في هذا البيت المطهر الأصنام ووضعتها فوق الكعبة ، وتدنس بالشرك أعمال الحج .

ولما فتح رسول الله مكة كان أول ما أمر به هدم تلك الأوثان ، وتطهير البيت من الأصنام ، فحقق بذلك ما أمره الله به وأمر به إبراهيم من قبله (وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) .

وحج رسول الله والمسلمون فتوجهوا بجميع أعمال الحج لله وحده ، وحسبنا مثلا ما كانت تضج به الأجواء ويحجل في الفضاء حتى يبلغ عنان السماء التلبية (لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) ، فكان من أول أهداف تشريع الحج لحمد وأمته عملية تطهير الحج ، وتنقيته من دنس الشرك ، وتوجيه أعماله كلها لله وحده ، فأدوا عملية التطهير خير أداء ، وعادت أعمال الحج خالصة لله كما كانت في عهد إبراهيم ، كما عاد من فضل الله الزمان واستدار كهيمته يوم خلق الله السموات والأرض ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ، وبطل النسيء ونقل الأشهر الحرم إلى غير مواضعها ، فصار الحج صحيحا نقيا في أعماله ، مطهرا في مكانه ، حاصلا في زمانه .

ووراء ذلك حكمة عظيمة أخرى للمسلمين نفرد لها ذلك القول :

لما كان دين الإسلام ديناً عاما لجميع البشر ، فكل أبيض وكل أسود بلغته دعوة مجد على وجهها الصحيح ، مكاف بالدخول في دين الإسلام والتزام عقائده عن بينة ،

ولما كان المفروض أن تحدث هذه الدعوة أثرها قويا ، فيدخل الناس في دين الله أفواجا ، من شعوب مختلفة في مشارق الأرض ومغاربها كان من أهم مقاصد الإسلام بعد سلامة العقيدة أن يكون المسلمون أمة واحدة ، أمرهم واحد وكنيتهم واحدة وإحساسهم واحد وآلامهم واحدة وآمالهم واحدة .

لهذا شرع الله لهم من الدين ما يوجههم هذه الوجهة الواحدة ، فأمرهم أن يستقبلوا في صلاتهم كل يوم خمس مرات أو تزيد قبلة واحدة .

وفرض عليهم الحج ليكون فرصة لاجتماع هذه الشعوب ، المختلفة الأجناس واللسان والمكان في مكة منزل الوحي الأول ، وبجوار بيت الله مركز الدائرة التي تربط المسلمين برباط الدين الواحد ، وليكون مؤتمر الشعوب الإسلامية ومجتمعهم السنوى ، يبحثون فيه شئونهم ويتعرفون أدواءهم ويضعون لها العلاج ، ويتعاونون على درء الظلم عمن ظلم منهم وتقوية المستضعفين ومساعدتهم للتحرر من نير الاستعمار .

ولقد كان الأمل عظيما في أن يهيئ الحج للمسلمين الفرصة لجمع الكلمة والتعاون على ما يصلح شأنهم ، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر كما شرعه الله ولكن والأسى يملا الفؤاد قد لعبت يد الاستعمار أعنف الأدوار ، فزقت جمع المسلمين وصيرتهم شيعة وأحزابا ، وبنت بينهم العداوة والبغضاء ، حتى صار كل فريق يتربص بالآخر الدوائر ، وذلك بتسليط بعض أعوان المستعمرين الذين أعماهم سلطانهم وشهواتهم ، فباعوا دينهم بدنياهم ودنيا المستعمرين .

على أننا لا نزال عندنا بقية من الأمل في أن يعود المسلمون إلى رشدهم فيصلحوا ما فسد ، ويتعاونوا على الصالح العام للمسلمين والعرب ، والله يهديهم سبيل الرشاد .

كيف تحج وتعتمر أيها المسلم :

للحج أعمال مطلوبة طلبا متحتما وهى قسمان ، قسم إذا ترك يكون الحج ناقصا ، وبالتالى يكون باطلا وهو الأركان ، وقسم إذا ترك يكون الحج صحيحا ويجهز ماترك بدم وهو الواجبات .

كذلك للحج أعمال مطلوبة طلبا غير متحتم وهى المسنونات ، وهى مثل الحج فيما تقدم العمرة . وقد ذكر العلماء من شروط صحة الصلاة العلم بكيفيةها ، قالوا وهذا الشرط يكفى في تحققه ألا يعتقد المكلف الفرض سنة ، فلو اعتقد أن أفعالها كلها فروض أو أن فيها فرضا وسنة وليكنه لم يميزها كفى .

ومن المعلوم أن العلم بالكيفية شرط في صحة كل عبادة ومنها الحج والعمرة ، ونرى أن هذا الشرط يتحقق فيهما بما تحقق به في الصلاة بطريق الأولى ، إذ الصعوبة هنا في الإحاطة بالأركان والواجبات والسنن أعظم .

لهذا رأيت أن أبين باختصار كيف يحج ويعتمر المسلم ، ذا كرا أعمال النسك على أنها كلها مطلوبة ، سواء منها ما كان ركنا ، وما كان واجبا وما كان ، مسنونا ، فأقول :
إذا عزمتم أيها المسلم على الحج والعمرة فإني أختار لك أن تبدأ بالعمرة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

وكيفية العمرة :

فإذا كنت تريد ركوب الطائرة فقم أظفارك ، وأزل ما شعنت من شعرك ، واغتسل واللبس ثياب الإحرام (إزارا ورداء) وصل ركعتين ثم انو الإحرام بالعمرة واقرب بنيةك التلبية أو أى ذكر - افعل كل هذا في منزلك ثم اذهب إلى طائرتك .

وإن كنت تريد ركوب البانحة فافعل ذلك بعد أن تسير البانحة وتحاذى رابعا ، (وهى ميقات الحج والعمرة لمن بمصر والشام والمغرب والأندلس) أو تحاذى ميقات بلدك إن كنت من غير هذه البلاد ، واستمر على إحرامك مع تكرار التلبية من وقت لآخر ، حتى تصل إلى مكة فاقصد المسجد الحرام ، وادخل من باب السلام فإذا رأيت الكعبة فقل بسم الله الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ، ثم اذهب إلى الحجر الأسود فاستقبله واستلمه بيمينك وقبله إن أمكنك ، وإلا فاكتف بالاستلام ، وإلا فبالإشارة باليد ، وانو طواف العمرة بشرط أن تكون متطهرا طهارتك للصلاة ، وابتدئ من الحجر الأسود جاعلا البيت عن يسارك مارا تلقاء وجهك ، قائلا بسم الله الله أكبر ، اللهم إيماننا بك ، وتصديقا بكتابتك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير ، اللهم إن هذا البيت بيتك والحرم حرمك والأمن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار فأعذنى منها يا عزيز يا غفار ، ثم ادع بما شئت إلى أن تصل ثانيا إلى الحجر الأسود فتبدأ الشوط الثانى وهكذا حتى ينتهى الشوط السابع ، ثم اذهب فصل ركعتين سنة الطواف خلف المقام ، وبهذا ينتهى الطواف .

ثم اقصد الملتزم وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة ، وتضرع إلى الله بذلة داعيا بما شئت من دعاء ، ثم اذهب إلى بئر زمزم فاشرب هنيئًا مريئًا .

ثم اخرج من باب الصفا إلى المسعى واقرأ « إن الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » ثم اصعد على درجات الصفا واتجه إلى الكعبة ، وقل بسم الله الله أكبر والله الحمد ، ثم اسع إلى المروة قائلًا لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، وهوول في السير بين الميليين الأخضرين (وهما عمودان في جدار الحرم والمسافة بينهما سبعون مترًا) ، قائلًا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، وادع بما شئت حتى تأتي المروة فاصعد على درجاتها ويحسب ذلك شوطًا ، ثم اتجه إلى المسعى وانزل عن الدرجات وعد إلى الصفا حتى تصعد على درجاتها ويحسب ذلك شوطًا ثانيًا، وهكذا حتى تكمل سبعة أشواط فينتهي السعي عند المروة ، ثم احلق أو قصر ، والمرأة تقصر ، وبذلك تنتهي العمرة ، ويحل لك ما كان قد حرم عليك بالإحرام (وسنبيته لك) .

واعلم أن من يأتي بالعمرة في أشهر الحج وبعد الفراغ من أعمالها يأتي بالحج ، يسمى متمتعًا ، ويجب عليه ذبح شاة للفقراء ، فإن لم يجد فصيام عشرة أيام ، ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى بلده ، ويذبح الشاة بعد الفراغ من أعمال العمرة بمكة ، أو يذبحها بمنى يوم النحر وهو الأفضل .

كيفية الحج :

وتقيم بمكة بغير إحرام إلى يوم التروية (اليوم الثامن من ذي الحجة) فانو الإحرام بالحج ، وافعل عند إحرامك به ما فعلت عند إحرامك بالعمرة ، ثم توجه إلى عرفة واستمر في طريقك بمنى ، ولك أن تبث بها ليلة التاسع ، وهو الأفضل أو تواصل السير حتى تصل عرفة وتبث بها ، وتمضي بعرفة اليوم التاسع من ذي الحجة وجزءًا من ليلة العاشر ، وأكثر في طريقك من التلبية ، وفي عرفة أكثر من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتلبية ، والاستغفار وقراء سورة (الإخلاص) والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم ادفع من عرفة بعد جزء من ليلة العاشر كما ذكرنا إلى المزدلفة وهي المشعر الحرام ، وقيل هو جبل قزح بالمزدلفة وتبث بها .

ثم ادفع من المزدلفة بعد نصف الليل إلى منى ، أو بعد أن تصلي الصبح مع أخذ حصا بحرة العقبة منها ، فإذا وصلت منى فانتظر إلى ما بعد طلوع الشمس ، ثم ارم بحرة العقبة

سبع حصيات وتقطع التلبية من أول حصاة ، وتأتى بدلها بالتكبير مع كل حصاة قائلا :
 بسم الله الله أكبر ، اللهم تصديقا بكتابتك ، واتباعا لسنة نبيك وخليفك عليهما الصلاة والسلام .
 ثم احلق أو قصر - والمرأة تقصر - وبهذا يحل لك كل ما كان قد حرم عليك
 بالإحرام إلا النساء ، وهذا هو التحلل الأول وتبيت بمنى أيام التشريق ، وترمى في كل
 يوم الجمرات الثلاث ، كل جمرة بسبع حصيات ، مبتدئا بالجمرة الأولى التي تلى مسجد
 الخيف ، ثم الجمرة الوسطى ، ثم جمرة العقبة ، ويكون الرمي بعد الزوال وتكبر مع كل
 حصاة كما فعلت في جمرة العقبة يوم النحر - تفعل ذلك في أيام التشريق الثلاثة ، ولك أن
 تتعجل في يومين فتبيت بمنى ليلة الحادى عشر وليلة الثانى عشر من ذى الحجة ،
 وتقتصر على الرمي فيهما وتنزل من منى قبل غروب الشمس ، وإلا وجب عليك مييت
 ليلة الثالث عشر ، وبعد أن تصل مكة طف طواف الإفاضة كالطواف السابق في العمرة ،
 ثم اذهب للسعى بين الصفا والمروة كما سبق وبذلك ينتهى حجك .

ولك أن تذهب إلى مكة في يوم النحر إن أمكنك بعد رمى جمرة العقبة ، فتطوف
 طواف الإفاضة ثم تسعى بين الصفا والمروة ، وبذلك يحصل التحلل الثانى ويحل لك به
 النساء أيضا ، ثم تعود إلى منى لتبيت بها أيام التشريق وترمى الجمار كما بينا .

من أحكام الحج

محرمات الإحرام :

يحرم على الرجل بسبب الإحرام بالحج أو للعمرة أمور (١) لبس الملابس المحيطة
 بالجسم كالقميص ، والسرwal ، والبيجام ، والمعطف ، والبنطلون ، والحية والفستان .
 (٢) وتغطية رأسه أو بعضه بما يعد ساترا عرفا كالعمامة والقلنسوة ، وله لبس الخاتم
 وشد الخزام أو الكبر على وسطه وعلى إزاره ، وله عمل باكية للآزار ليدخل فيها تكة يربطه
 بها وليس له ذلك في الرداء ، ويحرم لبس الخذاء ، أما النعلان المعروفان فيجوز لبسهما
 بشرط ألا يستر سائر النعل جميع أصابع القدم .

ويحرم على المرأة تغطية الوجه ولبس القفاز (الجوانت) .

ويحرم عليهما : (١) استعمال الطيب في بدن أو ثوب أو فراش أو طعام وكذا
 الزهور ذات الرائحة الذكية . (٢) ودهن شعر الرأس أو الوجه بشيء من الزيوت
 والأدهان . ومن ذلك الفازلين . (٣) وإزالة الشعر بحلق أو غيره . (٤) وتقليم الأظفار .

فإذا فعل الحاج أو المعتمر شيئاً من هذه المحرمات ، وجب عليه واحد من هذه الأمور الثلاثة باختياره : ذبح شاة ، أو إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (قدح مصرى) ، أو صيام ثلاثة أيام ، مع ملاحظة أن تكون إزالة الشعر لثلاث شعرات فأكثر ، وتقليم الأظفار لثلاثة أظفار فأكثر ، ويجب في إزالة شعرة واحدة مد ، وفي شعرتين مدان ، وفي قلم ظفر مد ، وفي ظفرين مدان (والمد نصف قدح مصرى) . وعند مالك يجب في إزالة شعرة إلى اثنتي عشرة شعرة مد ، ويجوز إعطاء الفقير ثمن نصف الصاع أو المد ، ويقوم مقام المد غداؤه أو عشاؤه .

ويحرم أيضاً بسبب الإحرام الوطء ومقدماته ، والتعرض للحيوان الوحشى المأكول بصيد أو أكل ، والتعرض لشجر الحرم بقطع أو قلع أو إتلاف ، والأحكام المترتبة على ارتكاب هذه المحظورات مبسطة في كتب المذاهب ، والذي يهمنا أن ننوه عنه أن الحج والعمرة لا يفسد هماً شيئاً من المحرمات إلا الوطء ، فليحذر الحاج والمعتمر ذلك فإن فيه الطامة التي قلما تحتفل .

ومن أحكام الحج - من عجز عن الطواف بنفسه لمرض جاز أن يطوف محمولا بالإجماع ، وعن أبي حنيفة وعطاء يجوز أيضاً أن يطوف عنه غيره .

ومن عجز عن رمي الجمار بنفسه جاز له أن ينوب من يرمى عنه ذكر كان النائب أو أنثى حلالاً أو محرماً ، ويشترط في المحرم أن يكون قد رمى عن نفسه ، ولعل هذا يشترط أيضاً فيمن يطوف عن غيره عند أبي حنيفة وعطاء .

وإذا مات الحاج في أثناء حجه فذهب الشافعى القديم يجوز البناء على ما فعله الميت من أعمال الحج ؛ لأن الحج يقبل النيابة فيحرم النائب بالحج ، ويقف بعرفة إن لم يكن الميت وقف ، ولا يقف إن كان وقف ، ويأتى بباقي الأعمال كما لو لم يميت ، وهذا كله إذا مات الحاج قبل التحللين أو بينهما ، فإن مات بعد التحللين لم يجز البناء بلا خلاف ؛ لأن الباقي من أعمال الحج يجبر بالدم .

وفي هذا رأى تيسير على من أصيب في زميل رافقه في أداء فريضة الحج وتخفيف من حدة المصائب ، ومساعدة للميت على أداء فرضه وبراءة ذمته .

للحج تحللان فالتحلل الأول يحصل بفعل اثنين من ثلاثة هي : رمي جمرة العقبة يوم النحر ، والحلق ، والطواف مع السعى - إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم - ويحل بها للحاج

جميع محرمات الإحرام إلا ما يتعلق بالنساء، فإذا فعل الثالث حصل التحلل الثاني وحل به باقي المحرمات .

أما العمرة فليس لها إلا تحلل واحد يحصل بالانتهاء من جميع أعمالها .

ومما يتصل بالحج

الحجر الأسود :

في الركن الذي على يسار الكعبة الحجر الأسود ، وهو حجر صقيل بيضاوى تقريبا ولونه أسود مشرب بحمرة وفيه نقط حمراء وتعاريج صفراء وقطره نحو ثلاثين سنتيمترا ، ويحيط به إطار من الفضة عرضه عشرة سنتيمترات .

وقد جعل الحجر علامة لبدء الطواف منه ، ويذكر بعض الناس فيه روايات منها أنه درة بيضاء من الجنة سودته خطايا بني آدم ، وغير ذلك وهو غير صحيح ، وإنما صح فيه وبأن حد الشهرة قول عمر رضى الله عنه على رؤوس الأشهاد من أصحاب رسول الله وسائر المسلمين ، أما إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولو لا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

حكمة السعى ورمى الجمار :

قال العلماء : كل عبادة لها معنى قطعاً لأن الله لا يأمر بالعيب ، ثم معنى العبادة قد يفهمه المكلف ، وقد لا يفهمه ، ومن العبادات التي لا يفهم المكلف معناها السعى والرمى ، فكلف العبد بهما ليتم انقياده لربه ، فإن هذا النوع من العبادات لاحظ للنفس فيه ولا للعقل به ، ولا يحمل عليه إلا مجرد الامتثال لأمر الله والانقياد له ، من المجموع للنوى باختصار . ومنه يعلم أنه لم يصح شيء مما يرويه الناس في السعى ورمى الجمار ، وإلا لذكره النوى . وأكثر أعمال الحج أعمال لا نعقل معناها ، ولكن الله تعبدنا بها لتربية ملكة الانقياد والمساورة إلى طاعته .

فضل الحج والعمرة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من حج فلم يرفث (لم يمس النساء) ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء

إلا الجنة . وعن عائشة رضى الله عنها قالت ، قلت : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ فقال لكن أفضل الجهاد حج مبرور .

والأحاديث في فضلها كثيرة ، والحج المبرور : الذى لم يرتكب فى أثناءه الحاج معصية وهو المقبول عند الله ، قال العلماء وعلامته أن تكون حال صاحبه من الناحية الدينية أحسن بعد الحج ، والحج والعمرة يكفران الذنوب الصغائر باتفاق ، ويكفران الكبائر على الراجح حتى التبعات وهى حقوق الآدميين ، لكن هذا إذا مات فى أثناء الحج أو العمرة أو بعدهما وقبل التمكن من أداء ما عليه ، من حقوق الله أو للآدميين ، أما إذا عاش بعد التمكن من أدائها فلا تسقط عنه بل يجب عليه قضاؤها .

هذا وإذا تأمل المسلم قول رسول الله لعائشة فى الحديث المتقدم (لكن أفضل الجهاد حج مبرور) علم أن ليست رحلة الحج رحلة إلى مصيف أو مشى ، وإنما رحلة لا بد أن يصحبها نصب ، ويلازمها قسط من المشقة والتعب ولكن لأنها رحلة إلى ربه ، وتنفيذ لأمره ، وانقياد لطاعته ، يهون بجانبها كل مشقة ونصب ، ويسهل فى سبيل رضى مولاه كل صعب ، ويحول كل ألم ، فليحذر الحاج بعد عودته من أن يعقد المجالس ليقص على الناس ما صادفه من الصعاب ، وما قاساه من الآلام ، وينصب من نفسه منفرا عن هذه الفريضة ، وداعيا للتحلل منها ، فيحمل وزره كاملا وأوزار معه ، ويحبط حجه وهو من الغافلين ، وليعلم الحاج أن له بكل خطوة أجرا ، وعلى كل مشقة ثوابا جزلا ، وأن الثواب والأجر على قدر المشقة .

وليسكثر فى رحلة الحج من الصدقات ، فانها ستصادف أكبادا حرى ، وأجسادا شبه عارية ، أنهمكها الجوع والعرى والحرمان ، وليتجر ببعض صدقاته أناسا أناخ عليهم الفقر ولكنهم يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، وعلى الجملة ليحرص على أن يكون فى هذه الرحلة أجود بالخير من الريح المرسلة .

وليسكن الحاج بعد عودته مثال الفضيلة والأخلاق السكرية ، والمحافظة على حقوق الخلق والخلق ، تحقيقا لمعنى الحج المبرور ، وإن اعترض سبيله الشيطان وطوعت له نفسه العصيان ، فليقم من ضميره ودينه وأزعا قويا لمجاهدة نفسه ، ومحاربة شيطانه والله الكفيل بنصره وتوفيقه إنه نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

بين الأبناء والآباء

لعل أقوى الروابط بين الأحياء هي الروابط العميقة الباقية بين الأبناء والآباء ، ولذلك يجب أن نعنى بتوثيقها وإقامتها على أساس وطيء من الخير والبر ، وتبادل الحب والإخلاص . وإذا كنا نطالب الآباء بأداء واجباتهم نحو فلذات أكبادهم وثمرات قلوبهم ، فلا بد لنا من مطالبة الأبناء بواجباتهم نحو هؤلاء . وأول هذه الواجبات فيما نظن ، هو أن يتذكر الأبناء على الدوام أن آباءهم كانوا السبب المباشر في وجودهم ، والأصل الحسى لحياتهم ، والواسطة البادية في خلق الله تبارك وتعالى لهم ، وأن آباءهم قد شقوا في سبيلهم ، وتعبو من أجلهم ، وذاقوا المر والعلقم لتنشئتهم وتربيتهم ، وصبروا على ذلك صبرا جميلا ، وتحملوا من أجله تحملا طويلا ، وبذلوا من حسمهم ونفسمهم بذلا جليلا ، وشرعة العدالة تفتضى التماثل والتبادل ، والقرآن الكريم يقول : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » ؟ .

وهنا حقيقة يلزم أن نتنبه إليها جيدا ، وهي أن الآباء يمثلون جهة المحافظة والمقاومة والدفاع ، لأنهم أهل جيل قد مضى أكثر زمنه ، وأخذوا ينكشون على أنفسهم وأحاسيسهم ، بينما الأبناء يمثلون جهة الاندفاع والتجديد والهجوم ، لأنهم أهل جيل مقبل بشبابه وجبويته وآماله ، والحياة تسير في تطورها وتغيرها ، ولابد فيها من الفريقين ، فلو تصادما أو تخاصما لكادت عوامل الهدم والتحطيم أضعاف عوامل البناء والتعمير ، فلا بد لهما من حسن التفاهم وكريم التعاون ، حتى يلتقيا في منتصف الطريق .

ولما كان الآباء من الناحية الحسية في موطن الضعف بحكم السكبر والقدم ، وكان الأبناء في مكان القوة بحكم الشبية وإقبال الحياة ، وجب على الأبناء أن يتحلوا بكرم المعاملة وحسن الصحبة لهؤلاء الآباء الذين قدموا ما قدموا ، وبذلوا ما بذلوا ، وجاهدوا في سبيل هؤلاء الأبناء ما جاهدوا ، والفضل للقدم ، والآباء يبعد منهم أن يهملوا الأبناء ، بينما الأبناء مظنة الإهمال للآباء ، ومن هنا نستعرض آيات القرآن فيجد أن الله قد أمر الولد بأن يحسن إلى والده إحسانا في عدة آيات ، بينما لا نجد في القرآن أمرا للوالدين بالإحسان إلى الولد ، وذلك لأن إحسان الوالدين إلى ولدهما أمر محقق واقع مطبوع عليه الوالدان ،

لا يحتاج إلى تذكير ، بلينا نلاحظ أن الكثير من الأبناء لا يتقنون ربهم في معاملة آبائهم ، فيسيئون إليهم ويغافلون معهم حينما يكون الآباء بحاجة إلى الرحمة واللين ، مع أن أول سمات الإنسانية الصحيحة أن لا يحدد المرء الفضل ، وأن لا يتنكر للجميل ، ومن هنا جعل الله الإحسان إلى الوالدين قضية إنسانية عامة ، إذ قال في القرآن : « ووصينا الإنسان بوالديه . فلم يقل : ووصينا المسلم ، أو لم يقل : ووصينا المؤمن ، بل قال : ووصينا الإنسان بوالديه . » . كأن حسن الأدب مع الوالدين ، وحسن الرعاية للوالدين ، وحسن التفاهم مع الوالدين ، أمر إنساني بشري ، يجب أن يقوم به المرء بمقتضى أنه « إنسان » وأنه « بشر » ، فكيف إذا كان هذا الإنسان صاحب إسلام وريث إيمان ؟ ! . . .

وللقرآن الحق كل الحق في أن يجعل الوصية بالوالدين قضية إنسانية ، لأنها قضية مقابلة الجميل بالجميل ، ومجازاة الإحسان بالإحسان ، وعلى هذا الأساس صورها القرآن المحيد في تلك الصورة الإنسانية المؤثرة فقال : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

فالله عز وجل قد قضى وأمر أمرا مقطوعا به ألا نعبد غيره ، لأنه لا رب سواه ، ثم ذكر بعد عبادته الأمر بالإحسان إلى الوالدين ، ويكاد القرآن لا يذكر الإحسان إلى الوالدين إلا بجوار ذكر الدعوة إلى عبادة الله وشكرانه . ففي سورة البقرة يقول : « لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا » . وفي سورة النساء يقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » . وفي سورة الأنعام يقول : « ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » . وفي سورة الإسراء يقول : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » . وفي سورة لقمان يقول : « أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير » . ويقول جاز الله الزمخشري في كشفه عن الولد مع أبيه : « فهو مأمور بأن يستعمل معها وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال ، حتى لا يقول لهما إذا أضرجه ما يستقذره منهما أو يستثقل من مئوتيهما : أف ، فضلا عما يزيد عليه ، ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ، ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما ، حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنقلت من المتضجر ، مع موجبات الضجر ومقتضياتها ، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في الاستطاعة » . وانظر كيف خص الله بالذكر في آية الإسراء حالة كبرهما وطعنهما في السن ، لأن هذا

الوقت هو مظنة ضيق الولد بهما ، واستثقاله لظلهما ، واشتمتاز بهما ، وهما حينئذ أشد احتياجا إليه بعد جهادهما الطويل من أجله وفي سبيله ، ولذلك أكد القرآن في الوصية والنصيحة ، فأمر الولد بالآل بضايقهما ولو بأقل ما يشير إلى التضجر وهو كلمة « أف » ، وألا ينهرهما أو يغلظ عليهما ، وأن يخاطبهما خطابا رقيقا لطيفا كريما ، وأن يبالغ في الأدب معهما والخضوع لهما ، حتى يبدو أمامهما ذليلا رحيما . ويا لها من عزة أن يذل الابن لوالديه ، وأن يتوج ذلك بتاج الدعاء لهما ، متذكرا دائما سابق فضلهما وقديم إحسانهما ، فأوصى القرآن هنا بخمس درجات للإحسان : « فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » !! ...

وارتفع الإسلام بقضية الإحسان إلى الوالدين إلى قمة الساحة الإنسانية ، فأمر الولد بأن يحسن معاملتهما ولو اختلف معهما في الرأي أو الدين أو منهاج الحياة ، فقال القرآن يخاطب الولد : « وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلى ، ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » .

وجاء الرسول عليه الصلاة والسلام - وهو نبي الوفاء ورسول الإحسان - فزاد هذه القضية رعاية وعناية ، فأخبرنا بأن رضا الله في رضا الوالدين ، وأن الولد وماله لأبيه ، وأن اللجنة تحت أقدام الأمهات ، وأن أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين . ولقد سأله أحد صحابته : أى العمل أحب إلى الله عز وجل ؟ . فقال : الصلاة على وقتها . قال : ثم أى ؟ . قال : ثم بر الوالدين . قال : ثم أى ؟ . قال : ثم الجهاد في سبيل الله . بفعل بر الوالدين بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام ، وكذلك جعل بر الوالدين وسطا بين الصلاة التي هي جهاد نفسى والقتال في سبيل الله الذى هو جهاد حسى ، لأن بر الوالدين يشمل الاثنين ، فهو جهاد نفسى بالأدب معهما ، وهو جهاد حسى بالبر إليهما وتأدية الواجب لهما وإحسان المعاملة معهما ، وليس وراء ذلك تكريم ! . ولقد ضرب السابقون أروع الأمثال في تكريم الآباء ، فهذا علي بن الحسين كان لا يأكل مع أمه في صحفة ، خشية أن تمتد يده إلى شيء تكون عينها قد تطلعت إليه ، وهذا عمرو بن ذر يقول عن ابنه : ما مشيت نهارا قط إلا مشى خلفي (تأدبا) ، ولا ليلا إلا مشى أمامي (خشية مكروه يلقاني) ، ولا رقى سطحا وأنا تحتته (حتى لا يعلوني) . وهذا هو الفضل بن يحيى البرمكى كان سجيناً مع أبيه ، وكان أبوه لا يطيق

استعمال الماء البارد في وضوء الفجر ، وقد منع السجنان عنهما الخطب ، فكان الفضل يمسك بإناء الماء ، ويدنيه من المصباح ، ويسهر به إلى الفجر ، حتى يسخن الماء لوضوء أبيه ! ! ! ...

قد يقول أبناء اليوم : إنك تحدثنا عن عهود سلفت ومضت بما لها وما عليها ، ونحن الآن في عهود الحرية والمساواة ! ! ! ...

ويعلم الله أننا مهما ترخصنا في رفع الكلفة والتخفيف بين الآباء والأبناء ، فلن نستسبح تفريط الأبناء في حقوق الآباء ، ولن يطبق عاقل أو وفي أن تنتشر الذرية بهذه الصور المروعة لمن أتوا بها وسهروا عليها . وإذا كنا ندعو الوالد إلى أن يكون بولده رحيما ومعه كريما ، وأن يلاهب الأب أبناءه ويداعبهم ، ويستجيب لرغباتهم القويمة ، ويتعرف اتجاهاتهم ، ويحترم شخصياتهم ، ولا يستبد بهم كاستبداد الملك الأرعن في ملكه . فلإننا مع هذا لانسى مطالبة الولد بأن يكون مع والديه صاحب أدب ووفاء وتوقير ، ولو علم الأبناء مبلغ الحسرات التي تأكل قلوب الآباء وهم يتخوفون على مصاير أولادهم ، ويخشون فشلهم في الحياة ، ويحرصون على نجاحهم بين الناس ، لما أضاف الأولاد إلى هذه الأحمال أحمالا أخرى من الجحود والسكران ، ولحرصوا كل الحرص على أن يكونوا من أهل الوفاء مع هؤلاء الآباء ! ! ! ...

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

المركز الثقافي الاسلامي بلندن

نشر مجلة الأزهر جزء رمضان سنة ١٣٧٧ أن منصب مدير المركز الثقافي الإسلامي بلندن ظل شاغرا بعد الدكتور على حسن عبد القادر حتى الآن ، والوقع أر المحروم الأستاذ الدكتور حمودة زكي غرابية المدرس بكلية أصول الدين ، خلف الدكتور على حسن عبد القادر في هذا المنصب من أغسطس سنة ١٩٥٤ ، وظل يزاول عمله حتى توفي إلى رحمة الله سنة ١٩٥٦ ، ثم تولاه من بعده الأستاذ إبراهيم عبد الحميد المدرس بكلية الشريعة من أكتوبر سنة ١٩٥٦ إلى سبتمبر سنة ١٩٥٧ ، في فترة انقطاع العلاقات بين مصر وإنجلترا بسبب العدوان الثلاثي ، وقد تريت مشيخة الأزهر في تعيين خلف له حتى يتهيأ الحو الملائم ، وقد وقع اختيارها أخيرا على الأستاذ الشيخ سليمان سيد أحمد دنيا ، لشغل هذا المنصب م

حصوننا مهددة من داخلها

في الجامعة العربية

— ٣ —

تقوم اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية على ترجمة عدد من الكتب الأوروبية والأمريكية إلى العربية وتنفق على طبعها ونشرها . فها هي الصفات والمميزات التي تتوخاها اللجنة فيما تختاره للترجمة من هذه الكتب ؟ لاشك في أن الميزة التي ينبغي أن تراعى في اختيار هذه الكتب هي مصلحة العرب . وذلك باستكمال ما ينقصهم وتدارك ما فاتهم مما سبق إليه غيرهم ؛ فكان سبقه فيه سبب تفوقه وسيادته ، وكان تخلفنا فيه سبب ضعفنا واستعبادنا . ولا شك في أن العرب أنفسهم هم أقدر الناس على إدراك ما يصلحهم وهم أحرص الناس عليه . فليس من المعقول مثلا أن نكل أمر هذا الاختيار إلى إحدى دول الاستعباد الغربي مثل أمريكا أو إنجلترا أو فرنسا أو إسبانيا أو هولندا أو بلجيكا ، ثم نطمح أن يرشد خبراءهم العرب مخلصين إلى ما ينفعهم ، وما يترتب عليه استغنائهم عن خبراتهم ، واستقلالهم باستغلال خبراتهم ، ونحارب ما يعيث في بلادهم من شركات ، وبوار ما يروج في أسواقهم من المنتجات الصناعية على اختلافها ، وانقطاع ما تنتفع به جيوبهم وبطونهم من بتول هذه البلاد وخيراتها المعدنية والزراعية .

ومن الواضح أني حين أتكلم عن الغرب أعني الغرب كله ، غربيه وشرقيه . الذين استغلونا واستعبدونا في أمس الغابر ولا يزالون ، والذين يطعمون في استغلالنا واستعبادنا في الغد القريب أو البعيد ، الذين يغزون أسواقنا والذين يغزون عقائدنا . من الواضح أنهم جميعا سواء ، وإنما يبدو حديثي في معظمه موجها إلى فريق منهم دون فريق ؛ لأن ذلك الفريق - والمقصود به هو المعسكر الأمريكي وحلفاؤه من الانجليز والفرنسيين خاصة - يمثل الخطر الراهن المسائل ، ولأن عملاء هذا المعسكر هم أقدم سماسرة وأعرفهم في هذه الحرفة الدنيئة ، وقد رشحهم هذا القدم وهذه العرافة - بعون سادتهم واتصافهم - بصابتهم - لاحتلال كثير من المراكز الخطيرة في حصوننا . ونحن حين نوجه النظر إلى الخطر الراهن

المسائل لا ينبغي أن تغفل عن الخطر المترتب على الذى يتحين الفرص . ولهذا الخطر المترتب على سماسرة من نوع آخر لا أحتاج لأن أكشف القناع عن وجوههم لأنهم غير مقتنعين .

ونعود لما كنا فيه فنقول : إن من غير المعقول أن تخلص دولة من دول الاستعباد فيما تنصح به للعرب من اختيار النافع من الكتب ، الذى يؤدي إلى نهضة حقيقية . وليس من الإنصاف أن نؤاخذهم على التقصير فى ذلك أو الغش فيه ، فلا ينبغي أن نتوقع منهم أن يخربوا بيوتهم بأيديهم ، وأن يضعوا رقابهم فى حبال المشانق طائعين مختارين . العرب وحدهم هم الأمانة على مصالحهم ، لا يصلح للقيام عليها سواهم ولا يؤتمن على هذه الأمانة غيرهم . فاختيار الكتب التى نترجمها إلى العربية يجب أن يركز إلى علماء العرب وحدهم . تلك كلها من المسلمات التى لم أكن أحتاج لأن أفصل القول فيها ، لولا أن هذا الذى يبدو فى عقول كل الناس من الحقائق الواضحة التى تبلغ درجة المسلمات لم يكن يبدو كذلك فى عقول المشرفين على التوجيه الثقافى بجامعة الدول العربية . هل يعقل عاقل منصف أن يلجأ العرب إلى السفارة الأمريكية مثلا لاختيار لهم من الكتب ما تراه نافعا للعرب ومحققا لنهضتهم ، ومعيّنا على طرد اليهود وإجلائهم ، وتصفية شركات البترول ونحوها ؟ لقد فعلت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ذلك ! استوحت السفارة الأمريكية فى بعض ما اختارته مما ترجمته ، واستوحت اليونيسكو فى بعضه الآخر . وهى نفسها تعترف بذلك حيث تقول فى نشرتها الثقافية التى عرضت فيها نشاطها بين سنتي ١٩٤٦، ١٩٥٦ : (كذلك اتفقت الإدارة الثقافية بعد موافقة المكتب الدائم على أن تتولى نشر بعض الكتب الهامة المترجمة بمعرفة القسم الثقافى بالسفارة الأمريكية . وقد قدمت فعلا إلى الطبع على هذا الأساس أصول كتاب مترجم إلى العربية ، ويشتمل على مقالات للكاتب الأمريكى الكبير إيمرسون - ص ٢٥ (١) . وتقول كذلك : (اتصلت الإدارة الثقافية ببعض الهيئات العالمية المختصة (٢) وحصلت منها على كشوف بأسماء الكتب التى تراها تلك الهيئات

(١) طبعت اللجنة بعد ذلك كتابين آخرين مما أوضحت به السفارة الأمريكية . وهما (الثقافة والحريّة) لجون ديدى ، القى أفسد المتأمركون تربية شبابنا باسمه ، و (انتصار الحضارة) لبرسند الذى أوفده المليونير اليهودى المستر نحث النصرانية روكفلر فى سنة ١٩٢٦ ليعرض على مصر عشرة ملايين من الدولارات لتأسيس معهد للدراسات الفرعونية يعين على سلخ مصر من عروبته .

(٢) المفصود بها هيئة اليونيسكو التى يسيطر عليها - كما هو الشأن فى أكثر مؤسسات الأمم المتحدة - الصهيونية العالمية الهدامة .

داخلة في إطار هذا البرنامج) . وسوف أعرض في هذا المقال نموذجين من هذه السموم التي تدرس على العرب باسم جامعتهم في كتابين ، أحدهما مما أوحى به السفارة الأمريكية وهو (مخنارات من إمرسون) ، والآخر مما أوصت به اليونسكو وهو (قصة الحضارة) لول ديورانت . وقبل أن أتناول هذين الكتابين أحب أن أؤكد لجامعة الدول العربية ولجنتها الثقافية الموقرة التي يرأسها طه حسين أن العرب لم يغلبوا من ضعف في الفلسفة ولا الآداب ولا التاريخ . ولكنهم غلبوا وضربت عليهم الذلة لأنهم متخلفون في العلوم التجريبية المادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية ، النظرية منها والتطبيقية . غلبوا لأنهم لا يملكون من المصانع ومن أدوات القتال ما يناهضون به عدوهم وما يتحررون به من سجنه الاقتصادي ، الذي يسخرهم فيه لجمع الثروات له كما يسخر العبيد ثم يحاربهم بهذه الثروات نفسها ، ويشترى بها من رجالهم من يقوم على حراسة هذا السجن الكبير ، فيقيم فيه معبدا يسبح كهنته بحمد آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، وينكل بالذين يذهبون النائمين والغافلين والمخدوعين إن كان صاحب سلطان ، أو يطاردهم بالإشاعات الكاذبة والأضاليل الباطلة حتى يلبس على الناس أمرهم ويجهلهم موضع السخرية والاستهزاء .

إن الجماعات البشرية في الدول والحكومات ، والجيوش في ميادين القتال ، والفرق الرياضية في الساحات ، تميز نفسها باختلاف النماذج ، فتتخذ الأعلام والأناشيد وأنماط الأزياء والعلامات والأشعة ، تفعل ذلك لتمييز نفسها من غيرها فلا تفضل في الزحام ، ولا تدوب عند الاختلاط ، ولا تتحل رابطة عند المصادمة والتزال .

وللعرب طابع يميزهم ، ولهم شخصية قد ضلوا عنها في عصر-ور الضعف والخنول وأضلهم عنها المستعبدون وأذئابهم . ولن تتحقق لهم نهضة إلا إذا أحيوا هذه الشخصية ، وتمسكوا بمقدماتها ، وتعصبوا لموزها وشاراتها ، وميزوا أنفسهم بباطعهم الخاص . وسيظلون بغير ذلك أذئابا للمستعبدين ينقادون ولا يقودون ، وأبواقا ينشرون ما ياتي إليهم من قول ويرددونه في الأجواء ، لا يزيد عملهم فيه عن مجرد تضخيمه . ذلك لأنهم لا يبتكرون حتى يحسوا في أنفسهم القدرة على الابتكار ، وحتى يكونوا جميعا متمسكين فيتولد من اجتماعهم وتمسكهم قوة . وهم لا يحسون القدرة على الابتكار إلا إذا استيقنوا أنهم عريقون في هذا الباب . ولا يجتمعون ويتمسكون إلا إذا عرفوا خصائصهم الأصلية التي تمنعهم من أن يذوبوا في غيرهم فتذهب قواهم شعاعا وتتفرق بددا .

لا يبالغ العرب درجة الأستاذية في هذه العلوم الجديدة التي أذلهم عدوهم بتفوقه عليهم فيها إلا إذا أصبحت هذه العلوم ملكا لهم . وهم لا يملكون هذه العلوم ولا يحسون أنها علوم عربية إلا إذا قرءوها بالعربية وكتبوها بالعربية . وسيظلون يحسون أنهم غرباء عليها وأنهم متطفلون على أصحابها طالما ظلوا يقرءونها ويكتبونها بغير لغتهم .

ولكن اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، وعلى رأسها طه حسين الذي تشهد كتبه أنه لم يكن إلا بوقا من أبواق الغرب ، وواحدا من عملائه الذين أقامهم على حراسة السجن الكبير ، يروج لثقافته ويعظمها ، ويؤلف قلوب العبيد ليجمعهم على عبادة جلادهم . طه حسين الذي لم يملّ من الكلام عن جامعة البحر الأبيض المتوسط ، التي دعت إليها فرنسا بالأمس والتي تدعو إليها أمريكا اليوم . طه حسين الذي زعم لمصر أنها جزء من البحر الأبيض المتوسط في مقومات شخصيتها ، وليست جزءا من عرب نجد واليمن والبحرين والعراق والسودان . طه حسين الذي لم يبد العرب في وهمه أمة ، لأن قوام الدول في زعمه هو المنافع المادية ، ولأن (تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ، ولا قواما لتكوين الدول [١]) . طه حسين هذا لا يقر معنا هذه الحقيقة ، لأنه يزعم للعرب أن السبيل إلى نهضتهم ليس هو ترجمة العلوم ، ولكن السبيل إلى نهضتهم أن يذوبوا في الغرب ، وأن يخلعوا من أنسابهم ويقلعوا من تربتهم ليفرسوا في تربة الغرب ، ولذلك فهو يهلك أموالهم في ترجمة شكسبير الذي ترجمت رواياته من قبل أكثر من مرة ليحاجي بها بطائنه وحزبه فيفقد عليهم مما تحت يده ، بل هو يهلك أموالهم في ترجمة ما لعن به أجدادهم ، وما سب فيه أسلافهم ، وسفه دينهم ، وافترى على نبيهم .

ولو أنصف طه حسين ، ولو أنصف كل القائمين على الترجمة في هذا البلد من مثل إدارة الثقافة بوزارة التربية ومجلس الآداب وغيرهما ، لجعلوا كل همهم مصروفا إلى نقل العلوم التجريبية والرياضية وحدها لا يشتغلون بترجمة غيرها حتى نستكمل نقصنا فيها ، لأن الاشتغال بنقل كتب الأدب والفلسفة والتاريخ والتربية والأخلاق وما شاءوا من

[١] مستقبل الثقافة في مصر ص ١٩ . ويراجع في بسطة الفكرة كلها الفقرتان الثانية والثالثة

الثقافات الإنسانية ، على هذا النحو الذى تسوده الفوضى وسوء الاختيار - بل سوء القصد فى كثير من الأحيان - يضر مرتين ، يضر بافساد أذواق شبابنا وتدمير كياناتهم ، وتحويل شخصيتهم بحيث يصبحون غرباء بين قومهم ، ثم يصبح قومهم بمد قليل هم الغرباء بينهم حين يكثر عددهم ويكتنف جمعهم ، ويضر مرة ثانية بتبديد الجهد والمال من غير وجهة وصرف العرب عن الطريق الصحيح إلى تحررهم ثم سيادتهم . ولو كان لى أن أقترح على اللجان الثقافية والهيئات الجامعية على اختلافها ، لاقترح أن يبدءوا بترجمة كتب المراجع فى الطب والهندسة والعلوم والزراعة التى يدرسها طلاب الجامعات العربية . فهم بذلك يصيرون غرضين : إنهم ييسرون سبل العلم للطلبة العرب ويخففون عن آباءهم بعض الأعباء ، باغنائهم عن الطبعات الأوروبية الباهظة الثمن ، والتى لا تيسر وجودها فى كثير من الأحيان ؛ لأن أصحابها يستطيعون أن يمنعوا تصديرها إلينا حين يشاءون . وهم فى الوقت نفسه يخطون بهذا العمل خطوة واسعة نحو تعريب هذه العلوم التى لا تزال تدرس فى جامعات مصر باللغة الانجليزية .

وقد كان أنصار اللهجات السوقية ودعاة تطوير العربية الفصحى فى قواعدها وأسايلها ومفرداتها ، من غربدين ومن عرب مستغربين ، كانوا ولا يزالون يستندون فى دعوتهم إلى ما يسميه بعضهم (ازدواج) ، فيزعمون أننا نقرأ ونكتب بغير اللغة التى نتكلمها ، وذلك عندهم هو السبب فى تخلفنا العلمى والثقافى الذى يحول بيننا وبين التفوق والنبوغ . ومن عجب أن هؤلاء العباقرة قد اكتشفوا هذا العيب الخطير فى عربيتنا الفصحى وحدها ، ولم يكتشفوه فى الانجليزية أو الفرنسية ، فلم نسمع صوتا واحدا منهم ينبه إلى الازدواج الناشئ عن قراءة الجامعيين العرب - أساتذة وطلابا - وكتابهم بالانجليزية أو بالفرنسية . فهل يرون الازدواج فى المواجهة بين السوقية والفصحى مع قرب ما بينهما ، ولا يرونه فى المواجهة بين الانجليزية والعربية أو الفرنسية والعربية مع بعد ما بينهما وبينهما ؟ .

ولنعد من بعد إلى حديثنا عن الكتائين اللذين أشرت إليهما من قبل لأقول : إن جامعة الدول العربية حين استوحت السفارة الأمريكية فى أحدهما ، واستوحت اليونسكو فى الكتاب الآخر ، قد بلأت فى حقيقة الأمر إلى السفارة الأمريكية مرتين . بلأت مرة إلى السفارة الأمريكية التى ترفع فوق دارها العلم الأمريكى ، ثم بلأت مرة أخرى إلى السفارة الأمريكية التى ترفع علم الأمم المتحدة . وإن شئنا الدقة قلنا : إنها بلأت

إلى اليهودية العالمية الهدامة في الحالين ، لتختار لها أشد الكتب فتكا بالدين والأخلاق وأفعلمها في قتل الشخصية العربية ومحو مقوماتها وتدمير تفكيرها وتسميم يتابع الثقافة فيها ، ومن أراد الدليل على صدق ما أقول فليرجع إلى الكتابين اللذين أشرت إليهما ، فسيجد فيهما السكيد للاسلام والمسيحية واكمل دين صحيح ظاهرا وخفيا ، وسيجد أن اليهودية وحدها هي التي سلمت من كيد المؤلفين وبذاءتهما ، وسيجد الثناء على اليهودية ، واليهود تصرحيا وتلميحا . يجد ذلك في مثل إشارة لمرسون إلى يوم السبت الذي يسميه (يوم الدين) ويظهر الحزن والأسى لأنه (فقد الآن عند القسس سناء الطبيعة - ص ٧٧) ويحده في مثل قوله (إنى لأتطلع إلى الساعة التي يتكلم فيها في الغرب كل ذلك الجبال العلوى الذي افتنت به أرواح أولئك الشرقيين ، وبخاصة أولئك العبريين الذين تحدث الأنبياء من خلال شفاههم لكل زمان وإنى لأتطلع إلى المعلم الحديد الذي يتابع هذه القوازين المشرقة - ص ٩٠) . ويحده كذلك في عرض ول ديورانت لتاريخ اليهود عرضا جذابا مشربا بالعطف والمحابة في الجزء الثانى من هذه الترجمة التي أنشأها بالحديث (ص ٣٢١ وما بعدها) ، وفي اعتماد المؤلف الشديد على المؤرخ اليهودى يوسفوس ، وعرضه تاريخ اليهود من زوايا تثير العطف والإعجاب في كل مكان من الكتاب (١) ، وذلك في مقابل ما يصبه ول ديورانت من التهم البذيئة على شخصى محمد والمسيح الكريمين عليهما صلوات الله وسلامه في الجزئين الحادى عشر والثالث عشر من هذه الترجمة ، وفي مقابل تهكم لمرسون اللاذع وسخريته المرة بالمسيحية وبرجالها وطقوسها . ألا يذكرنا ذلك كله بالتهم البذيئة الموجهة إلى شخصى المسيح عليه السلام وأمه رضى الله عنها في التلمود الذى يقده اليهود أكثر من تقديمهم للتوراة ؟ ثم ألا يذكرنا كذلك بالمادة الخامسة من خطة الصهيونية السرية التي عرفت فيما بعد باسم (بروتوكول حكماء صهيون) حيث تتحدث عن (حكم الجماهير والأفراد عن طريق عبارات ونظريات وقواعد للحياة معدة لإعدادا ماهرا وعن طريق شتى أنواع الخدع والحيل) ، ثم تقول بعد قليل : (وبقدر ما نعلم فإن المجتمع الوحيد الذى يستطيع الوقوف في وجهنا في مضمار هذا العلم هو مجتمع اليسوعيين ، إلا أننا قد توصلنا إلى الخط من قدرهم في

[١] تراجع أمثلة لذلك في صفحات ١٣ ، ١٤ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٦ من الجزء

الحادى عشر [الجزء الثالث من المجلد الثالث] .

نظر الجاهل الحقاء بتوكيدنا لهم أنهم منظمة زائلة ، بينما وقفنا نحن وراء السكواليس وحرصنا على أن تبقى منظمتنا مستمرة خفية (١) .

بهدم إمرسون الدين والتدين من جذوره تحت ستار الدعوة إلى الحرية وإلى استقلال الشخصية . وأما ول ديورانت فهو بهدمه عن طريق تجريح الرسل الأطهار وإثارة الغبار حول سيرهم . على أن السكتين كليهما يشتركان في هدم النبوات وإنزال الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه إلى مرتبة الفلاسفة والكتّاب والمصاحين .

يستدرج إمرسون السذج من القراء وضعايف الإيمان بالثناء على موسى وعيسى عليهما السلام ، ولكنه يزعم لهم أن الدين يتجدد دائما ، وأن الأنبياء كانوا ولا يزالون . (ص ٦٩ ، ٧٠) . ولذلك فهو يسمي المسيحية التي أنزات على المسيح عليه السلام (المسيحية التاريخية - ص ٧١) ، ويعد فيما بعده من أخطائها أنها تهتم بشخص المسيح اهتماما مبالغا فيه ، وأنها تبالغ كذلك في الاهتمام بالطقوس دون جوهر الروح . ومن أجل ذلك صار الناس في زعمه (يتحدثون عن الوحي كأنه قد أوحى به وانتهى من عهد قديم ، كأن الله قد مات - ص ٧١ إلى ٧٤) . ولا يزال هذا الصهيوني الهدام يستدرج قارئه حتى ينتهي به إلى النتيجة الخطيرة التي يريد أن يسوقه إليها ، وهي هدم كل الديانات ، باعتبار الوحي ظاهرة مألوفة تتكرر في كل زمان ومكان ، وذلك حين يقول : (ومن واجبي أن أقول لكم إن الحاجة إلى إلهام جديد لم تكن في أى وقت من الأوقات أشد مما هي الآن - ص ٧٥) ، وحين يقول بعد ذلك : (إن جمود الدين ، والزعم أن عصر الإلهام قد ولى ، وأن الإنجيل قد استغلق ، والخوف من الخط من شخصية المسيح بمثابة صورة رجل ، كل ذلك يدل في وضوح كاف على خطأ علمنا بالدين . وواجب المعلم الصادق أن يرى أن الله كائن اليوم ، لا كان فيما مضى ، وأنه يتكلم لا تكلم

[٧] الترجمة العربية ص ٤٦ - ٤٧ من طبعة « كتب سياسية » - العدد الخامس . ويجب أن يتنبه المسلمون إلى أن الأساليب التي استخدمتها الصهيونية في هدم المسيحية ومحو سلطانها وسلطان رجال الكنيسة من قلوب المسيحيين هي نفسها التي تتخذها الصهيونية الآن لمحاربة الاسلام وإفساد دين ناشئهم وجهايرهم وإضعاف سلطان الاسلام على نفوس عاصمتهم . ويقوم هذا الأسلوب على السخرية بعلماء الدين وقصويرهم بصورة الجهلاء الجامدين تارة ، والمناقضين للمستغنيين لسلطان وظائفهم تارة أخرى ، وبإثارة المشاكل الوهمية حول قواعد الاسلام وأحكامه ليوهبوا ضحاياهم أنها لم تعد كافية لسد حاجات المجتمع الحديث .

وانتهى - ص ٨٣) . ما الفرق بين كلام هذا الرجل وبين كلام القسيس الأمريكي ميلر بروز في الكتاب الذي نشرته مؤسسة فرانكلين باسم « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » ؟ وما الفرق بينه وبين كلام القسيس الأمريكي الآخر هارولد سميث في ذلك الكتاب نفسه (ص ٤٧ ، ٧٤) ؟ ألا ترى أن واردات أمريكا تهدف جميعا إلى زعزعة إيمان الناس بدياناتهم ، وجعل المسلمين في هذه المنطقة مسلمين بأسمائهم وألقابهم وشهادات ميلادهم ، لا يزيدون عن ذلك ولا يتجاوزونه ؟ هذا هو الهدف الهدام الذي تخفيه أردية الكهنوت السوداء - وإمرسون أحد أصحاب هذه الأردية . فهو ينتهي إلى أسرة يحترف كثير من أفرادها الكهنوت ، وقد تخرج هو نفسه في مدرسة هارفارد الدينية سنة ١٨٢٩ ، وبدأ حياته راعيا لكنيسة كان أبوه يقوم بالوعظ فيها ، ثم طرده الكنيسة لما شاع إلحاده . وما ينبغي لهذه الأردية السوداء أن تخدع الناس عن حقيقة الذين يلبسونها . إنهم مدسوسون على القسس ، دستهم عليهم الصهيونية العالمية الهدامة .

ومن وجد في هذه الحقيقة شيئا من الغرابة فليقرأ الرسالة التي بعث بها كبير حاخامى اليهود في القسطنطينية إلى يهود فرنسا سنة ١٤٨٩ حين تعرضوا لاضطهاد لويس الثانى عشر . فقد قال لهم : (إنكم تذكرون أن ملك فرنسا يريد أن تصبحوا مسيحيين فعملكم إذن أن تفعلوا ... إنكم تذكرون أنهم يريدون الاستيلاء على ممتلكاتكم ، فاجعلوا من أبنائكم تجارا ، وبواسطة التهريب تستطيعون شيئا فشيئا الاستيلاء على ممتلكاتهم ، إنكم تشكون من أنهم يحاولون اغتيالكم ، فاجعلوا من أبنائكم أطباء وصيادلة ، حتى يتمكنوا من القضاء على حياتهم دون أن يخشوا عقابا . إنكم تؤكدون أنهم يهدمون معابدكم ، فحاولوا أن تجعلوا من أبنائكم كهنة ، ورجال دين ، لكي يدمروا كنائسهم الخ) [١] .

يقرن هذا الصهيونى الهدام رسالات الأنبياء في كل موضع من كتابه بآراء الفلاسفة والكتاب وبأصحاب المذاهب الضالة الفاسدة في بعض الأحيان - مثل ما جاء في صفحات ٨٤ ، ١٢٨ ، ١٥٧ - فهي في زعمه ليست منزلة من عند الله ، ولكنها نابعة من عقولهم بعد أن تحرروا من أسر الآراء السائدة في عصرهم . ولذلك فهو يحض على الاقتداء بهم - حسب تصويره المزعوم لهم - في الخروج على كل ما هو موقر ومقدس مما تقرره التقاليد وتقدسه الأديان . وذلك هو ما يسميه ذلك الهدام بالحرية وباستقلال الشخصية .

[١] راجع « عدو فرنسا رقم ١ » ص ١٣ - العدد ١٩ من سلسلة « كتب سياسية »

والحرية أو استقلال الشخصية التي يدعو إليها هذا الهدام هي حرية تقوم على الغلو المفرط في الفردية ، ويستطيع القارئ أن يلمس بوضوح في كل مقالات الكتاب أن وراء كل سطورها إسرافا في تقدير الفرد والفردية والحرية الشخصية في السلوك وفي التعبير عن الرأي ، ينتهي إلى أن يسمح كل إنسان لنفسه بأن يبني عالما مستقلا به من القيم لا يستوحى فيه غير خياله وأوهامه . مثل هذا الكلام لا يصدر إلا من هدام محترف ؛ لأنه يقتل الروح الجماعية التي هي أساس في كل تماسك اجتماعي ، والتي أدى فقدانها إلى ما يمانيه الناس الآن من فوضى واضطراب . فلو سمح لكل فرد من الناس أن يبني لنفسه عالما مستقلا من القيم لأصبحت مقاييس الخير والشر مقاييس فردية ، فلا يكون هناك شر هو عند كل الناس شر ، ولا يكون هناك خير هو عند كل الناس خير . وعندئذ لا يصبح هناك مجتمع ، ولا يكون هناك إلا الفوضى والحرب .

والأمثلة على هذه الدعوة الهدامة التي هي بمكان اللب من هذه المقالات التي ترجمتها الجامعة العربية بمشورة السفارة الأمريكية تملأ الكتاب ، أستطيع أن أقدم بعض نماذج منها على سبيل التوضيح لا الحصر .

وإلى اللقاء في الجزء الآتي إن شاء الله ما

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث

بجامعة الإسكندرية

هي من عند الله

قال المؤرخ البريطاني الشهير مسترولز :

« إن مجدا (صلى الله عليه وسلم) هو الذي استطاع في مدة وجيزة لا تزيد عن ربع قرن أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم ، وأن يقاب التاريخ رأسا على عقب ، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكنا لها ، واشتهرت بالشجاعة ، ورباطة الجأش ، والأخذ بالنار ، واتباع آثار آبائها ، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الأمة العربية على أمرها . فمن الذي يشك أن القوة الحارقة للعادة التي استطاع بها مجد أن يقهر خصومه هي من عند الله ؟ . . . »

المسئولية في الاسلام

— ٤ —

تحدثت في مقال سابق عن مسئولية النساء عن بيوت أزواجهن ، وذكرت أن من هذه المسئولية رعاية المرأة لمال زوجها وحسن تعهدها وعدم إسرافها فيه ، وكأني ببعض النساء يقلن : وماذا تفعل المرأة إذا ابتليت برجل شحيح يقتر عليها وعلى أولادها في النفقة ، أتمد يدها إلى الغير ، أم ماذا تصنع ؟ وإني أقول لهؤلاء : إن الشريعة السمحة ، قد جعلت لـكن مخرجا ، وهو أن تأخذ المرأة من مال زوجها المقتر بغير إذنه ما يكفيها وبنيها بالمعروف شرعا وعرفا بغير إسراف ولا تبذير . والأصل في هذا ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها : « أن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي ، ألا ما أخذت منه وهو لا يعلم . فقال : خذي ما يكفيك ووليك بالمعروف » .

ومسألة أخرى تهتم النساء اللاتي يصدرن في تصرفاتهن عن الدين والشريعة وهي : هل للمرأة أن تتصدق من طعام بيتها ومال زوجها أو تعير بعض متاعه بغير إذنه ؟ والجواب أن ما جرت العادة بتسامح الزوج في التصديق به وإعارته فلا ضير على الزوجة في التصديق به أو إعارته ، وذلك كالرغيف والإدام والقدر والملح والصحاف وما شابه ذلك ، بل هي مأجورة على ذلك ، ففي الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة فلها أجرها بما أنفقت ، وللزوج بما اكتسب ، وللخازن مثل ذلك » . وأما ما جرت العادة بعدم التسامح فيه ، فليس للزوجة أن تتصرف فيه إلا بإذن الزوج ورضاه ، وإلا كانت الزوجة بتصرفها متسببة في تعكير الحياة الزوجية الصافية .

ومن المسئوليات التي جعلها الله أمانة في أعناق النساء ، رعاية الأولاد وحسن القيام على تربيتهم تربية دينية ودينية صحيحة ليس فيها جناية على الدين ولا هدم للأخلاق ، والزوجة أفدر من الرجل بحكم ملازمتها الطويلة لبنيها - على حسن التوجيه ، فلتحرصن

أيتها النساء أن لا يرى منسكن الأولاد إلا كل حسن ، وأن لا يسمعوا إلا كل خير ، فتعففن عن الألفاظ النابية وتجنبن ما استطعتن النزاع أو الشجار مع الأزواج أمام الأولاد حتى لا يتطبعوا على هذا الخلق المشين من الصغر وينشأوا على هذا اللون المزرى من المعاملة .

وشئ آخر أحب أن أنبهك إليه أيتها المرأة المسلمة العاقلة ، وهو رعاية حقوق أهل الزوج وإكرامهم ولا سيما الحمة - أم الزوج - فلولاها - بعد الله - لما كان الزوج ، وبسبب عنايتها ورعايتها لزوجك تمتعت به وبأنعمه ، وقد أضحي الخلاف بين الزوجة والحمة من الأمراض الاجتماعية الخطيرة ، وطالما قوض أسرا وبيوتا ، وليس من خلق الإسلام وسماحته أن تستأثر الزوجة بزوجها دون أهله وذوى رحمه ، فلتفرضى نفسك حماة ، وعاملى حمائك بما تحبين أن تعاملى به أن لو كنت حماة .

مسئولية الخدم :

ومن المسئوليات التى تكفل بها الحديث الشريف مسئولية الخدام عن مال سيده وأهله وولده ، وسواء أكان الخادم ذكرا أم أنثى ، فعليه أن يراقب الله فى مال سيده ومخدومه فلا يخونه ولا يضيعه ولا يسرف فيما وكل إليه الإنفاق منه . ومثل مال السيد والمخدوم فى وجوب الحفاظ والرعاية ، أهله وولده بأن ينزلهم من نفسه منزلة محارمه فلا يمد إليهم طرفا ، ولا يكشف لهم مترا ، ولا يفشى لسيده ولا لهم سرا ، ولا يطرق لهم مبيتا بغير استئذان أوقات نومهم وراحتهم ، والخدام الأمين إذا أدى حق الله وحق سيده كان له أجران : أجر القيام بحقوق الله ، وأجر القيام بحقوق السيد .

وأهم الصفات التى يجب أن يتحلّى بها الخدام العفة والأمانة والصدق فى القول والإخلاص فى العمل ، وقد خدم السيد الجليل أنس بن مالك رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كذب ولا غش ولا خان ولا نكث بالعهد ولا أفشى لرسول الله ولا لأهل بيته سرا . روى مسلم فى صحيحه عن أنس قال : أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الصبيان ، فسلم علينا ، فبعثنى فى حاجته فأبطأت على أمى ، فلما جئت قالت : ما حبسك ؟ فقلت بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة . قالت ما حاجته ؟ قلت إنها سر قالت : لا تخبرن بسر رسول الله أحدا ، وعسى أن يكون فى هذه القصة عبرة وهظة لهؤلاء الذين يفشون أسرار البيوت والأسر ولا يراعون فى هذا إلا ولا ذمة .

ولعل مما يجب أن يعرف في هذا المقام أن الخادم إذا كان ذكرا وبلغ الحلم أو راق فلا يحل له أن يرى من زوجة سيده وبناته ألا ما يراه الأجنبي ممن ، فلا يرى غير الوجه والكفين والقدمين ، ولا يحل للزوجة وبناتها أن يظهرن له غير هذه الثلاثة . وكذلك لا يجوز للخدمة أن تظهر لخدموها أو لأولاده الذكور البالغين شيئا من محاسنها وجسمها غير هذه الثلاثة . وإلا وقعت فتنة في البيوت وفساد كبير مما ننزه القلم عن الخوض فيه ، وقد كفانا مؤنة الخوض في هذا ما تنشره بعض الصحف والمجلات من مهازل ومآسى في هذا المنزلق الخطير ، ولما لئرا بيت إسلامي أن تجرى فيه هذه المآسى في غفلة من الرجل أو الزوجة ، ونرجو أن يفتح راعي البيت ورأعيته عينيها لكل ما يجري في البيت ، وإلا عضنا بنان الندم حيث لا ينفع الندم . وبحسبنا هذه الإشارة ، ورب إشارة أبغ من عبارة .

حق الخادم على مخدمه :

وقد جعل الإسلام للخدمين على المخدمين حقوقا ، وأوصى بهم الرسول خيرا مما لم نعهده في تشريع من التشريعات حتى المستحدثة منها . وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إخوانكم خولكم - أي خدمكم - جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » . وقد ضرب رسول الله في هذا مثلا عاليا ، فقد كان يجالس الخادم ويؤاكله ويعينه على عمله ولا يكلفه ما يشق عليه . وهذا هو أنس يقول : « خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعله ؟ » ويوصى رسول الله الناس بالخدم وصاة مبنية على علم بالنفوس وخبرة بها فيقول : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليطعمه لقمة أو لقمتين ، فانه ولي علاجه » فلا تعجب إذا كان الكثيرون من الصحابة كانوا يطعمون مما يليكهم وخدمهم مما يأكلون ويلبسونهم مما يلبسون ، حتى لقد رأى أبو ذر رضي الله عنه عليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها . ولا تعجب أيضا إذا كان الخدم كانوا على غاية من العفة وكرم النفس والإخلاص ، وكنتم الأسرار والأمانة الفائقة وإن نظروا إلى السيد وأهله نظروهم إلى الوالد والأهل .

مسئوليات أخرى :

وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في هذا الحديث الكريم أربع مسئوليات فليس

ذلك على سبيل الاستقصاء ، وإنما هو من قبيل الاقتصار على ذكر أعظم المسئوليات وأولها بصلاح الأمم والأسر ، وليس أدل على هذا من أن النبي صلى الله عليه وسلم ختم الحديث بهذه الكلمة الجامعة : « ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . فالمعلم راع على من تحت يده من التلاميذ في تثقيفهم وتسلوهم ، تكوننا سليما صحيحا ، وإعدادهم لحمل الأمانة في غدهم ، وهو مسئول أمام الله وأمام ضميره وأمام الإمام الأكبر ، والزارع في مزرعته راع على ما تحت يده من عيال وزروع وضروع ، وهو مسئول عنها وعن إحسان التصرف فيها وأداء حقوق الله وحقوق الناس فيها . والصانع في مصنعه راع على من تحت يده من صناعات وصناعات وهو مسئول عنها أأتقن الصناعة أم زيفها ؟ وهل قام بما يجب عليه نحو وطنه من إعداد العدة للآعداء والاستعداد ليوم الجهاد والكفاح ؟ والتاجر راع على تجارته في حسن تصريفها والعمل على حفظها من التلف والقتل ومسئول عنها ، أصدق في القول وأدى الحقوق ووفى بالعهود أم كذب وغش وخان واكتسب الأموال من طرق الحرام ؟ فلم ينزه أمواله عن المعاملات الربوية ، ولم يطهر نفسه من الشره والطمع والجشع والاحتكار ، وهكذا دواليك حتى تأتي على كل الرعايات .

وبعد فاعلمك - يا أخى القارئ الكريم - آمنت معي أن هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، وأن الشريعة الإسلامية ليست عبادات فحسب ، وإنما هي لكل شؤون الدين والدنيا ، وأنها لم تدع شأنا من شؤون الحياة جليلها وصغيرها إلا نصت عليه أو نهت إليه ، وأننا - معاشر المسلمين - ما أوتينا إلا من جهة التفريط فيها وعدم العمل والحكم بها ، وصدق الرسول الكريم حيث يقول : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنتي » ما

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

اللغة العربية في النمسا

نظم المكتب الثقافي للجمهورية المتحدة في فيينا دروسا في تعليم اللغة العربية للنمساويين الراغبين في تعلمها . وقد قررت وزارة التربية والتعليم تيسير مهمة المكتب الثقافي العربي وتزويده بمجموعات كبيرة من الكتب اللازمة لهذه الدراسة .

عقائد اليوم الآخر

كما قررها الاسلام

كانت الأمم قد ضلت في عقائد اليوم الآخر ضلالا بعيدا ، وسلكت في ذلك مسلكين من مسالك الضلال والانحراف :

أحدهما : إنكار البعث والحساب والجزاء ، كما قال تعالى : « وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » . وهذا هو مسلك الأمم التي عتت عن أمر ربها ورسوله ، وقد تابهم على ذلك الإنكار كثير من مشركي العرب .

وثانيهما : بناء الجزاء الأخروي على الأمانى والأوهام ، لا على الإيمان الصادق والعمل الصالح ، وهذا هو مسلك الأمم التي كان عندها أصل الإيمان باليوم الآخر ، غير أن هذا الإيمان ذهبت بحقيقته جنائية التحريف والتبديل ، وطاحت بثمرته ظلمة الجهل وآفة الهوى ، فصارت قلوبهم أسود من الليل البهيم ، وأعمالهم أسوأ من الريح العقيم ، هكذا كان ضلال الأمم في عقائد البعث والجزاء ، وقد بقي هذا الضلال ذائعا بينهم ، حتى جاء الإسلام بهديه وإصلاحه ، فكشف عن الهوة العميقة التي تردى فيها المنكرون والمترابون ، والمجاهل السحيقة التي هوى إليها المخرفون والمبدلون ، وأعاد عقائد البعث والحساب والجزاء ، إلى حقائقها التي جاء بها النبيون من قبل ، ووضع معالمها بتقرير الأصول الآتية :

الأصل الأول : أن الحياة لا دوام لها ولا بقاء ، وأن عوالمها وأنظمتها مقضى عليها بالزوال والفناء ، وقد قرر القرآن هذا الأصل في آيات كثيرة ، تارة ببيان هذا القضاء المكتوب والمصير المحتوم ، كما في قوله تعالى : « ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو ، كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون » ، « كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » ، « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » .

وتارة يضرب الأمثال لحال الحياة الدنيا في اضمحلالها وزوالها ، وانتزاعها قوة واقتدارا من أيدي أهلها ، وقد اشتد طمعهم فيها وتعلقهم بها . واستحوذت عليهم بزهرتها وزينتها ، وحملهم الغرور على الظن بأنهم قادرون عليها ، كما في قوله تعالى : « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أنها أمرنا ليلا أو نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » . وتارة يتصور زلزلة الساعة التي هي من مقدمات القيامة الكبرى ، كما في قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » . فانظر كيف أظهر القرآن زلزلة القيامة في هذه الصورة الرهيبة المروعة ، التي تذهب بالفكر في مجال الترهيب والترويع كل مذهب ، وتأمل هول ما يفشى الناس في ذلك اليوم العصيب ، من فزع تذهل له كل مرضعه عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وذ هول يجعل الناس سكارى وما هم بسكارى من الشراب ، ولكن شدة الرعب والفزع ، ملكت عليهم حواسهم ومشاعرهم ، فسلبتهم قوة التعقل والتفكير ، وجعلتهم في ذهول عميق وشروء بعيد .

وتارة بيان ما يحدث عند صعق الخلائق وهمود الحياة ونمودها ، من خراب العالم وانفراط عقد النظام السكوني ، كما في قوله جل جلاله : « إذا السماء انفطرت ، وإذا السكاكبت انثرت ، وإذا البحار فجرت ، وإذا القبور بعثرت ، علمت نفس ما قدمت وأخرت » ، « إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت » ، « إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، إذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا » .

الأصل الثاني : أن فناء العالم سيعقبه بعث الموتى من قبورهم ، وحسابهم على أعمالهم وأقوالهم ، وجزاؤهم عليها في دار هي جنة أبدا أو نار أبدا ، وقد قرر القرآن هذا الأصل في آيات كثيرة .

فتحدث عن اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء ، وجمع بين الإيمان به والإيمان بالله في الترهيب والترغيب ، كقوله تعالى : « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم

الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليا » ، « ومن يكفر بالله ولائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » لأن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء ، من شأنه أنه يعصم النفوس من الزيغ والانحراف ، ويكبح جماحها عن الإفراط في متابعة الأهواء والشهوات ، ويحملها على فعل الحسنات واجتناب السيئات ، ويرغبها في التزود ليوم الحساب بالصالحات الباقيات ، وتحدث عن البعث وأنه واقع لا محالة ، وساعته آتية لا ريب فيها ، تارة بالأخبار المؤكدة بالقسم وغيره ، كقوله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا » ، قل بل وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ، وذلك على الله يسير » ، فهذا القسم القرآني العظيم ، لا يدع في الفطر السليمة مجالاً للريبة والشك ، فإن من طبيعة البشر أنهم يقدسون القسم ويكبرون من شأنه ، ويعتبرونه من أقوى دلائل الحق والصدق ، ويحلون المقسم عليه من أنفسهم محل الإذعان واليقين ، وعلى هذا النهج من مكانة القسم وقداسته في نفوس البشر ، جاء قول النابغة الذبياني أحد شعراء الجاهلية في قصيدته التي يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر .

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للسرء مذهب

وإذا كان القسم له هذه المنزلة من التقديس والتعظيم ، فكيف يكون شعور النفس بجلال المقسم ومبلغ دلالاته على الصدق ، إذا كان المقسم إنما هو الصادق الأمين ، والمقسم به هو الله رب العالمين ، والمقسم عليه هو الحق الذي بعث الله به النبيين والمرسلين ؟ .

وتارة بلغت عقول المخاطبين إلى ما بين أيديهم من دلائل البعث ، كقوله تعالى : « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ، فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، اسكيلا يعلم من بعد علم شيئا » ، وترى الأرض هامة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنتبت من كل زوج بهيج » فانظر كيف بين الله لهؤلاء المرتابين في البعث ، أنه تعالى خلقهم من تراب وذلك بخلق أصلهم وهو آدم أبو البشر ، ثم جعل خلقهم بعد ذلك من سلالته من ماء مهين وأجرى عليهم وهم في بطون أمهاتهم أطوارا مختلفة من الخلق والتكوين ، كما قال تعالى في آية أخرى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالته من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر

فتبارك الله أحسن الخالقين » ثم أجرى عليهم في تنشئتهم أطوارا مختلفة كذلك ، من طفولة غضة ، وشباب مكتمل ، وكهولة حكيمة ، وشيخوخة مخرفة ، ولقت بهذا البيان عقولهم وأفهامهم ، إلى أن الله الذى خلق من التراب إنسانا ناطقا ، ولذى أجرى عليهم هذه الأطوار فى خلقهم وتنشئتهم ، قادر بالبداية على إحيائهم وبعضهم من قبورهم ، فما البعث إلا طور يجرى عليهم ثانيا كما جرت عليهم هذه الأطوار أولا ، كما قال الله تعالى : فى سورة أخرى « أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » ، ثم نقلهم بعد ذلك إلى دليل آخر من دلائل البعث ، وهو أن الأرض تكون هامدة لا حياة ولا نمو فيها ، فإذا أنزل الله عليها الماء دت الحياة فى أوصالها ونمت عناصر النماء فى ذراتها ، وأنبتت من أصناف النبات ما يسر الناظرين ، فلهذا لذى أحيا الأرض بعد همودها وموتها ، وأخرج الزروع والأشجار بعد كونها فى أصولها ، قادر بالبداية على إحياء الموتى وبعضهم من قبورهم ، فما البعث إلا إحياء للعظام بعد همودها ، وإخراج للأشباح والصور بعد كونها .

ثم فنى سبحانه على هذه الأدلة بذكر الحقائق التى تضمنتها ، ورتبها عليها ترتيب اللوازم على ملزوماتها ، وجلاها للأفهام فى روعة الحق وجلال الصدق ، كالتمار التى أينعت وحن قطافها ، فتتلناها العقول الرشيدة بالقبول والتسليم ، وتمتد عليها القلوب السليمة عقد الإذعان واليقين ، فقال تعالى : « ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى ، وأنه على كل شىء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور » .

وتحدث عن الجزاء الأخرى فى آيات كثيرة ، فوصف الجنة ونعيمها ، وصور حياة السعداء فيها ، كقوله تعالى : « إن المتقين فى جنات ونعيم ، فأكفهم مما آتاهم ربهم ، ووقفهم ربهم عذاب الجحيم ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ، متكئين على سرر مصفوفة أزواجهم بموجب عين » . وقوله عز شأنه : « يدأوف عليهم ولدان مخلدن بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأشبال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون » . ووصف النار وعذابها ، وصور حياة الأشقياء فيها ، كقوله تعالى : « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الجحيم ، يصمرون به ما فى بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا

فيها ، وذوقوا عذاب الحريق » . « إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ، وإن استغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، بئس الشراب وساءت مرتفقا » .

الأصل الثالث : أن البعث والحساب والجزاء ، شؤون قضت بها الحكمة الإلهية والعدالة الربانية ، فإن من حكمة الله في أفعاله وعدله في قضائه ، أن الإنسان لم يخلق في هذه الحياة عبثا ، ولم يترك فيها سدى وهملا ، كما قال تعالى : « أفرأيتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق ، لا إله إلا هو رب العرش الكريم » ، « أيحسب الإنسان أن يترك سدى » . فهذه الحياة الدنيا بأطوارها وأجياها ، وخيرها وشرها ، ليست هي كل ما للوجود الإنساني من حكم وأسرار ، وهذه الأجيال التي يطويها كثر الغداة ومصرّ العشي ، ليست هي الغاية التي لأجلها خلق الله الإنسان ، وهذا الموت الذي تنتهي به الآجال والأعمار ، ليس نهاية أبدية يترك الإنسان بعدها سدى ، لا يبعث ولا يحاسب ، ولا يجزى بحسن باحسانه ، ولا مسيء بإساءته ، ولا يقتصر لمظلوم من ظالمه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، كما قال جل جلاله : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون » ، « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون » . وإنما خلق الله الإنسان ليكون خليفة في الأرض ، يعمرها إلى أجل مسمى ، ويحمل فيها أمانة التكليف والابتلاء ، وتجري عليه قوانين المسؤولية والجزاء ، وأعد له في معاده دار حساب وجزاء كما كانت الدنيا دار تكليف وابتلاء ، وقدر له كل من الخير والشر جزاء وفاقا ، يوفاه العامل على سنن العدل الإلهي ، يوم تعرض على الله الخلائق ، وتنكشف لهم فيه الحقائق ، يوم يقوم الروح والملائكة صفا صفا ، ويتجلى الله بالعظمة والجبروت ، وتعنو الوجوه للحق القيوم ، ولا شريك يوءئذ يخطر بالبال ، ولا غفلة تحجب العقول عن رب العزة والجلال : « يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ، لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار ، اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب » ٤٠ : ١٦ - ١٧ .

الأصل الرابع : أن حساب الخلائق يوم القيامة ، سيجرى بينهم على قواعد العدل الإلهي وترفية كل نفس ما عملت ، وقد قرر القرآن هذا الأصل في آيات كثيرة ، كما في قول الله عز وجل : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » ، « وأشرق الأرض بنور ربها ،

ووضع الكتاب ، وجرى بالنبيين والشهداء ، وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ، ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

الأصل الخامس : أن الجزاء الأخرى ، مبنى على عقيدة الإنسان ونيته وعمله ، وأن الناس سواسية في المسؤولية أمام الله تعالى ، لا على الأمانى والأحساب والأنساب ، فكل إنسان مسئول عن عمله ، ومجزى بما قدم من خير أو شر ، كما قال تعالى : « كل امرئ بما كسب رهين » ، « ليس بآمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجزيه ، ولا يجدر له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها » ، « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . ولا يغنى أحد عن أحد شيئا ، ولا يخايه من المسؤولية أمام الله حسب ولا نسب ، كما قال تعالى : « يأياها الناس اتقوا ربكم ، واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور » ، « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » ، « فإذا جاءت الصاخة ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ، « يا بنى هاشم لا يجيئنى الناس بأعمالهم وتجيئونى بالأنساب » ، « اعملى يا فاطمة ، فانى لا أغنى عنك من الله شيئا » .

بهذه الأصول الاعتقادية الجامعة ، وبهذه الأساليب القرآنية الرائعة ، التى تصل بروعتها إلى أعماق النفوس وشغاف القلوب ، فتعطف بها القلوب النافرة ، وتلين بها العريكة المستعصية ، وتنقاد لها النفوس الشاردة ، قرر القرآن عقائد البعث والحساب والجزاء ، وجلاها للأفهام بيضاء ناصعة ، وأبطل إنكار المنكرين وارتياح المرتابين ، ونفى عنها تحريف الغالين وتأويل الجاهلين ، وأقام الحجة البالغة على الناس أجمعين ما

بسم سو يلهم طه
المفتش بالأزهر

على هامش مؤتمر أكرا :

إفريقيــــــــــــــــا اليوم

بمناسبة انعقاد مؤتمر الدول الإفريقية في مدينة أكرا عاصمة غانه في الأسبوع الثالث من شهر أبريل سنة ١٩٥٨ لبحث الشؤون الخاصة بدول هذه القارة ، ومناصرة شعوبها المكافحة لاستخلاص حقوقها ، وتقرير مصيرها بنفسها ، والقضاء على الأعمال الوحشية التي يمثليها المستعمرون على مسرح الشعوب المستضعفة - أنقل إلى قراء مجلة الأزهر الغراء صورة تعبر عن رأى الغربيين في قارة إفريقيا ، ونظرتهم السياسية والاجتماعية إليها ، وفي الدور الخطير الذي تقوم به مصر والجامعة الأزهرية في سبيل تخليص هذه الشعوب من نير المستعمر .

فقد نشرت جريدة منبر الأمم Tribune des Nations التي تصدر أسبوعيا في باريس ، في عددها الصادر في ٢١ من مارس ١٩٥٨ مقالا للكاتب بيير كازيناف Pierre Cazenave علق فيه على الكتاب الذي ألفه الدكتور أوجولا Aujoulat عن الكنيسة الحية Eglise vivante وعقد فيه فصلا بعنوان « إفريقيا اليوم » تحدث فيه المؤلف عن بدء استغلال الأجانب لها ، وعن تجارة الرقيق والجرائم التي ارتكبتها الإنجليز الفرنسيون والهولنديون والأسبانيون والبرتغاليون في هذا السبيل لصالح أمريكا ، وذكر أن الاستعمار في طريقه إلى الزوال ، ونوه بما قام به الكاردينال لافيجري Lavigerie من جهود في إفريقيا . ثم تحدث عن التفرقة العنصرية خصوصا في الجنوب ، وذكر أن السكان الأصليين يعيشون في خارج المدن ، ويطبق عليهم نظام التفرقة في المكاتب والسيارات وقاعات الاجتماع والأماكن العامة ، بل وفي السكنائس أيضا ، ويفرض عليهم حمل جوازات مرور في داخل البلاد ، كما يحرم عليهم تكوين النقابات والتملك والشراء إلا في حدود ضيقة ، وليس لهم تمثيل سياسي مناسب ، ولا يسمح لطلابهم بالالتحاق بالجامعات إلا بصعوبات كثيرة .

وبين المؤلف أن الكنيسة لم تقض على هذه النزعة بل إن رسالتها قائمة على هذا الأساس ، مما يؤيد أن غرضها استعماري لا ديني ولا إنساني ، وأشاد بالإسلام في تقريره مبدأ المساواة بين الجميع ، الذى يتمثل فى اختلاط العرب بغيرهم من المواطنين فى شرق إفريقيا والسودان وغيرهما ، وتكلم عن معركة الأديان فى كسب إفريقيا ، وما يقوم به الغرب لعدم التمكن للشيوعية فى هذه البلاد .

وقال عن الإسلام ما ترجمته : —

« وفى مقابل ذلك يزداد نفوذ الإسلام فى إفريقيا شيئا فشيئا بدليل هذه الأرقام : ففى البلاد التى تحكمها فرنسا الآن يوجد المسلمون بالنسب الآتية ٩٩ ٪ من شعب موريتانيا ، ٧٩ ٪ فى السنغال ، ٧٠ ٪ فى غينيا ، ٧٢ ٪ فى النيجر ، ٦١ ٪ فى تشاد ، ٥٥ ٪ فى السودان ، ٢٠ ٪ فى ساحل العاج ، ١٧ ٪ فى الداهومى ، ١٩ ٪ فى الكرون ، ٥ ٪ فى توجو ، ٣ ٪ فى أوبانجي ، ٥ ٪ فى جابون والكونغو . ويمثل المسلمون حينئذ أكثر من ١٣ مليوناً من مجموع سكان المناطق الفرنسية وعددهم ٢٥ مليوناً . »

وتحدث Aujaoulat عن أثر مصر والأزهر فى إفريقيا فقال : —

« إن هناك شعورا من الثورة والحماس يستولى على إفريقيا فى السنوات الأخيرة بتأثير القاهرة التى تعتبر مركز إشعاع ، وقد ضاعفت مصر جهودها لتربط بين المسلمين السود وبين بقية المسلمين فى إفريقيا والشرق ، وأصبحت مركزا فكريا وروحيا يفيد منه كل جزء فى المناطق السوداء بفضل العشرات والمئات من الطلاب السود الذين يقدون إلى الجامعة الأزهرية ، كما أن قضية السويس قد تأثر لها كثير من السود حتى المسيحيين منهم ، وجعلوا منها بشير أمل فى العود إلى حياة التحرر والاستقلال ، وكان القرار الذى اتخذته عبد الناصر للجهاد والكفاح ضد العدو نصرا له ولجميع القارة الإفريقية ، وهذا عمل ضخم يصدر عن القاهرة ، ويعتمد على كثير من بلاد إفريقيا الغربية ، وساحل الذهب ونيجيريا يمكنهما بعد زمن وجيز أن يكونا منطقتى نفوذ كامل للقاهرة . »

وحكومة ساحل الذهب ستقوم فيها جامعة عربية بمدينة أكرال التى عقد بها مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة ، وقد اعترفت بإنشاء عدد من المدارس العربية فى عاصمة غانا وفى داخل البلاد . والأزهر يخرج الآن كثيرا من المدرسين ، وتنفق مصر بسخاء بالغ على الطلاب الذين هم فى حاجة إلى إتمام دراساتهم . »

وينتخم المؤلف حديثه بقوله « إن بعض المراقبين المهتمين بالشئون الإسلامية يحذرون من التيارات السياسية التي تتلقى أوامرها من الشرق الأدنى ، وتنتقل من مكان إلى آخر باسم التضامن الإسلامى ، والمعارضة القوية القائمة فى شمالى نيجيريا التى يسكنها ١٢ مليوناً من المسلمين ، ضد الوحدة الحقيقية الكاملة لنيجيريا تحمل فى طياتها الأدلة الواضحة من وراء الحدود .

ولكنهم يتساءلون فيقولون : إن الإسلام الذى نخشاه الآن ، والذى يزيده قوة وحاسا حوادث الجزائر وتوجهات القاهرة ودمشق ، لا يبعث من جديد روح الكفاح التى حمل لواءها فى السنوات المائة الأخيرة أمثال الحاج عمر وعبد الأمين وسامورى ، وإن تأشيرات المرور التى يعطيها زعيم حزب الاستقلال علال الفاسى للشباب المراكشى ، الذى يتقبلها بغبطة وحماس ، كتصريح باستعمال حقهم فى اختراق حدود مراكش إلى سان لويس بالسنگال تسجل ضمن هذه القرائن والأمارات .

ثم يعلق الكاتب على كلام المؤلف فيستبعد أن تفلت إفريقيا من قبضة الغربيين ، وذلك لوجود مستعمراتهم وموظفيهم وتعليقهم الفنى بها ، ولأنه يعود فينبه إلى خطر الدور الذى تقوم به الإرساليات والمسيحيون ، ويدعو إلى تقوية نفوذهم ، وإلا كانت الفرصة سانحة لأن يصبح هؤلاء مسلمين ، ويكونوا أداة طيعة فى يد عبد الناصر ، يستخدمها لصالحه فى هذه الأيام .

وبعد : إذا كان الغربيون يدعون إلى تقوية مراكزهم فى إفريقيا ، عن طريق الإرساليات التى انتشرت فى كل بقعة من القارة ، وعاش رجالها البيض فى المناطق الحارة والأجواء القاسية ، من أجل التمكن لسلطان الغرب فى هذه الأراضى الغنية بخيراتها ومواردها الطبيعية ، والمتميزة بوضعها الجغرافى والاستراتيجى ، فأننا نهيىب بجميع المسلمين وكل ما يهمهم الأمر فى مصر وغيرها أن يضاعفوا جهودهم لكسب رأى العام الإفريقى ، وضمان صلته بالإسلام والشرق مصدرى الحرية الحقيقية ، والرغبة الأكيدة فى نشر ألوية السلام فى العالم .

ويقين أن شيئا من السخاء فى الإكثار من البعث الإسلامية ، وإنشاء المراكز الثقافية ، وإعداد المبعوثين ونزويدهم تزويدا كاملا بالإمكانات التى تساعدهم على أداء

رسالتهم على الوجه المرضى - يقينى أن ذلك أجدى وأنفع للقضية الإسلامية والعربية من كثير من الأعمال التى تنفق عليها الأموال الطائلة ، وليس لها هذا الطابع الروحى الذى يسهل بالعناية به قيادة الشعوب إلى الهدف الذى تريد ويسهل تخليصها من أسر الاستعباد الذى ظلت ترسف فى قيوده سنين طويلة .

وجدير بالذكر أن الأزهريين بإيمانهم العميق بهذا الواجب ، ورغبتهم الأكيدة فى خدمة الشعوب المستضعفة عن طريق الدين والمثل العليا - على استعداد تام للاضطلاع بهذه المهمة النبيلة إذا هيئت لهم السبل ، وزودوا بما يشجعهم على ارتياد هذه المناطق التى تتطلب نوعا خاصا من العمل ، يمكن أن يلفت إليهم أنظار من يسهل لعابهم على ما يزود به المبشرون من وسائل الدعاية ما

عليه صفر

المدير الصحفى لمكتب شيخ الجامع الأزهر

خطبة عيد الفطر

(ملخص خطبة العيد التى ألقاها فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر ورائد جمعيات الشبان المسلمين بمسجد الإمام الحسين ، وحضرها السيد رئيس الجمهورية وأذيعت بالراديو) :

تحدث فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى فى خطبته ، عن فرحة العيد ، وأنها فرحة عامة جامعة شاملة لكل أبناء الإسلام فى شتى بقاع الأرض ، ثم أشار إلى أن الأعياد يجب تنزيهاها عن تجديد الأحران الشخصية والأشجان الفردية ، كما ذكر فضيلته أن هذا العيد يأتى بعد انتهاء رمضان الذى جاهد كل فرد فيه بما تيسر له من خير وبر ، فمن حق الأمة أن تفرح بذلك ، وأن هذا العيد هو أول عيد يأتى بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وفى أعقاب ذكرى عزيزة غالية ، هى ذكرى جلاء الغاصبين عن قطعة كريمة من صميم الجمهورية العربية المتحدة وهى القطر الشمالى منها والإقليم السورى فيها ، فمن حق الأمة أن تفرح بذلك . كما أبان ألوان الفرح الكريمة ، وألوان الفرح المرذولة

وتحدث الأستاذ الشرباصى فى الخطبة الثانية عن ثورة الجزائر ودعا الله بأن يؤيدها ويعضدها ، وأن يرد على العرب والمسلمين فلسطين ، ودعا الله بأن يثبت دعائم الجمهورية العربية المتحدة ، وأن يقيم بنيانها على التقوى والحق والعدل والعمل الصالح ، وأن يجعلها طليعة مباركة لوحدة عربية شاملة وأخوة إسلامية عامة .

حول مؤامرات المبشرين بجنوب السودان

نشرت بعض الصحف ووكالات الأنباء في هذه الأيام أن حكومة السودان تعزم اتخاذ تدابير حاسمة لإزاء ما يقوم به المبشرون في الجنوب مما لا يتفق ووحدة البلاد وتعاون أهلها ، وإنى أريد أن أسلط قليلا من الضوء على هذه المسألة تنويرا للأذهان وكشفنا لبعض الحقائق إذ لى بها شيء من الإلمام منذ أوفدتنى مشيخة الأزهر رئيسا لبعثاتها الثقافية فى ذلك القطر الشقيق [١] . فكان لى فيه - بحكم عملى - جولات أتصل فيها بالمبعوثين . وأدرس حالة الأهلىن لمعرفة ما هم عليه . وماذا يتجهون إليه ؟ . ولذا أضع تحت أنظار القراء الكرام ملخصا لها فى غير إطالة .

من المعلوم أن أهم سلاح فى يد الاستعمار بين هو التفريق بين السكان بأية وسيلة سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين . وهم - فى خاصة أنفسهم - لا يدينون إلا بأن الغاية تبرر الوسيلة . وما للمسيحية عندهم من حساب ، وما لتعاليمها الرحيمة لديهم من قيمة . فهم إن حلوا بالهند انحازوا إلى المسلمين ! وإن زحفوا على البين ساعدوا مذهبا على آخر ! وإن نزلوا بقبرص طلفوا دين المسيح ، وهكذا . . . وهذا ما كان منهم فى السودان منذ أن وطئوا أرضه الطيبة . رأوا أهله عربا مسلمين على الفطرة البدائية . فأسفقتهم طبيعتهم الفاسدة ونواياهم الخبيثة فأطلقوا العنان للمبشرين من كل جنس يجانب الإسلام . مستغلين سذاجة الأهلىن وفقرهم وضعف الحكومات المصرية واستخذاءها ثم أغاموا عليهم منافذ الجنوب إلا عن الإعانات والإمدادات التى ترد من الخارج إلى تلك الهيئات . وزادت من جانبها اعتمادات سنوية من خزانة حكومة السودان بلغت نسبتها ستة وتسعين فى المائة من مجموع ما يتفق عليها . وهى لا تقل عن خمسمائة جمعية لها فروعها المنتشرة فى نواحى الجنوب . يعيش القوامون عليها فى مجبوحة من العيش فى الغابات وغيرها . ولديهم من وسائل التبريد والتدفئة والمواصلات البرية والنهرية والجوية ما لا يوجد إلا فى الجيوش الجارية ، أو حواضر المدن الكبرى . وهم على أنفسهم ومتاعهم آمنون مطمئنون تحت حراسة الجند الساهرة وفى رعاية الحكام المستعمرين ، وبذلك

« خلقوا » جيلا جديدا مثقفا بثقافة اختاروها له ، جعلته متعصبا يخالف دينه الإسلام - دين المواطنين الأصليين - ناهيك بما يحمل في قلوب أبنائه . فرادى وجماعات . من ضغائن وأحقاد دست في كل ما قدم إلى أولئك المساكين من غذاء ثقافي يكاد يقطع صلاتهم باخوانهم الشماليين .

ومن العجب ألا يابه الانكليز اننفوذ بعض تلك الطوائف في دوائرها ما دامت تؤدي تلك الرسالة الخبيثة الانفصالية ، كما كان شأن الكنيسة الإيطالية في مدينة (واو) عاصمة مديرية بحر الغزال ذات النفوذ الواسع والسلطان الجبار ، والتي لا يقوى المسلمون في جانبها على الجهر بدينهم أو بناء معبد محترم لصلواتهم ، حتى لكأنها في قطعة من (الفاتيكان) بروما ، وكأنه لا صلة للانكليز بها ، فهم لا يتدخلون في شأنها ، ولا يحدون من سلطانها ، في الوقت الذي لا يسمحون فيه لشمالى بشكوى أو إبداء رأى ، اللهم إلا إذا كان من أذناهم ومن يسبحون بحمدهم .

ومن المألوف أن ترى الأطفال في حوزة المبشرين كأن لا صلة لهم بأهل أو أقارب . ولقد هالني حين دخلت كنيسة الرجاف ، وهي في حديقة فسيحة غناء وشرفة على النيل قرب الحدود الأوغندية ، أن رأيت كثيرا من أولئك الصغار يفتقون ويتلاقون مع القسيس تحت ظلال الأشجار كأنهم من الثمر المتساقط من أغصانها . فهم مدد متجدد تحت أيدي صنائع الاستعمار ورسله . ومما شاهدته في تلك الكنيسة طائفة من النساء والبنات العاريات ، تلقن الترانيم نصف عمية منهن بلهجتهن المتوطنة على حين تعدلن الطعام فناة مراقة تؤدي عملها عارية كما ولدتها أمها ، وحين تقدمت لأنظر ما تصنع وثبت بعيدا كأنها هرة في خفتها ونظراتها ، ولم تزل كذلك حتى فارقت مكانها . وقد أدركت أن ذلك الجفول أثر لما يبت في عقول الجميع من تعاليم السوء ، التي أسلفت الإشارة إليها بنخلق جيل منعزل يخشى كل ما فيه رائحة الشماليين .

لاحظت ذلك في زيارة للجنوب - مع كثير غيره - فأيقنت تماما أن المسألة ليست مسألة دين في ذاتها ، وإنما وراء ذلك من الأهداف ما وراه - وكما أسلفت - ليس للاستعمار دين غير غايته وإن كفر لديها بدين قومه ، ولنا في مساعدة اليهود من جانب المسيحية عبرة على ما بين العقيدتين من تضاد . بل من عداوة تاريخية متوارثة ، لو كانت في صعيد مصر ما بقي فيه كائن حي ، وعلى من تلك المساعدة ؟ على من يقول دينهم : إن أهل المسيحية أقرب الناس مودة إليهم ! ! . ولذا عمدت عند عودتي إلى الشمال إلى الاتصال بالسادات زعماء الاتحاديين - وكان منتظرا أن يلوا الحكم فيما بعد - وقد تم ذلك

بمعرفة الأستاذ الكبير الشيخ عمر إسحق مفتش المعارف السودانية العام ومن كبار السادة الختمية ، وبمنزله [١] وأذكر من حضر السادة : إسماعيل الأزهرى ، وخلف الله مرغنى ، ومجد نور الدين ، والدرديرى عثمان ، فحدثهم عما شاهدته فى الجنوب . وبينت لهم أنى - وإن لم أكن رجل سياسة - أضع تحت أنظارهم ما وصل إاليه تفكيرى وما استنتجته من رحلتى . وهو أن الجنوب بحالته هذه سيكون نقطة الضعف التى يستغلها المستعمرون فى إثارة الفتن والفتن والقتل ، بل طلب الانفصال عن الشمال ، وحينئذ يكون لصوته صدى يتردد فى الأوساط العالمية رسمية وغير رسمية ، لما له من صلات روحية وعمالية تجعله موطن العطف والرعاية منها مهما كانت الظروف . ويومئذ تكون الطامة . أضف إلى ذلك أنه سيحكم داخليا بأولئك الذين رباهم الاستعمار فى أحضانه مدة طويلة ؛ بما أنه لا يوجد من مواطنيهم متعلمون سواهم ، يشاركونهم الأمر ويحدثون التوازن . وبذا سيكون منهم النواب والشيوخ وبقية الهيئات العاملة التى تكون بطبيعتها كتلة واحدة متجانسة يسهل التأثير عليها من الداخل والخارج ، لا سيما فى المواقف التاريخية الحاسمة ، وبذا يكون الجنوب هنا فى موضع يقابل إسرائيل هناك .

وإنى أرى درءا لتلك الأخطار ، وتقصيرا لأمد تلك المخاوف . أن تقوموا من جانبكم بمثل ما قام به المبشرون من إقامة منشآت يأوى إليها أولئك العربا ، فيجدون الطعام والكساء والثقافة الوطنية البريئة التى « تخلق » منهم مواطنين صالحين متعجيين . يعرفون حقوق البلاد عليهم ، ويؤدون واجبهم فى جانب غيرهم وليس يكفينا مجرد نشر عقيدة الإسلام فى ربوعهم ، فذلك - وإن أفاد الفرد فى خاصة نفسه - لا يمنع من أن تتحكم أقلية متمصبة فى أكثرية من البسطاء لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا كما هو الشأن فى الحبشة ! ضموا هذا فى برامجكم ، ولا تغفلوا عنه فله من الأهمية عندى - ما له . وقد كان هذا قبل أن يل إخواننا الحكم وقبيل الانتخابات - على ما أذكر - وقد صادف ذلك حضور أحد وزراء الخارجية المصرية السابقين بعد عدة أيام . وقد منع من دخول الجنوب ، فقابلنى وطلب إلى شرح ما رأيت هناك ، فقصصت عليه القصص فأقرنى على رأيى وطلب إلى الاتصال به عند عودتى إلى القاهرة ليساعدنى لدى المسئولين فى الأزهر . وقد كنت كتبت إليهم بذلك فى تقريراتى الخاصة فأبنت لهم الناحية العمالية المنتجة التى تؤدى إلى الغايتين . الدينية والسياسية . دون اعتماد على الوعظ والتدريس فحسب ، بواسطة البعثات التى تعد لذلك على ما لها من فائدة لا تنكر .

[١] فى يوم الخميس ١٩ جادى الآخرة سنة ١٣٧٢ هـ - ٥ مارس سنة ١٩٥٣ .

وقد اتصلت في هذا الموضوع كثيرا بفضيلة الأستاذ الوزير الشيخ على عبد الرحمن ، فكننا متفقين في الوسيلة والهدف ، ولدى إدارة البحوث والبعوث في الأزهر تقرر باتخاذ خاصة بالاتفاق مع هيئة الإصلاح والتبشير الإسلامى بالجنوب التى يرأسها فضيلة الأستاذ الشيخ الأمين القرشى ، عن استعداد تلك الهيئة لإقامة تلك المنشآت - تدريجيا - بمعرفتها تحت رقابة محاسب من جانب الأزهر متى أمدها بالمال - إن وافق المسئولون فيه على ذلك - بدلا من إيفاد البعثات الجائرة في جهات لا تعرف لغات أهلها ، أو المستقرة في أما كن محدودة بعيدة عن الميدان العمل المطلوب ، وما ينفق على هؤلاء سنويا يؤدي مهمة الإنشاء والإيواء .

ولقد حضر السيد الداعية المذكور إلى القاهرة بعد عودتي إليها ، واجتمع في دار الشبان المسلمين بكنائس من العلماء وبعض الوزراء ، والمعنيين بالشئون الدينية والوطنية ، وكنا متفقين معا في الرأي الذى شرحتة للحاضرين ، ولكن الحوادث بعد ذلك حالت دون ما في النفوس من آمال .

هذا ما أردت إلقاء قبس من النور عليه إزاء ما جارت به حكومة السودان من شكوى صارخة من فن المبشرين ، وتآمرهم على مصلحة البلاد - بعد أن استوت شروهم على عرش الجنوب ، لنزداد علما بأن الأمر لم يك خافيا على مصر والمصريين ، وأنا أوتينا العلم من قبلها وكنا مخلصين .

وبعد : فلعل الأستاذ عبد الله خليل - في موقفه هذا - من المبشرين ، يذكر ثورته الجارحة على مبعوث الأزهر بدار السيد المهدي بالخرطوم [١] وقد قابله بكل هدوء حتى انتزع منه يده للبايعاة على العمل معا بالجنوب .

ليته يذكر ذلك فيعلم أننا كنا - على الأقل - نحاول أن نمهد الطريق لحكومة سودانية لا تشكو من مكائد المبشرين !!!

ومع ذلك فاني أهدي إليه هذه الكلمة ليحرب العمل بما فيها ، ولديه من الإمكانيات ما يساعده على ذلك وإنى له - كما كنت دائما - من الناصحين المخلصين .

والسلام على من اتبع الهدى

على السير جعفر

مفتش الوعظ بالقاهرة

السلطان الدينية والزمنية

كما يراهما الاسلام

ليس في الإسلام سلطتان تتنازعان العقائد والقلوب وشئون الدنيا كما هو الشأن عند غير المسلمين ، وإنما هي سلطة واحدة ذات ناحيتين إحداها دينية والأخرى دنيوية .
فن الناحية الأولى تنظم علاقة الإنسان بخالقه في معاملاته وعباداته الظاهرة والباطنة .
ومن الناحية الدنيوية تنظم علاقة الإنسان بالإنسان ، وترسم لتلك العلاقة حدوداً في المعاملات بشئى ملاساتها ، وتتألف هذه السلطة من ثلاث سلطات : التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية .

وبدهى أن الإسلام دين روى زمنى ينتظم فى أبلغ أوضاعه عملى الدنيا والآخرة ، فهو بطبيعة وجوده مصدر يصل بين حياتى المعاش والمعاد ، ويكل إلى المظلمين بأعباء الحكم أن يستمدوا قوانينه ومبادئه من مستقر جميع الأصول الكاملة ، وهو القرآن المنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم .

فلو أغفل الإسلام الناحية الروحية لكان مزيجاً من أخلاق متدافعة وعادات متناقضة ، ولكان قصارى جهده معتنقيه أن يخضعوا لنوايس هذا المجتمع فى عله أوصابه وتدافع أسبابه ، وأن تكون الغلبة فيهم للقوى العاقى وأن توجد الفروق بين الطبقات والأسر . من أجل ذلك امتزجت الناحية الدنيوية فى الإسلام بالناحية الدينية فى نظام الحكومة ، على معنى أن نظام الحكومة كان مستهدياً فى جميع أدواره بنور الإسلام .

حمل الإسلام فيما حمل من أسمى المبادئ مبدأ الشورى لتكون أساس الحكومة الصالحة ، ودعامة تتلاقى عند سائر الرغبات والأمانى ، لأن الشورى فى أبسط أحكامها خير من رأى الفرد ، فهى وليدة آراء مستخلصة من قوى الجماعة لا يراد بها غير إسعاد المجموع وإشعاره بمبدأ العدالة والحرية والمساواة ، حتى يظل آمناً فى سربه حصيناً فى أغراضه ومصرايمه . وإن لم تكن الشورى القائمة بيننا فى الشرق هى التى تعينها مبادئ

الإسلام ، فالشورى التي تعنيها مبادئ الإسلام هي المستخلصة من قوة الجماعة كما قلنا ليس فيها إثارة من تشجيع لهُوى أو أخذ بنخيزة أو إصغاء إلى ضغن في سائر مرافق الدولة .

فالناحية لدنيوية ترسم شكل الحكومة ومقاصدها المختلفة وتؤسس الأنظمة المتنوعة للأفراد والأسر والجماعات والقبائل والأمم ، وتضع أحكام الحرب والسلم وسياسة القضاء والإدارة ونوايس الاجتماع ، ثم هي تنساب بعد إلى الأحوال الشخصية المتعلقة بذات الإنسان ، فتدنى علاقة زوجية صالحة بين الرجل والمرأة وترتب عليها حقوقا قبل المرأة . وحقوقا قبل الرجل ، ثم تتناول أحكام الإرث فتوزع الأنصبة من تركة الميت على ذويها توزيعا فائما على أدق أنواع الرعاية وأحكم مراميهما ، ثم تتعهد الحاكين بالصايا الجامعة حتى لا يندوا عن شريعة الحق ولا تصغى قلوبهم إلى شوائب الهوى ، ثم تهيب بالمحكومين إلى السمع والطاعة فيما أمر الله . وبهذا التآند بين الهيئتين ينظم الأمة والحكومة عدل قائم على الإخلاص المتبادل ، وتسودهما روح طيبة في مرافق البلاد وحيويتها .

لقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية (الدنيوية) ، فأقام بهاتين السلطتين خبر حكومة من حكومات الأرض في تاريخ البشرية ، وأسس للإنسانية العامة أفضل المنهج في الحكم حتى فاضت القلوب باليقين الراسخ والطمأنينة الشاملة . ولا أدل على ذلك من أقوال الرسول وأعماله وما يأتي به الملك النازل من آيات منجمة بحسب الوقائع ، سواء أكان ذلك متعلقا بأمر من أمور المعاش أو المعاد ، إذا استثنينا بعض مسائل تقليدية ثابتة لا يتصل وجودها بقانون الحكومة أو الاجتماع . ثم درج من بعده خلفه وه رضوان الله عليهم أجمعين على قدمه ، فكانوا نعم الخلف لنعم السلف - وناهيك بممر الفاروق الذي كثرت على يديه الفتوحات الإسلامية مؤسسه على الكتاب والسنة والحنيفية البيضاء وهدى الرسول الأعظم ، فاستدام بذلك الناموس السماوى أصلح الطرائق في أنواع الحكم وأهدى السبل في إسعاد الأفراد والجماعات والأمم .

إن الشريعة الإسلامية السماوية هي شريعة الخلود والبقاء ؛ لأنها جمعت بين حلقات الزمن من دار حاضر ، فوضعت لكل عصر وجيل أحكامه وطرائقه فكانت شريعة الإسلام خير الشرائع .

وغنى عن البيان بعد هذا التقرير أن الذين يقولون بفصل الدين عن السياسة قد جهلوا حقائق الإسلام ، أو على الأقل تجاهلوا نظام الحكم فيه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد خلفائه من بعده ، أولئك الغر الميامين الأطهار ، الذين حكموا دينهم في الدولة فسادوا حتى بلغوا القمم ، لأنهم قضوا بهذه السياسة العالية أوطار الأفراد والجماعات وحققوا لهم كل رغبة صالحة ثم اجتاحتها لوثة الوثنية ، ومستجن العادات في عهود الجاهلية .

ولعل النمط الذى جرى عليه توزيع الزكاة وإقامة الولاية في الدولة ، ورسم الحدود ووضع الخطط التى ينتهجونها فى أمثل حكومة عادلة ، بواسطة براجم تكشف لهم حقيقة حكم الشعوب الداخلة فى نطاق الإسلام ، وأخذهم بالرفق والهوادة فى موضعها ، وتيسير الأمور عليهم حين يضيق عنهم التيسير ، ومعاملة الولاية للذميين والمعاهدين والمحاربين ، والمدى الذى توزع به السلطات بين شئون الرعية ، آية الآيات على أن الإسلام فى حقيقته ومصرماه دين يقوم على أهدى السبل ، وأعدل المناهج التى فاقت جميع أنواع السياسات فى الأهم .

فالمستخلص إذا من أدوار التاريخ القديم منه والحديث ، أن حكومة الشورى فى كل بلد هى الحياة الفاضلة المسيرة لرغبات الشعوب المحققة لأمانها . وقد ظلت هذه الفكرة معتقدا من المعتقدات الشائعة بين أمم الغرب بنوع خاص إلى ما قبل نهاية القرن التاسع عشر ، ومن ذلك التاريخ نجت فكرة أخرى مقابلة تنادى بالأضرار الناجمة عن الحياة النيابية ، والشروع المنبعثة عنها ، وكيف أنها تنظم الظلم وتلبسه ثوبا قشيبا من العدل ، وتخلع عليه مسوح الحياة النيابية ، على حين أن الأوضاع السليمة اللائم كفرت بهذه المبادئ بعد تجلى فشلها وإخفاقها .

منذ أربعين عاما أو تزيد هبط إلى مصر روزفلت الأول فبدأ له وهو فى مصر أن يحاضر فى الآراء الدستورية مستمدا محاضراته من آراء فقهاء الدستور فى الغرب ، فأبان أن الحياة الدستورية أضحت ذاتا غير صالحة ؛ لأنها تقوم على سياسة الأحزاب وصاحب الغالبية فيها هو الذى يتولى زمام الحكم ، فيوجهها توجيها حزبيا فى أكثر صورها ، وبذلك يقضى على خصومه فى المعارضة ، فيضطرب حبل النظام الدستورى فى البلاد المشكوبة بالدستور إلى آخر ما جاء فى محاضراته .

ومن نافلة القول أن بعض الأحزاب في مصر عبثت بأحكام الدستور في فترات مقطعة ، جاءت فيها حكومات متعاقبة اضطنعت الأكرية البرلمانية ، ففازت على خصوصها ولزم عن ذلك فساد الحياة النيابية .

واليوم يمارس الشعب حياة نيابية يرجى لها في مستقبل الأيام أن تكون ذات نمط سام رفيع ، ولأننا كموطنين نرجو مخاضين - بعد أن تمت الوحدة التي هي اندماج ومزج بين قطرين عربيين مسلمين شقيقين - أن تكون في مستقبل الأيام القرية جدا حياة نيابية مثمرة مزهرة .

وبقينا أن مطلع الفجر الصادق وشيك الانبثاق ، فلا بد أن تخرج المدرة من بين حب الحصيد ، ولا بد أن تنفجر لمة الظلام عن جبين الصباح :

وكل ليل وراء أستاره صبح وضوء النور لم يكذب

عباس طه
المحامي

الرئيس جمال في طاشقند

نحرجت مدينة طاشقند كلها لتحية الرئيس جمال عبد الناصر عند زيارته لها ، وكانوا يحيمونه باللغة العربية لغة دينهم الإسلام . وطاشقند أخت سمرقند وبخارى التي أنجبت طائفة من عظماء وعلماء الإسلام . وطاشقند عاصمة جمهورية بلاد الأzbek وأكبر مدينة في آسيا الوسطى ، ويبلغ تعداد سكانها قرابة ٨٠٠ ألف نسمة ، وتقع في واحة واسعة مزدهرة تروى مياه نهر چرچك ، وتقع عند تقاطع طرق تاريخية مهمة ، والمدينة نفسها من أقدم مدن آسيا الوسطى . وهي الآن مركز صناعي وثقافي ، وفيها أكاديمية أزبكستان للعلوم ، كما أن فيها جامعة ، ومعاهد علمية ومتاحف ومكاتب . وعند استقبالهم الرئيس جمال عبد الناصر تمثلوا في شخصه زعامة مصر الإسلامية المحبوبة .

رسالة الأزهري

- ٢ -

للأزهري عند تفصيل القول رسائل لا رسالة . أبدأ منها بالرسالة الخلقية . وعندى أن التحدث عن الخلق أولى بالتقديم من التحدث عن بقية لرسالات .

رسالة الأزهري الخلقية

« أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار ؟ - » . . فعلام أسس الأزهري روحانية وخلقاً . وماذا أفاد هذا التأسيس الصلاح والتقوى ، والزمان والمكان ، والقوميات والأهليات ؟ .

حقاً : كل إناء ينضح بما فيه : وهذا الدين الإسلامى الذى هو المادة الأولى للدراسة منذ كان الأزهري أزهرها . ومنذ حمل الرسائل جميعاً بعد بغداد فقرطبة ، ومنذ وراث قومه وأمله ميراث أمثال حجة الإسلام الغزالي ، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية هذا الدين هو الذى سميت مدارسته وتعرف أسرارته بنفوس أهل الأزهري إلى أبعد الآفاق الخلقية . وقد نضح عليهم بيمض ما فيه من بركات . فطوراهم الاتقياء العباد ، وطوراهم الوعاظ والمرشدون ، وطوراهم قادة القومية المصرية وزعمائها - وإذا كان الصوفية الاعلون قد وصلوا إلى معرفة الله بالمجاهدة النفسية الشاقة فصاروا على خلق عظيم ، وإذا كان الفلاسفة الإسلاميون قد شقوا طريق المعرفة بالتمحق وإطالة النظر فكانوا على صراط مستقيم . وإذا كان الدارسون فى الصدور الأولى من أيام الإسلام قد ألهموا أسرارهم وتركوا لنا من واسع علمهم فيضان من مكونات الإسلام وجواهره - فإن الأزهري هو الذى انتهت إليه جملة هذه المحامد . ورثها فى القرون الماضية عن هؤلاء الأسلاف الصالحاء ، فكان المعهد الذى أخرج للأزهري خير الرجال روحانية وخلقاً كريماً .

كل رسالة فى الحياة - تقوم على أسس زمانية ومكانية ، فكيف تكون خلق علماء الأزهري إيماناً وتقوى ، ثم كيف صاروا زعماء أفوياء لأهلهم وذريهم . يدعون عنهم

الضيم أمام الظلمة الحاكين ؟ . إذا كان الإسلام لا رهبانية فيه حيث السلوك العام في الحياة . . والسلوك العام الديني يتكيف بأصول كل دين في طريقته إلى هداية قومه على مقتضاه . فان التكوين الخلقى في رجال الأزهر السالفين قد جاء من (رهبانية) هى نوع غير المعروف من معناها . إنها رهبانية الانقطاع إلى العلم . وقضاء العمر فى تحصيله (اطاب العلم من المهد إلى اللحد) . وقد ساعدت هذه الرهبانية بهذا المعنى ، ذلك الفقر الذى كان يلزم طلبه العلم غالبا ، فكان الانقطاع للعلم أمرا طبيعيا فى هذه البيئة الأزهرية ، هذا الانقطاع للعلم والبعد عن التهاافت على أهل المادة أورشهم خلق الزهد . وخلق الزهد والترفع من أقوى مكونات الشخصية الطبية المثالية . ولذلك رأينا هذه الشخصيات الأزهرية قد ملأت الحياة عظمة ومهابة ونفوذاً . فى وقت كان فيه حكام مصر يستعبدون أهلها استعبادا موبقا ذليلا . وكأن أمهات المصريين لم يلدن أولادهن أحرارا .

إذا كان (العلماء ورثة الأنبياء) والأنبياء مجاهدون . جاءوا لإسعاد البشر ورفع الحيف عنهم ، وتعليمهم من أمور دينهم وشئون دنياهم ما لم يكونوا يعلمون ، فلقد كان علماء الأزهر على نحو من هذا التوارث . فهم فى التقى والزهادة فى الحياة الباطلة ، من أقوى القدى . وهم فى هيبتهم الخلقية وسموهم النفسى ، نواب الشعب أمام أظلم الحكام وأبجر الفجار . كانوا له أمام هؤلاء الجبارين كناعة الصواعق فى اصطلاح علماء الطبيعة ، كما كانوا - على اصطلاح الأطباء - المحجب الحاجز بين اندفاع المظالم إلى غاياتها وبين أهلهم المصريين . .

لا غنى لى عن أن أضرب الأمثال الخلقية لا من ناحية الأخلاق اللازمة كتقوى الله وعبادته حق تعبه . فان هذه أشياء بين الخالق وبين عباده . وإذا هى تعدت صاحبها فالى الاقتداء به والاستفادة من وعظه وإرشاده . . ولكننى أضرب الأمثال للأخلاق المتعدية التى لا يتحقق معناها إلا بالإضافة إلى غير أصحابها ، ويرى الناس من آثارها ما ينفعهم ويرفع عنهم المظالم والمغارم أمام الجبارين من الحاكين . وقضية الحكم الفاسد كانت دائما بحاجة إلى مدافعين يدفعون عن الناس شرور الفساد وغوائل البلاء . وهذا ما قصدته بالأصالة فى رسالة الأزهر الخلقية التى كونت رجالها على عظمة الدين وحق اليقين . فكانوا فى اشتداد البلاء على ذويهم رجالا بقدر ما يسره لهم الله أمام

الحكام المخربين النهائيين الذين لم يكونوا يحسبون حسابا إلا للسادة العلماء دون بقية الطوائف والجماعات .

إن الأمثال التي سأضربها هي أمثلة تاريخية من مختلف المصادر ، ولكنني لا أذكرها كوقائع تاريخية صماء ، وإنما أحيطها بطريقتي في التحليل لنعرف عمق الرسالة الخلقية وآثارها في الحياة العامة . الأمثلة كما حدثنا به الإمام جلال الدين السيوطي في ترجمة الإمام جلال الدين المحلي قال : « وكان غرة هذا العصر في سلوك طريق السلف على قدم من الصلاح والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يواجه بذلك أكابر الظلمة والحكام ، ويأتون إليه فلا يلتفت إليهم ولا يأذن لهم بالدخول عليه ، « لا يراعى أحدا في القول . . . وعرض عليه القضاء الأكبر فامتنع » . وفي هذا الذي رواه السيوطي مزج حميد يبين لنا في مجموعه ارتباط الورع والتقوى والوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بسمو الأخلاق وترفعها إلى أبعد الآفاق ، وهل ننتظر من سمو أخلاق تقي ورع أكثر من أنه لا يأذن للحكام بالدخول عليه ، وأنه يواجه الظلمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . وليس أقسى على نفس الظالم من سماع القول في الحكم الصالح والحكم الفاسد ، وبخاصة إذا أضيف إلى ذلك ما يعد في باب العادات خدشا للكرامة ، كعدم السماح لهؤلاء الحكام بالدخول على الشيخ في حضرته ، وليس ما هو أبعد من ذلك في التعريف برسالة الدين واليقين في نفوس العلماء الزهاد .

كانت تحكم مصر بلا شريعة ولا قانون في عهود المماليك والأتراك والفرنسيين ، وكان القانون أو الشرع هو تنفيذ إرادة الظالمين في رقاب هذه الأمة وأعراضها وأموالها وثمراتها ، وإذا كان الإمام محمد عبده قد وصف الحكم في وقته بقوله - « جهرنا بهذا الجهل والاستبداد في عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ويد الظالم من حديد ، والناس عبيد له أي عبيد » . أقول إذا كان هذا ما وصف به ذلك الإمام الحكم في عهده وقد كان فيه شيء من النظام ، وشيء من الشورى بما كان للشعب من مجالس يمثلها مجلسا شورى القوانين والجمعية العمومية ، فكيف بالحكم في أيام هؤلاء الطغاة الذين كانوا سوط عذاب لا يهدأ على هذه الأمة ، ونارا موقدة على هذا الشعب المسكين ؟ ! لقد كانت شجاعة العلماء أمام مظالم هؤلاء الطواغيت بمثابة النياحة عن الأمة في بأسائها وضرائها ، يلقون إلى حكامها بالنصح تارة وبالتهديد تارة أخرى . وكان لوساطة هؤلاء السادة

قيمة وتقدير عند الحكام ، ولشجاعتهم في إبداء الرأي أثر بالغ لا ينساه التاريخ لأمثال الأجلاء الشيخ سليمان المنصوري ، وشيخ الإسلام الشيخ محمد الحفني ، الذي وصفه مؤرخ مصر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي بقوله : « إنه كان قطب رعى الديار المصرية لا يتم أمر من أمور الدولة إلا باطلاعه ومشورته ، والشيخ الزاهد الصوفي الورع (الدردير) ، والشيخ على الصعيدى ، والشيخ عبد الله الشرقاوى ، والسيد عمر مكرم ، والسيد محمد السادات . . فهم وأمثالهم قد اشتبكوا في مدافعة المظالم وكبح جماح المستبدين . وكانوا يخرجون من كل حادثة بشرط مكتوبة - غالباً - تكون شبه دستور يعمل به بين المحكومين والحاكمين . وهذا منتهى ما تصل إليه طاقة علماء دينيين ليس لهم من قوة إلا قوة الخلق واليقين . كما كانوا يحضون على الثورات إذا لم يجدوا في طريق المسالمة فائدة . وكان (الأزهر) هو الأتون الذى توقد فيه الشرارات الأولى ، ولا تنسى أن الفرنسيين - انتقاماً من هذا المسجد - قد غزوه بنحيلهم وجعلوا من قبلته مرابط لها ، ومثلوا بأهله وذويه شرميل ؛ لأنهم أرادوا أن يقضوا على هذا (المجمع) الذى هو أساس التكتلات الثورية .

انتهى الأمر . . وصار العلماء هم قادة الشعب ونوابه والمدافعين عما ينزل به من البأساء والضراء . وقد عرف ذلك القائد الفرنسى (نابليون) ودرسه دراسة كافية بواسطة علمائه الفرنسيين ، فأراد أن يتقرب إلى السادة العلماء وأن يحكم مصر برضاهم ، فلم يلبث بعد أن دخل الإسكندرية أن أخذ يوزع المنشورات التى ادعى فيها الإسلام ومحبة القرآن ، وأنه ما جاء مصر إلا ليخلصها من يد الممالك أعداء الخليفة الإسلامى . وأردف ذلك بأن عين كثيرين منهم فى ديوانيه العام والخاص ، اللذين أراد بهما ذر الرماد فى العيون حتى لا يرى المصريون الأمور على حقيقتها . وقع هذا وغير هذا استرضاء للشايخ ، ولكنه لما جدد الجدد وعرفت النيات لم ين العلماء عن أداء واجبهم فكانت محادثات ووساطات وثورات ، سواء فى عهد الفرنسيين أو قبلهم أو بعدهم ، ثم ما زالوا يجدون فى زعامتهم للشعب حتى قضوا - أو كانوا من العوامل القوية فى ذلك - على دول الظلم الصارخ بانتقال الحكم إلى محمد على الكبير برأيهم وسعيهم المتصل مع السلطان العثمانى . وقد ترك لهم التاريخ أعمالاً لا تنسى ، كما ترك لهم أقوالاً تترجم عن خلقهم وشدة إيمانهم بالله . كأن يقول الشيخ سليمان المنصوري لقاضى القضاة العثمانى فى شأن أمر من السلطان خالف فيه الشرع : « ولا يسلم للامام فى فعل يخالف

الشرع » . . . وكان يقول السيد عمر مكرم لأحمد أنصار (خورشيد) الوالى التركى وهو يجاوره : « أولو الأمر هم العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل » . وكان ذلك جوابا على قول محاوره : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

* * *

وبعد لا أطيل القول فى هذا البحث المتواضع بأكثر مما أسلفت . . . وقبل أن أنتهى منه لا يسعنى ترك تحية إمام عظيم الخلق هو الشيخ محمد عبده الذى أسلفت له وصف حالة الحكم فى أيامه . وأزيد على ذلك أن سمو أخلاق هذا الإمام هى التى جعلت الخديوى يصفه بأنه إذا دخل عليه فكأنما هو فرعون ! ! يقول ذلك ملك فى يده كل السلطات والثروات فى ، حق رجل لا يملك إلا نفسا كبيرة وكبرياء لا يحس به إلا الحاكون المستبدون ما

مصر السنية

عضو نقابة الصحفيين

جمال عبد الناصر فى الشام

لمن العرس فى مغانى الشام يسكب البشر فى القلوب الطوامى
متقذ الشام والسكنانة والقا هر يوم القنائة جيش الطغام
وقى العرب جدد الله للعرب به روعة الأمانى العظام
وسم العرب قلبه فعلاهم بعض آماله الكبار الجسام
وترامى مدى هواه فما تنسويه وهران معضلات الشام
عونه شرعت الكتاب على الحكم فما زال عصمة الحكم
سار فى ضوئه الميامين من قبل فضاءت به وجوده الظلام
تصل الحاضر الوليد بماض ليس ينفك غرة الأيام
فأشر نفتحم معاقل صميو ن ونسف حواجز الألفام
اللاذقية أبو غسان

محنة الشعر المعاصر

- ٢ -

ليس هناك من شك في أن الإنسان قد اهتدى إلى الشعر بفطرته ، وانساق إلى هذا الفن الرفيع بطبيعته التي شاقها ما في الكون من حسن التناسق ، وجميل الانسجام ، وحلو الأنغام . .

أحس بمعان حركت قلبه ، وأثارت نفسه ، وجاش بها صدره ، ثم استفاضت على لسانه في صورة منغومة ، ربما كانت أول الأمر أصواتا مبهة كأصوات الطفل المعبرة ، ثم استقرت في كلمات مثورة ذات مدلول يعبر عن إحساسه ، ثم تدرجت هذه الكلمات المتناثرة إلى السجع المتحد القافية ، والمتناسق الألفاظ ، لأنه أقرب إلى التوقيع الموسيقي ، ثم أخذت هذه الكلمات تتطور وتتغير ، حتى استقرت في أوضاع خاصة هي التي تعرف عندنا بأوزان الشعر وبحوره ، وهي التي انتهى إليها الغناء ، لأنها الصق شئ به وأليق .

وكذلك نشأ الشعر العربي واستقر في أوزانه المعروفة ، وظل الشعراء في كل عصر ينظمون على نظامها ، دون أن تضيق هذه البحور المتنوعة في أعاريضها وأضرعها ، بمظاهر الحياة وألوان الحضارة ، ومختلف المواطن ، وعوارض الأحداث والثورات ، فلما بلغت الحضارة قيمتها في الأندلس وغيرها من الأمصار ، وتعددت فنون الغناء ، ابتدع الشعراء أوزانا جديدة كالموشحات تلائم ما وجد من هذه الفنون ، ولكن ما ابتدعه كان ذا أوضاع معروفة ، ونظام محدد ، وطرائق مرسومة الخطوط والمعالم ، لا كهذا الشعر الذي نراه اليوم ، يذهب فيه كل فرد مذهبا ، بل إنه لا يتخذ حتى أي مذهب فردي .

فن الموشحات ما جاء على الأوزان العربية المعروفة ، ومنها ما جاء على أوزان خاصة مرسومة ، وبحور معروفة مثل (مستفعلن فاعلن فاعيل مرتين) أو (فاعلاتن فاعلن مستفعلن فاعلن مرتين) ، وعلى هذا النحو كانت الفنون الشعرية المستحدثة ذوات قوالب معروفة متفق عليها .

ولقد كان من أهم العوائق التي حالت دون ظهور الملاحم والمسرحيات في الشعر العربي دون الشعر الإفرنجي ، هو اتحاد القافية والوزن في القصيدة ؛ لأن هذه الملاحم تبلغ أحيانا عشرات الآلاف من الأبيات ، وتعدد المواقف واختلاف المشاهد في المسرحية يتطلب تغير الوزن من آن لآخر ؛ ولذلك لم نربأسا في التحرر من هذا الالتزام في البحر والقافية عند نظم الملحمة أو المسرحية ، على نحو ما صنع شوقي ، فان هذا التحرر يضيف إلى تراثنا العربي فنونا جديدة كان الشعر العربي محروما منها .

ذلك ما نوافق على التجديد فيه ، وهو تجديد على كل حال لا يخرج عن أوزان الشعر العربي ؛ لأنه مجرد تنوع وتنقل بين البحور تبعا لتنوع المشاهد في الرواية المسرحية أو القصة .

إن الشعر الذي نقرؤه في هذه الأيام يعود بنا منتكسا إلى عهد البدائية الأولى ، حيث كان الإنسان أول أمره يتغنى بألفاظ مسرودة ، لا تأخذ نظاما معيناً ، ولا تستقر في وضع خاص . إنه أعمال فردية فوضوية ، ونكسة إلى ما قبل عهد السجع ... إنه بحر متناثر في صحراء هذه الأيام .

وهذه هي جناية الفهم الخاطئ للتحرر والتجديد . لقد فهم صعا ليك الشعر هؤلاء ، أن التحرر هو الثورة على كل شيء على الدين والتقاليد والأوضاع الموروثة ما صلح منها وما فسد ، وكأنهم في ثورتهم على الأوزان الشعرية التي تتسق بها موسيقى الشعر ويحدث تأثيره ؛ يريدون أن يخرج الناس من حدود القصور والأسوار ، وأن يحطموا ما انتهى إليه فن الحضارة العمراني ، وأن يعودوا إلى الانطلاق في الصحراء والعيش في ظلال الخيام ، متحررين من هذه القيود البالية ، قيود النظام المعماري المنسق ، وقيود الأسوار التي تحد من حرية الإنسان .

هكذا يريدون ، وهكذا يفهمون ، ومع ذلك فهم دائماً يهتفون في أشعارهم هذه المهلهلة باسم الحضارة ، والتقدمية ، والركب الصاعد ، والقمة العالية ، وانتفاضة العمالق ، إلى غير ذلك من (دسمة) الألفاظ المسجلة باسمهم ، والتي لا يستعملون سواها ، لأنهم لا يحفظون غيرها .

والآن ، ماذا يقول هؤلاء الشعراء ؟ إننا لا نريد أن نقف عند هذا الهراء الذي يتشدد به المشعوذون ، في ذلك الهذيان الذي لا يستقر حتى على نظام التفعيلة التي يجعلها المجددون أساساً لنظمهم .

(الليل بنادق - الليل مطارق - الليل مشاقق - الليل حرائق - يا قيصر عمان الأعمى - يا أسطورة - زائفة مكرورة - يا سارق نوم الأطفال - ودم العمال - سنصبيك كالأرنب - وسنشق رأسك كالعقرب - يا لصا أجرب - يا قيصر - يا خنجر - في أيدي الدخلاء) .

ما رأيك في هذا (الرمح) الذي فلتت فيه عفوا بعض شطرات من البحر المتدارك مثل (يا قيصر عمان الأعمى - يا سارق نوم الأطفال) ؟ أهذا هو التجديد ؟ سلام على هجائك يا حطيئة ، وسلام على المتنبى ، وسلام على ابن الرومي .

واقراً واعجب : (عصفور أزرق - في قفص من زنبق - غنى أغنية - غنى الحرية - يا قمرى الأخضر - يا حبي الأول - يا جدول - ينعش صحرائي - يا وطني الثاني - يا قمرى - يا ولدى الأصغر) .

أفي هذه القصيدة (الزنبق والحرية) تفعيلة واحدة ، أو شطرة واحدة ، أو وزن واحد . ولم نسميها شعراً ، وما الفرق إذن بين الشعر والنثر الفني ؟ .

إذا الشعر لم يهزك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

اسمع صدى هذه القصيدة في شعر عربي موزون من البحر المتدارك ، لتدرك الفرق بين الفن المثير للانفعال والتأثر والاهتزاز وبين الهراء والهذيان ، على ما في هذا الصدى من خروج على نظام القافية العربية :

غرد في أرض الموال	للحرية	للابطال
غرد فالشمس غدا تشرق	وينغى العصفور الأزرق	
لا تبعد فالأرض وريف	والشط عيون وقطوف	
وشفاه بالحب تفرق	ألحان العصفور الأزرق	

واسمع هذا الذي يصرون على تسميته شعراً :

(لو كان لي نجمة نازحة - واحتجزتها بحار - أو طول ما بيننا من قفار - لو كان عندي وحيد - وضاع من بين كل الصغار - وأجفأت أمه - تسائل أمسيات - بالله حقاً أمات - لو كنت في منفى - في قلب مقصلة - ما كان لإطراق الطويل - الطويل) . ولنندع

هذه الفأفآت المفككة التي لا تمثل وحدة فنية ، ولا تحمل رنيناً موسيقياً ، وإنما هي ثرثرة تنشر في الصحف لإجلالاً لمضمونها الوطني ، وتقديراً لأهدافها العربية . وكما يعاني الفن باسم الوطنية والعروبة .

ولنعرض بعض النماذج التي تتردد فيها بعض الإيقاعات الموسيقية ، وتلوح فيها بعض تفاعيل البحور العربية :

الأستاذ كامل الشناوى شاعر أزهرى رقيق ، ولكنه استسلم لهذا التيار ، وكان فى قوة شعره ما يمكنه من مقاومته ، لقد نظم أغنية من مجزوء الرمل (فاعلاتن فاعلاتن صرتين) :

كان وهما وأمانى وحلما كان طيفا

ثم يجعل التفعيلات الأربعة خمسة ، وخامستها مذيلة ، وليتها كانت كذلك فقط بل جعلها من تفاعيل البحر الكامل :

ثم كانت صحوة كالنار ، كالتيار ، كالقدر العنيد .

فالتفعيلة الأخيرة (قدر العنيد) وزنها (متفاعلان) .
ثم يقول :

سل دم السورى والمصرى يجرى لهبا .

صارخا : عربا كانا ونبقى عربا .

ونزن البيت الثانى فنجد هكذا :

(صارخا) فاعلات (ربا كنا) مفاعلين (ونبقى) فعولن (عربا) فعولن أو (صارخا) فاعلن (عربا كن) فاعلاتن (نا ونبقى) فاعلاتن (عربا) فعولن ، وهو خلط على كل حال لا يتفق مع بحر الأغنية ولا مع أى بحر عربى آخر ، ولا هو بالبحر المخترع الذى يسير على نظام معين .

ثم يعود فيجعل التفاعيل الأربعة ثلاثة فقط .

لم يكن أيهما فى الأمس وحده .

ولقد صار مع الأيام وحده .

أما أغنية (أحمد فتحى) التى غنتها أم كلثوم ، فانه بدأها من مجزوء البحر الكامل
المرفل (متفاعـلن متفاعـلن - متفاعـلن متفاعـلتن) .
أنا لن أعود إليك مهما استرحمت دقائق قلبى .
أنت الذى بدأ الملالة والصدود وخان حبي .

ثم ينتقل إلى الرمل فيقول :

كنت لى أيام كان الحب لى أمل الدنيا ودنيا أمل
ثم يفاجئنا بالبحر السريع :
و كنت عيني وهلى نورها لاحت أزاهير الصبا والفتون
ثم يعود إلى مجزوء الرمل :

ثم أخلفت وعودا طاب فيها خاطرى
ثم ينتقل إلى البحر الخفيف :

كان عندى وليس بعدك عندى نعمة من تصوراتى ووجدى

وهكذا ينتقل من بحر إلى بحر ومن تام إلى مجزوء ، فتجىء القطعة خليطاً عجيباً ،
لا يمكن أن نسميه طريقة ثابتة المعالم تجرى على نسق يحدد . ولقد يكون من المساغ
فى باب الأغاني أن يقصر الشاعر تنوع أوزانه على أعاريض وأضرب البحر الواحد ،
أما هذا الخلط فما أغنى شاعرنا الغنائى الرقيق عنه .

ولندع جانب الأغاني فانها موزونة على كل حال ، وربما تطلب الغناء التجديد فى
القافية أو الوزن ، كما تطلب من قبل فى الموشحات وغيرها . وإن كنا نلح فى أن يكون
هذا التجديد قائماً على أسس ثابتة وأصول متفق عليها معروفة ، حتى لا يصبح الأمر
فوضى بلا ضابط ، وحتى لا يصبح الشعر - وهو الفن الرفيع - مبتذلاً ، يتحكم فيه كل
إنسان ولو لم تتوفر له موهبته .

عاش الشعر العربى تلك القرون الطويلة يستنفد الطاقات الشعورية ، ويصور
التجارب النفسية دون عناء أو إفلاس . ذلك لأن الشاعر كان يصقل موهبته بالاطلاع
ويحشد فى ذهنه رصيداً كبيراً من لغته ، فلا يسكون شاعراً حتى يستكمل أدوات

الشاعرية ، ويجمع بين الموهبة والكسب ، ولكن صمالك الشعر في هذه الأيام لا يريدون هذا العناء ، فقد لا تتوفر لأحدهم الموهبة ولكنه يريد أن يكون شاعرا ، وقد تتوفر له الموهبة ولكنه لا يريد العناء بالاطلاع على الأوزان أو تحصيل الثروة اللغوية ؛ يمكن أن يحفظ تلك الألفاظ المكررة : التيار ، القدر العنيد - انقضا ض العاصفة - الطوفان - الدرب الموحش ... ونحو ذلك إلى جانب ما سبق من بقية (الدسنة) المسجلة ، وعليه بعد ذلك أن يوزعها على السطور في غير عدل ولا قسطا ص ، فان صادفت كلمة منها وزنا ، فيها ، وإلا فإف عليه . إنه حر طليق مجدد ! ! .

هذا كاتب من كتاب الطليعة نظرب لأملويه في الكتابة ، ولكنه يأبى إلا أن يكون شاعرا كذلك ، ولم لا يكون شاعرا ما دام الشعر قد أصبح سهل المنال :

اطمئني يا جميلة (شطرة من مجزوء الرمل : فاعلاتن فاعلاتن) .

وثقي بالحب بالإنسان بالفجر الذي أنت بشيره

(خمس تفعيلات من تفاعيل الرمل)

ربما قالت عجوز لك في ليل شتاء (أربع تفعيلات) .

من لياليه الطويلة (تفعيلتان) .

قصة الغيلان والبنات الفقيرة (ثلاث تفعيلات) .

واسمها (فاعلن) .

عندنا في مصر ست الحسن والشاطر حسن (أربع تفعيلات مع سكون راء الشاطر)

وغدا في المحطات المرعبة (فاعلاتن فاعلاتن فاعلن) .

يقبل الفرسان من كل مكان بسيف عريبات السنان

تصرع الغيلان بفتنه وتعيشين الحياة الطيبة

في التبات والنبات - بالبنين والبنات .

أجل (في التبات والنبات) لأن الواقعية تتطلب هذه السوقية ، وتستدعي النزول عن المستوى الفني العالي إلى الدروب والأزقة وحكايات المعجزات على (المصطبة) ، ومع ذلك فقد عجزت طاقة الشاعر اللغوية والفنية عن تصوير هذه التجربة الشعرية القصيرة في أبيات منسقة القافية والبحر ، كأنما اتحاد البحر والقافية يعوق هذا التصوير ، وفي اتحادهما ما فيه من الرنين الموسيقي المؤثر .

لقد سئنا هذا الهذيان الذى لا يحتاج إلا إلى السير على تفعيلة أو اثنتين ، وكفى الله الشعراء القافية المتعبة والبحور الصعبة ، وحسبهم هذه الخطابية ، والجحالة . ومع ذلك فنحن فى حاجة إلى الضحك والترفيه ، فلنقرأ :

صديقتى - صديقتى الحبيبة - شهر مضى - لاحرف - لا رسالة خضبية - لا أثر -
لا خبر - العطر موضوع على مقاعد الجنيحة الكثيبة) .

(شهرا غاب - يا أختى شهرا غاب - ولماذا غاب ؟ - فلقد دوبنى لما ذاب - ولقد ألقى للجرسون - بحساب القهوة والشاى - من عام غاب - لكن حبيبى لم يدفع حتى ثمن القهوة والشاى) .

أرأيت مثل هذا التسكع الفنى على المقاهى ، والحديث عن ثمن القهوة والشاى ؟ ولست أنكر أن كثيرا من هذا الشعر العصرى يحمل شرف المضمون ، كما يتسم بروعة التصوير ، وقوة الانفعال ، ولكن هذا التحرر من الوزن والقافية يفقده أروع جوانب التأثير ، ويلحقه بالنثر الفنى الذى يتسم بمثل هذه الروعة فى الأداء والخيال والانفعال ، بل إن النثر الفنى يحتفظ بطابع الاتساق الفكرى والنظام ، ولا ينزل إلى هذا التفكك التعبيرى .

وأخيرا نعيذ عريقنا الفصيحة النقية من هذا الهذر ، ونعيذ تراثنا المجيد من هذا الجحود، ونبرأ إلى الله من هذا الذى يسمونه شعرا، وينسبونه إلى العربية وهى منه براء ما

مصن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

كرسى القيادة

شعر نابليون - قبل أن يشمر معاصروه من العرب والمسلمين - بأن كرسى القيادة فى الشرق كله فى انتظار الرجل الكفء الذى يتولاه . وكان نابليون يتجاهل الشرط الأول لهذا المنصب ، ويطمع فى أن يملا هو ذلك الكرسى ، لو تمكن من مخالفة الممالك . إن الأقدار قد ادخرت لتاريخ العرب والإسلام الرجل الذى يملا هذا الفراغ ، وكان من حظ هذا الجليل أن يكون ذلك فى زماننا . إن الله وحده هو الموفق .

الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى

رحم الله أبا ذر ، لقد كان يمثل اشتراكية كريمة مما شرع الإسلام للناس ، ولقد كان يمثل عظمة الإسلام في اعتزازه بربه ، واعتداده برأيه ولو خالف الوالى أو الخليفة . وقد وصفه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنه يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده . على أنه رضى الله عنه غلا في اشتراكيته فذهب بها مذهب التشديد ، بفعل ما فضل من حاجة الإنسان كنزا لا يجوز بقاؤه في حوزته ، وطبق عليه الوعيد في قول الله سبحانه : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب أليم » .

ومما لا مجال للارتباب فيه أن في الإسلام اشتراكية لا تتنافى مع ضبط المال والحد في جمعه من كل طريق شريف ، على أن يعده صاحبه للصالح العام ولا يؤثره نفسه ، ويجعل فيه حقا للذين لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، ويجعل فيه نصيبا مفروضا لإعداد العدة للجهاد في سبيل الله ، وللاستشفيات والمدارس ، والمعاهد ولو صل ما أمر الله به أن يوصل ، والإسلام يأبى أن يكون المال دولة بين طبقة من الناس كما هو نص القرآن الكريم . ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة خلطهم الأنصار بنفوسهم ، والحداء إلى حجرات أدفأت وأظلت ، وقاسموهم مالههم حتى حصلوا على الريش الذى يطرون به ، واستطاعوا أن يستغنوا عن إخوانهم . وقد شكر الله سبحانه لهم ذلك في كتابه ، وحكم لهم بالفلاح في حكمه العام الذى يسجل معنى الاشتراكية بالتعاون والتعاطف فقال : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . ثم جاءت غنائم بنى النضير فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وحدهم ورجلين فقيرين من الأنصار ، كل ذلك لحفظ التكافل بين الأنصار والمهاجرين ، أما أن تكون الأموال لقوم يفسدون في الأرض ولا يصالحون ، فمعنى ليس من الإسلام في شيء ، ولعل مجالا آخر يتسع لدراسة ذلك فانما جري إليه مذهب السيد أبى ذر رضوان الله عليه .

كان أبو ذر جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو ، من قبيلة غفار ينتهى نسبه إلى نزيمة بن مدركة .

وكان من السابقين إلى الإسلام ، فروى أنه رابع من أسلم ، وروى أنه كان خامسهم .
وكان من حديث إسلامه أنه بلغه مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يعيش في بني غفار ومنازلهم في طريق قريش إلى الشام .

فأرسل أخاه إلى مكة وقال له : اعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي يأتية الخير من السماء ، واسمع من قوله ثم ائتنى .

وانطلق أخوه حتى قدم على الرسول صلوات الله عليه وسمع منه ، ولسكنه لم يشف غلة أحيه جندب حين عاد إليه يقول : رأيت يأمركم بالأخلاق ويتكلم كلاما ما هو بالشعر .

سافر إذا جندب بنفسه إلى مكة ، وصادفه بالمسجد الحرام على بن أبي طالب فتبع جندب عليا ولم يسأل واحد منهم صاحبه شيئا ، وعاد أبو ذر إلى المسجد فاضطجع به وبقى في المسجد يومين لا يدرى شيئا مما في مكة من أمر السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي مساء اليوم الثانى مر به الإمام على وهو مضطجع بالمسجد فقال له :

على - : أما آن للرجل أن يعلم منزله (يريد بيته رضى الله عنه) فسار مع على إلى منزله لا يسأل أحدهما صاحبه عن شيء حتى مضى يومان .

وفي اليوم الثالث تقدم إليه على رضى الله عنه بالسؤال :

على - ألا تحدثنى ما الذى أقدمك ؟

أبو ذر - إن أعطيتنى عهدا أو ميثاقا لترشدنى فعلت .

على - قد عاهدتك على ذلك .

أبو ذر - قدمت لأعلم علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي يأتية الخير من السماء .

على - إنه حق وإنه رسول الله ، فإذا أصبحت فاتبعنى فإنى إن رأيت شيئا أخاف عليك قت كأتى أربق الماء ، فان مضيت فاتبعنى حتى أدخل مدخلى .

وفي صبيحة اليوم التالى انطلق على وخلفه أبو ذر حتى دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم ،

فسمع أبو ذر منه ، وأسلم مكانه ، ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم : انطلق إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى . قال أبو ذر : والذي نفسي بيده : لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

ثم أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله فضر به حتى أضجعه ، حتى أتى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فدفعهم عنه وهو يقول : ويلكم ! أستم تعلمون أنه من غفار ، وأنه طريق تجارتكم إلى الشام ؟ .

وبقى أبو ذر بمكة حتى فاتته الهجرة إلى المدينة لم يسافر إليها إلا بعد غزوة أحد . وفي بعض الروايات أنه عاد إلى قومه فبشروهم بالإسلام واتبعوه كثير منهم ، ثم سافر إلى المدينة واستقر بالمسجد مع أهل الصفة بعيدا عن السعي والطلب ، وقد غرس ذلك في نفسه الزهد في الدنيا وتخصص في هاته الناحية ، فكان أشد الصحابة تمسكا بها ، ومما أظهر فضله في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ولاه المدينة مرتين ؟ .

وكانت غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة ، وكانت أشق الغزوات على المسلمين لبعد الشقة ؛ ولأنهم كانوا يريدون قوما أولى قوة وبأس وإمكانات فوق الطاقة ، وكان أبو ذر من الصحابة الذين خرجوا فيها على بعد اثني عشر فرسخا من المدينة ، ثم صار يتخلف كثير من الناس ، وأبطأ بأبي ذر بعيره عن الحاق بالجيش ، فأخذ متاعه من فوق البعير وحمله على ظهره وسار ماشيا . ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض منازل فنظر بعض الصحابة سواده من بعيد ، فلقت نظر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : (كن أبا ذر) ، فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله ! هو والله أبو ذر ، فقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله أبا ذر يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » . فلما ورد على النبي صلى الله عليه وسلم أخبره خبر بعيره فقال صلى الله عليه وسلم : « إن كنت لمن أعز أهلى على تخلفا . لقد غفر الله لك بكل خطوة ذنبا إلى أن بلغتني » .

ثم لم يعرف لأبي ذر إسهام في فتوح العرب في عهد الشيخين ، ولا ندري لماذا ؟ وكل ما قيل إنه خرج إلى الشام في عهد عمر مترددا بينها وبين المدينة .

فلما كان عهد عثمان رضى الله عنه ثار أبو ذر على تصرفه فيما لا يتفق مع اشتراكه ، وأخذ يجهر برأيه ، وصادف ذلك بوادر الفتنة على عثمان فكان عمله هذا ضغتنا على إباله

في محنة عثمان رضي الله عنه ولكنه خالص النية ، صادق الاتجاه ، لا يريد للناس إلا ما يريد لنفسه من الزهد في الدنيا ، والإعراض عن متعتها وطيباتها .

ولما كان هذا مذهباً لا يسع الناس جميعاً ، فقد وجد أبو ذر كثيراً من الخصوم الذين يقاومون مذهبه ، ولكنه كان عليماً بكل ما يتعلق بالزهد من الكتاب والسنة أو جل ذلك على الأقل ، وكان بليغاً مؤثراً ، يخافه معاوية بالشام وكان والياً عليها فرفع أمره إلى الخليفة عثمان فاستدعاه إلى المدينة واختار له أن يفارق الناس إلى مكان هادئ وادع قريب من المدينة اسمه (الربرة) [١] ، وقد مات به وليس معه إلا امرأته وغلّامه فوضعه على قارعة الطريق ، حتى أقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق فلم يرعهم إلا الجنازة على قارعة الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه ، فبكى عبد الله وقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعت وحدك .

رأينا في اشتراكية أبي ذر :

لم يعرف لهذا المذهب ظهور إلا في عهد عثمان رضي الله عنه ، ليقاوم به أبو ذر ما ظهر في عهده من تدفق الثروات على مكة والمدينة ، فقد ظهرت طبقة مترفة من أرباب الثراء تستطيع أن تسميهم وأسمائهم ، وبجانهم طبقة فقيرة معدمة حرمهم أولئك الأغنياء المسلمون على شئون الحكم والرياسة وقيادة الجند ، فحقد الفقراء على الأغنياء وتمنوا الخلاص من سيادتهم وأعلنوا أن النىء والغنائم لهم لا للحكومة ، وأثار ذلك روح المعارضة للحكومة ، واتمرد عليها في المدينة وفي جميع الأمصار الإسلامية ، وكانت هناك ضروب من السكيد تدبر لعثمان .

[١] المجلة - إن أبو ذر رضي الله عنه هو الذى اختار الإقامة في الربرة في كتاب (العبر) لقاضى ولي الدين ابن خلدون (بقية ج ٢ ص ١٣٩) . أن أبا ذر استأذن أمير المؤمنين عثمان في الخروج من المدينة وقال له : « إن رسول الله أمرنى أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلماً » ، فأذن له ، ونزل الربرة ، وبنى بها مسجداً ، وأقطع عثمان صرمة من الإبل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقا . وكان أبو ذر يتعاهد للدياسة ، وبين للمدينة والربرة ثلاثة أميال . قال ياقوت : وكانت من أحسن منزل في طريق مكة .

وقد كان مما يذكر نيران الثورة كما أشرت لك من قبل ذلك الصحابي الزاهد الذي كان من أهل الصفة فغرس في نفسه الزهد الموهل الذي لا يدع مجالاً للعالم .

وسواء أكان مذهب أبي ذر تحريم الادخار مطلقاً أو تحريم الادخار لغير ما ينفق في سبيل الله ، فإنه مذهب مشدد لا يعلم من يقول به . نعم إن روح الإسلام تمنع التضخم في الثروات ، وأن تستبد بطائفة من الناس شهوة جمع المال من كافة الوجوه الممكنة ، فلا يزالون باستغلال العمال وانتقاص حقوقهم واتخاذهم جسوراً إلى نهمهم المفقوت البغيض ، وأولئك هم الأغنياء المكثرون الذين تنسبهم شهوة المال والحرص عليه حقوق الله والناس في أموالهم ، ويتهربون من أداء الواجبات الدينية والاجتماعية المنوطة بهم .

إن الإسلام يحارب كل هذه المعاني لأنها وسائل للشهر ، وذرائع للفساد في الأرض وهو يدعو إلى أن يكون المسلمون بحكم واحد ويد واحدة على من سواهم ، فأما أن يشيع البغى والحسد وتربص الدوائر بسبب هذه المحاولة التي ليس وراءها إلا تقسيم الناس إلى سادة وعبيد ، فليس في الإسلام شيء من ذلك ، وقد بدأت بوادر الشر منذ عهد عثمان الذي فتح فيه هذا الباب بحسن نية . فمن حق الإمام أن ينظم التكافل الاقتصادي بالحكمة في ظل اشتراكية الإسلام ، في دائرة أوسع من دائرة أبي ذر ، ومن أجل ذلك قال عمر ابن الخطاب في يوم من الأيام : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء ففسمتها على فقراء المهاجرين » . ولو لم يكن ذلك جائزاً في الإسلام ما قاله عمر ولا نبه إليه ما

محمود الدراوى

جبهة علماء الأزهر

أصدرت جبهة علماء الأزهر بيان حول بعض المسائل المتصلة بتحقيق العدالة وسلامة النفس والجسم وتربية الخلق والذوق وهذا البيان يتناول مسائل توحيد القضاء ، والصور العارية ، وصناعة الحجر وتعاطيها والاتجار فيها ، ومسألة تحديد النسل . وقد توخيت في ذلك أن تبين رأى الذى يتفق مع أصول الإسلام وتعاليمه الرشيدة .

لغويات

هاقد تمت الوحدة بين مصر وسورية

ها نحن نسير في طريق المجد

هذا الأسلوب شائع على ألسنة الناس . و (ها) فيه من أدوات التنبيه للسامع وحثه على الإصغاء فهي تؤدي ما تؤدي أما وألا الاستفتا حيطان :
وقد أنكر بعض الباحثين موقع (ها) هنا وقضى بخطأ ما يخطئ في هذه الأساليب .
ذلك أن المعروف في (ها) هذه أن تختص باسم الإشارة ، نحو هذا وهؤلاء . وقد بعثني هذا على تعرف ما ذكره النحاة في هذا الباب .

فترى ابن هشام في المغني يذكر أن هذا الحرف يدخل في (أيها) في قولك : يا أيها الرجل ، وما جرى مجراه ، نحو يا أيها المرأة ، وهو لازم في هذا القبيل من الكلام .
ويدخل في أسلوب القسم بالله سبحانه إذا حذف الجاز ، نحوها الله لأفين بالعهد . وهذان الموضعان لا يعنينا في هذا المقام . ويدخل على اسم الإشارة ، نحو هذا وهذه ، وهذا الموضع لا شبهة فيه ولا غبار عليه . ويدخل على ضمير الرفع المخبر عنه باسم إشارة ، نحوها أناذا أنهض إلى المعالي ، وها أنتم أولاء تحمون وطنكم . وقد لقي هذا الموضع من النحاة بحثاً طويلاً .

فيرى بعضهم أن هذا يرتد إلى ما قبله ، إذ إن حرف التنبيه في الأصل كان داخلاً على اسم الإشارة فقدم على المبتدأ وهو منوًى به مكانه الأصلي فإذا قلت : ها أنت ذا تفعل فأصله : أنت هذا تفعل ، فقدّمت (ها) كما نطقت . ويردّ بعضهم هذا النظر بنحو قوله تعالى في سورة آل عمران : ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم ، إذ إن اسم الإشارة صحبه حرف التنبيه ، فكان غنياً عن (ها) التي في صدر الجملة فهي ليست داخلية عليه ، فإن الحرف لا يدخل على مثله . ويحيب صاحب الرأي الأول بأن حرف التنبيه أعيد في الآية للتوكيد .

فهذه هي المواطن التي تقع فيها (ها) كما ذكرها صاحب المغنى . ولا نرى فيها مكانها في الأسلوب الذي هو موضع بحثنا . فمن ثم كان عرضة للانكار والتخطئة .

ولكننا نرى نحويا جليلا سابقا على ابن هشام - وهو الزخشرى - لا يلتزم قصر (ها) على هذه المواطن ، فهو يجعلها كالأ وأما ، وزاه يقول في المفصل إذ يعد حروف التنبيه : « وهى ها وألا وأما . تقول : ها إن زيدا منطلق ، وها أفعل كذا . . » وترى أن الأسلوب الذى معنا لا يختلف عما مثل به جار الله . وأذكر هنا أن جار الله يقول في موطن من هذا الفصل : « وأكثر ما تدخل (ها) على أسماء الإشارة والضمائر ، كقولك : هذا وهذه وها أناذا وها هو ذا وها أنت ذا وها هي ذه وما أشبه ذلك » .

فترى أن الأسلوب الذى مثل به أولا - وهو ها إن زيدا منطلق وها أفعل كذا - عنده قليل ، ولكنه مع هذا سائغ صحيح .

ونرى الرضى يجرى على قصر (ها) على المواطن الأربعة كما فعل ابن هشام . غير أنه يتوسع في الرابع ، فالشرط عنده أن يوجد في الجملة اسم إشارة ، ويفصل بينه وبين ها بضمير مبتدأ في الأكثر ، وقد يفصل بغير المبتدأ ، وأورد من هذا قول النابغة :
ها إن تا عذرة إلا تكن قبلت فإن صاحبها قد تاه في البلد

والرضى لا يرتضى رأى الزخشرى وتوسعته في (ها) ، فهو يقول في شرح الكافية ٢ / ٣٨١ : « وما حكى الزخشرى من قولهم : ها إن زيدا منطلق وها أفعل كذا مما لم أعرله على شاهد » .

وقد وقف الدمامينى على رأى الزخشرى وتعقب الرضى له ، فكتب في حاشيته على المغنى - كما نقل الدسوقي عنه - : « قوله : فتدخل على أربعة ، حكى الزخشرى في المفصل أنه يقال : ها إن زيدا منطلق وها أفعل كذا ، وهذا ليس شيئا من الأربعة التي ذكرها المصنف . لكن قال الرضى : لم أعرله على شاهد ، وهو عجيب ، فإن الزخشرى أنشد في المفصل قول النابغة :

ها إن تا عذرة إن لم تكن قبلت فإن صاحبها قد تاه في البلد

وهذا شاهد على دخولها في الجملة الاسمية الحالية من اسم الإشارة » . وقد علمت أن الرضى يميز الأسلوب إذا كان فيه اسم إشارة وإن لم يكن فيه ضمير ، وإنما يشكر ما خلا من اسم الإشارة كما في مثالى الزخشرى . فليس في صنيع الرضى ما يقتضى العجب ، كما زعم الدمامينى .

وقد أردت أن أرجع في هذا إلى كتاب سيبويه وأتعرّف منه جلية الخبر .
وقد جاءت هذه المسألة في الكتاب ٣ / ٣٧٩ . فأورد رأى الخليل في (ها أنا ذا أفعل) . وهو أن حرف التنبيه داخل في التقدير على اسم الإشارة ، وقد سبق هذا الرأي . ثم عقب عليه بأن هذا الحرف قد يدخل على الجملة ولا يدخل على اسم الإشارة ، وهذا حين يقول : « وقد تكون (ها) في ها أنت ذا غير مقدمة ، ولكنها تكون للتنبيه بمنزلتها في هذا . يدلك على هذا قوله ها أتم هؤلاء ، فلو كانت (ها) ههنا هي التي تكون أولاً إذا قلت : هؤلاء لم تعد (ها) ههنا بعد أتم » . وقد سبق أن بعضهم يجعل (ها) قد أعيدت في الآية للتوكيد ، ومن هؤلاء ابن مالك في التسهيل إذ يقول : « وقد يعاد (ها) بعد الفصل توكيداً » وقد علق عليه الدماميني في شرحه فقال : « وظاهر هذا مخالف لكلام سيبويه ... » ثم ساق كلام سيبويه . ونفهم من هذا أن سيبويه يرى أن (ها) قد تكون للتنبيه على مضمون الجملة ولا تكون قرينة لاسم الإشارة . وسيبويه يفرض المثال فيه ضمير الرفع مع اسم الإشارة لأن الكلام فيه ، ولو كان الكلام فيه الضمير فقط كما لو قلت : ها أنا أفعل أو لم يكن فيه ضمير البتة كما لو قلت : ها إن الصدق منج لم يكن فيه بأس في القياس على ما قرر سيبويه : أن (ها) تدخل على الجملة ، ولا تختص باسم الإشارة . وكأن الزمخشري استمد رأيه السابق من نص سيبويه هذا ، فأجاز : ها إن زيد امنطلق ، وها أفعل كذا : وقد علمت أن الرضى ينقد كلام الزمخشري في جواز هذين المثالين بأنه لم يعثر له على شاهد ، وقد يكون من الشواهد ما أورده من قول النابغة : ها إن تاعذرة ... ولا ينفع الرضى أن يزعم أن (ها) داخله على اسم الإشارة فصل بينهما بالناسخ ، فقد علم أن (إن) الناسخة لها الصدر في جملتها فلا يتصل ما قبلها بما بعدها ، فينبغي أن يعد (ها) داخله على الجملة لا على اسم الإشارة :

ومن الشواهد الصريحة قول عوف بن محم الخزاعي [١] :

ألا يا حمام الأيك لملك حاضر وغصنك مياد فقيم تنوح
أفق لا تنح من غير شيء فإنني بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولو عا فشطت غربة دار زينب فها أنا أبكي والفؤاد جريح

فتراه أورد (ها) على الجملة التي فيها ضمير وليس فيها اسم إشارة ، وهذا يقضى أن حرف التنبيه دخل على الجملة لا على الإشارة . وهو يسوغ ما هو موضوع البحث .

وأذكر هنا أن ابن هشام جاء في خطبة كتابه المغنى : « وها أنا بأخ بما أسرته ، مفيد لما قررته وحررته » فكتب الدسوقي « أدخلها التذنية على الضمير المنفصل وخبره ليس اسم إشارة مع أنه يمنع ذلك كما يأتي يبينه في حرف الهاء . وقد وقع له ذلك في ثلاثه مواضع ؛ إلا أن يجاب بأنه مشى فيها على ما جوزه بعضهم » .

ويخرج القارئ من هذا البحث بجواز ما جرى عليه كلام الناس في دخول (ها) على الجملة التي ليس فيها اسم إشارة .

محمد في الزيتون الثانوية

يتردد هذا الأسلوب كثيرا يراد : عهد في مدرسة الزيتون الثانوية ، نحذف المضاف وبقى الوصف بالثانوية كما لو لم ي حذف ، وهذا استعمال صحيح في نظر النحاة ، فهم يقررون أن المضاف إذا حذف قام المضاف إليه مقامه في الإعراب وفي التذكير والتأنيث ، وفي الأثمنوني في باب الإضافة : « كما قام المضاف إليه مقام المضاف في الإعراب يقوم مقامه في التذكير ، كقوله :

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

بردى مؤنث فكان حقه أن يقول : تصفق بالتاء ، لكنه أراد : ماء بردى ، وفي التأنيث ، كقوله :

مرت بنا في نسوة خولة والمسك من أردانها نأفحه

أي رائحة المسك وفي مثالنا (الزيتون) اكتسب التأنيث من المضاف المحذوف وهو مدرسة فأنت الوصف له ، وهو الثانوية . ومن هذا ما جاء في المغرب في الكلام على السيرة إذ يقول : « وأصلها حالة السير ، إلا أنها غلبت في لسان الشرع على أمور المغازي وما يتعلق بها ، كالمناسك على أمور الحج . وقالوا : السير الكبير فوصفها بصفة المذكر الذي هو كتاب ، كقولهم : صلى الظهر . وسير الكبير خطأ ، كجامع الصغير وجامع الكبير » يريد أنهم يقولون : من مؤلفات محمد بن الحسن السير الكبير بخفاء الوصف مذكرا مع تأنيث السير إذ هي جمع نظرا لا اكتساب السير التذكير من المضاف المحذوف وهو كتاب ، وهذا عكس المثال الذي معنا إذ اكتسب فيه المذكر التأنيث من المضاف المحذوف .

محمد علي النجار

الكتاب

إتحاف الأتنام بخطب رسول الاسلام

للأستاذ محمد خليل الخطيب — ٣٦٧ ص — مطبعة الشعراوي بطنطا

فضيلة الأستاذ مؤلف هذا الكتاب من علماء معهد طنطا ، وقد تونى جمع الخطب النبوية فى هذا الكتاب متحريرا مستقصيا ، ورتبها على معانى الهداية والإرشاد ، وإذا لم يجد فى معنى من تلك المعانى خطبة ذكر فيه حديثا شريفا أو وصية نبوية توفية للقيام ، وأدخل فيه مواعظ بعض أصحابه الكرام التى رأى أنها فى حكم المرفوع ، وعقب على كل خطبة أو حديث بتعيين مراجعه أو بعضها ليرجع إليها الراغبون ، قال : وخرجتها وذكرت درجتها ليطمئن المحدثون . وقد شرح غريب مبانيها وأبان بعض معانيها ، وبدأها بخطبة جهاده صلوات الله وسلامه عليه ، وختمها بخطبة فى مرضه الذى انتقل بعده إلى الرفيق الأعلى .

وهو مجهود كريم يشكر عليه فضيلة المؤلف تولى الله مكافأته .

رجال من التاريخ

للأستاذ على الطنطاوى — ٢٧٦ ص — مؤسسة دار السلام للطباعة والنشر بدمشق

هو مجموعة أحاديث ، حدث المؤلف ببعضها من إذاعة الحجاز ، وبأكثرها من إذاعة الشام ، ولأنه كان يتحدث بها إلى الجماهير تخير لها شرط الفصاحة وهو خلو الكلمة من الغرابة والتنافر ، وشرط البلاغة وهو مطابقة الكلام لما تقتضيه الحال . إلا أنه كان مضطرا إلى الاختصار والإيجاز ، كما هو الشأن فى أحاديث الإذاعة ، فهى لا تجمع أطراف الموضوع ، وليس فيها استقصاء ولا تعمق ، وإن كان فى اختصارها بلاغ .

افتتحها بفصل فصيح بليغ عنوانه « محمد صلى الله عليه وسلم في يوم الهجرة » وختمها بفصل عن حياة أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي شارح القاموس والإحياء . وقد جاء في هذه الترجمة أن شارح القاموس ولد في اليمن ، وأذكر أنني قرأت مثل ذلك في مقال لأحد أفاضل المصريين عن شارح القاموس . ومما لاشك فيه أنه ولد في بلاد كرام من بلاد الهند ، وهو من أسرة السيد غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلوكرامي مؤلف كتاب (سبيحة المرجان في آثار هندستان) ، وأصلهم من سلالته السيد عيسى مكرم الأشبال ابن الإمام زيد بن الحسين ، انتقلوا إلى الهند من واسط العراق . وبسبب غموض أخبار شارح القاموس قبل انتقاله من بلاد كرام إلى زبيد في اليمن خيل إلى - بتأثير ما كتبه محمد عبد الجليل السامرودي في ترجمة طاهر بن علي الفتني بأخر تذكرة الموضوعات - أن شارح القاموس وصاحب سبيحة المرجان شخص واحد ، ثم تبين لي من تحقيق السيد مناظر أحسن كيلاني في مجلة (معارف) الأوردية (١٩ : ٩٩) أن مؤلف سبيحة المرجان في سنة ١١٧٧ غير ابن عمه شارح القاموس الذي دخل مصر سنة ١١٦٧ غير أنهما من بلد واحد وأسرّة واحدة ، لكن مؤلف سبيحة المرجان أكبر من شارح القاموس بنحو ثلاثين سنة . وفي مقالة مجلة معارف سلسلة نسب هذه الأسرة وكلام جيد عن شارح القاموس .

وفي كتاب (رجال من التاريخ) بين فصل الهجرة وترجمة شارح القاموس فصول نفيسة عن عظماء الإسلام في مختلف عصوره ، وكل فصل منها يساوي كتابا كعهد القراء بما يكتبه الأستاذ الطنطاوي شفاء الله وقواه .

الداء والدواء

للإمام ابن القيم - ٣٥٩ ص - مطبعة المدنى بالقاهرة

هذا الكتاب هو الذى اشتهر باسم (الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى) وقد سبق طبعه مرتين ، غير أنه قد استعين الآن على طبعه للمرة الثالثة بنسخة مخطوطة نشر في أوله راموز الصفحة الأولى منها وراموز آخر الكتاب وخاتمة . وقد قام بتحقيقه والتقديم له فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .

والكتاب مبنى على سؤال موجه إلى الإمام المؤلف « فى رجل ابتلى ببالية ، وعلم أنها إن استمرت به أفسدت عليه دنياه وآخرته ، وقد اجتهد فى دفعها عن نفسه بكل طريق

فما يزداد إلا توقدا وشدة ، فما الحيلة في دفعها ؟ » . فأجاب ابن القيم رحمه الله على هذا السؤال بهذا الكتاب مرشدا السائل إلى مافي الإسلام من طب القلوب وصرفها عن طريق الشيطان إلى التعلق بطاعة الرحمن ، وهو بحث طويل في طب النفس الإسلامي يدل على سعة علم المؤلف كما يدل على عظيم حكمة الإسلام في معالجة أمراض القلوب وأدواء النفوس . وقد ختم ابن القيم هذا الجواب بفصل يتعلق بعشق الصور ومفاسده العاجلة والآجلة .

المغنى في تصريف الأفعال

للاستاذ محمد عبد الخالق عضيمة - ٢٠٨ ص - مطبعة العهد الجديد

أفضل ما يقوم به علماءنا في هذا الجيل الرجوع بالعلوم الإسلامية والعربية إلى منابعها الأولى وتراثها الأقدم ، فيتخذوا منها أساسا للبناء والتجديد . وفضيلة الأستاذ الضليع مؤلف هذا الكتاب من أفاضل مدرسي كلية اللغة العربية ، وقد صرف همه منذ عهد طويل إلى دراسة العربية وعلومها في كتبها الأولى ، من كتاب سيديو به إلى مصنفات العلماء الذين جاءوا بعده ، فكان من حسن حظ تلاميذه في كلية اللغة العربية أن يتنفسوا معه نسيم هذا الجوال الصافي ويأنسوا به . وقد قال في خطبة كتابه (المغنى في تصريف الأفعال) : إنه حرص فيه على أن يذكر مراجع كل مسألة ليكشف عن منابعها ويشير إلى مصادرها . ونهج نهجاً جديداً هو الإكثار من الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته المختلفة ، والاستشهاد بقراءات القرآن فيه عضد وتأييد لقواعد النحو ودعم لشواهدا . وفيه رد على الصيحات المنكرة التي تنبعث بين الحين والحين من أفواه أشباه العامة تنادى بالإعراض عن دراسة النحو والصرف زاعمة أن لغة العرب في غنى عما شرع النحويون من قوانين ورسموا من قواعد واصطنعوا من شواهد .

ورجاؤنا أن يكون لهذا الكتاب ، ولمنهج الأستاذ المؤلف فيه ، أثر طيب في نفوس طلاب العربية ، فيعنوا بدراستها على أنها متعة تخرج بهم عن تكاليف المنهج الدراسي وحدوده إلى الرغبة النفسية في الوقوف على أسرار العربية حتى يكون ذلك سليقة فيهم كما كان أعلام علماءها الأولون .

أنيس الجاليس

للاستاذ الشيخ على رفاعي - ١٩٢ ص - دار الزيني للطباعة والنشر

سبق لنا التعريف ببعض مؤلفات فضيلة الأستاذ المؤلف ، وكلها تدور حول مهمته الحميدة في الحياة وهي الوعظ والخطابة ودلالة الناس على طريق السعادة .

وكتابه هذا قد وجه فيه الخطاب إلى أحد أبنائه ، فهو موعظة من طب لمن حب . وقد تونى فيه أن يكون متعة للروح وبهجة للنفس وسرورا للفؤاد ، فهو يتنقل من العلم إلى الأدب والقصص والعظة والعبر والفكاهة والحكمة .

فعمى أن ينتفع به قراؤه كما انتفعوا بكتبه الأخرى من قبل .

طراز البردة

للاستاذ محمد كامل عبد العظيم - الجزء الأول ١٥٩ ص - مطبعة مصر

لقد بذل المؤلف الفاضل في كتابه هذا أقصى ما بلغته العناية لتجويده وتجميله ، فافتتحه بمقدمة مستفيضة للأستاذ العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، ثم بكلمة أخرى للأستاذ محمود بيرم التونسي ، تتلوها مقدمة المؤلف وغرضه من هذا الكتاب وطريقته فيه ، والسبب الذي حمله عليه . ثم انبرى لترجمة شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري الصنهاجي ناظم البردة ، فذكر نشأته ، وحالة عصره ، وأفاض في وصف شعره ولا سيما البردة ونسخها المخطوطة وطبعاتها ، والذين شطروها وخمسوها وشرحوها وعارضوها ، وتكلم على بحرها وعروضها وقافيتها ، وقد بلغ ذلك كله في ٦٨ صفحة ، ثم بدأ المؤلف في شرح القصيدة من صفحة ٦٩ فشرح أربعة أبيات منها فيما بقي من صفحات الجزء الأول ، وسيوالى نشر شرح سائر القصيدة في أجزاء أخرى ، وكلما ورد ذكر علم من الأعلام في المقدمة والترجمة والشرح استطرد لترجمته . بخاء الكتاب حافلا بالفوائد الغزيرة والبحوث الأدبية التي قد لا يجدها القارئ مجتمعة في كتاب غيره .

الأدب والعلوم

العرب يدرسون الذرة

يتخصص الآن في الاتحاد السوفيتي خمسة عشر طالبا من الجمهورية العربية المتحدة في دراسة الطبيعة النووية . وقد أعدت لهم زيارات خاصة لمعامل الأبحاث والمراكز الفنية في هذا النوع من الدراسة .

محرك كهربائي مصرى

ابتكر الدكتور جلال المغربى فى كلية الهندسة بجامعة القاهرة محركا كهربائيا (موتور) يوفر نصف نفقات أى محرك آخر من قوته ، ويمكن استخدامه لتوليد الكهرباء ذات القوة العالية . ومن مميزاته أن سرعته تبلغ ضعف سرعة المحركات العادية ، مما يضمن عليه أهمية خاصة فى بعض البحوث العلمية التى تحتاج إلى سرعة كبيرة لا تتوفر فى المحركات المتداولة الآن .

٤٠٠٠٠٠ تلميذ ابتدائى

أوشكت السنة الدراسية على الانتهاء ، وتستعد وزارة التربية والتعليم للسنة الدراسية القادمة ، وقد اتفق مؤتمر المديرين المساعدين للتعليم الابتدائى على قبول أربعمائة ألف طفل بالسنة الأولى الابتدائية ، أى

بزيادة قدرها خمسة عشر ألف طفل على الذين قبلوا فى السنة الماضية .

إصلاح إدارة التربية والتعليم
اتفق مؤتمر المديرين المساعدين للتعليم الابتدائى على نقل النظر والمدرسين غير الصالحين إلى الأعمال الكتابية والأعمال الإدارية الأخرى ، وسيكون نقلهم على مراحل ، وسيستكمل الجهاز الإدارى للنطاق من بين هؤلاء . وسيكون اختيار نظار المدارس من بين الصالحين ، وفى حالة عدم توفر الشروط يمكن اختيار النظر عن طريق النذب ممن تتوفر فيهم الصلاحية والكفاءة ، وستعمل جوائز تشجيعية للمدرسين والنظر الذين يؤدون عملهم على الوجه الأكمل .

المدارس الأجنبية فى سوريا

انعقد فى دمشق مؤتمر مديرى التربية والتعليم فى الإقليم السورى ، وكان يرأسه السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم ، ومما قرره هذا المؤتمر وجوب خضوع مدارس التعليم الخاص الأهلية والأجنبية - لإشراف الدولة ممثلة فى وزارة التربية والتعليم ، وذلك فى شتى النواحي التعليمية والخلقية والمالية والصحية وغيرها .

مكتبة القوتلى

في الجامعة السورية

كانت اللجنة التي تألفت لتكريم السيد شكري القوتلى اعترافاً بفضلته في إتمام الاتحاد بين شطرى الجمهورية العربية المتحدة قد افترحت إقامة تمثال له . ولكن السيد شكري القوتلى لم يعبأ بهذا التعبير الأجنبي عن محبة شعبه له ، وطلب أن تنشأ باسمه مكتبة علمية في جامعة دمشق يكون نفعاها عاما خالدا مادامت العروبة في ظل اتحادها .

وسيجتفل في يوم الخميس ١٠ ذى القعدة (٢٩ مايو) بوضع الحجر الأساس لهذه المكتبة في جامعة دمشق وسيرأس الاحتفال السيد صبرى العسلى نائب رئيس الجمهورية .

١٥٥ مكتبة نموذجية

بالتانوى ، ومعاهد المعلمين

بلغ عدد المكتبات التي أعدها وزارة التربية والتعليم ١٥٥ مكتبة بالمدارس الثانوية ومعاهد المعلمين والمعلمات .

ويفتح السيد وكيل وزارة التربية والتعليم المكتبة النموذجية لمعهد المعلمين الخاص بالمنيل .

معرض روسى

لتمثيل الحياة في الجمهورية العربية

احتفل في موسكو بافتتاح معرض فنى للوحات الفنانين الروس التى تمثل الحياة

في شطرى الجمهورية العربية المتحدة (مصر والشام) ، وذلك في قاعة بوشكن للفنون التطبيقية في موسكو . وقد قامت وزارة الثقافة السوفيتية بتنظيم هذا المعرض بالتعاون مع اتحاد الفنانين والرسمين السوفيت وكان من أبرز ما لفت الأنظار في هذا المعرض لوحات تمثل كفاح شعب بور سعيد الباسل ضد العدوان الثلاثى الأخير .

الوسائل التعليمية

تسلمت إدارة الوسائل التعليمية بوزارة التربية والتعليم ١٥٢٥ آلة جراموفون ، وثلاثين ألف اسطوانة خام ، و ٣٠٠ آلة عرض سينمائية ، و ٦٠٠ جهاز لعرض الصور الثابتة ، و ١٠٠ جهاز راديو ، و ٥٠ وحدة إذاعة ، و ٥٠ سجل تسجيل . وقد تم توزيع معظم هذه الأجهزة على المدارس بالمراحل المختلفة .

تدريب طلاب التانوى

على الآلة الكاتبة

أعدت إدارة التعليم التانوى بوزارة التربية والتعليم مشروعاً لتشجيع طلاب المدارس الثانوية على الآلة الكاتبة ، وحفز الطلاب على الإقبال عليها ، وستخصص المدارس جوائز تشجيعية للمتفوقين فيها .

انباء العالم الاسلامي

زيارة الرئيس لروسيا

في الساعة ٢٥ و ٣ دقيقة من صباح الثلاثاء ١٠ شوال (٢٩ إبريل) سافر الرئيس جمال عبد الناصر من مطار أبو صوير على طائرة روسية نفائة قدمتها روسيا خصيصا لهذه الرحلة ، سرعتها ٩٠٠ كيلومترا في الساعة ، وتنسج لـ ٧٥ راكبا ، وقد صاحب الرئيس السادة عبد اللطيف البغدادي وأكرم الحوراني وإكمال الدين حسين والدكتور محمود فوزي وعلى صبري وأحمد عبد الكريم وصلاح محمد نصر ومجد عوض القوني . ومرت الطائرة بمدينة بودابست عاصمة المجر ، وتناول الرئيس إفطاره في قاعة المطار مع رئيس الجمهورية المجرية ورئيس وزرائها ورجال حكومتها وهم في استقباله ، ثم واصل الرئيس رحلته إلى موسكو فاستقبل فيها استقبالا لم يلقه رئيس دولة أخرى زار موسكو حتى الآن . واشترك الشعب الروسي في استقباله بحفاوة أذهلت جميع مراسلي الصحف العالمية ووكالات الأنباء ، وفي الليلة التي أعقبت نهار وصول الرئيس إلى موسكو لم تنم العاصمة الروسية ، وكانت تعيش كأنها في عيد . وكلما ظفرت الجموع الروسية في الميادين بشاب عربي كانت تلتف حوله ، وتتلقف منه ألفاظا باللغة

العربية يحاولون أن تنطق بها ألسنتهم . ومكبرات الصوت في الشوارع تذيع كل شيء عن جمال عبد الناصر : عن قصة حياته ، عن تاريخ كفاحه . ومحطات التلفزيون تتابع تحركات الرئيس وتنقل صورته إلى الناس بعد لحظات من تصويرها وهكذا كانت رحلة الرئيس إلى روسيا شغلها الشاغل من بدايتها إلى نهايتها .

الاجتماع الرسمي

بين روسيا والجمهورية العربية المتحدة
تم هذا الاجتماع في قاعة الاجتماع الضخمة بالكرملين منذ الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لوصول الرئيس وصحبه إلى موسكو . تكلم جمال عبد الناصر في هذا الاجتماع فعرض مشاكل الشرق الأوسط ، وعرض سياسة الجمهورية العربية المتحدة نحو كل هذه المشاكل وكان يشرحها شرحا كاملا مستفيضا . وأعلن الجانب السوفيتي بلسان خروشتشيف تأييده للسياسة العربية الحكيمة ، وأن السياسة السوفيتية إزاء الشرق الأوسط لم يطرأ عليها تغيير ، وأنها قائمة على أساس بذل المساعدات غير المقترنة بقيود ، والمنزهة عن الغرض . وفي مأدبة الغداء قال جمال عبد الناصر : لأول مرة نتقابل مع قادة الاتحاد السوفيتي وتكلم في جميع الأمور بصراحة ووضوح .

إننا نعتز بهذه الصداقة ونعمل على تثبيتها وتدعيمها ودوامها .

الاتفاق على أسهم القناة

كانت الشركة السابقة لقناة السويس تطلب من مصر تعويضا لحملة الأسهم عن المدة الباقية من الامتياز وهى ١٢ عاما ، وتطلب قيمة معاشات الموظفين السابقين في الخارج وكذلك السندات المستحقة على الشركة في الخارج ، وحملة ما يطالبون به مصر ٢٠٠ مليون جنيه .

وقد توصلت الجمهورية العربية المتحدة إلى تنازل حملة الأسهم عن طلبات التعويض لمدة الباقية في الامتياز ، وأن تتحمل الشركة السابقة دفع معاشات الموظفين السابقين في الخارج وقدرها ١٣ مليونا و ٨٠٠ ألف جنيه . وأن تتحمل الشركة السابقة قيمة السندات المستحقة في الخارج وقدرها ملبونان و ٧٠٠ ألف جنيه . وستدفع الجمهورية العربية المتحدة تعويضا قدره ٢٨ مليونا و ٣٠٠ ألف جنيه ، فإذا خصم منه قيمة المعاشات وهى ٨٠٠ و ١٣٠ ألف جنيه ، وقيمة السندات المستحقة في الخارج وهى ٧٠٠ و ٢٠ ألف جنيه يكون صافي التعويض ١١ مليونا و ٨٠٠ ألف جنيه .

ومن المعلوم أن الجمهورية العربية المتحدة حصلت على ممتلكات وأموال الشركة في

لقد أثبت التعاون الذى تم بيننا في السنوات القليلة الماضية أنه يمكن التعاون بسياسة مبنية على التعاون والصداقة . ولم تكن مساعدتك لنا متوقفة على شرط أو على التزام ، فقد ظالمتم تحرمون سياستنا المستقلة ، فلم يحدث أى تدخل بأى حال من الأحوال وقد كنتم تحرمون سياسة الحياد الإيجابي التى أعلنها . وقد أثبتت المحادثات التى تمت بيننا أن التعاون بين البلدين مبنى على الصداقة والإخلاص . وأن من يريد أن يخضع بلدا لا يمكن أن يعارنه في أن يصل إلى مراكز القوى سواء من الناحية العسكرية أو من ناحية البناء الصناعى . ولقد حاربنا لكيلا نكون ضمن منطقة نفوذ الدول الاستعمارية . وقررنا أن تكون سياستنا مستقلة تنبع من ضمير بلدنا ، ولم نكن أبها الأصدقاء في تعاوننا في السنوات الأربع الماضية إلا متبعين سياسة التحرير التى رسمناها وزادتنا هذه السنين ثباتا على اتباعها . ويسرنى بإسمادة الرئيس تعبيركم عن تفهمكم لكفاح الدول العربية من أجل الحرية والاستقلال وتفهمكم لخطر إسرائيل الذى يهدد الدول العربية باعتبار إسرائيل رأس جسر للاستعمار . وإن شعب الجمهورية العربية المتحدة وسائر الشعوب العربية تنظر إليكم نظرتها للصديق الذى يعاونه لا اسبب أو مصلحة . ولكن من أجل تثبيت حريتها واستقلالها . عبرتم عن ذلك في خطابكم الآن .

سبعة منها فى الفترة من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٩٥٢ ، وبدئ فى سنة ١٩٥٥ بتنفيذ البرنامج الثامن للتحسين وقد قسم إلى سبعة أجزاء تم تنفيذ جزءين منه من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٥٧ وهما تفرعة بورسعيد وتفرعة كبريت ويجرى الآن تنفيذ الجزء الثالث من البرنامج الثامن وهو خاص بتوسيع المنطقة الواقعة شمالى السويس بامتداد ٢٣ كيلو مترا على أن يتم التوسيع من الجانب الشرقى للقناة .

وتقوم هيئة قناة السويس الآن بدراسات مستفيضة لتقرير الخطوط الرئيسية لمشروع ضخم يهدف إلى تحسين القناة بحيث تتمشى فى حجمها وسعتها وكفاءتها مع التطور المنتظر فى أحجام وعدد السفن والناقلات التى ينتظر عبورها للقناة فى المستقبل . وقد أطلق على هذا المشروع اسم (مشروع ناصر) .

قرض المانى

يغطى تكاليف مشروع السنوات الخمس

نجحت محادثات الدكتور عبد المنعم القيسونى فى ألمانيا الغربية ، فوافقت ألمانيا على منح الجمهورية العربية المتحدة قرضا يبلغ ٥٥٠ مليون مارك المانى (حوالى ٤٧ مليون جنيه) وصدر بلاغ مشترك يقول : إن الاتفاق تجرد من كل غرض سياسى . ومما تم الاتفاق عليه إيفاد ألمانيا خبراء فنيين لاستغلال الموارد المعدنية ووضع

الإقليم المصرى وقيمتها ٣١ مليوناً و ٥٠ ألف جنيه ، منها ٢١ مليوناً قيمة المباني والورش ، و ١٠ ملايين ونصف مبالغ نقدية وسندات كانت تملكها الشركة السابقة فى الإقليم المصرى عند التأميم .

ويقدر الدخل السنوى للقناة بأربعين مليون جنيه من النقد الحر ، ولو استمرت الشركة السابقة على مباشرة تحصيله فى الاثنى عشرة سنة الباقية من الامتياز فيما لو لم يتحقق التأميم لكان مجموع ذلك أربعاً مائة مليون جنيه وثمانية وأربعين مليوناً .

إفراج أمريكا عن أرصدتنا

أعلنت وزارة الخزانة الأمريكية أنها أفرجت عن حوالى ثلاثين مليون دولار هى مقدار الأموال المصرية التى كانت أمريكا قد جمدتها عقب إعلاننا تأميم قناة السويس .

البرنامج الثامن لتحسين قناة السويس

كان عمق قناة السويس عند إنشائها عام ١٨٦٩ ثمانية أمتار وعرضها عند القاع ٢٢ متراً بقطاع مائى قدره ٣١٠ أمتار مربعة .

ويبلغ الآن عمق القناة نحو ١٤ متراً وعرضها عند القاع ٣٦ متراً بقطاع مائى قدره حوالى ١٢٥٠ متراً مربعاً .

وقد تم هذا التعديل فى صورة برامج تم

بإنشاء (حكومة وطنية) للجزائر ، ومجلس استشارى للغرب وتونس والجزائر ، وتحذير الغرب من مساعدة فرنسا فى حربها الاستعمارية ضد الوطنيين الجزائريين ، واعتبار (جبهة التحرير الوطنية الجزائرية) الهيئة الوحيدة التى تتزعم وتقود الشعب الجزائرى فى نضاله من أجل تحرير الجزائر من الحكم الفرنسى .

وأصدر المؤتمر - عقب اختتامه - بلاغا رسميا بهذا المعنى ، وقام السيد علال الفاسى زعيم حزب الاستقلال المغربى بتلاوة هذا البلاغ فى مؤتمر صحفى حضره نحو مائتين من الصحفيين والمصورين من جميع البلاد . وإن هذا المؤتمر الشعبى سيعرض قراراته على الحكومتين المغربية والتونسية لإقرارها ومن المؤكد أن الحكومتين ستوافقان على قرارات المؤتمر ، لأن كلا من الحزبين هو الذى يتولى الحكم فى بلاده .

مؤتمراً كرا

وتضامن الشعوب الإفريقية
يقول توماس هودجكين فى صحيفة (نيوس تيستمان) الانجليزية :
إن فكرة تضامن الشعوب الإفريقية ظهرت لأول مرة فى المؤتمر الذى عقد فى باريس عام ١٩١٩ ، ولكن التنفيذ العملى لهذه الفكرة يرجع إلى جهود الدكتور نكروما

التصميمات للسوانى ، والمطارات . وقال البروفسور إرهارد وزير الاقتصاد الألمانى : إن المصريين أثبتوا أنهم أهل للأئتمان .

وقد أصبح لدى مصر - من القرضين الروسى والألمانى - ما يمكنها من تنفيذ مشروع السنوات الخمس .

مؤتمر وحدة شمال إفريقيا

عقد فى طنجة مؤتمر سياسى اشتركت فيه لأول مرة الأحزاب السياسية فى شمال إفريقيا وهى حزب الاستقلال المغربى ، والحزب الدستورى الجديد التونسى ، وجبهة تحرير الجزائر .

وتقول جريدة (صنداى تيمس) الإنجليزية : إن هذا المؤتمر يعد نقطة تحول مهمة فى تاريخ شمال إفريقيا لأن الغرض منه هو وضع خطة مفصلة لإنشاء اتحاد فيدرالى من هذه الأوطان الثلاثة .

وقد بحث أعضاء المؤتمر مشروعا عمليا مهما لتعزيز الجهاد فى سبيل استقلال الجزائر وهو يقضى بتلقى المجاهدين الجزائريين مزيدا من العون العسكرى والمالى من المغرب وتونس لمواصلة الحرب ضد فرنسا إلى أن تظفر الجزائر باستقلالها التام .

واختتم المؤتمر أعماله بالموافقة على التوصية

كانت مسألة : التضامن الإفريقى لمحاربة الاستعمار .

حكومة المغرب الجديدة

وقع اختيار الملك محمد الخامس على السيد عبد السلام بلقرىج لتولى رئاسة الحكومة المغربية الجديدة ، بعد أن ظل المغرب ثلاثة أسابيع بلا حكومة منذ حل الملك مجلس الوزراء الذى كان يرأسه السيد بكاي .

والسيد أحمد بلقرىج كان وزير الخارجية فى الوزارة السابقة ، وهو من أقدم المجاهدين المغاربة فى سبيل تحرير المغرب والنهوض به ، وله فى ذلك جهاد طويل معروف عند المراقبين لأحوال المغرب .

الجزائر فى طريق الاستقلال

حذر رئيس الجمهورية التونسية حكومة فرنسا وحليفاتها الغربية من نشوب حرب عامة فى شمال إفريقيا ما لم تحصل الجزائر على استقلالها . فقال : إننا قد نضطر إلى استئناف النضال لتحرير الجزائر ، ونحن على يقين من النجاح إذا فعلنا . ويجب على الحكومة الفرنسية وحكومات حلف الأطلس أن تنظر بعين الاعتبار إلى قرارات مؤتمر طنجة بشأن وحدة شمال إفريقيا .

شط العرب

بين حليفين فى حلف بغداد

إيران والعراق جارتان ، يجمعهما حلف

والسيد الحبيب بورقيبة عندما التقيا فى مارس من العام الماضى فى مدينة أكرام المناسبة لاستقلال غانا .

ولقد ساعد مؤتمر بانديونغ على تحقيق مؤتمر أكرام ، ولا يمكن اعتبار الأخير مؤتمرا فرعيا للمؤتمر الأول لأن مؤتمر أكرام اتسم بطابع إفريقى بحت ، ومن شأن هذا الطابع أن ينزعج له الغربيون الذين اعتادوا أن ينظروا إلى إفريقية على أنها شطران : الساحل المتاخم للبحر الأبيض ، وإفريقية الاستوائية . أو إفريقية العربية ، وإفريقية الزنجية . أو إفريقية المسلمة ، وإفريقية المتأثرة بنشاط المبشرين . بخلاف مؤتمر أكرام قاضيا على هذه الآراء ، ومزيلا لهذه التقسيمات ، ومعلنا أن الصحراء الكبرى ليست حدا فاصلا بين الشعوب الإفريقية . ولقد سئل أحد ساسة غانا : هل تعد الشعوب التونسية والليبية والمصرية شعوبا إفريقية ؟ فأجاب : نعم . والسائد الآن أنه ليس ثمة ميل لتقسيم إفريقية إلى قسمين : أحدهما عربى مسلم ، يقابله قسم زنجى مسيحى ، بل الميل كل الميل : إلى تضامن الجميع فى مكافحة الاستعمار .

وأيد مؤتمر أكرام قضية الجزائر ، وكان هذا طبيعيا ، لأن المسألة لم تكن فى الواقع محاولة من الدول العربية لحمل الدول غير العربية تهم بالجزائر وتؤيد قضيتها ، بل

الاستعمار البريطاني في الين

جن جنون الاستعمار البريطاني في جنوب الين لما يشعر به من انبعاث الحيوية العربية في تلك الربوع، وقد بدأ بغية في مقاطعة الحج، ثم صب نيران همجته بصواريخ الطائرات النفاثة على مقاطعة قعطبة الواقعة على الحدود بين إمارة الين ومنطقة الاستعمار. وكان ذلك كله بغيا من دولة جائرة لم تستفد من دروس التجارب والعبر، وعلى الباغي تدور الدوائر.

ثورة سومطرا

أذيع رسميا في أندونيسيا أن قوات الجمهورية الأندونيسية استولت على مدينة بوركتنجي عاصمة الثوار في غرب سومطرا، وأن ظفر الدين رئيس حكومتهم فر مع أعضاء حكومته إلى مدينة بانوسنكر في الجنوب.

الشعب يهتف للجيش

في لبنان

استقبل الشعب اللبناني - في ثورته الصادقة، ضد حكومة كميل شمعون الخائنة - الجيش بالهتاف وكان الجيش يبدى شعورا طيبا نحو الشعب، ويفرق بينه وبين قوات الدرك عند اشتباكهم، كما قبض الشعب على السفاحين الخونة، من أفراد جماعة القوميين السوريين، وصادر أسلحتهم.

بغداد، وتجمعهما جامعة أقدم من جامعة حلف بغداد، ولكن يفرق بينهما الطمع والعصبية والأناية. ولأول مرة في تاريخ إيران والعراق نسمع من إيران أن لها حق الأناوة على مرور السفن في شط العرب الذي يتألف من اجتماع الرافدين دجلة والفرات، وأنها إذا لم تحصل على هذه الأناوة ستأمر أسطولها بمنع السفن العربية من المرور في هذا النهر! وهذه الدعوى لم يسمعها أحد من إيران طول مدة إدارة الانتداب البريطاني على العراق، وطول مدة الحكم العثماني في العراق، ولا في زمن الدولة العباسية أو صدر الإسلام. فالرافدان - دجلة والفرات - يخترقان أرضا عربية خاصة بالعراق، وشط العرب يسير في أرض العرب العراقية، فهل الأناوة التي تطلبها إيران من العراق عن سير البواخر في شط العرب هي ثمن لوجودها في حلف بغداد، وهل تهديد سفر شط العرب بسلاح الأسطول الإيراني يتفق مع روابط حلف بغداد وغيرها من الروابط؟

ما أشبه هذه الدعوى بدعوى إيرانية جزر البحرين العريقة في عروبتها من قبل أن تدخل قبائل تغلب في دين النصرانية، وأيام كانت تعبد في هذه الجزيرة الصنم (أوال)، وكانت تسمى جزيرة البحرين باسم جزيرة (أوال).

فهرس

المجلد التاسع والعشرين

(لسنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م)

(١)

- آخر الكلام النبوى ١٦٩
- آخر الوصايا النبوية ٤٩٣ ، ٥٨٨ .
- آداب الزفاف فى السنة المطهرة ٥٧٠ .
- الابجدية الاولى : هل حملها الفينيقيون معهم
- من جزيرة العرب ٦٧٦ -- ٦٧٧ .
- ابراهيم محمد الاصيل : رسالة الى شهيد ٣٧٣ ،
- بين مادىة العلم وروحانية الدين ٤٥٥ ، تحية
- وتهنئة وأمل ٥٥٥ .
- أبو ذر الغفارى ٩٥٦ .
- أبو زيد شلبي : عيد العلم ٥٤٦ .
- أبو عبد الله صالح الجزائرى : يوم الجزائر ٨٤٣ .
- أبو الوفا المرازى : إعلام الساجد بأحكام
- المساجد ٤٢ ، من خواطر الساعة ٣٠٦ ،
- الثقافة المساجنة وأثرها فى المجتمع ٤٥٢ ،
- الوثيقة الدولية المظلومة : حقوق الإنسان
- ٤٩٧ ، الاجيال الحديثة : مسئولية المربين
- عنها ٥٩٢ ، وليد ميمون : الجمهورية العربية
- المتحدة ٧٥٢ .
- الاتجار بالصور العارية جريمة ٦٦٩ .
- اتحاد سوريا و٥٤ ، ٩٤ ، ٨٦٨ .
- إتحاف الانام بخطب رسول الإسلام ٩٦٥ .
- الاتفاق على أسهم القناة ٩٧٢ .
- أثر التراث الإسلامى فى حضارة الغرب ٣٦٧ .
- الاجتماع الرسمى بين روسيا والجمهورية العربية
- المتحدة ٩٧١
- الاجوبة الخفيفة فى مذهب أبى حنيفة ٨٧٣ .
- الاجيال الحديثة : مسئولية المربين عنها ٥٩٢ .
- احتفال الأزهر بالهجرة ٧٩ .
- احصاءات عن جهاد الجزائر ٢٨٦ .
- الاحقاف (الربع الخالى) كان معموراً
- ثم أفقر ٦٧٧ .
- أحمد الشرباصى : رسالة الصحافة ٣١ ، فى معترك
- الحياة العامة ١٢٣ ، الملايو دولة إسلامية
- تولد ٢٠٦ ، مؤامرات على الإسلام ٢١٠ ،
- بين الاستاذ والتلميذ ٣٩٩ ، مدرسة صارت
- للشيطان (السينما) ٥٠٦ ، خذوا الطريق
- على الرذيلة ٦٠٠ ، بين الوقاية والتقوى ٧٠٩ ،
- الأزهر بين العروبة والإسلام ٨٢٤ ،
- بين الابناء والآباء ٩٠٩ ، خطبة عيد
- الفطر ٩٣٥ .
- أحمد محمد التجانى ٥ - ٦

- أخطار التفجيرات النووية ١٨٥
 أخلاق الإسلام ١٠١
 أخى العرب ٢٥٦
 أخى فى عمان . لمحمد على فرج ١٣٨
 الأزهر بين العروبة والإسلام ٨٢٤
 الأزهر فى مباراة الخطابة والشعر ٧٧٥
 الأزهر فى مجمع اللغة العربية ٨٧٥
 الأزهر المنشود ٥٥٧
 الأزهر وطرق التدريس قديمها وحديثها ٦٥٩
 الأزهر يدعو إلى وقف التجارب الذرية
 ٣٠٣ ، ٥٧٤
 الأزهر يسجل نصراً فى الميدان الرياضى ٨٧٠
 الأزهر يكافح سموم المخدرات ٧١٨
 الأزهر يون فى معاهدم ٢٧٩
 أزياء السيدات ٢٥٥
 استئناف الدراسة ٢٧٩
 الاستعمار الأسباني فى المغرب ٤٧٩
 الاستعمار البريطانى فى اليمن ٩٧٦ .
 الاستعمار والتبشير ٢
 استقلال الملايو ١٨٩
 إسرائيل تضطهد عرب السواعيد ٢٨٣
 إسرائيل دولة لصوص ٦٧٠
 إسرائيل هى الخطر الأكبر ٢٨٤
 أسرار تسليح سوريا ٢٨٢
 أسرار التشريع الإسلامى وفلسفته : بحث
 فى الطلاق ٨٥٧
 الأسطول المصرى ٩٣
 الإسلام وسماحة الفكر ٦١٨
 الإسلام والوحدة ٨٢٣
 الاشتقاق : كتاب لعبد الله أمين ١٨٢
 إصلاح لإدارة التربية والتعليم ٩٦٩ .
 الإصلاح الدينى : مقاصده وأطواره ٤٢٧
 أصول الحرية فى منهج التفكير الإسلامى ١٤٣
 أضواء على التاريخ الإسلامى ٢٥٤
 اعتراف الأمريكيين بتعصهم ٤٨٧
 أعداد المعلم العربى ١٨٦
 الإعراض عن الحق من أسباب المحن ٢٩٢
 أعظم عمل حققته الثورة ٦٥٦
 الأغلاق الخطيرة لابن شداد ٨٧
 إعلام المساجد بأحكام المساجد للزركشى ٤٢
 أعلم الصحابة بالحلل والحرام : معاذ ٧١
 الإغراب فى جدل الإغراب ، ولمع الأدلة ،
 لابن الإنبارى ٦٦٤
 افتراق بنى معد ٦٧٩
 إفريقيا اليوم ٩٣٢
 أفتنة الاستعمار ٢٦
 أقوى أمة فى العالم الإسلامى ٤٧٧
 إكمال التحرير بأنندونيسيا ٤٧٨
 إلى بفت الشرق : شهر لمحمد النجمى ٦٠٣

- إلى جزيرة العرب : قصيدة لفؤاد الخطيب ١٨٠
إلى سماسرة البغاء ٢٣٥
ألمانيا والعالم الإسلامى ٢٥١
أم المؤمنين أم سلمة ١٦٩
أم المؤمنين حفصة بنت عمر ٣٤٠
أمانة شكرى إلى جمال ٦٧١
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الإيجاب والإعفاء ١٤
أموال السودان فى لندن ١٨٨
الاموال العامة كما يراها عمر ٣١٥
الامير عبد القادر الجزائرى ٢٧
الامير فهد الصباح فى زيارة شيخ الازهر ٣٧٣
انتصرنا على الخوف ٤٤٥
إنذار من زعماء العراق إلى حكومتهم ٨٧٧
أنور الجندى : عندما أخرجنا من الاندلس ٧٦
نوعات التجديد فى الأدب : كتاب ٦٦٦
أنيس الجليس ٩٦٨ .
أول مدرسة للطب فى أوربا عربية ٦٢١
إيماننا ٢٨٥
(ب)
أبدر الزركشى : إعلام الساجد بأحكام المساجد ٤٢
البدع فى الموالد ٦٦٩
بدوى عبد اللطيف عرض : الوحدة العربية ٨٢٧
برناج السنوات الخمس لمصر ٤٧٨
برناجنا العسكرى ١٩١
بشار العام المجرى الجديد ٨٠ ، ١٦٠
بعثة الثقافة المصرية إلى الصين ٤٧٤
البعثة المحمدية وحاجة العالم إليها وعموم الرسالة ٦٣٥
البغاء الرسمى ١٨٨
بنو رحم : شعر للغزوى ١١٢
بيان سعودى يقطع السنة الصهيونية ٢٨٤
البيان فى الخطابة وتصحيح الإيمان ٦٦٥
بيان مشيخة الازهر بالدعوة إلى إثارة السلام ٣٠٣
بين الأبناء والآباء ٩٠٩
بين الأستاذ والتلميذ ٣٩٩
بين مادىة العلم وروحانية الدين ٤٥٥
بين الوقاية والتقوى ٧٠٩
(ت)
للتاريخ الإسلامى : الدعوة إلى تصحيحه وبعثه ٣٥٧
التأميم يكشف عن المؤامرات ٤٧٠
تبرع أمير قطر لضحايا العدوان الثلاثى ٢٨٥
تبرع أمير كويتى لبور سعيد ٣٨٢
التبشير والاستعمار ٢
التجانبة : لمناسبة الصراع مع الاستعمار فى الجزائر ٦ - ١٠

- توحيد النسل فـكرة صهيونية ٥٥٠ ، ٦٤٤
 التحرير العربى ٢٥٠
 تحرير اللغة العربية من الاصطلاحات الاجنبية
 والدخيلة ٦٦٧
 تحية الازهر : قصيدة ١٥٥
 تحية الازهر لوكيل الازهر : قبل الجـزم
 السادس
 تحية العام الهجرى : قصيدة ٨٤
 تحية وتقدير لشكرى القوتلى ٧٥١
 تحية وتهنئة وأمل ٥٥٥
 تحية الوحدة : قصيدة ٨٦٢
 تدريب طلاب الثانوى على الآلة السكّابة ٩٧٠ . تونس جمهورية ٩٤
 للتدريب المهنى فى المدارس ٥٧٣
 تدريس التعاون ٢٧٩
 التراث الروحى للتصوف ١٨٤
 التربية الإسلامية : كتاب ٨٧٢
 التربية العسكرية فى الازهر ٤٧٢
 التربية والتعليم بمصر قبل الثورة وبعدها ٩١
 تشجيع البحوث التطبيقية ٣٨٠
 تطور اقتصاديات الشرق العربى ٢٧٨
 تعاون الامرة والمدرسة على تكوين الجيل ٦٦٧
 التعاون الإسلامى ٢٩٠
 تعداد سكان مصر ٩٥
 تعليقات ١٧٦ ، ٢٧١ ، ٤٦٥ ، ٥٦٧ ، ٦٦١ ،
 ٧٧٢ ، ٨٦٨
- التعليم الابتدائى بمصر ٢٧٩
 التعليم الثانوى بمصر ٦٥
 التعليم الميكانيكى ٣٣٣
 تفاوت الافهام : كلفة للرافعى ٧١٧
 التفرة العنصرية ٥٢٦
 تفسير الطبرى ٣٧٦ ، ٤٦٧
 تقدم مصر الصناعى ٩٥
 التمهيد للقاضى أبى بكر الباقلانى ٢٧٦
 التناهى عن المنكر ٦٦٣
 تهذيب البغى ٩٧
 توحيد بدء الشهر الشرعى ٢٦٦ ، ٥٢٢
 تونس جمهورية ٩٤
- (ث)
- الثائر الإسلامى جمال الدين الافغانى ٤٦٩
 الثقافة المساجنة وأثرها فى المجتمع ٤٥٢
 الثقافة المدنية المدخولة ١٩٩
 ثورة سومطرا ٨٧٩ ، ٩٧٦
 ثورة الهند على الإنجليز ٦٦ ، ٣٦٢ ، ٤٤٠
 ثورتنا الاجتماعية ٤٨١
- (ج)
- جامعة أسيوط ٩٢
 جامعة الدول العربية فى عامها الثالث عشر ٨٧٧
 جامعة الرياض ٤٧٣
 جربنا الوقوف معهم مرتين ٨٧٨

حسن جاد : رثاء الدكتور محمد عبد الله دراز

٦٢٩ ، محنة الشعر المعاصر ٨٤٤ ، ٩٤٤

حسن الشيخة : رسالة الازهر ٨٣٢ ، ٩٤٤

حسنى مهدي هداهد : القمر الصناعي ٣٧٥

عيد النصر في ذكرى العدوان الثلاثي ٥٦١

حسونة النواوي ٦٤٥

حصوننا مهددة من داخلها ٥٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ،

١١٣ ، ٢٥٩ ، ٣٢٠ ، ٣٥٠ ، ٦٩٥ ، ٨١٧ ،

٩١٣

الحكام ومسئولية التعليم في الاوطان الإسلامية

٣٩١

حكم الصور العارية في الشريعة الإسلامية : قبل

الجزء السابع

حكمة عاد وجرم : شعر لابن دريد ٧٠٨

الحكمة في تعدد الزوجات ٦٣١ ، ٨٤٩

حكومة المغرب الجديدة ٩٧٥ .

حمورابي وقومه ٦٧٨

حول تعدد الزوجات ٥٩٥

حول مؤامرات المبشرين بجنوب السودان ٩٣٦

حياء المعتذر ٤٧

الحياد الإيجابي هو السياسة الحكيمه ٥٠٠

حياد مصر الإيجابي ٢٨٧

حياة حافظ إبراهيم ٨٧٢

حياة الشيخ عيسى منون ٣٧٨

حياة مصر الاقتصادية بعد الثورة ٩٣

الجزائر في طريق الاستقلال ٩٧٥ .

الجزائر والدستور الفرنسي ٢٨٥

جماعة التربية الإسلامية : احتفالها بمدرستها ٢٨٠ ،

النتاهي عن المنكر ٦٦٣

جماعة الشرق الاوسط واللجنة الامريكية للتعاون

الإسلامي المسيحي ١٦٤

جمال الدين الافغاني ٤٦٩ ، ٨٧٣

جمال عبد الناصر في الشام ٧٨١ ، ٩٤٨

جمال عبد الناصر في روسيا ١٧٩

جمعيات المحافظة على القرآن ١٨٦

الجنس الثالث ٥١٣

جهاد الوحدة العربية ٢٨٢

جواب أهل العلم والإيمان لابن تيمية ٣٧٧

جواب العراق إلى سوريا ٢٨٤

(ح)

الحالة في العراق ٨٥٦

الحثيون : الإمبراطورية المنسية ٦٧٧

الحج والعمرة ٨٩٩

حديث : تزوجوا تسكثروا ، حديث نبوي

صحيح ٥٥٣

حديث رمضان للأستاذ الأكبر : قبل الجزء

التاسع .

حديث عيد الاضحى للأستاذ الأكبر ٣٥

حديث عيد الفطر للأستاذ الأكبر : قبل الجزء العاشر

الحرب الصليبية العصرية ٩٨ ، ١٠٣

الحرب الصليبية والاستعمار ٨٦٧

(خ)

خذوا الطريق على الرذيلة ٦٠٠

خروشتشيف يتحدث عن العرب ٣٨١

خريطه عربية لسواحل أوروبا من القرن السادس

المهجرى ٢٥٨

خسائرتنا وخسائر العدو ١٩٠

خطبة الجمعة وخطبها ١٧٦

خطبة عيد الفطر ٩٣٥

الخطبة في الإسلام ١٨٤

خطبة لجمال في دمشق ٧٨٢

خوارق العادات في الهجرة النبوية ٢٢

الخيريون أولى بالدعوة إلى الخير ٤٨٨

(د - ذ)

الداء والدواء : كتاب للإمام ابن القيم ٩٦٦ .

الدراسات الإسلامية في معهد ألماني للآثار ٤٧٣

دراسات المشاكل الاجتماعية في كليات الأزهر ٦٦٧

دعوة الإسلام ومنهجها في الإصلاح ٤٨ ،

١٣٠ ، ٢٣٦

دعوة مليوني يهودي إلى فلسطين ٢٨٢

الدول العربية المتحدة ٧٨٣

دولة تعاونية وأمة متعاونة ٢٨٩

الديانة الإسماعيلية ٩٢

ديانة الغرب : كلمة لغاندى ٧١٢

الدين النصيحة ٢٠٢

الدين والتعبئة القومية ٤٧٠

ديوان العرجى ٤٦٨

ذكرى الاعتداء الثلاثى ٣٧٤

ذكرى الميلاد المحمدى ٢١٢

(ر - ز)

الرافعى أديب الإسلام : الاحتفال بذكراه ٤٤٤

٩٤٤

رجال من التاريخ ٩٦٥

رجل عظيم ٧٤٥

الرجل المخيف ٢٩٨

رسالة الأزهر ٨٢٨ ، ٩٤٤

رسالة إلى شهيد ٣٧٣

رسالة الصحافة ٣١

رسالة المعلم العربى ٨٧٤

رسوم قناة السويس ١٨٨

رمضان يكشف لنا الطريق ٨٠٨

الروح : قصيدة لسيد عبد الرموف ٢٥٤

زكى الدين شعبان : مصادر الشريعة النظرية ،

المصالح المرسله ٢١٦ ، ٣٥١ ، ٤٣٣ ،

الاستصحاب ٥٤١

زيارة الرئيس لروسيا ٩٧١ .

(س)

السبيل إلى أسرة أفضل ١٨٣

سرطان إسرائيل ٤٧٩

سعد بن أبى وقاص ٩٠

(ش)

- شط العرب بين حليفتين في حلف بغداد ٩٧٥
الشعب يهتف للجيش في لبنان ٩٧٦
شعر حنفي ناصف ٨٩
شعر الحكمة ٢٧٣
الشعوبية أفسدت علينا حسن ظننا بسلفنا ٦٨١
شكوى سوريا للأمم المتحدة ٣٨٣
شيء من تاريخ الإسلام في يوغوسلافيا ٦٤١
الشيخ حسونة النواوى ٦٤٥
الشيخ المراغى بأفلام الكتاب ٨٨

(ص - ط)

- الصحابي الجليل أبو ذر الغفارى ٩٥٦
صفة صلاة النبي (كتاب) ٨٦
صفة العالم ٤٢٦
صفوة البيان لمعانى القرآن ٧٧٦
صلوات مصر الثقافية ببلاد آسيا ٩٣٣
صوت المرأة المسلمة في نظام الأسرة ٦٧٠
صور من البطولة الإسلامية ٢٧٧
صيام رمضان ٨٠١
طاشقند (احتفالها بالرئيس جمال) ٩٤٣
طه الساكت (السنة): مكان النصيح في الإسلام
١٨، ١٠٩، الدين النصيحة ٢٠٢، الوصاة
بكتاب الله عز وجل ٢٩٩، ٣٩٥، آخر
الوصايا النبوية ٤٩٣، ٥٨٨، كيف يقبض
العلم ٦٨٥، رجل عظيم، ويزيده قدراً أنه
يعرف قدر العظيم ٧٤٥، مدرسة الصيام ٧٩٧
آخر الكلام النبوى ٨٩٦
طراز البردة ٩٦٨ .

السفور بعد الحجاب : شعر لامين ناصر الدين

٥٩٩

- سلاح الطيران في عيد الفضى ٥٦٠
سلاح الوحدة ٨٧٩
سلامة الأمة في تدينها ، لا في مجرد سلطانها
وحضارتها ٢٩٥
سلسلة الفقه الإسلامى ٦٢٢، ٧٠٦
سلطات الحكم في البلاد السعودية ٨٧٦
سلطان العلم : قصيدة ٤٦٤
السلطان الدينية والزمنية كما يراها الإسلام ٩٤٠
سليمان الفارسى ٧٢٨
سموم الاستعمار في ثقافتنا ٤٧٢
السنة ١٨، ١٠٩، ٢٠٢، ٢٩٩، ٣٩٥، ٤٩٣
٥٨٨، ٦٨٥، ٧٩٧، ٨٩٦
سؤال غير افه ١٠٨
سوريا بمجلس الأمة المصرى ٢٨٥
سوريا : نسبة التعليم فيها ٨٢٧
سوريا ومصر في طريق الاتحاد ٤٧٥
سوكارنو في زيارة مصر ٦٦٨
سياسة الاستعمار : من كلمات الزافعى ٤٤
السياسة التعليمية في مصر ١٨٦
سياسة سوريا ١٨٩
سيد عبد الرؤوف : تحية الأزهر ١٥٥، الروح
٢٥٤، سلطان العلم ٤٦٤، عربى أنا ٨٠٧
السيرة المحمدية تحت ضوء التحليل العلمى ٢٣١

عبد الرحمن تاج ، فضيلة الاستاذ الاكبر
شيخ الجامع الازهر ، حديث عبد الاضحي
٣٥ ، بيان إلى الحكام والهيئات العالمية
بالدعوة إلى إظهار السلام ٣٠٣ ، برقية
إلى الرئيس بمناسبة ذكرى الاعتداء الثلاثي
٢٧٤ ، من الرئيس إلى الاستاذ الاكبر
جواب على البرقية السابقة ٤٥٨ ، حكم
الصور العارية في الشريعة الإسلامية : قبل
الجزء السابع ، قيام الجمهورية العربية المتحدة
واتخاب أول رئيس لها : برقية إلى الرئيس
ورد السيد الرئيس عليها ٧٤٧ ، الازهر
ووحدة مصر وسوريا : تهنئة علماء دمشق
ورد الاستاذ الاكبر ٧٤٨ ، بيان مشيخة الازهر
عن قرار الوحدة واتخاب للرئيس ٧٤٩ ،
كلمة الاستاذ الاكبر بمناسبة قيام الجمهورية
العربية المتحدة ٧٥٠ ، شيخ الجامع الازهر
يستقبل وفد علماء يوغوسلافيا ٧٧٠ ،
فلتنقذ واجيلة ٧٧١ ، تهنئة للسيد الرئيس
بكشف المؤامرة وإعلان الدستور المؤقت
٧٧١ ، حديث رمضان : قبل الجزء التاسع ،
حديث عيد الفطر المبارك : قبل الجزء العاشر
عبد الرحمن عيسى : حول تعدد الزوجات ٥٩٥
الطلاق في الإسلام ٦٨٩ ، صيام رمضان
٨٠١ ، الحج والعمرة ٨٩٩

طريق المهجرين للإمام ابن القيم ٢٧٦
طريق الوحدة الاقتصادية والبلاد العربية ٢٧٨
الطلاق في الإسلام ٦٨٩
الطلاق في مجلس الأمة ٥٧٥

(ع - غ)

عاشق النور : شعر لمحمد بدر الدين ٤٦٢
عباس طه : بنشائر العام الهجري الجديد ٨٠ ،
١٦٠ ، السيرة المحمدية ٢٣١ ، اليهود في بلادنا
العربية ٣٢٧ ، الفتح الإسلامي للغرب
العربي ٤٣٧ ، كلمة تاريخية عن تحرر العرب
بالجزائر ٦٥٧ ، كلمة عن تاريخ اليمن
وأطوارها ٧٦٧ ، بحث في الطلاق ٨٥٧ ،
السلطان الديني والزمنية كإبراهيم الإسلام ٩٤٠
عبد الله أمين : كتاب الاشتقاق ١٨٢
عبد الله المراغي : القمر الصناعي ٣٣٤ ، التفرقة
العنصرية ٥٢٦ ، سلسلة الفقه الإسلامي
٦٢٢ ، ٧٠٦
عبد الحكيم الجوهري : الازهر وطرق التدريس
٦٥٩ ، تحية وتقدير ٧٥١
عبد الحميد سامي بيومي : أثر التراث الإسلامي
في حضارة الغرب ٣٦٧ ، الإسلام وسماحة
الفكر ٦١٨

- عبد الفتاح القاضي : القراءات الشاذة ٧١٧
عبد اللطيف السبكي : نفحات القرآن ، : الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر بين الايجاب
والإعفاء ١٤ ، من عجائب القصص الكريم ،
مائدة عيسى عليه السلام ١٠٥ ، الثقافة المدنية
المدخولة أشبه بالجاهلية الاولى في اضطراب
العقيدة وزلولة الاخلاق ١٩٩ ، سلامة الامة
في تدنيها ، لا في مجرد سلطانها وحضارتها ٢٩٥
الإعراض عن الحق من أسباب المحن الشديدة ،
والدعاء إلى الله وسيلة لدفع البلاء ٣٩٢ ،
الخيرون أولى بالدعوة إلى الخير ، والأوفياء
له أهل للوفاء والرعاية من جانب الله ٤٨٨ ،
الناس في دينهم طبقات متفاوتة ، والقرآن
يخاطب كل طبقة بما يلائمها ٥٨٤ ، عبرة
مفسية ، الحياة الدنيا بين وفاة كل ليلة وبعث
كل يوم ٦٨٢ ، محاسبة الآئمين نقيصة خلقية
وجريمة دينية ٧٩٤ ، المنحرف عن الدين
أحق وإن يفلت من قبضة الله ، ٨٩١
تعليقات : خطبة الجمعة وخطبتها ١٧٦ ، مجلس
الامة وأزياء السيدات ٢٧١ ، النشاط الجديد
في المحيط المسمى ٤٦٥ ، مسابقة الرقص
في كلية الآداب بجامعة القاهرة ٥٦٧ ، الندوة
الاولى لعلاج انحراف الشباب ٦٦١ ،
مهاجمة الدكتور عبد العزيز القوصي لبراج
الهراسة في الازهر ٧٧٢ ، اتحاد سوريا
ومصر ٨٦٨ ، الندوة الثانية لحماية الشباب
- ٨٦٩ ، يقظة أدبية ٨٧٠
عبد المنعم النمر : ثورة الهند على الانجليز ٦٦ ،
٤٤٠ ، ٣٦٢
عبرة مفسية ، الحياة الدنيا بين وفاة كل ليلة
وبعث كل يوم ٦٨٢
العداؤون على سوريا يؤدي لحرب عالمية ٢٨٥ .
العرب نسوا أنفسهم ألف سنة ٦٨٠
العرب : مكاتهم في الإسلام ٨٨١
العرب يدخلون العالم الكبير ٣٨١
العرب يدرسون الذرة ٩٦٩
عربي أنا : شعر ٨٠٧
العربية في جامعة بلغراد ٣٨٠
العربية في اللغة الفارسية ٨٣
العروبة معدنها ٨٨١
العروبة من جذورها إلى أغصانها وثمراتها ٦٧٣
عروة بن الزبير ٤٢٢
عز الدين بن شداد : الاعلاق الخطيرة ٨٧
عطية صقر : إفريقية اليوم ٩٣٢
عقائد الألوهية والربوبية كما قررها الإسلام ٧٢٣
عقائد اليوم الآخر ٩٢٦
العلاج الذري في مصر ٢٤٢
على السيد جعفر : حول مؤامرات المبشرين
بجنوب السودان ٩٣٦
على العماري : الأمير عبد القادر الجزائري ٢٧ ،
محنة اللغة العربية في الجزائر ٣٤٧
عمدة التفسير عن الحفاظ ابن كثير ٢٧٤ : ٥٦٩
العمل والعمال في نظر الإسلام ٥٧١

- عندما أخرجنا من الاندلس ٧٦
عيد العلم ٤٧٣ ، ٥٤٦ ، ٥٧٢
العبد الفضى لقوات مصر الجوية ٥٧٤
عيد النصر في ذكرى العدوان الثلاثي ٥٦١
غارة إسرائيل على غزة ٣٨
الغرب العربي في طريق التطور والاتحاد
الاقتصادي ٤٦٩

(ق)

- القانون المدني العربي للسنهوري ٨١٧
قبس من الإيمان ٥٧١
القراءات الشاذة ٧١٣
قرار جمهوري بتعيين وكيل الأزهر: قبل الجزء
السادس
قرض ألماني يغطي تكاليف مشروع السنوات
الخمس ٩٧٣ .

(ف)

- فائزو الإفطار الشقيقة في عيد العلم ٥٧٢
فارس الإسلام سعد بن أبي وقاص ٩٠
الفتح الإسلامي للغرب العربي ٤٣٧
فجر جديد: قبل الجزء السادس
الفحم في سيناء ٨٧٩
الفساد في حركة التأليف ٤٧٢
فلسطين بين الاستعمار وأعوان الاستعمار ٩٤
فلسطين هي سوريا الجنوبية ٤٤٧
فؤاد الخطيب: إلى جزيرة العرب - قصيدة ١٨٠
في طريق الاتحاد ٧٧٨
في ظلال القرآن ٨٩
في كلية الطب الباكستانية ١٨٧
في معترك الحياة العامة ١٢٣
- قصص من التاريخ ٨٧١
قضيتان منفصلتان: نحن وأمريكا ٢٤٣
قطر: وصية حاكمها لمدير معارفها ٣٩١
القمر الصناعي الأول ٣٣٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ ،
٦٦٧
القمر الصناعي الثاني ٤٧٤
القوات التي هاجمت مصر ١٩٠
قوات مصرية في سوريا ٣٨٣
قواتنا الجوية في ٢٥ سنة ٥٣١ ، ٥٧٤
القوة العليا الخالدة ٨٧٦
القوة المادية والروحية ٣١٦
قيام الجمهورية وانتخاب أول رئيس لها ٧٤٧
قيام الوحدة العربية ٦٦٨

(ك - ل)

كامل محمد حسن : تأبين الشيخ محمد عبد الله

دراز ٦٢٥

كرسى القيادة ٩٥٥

كفاح الجزائر ٨٤٠

الكلدانيون هاجروا إلى العراق من جزيرة

العرب ٦٧٤

كلمات إسلامية خالدة ٣٣٧

كلمات للإمام أحمد بن حنبل ٦٥٨

كلمة تاريخية عن تحرر العرب بالجزائر ٦٥٧

كلمة عن تاريخ اليمن وأطوارها ٧٦٧

كوكب شمسى جديد ٥٧٣

كيف نحب رسول الله ، وبماذا نحبي ذكراه ؟

١٩٣

كيف يقبض العلم ٦٨٥

اللاجئون العرب امتحان للإنسانية ٢٨٣

اللاجئون الفلسطينيون في الأردن ٨٧٨

اللاجئون من فلسطين ٤٧٩

اللغة العربية في الصين ٨٧٥

اللغة العربية في كلياتنا العلمية ٣٥٣

اللغة العربية في النمسا ٩٢٥

لغويات : التأليف ، والتأليف . ونس ،

عبد الوئيس ١٥١ ، فخت البئر . فخر البئر .

قش الحجر ١٥٢ ، لا بد من صنعا وإن طال

السفر ١٥٣ ، ركب في السفينة ، ركب الجواد

٣٣١ ، شقطة الكرة ٣٣٢ ، السلك ٣٣٢ ،

على محمود عشرون فدانا ٣٣٣ ، قنط ،

قنطرة ٣٣٣ ، عريان . عرايا . عراة ٤٥٩ ،

شرار الناس ٤٦٠ ، السموة : الطقيسى :

الصندرة ٤٦٠ . جرحه ، رفضه ٤٦٠ . بلغ

محمد العقد الثانى من حياته ٥٦٣ ، المشاعر :

الحواس ٥٦٤ . استدراك على التجريس

٥٦٦ ، أيمأ أحب إليك ، ألعلم أم المسال ؟

٦٥٣ . خمسة شهور ٦٥٥ ، الاتحاد والوحدة

٨٦٣ ، الفانوس ٨٦٦ ، هاقد تمت الوحدة

بين مصر وسورية ، ها نحن نسير في طريق

المجد ، محمد في الزيتون الثانوية ٩٦١ .

لو رتعت لرتعوا ٣٠٩

(م)

مائدة عيسى عليه السلام ١٠٥

مباحثات مياه النيل ٦٧١

متحف للقضايا الكبرى ٥٧٣

المترددون على دار المكتب المصرية ٣٨٠

مجالسة الآئمين فقيصة خلقية وجريمة دينية ٧٩٤

المجتمع المختلط ٤٠٨

مجلس الامة ٩٣

مجلس الامة وأزباء السيدات ٢٧١

المجلة ٣٢٠

مجلة مجمع اللغة العربية ١٨٣

مجموعة الحديث النجدية ٢٧٥

- عبد الدين الخطيب : من عام إلى عام ١ ،
من الإسلام إلى الإيمان ٢ ، تهذيب البغى
٩٧ ، كيف نحب رسول الله ؟ وبماذا نحي
ذكره ؟ ١٩٣٤ ، دولة تعاونية وأمة متعاونة
٢٨٩ ، الدعوة إلى تصحيح التاريخ الإسلامى
وبعثه ٣٥٧ ، إيماننا ٣٨٥ ، ثورتنا
الاجتماعية ٤٨١ ، نقطة تحول في تاريخنا ٥٧٩
العروبة من جذورها إلى أغصانها وثمراتها
٦٧٣ ، السيد محمد الخضر حسين : ترجمته ٧٣٦
موقف المسلم من هذه الأحداث الكبرى
٧٨٨ ، معدن العروبة ومكانة العرب
في الإسلام ٨٨١ ، باب التعريف بالكتاب ،
باب الآداب والعلوم ، ترتيب فهرس هذا العام
محرك كهربائى مصرى ٩٦٩ .
- محمد أبو العلا البنا : توحيد بدء الشهر الشرعى
٢٦٦ ، ٥٣٢
- محمد أبو المكارم : محمد صلى الله عليه وسلم
نبى الوحدة ورسول الاستقلال ٢٢١
- محمد الخضر حسين : ترجمته ٧٣٦ ، رجل عظيم
٧٤٥ ، تأييده في مجمع اللغة العربية ٨٧٥
- محمد سليمان بدير : رثاء الدكتور دراز ٦٢٧ ،
وحدة مصر وسوريا ٧٦١
- محمد صالح الربدى : قصيدة ١٦٣
- محمد صبرى عابدين : حديث وتزوجوا أنكثروا ،
حديث نبوى صحيح ٥٥٣
- محمد الطنيجي : خوارق العادات في الهجرة
النبوية ٢٢ ، النصيحة ١٥٧ ، كلمات إسلامية
خالدة ٣٣٧ ، الحكمة في تعدد الزوجات ٦٣١
٨٤٩ ، الأزهر يكافح سموم المخدرات ٧١٨
محمد عبد الله دراز : تأييده ٦٢٥ ، رثاؤه ٦٢٧ ،
٦٢٩
- محمد عبد السلام القبانى : نظرة فقهية في قانون
المعاشات ٤٥ ، تحديد النسل فكرة صهيونية
استعمارية ٥٥٠
- محمد على النجار : لغويات ١٥١ ، ٣٣١ ، ٤٥٩ ،
٥٦٣ ، ٦٥٣ ، ٨٦٣ ، ٩٦١
- محمد فتحي عثمان : أصول الحرية في منهج التفكير
الإسلامى ١٤٣ ، قضيتان منفصلتان : العرب
وأمریکا ٢٤٣ ، أضواء على للتاريخ الإسلامى
٣٥٤ ، وثبا نحو وحدة العرب ٧٥٥ ، رمضان
يكشف لنا الطريق ٨٠٨
- محمد فهمى عبد اللطيف : الوحدة الإسلامية بين
الآمل والواقع ١٣٩ ، الإسلام والمسلمون
في صحف العالم ٢٥١ ، صور من البطولة
الإسلامية ٢٧٧ ، الوعى الإسلامى أمام
الاستعمار ٤٤٨ ، شئ من تاريخ الإسلام
في يوغوسلافيا ٦٤١

- محمد كامل شلش : سلاح الطيران في عيده
الفضى ٥٦٠ ، من وحى الوحدة ٥٨٨
- محمد محمد أبو شعبة : الهجرة والنضحية والفداء ٣٩
من الهدى المحمدى ١٣٥ ، ٤٠٤ ، ذكرى
الميلاد المحمدى ٢١٢ ، القوة المادية والروحية
٣١٦ ، المسئولية في الإسلام ٥٠١ ، ٦٠٤ ،
٧١٩ ، ٩٢٢ ، الإسلام والوحدة ٨٣٣
- محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها ٥٥ ،
٩١٣ ، ٢٥٩ ، ٢٢٠ ، ٦٩٥ ، ٨١٧ ، ٩١٣ ،
الاجتماع المختلط ٤٠٨ ، الجنس الثالث ٥١٣
- محمد محمد خليفة : أخى العربى ٢٥٦ ، انتصرنا
على الخوف ٤٤٥ ، الأزهر المنشود ٥٥٩ ،
كمأح الجزائر ٨٤٠
- محمد مصطفى حمام : مكانة الأزهر المعمور ٨٦١
محمد نبى الوحدة ورسول الاستقلال ٢٢١
- محمود إبراهيم طيرة : تحية العام الهجرى
الجديد ٨٤
- محمود النواوى : أعلم الصحابة بالحلال والحرام
معاذ ٧١ ، أم المؤمنين أم سلمة ١٦٩ ، فى هذه
المناسبة : ذكرى المولد ٢٢٥ ، أم المؤمنين
حفصة بذت عمر ٣٤٥ ، عروة بن الزبير ٤٢٢
- للشيخ حسونة النواوى ٦٤٥ ، سابق الفرس
إلى الإسلام سلمان ٧٢٨ ، الصحابى الجليل
أبو ذر الغفارى ٩٥٦
- محنة الشعر المعاصر ٨٤٤ ، ٩٤٩
محنة اللغة العربية فى الجوائر ٣٤٧
المدارس الاجنبية فى سوريا ٩٦٩ .
مدرسة صارت للشيطان : السينما ٥٠٦
مدرسة الصيام ٧٩٧
مدينة البعث الإسلامية ١٨٦
المدينة الجامعية لجامعة عين شمس ٩٢
مذكورة عن خليج العقبة ٨٦
المركز الإسلامى الثقافى بلندن ٨٧٤ ، ٩١٢
مسابقة الرقص فى كلية الآداب بجامعة القاهرة
٥٦٧
- مساهمة الهند فى قضاء مآرب الإنسان ٤٧٠
مسئوليات الجمهورية العربية المتحدة ٨٧٦
مسئوليات النصر ٨٧٩
- المسئولية فى الإسلام ٥٠١ ، ٦٠٤ ، ٧١٩ ، ٩٢٢
مسئولية المواطن فى بناء الجيل ٢٨٠
مستقبل الثقافة فى المجتمع العربى لكامل عياد
٦٩٧
- مسجد الكلية الحربية ١٨٨
المسلمون فى روسيا ٢٥٣
المسلمون فى يوغوسلافيا ٨٦٠
المسند للإمام أحمد ٢٧٥
هشاعل على الطريق ٦٦٦
مشروع أيزنهاور للشرق الاوسط ٩٣
مشروع السنوات الخمس فى الهند ٤٧١

- المصاحف من الخارج ٩١
مصادر الشريعة النظرية : المصالح المرسله ٢١٦
٢٥١ ، ٤٣٣ ، الاستصحاب ٥٤١
مصانع الطائرات بمصر ٧١٧
مصانع من روسيا لمصر ٤٧٧
مصانعنا الحربية ١٩١
مصر وسوريا في حديث الرئيس ٢٨٦
مصر والشام : شعر لمحمد الشربقي ٦٨١
مصر والقومية العربية ٤٥٤
مصر والمملكة السعودية ٢٨٧
المعادن المصرية ٥٧٥
معادن بن جبل ٧١
معدن العروبة ومكانة العرب في الإسلام ٨٨١
معرض رومى لتمثيل الحياة في الجمهورية العربية ٩٧٠
معرض للفنون الإسلامية بـلاهور ١٨٧
المعهد الأزهرى للفتيات ٨٧٥
المخفى في تصريف الأفعال ٩٦٧
مقاطعة العرب لإسرائيل ٦٦٩
مكان النصع في الإسلام ١٠٩
مكانة الأزهر المعمور : قصيدة ٨٦١
مكانة العرب من رسالة الإسلام ٨٨١
مكتبة القوتلى في الجامعة السورية ٩٧٠
الملايو دولة إسلامية تولد ٢٠٦
الملايو والإسلام ٦١٠
ملك المغرب يتسكلم فى الأمم المتحدة عن الجزائر
٥٧٤
من الإسلام إلى الإيمان ٢
من خواطر الساعة ٣٠٦
- من عام إلى عام ١
من قصيدة الاحتفال بجمعيات تحفيظ القرآن
١٦٣
من كلام الأحنف بن قيس ٧٠٥
من الهدى المحمدى ١٣٥
من وحى الوحدة ٦٨٨
المنحرف عن الدين أحق ولن يفلت من
قبضة الله ٨٩١
منهج القرآن في بناء المجتمع ٧٧٧
مهاجمة الدكتور عبد العزيز القوصى لبراج
الدراسة فى الأزهر ٧٧٢
مهندس عربى فى صناعة الأقار الأمريكية ٨٤٨
مؤامرات ضد الإسلام ٣١٠
مؤتمر أكر ٩٧٤ .
مؤتمر الأدباء الثالث ٥٧٢
مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية الإفريقية ٥٦٦
المؤتمر التعاونى الثالث ٥٧٥
المؤتمر العلمى العربى الثالث ٢٧٩
مؤتمر المحامين العرب ٢٨٥
مؤتمر وحدة شمال إفريقيا ٩٧٤ .
موقف المسلم من هذه الأحداث الكبرى ٧٨٨
المولد النبوى وتاريخ الاحتفال به ١٩٣
ميزانية دار السكتب المصرية ٤٧٣
(ن - ه)
الناس فى دينهم طبقات متفارقة ، والقرآن
يخاطب كل طبقة بما يلائمها ٥٨٤

- نجاح سياسة الحياء ٤٥١
 الندوة الاولى لمعالجة انحراف الشباب ٦٦١
 الندوة الثانية لحماية الشباب ٨٦٩
 نزعات التجديد في الادب العربي المعاصر ٦٦٦
 الفشاط الجديد في المحيط النسوى ٤٦٥
 النصيحة ١٥٧
 نظام مصر الاجتماعى ٤٦٣
 نظرات في الإسلام ٧٧٧
 نظرة فقهية في قانون المعاشات ٤٥
 نفحات القرآن ١٤ ، ١٠٥ ، ١٩٩ ، ٢٩٥ ،
 ٣٩٢ ، ٤٨٨ ، ٥٨٤ ، ٦٨٢ ، ٧٩٤ ، ٨٩١
 نقطة تحول في تاريخنا ٥٧٩
 نهرو يتحدث عن سياسة الهند الخارجية ١٨٥
 نور الدين شريعة : الملايو والإسلام ٦١٠
 هجرة بنى إسماعيل من الحجاز إلى الشام ٦٧٨
 هجرة سد العرم ٦٧٩
 الهجرة والتضحية والفداء ٣٩
 هدية لمركز حلوان ٢٧٩
 هل يتحول الجرافيت إلى جواهر ٢٨١
 هي من عند الله ٩٢١
- (و - ى)
- وثبا نحو وحدة العرب ٧٥٥
 وثيقة إعلان الجمهورية العربية المتحدة ٧٧٨
 الوثيقة الدولية المظلومة : حقوق الإنسان ٤٩٧
 الوحدة الإسلامية بين الأمل والواقع ١٣٩
 الوحدة العربية ٨٢٧
 وحدة مصر وسوريا ٧٦١
 وحدتنا : من كلمات الرئيس ١٢٢
 الوسائل التعليمية ٩٧٠ .
 الوصاة بكتاب الله عز وجل ٢٩٩ ، ٣٩٥
 وعى العالم الإسلامى أمام الاستعمار ٤٤٨
 الوقف على مصالح المسلمين ٤٣٦
 وكيل الجامع الأزهر في معسكر الأزهرين .
 قبل الجزء السادس
 وليد ميمون : الجمهورية العربية المتحدة ٧٥٢
 اليابانيون والبتروال السعودى ٦٧٠
 يس سويلم طه : دعوة الإسلام ومنهجها
 في الإصلاح ٤٨ ، ١٣٠ ، ٢٣٦ ، الإصلاح
 الدينى : مقاصده وأطواره ٤٢٧ ، البعثة
 المحمدية وحاجة العالم إليها وعموم الرسالة ٦٣٥
 عقائد الألوهية والربوبية كما قررها الإسلام
 ٧٢٣ ، عقائد اليوم الآخر ٩٢٦
 يقظة أدبية ٨٧٠
 يقظة العروبة : كلمة للمستشرق جيب ٨١٦
 اليمن في الجمهورية العربية المتحدة ٧٨٢
 اليهود في بلادنا العربية ٣٢٧
 يهود المغرب ٢٥٣
 يوم الجزائر : شعر ٨٤٣

الفهرس

صفحة	الموضوع	بـ
٨٨١	ممدن العروبة ومكانة العرب من رسالة الاسلام	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٨٩١	نفحات القرآن « ٦٠ » المنحرف عن الدين	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
	أحق ولن يفلك من قبضة الله	
٨٩٦	السنة : آخر الكلام النبوى	« طه محمد الساكت
٨٩٩	الحج والعمرة [كيف تحج وتمتع أمها المسلم]	« عبد الرحمن عيسى مدير المجلة . .
٩٠٩	نحو مجتمع إسلامى : بين الأبناء والآباء . .	« أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر . .
٩١٣	حصولنا مهددة من داخلها « فى جامعة الدول	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب
	العربية ٤ - ٣ -	العربى الحديث بجامعة الاسكندرية
٩٢٢	المسؤولية فى الاسلام — ٤ —	الاستاذ محمد محمد أبو شهبه الأستاذ بكلية أصول الدين
٩٢٦	عتائد اليوم الآخر كما قررها الاسلام . . .	« يس سويلم طه المفتش بالأزهر . .
٩٣٢	على هامش مؤتمر أكرا « إفريقيا اليوم »	« عطية صقر المدير الصحفى لمكتب
	شيوخ الجامع الأزهر	
٩٣٦	حول مؤامرات المبشرين بمجنوب السودان .	« على السيد جعفر مفتش الوعظ بالقاهرة
٩٤٠	السلطان الدينية والزمينية كما يراها الاسلام	« عباس طه المحامى
٩٤٤	رسالة الأزهر — ٢ —	« حسن الشيخة عضو نقابة الصحفيين
٩٤٩	محنة الشعر المعاصر — ٢ —	« حسن جاد المدرس بكلية اللغة العربية
٩٥٦	الصحابى الجليل « أبو ذر الغفارى » . .	« محمود النواوى
٩٦١	نفويات	« محمد على النجار
٩٦٥	المكتب	المجلة
٩٦٩	الأدب والعلوم	»
٩٧١	العالم الإسلامى	»

